

تأليف

عبد القادر بن عمر البغدادي
١٠٣٠ — ١٠٩٣

تحقيق وشرح

عبد السلام محمد هارون

الجزء الثامن

الناشر مكتبة الخانجي بالقاهرة

الطبعة الرابعة
١٤٢٠ هـ = ٢٠٠٠ م

رقم الإيداع
٩٩/١٥١٨٩
الترقيم الدولى .I.S.B.N
977 - 5046 - 60 - 2

المنطقة الصناعية الثانية – قطعة ١٣٩ – شارع ٣٩ – مدينة ٦ أكتوبر
ت : ٣٣٨٢٤٠ – ٣٣٨٢٤١ – ٠١١/٣٣٨٢٤٢

بسم الله الرحمن الرحيم

باب المجموع

(أنشد فيه ، وهو الشاهد الثامن والسبعون بعد الخمسمائة) :

٥٧٨ (لنا جاملٌ لاَيهدأُ اللَّيلَ سامِرُه)

على أن (جاملاً) ليس بجمع ، بدليل عود الضمير عليه من (سامرُه) مفرداً .

قال صاحب الكشاف فى (سورة الأعراف) : الأُناس اسم جمع غير مكسَّر ، بدليل عود الضمير المفرد إليه ، وتصغيرِه على لفظه .

والسابق إلى هذا أبو على ، قال (فى البغداديات) : فإن قال قائلٌ : فهلاَّ جاز تكسيره، أى اسم الجمع ، كما جاز تحقيره ، فيما حكاه سيبويه من قولهم : رَجْل[1] ورُجَيل ؟ قيل له : لا ينبغى أن يجوز . وذلك أنَّ هذا الاسم على بناء الآحاد ، والمراد به الكثرة ، فلو كسِّر كما صغِّر لكان فى ذلك إجراؤه مُجرى الآحاد ، وإزالتُه عمَّا وضع له من الدلالة على الكثرة ، إذ كان يكون فى ذلك مساواتُه له من جهة البناء والتكسير والتحقير ، والحديث عنه كالحديث عن الآحاد ، نحو ما أنشد أبو الحسن :

---

(١) رجل هنا، بالفتح وسكون الجيم : اسم جمع للراجلين الذين يمشون على أرجلهم لا يركبون . وانظر سيبويه ٢ : ١٤٢ .

* لهم جاملٌ لا يهدأُ الليـلَ سامِرُه *

وهذا كلُّ جهاته أو عامَّته ، فيجب إذا صغِّر أن لا يكسَّر ، فيكون بترك تكسيره منفصلا مما يراد به الآحاد دون الكثرة . انتهى .

صاحب الشاهد

والمصراع من قصيدة للحطيئة هجا بها الزِّبرقانَ بن بدرٍ الصَّحابى التميمى ، ومدح فيها ابن عمه بَغِيض بن شَمَّاسٍ ، وفضَّله عليه .

وتقدَّم السببُ فى هذَا مفصَّلاً فى باب ما لا ينصرف(١) . والروايةُ : « ذَوُو جامل » بدلَ : « لنا جامل » .

وهذه أَبياتٌ منهـا :

أبيات الشاهد

فدعْ آلَ شَمَّاسِ بن لأْيٍ فإِنَّهم مَواليكَ أَو كاثِرْ بهم من تُكاثره

أَتحصُرُ أَقـواماً يجودوا بمالِهم فلولا قَبيلَ الْهُرمُزان تحاصرُه(٢)

فلا المالُ إن جادوا به أَنت مانعٌ ولا العزُّ من بنيـانهم أَنت عاقرُه

فإِن تكُ ذا عزٍّ حـديثٍ فإِنهم لهم إرثُ مجدٍ لم تخُنْه زوافرُه(٣)

فإِن تك ذا شـاءٍ كثيرٍ فإِنَّهـم ذُوو جاملٍ لا يهدأُ الليلَ سامرُه

(١) هذا سهو منه ، والصواب أنه تقدم فى باب التميز فى الشاهد الرابع عشر بعد المائتين ، عند قول الحطيئة :

سيرى أمام فإن الأكثرين حصى والأكرمين إذا ما ينسبون أبا

انظر الخزانة ٣ : ٢٩٠ – ٢٩٢ .

(٢) وكذا فيما سيأتى فى الشرح . والوجه مافى الديوان ١١ : « أتحصر قوماً أن يجودوا » . وفى الديوان أيضاً : « فهلا قتيل الهرمزان » . قال السكرى : « يقوم : أتمنع الناس أن يجودوا بأموالهم فى الحقوق ، فهلا منعت عمر بن الخطاب رضى الله عنه حين يعطى الأموال فى وجوهها . والهرمزان : دهقان تستر . وإنما نسب الهرمزان إلى قتل عمر لأنهم رأوا أبا لؤلؤة غلام المغيرة ابن شعبة وهو يعرض على الهرمزان السكين التى قتل بها عمر . فلذلك السبب وثب عبيد الله بن عمر على الهرمزان فقتله ، متهماً له أن يكون مالأ أبا لؤلؤة على أبيه عمر بن الخطاب » .

(٣) فى الديوان : « فإنهم ذوو إرث مجد لم تخنهم زواخره » .

٣٩٠ وقوله : «مَواليكَ» أي أبناءُ عمك . والمكاثرة :المفاخرة . أي فاخِرْ بهم إذا لم يكن عندك من الفخر ماتفاخر به .

وقوله : «أتَحْصر أقواماً» إلخ ، أي أتمنع وتحبس ؟! يقول : دع هؤلاء الذين يجودون بمالهم ، وعليك بالهرمزان فامنعْه . أي إنَّك لا تقدر إلا على العجم (١) . ولولا بمعنى هَلَّا . والهرمزان كان والىَ مَدينةِ تُسْتَر ، فلما فتحت جاءُوا به إلى عمر بن الخطاب .

وقوله : «فإنْ تك ذا عزٍّ» إلخ الحديث : الحادث . يريد أنَّ عزَّه حادث بتوليته النبيُّ صلى الله عليه وسلم صدقاتِ بنى تَميم (٢) . والإرث بالكسر : الأَصل والمجدُ والشرف . وزوافره : موادُّه وروافده ، يقال : هو زافرتهم عند السُّلطان ، أي يقوم بأَمرهم ويُعينهم . ويقال : هو فى زافرة قومه ، أي فى عددهم وكثْرتهم . ويقال : زوافره : معظمه .

وقوله : «فَإن تك ذا شاءٍ كثيرٍ» إلخ ، الشاء : جمع شاة . قال صاحب المصباح : الشاة من الغنم يقع على الذكر والأُنثى ، فيقال : هذا شاةٌ للمذكر ، وهذه شاة للأُنثى ، وشاة ذكر وشاة أُنثى ، وتصغيرهما شُويهة . والجمع شاءٌ وشَاهٌ بالهاءِ رجوعاً إلى الأَصل ، كما قيل شفة وشِفاه . ويقال أَصلها شاهَة مثل عاهة . انتهى .

والجامل : اسم جمع بمعنى جماعة الإبل مع رُعاتها . والهُدءُ مهموز الآخر : السُّكون . والليل ظرف ، وسامره : فاعله ، والضمير للجامل . أي لا يسكن ولا ينام الذى يحفظ الإبل ، وهو السامر . يعنى أنَّ الرُّعاة يسهَرون ليلَهم لحفظ إبلهم . قال صاحب الصحاح : السَّمَر : المسامرة ،

---

(١) كذا . وانظر ما أسلفت من الرواية والتحقيق فى الحاشية .
(٢) إضافة المصدر إلى مفعوله ثم الإتيان بالفاعل قليل . الأشمونى ٢ : ٢٨٩ .

وهو الحديث بالليل، وقد سَمَرَيسمُر، فهو سامرٌ. والسَّامر أيضاً: السُّمَّار، وهم القوم يَسمُرون. انتهى.

وترجمة الحطيئة تقدمت فى الشاهد التاسع والأَربعين بعد المائة[١].

* * *

وأنشد بعده :

(مع الصُّبح ركبٌ من أُحاظةَ مُجْفِلُ)

على أَنَّ (ركباً) ليس جمعاً بدليل عود الضمير إليه من صفته بالإفراد، ولو كان جمعاً لقيل مجفلون.

والمصراع من لاميَّة العرب للشنفرَى، تقدَّم الكلام عليه قبل باب المثنى، فى الشاهد السابع والخمسين وبعد الخمسمائة[٢].

* * *

وأَنشد بعده، وهو الشاهد التاسع والسبعون بعد الخمسمائة[٣]:

٥٧٩ (عَرَفْنَا جعفراً وبنى أَبيه   وأَنكرنا زعانفَ آخرِينِ)

على أَنَّ نون الجمع قد تُكسَرُ فى ضرورة الشعر كما فى آخرين.

وقد يمكن أن تكون كسرة النون كسرة إعراب كما تقدَّم النَّقل عن أَبى على فى باب التثنية. وسيأْتى فى آخر هذا الباب، فلا ضرورة حينئذ.

قال الشارح المحقق فيما سيأْتى: إذا كسرت النون فلا يكون ما قبلها إلاَّ الياء.

---

(١) الخزانة ٢ : ٤٠٦ – ٤١٣.

(٢) انظر الخزانة ٧ : ٤٤٧ – ٤٥١.

(٣) طبقات ابن سلام ٥٩ والعينى ١ : ١٨٧ والتصريح ١ : ٧٩ والهمع ١ : ٧٩ والأشمونى ١ : ٨٩ وديوان جرير ٥٧٧.

وكذلك نصّ ابن عصفور (فى كتاب الضرائر) أنَّ كسرنون الجمع لا يكون إلاَّ فى حال النصب والخفض ، كما أنَّ فتح نون التثنية لايكون إلا كذلك . فلكسرِها شرطان : أحدهما الشعر ، وثانيهما الياء .

وبهذا يعرف سقوط قول ابن هشام (فى شرح الشواهد): إنَّ الشَّرط الثانى قد أهمله النحويُّون ، وإنَّ الشرط الأَوَّل أَهمله ابنُ مالك (فى منظومته) دون التسهيل .

قال ابن عصفور : ووجه كسر النون تحريكها على أصل التقاء الساكنين . وقال العينى : ويقال إن كسر نون الجمع ليس بضرورة ، وإنَّما هو لغةٌ لقوم بنَى الشاعر كلامَه على هذه اللغة . ٣٩١

صاحب الشاهد والبيت آخر أَبياتٍ أَربعة لجرير ، خاطب بها فَضَالة العُرَنىَّ[1] أَوردها محمد بن حبيب (فى المناقضات) ، وهى :

(أَتوعدنى وراءَ بنى رياح كذبتَ لتقصُرَنَّ يداك دُونى

فنِعم الوفدُ وفدُ بنى رياح ونعم فوارسُ الفزَع اليقينِ

عَرِينٌ من عُرَينة ليس منَّا برئتُ إلى عُرينة من عَرينِ

عَرَفنا جعفرًا وبنى عُبيدٍ وأَنكرنا زعانف آخرينِ)

وزاد العينىُّ فى روايته بعد هذا بيتاً ، وهو :

(قُبيِّلةٌ أَناخَ اللؤمُ فيها فليس اللؤمُ تاركَهم لحينِ)

وسبب هذا، على[2] ماحكاه محمد بن حبيب : أَنَّ جريراً لمَّا هجا

---

(١) فى حاشية ش : « قوله العرنى هكذا وجد بخط المؤلف ، وصوابه العرينى » . ولا وجه له فإن حذف الياء فى مثل هذا قياس . انظر سيبويه ٣ : ٣٣٩ والأشمونى ٤ : ١٨٦ .

(٢) على ، ساقطة من ش .

غسَّان السَّلِيطِيَّ ، وهو سَليط بن الحارث بن يربوع ، وكان خالَ فضالة[١] أَحدِ بنى عَرين بن ثعلبة بن يربوع ، قال فَضَالةُ لجريرٍ : أَتهجُو خالى ، أَمَا والله لأَقتلنَّك ! فقال جريرٌ هذه الأَبيات .

وقوله : « أَتُوعِدُنى » الخ ، الهمزة للإنكار ، ووراءَ بمعنى ، خَلْفَ . ورِياح بكسر الراءِ بعدها مثناة تحتيَّة ، هو رياح بن يربوع بن حَنظلة بن مالك ابن زيد مناة بن تَميم . وبنوهُ هم : همَّام ، وهَرْمىٌّ[٢] ، وحِميرىّ ، وزيد ، وعبد الله ، ومُنقِذ ، وجابر .

وقولهُ : «فنعم الوفدُ» إلخ . الوفد : الجماعة . والفزع : الخوف ، وإِنَّما وصفه باليقين لأَنَّ المدح إنما يكون لمن يُغيثُ عند الخوف المتيقَّن ، لا الخوفِ المتوهَّمِ أَو المظنون .

وقوله : « عَرين من عُرينة » الخ : عَرين بفتح العين وكسر الراءِ : هو عَرين ابن ثعلبة بن يربوع ، وهو مبتدأ وخبرُه من عُرينة . وهو بضم العين وفتح الراءِ ، وهو بطن من بَجِيلة ، من قبائل اليمن ، وهو عُرينة بن قَسْر بن عَبقَر بن أَنمار بن إراش بن عمرو بن الغوث بن نبت بن زيد ابن كَهْلان . وبجيلة هى أُمٌّ عبقر ، وهى بجيلة بنت سَعد العشيرة ، وهى أُمُّ جماعةٍ كلٌّ منهم بطن ، بها يعرفون . وجملة ليس منا ، خبر ثان ، أَو مستأْنفة . يريد إِنَّ عَريناً قحطانى لا عدنانى ، وإِنَّما نفاه عن نسبه وجعله قحطانيًّا نكاية فى فَضالة ، فإِنَّه من ولد عرين .

وقوله : « برئت إِلى عُرينةَ » إلخ . قال ابن هشام (فى شرح الشواهد) :

---

(١) ش : « وكان خاله » فقط .

(٢) ضبطه فى الاشتقاق ٢٢١ بقوله : « منسوب إلى الهرم ، والواحدة هرمة ، وهو ضروب من الحمض » .

الأَصل برئت إِليه منه ، فأَناب الظاهرَين عن الضميرين لإِيضاح المتبرَّأ منه من المتبرَّأ إليه ، ولأَنّ إِيقاع البراءة على صريح اسم عرين أبلغ .

وقال العينى : يقال برئ إِليه بمعنى برئ له ، لأَنَّ إلى تجىء مرادفة للاَّم . ويجوز أن تكون إلى للغاية ، والمعنى برئت من عَرين منتهياً إلى عُرينة ، فيكون إلى عرينة حال . هذا كلامه .

وقوله : «عرفنا جعفراً وبنى أَبيه» أى إخوته ، وهم جعفر وجَهْوَر وعبيد. وكذا عرين أخوهم لكنَّه نفاه منهم ، وجميعهم أَولاد ثعلبة بن يربوع . وثعلبة[1] هو أخو كليب بن يربوع . وجرير من أولاد كليب ، فرياح وثعلبة وكليب إخوة . وروى :

* عرفنا جعفراً وبنى عُبيد *

وقوله : « وأنكرنا زعانف » إلخ . نا فاعل ، وزعانف مفعوله . وهذا تعريض بفضالة من بنى عرين بأَنه من الملحَقِين والأَتباع ، لا من الصَّريح الخالص النَّسب . وزعانف : جمع زِعنِفة بكسر الزاى والنون وسكون العين بينهما . قال محمد بن حبيب : الزَّعانف: الأَتباع ، واحده زِعنِفة ، وهو من زعانف الثوب : أَهدابه التى تَنُوس منه . وكذلك لئام الناس ورُذَالهم إنَّما هم من أَطراف الأَديم وأَخبثِه . وآخرين : صفة لموصوف محذوف ، أى قوم آخرين ، كذا قال الشارح المحقق .

وترجمة جرير تقدَّمت فى الشاهد الرابع من أوّل الكتاب[2] .

٣٩٢

* * *

---

(١) ط : « وثعلب » ، صوابه فى ش .

(٢) الخزانة ١ : ٧٥ - ٧٧ .

(وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثمانون بعد الخمسمائة[١] :

٥٨٠ (نَضَّر اللهُ أَعظُماً دَفَنوهـا بسجستانَ طلحةَ الطَّلَحَاتِ)

على أنَّ السماع والاستعمال فى نحو طلحة ، وهو كلُّ علم مذكَّر مختوم بالهاءِ ، جمعُه بالألِف والتاءِ ، ولم يسمع جمعُه بالواو والنون.

وقد بسط ابنُ الأَنبارىِّ الكلامَ على هذه المسأَلة (فى مسائل الخلاف) فلا بـأْس بإِيراده ، قال :

ذهب الكوفيُّون إلى أَنَّ الاسم الذى آخره تاءُ التأْنيث إذا سمِّى به رجلٌ يجوز أن يجمَع بالواو والنون، نحو: طلحة وطلْحُون. وإليه ذهب ابن كيسان إلَّا أنَّه يفتَحُ اللام[٢] فيقول : طَلَحون بالفتح ، كما قالوا أَرَضون حملاً على أَرضات . واحتجَّ الكُوفيُّون بـأَنَّه فى تقدير جمع طلح، لأَنَّ الجمع قد تستعمله العرب على تقدير حذف حرفٍ من الكلمة ، قال الشاعر :

* وعقبة الأَعقابِ فى الشهر الأَصمّْ *

فكَسَّره على مالا هاء فيه . وإذا كانت الهاءُ[٣] فى تقدير الإِسقاط جاز جمعه بالواو والنون. ويدلّ لنا أَنَّا أَجمعنا على أَنَّه لو سمِّى رجل بحمراء أَو حُبلى جمع بالواو والنون . ولا خلافَ أَنَّ مافى آخره أَلفُ التأْنيث أَشدُّ تمكناً فى التأْنيث مما فى آخره تاءُ التأْنيث ، لأَنَّ أَلف التأْنيث صِيغت الكلمة عليها ولم تُخرج الكلمةَ من التذكير إلى التأْنيث ، وتاءُ

---

(١) الإنصاف ٤١ ، وابن يعيش ١ : ٤٧ ، والهمع ٢ : ١٢٧ ، وديوان ابن قيس الرقيات ٢٠ .
(٢) ش : « بفتح اللام » ، وأثبت مافى ط والإنصاف .
(٣) ط : « وإذا كان » ، وأثبت مافى ش والإنصاف .

التأْنيث ما صِيغت الكلمة عليها وأخرجَت الكلمةَ من التذكير إلى التأْنيث. ولهذا المعنى قام التأْنيث بالأَلف فى منع الصرف مقام شيئين، بخلاف التأْنيث بالتاءِ. فإذا جاز أن يُجمع بالواو والنون ما فى آخره أَلف التأْنيث، وهى أوكد من التاءِ، فلَأَنْ يجوز فيما آخره التاء كان ذلك من طريق الأَولى.

وأَمَّا ابن كيسان فاحتجَّ على ذلك بأَنَّه إنَّما جوَّزنا جمعه بالواو والنون لأَنَّ التاءَ تسقط فى الطلحات، فإذا سقطَتْ وبقى الاسم بلا تاء جاز جمعه بالواو والنون كقولهم: أَرض وأَرضون. وكما حرِّكت العين فى أَرَضُون بالفتح حملاً على أَرَضات، فكذلك حركت العين من الطَّلَحون حملاً على الطَّلَحَات، لأَنَّهمْ يجمعون ما كان على فعْلة من الأَسماءِ دون الصفات، على فَعَلات بالتحريك.

وقال البصريون: لا يجوز هذا الجمع. والدليل على امتناعه أَنَّ نحو طلحة فيه علامة التأْنيث، والواوُ والنونُ علامة التذكير، فلو قلنا إنَّه يجوز الجمع بالواو والنون لأَدَّى إلى أَن يُجمَع فى اسم علامتان متضادَّتان، وذلك لايجوز. ولهذا إذا وصفُوا المذكَّر بالمؤنَّث فقالوا رجل رَبْعة جمعوه رَبَعاتٍ بلا خلاف، ولم يقولوا رَبْعون. والذى يدلُّ على صِحَّة هذا القياس أَنَّه لم يسمع من العرب فى جمع هذا الاسم[1] إلاَّ بالأَلف والتاءِ كقولهم فى طلحة: طَلَحات، وهُبيرة: هبيرات[2]. ولم يسمع عن أَحدٍ من العرب أَنَّهم قالوا الطَّلَحون. فإذا كان هذا الجمع

(١) فى جمع هذا الاسم، ساقط من ش. وبعده فى الإنصاف: «أو نحوه».

(٢) ط فقط: «وهبيرات».

مدفوعاً[(١)] من جهة القياس ، معدوماً من جهة النقل ، وجب أن لايجوز .

وأمَّا قولهم إنَّه فى التقدير جمع طَلْح ففاسد ، لأَنَّ الجمع إنَّما وقع على جميع حروف الاسم ، وتاءُ التأْنيث من جملته ، فلم ننزعها عنه قبل الجمع وإنْ كان اسماً لمذكر ، لئلَّا يكون بمنزلة ما سمِّى به ولا علامة فيه . فالتاءُ فى جمعه مكانَ التاءِ فى واحدِه .

وأما ما استشهدُوا به من قولهم :

* وعُقبة الأَعقاب فى الشهر الأَصَمّ *

فهو مع شذوذه وقلَّته لا تعلُّق له بما وقع الخلاف فيه ، لأَنَّ جمع التصحيح ليس على قياسِ جمع التكسير ليُحمَل عليه .

وأَمَّا قولهم : إنا أَجمعنا على جمع نحو حمراءَ وحُبلى علمين بالواو والنون. قلنا : إنَّما جاز لأَن أَلف التأْنيث يجب قلبها إلى بدل، لأَنَّها صيغت الكلمة عليها ، فتنزَّلتْ منزلة بعضِها ، فلم يفتقر لعلامة تأْنيث الجمع[(٢)] بخلاف التاءِ فإِنَّه يجب حذفها إلى غير بدل ، لأَنَّها ماصيغت عليها الكلمة ، وإنَّما هى بمنزلة اسمٍ ضُمّ إلى اسم ، فجعلت علامة تأْنيث الجمع عوضاً منها .

وأَمّا قولُ ابن كَيسان : إنَّ التاءَ تسقط فى الطلحات فإِذا سقطت جاز الجمع ، ففاسد ، لأَن التاءَ وإن كانت محذوفةً لفظاً إلَّا أَنَّها ثابتة تقديراً، لأَنَّهم لمَّا أدخلوا تاءَ التأْنيث فى الجمع حذفوا هذه التاءَ التى كانت فى الواحد ، لأَنَّهم كرهوا أَن يجمعوا بين علامتَىْ تأْنيث . وكان

---

(١) ط فقط : « مرفوعاً » بالراء .

(٢) ش : « فلم يفتقر بعلامة تأنيث الجمع » ، والذى فى الإنصاف : « فلم تفتقر إلى أن تعوض بعلامة تأنيث الجمع » .

حذف الأُولى أَوْلَى لأَنَّ فى الثانية زيادةَ معنى ، فإِنَّ الأُولى تدلُّ على التأْنيث فقط ، والثانية تدلُّ على التأْنيث والجمع ، وهى حرف إعراب ، فحذف الأُولى بمنزلةِ ماحُــذف لالتقاء الساكنين ، فإِنَّه وإن كان محذوفاً لفظاً إِلَّا أَنَّه ثابت تقديراً .

والذى يدلُّ على فساد ما ذهب إليه من فتح العين من الطَّلَحون أَنَّ هذا الجمع يسلم فيه نظم الواحد فى حروفه وحركاته ، والفتحُ يُدْخِل فى جمع التصحيح تكسيراً .

فأَمَّا قوله : إنَّ العين حرِّكت من أَرَضون بالفتح حملاً على أَرَضات. قلنا : لا نسلم ، وإنَّما غُيِّر فيه لفظ الواحد ، لأَنَّه جمعٌ على خلاف الأَصل ، لأَنَّ الأَصل فى هذا الجمع أَن يكون لمن يعقل ، ولكنَّهم لمَّا جمعوه بالواو والنون غيَّرُوا فيه نظمَ الواحد تعويضاً عن حذف تاء التأْنيث فيه ، تخصيصاً له بشىء لا يكون فى سائر أَخَواته ، مع أَنَّ هذا التعويض تعويضُ جواز لا تعويضُ وجوب . أَلَا ترى أَنَّهم لايقولون فى جمع شمس شَمْسون ولا فى جمعَ قِدْر قِدْرون ؟ فلمَّا كان هذا الجمع فى أَرض على خلاف القياس أُدخِل فيه ضربٌ من التغيير[1] ، فأَما إذا جُمع من يعقل بالواو والنون فلا يجوز أَن يجعل بهذه المثابة ، لأَنَّ جمعه بحكم الأَصل ، فلا يجوز أَن يدخله تغيير .

ويخرج على هذا حذف التاء وفتح العين من طلحات . أَمَّا حذف التاء فلأَنَّ التاء الثانية صارت عوضاً عنها لأَنَّها للتأْنيث . وأَمَّا أَنتم فحذفتم من غير عوض ، فبان الفرق .

وأَمَّا فتح العين فلأَجل الفصل بين الاسم والصِّفة ، فإِنَّ ما كان

(١) ش فقط : « فإذا جمع » .

على فَعْلة من الأَسماءِ فإِنَّه يفتح منه العين ، نحو : جَفَنات وقَصَعات . وما كان صفةً فإِنَّه لا يُحرَّك منه العين نحو صَعْبات . وأَما جمع التصحيح فلا يدخله [شيءٌ][1] من هذا التغيير ، سواءٌ كان اسماً أَو صفة . فبان الفرق بينهما . والله أَعلم .

انتهى كلام ابن الأَنبارىّ مختصراً .

واعلم أَنَّ فتح عين فعلة الاسمىِّ فى الجمع واجبٌ ، ويجوز تسكينه فى الضرورة كما يأْتى فى بابه . ومنه قول البحترىّ[2] :

٣٩٤ وكيف يَسوغُ لكم جَحدُه ... وطلحتُكم بعض طَلْحاته[3]

خلافاً لأَبى العلاءِ المعرّى (فى شرحه) فإِنَّه زعم أَنَّه غير ضرورة .

وقوله : (طلحة الطلحات) روى بالجرِّ والنصب . قال أَبو حيان (فى تذكرته) : حكى الكسائىُّ والفراءُ عن العرب هذا البيتَ بخفض طلحة على تكرير الأَعظم ، أَى أَعظُم طَلْحةِ الطلحات . وما اختلفوا فى جواز نصب طلحة بالردِّ على الأَعظُم والحمل على إعرابها . انتهى .

وجعل ابن عصفور (فى كتاب الضرائر) الجرَّ من الضرورة . قال : ومنه حذف المضاف من غير أن يُقام المضافُ إليه مُقامه ، نحو قوله :

* بسجستان طلحة الطلحات *

فى رواية من خفض طلحة ، يريد أَعْظُمَ طلحة الطلحات ، فحذف

---

(١) التكملة من ش ، والإنصاف ٤٤

(٢) ديوان البحترى ١ : ٩٨ هندية و ١ : ٤٧٥ الصيرفى . يقوله فى عبيد الله بن عبد الله بن طاهر

(٣) يريد بطلحة الأول طلحة بن طاهر بن الحسين الخزاعى أمير خراسان . ويشير بالطلحات إلى طلحة الطلحات ، وهو طلحة ين عبد الله بن خلف الخزاعى .

المضاف الذى هو أعظُم، لدلالة أَعظُم المتقدِّم الذكر عليه ، ولم يُقِم المضافَ إليه وهو طلحة مقامه ، بل أبقاه على خفضه . انتهى .

وقال ابن برِّىٍّ (فى شرح أبيات الإيضاح) : والأَشبه عندى أن تَخفضه[1] بإضافة سجستان إليه ، لأَنَّه كان أميرها . انتهى .

وقول أبى حيان : نَصب طلحة بالرّد على الأَعظُمَ يعنى البدليَّة . وزعم بعضُهم أنَّه بدل كلٍّ من بعض ، وزاد هذا القسم فى الأَبدال . والصحيح أنَّه بدلُ كلٍّ من كلّ ، بِجعل أَعظُم من قبيل ذكر البعض وإرادة الكلّ ، بدليل المعنى .

وقال ابن السيد البطليوسى (فى أبيات المعانى) : من نصب طلحة فَعلى إضمار أعنى ، لأَنَّه نبَّه عليه بضرب من المدح لما تقدَّم من الترحُّم عليه . وذهب آخرون فى نصبه إلى حذف حرف الجر ، كأَنه أَراد رحم الله أَعظماً دفنوها لطلحة[2] ، فلمَّا حذف الجار نصب . وقد دَفع[3] قومٌ النصب، وأنشدوه بالجر على تقدير مضاف ، كأَنه فى التقدير : أَعظم طلحة الطلحات، ثم حذف الثانى لدلالة الأَول عليه . وهذا شاذٌّ ، يقلُّ فى كلامهم حذف الجار مع بقاءِ عمله . انتهى .

طلحة الطلحات

وطلحة الطلحات هو أَحد الأَجواد المشهورين فى الإسلام ، واسمه طلحة بن عبد الله بن خَلَف الخُزاعى . وأُضيف إلى الطلحات لأَنَّه فاق فى الجود خمسة أَجواد اسم كلٍّ واحدٍ منهم طلحة ، وهم طلحة الخير ،

---

(١) ط : « يخفضه » ، وأثبت ما فى ش .

(٢) ط : « بطلحة » ، صوابه فى ش .

(٣) ط : « رفع » بالراء ، صوابه من ش .

وطلحةُ الفياضُ ، وطلحةُ الجودِ ، وطلحة الدَّراهم ، وطلحة النَّدى . وقيل كان فى أَجداده جماعةٌ اسمُ كلٍّ طلحة . كذا قال ابن الحاجب (فى شرح المفصل) .

وقال إبراهيمُ الوَطواط (فى كتاب الغرر والخصائص الواضحة [١]) : قيل سمِّى بذلك لأَنَّه كان أَجودَهم ، وقيل لأَنَّه وهب فى عامٍ واحدٍ أَلفَ جارية ، فكانت كلٌّ جارية منهن إذا ولدت غلاماً تسمِّيه طلحة على اسم سيِّدها . وذكر الطَّلحَات الخمسة ، وهم طَلْحة بن عبيد الله التميمى ، وهو طلحة الفياض ، وطلحة بن عُمر بن عبيد [٢] الله بنَ مَعْمَر التميمىّ أيضاً ، وهو طلحة الجود . وطلحة بن عبد الله بن عَوف الزُّهرى ، أخى عبد الرحمن بن عوف ، وهو طلحة النَّدى . وطلحة بن الحسن بن على ابن أَبى طالب ، وهو طلحة الخير . وطلحة بن عبد الرحمن بن أَبى بكر الصديق ، ويسمى طلحة الدَّراهم . وطلحة بن عبد الله بن خلَف الخُزاعى وهو سادسهم المشهور بطلحة الطَّلحَات . انتهى .

وقال ابن بَرّىٍّ (فى شرح أَبيات الإِيضاح) : سُمِّى طلحةَ الطلحات بسبب أُمه ، وهى صفية بنت الحارث بن طَلحة بن أَبى طلحة ، وأَخوها طلحة بن الحارث ، فقد تكنَّفه الطلحات كما ترى ؛ ففُصل بهذه الإِضافة من غيره من الطَّلحات . وكانوا ستَّة . انتهى .

---

(١) كذا فى النسختين ، وإنما هو « غرر الخصائص الواضحة ، وعرر النقائص الفاضحة » .

(٢) ط : « طلحة بن عمرو بن عبد الله » . وفى غرر الخصائص ١٦٨ : « طلحة بن عمر ابن عبد الله ». وأثبت مافى جمهرة أنساب العرب ١٢٧ والأغانى ٤ : ١٠٧ / ١٠ : ٥٦ . وبه صحح فى نسخة ش . وفى الأغانى ١٠ : ٥٥ أن رملة بنت عبد الله بن خلف كانت تحت عمر بن عبيد الله ابن معمر وولدت منه ابنه طلحة الجود . وانظر نوادر المخطوطات ١ : ٧٨ وجمهرة أنساب العرب ١٤٠ .

وكان والى سجستان ، وبها مات .

قال الزمخشرى (فى أمثاله) : قال سحبان بن وائل البليغ المشهورُ فى طلحة الطلحات :

ياطلحُ أكرمَ من مَشَى حسباً وأعطاهُ لتالدْ[1]
منك العطاءُ فأعطِنى وعلىَّ حمدُك فى المشاهدْ[2]

فحكَّمه فقال : فرسُك الوَرْد ، وقصرُك بزَرَنْج ، وغلامك الخبّاز[3] وعشرة آلاف درهم . فقال طلحة : أُفٍّ لك ، لمْ تسأَلْنى على قدرى وإنَّما سأَلتنى على قدْرك ، وقدْرِ قبيلتك باهلة ! والله لو سأَلتَنى كلَّ فرسٍ وقصرٍ وغُلامٍ لى لأعطيتك ! ثم أمر له بما سأَل وقال : والله مارأيتُ مسأَلةَ محكَّمٍ أَلْأَمَ منها .

قال ياقوت (فى معجم البلدان) : سجستان : ناحيةٌ كبيرة وولاية واسعة . ذهب بعضُهم إلى أنّ سجستان اسمٌ للنَّاحية ، وأنَّ اسم مدينتها زَرَنج ، بتقديم المعجمة على المهملة ، وبينها وبين هَراة عشرة أيام ، ثمانون فرسخاً[4] وهى جنوبىّ هراة . وأرضُها كلُّها رملة سَبِخة ، والرِّياح فيها لا تسكُن أبداً ، ولا تزال شديدة تُديرُ رُحِيَّهم ، وطحنُهم كلُّه على تلك الرُّحِيِّ . وهى من الإقليم الثالث ، وفيها نخلٌ كثير وتمر .

---

(١) فى بعض نسخ الزمخشرى : « وأعطاهم » . المستقصى ١ : ٢٨ .

(٢) فى بعض نسخ المستقصى : « وعلى مدحك » .

(٣) المراد بالخباز : الطاهى الذى يجمع بين الخبز والطهو . وانظر حواشى الحيوان ٥ : ٤٥٧ — ٤٥٨ من الطبعة الثانية .

(٤) ط فقط : « وثمانون فرسخاً » ، وما أثبت من ش يطابق ما فى معجم البلدان .

(ونضَّر) بمعنى حسَّن . والمشهور : (رحم الله أعظما) .

صاحب الشاهد

والبيت أوّل قصيدةٍ عدَّتُها أربعة عشرَ بيتاً لِقيس الرُّقيات[١] ، رثى بها طلحة الطلحات وبعده :

(كانَ لا يحرِمُ الخليلَ ولا يَعْـ ـتلُّ بالبخْل ، طيِّبَ العَذِراتِ
سَبِط الكفِّ بالنوال إذا مـا كانَ جودُالبخيل حَبْسَ العِداتِ)

(فى الزاهر) لابن الأنبارى ، قال الأصمعى : العَذِرة : فناءُ الدَّار. والعَذِرات : أفنية الدور . وكانوا فيما مضى يطرحون النَّجاساتِ فى أفنية دورهم ، فسمَّوها باسم الموضع ، وكذلك الغائط هو عند العرب ما اطمأَنَّ من الأَرض ، وكانوا فيما مضى إذا أراد الرجلُ قضاءَ حاجته طلبَ الموضعَ المطمئنَّ من الأَرض ، فكثُر هذا ، حتَّى سمَّوا الحدثَ باسم الموضع . وكذلك الكنيف فى كلام العرب : الحظيرة التى تُعمل للإبل فتكنُفُها من البرد ، فسمَّوا ما حظروه وجعلوه موضعاً للحدث بذلك الاسم ، تشبيهاً به . انتهى .

وقد تقدَّمت ترجمة قيس الرقيات[٢] فى الشاهد الثالث والثلاثين بعد الخمسمائة[٣] .

* * *

وأنشد بعده :

(فما وجَدَتْ بناتُ ابنَىْ نزار حَلائلَ أسودينَ وأحمرينا)

---

(١) فى حواشى ش بخط ناسخها : « هكذا بخط المؤلف ، وصوابه ابن قيس الرقيات » .
(٢) كذا فى ط . وفى ش : « ترجمة الرقيات » . وانظر الحاشية السابقة .
(٣) الخزانة ٧ : ٢٨٤ – ٢٩٠

على أنَّ ابن كيسان استدَّل بهذا البيت على جواز جمع أحمر وأسود بالواو والنون ، وهو عند غيره شاذ .

والبيت قد تقدَّم شرحُه مفصَّلاً فى الشاهد الرابع والعشرين من أوائل الكتاب[١] .

* * *

وأنشد بعده :

* (وقائلةٍ خَولانُ فانكِحْ فتاتَهُمْ) *

على أنّ (فانكح) عند الأَخفش خبر المبتدأ الذى هو خولان ، والفاءُ زائدة فى الخبر ، وعند سيبويه غير زائدة ، والأَصل عنده : هذه خولان فانكح فتاتهم .

والمصراع صدرٌ وعجزُه :

* وأكرومة الحيَّيْن خِلوٌ كماها *

٣٩٦

وتقدَّم الكلام عليه مستوفًى فى الشاهد السابع والسبعين من باب المبتدأ[٢] .

وخولان : حيٌّ من أَحياء اليمن .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الحادى والثمانون بعد الخمسمائة ، وهو من شواهد س[٣] :

(١) الخزانة ١ : ١٧٨ – ١٨١ .
(٢) الخزانة ١ : ٤٥٥ – ٤٥٧ .
(٣) فى كتابه ١ : ٤٣٦ . وانظر سيرة ابن هشام ٥٠ والمقتضب ٢ : ٧٢ وابن الشجرى ١ : ٧٤ والإنصاف ٦٢٣ وابن يعيش ٨ : ١٥٧ والمقرب ٥٩ والمغنى ٥٣٣ والعينى ٤ : ٤٣ والتصريح ٢ : ٣٤٩ والهمع ١ : ٧٢ / ٢ : ٦١ والأشمونى ٤ : ١٨

٥٨١ (إنَّكَ إنْ يُصْرَعْ أخوك تُصرَعُ)

على أنَّ إلغاءَ الشَّرطِ المتوسِّط بين المبتدإ والخبر ضرورة ، فإنَّ جملة (تصرع) خبر إنَّ ، والجملة دليلُ جزاءِ الشرط ، وجملة الشرط معترضةٌ بين المبتدإ والخبر .

ويأْتى الكلام عليه إن شاءَ الله تعالى فى الجوازم[١] .

صاحب الشاهد

والبيت من رجز لعمرو بن خُثارِمٍ البَجَلِىّ ، وهو :

أشعار الشاهد

(ياأقرع بنَ حابِسٍ ياأَقرعُ إنِّى أخوك فانظُرَنْ ماتصنعُ
إنَّك إن يصرعْ أخوك تصرعُ إنِّى أنا الداعى نزاراً فاسمعُوا
فى باذخ من عزٍّ مجدٍ يَفْرَعُ به يَضُرُّ قادرٌ وينفعُ
وأدفعُ الضَّيمَ غداً وأمنعُ عزٌّ ألدُّ شامخٌ لا يُقمَعُ
يتبعُه النَّاس ولا يُستتبَعُ هل هو إلاَّ ذَنبٌ وأكرُعُ
وزَمَعٌ مُؤْتَشَبٌ مجمَّع وحسبٌ وَغْلٌ وأنفٌ أجدعُ)

قال ابن الأَعرابى (فى نوادره) : كان جرير بن عبد الله البَجَلِىُّ تنافرَ هو وخالدُ بن أَرطاةَ الكلبىُّ إلى الأَقرع بن حابس ، وكان عالِمَ العرب فى زمانه .

والمنافرة: المحاكمة ، من النَّفَر ، لأَنَّ العرب كانوا إذا تنازعَ الرجُلان منهم وادَّعى كلٌّ واحدٍ أنَّه أعزُّ من صاحبه تحاكما إلى عالم ، فمن فضَّل منهما قَدَّم نفَرَهُ عليه ، أى فضَّل نفرَه على نفره .

---

(١) الخزانة ٣ : ٦٤٣ بولاق بعد الشاهد ٦٩٠ .

فقال الأَقرع : ما عندك ياخالد ؟ فقال : ننزل البَرَاح ، ونَطعُن بالرِّماح ، ونحن فتيان الصَّباح [١] .

فقال : ما عندك ياجرير ؟ فقال : نحن أَهل الذَّهب الأَصفر ، والأَحمر المعتَصَر [٢] ، نُخيف ولا نَخافُ ، ونُطعِم ولا نَستطعِم . ونحن حىٌّ لَقَاحٌ ، نُطعم ما هبَّت الرِّياح . نُطعِم الدَّهر ، ونصوم الشهر [٣] ونحن ملوك القَسْر [٤] .

فقال الأَقرع : واللاتِ والعُزَّى ، لو نافرتُ قيصرَ ملكَ الرُّوم ، وكِسرى عظيمَ الفرس ، والنُّعمانَ ملكَ العرب ، لنُفِّرتُ عليهم . وروى : « لنُصِرتُ عليهم » .

فقال عمرو بن خُثارم البَجَلىُّ هذه الأُرجوزة فى تلك المنافرة .

وقوله : (ياأقرع بن حابس) هو من الصَّحابة رضى الله عنهم ، وكانت هذه المنافرة فى الجاهليَّةِ قبل إسلامه . والصَّرْع : الهلاك .

ونزار هو أَبو قبيلة ، وهو نزار بن معدٍّ بن عدنان .

والباذخ : العالى ، يقال جبلٌ باذخ بمعجمتين . والمجد : العظَمة والشَّرف . ويَفْرَع ، أَى يعلو كلَّ عزٍّ ومجد . يقال :فرعت قومى ، أَى علوتهم بالشَّرف ونحوه . وهو بالفاء ومهملتين .

---

(١) الصباح ، بالباء الموحدة : الغارة . وهى أكثر ماتكون فى الصباح . وفى النسختين : « الصياح » بالياء ، تصحيف . وهم ينسبون فرسانهم إلى الصباح ، ومنه قول لبيد فى رثاء عمه :

يا عامراً ياعامر الصبـــاح ومـــدره الكتيبة الرداح

(٢) فى النسختين هنا : « المعتصر » . ، وسيأتى بعد قليل بلفظ « المعصفر » . والأحمر : النبيذ ، والخمر . وفى تفسير البغدادى التالى : « والأحمر المعتصر هو الخمر » .

(٣) فى رواية أخرى ستأتى : « نطعم الشهر ، ونضمن الدهر » . انظر ٣٦٨ بولاق .

(٤) القسر : القهر والغلبة . ط : « ونحن الملوك لقسر » . والوجه من ش .

والألدُّ: الأشدّ . ولدَّه يلُدُّه : غلبه فى الخصومة . والشامخُ : المرتفِع . ويُقمَع : أى يُقْهَر ويُذَلّ ، يقال قمعه بالقاف والميم فانقمع .

وقوله : « هل هو » الضمير لخالد بن أرطاة الكلبي . والأكرُع : جمع كُراع بالضم ، وهو مُستدَقُّ الساق ، استعاره لأسفل الناس ، كالذِّنَب .

والزَّمَع بفتح الزاى والميم، هو رُذال الناس . يقال هو من زَمَع الناس، أى مآخير . هم والمؤتشَب ، بفتح الشين ، قال (فى الصحاح) : وفلان مؤتشَبٌ ، أى مخلوط غير صريح فى نسَبه .

٣٩٧

والوَغْل بفتح الواو وسكون المعجمة. قال (فى الصحاح) : والوغل: النَّذْل من الرجال . وأجدع بالجيم والدال المهملة : مقطوع الأنف .

وقوله : « ننزل البَراح » بفتح الموحَّدة والحاء المهملة : المكان الذى لا سُترة فيه من شجر وغيره ، وهو منزل الكرماء .

وقوله: « والأحمر المعتصَر » هوالخمر .

وقوله : « حيٌّ لَقَاح » بفتح اللام بعدها قاف، قال(فى الصحاح) : يقال حيٌّ لَقَاح للذين لايَدِينون لِلملوك ، أو لم يصبْهم فى الجاهلية سِباء .

جرير بن عبد الله البجلى

وجرير بن عبدالله البجلى صحابى ، وكان جميلاً . قال عمر [رضى الله عنه] : هو يوسف هذه الأمّة . وقدَّمه عمر فى حروب العِراق على جميع بَجِيلة ، وكان لهم أثرٌ عظيم فى فتح القادسيَّة . ثم سكن جريرٌ الكوفةَ ، وأرسله علىٌّ [رضى الله عنه] رسولاً إلى معاوية ، ، ثم اعتزل الفريقين وسكن قرقِيساءَ حتَّى مات، سنة إحدى ، وقيل أربع وخمسين.

وفى الصحيح أنَّه صلى الله عليه وسلم بعثه إلى ذى الخَلَصة فهدَمها .

وفيه قال: «ما حَجَبنى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم منذُ أسلمت ، ولا رآنى إلاَّ تبسَّم» . كذا (فى الإصابة) لابن حجر .

وخالد بن أرطاةَ الكلبىُّ جاهلى .

الأقرع بن حابس

والأَقرع بن حابسٍ صحابىٌّ . قال ابن حجر (فى الإصابة) : هو الأَقرع بن حابس بن عِقال بن محمد بن سُفيان التَّميمىُّ المُجاشِعى الدَّارِمى . قال ابن إسحاق : وفد على النبىِّ صلى الله عليه وسلم ، وشهد فتح مكَّةَ وحُنيناً والطائِفَ ، وهو من المؤلَّفة قلُوبهم . وقد حَسُن إسلامه .

وقال الزُّبير (فى النسب) : كان الأَقرع حَكَماً فى الجاهليَّة ،وفيه يقول جرير ، وقيل غيره ، لمَّا تنافرَ إليه[1] هو والفُرافصة أو خالدُ بن أرطاة :

يا أَقرعَ بن حابس ياأَقرع إنَّك إنْ يُصرعْ أَخوك تُصرعُ

قال ابن دُريد : اسم الأَقرع بن حابس فِراس ، وإنَّما قيل له الأَقرع لِقَرَع كان برأسه . وكان شريفاً فى الجاهلية والإِسلام .

وروى ابن شاهين أنَّه لما أصاب عُيينةُ بنُ حصنٍ بنى العنبر ، قدِم وفدُهم . فذكر القصة وفيها : فكلَّم الأَقرع بن حابس رسولَ الله صلى الله عليه وسلم فى السَّبْى . وكان بالمدينة قبلَ قدوم السَّبْى . وفى ذلك يقول الفرزدق يفخر بعمِّه الأَقرع :

وعندَ رسول الله قام ابنُ حابس بخُطَّة أُسوار إلى المجد حازمِ[2]

---

(١) فى الإصابة : «لما سافر إليه» ، وما هنا صوابه .

(٢) وكذا فى الإصابة . والأسوار ، بكسر الهمزة وضمها : الجيد للرمى بالسهام ، ولاوجه له هنا ولا يستقيم مع قوله «إلى المجد» والوجه : «سوار إلى المجد» كما فى ديوان الفرزدق ٨٦٢ أى متوثب إليه .

له أطلق الأَسرى التى فى قيودها مُغَلَّلَةً أَعناقُهـا فى الشكائِم[١]

عمرو بن خثارم

وأما عمرو بن خثارم البجلى فهو جاهلى ، والله أعلم .

هذا على وجه الاختصار ، وأَمَّا على وجه البسط فهو ماأورده أبو محمد الأَعرابى (فى فُرحة الأَديب) قال : أَملى علينا أبو الندى قال :

منافرة جرير البجلى وخالد بن أرطاة

كان سبب المنافرة بين جرير بن عبد الله البَجَلى وبين خالد بن أرطاة بن خُشَين بنَ شَبَث الكلبىّ ، أَنَّ كلباً أَصابت فى الجاهلية رجلاً من بَجيلة يقال له مالك بنُ عتبة ، من بنى عاديةَ بن عامر بن قُداد[٢] ، فوافَوْا به عُكاظ ، فمرَّ العَادىُّ بابن عَمٍّ له يقال له القاسم بنُ عَقيل بن أَبى عمرو بن كعب بنُ عُرَيج بن الحويْرث بن عبد الله بن مالك بن هلال بن عادية بن عامر بن قُداد ، يأْكل تمراً ، فتناول من ذلك التمر شيئاً ليتحرَّم به ، فجذبه الكلبى ، فقال له القاسم : إنَّه رجلٌ من عشيرتى ! فقال : لو كانت له عشيرةٌ منعته ! فانطلق القاسم إلى بنى عمِّه بنى زيد بن الغوث، فاستتبعَهُم، فقالوا : نحنُ منقطِعون فى العرب ، وليست لنا جماعة نقوَى بها ، فانطلَقَ إلى أَحمَسَ[٣] فاستتبعَهُم . فقالوا: كلَّما طارت وَبَرة من بنى زيد فى أَيدى العرب أَردنا أن نتبعَها !

٣٩٨

(١) ش « مغلغلة » ، وصححها الشنقيطى « مغللة » كما فى الإصابة والديوان . ورواية الديوان :

له أطلق الأسرى التى فى حباله مغللة أعناقها فى الأداهم

والأداهم : القيود ، لسوادها . أما الشكائم فهى لجم الحديد المعترضة فى أفواه الخيل .

(٢) هو عامر بن قداد بن ثعلبة بن معاوية بن زيد بن الغوث بن أنمار . جمهرة أنساب العرب ٤٧٤ ، والاشتقاق ٥١٩ .

(٣) فى النسختين : « إلى آخر » ، والصواب ماأثبت ، وهم بنو أحمس بن الغوث بن أنمار ، من بطون بجيلة . الجمهرة ٤٧٤ . وسيأتى ذكرهم فى الخبر . وفى حواشى ش : « هكذا بخط المؤلف : آخر ، والصواب أحمس » .

فانطلقَ عند ذلك إلى جرير بن عبد الله البجلى فكلَّمه ، فكان القاسم يقول : إنَّ أَوَّلَ يوم أُرِيتُ فيه الثيابَ المصبَّغة والقبابَ الحُمر ، اليومُ الذى جئتُ فيه جريراً فى قَسْر ، وكان سيِّدَ بنى مالك بن سعد بن زيد ابن قَسر ، وهم بنو أبيه . فدعاهم فى انتزاع العادىِّ من كلب ، فتَبعوه فخرج يمشى بهم ، حتَّى هجم على مَنازلِ كلبٍ بعكاظ ، فانتزع منهم مالك بنَ عُتبة العادىّ ، وقامت كلبٌ دونه ، فقال جرير : زعمتم أنَّ قومه لايَمنعونه . فقالت كلب : إنَّ رجالنا خُلوفٌ : فقال جرير : لو كانوا لم يدفعوا عنكم شيئاً . فقالوا : كأنَّك تستطيل على قُضاعة ، إنْ شئت قايسناكُم المجدَ ! وزعيم قضاعة يومئذ خالد بن أَرطاة بن خُشَين ابن شَبَث . قال : ميعادنا من قابلٍ سوقُ عكاظ .

فجمَعت كلبٌ وجمعت قَسرٌ ووافَوْا عكاظ من قابل ، وصاحبُ أمر كلب خالدُ بن أَرطاة ، فحكَّموا الأَقرعَ بنَ حابس بن عِقال بن محمّد بن سفيان بن مُجاشع ، حكَّمه جميعُ الحيَّين ، ووضعوا الرُّهون على يدَىْ عتبة بن ربيعة بن عبد شمس ، فى أَشرافٍ من قريش. وكان فى الرُّهُنِ من قسرٍ: الأَصرمُ بن عوفٍ بن عُويف بن مالك بن ذُبيان بن ثعلبة بن عمرو بن يَشكر بن علىّ بن مالك بنِ سَعد بن نَذير بن قسر . ومن أَحمس [1] :حازمُ ابن أَبى حازم ، وصخر بن العُلبة . ومن بنى زيد بن الغوث بن أَنمار رجلٌ . ثم قام خالد بن أَرطاةَ فقال لجرير : ما تجعل ؟ قال : الخطَر فى يدِك . قال : أَلف ناقة حمراءَ فى أَلف ناقة حمراءَ . فقال جرير : أَلف قينة عذراءَ فى أَلف قينة عذراءَ ، وإنْ شئت فأَلف أُوقيَّة صفراءَ لأَلف أُوقيَّة صفراءَ . قال: من لى بالوفاء ؟ قال : كفيلك اللاتُ والعُزّى ،

(١) ط : « أحمر » ، صوابه فى ش . وانظر الحاشية السابقة .

وإسافٌ ونائلة ، ويَعوقُ وذو الخَلَصة ونَسْر ، فَمَنْ عليك بالوفاءِ ؟ قالَ : وَدٌّ ومَناة ، وقَلْس ورُضَا . قال جرير : لك بالوفاءِ سبعون غلاماً مُعِمًّا مُخوِلاً ، يوضعون على أَيدى الأَكْفاءِ من أَهل الله[١] . فوضعوا الرُّهن من بَجيلة ومن كلب على أَيدى مَنْ سمَّينا من قريش ، وحكَّموا الأَقرعَ بن حابس ، وكان عالِمَ العرب فى زمانه ، فقال الأَقرع : ماعندك ياخالد ؟ فقال : ننزل البَرَاح ، ونطعُن بالرماح ، ونحن فتيان الصَّباح[٢] ! فقال الأَقرع : ماعندك ياجرير ؟ قال : نحن أَهلُ الذهَب الأَصفر ، والأَحمر المُعْتَصَر[٣] ، نخيف ولا نخاف ، ونُطعِم ولانستطعم . ونحن حىٌّ لَقاح ، نُطعِم ما هبَّت الرِّياح ، نُطعم الشَّهر ، ونضمن الدَّهر ، ونحن ملوك القَسْر[٤] ! فقال الأَقرع : واللاتِ والعزَّى لو فاخرتَ قيصر ملكَ الروم ، وكسرى عظيمَ فارس ، والنُّعمان ملكَ العرب ، لنفَّرتُك عليهم ! وأَقبل نُعيم بن حجبة النمرى ، وقد كانت قَسرٌ ولدته ، بفرسٍ إلى جرير ، فركبه جرير من قِبَل وحشيِّهِ ، فقيل : لم يحسن أَن يركب الفرس ! فقال جرير : الخَيل مَيامن ، وإنَّا لا نركبُها[٥] إلاَّ من وجوهها .

وقد كان نادى عَمْرُو بنُ خُثارم أَحد بنى جُشَمَ بن عامر بن قُداد فقال :

---

(١) أهل الله ، هم قريش ، كانوا يسمون بذلك فى الجاهلية . انظر أول ثمار القلوب للثعالبى .

(٢) ش : « الصياح » صوابه بالباء ، كما فى ط .

(٣) ش : « المعصفر » ، صوابه فى ط . وانظر ماسيأتى من تفسير البغدادى .

(٤) ط : « الملوك لقسر » ش : « الملوك قسر » ، والوجه ما أثبت . وانظر ماسبق فى ص ٢١ .

(٥) ط : « لانركب » ، وأثبت ما فى ش .

لا يُغلَبُ اليومَ فتًى وَالآكُما ... ياابنَىْ نزار انصُرا أَخاكُما
إنَّ أَبِى وجدتُه أَباكما ... ولم أَجد لى نسباً سواكُما
غَيثُ ربيعٍ سَبِط نداكما ... حتَّى يحُلَّ الناسُ فى مَرعاكُما
أَنتم سرورُ عَينٍ من رآكما ... قد مُلئتْ فما ترى سواكُما

٣٩٩

قد فاز يومَ الفخر من دعاكما ... ولا يعُدُّ أَحدٌ حَصاكُما
وإنْ بنَوْا لم يدركوا بِناكُما ... مجدًا بناهُ لكما أَباكُما
ذاك ومَنْ ينصرُهُ مِثْلاكما ... يوماً إذا ماسُعِّرت نارَاكُما

وقال أَيضاً :

يا لنَزار قد نَمَى فى الأَخشَبِ ... دعوةُ داعٍ دعوةَ المثوِّب[(١)]
يا لَنزارِ ثَمّ فاسعَىْ واركبى ... يا لنَزار ليْس عنكمْ مذهبى
إنّ أَباكمْ هو جدِّى وأَبى ... لم يُنصَرِ المولى إذا لم تغضبى
يا لنزار إنَّنى لم أَكذب ... أَحسابكم أَخطرتُها وحَسَبى[(٢)]
ومن تكونوا عِزَّه لا يغلبِ ... ينمى إلى عزٍّ هِجانٍ مُصعَبِ

كأَنَّه فى البُرْج عند الكوْكبِ[(٣)]

وقال أَيضاً :

يا أَقرعَ بنَ حَابس يا أَقرعُ ... إنِّى أَخوكَ فانظُرَن ماتصنعُ

---

(١) الأخشبان : الجبلان المطيفان بمكة ، وهما أبو قبيس والأحمر ، وهو جبل مشرف وجهه على قعيقعان . قال ياقوت : « وقد تفرد هذه التثنية فيقال لكل واحد منهما : الأخشب ».

(٢) أخطرنى فلان : صار مثلى فى الخطر والشرف .

(٣) بعده فى ش مع علامة إلحاق ، حاشية نصها : « هذان الشطران مما أورده أبو محمد الأعرابى ، ولم يوردهما المؤلف » . والعبارة الملحقة هى :

«وقال أَيضاً :

يالنزار دعوةً صباحاً ... قد فاضح الأَمرُ بنا فِضاحا »

إنَّك إن يُصرع أخوك تصرعُ إنى أنا الدَّاعى نزارًا فاسمعوا
لى باذخٌ من عزِّهِ ومَفرَعُ(١) به يضرُّ قادر وينفعُ
وأدفعُ الضيمَ غدًا وأمنع عزٌّ ألدُّ شامخ لا يُقمَع
يتْبعه النَّاسُ ولا يُستتبَعُ هل هو إلَّا ذَنْبٌ وأكرُعُ
وزَمَع مُؤْتشَبٌ مجمَّعُ وحسَبٌ وغْلٌ وأنفٌ أجدعُ

وقال أيضاً :

يا أقرع بن حابس يا أقرعُ إنك إنْ تَصْرَعَ أخاك تصرعُ(٢)
إنى أنا الداعى نزاراً فاسمعوا فى باذخ من عزه ومَفْرَعِ(٣)
قمْ قائِماً ثُمَّتَ قلْ فى المجمعِ للمرءِ أرطَاةِ أيَا ابنَ الأفدعِ(٤)
ها إنّ ذا يومُ علاً ومجمَعِ ومنظرٍ لمن رأى ومسمعِ

فنفَّره الأقرع بمضَر وربيعةُ ، ولولاهم(٥) نفَّر الكلبيُّ .

وكانت القرابةُ بين بجيلةَ وولدِ نزار : أنَّ إراش بن عمرو بن الغَوث ابن نَبْت بن مالك بن زيد بن كهلان بن سبأ بن يشجب بن يعرب ابن قحطان ، خرج حاجًّا ، فتزوَّج سلاَمة بنتَ أنمار بن نزار ، وأقام معها فى الدار بغَور تِهامة ، فأوْلدها أنمارَ بنَ إراشٍ ورجالا ، فلما توفِّىَ إراش وقَع بين أنمار بن إراش وإخوته اختلافٌ فى القسمة ، فتنحَّى عن إخوتِهِ ، وأقام إخوتُه(٦) فى الدار مع أخوالهم . وتزوج أنمار بن إراش بهند

(١) المفرع بالراء ، من فرع فلان فلاناً : علاه : ط : « ومفزع » صوابه فى ش .
(٢) رسمت هذه الكلمة فى ش لتقرأ بالياء والتاء معاً فى الموضعين .
(٣) ط : « ومفزع » . وانظر ما سبق من تحقيق . وفى الشطر وما بعده إقواء .
(٤) ش : « الأقرع » ، وأثبت ما فى ط . وقد سبق فى الخبر أن صاحب أمر كلب هو خالد بن أرطاة .
(٥) ط : « ولولاه » .
(٦) ط : « عن أخويه وأقام أخويه » ، تحريف ما أثبت من ش .

بنت مالك بن غافق بن الشاهد ، فولدت أَفتَل وهو خثعم ، ثم توفِّيت فتزوَّج بَجيلةَ بنت صَعب بن سعد العشيرة ، فولدت له عبقراً[(١)] ، فسمَّته باسم جدِّها وهو سعد ولقِّب بعبقر ، لأَنَّه ولد على جبل يقال له عبقر . وولدت أيضاً الغَوث، ووادِعة ، وصُهَيبَة ، وحَزِيمة ، وأشهل ، وشَهلاء ، وسُنَيّة ، وطَرِيفاً ، وفَهْماً ، وخُدَعة ، والحارث . انتهى ما أَورده أَبو محمد الأَعرابىّ .

٤٠٠

وظهر أَنَّهما أُرجوزتان على قافية العين ، أُولاهما مرفوعة والثانية مجرورة .

والشاهد إنَّما يتأَتَّى على الأُولى . وقد روى أَيضاً :

* إنَّك إن تصرع أَخاك تُصْرَعوا *

بالجمع ، يريد الأَقرع وقومَه . وعلى هذا لاشاهد فيه كالرجز الثانى .

* * *

وأَنشد بعده :

(الحافظو عـورةَ العَشيرةِ لا يـأْتِيهمُ مِنْ ورائنا وكَفُ)

على أَنَّه تحذف نون الجمع للضَّرورة كما هنا ، والأَصل : الحافظون عورة العشيرة .

وهذا على رواية نصب عورة . أَمَّا على رواية خفضها فالنُّون حذفتْ للإِضافة .

وقد تقدَّم الكلام عليه مفصَّلاً فى الشاهد الثامن والتسعين بعد المائتين[(٢)] .

---

(١) ط : « عبقر » .

(٢) الخزانة ٤ : ٢٧٢ - ٢٨٣ .

والوكف ، بفتح الواو والكاف ، وروى بدله : « نَطَفُ » بفتح النون والطاء المهملة ، وكلاهما بمعنى العَيْبِ .

* * *

وأنشد بعده :

(وحاتمُ الطائىُّ وهَّابُ المئى)

على أَنَّه حذف تنوين (حاتم) لالتقاءِ الساكنين . والمئى أصله المئين حذفت النون لضرورة الشعر ، كحذف التنوين .

وقد تقدَّم الكلام عليه مستوفىً فى الشاهد الرابع والأَربعين بعد الخمسمائة[1] .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثانى والثمانون بعد الخمسمائة[2] .

٥٨٢ (زعمَتْ تُماضِرُ أنَّنى إمّا أمُتْ   يَسدُدْ أُبَينُوها الأَصاغرُ خَلَّتى)

على أنَّ جمع (أبينوها) شاذٌّ ، كما بيَّنَه الشارح المحقق .

وملخَّصه : أنّه إمَّا جمعُ أُبَيْنٍ مصغر أَبْنَى كأَعمى[3] .

وإما جمع أُبَين مصغَّر أَبْنٍ بفتح الهمزة[4] ،وهو جمع ابنٍ بكسرها .

وإمّا جمع أُبَينٍ مصغر ابن ، بجعْل همزة الوصل قطعاً .

وإما مصغَّر بَنيينَ على غير قياس . فهذه أقوال أربعة.

(١) الخزانة ٧ : ٣٧٥ — ٣٧٩ .

(٢) أمالى ابن الشجرى ١ : ٢/٤٣ : ٦٩ والقالى ١ : ٨١ وابن يعيش ٩ : ٥ ، ٤١ والهمع ٢ : ٦٣ والحماسة بشرح المرزوقى ٥٤٧ ، وبشرح التبريزى ٢ : ١٢١ والأصمعيات: ١٦ .

(٣) ابن الشجرى : « فهو اسم سموا به الجمع ولم ينطقوا به ، ولكن لما سمع تصغيره دل على أن المكبر أفضل » .

(٤) فى الرضى ٢ : ١٧٠ : « كأدل جمع دلو » .

قال أبو على (فى بابٍ من الجمع بالواوِ[1] والنون ، من كتاب الشعر) :
قال الشاعر[2] :

إنْ يك لا ساءَ فقد ساءنى ترْكُ أُبَيْنِيكَ إلى غير راعْ[3]

لا يخلو قولهم أُبينون فى تحقير أبناءٍ من أن يكون مقصوراً من أفعال ، أو يكون تحقير أَفعُل ، أو يكون اسماً صيغ فى التحقير .

ولا يجوز أن يكون مقصوراً من أفعال ، لأَنَّ أفعالاً لم يُقْصَر فى موضعٍ غير هذا ، فلا يستقيم أن يدَّعى فيه شىء ولا نظير له وقد خولف فيه . ولم يجىء فى شىء كما جاءَ أَسد وأُسد ونحوه .

ولا يستقيم أن يكون تحقير أَفعُل ، وإن كان أَفعُل مثل أفعال فى أنَّ كلَّ واحدٍ منهما للعدد القليل .

فإن قلت : أَوَ ليس قد قالوا : صبىٌّ وصِبْية ، وغلام وغِلمَة ، وقالوا فى التصغير : أُصيبِبَة وأُغيلمة ، وأفعلة من فِعلة كأَفعُل من أفعال فى أَنَّ كلَّ واحدٍ جمع أدنى العدد ، جاءَ التكبير على أحدهما ووقع التحقير على الآخر . وكذلك أُبينون ، وإلى هذا يذهب بعض البغداديين .

فالجواب : لا يستقيم أن يكون هذا على أَفعُل وإنْ كان ما ذكرتَ من أدنى العدد يقوم مقام الآخر لدخول الواو والنون وهماً فى أنَّه للعدد القليل ، مثل البناءِ المبنىِّ له ، فلا يستقيم ، إذ لم يُنقَل لحاق الواو والنون له ، كما لا يجتمع الحرفان لمعنًى واحد فى الكلمة . أَلا ترى أَنَّك إذا جمعتَ ٤٠١

(١) ط : « من الجمع الواو » ، صوابه فى ش .
(٢) هو السفاح بن بكير اليربوعى . المفضليات ٣٢٣ ، ٣٢٤ .
(٣) فى المفضليات : « من يك لا ساء » .

اسماً فيه علامة التأْنيث بالأَلف والتاءِ أَزلتَها بالحذف أَو القلب . فكما أَزلتَ العلامة فلم تجمعْ بينهما ، كذلك لا يستقيم أَنْ تجمع بين الواو والنون وبين بناءِ أَدنى العدد ، لاجتماع شيئين لمعنًى واحد فى الكلمة . فإذا لم يستقم ذلك علمتَ أَنَّه صيغ فى التحقير ، كما قال ، كأَنَّك حقَّرت أَبْنَى[١] مثل أَعمَى .

فإن قلت فمن أَبيات الكتاب :

قد شَرِبَتْ إلاَّ دهيدِهينا قُلَيِّصاتٍ وأُبَيْكرينا[٢]

فالقول فى ذلك أَنَّه ضرورة . وكأَنَّ الذى استهواه أَنّ أَفعُل جمعٌ من أَبنية الجموع القليلة ، وقد جاءَ ضربان منه بالتاءِ فهو أَفعِلة وفِعلة ، فلمَّا وافقتها أَفعُل فى القلة وكان تأْنيث الجمع قائماً فيه قدَّر أَنَّ التاءَ فيه تلزم ، فقدَّر فيها التأْنيثُ كما جاءَ فى البناءَين الآخرين[٣]، فلمَّا لم تثبت عوَّض منها كما عوَّض من العلامة التى ينبغى أَن تثبت فيها ، فقال أُبَيْكِرين كما قيل أَرَضُون . فإذا كان كذلك لم تجتمع علامتان لمعنًى . أَلاَ ترى أَنَّ الياءَ كأَنَّها عوض من علامة التأْنيث ، كما أَنَّها فى أَرضين كذلك . وأَمَّا أَبينون فإذا لم تكن فيه ضرورةٌ وكان التصغير قد يصاغ فيه الأَسماءُ التى لا تكون فى التكبير نحو عُشَيْشَة وأُنيسَان[٤] كذلك تحمل أَبنَى[٥] على هذا النحو دون أَفعُل ، فيلزم فيه اجتماع

(١) فى النسختين : « ابنا » . وانظر سيبويه ٢ : ١٢٥ بولاق و ٣ : ٤٥٦ هارون .

(٢) سيبويه ٢ : ١٤٢ بولاق و ٣ : ٤٩٤ هارون .

(٣) ش : « أن التاء فيه تلزم الآخرين » فقط .

(٤) إذ أن المكبر إنما هو عشية وإنسان ، والمصغر منهما عشيشية وأنيسيان .

(٥) فى النسختين : « ابنا » كما سبق .

شيئين بمعنًى . وأمَّا الدُّهيدهينا فيشبه أن يكون لمَّا حذف حرف اللين الذى كان يجب إثباته شُبِّه ذلك بعلامة التأْنيث من حيث الحذف ، فجعَل الواو والنون عوضاً من ذلك كما جعلها عوضاً من علامة التأْنيث . انتهى كلامُ أبى علىّ .

وقال ابن جنى (فى إعراب الحماسة) : ذهب سيبويه إلى أنَّ الواحد المكبَّر من هذا الجمع أَبنَى على وزن أفعَل مفتوح العين ، بوزن أَعمى ، ثم حقِّر أيضاً[1] فصار أُبَيْنٍ كأُعيمٍ ، ثم جمع بالواو والنون فصار أُبينون ، ثم حذفت[2] النون للإضافة فصارت أُبينوها .

وذهب الفراءُ إلى أنَّه كُسِّر ابناً[3] على أَفعُل مضموم العين ، ككلب وأكلُب .

ويذهب البغداديون فى هذه المحذوفات إلى أنَّها كلَّها سواكنُ العين . فأُبينٍ عندهم كأُدَيلٍ ، كما أنَّ أبنٍ ذلك المقدَّرَ عندهم كأَدْلٍ . وكأنَّ سيبويه إنَّما عدل إلى أن جعل الواحد من ذلك أفعَل اسماً واحداً مفرداً غير مكسَّر لأمرين :

أحدهما : أنَّ مذهبه فى ابنٍ أنَّه فِعْل ، بدلالة تكسيرهم إيَّاها على أفعال ، وليس من باب فَعْل أو فُعْل .

والآخر : أنَّه لو كانَ أَفعُل لكان لمثال القلَّة ، ولو كان له لقبح جمعه بالواو والنون . وذلك أنَّ هذا الجمع موضوعٌ للقلَّة فلا يُجمَع بينه

(١) أيضاً ، ليست فى ش ولا فى تنبيه ابن جنى .
(٢) فى التنبيه : « ثم حذف » .
(٣) هذا ما فى التنبيه لابن جنى . وفى النسختين : « ابنى » ، تحريف .

وبين مثال القلّة ، لئلاً يكون ذلك كاجتماع شيئين لمعنًى واحد ، وذلك مرفوضٌ فى كلامهم . ورأى مع هذا أنّه قد جاء فى أسماء الجموع المفردة غير المكسّرة ما هو على أفعَل مفتوح العين ، وهو ما أنشده أبو زيد من قوله :

ثم رآني لا أكونَنْ ذبيحةً ‌ ‌ ‌ وقد كثُرت بين الأعَمِّ المضائضُ[(١)]

كذا رواه الأعَمّ بفتح العين ، ومثله أثأبة وأثأب ، وأضحاة وأضحَى . وهذه أسماءٌ مفردة غير مكسّرة . وكذلك أرْوَى ، وله نظائر . واعتصَمَ الفراءُ فيما ذهب إليه بقول الشّاعر :

قد رَوِيتْ إلاّ دُهيدِهينا ‌ ‌ ‌ قليِّصاتٍ وأبيكرينا

٤٠٢ فهذا تحقير أبكُر ، وهو مثال القلّة كما ترى، وقد جمع بالواو والنون . وكان يروى « الأعُمّ » بضم العين ، فهذا عنده كصَكٍّ وأصُكّ ، وضبٍّ وأضُبٍّ . وكيف تصرّفت الحال فرواية أبى زيد فى النفوس بحيث لا ريب[(٢)] .

وأمّا قوله :

مَن بك لا ساءَ فقد ساءَنى ‌ ‌ ‌ تَركُ أُبينيكَ إلى غير رَاعْ[(٣)]

فيحتمل أمرين : أحدهما أن يكون الياء فيه علمَ الجمع ، كالواو

---

(١) فى النسختين : « ثم وانى » ، تصحيحه من النوادر ٦٢ . وقبله :

فإن أباها مقسم بيمينه ‌ ‌ ‌ لئن نبضت كفى وإنى لنابض

(٢) بين هذا الكلام وتاليه كلام طويل فى تنبيه ابن جنى .

(٣) انظر نسبة البيت والكلام عليه فيما سبق . وفى ط : « راعى » . صوابه فى ش . والبيت من قصيدة مقيدة بالسكون ، مطلعها :

صلى على يحيى وأشياعه ‌ ‌ ‌ رب غفور وشفيع مطاع

فى قوله أُبينوها . والآخر : أنّه واحدُ الأَبْنَيْنَ[1] على ماتقدّم من الخلاف فيكون على قول صاحب الكتاب تحقير ابنَى كأعمى ، وعلى قياس قول الفرّاء تحقير أَبنٍ كأدلٍ ، فيكون اللام ياء[2] . انتهى .

واقتصر ابن الشجرى (فى أماليه) على مذهب سيبويه ، قال : وأشكلُ ما فى هذا الاسم وهو أَبنٍ قولهم فى جمعٍ مصغَّره أُبينون فى هذا البيت . لا يجوز أن يكون أُبينون جمعاً لمصغَّر ابن ، لأنّه لو كان كذلك لقيل بُنيُّون . ولا يجوز أن يكون جمعاً لمصغَّر أبناء ، لأنّه لو كان كذلك لقيل أُبَيناءونَ . ولو أرادوا هذا لاستغنَوْا بقولهم أُبَيْنَاءُ عن جمعه بالواو والنون . وإذا بطل الأول والثانى فإنَّ قولهم : أُبينون جمعٌ لتصغير اسم للجمع ، وليس بجمع ، ولكنّه كنَفَرٍ ورَهْط ، وهو مما قدّروه ولم ينطقوا به . ومثاله أَبنَى مقصور بوزن أعشى ، ثم حقّر فصار إلى أُبينٍ مثل أُعيش ، ثم جمع فقيل أُبينون ، وأصله أُبينيون ، ففُعل به ما فُعل فى القاضون . انتهى .

وبقِى مذهبٌ خامسٌ نقله الخطيب التّبريزى (فى شرح هذا البيت من الحماسة) عن أبى العلاء المعرى قال : زعَم أبو العلاء أنَّ أُبينوها تصغير أبناء . ولمَّا ذكر سيبويه هذا الجمَع عبَّر بعبارةٍ تُوهم أنَّه جمع أَبنَى على أفعَل ثم صُغِّر ، كما يقال أَعشى وأُعيشٍ والجمع أُعيشون . وإنّما أراد أن الألف التى فى أبناءٍ وبعدها الهمزة تحذف ، فيصير تصغيرُه كتصغير أفعل . كأنَّ أبا العلاء يريد أنَّ مكبَّر هذا الجمع أَبنَى على وزن أفعَل مفتوح العين بوزن أَعمى ، ثم حقِّر فصار أُبينٍ كأُعيمٍ ، ثم جمع بالواو

(١) هذا ما فى التنبيه . وفى ط : « الأبينيين » ، وفى ش : « الأُبينين » .

(٢) فى التنبيه : « فتكون الياء لاماً » .

والنون فصار أُبينون ، ثم حذفت النُّون للإضافة . وكان الأَصل أبناءً على أَفعال ، فالهمزة لام الكلمة ، وهى منقلبةٌ مِن واو ، فلمَّا حذفت الأَلف من أَفعال رجعت اللام إلى ما كانت فصارت أَلفاً فى آخر الكلمة ، فصار أَبنَى كأَعمى ، ثم صغِّر على ما تقدَّم .

قال : ويحسن أن يقال : جمع ابناً على أَفعُل ، لأَنَّ أصله فَعَل كما يقال زمَنٌ وأزمن ، ثم صغَّره وجمعه . وقال قوم : إنَّما أَراد بنَيُّون ، وابن من ذوات الواو ، فنقلها إلى أوّل الاسم ، ثم همزها للضمّة ، كما قالوا وجوه وأُجوه . فقوله أُبينُوها على هذا تصغير أَبنَى مقصوراً عند البصريين ، وهو اسمٌ صيغ للجمع كأَروى وأَضحًى ، فهو على أَفعَل بفتح العين . انتهى .

صاحب الشاهد

والبيت من قصيدةٍ عدَّتها أَحدَ عشر بيتاً لسُلمىّ بن ربيعة[1] من بنى السِّيد بن ضَبَّة ، أوردها أَبو تمام (فى الحماسة) وهى :

أبيات الشاهد

(حَلَّت تُماضِرُ غَربةً فاحتلَّتِ	فَلْجاً وأَهلُك باللِّوى فالْحِلَّةِ
وكأَنَّ فى العينين حبَّ قَرنفُل	أَو سُنبلاً كُحْلت به فانهلَّتِ
زعمتْ تماضرُ أَنَّنى إمّا أَمُتْ	يَسدُد أُبينوها الأَصاغرُ خَلَّتى
تربتْ يداكِ وهل رأَيتِ لقومه	مثلى علَى يُسرى وحينَ تَعلَّتى[2]
رجلاً إذا ما النائباتُ غشِينَه	أَكفَى لمعضلةٍ وإنْ هى جلَّتِ
ومُناخ نازلةٍ كفَيتُ ، وفارسٍ	نهِلَتْ قناتى من مَطاه وعلَّتِ
وإذا العذارَى بالدُّخان تقنَّعتْ	واستعجلَتْ نصبَ القدورفملَّتِ

٤٠٣

(١) انظر ما كتبت فى تحقيق اسمه وفى نسبة هذه الأبيات فى حواشى شرح الحماسة للمرزوقى ٥٤٦ .

(٢) ش : « تعلت » ، صوابه فى ط والحماسة .

دارت بأَرزاق العُفاة مَغالقٌ بيدىّ من قَمع العِشار الجِلَّةِ
ولقد رأبْت ثأْى العشيرةِ بينَها وكفيت جانيَها اللَّتيا والَّتى[١]
وصفحتُ عن ذى جهلِها ورَفدتها
نُضْحِى ولم تُصِبِ العشيرَة زَلَّتى[٢]
وكفيتُ مولاىَ الأَحمَّ جريرتى وحَبست سائمتى على ذى الخَلَّة)

وقد روى هذه القصيدةَ القالىُّ (فى أَماليه) ، وأَبو الحسن الأَخفش (فى شرح نوادر أَبى زيد) كما نقلناها .

قوله : «حلَّت تُماضر غَربَةً» الخ . قال الإمام المرزوقى : تماضر : امرأته ، وكانت فارقتْه عاتبةً عليه فى استهلاكه المالَ ، وتعريضِه النفسَ للمَعاطب ، فلحقتْ بقومها ، فأَخذ هو يتلهَّف عليها ويتحسَّر فى أَثرها وأَثر أَولاده منها ، فيقول : نزلَتْ هذه المرأَةُ بعيدةً منك فاحتلَّت فلْجًا وأَهلُكَ نازلون بين الموضعين . وهذا الكلام توجُّعٌ . وفَلْجٌ : على طريق البصرة . والْحِلّة : موضع من الحزن ببلاد ضَبَّة . واللِّوى : رمل متَّصل به رقيق[٣] . وبين المواضع التى ذكرها تباعد . فإنْ قيل : لم قال حلَّت ثم قال احتلَّت[٤] ؟ قلت : نبَّه بالأَوّل أَنَّها اختارت البعد منه والتغَرُّب عنه ، وبالثانى الاستقرار . فكأَنَّه قال : نزلَتْ فى الْغَربة[٥] فاستوطنت فَلْجا . وفلج بفتح اللام : بلد ، وفلج بسكون اللام : ماء . انتهى .

---

(١) سيأْتى فى الشرح ص ٤٦ جواز ضبط « جانيها » بفتح الياء وإسكانها .
(٢) تضحى ، كذا وردت ، وسيتكلم فيها البغدادى . وقد جعلت فى ش « نصحى » . ومع أنه تصحيح لكنه ليس يريده البغدادى . والبغدادى سينص فى س ٦ على أنها رواية القالى ، لكن الثابت فى الأمالى : « نصحى » بالنون ، وأراه تغييراً لرواية القالى لتساير الرواية المعروفة .
(٣) كذا بالراء فى النسختين وشرح المرزوقى .
(٤) بعده فى المرزوقى : « وهلا اكتفى بأحدهما » .
(٥) المرزوقى : « نزلت فى هذه الغربة » .

وقال الأسود أبو محمد الأعرابىّ (فى شرح الحماسة) : هذه المرأة فارقته إمّا بطلاق وإمّا مغاضبة ، فأسِف عليها . والحِلَّة بفتح المهملة وكسرها : موضعٌ حزن وصخورٌ ببلاد ضبّة . واللِّوى هنا : موضعٌ بعينه . والغَرْبة ، بفتح الغين المعجمة : الأرض البعيدة . وفَلْج بالفتح والسكون : وادٍ بطريق البَصرة إلى مكَّة، ببطنه منازلُ للحاجّ، وبينه وبين فَلَج ، زعموا ، مسيرةُ عشرٍ . انتهى .

وقال التِّبريزىّ: قوله غَربة أى دار بعيدة[١] . والحِلَّة: موضعٌ فى بلاد بنى ضبَّة . وقالوا: هى حَزْنٌ ببلاد ضبة . انتهى .

وتماضر من أسماء النِّساء ، قال ابن جِنِّى (فى إعراب الحماسة) : التاءُ فى تماضر عندنا فاءٌ ، وإنَّما لم يصرف عندنا هذا الاسم لما فيه من التعريف والتأْنيث ، [لا] لأنَّه بوزن فُعاعِل[٢] . فتماضر إذًا كقُراقر وعُذافر . وكذا القياس فى تاء جَمَل تُرامِز[٣] . انتهى .

والظاهر أنّ تماضر تُفاعل، والتاءُ زائدة لا أَصلٌ، إذ هو من مَضَر . وإليه ذهب أبو العلاء المعرى (فى شرح ديوان البحترى) قال : تماضر بضم التاء وكسر الضاد ، وهو منقول من فعل مضارع ، كما سُميت المرأة تُكتَم وتُكنَى . وكان فى النسخة (أى من ديوان البحترى) قال :

---

(١) التبريزى : « أى داراً بعيدة » .

(٢) سقطت كلمة « لا » من النسختين ، وإثباتها من إعراب الحماسة الورقة ٩٣ . وفى ط : « فعاعل »، صوابه فى ش وإعراب الحماسة . وابن جنى ينفى أن يكون الوزن « تفاعل » بالتاء فتمنع الكلمة من الصرف للعلمية ووزن الفعل ، ويعنى أن منعها الصرف للعلمية والتأنيث .

(٣) فى اللسان (ترمز) : « الترامز من الإبل : الذى إذا مضغ رأيت دماغه يرتفع ويسفل ، وقيل هو القوى الشديد » .

تَمَاضُر بفتح التاء وضم الضاد . وهذا غلط ، والمعروف فى أسماء النساء ما ذكرنا .

وذكر ابن السرَّاجِ عن قومٍ من النحويِّين أنَّهم جعلوا تُماضر فى الأبنية التى أغفلها سيبويه . وهذا وهم ، لأنَّ تُماضر تُفاعل من قولك ماضرتَ تُماضِر. فإمَّا أن يكون مأخوذًا من اللبن الماضر ، وهو الحامض[1] وقيل الأبيض، فكأنَّه من ماضرت الرجلَ، إذا سقيته وسقاك اللبن . وإمَّا أن يكون من مُضَر ، كأنَّه من ماضرته إذا ناسبتَه إلى مضر . انتهى.

٤٠٤

وقد تبعه تلميذُه الخطيب التّبريزى هنا ، وقال : تماضر من أسماء النِّساء . وقد ذكرها بعض الناس فيما أغفله سيبويه من الأبنية . وليس الأمر كذلك ، لأنَّ تماضر مسمَّاة بالفعل المضارع الذى هو مأخوذ من اللبن الماضر ، وهو الحامض[2] ؛ أوْ من قولهم: عيش مَضِر أى ناعم؛ وقيل: المضر: الأبيض . انتهى .

وقوله : « وكأنَّ فى العينين » إلخ ، قال المرزوقى : يقول : ألفتُ البكاءَ لتباعُدها[3] ، فجادت العينان بإسالة دمعهما غزيراً متحلِّباً منهمَا ، فَكأنَّ فى عينىَّ أحدَ هذين المهيِّجين الحالبَينِ للعُيون . وقوله : « كحلت » إخبارٌ عن إحدى العينين ، وساغ ذلك لمافى العلم من أنَّ حالتيهما لاتفترقان[4] [ومتى اجتمع شيئان فى أمر لايفترقان فيه] اجتُزِئ بذكر أحدِهما عن الآخر . انتهى .

---

(١) الكلام بعده إلى كلمة « الحامض » التالية ، ساقط من ش .

(٢) إلى هنا ينتهى السقط الذى بدأ من موضع التنبيه السابق .

(٣) وكذا فى شرح المرزوقى . وفى ط : « وتبعادها » .

(٤) هذا ما فى المرزوقى ، وفى النسختين : « من أن حالتيهما لا يفترقان فيه » ، تحريف . والكلام بعده إلى « فيه » التالية ساقط من ش .

والقَرنفُل والسُّنْبُل من أَخلاط الأَدوية التى تُحرِق العين وتُسيل الدُّموع . وانهلَّ واستهلَّ ، إذا سال .

وقوله : « زعمت تماضر أَنَّنى » إلخ . قال المرزوقى فى زعمت[١] : يتردَّد بين الشك واليقين ، وههُنا يريد به الظَّنّ . وأَنَّنى مع معموليها[٢] نائب عن مفعوليه . يقول : ظنَّت هذه المرأة أَنَّه إن نزلَ بى حادثُ قضاءِ الله تعالى، سَدَّ مكانى ورمَّ ما يتشعَّث من حالها بزوالى، أَبناؤُها الأَصاغر . ويريد بهذا الكلام التوصُّلَ إلى الإبانة عن محلِّه ، وأَنَّه لايغنى غناءه من النَّاس إلَّا القليل . يقال سدَّ فلانٌ مسَدَّ فلان وسَدَّ خَلَّته ، وناب مَنابه ، وشغل مكانه ، بمعنًى واحد[٣] . فإن قيل : كيف ساغ أَن يقول يسدُدْ خَلَّتى وإذا مات لم تكن له خَلَّةٌ ؟ قلت : أَضافها إلى نفسه لمَّا كان يسدُّها أَيامَ حياته ، فكأَنه قال : الخَلَّة التى كنت أَسدُّها . وهذا من إضافة الشىء إلى الشىء [على[٤]] المعتاد فيهما . ومثله قولهم : شِهاب القَذْف ، فأُضيف الشهاب إلى القذف لمَّا كان من رمى الرامى . ووجوهُ الإضافات واسعةٌ كثيرة ، وكذلك متعلَّقاتها . انتهى .

وقال الأَسود : أَرتْه الاستغناءَ عنه بأَطفالها . وهذا يدلُّ على أَنَّها غاضبةٌ وهى فى حِباله . والخَلَّة بفتح المعجمة : الفُرْجة ، والثُّلمة التى يتركها بموته . والخَلَّة : الضعف والوَهن ، والخَلَّة : الفقر . والخليل : الفقير ، والخَلَّة : الخَصْلة .

---

(١) كلمة « فى » ليست فى ش ولا فى المرزوقى . وفى المرزوقى : « زعم » .
(٢) المرزوقى : « وأنى مع الجزاء والجواب » .
(٣) كلمة « واحد » ليست فى المرزوقى .
(٤) التكلة من شرح المرزوقى .

وقوله : « تربت يداكِ » إلخ هذا التفاتٌ من الغيبة إلى خطابها . قال المرزوقى فى ترب : يستعمَل فى الفقر والخيبة لا غير . وأترب يستعمل فى الغِنى والفقر جميعاً، فإذا أُريد به الغنى فالمعنى صار له من المال بعدد التراب ، وإذا أُريد به الفقر فالمعنى : صار فى التراب ، كما يقال : أسهلَ إذا صار فى السهل . وقد يجوز أن يكون مثل أَقلَّ ، والمعنى صار مالكِ قليلًا من المال . وقوله : « حين تَعِلَّتى[1] » : المعنى : وحين اعتمدتُ على إقامة العلَّة لحصول الفقر[2] . وعلى هذا قوله :

* قليل ادِّخار الزادِ إلَّا تعِلَّة[3] *

أى قــدرَ ما يقام به العِلَّة . أقبل عليها يوبِّخها ويخطِّئ رأيَها ، ويكذِّب ظنَّها . ويقبِّح اختيارها ، فى إفاتة نفسِها الحظَّ منه ، ويدعو عليها بالفقر[4] والخيبة فى الرَّجَاءِ[5] فقال : صار فى يدك التراب ، وهل رأيت لقومه من يماثلنى فى حالتَى السرَّاءِ والضرَّاءِ حتَّى تُعَلِّقى مثل رجائك فىّ بغيرى إذا أخليتُ مكانى . انتهى .

وقال الأَسود : أى خاب رجاؤك حين تعدلين بى أطفالا ، وقد رأيتِ الرِّجال أعياهم مكانى . وتربت يداك معناه صار فى يدك التراب ، أى لك الخيبة مما أَمَّلتِ . وهى كلمةٌ تقال للمخطئ وجهَ القصد . وقوله « حين تعِلَّتى » : يريد العسر ، تعتلُّ حاله وتختلّ . وقال التِّبريزى : التعلَّة من علَّلت ، كأَنَّه أَراد حين أَفتقِر فأَحتاج إلى العلل ، أى الحُجج ، أَو إلى أن أُعلِّل

٤٠٥

(١) ط : « تعلت » ، صوابه فى ش والمرزوقى .
(٢) المرزوقى : « بحصول الفقر » .
(٣) لتأبط شراً فى الحماسة بشرح المرزوقى ٤٩٤ . وعجزه :
* فقد نشز الشرسوف والتصق المعا *
(٤) المرزوقى : « بالفقر والبأساء » كما هو عادته فى السجع .
(٥) ط : « الرخاء » ، صوابه فى ش والمرزوقى .

نفسي كما يعلَّل العليل . قال ابن جنى : قوله « وحين تعلَّتى » معطوف على موضع قوله يُسرِى ، أى على وقت يُسرى وحين تعلَّتى .

ومثلى يحتمل أمرين : أحدهما أن يكون مفعول رأيت ، فينتصب رجلًا فى البيت بعده على التمييز ، كقولك : لى مثله عبداً أى من العبيد ، فيكون تقديره : مثلى من الرِّجال الذين إذا غُشُوا كَفَوْا . والآخر : أن يكون أراد هل رأيت رجلاً مثلى ؟ فلمَّا قدَّم مثلى وهو وصفٌ نكرة نصبه على الحال منها . واللام فى قوله لقومه متعلِّقة بنفس رأيت ، كقولك : رأيت لبنى فلانَ نعماً وعبيداً . وإن جعلت مثلى مفعولَ رأيت كانت الهاءُ فى قومه له . وإن جعلته حالًا مقدَّمة فالهاءُ لرجل .

وقوله : « رجلاً إذا ما النائبات » إلخ ، قال المرزوقى : رجلًا بدل من مثلى ، كأنَّه قال : هل رأيتِ لقومه رجلًا أكفى للشَّدائد وإن عظُمت عند طروق النوائب وغِشيان الحوادث منِّى ؟ فحذف منِّى لأنَّ المراد مفهوم . والمعضلة : الداهية الشديدة . يقال أعضلَ الأمر ، إذا اشتدَّ . ويروى : « لمضْلِعة » وهى التى تضمُّ[1] الأضلاع بالزَّفراتِ وتنفُّسِ الصُّعَداءِ ، حتى تكاد تحْطِمها[2] .

وقوله : « ومُناخ نازلةٍ » إلخ. قال المرزوقى : أخذ يعدِّد ما كانت كِفايتُه مقسومةً فيه ، ومصروفةً إليه . ومُناخ : مصدر أنْخت . وكفَيت يتعدَّى إلى مفعولين ، وقد حذفَهما ، كأنَّه قال : كفيته العشيرةَ . يقول : رُبَّ نازلةٍ أناخت ، أنا دفعت شرَّها ، وكفيتُ قَومى الاهتمامَ بها ، وربَّ فارسٍ سقيت رمحى من دم ظهرهِ ، العَلَلَ بعد النَّهَل . وخصَّ الظَّهر ليُعلمَ أنَّه أدبر عنه وولَّى .

---

(١) فى النسختين : « تقيم » ، صوابه فى المرزوقى .
(٢) ط : « تحطمها » ، صوابه فى ش والمرزوقى .

وقوله: « وإذا العذارَى بالدّخَان » إلخ . قال المرزوقىّ : أَقبلَ يعدّد الخصال المجموعة فيه من الخير[١] بعد أن نبَّه على أَنّه لايقوم مقامه أحد ، فكيف من طمِعتْ[٢] فى نيابته عنه . يقول : وإذا أَبكارُ النِّساءِ صَبَرت على دُخان النار حتّى صار كالقِناع لوجْهها ، لِتأثيرِ البرد فيها ، ولم تصبر لإدراك القدور[٣] بعد تهيئتها ونصبها ، فَشَوتْ فى الملّة قَدرَ ماتعلِّل به نفسَها من اللحم ، لتمكُّن الحاجة والضُّرِّ منها ، ولإجداب الزمان واشتداد السَّنة على أَهلها ـ أَحسنتُ[٤] . وجواب إذا فى البيت بعده . وخصَّ العذارى بالذكر لفرط حيائهنَّ ، ولتصوُّنهنَّ عن كثيرٍ مما يَتَبذَّل فيه غيرهنّ[٥] . وجعل نصبَ القُدورِ مفعولَ استعجلت على المجاز والسعة . ويجوز أَن يكون المراد به : استعجلتْ غيرَها بنصبِ القدور ، أَو فى نصب القدور ، فحذف الجارّ . انتهى .

وقال الأَسود : ويروى « تلفَّعت » . واللِّفاع : المِلْحَفة . والقِناع : المِقْنَعَة . أَى غَشِين الدخان حتّى صار لهنَّ كاللِّفاع أَو القِناع من شدَّة البرد . واستعجلت نصبَ القُدور فملَّت ، أَى أَلقت اللحم فى المَلَّة جُوعاً وضَرًا[٦] ، لم تصبِر إلى إدراك القِدر . قال التبريزى : وعلى هذا يكون وملَّت بالواو ، وغير أَبى تمام يرويه :

---

(١) من الخير ، ليست فى المرزوقى .

(٢) المرزوقى « طمع » ، وتقرأ بالبناء للمجهول .

(٣) المرزوقى : « ولم تصبر على إدراك القدور » .

(٤) هو جواب « إذا » السابقة فى السطر الثالث .

(٥) ش : « فيهن غيرهن » ، صوابه فى ط والمرزوقى .

(٦) فى النسختين : « وضر ألم » والوجه ما أثبت . والضرى ، بفتحتين : مصدر ضرى بالشيء ضراً وضراوة : لهج به واعتاده ولم يكد يصبر عنه .

* واستبطأت نصبَ القـدور فملَّتِ *

وقال ابن جنى : ملَّت هنا من مَلَّة النار [١] لا من الملالة ، أى بادرَتْ للضرورة الخَبْزَ قبل القَدْر .

٤٠٦ وهذا البيت أورده البيضاوى عند قوله تعالى : ﴿ ولهم فيها أزواجٌ مطهَّرة [٢] ﴾ ، واستشهد به على جواز جمع الصفة وإفرادها فى مطهَّرة . وقرأ زيد بن على : ﴿ مطهَّراتٌ ﴾ ، وهما لغتان فصيحتان .

وقوله : « دارت بأرزاق العُفاة » إلخ هو جمع عافٍ [٣] ، وهو كل طالب رِزق من النَّاس وغيرهم . ومغالقُ : فاعل دارت ، وهى قِداح الميسر جمع مِغْلق ومِغلاقَ بكسرهما ، مأخوذ من غَلِق الرَّهنُ ، لأنَّه مَن فاز سهمه غَلِق نصيبُه فذهب به غير منازَعٍ فيه . قاله الأَسود . وقال المرزوقى : وإنَّما سُمِّيت القداح مغالق لأَنَّ الجزُر تغلَق عندها وتَهلِكُ بها . والقَمَع ، بفتحتين : قِطع السَّنام ، الواحدة قَمَعة . والعِشار : جمع عُشَراء ، وهى الناقة التى قد أتى عليها من حملها عشرةُ أشهر ، وتستصحب هذا الاسمَ فتسمَّى به بعد وضعها الحملَ بأَشهر . والجِلَّة بكسر الجيم : المَسَانُّ ، الواحدة جليلة . ومنه : « ماله دقيقةٌ ولا جَليلة » أى شاة ولا ناقة .

قال المرزوقى : قوله أرزاق العُفاة كلامٌ شريف ، يقول : وإذا صار الزمان كذا ، دارت القِداح فى الميسر بيدىّ ، لإقامة أَرزاق الطُّلَّاب من أَسنمة النوق المسانِّ الكبارِ الحوامل ، التى قُرب عهدُها بوضع الحمل . وكلُّ ذلك يُضَنُّ به ويُتنافس فيه .

(١) ط : « من ملت » ، صوابه فى ش وإعراب الحماسة الورقة ٩٧ .
(٢) الآية ٢٥ من سورة البقرة .
(٣) ش : « عافى » .

وقال الأَسود : قوله « بيدىّ » فيه قولان : أَحدهما : أَنَّ ذَواتِ الأَنصباءِ من القداح سبعة ، وعدد الأَيسار سبعة ، فإذا نقص منهم واحدٌ أخذ أَحدُ الستة قِدحَه وأَخرج من ثمن الجزور نصيبَه ، ثم جعل إحدى يديه ضاربةً بقدح نفسه ، والأُخرى بقدح صاحبه . وإنما أَراد بذلك التمدُّح بأَنَّه يضرب بقِدحين ، لا أَنَّه[1] يفرد لهذا يدًا ولهذا أُخرى . وإيَّاه أَراد متمِّم بن نويرة بقوله :

بمثْنَى الأَيادى ثم لم تُلْفِ مالكا من القوم ذَا قاذورةٍ متزبِّعا[2]

والآخر : أَنَّه أَراد : يَقرع بين إبله أَيَّها ينحر ؟ فقال : بيدىّ ليعلم أَنه لم يرد مقارعة إنسان غيرِه . انتهى .

وقال بعضهم : فى البيت مبالغات : إحداها قوله دارت ، فإنَّه يدل على أَنَّه أَمر متكرر مرّة بعد أُخرى . ثانيها : جمعُ الرزق والعافى . ثالثها : الدَّلالة على أَنَّه غارم لا فائز . رابعها : قوله يدىّ بالتثنية . خامسها : إيثار السَّنام الذى هو أَطيب ما فى الإبل . سادسها : العِشَار ، وهى أَنفَسُ الإبل عند العرب . سابعها : قمعها وتعريفها[3] . ثامنها : أَنَّ العفاة مالَهُم مَوئل غيره . وفيه غير ذلك .

وقوله : « ولقد رأَبْت ثَأَى العشيرة » إلخ . قال الأَسود : رأَبْت رأبًا : أُصلحت . والثَّأَى كالعصَا : الصَّدْع . وقد ثأَى الخرْزُ ، إذا انخرمت خُرزتان فصارتا واحدة[4] ، أَى ما كان بينها من نائرة أَطفأْتُ ، أَوجنايةٍ

---

(١) ط : « إلا أن » ، صوابه فى ش .

(٢) ش : « لم يلف » ، تحريف . ورواية المفضليات ٢٦٦ :

وإن تلقه فى الشرب لا تلق فاحشا على الكأس ذا قاذورة متزبعا

(٣) ش : « جمعها وتعريفها » .

(٤) فى اللسان : « ثأى الخرز يثأى ، وذلك أن يتخرم حتى تصير خرزتان فى موضع » .

غَرِمتُ ، وكفيت جانبها اللتيا والتى ، وهما من أسماءِ الدواهى ، واللَّتيَّا أصغر من التى ، وهى فى الأَصل تصغيرها ، ثم هما من الأَسماءِ الموصولة وحذفت صلتها . وذلك فى عِظَم الأَمر وشدَّته ، كأَنه قال[١] : كفيتُه التى عظُمَتْ شدَّتُها ، وتناهتْ بليَّتها . وكأَنه يريد باللَّتيا صِغارَ المغارم . أى غُرمُها فى ماله . وبالتى عظامَها ، كالدم يعقله عن القاتل ونحوه . انتهى .

وقال المرزوقى : يقول : وكما ظهر غَنائى فى تلك الأَبواب فلقد سعيت فى إصلاح ذات البين من العشيرة ، وكفيت مَن جَنَى منها الجناية الصغيرة والكبيرة ، بالمال والنفس ، والجاه والعزّ . وقوله « جانيها » إن فتحت الياءَ كان واحداً وإنْ أَدَّى معنى الجمع . وإن سكَّنت الياءَ جاز أَن يكون جمعًا سالماً ، وأَن يكون واحداً حذف فتحتها[٢] . ٤٠٧

وقال ابن جنى : بينها متعلِّق بنفس الثَّأى ، أى أَصلحت الفساد بينها . والهاءُ فى جانيها ضمير العشيرة ، أى كفيت جانىَ العشيرةِ الداهيةَ التى جناها على نفسه . ولا يجوز أَن يكون ها ضمير اللتيا أَى جانى الداهية ، وذلك أَنَّ الجانى هو المفعول الأَوّل وهو مقدَّم فى موضعه ، فلا يجوز أَن يتعلَّق به ضمير المفعول الثانى ؛ لأَنَّه إنما يتقدَّم ضمير الشىء عليه إذا كان رتبته أَن يكون بعده ، فأَمَّا أَن يتقدم ضمير الشىء عليه متعلقاً بما رتبته التقديم على صاحب الضمير فذلك تقديم الضمير على مُظهَره لفظاً ومعنًى ، وهذا عندنا غير جائز البتَّة ، وإنَّما المتجوَّز من ذلك أَن يتقدَّم الضمير على مُظهَره لفظاً على أَن يكون متأَخِّراً عنه معنى .

---

(١) قال ، ساقطة من ش .
(٢) المرزوقى : « قد حذف فتحتها » .

فأَمَّا تقدُّمه عليه لفظاً ومعنى فلا . أَلا تُرَى : لاتقول ضرب غلامُها هنداً ، ولكن تقول ضربت غلامَها هند . فكذلك لا يكون « ها » من جانيها ضميراً للتيا ، كما لاتجيز أعطيت مالكه درهماً » ولا كسوتُ صاحبهَا جبة ، ولكن تقول : أعطيت درهمه زيداً ، وكسوت ثوبه عَمراً . وقد يجوز مع هذا كلِّه أَن تكون ها من جانيها ضميراً للَّتيَّا على حدِّما يجيزه مِنْ : أَعطِى الدرهمُ زيداً ، وأُدخل القَبرُ عَمْرًا على القلب . وعلى هذا أَجازوا : مررت بالمكسوَّته جبةٌ ، ولقِيت المعطاهُ درهمٌ . فكأَنَّ اللتيا والتى على هذا هى المكفيَّة جانيها ، كما أَنَّ الجبَّة هى المكسوَّة زيداً فهو على قولك : كفيت اللتيا جانيها . فاعرفْه . انتهى ، ولنفاسته سُقناه برمَّته .

وقوله : « وصفحت عن ذى جهلها » إلخ ، قال الأَسود : أَكملَ مكرمةَ صلاحِ ذات البين بما أَردفه من الإِغضاءِ على ما بدَرَ من جاهلها . أى من جَهِل منهم علىَّ صفحت عنه ولم أَجْهل عليه . وقوله : « تُضحِى » أَراد تُضحى وتُمسى [1] ، فاكتفى بذكر أَحدهما من الآخر . ووجهٌ آخر : خصَّ الغداة بالذِّكر لأَنَّ جُناة الشرِّ يتوَخَّون به ظلام الليل إرادةَ أَن يخفى ذلك . انتهى .

وقد صحَّف هذه الكلمة وحرَّفها ، وإِنَّما هى نُصحِى بالصاد المهملة [2] . قال المرزوقى : يصف نفسه بالحلم معهم ومع سفهائهم [3] ، يقول : عفوت عن

(١) ش : « نضحى ، أراد نضحى ونمسى » .

(٢) يشير بذلك إلى رواية القالى . انظر تعقيب البغدادى على الأبيات السابقة ص ٣٧ .

(٣) ط : « سفاهتهم » ، صوابه فى ش . وفى المرزوقى : « يصف نفسه بالحلم معهم ، وكظم الغيظ فيهم ، ومنع سفهائهم » .

جاهلها فلم أُؤاخذْه بما بدر منه من هفوة أو زلّة ، ثم بذلتُ نصحى لعشيرتى بمقدار جهدى ، ولم أجرَّ عليه جريرتى[1] .

وقال الأسود : المعنى أنّه ليس من أهل السَّفَه وجُناة الشر .

وقوله : «ولم تصب العشيرة زلتى» ، أى إنْ زلَّ ، ولا عصمةَ ، كفى نفسَه ولم يشتدَّ عليه الأمر فيفتقرَ إلى من يَكفيه أو يُعينه .

وقوله : «وكفيت مولاى الأحمّ» إلخ . قال الأسود : الأحمّ بالمهملة هو الأخصُّ الأدنى ، من الحميم . وهو تفسيرٌ لقوله : «ولم تصب العشيرة زلّتى» وتأْكيدٌ للإكمال . يقول : إن جررت جريرةً أغنيت فيها نفسى عن ابن عمِّى الأدنى ، فضلًا عن الأبعد ، وحبستُ سائمتى ، يريد السَّوام ، وهو المال الراعى . وقد سامت الماشية : دخل بعضُها فى بعض فى الرِّعْى . وهذا إغراقٌ بعد التأْكيد، أى حبستُها عن المرعى على ذى الخَلَّة بالفتح ، أى الفقر ، ليختار منها على عينه ، كما قال :

* يخيِّر منها فى البوازل والسُّدْسِ[2] * انتهى .

قال ابن جنِّى :اعلمْ أنَّ هذا الشاعر لزم اللام قبل هذه التاء فى هذه الأبيات، وليست بواجبةٍ من حيث كان الرَّوىُّ إنَّما هو التاء . ووجه ذلك فيما ذهب إليه قطرب: أنَّ هذه التاء فى الفعل نظيرة الهاء فى الاسم، فكما يلزم ماقبلها فى نحو قائمة وسائمة[3] فكذلك التُزِم[4] ماقبلها فِى ٤٠٨

(١) المرزوقى : «ولم أجر عليهم جريرتى» .

(٢) لمنصور بن مسجاح الضبى فى الحماسة ١٦٧٥ بشرح المرزوقى . وصدره :

* فطاف كما طاف المصدق وسطها *

(٣) فى إعراب الحماسة : «وسالمة» .

(٤) فى النسختين : «ألزم» ، وأثبت ما فى إعراب الحماسة .

نحو: ضَنَّتِ وحنَّتِ. نَعَمْ، وقد يلتزم الشاعر المدلُّ مالا يجب عليه، ثقةً بنفسه، وشجاعةً فى لفظه. وقد ذكرت مِنْ هذا الطرز (فى كتاب المعْرِب[1]) مايتجاوز قدر الكفاية.

وسلمى بن ربيعة روى بوجهين: أحدهما: بضم السين وتشديد الياءِ التحتية، قال ابن جنى (فى المبهج): هو اسمٌ مرتجل.

وثانيهما: سَلْمَى بفتح السين والقصر، قال أبو الحسن الأخفش: وقع فى نسختى من نوادر أبى زيد بهذا الضبط، وحفظى[2] بالوجه الأوَّل.

والسِّيد بكسر السين، قال ابن جنى: السِّيد: الذئب، الأُنثى سِيدانة بزيادة الألف والنون.

وضبة أيضاً: اسم منقول من ضبَّة الحديد، ومن أُنثى الضب ونحوه.

سلمى بن ربيعة

وسلمىٌّ شاعرٌ جاهلى، وهذه نسبته (من جمهرة ابن الكلبى): سُلمىُّ بن ربيعة بن زبَّان، بفتح الزاى وتشديد الموحدة، ابن عامر ابن ثعلبة بن ذئب بن السِّيد بن مالك بن بكر بن سعد بن ضبّة ابن أُدٍّ بن طابخة بن الياس بن مضر بن نزار بن معدّ بن عدنان.

ومن ولد سُلمىّ فى الإسلام: يعلى بن عامر بن سالم بن أبى سلمىّ بن ابن ربيعة، كان على خراج الرّىّ وهَمَذان.

ومن ولده أيضاً: المفضَّل الرواية بن محمد بن يعلى بن عامر بن سالم المذكور.

* * *

(١) فى إعراب الحماسة: «المعرب فى تفسير قوافى أبى الحسن».
(٢) ط: «وحفظ»، صوابه فى ش مع أثر تصحيح، وكذلك نوادر أبى زيد ١٢١.

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثالث والثمانون بعد الخمسمائة ، وهو من شواهد سيبويه[١] :

٥٨٣ (قد شرِبَتْ إلَّا الدُّهيدِهِينا   قُلَيِّصـــاتٍ وأُبيكرِينا)

على أنَّ جمعَ مصغَّر (دهداه) وجمعَ مصغَّر (بكر) على مافى البيت، شاذٌّ.

أنشد سيبويه هذا الرجز وقال : والدَّهداه : حاشية الإبل ، فكأنه حقَّر دَهادِه[٢] فردَّه إلى الواحد وهو دهداه ، وأدخل الياءَ والنون كما تُدخَل فى أَرَضين وسنين ، وذلك حيث اضطُرَّ فى الكلام إلى أن يُدخل ياءَ التصغير . وأما أُبيكرينا فإنه جمع الأَبكُر ، ولكنَّه أدخل الياءَ والنون كما أدخلها على الدُّهيدِهين . انتهى .

وقد تقدم عن أبى على فى البيت قبله مايتعلَّق به .

وقال ابن جنى (فى إعراب الحماسة) : وأمَّا أبيكرين فقد يمكن على قول سيبويه أن يقال إنَّ واحدها أبكر ، بفتح العين فى هذا الموضع . ألا ترى أنَّك لم تسمع العين فى هذا البيت مفتوحة ولا مضمومة . فإن قلت : فقد سمعت فى غير هذا الموضع أبكُر بضم العين ؟ قيل: أجل قد سُمع هذا بضم عينه ، وغير منكَر أنْ يكون الخروج عن الواحد مرَّةً إلى جمع مكسَّر ، وأُخرى إلى اسمٍ للجمع[٣] مفرد غير مكسَّر . ألا تراهم قالوا: رجُل ورجال فكسَّروه ، ثم قالوا رَجْلة فصاغوا للجمع اسماً مفرداً . وكذلك الجمال والأَجمال ، هذا مع قولهم الجامل . فكذلك لا ينكر أن

---

(١) فى كتابه ٢ : ١٤٢ والمخصص ٧ : ٦١ ، ١٣٧ واللسان (بكر ١٤٦ يمن ٣٥٢ دهده ٣٥٣) .

(٢) هذا الصواب فى ط وكتاب سيبويه . وفى ش : « دهداه » ، تحريف .

(٣) ش : « اسم الجمع » صوابه فى ط وإعراب الحماسة ٩٥ .

يكون أَبكُر بضم العين جمعًا مكسَّرًا ، أو يكون واحد أُبيكرين المكبّر أبكَر بفتح العين وإن لم يسمع مكبّراً ، لكن يدلُّ عليه ما انحرف عند سيبويه[1] من اعتقاد جمع أمرين لمعنًى واحد . وهذا واضحٌ . وكذلك ينبغى أن يقال فى قول الآخر :

أشكو إلى مولاىَ من مَولاتى   تَربِط بالحبل أُكيرِعَاتِى

وذلك أنَّ الألفَ والتاءَ موضوعان للقلَّة وضعَ الواو والنون لها ، فلايحسن أن يكون الواحد المكبّر من أُكيْرِعات أَكرِعَة ولا أَكرُعًا[2] بِضمّ العين لانَّهما مثالا قلَّة . فعلى قياس قوله فى أُبينون[3] ما يجب أن يقال فى الواحد المكبَّر من أُكيرعات إنَّه أَكرَع ، على وزن أَفعَل بفتح العين ؛ كالأَعمى والأَروى . انتهى . ٤٠٩

وقال (فى سر الصناعة) أيضاً ، عند سرد ما جمع بالواو والنون من كل مؤنَّث معنوى كأَرض ، أو مؤنَّث بالتاء محذوف اللام كثُبَة ؛ ما نصه :

فإن قلت : فما بالهم قالوا :

* قد رَوِيتْ إلاَّ الدُّهيدِهينا * إلخ

فجمعوا تصغير دَهداهٍ ، وهو الحاشية من الإبل ؛ وأُبيكرًا وهو جمع بَكر ، بالواو والنون ، وليسا من جنس ماذكرت ؟

---

(١) فى إعراب الحماسة : « ما انحرف سيبويه عنه » .

(٢) ط : « والأكرعة » ش : « ولا كرعة » ، صوابهما ما أثبت من إعراب الحماسة لابن جنى ٩٥ .

(٣) كلمة « قوله » ساقطة من ش ثابتة فى إعراب الحماسة . وما بعد هذا إلى نهاية نص ابن جنى ساقط من ش .

فالجواب : أنّ أبكرًا جمع بَكر ، وكلُّ جمع فتأْنيثه سائغٌ مستمِرّ ، لأَنَّه جماعةٌ فى المعنى . وكأَنَّه قد كان ينبغى أن يكون فى أبكر وأكلب وأعبُدٍ هاءٌ ، فيكون تقديرها أكلُبة وأبكُرة وأعبُدة ، كما قالوا فى غير هذا : فِحالةٌ : جمع فحل، وذِكارة : جمع ذَكَر . فكما جاز أن تأْتىَ الهاءُ فى هذه الجموع كذلك جاز أيضاً أنْ تقدَّر[1] فى أَبكر الهاءُ، فيصير كأَنَّه أَبكرة . وقد جاءَت الهاءُ فى أفعُلٍ نفسها . قال :

بأَجريةٍ بُقعٍ عظام رءُوسها   لهنَّ إذا حرّكن فى البطن أَزمَلُ[2]

فهذا جمع جَرْو . وأَجريةٌ أَفعُلة ، فأَلحق الهاءَ فى أفعُل .

ويدلُّك على أَنَّه أَراد أفعُل قولُ الآخر[3] :

وتجـرُّ مُجِـريةٌ لهـا   لَحْمى إلى أَجرٍ حَوَاشبْ

وجاز أَن تجمع فِعْلاً على أَفعُل ، وأَفْعلة[4] ، وأَفعُل، لفَعْل مفتوحة الفاء ، من حيث كان فَعل وفِعْل ثلاثيَّين ساكنَى العينين ،وقد اعتَقَبا أَيضاً على المعنى الواحد ، نحو حَجّ وحِجّ ، وفَصّ وفِصٍّ ، ونَفط ونِفط . وإذا ثبتَ أَنَّ أَفعُل من أَمثلة الجموع يجوز فى الاستعمال والقياسِ تأْنيثه ، لم يُنكَر أَن يعتقد فى أَنَّ أَبكُرًا قد كان ينبغى أَن يكون فيها هاءُ تأْنيث الجماعة ، فصار إذن جمعُهم إيَّاها بالواو والنون فى قوله « أُبيكرونا » إنَّما هو عِوض من الهاءِ المقدَّرة فى أَبكُر ، فجرى ذلك مجرى أَرض فى جمعهم إيّاها بالواو والنونَ فى قولهم : أَرَضون .

---

(١) ش : « يقدر » .

(٢) الأزمل : الصوت .

(٣) هو حبيب بن عبد الله ، المعروف بالأعلم الهذلى . ديوان الهذليين ٢ : ٨ وشرح السكرى ٣١٤ ، واللسان (جرا ١٥١) .

(٤) فى النسختين : « على أفعل ، وأفعل » ، وأرى الصواب فيما أثبت .

فأمَّا دُهيدِهينا فإنّ واحده دَهداه ، وهو القطعة من حاشية الإبل ، فهو نظير الصِّرمة والْهَجْمة . فكأنَّ الهاءَ فيها لتأْنيث الفِرقة والقِطعة ، كما أَنَّ الهاءَ فى عُصْبة وطائفة لتأْنيث الجماعة ، فكأَنَّه كان فى التقدير : دهداهة ، فلمَّا حذفت الهاءُ فصار دهداهًا جمع تصغيره بالواو والنون تعويضاً من الهاءِ المقدَّرة . قال أَبو على : وحسَّنَ أَيضاً جمعَه بالواو والنون أَنَّه قدحذفت أَلف دهداه فى التحقير ، ولو جاءَ على أَصله لقيل دهيديه [1] بوزن صلصال وصليصيل ، فواحد دهيدهينا إنَّما هو دهيدِه ، وقد حذفت الأَلف من مكبَّره [2] فكان ذلك أَيضاً مسهِّلاً للواو والنون ، وداعياً إلى التعويض بهما . انتهى كلامه .

وهذا مخالفٌ لكلامه السابق تبعاً لأَبى على وغيره ، من أَنَّ أُبيكرينا جمع أَبكَر بفتح الكاف . وإليه ذهب يوسف [3] بنُ السِّيرافى (فى شرح شواهد الغريب المصنف) ، قال : أُبيكرينا جمع أُبيكر ، وأُبيكر تصغير أَبكَر ، وأَبكَر جمع بَكر ، وهو فى الإبل بمنزلة الشابّ فى الناس . وهذه العلامة لا تكون إلَّا لجمع المذكر العاقل فى الكلام ، وربَّما أَدخلها الشاعرُ إذا احتاج . وتدخُل على كثير من الأَسماءِ النواقص.

٤١٠ والبيتان من رجز أَورده أَبو عبيدٍ القاسم بن سلام (فى الغريب المصنَّف) قال : الحاشية صغار الإبل ، والدَّهداه مثل ذلك . قال الراجز :

---

(١) ش : « دهيده » ، صوابه فى ط .

(٢) ش : « إنما هو دهيدهة ، وقد حذف الألف من مكبره » .

(٣) ش : « أبو يوسف » ، وإنما هو أبو محمد يوسف بن الحسن بن عبد الله ، المتوفى سنة ٣٨٥ . وأبوه الحسن بن عبد الله بن المرزبان أبو سعيد السيرافى ، المتوفى سنة ٣٦٨ . والذى شرح شواهد الغريب المصنف هو ولده أبو محمد ، كما فى البغية .

(ياوهبُ فابدأْ ببنى أَبينا ... ثُمَّتَ ثنِّ ببنى أَخينا
وجِيرةِ البيت المجاوِرينا ... قد رَوِيَت إِلَّا الدُّهيدهينا
إِلَّا ثلاثين وأَربعينا ... قُلَيِّصات وأُبيكرينا)

قال ابنُ السيرافى : نَصَبَ الدُّهيدهينا على الاستثناء . وقوله :«إِلَّا ثلاثين» بدلٌ من الدهيدهينا . وقليِّصات بدل من ثلاثين . انتهى .

وجعلُهُ قليِّصات بدلاً من البدل جائز مشهور ، ولم يجعله بدلاً من الدهيدهينا لأَنَّه لم يُعرَف تعدُّدُ البدل فى غير بدل البَداء ، كما قاله أَبو حيّان وابن هشام (فى بحث إذ من المغنى) .

وكذا أَعرب شيخنا ياسينُ الحمصىُّ قولَ ابن مالك أَوّلَ الأَلفية :

* أَحمد ربى اللهَ خيرَ مالك *

فجعل خير بدلاً من الجلالة لا من الرَّبّ[١] قال : وأَمّا دعوى الدَّمامينى الجوازَ، أَخذاً من كلام ابن الحاجب (فى الأَمالى) فاشتباه؛ لأَنَّ ابن الحاجب قال فى الكلام على آية غافر : الأَحسن أَنَّ ﴿ ذِى الطَّوْل[٢] ﴾ بدل ثان من المبدل الأَوّل . فقال الدَّمامينىُّ : فيه دليل بيِّنٌ على جواز تعدُّد المبدل منه . انتهى .

وابن الحاجب لم يقل من المبدل منه ، بل قال من المبدل، يعنى البدل . انتهى .

---

(١) ط : « رب » ، وأثبت ما فى ش .
(٢) فى الآية الثالثة من سورة غافر .

وقوله: « يا وهب » هو اسم راعٍ يسقى الإبل . وأبينا وأخينا كلاهما جمع أَب وأَخ . (وقليِّصات) بكسر الياء المشددة جمع مصغَّر قلوص، وهى الناقة الشابَّة . وقد روى بدل « شربتْ »: « رَوِيَتْ » ، و« نَهِلَتْ » .

وهذا الرجز مع كثرة الاستشهاد به لم يعرف قائلُه . والله أعلم .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الرابع والثمانون بعد الخمسمائة[1] :

٥٨٤ (ولى دُونَكمْ أَهْلُونَ سِيدٌ عَمَلَّسٌ
وأَرقَطُ زُهلولٌ وعَرفاءُ جَيْأَلُ)

على أَنَّ أهلاً وإن كان غير علمٍ لمذكَّر عاقل ولا صفةً له ، لكنَّه جمعه هذا الجمع لتنزيله هذه الوحوشَ الثلاثةَ ، منزلةَ الأَهْلِ الحقيقى . وكذلك ما بعده ، وهو :

(هم الأَهلُ لا مُستودَعُ السرِّ ذائعٌ لديهمْ ولا الجانى بما جَرَّ يُخذَلُ)

وقبلهما :

(لعمرُكَ ما بالأَرضِ ضِيقٌ على امرئٍ سَرَى راغباً أَو راهباً وهو يَعقِلُ)

والأَبيات من قصيدة الشنفرَى ، المشهورة بلاميّة العرب ، وقد تقدم صاحب الشاهد شرح أَبياتٍ منها[2] .

وقوله: « لعمرك » الخ اللام لام الابتداء للتأْكيد . وعمرك بفتح العين مبتدأٌ مضاف إلى الكاف، وخبره محذوف تقديره: قسمى . والعمر، بضم العين وفتحها: مدَّة الحياة ،خُصَّ المفتوح بالقسم . وقوله: «مابالأَرض»

---

(١) المنصف ٣ : ٦٦ ، والمحتسب ١ : ٢١٨ وابن يعيش ٥ : ٣١ . وهو البيت الخامس من لامية العرب للشنفرى .

(٢) انظر الخزانة ٣ : ٣٤٠ - ٣٤٤ .

ما نافية وبالأَرض خبر مقدم ، وضِيق مبتدأٌ مؤخر ، والجملة جواب القسم[1] وجملة « سرى » إلخ صفة لامرئ . وراغباً: حال من ضمير سرى ، وجملة « وهو يعقل » حال ثانية . يعنى أن من فارق أهله وسافر رغبةً فى أمرٍ يطلبه ، أو خوفاً من شئ يجتنبه ، يرى سعةً فى حاله إن كان ممن يعقل ، فإنَّه يدبِّر نفسه بعقله ، ولا يضيع فى الغربة .

٤١١ وقوله : (ولى دولكم أهلون) الخ ، التفات من الغيبة إلى الخطاب ، خاطب به أهله . وأهلون مبتدأ ، ودونكم ظرف كان فى الأَصل صفة لأَهلون فلما قدِّم عليه صار حالاً منه . ودون هنا بمعنى غير ، ولى خبر مقدَّم لأَهلون . وقوله: (سِيدٌ عملَّس) خبر لمبتدأ محذوف ؛ أى هم سِيد وأَرقطُ وعرفاءُ . يقول : اتَّخذتُ هذه الوحوشَ أهلاً بدلاً منكم ، لأَنَّها تحمينى من الأَعداءِ ، ولا تخذُلنى فى حالة الضِّيق . وهذا تعريضٌ بعشيرته ، فى أنَّهم لا حماية لهم كهذه الحيوانات، ولا غَيرة لهم على مَن جاورهم فضلاً عن الحميم القريب، مثلُ هذه الوحوش . والسِّيد ، بكسر السين المهملة : مشترك بين الأَسد والذئب ، ومراده الثانى ، ولهذا عيَّنه بالوصف . وكذلك فعل بأَرقط وعرفاءَ . والعملَّس ، بفتح العين المهملة والميم واللام المشددة ، القوىُّ على السَّير السريع . وأَرقط : مافيه نقط بياضٍ وسواد ، مشترك بين حيوانات ، منها النمر والحيَّة . وأَراد الأَوّل ، ولهذا وصفه بزهلول بضم الزاى ، وهو الأَملس ؛ وقيل الخفيف وهو من أَوصاف النمر . والعرفاءُ: مؤنَّث الأَعرف . قال صاحب العباب: يقال للضبع عرفاءُ لكثرة شعر رقبتها . وأَنشد هذا البيت .

وقال الخطيب التِّبريزى (فى شرح القصيدة) : العرفاءُ: الضبع التى

---

(١) كلمة « القسم » ساقطة من ش .

تكون طويلة العُرف، ليست ههنا بنعت ، ولكنَّها فى الأَصل نعت ، فغلب فصار بمنزلة الأَسماء غير النُّعوت[1] حتى إنَّه يقال : « جاءتكم العَرْفاءَ » فيفهم من هذا القول أَنَّ الضبع جاءت . وجيأَل بفتح الجيم وسكون المثناة التحتية بعدها همزة مفتوحة ، بدل من عرفاءُ . قال صاحب العباب : جيأَل على وزن فَيعَل : اسمٌ للضبع وهى مَعرفة بلا ألف ولام. وأَنشد هذا البيت .

وقوله : « هم الأَهل » إلخ لمَّا نزَّل هذه الوحوشَ منزلة الأَهل ذكرَهم بضمير العقلاء ، وعرَّف الخبَرَ لإفادة الحصر ، أَى هم الأَهل لا غيرهم . وبيَّن وجهه بقوله « لا مستودع السر » إلخ يعنى أَنَّ السر المستودع عندهم غير ذائع بل مصون . « ولا الجانى بما جرَّ يُخذَل » عندهم ، بل يُحمَى . والجانى : الذى فَعَل جناية من قتل أَو نهب ونحوهما . وجرَّ: أَى فعل جريرة بفتح الجيم، وهى التَّبعة والذَّنب . ويُخذَل: يُترك نصره ، يقال خذلته وخذلت عنه من باب قتل ، والاسم الخِذلان ، إذا تركتَ نصره وإعانتَه وتأَخَّرتَ عنه .

وقد تقدَّمت ترجمة الشنفرى ، وهو شاعرٌ لصٌ جاهلى ، فى الشاهد السادس والعشرين بعد المائتين[2] .

* * *

وأَنشد بعده :

* ولكنِّى أُريدُ به الذَّوينا *

تقدَّم شرحه مفصلاً فى الشاهد السادس عشر من أَوائل الكتاب[3] .

---

(١) حورت فى ش إلى « المنعوتة » ، والوجه ما فى ط .
(٢) الخزانة ٣ : ٣٤٣ – ٣٤٨ .
(٣) الخزانة ١ : ١٣٩ – ١٤٦ .

وأراد بالذّوين ملوكَ اليمن ، كذى نُواسٍ ، وذى رُعَين ، وذى أَصبح .

وهو عجزٌ وصدره :

* فلا أَعنى بذلك أسفلِيكُم *

والمشار إليه بذلك ، هو الهجو .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الخامس والثّمانون بعد الخمسمائة[1] :

٥٨٥ (ذَرانِىَ من نجدٍ فإنَّ سِنينَه لَعِبْنَ بَنا شِيباً وشَيَّبْنَنا مُرْدَا)

على أن نون الجمع الذى جاء على خلاف القياس قد يجعلُ مُعتَقَبَ الإعراب ، أى محلَّ تعاقبه ، أى تجرى عليها الحركات واحداً بعد واحدٍ ، ولا تحذف للإضافة كما فى قوله (سِنِينه) ، فالنون لمّا جرى عليها الإعراب لم تحذف مع إضافة الكلمة إلى ضمير نجد .

٤١٢

وفى كلامه شيئان : أحدهما أنّه غيرُ خاصٍّ بالضرورة .

والثانى : أنّه لا يجوز هذا فيما حقُّه هذا الجمع .

والأوّل موافقٌ لكلام أبى على (فى إيضاح الشعر) دون الثانى . قال فى باب ماجُعلت فيه النون المفتوحة اللاحقةُ بعد الواو والياء فى الجمع حرفَ إعراب ، بعد أَنْ أنشد جميع الأَبيات الآتية :

اعلم أَنَّ هذه النون إذا جُعلت حرفَ الإعراب صارت ثابتة فى الكلمة فلم تُحذف فى الإضافة ، كما لا تحذف نون فِرْسِنٍ ورَعْشَن

(١) معانى الفراء ٢ : ٩١ وأمالى ابن الشجرى ٢ : ٥٣ وابن يعيش ٥ : ١١ والعينى ١ : ١٦٩ والتصريح ١ : ٧٧ والأشمونى ١ : ٨٦ واللسان (سنه ٣٩٥) .

ونحوه وإن كانت زائدة ، ويكون حرف اللين قبلها الياءَ ولا يكون الواوَ ، لأَنَّ الواوَ تدلُّ على إعراب بعينه ، فلم يجزْ ثباتها من حيث لم يجز ثباتُ إعرابَين فى الكلمة . فأمَّا من أَجاز ثَبات الواو فى هذا الضَّرب من الجمع وزعمَ أَنَّ ذلك يجوز فيه قياساً على قولهم زيتون ، فقوله بعيد[1] من جهة القياس ، مع أَنَّا لا نعلمه جاءَ فى شئٍ منهم . وذلك أَنَّ هذه الواو لم تكن قطُّ إعراباً كما فى مسلمون . وعلى ما ذهب إليه جاءَ التنزيل : ﴿ فى عِلِّيِّين[2] ﴾ . انتهى .

وما ذهب إليه الشارح المحقق هو ظاهر كلام الفرّاء عند تفسير قوله تعالى : ﴿ الذين جَعلوا القُرآنَ عِضِينَ[3] ﴾ قال : العضون فى كلام العرب : السِّحر . ويقال عضَّوْه أَى فَرَّقوه كما تُعضَّى الشاة والجزور ، وواحد العِضون عِضَة ، ورفعُها عضون ، ونصبُها وخفضُها عِضِين . ومن العرب من يجعلها بالياء على كلِّ حالٍ ويُعرب نونها ، فيقال هذه عِضينُك ومررت بِعضِينك وسنينك . وهى كثيرةٌ فى أَسد وتميم وعامر ، أَنشدنِى بعضُهم من بنى عامر :

ذرانى من نجدٍ فإِنَّ سنينه ... البيت

ثم قال بعد أَبيات مثلِها : وإِنَّما جاز ذلك فى هذا المنقوص الذى كان على ثلاثة أَحرف فنقصت لامه ، فلمَّا جمعوه بالنون وتوهَّموا أَنَّه فِعُول إذْ جاءَت الواو وهى واو جمع ، فوقعت فى موقع الناقص، فتوهَّموا أَنَّها الواو الأَصلية وأَنَّ الحرف على فِعُول . أَلا ترى أَنَّهم لا يقولون ذلك

(١) ط : « يبعد » ، وأثبت ما فى ش .
(٢) من الآية ١٨ فى سورة المطففين . ونصها : « لفى عليين » ، وحذف هذه الأحرف عند الاقتباس من القرآن جائز . انظر ما كتبت فى حواشى الحيوان ٤ : ٥٧ وتحقيق النصوص ٤٩ .
(٣) الآية ٩١ من سورة الحجر .

فى الصـــالحين والمسلمين وما أشبهه . وما كان من حـــرفٍ نقص من أوّله ، مثل زنة ودية ولِدة، فإنَّه لا يقاس على هذا . فما كان منه مؤنثاً أو مذكراً فاجرِه على التَّمام مثل الصالحين . انتهى كلامه .

وكذلك قال ابنُ الشجرى (فى أماليه) قال : ومنهم من جعل النون فى جمع سَنة حرف الإعراب وألزمَها الياءَ وأثبت النون فى الإضافة ، ورفَعَها وخفَضها ونوَّنها، تشبيهاً لها بنون غِسلين، فقالوا : أقمت عنده سنيناً ، وعجبت من سِنينِ زيد ، وأعجبتنى سنينُك . وأنشد البيت .

وهذا مخالف لصنيع ابن جنى (فى سرالصِّناعة) فإنَّه خَصَّه بالضرورة وجوَّزه فى الجمع الحقيقى .

وتبعه ابن عصفور فى (كتاب الضرائر) قال : ومن العرب من يجعل الإعراب فى النون من جمع المذكر السالم . وذلك كلُّه لا يحفَظ إلَّا فى الشعر ، نحو قول الفرزدق :

ماسدَّ حىٌّ ولا ميْتٌمسدَّهما إلَّا الخلائفُ من بعد النَّبِيِّين[1]

وقوله :

وإنْ أتمَّ ثَمانيناً رأيتَ له شخصاً ضئيلاوكلَّ السَّمعُوالبصرُ

وقوله :

٤١٣ وأنَّ لنا أبا حَسَنٍ عليًّا أَبٌ برٌّ ونحن له بنينُ[2]

(١) الكامل ٢٩٢ ، وابن يعيش ٥ : ١٤ ، والهمع ١ : ٤٩ . وليس فى ديوان الفرزدق .

(٢) لسعيد بن قيس الهمدانى كما سيأتى فى الشاهد ٥٨٨ . و « أن » تقرأ بفتح الهمزة ، كما سيأتى .

وقوله :

وماذا يدَّرى الشعراءُ منِّى .... البيت [١]

ووجْه ذلك إجراءُ جمع السلامة وما يجرى مجراه مجرى المفرد ، ولذلك ثبتت النون فى حال الإضافة ، كقوله :

ولقد ولدتَ بنينَ صدق سادةً ولأنتَ بعد الله كنتَ السَّيدا [٢]

وقول الآخر [٣] :

سِنِينى كلُّها لاقيتُ حَرْباً أُعدُّ مع الصَّلادمة الذُّكورِ

وقوله :

ذرانىَ من نجد فإنَّ سِنِينه . . . البيت . انتهى

ومن إعراب الجمع بالحركة قولُ الشاعر :

ربَّ حىٍّ عَرَنْدس ذى طَلَالٍ لا يزالون ضاربين القِبابِ [٤]

فضاربينَ منصوبٌ بالفَتحة على أنَّه خبر يزالون ، وهو مضاف للقباب . والحىّ : القبيلة . والعرندس ، كسفرجل : الشَّديد . والطَّلَال بفتح المهملة : الحالة الحسنَة ، والهيئةُ الجميلة .

---

(١) لسحيم بن وثيل الرياحى فى الأصمعيات ١٩ . وعجزه :
* وقد جاوزت حد الأربعين *

(٢) ابن يعيش ٥ : ١٢ .

(٣) هو قطيب بن سنان المجيمى. وانظر نوادر أبى زيد ١٦٢ ، ومجالس ثعلب ٣٢١ ، وابن يعيش ٥ : ١٢ .

(٤) ش : « القبابا » ، تحريف . وانظر المغنى ٦٤٣ والعينى ١ : ١٧٦ والهمع ١ : ٤٧ والتصريح ١ : ١٧ والأشمونى ١ : ٨٧ والهمع ١ : ٦١

ومثله قول الزمخشرى (فى المفصَّل) : وقد يجعل إعراب ما يجمع بالواو والنون فى النون ، وأكثر ما يجىءُ ذلك فى الشعر ، ويلزم الياء إذْ ذلك ، قالوا : أتت عليه سنين . وقال الشاعر :

دعانىَ من نجد فإن سنينه . . . البيت

وقال سحيم :

وماذا تدَّرى الشُّعراءُ منِّى ... البيت . انتهى .

قال شارحه ابن يعيش : اعلم أَنَّ من العرب من يجعل إعرابَ هذا الجمع فى النون بشرط أَن يلحقه نقصٌ كسنين . والشيخ قد أَطلقَ هنا ، والحقُّ ماذكرته . انتهى .

صاحب الشاهد — والبيت من قصيدةٍ للصِّمّة بن عبد الله القُشَيرى ، وبعده :

أبيات الشاهد — (لحَا الله نجداً كيف يتركُ ذا النَّدى
بخيلاً وحُرَّ الناس تحسَبُه عَبْدا[1]

على أَنَّ نجـدًا قد كسانىَ حُلَّةً
إذاَ مـارآنى جـاهلٌ ظنَّنى عَبـدا

سَـوادًا وأَخـلاقاً من الصُّوف بعدما
أُرانِى بنجـدٍ ناعمـاً لابساً بُردا

على أَنَّه قد كـان للعين قُـرَّةً
وللبيضِ والفتيـانِ منزلهُ حَمْـدا

سقى الله نجـداً من ربيع وصَيِّف
وجَـوْدٍ وتَشْـكاب سقَى مزنُهُ نجدا)

(١) الأبيات برواية أوفى عند العينى ١ : ١٧٠ — ١٧١ .

قال ابن هشام (في شرح الشواهد) : وكان من خبره ، أي الصمة ، أنَّه خطب ابنة عمِّه ، فاشتطَّ عمُّه في المهر عليه ، وبخِل عليه أبوه بالجِمال ، فَزُوِّجت من غيره ، فغضب من عمِّه وأبيه ، وخرج إلى طَبَرستان ، وهي مقَرُّ الديلم ، فأَقَام به[1] مدّةَ حياته إلى أن مات فيها . فلهذا تارةً يحنُّ إلى نجد ، وتارة يذمُّه . انتهى .

وقوله : (ذرانيَ من نجد) ويروى أيضاً : (دعانيَ من نجد) وهما بمعنى ، أي اتركاني من ذكر نجدٍ . ونجد من بلاد العرب . وهو خلاف الغور . والغور هو تهامة . وكلُّ ما ارتفع من تهامة إلى أرض العراق فهو نجد . وهو مذكَّر ، كذا في الصحاح .

والسنين : جمع سنة ، وهي هنا إمّا بمعنى العام وإمّا بمعنى القحط . ويقال : أرض بني فلان سنة ، إذا كانت مجدْبة . (وشيباً) حال من نا في «بنا» ، وهو بالكسر جمع أشيب : وهو الذي ابيضَّ شعره . (ومُردا) : حالٌ أيضاً من نا في شيَّبْننا ، وهو جمعُ أمردَ وهو الذي لا شعر بعارضيه .

وقوله : « لحا الله نجدًا » إلخ في الصحاح لحاه الله ، أي قبّحه ولعنه . ٤١٤ والنّدى : الجود . وروى بدله : « الغنى » . « وحُرٌّ » معطوف على ذا الندى ، وجملة تحسبه في موضع المفعول الثاني . وهذا البيت تعريضٌ بأَبيه وعمِّه .

ونقل ابن المستوفِي عن ثعلب ، أنَّ المراد من هذا البيت أنَّ عيش نجدٍ عيشٌ شديد ، لابدَّ أن يقوم بالمال فيه وإلَّا ضاع . وَنقَل عن ابن الأَعرابيّ أيضاً أنَّه ذمَّ نجدًا لِشِتائه وقيظِهِ . وهذا إنَّما يصحُّ مع قطع النظر عن

---

(١) الوجه « بها » ، كما عند العيني .

سَبَب الشعر . ونقل أيضاً عن أبى زيد البيتين المذكورين ، وأنَّه قال : ذمَّ نجْدًا لشدّة شِتائه وقيظه .

ولم أر فى ديوان أبى زيد[(١)] إلّا البيتَ الشاهد غير مشروح بهذا الشرح ، ونقله أبو على عن أبى زيد (فى التذكرة القصرية) ثم قال : [قال[(٢)]] ابن الهيصم ، هذا الشيخُ الكوفىُّ الذى يجلس إلى أبى حاتم . قال : أنشدنى أعرابىٌّ بالشام هذا البيت وقبله بيتاً آخر ، وهو :

(لحا الله نجدًا كَيف يتركُ ذا الغنى فقيراً وحُرَّ القَومِ تحسَبُه عَبْدا)

وهذا إنشاد طريف[(٣)] . وسمعت أيضاً هذا البيت بقصر ابنُ هُبيرة من أعرابىّ . انتهى .

وكأنَّه لم يقف على هذه القصيدة ولا على شىء من خبرها .

وقوله : « على أنَّ نجدًا »إلخ ، على هنا للاستدراك والإضراب ، وكذلك « على » الآتية . يريد أنَّه لمَّا تغرَّبَ وفارق نجدًا افتقر ، ولبِسَ الثِّيابَ الأَخلاقَ السُّودَ من الصُّوف[(٤)] . وناعماً : متنعِّماً مترفِّهاً .

وقوله : « وللبيض والفتيان » الجارّ والمجرور خبر مقدم ، ومنزله مبتدأٌ مؤخر ، وهو مضاف لضمير نجد . والبيض : النساءُ الحِسان . والفتيان : جمع الفتى ، وهو الشابُّ . والحمد هنا بمعنى المحمود . وهذا تشوُّقٌ منه إلى وطنه وتحزُّنٌ على مفارقته منه . ثم دعا له على طريقة

(١) قد يكون فى نوادر أبى زيد . على أن الشاهد لم يرد فى نوادر أبى زيد .
(٢) التكملة من ش .
(٣) ط : « ظريف » ، وأثبت ما فى ش مع أثر تغيير .
(٤) كلمة « من » ساقطة من ش .

العرب بقوله: « سقى الله نجداً »إلخ، وقوله: « من ربيع »أى من مطرِ ربيع، وجَوْد معطوف عليه، وهو بفتح الجيم: المطر الغزير. والمُزْن: السحاب.

والصِّمَّة شاعرٌ إسلامىٌّ فى الدولة المروانية، وهو بدوىٌّ، ولجدِّه مُرّة بن هبيرة صحبة مع النبي صلى الله عليه وسلم. وتقدَّم الكلام عليه وعلى نسبه فى الشاهد الخامس والستين بعد المائة[1].

من اسمه الصمة

وذكره الآمدى (فى المؤتلف والمختلف) فقال: هو الصِّمَّة بن عبدالله إلى آخر نسبه، ثم أورد له ثلاثة أبيات من شعره، وأوردَ صِمَّتينِ من الشعراء لبنى جُشَم: أحدهما صِمَّةُ الأكبر، وهو مالك بن الحارث. وثانيهما: صِمَّةُ الأصغر، وهو معاوية بن الحارث، أخو مالك بن الحارث ابن الصمة الأكبر. وهذا الأصغر هو أبو دريد بن الصِّمَّة، وكلاهما شاعر فارسٌ جاهلى.

والصِّمَّة بالكسرِ للصَّاد المهملة وتشديد الميم.

وقد أورد ابن الأعرابى (فى نوادره) البيت الشاهد فقط، ونسبه إلى محجن بن مزاحم الغنوى. والله أعلم.

* * *

وأنشد بعده، وهو الشاهد السادس والثمانون بعد الخمسمائة[2]:

٥٨٦ (وماذَا يدَّرِى الشُّعراءُ مِنِّى وقدْ جاوزْتُ حدَّ الأربعينِ)

لما تقدَّم قبله من أنَّه معرب بالحركة على النون.

قال المبرد (فى الكامل) عند قول الفرزدق:

---

(١) الخزانة ٣: ٦٢.

(٢) ابن سلام ٥٩، والمقتضب ٣: ٣٣٢/٤: ٣٧ والكامل ٢٩٣ وابن يعيش ٥: ١١، ١٣، والعينى ١: ١٩١ والتصريح ١: ٧٧ ٧٩ والهمع ١: ٤٩ والأشمونى ١: ٨٩ والأصمعيات ١٩.

إنِّى لباكٍ على ابنَىْ يوسفٍ جزعاً ومثلُ فقدهما للدِّين يُبكينى
ما سدَّ حىٌّ ولا ميْتٌ مَسَدَّهما إلَّا الخلائفُ من بعدِ النَّبِيِّينِ[1]

٤١٥ وابنا يوسف هما محمد أخو الحجاج السفَّاك ، ومحمد ابنه ، فإنَّه جاءهُ نعْىُ أَخيه يوم مات ابنه .

قال : أمّا قوله : « من بعد النبيِّينِ » فخفضَ هذه النونَ وهى نونُ الجمع ، وإنَّما فعل ذلك لأنَّه جعل الإعراب فيها لا فيا قبلها ، وجعل هذا الجمعَ كسائرِ الجمع ، نحو أَفْلُسٍ ومساجدَ وكلاب ، فإنَّ إعراب هذا كإعراب الواحد . وإنَّما جاز ذلك لأنَّ الجمع يكون على أبنيةٍ شتَّى ، وإنَّما تلحق منه منهاج التثنية[2] ما كان على حدِّ التثنية ، لا يكسَّر الواحد عن بنائه[3] ، وإلا فإنَّ الجمع كالواحد لاختلاف معانيه ، كما تختلف معانى الواحد ، والتثنية ليست كذلك ، لأنَّها ضرب واحد لا يكون اثنان أكثر من اثنين عدداً كما يكون الجمع أكثر من الجمع .

فممَّا جاء على هذا المذهب قولهم : هذه سنينٌ فاعلم ، وهذه عشرينٌ فاعلمْ ، قال العَدْوانى[4] :

إنِّى أَبِىٌّ أَبِىٌّ ذو محافظة وابن أَبِىٍّ أَبِىٍّ من أَبيِّينِ
وأَنتُم معشرٌ زَيدٌ على مائة فأَجمعُوا كيدكم كُلاًّ فكيدونى[5]

وقال سُحيم بن وَثيل :

---

(١) رواية الكامل : « بعد النبيئين » بالهمز .

(٢) الكامل : « وإنما يلحق منه بمنهاج التثنية » .

(٣) ش : « على بنائه » ، صوابه فى ط والكامل .

(٤) ذو الإصبع . وانظر المفضليات ١٦٠ ، ١٦٣ .

(٥) الذى فى الكامل والمفضليات : « طرا فكيدونى » .

(وماذا يدّرى الشُّعراءُ منِّى   وقد جاوزتُ رأْسَ الأَربعينِ
أَخو خمسينَ مجتمِعٌ أَشُدِّى   ونجَّذنى مداورةُ الشئُونِ)

وفى كتاب الله [تعالى[1]] : ﴿ إلَّا من غِسْلين[2] ﴾. فإنْ قال قائل: فإنَّ غسلين واحد. فجوابه أنَّ كلَّ ماكان على بناءِ الجمع فإعرابه إعراب الجمع. ألا ترى أنَّ عشرين ليس لها واحدٌ من لفظها، فإعرابها[3] كإعراب مسلمين، وواحدهم مسلم. وكذلك جميع الإعراب.

ويقولون : هذه فِلسطُونَ يافتى ، ورأيت فلسطينَ يافتى ، وهذا القولُ الأَجود. وكذلك يبرين ويبرُون يافتى. وكلُّ ما أشبه هذا فهو بمنزلته، تقول : هذهِ قِنَّسرون ، ورأيت قِنَّسرِين. والأَجود فى هذا البيت :

وشاهدُنا الجُـلُّ والياسَمو   نَ والمُسمِعاتُ بقصَّابِها[4]

وفى القرآن مايصدِّق ذلك ، قول الله عز وجل : ﴿ كلا إنَّ كتابَ الأَبرارِ لَفِى عِلِّيِّينَ. وما أدراكَ ماعِلِّيُّون[5] ﴾. انتهى.

وذهب ابن جنى إلى أنَّ تلك الكسرة للضرورة ، والإعرابُ إنَّما هو بالياءِ. قال (فى سر الصناعة) : فأَمَّا قول سُحيم بن وَثيل :

* وقد جاوزت حـدَّ الأَربعينِ *

فليست النون حرف إعراب ، ولا الكسرة فيها علامة جرِّ الاسم ،

---

(١) هذه من ش. وفى الكامل : «عز وجل».
(٢) من الآية ٣٦ من الحاقة.
(٣) فى الكامل : «وإعرابها».
(٤) للأعشى فى ديوانه ١٢١ واللسان (قصب ١٦٩ جلل ١٢٨).
(٥) الآية ١٨ ، ١٩ من سورة المطففين.

وإنَّما هى حركةُ التقاءِ الساكنين ، وهما الياءُ والنون ، وكسرت على أَصل حركة التقاءِ الساكنين، ولم يفتح كما يفتح[1] نون الجمع، لأَنَّ الشاعر اضطُرَّ إلى ذلك لئلاَّ تختلف حركة الرويِّ فى سائر الأَبيات .

ويدلك على أَنَّ الحركة التى هى الكسرة ليست جرًّا قولُ الشاعر :

* وابنُ أَبىٍّ أَبىٌّ من أَبيِّينِ *

فأَبيُّون جمع أَبىّ ، مثل ظريفون من ظريف . فكما لا شَكَّ[2] أَنَّ كسر نون أَبيِّين إنَّما هى لالتقاء الساكنين ، لأَنَّه جمع تصحيح ، فكذلك ينبغى أن تكون كسرة نون الأَربعين . وكذلك قول الفرزدق :

* إلاَّ الخلائفُ من بعد النبيينِ *

وهذا أيضاً جمع نبىّ على الصحة لا محالة ، فكسرة نون الجمع فى هذه الأَشياء ضرورة ، وأُجريت فى ذلك مجرى نون التثنية . انتهى .

وكذلك قال (فى إعراب الحماسة) ، عند قول الشاعر[3] :

أَقول لمَّا أَرى كعباً ولحيتَهُ	لا باركَ اللهُ فى بضعٍ وستِّينِ[4]
مِنَ السِّنينَ تملَّاها بلا حسب	ولا حياءٍ ولا عقلٍ ولا دينِ

٤١٦

قال : كان أَبو العباس يذهب فى قول سُحيم :

* وقد جاوزت حَدَّ الأَربعينِ *

إلى أَنَّه أخرجَه على أَصل التقاءِ الساكنين ، وهو الكسرة ضرورة. ويؤكِّد ذلك ههنا أَيضاً قوله بعده: « مِن السنين » فجاءَ بِمِن المرادة فى

---

(١) ش : « كما تفتح » .

(٢) ش : « كما لا شك » .

(٣) الشاعر مجهول . وانظر إعراب الحماسة لابن جنى الورقة ٢١٤ — ٢١٥ .

(٤) فى الحماسة وإعراب الحماسة : « أقول حين أرى » . وش : « أقول أنى » .

جميع التفاسير من أحد عشر إلى تسعة وتسعين . ألا تَرى أنَّ أصل حركة عشرين درهماً[١] إنَّمَا هو عشرون من الدَّراهم ، فمجيئه بالتمييز على أَصله يؤنسك بأَنَّ كسر نون السنين من قبلها هو أَيضاً خروجٌ فيها عن الأَصل[٢] ، غير أَنَّ النون فى السنين الثانية مفتوحة على الاستعمال ولم يضطر إلى كسرها ، كما يضطرُّ فى القافية قبلها[٣] . انتهى .

وأَراد بأَبى العباس المبرِّدَ، وقد نقلنا كلامه ، وليس فيه مانقله عنه ، وكلامه بعده غير واضح . انتهى أَيضاً فتأَمَّلْه .

وسحيم بن وثيل شاعرٌ إسلامى ، تقدَّمت ترجمته فى الشاهد الثامن والثلاثين من أَوائل الكتاب[٤] مع شرح عدّة أبياتٍ من هذه القصيدة . وهذا البيت قبلَ البيتين اللذين أَوردهما المبرد :

(عذرتُ البُزْلَ إنْ هى خاطرتْنى فما بالى وبالُ ابنَىْ لبونِ)

البُزل : جمع بازل، وهو المسنُّ من الإبل . وضربه مثلًا . يقول: عذَرت المسانَّ من الشعراءِ إذا تعرَّضُوا لِى وهاجَوْنى ، فكيف بغلامين حديثين ؟ ! يعنى الأُبيرِد[٥] والأَخْوَصَ[٦] ، وكانا تعرَّضا له .

---

(١) فى إعراب الحماسة : « أن أصل عشرين درهماً » .
(٢) إعراب الحماسة : « على الأصل » .
(٣) إعراب الحماسة : « ولم يضطر فى كسرها كما اضطر فى القافية قبلها » .
(٤) الخزانة ١ : ٢٥٥ — ٢٧٠ .
(٥) ط : « الأبرد » ، صوابه فى ش والأصمعيات والأغانى ١٠ : ١٣ : ١٧ . والأبيرد ، بهيئة التصغير ،وهو الأبيرد بن المعذر بن قيس بن عتاب بن هرمى بن رياح بن يربوع بن حنظلة . الأغانى والمؤتلف ٢٤ .
(٦) الأخوص هذا بالخاء المعجمة كما فى ش . وجاء فى ط « الأحوص » بحاء مهملة خطأً . والأخوص لقب له، واسمه زيد بن عمرو بن قيس بن عتاب بن هرمى بن رياح بن يربوع . وقد سبقت ترجمته فى ٤ : ١٦٤ .

وقوله : (وماذا يَدَّرِى الشعراءُ) إلخ ، يَدَّرى بالدال المهملة ، يقال ادَّراه يدَّريه ، إذا ختله وخدعه . يقول : كيف يطمع الشعراءُ فى خديعتى وقد جاوزت أربعين سنة وقاربت الخمسين ، وقد اجتمع أَشُدِّى وجَرَّبت وعرفت الخديعة والمكر ، فلا يتم علىّ شىءٌ . و « الشئون » : جمع شأْن . ومداورتها : التقلُّب فيها والتصرُّف . و«نجَّذ» بالذال المعجمة ، أى أحكم ، يقال رجل منجَّذٌ ، إذا كان قد جرَّب الأُمور ، ونجَّذته الأُمورُ ، إذا أحكمته ، كما يقال حنَّكته التجارب . والناجذ : آخر الأَضراس ، ويقال له ضِرس الحُلم . ومن ذلك قولهم : ضحك حتَّى بدت نواجذه .

واجتماع الأَشُدِّ عبارةٌ عن كمال القُوَى وتمام العقل .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد السابع والثمانون بعد الخمسمائة [١] :

٥٨٧ (غِراثُ الوُشْح صامِتةُ البُرِينِ)

لما تقدَّم قبله ، من أنَّه معرب بالحركة على النون .

وهو جمعُ بُرة بضم الباء ، قال فى الصحاح : كلُّ حلْقةٍ من سِوار وقُرط ، وخَلخال ، وماأشبهها بُرَة . قال :

* وقعقعن الخلاخلَ والبُرينا [٢] *

والبُرَة أيضاً : حلْقة من صُفْر تجعل فى لحم أنف البعير . وقال الأصمعى : تُجعل فى أحد جانبى المنخرين . قال : وربَّما كانت البرة من شَعَر ، فهى الخِزامة .

---

(١) ديوان الطرماح ١٧٧ .

(٢) ش : « والبرين » ، صوابه فى الصحاح واللسان (برا) .

قال أبو على : أصل البرة بَرْوة لأنَّها جمعت على بُرًى مثل قرية وقُرًى ، ويجمع بُراتٍ وبُرين . انتهى .

والصواب أنَّ أصلها بُروة بضم الباء لا بفتحها ، نحو غرفة وغرف ، وخُصلةٍ وخُصَل .

وهذا المصراع عجزٌ ، وصدره :

(حسانُ مواضعِ النُّقَبِ الأعالى)

وقد أورده أبو على (فى كتاب الشعر) مع أبياتٍ أُخَر على طرْز ٤١٧ البُرِينِ ، من قصيدة هذا البيتِ وغيرها ، ثم قال : وقد كثُر هذا الضرب من الجمع ، حتَّى لو جُعِل قياساً مستمرًّا كان مذهباً . انتهى .

والبيت من قصيدةٍ للطِّرِمَّاح ، عدّتُها سبعون بيتاً كلُّها غزلٌ ونسيب . صاحب الشاهد وقبله :

(ظعائنُ كنتُ أَعهدُهُنَّ قِدْماً وهنّ لدى الأَمانةِ غيرُ خُونِ)

وبعده :

(طِوالٌ مثل أعناق الهوادى نواعمُ بين أَبكار وعُونِ[1])

والظعائن : جمع ظعينة ، وهى المرأة مادامت فى الهودج . والعَهد : الحفظ بالبال . وقِدماً بكسر القاف وسكون الدال ، قال فى الصحاح : يقال قِدماً كان كذا وكذا ، وهو اسم من القِدَم جُعل اسماً من أسماءِ الزمان . وخُون : جمع خائنة . وجملة « وهنَّ لدى الأَمانة » إلخ حال من مفعول أعهدهنّ .

---

(١) فى الديوان : « مشك أعناق الهوادى » ، وصوابهما جميعاً « متل » بالميم المكسورة بعدها تاء مثناة فوقية فلام مشددة . وانظر ما سيأتى من تحقيق .

وقوله : « حِسانُ مواضع » إلخ ، جمع امرأة حَسَنة بمعنى حسناء . والنُّقَب ، بضم ففتح : جمع نُقبة بسكون الثانى ، هو اللون والوجه . كذا فى الصحاح[١] . وأراد بالأعالى مايظهر للشمس من الوجه والعنق وأطرافِه فإنَّها مع ظهورها للشمس والهواء والحرِّ والبرد ، إذا كانت فى غاية الحسْن والصفاء ونهاية اللُّطف ، فغيرها يكون أحسنَ . وغِراث: جمع غَرثان ، بمعنى الجوعان ، وأراد لازِمَه وهو الهزيل ، اللازم من الجوع . والوُشْح بالضم : جمع وِشاح بالكسر والضم ، وهو شئٌ ينسج عريضاً من أديم ويرصَّع بالجواهر ، وتشدُّه المرأة بين عاتقيها وكشحيها . قال فى الصحاح : وامرأة غرثَى الوشاح ، أى دقيقة الخصر لا يملأُ وِشاحَها ، فكأنَّه غَرثان .

وصامته أى ساكتة . وسكوت البرة كناية عن امتلاء ساقيها لحماً ، بحيث لا يتحرَّك ليسمع له صوت . والبرة هنا : الخلخال .

وقوله :« طوال مثل» إلخ، هو جمع طويل وطويلة . والمثل[٢] :الشِّبه . أراد تشبيه أعناقهنَّ بأعناق الظباء . ورواه المولى خُسرو (فى حاشيته على البيضاوى) بفتح الميم والشين المعجمة وتشديد اللام ، على إضافة طِوال إليه . قال : والمَشَلّ : مَفعَل من شللت الثوب ، أى خِطته ، والمراد به مايستر الأعناق . هذا كلامه ، وتبعه خَضرٌ الموصلىّ (فى شرح شواهد

---

(١) تفسير الجوهرى هذا لا علاقة له بالبيت ، وإنما هو تفسير عام . ولا يصح هنا . وأراه يعنى بمواضع النقب ما يقابل الوشح والبرين فى عجز البيت ، أى ما يلقَى عليه النقاب والوشاح والبرة . فالنقب : هنا بضمتين جمع نقاب ، وهو قناع المرأة تنتقب به ، ولكن هكذا قيده البغدادى وفسره بهذا القيد .

(٢) ش : « ومثل » .

التفسيرين) ، ولا يخفى أن هذا تعسّفٌ من تصحيف[1] . والهوادى : الظِّباءُ وبقر الوحش المتقدِّمة . والنواعم : جمع ناعمة ، وهى الليِّنة فى اللَّمْس . والعُون : جمع عَوان ، قال الجوهرى : العوان : النَّصَف فى سنِّها من كل شىءٍ ، أى المتوسِّطة .

وقد أورد هذا البيت (فى التفسيرين) شاهداً على أنَّ العوان فى قوله تعالى: ﴿عَوانٌ بين ذلك[2]﴾ بمعنى النَّصَف، بينَ الحديثة والمسنّة . قال خضرٌ الموصلى : وتوقَّف بعضهم فى الاستشهاد ، لأَنَّ بين يوصف بها الوسط وتضاف إلى متعدِّدٍ ،هما الطرفانِ لذلك الوسط ، وفى البيت الموصوفُ ببيْنَ هو النواعم، والمتعدِّد الذى أُضيفت هى إليه الأَبكار والعُون فلزم[3] أن يكونا طَرَفاً، والنَّواعمُ وسطاً ، فلم يدلَّ على أن العوان النَّصَف، بل على ضدِّه وهو الطَّرَف .

وأجاب عنه بعض الفضلاء بأَن بين هنا مستعملةٌ للتنويع ، كما يقال : مركوبُ فلانٍ مابين البَغْل والفرس ، أى مركوبه نوعان : بغل وفرس، فيكون المعنى أَنَّ الممدوحاتِ نواعمُ بعضُها أَبكارٌ وبعضها عُونٌ . ولاشكَّ ٤١٨

(١) أقول : هاتان الصورتان « مثل » و« مشل » والصورة الثالثة التى وردت فى الديوان « مشك » من العسير قبولها . والذى أرى أن توجه إليه الرواية والتفسير هو « طوال متل » بكسر الميم بعدها تاء مثناة فوقية كما أسلفت فى الحاشية رقم (١) وبإضافة طوال إلى « متل » . ونظيره من الشعر القديم قول عمرو بن عمار النهدى ، وأنشده سيبويه فى كتابه ١ : ٨١ بولاق و١ : ١٦٢ من نسختى :

طويل متل العنق أشرف كاهـــلا أشـق رحيب الجـوف معتدل الجرم

قال ابن منظور : « عنى ما انتصب منه » . وقال الشنتمرى بعد أن ذكر أن البيت فى وصف فرس : « والمتل : العنق الطويل ، الغليظ المفرز . وأضافه إلى العنق لتبيين نوع المتل ، فكأنه قال : طويل الشىء المتل الذى هو العنق » .

(٢) من الآية ٦٨ من سورة البقرة .

(٣) ش : « فلزما » ، والوجه ما أثبت من ط .

أنَّها هى المتوسطات فى السِّنّ ، وأما الصِّغَار اللاتى فى سنّ الطُّفوليَّة فلا يميل الطبعُ إليهنّ ، وكذا المسنّات . فالتوسُّطُ معلومٌ من المقام .

أقول : إنّما يتمّ الجوابأنْ لو استعملَ بين الّى للتنويع بغير ما ، والاستعمال يشهد أنَّه لابدَّ منها ، فيقال مركوب فلان مابين بغل وفرس ، وثيابه مابين خَزٍّ وحرير ، ولا يقال بين ،كما صرَّح به النحاس .انتهى .

الطرماح بن حكيم

والطرمَّاحُ هو الطِّرِمَّاح بن حَكيم الطائى ، شاعر إسلامى فى الدولة المرْوانيّة ، ومولده ومنشؤه بالشام ، ثم انتقل إلى الكوفة مع مَنْ وردها من جيوش أهل الشام ، فاعتقد مذهب الشُّراة الأَزارقةِ ، وذلك إنه لما قدمها نزل على تَيْم اللات بن ثعلبة ، وفيهم شيخٌ من الشُّرَاةِ له سِمةٌ وهيئة ، فكان يجالسُه ويسمع منه ، فدعاه إلى مذهبه فقبِله منه ، واعتقدَهُ أشَدَّ اعتقادٍ حتّى مات عليه .

قال ابن قتيبة(١) : كان الكميت بن زيد صديقاً للطرماح لايتفارقان فى حال من الأَحوال ، فقيل للكميت : لاشىء أعجبُ من صفاءِ ما بينكما على تباعُد ما بينكما من النسب والمذهب والبلاد ، وهو شامىٌّ قحطانىٌّ خارجىٌّ ، وأنت كوفىٌّ نِزارىٌّ شِيعى(٢) ، فكيف اتفقتما مع تباين المذهب وشدَّة العصبية ؟! فقال : اتفقنا على بُغضِ العامَّة .

والطِّرِمّاح بكسر الطاء والراء المهملتين وتشديد الميم ، وآخره حاءٌ مهملة ووزنة فِعِمّال ، فالميم زائدة(٣) .

(١) لم أجد النص التالى فى الشعر والشعراء ، فلعله من كتاب له آخر .

(٢) ط : «وأنت نزارى كوفى شيعى» .

(٣) أقول : مع زيادة الميم لم لا يكون وزنه فعلال ؟ من قولهم : طرمح البناء وغيره : علاه ورفعه .

ولم نذكر بقية نسبه لأنَّ فى ألفاظها غرابة وغموضاً يحتاج إلى ضبط يطول به الكلام ، ولا فائدة فيه .

والشُّراة بضم الشين : الخوارج ، الواحد شارٍ ، كقضاة جمع قاض ، سمُّوا بذلك لقولهم : إنَّا شَرَيْنا أنفسنا فى طاعة الله ، أى بعناها بالجنَّة ؛ حين فَارقْنا الأَئمَّةَ الجائرة . يقال منه تشَرَّى الرجل . كذا فى الصحاح .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثامن والثمانون بعد الخمسمائة[1] :

٥٨٨ (وأنَّ لنا أَبا حسنَ عَليًّا أَبٌ برٌّ ونحن له بنينُ)

لما تقدَّم قبله ، فإنه رفع (بنينُ) بالضمة على النون مع لزوم الياء .

وأورده ابن عصفور (فى كتاب الضرائر) وقال : إنَّه ضرورةٌ لايُحفظ إلَّا فى الشعر .

وجعله خطأً أبو العباس المبرد (فى كتاب الرَّوضة) ، وخطَّأَ قول أبى نواس :

شَمولٌ تخطَّاها المنونُ فقد أَتَتْ سنينٌ لها فى دنِّها وسِنينُ[2]

ولحنَّه فى قوله بعد هذا :

* تخيَّرها بعد البنينَ بنونُ[3] *

---

(١) الضرائر ٢١٩ العينى ١ : ١٥٦ ، والتصريح ١ : ٧٧ .

(٢) ديوان أبى نواس ٣٣٨ من قصيدة مطلعها :

لمن طلل عارى المحل دفين عفا عهده إلا خوالد جون

(٣) البيت بتمامه فى الديوان :

تراث أناس عن أناس تخرموا توارثها بعد البنين بنون

لأنّه جمع فى الكلمة إعرابين: إعراباً بالحرف ، وإعراباً بالحركة.
وهو غير مسموع فى كلام العرب .

وتقدّم الكلام على مثله قريباً ، وهو قوله :

ذرانىَ من نجد فإنّ سنينه . . . البيت

وقوله : (وأنّ لنا) بفتح الهمزة ، لأنّه معطوف على قوله :

* بأنّا لا نزال لكم عدوّا *

فى بيت قبله كما سيأتى .

ورواه ابن عقيل وابن هشام فى شرح الألفية :

(وكان لنا أبو حسن علىٌّ أباً برّا ونحن له بنينُ)

ولنا كان فى الأصل نعتاً لقوله أب ، فلما قدّم عليه صار حالاً منه .
ونحن مبتدأ وبنين خبره ، وصفته محذوفة بدليل ماقبله ، والتقدير :
ونحن له بنين أبرار ، ولولا هذا التقدير لخلا الحَمْلُ من فائدة .
وروى أيضاً :

ألم تر أنّ والينَا عليًّا أبٌ برٌّ . . . إلخ

٤١٩ والوالى: مِنْ ولىَ الأمرَ يليه ولاية، بكسر اللام فيهما وكسر الواو[1] .
والبَرُّ بالفتح، قال صاحب المصباح : برَّ الرجلُ يَبَرُّ بِرًّا وزان عِلم يعلَم
علماً فهو بَرٌّ بالفتح ، وبارٌّ أيضاً، أى صادق أَوْ تقىٌّ، وهو خلاف الفاجر،
وجمع الأوّل أبرار ، وجمع الثانى بررة، مثل كافر وكفرة[2] . وبَرِرْت

---

(١) وقيل الولاية ، بالفتح : المصدر . وبالكسر : الاسم مثل الإمارة والنقابة، وقيل بكسر الواو وفتحها فى الولاية مصدرا .

(٢) بعده فى المصباح : « ومنه قوله للمؤذن : صدقت وبررت ، أى صدقت فى دعواك إلى الطاعات ، وصرت باراً . دعاء له بذلك ، ودعاء له بالقبول . والأصل: بر عملك » .

والدى أَبَرُّه بِرًّا وبُروراً : أَحسنت الطاعة إليه ، ورفقت به ، وتحرَّيت محابَّه وتوقَّيت مكَارهه . وبرَّ الحَجُّ واليمينُ والقولُ بِرًّا أَيضاً فهو برٌّ وبارٌّ أَيضاً . ويستعمل متعدِّياً أَيضاً بنفسه فى الحج ، وبالحرف فى اليمين والقول ، فيقال بر الله الحجَّ يبرُّهُ بروراً أى قبله . وبررتُ فى القول واليمين أَبَرُّ فيهما بُروراً أَيضاً ، إذا صدقتَ فيهما ، فأَنا برٌّ وبارٌّ . وفى لغة يتعدَّى بالهمزة فيقال أَبرَّ الله الحجَّ ، وأَبررت القولَ واليمينَ . والبِرّ بالكسر : الخير والفضل ، والمبرَّة مثلُه . انتهى .

صاحب الشاهد

والبيت من أبيات لسعيد بن قيس الْهَمْدانى قَالها فى أَحد أَيّام صفِّين وذلك أَنَّ معاوية دعا أَهلَ الشام فقال : إنَّ عَليًّا يخرج فى سَرَعان الخيل فمن ينتدبُ له ؟ فقام عبد الرحمن بن خالد فقال : أَنا له . فقال له معاوية : اقعُدْ فلم أَعهدْك خفيفاً . فقال عبد الرحمن العكِّىُّ : أَنا له . فقال له معاوية : أَنت له لولا عَجَلتُك فى الحرب . فقال عمرو بن الحُصين السَّكونى : أَنا له . فقال : أَنت له حقًّا ! فخرج فى عكٍّ والصَّدِفِ ، وخرج علىٌّ رضى الله عنه كعادته ، فترقَّبه السَّكونِىُّ وحمل عليه من خلفِه ، فلمَّا كاد أَن يطعنه اعترضه سعيدُ بن قيسٍ الهمْدانى فطعنه طعنةً قصَم بها صُلبه ، فالتفت علىٌّ رضى الله عنه فرأَى السَّكونىَّ صريعاً . ثم قتل سعيدُ بن قيس رجلاً من ذى رُعَين ، فجزِع عليهما معاوية جزعاً شديداً ، فقال سعيدُ بن قيس هذه الأَبيات [1] :

(لقد فُجعتْ بفارسها رُعينٌ ... كما فُجعت بفارسها السَّكونُ
غداةَ أَتى أَبا حسَن عليًّا ... وأُمُّ النَّقعِ مُشبِلةٌ طَحُونُ

(١) الأبيات لم ترد فى وقعة صفين .

ليطعُنَه فقلت له خُذَنْها	مُسوَّمةً يخِفُّ لها القَطينُ
أقول له ورُمحى فى صَلاهُ	وقد قرَّت بمصرعه العيونُ
ألا ياعَمرو عمرَو بنى حُصَين	وكلُّ فَتًى ستدركه المنونُ
أترجو أنْ تنال إمام صِدق	أبا حسن، وذا ما لا يكونُ
لقد بكت السَّكونُ عليك حتّى	وهَتْ منها النَّواظرُ والجفونُ
ألا أبلغْ معاويةَ بنَ حرب	ورَجمُ الغيب يكشِفهُ اليقينُ
بأنَّا لا نزال لكم عدوًّا	طَوَالَ الدَّهر ماسُمِع الحنينُ
ألم تر أنَّ والينَا عليًّا	أبٌ برٌّ ونحن له بنينُ
وأنَّا لا نريد سواه يومًا	وذاك الرُّشدُ والحقُّ المبينُ
وأنَّ له العراقَ ، وكلُّ كبش	حديد القَرْن ترهبُه القُرونُ)

والعكّى : نسبةٌ إلى علكٍّ بفتح المهملة : أبو قبيلة من اليمن، وهو عَكٌّ بن عدنان بن عبد الله بن الأَزد .

والسَّكونى: نسبة إلى السَّكون بفتح السين المهملة ، أبو قبيلة عظيمة من اليمن ، وهو السَّكون بن أشرسَ بن ثور . ويقال لثَور : كِندة ، وإليه ينتسب امرؤ القيس .

٤٢٠ والصَّدِف ، بفتح المهملة وكسر الدال : بطنٌ من كندة ينسبون اليوم إلى حضرموت . وإذا نسبت إليه فقلت صَدَفىٌّ فتحت الدال .

وهمْدان ، بسكون الميم : أبو قبيلة عظيمة باليمن .

وذو رُعين بالتصغير : بطن من حمير، وهو ذو رعين بن سهل بن زيد . كذا فى الجمهرة[1] . وقد تجوّز الشاعر فى حذف ذى منه

(١) يعنى جمهرة ابن الكلبى . الكن فى جمهرة ابن حزم ٤٣٣ : « بن زيد بن سهل بن عمرو ابن قيس » .

وفُجِعت فى الموضعين بالبناءِ للمفعول ، من فجعه ، فى ماله وأهله ، أى أصابه بالرزيَّة . والفجيعة : الرزيَّة ، وفعله من باب نفع . وأمُّ النَّقْع أراد بها الحرب . والنقْع بالنون والقاف : الغُبار . ومُشْبلة : اسم فاعل من أشبل عليه أى عطف . وأشبلت المرأة بعد بَعْلها : صبرت على أولادها فلم تتزوَّج. ولَبوةٌ مشبلٌ ، إذا مشى معها أولادُها . والشِّبل بالكسر : ولد الأَسد . وطحون : مبالغة طاحنة ، أى مهلكة .

والضمير فى « خُذَنها » راجعٌ إلى الطعنة المفهومة من قوله ليطعُنه . والمسوَّمة : المرسلة ، من قولهم : سوَّم فيها الخيل ، إذا أرسلها . ومنه السائمة . ويخِفُّ : يرحل ويُسافر . والقطين : جمع قاطن ، وهو المقيم .

والصَّلا ، بفتح الصاد والقصر : العجزُ ، وفى الأَصل هو مَغرس الذنَب من الفرس ، ومنه ، قيل : أُخِذت الصلاة . والمَصْرَع [1] : المَهْلك . ووهت : ضعفت . وقوله : ﴿ رَجْماً بالغيب [2] ﴾ ، أى ظنًّا من غير دليل ولا برهان .

وقوله : « بأَنَّا » ، متعلق بأَبلغْ . والعدوُّ : خلاف الصديق ، يقع على الواحد المذكر والمؤنث والمجموع . وطَوَال الدَّهر بفتح الطاء ، أى طُولَه . والحنين هنا : حنين الناقة ، وهو صوتها فى نزاعها إلى ولدها . والقَرن فى الموضعين ، بفتح القاف [3] . وجملة ترهبه حاليَّة .

(١) ط : « المسرع » ، صوابه فى ش .

(٢) كذا فى النسختين ، ولعله أراد أن يفسر الشعر على ضوء تفسير الآية الكريمة ، وما ورد فى نص الشعر فى البيت الثامن « ورجم الغيب » . وهى الآية ٢٢ من سورة الكهف .

(٣) القرن الأول : روق الكبش ونحوه . وواحد القرون ، بالضم ، قرن أيضاً بفتح القاف ، وهو سيد القوم ورئيسهم . فهذا ما أراده ولم يفسره .

سعيد بن قيس الهمدانى

وسعيد بن قيس الهمدانى من أَصحاب علىّ رضى الله عنه ، ولم أَر له ذكراً فى كُتب الصحابة [١] ، وإنَّما هو تابعى .

قال ابن الكلبى : السَّبيع : بطنٌ من همْدان . ومن السَّبيع : سَعيد [٢] ابن قيس بن زيد بن مرِب بن معديكرب بن أَسيف بن عمرو بن سَبُع بن السَّبيع . انتهى .

وهمدان بسكون الميم : قبيلةٌ عظيمة باليمن ، وهو لقب ، واسمه أَوسَلة .

والسَّبيع بفتح السين المهملة وكسر الموحَّدة .

ومَرِب بفتح الميم وكسر الراءِ المهملة بعدها موحّدة .

ولمَّا لم يقف العينىُّ على ماقبل البيت الشاهد ولا على ما بعده ظنَّ أَنَّ البيت لأَحدِ أولادِ علىٍّ رضى الله عنه .

* * *

وأنشد بعده :

(متَى كنَّا لأُمِّكَ مقتوينا)

على أَنَّه حُكى عن أَبى عبيدة وأَبى زيد جعلُ نون مقتوينا محلَّ تعاقب الإعراب بالحركة . فالأَلف هنا بدل من التنوين .

وهذه عبارة أَبى زيد (فى نوادرِه) : رجل مقتوَينٌ ورجال مقتوينٌ [٣] ، وكذلك المرأة والنساءُ ، وهو الذى يخدم القومَ بطعام بطنه . وقال عمرو ابن كلثوم :

---

(١) ط : « فى كتاب الصحابة » ، صوابه فى ش .

(٢) ط : « سعد » ، صوابه فى ش وجمهرة ابن حزم ٤٣٦ .

(٣) فى نوادر أبى زيد ١٨٨ : « رجل مقتوين ورجلان مقتوين ورجال مقتوين » .

تَهدَّدْنا وأوعِدنا رويدًا   متى كنَّا لأُمِّك مقتوَينا

الواو مفتوحة وبعضهم يكسرها ، أى متى كنَّا خدماً لأُمِّك . هذا كلامه .

وقد شرحه[١] أبو على (فى كتاب الشعر)[٢] وقال : النون حرف الإعراب . ونقله عنه وعن أبى عبيدة . وضبط الميم بالفتح والضمّ . وتقدم كلامه منقولاً بتمامه فى الشاهد الثالث والخمسين بعد الخمسمائة من باب المذكر والمؤنث[٣] .

وقال أبو الحسن الأخفش فى شرحه لها : هذا القياس[٤] وهو مسموع من العرب أيضاً ، فتح الواو من مُقتوَين، فتقولُ مُقتوَينَ ، فيكون الواحدُ مُقتَوًى، فاعلمْ[٥] ، مثل مصطفًى فاعلم[٦] ، ومصطفين إذا جمعت . ومن قال مُقتوِين فكسر الواو فإنَّه يفرده فى الواحد والتثنية والجمع والمؤنَّث ، لأنَّه عنده مصدر ، فيصير بمنزلة قولهم : رجل عدلٌ وفِطر وصَوم ورضًا[٧] وما أشبهه . ويقال مقَتَ الرجُلُ ، إذا خدَم . فهذا بيِّنٌ فى هذا الحرف . انتهى .

٤٢١

وهذا مبنيٌّ على أنَّ الميم مضمومة ، إلاَّ أنَّ قوله مقَت الرجلُ ، فجعل الميم أصليَّة ، لا وجهَ له . فتأمَّلْ .

---

(١) ش : « وقد جره » ، وأثبت ما فى ط .
(٢) يعنى كتاب إيضاح الشعر ، ويسمى أيضاً : « الإيضاح الشعرى » ، و « إعراب الشعر » .
(٣) الخزانة ٧ : ٤٢٩ .
(٤) ط : « هنا القياس » ، وأثبت ما فى ش .
(٥) ط : « فاعل » صوابه فى ش ونوادر أبى زيد .
(٦) ليست فى النوادر . وفى ش : « فاعلم » .
(٧) رسمت فى ش : « ورضى » بالياء .

وأنشد بعده ، وهو الشاهد التاسع والثمانون بعد الخمسمائة ، وهو من شواهد سيبويه[١] :

٥٨٩ (إذا مابنُو نَعْشٍ دنَوْا فتصوَّبُوا)

على أَنَّ الأَخفش حكى : بنو عِرس وبنو نعش ، اعتباراً للفظ ابن وإن كان غير عاقل ، كما فى البيت . كأَنَّه جعلها جمعاً لابن نعش وإن لم يستعمل .

قال سيبويه : وأَمَّا ﴿ كلٌّ فى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ[٢] ﴾ ، و﴿رأَيتهمْ لى ساجِدِين[٣] ﴾ ، و﴿يَاأَيُّهَا النَّمْلُ ٱدْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ[٤] ﴾، فزعمْ الخليل أَنَّه جعلهم بمنزلة من يعقل ويسمع ، لمَّا ذكَرهم بالسجود ، وصار النمل بتلك المنزلة حين حدَث عنه ما يحدثُ عن الأَناسىِّ[٥]. وكذلك ﴿ فى فلك يسبحون ﴾ ، لأَنَّها جعلت فى طاعتها ؛ وفى أَنَّه لا ينبغى لأَحدٍ أن يقول : مُطرنا بنوءِ كذا ، ولا ينبغى لأَحدٍ أَن يعبد شيئاً منها ، بمنزلة ما يعقل[٦] من المخلوقين ويُبصِر الأُمور . قال النابغة الجعدى :

شرِبت بها والدِّيكُ يدعُو صَباحَه إذا مابنو نَعشٍ دنَوْا فتصوَّبوا

فجاز هذا حيث صارت هذه الأَشياءُ عندهم تُؤمَر وتطيع ، وتفهم الكلام ، وتعبُد ، بمنزلة الآدميِّين . انتهى .

---

(١) فى كتابه ١ : ٢٤٠ . وانظر المقتضب ٢ : ٢٦٦ والعمدة ٢ : ٢١٧ ودلائل الإعجاز ١ : ٦١ وابن يعيش ٥ : ١٠٥ والمغنى ٣٦٥ وشرح شواهده للسيوطى ٢٦٥ والأزمنة والأمكنة ٢ : ٢٧٣ وديوان النابغة الجعدى ٤ .

(٢) الآية ٣٣ من سورة الأنبياء . وفى سورة يس ٤٠ : « وكل فى فلك يسبحون » بالواو.

(٣) الآية ٤ من سورة يوسف .

(٤) الآية ١٨ من سورة النمل .

(٥) فى سيبويه : « حين حدثت عنه كما تحدث عن الأناسى » .

(٦) فى سيبويه : « من يعقل » .

قال الأَعلم : الشاهد فيه تذكير بنات نعش لإخباره عنها بالدنُوّ والتصوُّب كما يُخبَر عن الآدميين ، على ما بيَّنه سيبويه . وصف خمراً باكرها بالشُّرب عند صِياح الديك . وتصوُّبُ بناتِ نعشٍ : دنُوُّها من الأُفق للغروب . والباءُ فى قوله « بها » زائدة مؤكدة . وكثيراً ماتزيدُها العرب فى مثل هذا . قال تعالى : ﴿ عيناً يشرَبُ بها المقرَّبون(١) ﴾ . انتهى .

أقول : الباءُ فى البيت والآية للتبعيض . وقال (ابن خلف) : الشاهد أَنَّه جمع ابناً من غير ما يعقل جمعَ العقلاءِ المذكَّرين ، وكان ينبغي أن يقول : بنات نعش ، وواحدها ابن نعش . وحمَل بنو نعش على ما يعقل لمَّا كان دورُها على مقدارٍ لا يتغيَّر ذلك الدورُ ، وتَعقله . وقال : « دنوا فتصوَّبوا » وكان ينبغي أَن يقال دنونَ فتصوَّبْن . انتهى .

وقال ابن هشام (فى المغنى) : والذى جرَّأه على استعمال الواو فى غير العقلاءِ قوله بنو لابنات . والذى سوَّغ ذلك أَنَّ مافيه من تغيير نظم الواحد شبَّهه بجمع التكسير ، فسهُل مجيئه لغير العاقل . ولهذا جاز تأْنيث فعله ، نحو : ﴿ إلاَّ الذى آمنَتْ به بنو إسرائيل(٢) ﴾ ، مع امتناع قامت الزيدون . انتهى .

وبنات نعش من منازل القمر الثمانية والعشرين ، قال صاحب الصحاح : اتَّفق سيبويه والفرّاءُ على ترك صرف نعشٍ ، للمعرفة والتأْنيث .

قال الدمامينىُّ (فى الحاشية الهندية) : الظاهر أَنَّه جائز لا واجب ، لأَنَّه ساكن الوسط .

---

(١) الآية ٢٨ من المطففين .
(٢) الآية ٩٠ من سورة يونس .

وقال صاحب العباب : بنات نعش الكبرى : سبعة كواكب ، أربعة منها نعش ، وثلاثٌ بنات . وكذلك بنات نعشٍ الصغرى . وذكر أبو عمر الزاهد (فى فائت الجمهرة) عن الفرَّاء أنَّه يقال بنات نُعَشَ فى ميزانُ عُمر ، لا ينصرف فى المعرفة وينصرف فى النكرة . قال : وليس بينهم خلاف ، تقول : هذه بناتُ نعش مقبلةً ، ومعها بناتُ نعشٍ أخرى مقبلة . وقد جاءَ فى الشعر بنو نعش ، وأنشد أبو عُبيدة للنَّابغة الجعدى :

٤٢٢

(وصَهباءَ لا تُخفى القَذَى وهى دونَه ... تُصفَّق فى رَاوُوقها ثم تُقْطَبُ
تمزَّزْتها والدِّيك يدعو صَباحه ... إذا ما بنو نَعشٍ دنَوْا فتصوَّبوا)

وقال ابن دريد : سمِّيت بنات نعش تشبيهاً بحَمَلة النعش[1] فى تربيعها . وقال الليث : يقال للواحد منها ابن نعش ، لأَنَّ الكواكب مذكَّرة ، فيذكِّرونه على تذكيره . وإذا قالوا ثلاث وأربع ذهبوا إلى مذهب التأْنيث ، لأَنَّ البنين إنَّما يقال للآدميين . وعلى هذا القياس يقولون : ابن آوى ، وابنُ عِرس ، فإذا جَمَعوا قالوا : بنات آوى وبناتُ عِرْس ، قال الخليل : هذا شئٌ لم يسمَّ بالابن لحال الأَب والأُمّ كما قيل بنون وبنات . وإذا ذكَروا ابن لَبُون وابن مَخاض قالوا : هذا ابن لبون وابن مَخاض . وإذا ثنوَّا قالوا : ابنا لبون وابنا مخاض . وإذا جمعوا تركوا القياس ولم يقولوا بنون ، ولكنهم يقولون بنات مخاض ذكوراً . هذا كلام العرب . ولو حمله النحوىُّ على القياس فذكَّر المذكر وأنَّث

(١) ط : « بجملة النعش » بالجيم ، وصوابها بالحاء كما فى ش ، واللسان (نعش ٢٤٨) ، وجمهرة ابن دريد ٣ : ٦٢ .

المؤنث لكان صواباً . وبعضهم يقول : لا يجوز لِمَا كان من غير الآدميين [١] أن يقال فى جمعه إلاَّ بالتأنيث، إلَّا أن يُضطرَّ شاعر فيخرجه مخرج الآدميين ، إذا حمل على غير الآدميين ، على مثال مايجمعون عليه . قال تعالى : ﴿ والشَّمْسَ والقَمرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ [٢] ﴾ لمَّا فعلوا فعل الآدميين جمعهُم كما يُجمَعون ،وخاطبهم بمايخاطَبون . انتهى كلام العباب.

وقال القالى (فى المقصور والممدود) : قال أبو حاتم : يقال ابن آوى لهذا السبُع ، وللاثنين : ابنا آوى [٣] ، والجمع : بنات آوى وإنْ كنَّ ذكوراً ، ولا يصرف آوى . ويجمعون كلَّ جماعة من غير الإنس على بنات ، كما قالوا بنات نعش لهذه الكواكب ، ولم يقولوا بنو نعش ، فإن اضطُرَّ شاعرٌ قاله مستكرَهاً . قال الشاعر :

فباكرتها والدِّيك يدعو صباحَه . . . البيت

والصواب : بنات نعش دَنْت فتصوَّبت ، أو دنون فتصوَّبن . فهذا على الاضطرار . وأمَّا ما لايعرف ذكُوره من إناثه فمحمولٌ على اللفظ، يقال للذكر والأنثى ابن عِرس وابنُ قِتْرة [٤] لضربٍ من الحيات، وابن دأية غير معروف للغراب . فإذا جمعت على هذا النحو قلت : بنات آوى ، وبنات عرس ، وبناتُ قِتْرة، وبناتُ دأية، للذكور والإناث. وكُلّ جمع من غير الإنس والجن والشياطين والملائكة فيقال فيه بنات . انتهى .

---

(١) الكلام بعده إلى « غير الآدميين » ساقط من ش .

(٢) من الآية ٤ فى سورة يوسف .

(٣) ش : « أبناء آوى » ، صوابه فى ش .

(٤) ابن قترة ، بكسر القاف : ضرب من الحيات خبيث إلى الصغر ما هو ، لا يسلم من لدغها ، وهو نحو من الشبر ، ينزو ثم يقع .

صاحب الشاهد   والبيتان من قصيدةٍ للنابغة الجعدى أَورد أَبياتاً منها السُّيوطىُّ (فى شرح شواهد المغنى)[١] .

وقوله : و« وصهباءَ » إلخ ، أَى ربَّ صهباءَ ، وهى الخمر. لا تُخفى : لا تستُر. والقذى : ما يقع فى الماءِ والشراب والعين إذا هبتّ الريح . ودون هنا بمعنى قُدَّامٍ . يقول : إنَّ القذى إذا حصل فى أَسفل الزجاجة رآه الرائى فى الموضع الذى هو فيه ، اصفائها . والخمر أَقرب إلى الرائى من القذَى ، وهى فيما بين الرائى وبين القذى، يريد أَنَّها يُرى ماوراءَها لصفائها . وتصفَّق بالبناءِ للمفعول . والتصفيق : إدارتها من إناءٍ إلى إناءٍ لتصفو . والراووق : المصفاة . وتُقطَب : تمزج .

وقوله :(شربت بها) إلخ روى أَيضاً :(تمزَّزتها والدِّيكُ) . والتمزُّز : تمصُّص الشراب قليلاً قليلاً . ومزَّه يمزّه أَى مصَّه . وقوله (يدعو صَبَاحَه) أَى فى وقت صَباحه[٢] .   ٤٢٣

قال ابن رشيق (فى باب السرقات الشعرية من العمدة):

قد اجتلب الفرزدقُ هذا البيت واستلحقه بشعره ، فقال :

وإجَّانة ريَّـــا السُّرور كأَنَّها   إذا غُمست فيها الزجاجةُ كوكبُ[٣]

تمزَّزْتُها والديكُ يدعو صباحَه   . . . البيت

والنابغة الجعدى شاعر صحابى تقدَّمت ترجمته فى الشاهد السادس والثمانين بعد المائة[٤] .

* * *

(١) وهى فى ديوان النابغة الجعدى ٣ - ١١ فى ٣٢ بيتاً .

(٢) ش : « أى وقت صباحه » بإسقاط « فى » . وفى ط : « فى أى فى وقت صباحه » ، و « فى » الأولى مقحمة .

(٣) الخزانة ٣ : ١٦٧ - ١٧٣ .

(٤) فى ديوان الفرزدق ١٥ : « ريا السروب » ، و« إذا اغتمست » .

جمع المؤنث السالم

أنشد فيه ، وهو الشاهد التسعون بعد الخمسمائة[١] :

٥٩٠ (أَتتْ ذِكَرٌ عوَّدْنَ أحشاءَ قلبه

خُفوقاً ورَفْضَاتُ الْهَوَى فى المفاصِلِ)

على أنَّ (رَفْضات) كان يستحقّ أن يفتح فاؤه ، فسكِّن للضرورة ، لأنَّ رفضات جمع رَفْضَة ، وفعلة بفتح الفاء وسكون العين إذا كان اسماً لا صفة كصَعْبة ، يجب فتحُها إذا جمعت بالألف والتاء . ورفضة هنا اسمٌ لأنَّه مصدر محض ليس فيه من معنى الوصفيَّة شيء ، ولو كان مؤوَّلاً بالوصف كرجل عَدْل لكان للتسكين وجه .

قال ابن عصفور (فى كتاب الضرائر) : حُكم لرفضات وهو اسمٌ بحكم الصفة . ألا ترى أنّ رفضات جمع رَفْضة ، ورَفْضة اسم ، والاسم إذا كان على وزن فعلة وكان صحيح العين فإنَّه إذا جمع بالألف والتاء لم يكن بدٌّ من تحريك عينه إتباعاً لحركة فائه ، نحو جفنة وجفنات . وإن كان صفةً بقيت العين على سكونها ، نحو ضخمة وضخمات . وإنَّما فعلوا ذلك فرقاً بين الاسم والصفة ، وكان الاسم أولى بالتحريك لخفَّته ، فاحتمل لذلك ثِقل الحركة ، فكان ينبغى أن يقول رَفَضات بالتحريك ، إلاَّ أنَّه لما اضطرَّ إلى التسكين حَكم لها بحكم الصفة فسكّن. ومما يبيِّن لك صحة ماذكرتُه من الحمل على الصِّفة أنَّ أكثر ماجاء من

(١) المقتضب ٢ : ١٩٢ وإصلاح المنطق ١٥٤ والمحتسب ١ : ٥٦ / ٢ : ١٧١ وابن يعيش ٥ : ٢٨ واللسان (سنب ٤٥٧) وديوان ذى الرمة ٤٩٤ .

ذلك فى الشعر إنَّما هو مصدر ، لقوَّة شبه المصدر باسم الفاعل الذى هو صفة . ألا ترى أنَّ كل واحد منهما يقع موقع صَاحِبه . والمعتلُّ اللامِ من فَعْلة بمنزلة الصحيح اللام ، فى أنَّ العين لا تسكن فى جمع الاسم منه إلَّا فى ضرورة ، حكى أبو الفتح عن بعضِ قيس: ثلاث ظبْيات بإسكان الباءِ . وروى أيضاً عن أبى زيد عنهم : شَرْية وشَرْيات . انتهى باختصار .

وقد تكلَّم ابن جنى (فى موضعين من المحتسب) على هذا الجمع فى أوّل سورة البقرة ، وفى سورة لقمان . ولمَّا كان الأَوَّل أَجمَع للفوائد اقتصرنا عليه .

قال : وقد سكَّنو المفتوح ، وهو ضرورة . قال لبيد :

رحَلْن لِشُقَّة ونَصَبْن نصباً ... لوغْرات الهـواجر والسَّمومِ (1)

وقال ذو الرمة :

أبت ذكر عوَّدن أَحشاءَ قلبهِ ... البيت

وروينا أَيضاً أَنَّ بعض قيس قال : ثلاث ظبْيات ، فأَسكن موضع العين . وروينا عن أَبى زيد أَيضاً عنهم شَرْية وشَرْيات ، وهو الحنظل . والتسكين عندى فى هذا أَسوغ منه فى نحو: رفضات ووغرات ، من قِبل أَنَّ قبل الأَلف ياءً محرَّكة مفتوحاً ماقبلها . وهذا شرط اعتلالها بانقلابها أَلفاً . ويحتاج أَن نعتذر من ذلك فنقول : لو قلبت أَلفاً لوجب حذفُها لسكونها وسكون الأَلف بعدها ، وليس فى نحو رفضات ما يوجب الاعتذار

---

(1) ديوان لبيد ١٠٢ . والوغرة : شدة حر النهار . والسموم ، بالفتح : الريح الحارة .

٤٢٤

من الحركة . وكانَ رفضات أقربَ مأْخذًا من تمرات ، من قبَلَ أنَّ رفضة حدَثٌ ومصدر ، والمصدر قويُّ الشبه باسم الفاعل الذى هو صفة ، والصفة لا تُحَرَّك فى نحو هذا[1] . ويدلُّك على قوّة شبه المصدر بالصّفة وقوعُ كلٍّ واحدٍ منهما موقع صاحبه . فكذلك سهَّل شيئاً إسكانَ نحو رَفْضة ووَغْرة، لسكونهما حدَثين ومصدرين ، لشبههما بالصفة . ويزيد فى أُنسك تسكينَ عينِ ما لاَمُه حرف عِلّة[2] ، لما يعقب من الاعتذار من تحريك [عينِه[3]] ، امتناعُهم من تحريك العين فى فعلة إذا كانت حرفَ علَّة ، وذلك نحو جَوْزات ، ألا ترى لو حرِّك لوجب أن يعتذر من صحة العين مع حركتها وانفتاح ماقبلها ، بأن يقولوا لو أُعلّت لوجب القلب ، فيلتبس بما عينُه فى الواحد ألفٌ منقلبة نحو قارة وقارات[4] . وإذا جاز إسكان العينِ الصَّحيحة نحو تمرات صار المعتلُّ أحرى بالصحة . انتهى باختصار .

صاحب الشاهد

والبيت من قصيدة طويلة لذى الرمَّة كلُّها غزلٌ ونسيب . وقبله :

(إذا قلتَ ودِّعْ وصلَ خرقاءَ واجتنِبْ زيارتَها تُخلِقْ حبالَ الوسائلِ)

يخاطب نفسه . ويقول : إذا قلت ودِّع يا ذا الرمة وصل خرقاء ، وخرقاءُ لقب محبوبته ميّة ، وتُخلِقْ مجزوم فى جواب أحد الأمرين المتقدِّمين ، وفاعله ضمير المخاطب ، وهو من أَخلقت الثوبَ، إذا أبليتَه

---

(١) بعده فى المحتسب : « نحو صعبة وصعبات ، وخدلة وخدلات » .

(٢) أى فى نحو ظبية وغزوة .

(٣) التكلمة من المحتسب ١ : ٥٧ .

(٤) فى النسختين : « فارة وفارات » بالفاء ، وصوابهما بالقاف ، كما فى المحتسب وما سيأتى فى الشاهد ٥٩٣ . والقارة، بتخفيف الراء: الحرة ، وهى أرض ذات حجارة سود ، والجمع قارات ، وقار ، وقور ، وقيران ، كما فى اللسان (قور) .

والحبال : جمع حَبْل بمعنى السَّبب ، استُعير لكلِّ شىء يُتوصَّل به إلى أمر من الأُمور . والوسائل : جمع وسيلة . قال شارح ديوانه : الوسيلة القُربة والمنزلة .

وقوله : (أَبت ذِكر) إلخ ، هذا جوابُ إذا فى البيت قبله . (وأَبت) بمعنى امتنعت . وفى بعض نسخ الشرح (أَتت) بالمثناة على أَنَّه من الإِتيان . ولم أَره فى نسخ الديوان ، وعندى منه ولله الحمد أَربع نسخ ، وذِكر بكسر الذال وفتح الكاف : جمع ذكر ، والذكر بالكسر والضم : اسمٌ لذكرتُه بلسانى وبقلبى ذِكرَى بالكسر والقصر ، نص عليه جماعةٌ منهم أَبو عبيدة ، وابن قتيبة . وأَنكر الفراء الكسر فى القلب وقال : اجعلنى على ذُكرٍ منك بالضم لا غير . ولهذا اقتصر عليه جماعة . والنون من (عوَّدْن) ضمير الذِّكَر . وعودته كذا فاعتاده وتعوّده ، أَى صيَّرته له عادة . و (الأَحشاءُ) : جمع حَشًى بالقصر ، وهو ما فى البطن من مِعًى وكرش[1] ، وغيرهما . والخفوق مفعول ثان لعوَّد ، وهو مصدر خَفَق ، وخفَقاناً أَيضاً إذا اضطرب . و(رفضات) بالرفع معطوف على ذِكر . قال شارح ديوانه : رفضاتُه : تفَرُّقه وتفتُّحه فى المفاصل ، وهو بالفاء والضاد المعجمة . وهذا من قولهم : رفضت الإِبل ترفِض كضرب يضرب، رُفوضاً، إذا تبدَّدت فى المرعى حيث أَحبَّت. ورفضات الهوى من إضافة المصدر إلى فاعله .

وقال ابن برى : يقول : إن تجتنب زيارتها تُخلق حبالُ الوسائل لبعد العهد بها ، وتقادُم الوصل الذى يشوِّق إليها. يريد أَن يهوِّن على

---

(١) المعى والمعى ، بكسر الميم وفتحها مع فتح العين فيهما : واحد الأمعاء . وفى ش : « من أمعاء » .

نفسِه السلوَّ عنها ، ثم أجاب نفسه فقال : أبت ذكر جمع ذكرة . وأحشاءُ قلبه : جمع حَشًى ، كأَنَّه أراد مابين الجنبين ، لاشتمال الخفقان على جميع ذلك . ورفضات : جمع رَفْضة ، يعنى الكسر والحطم . انتهى .

وترجمة ذى الرمَّة تقدَّمت فى الشاهد الثامن[1] .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الحادى والتسعون بعد الخمسمائة[2] :

٥٩١ (وأهلةِ وُدٍّ قد تبرَّيْتُ ودَّهمْ
وأبليتُهم فى الحمد جَهدِى ونائلى)

على أنّ أهلاً الوصف يؤنَّث بالتاء كما فى البيت . ٤٢٥

وقوله : (وأهلة وُدٍّ) صفة لموصوف محذوف ، أى جماعة مستأْهلة للودِّ ، أى مستحقَّة له .

وفى البيت ردٌّ على الخليل فى زعمه أنّه لا يقال أَهلة . قال سيبويه : قلتُ للخليل : هلّا قالوا أَرْضُون أى بسكون الراء ، كما قالوا أَهلون ، قال : إنّها لمَّا كانت تدخلها التاءُ أرادُوا أن يجمعوها بالواو والنون كما جمعوها بالتاءِ . وأهل مذكر لاتدخله التاءُ ولا تغيِّره الواو والنون كما لا تغيِّر غيره من المذكَّر نحو صعب . انتهى .

وقد أنكر بعضهُم استأْهل بمعنى استحقّ . نقل صاحبُ العباب عن تهذيب الأَزهرى أنه قال[3] : خطَّأَ بعضُهم قولَ من يقول فلان يستأْهل أن يكرم أو يهان ، بمعنى يستحقّ . قال : ولا يكون الاستئهال إلاَّ من

(١) الخزانة ١ : ١٠٦ — ١١٠ .
(٢) المحتسب ١ : ٢١٧ ، واللسان (أهل ٢٨) .
(٣) النص فى تهذيب الأزهرى ٦ : ٤١٨ مقارب لما هنا ، وليس مطابقاً له ، وهو : « وقد سمعت أعرابياً فصيحاً من بنى أسد يقول لرجل أولى كرامة : أنت تستأهل ماأوليت » .

الإهالة ، وهو أخذ الإهالة أو أكلها ، وهى الألية المذابة . قال الأزهرى : وأمّا أنا فلا أنكره ولا أخطِّئ من قاله ؛ لأنّى سمعت أعرابيًّا فصيحاً من بنى أسد يقول لرجلٍ شكَر عنده يداً أولِيَهَا : « تستأْهل يا أبا حازم ما أوليت[١] » . وحضر ذلك جماعةٌ من الأعراب ، فما أنكروا قوله . قال : ويحقِّق ذلك قولُه تعالى : ﴿ هو أهلُ التَّقوَى وأهل المغفرة[٢] ﴾ . انتهى .

وقول الشارح المحقق « وأهلٌ فى الأصل اسمٌ دخله معنى الوصف » قال الراغب (فى مفردات القرآن) : أهل الرجل : من يجمعه وإيَّاهم نسبٌ أو دين أو نحوُ ذلك ، من صناعةٍ وبيتٍ وبلد . فأهل الرَّجل فى الأصل : من جَمَعَه وإيّاهم مسكن واحد ، ثم تجوّز به فقيل أهل بيته من يجمعه وإيَّاهم نسبٌ أو ما ذُكر . وعبَّر عن أهله بامرأته[٣] . وفلانٌ أهلٌ لكذا ، أى خليقٌ به . والآل ، قيل مقلوبٌ منه لكنْ خصَّ بالإضافة إلى أعلام الناطقين دون النَّكرات والأزمنةِ والأمكنة ، فيقال : آل فلان ولا يقال آل رجل ، ولا آل زمنٍ كذا ، ولا آل موضع كذا ، كما يقال أهل بلد كذا وموضعِ كذا . انتهى .

وقال صاحب العباب : الأهل : أهل الرجل ، وأهل الدار ، وكذلك الأهْلَة . قال أبو الطَّمَحان القَينى :

وأهلةِ وُدٍّ قد تبرَّيتُ ودَّهم وأبليتهم فى الجَهْد بذلى ونائلى

أى ربَّ من هو أهلٌ للودّ ، وقَد تعرَّضتُ له ، وبذلت له فى ذلك طاقتى

---

(١) انظر الحاشية السابقة .

(٢) من الآية ٥٦ فى سورة المدثر .

(٣) الوجه ما فى مفردات الراغب ٢٨ : « وعبر بأهل الرجل عن امرأته » .

من نائل . والجمع أَهَلَات وأَهْلات وأَهْلون . وكذلك الأَهالى زادوا فيه الياءَ على غير قياس ، كما جمعوا ليلًا على ليال . وقد جاءَ فى الشعر آهال ، مثل فرخ وأفراخ . وأنشد الأَخفش :

* وبلدة ما الإِنسُ من آهالِهَا[1] *

وقال ابن عبّاد : يقولون هو أَهلهٌ لكلِّ خير ، بالهاءِ . وفلان أَهلٌ لكذا ، أَى مستحقٌّ له . انتهى .

والواو فى «وأَهلَة» واو ربَّ ، وصفة مجرورها محذوف ، أَى رب أَهلِ وُدٍّ ملتبس ومُبْهَم . وتبرَّيت جوابُها العاملُ فى محلِّ مجرورها . قال ابن السكيت (فى إصلاح المنطق) : قد تبرَّيت لمعروفه تبرِّياً ، إذا تعرَّضت له . أنشد الفراءُ :

وأَهلة ود . . . . . البيت

يقال أَهل وأَهلة . انتهى .

ورواية البيت للشارح المحقق هى رواية ابن السكيت (فى إصلاح المنطق[2] ، وفى كتاب المذكر والمؤنث) . وكذا رواه السخاوىّ (فى سفر السعادة) وقال[3] : ومعنى تبرَّيت تعرَّضت له واوُدِّه ، وبذلت له فى ذلك طاقتى .

---

(١) ابن يعيش ٥ : ٧٣ ، واللسان (بلا ٩٦) وفى اللسان :

* بل بلدة ما الإنس من آهالها *

شاهداً على استعمال « بل » فى استئناف الكلام . ونظيره أيضاً :

* بل ما هاج أحزاناً وشجواً قد شجا *

(٢) ش : « فى الإصلاح » .

(٣) ط : « قال » بدون واو .

وقال ابن السِّيرافى (فى شرح أبيات الإصلاح) : ويروى : « فى الجهد بذلى ونائلى » أى ربَّ أهل وُدٍّ قد تعرَّضت لأَن يعلموا أنِّى أودّهم وبذلت لهم مالى فى العسر واليسر ، ولم أَبخل عليهم بشىء. يصف نفسَه بالوفاء والبذل . وتفسير تبرَّيت : كشفت وفتَّشت . يريد أَنَّه فتَّش عن صحَّةِ وُدِّهم له ليعلمه فيجيزهم به . وأبليتهم : أَوصلتُهم ومنحتهم . والبليَّة بمعنى المنحة تارة والمِحْنة[1] أُخرى . ومنح يتعدَّى إلى مفعولين. قال زهير :

جَزى الله بالإحسان ما فعلا بكم وأبلاهما خير البلاءِ الذى يبلُو[2]

أى خير الصنيع الذى يختبر به عباده . والجُهد بالضم فى لغة الحجاز ، وبالفتح عند غيرهم : الوُسع والطاقة . والنائل : النَّوال ، كلاهما بمعنى العطاء .

صاحب الشاهد

والبيت نسبه ابن السيرافى وصاحب العباب إلى أَبى الطمحان القَينى ، وهو شاعرٌ إسلامى .

أبو الطمحان القينى

قال ابن قتيبة (فى كتاب الشعراء) : هو حنظلة بن الشَّرْقى . وكان فاسقاً . وقيل له : ما أدنى ذنوبك ؟ قال : ليلة الدَّير . قيل : وماليلة الدير ؟ قال : نزلت بدَيرِ نصرانيّةٍ فأَكلتُ عندهَا طَفَيشلًا بلحم خِنزير[3] وشربت من خمرها ، وزنيت بها ، وسرقت كأْسها ومضيت .

---

(١) فى النسختين : « والمحبة » ، والوجه ما أثبت . يقال بلى فلان وابتلى ، إذا امتحن بمنحة.

(٢) ديوان زهير ١٠٩ .

(٣) ضبطه صاحب القاموس بوزن سميدع ، وذكر أنه نوع من المرق . وجعله البغدادى فى كتاب الطبيخ ٥٥ ضرباً من التنوريات ، أى الأطعمة التى تنضج فى التنور . وجاء فى كتاب منهاج الدكان ٢٢٠ : « طفشيل : كل طعام يعمل من القطانى ، أعنى الحبوب ، كالعدس والجلبان وما أشبه ذلك » . وفسره استينجاس فى المعجم الفارسى الإنجليزى ٣١٣ بأنه ضرب من اللحم يعالج بالبيض والجزر والعسل . وانظر الحيوان ٣ : ٢٤/٥ : ٢٢٦ . ويقال له أيضاً طفشيل بكسر الطاء والشين كما فى كتاب الطبيخ وحواشيه . وهومعرب « تفشله » أو « نفشيله » الفارسية .

وكان نازلاً على الزُّبير بن عبد المطلب ، وكان ينزل عليه الخلعاءُ .

وهو القائل لقوم أغاروا على إبله وكانوا شربوا من ألبانها :

وإنِّى لأَرجو مِلحَها فى بطونكم وما بسطَتْ من جلدِ أَشعثَ أَغبرا[١]

يقول : أَرجو أَن يعطِفكم[٢] علىّ ذلك اللبنُ أَنْ تردُّوها . والمِلح : اللبن . انتهى .

وقال أَبو عبيد البكرى (فى شرح أَمالى القالى) : إنَّه كان نديماً للزُّبير بن عبد المطلب فى الجاهليَّة ، ثم أَدرك الإسلام .

وقال الآمدى (فى المؤتلف والمختلف) : أَبو الطمحان القَيْنى اسمه حَنظلة بن الشرق . كذا وجدته فى كتاب بنى القَين بن جَسْر . ووجدت نسبه (فى ديوانه المفرد) : أَبو الطَمَحان ربيعة بن عوف بن غَنم بن كِنانة بن القَين بن جَسْر ، شاعر محسنٌ مشهور ، وهو القائل :

أَضاءت لهم أَحسابُهم ووجوهُهم
دُجى الليـل حتَّى نظَّم الجزْعَ ثَاقُبه[٣]

(١) وكذا جاءت الرواية فى الحيوان ٤ : ٤٧٣ والكامل ٢٨٤ والغريب المصنف ٤٩٤ والاشتقاق ٢٦٧ والمخصص ١ : ٢٦ واللسان (ملح) . وصوابها : « أغبر » بكسر الروى . كما فى الشعراء ٣٨٩ واللآلى ٤٠٥ ومانبه عليه ابن برى . والقصيدة مخفوضة الروى أولها :

ألا حنت المرقال واشتاق ربها تذكر أرماما وأذكر معشرى

ومنها أبيات فى الأغانى ١١ : ١٢٨ / ١٦ : ٦٧ . كما أن ابن الأعرابى أنشد هذا البيت فى نوادره برواية :

* ومابسطت من جلد أشعث مقتر *

وبعد البيت كما فى السمط :

جزاء سنمار جزوها وربهـــا وباللات والعزى جزاء المكفر

(٢) ط : « يلطفكم » ، صوابه فى ش والشعراء .

(٣) الجزع ، بفتح الجيم وكسرها : ضرب من الخرز فيه سواد وبياض . والبيت فى مصون العسكرى ٢٢ ، ٥٨ والكامل ٣٠٣ والعينى ١ : ٥٦٧ والحماسة بشرح المرزوقى ١٥٩٨ . ونسب فى الحيوان ٣ : ٩٣ إلى لقيط بن زرارة .

ثم أورد اثنين من الشُّعراء يقال لهما أَبو الطمَحان أحدهما أبو الطمحان النَّهشلى . ثانيهما : أَبو الطَّمحان الأَسدِىّ .

وقال أَبو حاتم (فى كتاب المعمرين[1]) : هو من بنى كنانة بن القين بن جَسْر بن شَيع الله بن الأَسَد بن وبَرة بن تغلب بن حُلوان ابن عِمْران بن الحاف بن قُضاعة . عاش مائتى سنة ، وقال فى ذلك :

حَنتنى حانياتُ الدَّهر حتَّى كـأَنِّى خاتلٌ يدنو لصيدِ
قريبُ الخطْوِ يحسَب مَن رآنى ولست مقيَّدًا أَنِّى بقيدِ

انتهى .

وأَورده ابن حجر (فى الإِصابة) فى قسم المخضرمين الذين أَدركوا زمن النبي صلى الله عليه وسلم وأَسلموا ولم يَرَوْه .

وذكره المرزبانى فقال : هو أَحد المعمَّرين ، وهو القائل :

وإِنِّى من القوم الذين همُ همُ إِذا مات منهم سيِّدٌ قام صاحبُه
أَضاءَت لهم أَحسابُهم ووجوهُهم دجى اللَّيل حتى نظم الجزعَ ثاقبُه

ويقال هو أَمدح بيتٍ قيل فى الجاهلية .

والطَّمَحان بفتح الطاءِ والميم بعدها حاءٌ مهملة .

* * *

٤٢٧ وأَنشد بعده ، وهو الشاهد الثانى والتسعون بعد الخمسمائة ، وهو من شواهد س[2] :

٥٩٢ (وهُمْ أَهَلاتٌ حولَ قيس بن عاصمٍ
إِذا أَدلجُوا يدْعُونَ باللَّيل كَـوْثرا)

(١) كتاب المعمرين ٥٧ . وانظر الأغانى ٢ : ١٢٢ ومحاضرات الراغب ٢ : ١٩٦ .
(٢) فى كتابه ٢ : ١٩١ . وانظر ابن يعيش ٥ : ٣٣ واللسان (أهل ٢٩) .

على أَنَّه جمعُ أَهلة ، جُمِع باعتبار اسميَّته ، ولهذا فتح عينه .

وفيه ردٌّ على سيبويه فى زعمه أَنَّه جمع أَهل . قال : وقد يجمعون المؤنَّث الذى ليست فيه هاءُ التأْنيث بالتاءِ ، كما يجمعون مافيه الهاء ، لأَنَّه مؤنَّثٌ مثله . وذلك قولهم : عُرُسات وأَرَضات ، وعِير وعِيَرات ، حرَّكوا الياءَ وأَجمعوا فيها على لغة هذيل ، لأَنَّهم يقولونَ : بَيَضات وجَوَزات . وقد قالوا عِيرات وقالوا أَهْلات فخفَّفوا ، شبَّهوه[1] بصعْبات حيث كان أَهل مذكَّراً تدخله الواو والنون ، فلمَّا جاءَ مؤنثاً كمؤنث صَعْب فُعل به كما فعل بمؤنَّث صَعْب . وقد قالوا أَهَلات[2] كما قالوا أَرَضاتِ . قال المخبَّل :

وهم أَهَلاتٌ حولَ قيسِ بن عاصمٍ ... البيت . انتهى

قال الأَعلم : الشاهد فيه جمع أَهل على أَهَلات وتحريك الثانى[3] . ووجه دخول الأَلف والتاءِ فيه حمل أَهل على معنى الجماعة ، لأَنَّه يؤدِّى عن معناها وإِن لم تكن فيه الهاء ، فجمع بالأَلف والتاءِ كما تجمع الجماعة . ووجه تحريك الثانى تشبيهُه بأَرَضات ، لأَنَّه فى الجمع مؤنَّثٌ مثلُها ، ولأَنَّ حكم ما يجمع بالأَلف والتاءِ من باب فَعْلة ، وكان من الأَسماءِ ، تحريكُ ثانيه ، كجفنة وجفنات . انتهى .

---

(١) سيبويه : « شبهوها » .

(٢) سيبويه : « وقد قالوا أهلات فثقلوا » .

(٣) الشنتمرى : « بالألف والتاء وتحريك الثانى » .

وقد تبع الزمخشريُّ (فى مفصَّله) سيبويه فقال : وحكم المؤنَّث الذى لا تاءَ فيه كحكم الذى فيه التاءُ ، قالوا : أَرَضات وأَهَلات فى جمع أَرض وأَهل . قال : « فهم أَهلات » البيت .

قال شارحه ابن يعيش : أَهَلات : جمع أَهلة ، وليس بجمع أَهل كما ظنَّه المصنف[١] . أَلا ترى أَنَّ أَهلاً مذكر يجمع بالواو والنون ، لأَنَّهم لمَّا وصفوا به أَجرَوْه مجرى الصِّفات فى دخول تاءِ التأْنيث، للفرق ، فقالوا : رجل أَهلٌ وامرأَة أَهلة ، كما يقولون ضارب وضاربة . قال الشاعر :

* وأَهلة وُدٍّ قد تبريَّت ودَّهم *

ولمَّا قالوا فى المذكَّر أَهل وأَهلون وفى المؤنث أَهْلَة وأَهَلات ، أَشبَهَ فعلة من الصفات فجمعوه[٢] بالأَلف والتاءِ ، وأَسكنوا الثانىَ منه كما فعلوا ذلك بسائر الصفاتِ . ومن العرب من يقول أَهَلاتٌ ، فيفتح الثانىَ كما فتحوا فى أَرَضات ، لأَنَّه اسمٌ مثله وإن كان أَشبه الصِّفة . قال المخبل:

فهم أَهَلاتٌ حول قيس بن عاصم ... انتهى

صاحب الشاهد — والبيت من قصيدةٍ للمخبَّل السعدىِّ . قال ابن المستوفى (فى شرح أَبيات المفصل) : وقبله :

أبيات الشاهد

(أَلم تعلمى ياأُمَّ عَمـرةَ أَنَّنى	تخـاطَأَنِى رَيبُ الزَّمان لأَكبَرَا
وأَشهدَ من عَوف حُلولاً كثيرة	يَحجُّون سِبَّ الزِّبرقان المُزعفَرا

---

(١) الذى فى ابن يعيش : «كما ظنه صاحب الكتاب» ، يعنى سيبويه ، لا الزمخشرى كما يتبادر إلى الذهن من عبارة « كما ظنه المصنف » .

(٢) فى النسختين : « جمعوه » والصواب ما أثبت من ابن يعيش .

فهم أَهَلاتُ حولَ قيس بن عاصم ... البيت)

وقوله : « أَلم تعلمى» إلخ ،قالُ أَبو محمد الأَسود الأَعرابى : معناه أَنَّه كره أَن يعيش ويعمَّر حتَّى يرى الزبرقان من الجلالة والعظمة بحيث يحجُّ بنو سعد عِصابته [1] . انتهى .

وتخاطأَنى بمعنى تخطَّانى وفاتنى . و « ريب الزَّمان » : حوادثه . وكبر فى السِّنِّ ، من باب فرح .

وقوله : « وأَشهدَ » بالنصب عطف على لأَكبَرَ . وعوف : أَبو قبيلة ، وهو عوف بن كعب بن سعد بن زيد مناة بن تميم . والحُلول : القوم النُّزول ، منْ حلَّ بالمكان إذا نزل فيه . ويحجُّون : يقصدون . قال ابن دريد (فى الجمهرة) : الحجُّ : القصد . وأَنشد هذا البيت . ٤٢٨

والسِّبُّ بكسر السين المهملة : العمامة ، قال ابن دريد (فى الجمهرة) : السِّبُّ بالكسر : الشِّقَّة البيضاءُ من الثياب ، وهى السَّبِيبة أَيضاً . وأَنشد هذا البيت وقال : يريد العمامة ههنا . وكانت سادات العرب تصبغ العمائم بالزَّعفران . وقد فسَّر قومٌ هذا البيت بما لا يذكر . انتهى .

أَقول : من جُملة من فسَّره بالقبيح الأَصمعى ، قال (فى كتاب الفَرْق بين ما للإنسان والوحوش) : قالوا فى الدُّبر من الإنسان دون البهائم : اسْتٌ وسِتٌ وسَهٌ بالهاءِ ، ويسمى أَيضاً السُّبَّة بالضم ، والسَّبَّة بالفتح ، والسِّبَّة بالكسر . قال المخبل :

* يحجُّون سِبَّ الزبرقان المزعفرا *

---

(١) العصابة : العمامة ، وكل مايعصب به الرأس .

قال ابن السيرافى (فى شرح أبيات الإصلاح) : قال بعضُ الناس : إنَّ الشاعِر قصد بهذا البيت معنى قبيحاً وكنى بهذا اللفظ عنه . وإنَّما أراد أنَّ الزبرقان كان به داءُ الأُبنة يؤتى من أجله . انتهى .

ويدفعه قوله « يزورون » ، فإنَّ الزيارة لا تستعمل فى مثل هذا ، إلا أن يدَّعىَ التهكم .

وقال أبو محمد الأسود : من زعم أنَّ المخبَّل كنى ههنا عن قبيح فقد أخطأ ، وإنما قصد[1] بسبِّ الزبرقان أنّ بنى سعد بن زيد مناة كانوا يحجُّون عصابته إذا استهلُّوا رجباً فى الجاهلية ، إجلالًا له وإعظاماً لقدره . وذكر ذلك ربيعةُ بن سعد النَّمرى يمدح الزبرقان :

كانت تحجُّ بنو سعدٍ عصابَته ... إذا استهلُّوا على أنصابه رَجَبا
سِبٌّ يزعفرهُ سعدٌ ويعبده ... فى الجاهلية ينتابُونَه عُصَبا[2]

والعِصابة : ما يعصب به الرأْس . انتهى .

الزبرقان بن بدر

والزبرقان هو ابن بدر الصحابى ، ولاَّه النبي صلى الله عليه وسلم صدقاتِ بنى تميم .

قال صاحب (زهر الآداب) : سمى الزبرقان لجماله . والزِّبرقان : القمر قبل تَمامه ، وقيل لأنَّه كان يزبرق عمَّته فى الحرب ، أى يصفِّرها . انتهى .

واسمه حُصين بن بدر . وإيَّاه عنى المخبَّل بقوله من هذه القصيدة :

---

(١) ش : « أراد » .
(٢) ينتابونه : يقصدونه مرة بعد مرة . وفى ش : « بيتا يومه » . تحريف .

تمنّى حصينٌ أن يَسُود جِذَاعَهُ فأَمسى حصينٌ قد أذلَّ وأقهرا[١]

والجِذاعُ[٢] ، بكسر الجيم بعدها ذال معجمة : أَولاد السَّعْفاء. قال صاحب جمهرة الأَنساب : ولد عوفُ بن كعب بن سعد عُطارِدًا، وبَهْدَلة ، وجُشَم ، وبِرنيقاً[٣] . وأُمُّهم السعفاءُ بنت غَنْمَ من بنى باهلة ، ويقال لبنيها : الجِذاع . وأَنشد هذا البيت .

وقال السَّخاوى (فى سفر السَّعادة) : وإنَّما سمِّى الزبرقان لصفرةِ عمامته . وزبرقت الثَّوب أَى صفَّرته. وقال « المزعفَر » لأَنَّ السِّبَّ مذكَّر وإن كان المراد به العمامة .

وقوله : (وهم أَهلات) إلخ ، الظاهر أَنَّ هذا البيت غير متَّصل بما قبله ، لسقوط أَبياتٍ بينهما . يقول : هم أَهلات وأَقاربُ حول قيس بن عاصم. يعنى أَنَّه سيِّدُهم ، وهم قد أَحاطوا به . وأَدلج القوم إدلاجاً كأَكرم إكراماً : ساروا اللَّيل كلَّه. فإنْ ساروا من آخر الليل قِيلَ ادَّلجوا ادِّلاجاً بتشديد الدال . قال الأَعلم : وصف اجتماع أَحياءِ سعد من بنى مِنقر وغيرهم إلى قيس بن عاصم المنقرى سيِّدهم ، وتعويلَهم عليه فى

---

(١) ط : « جذاعة »، صوابه فى شمع أثر تصحيح، واللسان (جذع، قهر)، والاقتضاب ٤٠٥ والتهذيب ٥ : ٣٩٥ .

(٢) فى النسختين : « والجذاعة » ، والوجه ما أثبت كما يقتضيه السياق وما تؤيده المراجع السابقة . وفى اللسان (جذع) أن جذاع الرجل قومه، لاواحد له . ثم قال بعد إنشاد البيت : « وخص أبو عبيد بالجذاع رهط الزبرقان » .

(٣) ط : « وبرنيق »، صوابه فى ش وجمهرة ابن حزم ٢١٨ والاشتقاق ٢٥٤ واللسان (برنق) . وقال ابن منظور : « وبنو برنيق : بطين من العرب » . وذكروا أن البرنيق : ضرب من الكمأة يكون لها شبيه الأقماع يكون فيها سم قاتل .

أمورهم . والكوثر : الجواد الكثير العطاء. أى إن أدلجوا حَدَوُا الإبل بمدحِه وذكرِه . انتهى .

وقيل إنَّ كوثراً كان شعاراً لهم عند نداء بعضهم بعضاً فى اللَّيل وفى الحرب .

٤٢٩ قيس بن عاصم

وقيس بن عاصم صحابى ، وهو قيس بن عاصم بن سنان بن خالد ابن مِنقر بكسر الميم ، ابن عُبيد بن مُقاعس بن عمرو بن كعب بن سعد بن زيد مناة بن تميم .

وفدَ قيسُ بن عاصم على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : « هذا سيِّد أهلِ الوبر » .

وترجمة المخبَّل السعدى تقدَّمت فى الشاهد الرابع والثلاثين بعد الأربعمائة [1] .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثالث والتسعون بعد الخمسمائة [2] :

٥٩٣ (أخو بَيَضاتٍ رائحٌ متاوّبٌ)

على أنَّ هذيلاً تفتح عين فَعْلة الاسمىِّ فى الجمع بالألف والتاء ، كبَيَضات ، بفتحات .

---

(١) الخزانة ٦ : ٩٣ - ٩٥ .

(٢) المحتسب ١ : ٥٨ والخصائص ٣ : ١٨٤ والمنصف ١ : ٣٤٣ وابن يعيش ٥ : ٣٠ وشرح شواهد الشافية ١٣٢ والعينى ٤ : ٥١٧ والتصريح ٢ : ٢٩٩ والهمع ١ : ٢٣ والأشمونى ٤ : ١١٨ .

صرَّح به ابن جنى (فى الخصائص) بأَنَّ فتح حرف العلة فى بَيَضات وجوَزات لغة هذيل ، فلا يكون من قبيل ضرورة الشعر .

ولهذا لم يورده ابن عصفور (فى كتاب الضرائر) .

قال أَبو عُمَر[1] محمد بن عبدالواحد الزاهد (فى كتاب اليواقيت): قال أَبو العباس : وأَخبرنى سلمة عن الفراء قال : أَنشدنى بعض بنى هذيل « أَخو بيضات » البيت .

وكذا قال الزمخشرىُّ (فى المفصل) : إِذا اعتلَّت عين فعلةٍ سكنت إلاَّ فى لغة هذيل . فعند غير هذيل يكون الفتح ضرورة .

وقد أَطلق ابن جنى (فى شرح تصريف المازنى) فقال : وقد جاءَ فى الشعر تحريك مثل هذا . قال الشاعر : « أَخو بيضات » البيت .

وهذا ليس بجيِّد ، ولا بدَّ من التقييد .

قال (فى المحتسب) : امتنعوا من تحريك العين فى فَعْلةٍ إذا كانت حرف علَّة ، كجوْزات وبيضات . ولو حرِّك لوجب أن يُعتذر من صحَّة العين مع حركتها وانفتاح ماقبلها بأَنْ يقال : لو أُعلَّت لوجب القلب فيصير جازات وباضات ، فيلتبس ذلك بما عينُه فى الواحد أَلفٌ منقلبة ، نحو قارة وقارات، وجارة وجارات . وإذا جاز إسكان العين الصحيحة نحو تمرات وشفرات صار المعتلُّ أَحرى بالصحَّة . وربَّما جاءَ الفتحُ فى العين ، كما قال الهذلى[2] :

---

(١) ش : « أبو عمرو » ، صوابه فى ط ، كما هو معروف فى ترجمته .

(٢) البيت لم يرد فى ديوان الهذليين ولا شرح أشعارهم . وأوله فى رواية ابن جنى فى كتبه كلها : « أبو بيضات » ، لا « أخو بيضات » .

* أخو بَيَضات رائحٌ مُتأَوِّبٌ *

وعذره فى ذلك أَنَّ هذه الحركة إِنَّما وجبت فى الجمع ، وقد سبق العلم بكونها فى الواحد ساكنة ، فصارت الحركة فى الجمع عارضة فلم تُحفَل . وفى هذا بعدَ هذا ضعفٌ. أَلا ترى أَنَّ هذه الأَلف والتاء تبنَى الكلمة عليهما وليستا فى حكم المنفصل . يدلُّك على ذلك صحَّة الواو فى خُطُوات . ولو كانت الأَلف والتاءُ فى حكم المنفصل لوجب إِعلال الواو، لأَنها لام وقبلها ضمة . قال أَبو على: يدلُّك على أَنَّ الكلمة مبنيّةٌ على الأَلف والتاءِ اطِّراد إِتْباع الكسر للكسر فى سِدِرات وكِسِرات مع عزّة فِعِل فى الواحد بكسرتين[1] . إِلَّا أَنَّ ممَّا يؤنس بكونِ حركةِ العين غير لازمة ،قولُ يونس فى جِرْوة إِذا قلت جِرِوات . فصحَّة الواو وهى لامٌ بعد كسرة تدلُّك على قلة الاعتداد بها . أَو يقال : إِنَّ هذا شاذ ، يدلُّ على شذوذه امتناعهم أَن يحرِّكوا عين كُلْيَةٍ ومُدْيَةٍ فى هذا الجمع[2] ، لما كان يعقب ذلك من وجوب قلب الياء إِلى الواو . فدلَّنا ذلك على أَنّ نحو جروات شاذّ. فهذه أَشياءُ تراها متكافئة . وعلى كل حال فالاختيار خُطْوات بالإِسكان . انتهى .

والمصراع صدرٌ . وعجزه :

(رفيقٌ بمسح المنكبين سبوحُ)

والبيت مع كثرة وجوده فى كتب النحو والصرف لم أَطَّلع على قائله ، ولا على تتمته . قال شارح اللباب : يصف ذكَراً من النَّعام ، أَى هو أَخو بيضات يرجع ويسرع إِلى بيضاته .

٤٣٠

---

(١) الذى فى المحتسب : « مع عزة فعل فى الواحد . وإنما حكى سيبويه منه إبل لاغير » .
(٢) بدله فى المحتسب : « أن يحركوا عين كلية ومدية ، وأن يقولوا : كليات ومديات » .

وقال بعض فضلاءِ العجم (فى شرح أبيات المفصل) : الرائح : الذى يسير ليلاً . والمتأَوِّب : الذى يسير نهاراً ، يصف ظليماً وهو ذكر النعام ، شبَّه به ناقته ، فيقول : ناقتى فى سرعة سيرها كَظليم[1] له بيضات يسير ليلاً ونهاراً ليصل إلى بيضاته . رفيق بمسح المَنكبين : عالم بتحريكهما فى السَّير . سَبوح : حسن الجرى . وإنَّما جعله أخا بيضات ليدلَّ على زيادة سرعته فى السَّير ، لأنَّه موصوفٌ بالسرعة . وإذا قَصد بيضاتِه يكون أَسرع . انتهى .

وقال الكرمانى (فى شرح أبيات الموشح) : رائح من الرَّواح ، أى راجع . والسَّبوح من السَّبْحِ ، وهو شدَّة الجرى . والمراد برفيق بمسحِ المنكبين : التحرُّكُ يميناً وشِمالاً ، وذلك من عادة الطَّير . والمَنكب : مجتمَع ما بين العَضُد والكتف . وقد خطَّأَ العينىُّ فخر الدين الجارَبردى فى قوله : البيتُ فى صفة النعامة ، بأَنَّ البيت فى مدح جَملِه شبَّهه بالظليم[2] . والتخطئة لا وجهَ لها ، وكونه فى وصف نعامة أَو ظليمٍ أَمرٌ سهل مع أَنَّه متوقِّف على الوقوف على ماقبل هذا البيت .

قال صاحب المصباح : يتوهَّم بعضُ الناس أَنَّ الرَّواح لا يكون إلاَّ فى آخر النهار ، وليس كذلك بل الرَّواح والغدوّ عند العرب يستعملان فى المسير أَىَّ وقتٍ كان ، من ليل أَونهار . قاله الأَزهرىُّ وغيره . وعليه قوله عليه الصلاة والسلام : « من راح إلى الجمعة فى أَوَّل النهار فله كذا » ، أى مَن ذهَبَ .

والتأَوُّب : تفعُّل من الأَوْب ، وهو الرُّجوع من السَّفر . والرَّفيق من الرِّفق ، وهو ضدُّ العنف .

---

(١) ط : « ظليم » ، وأثبت ما فى ش .
(٢) ش : « يشبهه » ، وأثبت ما فى ط .

جمع التكسير

أَنشد فيه ، وهو الشاهد الرابع والتسعون بعد الخمسمائة ، وهو من شواهد سيبويه[١] :

٥٩٤ (لنا الجفَناتُ الغُرُّ يَلْمَعْنَ فى الضُّحى وأَسيافُنا يَقْطُرْنَ من نجدة دما)

على أَنَّه إن ثبت اعتراض النابغة على حسَّان بقوله : « قلَّلت جِفانَك وسُيوفك » لكان فيه دليلٌ على أَنَّ المجموع بالأَلف والتاءِ جمع قلَّة . وهذا طعنٌ منه على هذه الحكاية .

ثمَّ استظهر أَنّ جمعَى السلامة لمطلقِ الجمع من غير نظر إلى القلَّة والكثرة ، فيصلحان لهما . انتهى .

وقد نظمه أَبو الحسن الدَّبَّاج[٢] ، من نحاة إِشبيلية ، ذيلاً لجموع القلة من التكسير فى بيتٍ من المتقدِّمين ، وهما :

بأَفعُلٍ وبأَفعالٍ وأَفعلة وفِعلةٍ يُعرفُ الأَدنَى من العدد
وسالم الجمع أَيضاً داخلٌ معها فهذه الخمس فاحفظْها ولاتزد

وقد صرح سيبويه بأَنَّ الجمع بالأَلف والتاءِ للقلَّة . وأَوّلَ بيتَ حسّان على أَنَّه للكثرة ، وهذا نصُّه :

وأَمّا ما كان على فَعلة فإِنك إِذا أَردت أَدنى العدد جمعتَها بالتاءِ وفتحت العين ، وذلك قولك : قَصْعة وقَصَعات ، فإِذا جاوزْتَ أَدنى العدد كسَّرت الاسم على فِعال ، وذلك قصعة وقِصاع .

---

(١) فى كتابه ٢ : ١٨١ والمقتضب ٢ : ١٨٨ والمصون ٣ والخصائص ٢ : ٢٠٦ والمحتسب ١ : ١٨٧ ، ١٨٨ والموشح ٦٠ ، والأغانى ٨ : ١٨٨ وابن يعيش ٥ : ١٠ والعينى ٤ : ٥٢٧ والأشمونى ٤ : ١٢١ وديوان حسان ٣٧١ .

(٢) الدباج ، بالدال المهملة المفتوحة والباء المهملة المشددة وآخره جيم . وورد فى النسختين محرفاً « الذباح » ، صوابه من البغية ٢ : ١٥٣ . وهو أبو الحسن على بن جابر بن على الأشبيلى اللخمى النحوى . تصدر لإقراء النحو والقرآن نحو خمسين سنة وتوفى سنة٦٤٦ .

ثم قال : وقد يجمعون بالتاءِ وهم يريدون الكثير ، قال حسان :

لنا الجَنات الغُرُّ . . . . البيت .

فلم يردْ أدنى العدَد . انتهى .

قال الأَعلم : الشاهد فى وضع الجفنات وهى لما قلَّ من العدد فى الأَصل، لجريها مجرى الثلاثة ، موضعَ الجفان التى هى للكثير. و(الغُرّ) البيض ، يريد بياضَ الشحم. و(الأَسياف) جمعٌ لأَدنى العدد ، فوضَعَه موضع الكثير . وصف قومَه بالندى والبأْس ، يقول : جفاننا معدَّة للأَضياف ومساكينِ الحىِّ بالغداة ، وسيوفنا يقطرن دماً ، لنجدتنا وكثرة حروبنا . انتهى . ٤٣١

وإلى مذهب سيبويه ذهب الزجاج ، قال فى تفسيره عند قوله تعالى: ﴿ وَاذْكُرُوا اللهَ فِى أَيَّامٍ مَعْدُودَاتٍ[١] ﴾ قالوا: هى أيام التشريق . ومعدودات يستعمل كثيراً فى اللغة للشىء القليل. وكلُّ عدد قلّ أو كثر فهو معدود ، ولكن معدودات أُوِّل على القلة ، لأَنَّ كلَّ قليل يجمع بالأَلف والتاءِ ، نحو درهمات وحَمّامات . وقد يجوز ، وهو حسن كثير ، أَنْ يقع الأَلف والتاءُ للتكثير. وقد روى أَنَّه عِيب على القائل: « لنا الجفنات الغُرّ » البيت ، فقيل له : قلَّلتَ[٢] الجفنات ولم تقل الجفان! وهذا الخبر عندى مصنوع ، لأَنَّ الأَلف والتاءَ قد تـأْتى للكثرة ، قال الله عز وجلّ : ﴿ إِنَّ المسْلِمينَ والمسْلِمَاتِ والمؤْمِنينَ والمؤْمِنَاتِ[٣] ﴾ ، وقال : ﴿ فى جنَّات ﴾

(١) الآية ٢٠٣ من سورة البقرة .
(٢) ط : « قلت » ، وأثبت ما فى ش .
(٣) الآية ٣٥ من الأحزاب .

وقال: ﴿ وَهُمْ فِي الغُرفَاتِ آمِنُونَ[1] ﴾ فالمسلمون ليسوا فى غُرفات قليلة، ولكن إذا خصَّ القليل فى الجمع بالألف والتاء دلَّ عليه، لأنَّه يلى التثنية. وجائز حسن أن يراد به الكثير، ويدلُّ المعنى الشاهد على الإرادة، كما أنّ قولك جمع يدل على القليل والكثير. انتهى.

وكذلك قال ابن جنى (فى المحتسب) عند قراءة طلحة من سورة النساء: ﴿صَوَالِح قَوَانِت حَوَافظ لِلْغَيْبِ[2]﴾. قال أبو الفتح: التكسير هنا أشبه لفظاً بالمعنى، وذلك أنَّه إنَّماً يراد هنا معنى الكثرة لا صالحات من الثلاث إلى العشر. ولفظ الكثرة أشبه بمعنى الكثرة من لفظ القلَّة بمعنى الكثرة، والألف والتاءُ موضوعتان للقلَّة، فهما على حدِّ التثنية بمنزلة الزيدون من الواحد إذا كانوا على حدِّ الزيدان[3]. هذا موجبُ اللغةِ على أوضاعها، غير أنَّه قد جاءَ لفظ الصحَّة[4] والمعنى الكثرة كقوله تعالى: ﴿ إنَّ المسْلِمِينَ والمسْلِمَاتِ﴾ إلى قوله: ﴿ والذَّاكِرِينَ اللهَ كَثِيراً والذَّاكِرَاتِ﴾ والغرض فى جميعه الكثرة لا ما هو لمَا بين الثلاثة إلى العشرة، وكان أبو علىٍّ ينكر الحكاية المرويَّة عن النابغة وقد عَرَض عليه حسَّان شعره، وأنَّه لما صار إلى قوله لنا الجفنات الغر، البيت، قال له النابغة «لقد قلَّلت جفانك وسيوفَك! قال أبو على: هذا خبر مجهول لا أصلَ له، لأنَّ الله تعالى يقول: ﴿ وَهُمْ فِي الغُرُفَاتِ آمِنُونَ﴾ ولا يجوز أن تكون الغرف كلُّها التى فى الجنَّة من الثلاث إلى العشر. وعُذر ذلك عندى أنه قد كثر عنهم وقوعُ الواحد على معنى الجمع جنساً، كقولنا: أهلك

---

(١) الآية ٣٧ من سورة سبأ.
(٢) من الآية ٣٤ فى سورة النساء. وقراءة الجماعة: «فالصالحات قانتات حافظات للغيب».
(٣) فى المحتسب: «إذا كان على حد الزيدان».
(٤) أى الجمع الصحيح للمؤنث والمذكر، وهما للقلة:

الناسَ الدينارُ والدرهم ، وذهب الناسُ بالشاة والبعير ، فلمَّا كثر ذلك جاءوا فى موضعه بلفظ الجمع الذى هو أدنى إلى الواحد أيضاً ، أعنى جمعَى السَّالم[١] ، وعُلِم أيضاً أنَّه إذا جىء فى هذا الموضع بلفظ جمع الكثرة لا يتدارك معنى الجنسية ، فلهُوا عنه وأقاموا على لفظ الواحد تارة ولفظ الجمع المقارب للواحد تارة أُخرى ، إراحة لأنفسهم من طلب ما لا يدرك ويأْساً منه . فيكون هذا كقوله :

رأى الأَمرَ يُفضِى إلى آخِرٍ فصيَّر آخــرَه أوّلا[٢]

ومثل هذين الجمعين مجيئهم فى هذا الموضع بتكسير القلة[٣] كقوله تعالى : ﴿ وَأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ[٤] ﴾ ، وقول حسان : وأسيافنا يقطرن، ولم يقل عيونهم ولا سيوفنا . وقد ذكرنا هذا ونحوَه فى كتاب الخصائص[٥] . انتهى . ٤٣٢

قال شيخنا ياسين الحمصى (فى شرح ألفية ابن مالك): اعلم أنَّهم قالوا : إذا قرن جمع القلة بأَل التى للاستغراق ، أوأُضيف إلى ما يدلُّ على الكثرة انصرفَ بذلك إلى الكثرة . وعلى هذا الإيراد ما قاله النابغةُ على حَسَّان ، ويقال إنَّ حسَّان أجاب بذلك ، لكنّ قوله أسيافنا لم يُضَف إلى ما يدلُّ على الكثرة . وعليك بحفظ هذه القاعدة ، فكثيراً مايُغفَل عنها. وممن غَفَل عنها العلاَّمة ، والقاضى ، وصاحب المغنى[٦] فى تفسير قوله

---

(١) لفظ المحتسب : « أعنى الجمع بالواو والنون ، والألف والتاء » .

(٢) فى الخصائص ١ : ٢٠٩ / ٢ : ٣١ ، ١٧٠ وابن يعيش ٥ : ١٢٠ وفى بعض أصول الخصائص : « فصير غايته » .

(٣) ط : « بتكثير القلة » ، صوابه فى ش والمحتسب .

(٤) من الآية ٩٢ فى سورة التوبة .

(٥) انظر الحاشية ١ .

(٦) ط : « وصاحب والمغنى » بزيادة واو ، وفى ش : « والمغنى » فقط . والوجه ما أثبت .

تعالى: ﴿مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللهِ[1]﴾ حيث وجَّهوا التعبير بجمع القلة بما ذكروه. وردَّ عليهم الكورانيُّ بأَنَّ الجمع فى الآية مضاف. واعلم أيضاً أن أبا حيان استشكل انصرافَ جمعِ القلة إلى الكثرة بما حاصله أنه وضع للقلة وهى من ثلاثة إلى عشرة فإذا دخل أداة الاستغراق ينبغى أن يكون الاستغراق فيما وضع له، لا فيما زاد، لأنه ليس مما وضع له. ثم أجاب بما حاصله أنه وضع بوضع آخر مع أداة الاستغراق للكثرة. انتهى.

وقال أيضاً (فى حاشيته على التصريح للشيخ خالد): اعلم أَنَّ ما ذكره النحاة من أَنَّ جموع القلة للعشرة فما دونها لا ينافى تصريحَ أئمة الأُصول بأَنَّها من صيغ العموم، لأَنَّ كلام النحاة، كما قال إمام الحرمين، محمولٌ على حالة التجرد عن التعريف. انتهى.

وهذا الجواب فيه نظر، فإنَّ غالبَ ماوقع فيه النزاع معرَّف بأَل.

وقد نقل جماعةٌ اعتراض النابغة على حسَّان فى هذا البيت، منهم أَبو عبد الله المرزبانى (فى كتاب الموشَّح) من عدَّة طرق، قال: كتب إلىَّ أحمد بن عبد العزيز، أَخبرنا عمر بن شبَّة قال: حدَّثنى أَبو بكر العُليمى قال: حدَّثنا عبد الملك بن قُريب قال: كان النابغة الذبيانى تُضرَبُ له قبَّةٌ حمراءُ من أَدَم بسوق عُكاظ، فتأْتيه الشُّعراءُ فتَعرِض عليه أَشعارها. قال: فأَوّلُ من أَنشده حسَّان بن ثابتٍ الأَنصارىّ[2]:

لنا الجفناتُ الغُرُّ يلمَعْنَ فى الضُّحى ... وأَسيافُنا يقطُرْنَ من نجدةٍ دماً
ولدْنا بنى العَنْقاء وابنَىْ محرِّق ... فأَكرِمْ بناخالاًوأَكرم بنا ابنَما[3]

---

(١) الآية ٢٧ من سورة لقمان.

(٢) الذى فى الموشح ٨٢: «فأول من أنشده الأعشى ميمون بن قيس أبو بصير، ثم أنشده حسان بن ثابت الأنصارى» فى الكلام سقط.

(٣) ط: «وابن محرق» صوابه فى ش والحيوان ٧: ١٤٨ والموشح وديوان حسان ٣٧١.

فقال له النابغة : « أنت شاعر ، ولكنَّك أقللت جفانك وأسيافك ، وفخرت بمن ولدتَ ولم تفخر بمن ولدك » .

وحدثنى على بن يحيى قال : حدثنا أحمد بن سعيد قال : حدثنا الزُّبير بن بكارٍ قال : حدَّثنى عمِّى مصعب بن عبد الله قال : أنشد حسّان نابغةَ بنى ذبيان قصيدته التى يقول فيها : « لنا الجفنات الغُرّ » فقال له : « ما صنعت شيئاً ، قلَّلت أمركم فقلت : جَفَنات وأسياف » .

وأخبرنى الصُّولى قال : حدَّثنى محمد بن سعيد ، ومحمد بن العباس الرِّياشىُّ ، عن الأَصمعى ، عن أبى عمرو بن العلاءِ قال : كان النابغة الذبيانى تُضرب له قبَّةٌ بسوق عكاظ من أَدَم ، فتأْتيه الشعراءُ فتَعرِض عليه أشعَارَها ، فأَتاه الأَعشى فكان أَوَّلَ من أنشده ، ثم أَنشده حسان بن ثابت قصيدتَه التى منها : « لنا الجفنات الغُرُّ » وذكر البيتين ، فقال له النابغة : « أَنت شاعرٌ ولكنَّك أَقللت جِفانك وأَسيافك ، وفخرت بمن ولدتَ ولم تفتخر بمن ولدك » .

قال الصُّولى : فانظر إلى هذا النقد الجليل الذى يدلُّ عليه نقاءُ كلامِ النابغة وديباجةُ شعره ، لأَنَّه قال : وأَسيافنا ، وأَسياف جمع لأَدنى العدد ، والكثير سيوف . والجَفَنات لأَدنى العدد ، والكثير جفان . وترك الفخرَ بآبائه وفخرَ بمن ولد نساؤه .

٤٣٣

قال : ويروى أَنَّ النابغة قال له : « أقللتَ أَسيافكَ ولمَّعت جِفَانك[1] » . يريد قوله « لنا الجفنات الغُرّ » والغُرَّة : لمعة بياضٍ فى الجفنة . فكأَنَّ النابغة

(١) فى النسختين : « أجفانك » ، صوابه فى الموشح ٦٠ . وإنما تجمع الجفنة على جفان ، كما تجمع على جفن بكسر ففتح ، كهضبة وهضب .

عابَ هَذه الجفان ،وذهب إلى أَنَّه لو قال لنا الجفنات البيض فجعلها بيضاً ، كان أَحسنَ . فلعمرى إنَّه حسَنٌ فى الجفان ، إلاَّ أن الغُرّ أَجلُّ لفظاً من البيض .

قال أَبو عبد الله المرزبانى : وقال قومٌ ممن أَنكر هذا البيت : فى قوله يَلمعن بالضُّحى ولم يقل بالدجى . وفى قوله وأَسيافنا يقطرن ولم يقل يجرين ، لأَنَّ الجرى أَكثر من القَطر . وقد رُدَّ هذا القول واحتجَّ فيه قومٌ لحسَّان ، بما لا وجهَ لذكره فى هذا الموضع .

فأَمَّا قوله : « فخرت بمن ولدت ولم تفخر بمن ولدك » فلا عذر عندى لحسَّان فيه على مذهب نقَّاد الشعر . وقد احترس من مثل هذا الزَّلل رجلٌ من كلب فقال يذكر ولادتَهم لمُصْعَبِ بن الزبير وغيره ممَّن ولده نساؤهم :

وعبدَ العزيز قد ولدْنا ومُصعباً   وكلبٌ أَبٌ للصَّالحين وَلُودُ

فإنَّه لما فخر بمن ولده نساؤهم فضَّل رجالهم ،وأَخبر أَنَّهم يلدون الفاضلين ، وجمع ذلك فى بيت وأَجاد . انتهى ماأَورده المرزبانى .

وممن نقلها أَيضاً أَبو الفرج الأَصبهانى (فى الأَغانى) قال بعد إيراد سنده : إنَّ النابغة كانت تُضرب له قبَّةٌ فى سوق عكاظ ، وتُنشده الشعراءُ أَشعارَها ، فأَنشده الأَعشى شعراً فاستحسنه ، ثم أَنشدته الخنساءُ قصيدةً حتى انتهت إلى قولها :

وإنَّ صخرًا لَوالينا وسيِّدُنا   وإنَّ صخرًا إذا نَشتُو لنحَّارُ
وإنَّ صخرًا لتأْتَمُّ الهداةُ به   كأَنَّه علَمٌ فى رأْسه نارُ

فقال : لولا أنَّ أَبا بَصيرٍ الأَعشى أنشدنى قبلك لقلت إنَّكِ أَشعرُ الناس: أنتِ والله أشعَرُ مِن كلِّ ذات مَثانة[١] . فقالت : إى والله ومن كلِّ ذى خُصيين . فقال حسّان : أنَّا والله أشْعر منك ومنها ومن أبيك . قال :حيث تقول ماذا ؟ قال : حيث أَقول : لنا الجفنات الغُرّ ... البيتين. فقال : إنَّك شاعر لولا أنَّك قلَّلت عدد جفانك، وفخرت بمن ولَدْتَه . وفى رواية أُخرى : قال له : إنَّك قُلت الجفنات فقلَّلت العدد ، ولو قُلت الجفان لكان أكثر ، وقلت يلْمَعْنَ بالضُّحى ، ولو قلت يبرقن بالدُّجَى لكان أَبلغ فى المديح ، لأَنَّ الضيف فى الليل أكثر . وقلت يقطُرن من نجدة دماً فدلَّلْت على قلَّة القتل ، ولو قلت يجرين لكانَ أكثر لانصباب الدم . وفخرت بمن ولدْتَ ولم تفتخر بمَن ولدك . فقام حسَّان منكسراً منقطعاً . انتهى ماوراه .

وقال أُسامة بن منقذ (فى باب التفريط من كتاب البديع): اعلم أَنَّ التَّفريط هو أَن يُقدِم على شىء فيأْتىَ بدُونه ، فيكون تفريطاً منه إذ لم يكمل اللفظ أَو يبالغْ فى المعنى . وهو بابٌ واسع يعتمد عليه النقّاد من الشُّعراءِ ، مثل قول حسّان بن ثابت الأَنصارى : « لنا الجفنات الغُرّ » البيت .

وفرَّط فى قوله الجفنات لأَنَّها دون العشرة ، وهو يقدِر أَنْ يقول : «لدينا الجفان » ، لأَنَّ العدد القليل لا يُفتخر به وكذلك قوله « وأسيافنا» لأَنَّها دون العشرة ، وهو قادرٌ أن يقول : « وبيضٌ لنا » .

(١) أصل المثانة مستقر البول وموضعه من الرجل والمرأة ، لكن المراد بها هنا مهبل المرأة . قال الأزهرى : « والمثانة عند عوام الناس موضع البول ، وهو عنده — يعنى ابن الأعرابى — موضع الولد من الأنثى » .

وفرَّط في قوله « الغُرّ » لأنَّ السُّود أمدح من البِيض ، لأَجل الدُّهن وكثرةِ القِرى فيهنّ .

٤٣٤ وفرَّط في قوله بالضُّحى وهو قادر على أن يقول في الدجى ، لأَن كلَّ شَيْءٍ يلمع في الضحى . وفرَّط في قوله يقطرن ، وهو قادرٌ على أن يقول يجرين ، لأَنَّ القطر قطرة بعد قطرة . وقال قُدَامة : أَراد بقوله الغر المشهورات . وقال بالضُّحى لأَنَّه لا يلمع فيه إلاَّ عظيمٌ ساطع الضوء : والدُّجى يلمع فيه يسير النور . وأَما أَسياف وجفنات فإِنَّه قد يوضع القليل موضع الكثير ،كما قال سبحانه : ﴿لهمْ جَنَّاتٌ[١]﴾ و﴿درجات[٢]﴾. وقوله يقطرن دماً هو المعروف والمأْلوف ، فلو قال يجرين لخرج عن العادة . وينوب قطَر عن جرى . اهـ .

وقال ابن أَبي الإِصبع (في كتابه تحرير التحبير) : في باب الإِفراط في الصفة ، وهو الذي سمَّاه قدامة المبالغة ، وسمَّاه مَنْ بعده التبليغ : وحَدَّ قدامةُ المبالغةَ بأَن قال : هي أَن يذكر المتكلِّم حالًا من الأَحوال لو وقف عندها لأَجزأَت ، فلا يقف حتَّى يزيد في معنى ما ذكره ما يكون أَبلغَ في معنى قَصدِه ، كقوله[٣] :

ونكرمُ جارنا ما دام فينا ونُتبعه الكرامةَ حيث مالا

وأَنا أَقول : قد اختُلف في المبالغة ، فقوم يرون أَجودَ الشعر أَكذبه وخير الكلام ما بولغ فيه ، ويحتجُّون بما جرى بين النابغة الذبياني وبين

(١) في آيات كثيرة منها الآيتان ٢٥ ، ١٩٨ من البقرة و ١١٩ من المائدة .

(٢) لهم درجات في الآية ٤ من الأنفال .

(٣) في تحرير التحبير ١٤٧ : « كقول عمرو بن الأهتم التغلبي » . وانظر معاهد التنصيص ١ : ٢٥٨ .

حسَّان فى استدراك النابغة عليه تلك المواضع ، فى قوله : « لنا الجفنات الغُرّ » .. البيت ؛ فإنَّ النابغة إنَّما عاب على حسان تركَ المبالغة . والقصَّة مشهورة ، وإن رُوى عنه انقطاعه فى يد النابغة . وقومٌ يرون المبالغةَ من عيوب الكلام . والقولان مردودان .

وقد بَيَّنَ وجهَ الردِّ فيهما [١] .

ونقلُ العينيِّ عن ابن يسعون نقدَ هذا البيت من جهة اللفظ ، ساقطٌ ، لأَنَّ الجمع فى الجفنات نظير قوله تعالى : ﴿ وهم فى الغُرُفات آمنون[٢] ﴾ وأما الغُرّ هنا فليس جمعَ غُرَّة ، بل البيض المشرِفات من كثرة الشُّحوم وبياضِ اللُّحوم . وهى جمع غرّاء . ويجوز أَن يريد بها المشهورة المنصوبة للقِرى . وكذلك « يَلمعن » هو المستعمل فى هذا النَّحو الذى يُدَلُّ به على البياض ، كما تقول : لمع السراب ، ولمع البرق ، وكذلك الضُّحى والضَّحاءُ ، لأَنَّهما بمعنًى . على أَنَّ الضُّحى أَدلُّ على تعجيلهم القِرى . وأَمَّا القول بأَنّ يبرقن فى الدُّجى أَبلغ فساقط ، لأَنَّه إنما أَراد أَن إطعامَهم موصول ، وقِراهم فى كلِّ وقت مبذول ، لأَنَّه قد وصف قبلَ هذا قراهم بالليل حيث قال :

وإنَّا لنقرِى الضَّيفَ إن جاءَ طارقاً
من الشَّحم ما أَضحى صحيحاً مسلَّما

ويروى : « ما أَمسى » . وأَمَّا قوله يقطرن فهو المستعمل فى مثل هذا ، يقال سيفه يقطر دماً . ولم تجر العادةُ بأَن يقال : يجرى دماً ، مع أَنَّ

---

(١) انظر تحرير التحبير ١٤٨ – ١٥١ .
(٢) من الآية ٣٧ فى سورة سبأ .

يقطر أمدح ، لأنَّه يدلُّ على مضاء السَّيف وسرعة خروجه عن الضَّريبة حتَّى لا يكاد يَعلق به دم . اهـ .

صاحب الشاهد — والبيت من قصيدةٍ افتخارِيَّة لحسان بن ثابتٍ الصحابى ، عدَّتها خمسة وثلاثون بيتاً . وهذه أبياتٌ منها بعد أن ذكر منازل حبيبته :

لنا حاضرٌ فعمٌ وبادٍ كأنَّه شماريخُ رَضْوَى عزَّةً وتكرُّما

متى ماتَزِنَّا من معدٍّ بعصبة وغسَّانَ نمنعْ حوضَنا أنْ يهدَّما

بكلِّ فتى عارى الأشاجع لاحَه قِراعُ الكماة يرشح المسكَ والدَّما

٤٣٥ إذا استدبرتنا الشمسُ دَرَّت متونُنا كأنَّ عروق الجوف ينضَحْنَ عَندمَا

ولدنا بنى العنقاء وابنَىْ محرِّقٍ فأَكرمْ بنا خالاً وأكرم بنا ابنَما

نسوِّد ذا المالِ القليل إذا بَدَتْ مُروءته فينا وإن كان مُكرَما

وإنَّا لنقرِى الضَّيفَ إن جاءَ طارقاً مِنَ الشحْم ماأمسى صحيحاً مسلَّما

أَلسنا نردُّ الكبشَ عن طِيَّة الهوى ونَقلب مُرَّانَ الوشيج محطَّما

وكائن ترى من سيِّدٍ ذى مهابة أبوه أبونا وابنُ أُختٍ ومَحرَما

لنا الجفنات الغر ... ... البيت

أَبى فعلُنا المعروفَ أن ننطق الخنا وقائلُنا بالعُرف إلاَّ تكلما

فكلَّ معدٍّ قد جزينا بصنعه فبؤسَى ببؤساها وبالنُّعم أنعُما[1]

---

(١) وكذا فى الديوان ٣٧٢ . وفى ش : « وكل معد » بالواو . وبين هذا البيت وسابقه فى الديوان :

أبى جاهنا عند الملوك ودفعنا وملء جفان الشين حتى تهزما

وهذه آخر القصيدة .

وقوله : « لنا حاضر فعم » الخ ، قال فى الصحاح : الحاضر : الحىُّ العظيم . وأنشد البيت . والفَعْم : الكثير الممتلئ . والبادى : النازل بالبادية ، يقال بَدا يَبدَاوة ، بالفتح والكسر ، وهى الإقامة بالبادية . والشِّمراخ بالكسر : رأْس الجبل . ورَضْوى ، بالفتح : جبلٌ بالمدينة .

وقوله : « متى ماتزِنَّا » إلخ تزِنَّا بالخطاب من الوزن . ومعد : أَبوقبيلة . والواو فى قوله« وغسَّان » للقسم ونمنع جواب الشرط . وهذه عبارةٌ عن العزّ والمنعة .

وقوله : « بكلِّ فتًى » إلخ متعلق بنمنع . والأَشاجع : أُصول الأَصابع التى تتَّصل بعصب ظاهر الكف ، الواحد أَشجع . وأَراد بعُريها كونَها عاريةً من اللَّحم غير غليظة . ولاحَه بالمهملةِ بمعنى غيَّره . وقراع مصدر قارعَة . ومقارعة الأَبطالِ : قرعُ بعضِهم بعضاً . والكماةُ : الشُّجعان . وقوله : « يرشح المسك » إلخ أَراد أَنَّهم ملوك ، فإذا جُرح أَحدهم سال دمُه برائحة المسك .

وقوله : « إذا استدبرتنا الشمس » إلخ . المتون : الظُّهور . والعندَم : البَقَّم ، وقيل دم الأَخوين . قال شارح ديوانه : يريد أَنَّهم إذا عرقوا [عرقوا[1]] برائحة الطِّيب .

وقوله : « ولدنا بنى العنقاء » إلخ ، العنقاءُ : ثعلبة بن عمرو مزيقياء

(١) التكملة من ش .

ابن عامر بن ماءِ السماءِ . ومحرِّق: هو الحارث بن عمرٍو مزيقياءَ [(١)] وكان أَوّلَ من عاقب بالنار . وقوله: « فأَكرم بنا » هو تعجُّب ، أَى ما أَكرمنا خالاً ، وما أَكرمنا ابناً ، وما زائدة .

وقوله: « وإنا لنقرى » إلخ. نقرى : نُضيف. والطروق : المجىء ليلاً. وما مفعول نقرى لتضمُّنه معنى نطعم. يريد أَنَّهم يذبحون للضَّيف الإِبلَ السالمة من علَّة ومرض .

وقوله: « أَلسنا نردُّ الكبش » إلخ. الكبش : سيِّد القوم . والطِّيَّة بالكسر : النية . والهوى : هوى النفس . والمُرَّان بالضم : جمع مارن ، وهو الرُّمح اللين المهَزّ . أَى نقاتل بها حتَّى تنكسر .

و« ها » فى البيت الأَخير للتَّنبيه .

وترجمة حسَّان تقدَّمَت فى الشاهد الحادى والثلاثين من أَوائل الكتاب [(٢)] .

---

(١) مزيقيا: لقب لعمرو هذا . وهو عمرو بن عامر ماء السماء ، بن حارثة الغطريف ، ابن امرئ القيس البطريق ، بن ثعلبة البهلول ، بن مازن قاتل الجوع ، بن الأزد . الاشتقاق ٤٣٥ والعمدة ٢ : ١٧٨ .

والمحرق هذا ، وهو الحارث بن عمرو ، كان يلقب بالحارث الأكبر ، كما كان يكنى أبا شمر . ويعنى بابنى محرق هنا ولدين من نسله من الغساسنة ، هما ابنه الحارث الأعرج ، وأمه مارية ذات القرطين ، وهى مارية بنت ظالم بن وهب بن الحارث . وحفيده الحارث الأصغر بن الحارث الأعرج ، وكان يقال لهذا أبو شمر الأصغر ، واسمه عمرو بن الحارث ، وله يقول النابغة :

على لعمرو نعمة بعد نعمة لوالده ليست بذات عقارب

وفى ملوك العرب من ملوك الحيرة من لقب بمحرق : امرؤ القيس بن عمرو بن عدى بن نصر بن ربيعة اللخمى . وله يقول الأسود بن يعفر :

ماذا أؤمل بعد آل محرق تركوا منازلهم وبعد إياد

وفيهم : عمرو بن هند ، وهو عمرو بن المنذر بن امرئ القيس بن عمرو بن عدى . وفى اللسان : « قال ابن سيده : محرق لقب ملك ، وهما محرقان : محرق الأكبر وهو امرؤ القيس اللخمى ، ومحرق الثانى وهو عمرو بن هند مضرط الحجارة » . العمدة ٢ : ١٧٧ – ١٧٩ وانظر اللسان والقاموس (حرق ، مزق) والعمدة ٢ : ١٧٧ – ١٧٩ والمحبر لابن حبيب ٢٤٧ ، ٣٠٤ ، ٣٧٢ والأغانى ٢١ : ١٢١ وسرح العيون ٢ : ٢٠٢ .

(٢) الخزانة ١ : ٢٢٧ – ٢٢٨

المصـــدر

أنشد فيه ، وهو الشاهد الخامس والتسعون بعد الخمسمائة [١] :

٥٩٥ (ومَاالحربُ إلاَّ ماعلمتمْ وذقتمُ وما هُوَ عنها بالحديثِ المرَجَّمِ)

على أنَّ الظرف والجار والمجرور يعمل فيهما ما هو فى غاية البعد من العمل ، كحرف النفى والضمير كما فى البيت ، فإنَّ قوله عنها متعلق بهو. ٤٣٦
أى ما حدِيثِى عنها .

والبيت من معلَّقة زهير بن أبى سُلمى الجاهلى . قال الصاغانى (فى العباب): الحرب مؤَنَّث ، يقال وقعتْ بينهم حرب. قال الخليل: تصغيرها حريب بلا هاءٍ روايةً عن العرب : قال المازنى : لأَنَّه فى الأَصلِ مصدر . وقال المبرِّدُ : الحرب قد تذكَّر . وأنشد : صاحب الشاهد

وهو إذا الحرب هفا عقابُه مِرْجمُ حربٍ تلتَقى حِرابُه[٢]

وقد جعل الشارح المحقق الضمير كنايةً عن الحديث الذى هو قولٌ وفاقاً لأَبى الحُسين الزَّوزنى شارح المعلَّقات ، قال : الضمير كناية القول لا العلم ، لأَن العلم لا يكون قولا . وفيه ردٌّ على سائر شرَّاح المعلقات ، فى أنَّ الضَّمير راجع إلى العلم . قال أَبو جعفر النحاس ، وتبعه التِّبريزى واللفظ لهُ : قوله وما هو عنها ، أَى ما العلم عنها بالحديث ، أَى ما الخبر عنها بحديث يُرجَّم فيه بالظنِّ ، فقوله هو كناية عن العِلم ، لأَنَّه

---

(١) همع الهوامع ٢ : ٩٢ ويس على التصريح ٢ : ٦٢ .

(٢) ش : « ملجم »، صوابه فى ط وشرح شواهد الشافية ٩٨. والرواية فيها وفى اللسان (حرب ٢٩٣) : « تلتظى حرابه » . وفى اللسان أيضاً : « كره اللقاء تلتظى حرابه » .

لمَّا قال : إلاَّ ماعلمتم ، دلَّ على العلم . قال الله تعالى :﴿ ولاَ تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخَلون بِما آتَاهُمُ اللهُ مِنْ فَضْلِه هُوَ خَيْراً[١] ﴾، المعنى : أنَّه لما قال يبخلون دلَّ على البخل ، كقولهم : منْ كذبَ كان شرًّا له ، أى كان الكذب شرًّا له. ا هـ

وقال الأعلم الشنتمرى : هو كنايةٌ عن العِلم ، يريد : وما علمكم بالحربِ . وعن بدل من الباء . هذا كلامه .

وقال صَعُودا (فى شرح ديوانه) : هو ضميرٌ راجع على ما ، وكأنَّه قال : وما الذى علمتم . ثم كنى عن الذى . ا هـ .

والمرجَّم : الذِى يُرجَم بالظنون ، والترجيم والرَّجم : الظنُّ ، ومنه قول الله عز وجل : ﴿ رجماً بالغيب[٢] ﴾ أى ظنًّا . والذَّوق أصله فى المطعوم ، واستُعير هنا للتجربة . يقول : ليست الحرب إلَّا ماعهدتموها وجرَّبتموها ومارَسْتم كراهتها ، وما هذا الذى أقوله بحديث مظنون . وهذا ماشهدتْ به الشواهدُ الصادقة من التَّجارب ، وليس من أحكام الظُّنون . خاطب زهيرٌ بهذا الكلام قبيلة ذبيان وَأحلافَهم ، وهم أسد وغطفان ، ويحرِّضهم على الصُّلح مع بنى عمهم بنى عبس ، ويخوِّفهم من الحرب ، فإنَّهم قد علموا شدائدَها فى حرب داحس[٣] .

وقد تقدَّم شرح القصة مع شرح أبيات كثيرة من هذه المعلقة مع ترجمة زهير فى الشاهد الثامن والثلاثين بعد المائة[٤] .

* * *

(١) الآية ١٨٠ من سورة آل عمران .

(٢) الآية ٢٢ من سورة الكهف .

(٣) ط : « قد تقدم » .

(٤) الخزانة ٢ : ٣٣٢ – ٣٣٦ .

وأنشد بعده ، وهو الشاهد السادس والتسعون بعد الخمسمائة [١] :

٥٩٦ (أَمِنْ رسمِ دارٍ مَرْبعٌ ومَصِيفُ   لِعينَيْكَ من ماءِ الشُّئونِ وَكيفُ)

على أن رسم دار مصدر مضاف إلى مفعوله ، ومَربَع فاعله .

ورسم هنا : مصدر رَسم المطرُ الدارَ ، أى صيَّرَها رسماً ، بأَنْ عفَّاها . ولا يراد بالرَّسم هنا ما شخَص من آثار الدار ، لأَنَّ ذلك عينٌ لامعنًى والذى يعمل معنًى لاغير . كذا فى (شرح الإيضاح لأَبى البقاء الفارسى).

وقال شارح أبياته ابن برى : ومعنى رَسَم أثَّر ، ولم يُبقِ منها إلاَّ رسوماً وآثاراً . وقيل معناه غيَّر أثرها بشدَّة الاختلاف عليها ، ومنه قيل : رسمت الناقة رسيماً ، إذا أَثَّرت فى الأَرض بشدَّة وطئها . وقيل الرَّسم بمعنى المرسوم ، فعلى هذا يكون اسماً لا مصدرًا ، فلايجوز أنْ يعمل . والتقدير أَلِعينيك من ماءِ الشئون وَكِيفٌ من أَجل مَرسومِ دارٍ هو موضعُ الحلول فى الربيع والصيف . انتهى كلامه .

٤٣٧

صاحب الشاهد

والبيت مطلع قصيدةٍ للحطيئة علَّتها ثمانية عشر بيتاً ، مدحَ بها سعيدَ ابن العاص الأُمويَّ لمَّا كان والياً بالكوفة لعثمان بن عفان، وبعده بيتان [٢] :

(تذكَّرتُ فيها الجهلَ حتَّى تبادرَتْ

دموعي وأصحـــابى علَىَّ وُقوفُ)

(١) أمالى ابن الشجرى ١ : ٣٥١ ، وابن يعيش ٦ : ٦٢ ، وديوان الحطيئة ٣٩ .

(٢) هما قوله فى الديوان ٤٠ :

رشاش كغربٍ هاجرى كلاهما   لـه داجن بالكرتين عليف
إذا كر غرباً بعد غرب أعاده   على رغمه وافى السبال عنيف

وفى ط : « وبعده بيت » ، والوجه ما أثبت من ش .

ومنهـــا :

(إليكَ ســـعيدَ الخير جُبت مَهامِهاً
يقابلنى آلٌ بهـــا وتَنُـــوفُ[1])

وقوله : (أمن رسم دار) إلخ الهمزة للاستفهام التقريرى ومن تعليلية متعلِّقة بوكيف ، وهو مصدر وَكف البيتُ بالمطر ، والعينُ بالدَّمع ، وَكْفاً من باب وعد ، ووكوفاً ووكيفاً : سالَ شيئاً فشيئاً . قال شارح ديوانه : التأْويلُ : أمن أن رسم دارًا مربعٌ ، أىأَثَّر فيها آثاراً . والرَّسم : الأَثر بلا شخص . والشُّئون : مجارى الدَّمع من الرأْس إلى العين ، واحدها شأْن . وقوله : (لعينيك) جارٌّ ومجرور متعلِّق بمحذوف خبر مقدَّم على المبتدأ وهو وَكيف، يُروى بالتثنية ويروى بالإفراد . و(مربع): فاعل المصدر ، وهو رسم ، وهو على حذف مضاف ، والتقدير : مطره ونحوه . وهـو ومابعده اسمان لزمن الرَّبيع والصَّيف ، ويأْتيان اسمَىْ مكان أيضاً ، ومصدرين أيضاً . وهذه الصيغة يشترك فيها هذه المعانى الثلاثة ، وهى صيغة قياسية يذكرها الصرفيُّون . والمذكور فى كتب اللغة إنَّما هو المربع بمعنى منزل القوم فى الربيع خاصَّة .

وقد استعمل الحريرىُّ فى المقامة الأُولى المربعَ بمعنى الرَّبْع ، وهو المنزل حيث كان ، فى قوله : « ويسرِّب مَن يتبعُه ، لكن يُجهلَ مربعُه[2] » . ولم يصب ابنُ الخشَّاب فى تخطئه الحريرى (فيما كتَبَه على المقامات) فى قوله : ماأَصاب فيه ، لأَنَّ الربع منزلالقوم فى الرَّبيع خاصة ، وقد

(١) التنوف ، بالفتح : جمع تنوفة، وهى ، التى لاماء بها من الفلوات ولا أنيس وإن كانت معشبة .

(٢) مقامات الحريرى ١٥ .

استعمله بمعنى الأَوَّل وهو خطأٌ ، لأَنَّه كالمصيف والمشتى ، وتلك منازلهم فى هذه الأَزمنة خاصة .

وقد أَجاد ابن برى فى الردّ عليه فقال: يقال رَبَع بالمكان ، أى أَقام به الربيعَ ، ويقال أَيضاً ربع بالمكان : أَقام به حيثما كان . واسم المكان منهما مَربعٌ قياساً مطَّرداً عند النحويِّين ، كالمصنع والمصرع . والشاهدُ على قولهم : ربع بالمكان ، إذا أَقام به حيثُما كان ، قولُ الحادرة :

بكرتْ سُمَيَّةُ غُدوةً فتمتَّعِ وغدتْ غدوَّ مفارقٍ لم يَربَعِ [1]

فسَّره المفضَّل (فى المفضليات) فقال: يقال ربع بالمكان إذا أَقام به . ولم يشترط ربيعاً ولاغيره . فعلى هذا يصحّ أَن يكون المربع لمنزل الإِنسان. من بيته وداره ونحو ذلك ؛ وعليه يصحُّ قول يزيدَ بن الصَّعِق :

* يُشَنُّ عليكم بالقنا كلَّ مَربعِ [2] *

أَى كلَّ مكان تقيمون فيه . وأَما قول أَهل اللغة إنَّ المربع اسمٌ للمنزل فى الرَّبيع خاصة فإِنَّما يريدون به الأَكثر ، وهو الأَصل، ثم اتُّسع فيه فجعل لكلِّ مكان أَقام به الرجل. أَلا ترى أَنَّهم لا يكادون يذكرون المربع فى اسم الزمان ، وهو أَيضاً قياس مطَّرد مثل اسم المكان . وشاهده قولُ الحطيئة:

* أَمن رسم دار مربعٌ ومصيفُ *

فالمربع والمصيف على هذا : اسمٌ لزمان الربيع والصَّيف ، وكذلك قول جرير :

---

(١) المفضليات ٤٣ .

(٢) أنشده فى اللسان (قدد) والتهذيب ٨ : ٢٦٩ يقوله لبنى أسد . وصدره فيهما :

* فرغتم لتمرين السياط وكنتم *

وإنما أوردا هذا البيت فى غير مواده ليذكرا أن بعض بنى أسد أجابه بقوله :

أعبتم علينا أن نمرن قدنـــا ومن لم يمرن قـــده يتقطع

رَدُّوا الجمال بذى طُلوحٍ بعدما هـاج المصيفُ وقد تولَّى المربَعُ[١]

أى رَدُّوا الجمال من موضع رعيها إلى الحىِّ حين أرادوا التحمُّل ، وقد أتى المصيف وتولَّى المربع . وإذا أقبل زمنُ الصَّيف وتولَّى زمن الربيع يبس العشبُ فى الأرض . وكذلك المربع قد يكون اسماً للمصدر فى نحو قولهم : ربعت بالمكان مربعاً . ولا يكاد يذكرون المربع إلَّا فى اسم المنزل بالربيع ، وإنَّما يَذكر هذا مبيَّناً أهلُ النحو ، ويجعلون له باباً مفرداً وقياساً مطَّرداً . وماخرج عن القياس فى بناءٍ ذكروه . انتهى كلامه .

٤٣٨

وقولهُ : « تذكَّرتُ فيها الجهل[٢] » ، أى جهل الشباب والصِّبا .

وقوله : « إليك سعيدَ الخير » إلخ . إليك متعلق بجُبْت ، قدِّم عليه لإفادة الحصر . وجُبْت : قطعت ، يقال جاب الوادى بجوبه ، إذا قطعه ، وسعيد : منادًى مضاف إلى الصفة التى اشتهر بها . ويجوز أن يكون أصله خيِّرٌ بالتشديد ، فخُفِّف . والمهمَه : القَفر . والآل : السَّراب . وتَنُوف : جمع تَنوفة ، وهى الفلاة .

روى الأَصبهانىُّ (فى الأَغانى) بسندهِ إلىخالد بنسعيد قال : لقينى إياس بن الحطيئـة فقال لى : ياأبا عثمان ، مات أبى وفى كِسر بيته عشرون ألفاً أعطاه إيَّاها أبوك وقال فيه خمس قصائد ، فذهبَ واللهِ ما أعطيتمونا ، وبقى ما أعطيناكم ! فقلت : صدقتَ والله .

(١) تولى المربع : أدبر وتولى . وفى ط : « توالى » صوابه فى ش ، وديوان جرير ٣٤١ .

(٢) فى النسختين : « تذكر فيها الجهل » .

وروى أيضاً بسندٍ متصل إلى خالد بن سعيد قال : كان سعيد بن العاص بالمدينة زمنَ مُعاوية ، وكان يُعشّى الناس ، فإذا فرغ من العَشاء قَال الآذن : ليذهبْ إلّا مَنْ كان من أهل سَمَره . قال : فدخل الحطيئة فتعشَّى مع الناس ثم لم ينصرف ، فلما أَلحَّ عليه الآذنُ قال سعيد : دعْه [1] وأُخِذَ فى الشعر والحطيئة مطرقٌ لا ينطق ، فقال الحطيئة : والله ماأصبتم جيِّد الشعر ولا شاعرَ الشعراء . قال سعيد : من أشعر العرب ياهذا ؟ قال : الذى يقول :

لا أَعُدُّ الإقتارَ عُدْماً ولـكنْ   فقْدُ من قد رُزِئتُه الإعدامُ
مِن رجالٍ من الأَقارب بانُوا   مِن جُذام ٍ هم الرُّءُوسُ الكرامُ
سُلِّطَ الموتُ والمَنونُ عليهم   فلهمْ فى صَدَى المقابر هامُ
وكذاكُمْ سبيلُ كلِّ أُناسٍ   سوف حقًّا تُبليهمُ الأَيَّامُ

قال : ويْحك من يقول هذا الشعر ؟ قال : أَبودُوَادٍ الإيادىُّ . قال : ومَن الثانى ؟ قال : الذى يقول :

أَفلحْ بما شئت فقد يُبلغ بالـ   ـضَّعْفِ وقد يُخدَعُ الأَريب [2]

قال : ومن يقول هذا الشعر ؟ قال : عَبيد . قال : ثم من ؟ قال : والله لحسبُك بى عند رهبةٍ أو رغبة ، إذا وضعتُ إحدى رجلىّ على الأُخرى ، ثم رفعت صوتى بالشعر [3] ثم عوَيْت على إثر القوافى عُواءَ الفصيل الصادر عن الماءِ ! قال : ومن أنت ؟ قال : الحطيئة . قال : وَيحك قد علمتَ

---

(١) العبارة هنا بتصرف من الأغانى ١٦ : ٣٨ .

(٢) ط : « يخادع الأريب »، صوابه فى ش وشرح المعلقات للتبريزى ٧ : ٤ . وقال التبريزى : « ويروى : أفلج بالجيم ، وأفلح بالحاء من الفلاح وهو البقاء . أى عش كيف شئت فلا عليك ألا تبالغ ، فقد يدرك الضعيف بضعفه مالا يدرك القوى ، وقد يخدع الأريب العاقل عن عقله . ويروى : فقد يدرك بالضعف » .

(٣) فى الأغانى : « ثم رفعت عقيرتى بالشعر » . والعقيرة : الصوت .

تشوِّقنا إلى مجلسك ، وأنت تكتُمنا نفسَك منذُ الليلة ، فأَنشدنى . فأَنشدَه من أَبيات :

سعيدٌ فلا يغرزْك قِلَّةُ لحمه تخدَّد عنه اللحمُ وهو صليبُ

إذا غبتَ عنا غاب عنَّا ربيعُنا ونُسقَى الغمامَ الغُرّ حين يَئوبُ[(١)]

فنعم الفتى تعشو إلى ضوءِ ناره إذا الريح هبّت والمكانُ جديبُ

فقال له : أنت لعمر الله أشعر عندى منهم . فأَمر له بعشرة آلاف درهم . ثم عاد فأَنشده :

* أَمن رسم دار مربعٌ ومصيفُ *

إلى آخر القصيدة ، فأَعطاه عشرة آلاف أُخرى .

٤٣٩ وروى أَيضاً هذا الخبر عن أَبى عبيدة وقال : قال أبو عبيدة فى هذا الخبر : وأخبرنى رجلٌ من بنى كنانة قال : أَقبل الحطيئة فى ركب من بنى عَبْس حتَّى قدم المدينة[(٢)] ، فقالوا له : إنا قد أَرذينا[(٣)] وأَخلينا[(٤)] فلو تقدمت إلى رجل شريف من أَهل المدينة فَقَرانا وحَمَلنا . فأَتى خالد ابن سعيد بن العاص فسأَله ، فاعتذر إليه وقال : ماعندى شئٌ . فلم يُعِدْ عليه الكلامَ وخرج من عنده ، فارتاب به خالد فبعث يسأَل عنه ،

---

(١) فى الأغانى : « إذا غاب عنا » .

(٢) بعده فى الأغانى : « فأقام مدة » .

(٣) أرذينا : صارت ركابنا رذية هزيلة من كثرة السير . ط والأغانى : « أردينا » بالدال المهملة ، صوابه بالذال المعجمة كما فى ش .

(٤) المراد أنهم قد نفد زادهم ، يقال أخلى عن الطعام ، أى خلا عنه . وفى النسختين : « أجلينا » بالجيم ، والوجه ما أثبت من الأغانى .

فأَخبر أَنَّه الحطيئة ، فردَّه واعتذر إليه ؛ فأَراد خالد أنْ يستفتحه الكلامَ فقال : من أَشعر الناس ؟ فقال : الذى يقول(١) :

ومَن يجعل المعروفَ من دون عِرضه يَفِرْهُ ومن لا يتَّق الشتم يُشتمِ

فقال خالدٌ لبعض جلسائه : هذه بعض عقاربه ! وأَمر له بكُسوة وحُمْلان(٢) فخرج بذلك من عنده . اهـ .

وترجمة الحطيئة قد تقدَّمت فى الشاهد التاسع والأَربعين بعد المائة(٣) .

* * *

وأَنشد بعده ، وهو الشاهد السابع والتسعون بعد الخمسمائة ، وهو من شواهد سيبويه(٤) :

٥٩٧ (ضَعيفُ النِّكاية أَعـداءَه يخال الفِرارَ يُراخِى الأَجَلْ)

على أَنَّ سيبويه والخليل جوَّزَا إعمال المصدر المعرَّف باللام مطلقاً كما فى البيت .

قال سيبويه : وتقول : عجبت من الضرب زيداً ، كما تقول(٥) : عجبت من الضارب زيدًا ، يكون الأَلف واللام بمنزلة التنوين ، قال الشاعر :

ضعيف النكاية أَعداءَه ... ... البيت

---

(١) يعنى زهير بن أبى سلمى . والبيت التالى من معلقته .
(٢) الحملان ، بالضم : ما يحمل عليه من الدواب ، فى الهبة خاصة .
(٣) الخزانة ٢ : ٤٠٦ – ٤١٣ .
(٤) فى كتابه ١ : ٩٩ . وانظر المنصف ٣ : ٧١ والمقرب ٢٥ وشذور الذهب ٣٨٤ والتصريح ٢ : ١٣ والهمع ٢ : ٩٣ والأشمونى ٢ : ٢٨٤ .
(٥) فى سيبويه : « كما قلت » .

وقال المرّار :

لقد علمت أُولَى المغيرة ... البيت . ا هـ .

وقال الأعلم : الشاهد فيه نصب الأعداء بالنكاية لمنع الألف واللام الإضافة[١] ومعاقبتهما للتنوين الموجب للنصب . ومن النحويِّين من ينكر عمل المصدر وفيه الألف واللام ، لخروجه عن شبه الفعل ، فيَنصب مابعده بإضمار مصدر منكور فيقدِّره : ضعيف النكاية نكايةِ أعداءه . وهذا يلزمه مع تنوين المصدر ، لأنَّ الفعل لا يُنَوَّن ، فقد خرج المصدر عن شبه الفعل بالتنوين ، فينبغى على مذهبه أن لا يعمل[٢] . يقول : هو ضعيف عن أن يَنكِي عدُوَّه وجبانٌ أن يثبُت ، ولكنه يلتجى إلى الفرار[٣] ويخاله مُؤخِّراً لأَجلِه . ا هـ .

وأراد ببعض النحويِّين أبا العباس المبرد .

وجعَل السيرافىُّ نصب أعداءه على حذف الخافض ، أى ضعيف النكاية فى أعدائه .

وقوله : (يخال) بمعنى يظنّ . و (يراخى) : يباعِد ، وفاعله ضمير الفرار ، وفاعل يخال ضمير المهجوّ . وجملة يراخى فى موضع المفعول الثانى ليخال . و (ضعيف) خبر مبتدأ محذوف ، أى هو ضعيف . و(النكاية) : مصدر نَكَيت فى العدوِّ ، إذا أثَّرت فيه . وجاء معدًّى بنفسه . قال أبو النجم :

---

(١) فى الشنتمرى : « من الإضافة » .

(٢) الشنتمرى : « أن لايعمل عمله » .

(٣) الشنتمرى : « هو ضعيف أن ينكى أعداءه وجبان عن أن يثبت لقرنه ، ولكنه يلجأ إلى الفرار » .

* ينكى العِدَى ويكرم الأَضيافا[١] *

وقال عدىُّ بن زيد :

إذا أَنت لم تنفع بودِّك أَهله ولم تَنْكِ بالبؤسى عدوَّك فابعَدِ

من بَعِد ، من باب فرح ، إذا هلك .

والبيت من أَبيات سيبويه الخمسين التى لم يعرف قائلها . والله أَعلم.

* * *

وأَنشد بعده ، وهو الشاهد الثامن والتسعون بعد الخمسمائة ، وهو من شواهد س[٢] :

٥٩٨ (لقَد عَلمَتْ أُولَى المُغيرةِ أَنَّنى
كرَرْتُ فلم أَنــكُلْ عن الضَّرب مِسمَعا)

٤٤٠

لما تقدَّم قبله . ويروى : (لحِقت فلم أَنــكُل) .

قال الأَعلم : الشاهد فى نصبِ مسمع بالضرب على نحوِ ما تقدَّم . ويجوز أَن يكون بلحقت ، والأَوَّل أَولى ، لقرب الجوار ، ولذلك اقتصر عليه سيبويه . يقول : قد علم أُولى مَن لقيت من المغيرين أَنِّى صرفتُهم عن وجههم هازماً لهم ، ولحقتُ سيِّدَهم[٣] مسمعاً ، فلم أَنكُل عن ضربه بسيفى . والنُّكول : الرجوع عن القِرْن جُبنا . ا هـ .

وقال ابن خلف : وكان بعض البصريِّين المتأَخِّرين لا ينصب بالمصدر إذا كان فيه الأَلف واللام ، وينصب مسمعاً بلحقت لا بالضَّرب

(١) كذا فى النسختين . والذى فى اللسان (نكى) :

نحن منعنا وادِيَي لصـــافا نَنكى العدى ونكرم الأضيافا

(٢) فى كتابه ١ : ٩٩ . وانظر المقتضب ١ : ١٤ والجمل ١٣٦ وابن يعيش ٦ : ٩ ، ٦٤ والعينى ٣ : ٤٠ ، ٥٠١ والهمع ٢ : ٩٢ والأشمونى ٢ : ١٠٠ ، ٢٨٤ .

(٣) الشنتمرى : « عميدهم » .

وحجَّته أَنَّ أَل تُبعد المصدر عن شبه الفعل . قال أَبو الحجَّاج[1] : ومن أَعمل الضرب فيه فهو عندى على قول من أَعمل الثانى ، وهو أَحسن عند أَصحابنا . أَلا ترى أَنَّ المعنى لحقت مسمعاً فلم أَنكل[2] عن ضربه فحذف المفعول من الأَوّل لدلالة الثانى عليه . ومن أَعمل لحقت أَراد : لحقت مسمعاً فلم أَنكل[3] عن الضرب إِيَّاه ، أَو عن ضربيهِ ، إِلَّا أَنَّه حذَف لأَنَّ المصادرَ يحذف معها الفاعل والمفعول . ولا يجوز على هذا القياس ضربت وشتمت زيداً ، حتَّى تأْتىَ بعلامة الضمير فى شتمت . يعنى إذا أَعملت ضربت . قال : لأَنَّ الفعل لا يحذف معه هذا المفعول كما يحذف مع المصدر . وقد أَجاز السِّيرافىُّ حذف الضمير فى هذا النحو مع الفعل أَيضاً ، لأَنّ المفعول كالفضلة المستغنى عنها . قال أَبو على : ومن أَنشد « كررت » كان مسمع مفعول الضرب لا غير ، لأَنَّ كررت يتعدَّى بالحرف وهو على ، ولا حرفَ ههنا . فإِنْ جعلت على مرادةً كما جاءَ فى قوله : ﴿لأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِراطَكَ المُسْتَقِيمَ[4]﴾ ، وقولِ الشاعر[5] :

تحنُّ فتُبدى ما بها من صبابة ... وأُخفى الذى لولا الأُسَى لقضانِى[6]

---

(١) أبو الحجاج يوسف بن سليمان الشنتمرى شارح أبيات سيبويه . ولد سنة ٤١٠ وتوفى سنة ٤٧٦ . معجم الأدباء ٢٠ : ٦٠ . وهذا النص ليس فى شرح أبيات سيبويه فلعله فى شرح أبيات الجمل له .

(٢) الكلام بعده إلى « أنكل » التالية ساقطة من ش .

(٣) هنا ينتهى السقط السابق .

(٤) الآية ١٦ من سورة الأعراف .

(٥) هو عروة بن حزام . وانظر المغنى ١٤٢ ، ٥٧٧ وشرح شواهده للسيوطى ١٤١ والعينى ٢ : ٥٥٢ والهمع ٢ : ٢٩ . والبيت لم يرد فى ديوانه المخطوط .

(٦) الأسى هنا ، بالضم والكسر ، جمع أسوة بالضم والكسر ، وهو ما يتأسى به الحزين ، أى يتعزى . ومثله فى اللسان لحريث بن زيد الخيل :

ولولا الأسى ماعشت فى الناس ساعة ... ولكن إذا ماشئت جاوبنى مثلى

فلما حُذِف أَوصلت الفعلَ[١] فهـــو وجه . قال أَبو الحجَّاج : وهذا خلافٌ لما (فى الإيضـــاح) لأَنَّه قال هنالك : إنَّ ذلك لا يعمل عليه ما وُجد مندوحة عنه . وليس يُنكَر على العالم أَنْ يرجع عن قول إلى ماهو خيرٌ منه . اهـ .

قال ابن برى (فى شرح أَبيات الإيضاح) : وأَجاز السيرافى هذا الذى منعه أَبو على ، وكذلك أَجاز أَبو على فى غير الإيضاح نصب مسمع بكررت على إسقاط حرف الجر كالآية . اهـ.

ولو أَعمل كررت لكان التقدير : كررت فلم أَنكل عن الضرب إيَّاه ، على مسمع ، فحذف على وأَوصل الفعل .

وقال ابن السِّيرافى : لا يحسن أَن يُنصَب مسمع بكررت على تقدير كررت على مسمع فلم أَنكل عن الضرب . وعلى الرواية الثانية ينتصب أَيضاً بالضرب ، إلاَّ أَنَّه على إعمال الثانى الأَقربِ إليه . ولو أَعمل الأَوَّلَ لأَضمر ، وكانَ التقدير : لحقت مسمعاً فلم أَنكل عن الضَّرب إياه مِسمعاً .

وقد أَورده ابن قاسم المرادى (فى باب التنازع من شرح الأَلفيَّة) بلفظ « لقيتُ ولم أَنكل عن الضَّرب مسمعًا » ، شاهداً على التنازع فى مسمع .

وأَورده ابن الناظم وابن هشام (فى شرح الأَلفية) فى باب إعمال المصدر ، كالشارح المحقق .

---

(١) فى النسختين : « فلما حذف الفعل أوصلت » ؛ وهو خطأ . كتب فى حاشية ش : « هكذا بخط المؤلف أوصلت ، والصواب أوصل بحذف التاء » . وأرى الصواب فيما أثبت . والمراد أنه لما حذف « على » أوصلت الفعل وعديته إلى المفعول .

صاحب الشاهد والبيت من قصيدة لمالك بن زُغْبة الباهلى ؛ وبعده :

أبيات الشاهد (ولو أنَّ رمحى لم يخنِّى انكسارُه لغادرت طيراً تَعْتَفيه وأَضْبُعا[١]

٤٤١ وفرَّ ابن كدراءَ السَّدوسىُّ بعدَما تناولَ منِّى فى المكرَّةِ مِنْزعا

[وماكنتُ إلاَّ السَّيفَ لاقَى ضريبةً

فقطَّعها ثم انثنى فتقطَّعا

وإنِّى لأُعدِى الخيْلَ تَعثُر بالقنا حِفاظاً على المولى الحَريدِ ليُمنعا

ونحنُ جَنَبنا الخيلَ مِن سَرْوِ حميرٍ

إلى أن وَطِئنا أَرضَ خثعَمَ نُزَّعا[٢]]

أَجِئتم لكيما تستبيحوا حريمنا فصادفتمُ ضرباً وطعناً مجدِّعا

فأُبتم خزايا صاغرين أذلَّةً شريجةَ أَرماح لأَكتافكم معا)

قال أَبو محمد الأَعرابى (فى فُرحة الأَديب) : مِسمَع بن شيبان : أَحد بنى قيس بن ثعلبة ، كان خرج هو وابن كدراءَ يطلبان بدماء من قتلته باهلة ، من بنى بكر بن وائل ، يوم قُتل أَبو الأَعشى قيسُ بن جَنـدل ، فبلغ ذلك باهِلةَ فلقُوهم فقاتلوا قتالاً شديداً ، فانهزمت بنو قيس ومن كان معهما من بنى ذهل ، وضُرب مِسمعٌ وأَفلت جريحاً .اهـ.

وقوله :(لقد علِمَتْ أُولى المغيرة) إلخ ، يعنى أَوَّلها . والمغيرة : الخيل ، يُريد مقدِّمة العسكر .

---

(١) تعتفيه بالعين ، كما فى ش ، ويؤيده تفسير البغدادى فيما سيأتى . وفى اللسان (عفا) : « وفلان تعفوه الأضياف وتعتفيه الأضياف ، وهو كثير العفاة ، وكثير العافية ، وكثير العفى » . وفى ط : « تقتفيه » بالقاف فى هذا الموضع وفى التفسير التالى ص١٣٣ . والوجه ما أثبت من ش .

(٢) الأبيات الثلاثة ساقطة من ط ثابتة فى ش . والملحوظ أن البغدادى لم يفسر شيئاً منها .

نقل أبو حيان (فى تذكرته) عن ابن خالويه أنه قال : سألت أبا عُمر[١] عن قوله : « لقد علمت أولى المغيرة » ... البيت ، فقال : أُولى كلِّ شىء : أوّله .

وقال ابن المستوفى : المغيرة يجوز أن تكون وصفاً للخيل المحذوفة ، وهو أجود لأَنَّ استعمالها معه[٢] أكثر . ويجوز أن يكون وصفاً للجماعة المغيرة أو نحوِها . وعلى أىِّ الحالين فهو اسمُ فاعل ، من أغار على العدوِّ إغارة . اهـ .

وذكر ابن السيد (فى شرح أبيات الجمل): أنَّه يقال «المغيرة» بضم الميم وكسرها .

وتبعه ابن خلف ، وتعقَّبه اللخمى بأنَّه يقال فى اسم الرجل المغيرة بكسر الميم ، لأَنَّهم[٣] إنَّما يغيِّرون الأَسماءَ الأَعلام ، ولا يكادون يغيِّرون الصفاتِ الجاريةَ على الأَفعال ، لئلاَّ يخرجوها عن الباب .

والنُّكول : الرجوع جُبناً . قال ابن خلف : مَن ضمَّ الكاف فى المضارع فتحها فى الماضى ، ومن كسرها[٤] فى الأَوَّل فتحها فى الثانى . وسِمع بكسر الميم الأُولى وفتح الثانية .

وقوله :« لغادرتُ طيراً» الخ. غادرتُ : تركت. وفلان تعتفيه الأَضيافُ أى تأْتيه . وأَضبُع : جمع ضبُع . يريد أنَّه لو لم يخنه رمحه لقتله .

---

(١) أبو عمر الزاهد محمد بن عبد الواحد بن أبى هاشم ، المعروف بغلام ثعلب .

(٢) ش : « استعماله معها » .

(٣) ط : « لأنهما » ، صوابه فى ش .

(٤) ش : « ومن كسر » .

وقوله « لغادرت طيرًا » الخ . غادرت : تركت . وفلان تعتفيه الأضيافُ[1] أى تأتيه . وأضبُع : جمع ضبع . يريد أنَّه لو لم يخنه رمحه لقتله وكانت تأتيه الطيور والسباع ، تأكله . وسَدوس بالفتح : أبو قبيلة . والمَكرَّة بالفتح : موضع الحرب. والمِنْزع ، بكسر الميم وسكون النون وفتح الزاى : السَّهم .

وقوله : « أجئتم لكيما » الهمزة للاستفهام التوبيخى . والاستباحة : النَّهب والأَسْر . والمجدِّع ، بكسر الدال المشددة : مبالغة جادع ، من جَدَعَ أنفه وأذنه وشفته ، من باب نفع ، إذا قطعها .

وقوله : « فأُبتم خزاياً » إلخ . أى رجعتم ، من الأَوب وهو الرُّجوع . وخزايا : جمع خزيان ، وصف من خزِى خِزْياً من باب علم ، أى ذلَّ وهان . وأخزاه الله : أذلَّه وأهانه . وصاغِرين ، من صَغِرَ صَغَرًا ، من باب تعب ، إذا ذلَّ وهان .

مالك بن زغبة

ومالك بن زُغبة ، بضم الزاى وسكون الغين المعجمتين بعدها موحدةٌ ، شاعرٌ جاهلىّ .

* * *

وأنشد بعده :

(طلبُ المعقِّبِ حقَّهُ المظلُومُ)

على أنَّ المظلوم ارتفع بقوله حَقَّه ، أى غلبه المظلُوم بالحقّ .

وهذا غير ما وجَّهه به فى باب المنادى فإنه قال هناك : إنَّ فاعل المصدر وإن كان مجروراً بإضافة المصدر إليه محلُّه الرفع ، فالْمُعقِّب فاعل المصدر ، وهو طلب وقد جر بإضافتهِ إليه ، ومحلُّه الرفع بدليل رفع وصفهِ ، وهو المظلوم .

وهذا التخريج هو المشهور .

(١) ط : « تقتفيه » ، صوابه فى ش .

والمعقِّب اسم فاعل من التعقيب ، وهو الذى يطلب حقَّه مرةً بعد مرة . يقال عقَّب فى الأَمر تعقيباً ، إذا تردَّد فى طلبه مُجِدًّا . وطلبُ بالرفع فاعل لِهاجَه فى المصراع قبله ، وهو :

٤٤٢

* حتَّى تَهجَّر فى الرَّواح وهاجَه *

أَى حتَّى سار الحمار فى الهاجرة وحثَّه على المسير طلبٌ كطلب المعقِّب المظلوم حقَّه ، فحقه مفعول المصدر . وما ذكره الشارحُ هنا هو تخريج ابن جنى (فى المحتسب) ، إلَّا أَنَّه فسَّر حقه المظلوم بغير هذا ، قال : أَى عازَّهُ ومنعه المظلوم . فحقَّه على هذا فعلٌ ، حقَّه يحقُّه ، أَى لواه حقَّه . انتهى .

ولم أَر فى كتب اللغة حقَّه يحقُّه بهذا المعنى .

ونقل ابن المستوفى عن الخوارزمى أَنَّه قال : إن رفعت طلب فحقّه حينئذ فعل ، يقال حقَّه يحقُّهُ : لواه حقَّه وصَدَّه . والمظلوم نعت المعقبِ وفاعل حقَّه مضمَرٌ . هذا كلامه .

والذى ذكره الأَندلسىُّ أَن حاقَّه بمعنى خاصمه وادَّعى كلٌّ واحد منهما الحقَّ ، فإذا غلبه قيل حقَّه . انتهى ما أَورده ابن المستوفى .

فظهر من هذا أَنَّ مأْخذ الشارح المحقق كلامُ الأَندلسىّ .

وقد تقدَّم الكلام مفصَّلاً على هذا البيت مع جملة أَبيات من القصيدة ، وهى للبيدٍ الصحابى ، مع ترجمته ، فى الشاهد الثانى والعشرين بعد المائة [١] .

* * *

(١) الخزانة ٢ : ٢٤٦ – ٢٥١ .

وأنشد بعده وهو الشاهد التَّاسع والتسعون بعد الخمسمائة[١] :

٥٩٩ (أَكُفرًا بعد ردِّ الموتِ عَنِّى ... وبعدَ عطائِكَ المائَةَ الرِّتاعَا)

على أنَّ العطاءَ هنا بمعنى الإعطاءِ ، ولهذا عمل عمله . والمفعول الثانى محذوف ، أَى بعد إعطائك المائةَ الرِّتاعَ إِيَّاى . وردّ[٢] : مصدر مضاف إلى المفعول ، وفاعله محذوف ، أَى بعد ردِّك الموت عنى .

وأورده شراح الأَلفيَّة على أنَّ العطاءَ اسم مصدر .

صاحب الشاهد

والبيت من قصيدة للقُطامىّ ، تقدَّم شرحُ أَبياتٍ من أَوَّلها مع ترجمته فى الشاهد الثالث والأَربعين بعد المائة[٣] : وهذه أَبياتٌ منها :

أبيات الشاهد

(ومَن يكنِ استلامَ إلى ثَوىً ... فقد أَكرمتَ يازُفَرُ المتاعا
أَكفرًا بعد ردِّ الموتِ عَنِّى ... . البيت
فلو بيدىْ سواكَ غداةَ زلَّتْ ... بِى القدمانِ لم أَرْجُ اطِّلاعا
إِذًا لهلكتُ لو كانت صِغارٌ ... من الأَخلاق تُبتَدَعُ ابتداعا
فلم أَر مُنعِمين أَقلَّ مَنًّا ... وأَكرمَ عندنا اصطنعوا اصطناعا
مِن البِيض الوجوه بنى نُفَيْلٍ ... أَبَتْ أَخلاقُهم إلاَّ اتِّساعا)

وهى قصيدةٌ طويلة مدح بها زفر بن الحارث الكلابى ، وحضَّ قيساً وتغلب على الصلح .

---

(١) الشعراء ٧٢٣ والخصائص ٢ : ٢٢١ وابن الشجرى ٢ : ١٤٢ وابن يعيش ١ : ٢٠ وشذور الذهب ١٢ والعينى ٣ : ٥٠٥ والتصريح ٢ : ٦٤ والهمع ١ : ١٨٨ / ٢ : ٩٥ والأشمونى ٢ : ٨٨ وديوان الطرماح ٤١ .

(٢) فى النسختين : «وردك» ، ولايستقيم مع الكلام بعده .والذى فى النص أيضاً : « ردالموت»

(٣) الخزانة ٢ : ٣٦٨ – ٣٧٢ .

قال ابن قتيبة (فى كتاب الشعراء) : كان القطامىُّ أَسره زُفَرُ فى الحرب التى كانت بين قيس وتغلب ، فأَرادت قيسٌ قتله ، فحالَ زفر بينهم وبينه ومنَّ عليه ، وأَعْطاه مائةً من الإبل وأَطلقه [1] ، فقال :

* أكفرًا بعد ردِّ الموت عنِّى *

إلى آخر الأَبيات التى أوردناها

قوله : « ومن يكن استلام» الخ . قال شارح ديوانه : أى مَنْ أتى إلى ضيفه ما يُلام عليه فأَنت أَتيتَ إلى ضيفك أمرًا تستوجب فيه الثَّناء والمدح ، والذِّكرَ الحسن . والثَّوِىُّ: الضيف ، وهو فعيل من الثواء ، قال : وهو الإقامة . والمتاع: الزَّاد . ومتَّعته : زوَّدته . أخبر أنه زوَّده وأعطاه .

وقوله : (أكفرًا بعد ردِّ الموت) إلخ ، الهمزة للاستفهام الإنكارى: وكفرًا مفعول مطلق عامله محذوف ، أى أأكفر كفرًا . و (الرِّتاع) : جمع راتعة . قال شارح ديوانه : الرِّتاع: الراعية . يقول: أَخُونك بعدَ هذا وقد مننتَ علىّ وأطلقتَنى ؟ ويقال : كان زفر اشتراه من قيس ابن وهب ، ووهب له مائةً من الإبل .

٤٣:

وقوله : « فلو بيدَىْ » إلخ ، الباءُ متعلِّقة بمحذوف كما أشار إليه شارح ديوانه بقوله : يقول لو كنتُ فى يدَىْ غيرِك لم أَرجُ اطِّلاعاً ، أى نجاة ، وارتفاعاً من صَرعتى ، ولم أَرجع إلى أهلى .

وقوله : « إذن لهلكت » إلخ . قال شارح ديوانه : تبتدَع : تُستحدَث

---

(١) فى الشعراء : « ووهب له مائة ناقة ورده إلى قومه » .

يقال شئ بِدْع وبديع ، إذا كان بديعاً ، قال : لو ابتُدِعَتْ صِغارٌ[1] لهلكت أنا . انتهى .

وصغار بالرفع ، وتبتدع بالبناء للمفعول . قال العينى : معناه لو ابتدَعْتَ فىَّ أموراً صعاباً لهلكت. هذا كلامه .

وقوله : « فلم أَر منعمِينَ » إلخ . قال شارح ديوانه : يقول : لم أَر مثلهم لايمنُّون بما صنعوا . يريد الذين أَنعموا عليه .

وقوله : « من البيض الوجوه » . قال شارح ديوانه : نُفَيل بن عمرو ابن كلاب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة ، رهط زفر .

* * *

وأَنشد بعده :

(دارٌ لِسُعْدَى إذْهِ من هواكا)

على أَنَّ المصدر يجوز استعماله بمعنى اسم المفعول كما هنا ، فإنَّ هوًى مصدر هَوِيتُه من باب تعب ، إذا أَحببته وعَلِقْتَ به. والمراد به هنا اسم المفعول، أَى من مهويِّك.

وبهذا الوجه أَورده سابقاً فى باب المفعول المطلق فى الشاهد الثالث والثمانين[2] . وتقدَّم الكلام عليه هناك مفصلاً .

وقوله :« إذْهِ » أَصله إذ هىَ فحذفت الياءُ ضرورة وبقيت الهاءُ من هى.

وبهذا الوجه أَورده أَيضاً (فى باب الضمير) بعد الشاهد الثمانين بعد الثلثمائة ، وتقدَّم الكلام عليه أَيضاً مستوفًى هناك[3] .

---

(١) ط : « صغاراً » . صوابه فى ش . وانظر ما سيأتى .

(٢) الخزانة ٢ : ٥ — ٦.

(٣) الخزانة ٥ : ٢٦٤ — ٢٦٦.

اسم الفاعل

أنشد فيه :

(ليُبْكَ يزيدُ ضارعٌ لخصومة)

على أن قوله ضارع فاعل لفعل محذوف ، أى يبكيه ضارع .

وهذا على رواية « ليُبْكَ » بالبناءِ للمفعول ، ويزيد نائب الفاعل .

وقد تقدَّم الكلام عليه مفصَّلاً مشروحاً فى الشاهد الخامس والأربعين من أوائل الكتاب[1] .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الموفى للستمائة[2] :

٦٠٠ (فبتُّ والهمُّ تَغْشانِى طَوارِقُـه مِن خَوفِ رِحْلةٍ بينِ الظاعنين غدًا)

على أنَّ (غدًا) يحتَمل أن يكون منصوباً بـأحد عوامل ثلاثة ، وهى رحلة ، وبين ، والظاعنين ، فلا يتمُّ ما ادَّعاه المبرِّد من جواز عمل اسم الفاعل الماضى[3] . مع أنَّ الكلام فى اسم الفاعل الذى ينصب مفعولًا به لاظرفاً.

صاحب الشاهد

وأورد أبو على فى (إيضاح الشعر) هذا البيت وقال : فيه حذف ، والتقدير من خوف الارتحال وخوف الفراق. ونسب البيتَ لجرير .

وقوله :(فبتُّ والهمُّ) إلخ . بات هنا تامَّة ، قال ابن الأثير (فى النهاية) : كل من أدركه اللَّيل فقد بات يَبيت ، نامَ أوْ لم ينم . والواو هى واو

(١) الخزانة ١ : ٣٠٣ — ٣١٣

(٢) ديوان جرير ١٥٨ . والرواية فيه :

باتت هموى تغشاها طوارقـها من خوف روعة بين الظاعنين غدا

(٣) الذى فى الرضى ٢ : ١٨٧ : « وجوز المبرد وغيره عمله بمعنى الماضى والحال والاستقبال ، واستدلوا بقوله : فبت والهم تغشانى طوارقه » . والذى قيد عمل اسم الفاعل المحلى بأل بأن يكون ماضياً هو أبو على فى كتاب الشعر ، وكذا الرمانى .

الحال ، والهمُّ مبتدأٌ ، وَجملة تغشانى طوارقه خبرُه ، والجملة فى محل نصب حال[١] من التاءِ فى بتُّ . قال ابن الأَثير : غشِيَه يغشاه غِشْياناً ، إذا جاءه . وغشَّاه تغشيَةً ، إذا غطَّاه . وغَشِى الشىءَ ، إذا لابَسَه . والطوارق هنا : الدَّواهى . قال ابن الأَثير : كلُّ آت بالليل طارق . وقيل أَصل الطروق من الطَّرْق ، وهو الدقُّ . وسمِّى الآتى بالليل طارقاً لحاجته إلى دقِّ الباب . وجمع الطارقة طوارق . ومنه الحديث : « أَعوذ بالله من طوارق الليل إلَّا طارقاً يطرُق بخير » . ومن متعلِّقة بقوله تَغْشانِى برحلة مضاف إلى بين ، وكذلك بين مضاف إلى مابعده ، فهما مجروران بالكسرة . والرِّحلة بالكسر : اسم مصدر بمعنى الارتحال . والبَيْن هنا مصدر بان يبين بَيناً ، أَى فارق وبعُدَ . والظاعنين من ظعَن يظعَن بفتح عينهما ظعناً ، بفتح العين وسكونها ، أَى سار وذهب .

وترجمة جرير تقدَّمت فى الشاهد الرابع من أَوائل الكتاب[٢]

* * *

وأَنشد بعده ، وهو الشاهد الواحد بعد الستمائة[٣] :

٦٠١ (فيالَرِزامٍ رشِّحوا بى مقدَّماً على الحرب خَوّاضاً إليها الكَرائبا)

على أَنَّ (خوّاضاً) صيغة مبالغة ، حُوِّلَ من اسم الفاعل الثلاثى وهو خائض.

قال ابن جنى (فى إعراب الحماسة): فى هذا البيت شاهدٌ على جواز إِعمال اسم الفاعل . أَلا تراه كيف نصب الكرائب بخوَّاض[٤].

---

(١) ش : « فى محل حال » ، فقط .

(٢) الخزانة ١ : ٧٥ — ٧٧ .

(٣) الحماسة بشرح المرزوقى ٧٢ والتبريزى ١ : ٧٣ وإعراب الحماسة الورقة ٢٠ .

(٤) فى إعراب الحماسة : « كيف نصب بخواض الكرائبا » .

صاحب الشاهد

وهو من أبياتٍ تسعةٍ لسعد بن ناشبٍ المازنيّ ، أوردها أبو تمام (فى أوائل الحماسة) ، وهى :

أبيات الشاهد

(سأغسِلُ عنّى العارَ بالسَّيف جالباً   علىّ قضاءُ الله ماكانَ جالبـا
وأذهَلُ عن دارى وأجعَلُ هدمها   لِعِرْضىَ مِن باقى المذَمَّة حاجبا
ويَصغُر فى عينى تلادِى إذا انثنتْ   يمينى بإدراكِ الذى كنتُ طالبا
فإنْ تَهدِموا بالغدرِ دارى فإنَّهـا   تُراثُ كريمٍ لايُبالى العواقب
أخو غَمَراتٍ لا يريد على الذى   يَهُمُّ به من مُفظِع الأَمر صاحبا[1]
إذا هَمّ لم تُرْدَعْ عزيمةُ هـمِّه   ولم يأْتِ مايأْتى من الأَمر هائبا
فيالَرِزامٍ رشِّحوا بى مقـدَّماً   إلى الموت خوّاضاً إليها الكرائبا[2]
إذا همّ أَلقى بين عينيه عزمَـه   ونكَّبَ عن ذِكر العواقب جانبا
ولم يَستشِرْ فى أَمره غيرَ نفسِه   ولم يَرض إلّا قائمَ السَّيفِ صاحبا)

قال شُرّاح الحماسة :سبب هذه الأَبيات أَنَّه كان أَصاب دماً ، فهدم : بِلالُ بنُ أَبى بردة دارَه بالبصرة وحَرَّقها . وقيل : إنَّ الحجَّاج هو الذى هدم دارَه .

وقال ابن هشام (فى شرح الشواهد) : ويقال إنه قُتل له حميم ، وإنَّه أوعَده بهدم داره إن طالبَ بثأْره .

وقوله : « سأَغسل عنّى العار » إلخ . قال التبريزى : أَصل القَضاء الحتم ، ثم يتوسَّع فيه فيقال قُضِىَ قضاؤُك ، أَى فُرِغ من أَمرك. فاستُعمل فى معنى الفراغ من الشىء . ويروى : « قضاءُ الله » بالرفع والنصب. فإذا

(١) فى الحماسة بشرح التبريزى : « أخى غمرات » . وبشرح المرزوق :
أخى عزمات لا يريد على الذى   يهم به من مقطع الأمر صاحبا
(٢) فى الحماسة بشرحيها : « خواضاً إليها الكتائبا » .

رفعته يكون فاعلًا لجالباً علىّ ، وما فى موضع المفعول ، ويكون القضاءُ بمعنى الحكم . والتقدير : سأَغسل العارَ عن نفسى باستعمال السَّيف فى الأَعداءِ ، فى حال جلبِ حكمِ الله علىّ الشىءَ الذى يَجلبه. وإذا نصب القضاءَ يكون مفعولًا وفاعله ما . ويكون القضاءُ الموتَ المحتوم ، كما يقال للمخلوق خَلْق . والمعنى : جالباً الموتَ علىّ جالبُه . وقيل : إنَّ كان فى قوله « ما كان » فى معنى صار . انتهى .

٤٤٥

وقال ابن جنى : أَراد جالبَه ، أَى جالباً إِيَّاه ، فحذف الضمير مع اسم الفاعل كما يحذف مع الفعل نفسه . ومثله ماأَراناه أَبو على من قول الله تعالى : ﴿ فَاقْضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ[1] ﴾ أَى قاضِيهِ ، فى معنى قاضٍ إِيَّاه . وعليه البيت الآخر فيه ، وهو :

* بإِدراك الذى كنتُ طالبـا *

أَى إِيَّاه ، أَو طالبه أَو طالباً له . وأَن يكون المحذوف ضميراً متَّصلًا أَولى من أَن يكون ضميراً منفصلاً .

وقوله : « وأُذهَل عن دارى» إلخ . الذهول : ترك الشىءِ متناسيًا له . يقول : إذا نبا المنزل بى حتَّى يصير دارَ الهوان انتقلتُ عنه ، وأَجعل خَرَابهُ وقايةً لنفسى من العار الباقى . وهذا قريبٌ من قوله :

* وإذا نبا بك منزلٌ فتحوَّلِ[2] *

(١) الآية ٧٢ من سورة طه .

(٢) لعبد قيس بن خفاف البرجمى فى المفضليات ٣٨٥ وحماسة البحترى ١٧٩ . وصدره فى الأولى :

* واترك محل السوء لا تحلل به *

وفى الثانية : * احذر محل السوء لا تحلل به *

وقافيته فى الأولى : « فتجمل » ، وفى الثانية مطابقة لما هنا .

وقوله: « ويصغر فى عينى» إلخ. أراد بقوله يصغر صِغَر القَدْر. وخص التلاد، وهو المال القديم، لأَنَّ النفس به أَضنّ. ونبّه بهذا الكلام على أَنَّه كما يخفُّ على قلبه تركُ الدار والوطن خوفاً من التزام العار الباقى، كذلك يقلُّ فى عينه إنفاقُ المال عند إدراك المطلوب. وانثنت: انعطفت ومالت. وهذا البيت أَورده ابن الناظم (فى شرح الأَلفيَّة) شاهداً على جواز حذف العائد المجرور بالإضافة إن كان المضاف وصفاً بمعنى الحال أَو الاستقبال، فإنَّ الأَصل كنت طالبه فحذف الضمير.

وقوله: « فإن تهدمُوا بالغدر » إلخ. الغدر: ترك الوفاءِ. يقول: إن تُخرِبوا دارى بالغدر منكم فإنها تراثُ كريم. يعنى نفسَه. وسمَّى مِلكه ميراثاً وهو حىٌّ باعتبار مايئُول إليه. والكرم: التنزُّه عن الأَقذار[1].

وقوله: « أَخو غَمَرات » إلخ، بفتحتين، هى الشدائد. ويروى. « أَخو عَزَمات ». والعزم: عقدُ القلب على مايُرى فعلُه. ومُفظِع، مِن أَفظع الأَمرُ إفظاعاً. وكذلك فَظُعَ فظاعةً، أَى عظُم. أَو من أَفظعنى الأَمر ففظِعت به، أَى أَعيانى فضِقت به ذَرْعاً. يصف نفسَه بأَنَّه صاحب همم وأَخو عزَمات[2]، مستبدٌّ برأْيه فيها، غير متَّخذ رفيقاً.

وقوله: (فيالرزام رشِّحوا) إلخ. هو فعل أَمر من الترشيح، وهو التربية. ومنه رشَّحت المرأَةُ ولدَها، إذا درّجته فى اللبن، ثمّ قيل: رشِّح فلان لكذا توسُّعاً. أَى رشِّحوا به بترشيحكم إيّاى رجلًا كذا صفته. وأَقام الصفة مقام الموصوف. قال التبريزى: قوله فيالرزام، النية بالفاءِ استئنافُ ما بعدها وإن نسق بها جملةً على جملة. واللام

(١) ش: « والكريم: المتنزه عن الأقذار ».
(٢) ش: « وأخو عمرات ».

من يالرزام لام الاستغاثة، ورزام مجرورٌ بها ، وهو قبيلة ، وهم المدعوُّون وأصل حركة اللام مع الظاهر الكسر ، وفتحت مع المستغاث لكونه فى موقع الضمير، ومُقْدِماً بكسر الدال بمعنى متقدِّماً، كما يقال[1] وجَّه وتوجَّه، ونَبَّهَ بمعنى تنبَّه، ونكَّب بمعنى تنكَّب . والكرائب: جمع كريبة وهى الشَّدة من شدائد الدهر . والأَصل فى الكرب الغمُّ الذى يأْخذ بالنَّفْس. ويروى بدله (الكتائبا) جمع كتيبة ، وهى الجيش .

وقوله :« إذا همّ ألقى » إلخ ، أى جعله بمرأى منه لايغفل عنه . وقد طابق فيه لمَّا قابله بقوله : « ونكَّب عن ذكر العواقب جانبا » . وسمّى المعزوم عليه عزماً . ونكَّب إن كان بمعنى حرّف فجانباً مفعول به له ، وإن كان بمعنى انحرف فجانباً ظرف له .

٤٤٦ قال ابن جنى : لك فى جانباً وجهان : أحدهما أن يكون مفعولًا به أى نكَّب جانباً منه عن ذكر العواقب. والآخر : أن يكون ظرفاً[2]، أى نكَّب عن ذكر العواقب فى جانب . ويؤَكِّد هذا روايةُ من رواه :

* وأَعرضَ عن ذكر العواقب *

وقوله :« ولم يستشِر» إلخ ، نبّه على الرأى به وعلى الفعل بقوله : « ولم يرض » . وقائم السيف : مَقْبِضُه . وانتصب لأَنه مستثنًى مقدَّم .

وقال ابن جنى : إن شئت نصبتَ صاحباً على أَنَّه مفعول به ونصبت قائم السيف على الاستثناء ، أى لم يرض صاحباً إلَّا قائمَ السيف. وإن شئت نصبت قائم السيف نصبَ المفعول به وجعلت صاحباً بدلاً منه ،

---

(١) ط : « كما يقال له » .
(٢) فى شرح ابن جنى : « أن يكون انتصابه على انتصاب الظرف » .

كقولك : لم أَضرب إلَّا زيداً قائماً ، أى لم أَضرب أَحدًا إلا زيدًا فى حال قيامه . ومن نصب زيداً فى قولك : مارأَيت أَحداً إلَّا زيداً على البدل لم ينصب قائم السَّيف فى القول الأَوَّل إلَّا على الاستثناءِ المقدَّم دون البدل ، وذلك لتقدُّمه على صاحبه ، والبدل لايجوز تقدمه على المبدل منه . انتهى .

وزاد ابن هشام (فى شرح الشواهد) بيتين بعد هذه الأَبيات وهما :

(فلا توعِدنِّى بالأَمير فإنَّ لى جَناناً لأَكناف المخاوِف راكبا
وقلباً أَبيًّا لا يُروَّع جأْشُـه إذا الشرُّ أَبدى بالنَّهار كواكبا)

سعد بن ناشب

وسعد بن ناشب شاعرٌ إسلامىٌّ فى الدولة المروانية . قال شراح الحماسة : هو من بنى مالك[1] بن عمرو بن تميم .

وقال ابن قتيبة (فى كتاب الشعراءِ) : هو من العنبر ، وكان أَبوه ناشبٌ[2] أعورَ ، وكان من شياطين العرب ، وله يومُ الوقيط[3] وكان فى الإسلام بين تميم وبكر. وكان سعدٌ من مَرَدة العرب ، وفيه يقول الشاعر[4] :

وكيفَ يُفيقُ الدهرَ سعدُ بنناشبٍ وشيطانُه عند الأَهِلَّة يُصَرعُ[5]

وسَعد بفتح السين وسكون العين ، وناشب بكسر الشين المعجمة .

* * *

(١) فى النسختين : « بنى مالك بن مالك » تحريف . وانظر شرح التبريزى والجمهرة ٢١١ .
(٢) ط : « ناشبا » ، صوابه فى ش .
(٣) انظر له العقد ٥ : ١٨٢ — ١٨٥ .
(٤) هو دعلج بن الحكم ، كما فى الحيوان ٦ : ٢٤٣ والشعراء ٦٧٧ .
(٥) انظر للصرع عند الأهلة ماورد فى الحيوان ٥ : ٤٧٩ .

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثانى بعد السمائة ، وهو من شواهد سيبويه(١) :

٦٠٢ (ضَرُوبٌ بنَصْلِ السَّيفِ سُوقَ سِمانِها
إذا عَدِموا زاداً فإنَّك عاقرُ)

على أنَّ (ضروباً) صيغة مبالغة اسمِ الفاعل ، محوَّل عن ضارب ، ولهذا عمل عمله . و(سوق) نصب به على المفعولية .

ولهذا أورده سيبويه .

صاحب الشاهد

والبيت من أَبياتٍ لأَبى طالبٍ عمّ النبي صلى الله عليه وسلم ، رثى بها أبا أُميّة بنَ المغيرة بن عبد الله بن عُمَر بن مخزوم (٢)، وكان أَبو أُمية زوج أُخته عاتكةَ بنتِ عبد المطلب ، فخرج تاجراً إلى الشام فمات بموضع يقال له سَرْو سُحيم ، فقال أبو طالب هذه الأَبياتَ يرثيه :

أبيات الشاهد

(أَلا إنَّ زادَ الركب غيرَ مُدافَعٍ بسَرِو سُحيم غيَّبته المقابِرُ(٣)
بَسرْو سُحيم عارفٌ ومُناكِرٌ وفارسُ غارات خطيبٌ وياسرُ
تنادَوْا بأَنْ لا سيِّدُ الحىِّ فيهم وقد فُجع الحيّانِ كعبٌ وعامرُ
فكان إذا يأْتى من الشام قافلا بمَقْدَمِه تسعى إلينا البشائرُ

(١) فى كتابه ١ : ٥٧ . وانظر المقتضب ٢ : ١٤ والجمل ١٠٤ وابن الشجرى ٢ : ١٠٦ وابن يعيش ٦ : ٦٩ ، ٧٠ والخزانة ٢ : ١٧٥ ، وشذور الذهب ٣٩٣ والعينى ٣ : ٣٥٩ والتصريح ٢ : ٦٨ ، والهمع ٢ : ٩٧ ، والأشمونى ٢ : ٢٩٧ وديوان أبى طالب مخطوطة الشنقيطى ١١ . والملحوظ أنه تكرار عددى للشاهد ٢٩٢ فيما سبق فى ٤ : ٢٤٢ مع التزام البغدادى بعدم تكرار العدد إذا تكرر الاستشهاد .

(٢) ش : « ابن عمرو بن مخزوم » ، صوابه فى ط . وانظر جمهرة ابن حزم ١٤٤ — ١٤٥ وديوان أبى طالب .

(٣) السرو من الجبل : ما ارتفع عن مجرى السيل وانحدر عن غلظ الجبل . وسحيم ، سيفسره البغدادى . وفى الديوان : « بوادى أشى » . وأشى : موضع بالوشم ، والوشم : واد باليمامة . والأبيات الثلاثة بعد هذا البيت لم ترد فى الديوان .

فيُصبح أهلُ اللهِ بِيضاً كأنَّما كسَتْهم حَبِيرًا رَيدةٌ ومَعافرُ

٤٤٧ ترى دارَه لا يبرح الدَّهْرَ عندها مجعجعةٌ كومٌ سِمانٌ وباقرُ

إذا أُكلت يوماً أتى الدَّهرَ مثلُها زواهقُ زُهْمٌ أو مَخاضٌ بهازرُ[1]

ضروبٌ ينصل السيف سُوقَ سِماتها . . . . البيت

وإلَّا يكنْ لحمٌ غريض فإنّه تُكبُّ على أفواههنَّ الغرائرُ

فيالكَ من ناع حُبِيتَ بألَّة شِراعيَّة تصفَرُّ منها الاظافرُ)

قوله : « ألا إنَّ زاد الركب » قَال ابن بكَّار (فى أنساب قريش) : كانَ أزواد الرَّكب من قريش ثلاثةً :

الأوّل : مسافر بن أبى عمرو بن أُميَّة بن عبد شمس .

الثانى : زَمَعة بن الأسود بن المطَّلب بن أسد بن عبد العُزّى .

الثالث : أبو أُميَّة بنُ المغيرة بن عبد الله بنِ عمر[2] بن مخزوم . وإنَّما قيل لهم أزواد الركب أنَّهم كانوا إذا سافروا لم يتزوَّد معهم أحدٌ . ولم يسمَّ بذلك غير هؤلاءِ الثلاثة . وكان عند أبى أُمية بن المغيرة أربعُ عواتك : عاتكة بنت عبد المطلب ، وهى أُم زهير وعبد الله ، وهو الذى قال للنبيِّ صلى الله عليه وسلم : ﴿ لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَفجُرَ لنا مِنَ الأَرْضِ يَنبوعاً[3] ﴾ . وعاتكة بنت جذل الطِّعان ، وهى أُمّ أُمِّ سلمة والمهاجرِ . وعاتكة بنت عتبة بن ربيعة . وعاتكة بنت قيس ، من بنى نهشل بن دارم التميميَّة . انتهى .

---

(١) هذا البيت وكذا آخر الأبيات لم يردا فى الديوان .

(٢) ش : « عمرو » . وانظر ماسبق من تحقيق . ولأزواد الركب أيضاً الأغانى ٨ : ٤٦ .

(٣) الآية ٩٠ من سورة الإسراء .

وقوله: « غيرَ مُدافَعٍ » بالنصب . وجملة « غيبته المقابر » خبر إنَّ . والباءُ من قوله بِسَرْو سحيم متعلّق به . وسُحَيم بضم السين وفتح الحاءِ المهملتين : موضعٌ فى طريق الشَّام من مكة . وسَرْو على لفظ الشَّجر بمعنى أَعلى . فسَرْوُ سحيم : أَعلاه . وقوله :« بسرو سحيم » تـأْكيد للأَوَّل . وقوله عارفٌ خبر مبتدأٍ محذوف ، أَى هو ذو معرفة بالأُمور . ومُناكر اسم فاعل، من ناكرهُ بمعنى قاتله .

والياسِر : اللاعب بالميسر ، وهو قِمار العرب بالأَزلام ، وهو ممَّا يُفتخَر به عندهم ، كانوا يقامرون بها فى أَيَّام الغلاءِ والقحط ، ويفرِّق الغالب لحمَ الجزور على الفقراءِ .

وقوله : « تَنادَوْا » أَى تَنادَى جماعة الركب . وأَنْ مخففة من الثقيلة ، وجملة لا سيِّد الحيِّ فيهم من المبتدإِ والخبر خبر أَنِ المخفَّفة . وفُجِع بمعنى أُصيب بالرزية . والقافل : الرَّاجع من السَّفر .

وعنَى بـأَهل الله قريشاً . وكانت العرب تسمِّيهم أَهلَ الله لكونهم أَربابَ مكة . والحَبير، بفتح الحاءِ المهملة وكسر الموحدة: ثيابٌ ناعمة كانت تصنع باليمن . ورَيْدة بفتح الراءِ المهملة وسكون المثناة التحتية : بلدةٌ من بلاد اليمن ، وأَراد أَهل ريدة . ومَعافر بفتح الميم بعدها عين مهملة وكسر الفاءِ : قبيلةٌ من قبائل اليمن .

ومجعجِعة : اسم فاعل من جعجعت الإِبلُ، إِذا صوَّتت ، وإِنَّما تصوِّت لذبح أَولادها ، وكان فى الأَصل صفة لكوم، وقَدْ قدِّمَ عليه [1] صار

(١) ط : « لما قد قدم عليه » .

حالاً منه . والكُوم: جمع كَوماء ، وهى الناقة العظيمة السَّنام . والباقر: اسمُ جمع بمعنى البقر .

وقوله: « إذا أُكِلت » أى إذا أكلها الأضياف يريد أنَّه يُدنِى[1] من موضعه الذى ينزله قطعةً من الإبل للنحر والقِرى ، فكلَّما فنيت قطعةٌ أَحضَرَ قطعة أُخرى . والزواهق : جمع زاهقة ، وهى السمينة المفرطة السِّمَن . والزُّهم[2] : جمع زَهِمة بفتح فكسر ، وهى الكثيرة الشحم . والمَخَاض : الحوامل من الإبل ، واحدها خَلِفَة من غير لفظها . والبهازر: جمع بَهْزَرة ، بتقديم المعجمة ، على وزنَ حيدرة ، وهى الناقة الجسيمة . ٤٤٨

وقوله: « ضروبٌ بنصل السيف» أى هو ضروبٌ . ونصل السيف : شَفرته ، فلذلك أضافه إلى السيف . وقد يسمَّى السَّيفُ كلُّه نصلا . مدحه بأنَّه كان يُعرقب الإبل للضِّيفان عند عدم الأزواد . وكانوا إذا أَرادوا نحر الناقة ضرَبُوا ساقها بالسَّيف فخرَّت، ثم نحروها ، وقوله: « إذا عَدِموا زادًا » إلخ ، الجملة الشرطية التفاتٌ إلى الخطاب من الغيبة . والسُّوق : جمع ساق .

وقوله: « وإلاَّ يكنْ لحم غريض »، بفتح الغين المعجمة وكسر الراء وآخره ضاد معجمة ، هو الطرىُّ من اللَّحم . وتُكَبّ : تُصبُّ . والغرائر : الأعدال ، جمع غِرارة بالكسر ، وهى وعاءٌ يجعل فيه الدَّقيق وغير ذلك . وقوله: « فيالك من ناع » مجرور مِنْ تمييزٌ للكاف . والناعى : المخبر بموت إنسانٍ . دعا عليه ، لكونه أخبر بموت المرثىّ . وحُبِيت: خُصصت . والأَلَّة بفتح الهمزة وتشديد اللام : الحَرْبة . والشِّراعية ، بكسر الشين

(١) ط : « أنه يرى » ، صوابه فى ش .
(٢) ط : « والزهماء » ، صوابه فى ش مع أثر تصحيح .

المعجمة : الطويلةُ ، وقيل التى قد أُشرِعت للطَّعن أَى مُدَّت نحوه . وصفرة الأَظفار كنايةٌ عن الموت ، فإنَّ الميّت تصفرُّ أَظافره .

وتَرجمة أَبى طالب تقدَّمت فى الشاهد الواحد والتسعين (١) .

* * *

وأَنشد بعده ، وهو الشاهد الثالث بعد الستمائة ، وهو من شواهد سيبويه :

٦٠٣ (شُمٌّ مَهَاوِينَ أَبدانَ الجَزُورِ مَخا
مِيصِ العَشيَّاتِ لا خُورٍ ولا قَزَمِ)

على أَن (مهاوين) جمع مِهوان من أَهان ، وبناءُ مفعال من أَفعل قليلٌ نادر ، والكثير من فعَلَ .

وقد أَورده الزمخشرى (فى المفصل) على أَنَّ ما جمع من اسم الفاعل يعمل عمل المفرد .

والأَوصاف جميعها مجرورةٌ فى البيت ، لأَنَّ قبله :

(يأْوِى إلى مجلسٍ بادٍ مكارمُهم   لا مُطِمى ظالمٍ فيهم ولا ظُلُمِ)

والبيت إنَّما وردَ (فى كِتَاب سيبويه والمفصل وغيرهما) على إعمال مفعال عمل فِعْلِه ، وليس فيهما ما يدلُّ على أَنَّ الأَوصاف مرفوعة أَو مجرورة .

ولا وجه لقول ابن خلف : البيت فى الكتاب رويُّه مرفوع ، وهو مخفوضٌ كما يدلُّ عليه ما قبله . وكذا قول ابن المستوفى : قد أَنشده سيبويه فى كتابه كما أَنشده الزمخشريُّ بالرفع ، وهو مجرور . انتهى .

(١) الخزانة ٢ : ٧٥ — ٧٦ .
(٢) فى كتابه ١ : ٥٩ . وانظر ابن يعيش ٦ : ٧٤ ، ٧٦ والعينى ٣: ٥٦٩ والهمع ٢ : ٩٧ .

ولم يقف ابن الحاجب (فى أماليه على المفصل) على البيت الأَوَّل فظنَّه مرفوعاً وقال : شم خبر مبتدإ محذوف وما بعده أَخبارٌ وأَوصاف . وكذلك قال العينى .

وقوله : « يأْوى إلى مجلس » إلخ فاعل يأْوى ضمير مستتر . يقال أَوى إلى منزله يأْوى ، من باب ضرب ، أُوِيًا على وزن فُعول ، إذا أَقام فيه . والمجلس : موضع الجلوس ، وقد أَطلق هنا على أَهلِهِ ، تسميةً للحالِّ باسم المحلّ ، يقال انفضَّ المجلس ، بدليل الأَوصاف الآتية ، ولهذا عاد الضمير إليه من « مكارمهم » بجمع العقلاء ، كما يطلق المقامة بالفتح على محلٍّ القيام ، وعلى الجماعة من الناس . وبادٍ : اسم فاعل من بدا يبدُو بدوًّا ، إذا ظهر . والمكارم : جمع مَكرُمة بفتح الميم وضمِّ الراء ، قال صاحب المصباح : المكرمة ، بضم الراء : اسمٌ من الكرم ؛ وفعلُ الخير مكرُمة ، أَى سببٌ للكرم أَو التكريم . وباد صفة سببيّة لمجلس . وقوله : « لا مطمعى ظالم » صفة ثانية لمجلس ، وأَصله مطمِعين ، حذفت نونه للإضافة . وقوله : « ولا ظُلُم » بضمتين : جمع ظَلوم صفة ثالثة لمجلس . يريد إنَّ الناس قد عرفوا أَنَّه من ظلمهم انتصفوا منه ، فليس أَحدٌ يطمع فى ظلمهم ، ولا هم يَظلمون أَحداً .

٤٤٩

وقوله : « شمٍّ » صفة رابعة لمجلس ، وهو جمع أَشم ، وصفٌ من الشَّم ، وهو ارتفاعٌ فى قصَبة الأَنف مع استواء أَعلاه[١] ، فإن كان فيها احْديدابٌ فهو القَنَى ، يقال أَقنى الأَنف . جعل الشمم كنايةً عن العزَّة والأَنفَة . يقال للعزيز شامخ الأَنف ، وللذليل خاشع الأَنف . وقال ابن الحاجب : وصفَهم بالارتفاع إمَّا فى النسب والكرم ، أَو القدْر ، أَو العزَّة[٢] ، وهو

(١) ش : « من استواء أعلاه » ، صوابه فى ط .

(٢) ط : « أو عزة » ، صوابه فى ش.

مأخوذ من الشَّم المذكور . وهذا كلامه ، ولا حاجة إليه . وقوله : « مهاوين » صفة خامسة لمجلس ، وهو مجرور بالفتحة لأنَّه على صيغة منتهى الجموع ، وهو جمع مِهوان ، وهو مبالغة مُهِين ، من أهانه أى أذلَّه .

قال الأعلم : الشاهد فيه نصب أبدان الجزور بقوله مهاوين ، لأنَّه جمع مِهوان ، ومهوان تكثيرُ مهين ، كما كان منحار ومضراب تكثير ناحر وضارب ، فعمل الجمْعِ على واحدِه . يريد أنَّهم يُهينون للأضياف والمساكين أبدانَ الجزور ، وهو جمع بَدَنة ، وهى الناقة المتَّخَذة للنحر المسمَّنة . وكذلك الجزور .

هذا كلامه ، وتبعه ابن يعيش وقال : الأبدان : جمع بدَنة وهى الناقة المتَّخذة للنحر . يريد أنَّهم يسمِّنون الإبل فينحرونها للأضياف . وعليه يقتضى أن يكون من إضافة أحد المترادفين إلى الآخر ، مع أنَّه لم يُسمَع جمعَ بَدَنة على أبدان ، وإنَّما ورد جمعُها على بَدَنات وبُدُن بضمتين وإسكانِ الدال تخفيفاً . والصواب أنَّه جمعَ بَدَن ، وهو من الجسَد ما سِوى الرأس واليدين والرِّجلين . وإنَّما آثر ذكره على غيره لإفادة زيادة وصفهم بالكرم ، فإنَّهم إذا فرَّقوا أفضلَ لحم الجزور فتفريق ما سواه يكون بالطريق الأَولَى ، والإضافة حينئذٍ من إضافة البعض إلى الكلّ . والبدنة : ناقة أو بقرةٌ ، زاد الأزهرى : أو بعير . قالوا : ولا تقع على الشَّاة .

و (الجزور) ، بفتح الجيم من الإبل خاصَّة ، يَقع[1] على الذكر والأُنثى ، والجمع جُزُر بضمتين ، وتجمع أيضاً على جُزُرات[2] ، ثم على جزائر . ولفظ الجزور أُنثى ، فيقال رعَت الجزور . قاله ابن الأنبارى .

---

(١) ط : « تقع » بالتاء ، وأثبت ما فى ش .

(٢) فى اللسان (جزر ٢٠٤) أن جزرات جمع الجمع ، كطرق وطرقات .

وزاد الصّغانى : وقيل الجزور الناقة التى تنحر ، وجزرت الجزور وغيرها من باب قتل ، إذا نحرتها . كذا فى المصباح .

واللام فى الجزور لاستغراق الأفراد . وقال ابن خلف : أراد أن يقول الجُزر فاكتفى بالواحد عن الجمع . وروى : « مهاوين أبداء الجزور »، وهو جمع بَدْء[1] بفتح الموحدة وسكون الدال بعدها همزةٌ، قيل هو بمعنى النصيب ، وقيل بمعنى المَفْصِل. وقال الأعلم: أبداءُ الجزور أفضل أعضائها، واحدها بدء[2]، ومنه السِّيد بدءٌ لفضله . وقوله: « مَخَاميص العشيَّات » صفة سادسة لمجلس ، وهو مجرور بالكسرة لأنَّه مضاف ، وهو جمع مخماص مبالغة خميص ، من خَمُصَ الشخصُ خُمْصاً فهو خميص ، إذا جاع، مثل قرُب قرباً فهو قريب . والمخمصة : الجماعة .

وقال بعض فضلاء العجم (فى شرح أبيات المفصَّل) : هو جمع مخموص ، من خمصه الجوع خمصاً ، أى جعله ضامرَ البطن .

والعشيَّات : جمع عشىّ ، والعشىّ والعِشاءُ بالكسر : من صلاة المغرب إلى العتَمة . والعشىُّ قِيل بمعنى العشيّة ، وقيل جمعها . ومخاميص العشيَّات ، كقولهم : نهاره صائم . وقال ابن الحاجب : هذه الإضافة اتِّساع ، والأصل : فى العشيات .

قال الأعلم : يريد ، أنهم يُؤخِّرون العَشَاء لأجل ضيفٍ يطرق، فبطونهم خميصة فى عشيَّاتهم لتأخُّر الطعام عنهم.

---

(١) الكلام بعده إلى « بدء » التالية ساقط من ش .

(٢) هنا ينتهى السقط الذى نبهت عليه قريباً .

٤٥٠ وليس المعنى على قول ابن خلف : المخاميص : الذين ليسوا بعظام البطون. يعنى أَنَّهم لا يأْكلون حتّى تعظُم بطونُهم ، وإنَّما يكتفون بأَخذ ما يحتاجون إليه من الطعام ، ليس فيهم نَهِمٌ .

هذا كلامه ، وفيه أَنَّه يبقى العشيَّاتُ لغوًا .

وقوله : « لاخورٍ » بالجر صفة سابعة لمجلس ، والخور : الضُّعفاءُ عند الشِّدَّة . قال صاحب الصحاح : الخَوَر بفتحتين : الضَّعف ، رجلٌ خوَّار ورُمح خوّار ، وأَرض خوَّارة ، والجمع خُور بتخفيف الواو . وقال العينى : هو جمع أَخْوَر ، وهو الضَّعيف . وقوله هو القياس .

وقوله : « ولا قَزَمٍ » بالجرصفة ثامنة لمجلس ، وهو بفتح القاف والزاى . قال صاحب الصحاح : القَزَم بالتحريك : الدناءَة والقَماءَة . والقَزَم : رُذال الناس وسَفِلتهم ، يقال رجل قَزَم ، والذكر والأُنثى والواحد والجمع فيه سواءٌ ، لأَنَّه فى الأَصل مصدر .

صاحب الشاهد والشعر نسبه سيبويه إلى الكميت بن زيد الأَسدى ، وتقدَّمت ترجمته فى الشاهد السادس عشر[١] .

وقال ابن المستوفى كابن خلف : رواه سيبويه للكميت . ولم أَره فى ديوانه .

وأَنشده ابن السيرافى لتميم بن مقبل[٢] ، ولم أَره فيما كتبه ، من شعره . والله أَعلم .

---

(١) الخزانة ١ : ١٤٣ — ١٤٧ .

(٢) ط : « ابن أبى مقبل » ، صوابه « ابن أبى بن مقبل » . وأثبت ما فى ش. يقال تميم بن مقبل ، وتميم بن أبى بن مقبل . نسبة إلى جده أو إلى أبيه ثم جده . وأبى ، بهيئة التصغير .

وترجمة تميم بن مُقبل تقدَّمت أيضاً فى الشاهد الثانى والثلاثين[1] . وكلاهما شاعر إسلامى .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الرابع بعد الستمائة ، وهو من شواهد سيبويه [2] :

٦٠٤ (حَتَّى شَآها كَليلٌ مَوْهِناً عَمِلٌ
باتت طِراباً وباتَ اللَّيلَ لم يَنَمِ)

على أنَّ سيبويه قال : إذا حُوِّل فاعل إلى فعيل أو فَعِل عمِل أيضاً . وأنشد هذا البيت ، فإنَّ كايلا قد عمل فى قوله مَوهنا . ورُدَّ بأَنَّ موهناً ظرف لشآها ، ولو كان لكليل أيضاً فلا استدلال فيه ، لأَنَّه ظرف يكفيه رائحةُ الفعل . واعتُذِر لسيبويه بأَنَّ كليلا بمعنى مُكِلّ فموهناً مفعوله على المجاز ، كما يقال أتعبتَ يومَك ، ففعيل مبالغة مُفعِل لا فاعل . وفيه أنَّه قليل نادر ولا يصحُّ الاستدلال بالمحتمل مع أنَّ هذا الاعتذار بعيد . هذا كلامه .

قال التبريزى (فى شرح الكافية) : أنشد سيبويه هذا البيت على إعمال فعيل ، فإنَّ كليلا بمعنى مُكِلّ، وموهناً منصوب على أنَّه مفعول به ، أى يُكِلُّ أوقاتَ الليل من كثرة العمل. وطعنوا فى هذا البيت من جهة استشهاده . وقيل كليل بمعنى كالّ ، من كلّ يكِلّ فإنَّه لازم ، وموهناً منصوب على الظرف . وهذا التأويل ليس بقوىٍّ ، لأَنَّ صدر البيت

---

(١) الخزانة ١ : ٢٣١ - ٢٣٣.

(٢) فى كتابه ١ : ٥٨ . وانظر المقتضب ٢ : ١١٥ والمنصف ٣ : ٧٦ وابن يعيش ٦ : ٧٢ والمقرب ٢٤ والمغنى ٣٤٥ ويس على التصريح ٢ : ٦٨ والهذليين ١ : ١٩٨ وشرح السكرى ١١٢٩ .

وعجزه ينافيه، فإنَّه قال: « وباتَ الليل لم ينم » فلا يمكن أن يوصف بأنَّه قال فى بعض أوقات الليل، وقال عَمِل وهو يدلُّ على كثرة العمل.

وقال ابن مالك: إنَّما أنشد سيبويه هذا البيت ليُعلم جوازُ العدول من فاعل إلى فعيل، لأَنَّ أصله كالّ. ولم يتعرَّض للإعمال.

وهذا أيضاً ضعيفٌ، بما نقل السيرافى أنَّه قال سيبويه: كليل فى معنى مُكِلّ، مثل أليم، وداءٌ وجيع، بمعنى مؤلم وموجع. انتهى.

وقال ابن هشام (فى المغنى): رُدَّ على سيبويه فى استدلاله على إعمال فعيل بهذا البيت. وذلك أنَّ موهناً ظرف زمان، والظرف يعمل فيه روائح الفعل، بخلاف المفعول به. ويوضِّح كونَ الموهن ليس مفعولاً به أنَّ كليلا من كلّ، وفعله لا يتعدَّى. واعتُذِر عن سيبويه بأن كليلا بمعنى مُكِلّ، وكأنَّ البرقَ يُكِلّ الوقْتَ بدوامه فيه، كما يقال أتعبتَ يومك. أَو بأنَّه إنَّما استشهد به على أنّ فاعلا يُعدَل عنه إلى فعيل للمبالغة، ولم يَستدِلَّ به على الإعمال. وهذا أَقرب؛ فإنَّ فى الأَوَّل حملَ الكلام على المجاز مع إمكان حمله على الحقيقة. ا هـ.

٤٥١

ونحن ننقل لك كلام سيبويه هنا ليظهر لك حقيقةُ الحال، قال (فى باب ما جرى فى الاستفهام من أَسماءِ الفاعلين، من أَوائل الكتاب): وأَجروا اسمَ الفاعل إِذَا أَرادوا أَن يبالغوا فى الأَمر مُجراه، إذَا كان على على بناءِ فاعل، لأَنَّه لا يريد به ما أُريدَ بفاعل من إيقاع الفعل، إلاَّ أَنَّه يريد[1] أَن يحدِّث عن المبالغة. فممَّا هو الأَصل الذى عليه أكثر هذا المعنى: فعول، وفعّال، ومِفعال، وفِعل. وقد جاءَ فعيل كرحيم وقديرٍ، وسميع وبصير، يجوز فيهن ما جاز فى فاعل من التَّقديم والتأْخير،

(١) فى سيبويه: « لأنه يريد ».

والإضمار والإظهار . لو قلت : هذا ضَروبُ رءوسِ الرجال وسُوقَ الإبل ، على : ضروبٌ[١] سوق الإبل جاز ، كما تقول : ضاربُ زيدٍ وعمراً[٢] نُضمِر : وضاربٌ عمراً . ومما جاءَ مقدَّماً ومؤخَّراً على نحو ما جاءَ فى فاعل قولُ ذى الرمة :

هجُومٌ عليها نفسَه غير أنَّه متى يُرمَ فى عينيه بالشَّبْحِ ينهضِ

وقال القُلاخ :

* أخا الحرب لبّاساً إليها جِلالَها[٣] *

وقال أبو طالب :

* ضروبٌ بنصل السَّيف سُوقَ سِمانِها *

وقد جاءَ فى فَعِلٍ وليس فى كثرة ذلك ، قال :

* أو مِسحلٌ شنج عِضادَةَ سَمحجٍ[٤] *

وممَّا جاءَ فى فَعِلٍ قوله :

* حَذِرٌ أُموراً لا تُخافَ وآمنٌ[٥] *

ومن هذا الباب قول رؤبة :

* برأس دمّاغ رُءُوسَ العِزِّ *

---

(١) سيبويه : « على : وضروب » .

(٢) ط : « ضارب زيد عمراً » ، صوابه فى سيبويه وش أيضاً مع أثر تصحيح .

(٣) عجزه فى سيبويه :

* وليس بولاج الخوالف أعقلا *

(٤) لعمرو بن أحمر ، كما فى سيبويه ، أو هو للبيد فى ديوانه ١٢٥ . وعجزه :

* بسراته ندب لها وكلوم *

(٥) عجزه فى سيبويه :

* ماليس منجيه من الأقدار *

ومنه قول ساعدة :

حتى شَآها كَلِيلٌ موهناً عمل . . . البيت

وقال الكميت :

شمٌّ مهاوينَ أبدانَ الجزور . . . البيت

ومنه : قدير وعليم ورحيم ، لأَنَّه يريد المبالغة وليس بمنزلة قولك حسنٌ وجهَ الأَخ ،لأَنَّ هذا لا يقلب ولا يضمر[١] ، وإنَّما حدُّه أَن يتكلَّم به فى الأَلف واللام[٢] ولا تعنى أَنَّك أَوقعت فعلاً سلف منك إلى أَحد . ولا يحسن أَن تفصل بينهما فتقول : هو كريمٌ فيها حسبَ الأَب .

هذا نصُّه بحروفه ، مع حذف بعض أَمثلة .

قال الأَعلم : الشاهد فى نصب الموهن بكليل ، لأَنَّه مغيَّر عن بنائه للتكثير . وقد رُدَّ هذا التأْويل على سيبويه لما قدَّمنا : أَن فعيلا وفعلا بناءانِ لما لا يتعدَّى فى الأَصل. وجَعل الرادُّ نصبَ موهن على الظرف ، والمعنى عنده أَنَّ البرق ضعيفُ الهبوب كليلٌ فى نفسه . وهذا الردُّ غير صحيح ، إذْ لو كان كليلاً كما قال لم يقل عَمِلٌ وهو الكثير العمل ، ولا وصَفَه بقوله: وبات الليل لم ينم . والمعنى على مذهب سيبويه أَنَّه وصَف حمارًا وأُتُناً نظرتْ إلى برق مُستمطَر دالٌّ على الغيثُ يُكِلُّ الموهن بدُءُوبهِ وتَوالِى لمعانه ، كما يقال أَتعبتَ ليلكَ، أَى سرتَ فيه سيراً حثيثاً مُتْعِباً متوالياً . والموهن : وقتٌ من الليل . فشَآها البرق أَى ساقها وأَزعجها إلى مهبِّه ، فباتت طَرِبَةً إليه ، منتقلة نحوه . وفعيل فى معنى

(١) انظر ما كتبت على هذا من تعليق فى نسختى من سيبويه ١ : ١١٥ .

(٢) بعده فى سيبويه : « أو نكرة » .

مُفْعِل موجودٌ كثير . يقال بصير فى معنى مبصر ، وعذاب أليم بمعنى مؤلم ، وسميع بمعنى مسمع . وكذلك كليل فى معنى مُكِلّ . وإذا كان بمعناه عمل عمله ، لأنَّه مغيَّر منه للتكثير كما تقدَّم . ا هـ .

وقال ابن خلف أيضاً[١] : الشاهد نصب موهناً بكليل نصبَ المفعول به ، لأنَّه بمعنى مُكِلٍّ فيعمل عمله .

وقال المبرد : مَوهناً ظرف وليس بمفعول . ولا حجَّة له فيه . وجعل كليلاً من كلّ يكل ، وكلّ لا يتعدَّى إلى مفعول به فكيف يتعدَّى كليل . ٥٢

قال أبو جعفر : لايجوز عند الجرمىّ والمازنى والمبرد أن يُعملوا فعيلا. قال : وما عَلمْتُ[٢] إلَّا أنَّ النحويِّين مجمعون على ذلك . ولا يجيزون هو رحيمٌ زيداً ، ولا عليمٌ الفقه . والعلَّة فيه أنَّ فعيلا فى الأَصل من فَعُل فهو فعيل ، وهذا لا ينصِب بإجماعهم ، وهو معهم على ذلك . وفعيل هذا بمنزلة ذاك ، لأنه إنما يُخبَر به عمَّا فى الهيئة ، فهو ملحق به لا يعمل كما لا يعمل . وفَعِل عند المبرِّد بمنزلته . واحتجَّ بقولهم رجل طَبٌّ وطبيب .

قال أبو إسحاق (فى الحجَّة) ، فى إعمال فعيل[٣] : إنَّ الأَصل كان أن لا يعمل إلَّا ما جرى على الفعل ؛ فلما أَعربوا ضروباً لأَنه بمعنى ضارب وجب أن يكون فعيل مثله . قال : ومنه قدير . وسيبويه أورد هذا على أَنَّه للمبالغة فى كالّ ، وكالّ يتعـدَّى إلى مفعول على تقديره . وكأَنَّ الذى عند سيبويه أَنَّ كلَّلت يتعدَّى ، ويكون معناه أَنَّ

---

(١) نص ابن خلف هذا مسهب سينتهى فى آخر صفحة ١٦٠ .
(٢) ط : « عملت » ، صوابه فى ش مع أثر تصحيح .
(٣) فى النسختين « ليس فى إعمال فعيل » ، وكلمة « ليس » مقحمة .

كلَّل الموهن ، أى جعل يبرق فيه برقاً ضعيفاً . وزعم أنَّ كليلا بمعنى مُكِلّ .

وليس هذا من مذهب سيبويه فى شىء ؛ لأَنَّ سيبويه غرضُه ذكر فعيل الذى هو مبالغة فاعل ، وماعرَض لفعِلٍ الذى بمعنى مُفعِل .

وقد روى أَبو الحسَن اللِّحيانىُّ (فى نوادره) أَنَّ بعض العرب يقول فى صفة الله عز وجل : هو سميعٌ قولَك وقولَ غيرك ، بتنوين سميع ونصب قولك . وهذا يشهد لصحَّة مذهب سيبويه . وقال أَبو نصر هارون ابن موسى : زعم الرادّ على سيبويه أَنَّ موهناً ظرف . وهو على ما ذكرنا من فساد المعنى . والكليل ههنا : البرق . والموهن : وقتٌ من الليل ، ولو كان ظرفاً لوصف البرق بالضَّعف فى لمعانه ، وإذا كان بهذه الصفة فكيف يسوقُها وهو لايدلُّ على المطر ؟ ولكنَّ البرق إذا تكرر فى لمعانه واشتدَّ ودام دلَّ على المطر ، وشاق[1] ، وأَتعب الموهن فى ظلمته ، لأَنَّه كلمَّا هبَّ ذهبت الظلمة ثم يرجع إذا فَتَر البرق ، ثم يذهب إذا لمع . فلذلك عدْى الشاعر الكليل إلى الموهن .

وقوله : (شآها) أى شأَى الإبل ، أى ساقها . قال الأَخفش : تبعها . يقال شاءَنى الأَمر وشآنى ، أَى ساقنى . ويقال أَيضاً شآنى : حزننى . و(كليل) أى برق ضعيف . وإنَّما ضعَّفه لأَنه ظهر من بعيد . و(الموهن) بفتح الميم وكسر الهاء : قِطعة من الليل . و (العَمِل) : الدائب المجتهد فى أمره الذى لايفتُر . و (باتت طراباً) يعنى البقر الوحشيّةَ طراباً إلى السير إلى الموضع الذى فيه البرقُ ، وبات البرق الليل أَجمعَ لايفتُر . فعبَّر عن البرق بأَنه لم ينم لاتِّصاله من أَول الليل إلى آخره . انتهى ماأَورده ابن خلف .

---

(١) ط : « وساق » بالسين المهملة ، صوابه فى ش مع أثر تصحيح .

وقال النحاس : شآها يعنى الإبل . وكليل : برق خفى . طراباً : طربت للبرق وشاقَها[١] . وبات البرق لم ينم لشــدَّة دوامه . قال ابن حبيب : طراباً من الطرب تَحنُّ إلى أولادها . قال الجمحى : تنزع إلى أوطانها .

والصحيح أنَّه عنى بها البقر لا الإبل ، خلافاً للشارح المحقق وغيره . قال السكرى (فى شرح أشعار الهذليين): حتى شآها يعنى شأى البقر، يقال شُؤْته ،فكان ينبغى أن يقول شاءها، فقلب فقدَّم الهمزة . ومعنى شؤته شُقْته[٢] وهيَّجته وسررته . يقول : حتى شاءَ البقرَ كليلٌ ،وهو البرق الضعيف، موهناً : بعد هَدء من الليل . عمِلٌ ، أى ذو عمل ، لايفتر البرق . وباتت طراباً ، يعنى البقر . وبات الليلَ ، يعنى البرق . وعَمِل: دائب ، يقال للرجل إذا دأب : قد عَمل يعمل . انتهى. ٤٥٣

صاحب الشاهد

والبيت من قصيدةٍ طويلة لساعدة بن جُؤَيَّة ، رثى بها من أُصيب يوم مَعْيَط[٣] ، وهو أَرض ، منهم سُراقة بن جُعشم من بنى مُدلج ، كان يرسل إليهم الأَخبار . وهذا مطلعها :

(ياليتَ شِعرى ولا مَنْجَى من الهَرَمِ   أم هلْ على العيش بعدَ الشَّيبِ من نَدَمِ)

قال السكرىّ[٤] : ويروى :

---

(١) ط : « وساقها » بالسين، صوابه فى ش مع أثر تصحيح .

(٢) ط : « سبقته » ، صوابه فى ش مع أثر تصحيح . وفى شرح السكرى ١١٢٩ : « شآها : شاقها فاشتاقت » . وفى اللسان تعليقاً على هذا البيت : « شآها ، أى شاقها وطربها بوزن شعاها » .

(٣) بفتح الميم وسكون العين وفتح الياء ، كما فى ش ومعجم البلدان .

(٤) لم أعثر على هذا النص فى شرح السكرى .

* ياللرِّجال ألا مَنْجَى من الهرم *

يقول : هل يندم أَحدٌ عَلَى أَن لا يعيش بعد أَن يشيب . وقوله « على العيش » ، أى على فوت العيش . ومثله : «المـال يُزرِى بـأَقوام[1]» يريد فقد المال ا هـ .

وهذا البيت أَورده ابن هشام (فى المغنى) على أَنَّ زيادة أَمْ فيه ظاهرةٌ . إلى أن قال :

(تاللهِ يبقى على الأَيّامِ ذُو حِيَدٍ أَدفَى صَلودٌ من الأَوعال ذوخَدَمِ)

يريد : تالله لا يبقى ، فحذف لا النافية فى جواب القسم. وروى :«لِله يبقى» واللام للقسم والتعجُّب معاً . ولأَجله استشهد ابن هشام (فى المغنى) بهذا المصراع . وذُو حِيَدٍ هو الوعِل . والحِيَد بكسر ففتح : جمع حَيْد، بفتح الحاء المهملة وسكون المثناة التحتية ، وهى العُقَد فى قرن الوعِل . والأَدفى بالقصر : الذى يَميل قرنُه إلى نحو ذنَبه. وصَلود : صفة أَدفَى . والصَّلود : الذى يقرع بظلفه الجبلَ . والخَدَم بفتح الخاء المعجمة والدال: جمع خَدَمة ، وهى الخلخال ، ويجمع على خِدام أَيضاً بالكسر . والخَدَم : خطوطٌ بيضٌ فى قوائمه تشبه الخلاخيل .

ثم وصف تحصُّنه فى رءُوس الجبال فى ثمانية أَبيات ، فلما جاءه أَجَلُه لم يسلَم من الصيَّاد، فهلك على يديه ، وقال :

(فكان حتفاً بمقدار وأَدركهُ طولُ النهار وليلٌ غير مُنصرمِ)

---

(١) كذا وردت هذه القطعة للاستشهاد بها ، وأنا فى ريب من صحتها بدليل اقتضابها المخل . وفى ديوان حسان ٣٢٧ :

الفقر يزرى بأقوام ذوى حسب ويقتدى بلئام الأصل أنذال

أَراد: أَدركه طولُ النهار وليلٌ غير منقطع. يقول: لم يفلت من طُول الأَيام والليالى. وبعده:

(ولا صِوارٌ مذرَّاة مناسجُها مثلُ الفريد الذى يجرى من النُّظُمِ [(١)])

هذا معطوفٌ على ذوحِيَد فى جواب القسم السابق. أى تالله لا يبقى على الأَيام ذو حيد ولا صِوارٌ، وهو بكسر الصاد المعجمة: جماعة البقر. يقال نعجة مذرَّاةٌ وكبش مذرًّى بالذال المعجمة، إذا جُزَّ وتُرك بين كتِفيه صوف لم يجزّ. فهى الذِّروة بكسر الذال وضمها. والنُّظُم بضمتين: جمع نظام، وهو الخيط الذى فيه اللؤلؤ. يقول: الصِّوار مثل اللؤلؤ فى الحسن والبياض.

(ظَلَّتْ صوافنَ بالأَرزان صاويةً فى ماحقٍ من نهار الصَّيْف مُحتدِمِ [(٢)])

أى قد رفعن إحدى قوائمهنَّ. والصوافن: التى تفرّج بين رجليها. والأَرزان: جمع رِزْن، بكسر الراءِ المهملة وسكون الزاى، وهو الموضع الغليظ الذى فيه الماءُ. وصاوية بالصاد المهملة: اليابسة من العطَش. والماحق: شدَّة الحر. والمحتدم: المحترق، بالحاءِ والدال المهملتين. أى كان ذلك اليوم محترقاً من شدة الحر.

(قد أُوبِيَتْ كلَّ ماءٍ فهى صاويةٌ مهما تُصِبْ أُفقاً من بارقٍ تَشِمِ [(٣)])

---

(١) فى شرح السكرى: «ولاصوار مدراة» بالدال المهملة. وقال فى تفسيره: «يقول: كأن منا سجها دريت بالمدرى، أى ضربتها الريح كما يدرى الشعر بالمدارى». وفى ديوان الهذليين ١ : ١٩٧ : «مذراة» بالذال المعجمة. وفى تفسيره: «يقول: كأن مناسجها ذريت بالمذرى، أى ضربتها الريح كما يذرى الشعير بالمذارى».

(٢) صاوية، هنا، بالواو فى النسختين وشرح السكرى. قال: «والصاوى اليابس ومن قال طاوية فإنه يريد خماص».

(٣) ط: «صادية» بالدال، وأثبت مافى ش وهو ما يقتضيه التفسير التالى. وفى شرح السكرى: «فهى طاوية»، أى ضامرة.

٤٥٤ (حتى شآها كليلٌ مَوهناً عمِلٌ باتت طِراباً وباتَ اللَّيلَ لم ينم

كأنَّما يتجلَّى عن غواربه بعدَ الرُّقاد تمشِّى النارِ فى الضَّرَمِ [1]

حَيْرانُ يركب أعلاه أسافلَه يَخْفِى تُرابَ جديدِ الأَرض منهزِمِ [2]

فأَسأَدَتْ دَلَجاً تُحيي لموقعه لم تنتَشِبْ بِوُعوث الأَرض والظُّلَمِ

حَتَّى إذا ماتجلَّى ليلُها فزِعَتْ من فارسٍ وحليفِ الغربِ ملتئِمِ

فافتَنَّها فى فضاءِ الأَرض يأْفِرها وأَصحرَتْ فى قِفافٍ ذات مُعتصَمِ

أَنحى عليها شُراعيًّا فغادرَها لدى المَزَاحف تَلَّى فى نَضُوحِ دم

وبعد هذا شَرَع فى الرثاء .

قوله : « قد أُوبيت كلَّ ماءٍ » البيت إلخ أَورده أَبوحنيفة (فى كتاب النبات) مع أَبيات أَربعة بعده وقال : وصف بها ساعدةُ بن جؤَيَّة حميراً . وقال : أُوبيت : مُنعت . وقال السكرى : يقول : مُنعت كلَّ ماء ، أَى قطع عنها ، يقال طعام وشراب لايؤْبَى : لاينقطع . وقال شارح اللباب : أَى جعلت تأْبى كل ماءٍ وتكرهه . وصاوية بالصاد المهملة . قال أَبو حنيفة : الصاوى : اليابس ، أَى يبست من العَطش. وقوله : « مهما تصب أُفقاً » قال السكرى أَى ناحية من بارق ، أَى من سحابٍ فيه برق. وتَشِم : تنظر إليه ، والضمير فى الجميع ضمير الصِّوار .

وهذا البيتُ أَورده ابن هشام (فى المغنى) على أَنَّ ابن يسعون استدلَّ به على مجىءِ مهما حرف شرط كإِنْ . قال : واستدلَّ ابن يسعون تبعاً للسُّهيلى، على أَنَّ مهما تأْتى حَرفاً بقوله : قد أُوبيت كل ماءٍ،

(١) فى شرح السكرى : « يخفى جديد تراب الأرض » ، وكذلك فى ديوان الهذليين .

(٢) وكذا فى شرح السكرى . وقال : « أى أحيت ليلتها . يريد لتبلغ ذلك المطر » . وفى ش : « يحيى » تصحيف .

البيت . قال : إذ لا تكون مبتدأً لعدم الربط من الخبر وهو فعل الشرط ، ولا مفعولا لاستيفاءِ فعل الشرط مفعوله ، ولاسبيل إلى غيرهما ، فتعيّن أنَّها لاموضع لها . والجواب أنَّها مفعول تصب وأُفقاً ظرف ، ومن بارق تفسير لمهما أَو متعلِّق بتُصب ، فمعناها التبعيض . والمعنى أَى شيءٍ تُصِبْ فى أُفق من البوارق تَشِم . وقال بعضهم : مهما ظرف زمان ، والمعنى أَىَّ وقت تصب بارقاً من أُفق . فقلب الكلام . أَو فى أُفق بارقاً فزاد من واستعمل أُفقاً ظرفاً . ا هـ .

ثم ذكر أَنَّها لاتـأْتى ظرفاً ، خلافاً لابن مالك .

وإلى الظرفية ذهب صاحب اللباب ، قال : وقد تستعمل **مهما** للظرف ، نحو :

* **مهما تصب أُفقاً من بارق تشِم** *

قال شارحه : أَى مَهما تصب بارقاً فى جهة فى أُفق(١) وناحيةٍ من من الجهات تَشِم الناقة ذلك البارق . من شِمت البرقَ ، أَى نظرت إلى سحابِهِ أَين يمطر . والبارق : السَّحاب ذو البرق . ومهما فى البيت ظرف ، لأَنَّ الفعل بعده تسلَّط على مفعوله فلا يتسلَّط عليه تسلُّطَ المفعول به ، لأَنه لايتعدَّى إلا إلى واحد ، فهو ظرف ، أَى فى أَىِّ جهة تصب . ا هـ .

وقال أَبو حيان (فى تذكرته) : قال الفارسى : هذا على القلب ، والمعنى : مهما تصب بارقاً من أُفق . فإن جعلت أُفقاً ظرفاً كانت منْ

---

(١) ش : « بارقا فى أفق فى جهة » .

زائدة لأنَّها غير واجبة ، فهى مثل إن تصب عندى من درهم . فلا قلب.
وأجاز أن تكون من غير زائدة ، ومن بارق فى موضع نصب بتشم .
ومفعول تصب محذوف ، وهو ضمير منصوب يعود على أُفق أَو على
بارق. قلت: الذى ذكره الفارسى من إعمال الفعلين والمعمول متوسِّط
غريب؛ قلَّما يذكره النحويُّون . وقد ذكرنا فى باب كونه تقدَّمَ على
الفعلين ، نحو أَىّ رجل ضربت أَو شَتمت ويجب أَن يكون الأَوّل أَولى
بالعمل بلاخلاف، كما كان ذلك فى قولك أَىّ رجل ضربت أَو شتمت ، ٤٥٥
لأَنه فى هذه المسأَلة أَقرب. وفى مسأَلة أَبى على وإن لم يكن أَقرب الفعلين
فليس بأَبعد الفعلين ؛ لأَنَّ النسبة فى التَّلاصُق واحدة ، إلَّا أَنَّ عمل
الفعل مقدَّماً أَولى من عمله مؤَخَّراً بلا خلاف. ابن يسعون : يجوز أَن
يقدَّر إنَارة أُفق فلا قلب . ويحتمل أَن يكون مهما مفعولاً بتصبْ .
أَى أَىّ شىءٍ تجد فى أُفق من البرق تشم . وفى رواية الجمحى :

* مهما يُصب بارقٌ آفاقَها تَشم *

وهذا سَهْلُ(١) الإعراب ؛ ومهما ظرفٌ العاملُ فيه يُصب ،ولايحتاج فيه
إلى ضمير . والظرف فى مهما قليل ، ويتصوَّر أَن يكون بمعنى إن على
ما ذكروا ، إلَّا أَنَّ هذا أَولى . انتهى ما أَورده أَبو حيان .

وقوله: « حتَّى شآها » إلخ ضمير المؤنث للصِّوار ، وهى البقر ،
لا للحميرِ الوحشيّة ، خلافاً لأَبى حنيفة ، ولا للإبل خلافاً للشارح
وغيره ، ولا للناقة خلافاً لشارح اللُّباب. قال أَبو حنيفة : شآها : شاقَها
بالشين المعجمة . قال : قدَّم همزة شاءَ ، يقال شاءَنى يشوءُنى ويَشيئنى
أَيضاً، أَى شاقنى . قال الشاعر(٢) :

(١) فى النسختين : « أسهل » ، تحريف .
(٢) هو الحارث بن خالد المخزومى ، كما فى اللسان (شأى ١٤٥) .

مَرّ الحُمولُ فما شأَوْنَكَ نقرةً ولقد أُراكَ تُشاء بالأَظعانِ

أَى تُشَاق ، فجاءَ باللغتين . والكليل : البرق الضعيف ، وقد يستحبّ أَن يكون قليلًا . والعَمِل : الدَّائب[1] لايفتر . والطِّراب : التى قد استخفَّها الفرح . والمَوهن : بعد ساعةٍ من نصف الليل ، وضمير بات للبَرْق الكليل .

وقوله : « كأَنَّما يتجلَّى » إلخ ، أَى البرق الكليل . والغوارب : أَعالى السَّحاب . والضَّرَم : مادقَّ من الحطب ، فالنار تُسرع فيه .

وقوله : « حَيْرانُ يركب أَعلاه » إلخ ، قال السكرى : يعنى هذا السحابُ لا يمضى على جهته قد حار ، فهو يتردَّد . وقوله : « يخفى تراب الأَرض »[2] أَى يُظْهِرُه[3] ، مِن خَفَاهُ : أَظهره ، يعنى المطر يُظهر التراب . وجَديد الأَرض ، بالجيم : أَرضٌ صلبة لم تُحفَر . وقوله « منهزم » يقول : هذا السحاب قد انخرق بالماءِ ، يقال انشقَّ سحاب الماءِ . هذا مثلٌ . ويقال للدابة : انشقَّ سِقاؤُه بالعَدْو . اهـ .

وقال أَبو حنيفة : قوله حيران ، أَى لاجهة له فهو ماكث . وخفاه : أَظهره . يعنى أَنَّ سيله يشقُّ الأَرض فيُظهر باطنها . ومنهزم : منشقٌّ بالمـاءِ .

وقوله : « فأَسأَدتْ دَلجًا » إلخ ، قال أَبوحنيفة : الإسآد سير الليل كلِّه . وكذلك الدَّلج . وتُحيي لموقعه يريد تُحيي الليلَ لموقع هذا الغيث ، تسير إليه . لم تنتشب : لم تتحبَّس ، أَى لم يعقْها وعوثُ الأَرض .

---

(١) ط : « الدائم » بالميم .
(٢) كذا فى النسختين . والذى فى النص : « تراب جديد الأرض » .
(٣) ط : « يظهر » ، وأثبت مافى ش .

وقال السكرى : قوله تُحيِي لموقعه، يعنى هذه البقرة تحيي ليلتها جمعاءَ لموقع ذلك السحاب لتبلغَه . والوَعْث : اللين ؛ وهو يحبس .

وقوله :« حتَّى إذا ما تجلَّى ليلها » إلخ : قال السكرى : يعنى بحليف الغربِ رُمحاً حديدَ السِّنان . وغرب كلِّ شىءٍ : حدُّه . وملتئم : يشبه بعضُه بعضاً لا يكون كعبٌ منه رقيقاً[1] والآخر غليظاً . وقيل يعنى بحليف الغرب فرسَه ، والغَرْب : النشاط .

وقوله : « فافتنَّها » يريد انشقَّ بها فى ناحية ، مِن فنن[2] ، بالفاءِ والمثناة فوق والنون . وقيل افتنَّها: طرحها . ويأْفُرها : يسوقها من الأَفر بالفاءِ والراءِ المهملة ، وهو عدْوٌ فيه قَفْز . وقوله: وأَصحرت ، أى صارت فى صَحَار[3] ، وقوله: « فى قفاف » القُفّ بالضم : ماغلُظ من الأَرض وارتفع ولم يبلغ أَن يكون جبلاً . والمعتصَم بفتح الصاد : الملجأُ .

٤٦٢ وقوله :« أَنحى عليها » إلخ، أى أَهوى إليها الفارس بالرُّمح . والشُّراعى بضم الشين المعجمة : الرُّمح الطويل . وغادَرَها : تركَها وخلَّفها . وتَلَّى : صَرْعى . ولدى المزاحف: جمع مَزْحَف ، أى حيث زاحَفَها فيه، أى قاتَلها . والنضخ : ما أَصابك [من[4]] الشيء على غير عمد ، يقال أَصابه نضخٌ من الدَّم والزعفران والبَول ما لم تتعمَّد به ، فإذا أَنت تعمَّدته قلت : نضحته بالماءِ، بالحاءِ المهملة . يقال نضح ينضح إذا مارشح .

---

(١) ش : « دقيقاً » .

(٢) فى النسختين : « فتن » بالتاء ، انسياقاً وراء الضبط التالى ، والصواب أن الضبط التالى إنما هو ضبط لافتنها . وأن « فنن » إنما هو بيان للمادة اللغوية .

(٣) ش : « فى صحارى » . يقال فى جمع الصحراء الصحارى والصحارَى ، بكسر الراء وفتحها .

(٤) التكملة من ش .

وترجمة ساعدة بن جؤية الهذلى قد تقدَّمت فى الشاهد التاسع والستين بعد المائة[1] .

* * *

وأنشد بعده، وهو الشاهد الخامس بعد الستمائة ، وهو من شواهد سيبويه[2] :

٦٠٥ (حَذِرٌ أُموراً لا تُخافُ وآمِنٌ ماليسَ مُنجِيَهُ من الأَقدارِ)

على أَنَّ سيبويه استدلَّ به على عمل فَعِلٍ بهذا البيت ، ومنعه غيره وقال : إنَّ البيت مصنوع . يُروى عن اللاحقىّ أَنَّ سيبويه سأَلنى عن شاهدٍ فى تعدِّى فَعِلٍ، فعملتُ له هذا البيت .

أَقولُ: إنْ طُعِنَ على سيبويه بهذا البيت فقداستُشهِدَ ببيتٍ آخر لا مطعنَ عليه فيه ، وهو قولُ لبيد الصَّحابى :

أَو مِسحلٌ شَنِجٌ عِضادَةَ سَمحجٍ بسَراته نَدَبٌ لها وكُلومُ

وقال الأَعلم ، وتبعه ابن السِّيد (فى شرح أبيات الجمل) : قد وجدنا فى شعر زيد الخيل الطائى الصحابى بيتاً آخر لا مطعنَ فيه ، وهو :

أَلم أُخبِرْكُما خبرًا أَتانى أَبو الكَسَّاحِ جَدَّ به الوعيدُ[3]

أَتانى أَنَّهم مَزِقون عِرْضى جِحَاشُ الكرمِلَينِ لها فديدُ

أَمَّا البيت الأَوَّل فقد قال ابن خلف : الشاهد فيه أَنَّه نصبِ عضادة بشنج نصبَ المفعول به ، لأَنَّه تكثير شانج ، وشانج فى معنى ملازم ،

(١) الخزانة : ٣ : ٨٦ - ٨٧ .

(٢) فى كتابه ١ : ٥٨ . وانظر المقتضب ٢ : ١١٦ والجمل ١٥٥ وابن الشجرى ٢ : ٥٤٣ وابن يعيش ٦ : ٧١ والعينى ٣ : ١٠٧ والأشمونى ٢ : ٢٩٨ .

(٣) انظر التعليق التالى .

وفعله شنِجتُه كلزِمته ، على ما حكاه البصريون . وذلك غير مشهور . قال أَبو نصر هارون بن موسى : وردَّ عليه هذا القول بعضُ النحويِّين وزعم أَنَّ عضادة ظرف . وهذا من الذين يتهاونون بالخلَفَ إذا عرفوا الإعراب ، وهو إذا جعله ظرفاً كان المعنى فاسدًا ، وذلك أَنَّ الشاعر شبَّه ناقته فى نشاطها وصلابتها بحمارٍ وحشىٍّ ملازمٍ لأَتانٍ يضربُها ؛ فلشدَّته وصلابته قد لازمها ، وقبض الناحية التى بينها وبينه ، ولم يحجُِزْه عن ذَلك رَمْحُها وعضُّها اللذان بسَراتهِ منها ندبٌ وكلوم . ولو كان ظرفاً لكان المعنى أَنَّ المسحل شنِجٌ متقبِّض فى ناحية السَّمحج مَهينٌ، قد شعفه عضُّها ورَمْحها ، فكيف يشبِّه أَحدٌ ناقتَه بمسحل هذه صفته .

والذى يحتجُّ لسيبويه أَيضاً أَنَّ العضادة ليست من الظُّروف، لأَنَّه يريد بالعضادة جنبَها وأَعضادها . أَلا ترى أَنَّه لا يجوز أَن يقول هو شنجُ رِجْلٍ سمحجٍ ولا يدِ سمحج . ومسحل معطوف على« مُسدَّم » قبله ؛وهو :

حَرف أَضرَّ بها السِّفار كأَنَّها ... بعَد الكلالُ مُسدَّمٌ محجومُ

وصفَ لبيد ناقته . والحرف : الضَّامرُ . وأَضرَّ بها السِّفار : أَنضاها وهزلها . والكَلال : التعب . والمسدَّم : الفَحْل من الإبل الذى قد حُبس عن الضِّراب . والمحجوم : المشدود الفم . والمسحل : حمار الوحش . والسَّمحج : الأَتان الطَّويلة . وسراتها : أَعلاها . والنَّدَب :الأَثر . والكلوم : الجراحات .يريد أَنَّ هذه الأَتان بها آثارٌ من عضِّ الحمار ، كأَنها جراحات. ٤٥٧ وعِضادة : جنب . والشنج : المتقبِّض فى الأَصل ، ويراد به فى البيت الملازم ؛ كأَنَّه قال : أَو مسحل ملَازمٌ جنبَ أَتان لايفارقها . يقول : كأَن هذه الناقة بعد ماكلَّت بعيرٌ مسدَّم ، أَو مِسحلٌ موصوفٌ بما ذكر .

وأمَّا البيت الثانى فمزقون : جمع مَزِق مبالغة مازق ، من المَزْق وهو شقُّ الشىء . وعِرض الرجل، بالكسر : جانبه الذى يصُونه ،من نفسه وحَسَبِه. وجحاش، أى هم جحاش ، فهو تشبيه بليغ كما حقَّقه السعد ، لا استعارة كما زعمه العينى. وهو جمع جَحْش ،وهو ولد الحمار . والكِرْمِلِينِ ، بكسر الكاف وفتح اللام[1] : اسم ماءٍ فى جبل طيِّئٍ . والفدِيدُ: الصوت، يريد أنَّهم عندى بمنزلة الجحاش التى تنهق عند ذلك الماء ، فلا أعبأُ بهم . وتخصيص الجحاش مبالغة فى التحقير .

والبيت استشهد به شرَّاح الألفية .

وأمَّا ما روى عن اللاحقى فى البيت الأوَّل فقد حكاه المازنى قال : أخبرنى أبو يحيى اللاحقى قال : سألنى سيبويه عن فَعِلٍ يتعدَّى ، فوضعت له هذا البيت . وإذا حكى أبو يحيى مثلَ هذا عن نفسه ورضىَ بأن يخبر أنَّه قليلُ الأمانة ،وأنَّه ائتُمن على الرواية الصحيحة فخان، لم يكن مثلُه يُقبل قوله ويُعترض به على ماقد أثبته سيبويه. وهذا الرجلُ أحبَّ أن يتجمَّل بأنَّ سيبويه سأله عن شىءٍ فخبَّر عن نفسه بأنَّه فعل مايبطل الجمال . ومن كانت هذه صفتَه بعُدَ فى النفوس أنْ يسأله سيبويه عن شىءٍ . وقال أبو نصر هارون بن موسى : وهذا[2] ضعيفٌ فى التأْويل ، وكيف يصلح أن ينسُب اللاحقُّ إلى نفسه ما يضَعُ منه ولا يَحِلّ، أو كيف يجوز هذا على سيبويه ، وهو المشهور فى دينه وعلمه وعقله وأَخْذِه عن

(١) وكذا ضبط ياقوت « الكرمل » بالكسر ثم السكون وكسر الميم . وقال فى مادة (الكرملين) : « اسم ماء فى جبلى طيئ ، فى قول زيد الخيل ، وثناه ثم أفرده فى شعر واحد :

ألم أخبر كما خبراً أتانى ... أبو الكساح يرسل بالوعيد

أتانى أنهم مزقون عرضى ... جحاش الكرملين لها فديد

فسيرى يا عدى ولا تراعى ... فحلى بين كرمل فالوحيد » .

(٢) ط : « هذا » بغير واو .

الثقات الذين لا اختلافَ فى علمهم وصحّة نقلهم . وإنّما أراد اللاّحقُ بقوله : « فوضعتُ له هذا البيتَ » : فرويتُه. والحَذِر : مبالغة حاذر ، من الحذَر وهو التحرُّز . وجملة « لا تُخاف » بالبناء للمفعول صفة قوله أموراً . وروى بدله « لا تضير » بمعنى لا تضرّ، يقال ضاره يَضِيره، وضرّه يضرُّه بمعنًى واحد ، كما يقال ذامَه يذيمه وذمّه يذمُّه بمعنًى.

قال ابن السِّيد (فى شرح أبيات الجمل) : معنى البيت يحتمل أمرين :

أحدهما : أنّه يصف إنساناً بالجهل وقلّة المعرفة ، وأنّه يضع الأُمور فى غير موضعها ، فيأْمن من لا ينبغى أن يُؤمن ، ويحذر من لا ينبغى أن يُحذر .

والوجه الثانى ، وهو الأَشبه عندى : أن يكون أَراد أنّ الإنسان جاهلٌ بعواقب الأُمور ، يدبِّر فيخونه القياس والتدبير . ونحوه قولُ أَبى العتاهية :

وقد يَهلكُ الإنسانُ من باب أَمنهِ   وينجو بإِذن الله من حيثُ يحذَرُ

وزعم قوم أنّ البيت لابن المقفّع لا لِلاّحق . انتهى .

وقال ابن هشام اللخمى : الظاهر من البيت أَنّه ذمٌّ. ويحتمل أن يكون مدحاً ، بمدحه بكثرة الحذَر ، فيخرج هذا المعنى إنّى[1] لأُعِدُّ للأَمر عسى أن لا يكون أبدًا . وحذِر وآمنٌ بمعنى الاستقبال ، لأَنَّ الحذَر والأَمن إنّما يكونان فيا يأْتى ، وأَمّا ما مضى فقد عُلم . والهاء فى

(١) ش : « إلى » .

« منجيَه » عائدة على الضمير الذى فى ليس . ومنجيه بمعنى المضارع لا الماضى ، والدليل عليه وقوعُه خبر ليس، والنفى إنَّما يقع على الأخبار، وليس إنَّما تنفى المضارع . انتهى كلامه .

وقال العينى : إنَّ منجيَه اسم فاعل مضاف إلى الهاءِ ، والهاء فى موضع نصب لأَنَّ اسم الفاعل إذا كان بمعنى الحال أَو الاستقبال وأُضيف كانت إضافته غيرَ محضة ، وكانت النيَّة بها الانفصال . هذا كلامه . ٤٥٨

أبان اللاحق

واللاحق هو أَبانُ بن عبدِ الحميد اللاحق . هو من شعراء هارونَ الرَّشِيد. وهو شاعرٌ مطبوع بَصرىّ ، لكنَّه مطعون فى دينه.

قال صاحب الأَغانى : هو أَبان بن عبد الحميد بن لاحق بنِ عُفير[١] مولى رَقاش . قال أَبوعبيدة : بنو رَقاش ثلاثة نفر ينسبون إلى أُمهم ، وهم مالك، وزيد مناة ، وعامر ، بنو شيبان بن ذهل بن ثعلبة بن عُكابة ابن صَعب بن علىّ بن بكر بن وائل .

أَخبرنى الصُّولى قال : حدَّثنى محمد بن سعيد قال : حدثنا يحيى ابن إسماعيل[٢] قال :جلس أَبان بن عبد الحميد ليلةً فى قوم فثلَبَ أَبا عبيدة فقال : يقدح فى الأَنساب ولا نسب له ! فبلغ ذلك أَبا عبيدة فقال : لقد أَغفل السُّلْطانُ كلَّ شىء ، حتى أَغفل[٣] أَخذَ الجزية من أَبان اللاحق ؛ هو وأَهله يهود ، وهذه منازلُهم فيها أَسفار التوراةِ وليس

(١) فى الأغانى ٢٠ : ٧٣ : « بن عفر » .
(٢) فى الأغانى ٢٠ : ٧٨ : « عن عيسى بن إسماعيل » .
(٣) فى الأغانى : « حين أغفل » .

فيها مصحف ، وأوضحُ الأدلَّة على تَهَوُّدهم[١] أنَّ أكثرهم يَدَّعى حفظ التوراةِ ولا يحفظ من القرآن مايصلِّى به . فبلغ ذلك أبانًا فقال :

لا تَنُمَّنَّ عن صديقٍ حديثاً   واستعذْ من تشرُّرِ النمَّامِ[٢]
واخفضِ الصوت إن نطقت بليلٍ   والتفت بالنهار قبل الكلامِ

وكان المعذَّل بن غيلان صديقاً لأبان ، وكانا مع صداقتهما يتعابثان[٣] بالهجاء، ويهجوه المعذَّل بالكفر وينسبه إلى الثَّنَوية ، ويهجوه أبانٌ بالفُسَاءِ الذى يُهجَى به عبد القيس ، والقِصَر ، وكان المعذَّل قصيرًا . ومن هجوه :

رأيتُ أباناً يومَ فطرٍ مصلِّياً   فَقسَّم فكرى واستَفزَّنىَ الطَّربْ
وكيف يصلِّى مظلمُ القلْبِ دينُه   على دين مانى، إنَّ هذا من العجَبْ

وهجاه أبو نُواس بقوله :

جالستُ يوماً أباناً   لا درَّ درُّ أبانِ
حتَّى إذا ما صلاةُ الْـ   أُولَى دنَتْ لأوانِ[٤]
فقامَ ثَمَّ بها ذو   فَصاحةٍ وبيانِ
فكلُّ ما قال قلنا   إلى انقضاء الأذانِ
فقال كيف شهدتمْ   بذا بغير عِيانِ

---

(١) فى الأغانى : « وأوضح الدلالة على يهوديتهم » .

(٢) كذا فى النسختين . وفى الأغانى : « تسرر » .

(٣) ط : « يتعاقبان » ، ش : « يتعاقبان » . والأخيرة محرفة ، وأثبت ما فى الأغانى .

(٤) فى النسختين : « لأذان » ، صوابه فى الأغانى والحيوان ٤ : ٤٤٩ .

لا أَشهدُ الدَّهرَ حتَّى تُعايِنَ العينانِ
فقلت : سبحانَ ربِّى فقال : سبحانَ ما نِى

وأخبرنى الصُّولى قال : حدثنا أبو العيناء قال : حدثنى الحِرمازى قال : خرج أبان بن عبد الحميد اللاحقى من البَصرة طالباً للاتِّصال بالبرامكة ، وكان الفضل بن يحيى غائباً ، فأَقام ببابه لمَّا قَصدهُ مُديدةً لا يصلُ إليه ، فتوسَّل بمن أَوصل له شعرًا إليه ، وقيل إنَّه توسَّل إلى بعض بنى هاشم ممَّن شخص مع الفضل ، فقال له :

ياغزيرَ الندى وياجوهرَ الجو هَرِ من آل هاشم بالبطاحِ
إنَّ ظنِّى وليس يُخلفُ ظنِّى بانَ فى حاجتى سبيلُ النجاحِ (١)
إنَّ مِن دُونها لصمتَ بابٍ أَنت من دون قُفلهِ مفتاحى
تاقت النفسُ ياجليلَ السَّماحِ نحو بحرِ الندى مُجارِى الرِّياحِ(٢)
ثم فكَّرتُ كيف لى واستَخَرتُ الل لهَ عندَ الإمساءِ والإصباحِ
فامتدحتُ الأَميرَ أَصلحه اللـ ـهُ بِشعرٍ مشهَّر الأَوضاحِ

٤٥٩

فقال له : هات مديحَك . فأَعطاه شعرًا فى الفَضْل فى هذا الوزنِ وقافيته :

أَنا مِن بُغية الأَمير ، وكنزٌ من كنوز الأَمير ذو أرباحِ
كاتبٌ حاسبٌ خطيبٌ أَديبٌ ناصحٌ زائد على النُّصَّاحِ
شاعرٌ مُفْلق أخفُّ من السِّـر شَةِ فيما يكون تحتَ الجَناحِ(٣)

(١) ط : « أن » ، وأثبت ما فى ش . وفى الأغانى : « بك » .
(٢) فى الأغانى : « يا خليل السماح » .
(٣) فى الأغانى ٢٠ : ٧٥ : « عند الجناح » .

وهى طويلة ، ومنها :

إن دعانى الأَمير عاينَ منِّى ... شَمَّريًّا كالبُلبل الصَّيَّـاح

قال : فدعا به ووصَلَه ، ثم خُصَّ بالفضل وقَدِم معه ، فقرُب من قلب يحيي بن خالد ، وكان صاحبَ الجماعة وذا أَمرِهم .

أَخبرنى حبيبُ بن نصرٍ المهلَّبي قال : حدَّثنا على بن محمد النَّوفلى ، أَنَّ أَبان بن عبد الحميد عاتبَ البرامِكة على تَركِهم إِيصالَه إلى الرَّشيد وإِيصالَ مدحه إليه ، فقالوا له : وما تريد بذلك ؟ فقال : أُريد أَنْ أَحظى منه بمثل ماحَظِيَ به مروان بن أَبي حَفصة . فقالوا له : إنَّ لمروان مذهباً فى هجاءِ آل أَبي طالب به يَحظى ، وعليه يُعطَى ، فاسلُكْه حتَّى نفعل ! قال : لا أَستحلُّ ذلك . قالوا : لا تجيءُ أُمُورُ الدنيا[1] إلاَّ بفِعْل ما لا يحلّ . فقال أَبان :

نَشدتُ بحقِّ الله من كان مسلماً ... أَعُمُّ بما قد قلته العُجْمَ والعربْ

أَعَمُّ رسولِ الله أَقربُ زُلفـةً ... لديه ، أَم ابنُ العمِّ فى رُتْبة النَّسب

وأَيُّهمـا أَولَى به وبعهـدِه ... ومَن ذا له حقُّ التُّراثِ بما وجَبْ

فإِنْ كان عبّاسٌ أَحقَّ بتِلكمُ ... وكان علىٌّ بعد ذاك على سببْ

فأَبناءُ عبّـاس هُمُ يرثونه ... كما العمُّ لابن العم فى الإِرْث قد حَجَبْ

وهى طويلة قد تركتُ ذكرها لما فيه [من] تنقيص[2] . فقال الفضل : ما يرِدُ على أَمير المؤمنين شيءٌ أَعجبُ إليه من أَبياتك . فركب فأَنشدها الرشيدَ ، فأَمر لأَبانٍ بعشرين أَلف درهم ، ثم اتَّصلت بعد ذلك خدمتُه للرشيد وخُصّ به . انتهى مانقلتُه من الأَغانى .

---

(١) فى الأغانى : « قالوا : فما تصنع ، لا يجيء طلب الدنيا » .

(٢) فى الأغانى : « لما فيه » فقط . وقد زدت كلمة « من » ليستقيم الكلام .

عبد الله بن المقفع

وأما ابن المقفَّع فاسمه عبد الله ، وهو كاتبٌ بليغ لكنَّه زنديق .

قال السيد المرتضَى قُدِّس سُّره (فى أماليه) : قال جعفر بن سليمان : روى عن المهدىِّ أنَّه قال : ماوجدت كتاب زندقة قطُّ إلاَّ أصلُه ابنُ المقفع .

وروى ابن شبَّة قال : حدثنى من سمع ابنَ المقفَّع وقد مرَّ ببيتِ نارِ المجوس بعد أن أسلم ، فلمَحه وتمثَّل :

يابيتَ عاتكةَ الــذى أتعزَّلُ حَذَرَ العِدَى وبه الفؤادُ موكَّلُ
إنِّى لأمنَحُكَ الصــدودَ وإنَّنى قسماً إليك مع الصُّدود لأَمْيَلُ

وكان الخليل بن أحمد يحبُّ أن يرى عبد الله بن المقفع ، وكان ابن المقفع يحبُّ[1] ذلك ، فجمعهما عبَّاد بن عبَّاد المهلبى ، فتحادثا ثلاثة أيام ولياليَهُنّ ، فقيل للخليل : كيف رأيت عبد الله ؟ قال : مارأيت مثلَه ، وعلمُه أكثرُ من عقله . وقيل لابن المقفع : كيف رأيت الخليل ؟ قال : ما رأيتُ مثلَه ، وعقلُه أكثر من علمه . قال المغيرة : صَدَقا[2] ، أدّى عقلُ الخليل إلى أن مات وهو أزهدُ الناس[3] ، وجهلُ ابن المقفَّع أدَّاه إلى أن كتب أماناً عن المنصور لعبد الله بن علىّ فقال فيه : « ومتى غدَر أميرُ المؤمنين بعمِّه عبدِ الله فنساؤه طوالقُ ، ودوابُّه حَبْس ، وعَبيدُه أحرار ، والمسلمون فى حِلٍّ من بيعته » . فاشتدَّ على المنصور جدًّا ، وخاصَّة أمر البيعة[4] ، وكتب إلى سفيان بن معاوية المهلبى ، وهو أمير البصرة مِنْ قِبَله ، بقتله ، فقتَله .

٤٦٠

(١) وكذا فى أمالى المرتضى ١ : ١٣٦ . وفى ش : « يحب أن يرى ذلك » .
(٢) فى أمالى المرتضى : « فصدقا » .
(٣) فى الأمالى : « إلى أن مات أزهد الناس » .
(٤) فى النسختين : « وخاص أمر البيعة » ، صوابه من المرتضى .

وكان ابن المقفَّع مع قلة دينه جيِّدَ الكلام فصيحَ العبارة له حِكَمٌ وأَمثال .

ثم أَورد السيد المرتضى نُتفاً من حِكمه وأمثاله .

قال الصغانى (فى العباب) : عبد الله بن المقفَّع كان فصيحاً بليغاً ، وكان اسمه رَوْزبة ، وكان قبل إسلامه يكتنى بأَبى عمر ، فلمَّا أَسلم تسمى بعبد الله وتكنَّى بأَبى محمد . والمقفَّع اسمه المبارك ، ولُقِّب بالمقفَّع لأَنَّ الحجاج بن يوسف ضربه ضرباً فتقفَّعت يده . ورجل مقفَّع اليدين أى متشنِّجُهما . انتهى .

وقيل هو المقفِّع بكسر الفاء لعمله القَفْعة ، بفتح القاف وسكون الفاء . والقفعة : شيءٌ شبيهٌ بالزنبيل[1] بلا عُروة ، وتُعمَل من خوص ، ليست بالكبيرة . وقال الليث : القفعةُ تُتَّخذ من خوص ، مستديرةٌ ، يجتَنَى فيها الرُّطب ونحوه .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد السادس بعد الستمائة[2] :

٦٠٦ (أَمِنْ ريحانَة الداعى السَّميعُ   يؤرِّقنى وأَصحابى هُجوعُ)

على أَنَّ فعيلا قد جاء لمبالغةِ مُفعِلٍ على رأيٍ .

وهو رأى الجمهور ، منهم ابن الأَعرابى (فى نوادره) أنشد لنُغْبة الغَنَوى :

(١) فى القاموس : « والزبيل كأمير وسكين وقنديل ، وقد يفتح : القفة أو الجراب ، أو الوعاء » . ش : « بالزبيل » .

(٢) الكامل ١٤٤ ليبسك والشعراء ٣٣٢ ، ٣٣٤ والأغانى ١٤ : ٣١ وابن الشجرى ١ : ٦٤ / ٢ : ١٠٦ وابن يعيش ١ : ٧٣ والأصمعيات ١٧٢ .

إنّى تودُّكم نفسى وأَمنحُكمْ حُبِّى، ورُبَّ حبيبٍ غيرُ محبوب

حبيب فى معنى محِبّ ، مثل أليم فى معنى مؤلم ، وسميع فى معنى مسمع . وأنشد هذا البيت .

ومنهم أبو العبّاس المبرِّد، قال (فى الكامل): قيل خصيب وأنت تريد مخصب ، وجديب وأنت تريد مجدب[1] ، كقولك : عذاب أليم وأنت تريد مؤلم . ويقال رجل سميعٌ أى مُسمِع ، قال عمرو بن معديكرب :

* أمن ريحانة الداعى السَّميعُ * . . . البيت

ومنهم أبو إسحاقَ الزَّجاج قال (فى تفسيره) من البقرة ، عند قوله تعالى : ﴿ولهم عذابٌ أليم[2]﴾ معنى أليم مُوجِع يصل وَجعُه إلى قلوبهم . وتأويل أليم فى اللُّغة مُؤلم . قال الشاعر . وأنشد هذا البيت .

ومنهم البيضاوى، فى تفسير قوله تعالى: ﴿بَديعُ السَّموات والأَرض[3]﴾ قال : أى مُبدِعهما . ونظيرُهُ السَّميع فى قوله :

* أَمن ريحانةَ الداعى السميعُ *

ويقابل قولَ الجمهور قولُ صاحب (الكشاف) عند قوله : ﴿بديعُ السَّمٰوات والأَرض﴾ : هو من إضافة الصِّفة المشبهة إلى فاعلها ، أى بديعُ سمواتِه وأرضه . وقيل البديع بمعنى المبدِع ، كما أنَّ السميع فى قول عمرو :

* أَمن ريحانة الداعى السَّميعُ *

---

(١) وكذا فى الكامل . وخالفت ش هنا فورد فيها « مجدباً » بالنصب .

(٢) فى آيات كثيرة من الكتاب أولها الآية ١٠ من سورة البقرة .

(٣) من الآية ١١٧ من البقرة و ١٠١ من الأنعام .

بمعنى المسمع . وفيه نظر . انتهى .

قال السعد (فى حاشيته) : اعترِض المصنَّف بأنَّه لم يثبُت فعيل بمعنى مفعل ، ولا استشهادَ فى البيت ، لأنَّ داعى الشَّوق لَمَّا دعا القائل صار سميعاً لدعوته فتسبَّب لكونه سميعاً ، فأوقع على الداعى اسمَ السميع لكونه سبباً فيه . على أنَّ الشاذَّ لا يصحُّ القياس عليه إن ثبت. انتهى . ٤٦١

وقال السَّفاقُسىّ فى إعرابه بعد ما نقل كلام السَّعد : قال ابن عطية : بديع مصروف من مُبدِع ؛ كبصير من مبصر ، ومثله سميع بمعنى مسمع فى البيت . وعلى هذا يكون من إضافة اسم الفاعل لِمَفعوله . إلَّا أَنَّ الزمخشرى ذكر هذا الوجه وقال : إنَّ فيه نظراً . ولم يبيِّنه ، فلعلَّه يريد أنَّ فعيلا بمعنى مفعل لا ينقاس ، مع أنَّ بيت عمرٍو محتملٌ للتأويل . انتهى .

وما تأوَّله السَّعد يدفعه البيت الذى بعده ، وهو :

(يُنادِى من براقشَ أَو مَعينٍ فأَسمَعَ واتلأَبَّ بنا مَليعُ)

فإنَّ[1] فاعل ينادى وأسمع وهو فعل ماض: ضمير الداعى ، فيكون الداعى مُسمِعاً لا سامعاً .

وبَراقش ومَعين ؛ بفتح أولهما : بلدتان كانتا متقابلتين باليمن . كذا (فى معجم ما استعجم) .

واتلأَبَّ بمعنى استقام . والمليع ، بفتح الميم : الأَرض الواسعة .

---

(١) ش : « قال » ، صوابه فى ط .

صاحب الشاهد

والبيتان أوّلا قصيدة لعمرو بن معديكربَ الزُّبيدى الصَّحابى . قال جامعُ ديوانه أبو عبدِ الله بنُ الأعرَابىِّ : قالها عمرو فى أُخته ، رَيحانة بنتِ معديكرب ، وهى أمُّ دريد بن الصِّمَّة ، وكان الصِّمَّة غزا بَنِى زُبيد فسباها ، فغزا عمرٌو مراراً فلم يقدِرْ عليها .

وقوله : (أمن ريحانة) إلخ ، الهمزة للاستفهام ، ومن للتَّعليل متعلق بقوله يؤرقنى . وريحانة : اسم أختِ عمرٍو . والداعى : مبتدأٌ بتقديرِ موصوفٍ ، والتقدير : الشوق[1] الداعى . و (السَّميع) صفة الداعى وجملة (يؤرِّقنى) خبر المبتدإ ، وجملة (وأصحابى هجوع) حالٌ من الياء . وهُجوع : جمع هاجع ، أى نائم ، كقعود جمع قاعد .

ولصاحب الأغانى فى ريحانة روايتان :

إحداهما أنَّها أُخته . قال : إنَّ هذه القصيدة قالها عمرٌو فى أختِه رَيحانةَ لمَّا سباها الصِّمَّة بن بكر ، وكان أغار على بنى زُبيد فى قيس ، فاستاق أموالَهم وسبَى ريحانة ، وانهزمت زُبيد بين يديه . وتبعه عمرو وأخوه عبد الله ابنا معديكرب ، ثم رجَع عبد الله واتَّبعه عمرو .

فأخبرنا أبو خليفة عن محمد بن سلَّام ، أنّ عَمْرًا اتَّبعه يناشده أن يخلِّىَ عنها ، فلم يفعل ، فلمَّا يئس منه ولىَّ وهى تناديه بأعلى صوتها : يا عمرو ! فلم يقدر على انتزاعها، وقال :

* أمن ريحانةَ الدَّاعى السَّميعُ *

وعلى هذه الرواية فالداعى فاعل الظرف ، وهو بمعنى الذى يدعو وينادِى ، لا بمعنى الشوق الداعى ، والسميع بمعنى المسمع . أو الداعى

(١) فى النسختين : « والتقدير والشوق » ، والواو الثانية مقحمة .

مبتدأً والظرف قبله خبره ، ومن عليهما للابتداءِ لا للتعليل ، والجملتان في المصراع الثانى حالان متداخلتان .

والرِّواية الثانية : أَنَّ ريحانةَ امرأَتُه المطلَّقة ، قال : أَخبرنى الحسين ابن يحيى قال : [قال[1]] حمّاد : قرأت على أَبي : وأَمَّا قصة ريحانة فإنَّ عمرو بن معديكرب تزوَّج امرأَةً من مُرَادٍ وذهب مُغيراً قبل أَن يدخل بها ، فلمَّا قدِم أُخبِرَ أَنَّه قد ظهر بها وَضَح ، وهو داءٌ تحذره العرب ، فطلَّقها وتزوَّجها رجلٌ آخر من بنى مازن بن ربيعة ، وبلغ ذلك عمراً وأَنَّ الذى قِيل فيها باطل ، فأَخذ يشبِّب بها ، فقال قصيدته ، وهى طويلة :

* أَمن ريحانة الداعى السميع * انتهى .

فإعرابه على هذا هو الإِعراب الأَوَّل . وهذه الرواية هى القريبةُ إلى الصواب ، والقصيدة تدلُّ عليها .

وقال الطِّيبى[2] : ريحانة امرأَة ، وقيل موضع .

وقد رجعتُ إلى كتب البلدان والأَماكن فلم أَجدْ هذا الاسم فيها .

٤٦٢ وقال صاحب (الكشف)[3] : عَلَمُ حَبيبةِ عمرو ، وهى أُخت دريد ابن الصِّمَّة ، تعلَّق بها عمروٌ وأَغار عليها ، ثم التمس من دُريد أَن يتزوَّجها فأَجاب .

---

(١) التكلة من ش .

(٢) الطيبى : أحد شراح الكشاف ، وهو الحسن بن محمد بن عبد الله الطيبى . المتوفى سنة ٧٤٣. بغية الوعاة ٢٢٨ ، أولى و ١ : ٥٢٢ ثانية . وقال صاحب الكشف عند الكلام على كشاف الزمخشرى ، وقد سرد أسماء أصحاب الحواشى عليه ، وذكر حاشيته على الكشاف فقال : « وهى أجل حواشيه ، فى ستة مجلدات ضخام » .

(٣) صاحب الكشف عن مشكلات الكشاف هو عمر بن عبد الرحمن الفارسى القزوينى المتوفى سنة ٧٤٥. كشف الظنون .

وهذه الرواية لا أصلَ لها .

ثم نقل صاحب الكشف عن ابن قُتيبة أنَّها أُخت عمرو ، وكانت تحت الصِّمَّة فولدت له دريد بن الصمة . واعترضَه بأَنَّ دريداً قُتل يوم هوازن وهو شيخ هِمٌّ(١) يُنيف على المائة ، لا يُنتفَع إلاَّ برأيه. وعمرٌو أسلم فى زمن عمر وهو على جَلَده . هذا كلامه .

والأوّل حقٌّ لا شبهة فيه ، ولهذا صوَّبنا أنَّها امرأته لا أُخته . وأمَّا عمرٌو فقد أَسلم على يَدىِ النبى صلى الله عليه وسلم ، وهو من الصحابة كما يشهد به كتب الصحابة .

(تتمة)

وأمَّا فعيل بمعنى مُفعَل بالفتح ، اسم مفعول ففيه خلافٌ أيضاً . فأخْذه من المزيد المتعدِّى لم يرتضه الزمخشرى .

وقال ابن مالك (فى التسهيل) : وربَّما استُغنى عن فاعل بمفعِل أو مُفعَل .

قال ابن عقيل (فى شرحه) قالوا : عمَّ الرجلَ بمعروفه ، ولمَّ متاعَ البيت ، فهو مُعِمٌّ ومُعَمٌّ ، ومُلِمٌّ ومُلَمٌّ . ولم يُقَل بهذا المعنى عامٌّ ولا لامٌّ ، ولا نظير لهما ، حكاه ابن سيده .

وقال ابن برى (فى حاشيةِ صحاح الجوهرى) : قد جاء ذلك كثيراً نحو مُسْخَن وسَخين ، ومُقْعَد وقعيد ، ومُقنَع وقنيع ، ومُحَبّ وحبيب ومُطْرَد وطريد ، ومُقْصًى وقصىّ ، ومُهْدًى وهدىّ ، ومُوصًى ووصىّ(٢) ، ومُبرَم

---

(١) هم ، بالكسر : شيخ كبير . وفى ش : « هرم » بمعناه .

(٢) ط : « ومقص وقصى ، ومهد وهدى ، وموص ووصى » ، صوابه فى ش .

وبريم ، ومُحْكَم وحكيم ، ومُبدَع وبديع ، ومُفرَد وفريد ، ومُسمَع وسميع ، ومُونَق وأنيق ، ومؤلم وأليم ، فى أخواتٍ له . انتهى .

قصيدة الشاهد

وقصيدة عمرو بن معديكرب عدَّتها اثنان وثلاثون بيتاً ، كلُّها تغزُّل بالنِّساء وحماسة .

وبعد البيتين الأوَّلَين :

(وربَّ محرِّشٍ فى جَنْبِ سلمى ... يَعُلُّ بعينها عندى شفيعُ
كأنَّ الإثمدَ الحـارىَّ منها ... يُسَفُّ بحيث تَبتدِرُ الدُّموع[1]
وأبكارٍ لهوتُ بهنَّ حِيناً ... نواعمَ فى أَسِرَّتها الرُّدوعُ
أمشِّى حولَها وأطوف فيهـا ... وتعجبنى المحاجرُ والفُروع[2]
إذا يضحَكْن أو يَبْسِمْنَ يوماً ... بدا بردٌ ألحَّ به الصَّقيعُ
كأنَّ على عوارضِهنَّ راحـاً ... يُفَضُّ عليه رُمَّانٌ ينيـعُ
تَراها الدَّهرَ مُقتِرةً كِبـاءً ... ومِقْدحَ صحفة فيها نقيعُ[3]
وصِيغُ ثيابها فى زعفرانٍ ... بجدَّتها كما احمرَّ النجيعُ
وقد عَجِبتْ أمامةُ أن رأتنى ... تفرَّع لِمَّتى شَيبٌ فظيعُ)

وهذا آخر الغزل . ومن أبيات الحماسة :

(أشابَ الرأسَ أيامٌ طِوالٌ ... وهَمٌّ ما تَبَلَّغُـه الضُّلوُع[4]
وزحفُ كتيبةٍ للقاء أخرى ... كأنَّ زُهاءها رأسٌ صليعُ
دنَتْ واستأْخر الأوغالُ عنها ... وخُلِّى بينهم إلَّا الوريعُ

(١) ش : « يبتدر » ، وأثبت ما فى ط والأصمعيات .
(٢) ش : « ويعجبنى » .
(٣) الأصمعيات : « وتقدح صحفة » .
(٤) ط : « ما تبلعه » بالعين المهملة .

فِدًى لهمُ معاً أُمّى وخـالى ... وشَرخ شبابهم إن لم يضيعوا
وإسنادُ الأَسنة نحو نحرى ... وهَزُّ المشرفيَّة والوقـوع[١]
فإنْ تَنُبِ النَّوائبُ آل عُصْم ... تجد حَكَماتِهم فيها رفـوع[٢]
إذا لم تستطعْ شيئاً فدعْـهُ ... وجـاوزه إلى ما تستطيعُ ٤٦٣
وصِلْه بالزَّماعِ فـكُلّ شىء ... سَما لكَ أَو سموتَ له وَلوعُ
وكَم من غائطٍ من دون سَلمى ... قليـل الإنس ليس به كتيعُ
به السِّرحان مفترشاً يديه ... كأَنَّ بياضَ لَبّته الصَّديعُ)

وقوله: « وربَّ محرِّش» الخ . التحريش: الإغراءُ بين القوم. ويَعُلّ من العلل مَرّةً بعد مرّة. والحاريّ : نسبة إلى الحِيرة . ويُسفُّ: يُذَرُّ . والأَسِرة : جمع سِرارة بالكسر، وهو ، الخطوط فى الكفّ . والردوع : جمع رَدْع ، يقال به رَدعٌ من زعفرانٍ أَودم ، أى لَطْخٌ وأثر. يريد أَنَّهنَّ يصبُغن ثيابهنَّ بالزَّعفران .

وقوله: «أُمشِّى حولها» هو جواب ربّ المقدرة فى وأبكار . والمحاجر: جمع مَحجِرِ العين كمجلس ، وهو ما يبدو من النِّقاب . والفُرُوع : جمع فرع ، وهو الشَّعر التامّ . والبَردَ بفتحتين : حبُّ الغمام. والصَّقيع : الجليد . والعارض : الناب ، والضِّرس الذى يليه . والراح : الخمر . وينيع : يانع ، أى بالغ . ومُقْتِرة : اسم فاعل منالقُتار بضم القاف، وهو هنا الدُّخنة . والكِباء، بالكسر والمد: العود . والمِقدح، بكسر الميم : المغـرفة . والنَّقيع يُبرَّد لها فتشربه . والنجيع : الدم . وتفرَّع : عـلا . واللِّمَّة بالكسر : شعر الرأس الذى يُلمّ بالمنكِب.

(١) فى ش مع أثر تصحيح : «والرفوع» .
(٢) ش : «فيها رقوع» بالقاف .

وقوله : أشاب الرأس . إلخ . وتبلَّغه أى تَسُعه .

وزُهاءها ، بالضم والمد ، أى مقدارها . والرأس الصليع : الذى انحسر شعر مقدَّمه .

والأَوغال : جمع وَغْل ، وهو النَّذل من الرجال . والوريع ، بالراء المهملة ، وكذلك الورع بفتحتين ، وهو الصَّغير الضعيف الذى لاغَناء عنده .

والوقوع : المواقعة والقتال .

وآل عصم مفعول تَنُب أى [تُصِبْ[1]] ، مِن النائبة . والحَكَمات ، بالتحريك: جمعَ حكمة بفتحتين ، وهى ما أحاط بالحنَك من اللِّجام . والرُّفوع بالضم : مصدرٌ بمعنى الارتفاع .

وقوله : « إذا لم تستطع » إلخ. هذا من شواهد تلخيص المفتاح، فيه الإرصاد .

وقوله : « وصِلْه » أى وصِلِ الشئ الذى لم تستطعه. والزَّماع بالفتح : العَزْم والتصميم . والوَلوع بالفتح : مصدر وَلِعْت بالشئ ، إذا لزمته .

والغائط : المطمئنُّ من الأَرض الواسعُ. وكتيع ، أى أحدٌ ، ملازمٌ للنفى .

والسِّرحان : الذئب . واللَّبَّة بالفتح : موضع القِلادة من الصَّدر . والصَّديع بالدال : الصُّبح .

وما أثبتناه هو رواية ابن الأَعرابى (فى ديوان عمرو بن معديكرب) .

---

(١) التكلة من ش .

وروى صاحبُ الأَغانى الشعر على غير ماذكرنا ، وتبعه الناسُ عليه ، وهو :

(أمن ريْحانةَ الداعى السميعُ يؤَرِّقنى وأَصحابى هُجوعُ
سَباها الصِّمَّة الجشَمىُّ غَضْبا كأَنَّ بياض غرَّتها صديع[1]
وحالت دونها فُرسانُ قيسٍ تَكشَّفُ عن سواعدها الدُّروُع
إذا لم تستطع شيئاً فدعه . . . . البيت)

وزاد الناس فى هذا الشعر وغُنِّىَ فيه :

(وكيف أُحبُّ من لا أستطيعُ ومَنْ هو للذى أَهوَى مَنوعُ
ومَن قد لامنى فيه صديقى وأَهلى ثمَّ كُلاًّ لا أُطيعُ
ومَن لو أَظهر البغضاء نحوى أَتانى قابضُ الموتِ السريعُ
فِدًى لهمُ مَعاً عمِّى وخالى وشَرخُ شبابهم إن لم يطيعوا)

٤٦٤

هذا ماروِاه ، وليس فى الديوان بعض هذه الأَبيات[2] ، والله أَعلم .

وترجمة عمرو بن معديكرب تقدمت فى الشاهد الرابع والخمسين بعد المائة[3] .

* * *

وأَنشد بعده ، وهو الشاهد السابع بعد السمّائة ، وهو من شواهد سيبويه[4] :

---

(١) ط : «غضباً» ، صوابه فى ش والأغانى .
(٢) وكذلك لم يرد معظمها فى الأصمعيات .
(٣) الخزانة ٢ : ٤٤٤ ـ ٤٤٦ .
(٤) فى كتابه ١ : ٥٨ . وانظر نوادر أبي زيد ١٠ والجمل ١٠٦ وابن يعيش ٦ : ٧٤ ، ٧٥ والعينى ٣ : ٤٥٨ والتصريح ٢ : ٦٩ والهمع ٢ : ٩٧ والأشمونى ٢ : ٢٩٩ وديوان طرفة ٦٨ .

٦٠٧ (ثُمَّ زادُوا أَنَّهمْ فى قومهمْ غُفـرٌ ذنبَهُـمُ غيرُ فُخُرْ)

على أنَّ مثَّى المبالغة ومجموعها يعمل ، كما فى البيت ؛ فإنَّ ذنبهم مفعول لغُفُر ، وهو جمع غَفور ، مبالغة غافرٍ، وفُخُر بضمَّتين أيضاً : جمع فَخُور[1] .

صاحب الشاهد

والبيت من قصيدةٍ طويلة عدَّتها أربعة وسبعون[2] بيتاً لطرفة ابن العبد ، وهو شاعر جاهليٌّ تقدَّمت ترجمته فى الشاهد الثانى والخمسين بعد المائة[3] . وقبله :

أبيات الشاهد

(ولىَ الأَصلُ الذى فى مِثلِهِ يُصلح الآبرُ زَرعَ المؤتَبِرْ[4]
طيِّبو الباءَةِ سَهلٌ ، ولهم سُبُل إنْ شئتَ فى وحشٍ وَعِرْ
وهمُ ما همْ إذا مالبسوا نسجَ داودَ ، لبأسٍ مُحتَضَرْ
وتَساقَى القومُ كأساً مُـرّةً وعلا الخيلَ دِماءٌ كالشَّقُرْ
ثمَّ زادوا أنَّهم فى قومهمْ ... البيت)

قال الأعلم (فى شرحه) : وقوله :«ولىَ الأَصل» إلخ، يقول :لى الأصل الذى فى مثله يتمُّ المعروف والاصطناع . والآبر : المصلح للشيء القائمُ عليه . المؤتبِر : المستدْعِى إلى الإصلاح ، وأكثر مايستعمل الإبار فى النخل ، ثم هو عامٌّ فى كلِّ شيء . وضربه هنا مثلاً لإتمام الصنيعة .

والباءة : السَّاحة والفِناءُ ، أى ساحتهم طيبة سهلة لمن أراد مَعروفهَم ،

---

(١) ش : « أربعة وستون بيتاً » ، والصواب كما فى ط أنها أربعة وسبعون . ديوان طرفة ٦٣ — ٧٥ قازان و٦٧ ـ ٨٧ نشرة على الجندى .

(٢) الخزانة ٢ : ٤١٩ ـ ٤٢٥ .

(٣) ويروى أيضاً : « غير فجر » بالجيم كما فى سيبويه ، وهو جمع فجور ، وكذلك الأنثى فجور بغير هاء ، كما فى اللسان .

(٤) ط : « ذرع » ، صوابه فى ش والديوان .

وهى وعرة خشنة لمن أرادهم بسوء . وهذا مَثَل . والوَحْش : المتوحْش ، وهو كناية عن خشونة الجانب وشدّته .

وقوله : « وهمُ ماهمْ » إلخ ، هذا تفخيمٌ وتعجُّب ، كأنَّه قال : أَىُّ رجالٍ هم ! وقوله : « نسج داود » يعنى الدُّروع . والنَّسجَ : عملُها وسَرْدها وأوَّل من عملها داودُ عليه السلام ، فلذلك تنسَب إليه . والبأْس : شِدَّة الأَمر . والمحتضَر : المحضور المجتمَعُ إليه . يقول : إذا لبسوا الدُّروع وتسلَّحوا للقتال فأَىُّ رجالهم ! ويروى « محتضر » بالكسر ، أى حاضر .

وقوله : « تساقى القوم » إلخ ، هذا مثَلٌ ضربه ، أى سقى بعضُهم بعضاً كأْسَ الحتوف ، أى قتل بعضُهم بعضاً . والكأْس : الإناءُ فيه الشراب ، والشَّراب فى الإناء يقال له كأْسٌ أيضاً . والشُّقُر : شقائق النُّعمان . وقال الأَصمعى : هو شجرٌ له ثمر أحمر .

وقوله : « ثم زادُوا أَنَّهم » إلخ ، لمَّا وصفهم بالإقدام والجرأة والصَّبر فى الحرب ، وغير ذلك من أفعال البرِّ ، بيَّن أنَّ لهم مَزيداً على ذلك ، وهو أَخْذُهم بالعفو والصَّفح عن الذنب وتركِ الفخر بذلك ، لأَنَّ الفخر إعجابٌ وخفَّة . انتهى .

وقال اللخمى (فى شرح أبيات الجمل) : قوله : « ثم زادُوا أَنَّهم » ، أراد : بأَنَّهم ، فحذف الباء . وقوله « فى قومهم » فى بمعنى عِند ، والظرف متعلق بزادُوا ، والتقدير : ثم زادوا عند قومهم بأَنَّهم غُفر ذنبَهم غيرُ فخر . وغير فُخر خبر بعد خبر ، ويروى : « غير فُجُر » بالجيم ، يعنى أَنَّهم لا يَكذِبون . والفُجور : الكذب . والمشهور رواية الخاء ، وهى أوجَه . انتهى .

٤٦٥

وقال ابن خلف : يريد زادُوا على الفضائل التى ذكرها فيهم أَنَّهم إذا جنَى عليهم بعضُ قومِهم غفرُوا لهمْ ذنبهم مع قدرتهمْ على الانتصاف. وقد يكون زادَهم بمعنى شرَّفهم ورفَعهم ، فتكون أنْ على هذا فاعلةً بزَاد ، أى زَادَهم المجدُ شرفاً ورفعة . هذا كلامه ، وهو سبقُ قلم منه ، فإنَّ فاعل زاد هو الواو . وقوله : « والمراد زادوا على الفضائل » إلخ ، هو تقدير ابن السيرافى (فى شرح أبيات الكتاب) .

قال ابن الحاجب (فى أَماليه على المفصَّل) : للفتح فى أَنَّ وجهان : أَحدهما أَن يكون فى موضع المفعول ، والآخر : أَن يكون المعنى ثم زادوا على ما تقدَّم [من الخصال ، أَو على من تقدَّم[1]] ، ثم فتح أَنَّ على معنى اللام ، لأَنَّهم على صفةٍ كذا وكذا . وللكسر وجهان : أَحدهما التعليل على ماذُكر فى الوجه الثانى . والثانى : أَن يكون على الحكاية [وهو ضعيف[2]] ؛ لأَنه ليس موضع الحكاية . اهـ .

وبعد هذه الأَبيات بقليل :

(نحنُ فى المشتاة ندعُو الجَفَلى لا تَرى الآدبَ فينا ينتقِرْ
حينَ قال الناسُ فى مجلسهمْ أَقتارٌ ذاكَ أَم رِيحُ قُطُرْ
بِجفانٍ تَعتَرِى نادِيَنا مِنَ سَديفٍ حينَ هَاجَ الصِّنَّبِرْ)

قال الأَعلم : قوله : « نحن فى المشتاة » يريد فى الشِّتاءِ والبرد ، وذلك أَشدُّ الزمان . والجَفَلى : أَن يعمَّ بدعوته إلى الطَّعام ولا يخصَّ أَحدًا . والآدب : الذى يدعُو إلى المأْدُبة ، وهى كلُّ طعام يُدعَى إليه . والانتقار :

---

(١) التكملة من ش .

(٢) هذه التكملة أيضاً من ش .

أن يدعوَ النَّقَرَى ، وهو أن يخصَّهم ولا يُعمَّهم . يقول : لا يخصُّون الأغنياءَ ومن يطمعون[١] فى مكافأته ، ولكنَّهم يعمُّون طلباً للحمد ، ولاكتساب المجد . والقُتار ، بالضم : رائحة اللحم إذا شُوِىَ . والقُطُر ، بضمتين : العود الذى يتبخَّر به . يقول : نحن نُطعم فى شدَّة الزَّمان إذا كان ريحُ القُتار عند القوم بمنزلة رائحةِ العُود ، لما هم فيه مِن الْجَهد والحاجة إلى الطعام .

وقوله : « بجفانٍ تَعترِى » إلخ ، أى ندعوهم إلى الجفان . ومعنى تَعترى : تُلمُّ به وتأْتيه . والنادى : مجلس القوم ومتحدَّثهم . والسَّديف : قطع السَّنام .

والصَّنَبر : أَشدُّ ما يكون من البرد . اهـ . قال صاحب الصحاح : صنابر الشِّتاء : شدَّة برده ، وكذلك الصِّنَّبِر ، بتشديد النون وكسر الباء وأنشد البيت ، ثم قال : والصِّنَّبْرُ بتسكين الباء : يومٌ من أيام العَجوز ، ويحتمل أَن يكونا بمعًنى وإنَّما حركت الباء للضرورة . انتهى .

وجزم ابن جنى (فى الخصائص) بأَنَّ الباءَ ساكنة ، وقال : كان حقُّ هذا إذا نُقلت الحركةُ أن تكون الباءُ مضمومة ، لأَنَّ الراء مرفوعة لكنَّه قدَّر الإضافة إلى الفعل ، يعنى المصدر . كأَنَّه قال : حين هَيْج الصِّنبر ، يعنى أَنَّه نقل الكسرة من الراء إلى الباء الساكنة وسكنت الراءُ . وهذا من الغرائب فإنَّ الصنبر فاعل بهاجَ ، لكنه أَعربه بالكسر نظراً إلى أَنَّ الفعل فى معنى المصدر المضاف إلى هذا الفاعل ثم نقل الكسر[٢] .

---

(١) ط : « يطمعون » بتقديم العين ، صوابه فى ش مع أثر تصحيح .
(٢) الخصائص ١ : ٢٨١ وهذا تصرف من البغدادى .

قال الدماميني في الجملة المضاف إليها (من الحاشية الهندية على المغنى) : وعلى ذلك يتنزَّل اللُّغز الذى نظمتُه قريباً ، وهو :

٤٦٦ أيا علماءَ الهند إنِّىَ سَائلٌ فَمُنُّوا بتحقيقٍ به يظهر السِّرُّ

أرى فاعلا بالفعل أعرب لفظه بجرٍّ ولا حرفٌ يكون به الجرُّ

وليس بمَحْكيٍّ ولا بمجاور
لدى الخفض، والإنسانُ للبحث يُضطرُّ

فهل من جواب عندكم نستفيده
فمِن بحركم ما زال يُستخرج الدرُّ

قال الشُّمُنِّى : سبقه إلى هذا اللغز أبو سعيد فرج بن قاسم المعروف بابن لُبٍّ النحوى الأندلسى (فى منظومته النونيَّة فى الألغاز النحوية) فقال :

ما فاعلٌ بالفعل لكنْ جرُّه مع السُّكون فيه ثابتانِ

وفى شرحها : يعنى الصِّنبر ، من قول طرفة . انتهى .

* * *

وأنشد فيه ، وهو الشاهد الثامن بعد السمّائة ، وهو من شواهد سيبويه[1] :

٦٠٨ (ممَّنْ حَملنَ به وهنَّ عواقدٌ حُبكَ النِّطاقِ فشبَّ غيرَ مهبَّل)

على أن (حُبُكَ النطاق) مفعول لعَواقد . وهو جمع عاقدة[2] .

---

(١) فى كتابه ١ : ٥٦ . وانظر الشعراء ٦٧١ و الكامل ٧٩ والإنصاف ٤٨٩ وابن يعيش ٦ : ٧٤ والمغنى ٦٨٦ والعينى ٣ : ٥٥٨ والأشمونى ٢ : ٢٩٩ والحماسة ٨٥ بشرح المرزوق و ١ : ٨٤ بشرح التبريزى وديوان الهذليين ٢ : ٩٢ .

(٢) ش : « عاقد » ، وإنما يقال عاقد للأنثى من الإبل التى تعقد بذنبها عند اللقاح .

قال سيبويه : ومِمَّا يجرى مجرى فاعل من أَسماءِ الفاعلين فواعل ، أَجرَوه مُجرى فاعلة ، حيث كان جمعَه ، وكسَّروه عليه كما فعلوا ذلك بفاعلين وفاعلات . فمن ذلك قولهم : « هُنَّ حواجُّ بيتِ الله » .

قال أَبو كبير :

* ممن حملن به وهن عواقدٌ * ... البيت

قال الأَعلم : الشاهد فى نصب حبك النطاق بعواقد ؛ لأَنَّه جمع عاقدة وعاقدة تعمل عمل الفعل المضارع لأَنَّها فى معناه ، فجرى جمعها فى العمل مَجراها . ونوَّنَ عواقدُ للضرورة . وصفَ رجلاً شَهمَ الفؤاد ماضياً فى الرجال ، فذكر أَنَّه ممن حملتْ به النساء مُكرهاتٍ ، فغلب عليه شَبَه الآباء وخرج مذكَّراً . وكانت العرب تفعل ذلك : يُغضب الرجلُ منهم امرأَتَه ويُعْجِلها حلَّ نطاقها ويقع عليها ، فيغلب ماؤه على مائها فينزع الولَدُ إليه[1] فى الشَّبَه . وحُبُك النطاق : مشَدُّه ، واحدها حِباك ، وهو من حبكت الشىء ، إذا شددته وأَحكمته . والنطاق : إزار تحتبك به المرأَةُ فى وسطها وتُرسل أَعلاه على أَسفله ، تقيمه مَقامَ السَّراويل . والمهبَّل : الثقيل ، ويقال هو الذى يُدعَى عليه بالهَبَل ، فيقال : هبِلتْه أُمُّه ؛ أَى فقدته . انتهى .

صاحب الشاهد والبيت من قصيدة لأَبى كبير الهذلىّ ، عدَّتها سبعة وأَربعون بيتاً أَوردها السُّكَّرى (فى أَشعار الهذليين) ، واقتصر منها أَبو تمَّام على أَبيات أَوردها (فى أَوائل الحماسة) ، وكذلك اقتصر عليها ابن قتيبة (فى كتاب الشعراء) ، فلنقتصر على ما أَورده ، وهو :

---

(١) ط : « الوليد إليه » ، وأثبت ما فى ش والشنتمرى .

(ولقد سَرَيْتُ على الظَّلامِ بِمِغشَمٍ ... جَلْدٍ من الفِتيان غيرِ مثقَّلِ

ممَّن حملنَ به وهن عـواقـدٌ ... حُبُكَ النطاق فشبَّ غَيرَ مهبَّلِ

حملَتْ به فى ليـلةٍ مزءودةٍ ... كَرْهًا وعَقْدُ نطاقِها لم يُحلَلِ

فأَتَتْ به حُوشَ الفؤادِ مبطَّنـا ... سُهدًا إذا ما نَامَ ليلُ الهَوْجلِ

ومبرَّأً من كلِّ غُبَّرِ حِيضة ... وفسادِ مُرضعةٍ وداءِ مُغْيِـلِ

وإذا نبذتَ له الحصاةَ رأيتَه ... ينزُو لوقعتها طُمورَ الأَخيَـلِ

٤٦٧ وإذا يهبُّ من المنـامِ رأيتـه ... كرُتوب كَعبِ السّاق ليسَ بِزُمَّلِ

ما إنْ يمسُّ الأَرضَ إلَّا مَنكبٌ ... منه وحرفُ السَّاق طَيَّ المحملِ

وإذا رميتَ به الفِجاجَ رأيتـه ... يَهوِى مخَارمَها هُوِىَّ الأَجدلِ

وإذا نظرتَ إلى أَسرَّةِ وجهِـه ... بَرقَتْ كبَرق العارض المتهلِّلِ

يَحمِى الصِّحابَ إذا تكونُ كريهةٌ

وإذا هُـمُ نزلُوا فمأْوَى العُيَّـلِ)

سبب الأبيات قال التبريزى (فى شرح الحماسة): كان السببفى هذه الأَبيات أَنّ أَبا كبير تزوّج أُمّتـأَبَّط شراً ،وكانغلاماً صغيراً ، فلمَّا رآه يُكثر الدخول على أُمِّه تنكَّر له ، وعرف ذلك أَبو كبير فى وَجْهه إلى أَنْ ترعرعَ الغلام ، فقال أَبو كبير لأُمِّه : ويحكِ ، قد والله رابنى أَمرُ هذا الغلام ، ولا آمَنُه ، فلا أَقرُبكِ ! قالت : فاحتَلْ عليه حتَّى تقتُلَه . فقال له ذاتَ يوم : هل لك أَن تغزو ؟ فقال : ذلك من أَمرى . قال : فامضِ بنا . فخرجا غازيَيْنِ ولا زادَ معهما ، فسارا ليلتَهما ويومَهما من الغدِ حتَّى ظنَّ أَبو كبير أَنَّ الغلام قد جاع ، فلما أَمسى قَصد به أَبو كبيرٍ قوماً كانوا له أَعداءً فلما رأَيا نارهم[1] من بُعد قال له أَبو كبير : ويحك قد جُعنا ، فلو

(١) ش : « فلما رآهم » . وفى التبريزى : « فلما رأى نارهم » .

ذهبتَ إلى تلك النار فالتمستَ منها لنا شيئاً ! فمضى تـأبَّط شرًّا فوجدَ على النار رجلين من ألصِّ مَن يكون من العرب ، وإنَّما أَرسله إليهما أَبو كبير ليقتلاه[1]، فلمَّا رأَياه قد غَشِيَ نارَهما وثبا عليه ، فرمَى أَحدَهُما وكرَّ على الآخَر فرماه ، فقتلهما[2] ، ثم جاءَ إلى نارهما فأَخذ الخُبزَ منها فجاءَ به إلى أَبي كبير ، فقال : كُلْ لا أَشبع الله بطنَك ! ولم يأْكل هو ، فقال : ويحك أَخبرني قصَّتك . فأَخبره فازداد خوفاً منه ، ثم مضيا في ليلتهما فأَصابا إبلا، وكان يقول له أَبو كبيرٍ ثلاثَ ليالٍ : اختر أَيَّ نصفَي اللَّيل شئتَ تحرس فيه وأَنام ، وتنام النصفَ الآخر . فقال : ذلك إليك ، اختر أَيَّهما شئت. فكان أَبوكبير[3] ينام إلى نصف الليل ويحرسُه تأَبط شرًّا ، فإذا نام تـأَبَّط شرًّا نام أَبو كبير أَيضاً لا يحرس شيئاً حتى استوفى الثلاث ، فلمَّا كان في الليلة الرابعة ظنَّ أَنَّ النَّعاس قد غَلَب على الغلام ، فنام أَوَّلَ الليل إلى نصفه وحرسَه تـأَبَّط شرًّا ، فلما نام الغلامُ قال أَبو كبير : الآن يستثقل نوماً وتُمكِنُني فيه الفُرصة . فلمَّا ظنَّ أَنَّه قد استُثقِلَ[4]أَخذ حصاةً فحذف بها، فقام الغلام كأَنَّه كعبٌ فقال : ماهذه الوَجْبة[5]؟ قال : لا أَدرى . قال : واللهِ صوتٌ سمعتُه في عُرض الإبل . فقام فعَسَّ وطاف فلم ير شيئاً ، فعاد فنام ، فلما ظنَّ أَنه استُثقِلَ أَخذ حُصَيَّةً صغيرة فحذف بها ، فقام كقيامه الأَوَّل فقال : ما هذا الذى أَسمع ؟ قال : والله ما أَدرى ، لعلَّ

---

(١) التبريزى : « وإنما أرسله إليهما أبو كبير على معرفة » .

(٢) التبريزى : « وثبا عليه، وكر ساعياً واتبعاه ، فلما كان أحدهما أقرب إليه من الآخر عطف عليه فرماه فقتله ، ورجع إلى الآخر فرماه فقتله » .

(٣) يستمر نقل البغدادى عن التبريزى بتصرف كبير .

(٤) المستثقل ، بالبناء للمفعول : الذى أثقله النوم .

(٥) الوجبة : السقطة مع الهدة ، أو صوت ما يسقط .

بعضَ الإبل تحرَّك . فقام وطاف فلم ير شيئاً فعاد فنام ، فأخذ حُصَيَّةً[1] أصغر من تلك فرمى بها فوثب ، فطاف ورجع إليه فقال : يا هذا ، إنِّى قد أَنكرتُ أمرك ، والله لئن عدتُ أَسمع شيئاً من هذا لأَقتلنَّك ! قال أَبو كبير : فبتُّ والله أَحرسُه خوفاً أَن يتحرَّك شيءٌ من الإبل فيقتلنى . فلمَّا رجعا إلى حيِّهما قال أبو كبير : إنَّ أُمَّ هذا الغلام لا أَقربُها أبداً . وقال هذه الأَبيات . انتهى .

وزعم بعضُ الرواة أَنَّ هذه القصيدة لتأَبَّط شرًّا قالها فى ابن الزَّرقاء .

قال ابن قتيبة (فى كتاب الشعراء) : وبعض الرُّواة يَنْحَلُ هذا الشعر تأَبَّط شرًّا ، ويذكر أَنَّه كان يتبع امرأَةً من فَهْم ، وكان ابنٌ لها من هذيل ، وكان يدخل عليها تأَبَّط ، فلمَّا قارب الغلامُ الحلم قال لأُمِّه : مَن هذا الرجل الداخلُ عليك ؟ قالت : صاحبٌ كان لأَبيك . قال : فلا أَرَيَنَّه عندكِ ! فلمَّا رجع تأَبَّط أَخبرته وقالت : هذا الغلام مفرِّقٌ بينى وبينك فاقتلْه . قال : سأَفعل ذلك . فمرَّ به وهو يلعبُ مع الصِّبيان فقال له : هلمَّ أَهَبْ لك نَبْلا . فمضى معَه فتذمَّم من قتله ووَهَب له نَبْلا ، فلمّا رجع تأَبّط إلى أُمّ الغلام أَخبرها فقالت : إنَّه والله شيطانٌ من الشياطين واللهِ ما رأَيتُه مُستثقَلاً نوماً قطُّ ، ولا ممتلئاً ضحِكاً قطُّ ، ولا همَّ بشىء إلاَّ فعله . ولقد حملتُه فما رأَيتُ عليه دماً حتَّى وضعتُه . ولقد وقع علىّ أَبوه فى ليلةِ هربٍ وإنِّى لمتوسِّدةٌ سَرْجاً ، وإنَّ نطاقى لمشدود ، وإنَّ على أَبيه لدرعاً ، فاقتلْه فأَنت والله أَحبُّ إلىَّ منه . قال : سأَغزو به . فمرَّ فقال : هل لكَ فى الغزو ؟ قال : إذا شئت . فخرج به غازياً فلم يجد منه غِرَّة ، حتَّى مرَّ فى بعض الليالى بنار لابنَىْ قُترة الفزاريَّين ، وكانا

٤٦٨

---

(١) ط : « حصاة » ، وأثبت ما فى ش والتبريزى .

فى نُجعة ، فلمَّا رأَى تـأَبَّط[1] النارَ عرفها وعرف أَهلهَا ، فـأَكبَّ على رِجله ينادى : نُهِشْتُ نهِشْت ، أَبغِنى ناراً ! فخرج الغلامُ يَهوى نحوَ النَّار ، فصادف عندها الرَّجلين[2] فواثباه فقتلهما ، وأَخذ جَذوةً من النَّار واطَّردَ إبلَ القوم ، وأَقبلَ نحوَ تـأَبَّط ، فلما رأَى تـأَبَّط النارَ تَهوى نحوه ظَنَّ أَنَّ الغلام قُتل وأَنَّه دلَّ عليه ، فمرَّ يسعَى . قال : فما كان إلَّا أَن أَدركنى ومعه النار يطَّرد إبلَ القوم ، فلمَّا وصل إلىَّ قال : ويلك لقد أَتعبتنى ! ثم رمى بالرأْسين فقلت : ما هذا ؟ قال : كلبان هَارَّانِ على النَّار فقتلتهما . فقلت : الهربُ الآن فإنَّ الطلب من ورائنا . فأَخذْتُ به على غير الطريق ، فما سرنا إلَّا قليلا حتَّى قال : أَخطأْتُ والله الطريق ، وما تستقيم الريح فيه ، فما لبثَ أَن استقبلَ الطريق وما كان والله سلكَها قطُّ . قال : فسرتُ به ثلاثاً حتَّى نظرت إلى عينيه كأَنهما خيطان ممدودان ، وأَدركَ اللَّيلُ فقلت : أَنِخْ فقد أَمِنَّا . فأَنخنا فنام فى طرفٍ منها ونمتُ فى الطَّرف الآخر ، فما زلت أَرمُقه حتَّى ظننت أَنَّه قد نام ، فقمت أَريده فإذا هو قد استوى وقال : ماشأْنُك ، فقلت : سمعتُ حِسًّا فى الإبل . فطاف معى بها فلم يرَ شيئاً فقال : أَتخاف شيئاً ؟ قلت : لا . قال: فنم ولا تُعدْ فإنِّى قد ارتبتُ بك . فنمت وأَمهلته حتَّى لم أَشكَّ فى نومه فقذفتُ له بحصاةٍ نحوَ رأْسه فإذا هو قد وثب ، وتناوَمت فأَقبلَ نحوى حتَّى ركضنى برجله وقال : أَنائم أَنت؟ قلت: نعم. قال: أَسمعتَ ماسمعتُ؟ قلت: لا. فطاف فى الإبل وطُفت معه فلم نر شيئاً ، فأَقبل علىَّ تتوقَّد عيناه ، قال : قد أَرى ما تصنعْ منذُ الليلة ، والله لئن أَنبهَنى شىءٌ لأَقتلنَّك ! قال : فلبِثت

(١) وكذا فى الشعراء ٦٧٣ . وفى ش : « تأبط شراً » فى هذا الموضع والموضعين التاليين .

(٢) ش : « رجلين » ، وأثبت الصواب من ط والشعراء .

والله أكلؤه مخافَةَ أَن ينبِّهه شيءٌ فيقتلَني . فلمَّا أَصبح قلتُ : أَلا تنحر جزوراً ؟ قال : بلى . قال : فنحرنا ناقة فأَكل، ثم احتلب أُخرى فشرب، ثم خرج يريد المذهب[1] وكان إذا أَراد ذلك أَبعدَ وأَبطأَ عليَّ ، فاتَّبعته فإذا أَنا به مضطجعاً على مَذهبه ، وإذا يده داخلة فى جُحر أَفعًى فانتزعها ، فإذا هو قابضٌ على رأْس أَفعى وقد قتلهَا وقتلَتْه . فذلك قولى :

ولقد غدوتُ على الظَّلام بمِغشمٍ جَلدٍ من الفِتيان غيرِ مثقَّلِ

انتهى ما أورده ابن قتيبة .

والمشهور : « ولقد سريت على الظلام » ، أَى فى الظلام . والمغشم ، بالكسر : الغشوم ، من الغَشْم وهو الظلم . والجَلْد بالفتح ، وهو من له الجلادة ، وهى قوَّة القلب. وقوله : « غير مثقَّل » قال التبريزى : أَى كان حسنَ القبول محبَّباً إلى القلوب .

٤٦٩

وقوله : « ممَّن حملنَ به » النون ضمير النساء ولم يجرِ لهنَّ ذكر، ولمَّا كان المراد مفهوماً جاز إضمارها . وقال « به » فردَّ الضمير على لفظ مَنْ ، ولو ردَّ على المعنى لقال بهم . وروى السكرى وغيره : « ممَّا حملن به» قال التبريزى ، تبعاً لشارح الهذليِّين : أَى هو من الحمل الذى حملن به .

قال ابن الشجرى (فى أَماليه) : عدَّى حمل فى البيت بالباء وحقُّه أَن يصل إلى المفعول بنفسه ، كما جاء فى التنزيل :﴿حَمَلَتْهُ أُمُّه كُرْهاً[2]﴾ ولكنَّه عدى بالباء لأَنَّه فى معنى حَبلتْ .

---

(١) المذهب ، قال الكسائى : « يقال لموضع الغائط : الخلاء ، والمذهب ، والمرفق والمرحاض » .

(٢) الآية ١٥ من سورة الأحقاف .

وأورده ابن هشام (فى المغنى) وقال : ضمَّن حمل فى الموضعين معنى عَلق ، ولولا ذاك لعدِّى بنفسه .

وقوله : (وهنَّ عواقدٌ حُبُكَ) إلخ ، بتنوين عواقد . واستشهد به ابن الأَنبارىّ على أَنَّ الأَصل فى الأَسماء عند البصريِّين الصرف ، وإنَّما يُمنع بعضُها من الصَّرف لأَسباب عارضة ؛ فإذا اضطُرَّ الشاعر ردَّها إلى الأَصل ولم يعتبر تلكَ الأَسباب العارضة ، كما صرف عواقد فى البيت ، وهو جمع عاقدة ، وأَعمله فى حُبُك حكايةً للحال وإن كان ذلك فيما مضى ، كقوله تعالى : ﴿ وَكَلْبُهُمْ بَاسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِالوَصِيد[1] ﴾ . وحُبُك بضمتين. قال ابن قتيبة (فى أبيات المعانى) ، وأَورد فيها بعضَ هذه الأَبيات : هو جمع حِباك ، والحِباك بالكسر : مايُشدُّ به النِّطاق مثل التِّكَّة . والنِّطاق : شُقَّة تلبسها المرأة وتشدُّ وسطها ثم ترسل الأَعلى على الأَسفل إلى الرُّكبة ، والأَسفلُ ينجرُّ على الأَرض ليس لهُ حُجزة ولا نَيْفق ولا ساقان ؛ والجمع نُطُق . والحُجزة بالضم : موضع التِّكَّة . والنَّيفق : الموضع المتَّسع من السرَّاويل ؛ والعامة تكسر النون .

وقال ابن خلف : قال أَبو جعفر : وسأَلت عن هذا البيتِ عليَّ ابن سليمان فقال : حملن به من الحبَل ، إى إنَّهن حملن به وهن يخدُمن . وكانت العرب تستحبُّ أَن تطأَ النساءَ وهنَّ متعَبات أَو فزِعات، ليغلب ماءُ الرجل فيخرج الولدُ مذكَّراً . فوصف أَنَّها حَبِلتْ به وهى عاقدةُ حبُك النطاق . والحُبُك : الطرائق ، وقيل الحبك الإِزار الذى تأْتزر به المرأَة ، وقيل الحُبْكة : حُجزة الإِزار . والنِّطاق : المِنطقَة . انتهى .

(١) الآية ١٨ من سورة الكهف .

وقال ابن المستوفى: الحُبُك من قولهم: حَبك الثوبَ يحبِكه بالكسر حَبْكاً، إذا أجاد نسجه، كأنَّه جمعَ المصدرَ على حِباك؛ وجمع حباكاً حُبُكاً. وقيل الحُبك: جمع الحبيك والحبيكة، وهو ماتكسَّر من ثوبٍ وماءٍ. وقيل جمع الحِباك، وهو الإزار. والأوَّل بعيد، لأنَّ الحبيكة جمعها حبائك، وإذا صحَّ إن الحباك الإزار فهو جمعُه، مثل كتاب وكتب. انتهى. وما نقله هو كلام التبريزى.

وروى السُّكَّرى: (حبكَ الثِّياب). وقال شارحه القارى[1]: حُبُك الإزار: طرائقه. وحَبكة الإزار: استدارته وشدُّه. والنِّطاق: الإزار يعنى حملت به وعليها مِنطَقها، وأراد أنها متحزِّمة. يقول: لم تُمكِنْ من نفسها. انتهى.

وقال التبريزى، وتبعه العينى: الرواية: (حُبُك الثِّياب)؛ لأنَّ النطاق لا يكون له حُبك وهو الطرائق. هذا كلامه.

والمهبَّل، قال القارى: المثقَل باللَّحم، يقال هبَّله اللحم: كثُرَ عليه وغلظ. وكذلك قال أبو جعفر: المهبَّل: الكثير اللحم، يقالُ: هُبِّلت المرأة وعُبِّلت. وفى حديث الإفْك حرفٌ ربَّما صحَّفه أصحاب الحديث، وهو: «والنِّساء إذ ذاك لم يهبَّلن»، أى لم يحملن الشحم. وقيل المهبَّل: الذى يُدعَى عليه بقولهم: هَبِلتْه أُمُّه، كما يقال لمن يُسترذل، أى ثكلته. ٤٧٠

---

(١) القارى، راوى أشعار الهذليين عن السكرى، سبقت ترجمته فى حواشى ١ : ٢٧٥. وفى النسختين هنا: «الفارسى»، تحريف.

وقول العينى : أو[1] هو الذى حملت به أُمُّه وهى مُكرَهة ، فاسدٌ . فتأمَّل .

وقال التبريزى: ذكر بعضهم أنَّ المهبَّل المعتوه الذى لا يتماسك . فإنْ صحَّ ذلك فكأنَّه من الإسراع ، يقال جمل هِبِلٌّ . ومعنى البيت أنَّه من الفتيان الذين حملتهم أُمُّهم وهنَّ غير مستعدَّات للفِراش ، فنشأ محموداً مرضيًّا لم يُدْعَ عليه بالهَبَل والثُّكل . وحكى عن بعضهم : إذا أردتَ أن تنجب المرأةُ فأغضبْها عند الجماع . ولذلك يقال فى ولد المذعورة : إنَّه لا يطاق . قال :

تسنَّمتُها غضبَى فجاءَ مسهَّداً وأنفعُ أولادِ الرجال المسهَّدُ[2]

وقال المبرد (فى الكامل): يقال أَنجبُ الأَولاد ولدُ الفارك ، وذلك لانَّها تُبغض زوجَها فيَسبقها بمائهفيخرجُ الشَّبهُ إليه فيخرج الولد ذكراً.

وقال بعضُ الحكماء : إذا أردتَ أن تنجب المرأةُ فأَغضبْها ثم قَعْ عليها فإنَّك تسبقها بالماء . وكذلك ولدُ الفزِعة كما قال أبو كبير. وأنشد البيتين .

وقوله : « حملتْ به فى ليله مزءودة » هى مفعولة من زأدته أَزأده زأْدًا، أى أفزعته ؛ وزُئدَ فهو مزءُودٌ ، أى مذعور ، وهو بالزاى والهمزة والدال .

قال المبرد (فى الكامل) : مزءُودة ذات زُؤْد[3] وهو الفزَع . فمن نصب مزءُودة

---

(١) ط : « أى » ، صوابه فى ش والعينى ٣ : ٥٥٩ .

(٢) وكذا جاء البيت غير منسوب فى شرح المرزوقى للحماسة ٨٦ .

(٣) الزؤد ، بضمتين وبضم أيضاً . وضبطت فى الكامل بضمة واحدة .

فإنَّما أرادَ المرأة، ومن خفض أراد الليلة . وجعل الليلةَ ذات فزعٍ لأنَّه يُفزَع فيها قال الله تعالى : ﴿ بَلْ مَكرُ اللَّيْلِ والنَّهَارِ [1] ﴾ ، والمعنى بل مكرُكم فى الليل والنهار . وقال جرير :

* ونمتِ وما ليلُ المطىِّ بنائم [2] *

وقال آخر :

* فنام ليلى وتجلَّى همى [3] *

وقال ابن جنى (فى إعراب الحماسة) بعدما قال مثلَ كلام المبرد : هذا ونحوُه إنَّما يتسع فيه بأن يسند الفعلُ إلى الوقت الذى وقع فيه ، ومجيئه مجىء الفاعل . ألا ترى إلى قوله : «فنام ليلى» ، وإلى نفيه وهو قوله «وما ليل المطى بنائم» . وبيت أبى كبير إنَّما جعل الوقت الذى هو الليلة بلفظ اسم المفعول ، وهو قوله مزءُودة . فأكثر ما يقولون إذا اتَّسعوا فى نحو هذا : يومٌ ضارب ، أى كثُر فيه الضرب ، ولا يقولون يوم مضروب . غير أنَّ مزءُودة إنَّما جاز لأنَّهم قد ينصبون الظرف نصبَ المفعول به ، نحو قوله :

* ويوم شهِدناه سُليماً وعامراً [4] *

فلمَّا كانوا يأْخذونه فى هذا الشقِّ [5] جاءُوا به أيضاً مسنداً إليه الفعل

---

(١) الآية ٣٣ من سورة سبأ .

(٢) من شواهد الخزانة ، وهو الشاهد الثمانون فى ١ : ٤٦٥ . وصدره :

* لقد لمتنا يا أم غيلان فى السرى *

(٣) لرؤبة فى ديوانه ١٤٢ .

(٤) لرجل من بنى عامر . وأنشده سيبويه فى كتابه ١ : ٩٠ ، والمبرد فى المقتضب ٣ : ١٠٥ والكامل ٢١ . وعجزه :

* قليل سوى الطعن النهال نوافله *

(٥) فى إعراب الحماسة الورقة ٢٤ : « فى هذا الشق وهذا الغور » .

إسنادَه إلى مالم يسَّم فاعله . تقول : ربَّ يوم مَقُوم ، وربَّ ساعةٍ مضروبة ، على قولك : قُمت يوماً وضربت ساعة ، وأنت تنصب اليومَ والساعة نصب المفعول به . فكذلك قوله فى ليلة مزءُودة على حدِّ قولك : زئدت الليلة ، وعلى قولك قبل إسناد الفعل إليها هذه ليلة زُئِدها زيد ، كقولك هذه جبة كُسِيَهَا عمرو ، ثم تقول : هذه ليلة مزءُودة كقولك : جبة مكسوَّة . هذا على رواية الجرّ . وأمَّا من نصب فعلَى الحالِ ، ومزءُودَةً للمرأة الحامل. وفائدة ذكر الليلة فى هذه الرواية أنْ تكون بدأت بحمله ليلاً ، وهو أنجبُ له ، وصاحبه يُوصف بالشَّجاعة . وقد دعاهم ذلك إلى أن وصلوا أنسابهم بالليل تحقُّقاً به . قال :

أنا ابن عمِّ الليلِ وابنُ خالِه   إذا دَجَا دخلتُ فى سِرباله

* لَستُ كمن يَفرَقُ من خَياله *

انتهى .

٤٧١

وبه يُدفع قول ابن هشام (فى المغنى): مزءُودة مذعورة ، ويروى بالجرِّ صفة لليلة وبالنصب حالاً من المرأة ، وليس بقوىٍّ مع أنَّه الحقيقة ، لأَنَّ ذكر الليل حينئذٍ لا كبير فائدة فيه . انتهى .

وقال ابن قتيبة (فى أبيات المعانى) : مزءُودة : فيها زُؤْد وذُعر ، كذلك قال الأَصمعى . ويرويه بعضهم بالنصب ويجعله حالاً من المرأة . ويقال إنَّ المرأة إذا حملت وهى مذعورة فأَذكَرَتْ جاءت به لا يُطاق . انتهى .

ومثله قول ابن جنى : الغرض من ذكر الزُؤْد فى الروايتين جميعاً أَنَّ المرأة إذا حملت بولدها وهى مذعورة كان أَنجبَ له . أَلا ترى إلى قوله :

* فأَتت به حُوشَ الجَنان مبطَّنا * ... البيت

وقال التِّبريزى : ويجوز أن يكون جرّ مزءُودة على الجوار وهو فى الحقيقة للمرأة، كما قيل: جُحر ضبٍّ خربٍ ، وهذا لميلهم إلى الحمل على الأقرب ، ولأمنهم الالتباس . ومزءُودة بالرفع صفة أُقيمت مقام الموصوفة[1] . وانتصب كُرْهاً على أنَّه مصدرٌ فى موضع الحال، أى كارهة. وكذلك جملة « وعقد نطاقها لم يحلل » حال . والنِّطاق : ما تنتطق به المرأة تشدُّ وسَطها للعمل. والمنطقة أُخِذت من هذا . والمعنى أنَّها أُكرِهَتْ ولم يُحلَّ نطاقها .

وقوله : « فأَتتْ به حُوش الفؤاد» إلخ حوش الفؤاد: حالٌ من الضمير فى به ، والإضافة لم تفد شيئاً من التعريف . وبه استشهد ابن هشام (فى شرح الألفية) عليه . و [أيضاً [2]] استشهد به صاحب الكشاف فى سورة المزَّمِّل لشىءٍ آخر[3] . وكذلك مبطَّناً وسُهُداً حالان منه .

قال ابن السِّيد (فى شرح الكامل) : حُوشَ الفؤاد ، أى مجتمع الذِّهن جيِّد الفهم .

وقال القارى وابن قتيبة : يعنى وحشىّ الفؤاد .

وقال التبريزى : حُوش الفؤاد وحُوشىّ الفؤاد: وَحشيُّه . لحِدَّته وتوقُّده . ورجلٌ حُوشىّ : لا يخالط الناس . وليلٌ حوشىٌّ : مظلم هائل، كما يقال ليلٌ سخّام وسُخامىٌّ للأسود . وكذلك إبل حُوشٌ وحُوشيَّة ، أى وحشيَّة . وقيل الحوشية بلاد الجن .

---

(١) وكذا النص فى التبريزى ، وهى صحيحة .

(٢) التكملة من ش .

(٣) أتى به شاهداً فى الآية الأولى من المزمل ، على إيقاظ الرسول صلى الله عليه وسلم ليتلقى الأمر الخطير بالقيام بالليل ، وترتيل القرآن .

و(فى الأَساس) : رجلٌ حوش الفؤاد: ذكىٌّ كيِّس ، وأَصله من الإبل الحوشية ، وهى التى يزعمون أَنَّ فحولَ نَعَمِ الجنِّ قد ضربتْ فيها . ومبطَّناً : ضامر البطن .

والسُّهُد بضمتين : قليل النوم. وإذا ظرف لِسُهُداً . قال التبريزى : قوله نامَ ليل الهوجل جعل الفعلَ للَّيل لوقوعه فيه ، أَى نام الهوجل فى ليله . والهَوْجل: الثَّقيل الكسلان، وقيل الأَحمق لا مُسْكة به . وبه سمِّيت الفلاة التى لا أَعلامَ بها ولا يُهتدَى فيها : الهوجلَ . أَى أَتت الأُمُّ بهذا الولد ذكيًّا حديد الفؤاد ، يسهر إذا نام الهوجل .

قال العينى : ما زائدة ، ويحتمل أَن تكون مصدرية ، أَى حين نومِ ليلِ الهوجَل . انتهى .

والصواب الأَوّل ، لأَنَّ إذَا لا تضاف إلى مفرد .

وقوله : « ومبرَّأً من كلِّ » إلخ ، هو معطوف على حوش الفؤاد ، وقد وقع فى الحماسة قبل البيتين قبله[1] . وقال التبريزى : ويروى بالنصب والجر ، فالنصب عطفٌ على غير مهبَّل ، كأَنه قال: شبَّ فى هاتين الحالتين . وإذا جررته كان عطفاً على قوله: جلدٍ من الفِتيان .

وغُبَّرُ الحيض ، بضم المعجمة وتشديد الموحدة المفتوحة : بقاياه ، وكذلك غُبْره بسكون الموحَّدةِ ، وكذلك غُبْر اللبن: باقيهِ فى الضَّرع . والحِيضة بالكسر : الاسم ، وبالفتح المرَّة . وكلٌّ للتأْكيد ؛ كأَنَّه نفى

(١) ط : « على البيتين قبله » ، صوابه فى ش . والواقع أن البيت الذى أوله « ومبرأ » وقع فى الحماسة سابقاً ترتيبه فى الحماسة للأول منهما ، ويليه بيت « حملت به فى ليلة مزءودة » ، ثم بيت « فأتت به حوش الفؤاد » .

قليلَ ذلك وكثيرَه . وأضاف الفساد إلى المرضعة لأَنَّه أَراد الفساد الذى
يكون من قِبَلها . وهم يضيفون الشىء إلى الشىء لأَدنى ملابسة . والمُغْيِل ، ٤٧٢
بضم الميم وكسر الياء : من الغَيْل ، وهو أن تُغشَى المرأةُ وهى تُرضع ، فذلك
اللَّبن الغَيْل . يقَال أغالت المرأَة ، إذا أَرضعته على حَبَل . ويروى بدله :
« معضِل » ، وهو الذى لا دواءَ له ، كأَنَّه أَعضل الأَطباءَ وأَعيَاهم .
وأَصل العَضْل المنع . يقول : إنَّها حملت به وهى طاهرٌ ليس بها بقيَّةُ
حيض ، ووضعتْه ولا داءَ به استصحبَه من بطنها فلا يَقْبلُ علاجاً ،
لأَنَّ داءَ البطن لا يفارق . ولم تُرضِعْه أُمُّه غيلا ، وهو أَن تسقيه غَيْلا
وهى حُبلى بعد ذلك

وقوله : « وإذا نبذت له » إلخ ، نبذتُ الشىءَ من يدى ، إذا طرحتَه .
وروى السكرى : « وإذا قذفت » يعنى أَنَّك إذا رميتَه بحصاةٍ وهو نائمٌ
وجدته ينتبه انتباهَ من سمع بوقعتها هدَّةً عظيمة ، فيطمِر طمورَ
الأَخيل ، وهو الشقِرَّاق . وانتصاب طمور بما دلَّ عليه قوله : « فزعاً
لوقْعتها » كأَنه قال : رأَيته يطمِرُ طموره ، لأَنَّ الخائف المتيقِّظ يفعل
ذلك . والطُّمور : الوثب . وقال بعضهم : الأَخيل : الشاهين ، ومنه قيل
تخيَّل الرجل ، إذا جَبُنَ عندَ القتال فلم يثبت . والتخيُّل : المضىُّ والسرعة
والتلوُّن .

وقوله : « وإذا يهبُّ من المنام » أى يستيقظ . ورأَيتَه ، أى رأَيتُ رُتوبه
فحذف المضاف . ورُتوب الكعب : انتصابه وقيامُه . يقول : إذا استيقظ
من منامه انتصب انتصاب كعبِ الساق . وكعب الساق منتصبٌ أبداً فى
موضعه . والزُّمَّل بضم الزاى : الضَّعيف النؤُوم .

وقوله: « ما إن يمسُّ الأَرضَ » إلخ . إن زائدة. قال القارى: يقول إذا اضطجع لم يندَلق بَطْنُه ، إنَّما يمسُّ منكبه الأَرض وهو خميص البطن. ولمَّا قال لا يمسُّ الأَرض إلا مَنكبٌ عُلم أَنَّه خميص البطن ، فاكتفى بمعناه عن ذكره. يقول: مِنْ ضُمرِ بطنه وخُمْصه إذا اضطجع لا يمسُّ الأَرضَ منه شىءٌ إلاَّ منكبُه . ثم جعله لطيفاً مثل مِحْملٍ فى طَيِّه .

وقوله : « طىّ المِحْمل » يريد حمائل السَّيف ، بكسر الميم الأُولى. أَراد أَنَّه مدمج الخلق كطى المِحمل ، كأَنَّه قال : طُوِىَ طىَّ المحمل . وقال التبريزى : انتصب على المصدر بما دلَّ عليه ما قبله ، لأَنَّه لمَّا قال : يمسُّ الأَرض منه إذا نام جانبُه وحرفُ الساق ، عُلم أَنَّه مطوىٌّ غير سمين . والمعنى إذا نام لا ينبسط على الأَرض ولا يتمكَّن منها بأَعضائه كلِّها حتَّى لا يكاد يتشمَّر عند الانتباه بسرعة .

وهذا البيت أَورده ابن هشام (فى شرح الأَلفية) على أَنَّ طىَّ المحمل نصب بتقدير : يطوى طىَّ المِحمل .

وقوله : « وإذا رميتَ به الفِجاج » إلخ . قال القارى: أَى حملتَه عليها . والفَجّ : الطريق الواسع فى قُبل جبل ونحوه . قال التبريزى : الهُوِىّ بضم الهاء هو القصد إلى أَعلى ، وبفتح الهاء إلى أَسفل . وعلى ذلك قول زهير .

* هوىَّ الدَّلو أَسلمَها الرِّشاءُ [1] *

---

(١) صدره فى ديوان زهير ٦٧ :

* فشج بها الأماعز وهى تهوى *

فلا تخيُّر [1] فى رواية البيت على الضم ، وإن كان قد قيل غير ذلك . انتهى .

وأورده صاحب الكشاف عند قوله تعالى : ﴿ تَهْوِى إليهم [2] ﴾ من سورة إبراهيم ، على أنَّ تهوى بمعنى تسرع إليهم وتطير شَوقاً ، كما فى البيت.

والمخارم : جمع مَخرَم كجعفر ، وهو منقطع أنف الجبل . والخَرم : أنف الجبل . والأَجدل : الصَّقر .

وقوله : « وإذا نظرتَ إلى أَسرَّة وَجهِه » قال التبريزى : الخطوط التى فى الجبهة الأَغلب عليها سِرار ، وتجمع على الأَسرَّة . والتى فى الكفّ الأَغلب عليها سِرَرٌ وسُرٌّ ، وتجمع على الأَسرار . وقد قيل الأَسرَّة الطرائق. والعارض من السحاب : ما يَعرِض فى جانب من السماء . وتهلَّل الرجل مَرَحاً واهتَّل ، إذا افترَّ عن أسنانه فى التبسُّم . يقول : إذا نظرتَ فى وجهه رأيتَ أَسارير وجهه تُشرق إشراق السحاب المتشقِّق بالبرق . يَصِفُهُ بحُسن البشر وطلاقة الوجه .

٤٧٣

قال السيوطى (فى شرح أبيات المغنى) : أخرج أبو نُعيم (فى الدلائل) والخطيب ، وابن عساكر ، بسندٍ حسن عن عائشة قالت :

كنت قاعدةً أَغزِل ، والنبيُّ صلى الله عليه وسلم يَخْصِفُ نعله ، فجعل جبينُه يعرَق ، وجعل عرقه يَتولَّد نُورًا ، فبُهِتُّ فقال : مالكِ بُهِتِّ ؟ فقالت : جعلَ جبينُك يعرق ، وجعل عرَقك يتولَّد نوراً ، ولو رآك أَبو كبير الهذلىُّ لعلم أَنَّك أَحقُّ بشعره حيث يقول :

---

(١) ط : « فلا تختر » .
(٢) الآية ١٣٧ من سورة إبراهيم .

* ومبرَّأً أَمِن كلِّ غبَّر حيضةٍ * ... البيت

* وإذا نظرت إلى أَسرَّة وجهه * ... البيت

وقوله: « يحمى الصِّحابَ » إلخ ، العُيَّل ، بضم العين وتشديد المثناة التحتية: جمع عائل ، وهو الفقير .

أبو كبير الهذلى

وأَبو كبير الهذلى: شاعرٌ صحابي ، اشتهر بكنيته . واسمه عامر بن الحُلَيس ، أَحد بنى سهل بن هذيل . كذا قال ابن قتيبة (فى كتاب الشعراءِ) وغيرُه .

والحُليس : مصغر الحِلس ، بكسر الحاءِ المهملة وسكون اللام وآخره سين مهملة . والحلس للبعير : كِساءٌ رقيق يكون تحت البَرْذعة .

وأَبو كبير ، بفتح الكاف وكسر الموحَّدة ، على وزن خلاف الصَّغير .

وقد أَورده ابن حجر (فى القسم الأَول من الإصابة) ولم يذكر اسمه فقال: أَبو كبير ، بالموحَّدة ، الهذلى ، ذكره أَبو موسى وقال: ذكر عن أَبى اليقظان أَنَّه أَسلم ثم أَتَى النبى صلى الله عليه وسلم فقال له : أَحِلَّ لىَ الزِّنى . فقال: «أَتحبُّ أَن يؤتَى إليك مثلُ ذلك؟ » قال: لا . قال : « فارضَ لأَخيك ما تَرضَى لِنفسك » . قال : فادعُ الله لى أَن يُذهِبَ عنِّى . انتهى .

* * *

وأَنشد بعده :

(الحافِظُو عَورة العشيرةِ لا يأْتيهمُ من ورائهم وكَفُ)

على أَنَّ الأَصل : الحافظون عورةَ العشيرة ، فحذفت النون تخفيفاً .

وهذا على رواية نصب عورة . وأَمَّا على رواية جرِّها فالنونُ حذفت للإضافة .

وقد تقدَّم الكلام عليه مفصَّلا فى الشاهد الثامن والتسعين بعد المائتين[1] .

والوكف ، بفتح الواو والكاف : العيب والعار .

* * *

وأنشد بعده :

(أَبَنِى كُليبٍ إنَّ عمَّى اللَّــذا قَتلاَ الملوكَ وفَكَّكا الأَغلالا)

على أنَّ أَصله اللذان قتلا الملوك ، فحذفت النون من الموصول تخفيفاً.

وتقدَّم الكلام عليه أَيضاً فى الشاهد الثالث والعشرين بعد الأَربعمائة[2]

* * *

وأنشد بعده :

(وإنَّ الذى حانَتْ بفَلْجٍ دماؤُهم همُ القومُ كلُّ القومِ يا أُمَّ خَالِدِ)

على أَنَّ أَصله إن الذين حانت ، فحذفت النون منه تخفيفاً .

وتقدَّم الكلام عليه أَيضاً فى الشاهد السادس والعشرين بعد الأَربعمائة[3] .

وحانت : هلكت ، من الحَيْن ، وهو الهلاك . وفلج ، بفتح الفاء وسكون اللام وآخره جيمٌ : موضعٌ فى طريق البصرة .

* * *

٤٧٤ وأَنشد بعده ، وهو الشاهد التاسع بعد الستمائة ، وهو من شواهد سيبويه[4] :

٦٠٩ (وكَرَّارُ خَلفَ المجْحَرِينَ جوادِهِ
إذا لم يُحَامِ دُونَ أُنثَى حَليلُها)

(١) الخزانة ٤ : ٢٧٢ - ٢٨٣ .
(٢) الخزانة ٦ : ٦ ، ١٣ .
(٣) الخزانة ٦ : ٢٥ ، ٣٤ .
(٤) فى كتابه ١ : ٩٠ . وانظر ديوان الأخطل ٢٤٥ ومعانى الفراء ٢ : ٨١ .

على أَنَّه قد فُصل اسم الفاعل المضافُ إلى مفعوله عنه بظرفٍ ، والأَصل : وكرَّارُ جَوادِهِ خلف المُجْحَرين .

وهذه رواية الفراءِ ، قال (فى تفسيره): إذا اعترضت صفةٌ بين خافض وما خَفَض جاز إضافته ، مثل قولك : هذا ضاربُ فى الدار أخيهِ ، ولا يجوز إلّا فى شعر ، مثل قوله :

مؤخَّرُ عن أنيابه جِلدِ رأسه ... فهنَّ كأَشباه الزِّجاج خُروجُ[1]

بخفض جلد. وقال الآخر :

* وكرار دون المجحرين جوادِه * . . . البيت

بخفض جواده .

وزعم الكسائى أنَّهم يُؤْثرون النصب إذا حالوا بين الفعل والمضاف بصفة[2] ، فيقولون : هو ضاربُ فى غير شىءٍ أخاه ، يتوهَّمون إذْ حالوا بينهما[3] أنَّهم نوَّنوا . انتهى .

والصفة عند الكوفيين : الجار والمجرور والظرف .

وتقدَّم نقلُ كلامِ الفراءِ برُمَّته فى الشاهد الحادى والتسعين بعد المائتين[4] .

وأَمَّا عند سيبويه فهو مضافٌ إلى خلفِ ، وجوادَه منصوب . وهذا نصُّه :

---

(١) فى معانى الفراء : « لهن » موضع « فهن » .
(٢) فى معانى الفراء : « بين الفعل المضاف بصفة » ، وما هنا صوابه .
(٣) ط : « إذا حالوا » ، وأثبت ما فى ش ومعانى الفراء .
(٤) الخزانة ٤ : ٢٣٤ — ٢٣٥ .

ولا يجوز : يا سارق الليلةِ أَهلَ الدار إِلّا فى الشَّعر ، أَى بنصب الليلة وجرِّ أَهل ، كراهية أَن يفصِلوا بين الجارِّ والمجرور[١] . وإِذا كان منوَّناً ، فهو بمنزلة الفعل الناصب ، تكون الأَسماء فيه منفصلة . قال الشمّاخ :

ربَّ ابنِ عمٍّ لسليمى مُشمَعِلْ طبَّاخِ ساعاتِ الكرى زادَ الكَسِلْ[٢]

وقال الأَخطل :

« وكرار خلف المجحَرين جواده » . . . البيت »

قال الأَعلم فى البيت الأَوَّل : الشاهد فيه إِضافة طباخ إِلى ساعات ونصب زادَ على التعدِّى ، والتقدير : طبَّاخ ساعات الكرى ، على تشبيه الساعات بالمفعول به ، لا على الظرف . ولا يجوز الإِضافة إِليها وهى مقدَّرة على أَصلها من الظرف ، لأَنَّ الظرف يقدَّر فيه حرف الوعاء ، وهو فى ، والإِضافة إِلى الحرف غير جائزة ، وإِنَّما يضاف إِلى الاسم . ولمَّا أَضاف الطباخ إِلى الساعات على هذا التأْويل اتِّساعاً ومجازًا عدَّاه إِلى الزاد لأَنَّه المفعول به فى الحقيقة . انتهى .

وتقدَّم شرحه فى الشاهد المذكور .

وقال فى البيت الثانى : الشاهد فيه إِضافة كرَّار إِلى خلف ونصب الجواد ، والقولُ فيه كالبيت الذى قبله ، إِلَّا أَنَّ الإِضافة إِلى خلف أَضعف، لقلَّة تمكُّنها فى الأَسماء . ويجوز فيه من الفصل ما جاز فى الأَوَّل ، والأَوَّل أَجود . انتهى .

---

(١) يعنى المضاف والمضاف إليه .

(٢) ديوان الشماخ ١٠٩ . وقد نسب فيه إلى جبار بن جزء بن ضرار ، ابن أخى الشماخ .

وقال ابن خلف : الشاهد إضافة كرَّار إلى خلف وهو ظرف ، فإذا نُصِب نصبَ المفعول به على السَّعة جاز أن يضاف إليه كما يضاف إلى المفعول به ، وهذا هو الوجه . وقد أنشد[1] بعضُهم بجرِّ جواده ، فهذا مثل التفسير الذى فى :

* طباخ ساعاتِ الكرى زاد الكسل *

وهو فى كرّار خلف أحسن ، لأنَّ خلفَ أقل تمكُّنا وأضعف من ساعات. انتهى .

وكرّارٌ بالرفع معطوف على عروفٌ فى بيت قبله كما يأتى . وهو فعَّال من كرَّ الفارس كرًّا من باب قتل ، إذا فرَّ للجَوَلان ثم عاد للقتال . وضمَّنه معنى العطف والدفع ، ولهذا تعدَّى إلى المفعول . والمجحرين[2] اسم مفعول من أجحره ، بتقديم الجيم على الحاء المهملة ، أى ألجأه إلى أن دَخل جُحرهُ فانجحر ، أى يكرُّ كرًّا كثيراً جوادَه خلف المجحرين ، وهم الملجئون المغشُّون ، ليحامىَ عنهم ويقاتلَ فى أدبارهم . والجواد : الفرس الكريم . و(لم يحام) : لم يدافع ، بإشباع كسرة الميم للوزن . ودونَ بمعنى أمامَ وقُدَّام . وأراد بالأُنثى أَعمَّ مِن الزوجةِ والبنت والأُخت والأُمّ. و (الحليل) : الزَّوج . والحليلة : الزَّوجة ، سمِّيا بذلك لأَنَّ كلَّ واحد منهما يَحلُّ للآخر دون غيره ، أو لأَنَّه يحُلّ من صاحِبه محَلاًّ لا يحُلُّه غيره . وصَفه بالشَّجاعة والإقدام . يقول : إذا فرَّ الرجال عن نسائهم وأسلموهنَّ للعدوّ قاتل عنهم وحماهم .

٤٧٥

ورواية البيت فى ديوان الأخطل كذا :

(١) ش : « أنشده » ، مع أثر تغيير .
(٢) ما بعده إلى كلمة « خلف » التالية ساقط من ش .

وكَرَّارُ خلفَ المرهَقين جوادَه حِفاظاً إِذَا لم يَحْمِ أُنثى حليلُها

و (المرهَق) : اسم مفعول من أَرهقته ، إذا أَعْسرته وضيَّقت عليه .
وقال السكرى (فى شرح ديوانه) : المُرهق : الذى قد غَشِيه السلاح .
و (الحفاظ) : الحماية ، علَّة لقوله كرَّار . وإذا ظرفٌ لكرّار .

صاحب الشاهد — والبيت من قصيدةٍ للأَخطل النَّصرانىّ ، مدح بها همَّام بن مطرِّف التغلبى . وهذه أَبياتٌ منها :

أبيات الشاهد

(رأَيتُ قُروم ابنَىْ نزارٍ كليهما إذا خطرت عندَ الإِمام فُحولُها
يَرَون لهمَّام عليهم فضيلةً إذا ما قُروم الناس عُدَّت فضولُها
فتى الناسِ هَمَّامٌ وموضعُ بيته برابيةٍ يعلو الرَّوابىَ طولُها
فلو كان همَّامٌ من الجنِّ أَصبحت سجوداً له جِنُّ البلاد وغولُها)

إلى أَن قال :

(جوادٌ إذا ما أَمحلَ الناسُ مُمرعٌ كريمٌ ، لجَوْعات الشِّتاءِ قَتولُها[1]
إذا نائباتُ الدهر شَقَّت عليهم كفاهم أَذاها واستُخفَّ ثقيلُها[2]
عَروفٌ لإِضعاف المرازئِ مالُه إذا عجَّ منحوتُ الصَّفَاة بَخيلُها[3]
وكرار خلف المرهقين جواده) . . . البيت

القروم : الأَشراف والسادة . وابنا نزار هما ربيعة ومضر . وأَمحلَ النَّاسُ : أَقحطوا . ومُمرِع : ذو خِصْب ونَعْمة. وشَقَّت من المشقَّة .

---

(١) فى الديوان ٢٤٤ : « لجوعات النساء » .
(٢) فى الديوان : « شفت عليهم » بالفاء ، يقال شف عليه ثوبه يشف شفوفاً ، وشفيفاً ، أى رق حتى يرى ما خلفه . وفى الديوان أيضاً : « فاستخف ثقيلها » ، مبدوءاً بالفاء .
(٣) ش : « لأصناف » ، تحريف . وفى الديوان : « لأضعاف » بالهمزة المفتوحة .

والعروف : الصَّبور هنا ، ومبالغة العارف . وإضعاف مصدر أَضعف يضعف ، وهو من الضَّعف ضدِّ القوَّة . والمرازئ: جمع المرزأ، بفتح الميم فيهما ، مصدرٌ بمعنى المصيبة ، وهو حدوث أَمرٍ يَذْهب به المالُ . قال (فى المصباح): «الرزيَّةُ :المصيبة ،وأَصلها الهمز، يقال رزأْتهُ ترزَؤُه[1] مهموز بفتحتين[2]، والاسم الرُّزءُ كقفل. ورزأْته أَنا ، إذا أَصبتَه بمصيبة . وقد يخفَّف فيقال رزَيْته أَرزَاهُ » . وماله فاعل عَروف ، أَى هو عروفٌ مالُه . وعَجَّ : صاح . والصَّفاة ، بالفتح : الصَّخرة . قال السكرىّ: ومنْحوت الصَّفاة : الذى إذا سئل لم يُعطِ ، كما لا يبضُّ الحجر إذا نُحِت .

وقال ابن خلف : المنحوت الذى يؤخذ منه شىءٌ بعد شىءٍ بشدَّة . يقول : هذا الرجل يُعطِى إذا ضجَّ من السؤال الرجلُ الذى يُعطِى اليسير بعد شِدَّة ، ويكون ما يؤخَذ[3] منه بمنزلة ما ينحت من الصَّخر . وبخيلها يريد بخيل النفس ، فأَضمر.

وترجمة الأَخطل تقدَّمت فى الشاهد الثامن والسبعين[4] .

* * *

وأَنشد بعده ، وهو الشاهد العاشر بعد الستمائة ، وهو من شواهد سيبويه[5] : ٤٧٦

٦١٠ (هلْ أَنتَ باعثُ دينارٍ لحاجتنا أَو عبدَ ربٍّ أَخا عونِ بنِ مخراقِ)

على أَنَّ سيبويه أَنشده بنصب عبد ربّ ، ونصبُه بتقدير اسم الفاعل أَولى من تقدير الفعل ، ليوافق المقدَّر الظاهر .

---

(١) ط : « ترزأه » ، صوابه فى ش والمصباح . يريد : رزأته المصيبة ترزؤه .
(٢) يريد فتح عين الماضى وفتح عين المضارع .
(٣) ط : « ما يأخذ » ، صوابه فى ش .
(٤) الخزانة ١ : ٤٥٩ - ٤٦٢ .
(٥) فى كتابه ١ : ٨٧ . وانظر المقتضب ٤ : ١٥١ والجمل ٩٩ والعينى ٣ : ٥٦٣ والهمع ٢ : ١٤٥ والأشمونى ٢ : ٣٠١ .

وفيه أَنَّ الأَوْلَى عند سيبويه تقدير الفعل ، فإِنَّه قَبْلَ أَنْ قال :
«وزعم عيسى أَنَّهم ينشدون هذا البيتَ بنصب عبد ربّ ، قال أبو الحسن :
سمعته من عيسى[1] ـ قال :

وتقول فى هذا الباب : هذا ضاربُ زيدٍ وعمرٍو ، إذا أَشركتَ بين
الآخِرِ والأَوّل فى الجارّ ، لأَنَّه ليس فى العربية شىءٌ يعمل فى حرف فيمتنع
أَن يُشرَك بينه وبين مثله . وإن شئت نصبتَ على المعنى ، تضمر له ناصباً
فتقول : هذا ضاربُ زيدٍ وعمرًا ، كأَنه قال : ويضرب عمرًا ، أَو وَضاربٌ
عمرًا . انتهى .

وقال ابن خلف : الشاهد فيه نصب عبد ربّ بإضمار فعل ، كأَنه
قال : أَو تبعث عبدَ ربّ . ولا يجوز أَن يضمَر إلاَّ الفعل المستقبل ،
لأَنَّه مستفهم عنه ، بدليل قوله « هل » . ويجوز أَن ينتصب عبد ربّ
بالعطف على موضع دينار ، لأَنّه مجرورٌ فى اللفظ منصوبٌ فى المعنى .
انتهى .

ولم يُصِب الأَعلمُ فى قوله : الشاهد فيه نصب عبد ربّ حملاً على
موضع دينار ، لأَنَّ المعنى هل أَنت باعثٌ ديناراً أَو عبدَ ربّ . انتهى .

وإلى تقدير الوصف ذهب ابن السرَّاج (فى الأُصول) قال : أَراد
بباعث التنوين ، ونصب الثانى لأَنَّه أَعمل فيه الأَوّل ، كأَنه قال :
أَو باعث عبد ربّ . ولو جرَّه على ما قبله كان عربيًّا ، إلاَّ أَن الثانىَ
كلَّما تباعد من الأَوّل قوىَ النصب . انتهى .

وإلى تقدير الفعل لا غير ذهب الزّجاجىُّ (فى الجمل) .

---

(١) من عيسى ، ساقط من ش . على أن عبارة « قال أبو الحسن : سمعته من عيسى » ليست فى صلب كتاب سيبويه ، وهى بلا ريب من تعليقات الأخفش .

قال ابن هشام اللخمى : الشاهد فيه نصب عبد ربّ بفعل مضمر وهو مذهب سيبويه. وقد خطّأ بعضُهم الزجّاجىّ فى قوله : تنصبه بإضمار فعل ، وقال : لا يحتاج هنا إلى الإضمار ؛ لأنَّ اسم الفاعل بمعنى الاستقبال وموضع دينار نصب ، فهو معطوفٌ على الموضع ، ولا يُحتاج إلى تكلُّف إضمار ، وإنَّما يُحتاج إلى تكلُّف الإضمار إذا كان اسم الفاعل بمعنى المضىِّ لأنَّ إضافته إضافة محضة لا يُنوَى بها الانفصال . والذى قال الزجّاجىُّ هو الذى قال سيبويه ، وتمثيلُه يشهد لما قلناه ، وإن كان جائزًا أن يعطف عبد رب على موضع دينار ، ولكنَّ ما قدَّمنا هو الذى نصَّ عليه سيبويه .

والدليل على أنَّ المراد بباعثُ فى البيت الاستقبالَ دخولُ هل ، لأنَّ الاستفهام أكثر ما يقع عمَّا يكون فى الاستقبال ، وإن كان قد يستفهم عمَّا مضى ، كقولك : هل قام زيد ؟ لكنَّه لا يكون إلاَّ بدليل . والأصل ما قدَّمنا . انتهى .

وقد نقل العينىُّ كلام اللخمى برُمَّته ولم يعزُه إليه .

والبيت أورده الزَّمخشرىّ ، عند قوله تعالى : ﴿ هَلْ أَنتم مُجتمِعُون[1] ﴾ قال : هو استبطاءٌ لهم فى الاجتماع ، وحثٌّ على مبادرتهم إليه ، كما يقول الرجل لغلامه إذا أراد أن يحثَّه على الانطلاق : هل أنت منطلق ؟ وهل أنت باعثٌ دينارًا ، أى ابعثْهُ سريعاً ولا تبطئْ به .

قال ابن خلف : ومعنى باعث موقظ ، كأنَّه قال : أَوقظْ ديناراً [2] أَو عبدَ ربّ . وهما رجلان .

---

(١) الآية ٣٩ من سورة الشعراء .

(٢) كذا وردت فى النسختين ، والمعروف « أيقظ » بالياء .

وقال اللخميّ : باعث هنا بمعنى مرسل ، كما قال تعالى : ﴿ فابعَثُوا أَحدَكُم بوَرِقِكم هذهِ إلى المدينة[1] ﴾ . وقد يكون بمعنى الإيقاظ : كقوله تعالى : ﴿ من بَعَثَنَا مِنْ مَرْقَدنا[2] ﴾ . غير أنَّ الأَحسن هنا أن يكون بمعنى الإرسال ، إذ لا دليل على النَّوم في البيت.

٤٧٧

قال الأعلم : يحتمل دينار هنا وجهين : أحدهما أن يكون أراد أحد الدنانير ، وأن يكون أراد رجلاً يقال له دينار .

وكذا قال اللخمى : دينار وعبد ربٍّ : رجُلان ، وقيل : أراد بدينار واحدَ الدَّنَانير ، كما قال بعض الشعراء :

إذا كنْتَ في حاجةٍ مرسلاً وأَنت بهـا كلفٌ مغـرَمُ
فأرسلْ حكيمـاً ولا تُوصِه وذاك الحكيمُ هو الدِّرهمُ[3]

وقال ابن خلف : عبد ربّ الاسمُ إنَّما هو ربِّه ، لكنه تركَ الإضافة وهو يريدها . وأخا عون : وصف لعبد رب . ويجوز : أَوْ عبدِ ربٍّ أخي ، بالجرِّ . وزعم عيسى بن عمر أنَّه سمع العرب تنشده منصوباً .

وقال العينى : أخا عون بدل من عبد رب ، بدل الشيء من الشيْ ، وهما لعين واحدة .

وقال خضْرٌ الموصليّ: أخاعون إمّا عطف بيان لعبد ربِّه أو نعتٌ له على رواية النصب ، أو منادًى عليهما . انتهى .

---

(١) الآية ١٩ من سورة الكهف .

(٢) الآية ٥٢ من سورة يس .

(٣) أى الحكيم مستغن بحكمته عن الوصية . ويقال فى أمثالهم أيضاً : «أرسل حكيما وأوصه» ، أى إنه وإن كان حكيما فإنه يحتاج إلى معرفة غرضك . الميدانى ١ : ٢٧٧ والمستقصى للزمخشرى ١ : ١٤٠ . والبيتان لابن فارس صاحب المقاييس فى ترجمته فى معجم الأدباء ٤ : ٨٧ والثعالبى، وابن خلكان ، واليافعى ، وابن العماد . وانظر حواشى المقاييس ١ : ١٣ من مقدمة الناشر .

وعلى النداءِ يكون أَخا عون هو المخاطَب فى قوله : هل أَنت . وكأَنَّ هذا الوجْهَ لبعض من شرح الكشَّاف . ولم أَر لخضرٍ الموصلىِّ فى تأْليفه بنتَ فكر . والله أَعلم .

و (مخراق) بكسر الميم وسكون الخاءِ المعجمة : اسم .

والبيت من أَبيات سيبويه الخمسين التى لم يعرف قائلها . وقال ابن خلف : وقيل هو لجابر بن رأْلان السِّنبِسى . وسِنبس : أَبو حىّ من طيِّئٍ .

ونسبه غير خدَمة سيبويه إلى جرير ، وإلى تأَبط شرًّا ، وإلى أَنَّه مصنوع . والله أَعلم بالحال .

اسم المفعول

أنشد فيه :

(أَدنُو فأَنظُورُ[1])

هو قطعةُ بيتٍ تقدَّم شرحه فى باب الإعراب من أوّل الكتاب ، وهو :

(وأنَّنى حيثُما يَثْنِى الْهَوَى بَصَرِى
من حيثُما سلكُوا أَدنُو فأَنظُورُ)

الصفة المشبهة

أنشد فيها :

(أقامتْ على ربعيهما جارتَا صفاً كُميتا الأَعالى جَونتا مُصْطَلاهُما)

تقدَّم شرحُه بما لا مزيد عليه فى الشاهد الموفى الثلثمائة[2] .

* * *

وأنشد بعده :

(روانفُ أَليتيكَ وتُستطارا)

هذا عجز ، وصدره :

(متَى ما تَلقَنِى فردَيْنِ ترجُفْ)

والروانف : جمع رانفة ، وهى طرف الأَلية ، فالأَليتان لهما رانفتان. وإنَّما قال روانف باعتبار ما حولَ كلٍّ رانفة ، فتكون الأَلف فى تستَطارا ضمير الرَّوانف ؛ لأَنَّها بمعنى رانفتين .

وهذا قولُ أَبى على (فى المسائل البصرية) .

(١) الشاهد الحادى عشر فى الخزانة ١ : ١٢١ - ١٢٢ .
(٢) الخزانة ٤ : ٢٩٣ - ٣٠٣ .

وقد تقدَّم شَرح هذا البيت أَيضاً مستوفى مفصَّلاً فى الشاهد التاسع والستين بعد الخمسمائة من شواهد باب المثنى(١) .

* * *

٤٧٨ وأَنشد بعده ، وهو الشاهد الحادى عشر بعد السمائة(٢) :

٦١١ (أَنعتُها إِنِّىَ من نُعَّاتِها كُومَ الذُّرى وادقةً سُرَّاتِها)

على أَن وادقة صفة مشبهة ، وفاعلها ضمير مستتر فيها . و (سُرَّاتِها) منصوب بالكسرة على التشبيه بالمفعول للصِّفة المشبَّهة .

قال أَبو على (فى المسائل البصرية) : أَنشد الفرَّاءُ عن الكسائى ، وقد رويناه عن ثعلب عنه (فى نوادر ابن الأَعرابى) :

أَنعتُها إِنِّى من نُعَّاتِها مُدارةَ الأَخفافِ مُجمراتِها
غُلبَ الذَّفارَى وعَفَرْنَيَاتِها كُومَ الذُّرى وادقةً سُرَّاتِها

قال أَبو على : هذا على : هند حسنةٌ وجهَها . ففى وادقة ذكرٌ من الإِبل وليست للسُّرَّاتِ . فافهم . انتهى .

وعدَّ ابن عصفور هذا من ضرورة الشعر ، قال (فى كتاب الضرائر) : ومنه نصب معمول الصِّفة المشبهة باسم الفاعل فى حال إِضافته إِلى ضمير موصوفها ، نحو قولك : مررت برجل حسنٍ وجهَه بنصب الوجه ، ولا يجوز ذلك إِلَّا فى ضرورة نحو قوله :

أَنعتُها إِنِّىَ من نُعَّاتِها كُومَ الذُّرى وادقةً سُرَّاتِها

(١) الخزانة ٧ : ٥٠٧ - ٥٢١ .
(٢) ابن يعيش ٦ : ٨٣ ، ٨٨ والمقرب ٢٨ والضرائر ٢٨٦ والعينى ٣ : ٥٨٣ والدرر اللوامع ٢ : ١٣٥ عرضاً والأشمونى ٣ : ١١ والأصمعيات ٣٤ .

ألا ترى أنَّه قد نوَّن وادقة ونصب معمولها وهى مضافة إلى ضمير موصوفها ، وكان الوجه أن ترفع السُّرَّات[١] ، إلاَّ أنَّه اضطُرَّ إلى استعمال النصب بدل الرفع ، فحمَّل الصفة ضميراً مرفوعاً عائدًا على صاحب الصفة ، ونصب معمول الصِّفة إجراءً له فى حال إضافته إلى ضمير الموصوف مُجراه إذا لم يكن مضافاً إليه . وكذلك أيضاً لا يجوز خفض معمولها فى حال إضافته إلى ضمير الموصوف إلاَّ عند الاضطرار ؛ لأَنَّ الخفض لا يكون إلاَّ من نَصْب . ومن ذلك قولُ الأَعشى :

فقلتُ له هذه هاتِها إلينا بأَدماءِ مقتادِها[٢]

ألا ترى أنَّه أضاف الصِّفة ، وهى أَدماءُ ، إلى معمولها وهو مقتاد فى حال إضافته إلى ضمير موصوفِه . وقولُ الآخر فى الصَّحيح من القولين :

أقامتْ على ربعيهما جارتَا صَفاً
كُميتَا الأَعالى جَونتَا مُصطلاهما[٣]

ألا ترى أَنَّه أضاف الصفة وهى جونتا إلى معمولها وهو مُصطلًى فى حال إضافته إلى ضمير موصوفه . انتهى .

ونقل ابنُ الناظم (فى شرح الأَلفيَّة) عن سيبويه أَنَّ الجرَّ فى هذا النحو من الضرورات ، وأَنَّ النصب من القِسْم الضعيف . وأَنشد البيت. ولم يصب العينىُّ فى قوله : الاستشهادُ عند ابن الناظم فى نصب سُرَّاتِها ، لأَنَّ فيه شاهدًا على جواز زيد حسنٌ وجهَه بالنصب . انتهى .

---

(١) ط : « السراة » ، خطأ كتابى ، صوابه فى ش والضرائر .
(٢) ديوان الأعشى ٥١ . والرواية فيه :
* بأدماء فى حبل مقتادها *
(٣) للشماخ فى ديوانه ٨٦ . وانظر الخزانة ٤ : ٢٩٣ وهو الشاهد الموفى الثلاثمائة .

وقال بعض فضلاء العجم (فى شرح أبيات المفصل): قوله وادقة سرَّاتِها نظير حسن وجهَه . وسُرَّاتِها بالكسر فى مَوْضع النصب على التمييز. انتهى .

وهذا إنَّما هو على مذهب الكوفيِّين ، والبصريون يقولون: منصوب على التشبيه بالمفعول .

ثم نقل عن صاحب المقتبس أَنَّ عبد القاهر قال : الأَصل وادقة السُّرَّات[1] ، فنابت الإِضافة عن اللام كما تنوب اللام عن الإِضافة . انتهى .

ولا يخفى أَنَّ المعهود عند النحاة هو الثانى لا الأَوَّل .

٤٧٩ [قال[2]] : والرجز المذكور أَنشده ابن الأَعرابى (فى نوادره) على ذلك الترتيب . وبعد البيت الشاهد :

* حَمَّلت أَثقالى مصمِّماتِها *

ثم سبعة أَبيات أُخر لا حاجة لنا بإِيرادها . وإِنَّما جمعوا فى الاستشهاد بين البيت الأَوّل والبيت الرابع للاختصار ، ولظهور المعنى إجمالاً .

وقوله: (أَنعتُها) إلخ، الضمير للإِبل، فإِنَّ النعوت الآتية إنَّما هى لها. نَعتَه نعتاً من باب نفع: وصفَه .و (نُعَّات) بالضم والتشديد: جمع ناعت.

وقوله : « مُدارة الأَخفاف » منصوب بتقدير أَعنى ونحوِه على المدح ، وكذا الحالُ فى الأَوصاف الآتية . والمعنى أَنَّ أَخفافها مدوَّرة . مُجْمراتها ، أَى مجمرات الأَخفاف . والمُجمَر بضم الميم وسكون الجيم

(١) ط : « السراة » ، تحريف .
(٢) التكملة من ش .

وفتح الميم الثانية قال صاحب الصحاح[١] : حافر مُجْمَر ، أى صلب .

وقوله : «غُلب» إلخ الغَلَبُ بفتح الغين المعجمة واللام : غِلظُ الرَّقبة ، والوصف أَغلب والجمع غُلْب . والذَّفارَى ، بفتح الذال المعجمة بعدها فاءٌ آخره أَلف مقصورةٌ : جمع ذِفرى بكسر الأَوَّل وسكون الثانى والقصر ، قال صاحب الصحاح[٢] : الذِّفرَى من القفا هو الموضع الذى يعرق من البعير خلفَ الأُذن ، والأَلف للتأْنيث وقيل للإلحاق بدرهم .وأَراد بالذِّفرى العُنق ، من قبيل المجاز المرسل. وعَفَرْنَياتها : جمع عَفَرْناة بفتح العين المهملة والفاءِ وسكون الراء والنون ، والأَلف للإلحاق بسفرجل ، والتاءُ للتأْنيث . قال صاحب الصحاح : وناقة عَفَرْناة أَى قويَّة . وأَنشد هذا البيت .

وقوله : (كُومَ الذُّرى) منصوب على المدح كالذى قبله كما تقدَّم. وهو بضمِّ الكاف : جمع كَوماءَ بفتحها وبالمدِّ ، وهى الناقة العظيمة السَّنام. والذُّرى بضم الذال : جمع ذِروة بكسرها[٣]، وهى أَعلى السَّنام. و(وادقةً) منصوب أَيضاً ، من ودق ، إذا دنا ، لأَنَّها إذا سمنت دنَتْ إلى الأَرض من سِمَنها . يقال بعيرٌ وديق السُّرَّة ، أَى سمينها . ووادقة صفة مشبَّهة ، لأَنَّه أُريد به ثبات معناه ودوامُه ، وإن كان بزنة اسم الفاعل الموازن يفعل ، لأَنَّه لا يراد به تجدُّد معناه وانقطاعُه . وقال الخوارزمى: ودَق : دنا ، والمراد به السِّمَن ههنا ، لأَنَّها متى سمنت خرجت من السِّمَن سُرَّتُها ودنت إليك . وسُرَّاتها بضم السين وتشديد الراء : جمع سُرَّة ، وهى موضعُ ما تقطعه القابلة من الولد .

---

(١) الكلام بعده إلى « صاحب الصحاح » الثانية ساقط من ش .
(٢) هنا ينتهى السقط الذى نبهت عليه .
(٣) الحق أنها بكسر الذال وضمها أيضاً ، كما فى المعاجم .

قال التبريزى (فى شرح الكافية الحاجبيَّة) بعد إيراد هذا البيت :
ولا يجوز تقديم المنصوب على العامل لأَنَّه مرفوع فى المعنى . ويجوز فى هذه المسأَلة وفى مررت بزيد الحسنِ وجهَه ، بنصب وجهه ، أَن تُثَنَّى[1] الصفة فيهما وتجمعَ وتؤنَّث وتذكَّر ، بحسب المعنى . انتهى .

وقوله : «حمَّلتُ» إلخ ، هو بتشديد الميم يتعدَّى إلى مفعولين ، الأَوّل أثقالى وهو جمع ثَقَل بفتحتين ، وهو المتَاع ، كسَبَبَ وأَسباب . والثانى : مصمِّماتها ، جمع مصمِّمة ، بكسر الميم المشدَّدة ، من صمَّم فى الأَمر ، إذا مضى فيه .

وجميع القوافى ما عدا الأُولى منصوبة بالكسرة ، لأَنَّها جمع مؤنث سالم .

والزَّمخشرى إنما أَوردَ البيت الشاهد . وزعَم بعضُ شرّاح أَبياته من فضلاءِ العجم أَنَّه عجز ، وصدره :

* رعَتْ كما شاءَت على غِرَّاتها *

وقال : الغِرَّة بالكسرِ: الغفْلة . وكومُ الذرى بالرفع : فاعل رعَتْ. وهذا من عدم تمييزه بين الرجز والشِّعر ، مع أَنَّ الذى ضَمَّه ليس من الرجز[2] .

وهذا الرجز لم ينسُبه ابن الأَعرابى إلى أَحد ، وإنما قَال : هو لبعض الأَسدِيِّينَ يصف إبلاً . وقال العينى :قائله عُميربن لَحَا ،بالحاءِ المهملة ،التيمى. ٤٨٠

(١) ش : « يثنى »
(٢) يعنى بالذى ضمه السبعة الأبيات التى أشار إليها البغدادى فى ص٢٢٣بقوله « ثم سبعة أبيات أخر لا حاجة لنا بإيرادها » . وقد ظن مصحح طبعة بولاق أن البغدادى يشير إلى الشطر الأخير هنا وهو « رعت كما شاءت على غراتها » . وقال معترضاً « بل هو رجز كما هو ظاهر » . فأخطأ هو فى تخطئته للبغدادى .

ولم أعرفْ شاعراً كذا ، وإنَّما المعروف عُمَر[1] بن لجإ التَّيْمىّ . وعُمَر[2] مكبَّر لا مصغَّر . ولجأٌ بفتح اللام والجيم مهموز الآخِر . والله أعلم بحقيقة الأمر .

والبيت الذى أنشده ابن عُصفور لأَعشى بكر إنَّما الرواية فيه :

فقلتُ له هذهِ هاتِها بـأَدماءَ فى حبل مُقتادها

فلا ضرورة فيه . وقبله :

فقمنا ولمَّا يصِحْ دِيكنا إلى جَوْنةٍ عند حدَّادِها

ويعنى بالحدَّاد الخمّار ، لأَنَّه يَمنع من الخمر ويَحفظها . وكلُّ من حفظ شيئاً ومَنَع منه فهو حدَّاد . وهذه إشارة إلى الجَوْنة المذكورة ، وهى الخابية ، جعلها جَوْنة لاسْوِدادها من القار . والمعنى : هات هذه الخابية وخُذْ هذه الناقةَ الأَدماءَ ، أَى البيضاءَ ، بحَبل قائدها . والأُدْمة فى الإبل : البياض ، وفى الناس : السُّمرة ، وفى الظباء : سمرةٌ فى ظهورها وبياضٌ فى بطونها . وضمير له للحدَّاد . وبـأَدماءَ حال ، كأَنَّه قال : مشتراة بـأَدماءَ . وفى حبل صفة لأَدماءَ ، كأَنه قال : بـأَدماءَ مشدودة فى حبل قائدها ، أَو خبر لمبتدإٍ محذوف ،أَى وهى فى حبل قائدها ، والجملة حال . والجَوْنة بفتح الجيم ، معناه السوداءُ .

* * *

وأَنشد بعده ، وهو الشاهد الثانى عشر بعد الستِّمائة ، وهو من شواهد سيبويه[3] :

---

(١) ط : « عمرو » ، صوابه فى ش . وقد تقدمت ترجمته فى ٢ : ٢٩٩ — ٣٠٢ . وانظر الشعر والشعراء ٦٨٠ — ٦٨١ .

(٢) ط : « وعمرو » ، صوابه فى ش .

(٣) فى كتابه ١ : ١٠٣ . وانظر العينى ٣ : ٦١٧ وديوان رؤبة ١٥ .

٦١٢ (الحَزْنُ باباً والعَقُورُ كَلْبَا)

على أنّه كناية عن البخل ، كما أن جبان الكلب كناية عن الجود.

وأنشده سيبويه على أنّ نصب باب وكلب على حَدِّ الحسنِ وجهاً .

صاحب الرجز

والبيت من رجز لرؤبة بن العجاج . وقبله :

* فذاك وخْمٌ لا يبالى السَّبَّا *

والوخْم : الثقيل . يقول : ذاك من الرجال وخمٌ ثقيل لا يرتاح لفعل المكارم ، ولا يَهشُّ للجود ، ولا يبالى أن يُسَبَّ ، ويرى المال أَحَبَّ إليه من عِرضه .

و(الحزن) بفتح الحاءِ المهملة وسكون الزاى : صفة مشبَّهة ، وهو خلاف السَّهل . وكذلك (العقور) صفة مشبهة . قال الأزهرى : الكلب العقور : هو كلُّ كلب يَعقِر ، من الأَسَد والفَهْد والنَّمر والذئب . يقال عَقَر الناسَ عقراً ، من باب ضرب ، أى جرحهم ، فهو عقور ، والجمع عُقُرٌ مثل رسول ورُسُل . و (باباً) و (كلباً) تمييزان .

وصف رؤبة رجلاً بشدَّة الحجاب ومنْع الضَّيف ، فجعل بابه حزناً وثيقاً لا يُستطاع فتحه ، وكلبَه عقوراً لمنْ حلَّ بفنائه طالباً لمعروفِهِ . يقول : إنَّ من أتاه لقِىَ قبل الوصول إليه مايكره من حاجب أو بوَّابٍ أو صاحب . وجعل له كلباً على طريق الاستعارة ، كما يكون فى البادية .

وترجمة رؤبة تقدَّمت فى الشاهد الخامس من أول الكتاب[1] .

* * *

(١) الخزانة ١ : ٨٩ - ٩٣ .

وأنشد بعده :

(لحافِى لحافُ الضَّيف والبُرد برُده)

على أنَّ اللام فى قوله و « البرد » بدل من الضمير، والتقدير : وبردى برده .

وهذا صدرٌ وعجزه :

(ولم يُلهنى عنه غزالٌ مقنَّعُ)

وقد تقدَّم شرحه فى الشاهد الثالث والتسعين بعد المائتين[1] .

* * *

وأنشد بعده :

(رحيبٌ قِطابُ الجيبِ منها)

تمامه :

(. . . . . رفيقةٌ بجسِّ الندامى بَضَّة المتجرِّدِ)

على أن رحيبٌ مضاف إلى قطاب ، وقطاب مضاف إلى الجيب .

وتقدَّم الكلام عليه فى الشاهد الحادى بعد الثلثمائة من باب الإضافة[2] . والرِّواية الصحيحة تنوين رحيبٌ ورفع قِطابُ على الفاعلية . وضمير منها لقَيْنة فى بيت قبله .

و (الرحيب): الواسع . و (قِطاب الجَيْب) : مجتَمَعُه حيث قُطِب، أى جُمع ، وهو مَخرج الرأس من الثَّوبِ . وإنَّما وصف قطاب جيبها بالسَّعة لأنَّها كانت توسِّعه ليبدوَ صدرُها فيُنظَر إليه ويُتلذَّذ به . ورفيقة

(١) الخزانة ٤ : ٢٥١ - ٢٥٥ .
(٢) الخزانة ٤ : ٣٠٣ - ٣٠٧ .

بالفاءِ ثم القاف : الملائمة واللِّينة . (والجَسُّ) بفتح الجيم : اللمس . و (بضَّة) : ناعمة رقيقة. والمراد بالمتجرِّدِ حيث يتجرَّد من بدنها، أى يُعَرَّى من الثوب ، وهو الأَطراف . وخصَّه بالذكر مبالغةً فى نعومتها ؛ لأَنَّه إذا كان ما تصيبه الرِّيحُ والشمس والبرد من اليدين والرجلينِ بَضًّا ناعمًا رقيقًا، كان المستتر بالثياب أَشدَّ بضاضة ونعومة . وهذا هو المعنى الجيِّد بخلاف ما أَسلفناه هناك تبعاً لشرَّاح المعلقات ، وهو قولنا المتجرَّد : ما ستره الثياب من الجسَد، أَى هى بضَّة الجسم عند التجريد من ثيابها . ولا يخفى ضعفه وركاكته . وهذا المعنى لاحَ لنا والله الحمد.

والبيت من معلَّقة طرَفة بن العبد ، وتقدَّمت ترجمته فى الشاهد الثانى والخمسين بعد المائة[1] .

(١) الخزانة ٢ : ٤١٩ - ٤٢٥ .

أفعل التفضيل

أَنشد فيه ، وهو الشاهد الثالثَ عَشرَ بعد السّمائة[(١)] :

(أَبيضُ من أُختِ بنى أَبَاضِ)

على أنَّ الكوفيِّين أجازوا بناء أفعل التفضيل من لفظَىِ السَّواد والبياض كما هنا ، وهو شاذٌ عند البصريين .

قال شارح اللباب : أجاز الكوفيون التعجُّب من السَّواد والبياض لأَنَّهما أُصول الأَلوان . وأَنشدوا :

إذا الرجالُ شتَوْا واشتدَّ أُكلهمُ　　فأَنتَ أَبيضهُم سِربالَ طبَّاخِ[(٢)]

وأَنشدوا أَيضاً :

جاريةٌ فى دِرعها الفَضْفاضِ　　أَبيضُ من أُختِ بنى أَباضِ

وجاء فى شعر المتنبى :

* لأَنْتَ أَسودُ فى عينى من الظُّلَمِ[(٣)] *

وقالوا : لمَّا جاء منهما أَفعل التفضيل جاء بناءُ التعجب . والاستشهادات ضعيفة ، لأَنَّها من ضرورة الشعر لا فى سَعَة الكلام ، فيكون نادرًا .

---

(١) أمالى المرتضى ٢ : ٣١٧ والإنصاف ١٤٩ والجمل ١١٥ وابن يعيش ٦ : ٩٣ / ٧ : ١٤٧ وملحقات ديوان رؤبة ١٧٦ .

(٢) لطرفة بن العبد فى ديوانه ١٥ . وانظر معجم الشواهد .

(٣) من قصيدته التى مطلعها فى الديوان ٢ : ٣٠٠ :

ضيف ألم برأسى غير محتشم　　والسيف أحسن فعلا منه باللمم

وهو التالى لهذا المطلع . وصدره :

* أبعد بعدت بياضاً لا بياض له *

والبيت هو الشاهد ٦١٤ فيما سيأتى .

وقولهم : إنّهما أَصلان للأَلوان ممنوع ، وبعد تسليمه فدليلُ المنع قائمٌ فيهما وإن كانا من أُصول الأَلوان .

وقال أَيضاً فى آخر الكتاب : هذه الأَبيات ليست بحجّة للشُّذوذ ، مع أَنَّه يحتمل أَن يكون أَبيض فى البيتين أَفعل الذى مؤنثه فعلاء ؛ فلا يكون للتفضيل ، فكأَنَّه قال : أَنت مبيضُّهم . وانتصب سربال على التمييز . وكذا البيت الآخَر لا يكون بالتفضيل[1] أَيضاً ، بل معناه مبيضَّة هى من أُخت بنى أَباض . انتهى .

٤٨٢ وهذا محصَّل كلام ابن الأَنبارى (فى مسائل الخلاف) وقال : الأَبيات ضرورة ، أَو أَبيض فيهما أَفعل الذى مؤنثه فعلاءُ ، لا الذى يراد به المفاضلة ، فكأَنَّه قيل فى الأَول : مبيضُّهُم، وفى الثانى : جسَدٌ مبيضٌ من أُخت بنى أَباض ، ويكون من أُخت فى موضع الصفة[2] .

وقال ابن يعيش (فى باب التعجب) : فإن قيل : لو كان الأَمر كما قلتم لقيل بيضاءُ ، لأَنَّه من صفة الجارية . قيل : إنَّما قال أَبيض لأَنَّه أَراد فىدرعها الفضفاض جسدٌ أَبيض ، فارتفاعه بالابتداءِ، والجارّ والمجرور قبله الخبر ، والجملة من صفة الجارية . انتهى .

وكذا صنيع الشريف المرتضى (فى أَماليه الغرر والدرر) وزاد فى البيت الأَوَّل أَنَّ أَبيض وإن كان فى الظاهر عبارةً عن اللَّون فهو فى المعنى كناية عن اللُّؤم والبُخل ، فحمل لفظ التعجُّب على المعنى دون

(١) ش : « للتفضيل » .

(٢) فى الإنصاف : « ويكون من أخت هنا فى موضع رفع ، لأنها صفة لأبيض ، كأنه قال : أبيض كائن من أخت ، كقولهم : أنت كريم من بنى فلان » .

اللفظ . ولو أنّه أراد بأبيضهم بياضَ الثّوب ونقاءَهُ على الحقيقة لما جاز أن يتعجَّب بلفظ أفعل . فالذى جوَّز تعجُّبه بهذه اللفظة ما ذكرناه .

هذا كلامه ، ولا يخفى أنَّ البياض لم يُستعمل قطُّ فى اللؤم والبخل ، وإنَّما استعماله فى المدح ، وإنّما كان هنا ذمًّا بالنسبة إلى الطبَّاخ . والكلمة فى البيت أَفعل تفضيل لا تعجُّب. وهذا ظاهر. ولما كان الظاهر باقتضاء المعنى أنَّ أفعل فى الأَبيات الثلاثة للتفضيل لم يتعسَّف الشارح المحقق فى تأْويلها بإخراجها عن التفضيل ، بل أَجاب بأَنَّها من قبيل الشُّذوذ وضرورة الشِّعر . فللّه دَرُّه ما أَبعد مرماه ، وما أَحكم مغزاه !

وأغرب ما رأيته قولُ بعضهم : شبَّه كثرة أولادها لغيرِ رِشدةٍ بالبَيْض . وأَبيضُ بمعنى كثيرِ البيض جائزٌ . هذا كلامُه ولا وجه له .

وقال ابن يعيش (فى باب أفعل التفضيل) : من اعتلَّ بأَنَّ المانع من التعجُّب من الألوان أَنَّها معانٍ لازمة كالأَعضاءِ الثابتة ، نحو اليَدِ والرجل ، فهذان البيتان شاذَّان قياساً واستعمالاً عنده . ومنَ علَّل بأَنَّ المانع من التعجُّب كونُ أفعالها زائدة ، فهما شاذَّان عند سيبويه وأَصحابِه من جهة القياس والاستعمال . أَمَّا القياس فإن أَفعالها ليست ثلاثيَّة على فعَلَ ولا على أَفعل ، إنَّما هو افعلَّ وافعالَّ . وأَما الاستعمال فأَمره ظاهر . وأَمَّا عند أَبى الحسن الأَخفش والمبرِّد فإنَّهما ونحوَهما شاذَّانِ من جهة الاستعمال ، صحيحان من جهة القياس ، لأَنَّ أَفعالهما بزيادة ، فجاز تقدير حذف الزوائد . انتهى .

صاحب الشاهد

قال ابن هشام اللخميُّ (فى شرح أَبيات الجمل) : البيت الشاهد من رجز لرؤبة بن العجَّاج . وقبله :

لقد أتى فى رمضانَ الماضى جاريةٌ فى دِرعها الفَضفاضِ
تُقَطِّعُ الحديثَ بالإيماض أَبيضُ من أُختِ بنى أَباضِ

قال : كذا أنشده ابن جنى . انتهى .

ولم أره فى ديوانه . ورأيت (فى نوادر ابن الأعرابىّ) ، ولم ينسبه إلى أحد :

ياليتَنى مثلُكِ فى البياضِ أَبيضُ من أُخت بنى أَباضِ
جاريةٌ فى رمضَانَ الماضى تُقطِّعُ الحديثَ بالإيماضِ

قال ابن السِّيد واللخمى : وزاد غير ابن الأعرابى على هذا :

مثلُ الغزال زينَ بالخِضَاضِ قَبَّاءُ ذات كَفَلٍ رضراضِ ٤٨٣

قال ابن الأَعرابى بعد الإنشاد : إذا أَومضَتْ تركُوا حديثَهم ونظَروا إليها من حُسْنها . وقوله « فى رمضان الماضى » كان الربيع جمَعَهم فى ذلك الوقت .

وأورده الفراءُ (فى كتاب الأَيَّام والليالى) شاهدًا على أنه يقال رمضان بدون شهر ، كما يقال معه .

وقال أَبو عُمر الزاهد المطرِّزى ، الشهير بغلام ثعلب (فى كتاب اليوم والليلة) بعد إنشاد الأَبيات عن ابن الأَعرابى وعن الفراء ، قالا : يقال هذا شهر رمضان ، وهذا رمضان ، بلا شهر . وأنشد فيمن قال بلا شهر :

* جاريةٌ فى رَمضانَ الماضى *

وأَخبرنا ثعلب عن سَلمة عن الفرَّاءِ عن الكسائى ، قال : كان

الرُّؤاسىُّ يكره أن يُجمَع رمضان ، ويقول : بلغنى أنه اسمٌ من أَسماءِ الله تعالى . انتهى .

وقال اللَّخمى : قال أَبو عمرو : والعرب تركوا الشُّهور كلَّها مجرّدةً إلا شهر ربيع وشهر رمضان. ويَرِدُ عليه أَنَّ رؤبة أَتى برمضان هنا مجرَّداً من الشَّهر ، وهو من فُصَحاءِ العرب . وجاءَ فى الحديث الصحيح : « من صامَ رمضان إيماناً واحتساباً غُفِر له ما تقدَّم من ذنبه[1] » . ولكنَّ إِثبات الشهرِ أَفصح ، كما نطق به القرآن . انتهى .

والدِّرع : القميص . والفضفاض : الواسع . و (أُخت بنى أَباض) بفتح الهمزة بعدها موحَّدة، قال اللخمىُّ : معروفة بالبياض . وقال ابن السِّيد : وبنو أَباضٍ قوم . والخضاض بكسر المعجمة[2]: اليسير من الحَلْى وقيل هو نوعٌ منه . قال الشاعر :

ولو أَشرقَت من كُفَّة السِّترِ عاطلاً
لقُلتَ : غزالٌ ما عليه خِضاضُ[3]

والقبَّاءُ : الضامرة البطن ، فَعْلاءُ من القبَب ، وهو دقَّة الخَصْر . والرضراض ، بالفتح : الكثير اللحم :

وقوله : « تقطِّع الحديث » . إلخ أَورده ابن هشام (فى المغنى) مع قوله :

* جارية فى رمضان الماضى *

---

(١) حديث صحيح رواه أحمد وأبو داود والترمذى والنسائى وابن ماجه . الجامع الصغير ٨٧٧٥ .

(٢) ضبط فى القاموس كسحاب . ونحوه فى اللسان .

(٣) بدون نسبة فى تهذيب اللغة ٢ : ١٦٥ / ٦ : ٥٤٩ واللسان (خضض ، عطل) . وهو من إنشاد القنانى . وفى ط : « لو أشرقت » بالخرم وبالقاف ، صوابه فى ش والتهذيب واللسان .

وقال : إنَّ تقطِّع حكايةٌ للحالِ الماضية . وقال الفراءُ : إنَّها إذا تبسَّمت وكان الناس علىحديثٍ قطعوا حديثَهم ونظروا إلى حُسن ثغرها . وكذلك قال ابن السِّيد : الإيماض ما يبدو من بياض أَسنانها عند الضَّحك والابتسامِ . وشبَّهه بوميض البرق . وقد بيَّن ذلك ذو الرمة بقوله :

وتَبْسَمُ لمحَ البرقِ عن متوضِّحٍ
كَلونِ الأَقاحِي شافَ أَلوانَه القَطْرُ [1]

وقال آخر :

كأَنَّ وميضَ البرقِ بيني وبينهـا
إذا حـانَ من بعض البُيـوت ، ابتسامُها [2]

وقال اللَّخمى : معنى الإيماض أَنَّهم إذا تحدَّثوا فأَومضَتْ إليهم ، أى نظرتْ ، شغلهم حسنُ عينيها فقطَّعوا حديثهم . وقيل : الإيماض هنا التبسُّم . شبَّه ابتسامَها بوميض البرق فى لمعانه ، فيكون معناه كمعنى القول الأَوَّل . ويحتمل أَن تكون هى المحدِّثة وأَنَّها تقطِّع حديثها بالتبسُّم. يصفها بطلاقةالوجه وسَماحة الخلق ، كما قال ذو الرمة :

يُقطِّع موضوعَ الحديث ابتسامُها تقطُّعَ ماءِ المزن فى نُزَفِ الخمرِ [3]

واقتصر الدَّمامينى (فىالحاشية الهندية) فى تفسير الإيماض على

---

(١) فى الديوان ٢١٣ : « كنور الأقاحى شاف ألوانها القطر » . شافه : جلاه .

(٢) نحوه قول ذى الرمة فى ديوانه ٦٤٢ :

أسيلة مجرى الدمع هيفاء طفلة شموس كإيماض الغمام ابتسامهـا

(٣) الموضوع : الخافت المنخفض . والنزف : القليل من الماء والخمر ، واحدته نزفة بالضم . ط : « ترف » بالتاء ، صوابه فى ش مع أثر تصحيح ، والديوان ٢٦٤ واللسان (نزف) . وفى أساس البلاغة : « فى نطف الخمر » .

٤٨٤ قول اللخمى أوّلاً ، ولكنَّ قوله : يجوز رفع جارية على أنَّها خبر مبتدإ محذوف ، أى محبوبتى جارية ، ويجوز جرُّها بربَّ محذوفة . انتهى غيرُ جيِّد .

قال اللخمى : جارية فاعل يأتى الواقع فى البيت الذى قبل هذا ، والفضفاض نعتٌ للدِّرع ، وأبيض نعتٌ للجارية . انتهى .

والعجب من غلام ثعلب حيثُ قال بعدما نقل تفسيرَ الفراء للإيماض : هذا خطأٌ لأنَّ الإيماض لا يكون فى الفم ، إنَّما يكون فى العَينين ، وذلك أنَّهم كانوا يتحدَّثون ، فنظرتْ إليهم واشتغلوا بحسن نظرها عن الحديث ومَضَتْ . انتهى .

ويردُ عليه ما تقدَّم ، وقولُ المبرِّد (فى الكامل) عند قول الشاعر [1] :

لا أُحِبُّ النديمَ يُومض بالعيـــ ـنِ إذا ما انتشى لِعرسِ النَّديمِ

قال : الإيماض تفتُّح البرق ولمحه ، يقال : أومضت المرأةُ [2] إذا ابتسمت . وإنَّما ذلك تَشبيهٌ للمعِ ثناياها بتبسُّم البرق . فأراد أنَّه فتح عينَه ثم غمَّضَها بغمزٍ . انتهى .

وأما قوله : « إذا الرِّجال شتَوْا » إلخ فهو من أبياتٍ لطرفة بن العبد ، هجا بها ملك الحيرة عَمرو بن هند . ويروى كذا :

أنت ابنُ هندٍ فأَخبِرْ من أبوك إذَنْ
لا يُصلح الملكَ إلاَّ كــلُّ بذَّاخ

(١) الكامل ٧٣ ليبسك والعقد ٦ : ٣٤٤ . وفى البيان ٣ : ٣٤٧ : « وقال بعضهم لزائر له ورآه يومئ إلى امرأته ، وهو أبو عطاء السندى » . وفى الأغانى ١٦ : ٨٤ مع هذه النسبة أيضاً أن الزائر كان يلاحظ جاريته .

(٢) ط : « البرق » ، صوابه فى ش والكامل .

إن قلت نصرٌ فنصرٌ كان شرَّفنِي
قِدْماً وأبيضَهم سربالَ طبَّاخِ
ما فى المعالى لكم ظلٌّ ولا ورَقٌ
وفى المخازى لكم أسناخُ أسناخِ

مع أبيات[1] أُخر .

قال ابن الكلبي : هذا الشعر منحول .

وقوله : « واشتدَّ أُكلهم » أراد بالأُكل القوت ، وهو مضموم الهمزة ، أى غلت أسعارهم . ومن روى « أَكلهم » بفتح الهمزة جعل الأَكل بمعنى المأْكول ، وقد يكون معناه أنَّهم إذا شتَوْا لا يجدون الطَّعامَ إلاَّ بعد جهد وشدَّة وجُوع ، فإذا وجدوه بالغُوا فى الأَكل . ومن روى : «أُكَّلُهم» بضم الهمزة وتشديد الكاف فهو جمع آكل ، وهو راجعٌ إلى المعنى الذى قدَّمت آنفاً . والسِّربال : القميص . يقول : إذا دخل فصلُ الشتاءِ الذى يمنع من التصرُّف ، وانقطعت المِيرةُ وغَلت الأَسعار ، واشتدَّ القُوت فسِربال طبَّاخك نقىٌّ للؤمك . ولو كنتَ كريماً لاسودَّ لكثرة طبخه ، على ما عُهِد من سربال الطبَّاخين . وهذا ضدُّ قول مِسكينٍ الدَّارمى :

كأَنَّ قدورَ قومِى كلَّ يوم ... قِبابُ التُّركُ مُلْبَسةَ الجِلالِ
كأَنَّ الموقِدينَ لها جِمالٌ ... طلاها الزِّفتَ والقَطِرانَ طالى
بأَيديهمْ مغارفُ من حديدٍ ... أُشبِّهها مقيَّرَةَ الدَّوالى

وأنشد ابن السكيت (فى أبيات المعانى) بيت طرفة .

ومثله قول الآخر :

---

(١) الأبيات كلها خمسة فى ديوان طرفة ١٥ قازان .

ثيابُ طُهاتكَ عند الشِّتـا ءِ بيضٌ تـلألأُ لا تَدْنَسُ

وقدرُك لم يَغْـرُها طـارقٌ وكَلْبُـك منجَحِـرٌ أخرسُ

قال : كلبه ينجَحر لأنَّه لا يأْتيه طارق ، ولا يكون فى مكان يأْتيه فيه .

* * *

وأَنشد بعده ، وهو الشاهد الرابعَ عشرَ بعد السِّتِّمائة [1] :

٦١٤ (لأَنتَ أَسودُ فى عينى من الظُّلَمِ)

لما تقدَّم قبله ، من أَن أَسود أَفعل تفضيل من السَّواد ، جاءَ على الشذوذ .

٤٨٥ والمعنى عليه ، لأَنَّ الغرضَ كونُ بياض الشَّيب فى نظره أَشدَّ من سواد الظلم ، مبالغةً فى كراهة الشيب .

وهو عجزٌ ، وصدره :

(ابعَدْ بعِدْتَ بياضاً لا بياضَ له)

والبيت ثانى بيتٍ من قصيدةٍ لأَبى الطيِّب المتنبِّى ، قالها فى صباه . وقبله وهو مطلعها :

(ضيفٌ أَلمَّ برأْسى غيرَ مُحتَشِمِ والسَّيفُ أَحسنُ فعلاً منه باللِّمَمِ)

وتقدم بيتٌ منها فى باب الحال .

قال الإمام الواحدى (فى شرح ديوان المتنبى): جميع من فسَّر هذا الشعر قال فى قوله :

---

(١) أمالى ال[illegible]ضى ٢ : ٣١٧ ودرة الغواص ١٨ والمغنى ٥٤٣ وديوان المتنبى ٢ : ٣٠٠ .

* لأَنت أَسودُ فى عينى من الظُّلَمِ *

إنَّ هذا من الشاذِّ الذى أَجَازَهُ الكوفيون ، من نحو قوله :

* أَبيضُ من أُختِ بنى أَباضِ *

وسمعت العَرُوضى[1] يقول : أَسود ههنا : واحدُ السُّود . والظُّلَمُ : الليالى الثلاث فى آخر الشهر ، التى يقال لها « ثلاثٌ ظُلَمٌ » . يقول لبياضِ شيبهِ : أَنت عندى واحدٌ من تلك الليالى . على أَنَّ أَبا الفتح قد قال ما يقارب هذا . وقد يمكن أن يكون « لأَنت أَسود فى عينى » كلاماً تامًّا ، ثم ابتدأَ يصفه فقال : « من الظلم » ، كما يقال هو كريمٌ من أَحرار . وهذا يقارب ما ذكره العروضى ، غير أَنَّه لم يجعل الظُّلم الليالىَ فى آخر الشهر . انتهى .

وهذا التأْويل محصِّل للمبالغة المذكورة بجعل الأَسود من أفراد الليالى الحنادس ، مع تفصِّيهِ من الشذوذ .

وقد مشى على هذا التأْويل جماعةٌ ، منهم الشريف المرتضى (فى أماليه) ، قال : لأَنت أَسود فى عينى كلام تام ، ثم قال من الظُّلَمِ ، أَى من جملة الظُّلم ، كما يقال حرٌّ من أَحرار ، ولئيم من لئام ، أَى من جملتهم . قال الشاعر :

وأَبيضُ من ماءِ الحديد كأَنَّه شهابٌ بدَا ، والليلُ داجٍ عساكرُه

---

(١) العروضى هذا شيخ الواحدى ، وهو أبو الفضل أحمد بن محمد بن عبد الله بن يوسف العروضى الصفار الشافعى ، حدث عن الأصم وأبى منصور الأزهرى ، وتخرج به جماعة من الأئمة منهم الواحدى . وأنفق عمره على مطالعة العلوم وتدريس مؤدبى نيسابور . ولد سنة ٣٣٤ ومات بعد سنة ٤١٠ . بغية الوعاة ١٦٠ وتتمة اليتيمة ٢ : ٢٣ .

كأنه قال : وأبيض كائن من ماءِ الحديد . فقوله « من ماءِ الحديد » وصفٌ لأبيض ، وليس يتَّصل به كاتصال من بأفضل فى قولك : هو أفضل من زيد ، وكذلك من الظلم فى بيت المتنبى .

ومنهم الحريرى (فى درَّة الغوَّاص) قال : وقد عِيب على المتنبى هذا البيت . ومَن تأوَّل له فيه جعل أسود هنا من قبيل الوصف المحض الذى تأْنيثُه سوداءُ ، وأخرجه عن حيِّز أفعل التفضيل ، ويكون على هذا قد تمَّ الكلام فى قوله : لأنت أسود فى عينى ، وتكون من [التى[1]] فى قوله من الظلم لتبيين جنس السَّواد ، لا أنَّها صِلة أسود .

ومنهم ابن هشام (فى المغنى) قال : علَّقَ بعضُهم من بأسود ، وهذا يقتضى كونه اسمَ تفضيل ، وذلك ممتنعٌ فى الألوان . والصحيح أنَّ من الظُّلم صفة لأسود ، أى أسود كائن من جملة الظُّلم . وكذلك قولُه أيضاً :

يلقاك مرتدياً بأحمر من دمٍ ذهبتْ بخُضرته الطُّلَى والأكبُدُ[2]

من دم إمَّا تعليل ، أى أحمر من أجل التباسه بالدم ، أو صفة. كأنَّ السيف لكثرة التباسه بالدم صار دماً .

وقوله : (ابعَدْ) هو بكسر الهمزة وفتح العين أمرٌ من بَعِدَ يبعَد ، من باب فرح ، بمعنى هلك وذلّ . قال الواحدى : وعنَى بالبياض الأوَّل الشَّيب. يقول : يا بياضاً ليس له بياض ! يعنى به معنَى قولِ أبى تمَّام :

له منظرٌ فى العين أبيضُ ناصعٌ ولكنَّه فى القلب أسودُ أسفعُ

---

(١) زيادة من ش لم ترد فى درة الغواص ١٨ .

(٢) البيت للمتنبى فى ديوانه ١ : ٢١٠ . يقول : ذهبت بسواد حديده دماء الأعناق والأكباد .

وقال الشريف المرتضى قُدِّس سرُّه : المعنى الظاهر للناس فيه أَنَّه أَراد لا ضياءَ له ولا نورَ ولا إشراق ، من حيث كان حلوله محزِناً مؤذناً بتقضِّى الأَجل . وهذا لَعمرِى معنًى ظَاهر ، إِلَّا أَنَّه يمكن فيه معنًى آخر وهو يريد : إِنَّك بياضٌ لا لونَ بعده ، لأَنَّ البياض آخر أَلوان الشعر ، فجعل قوله لا بياض له بمنزلة قوله لا لون بعده . وإِنَّما سوَّغ ذلك له أَنَّ البياض هو الآتى بعد السَّواد ، فلمَّا نَفَى أَن يكون للشيب بياضٌ كان نفْياً لأَنْ يكون بعدهُ لون . انتهى .

٤٨٦

وبياضاً : تمييز محوَّل عن الفاعل ، والعرب تكنى بالبياض عن الحُسْن ومنه يد بيضاءُ . أَى أَهلك الله مَن لا بياضَ له . والظُّلَم : جمع ظُلمة بمعنى الظلام ، ويكون اسماً لثلاثِ ليالٍ من آخر الشَّهر .

وقوله : « ضيفُ أَلَمَّ برأْسى » إلخ ، قال الواحدى : عنَى بالضَّيف الشَّيب ، كما قال الآخر :

أَهلاً وسهلاً بمَضِيفٍ نَزَلْ أَستودعُ الله أَليفاً رحَلْ

يريد الشَّيب والشباب . والمحتشم : المتقبِّض والمستَحِى . يريد أَنَّ الشيب ظهر فى رأْسه شائعاً دفعةً من غير أَن يظهر فى تراخ ومُهلة . وهذا [1] معنى قوله : « غير محتشم » . ثم فضَّلَ فِعلَ السَّيف بالشعر على فعل الشَّيب لأَنَّ الشيب يبيِّضه ، وذاك أَقبح أَلوان الشعر ، ولذلك سُنَّ تغييره بالحُمرة ، والسَّيف يُكسبه حمرة . على أَنَّ ظاهر قوله : « أَحسن فعلاً منه باللِّمم » يوجب أَنَّ الشعر المقطوع بالسَّيف أَحسن من الشعر الأَبيض بالشَّيب ، لأَنَّ السيف إذا صادفَ الشَّيب قطعه ، وإنَّما يكسبه حمرةً إذا قَطَعَ اللَّحم . وقد قال البحتُرىّ :

(١) ش : « هذا » بدون واو .

وَدِدتُ بياضَ السَّيف يومَ لقينني مكانَ بياض الشَّيب حَلَّ بمَفْرِق

فجعل نزول السيف برأسه أَحبَّ إليه من نزول الشيب . انتهى .

وقد ضمَّن البوصيرىُّ ، صاحبُ البردة ، مطلع المتنبيِّ فقال وأَجاد :

ولا أَعدَّت من الفِعل الجميل قِرَى

ضيفٍ أَلمَّ برأسى غيرَ محتشم

وقد تقدَّمت ترجمة المتنبي فى الشاهد الواحد والأَربعين بعد المائة [1]

* * *

وأَنشد بعده ، وهو الشاهد الخامسَ عشر بعد السّمائة [2] :

٦١٥ (إنَّ الذى سمَكَ السماءَ بَنَى لنا بيتاً دعائمُهُ أَعزُّ وأَطوَلُ)

على أَنَّه يجوز أَن يكون حُذف منه المفضول ، أَى أَعزُّ من دعائم كلِّ بيت أَو من دعائم بيتك .

وعليه اقتصر صاحب المفصَّل واللُّباب .

وقدَّره بعضهم : أَعزُّ من سائر الدعائم . وقال ابن المستوفى : قالوا أَعزُّ وأَطولُ من السَّماء ، على مبالغة الشعراء .

ونقل التِّبريزى (فى شرح الكافية) عن الطِّرِمَّاح أَنَّه قال للفرزدق : ياأَبا فراس ، أَعزُّ ممَّ وأَطول ممَّ؟ فأَذَّن مؤذِّن وقال : الله أَكبر ! فقال الفَرزدق : يالكع أَلم تسمع ما يقول المؤذِّن ، أَكبر ممَّ ذا ؟ فقال : من كلِّ شىء . فقال : أَعزُّ من كل عزيز ، وأَطول من كلِّ طويل . انتهى .

---

(١) الخزانة ٢ : ٣٤٧ - ٣٦٣ .

(٢) ابن يعيش ٦ : ٩٧ ، ٩٩ ، والعينى ٤ : ٤٢ ، ومعاهد التنصيص ٢ : ٣٧ ، والأشمونى ٣ : ٥١ ، وديوان الفرزدق ٤١٧ .

ويجوز أن يكون المحذوف مضافاً إليه ، أى أعزُّ دِعامةٍ وأطولُها .

وبقى احتمالٌ ثالث ، وهو أن يكون أفعل فيه بمعنى فاعل . قال المبرِّد (فى الكامل) : وجائز أن يكون التقدير : دعائمه عزيزة وطويلة .

وبه أورده ابن الناظم وابن عقيل (فى شرح الألفية) .

قال العينى : الاستشهاد فيه أنهما على وزن أفعل التفضيل ، ولكنْ لم يُقصد بهما تفضيل ، فإنَّهُمَا بمعنى عزيزة وطويلة .

٤٨٧ وعمَّم الخلخالى (فى شرح تلخيص المفتاح) فقال : أى من كلِّ شىء ، أو من بيتك يا جرير ، أو من السماء ، أو عزيزٍ طويل .

ونقل أبو حيان (فى تذكرته) عن أبى عبيدة أنه قال : يكون أفعل بمعنى فعيل وفاعل ، غيرَ موجب تفضيلَ شىء على شىء ، كقوله تعالى : ﴿ وهو أهْوَنُ عليه[1] ﴾ ، وبقول الأحوص :

* قسماً إليك مع الصُّدود لأَمْيَلُ[2] *

وبقول الفرزدق :

* بيتاً دعائمه أعزُّ وأطوَلُ *

وبقول الآخر :

تمنَّى رجالٌ أن أموت وإن أَمُتْ فتلك سبيلٌ لستُ فيها بأَوحَدِ[3]

---

(١) الآية ٢٧ من سورة الروم .

(٢) صدره فى ديوانه ١٥٣ :

* إنى لأمنحك الصدود وإننى *

(٣) البيت من أبيات ثلاثة فى أمالى القالى ٣ : ٢١٨ . وانظر شرح المرزوقى لحماسة ١٠١ ، ٩٧٢ . وأشار الميمنى فى الجزء الثالث من سمط اللآلى ص١٠٤ إلى أنها منسوبة فى كتاب الاختيارين للأخفش إلى مالك بن القين الخزرجى . قلت : وهى فى النسخة المطبوعة منه بتحقيق فخر الدين قباوة ص١٦١ .

قال أَبو حيان : وزرَى النحويُّون عليه هذا القولَ ، ولم يسلِّموا له هذا الاختيار وقَالوا : لا يخلو أَفعل من التفضيل . وعارضوا حججه بالإِبطال ، وتأَوَّلوا ما استدَّل به . انتهى .

ونقل الخلافَ ابن الأَنبارى (فى الزاهر) ، قال : قولهم الله أَكبر ، سمعت أَبا العباس يقول : اختلف أَهل العربية فقالوا : معناه كبير ، واحتجوا بقول الفرزدق :

* دعائمه أَعزُّ وأَطولُ *

أَراد : دعائمه عزيزة طويلة . واحتجُّوا بقول الآخر :

* لستُ فيها بأَوحدِ *

وبقول معن :

* لعمركَ ما أَدرى وإِنِّى لأَوْجَلُ *

أَراد: لوَجِلٌ . وبقول الأَحوص :

* قسماً إِليك مع الصدود لأَمْيَلُ *

أَراد: لمائل . واحتجوا بقوله تعالى : ﴿وهو أَهْوَن عليه[٢]﴾ قالوا : معناه هيِّن عليه . وقال الكسائىُّ والفراءُ وهشام : الله أَكبر معناه أَكبر من كلِّ شىءٍ ، فحُذفت مِن لأَنَّ أَفعل خبر . واحتجُّوا بقول الشاعر :

إِذا ما سُتورُ البيتِ أُرخِينَ لم يكنْ
سِراجٌ لنا إِلَّا ووجْهُكَ أَنْوَرُ[٣]

(١) عجزه كما فى الديوان : * على أينا تعدو المنية أول *

(٢) الآية ٢٧ من سورة الروم .

(٣) شرح القصائد السبع لابن الأنبارى ٦٧ ؛ والأزهية للهروى ٢٤٨ .

أَراد : أَنور من غيره . وقالَ معن :

ولا بلغَ المهْـدُونَ نحوَكَ مِدحةً
ولو صَدَقوا إِلَّا الذى فيك أَفضلُ

أَراد: أَفضلُ من قولهم . انتهى .

وقال المبرد (فى الكامل) فى تفسيرقوله تعالى: ﴿يعلمُ السِّرَّ وأَخْفَى[1]﴾ تقديره فى العربية : وأَخفى منه . والعرب تحذف مثلَ هذا فيقول القائل: مررت بالفيل أَو أَعظمَ ، وإِنَّه كالبقَّة أَو أَصغَر[2] . فأَمَّا قوله تعالى: ﴿ وهو أَهْوَنُ عليه ﴾ ففيه قولان : أَحدهما وهو المرضىُّ عندنا إِنَّما هو: وهو عليه هيّن ، لأَنَّ الله جلَّ وعزَّ لا يكون شىءٌ أَهون عليه من شىءٍ آخر . وقال معن بن أَوس :

* لعمرك ما أَدرى وإِنِّى لأَوجَلُ *

أَراد : وإِنِّى لَوَجِلٌ . وكذلك يكون[3] ما فى الأَذان : « اللهُ أَكبر اللهُ أَكبر » ، لأَنَّه إِنَّما يفاضَل بين الشيئين إِذا كانَا من جنس واحد ، فيقال : هذا أَكبر من هذا ، إِذا شاكله فى بابٍ . فأَمَّا: اللهُ أَجود من فلان واللهُ أَعلم بذلك منه ، فوجهٌ بيِّن[4] لأَنَّه من طريق العلم والمعرفة ، والبذل والإِعطاء . وقوم يقولون : الله أَكبر من كلِّ شىءٍ . وليس يقع هذا على

---

(١) الآية ٧ من سورة طه .

(٢) فى الكامل ٤٢٣ : « وإنه لكالبقة أو أصغر » ولو قال : رأيت زيداً أو شبيهاً لجاز ، لأن فى الكلام دليلا . ولو قال : رأيت الجمل أو راكباً وهو يريد عليه ، لم يجز ، لأنه لا دليل فيه . والأول إنما قرب شيئاً من شىء ، وها هنا إنما ذكر شيئاً ليس من جنس ما قبله » .

(٣) فى الكامل : « وكذلك يتأول » .

(٤) الكامل : « فوجهه بين » .

محضِ الرُّؤية[١] لأنَّه تبارك وتعالى ليس كمثله شيء . وكذلك قول الفرزدق :

إنَّ الذى سمَكَ السماءَ . . . البيت

جائز أن يكون[٢] قال للذى يخاطبه : مِنْ بيتك ، فاستغنى عن ذكر ذلك بما جرى من المخاطبة والمفاخرة . وجائز أن يَكون[٣] دعائمه عزيزة طويلة ، كما قال الآخر :

قُبِّحْتُمُ ياآلَ زَيْدٍ نَفَرَا ألأمَ قَوْمٍ أَصْغَرًا وأكبرا[٤]

يريد صغارًا وكباراً . فأمَّا قول مالك بن نويرة فى ذؤاب[٥] بنِ رُبَيِّعة[٦] حيثُ قتل عُتيبة بن الحارث بن شهاب وفخر ببنى أَسد بذلك مع كثرة من قتل بنو يربوع منهم :

٤٨٨

فخرَتْ بنو أسدٍ بمقتل مالك صدَقَتْ بنو أسد ، عُتيبةُ أفضلُ

فإنَّما معناه أفضل ممن قتلوا . على ذلك يدلُّ الكلام . وقد أبانَ ما قلنا فى بيته الثانى بقوله :

فخرَوا بمقتله ولا يُوفِى به مَثْنى سَرَاتِهِمُ الذين نقتِّلُ

والقول الثانى فى الآية : وهو أَهون عليه عندكم ، لأنَّ إعادة الشيء عند الناس أَهون من ابتدائه حتَّى يُجعَل شيءٌ من غير شيء . انتهى

(١) ط : « الروية » ، صوابه فى ش والكامل .

(٢) ط : « يقول » ، صوابه فى ش والكامل .

(٣) ط : « تكون » ، وأثبت ما فى ش والكامل .

(٤) هو الشاهد ٦٢١ فيما سيأتى ص ٢٧٦ .

(٥) ط : « دواد » ، ش : « دؤاد » ، صوابهما فى الكامل وجمهرة ابن حزم ١٩٤ - ١٩٥ والمحبر ٢٢٠ .

(٦) ربيعة ، بهيئة التصغير ، كما فى الجمهرة ، وضبط بالقلم فى الكامل : « ربيعة » بفتح الراء .

وقوله: (سمَكَ السَّماء) إلخ سَمَك بمعنى رفع ، وأراد بالبيت بيت العزِّ والشرف . وقال الخلخالى : المراد بالبيت هو الكعبة ، وقيل هو العزّة . وتبعه العينى والعباسى (فى المعاهد) . قال ابن يعيش : « وأطول » ههنا من الطَّول بالفتح الذى هو فى الفضل ، لا من الطُّول بالضم الذى هو ضدُّ القِصَر . ودلَّ على إرادةِ مِنْ امتناعُه من التصرُّف .

وهذا البيت أورده علماءُ المعانى على أنَّ فيه جعلَ الإيماء إلى وجْه الخَبَر وسيلةً إلى التعريض بالتعظيم لشأنه . وذلك فى قوله إن الذى سَمَك، ففيه إيماءٌ إلى أنَّ الخبر المبنىَّ عليه أمر من جنس الرِّفعة ، بخلاف مالو قيل إنَّ الله ، ونحوه . ثم فيه تعريضٌ بتعظيم بنائه ، لكونه فِعلَ من رفع السماءَ التى لا أرفعَ من بنائها ولا أعظم . قال الخلخالى : وإدراك مثل ذلك يحتاج إلى لطفِ طَبع .

صاحب الشاهد

والبيت مطلع قصيدةٍ عدَّتُها تسعةٌ وتسعون بيتاً للفرزدق[1] يفخر بها على جرير ويهجوه . وبعده :

أبيات الشاهد

(بيتاً بناه لنا المليكُ، وما بَنَى ... حَكَمُ السماء فإنَّه لا يُنقَلُ
بيتاً زُرارةُ محتبٍ بفنائه ... ومُجاشعٌ وأبو الفوارس نَهشلُ
يَلِجونَ بيتَ مجاشع وإذَا احتبَوْا ... برزُوا كأنَّهم الجبالُ المُثَّلُ
لا يَحتبِي بفناء بيتِك مثلهم ... أبداً إذا عُدَّ الفَعَالُ الأفضلُ)

وتقدَّم بعضُ أبيات منها فى باب الظروف فى الشاهد السابع والتسعين بعد الأربعمائة[2] .

---

(١) فى ديوانه ٧١٤ – ٧٢٥ وعدتها مائة وخمسة أبيات ،لا تسعة وتسعون كما ذكر البغدادى هنا ، وما ذكره سابقاً فى ٦ : ٥٣٤ .
(٢) الخزانة ٦ : ٥٣٤ – ٥٣٩ .

و (بيتاً) فى البيتين بالتنوين بدل من الأوّل . وزُرارة بالضمّ هو زرارة بن عُدُس بالضم أيضاً ، ابن زيد بن عبد الله بن دارم . ومجاشع : ابن دارم . ونهشل : ابن دارم. ومُحتبٍ : اسم فاعل من الاحتباء . أراد أنَّهم متمكنون فى بيت العزِّ كتمكُّن المحتبي .

روى صاحبُ الأَغانى بسنده عن سَلمَة بن عيَّاش قال : دخلتُ على الفرزدق السجنَ وهو محبوسٌ فيه ، وقد قال قصيدته :

إنّ الذى سمَك السماءَ بَنَى لنا . . . البيت

وقد أُفحِم وأَجْبَل ، فقلت له : أَلا أَرفِدك ؟ فقال : وهل ذلك عندك ؟ فقلت : نعم . ثمَّ قلت :

بيتاً زُرَارةُ محتبٍ بفنائه . . . البيت

فاستجادَه ، وغاظه قولى فقال لى : ممن أَنت ؟ قلت : من بنى عامر ابن لؤىّ . فقالَ : لئامٌ واللهِ، جاورتُهم بالمدينة فما أَحمَدْتُهم . فقلت: أَلأَم والله منهم قومُك ، جاءَك رسولُ مالك بن المنذر وأَنت سيِّدهم وشاعرُهم فأَخذ بِأُذُنِك يقودك حتَّى حبسك،فما اعترضَه أَحدٌ ولا نصرك. فقال : قاتلك الله ماأَمكرك[1] ! وأَخذ البيت فأَدخله فى قصيدته . انتهى .

و « يلجُون » من الولوج ، وهو الدُّخول . والمُثَّل : جمع مائل ، كركَّع جمع راكع . والفَعال ، بالفتح : الجميل .

٤٨٩ وقد عارضه جريرٌ بقصيدةٍ مثلِها، عدَّتها اثنان وستُّون بيتاً ، منها[2] :

---

(١) فى الأغانى ٢١ : ٨٥ : « ما أكرمك » .

(٢) المألوف فى المناقضات أن تكون المناقضة مطابقة لأختها فى الوزن والقافية . والروى هنا مكسور لا مضموم كروى الفرزدق . والقصيدة فى ديوان جرير ٤٤٢ - ٤٤٨ . وعدتها ثلاثة وستون، لا اثنان وستون .

أَخزَى الذى سمكَ السماءَ مجاشعا

وبنَى بناءَكَ بالحضيضِ الأَسفلِ[١]

إلى أن قال :

وقضَتْ لنا مضرٌ عليك بفَضْلنا وقَضَتْ ربيعةُ بالقضاءِ الفَيصلِ

إنَّ الذى سمك السماءَ بنَى لنا عزًّا علاك فما له من مَنقَلِ

وترجمة الفرزدق وجرير قد تقدَّمت فى أوائل الكتاب[٢]

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد السادسَ عشر بعد السمائة[٣] :

٦١٦ (سَتعلم أَيُّنا للموتِ أَدنَى إذا دَانيتَ لىَ الأَسَلَ الحِرارا[٤])

على أَنّ المفضول محذوف ، والتقدير أدنى من صاحبه . ويجوز أن يكون أَفعل بمعنى اسم الفاعل . أى قريب . ويجوز أن يكون المحذوف مضافاً إليه ، والتقدير : أَقربنا وأَدنانا ، أو أَقرب رجلين منَّا .

صاحب الشاهد والبيت من قصيدةٍ لعنترةَ العبْسىّ ، خاطب بها عُمارة بن زياد العبسىّ ، وتقدَّم شرح أَبياتٍ منها قبل البيتِ فى الشاهد التاسع والستين بعد الخمسمائة من باب المثنى[٥] . وما بعده من الأَبيات لا تعلَّق لها بِه[٦] فلذا تركناها .

(١) فى الديوان : « فى الحضيض » .

(٢) الخزانة ١ : ٧٥ - ٧٨ و ١ : ٢١٧ - ٢٢٣ .

(٣) أمالى ابن الشجرى ١ : ٢٢ وديوان عنترة ١٠٩ .

(٤) ش : « قبله إليه » ، ومعها تعليق للناسخ : « كذا بخط المؤلف ، ولم يظهر معناه وصحح عليه . فتأمل » .

(٥) الخزانة ٧ : ٥٠٧-٥٢١ .

(٦) ط : « لنا به » ، صوابه فى ش .

و (أَدنَى) و (دانيت) فاعَلْتُ ، كلاهما من الدنوِّ وهو القُرب .
قال ابن الشَّجرى (فى أماليه) : أَراد إلى الموت أَدنى ، وإذا دانيت[1] إلىّ الأَسل . فوضع اللام فى موضع إلى ، لأَنَّ الدنوَّ وما تصرَّف منه أَصله التعدِّى بإلى . ومثله فى إقامة اللام مقام إلى قولُ الله سبحانه : ﴿ بأَنَّ ربَّك أوحَى لها[2] ﴾ ، أَى أَوحى إليها . اهـ .

و (الأَسَل) بفتحتين : أَطراف الرِّماح ، وقيل هى الأَسنَّة ، الواحدُ أَسلة بزيادة الهاء . و (الحِرار) بكسر المهملة : جمع حَرَّى ، كعطاشٍ جمع عَطْشى وزناً ومعنى .

يقول لعُمارة العبْسى : ستعلم إذا تقابلْنا ودانيتَ الرماحَ بيننا أَيُّنا أَقرب إلى الموت . أَى إنك زعمت أَنَّك تقتلنى إذا لقيتنى ، وأَنت أَقربُ إلى الموت عند ذلك منِّى .

* * *

وأَنشد بعده ، وهو الشاهد السابعَ عشر بعد السمّائة[3] :

٦١٧ (ولستَ بالأَكثرِ منهم حَصاً وإنَّما العــزَّةُ للــكاثرِ)

على أَنَّ (من) فيه ليست تفضيلية ، بل للتبعيض ، أَى لست من بينهم بالأَكثر حصاً ، إلى آخر ماذكره .

صاحب الشاهد

والبيت من قصيدةٍ للأَعشى ميمون ، فضَّل فيها عامر بن الطفيل عدوَّ الله على علقمة بن عُلاثة الصحابى قبل إسلامه . وتقدَّم شرح أَوائل

---

(١) ط : « إذا » بدون واو . وأثبت ما فى ش وابن الشجرى .
(٢) الآية ٥ من سورة الزلزلة .
(٣) نوادر أبى زيد ٢٥ ، والخصائص ١ : ١٧٥/٣ : ٢٣٤ ، وابن يعيش ٣ : ٦/٦ : ١٠٠ ، ١٠٣ ، ١٠٥ ، والخزانة ١ : ٢٣٠ بولاق عرضاً و ٢ : ١١ ، هارون والمغنى ٥٧٢ والتصريح ٢ : ١٠٤ ، والأشمونى ٣ : ٤٧ ، وديوان الأعشى ١٠٦ .

هذه القصيدة وسببُ تفضيله على عَلقمة ، فى الشاهد الخامس والثلاثين والثلاثين بعد المائتين[1] .

وهذه أبياتٌ منها :

أبيات الشاهد

(إنْ تُرجعِ الحقَّ إلى أهله ... فلستَ بالمُسدِى ولا النائرِ

ولستَ فى السِّلم بذى نائلٍ ... ولستَ فى الهيجاء بالجاسرِ

ولستَ بالأكثر منهم حصاً ... وإنَّما العزة للكاثرِ[2]

ولستَ فى الأثرَينَ من مالك ... ولا أبى بكر أولِى النـاصرِ

همْ هامةُ الحىِّ إذا ما دُعُـوا ... ومالكٌ فى السُّودُد القاهرِ

٤٩٠

سُدت بنى الأحوص لم تَعْدُهم ... وعـامرٌ سادَ بنى عـامرِ

سادَ وألفى قومَـهُ سـادةً ... وكابرًا سادُوك عن كابرِ[3]

فاصبْر على حظِّك مما تـرَى ... فإنَّما الفُلْج مـع الصَّابرِ)

.المسدِى، من السَّدى بالفتح والقصر، وهو ما مدَّ من الثوب . يقال أَسدى الثَّوب ، وسَدَّاه ، وتسدَّاه . والنائر : اسم فاعل من نِرْت الثوب نَيْرًا بالفتح ، ونيَّرته وأنرته : جعلت له نِيراً بالكسر، وهو علمٌ للثَّوب، وهُدبه ولُحمته . وهذا هو المراد هنا . وهذا مثلٌ يضرب فى التبرِّى من الشيء، كقولهم : «لا فى العِير ولا فى النَّفير». وهذا خطابٌ مع علقمة ابن علاثة .

والسِّلم، بالكسر : خلاف الحرب . والنائل بمعنى النوال ، وهو العطاء

---

(١) الخزانة ٣ : ٣٩٨ - ٤٠٣ .

(٢) هذه هى الرواية المشهورة ، وحورت فى ش إلى « منه حصا » . وكلتاهما صحيحة ، فإنه بصدد تفضيل على الرجل أو على قبيلته .

(٣) ط : « مكابر » ، صوابه فى ش والديوان .

والهيجاءُ : الحرب . والجاسر ، بالجيم ، من الجسَارة ، وهى الجراءَة [(١)] والشَّجاعة .

و (الحصا) : العدد ، والمراد به هنا عدد الأَعوان والأَنصار ، وإنَّما أُطلق الحصا على العدد لأَنَّ العرب أُمِّيُّون لا يعرفون الحساب بالقلم ، وإنَّما كانوا يعدُّون بالحصا، وبه يحسُبُون المعدود . واشتقُّوا منه فعلا فقالوا : أَحصيت . و (العِزَّة) : القوَّة والغلبة . قال الدماميني : بهذا المعنى فسَّرها الجوهرى فى البيْت ، ولا مانع من جعلها بمعنى خلاف الذِّلَّة.

أَقول : الجوهرىُّ لم يذكر البيت هنا ، والمعنى الذى ذكره لازمٌ للقوّة والغلبة . و (الكاثر) بمعنى الكثير ، كذا فى الصحاح . ويجوز أَن يكون اسم فاعل من كَثَرْتُهم ، إذا غلبتَهُم فى الكثرة . قال صاحب القاموس: وكاثروهم : غالبوهم فى الكثرة فَغَلبوهم . وعليه اقتصر بعضُ شرَّاح شواهد المفصل ، قال : الكاثر : الغالب ، من كاثرته فكثرته .

و « الأَثرَيْن » جمع أَثرى جمع تصحيح ، بمعنى ذى ثروة وذى ثراءٍ ، أَى ذى عـــدد وكثرةِ مال . قال الأَصمعى : ثَرا القومُ يَثرُون ، إذا كثُروا ونَمْوا .

ومالك هو جدُّ عامر بن الطفيل بن مالك بن جعفر بن كلاب بن ربيعة بن عامِر بن صعصعة . وأَبو بكر : عمُّ جدِّه ، واسمه عُبيد بالتصغير ابن كلاب بن ربيعة المذكور . فأَبو بكر أَخو جعفر بن كلاب . والأَحوص هو جدُّ والدِ علقمة بنِ علاثة ، لأَنَّ علقمة هو علقمة بن عوف ابن الأَحوص بن جعفر المذكور . فالأَحوص ومالكٌ أَخوان ، والطفيل وعوف ابنا عمّ .

---

(١) ش : « الجرأة » .

« والفُلج » بضم الفاء: اسمٌ من فلج الرجلُ على خصمه يَفلُجُ فَلْجا، من باب نصر ، وهو الظَّفر والفوز . وهذا من قبيل التهكُّم .

وقوله : (ولست بالأَكثر منهم حصاً) ظاهره الجمع بين أَل بين من فى أَفعل التفضيل . وجوّزه أَبو عُمَر[1] الجَرْمىُّ فى الشعر . رأَيت (فى نوادر أَبى زيد) عند الكلام على هذا البيت ، قال أَبو عُمَر[2] : هذا يجوز فى الشعر ، يقال أَنت أَكثر منه مالاً وأَنت الأَفضل ، إذا لم تأْت بمن ، فإذا اضطُرَّ الشاعر قال : أَنت الأَفضل منهم . ولا يجوز إِلَّا فى اضطرار . ولو قال: أَنت الأَكبر من هؤلاء، وهو منهم ، لكان معناه أَنت أَكبر منهم . انتهى .

ونسب ابن جنِّى جوازَ الجمع بينهما إلى الجاحظ (فى موضعين من الخصائص) قال فى أَوائله ، فى باب الردِّ على من اعتقد فسادَ علل النحويِّين : يُحكى عن الجاحظ أَنَّه قال : قال النحويُّون إنَّ أَفعل الذى مؤنَّثه فَعْلى لا تجتمع فيه الأَلف واللام ومن ، وإنَّما هو بمن ، أَو بالأَلف واللام . ثم قال : وقد قال الأَعشى : ٤٩١

ولستَ بالأَكثرِ منهم حصًا . . . البيت

رحم الله أَبا عثمان ، أَما إنَّه لو علم أَنَّ مِنْ فى هذا البيت ليست التى تصحب أَفعل للمبالغة ، لضرب عن هذا القولِ إلى غيره ، مما يعلُو فيه قوله ، ويعنو لسدادِهِ وصحَّته خَصمُه .

---

(١) فى النسختين : « أبو عمرو ». صوابه « أبو عمر » ، وهى كنية صالح بن إسحاق الجرمى البصرى ، كما فى كتب التراجم .

(٢) فى النسختين : « أبو عمرو » ، وانظر ما سبق . على أن هذا النص لم يرد فى نوادر أبى زيد .

وكذلك نسب ابن هشام (فى المغنى) هذا القولَ إلى الجاحظ ووهّمه . ومنَع النحاةُ الجمعَ بينهما .

وبيّن ابن جنّى وجهَ المنع (فى أواخر الخصائص) فى باب الامتناع من نقض الفرض ، ومثّل له أمثلة ثم قال :

ومن ذلك امتناعُهم، أى امتناع العربِ ، من إلحاق مِن بأفعل إذا عرّفتَه باللام ، نحو الأحسن منه . وذلك أن (مِن) تُكسب ما يتّصل به من أفعل هذا تخصيصاً مَا . ألا تَراك لو قلت دخلت البصرة فرأيت أفضلَ من ابن سيرين ، لم يسبق الوهمُ إلاّ إلى الحسَن . وإذا قلت الأحسن أو الأفضل أو نحو ذلك فقد استوعبت اللامُ من التعريف أكثرَ ممّا تفيده من حصّتها من التخصيص . وكرهوا أن يتراجعوا بعدما حكموا به من قوّة التعريف إلى الاعتراف بضعفِهِ إذا همْ أتبعوه مِن الدالّةِ[1] على حاجته إليها، وإلى قَدْر ما تفيدهُ من التخصيص المُفاد منه . فأمّا ما ظنّ أبو عثمانَ الجاحظُ من أنّه يدخل على قول أصحابنا فى هذا مِن قول الشاعر :

ولستَ بالأكثر منهم حصا . . . البيت

فساقطٌ . وذلك أنّ مِنْ هذه ليست هى التى تصحب أفعلَ هذا لتخصيصه . انتهى .

ووجّه الشارحُ المحقّق، تبعاً لغيره، ما فى هذا البيت من ظاهر الإشكال بثلاثة أجوبة:

أحدها : أنّ من فيه ليست تفضيلية ، بل للتبعيض ، أى لست من بينهم بالأكثر حَصًا .

---

(١) وصف لمن ، وفى النسختين : « الدلالة » ، صوابه من الخصائص ٣ : ٢٣٤ .

يُحتمل من هذا التقرير[١] أن يكون مرادُه أنَّ الظرف حالٌ من التاء في لستَ ، كما قال ابن جني (في الموضع الثاني من الخصائص) ، وعبارته : ومِن إنَّما هي حالٌ من تاءِ لستَ ، كقولك :لستَ فيهم بالكثير مالًا ، أي لست من بينهمْ وفي جملتهم بهذه الصفة ، كقولك : أنتَ والله من بين الناس حُرٌّ ، وزيد من جملة رَهطِهِ كريم . هذا كلامه .

ويحتمل أن يكون متعلِّقاً بليس كما قال بعضهم ، ونقله ابن هشام (في المغني) . ويردُ عليه شيئانِ : أَحدهما أَنَّ ليس لا تدلُّ على الحدَث[٢] ، فلا تعمل في الظرف . وثانيهما : لزوم الفَصْل بين أَفعل وتمييزه بالأَجنبيّ .

وأجاب ابن هشام (في المغني) عن الأَوَّل بأَنَّ الظرف يجوز تعلُّقه بما فيه رائحةُ الفعل ، وفي ليس رائحة النفي . وعن الثاني بأَنَّ الفصل قد جاءَ للضَّرورة في قوله :

* ثلاثون للهجر حولاً كميلا[٣] *

وأفعل أقوى في العمل من ثلاثون . انتهى .

وزاد ابن يعيش (في شرح المفصل) قال : ويجوز أن يكون متعلِّقاً بالأَكثر على حدِّ ما يتعلق به الظَّرف ، لاعلى حدِّ: هو أفضل من زيد، كأَنَّه قال : ولست بالأَكثر فيهم ، لأَنّ أَفعل بمعنى الفعل أَظهر منه في ليس ، يدلُّ على ذلك نصب الظَّرف في قوله :

(١) ط : « التقدير » .
(٢) ط : « الحديث » ، صوابه في ش :
(٣) هو الشاهد ٢١٦ في الخزانة ٣ : ٢٩٩ . وصدره :
* على أنني بعد ما قد مضى *

فإنّا رأينا العِرضَ أحوجَ ساعةً
إلى الصَّونِ من ريطٍ يمانٍ مسهَّمِ [١]

ألا ترى أنَّ الظرف هنا لا يتعلَّق إلّا بأحوج ، وتعليق الظرف بليس ليس بالسَّهل ، لجريه مجرى الحروف . انتهى .

ولو جُعل الظَّرف حالاً من الضمير فى أكثر لاستغنى عن هذا .

٤٩٢ والأكثرون على أن مِن هنا للبيان . قال أبو حيان : من فى البيت للبيان لا للتفضيل ، والمفضَّل عليه معلومٌ من العهد . وبيان ذلك : أنَّك تقول لمخاطَبك : زيد أفضل من عمرو ، ثم تقول له بعد ذلك : زيد الأفضلُ من تميم ، فمِن هنا للبيان ، أى إنّ زيدًا الذى هو أفضل من عمرو هو من تميم . ولك أن تجمع بينهما فتقول : زيد أفضل من عمرو من تميم . انتهى .

وعلى هذا فالظرفُ حالٌ لا غير .

وقال بعضهم : من هنا بمعنى (فى) ، ويتعلَّق بالأكثر . نقله شارح أبيات الموشَّح .

وهذا كلُّه جوابٌ واحد لإخراج مِنْ مِنَ التفضيل ، لا أجوبةٌ متعدِّدة كما زعم العينى . غاية ما فى الباب الذاهبون إلى إخراجها من التفضيل اختلفوا فى معناها .

(١) لأوس بن حجر . وهو الشاهد ٦١٩ فى ص ٢٩٣ .

الجواب الثانى : أَنَّ اللام زائدة ، ومن تفضيلية . وهذا الجواب لأَبى زيد (فى نوادره) .

الثالث : أَنَّ مِن تفضيلية لكنَّها متعلِّقة بأَفعلَ آخر عارياً من اللام ، أى بالأَكثر أَكثر منهم . فأَكثر المنكَّر المحذوف بدلٌ من الأَكثر المعرَّف المذكور. وإنَّما ضعَّفه بقوله « على ماقيل » ، لما ذكره فى باب البدل من أَنَّ النكرة إذا كانت بدل كلٍّ من معرفة يجب وصفُها ، وليس هنا وصف .

هذا والراوية الصحيحة فى هذا البيت ، كما رواه أَبو زيد (فى نوادره) ، وهى ثابتةٌ فى ديوانه ، ويدلُّ عليها سِياق الأَبيات ، إنما هى : « ولست بالأَكثر منه » ، أى من عامر . وعليها فيسقط الجوابُ الأَوّل ، ويجاب بأَحد الجوابين الأَخيرين .

ولما وصلتُ إلى هنا رأَيت شرحَ المنافرة التى بين علقمة وبين عامر بأَبسط مما مرَّ ، (فى أَوّل شرح المقامات الحريريَّة للشَّريشى) ، فلا بأْس بإيرادِه ، قال :

نافر : حاكمَ فى النَّسب . وكانوا فى الجاهلية إذا تنازع الرَّجلان فى الشرف تنافرَا إلى حكمائهم ، فيفضِّلون الأَشرف . وسميت منافرة لأَنَّهم كانوا يقولون عند المفاخرة : أَنا أَعزُّ نفراً .

منافرة عامر وعلقمة

وأَشهر منافرةٍ فى الجاهلية منافرة عامر بن الطفيل بن مالك بن جعفر بن كلاب[1] مع علقمة بنِ علاثة بن عوف بن الأَحوص

---

(١) ش : « مالك بن كلاب » ، صوابه فى ط وشرح المقامات للشريشى ٢ : ٤٨ .

ابن جعفر ، حين قال له علقمة : الرِّياسة لِجدِّى الأَحوص ، وإنَّما صارت إلى عمِّك أَبى براءٍ من أَجله ، وقد استسنَّ عمُّك[١] وقَعَدَ عنها فأَنا أَولى بها منك ، وإن شئتَ نافرتُك .

فقال له عامر : قد شئتُ والله ، لأَنا أَشرفُ منك حسبًا ، وأَثبَت نسباً ، وأَطول قَصَبا .

فقال علقمة : أَنافرك وإنِّى لبَرٌّ وإنَّك لفاجر ، وإنِّى لولود وإنَّك لعاقر[٢] ، وإنِّى لوافٍ وإنَّك لغادر .

فقال عامر : أَنافرك إنِّى أَسمَى منك سُمَّة[٣] وأَطولُ قِمَّة ، وأَحسن لِمّة ، وأَجعدُ جُمّة ، وأَبعد هِمّة .

فقال علقمة : أَنا جميل وأَنت قبيح ، ولكن أُنافرك ، إنِّى أَولى بالخيرات منك .

فخرجت أُمُّ عامر فقالت : نافِرْه أَيُّكما أَولى بالخيرات . ففعلوا على أَنْ جعلوا مائةً من الإبل يعطيها الحكَمَ الذى يُنفِّر عليه صاحبَه . فخرج علقمة ببنى خالد بن جعفر وبنى الأَحوص ، ومعهما القباب والجُزر والقُدور[٤] ، ينحرون فى كلِّ منزلٍ ويطعمون . وخرج عامرٌ ببنى مالك وقال : إنَّها المقارَعة[٥] عن أَحسابكم ، فاشخصوا بمثل ما شخَصوا

(١) فى شرح المقامات : « وقد أسن عمك » .

(٢) بعده فى شرح المقامات : « وإنى لعف وإنك لعاهر »

(٣) السمة ، بضم السين وتشديد الميم : الخاصة من القوم ، كالسامة أيضاً مقابل العامة . وفى شرح المقامات : « أسنى منى سنة » ولا تستقيم مع السجع . وانظر اللسان (سمم ١٩٥) .

(٤) فى شرح المقامات : « والجزور والقدر » ، وما هو صوابه .

(٥) ط : « لقارعة » ، صوابه فى ش والشريشى .

به . وقال لعمه أبى براءٍ : أعنّى . فقال : سُبَّنى . فقال : كيف أسبُّك وأنتَ عمِّى ؟ فقال : وأنا لا أسبُّ الأحوص وهو عمِّى ! ولم ينهض معه .

فجعلا منافرتَهما إلى أبى سفيان بن حرب بن أُمية ، ثم إلى أبى جهل بن هشام ، فلم يقولا بينهما شيئاً .

٤٩٣ ثم رجَعا إلى هرم بن قُطبة بن سِنَان[1] الفَزارى فقال : نَعمْ لأَحكمنَّ بينكما ، فأَعطِيانى موثِقاً أَطمئنُّ به أَنْ ترضَيا بحكمى وتسلِّما لما قضيت بينكما[2] .

ففعلا فأَقامَا عنده أَيَّاماً . ثم أَرسل إلى عامر فأَتاه سرًّا فقال : قد كنت أَحسب أَنَّ لك رأْياً وأَنَّ فيك خيرًا ، وما حبَستُك[3] هذه المدَّةَ إلا لِتَنصرفَ عن صاحبك . أَتنافر رجلاً لا تفخر أَنت ولا قومُك إلّا بآبائه ، فما الذى أَنت به خيرٌ منه ؟ فقال عامر : نشدتُك اللهَ والرَّحمَ أَن لا تفضِّل علىَّ علقمة ، فوالله لئن فعلتَ لا أُفلح بعدها أَبدًا . هذه ناصيتى فاجزُزْها واحتكمْ فى مالى ، فإنْ كنتَ لا بدَّ فاعلاً فسوِّ بينى وبينه . فقال : انصرفْ فسوفَ أَرى من آرائى[4] .

فانصرف عامر وهو لا يشكُّ أَنه ينفِّره عليه . ثم أَرسل إلى علقمة

---

(١) كذا فى ط وأصل ش ، وفى هامش ش : « بخط المؤلف : سنان ، والصواب سيار » . لكنى أبقيت ماثبت أنه بخط المؤلف حفاظاً على حقه ، مع ظهور الخطأ فيه ، فالصواب « سيار » بالراء ، كما فى شرح الشريشى . ويؤيده مافى الاشتقاق ٢٨٣ وجمهرة أنساب العرب لابن حزم ٢٥٨ . وسبب الالتباس فى هذا مشابهته لهرم بن سنان بن أبى حارثة ممدوح زهير ، فهذا بنونين .

(٢) الشريشى : « وتسلما ماقضيت بينكما » .

(٣) هذا مافى الشريشى والأغانى ، وفى النسختين : « وما حسبتك » ، تحريف .

(٤) الشريشى والأغانى : « فسوف أرى رأيى » .

سرًّا فقال له ما قال لعامر وقال : أتفاخر رجلاً هو ابن عمِّك فى النسب وأَبوه أَبوك ، وهو مع ذلك أَعظمُ منك غَناءً ، وأَحمد لِقاءً ، وأَسمح سماحاً ، فما الذى أَنت به خيرٌ منه ؟ فردَّ عليه علقمةُ ما ردَّ به عامر، وانصرف وهو لا يشكُّ أَنَّه ينفِّر عامرًا عليه .

فأَرسل هرمٌ إلى بنيه وبنى أَخيه وقال لهم : إنِّى قائلٌ فيهم غدًا مقالةً ، فإذا فرغتُ فليطَّرد بعضكم عشر جزائر فلينحرْها عن علقمة ، وليطَّرد بعضكم مثلَها فلينحرْها عن عامر ، وفرِّقوا بين الناس لا يكونوا بينهم جماعةً[١] .

ثم أَصبح هرمٌ فجلس مجلسَه ، وأَقبل عامر وعلقمة حتَّى جلسا ، فقال هرم : « إنَّكما يا ابنى جعفر قد تحاكمتما عندى ، وأَنتما كركبتَى البعير الآدَمِ الفحلِ تقعان الأَرضَ[٢] ، وليس فيكما واحدٌ إلَّا وفيه ما ليس فى صاحبه ، وكلاكما سيِّد كريم » . ولم يفضِّل واحدًا منهما على صاحبه لكيلا يَجلب بذلك شرًّا بين الحيَّين . ونحرَ الجُزر وفرَّق الناس[٣] .

وعاش هرِمٌ حتَّى أَدرك خلافة عمر، فقال : ياهرم، أَىَّ الرجلين كنتَ مفضِّلا لو فعلتَ ؟ قال: لو قلت ذلك اليومَ عادت جَذَعةً ، ولبلغَتْ شَعَفاتِ هَجر ! فقال عمر : نِعْمَ مُستودَعُ السِّرِّ أَنت ياهرم ، مثلُك فليستودعِ العشيرةُ أَسرارَهم !

---

(١) الشريشى : « لا يكون بينهم جماعة ». الأغانى : « لا تكون لهم جماعة» .

(٢) الشريشى : « تقعان على الأرض » ، الأغانى : « تقعان إلى الأرض » .

(٣) فى الأغانى : « وفرقوا الناس » ، وأثبت ما فى ش . لكن فى ط والشريشى : « وفرق على الناس » ؛ ولا إخالها صحيحة .

والحكاية طويلة قد اختصرناها[١] .

وقال فيه الأَعشى :

حكَّمتموه فقضى بينَكم أبلجَ مثلَ القمَرِ الباهرِ
لا يأْخذُ الرّشوةَ فى حكمه ولا يبالى غَبَنَ الخاسِرِ

انتهى كلام الشريشى .

وقد شرحها بأَكثر من هذا مرَّتين أَو ثلاثاً الأَصبهانىُّ (فى الأَغانى) ، ومن أَراد بسطَ الكلام فلينظرْه فى الجلد الخامسَ عشر من تجزئة عشرين[٢] .

* * *

وأَنشد بعده ، وهو الشاهد الثامنَ عشَرَ بعد الستمائة[٣] :

٦١٨ (ورِثتُ مُهلهِلاً والخيرَ منه زُهيرًا نِعْمَ ذُخرُ الذَّاخِرينا)

على أَن اللام فى (الخير) زائدة ، ومن فى منه تفضيلية . ويجوز أَن يقدر أَفعل آخر عارياً من اللام يتعلَّق به منه، والتقدير: والخيرَ خيراً منه .

وقال الإِمام البيضاوى (فى لب اللباب) : ولا يستعمل ، أَى اسم التفضيل، إِلَّا بمِنْ ، أَو اللام ، أَو الإِضافة. و «الخيرَ منه» قليل. وهذه[٤] إِشارةٌ إِلى البيت .

وأَجاب شارحه السيِّد عبد الله بما أَجاب به الشَّارح المحقِّق ، من التخريجين .

---

(١) الشريشى : «والحكاية طويلة» ، فقط .
(٢) انظر الأغانى ١٥ : ٥٠ — ٥٥ .
(٣) لم أجد له تخريجاً فى الشواهد .
(٤) ط : «وهذا» .

ولم يقل إنَّ من ليست فيه تفضيلية كما قال فى البيت الذى قبله ، لأَنَّه لم يتأَتَّ ذلك هنا .

صاحب الشاهد ٤٩٤

والبيت من معلقة عمرو بن كلثوم التغلبى ، وتقدَّم سبب نظمها مع شرح أَبياتٍ منها فى الشاهد الثامن والثمانين بعد المائة[1] ، وبعده :

(وعتَّاباً وكُلثوماً جميعاً بهم نِلنا تُراثَ الأَكرمينا)

وقوله : (ورثْتُ مهلهِلاً) إلخ ، هو بالتكلُّم . ومهلهل :اسم جدِّ الشاعرمن قِبَل أُمِّه . وهو أَخو كليب بن وائل ، وصاحب حرب البسوس أَربعين سنة . وتقدَّمت ترجمته مع سبب تسميته بمهلهل فى الشاهد العاشر بعد المائة[2] .

وقوله : (والخيرَ مِنْه) أَى ورثت خيرًا من مهلهل . و (زهيرًا) عطف بيان للخير ، وإنَّما كان زهير خيرًا من مهلهل لأَنَّه جدُّهُ من قبل أَبيه ، فإنَّ صاحبَ المعلَّقة كما تقدَّمت ترجمته ، هو عمرو بن كلثوم ابن عَتَّاب بن مالك بن ربيعة بن زهير بن جُشَم بن بكر بنِ حبيب ابن عمرو بن غَنْم بن تغلب بن وائل .

والمخصوص بالمدح فى (نعم ذخر الذاخرينا) زهير على حذف مضاف ، يريد: ورثتُ مجدَ مهلهل ومجد زهير ، فنعم ذخر الذاخرين زهير ، أَى مجده وشرفه ، للافتخار به .

وقوله: « وعتَّابا وكلثوما » إلخ . عتَّاب جدُّ الشاعر . وكلثوم أَبوه . يقول : ورثنا مجدَ عتَّابٍ وكلثومٍ ، وبهمْ بلغنا ميراثَ الأَكارم ، أَى حُزْنَا مآثرهم ومفاخرَهم فشرُفْنا بها وكَرُمنا .

* * *

(١) الخزانة ٣ : ١٧٧ — ١٨٥ .

(٢) الخزانة ٢ : ١٦٤ — ١٧٤ .

وأنشد بعده ، وهو الشاهد التاسعَ عشرَ بعد الستمائة ، وهو من أبيات الإيضاح للفارسى[١] :

٦١٩ (فإنَّا رأينا العِرضَ أحوجَ ساعةً إلى الصَّونِ مِن رَيْطٍ يَمانٍ مُسَهَّمِ)

على أنَّه يجب أنْ يلىَ أفعلَ التفضيل إمَّا من التفضيلية ، كما فى قولهم : زيد أفضل من عمرو ، وإمَّا معمولُه كما فى البيت ، فإنَّ ساعةً ظرف لأحوج .

ومثله قوله تعالى: ﴿ النبيُّ أولَى بالمؤمنين مِنْ أنفسهم[٢] ﴾، وقال تعالى: ﴿ قال رَبِّ السِّجْنُ أحبُّ إلىَّ ممَّا يدعوننى إليه[٣] ﴾ .

وقد يفصَل بالنداءِ أيضاً . قال جرير :

لم ألقَ أخبثَ يافرزدقُ منكم ليلاً وأخبث بالنَّهار نهارَا[٤]

قال أبو البقاءِ (فى شرح الإيضاح) : رأينا هنا بمعنى علِمْنا . وأحوج اسمٌ يراد به التفضيل ، وهو مفعول ثانٍ لرأينا ، وساعة منصوب بأحوج وإلى الصَّون متعلِّق به أيضاً ، وكذلك « من رَيْط » . وجاز أنَّ يتعلق حرفَا الجرّ بأفعل لأنَّ معناهما مختلف ، ومِن هى التى يقتضيها[٥] أفعل . والأقوى أن يقدَّم من على إلى ،لأنَّ تعلُّق من بأفعل يوجب معنًى فى أفعل وهو التخصيص ، فإذا فصلتَ بينهما ضعفت عُلقته به ، ومع هذا فهو

(١) ابن يعيش ٢ : ٦١ / ٦ : ١٦٤ وشذور الذهب ٤١٥ وديوان أوس بن حجر ١٢١.
(٢) الآية ٦ من سورة الأحزاب .
(٣) الآية ٣٣ من سورة يوسف .
(٤) ديوان جرير ٢٣٢ والهمع ٢ : ١٠٤ .
(٥) ش : « تقتضيها » .

جائزٌ ورَدَ القرآنُ به . قال تعالى : ﴿ ونحنْ أقربُ إليه مِن حَبْلِ الوَريد[١] ﴾ وقال تعالى : ﴿ونحن أقربُ إليه مِنْكم[٢] ﴾ . وهو أكثر من أن أُحصيَه . وإنَّما ذكره أبو على ليبيِّن لك أنَّ عمل أحوج فى ساعة ليس على حدِّ عمله فى من التى للمفاضلة ، كما أنَّ قوله بالأَكثر منهم لا يتعلَّق من بالأَكثر على هذا الحدِّ ، بل على حدِّ تعلُّق ساعةً بأَحوج . وأمّا إلى ، ومِن رَيْط ، فيتعلَّقان بأَحوجَ لا محالة . فإنْ قيل : لم لا تعلِّق ساعة برأَينا ؟ قيل : يمتنع من وجهين : أَحدهما أنَّ المعنى ليس على هذا ، بل المعنى على شدَّة حاجة العِرض إلى الصَّون فى أىِّ ساعةٍ كانت . والثانى : أنَّك لو نصبتَها برأَينا لفصَلْتَ بها بين أَحوج وما يتعلَّق به وهو أَجنبىٌّ ، فلم يجُزْ . انتهى كلام أبى البقاء . ٤٩٥

والبيت من قصيدةٍ طويلة جدًّا لأَوس بن حجر[٣] ، وقبله :

(ومستعجبٍ مما يرى من أَناتنا ولو زبنَتْهُ الحربُ لم يترمرم

فإنَّا وجدنا العرض . . . . البيت

أَرى حربَ أَقوامٍ تَدِقُّ وحربُنا تجِلُّ فنَعْرَوْرِى بها كلَّ مُعظَمِ

ترى الأَرضَ منَّا بالفضاءِ مريضةً

معضِّلةً منَّا بجمْعٍ عَرَمْرمِ)

---

(١) الآية ١٦ من سورة ق .
(٢) الآية ٨٥ من سورة الواقعة .
(٣) فى ديوانه ١١٧ – ١٢٤ وليست طويلة جداً فإنها فى ٤٨ بيتاً فقط .

وقوله :« ومستعجبٍ مِمَّا » إلخ[1] الواو واوُ ربّ، ومستعجب :اسم فاعل. قال صاحب العباب : واستعجبت منه : تعجَّبت منه . وأنشد هذا البيت .

والأناة بالفتح : اسمٌ للتأنِّى ،يقال تأنَّى فى الأمر : تمكَّث ولم يعجَلْ. وزبنَتْه : دفعَته، يقال زبنَت الناقةُ حالبَها زَبْنًا ، من باب ضرب : دفعتْه برِجلها ، فهى زَبونٌ . وحربٌ زبونٌ أيضاً ، لأنَّها تدفع الأبطال عن الإقدام خوفَ الموت . ومنه الزَّبانيَة ، لأنَّهم يدفعون أهلَ النارِ إليها . قال صاحب الصحاح : وترمرمَ، إذا حرَّك فاهُ للكلام . وأنشد هذا البيت .

وقوله: « فإنَّا وجَدْنا العِرض» إلخ العِرض ، بالكسر ، قال الشريف (فى أماليه): هو موضع المدح والذمِّ من الإنسان . فإذا قيل ذُكِر عرضُ فلانٍ ، فمعناه ذكر ما يرتفع به أو ما يسقُط بِذكره ويُمدَح أو يذمُّ به . وقد يدخل بذلك ذكر الرجل نفسِه وذكر آبائه وأسلافه؛ لأنَّ كلَّ ذلك مما يمدح به ويذَمُّ . والذى يدلُّ على هَذا أنَّ أهل اللغة لايفرقون فى قولهم شَتَم فلانٌ عِرضَ فلان ، بين أن يكون ذكَره فى نفسه بقبيح أو شتَم سلفَه وآباءَه . ويدلُّ عليه قولُ مسكينٍ الدارمىِّ :

رُبَّ مهزولٍ سمينٍ عِرضُه وسمينِ الجسم مَهزُولِ الحسَبْ

فلو كان العِرض نفسَ الإنسان لكان الكلام متناقضاً ، لأن السَّمَن والهُزال يرجعان إلى شيءٍ واحد . إلى آخر ما فصَّله[2] .

---

(١) فى النسختين : « منا » ، صوابه ما أثبت .

(٢) أمالى المرتضى ١ : ٦٣٢ – ٦٣٣ .

وردٌ على ابن قتيبة فى زعمه أنّ العِرض هو النَّفْس ، ونقَضَ ما استدلّ به .

وقد أحكمَ الكلامَ على معنى العِرض ابنُ السِّيد البطَلْيَوسىُّ أيضاً (فى أوائل شرح أدب الكاتب لابن قتيبة) . وكذلك حقَّق المراد من العِرض ابنُ الأنبارىّ (فى كتابه الزاهر) ، ولولا خوفُ الإطالة لأوردتُ كلامَهما .

ويؤيِّد كلامَ الشَّريف المرتضى قولُ ابن السكيت فى شرح هذا البيت (من شرح ديوان أوس) يقول : العِرض يحتاجُ سُويعةً إلى أن يُصان . فإن سَفِهَ الرجلُ عليه قطع عرضَه ومزَّقه إن لم يحتمل فيصونه . انتهى.

وقوله : « أَحوج » قال ابن جنى (فى إعراب الحماسة) : هذا خلاف القياس ، لأَنَّه أفعل تفضيلٍ من المزيد ، قالوا : ما أَحوجَه إلى كذا ، وقياسُه : ما أشدَّ حاجته ، أو ما أَشدَّ احتياجه . وأنشد هذا البيت .

وفيه نظر ، فإنّ الثلاثىَّ المجرَّد منقول ثابت . قال صاحب الصحاح وغيرُه : وحاجَ يحُوجُ حَوْجاً ، أى احتاج ، قال الكميت[1] :

غَنِيتُ فلم أَرددكُمُ عند بُغيةٍ وحُجْت فلم أَكْدُدْكمُ بالأَصابع[2]

وأَحوجه إليه غيره . وأَحوج أَيضاً بمعنى احتاج . انتهى .

٤٩٦ وروى بدله : « أَفقَر ساعةً » وهذا عند الجوهرىّ شاذّ . قال : وقولهم : فلانٌ ما أفقره وما أَغناه ، شاذٌّ لأَنَّه يقال فى فعلهما افتقر واستغنى ، فلا يصحُّ التعجُّبُ منه . انتهى .

---

(١) هو الكميت بن معروف ، كما فى اللسان (حوج) ، وفى اللسان (كدد) : « وأنشد الكميت » . وانظر ملحقات ديوان الكميت ١ : ٢٥١ .

(٢) وروى أيضاً : « حجت » بكسر الحاء ، من قولهم : حاج يحيج .

وفيه نظرٌ أيضاً، فإنَّ ثلاثيه مسموعٌ أيضاً . قال صاحب المصباح : الفقير فعيل بمعنى فاعل ، يقال فَقِرَ يَفْقَرُ ، من باب تعب ، إذا قلَّ ماله . قال ابن السَّرَّاج : ولم يقولوا فقُرَ أى بالضم ، استغنوا عنه بافتقر. انتهى .

وتنوين ساعةً للتنكير والتقليل ، كما فهم من كلام ابن السِّكِّيت . وقال ابن بَرّى : قال أَبو الفتح بن جنى : قوله ساعة يريد ساعةَ الغضب ، فاستغنى عن الإضافة لدلالة اللفظ عليه . انتهى .

والمعنى أَنَّ العرضَ يُصان عند ترك السَّفه فى أقلَّ من ساعة إذا ملك نفسَه ، فكيف لا يصان إذا داومَ عليه . والعرض أكثر احتياجاً إلى الصَّون من الثياب النفيسة ، فإنَّ عرض الرجلِ أَحوجُ إلى الصِّيانة عن الدَّنَس والرَّين من الثوب الموشَّى المزيَّن . وعنى بالساعة ساعةَ الغضب والأَنفة ، فإنَّه كثيراً ما أَهلك الحلمَ وأَتلفه . وفى المثل السائر : « الغضَب غُول الحِلم » .

والرَّيط واحدُه ريطة ، قال صاحب المصباح : الرَّيْطة بالفتح : كلُّ ملاءَة ليست لِفْقَين ، أَى قطعتين، والجمع رياط ورَيْطٌ أَيضاً، مثل تمرة وتمر . وقد يسمَّى كلُّ ثوبٍ رقيق رَيْطة . انتهى.

والمعنى الأَخير هو المراد هنا . قال ابن السكيت : ومُسَهَّمٌ : فيه وشىٌ مثل أَفواق السِّهام[1] . وقال الجوهرى : المسهَّم : البرد المخطَّط .

وقوله : « أَرى حَربَ أَقوام » إلخ . قال صاحب المصباح : الدَّقيق :

---

(١) الأفواق : جمع فوق ، بالضم ، وهو مشق رأس السهم حيث يقع الوتر . وفى ط : «أفراق » صوابه فى ش .

خلاف الجليل . ودقَّ يدِقُّ من باب ضرب دِقَّةً : خلاف غَلُظ ، فهو دقيقٌ . ودقَّ الأَمرُ دِقَّةً أَيضاً ، إذا غَمُض وخفِيَ معناه ؛ فلا يكاد يفهمه إلَّا الأَذكياء . وجَلَّ الشيءُ يَجِلّ بالكسر : عظُم فهو جَليل . قال ابن السكيت : يقول : نحن نسرعُ إلى هذه الحربِ كما يعجَل الرجلُ إلى فرسه فيَعْرَوْرِيه ، أَي يركبُه عرياناً . ويقال : قد اعرورَى فرسَه ؛ إذا ركبه عُرياً ، بالضم . انتهى .

وقوله : « ترى الأَرض منَّا » إلخ ، فى الصحاح : وعضَّلت الشَّاةُ تعضيلاً إذا نشِب الولد فلم يسهُل مخرجه ، وكذلك المرأة ، وهى شاةٌ معضِّلة ومعضِّل أيضاً بلا هاءٍ . وعضَّلت الأَرضُ بأَهلها : غصَّت بهم . وأنشد هذا البيت .

والعَرَمرم : الجيش الكثير . قال ابن السكيت : هذا مثَلٌ ضربه ، شبَّه الأَرض بالحُبلَى التى تتمخَّضُ وقد نَشِب ولدُها فى بطنها . فيقول : قد نَشِبنا بالأَرض من كثرتنا .

وأوس بن حجر شاعر جاهلى ، تقدَّمت ترجمته فى الشاهد الرابع عشر بعد الثلثمائة[1] .

وحَجَر ، بفتح الحاء والجيم .

* * *

وأَنشد بعده ، وهو الشاهد الموفى للعشرين بعد الستمائة[2] :

٦٢٠ (واستنزلَ الزَّبَّاءَ قَسْراً وهى مِنْ
عُقَابِ لُوحِ الجوِّ أَعلَى مُنتمَى)

---

(١) الخزانة ٤ : ٣٧٩ - ٣٨٠ .
(٢) من مقصورة ابن دريد .

على أَنَّ تقدُّم (من) على أَفعل التفضيل إذا لم يكن مجرورُها اسم استفهام خاصٌّ بالشعر .

وهذا مذهبُ الجمهور ، وهو قليلٌ عند ابن مالك لا ضرورة . وأَمَّا تقدُّمها على المبتدإ نحو : من زيد أَنت أَفضل ، فضرورةٌ اتِّفاقاً .

وقال ابن هشام اللخمى فى شرح هذا البيت : من عقاب متعلق بـأَعلى وإِنَّما قدَّمه ضرورة ، لأَنَّ أَفعل لا يقوى قوّةَ الفعل فيعملَ عمله فيما قبله فلا يجوز. مِن زيد أَنت أَفضل، فتُقدِّم الجارِّ عليه، لضعفه ، إِلَّا أَنَّه جائز هنا للضَّرورة ، كما قال الفرزدق :

٤٩٧

وقالت لنا أَهلاً وسهلاً وزوّدت
جَنَى النَّحْل أَو ما زَوَّدَتْ منه أَطيَبُ[1]

انتهى . ولا يخفى أَنَّ المثالَ مخالفٌ للبيتين؛ فإِنَّه مما تقدَّمت من فيه على المبتدأ والخبر ، والبيتان مما تقدَّمت من فيه على الخبر فقط .

صاحب الشاهد

والبيت من مقصورةِ ابن دريد المشهورة . وقبله :

(وقد سمَا عَمرٌو إلى أَوتاره ... فاحتطَّ منها كلَّ عالى المستَمى)

سما يسمو سموًّا : ارتفع . والأَوتار : جمع وِتْر بكسر الواو وفتحها وهو طلبُ الإِنسان بجناية . واحتطَّ : افتعل من الحَطِّ بالمهملتين : أَنزل . وعالٍ : مرتفِع . ومستمىً : مفتعَلٌ من سما يسمو.

عمرو بن عدى

وعمرٌو هو عمرو بن عدىٍّ بن نَصْر بن ربيعة بن عبد الحارث بن معاوية بن مالك بن غَنم بن نمارة بن لَخْم ، مِلك الحيرة . ملَكَ بعد خاله

(١) ديوان الفرزدق ٣٢ والعينى ٤ : ٤٣ وابن يعيش ٢ : ٦٠ .

جَذيمة مائة وثمانىَ عشرة[1] سنة . وهو أوّل مَن ملك من ملوك لَخم . وكان مدّةُ ملك لَخْمٍ بالحيرة خمسَمائة سنة .

وكان من حديث عدىّ أن جَذيمة قال ذاتَ يوم لنُدَمائه : لقد ذُكر لى غلامٌ من لخم فى أخواله من بنى إياد ، له ظَرفٌ وأدَب ، فلو بعثتُ إليه وولّيتُه كأْسى ، والقيامَ على رأسى ، لكان الرأى . فقالوا : الرأى مارآه الملكُ فليبعَثْ إليه . ففعلَ ، فلمّا قدِم عليه قال : من أنت ؟ قال : أنا عدىٌّ بن نصر . فولّاه مجلسَه ، فعشِقَته رَقاشِ بنتُ مالك ، أخت جذيمة ، فقالت له : ياعدىُّ إذا سقيتَ القوم فامزُجْ لهم وعرِّق للملك ، أى امزُجْ له قليلا كالعَرَق ، فإذا أخذَتِ الخمر منه فاخطبْنى إليه فإنّه يزوّجُك ، فأَشهِدِ القومَ إنْ[2] فعل . ففعل الغلامُ وخطبها ، فزوّجه وأَشهد عليه ، وانصرف إليها فعرّفها ، فقالت : عرِّسْ بأَهلك . فلمّا أصبحَ غدَا متضمِّخاً بالخَلُوق ، فقال له جذيمة : ما هذه الآثار ياعَدىّ ؟ قال : آثارُ العُرس . قال : وأىُّ عُرس ؟ قال : عُرس رَقاش . فنخر وأَكبَّ على الأَرض ، ورفع عدىٌّ جراميزه[3] فأَسرع جذيمةُ فى طلبه فلم يجدْه ، وقيل بل قتله وبعث إليها :

حدِّثينى وأنت لا تَكْذبينى أَبِحُــرٍّ زنيتِ أم بهَجينِ[4]
أم بعبْدٍ فأَنتِ أَهلٌ لعبــدٍ أم بدونٍ ، فأَنتِ أهل لدُون

فأَجابته رقاش :

(١) ط : « : « وثمان عشرة » ، وهى لغة جائزة . انظر اللسان (ثمن ٢٣١) .
(٢) فى الأغانى « إن هو فعل » .
(٣) أى استعد للفرار . والجراميز : اليدان والرجلان .
(٤) الأغانى ١٤ : ٧٠ والشريشى ٢ : ٤ .

أنتَ زوَّجتَنى وما كنتُ أدرى
وأتانى النساءُ للتَّزيينِ[1]
ذاكَ من شُرْبِكَ المُدامةَ صِرفاً
وتمـاديك فى الصِّبـا والمجونِ

فنقلها جذيمةُ إليه وحصَّنها فى قصره ، فاشتملتْ على حَمْل وولدت غلاماً فسمَّته عمرًا ، حتى إذا ترعرعَ حَلَّته وعطَّرته[2] ثم أزارتْه خالَه فأُعجبَ به ، وأُلقِيتْ عليه محبَّةٌ منه . ثم إنَّ جذيمة نزل منزلاً وأَمر الناس أَن يجتنوا له الكمأة ، فكان بعضُهم إذا وجد شيئاً منها يعجبه آثر به نفسَه على جذيمة ، وكان عمرو بن عدى يأْتيه بخيرِ ما يجد ، فعندها يقول عمرو :

هـذا جناىَ وخيارُه فيه إذْ كلُّ جانٍ يدُه إلى فيه

٤٩٨ ثم إنَّ الجنَّ استهوتْه فطلبه جذيمة [فى آفاق الأَرض[3]] فلم يسمع له خبراً ، إذْ أَقبل رجلان من بنى القَيْن ، يقال لأَحدهما مالك وللآخر عقيل ابنا فالج[4] ، ويروى فارج ، من الشَّام ، وهما يريدانِ الملك بهديَّة ، فنزلا على ماءٍ ومعهما قينة يقال لها أُمُّ عمرو ، فنصبَت لهما قدرًا وهيَّأَتْ لهما طعاماً ، فبينا هما يأْكلان إذْ أَقبل رجلٌ أَشعثُ الرأْس قد طالت أَظفاره ، وساءَت حاله ، ومدَّ يدَه فناولتْه القينةُ طعاماً فأَكله ، ثم مدَّ يدَه فقالت القينةُ : « أُعطِىَ العبدُ كُراعاً فطَلَبَ ذِراعاً[5] » ، فأَرسلتْها

(١) البيتان أغفلهما أبو الفرج ، وهما عند الشريشى برواية : « فأتانى » .
(٢) بعده فى الأغانى والشريشى : « وألبسته كسوة مثله » .
(٣) التكلمة من ش . وفى الأغانى : « فلم يزل جذيمة يرسل فى الآفاق فى طلبه » .
(٤) ط : « ابنا فالح ، ويروى : فارح » بالحاء المهملة فيهما ، والصواب فى ش والأغانى والشريشى ، حيث ذكر الأول « فالج » والآخر « فارج » .
(٥) فى الأغانى : « إن يعط العبد كراعاً يتسع ذراعاً » . وانظر جمهرة الأمثال ١ : ١٠٧ .

مثلا . ثم ناولت صاحبيها من شرابِهَا ، وأوكت سقاءها ، فقال عمرو ابن عدىّ

صددتِ الكأْسَ عنا أُمَّ عمرو ... وكان الكأْسُ مجراها اليمينا
وما شرُّ الثلاثة أُمَّ عمرٍو ... بصاحبك الذى لا تصبَحِينا

ويروى هذا الشعر لعمرو بن كلثوم التغلبي . ويقال إن عمرو بن كلثوم أَدخله فى معلقته . والله أَعلم .

وهما من شواهد سيبويه . ومجراها بدلٌ من الكأْس ، واليمين خبر كان . وإن شئت جعلت مجراها مبتدأً واليمين ظرفاً ، كأَنه قال : ناحية اليمين، وهو خبر عن مجراها ، والجملة خبر كان .

فقال له الرجلان : من أَنت ؟ قال : أَنا عمرو بن عدىّ . فقاما إليه وسلَّما عليه ، وقلَّما أَظفارَه وقصَّرا من شعره ، وأَلبساه من طرائف ثِيابِهما وقالا : ما كنَّا نهدى إلى الملك هديّةً هى أَنفسُ عنده ولا هو عليها أَحسنُ عطاءً من ابن أُختِه ، قد ردَّه الله عليه. فلمَّا وقفا بباب الملك بشَّراه فسُرَّ به ، وصرفه إلى أُمِّه وقال : لكما حكمُكما . فقالا : حُكمُنا مُنادَمتُكَ ما بقِيتَ وبَقِينا . قال : ذلك لكما .

فهما ندمانَا جذيمة المعروفان . وإيَّاهما عنى متمِّم بن نويرة بقوله فى مرثيته لأَخيه مالك بن نويرة :

وكنَّا كَندمانَىْ جَذِيمة حِقبةً ... من الدَّهر حتَّى قيل لن يتصدَّعا[1]
فلمَّا تفرَّقنا كأَنِّى ومالكاً ... لطول اجتماعٍ لم نبِتْ ليلةً معا

---

(١) المفضليات ٢٦٧ .

وقال أبو خِراش الهذلىّ يرثى أخاه عروة :

أَلم تعلمى أَنْ قد تفرَّقَ قبلنا نديمَا صَفاءٍ مالكٌ وعقيلُ[1]

وروى أَنَّ جذيمة كان لا ينادم أَحدًا كِبْرًا وزَهْواً . وكان يقول : أنا أَعظم من أَن أُنادم إِلّا الفرقدين . فكان يشرب كأْساً ويصبُّ لكلّ واحدٍ منهما كأْساً ، فلما أَتى مالك وعقيل نادماه أَربعين سنة ما أَعادا عليه حديثاً .

ثم إنَّ أُمَّ عمرو جعلت فى عنقه طوقاً من ذهب لنذرٍ كان عليها ، ثم أَمرته بزيارة خاله ، فلمَّا رأَى لحيته والطَّوقَ فى عنقه قال : « شبَّ عمرٌو عن الطَّوق ! » . فذهبت مثلاً .

وأَقام عمرٌو مع خاله جذيمة قد حَمَل عنه عامَّة أَمره ، إِلى أَنْ قُتل .

وقوله : (فاستَنزَل الزَّبَّاءَ قَسْرًا) البيت ، أَى أَنزل الزَّبَّاءَ . وفاعله ضمير عمرٍو المذكور فى البيت قبله ، والزَّبَّاءَ مفعوله .

الزباء

والزَّبَّاءُ ملكة اسمها نائلة ، وقيل فارعة ، وقيل ميسون . وكانت زرقاءَ . ومن النساءِ الموصوفات بالزَّرَق زرقاءُ اليمامة . وكانت البسوس أَيضاً زرقاءَ .

والزَّبَّاءُ تمدُّ وتقصر . فمن مدَّ جعل مذكرها أَزبّ ، ومن قصَر جعل مذكرها زَبَّان .

وكان لها شَعَرٌ ، وإذا مشت سحبته وراءَها ، وإذا نشرته جلَّلها فسمِّيت الزَّبَّاءَ . والأَزَبُّ : الكثير الشعر .

---

(١) ديوان الهذليين ٢ : ١١٧ وشرح السكرى ١١٩٠ .

واختُلف فى نسبها ، فقيل كانت روميَّة وكانت تتكلم بالعربيَّة ، ومدائنها على شاطىء الفرات من الجانب الشرقىّ والغربىّ . وقيل إنَّها بنتُ عمرو بن ظَرِب بن حسَّان ، من أهل بيت عاملة من العماليق ، ملَكت[1] الشام والجزيرة .

٤٩٩

وقيل إنَّ الزَّبَّاء بنت مليح بن البَرَاء ، كان أبوها ملكاً على الحَضْر ، وهو الذى ذكره عدىُّ بن زيد بقوله :

وأَخُو الحَضْرِ إذْ بناه وإذ دِجْـ ـلة تُجْبَى إليه والخـابورُ[2]

قتله جذيمة وطرد الزبَّاء إلى الشام فلحقت بالروم ، وكانت عربيَّةَ اللِّسان ما رُئِىَ فى نساء زمانها أَجملُ منها . وكانت كبيرة الهمَّة ، وبلغت من همَّتها أَنْ جمعت الرجال وبذلت الأَموال ، وعادت إلى مملكة أَبيها فأَزالت جذيمةَ عنها ، وبنَتْ على الفرات مدينتين متقابلتين ، وجعلتْ بينهما أنفاقاً تحتَ الأَرض ، وتحصَّنت ، وهادنت جَذيمة مدَّة ، ثم خطبها فاستدعته وقتلته ، كما تقدَّم شرحه فى الشاهد الرابع والثلاثين بعد الخمسمائة من باب العلم[3] .

وقوله : (من عقاب لُوح) الخ ، العُقاب بالضمِّ : طائر معروف . واللُّوح بالضم : الهواءُ ، والجوُّ ما بين السماء والأَرض . ونظم ابنُ دريد قولَ عمرو بن عدى لقصير : « كيف أَقدر على الزَّبَّاء وهى أَمْنعُ من عُقاب لُوح الجوّ » كما يأْتى .

ومنتمًى : مرتفَع ، فى القاموس : وانتمى البازى : ارتفع من

---

(١) ش : « ملكة » .
(٢) ديوان عدى بن زيد ٨٨ .
(٣) الخزانة ٧ : ٢٩٣ — ٢٩٥ .

موضعه إلى آخر . ويروى : « أَعلى منتهى » أى أَعلى ما يُنتهَى إليه . قيل قد غلِط فيه ، لأَنَّ العرب لا تقف بالتنوين ، ومنتمى هنا منصوب على التمييز ، والوقف فيه عند سيبويه على الأَلف المبدلةِ من التنوين .

وقد حقَّق الشارح المحقق فى باب الوقف (من شرح الشافية) أَنَّ هذا ليس مذهب سيبويه ، وأَنَّ هذه الأَلف لام الكلمة لا الأَلف المبدلة من نون التنوين .

وقَسْرًا : قهراً ، إمَّا مفعول مطلق وإمَّا حال . أَى فاستنزل الزباءَ كارهةً . يريد أَنَّ عمراً أَخذ ثأْره منها فقتلها ، وإنَّما قدَر عليها بإعانة قَصير بن سعد ، من أَصحاب جذيمة ، فإنَّه قال لعمرو بن عدى بعد قتل جذيمة : أَلا تطلبُ بثأْر خالك ؟ فقال : وكيف أَقدر على الزَّبَّاءِ وهى أَمنع من عقاب لُوحِ الجوّ ! فأَرسلها مثلاً . فقال له قصير : « اطلبُ الأَمرَ وخَلاَك ذمٌّ ! » ، فذهبت مثلاً أَيضاً .

ثم إنَّ قصيرًا جدع أَنفه وقطع أُذنَه بنفسه ، وفيه قيل : « لأَمر مَا جدَع قصيرٌ أَنفه » . ثم لحق بالزّبّاءِ زاعماً أَنَّ عمرو بن عدىّ صنع به ذلك ، وأَنَّه لجأَ إليها هارباً منه ، ولم يزل يتلطَّف بها بطريق التجارة وكسب الأَموال ، إلى أن وثِقَتْ به وعلِم خفايا قصْرِها وأَنفاقَه . فلما كان فى السَّفرة الثالثة اتَّخذ جُوَالقاتٍ كجَوالق المال ، وجعلَ رُبُطَها من داخل الجَوَالق فى أَسفله ، وأَدخل فيها الرجالَ بالأَسلحة ، وأَخذ عَمرو بنَ عدىٍّ معه ، وقد كان قصيرٌ وصفَ لعمرو شأْن النَّفق ، ووصف له الزبَّاءَ ، فلمَّا دخلت الجمالُ المدينة جاءَ عمرو بن عدى على فرسِه فدخل الحِصن بعَقِب الإبل ، وبركت الإبلُ ، وحَلَّ الرجالُ الجوالقات

ومَثَلوا بالمدينة ، ووقف عمرٌو على باب النفق ، فلما جاءَت الزباءُ هاربة جلَّلها بالسَّيْف واستباح بلادها .

وقد تقدَّم شرح هذه القصة بأَبسَطَ من هذا فى شرح الشاهد المذكور .

وترجمة ابن دريد تقدمت فى الشاهد الثامن والسبعين بعد المائة[1] .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الواحد والعشرون بعد الستِّمائة[2] :

٥٠٠ ٦٢١ (قُبِّحتُمُ يا آل زيدٍ نَفَرَا   أَلأَمَ قومٍ أصغرًا وأَكبرَا)

على أن أَفعل قد يأْتى بمعنى اسم الفاعل أَو الصفة المشبهة قياساً عند المبرِّد ، سماعاً عند غيره . وهو الأَصحُّ كما فى البيت فإِنَّهما بمعنى صغير وكبير .

وهذا البيت أَورده المبرِّد (فى الكامل) عند شرح قول الفرزدق :

إنَّ الذى سمَكَ السَّماءَ بنى لنـا   بيتاً دعائمُهُ أعزُّ وأطـوَلُ

قال : وجائزٌ أن يكون التقدير : دعائمه عزيزة طويلة ، كما قال الآخر :

* قبحتم ياآل زيد نفـرًا *   .... البيت

قال : يريد صغارًا وكباراً .

و (فى التسهيل وشرحه لابن عقيل) : واستعمالُه عارياً دون من

(١) الخزانة ٣ : ١١٩ – ١٢١ .
(٢) المقرب ٣ : ٣٤٧ والكامل ٤٢٣ .

مجرّدًا عن معنى التفضيل مؤوَّلاً باسم الفاعل : ﴿هو أعلمُ[١] بكم﴾ أى عالمٌ أَو صفةٌ مشبهة : ﴿وهو أهْوَن عليه[٢]﴾ أَى هيِّن – مطَّردٌ عند المبرد. وعليه المتأَخِّرون . وحكى ابن الأَنبارىّ الجوازَ عن أَبى عبيدة ، والمنعَ عن النحويِّين . والأَصحُّ قصرُه على السَّماع . قِيل لقلَّة ما وَرَد[٣] من ذلك . وفيه نظر ظاهر ، ولعلَّ وجهه أَنَّ الوارد قابلٌ للتأْويل ، إلا أَنَّ فى بعضِ التأْويل تكلُّفاً ، وموضع التكلُّف قليل، ومنه : ﴿بناتى هُن أَطهَرُ لكم[٤]﴾ أَى طاهرات ، ﴿لا يَصْلَاها إِلَّا الأَشقَى[٥]﴾ أَى الشقِّ . والوجه ، أَنَّ ذلك مطَّرد ، ولزومُ الإفراد والتذكير فيما ورد كذلك أكثر من المطابقة . فالإفراد: ﴿خيرٌ مستَقرًّا وأَحسَنُ مَقِيلاً[٦]﴾ ، ﴿نحن أَعلمُ بما يستمعون[٧]﴾ والمطابقة :

إذا غاب عنكم أَسْوَدُ العَين كنتمُ كراماً وأَنتم ما أَقام أَلائِمُ[٨]

فأَلائم جمع أَلأَم بمعنى لئيم . وإذا صحَّ جمع أَفعل العارى المجرَّد عن معنى التفضيل إذا جرى على جمعٍ ، جاز تأْنيثه إذا جرى على مؤنَّث . وعلى هذا يكون قول الحَسن بن هانئ :

كأَنَّ كبرى وصُغرى من فقاقعها حصباءُ درٍّ على أَرضٍ من الذَّهبِ

صحيحاً ، لأَنَّه تأْنيث أَصغر وأَكبر ، بمعنى صغير وكبير ، لا بمعنى التفضيل . انتهى .

(١) الآية ٣٢ من سورة النجم .
(٢) الآية ٢٧ من سورة الروم .
(٣) ط : « أورد » .
(٤) الآية ٧٨ من سورة هود .
(٥) الآية ١٥ من سورة الليل .
(٦) الآية ٢٤ من سورة الفرقان .
(٧) الآية ٤٧ من سورة الإسراء .
(٨) نسب إلى الفرزدق فى العينى ٤ : ٥٧ وليس فى ديوانه .

وقال الشاطبي عند قول ابن مالك :

وأَفعلَ التَّفضيل صِلْهُ أَبدَا تقديراً أَو لفظاً بمن إنْ جُرِّدا

قوله : « أبدا » فيه تنكيت[1] وتنبيه على أنَّ المجرد لا يأْتى بمعنى اسم الفاعل مجرّداً من معنى من قياساً أصلاً ، خلافاً للمبرِّد القائل بأَنه جائز قياساً ، فيجوز عنده أَنْ تقول : زيد أفضل ، غير مقصودٍ به التفضيل على شيءٍ ، بل بمعنى فاضل . وزعم أَنَّ معنى قولهم فى الأَذان وغيره : الله أكبر : الله الكبير ، لأَنَّ المفاضلة تقتضى المشاركة فى المعنى الواقعِ فيه التفضيل ، والمفاضلة فى الكبرياء هنا تقتضى المشاركة إن قَدِّرَ فيه : من كل شيءٍ . ومشاركة المخلوق للخالق فى ذلك أَوْ فِى غيره من أَوصافِ الرَّبِّ مُحالٌ ، بل كلٌّ كبير بالإضافة إلى كبريائه لا نسبة له ، بل هو كلا شيءٍ . وكذلك قال فى قوله : ﴿ وهو أَهوَنُ عليه[2] ﴾ تقديره معنىً : وهو هيِّنٌ عليه ، لأَنَّ جميع المقدورات متساويةٌ بالنسبة إلى قُدرة الله ، فلا يصحُّ فى مقدورٍ مفاضلةُ الْهُونِ فيه على مقدورٍ آخر . ومنه قوله تعالى : ﴿هو أَعلم بكم﴾ إذ لا مشاركة لأَحدٍ بين علمه وعلم الله تعالى . ومن ذلك قول الفرزدق :

إن الذى سَمَكَ السماءَ بنى لنا بيتاً . . . البيت

٥٠١ أَى عزيزة وطويلة . فهذه مواضعُ لا يصحُّ فيها معنى المفاضلة ،

---

(١) المراد بالتنكيت هنا الإشارة . وفى اللسان : « ونكت فى العلم بموافقة فلان أو مخالفة فلان : أشار » . والفعل فيه ثلاثى لا مضعف ، ومثل فى تاج العروس . والنكتة أصل معناها النقطة ، وفى الأساس : « ومن المجاز : جاء بنكتة وبنكت فى كلامه . وقد نكت فى قوله ، ورجل منكت ونكات » . وفى تاج العروس عن الفنارى : « النكتة هى اللطيفة المؤثرة فى القلب من النكت ، كالنقطة من النقط ، وتطلق على المسائل الحاصلة بالنقل ، المؤثرة فى القلب ، التى يقارنها نكت الأرض غالباً بنحو الإصبع » .

(٢) سبق تخريج هذه الآية وتاليتها .

فثبت أنَّها صفات مجرَّدة عن ذلك ، مساويةٌ لسائر الصفات . ومثل ذلك كثير .

فقاس المبرِّد على ذلك ما فى معناه . فالناظم نكَّت عليه[1] ، وارتضى مذهب سيبويه ومن وافقه ، وأَنَّ أَفعل التفضيل لا يتجرَّد من معنى من إذا كان مجرَّدًا أَصلا . وما جاءَ منَّا ظاهرُه خلافُ ذلك فهو راجعٌ إلى تقدير معنى مِن ، أَو إلى بابٍ آخر . فأَمَّا المفاضلة فيما يرجع إلى الله تعالى فهى بالنسبة إلى عادة المخلوقين فى التخاطب ، وعلى حسب توهُّمهم العادىّ . فقوله : الله أَكبر ، معنى ذلك أَكبر من كلِّ شىءٍ يُتوهَّم له كِبْر ، أَو على حسبِ ما اعتادُوه فى المفاضلة بين المخلوقين ، وإن كان كبرياءُ الله تعالى لا نسبة لها إلى كِبْر المخلوق .

وكذلك قوله : ﴿ وهو أَهْوَنُ عليه ﴾ يريد على ما جرت به عادتكم ؛ أَنَّ إعادة ما تقدَّم اختراعُه أَسهل من اختراعه ابتداءً .

وقوله : ﴿ هو أَعْلَم بكُم ﴾ أى منكم ، حيث تتوهَّمون أَنَّ لكم علماً ولله تعالى علماً ، أَو على حدِّ ما تقولون : هذا أَعلم من هذا .

وهى طريقة العربِ فى كلامها ، وبها نزل القرآن . خُوطبوا بمقتضى كلامهم ، وبما يعتادون فيما بينهم .

وقد بيَّن هذا سيبويه فى كتابه حيث احتاج إليه . أَلا ترى أَنَّه حين تكلَّم على لعلَّ فى قوله تعالى : ﴿ لعلَّه يَتَذَكَّرُ أَو يَخْشَى[2] ﴾ صرف

---

(١) انظر التعليق السابق .

(٢) الآية ٤٤ من سورة طه .

مقتضاها من الطَّمع إلى المخلوقينَ فقال : والعلم قد أَتى من وراءِ ما يكون ولكن اذهبا على طَمعكما ورجائكما ومبلغِكما من العلم . قال : وليس لهما إلاَّ ذاك[1] مالم يعلما .

وهذا من سيبويه غايةُ التحقيق . وكثيراً ما يذكر أمثال هذا فى كتابه .

وأَمَّا بيت الفرزدق فغير خارج عن تقدير مِن ، فقد رُوِىَ عن رؤبة ابن العجَّاج أَنَّ رجلاً قال له : يا أَبا الجَحَّاف، أَخبرنى عن قول الفرزدق : « أَطولُ »، من كل شيء ؟ فقال له : رُويدًا ، إن العربَ تجتزئُ بهذا . قال : وقال المؤذِّن : الله أَكبر ، فقال رؤبة : أَما تسمع إلى قوله : الله أَكبر، اجتزأَ بها من أَنْ يقول من كلِّ شيء . هذا ما قال، وهو ظاهرٌ فى صحَّة التقدير ، وأَنَّه مرادُ العرب .

ثم إنَّ الذى يدلُّ على أَنَّ المراد معنى مِن ، أَنَّ أَفعل فى هذه المواضع ونحوِها لا يثنَّى ولا يجمع ، ولا يؤنَّث ، وما ذاك إلاَّ لمانع تقدير مِنْ ، كقوله تعالى : ﴿ أَصحاب الجنَّةِ يومَئِذٍ خيرٌ مُسْتَقَرًّا[2] ﴾ وقوله : ﴿ نحن أَعلم بما يَسْتَمِعُونَ[3] ﴾ ونحو ذلك .

والذى جاء من ذلك على الجمع شاذٌّ ، نحو ما أَنشده الفارسى من قول الشاعر :

إذا غابَ عنكم أَسودُ العين . . . البيت

أَنشده المؤلف في الشَّرح على أَنَّه جمع أَلأَم مجرّداً عن تقدير مِنْ .

---

(١) الذى فى سيبويه ١ : ١٦٧ بولاق و ٣٣١ من نسختى : « وليس لهما أكثر من ذا » .
(٢) الآية ٢٤ من سورة الفرقان .
(٣) الآية ٤٧ من سورة الإسراء .

وحمله الفارسيُّ على أنَّه جمع لئيم ، كقطيع وأقاطيع ، وحديث وأحاديث وحذف الزيادة . انتهى كلام الشاطبى .

ولم يذكر البيت الذى أنشده الشَّارح المحقق .

والتفضيل فيه غير مراد ، فإنَّ (أصغر) حالٌ من الضمير فى ألأم ، والمعنى نسبتُهم إلى أشدِّ اللؤم فى حال صغرهم وفى حال كبرهم ، والتفضيل لا وجهَ له إلاَّ بتكلُّف ، وهو أن يكون التقدير : أصغر من غيره وأكبر منه . وهذا معنى سخيف . ويجوز أن يكون أصغر صفة لألأم للتعميم ، فيرجع إلى معنى الحاليَّة . ولا وجه لجعْله صفة لقوم . فتأمَّل .

و (ألأم) منصوب على الذمِّ ، ويجوز أن يكون صفةً لقوله نفرًا ، وَيجوز أيضاً رفعه على أنَّه خبر لمبتدإٍ محذوف ، والتقدير : أنتم ألأم قومٍ ، والقطعُ للذمِّ أيضاً . واللُّؤم بالهمز : ضد الكرَم ، يقال لؤُم على وزن كرُمَ ، لُؤْماً ، فهو لئيم ، وهو الشحيح ، والدَّنِئُ النَّفس ، والمهين.

٥٠٢

وقوله : (قُبِّحتم) هو بالبناء للمفعول وتشديد الباء . يقال قَبَحه الله يَقْبَحه بفتح الباءين المخفَّفتين ، أى نحَّاه عن الخير . وفى التنزيل : ﴿ هُمْ مِن المَقْبُوحِين[1] ﴾ أى المبعَدين عن الفوز . وقبَّحه الله بتشديد الباء للمبالغة . والجملة دعائية . ويُقرأ بضم التاء والميم للوزن .

و (نفراً) : تمييزٌ محوَّل عن الفاعل ، والتقدير : قُبِّح نفرُكم ياآل زيد . والنَّفَر بفتحتين : جماعة الرجال من ثلاثة إلى عشرة ، وقيل إلى سبعة . ولا يقال نفر فيما زاد على العشرة . قاله صاحب المصباح . وفى ذكر النفر ذمٌّ أيضاً .

---

(١) الآية ٤٢ من سورة القصص .

والبيت لم أَقفْ له على خبر . والله أَعلم .

* * *

وأَنشد بعده ، وهو الشاهد الثانى والعشرون بعد السمّائة[1] :

٦٢٢ (ملوكٌ عظامٌ من مُلوكٍ أَعاظِمِ)

على أَنَّ (أَعاظم) بمعنى عظام ، وهو جمع أَعظم بمعنى عظيم ، غير مراد به التفضيل . ولو كان مرادًا للزم الإِفراد والتذكير .

ويأْتى فيه ما نقله الشاطبىُّ عن الفارسىّ من أَنَّه جمع عظيم مع حذف الزيادة[2] .

والمصراع من أَبيات لأَعرابىٍّ . والرواية كذا :

أبيات الشاهد

(توسَّمتُه لمَّا رأَيتُ مهابةً ... عليه وقلتُ : المرءُ من آل هاشمِ
وإلاَّ فمِنْ آل المُرار فإنَّهمْ ... ملوكٌ عظامٌ من كرام أَعاظمِ
فقمتُ إلى عنزٍ بقيّةِ أَعنزٍ ... لأَذبحَها فعَل امرئٍ غير نادمِ
فعوَّضنى عنها غِنَاىَ ، ولم تكن ... تُساوِىُ عنزى غيرَ خمسِ دراهمِ
فقلت لأَهلى فى الخلاء وصِبْيتى ... أَحقًّا أُرى أَم تلك أَحلام نائمِ
فقالوا جميعاً :لا بل الحقُّ هذه ... تخبُّ بها الرُّكبانُ وسْطَ المَواسمِ
بخمسِ مئينٍ من دنانير عُوِّضت
من العنز ما جادت به كفُّ حاتِمِ)

رُوى أَنَّ عُبيد الله بن العبَّاس ، رضى الله عنهما ، خرجَ مرّةً من المدينة يريد مَعاوية فى الشَّام ، فأَصابته سماءٌ ، فنظر إلى نُويرةٍ عن يمينه[3] ، فقال لغلامه : مِلْ بنا إليها . فلما أَتيَاها إذا شيخ ذو هيئة

(١) لم أجد له تخريجا .
(٢) انظر نهاية نص الشاطبى السابق فى ٢٨١ س ٢ .
(٣) النويرة : مصغر النار .

رثَّة ، فقال له : أَنِخ انزلْ حُيِّيت ! ودخل إلى منزله فقال لامرأته : هَيِّئ شَاتَكِ أَقضى بها ذمامَ هذا الرجل ، فقد توسَّمتُ فيه الخير ، فإن يكن من مُضَر فهو من بنى عبد المطَّلب ، وإن يكن من اليمن فهو من بنى آكل المُرار . فقالت له : قد عرفتَ حالَ صبيتى وأَنَّ معيشتهم منها ، وأَخاف الموتَ عليهم إن فقَدُوهَا . فقال : موتهم أَحبُّ إلىَّ من اللؤم . ثم قبض على الشاة فأَخذَ الشَّفرةَ وأَنشد :

قريبتى لا تُوقِظى بَنِيَّـــه ... إن يُوقَظُوا يَنسحبوا عليَّه

وينزِعُوا الشَّفرةَ من يديَّه ... أُبغِض هذا أن يُرَى لديَّه

ثم ذبحَهَا وكشط جلدها وقطَّعها أَرباعاً وقذفها فى القِدر ، حتَّى إذا استوت اَثَّرَدَ فى جَفنةٍ فعشَّاهم ثم غدَّاهم ، فأَراد عبيدُ الله الرحيل فقال لغلامهِ : ارمِ للشيخ ما مَعَك من نفقة . فقال : ذَبَح لك الشاة فكافأْتَه[(١)] بمثل عشرةِ أمثالِها ، وهو لا يعرفك؟ فقال : ويحك ، إنَّ هذا لم يكن يملك من الدنيا غير هذه الشاة ، فجاد لنا بها وإن كان لا يعرفنا ، فأَنا أَعرِف نفسى ، ارمِ بها إليه . فرماها إليه فكانت خمسَمائة دينار . فارتحل عُبيد الله فأَتى معاويةَ فقضى حاجتَه ثم أَقبل راجعاً إلى المدينة ، حتَّى إذا قرُبَ من ذلك الشيخ قال لغلامه : ملْ بنا إليه ننظرْه فى أَىِّ حالة هو ؟ فانتهَيَا إليه فإذا برجلٍ سرىٍّ عنده دُخَانٌ عالٍ ورَمَاد كثير ، وإبل وغنم ففرح بذلك وقال له الشيخ : انزل بالرُّحْب والسَّعة . وقال : أَتعرفنى ؟ فقال : لا والله فمن أَنت ؟ فقال : أَنا نزيلُك ليلة كذا وكذا . فقام إليه فقبَّل رأْسه ويدَيه ورجليه ، وقال : قد قلتُ أَبياتاً أَتسمعها منِّى ؟

٥٠٣

(١) ط : « فكافئه » ش : « فكافنه » ، كلا هما محرف عما أثبت .

فقال : هات . فأَنشد هذه الأبياتَ ، فضحك عُبيد الله وقال : أعطيتنا أَكثرَ ممَّا أَخذْتَ منَّا ، ياغلام أَعطِه مثلَها !

فبلغَتْ فَعلتُه معاويةَ فقال : لله درُّ عُبيد الله ، من أيِّ بيضةٍ خرج ، وفى أيِّ عُشٍّ درج ، وهى لعَمرِى من فَعَلاته !

وقوله :« توسَّمته » بمعنى تفرَّسته ، من التوسُّم ، يقال توسَّمت فيه الخير أى طلبت سِمَتَه .

وقوله : « وإلاَّ فمن آل المرار » أى إن لم يكن من آل هاشم فهو من آل المرار ، على حذف مضاف أى آل آكِل المُرار، وهم ملوك اليمن . قال صاحب القاموس : والمرار بالضم : شجرٌ مِن أَفضل العُشب وأَضخمِه ، إذا أَكلته الإِبلُ قلَصت مشافرُها فبدَت أَسنانُها ، ولذلك قيل لِجدِّ امرئ القيس : « آكلُ المرار » ؛ لكشَرٍ كان به .

وقال الشريف الجَوَّانى : إنَّ فى آكل المُرار خِلافاً ، هل هو الحارث ابن عمرو بن حُجر بن عمرو بن معاوية بن الحارث بن معاوية بن ثور بن مُرتِّع[1] ؟ أَم هو حُجر بن عمرو بن معاوية ؟ وإنَّ الحارث إنَّما سُمِّىَ آكل المرار لأَنَّ عمرو بن الهَبُولَةَ الغسَّانىَّ أغار عليهم ، وكان الحارث غائباً ، فغنِم وسَبى ، وكان فيمن سبى أُمُّ أُناسٍ بنتُ عَوف بن محلِّم الشَّيبانىِّ امرأَةُ الحارث ، فقالت لعَمرو بن الهَبُولة فى مسيرهِ : لكأَنِّى برجلٍ أَدلمَ أَسودَ ، كأَنَّ مشافرَهُ مشافرُ بعيرٍ آكل المرار، قد أخذ برقبتك ! تعنى الحارث . فسمِّىَ آكل المرار . والمُرار ، كغراب : شجر مرٌّ إذا أَكلت منها الإبل تقلَّصت مشافرها . ثم تبعه الحارث فى بكر بن وائل فلحقَه فقتله ، واستنقذ امرأته وما كان أَصاب .

---

(١) ابن الأنبارى فى شرح القصائد ٤ : « وإنما سمى مرتع مرتعاً لأنه كان من أتاه من قومه تمه ، أى جعل له مرتعا لماشيته » .

وقال ابن دريد (فى كتاب الاشتقاق) : إنَّ آكل المرار الحارث جدُّ امرئ القيس الشاعر ابن حُجر .

وقوله : «مُلوكٌ عظامٌ» إلخ ، بتنوين ملوك ، وعظامٌ وصْفُه ، وكذلك ما بعده .

وقوله : « فعوَّضنى » الخ ، فاعله ضمير المرءِ من آل هاشم ، المراد به عبيد الله بن عباس . و« غناى » المفعول الثانى لِعوَّضَ . والغنى : ضد الفقر ، وضمير عنها لِلعنز .

وقوله : « تُساوىُ » بضم الياءِ للضرورة ، أورده ابن عصفور (فى كتاب الضرائر[1]) وقال : أجرى حرف العلّة مجرى الحرف الصحيح فأظهر الضمّة عليه .

وكذا أورده المرادىُّ (فى شرح الألفية) .

وقوله : « فقلت لأهلى » إلخ ، الخلاءُ بالفتح والمد : الفضاءِ . وصِبية : جمع صبىّ ، أى قلت لزوجتى وأولادى .

وقوله : « أحَقًّا[2] أرى » إلخ . يقول : من شدَّة سرورى بالدنانير دُهِشت فقلت لهم مستفهماً : أما أراه حقًّا ، أم تلك الدنانير أضغاثُ أحلام ؟ وقوله : « تخبُّ بها » أى بذكرها ، أى بذكر الدنانير . وتخُبُّ ، تسرع من الخَبَب ، وهو ضربٌ من العَدْو ، وفعله من باب نصر . ورُكبان جمع راكب . والمواسم : جمع مَوسِم الحج .

وقوله : « بخمس مئينٍ » إلخ ، هو بدلٌ من قوله بها . ومئين بالكسر والتنوين لغةٌ ، أوْ ضرورة جمع مائة . وعُوّضت : جُعِلت عوضاً من العنز .

(١) الضرائر ٤٦ ، ٢٧٣ .
(٢) ط : « أحق » ، صوابه فى ش .

عبيد الله بن العباس

وقوله : « ما جادت » إلخ . ما نافية ، أى لم تجُدْ كفٌّ حاتم بهذا الجود . ويحتمل أن تكون ما موصولة خبر مبتدإٍ محذوف ، أى هى ماجادت به كفُّ حاتم . المراد به عُبيد الله بن العباس بالتصغير ، وهو أخو عبد الله بن العباس رضى الله عنهم ، حَبْرُ هذه الأُمَّة . والأَوَّل مشهورٌ بالجود معدودٌ من الأَجواد ، والثانى مشهورٌ بالعلم ، وإن كانا فى العلم والجُود مشتركين .

وقد أَورد ابن عبد ربه (فى العقد الفريد) بعضَ ما يتعلَّق بجود عبيد الله[1] .

منها : أَنَّه أَول من فَطَّر جيرانَه فى رمضان ، وأَوّل من وضع الموائد على الطُّرُق ، وأَوّلَ من حيًّا على طعامه[2] ، وأَوّل من أَنهبه .

ومن جوده : أَنَّه أَتاه رجلٌ وهو بفِناءِ داره ، فقام بين يديه فقال يا ابن عبَّاس ، إِنَّ لى عندك يدًا وقد احتجتُ إِليها . فصعَّد فيه بصَره وصوَّبه فلم يعرِفْه ، ثم قال له : ما يدُك عندنا ؟ قال : رأَيتك واقفاً بباب زمزم[3] وغلامُك يمتَح لك من مائها ، والشَّمسُ قد صهرتك ، فظَلَّلتُك بطرَف كسائى حتَّى شربت . قال : إِنِّى لأَذكر ذلك ، وإِنَّه يتردَّد بين خاطرى وفكرى . ثم قال لقيِّمه : ما عندك ؟ قال : مائتا دينار وعشرة آلاف درهم . قال : ادفعها إِليه وما أُراها تَفِى بحقِّ يده عندنا . قال له الرجل : والله لو لم يكن لإِسماعيل ولدٌ غيرك لكان فيه ما كفاه ، فكيف

---

(١) العقد ١ : ٣٤٠ – ٣٤٣ .

(٢) أى قال حى على الطعام ، أى هلموا إليه وأقبلوا .

(٣) فى العقد : « بزمزم » .

وقد وَلَد سيِّدَ الأوَّلين والآخِرين محمدًا صلى الله عليه وسلم ، ثمَّ شفَعَ[١] بـأَبيك وبِك .

ومن جوده أَيضاً : أَنَّ معاوية حَبس عن الحسين بن علىٍّ صِلاتِه حتَّى ضاقت حالُه عليه ، فقيل[٢] : لو وجَّهت إلى ابن عمكَ عُبيد الله ، فإنَّه قَدِم بنحو ألف ألف درهم . فقال الحسين : وأين تقع ألف ألفٍ من عُبيد الله ، فوالله لهو أَجْوَد من الرِّيح إذا عَصَفت ، وأَسخى من البحر إذا زخَر . ثم وجَّه إليه مع رسوله بكتابٍ ذكر فيه حبسَ معاوية عنه صِلاتِه وضيقَ حاله ، وأنَّه يحتاج إلى مائة ألف درهم . فلما قرأ عبيد الله كتابه وكان من أَرقِّ الناس قلبًا انهملتْ عيناه ، ثم قال : ويلك يا معاوية ما اجترحَتْ يداك من الإثم حين أَصبحت ليِّن المهاد ، رفيعَ العماد ، والحسينُ يشكو ضِيقَ الحال ، وكثرةَ العيال ! ثم قال لِقَهرمانِه : احمل إلى الحسين نصفَ ما أملكه من فضَّة وذهب ، وثوبٍ ودابَّة ، وأَخْبِرْه أنِّى شاطرتُهُ مالى ، فإن أَقنعَه ذلك وإلاَّ فارجعْ واحملْ إليه الشَّطر الآخر . فقال له القيم : فهذه المؤن التى عليك من أين تقوم بها ؟ قال : إذا بلغنا ذلك دللتُك على أمرٍ يُقيم حالك . فلما أتى الرسولُ برسالته إلى الحسين قال : إنَّا لله ، حملتُ والله على ابن عمِّى ، وما حسبته يتَّسع لنا بهذا كلِّه . فأخذ الشَّطرَ من ماله . وهو أوّلُ من فعل ذلك فى الإسلام.

ومن جوده : أنَّ معاوية أهدَى إليه وهو عندَه بالشام من هدايا النَّيرُوزِ حُللًا كثيرة ، ومِسكًا ، وآنيةً من ذهبٍ وفضَّة ، ووَجَّهها مع حاجبه ، فلمَّا وضعها بين يديه نظر إلى الحاجب وهو ينظر إليها فقال : هل فى

(١) فى العقد : « ثم شفعه » .
(٢) العقد : « فقيل له » .

نفسك منها شيءٌ ؟ فقال : نعم ، والله إنَّ فى نفسى منها ما كان فى نفس يعقوب من يوسف عليهما السلام ! فضحك عُبيد الله وقال : فشأْنَكَ بها فهى لك . قال : جُعِلتُ فداك ، أخاف أن يبلغ ذلك معاوية فيجِدَ علىَّ . قال : فاختِمْها بخاتَمك ، وارفَعْها إلى الخازن ، فإذا حان خروجُنا حملَها إليك ليلا . فقال الحاجب : والله لهذه الحيلةُ فى الكرم أكثر من الكرم ، ولودِدتُ أنِّى لا أموت حتى أراك مكانه ، يَعنى معاوية ، فَظَنَّ عُبيد الله أنَّها مكيدة منه . قال : دع عنك هذا الكلام فإنَّا قومٌ نَفِى بما وعَدْنا ، ولا ننقُض ما أكَّدنا .

٥٠٥ ومن جوده أيضاً : أنَّه أتاهُ سائلٌ وهو لا يعرفه ، فقال له : تصدَّقْ فإنِّى نبِّئتُ أنَّ عُبيد الله بنَ العباس أعطى سائلاً ألفَ درهم واعتذرَ إليه . فقال له : وأين أنا من عُبيد الله ؟ قال : أين أنت منه فى الحسَب أم كثرة المال ؟ قال : فيهما . قال أمَّا الحسَب فى الرجُل فمروءته وفعله ، وإذا شئتَ فعلتَ ، وإذا فعلتَ كنت حسيباً . فأعطاه ألفى درهم واعتذر إليه من ضيق الحال ، فقال له السائل : إن لم تكن عُبيدَ الله بن عبَّاس فأنت خيرٌ منه ، وإنْ كنته فأنت اليوم خيرٌ منك أمس ! فأعطاه ألفاً أخرى ، فقال السائل : هذه هِزَّة كريم حسيبٍ ، والله لقد نقرتَ حبَّةَ قلبي فأفرغتَها فى قلبك فما أخطأْتَ إلَّا باعتراض الشدِّ من جوانحى[1]

ومن جوده أيضاً : أنَّه جاءه رجلٌ من الأنصار فقال : يا ابن عمِّ رسول الله ، وُلد لِى فى هذه الليلةِ مولودٌ وإنِّى سميته باسمكَ تبرُّكاً منِّى به ، وإنَّ أُمَّه ماتت . فقال عُبيد الله : باركَ الله لك فى الهبَة ، وأجزل لك

(١) العقد : « إلا باعتراض الشك بين جوانحى » .

الأَجر على المصيبة . ثم دعا بوكيله فقال : انطلق الساعة فَاشترِ للمولود جاريةً تحضُنه ، وادفعْ إليه مائتى دينارٍ للنفقة على تربيته . ثم قال للأَنصاريّ : عُد إلينا بعد أَيام فإنَّك جئتَنا وفى العيش يُبس ، وفى المالِ قِلَّة ! قال الأَنصاريّ: لو سبقتَ حاتماً بيومٍ واحد ما ذكَرَتْه العرب أَبداً ولكنَّه سبقَك فصرتَ له تالياً، وأَنا أَشهد أَنَّ عفوك أَكثر من مجهوده[1] وطَلَّ كرمِك أَكثرُ من وابِله .

هذا ما اخترناه من العِقد ، وفيه كفاية ، وقصَدْنا بتسطيره الثواب وإن كنَّا أَطلنا به الكتاب .

* * *

وأَنشد بعده ، وهو الشاهد الثالث والعشرون بعد السِّتّمائة[2] :

٦٢٣ (لَعَمْرُكَ ما أَدرِى وإنِّى لَأَوْجَلُ
على أَيِّنا تَعْدُو المنيَّةُ أَوَّلُ)

على أَنَّ (أَوَّلُ) بنى على الضم لحذفِ المضافِ إليه ونيّةِ معناه . والأَصل : أَوَّلَ أَوقاتِ عَدْوِها .

قال ابن جنى (فى إعراب الحماسة) : إنَّما بنيت أَوّل هنا لأَنَّ الإضافة مرادةٌ فيها ، فلما اقتُطعت منها وهى مرادة فيها بنيت كقَبْلُ وبعد ، فكأَنَّه قال : تعدو المنيَّة أَوَّلَ الوقت . وأَصلها قبل الإضافة أَن

---

(١) العفو : ما كان بغير مسألة .

(٢) المقتضب ٣ : ٣٤٦ والكامل ٣٥٧ ، ٤٢٣ والمنصف ٣ : ٤٥ وأَمالى ابن الشجرى ١ : ٣٢٨ / ٢ : ٢٦٣ وابن يعيش ٤ : ٨٧/٦ : ٩٨ وشذور الذهب ١٠٣ والعينى ٣ : ٤٣٩ والأشمونى ٢ : ٢٦٨ ٢ : ٢٦٨ ويس على التصريح ٢ : ٥٢ وديوان معن ٥٦ . وشرح الحماسة للمرزوقى ١١٢٦ والتبريزى ٣ : ١٣٢

تكون معها مِنْ لِيتِمَّ بها قبل الظرفية صفة ، فتكون كقديم وحديث[١] لم تنقل عن الوصف إلّا إلى الظرّفيّة[٢] . فإذا صحّ فيها مذهب الصِّفة فلابدَّ فيها من معنى مِن قبل الإضافة ، فإذا تصوِّرت صفةً قبل ذلك أَمكن حينئذ نقلها إلى الظرف كسائر ما نقل إلى الظروف من الصِّفات ، نحو قديم وحديث ، ومَلِيّ وطويل . وأوجَلُ ممَّا جاءَ على الصفات على أفعل لا فعلاءَ له . أَلا تراهم لايقولون وَجْلاءُ ، استغنَوْا عنها بِوَجِلة.اهـ .

وظنَّه العينى فعلا مضارعاً فقال : قوله : لأَوجل أى لأَخافُ ، من وجِل يَوجَل .

و (عمرك) ، بفتح العين: مبتدأٌ محذوف الخبر، أى قسمي ، وجملة ما أَدرى جواب القسم . والمصراع الثانى فى محل نصب على أَنَّه سادٌّ مسدَّ مفعولَىْ دَرى ، معلَّق عن العمل فى لفظه بسبب الاستفهام ، وعلى متعلقة بتَعدُو. وأخطأَ العينى فى قوله : مفعول أَدرى محذوف تقديرهُ : ما أَدرى مايُفعل بنا أَو مايكون ، ونحوُ ذلك . ولم يتعرَّض لجملة على أَيِّنا تعدُو إلخ . وهو بالعين المهملة مِن عدا عليه يعدو عَدْوًا ، بمعنى ظَلم وتجاوزَ الحد . وروى بالغين المعجمة ، من غدا غَدْوًا[٣] ، أَى ذهب غُدوة ، وهى ما بينَ صلاة الصُّبح وطلوع الشمس . هذا أَصله ، ثم كثُر حتى استعمل فى الذهاب والانطلاق أَىَّ وقتٍ كان . والمنيَّة : الموت . وأَوّلُ : ظرفٌ مبنىٌّ ، وموضعه النصب بتعدو ، وجملة وإِنِّى لأَوجل جملة معترضة بين أَدرى وبين السادِّ عن مفعوليها . وأَوجَل معناه خائف . والمعنى : ٥٠٦

(١) فى إعراب الحماسة : « كلى وقديم وحديث » .

(٢) فى إعراب الحماسة : « ثم تنقل عن الوصف إلى الظرفين » .

(٣) يقال غدا يغدو غدواً ، وغدواً أيضاً على فعول .

أُقسم ببقائك ما أَعلم أَيُّنا يكون المقدَّم فى عَدْوِ الموت عليه . وهذا كما قال الآخر :

فأَكرمْ أخاك الدَّهر ما دمتما معاً كفى بالممات فُرقةً وتنائيا

والبيت مطلع قصيدةٍ لمعن بن أَوسٍ المُزَنىِّ، أَورد بعضَها أَبو تمام (فى الحماسة) . ونحن نقتصر عليه .

سبب الشعر

قال شُرَّاحها : وسبب هذا الشعر أَنَّه كان لمعن بن أَوس صديقٌ ، وكان معنٌ متزوِّجاً بأُخته ، فاتَّفق أَنَّه طلقها وتزوَّج بأُخرى ، فحَلف صديقُه أَن لا يكلِّمه أَبدًا . فقال معن هذه القصيدة يستعطف بها قلبَه ويسترقُّه له . وفيها ما يدلُّ على القصَّة ، وهو قوله :

فلا تغضَبَنْ أَن تُستعارَ ظعينةٌ وتُرسَلَ أُخرى ، كلُّ ذلك يُفعلُ

والأَبيات التى أَوردها أَبو تمام بعد المطلع هى هذه :

(وإنِّى أَخوك الدائمُ العَهدِ لم أَحُلْ
إنَ آبزَاكَ خَصمٌ أَو نبا بك منزلُ
أُحاربُ من حاربتَ من ذى عداوةٍ
وأَحبسُ مالى إنْ غَرِمْتَ فأَعقلُ
كأَنَّك تَشفِى منك داءَ مساءَتى
وسُخطى ، وما فى رَيْثتى ما تَعجَّلُ
وإن سُؤْتَنى يوماً صَبَرتُ إلى غدٍ
ليُعقِبَ يوماً مِنك آخرُ مقبلُ[1]

(١) فى الحماسة والديوان ٣٦ : « صفحت » . وفى الديوان أيضاً : « ليعقب يوم » .

وإنِّى على أَشياءَ منكِ تَريبُنى
قديماً لذو صفحٍ على ذاكَ مُجمِلُ
ستقطعُ فى الدُّنيا ، إذا ما قطعتَنى
يمينكَ ، فانظرْ أىَّ كفٍّ تبدَّلُ
وفى النَّاس إن رثَّتْ حبالُك واصلٌ
وفى الأَرض عن دار القِلى متحوَّلُ
إذا أَنتَ لم تُنصِف أَخاك وجدتَه
على طَرَف الهِجران إنْ كانَ يَعقِلُ
ويركبُ حدَّ السَّيف من أَنْ تَضِيمَه
إذا لم يكنْ عن شَفرة السَّيفَ مَزْحَلُ
وكنتُ إذا ما صاحبٌ رامَ ظِنَّتى
وبَدَّلَ سُوءَى بالذى كنت أَفعَل[1]
قلبتُ له ظَهرَ المِجنِّ ولم أَدُم
علَى ذاكَ إلَّا ريثَما أَتحوَّلُ
إذا انصرفتْ نفسى عن الشَّىءِ لم تكَدْ
إليه بوجهٍ آخرَ الدَّهرِ تقبلُ[2])

وقوله : « وإنِّى أَخوك » إلخ . يقول : إنِّى أَخوك الذى يدوم عهدُه ولا يزول ولا يَحُول إن أَبزاك خصم ، أَى غلبَك وقهرك . يقال بزَوت الخصم بَزْواً ، وأَبزيته إبزاءً ، بالباء الموحَّدة والزاى . ويجوز أن يكون أَبزاك من بَزِىَ يبزَى بزًى فهو أَبزَى ، وهو دخول الظهر وخُروج البطن

(١) هذا مافى ش . وفى ط والحماسة والديوان : « سوءاً » .
(٢) فى الديوان : « عليه بوجه » .

ويكون المعنى : إن حمّلك خَصمٌ من الثقل ما يَبزَى له ظهرُك فلا تطيق الثّباتَ تحته والنهوضَ به .

وقوله : « أُحارب مَن حاربت » إلخ ، هذا تفسير دوام عهده ، أى تجدنى ذاباً عنك ، وإن أصابك غُرم حبستُ مالى عليك . وأعقل عنك ، يقال عقَلت عنه إذا غرِمت ما لزمه فى ديته . وعَقلتُه ، إذا أَعطيتَ ديتَه . ويجوز أَن يكون معنى فأَعقل : أَشدُّها بعُقُلها بفنائك لتدفَعَها فى غرامتك . والمال إذا أُطلِق يراد به الإبل . ٥٠٧

وقوله : « كأَنَّك تشفِى » إلخ ، يريد : إساءتك إلىّ وسخطك علىّ ، فأَضافهما إلى المفعول . والمعنى : إنَّك تستمر فى إساءتك إلىَّ حتَّى كأَنَّ بك داءً ذاك شِفاؤُه . والرَّيثة : ضدُّ العجلة . يقول : ليس فى أَناتى وتركى مكافأَتك ما يجبُ أَن يتعجَّل علىَّ بما يسوءُنى .

وقوله : « وإن سُؤْتَنى يوماً » إلخ ، أَى إنْ فعلتَ ما يسوءُنى تجاوزتُ إلى غدٍ ليجىءَ يومٌ آخر مقبلٌ منك بيومٍ يسرُّنى .

وقوله : « ستقطع فى الدنيا » إلخ ، يقول : أَنا لك بمنزلة يدك اليمنى ، فإذا قطعتَنى فإنَّما تقطع يمينك .

وقوله : « وفى الناس إنْ رثَّتْ » إلخ ، يقول : إذا انقطعت حبالُ الودِّ بينى وبينك ورَثَّت ففى الناس واصِلٌ غيرك . وإذا نبا بى جوارُكَ ففى جوانب الأَرض متحوَّلٌ عن دار البُغض .

وقوله : « إذا أَنت لم تُنصف » إلخ ، أَى إذا لم تُنصف أَخاك ولم توفِّه حقوقَ إخائه وجدته هاجراً لك مستبدلاً بك إن كان له عقل ، ثم لا يبالى أَنْ يركب من الأُمور ما يقطِّعه تقطيع السيف ، ويؤثِّر فيه تأْثيره ، مخافة أَن يصيبه ضيمٌ مَتَى لم يجد عن ركوبه معْدِلاً .

وقوله: « من أن » أى بدلاً من أن. وشَفرة السَّيف بالفتح: حدُّه. ومَزحل، بالزاى والحاء المهملة: مصدر زحَل عن مكانه، إذا تنحَّى عنه وتباعد.

وقوله: « وكنت إذا ما صاحبٌ » إلخ، رام ظِنَّتى بالكسر: عرَّضنى لاتِّهام عَقْده والارتياب بودِّه، بأن عدَّ إحسانى إليه إساءة. ومعناهُ: رام إيقاعَ التُّهمة علىّ.

وقوله: « قلبتُ له ظهر » إلخ، أى اتَّخذته عدوًّا وقلبت له ظهر التُّرس متَّقياً منه، ولم أَدُمْ على الحال المذكورة معه إلاَّ قدَر ما أتحوَّل، وبُطء ما أَتَنَقَّل.

قال المبرد (فى الكامل): دخلَ عبد الله بن الزَّبير[1] يوماً على معاوية فقال: اسمعْ أبياتاً قلتُها. وكان واجداً عليه. فقال معاوية: هاتِ. فأنشده:

إذا أنت لم تُنصفْ أخاكَ وجدتَه على طَرَف الهِجرانِ إنْ كان يَعقلُ

مع البيت الذى بعده. فقال له معاوية: قد شَعَرت بعدنا يا أبا بكر! ثم لم ينشَب معاويةُ أن دَخلَ عليه معنُ بن أوسٍ المُزنىُّ فقال: أقلتَ بعدنا شيئاً؟ فقال: نعم. فأنشده:

لعمركَ ما أَدرى وإنِّى لأَوْجَلُ على أَيِّنا تَعدو المنيَّة أوّلُ

حتى صار إلى الأبيات التى أنشدها ابنُ الزَّبير، فقال له معاوية: يا أبا بكر، أَمَا ذكرت آنفاً أنَّ هذا الشعرَ لك؟ قال أصلحتُ المعانىَ وهو أَلَّف الشعر، وهو بعدُ ظِئرى، فما قال من شىءٍ فهو لى. وكان عبد الله مُسترضَعاً فى مُزينة. انتهى.

(١) عبد الله بن الزبير، بفتح الزاى وكسر الباء، ترجم فى ١: ٢٦٤ – ٢٦٦.

والظِّئر ، بكسر الظاءِ المعجمة بعدها همزة ساكنة : المرأَة الأَجنبية تحضُن ولد غيرها . ويقال للرجُل الحاضن ظئر أَيضاً . وهذا هو مراد ابن الزَّبير .

وقال الحُصْرىّ (فى زهر الآداب) بعد إيراد هذه الحكاية : أَراد ابنُ الزبير معاتبة معاوية بشعرِ معن ، وليس ادّعاؤه على حقيقةٍ منه .

وهذان البيتان قد أَوردهما صاحب تلخيص المفتاح فى السرقات الشعرية .

وترجمة معن بن أَوس المزنى تقدَّمت فى الشاهد الثلاثين بعد الخمسمائة[1] .

* * *

وأَنشد بعده :

(ولا ناعبٍ إلاَّ ببين غُرابُها)

هو عجزٌ ، وصدره :

(مشائيمُ ليسوا مصلِحِين عشيرةً)

على أَنَّ (ناعبا) عَطف بالجرِّ على مصلحينَ المنصوب على خبر ليْسُوا ، لِتَوَهُّم الباءِ ، فإنها تزاد فى خبر ليس . ٥٠٨

وقد تقدَّم الكلام على هذا البيت فى الشاهد الثامن والسبعين بعد المائتين[2] .

---

(١) الخزانة ٧ : ٢٦٠ – ٢٦٣ .

(٢) الخزانة ٤ : ١٥٨ – ١٦٥ .

ومشائيم : جمع مشئُوم ، من شئِم عليهم بالبناء للمفعول ، فهو مشئوم ، إذا صار شُؤماً . يقول : لا يُصلحون أمر العشيرة إذا فسد ما بينهم ، ولا يأْتمرون بخيرٍ ، فغرابُهم لا ينعَب إلَّا بالتشتيت والفراق . وهذا مثَلٌ للتطيُّر منهم والتشاؤمِ بهم . والنعيب : صوتُ الغراب ومدٌّ عنقِه عند ذلك.

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الرابع والعشرون بعد السّمائة[١] :

٦٢٤ (فى سَعْيِ دُنْيا طالما قد مُدَّتِ)

على أَنَّ (دنيا) قد جُرِّدت من اللام والإضافة لكونها بمعنى العاجلة.

يريد أَنَّ الاسمية غلبت عليها لِكثرة استعمالها ، ولهذا لم تجر على موصوف غالباً ، كما غلبت الاسمية على نحو الأَجرع والأَبطَح .

قال ابن يعيش : القياس فى دنيا أن يكون بالأَلف واللام ، لأَنَّه صفة فى الأَصل على أنه فُعلى ومذكره الأَدنى ، مثل الأَكبر والكبرى . وهو من دنوت ، فقلبت الواو فى الأَدنى أَلفاً لتحرُّكها وانفتاح ما قبلها ، وذلك بعد أَنْ قُلبت ياءً لوقوعها رابعة . وقد تقدَّم أَنَّ الأَلف واللام تلزم هذه الصفة ، إلَّا أَنَّهم استعملوا دنيا استعمالَ الأَسماء ، فلا يكادون يذكرون معه الموصوف ، ولذلك قلبوا اللام منه ياءً لضربٍ من التعادل والعوض[٢] ، كأَنَّهم أَرادوا بذلك الفرقَ بين الاسمِ والصفة[٣] ، فلمَّا غلب عليها حكم

---

(١) الكشاف ٢ : ٣٠ وابن يعيش ٦ : ١٠ وديوان العجاج ٥ .

(٢) أى لئلا يجتمع ثقل الضمة فى أول الكلمة والواو فى آخرها، فقلبت الواو ياء ليتحقق التعادل والخفة .

(٣) أى إنهم إنما أجروا التعديل فى الاسم لأنه أسبق من الصفة وأولى بالتعديل والتخفيف فقلبت واوه ياء فى نحو : الدنيا والعليا والقصيا . وأما الصفة التى على فعلى بالضم ، فقد بقيت على ثقلها ، بضم أولها وبالواو فى آخرها ، وذلك نحو : الغزوى والقصوى . وانظر شرح الشافية ٣ : ١٧٧ — ١٧٩ .

الأَسماءِ أَجَرْوها مجرى الأَسماءِ . وكانت الأَلف واللام لا تلزم الأَسماءَ فاستعملوها بغير أَلف ولام ، كسائر الأَسماءِ . انتهى .

وأورده صاحب الكشاف عند قوله تعالى: ﴿إنَّما صَنَعُوا كَيْدُ ساحِرٍ﴾[1] من سورة طه . قال : إنَّ تنكير ساحر مع كونه معلوماً معيَّناً لأَجل تنكير المضاف ، وهو كَيْد ، كما نكَّر الشاعر دنيا، لِأَجلِ تنكير سَعى . والمراد كيدٌ سحرىٌّ وسعْىٌ دنيوىٌّ . ولو عرِّف السحر والدُّنيا لصار الكيد والسعى معرفتين ، والمراد تنكيرهما ، إذِ الغرض كيدٌ مَا وسعىٌ ما .

وقال أَبو حيان : البيت محمولٌ على الضرورة ، إذ دنيا تأْنيث الأَدنى، لا يستعمل إلَّا بالأَلف واللام أَو بالإضافة. وأَمَّا قول عُمر : « إنِّى لأَكره أَن أَرى الرجل فارغاً لا فى عمل دُنيا ولا فى عمل آخرة »، فيحتمل أَنْ يكون من تحريف الرُّواة . انتهى .

ولا يخفى أَنَّه ورد فى الحديث الصحيح : « فإنْ كانت هجرته إلى دنيا يُصيبها » . ولم يقل غيره إنَّ دنيا ضرورة . نعم تنوينه ضرورة[2] ، ذكره ابن عصفور (فى كتاب الضرائر) .

وقال ابن جنى (فى إعراب الحماسة) عند[3] قول المثلَّم بن رياح المرّى :

إنى مقسِّمُ ما ملكتُ فجاعلٌ أَجراً لِآخرةٍ ودنيًا تنفعُ[4]

قد استعملت العرب فى غير هذا دنيا نكرة كما ترى ، قال العجاج:

---

(١) الآية ٦٩ من سورة طه .

(٢) فى هامش ش : « أقول : أى ضرورة تدعو إلى صرف دنيا والوزن مستقيم بالألف كما هو ظاهر . فليتأمل » . وكذلك أثبت فى هامش ط على أنه ثابت فى هامش أصلها .

(٣) ط : « عن » ، صوابه فى ش .

(٤) ضرائر ابن عصفور ٣٥ والحماسة بشرح المرزوقى ١٦٥٧ .

* فى سَعْىِ دُنْيَا طالما قد مُدَّت *

وروى ابنُ الأَعرابى « دنيا » بالصَّرف ، وقال أَيضاً فى ذلك[1] : إنهم شبهوها بفُعْلال فنوَّنوها .

وهذا نادرٌ غريب ، ولم نعلم شيئاً مما فى آخره أَلف التأْنيث مفردًا مصروفًا غير هذا الحرف . ولو قال قائلٌ إن دنيا هذه المصروفة تكون ملحقة فى قول أَبى الحسن بجُخْدَبٍ ، وكالأَلف فى بُهماةٍ[2] لم أَر بأْساً .

فإن قلت : فلو كانت أَلف دنيا للإلحاق لوجب فيها دُنْوًا ، وذلك أَنَّ اللام فى نحو هذا إذا كانت واوًا فإنَّها إنَّما تبدل ياءً فى فعلى التى أَلفها للتأْنيث ، وجاءَت هذه للإلحاق ؟ فالجواب : أَنَّ هذا النحو لمَّا غلب عليه مثال فُعلَى التى أَلفُها للتأْنيث ، وجاءَت هذه للإلحاق ،أَجرَوْها على المعتاد من القلب فيها . وأَيضاً فإنَّ أَلف الإلحاق قد تجرى مجرى أَلف التأْنيث . أَلا تراها زائدةً مثلَها ، وذاتَ معنًى مثلها . نعْم ، وإذا جعلت ما فيه أَلفُ الإلحاق عَلماً لم ينصرف ، لمشابهتها حينئذ أَلف التأْنيث .

فإن قلْت : فأَجزْ أَيضاً أَن يكون دنيا فُعْلل كسُودَد؟ قيل : يمنع من هذا أَنَّ حرف الإلحاق من حيث ذَكَرنا أَشبه بحرف التأْنيث من لام الفعل ، فإذا كان إنَّما لتشبيه الملحق بحرف التأْنيث على ضعف وضرب من التأَوُّل لم يتجاوز ذلك إلى تشبيه الأَصلىّ بحرف التأْنيث ، لإفراط تباعدهما . فلو كانت دنيا على هذا فُعلَلا لكانت دُنْوًا . ولو قال قائل :

---

(١) ط : « فى غير ذلك » ، صوابه فى ش وإعراب الحماسة الورقة ٢٢٦ .

(٢) البهماة : واحدة البهمى بالقصر ، لضرب من النبات . وفى ط : « بهمات » ، صوابه فى وإعراب الحماسة .

إن دنيا فيمن صرف فُعْيَل بمنزلة عُلْيَب لكان له وجهٌ من التصريف ، ولكنَّه يبقى عليه شيئان : أَحدهما قلَّة عُلْيَب فلا يقاس عليه . والآخر : أنَّ دنيا تأْنيث الأَدنى . وهذا أَشدُّ شيء تبايناً من[1] حديث فُعْيَل وفعلل ، وهو أَيضاً أَحدما يضعِفُ كونَها أَلفَ إلحاق. فاعرف ذلك. انتهى .

والبيت من رجز للعجاج ، أَوّلُه :

أشعار الشاهد

(الحمدُ لله الذى استقلَّتِ	بإذنهِ السَّماءُ واطمأَنَّتِ
بإذنه الأَرضُ فما تعنَّتِ[2]	وَحَى لها القَرارَ فاستقرَّتِ
وشدَّها بالراسياتِ الثُّبَّتِ	والجاعلُ الغيثَ غياثَ المُسْنِتِ
والجامعُ الناسَ ليوم المَوْقِتِ	بعد الممات ، وهو مُحيِي المُوَّتِ
يومَ ترى النفوسُ ما أَعدَّتِ	من نُزُلٍ إذا الأُمورُ غبَّتِ
فى سَعْيِ دنْيا طالما قد مُدَّتِ	حَتَّى انقضى قضاؤها فأَدَّتِ)

قال أَبو القاسم الزجاجي (فى أماليه الوسطى والصُّغرى) : أَخبرنا أَبو عبد الله محمد بن العباس اليزيدى قال : أَخبرنا أَبو الفضل الرِّياشيُّ عن الأَصمعيّ ، عن عبد الله بن رؤبة بن العجَّاج ، عن أَبيه عن جدِّه قال : أنشدتُ أَبا هريرة قصيدتى التى أولها :

* الحمد لله الذى استقلَّتِ *

حتى أَتيتُ على آخرها ، فقال : أَشهد إنَّك لمؤمن . انتهى .

---

(١) ش : « تبايناً عن » ، وفى إعراب الحماسة « تباعداً عن » مع إثبات « تباينا » فى هامش المخطوطة تصحيحاً لها .

(٢) وهكذا ضبطت بالنون فى تفسير البغدادى . ورواية الديوان ٢٦٦ ، والتهذيب ٣ : ١٤٣ ، واللسان (عتا) : « وما تعتت » بالتاء . وفى شرح الديوان : « وعتت : عصت ، يقال عتا فلان على فلان ، إذا عصى عليه » .

وقوله « استقلّت» ، أى ارتفعت . والسماءُ فاعله . واطمأَنَّت ، أى سكنت ، والأَرض فاعله . و « تعنّت » بالنون : تعبت. فى الصحاح : وَعَنِى بالكسر عناءً أى تعب ونَصِب،وعنَّيته تعنية فتعنّى . والوحى : الإشارة والإلمام : قال صاحب الصحاح : والكلام الخفىُّ وكلُّ ما أَلقيته إلى غيركَ . يقال : وَحَيت إليه الكلام وأوحيت ، وهو أَن تكلمه بكلام تُخفيه[1] . وأنشد هذا البيت .

و « الراسيات » ، هى الجبال الثَّوابت والرَّواسخ . و « الثُّبَّت » : جمع ثابت و« الغيث » : المطر . وفى المصباح : أغاثه : أَعانه ونصره . وأَغاثنا الله بالمطر ، والاسم الغِياث . و«المُسنِت»: اسم فاعل من أَسنتَ القومُ أى أَجدبوا ، وأَصله من السَّنة[2] وهو القحْط . و « الموَّت » : جمع مائت . و « أَعَدَّت » ، أى هيأَت وجعلته عُدَّة . و«من نُزُل» بالضمِّ بيانٌ لما. والنُّزُل : ما يهيَّأُ للنزيل ، أَى الضيف. وغبَّت بالغين المعجمة والموحدة ، أى بلغتْ غِبَّها وعاقبتَها . وفى الصحاح : وقد غبَّت الأُمور ، إذا صارت إلى أَواخرها . وفى سعى متعلِّق بغبَّت. و« مُدَّت » بالبناءِ للمفعول أى امتدَّت وتطاولت . و « أَدَّت » بتشديد الدال . يقال أَدَّت فلانًا داهية تؤدُّه أَدًّا بالفتح ، من الإِدِّ ، والإِدَّة ، بكسر أوّلهما ، وهى الداهية والأَمر الفظيع . ٥١٠

وترجمة العجَّاج تقدَّمت فى الشاهد الحادى والعشرين من أَوائل الكتاب[3] .

* * *

(١) ش : « أن يكلمه بكلام يخفيه » ، وأثبت مافى ط والصحاح .

(٢) ش : « السنت » ، صوابه فى ط .

(٣) الخزانة ١ : ١٧٠ .

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الخامس والعشرون بعد السمائة[1] :

٦٢٥(وإنْ دعَوتِ إلى جُلَّى ومَكْرُمة

يوماً سَراةَ كِرامِ النَّاسِ فادْعِينَا)

على أنَّ (الجُلَّى) قد تجرد من اللام والإضافة لكونها بمعنى الخُطَّة العظيمة .

والخُطَّة بالضم : الشأن والحالة والخَصْلة ، فتكون الجُلَّى[2] اسماً للشأن والحال، كما قال الزمخشرى (فى المفصل) .

وقال ابن يعيش (فى شرحه) : الجيِّد أن تكون مصدراً كالرُّجعَى بمعنى الرُّجوع ، والبُشْرَى بمعنى البِشارة . وليس بتأنيث الأجلّ ، على حد الأكبر والكبرَى ، لأنَّه إذا كان مصدرًا جاز تعريفه وتنكيره .

وإلى هذا ذهب الحريرى (فى درَّة الغوَّاص) قال : وأمَّا طوبى فى قولهم : طوبى لك ، وجُلَّى[3] فى قول بشامة النهشلىّ :

وإن دعوتِ إلى جُلَّى ومكرمة . . . البيت

فإنَّهما مصدرانِ كالرُّجعى ، وفُعلى المصدريَّة لا يلزم تعريفها .

والبيت وقع فى شعرَينِ : أحدهما للمرقِّش الأكبر رواه المفضَّل بن محمد الضبي له ، وكذلك ابن الاعرابى (فى نوادره) ، وأبو محمد الأعرابى (فيما كتبه على شرح الحماسة للنمرى) ، وهو :

(يا دارَ أجوارِنا قُومى فحيِّينـا وإنْ سَقيتِ كرامَ النَّاس فاسْقِينَا

---

(١) المؤتلف ٦٦ وابن يعيش ٦ : ١٠٠ ، ١٠١ ويس على التصريح ٢ : ٣٨١ والحماسة بشرح المرزوقى ١٠١ وبشرح التبريزى ١ : ٩٩ والمفضليات ٤٣١ .

(٢) ش : « الجلة » ، صوابه فى ط .

(٣) فى النسختين : « وجل لك » ، صوابه من درة الغواص ٢٦ .

وإنْ دعوتِ إلى جُلَّى ومكرُمةٍ يومًا سَراة خِيارِ النَّاسِ فادعينا
شُعثٌ مَقادمُنا نُهْبى مراجلنا نأْسُو بأَموالنا آثارَ أَيدينا[١]
المطعِمُون إذا هبَّتْ شآمية وخيرُ نادٍ رآهُ النَّاسُ نادينا)

قوله: « يادار أجوارِنا » إلخ ، قال فى العباب: الجارُ يجمع على جيران ، وجِيرة ، وأجوار . وأنشد الليث :

* ورسمِ دارٍ دارس الأَجوار *

وروى : « يا ذات أجوارنا » .

وقوله : « شُعْثٌ مقادمنا » إلخ ، رُوى أيضاً :

* بيضٌ مفارقنا تغلى مراجلُنا *

قال أَبو محمد الأَعرابىُّ : سأَلتُ أَبا النَّدَى عن هذه الرواية قال : هذه روايةٌ ضعيفة ، فإنَّ بيضَ المفارق قُرع ، ومرجل الحائك يغلى كما يغلى مِرجل الملك . قال : والرِّواية الصحيحة الأُولى، ومعناها إنَّنا أَصحاب حروب وقِرًى . انتهى .

والشعر الثانى لبشامة بنَ حَزْنٍ النهشلى ، رواه المبرِّد (فى الكامل) وأَبو تمّام (فى الحماسة) ، وهو :

(إنَّا محيُّوكِ ياسَلْمَى فحَيِّينا وإنْسَقَيتِ كرامَ النَّاسِ فاسقِينا
وإنْ دعوتِ إلى جُلَّى ومكرمة يوماً سَراةَ كرامِ النَّاس فادعِينا
إنَّا بنى نهشل لا ندَّعى لأَبٍ عنه ، ولا هو بالأَبناءِ يَشرينا
إنْ تُبتدَرْ غايةٌ يوماً لمكرُمة تَلقَ السوَّابقَ مِنَّا والمصلِّينا
وليس يَهلِك منَّا سيِّدٌ أَبداً إلاَّ افتلينا غُلاماً سيِّدًا فينا

(١) ط : « نهى مراجلنا »، صوابه فى ش وسائر المراجع .

٥١١

نكفيه إن نحن مِتْنا أَن يُسَبَّ بنـا
وهْـو إذا ذُكِـر الآباءُ يَكفينـا
إنَّا لنُرخِصُ يومَ الرَّوعِ أَنفسَنا ولـو نُسامُ بها فى الأَمن أُغلِينا
بيضٌ مَفارقُنا تَغلِي مَراجِلُنَا نأْسو بأَموالنا آثارَ أَيدينا
إنَّا لمن مَعْشرٍ أفنى أَوائلَهُمْ قولُ الكماةِ ألا أَينَ المُحامونا
لو كان فى الأَلف مِنَّا واحدٌ فدعَوْا
مَن فارسٌ خالَهم إيّاهُ يَعنونا
إذا الكماةُ تنَحَّوا أَن يُصيبهمُ حدُّ الظُّباتِ وصَلْناها بأَيدينا[١]
ولا تَراهُمْ وإنْ جلَّت مصيبتُهُمْ مع البُكاة على مَن مات يبكونا
ونركب الكَرْه أَحياناً فيَفرجُه عنَّا الحِفاظُ وأَسيافٌ تُواتينَا)

قوله: «إنا محيُّوك يا سلمى» الخ، قال التبريزى: أَى إنَّا مسلِّمون عليك أَيَّتها المرأَة فقابلينا بمثله، وإنْ سقيتِ الكرامَ فأَجرينَا مُجراهم، فإنَّا منهم. والأَصل فى التحية أَنْ يقال عند اللقاء، ثمَّ استعمل فى غيره من الدعاء. وقيل فى سَقيت معناه إنْ دعوتِ لأَماثل الناس بالسُّقيا فادعِي لنا أَيضاً. والأَشهر فى الدُّعاءِ أَن يقال فيه سقَّيْت فلاناً بالتشديد. والحُجَّة بالتخفيف قول أَبى ذؤيب الهذلى:

* سَقيتُ به دارَها إذْ دنَتْ[٢] *

وقوله: «وإن دَعوتِ إلى جُلَّى» إلخ، جُلَّى: فُعلى أَجراها مجرى الأَسماء ويراد بها جليلة، كما يراد بأَفعل فاعل وفعيل. يقول: إن أَشدتِ بذكر

---

(١) فى النسختين: «الظباة»، والوجه ما أثبت.

(٢) لم يرد فى ديوان الهذليين، لكنه فى شرح السكرى ٢٠١. وعجزه:

* وصدقت الخال فيه الأنوحا *

خيار الناس بجليلةٍ نابت ، أو مكرُمةٍ عرضت ، فأَشيدى بذكرنا أَيضاً. وهذا الكلام ظاهرُهُ استعطافٌ لها ، والقَصدُ به التوصُّل إلى بيان شرفه واستحقاقه ما يستحقُّه الأَشراف . ولاسَقْى ثَمَّ ولا تحيَّة. قاله التبريزى[(١)] .

و (المكرمة) ، بفتح الميم وضم الراء : اسم من الكرَم . وفعلُ الخير مكرُمة ، أى سببٌ للكرم أَو التكريم . قاله صاحب المصباح .

و (السَّراة) بالفتح : اسمٌ مفرد بمعنى الرئيس ، وقيل اسم جمع ، وقيل جمعُ سَرىّ ، وهو الشرِيف. وقد تقدَّم الكلام عليه مشروحاً فى الشاهد السبعين بعد الأَربعمائة[(٢)] .

ولم يتكلَّم ابن جنى (فى إعراب الحماسة) على هذا البيت إلَّا من جهة القافية. قال : يروى فادعينا ، بإشمام الضم فى كسرة العين . ويروى بإخلاص الكسرة . فأَمَّا من أَخلصَ الكسرة فلا سؤال فى إنشاده من جهة الرِّدف . وأَمَّا من رواه بإشمام الضم ففيه السؤال . وذلك أَنَّ الحركة قبل الردف ، وهى التى يقال لها الحذْو ، لم تأْت عنهم مُشَمَّةً ولا مَشُوبة ، وإنَّما هى إحدى الحركات مُخْلصةً البتَّة . ولم يذكر الخليلُ ولا أَبو الحسن ولا أَبو عَمرو ، ولا أَحدٌ من أَصحابنا[(٣)] ، حالَ هذه الحركة المشوبة كيف اجتماعُها مع غيرها . فدلَّ ذاك على أَنَّ الحركة فى نحو هذا ينبغى أن تكون مُخْلَصة . ومذهب سيبويه فى هذا النَّحو ، [مثل[(٤)]] : ادعى واغزِى الإمالة وإشمام الكسرة شيئاً من الضمة . ولم يستثن رِدفاً من غيره . ووجهُ

---

(١) ش : « قال التبريزى » صوابه فى ط .
(٢) الخزانة ٦ : ٣٥٣ — ٣٥٤ حيث سبق تحقيق السرى .
(٣) فى إعراب الحماسة الورقة ٢٦ : « ولا واحد من أصحابنا » .
(٤) التكلة من إعراب الحماسة .

جواز هذه الحركة المشوبة مع الكسرة والضمة الصَّريحتين : أَنَّ ما فيها من الإشمام لا يعتدُّ به ، ولا يُنظَر إلى قدره ، وإنَّما هو كإمالة الفتحة إلى الكسرة فى نحو سالم وحاتم . وأَنت تجيزهما فى شعر واحد مع قادم وغانم ، ولا تحفل بما بين الحركتين ، بل إذا جاز سالم مع ٥١٢ قادم ، وسلاح مع صباح ، وقنا مع فتى ، كان اجتماع ادعينا مع يَشرينا ونحو ذلك أَسهلَ وأَسوغ . وإنما كان أسهلَ من قِبَل أَنَّ الفتحة إذا نُحِيَ بها قِبَل الأَلف نحو الكسرة انتحيتَ أَيضاً بالأَلف بعدها نحوَ الياءِ لا بدَّ من ذلك ، من حيث كانت الأَلف ناشئة عن الحركة قبلها على احتذاءٍ ، وموازنة اتباع[1] . فإذا[2] أَملتَ الفتحة والأَلف فهناك عملان فى الحركة والحرفِ جميعاً كما ترى . وأَمَّا الياءُ فى ادعينا وقيل وبيع ، فإنَّها وإن شِيبَت الحركة قبلها خالصة البتة ، وغير مَشُوبة شَوْبَ ماقبلها ، وجاز ذلك فيها من حيث كانت الطاقة حاملة ، والقدرة ناهضةً بالنُّطق بالياءِ الساكنة ، بعد الضَّمَّة الناصعة ، فكيف بها بعد الكسرة التى إنَّما اعتلَّت بأَن انتُحِيَ بها نحو الضمة . والعملُ فى ذلك خَلْس خفيٌّ . وأَمَّا الأَلف الخالصة فليس فى الطَّوق أَن يُنطَق بها بعد غير الفتحة الخالصة ، ففى سالم إذن تغييران ، وفى قيل وبيع واغزى وادعى تغييرٌ واحد . فإذا جاز اجتماع ما فيه تغييران نحو سالم وسلاح ، مع قادم وصباح ، كان اجتماع ما فيه تغيير واحدٌ مع ما لا تغيير فيه نحو قيل واغزى وادعى ، مع قيل وبيع ، وحَيِّينا واسقينا ، أَحجَى بالجواز ، فاعرف ذلك . وإذا جاز اجتماعُ هذا الخلاف فى المجرى ، وهو أَغلظ حُرمة وأَمسُّ مذمَّة من

---

(١) ط : « موازنة إتباع » ، بدون واو ، وأثبت مافى ش وإعراب الحماسة .

(٢) ش : « فإن » .

الحذْوِ، أعنى اجتماع فَتى مع عَتَا[١] والروى التاء، كان ذلك فى الحذو أسهل، وأَخفّ وأدون. وقد كان يجب أن نودع هذا الموضع كتابنا فى تفسير قوافى أبى الحسن؛ لامتزاجه به ومماسَّته إيَّاه، لكنَّه لم يحضرنا حينئذٍ، والخاطر أَجْوَل ممَّا نذهب إليه، وأَشدُّ ارتكاضاً وذهاباً فى جهات النَّظر من أَن يقف بك على انتهائه، أَو يُمْطيَك ذِروة أَجواله وأَقصائه[٢]. انتهى.

وقوله: «إنَّا بنى نهشل» إلخ، قال المبرد (فى الكامل): من قال إنا بنو فقد خَبَّرك وجعل بنو خبر إنَّ. ومن قال بَنِى فإنَّما جعل الخبر إن تُبتدرْ غاية إلخ. ونصب بنى على فعلٍ مضمرٍ للاختصاص، وهو أَمدح. وأَكثر العرب ينشد:

إنَّا بنىمنقر قومٌ ذوُو حسَبٍ ... فينا سَراةُ بنى سعد وناديها[٣]

وكتب أبو الوليد الوَقَشى (فيما كتبه على الكامل) بعد بيت «إنَّا بنى منقر» إلخ: هذا وإن وافق الأَوّل بوجهٍ فإنّه يخالفه بوجهٍ أَخصَّ منه وأَليقَ به فى قانون النَّحو، لأَنَّ هذا نصب على المدح، والأَوَّل نصب على الاختصاص، والمسمَّى مُضارِع النِّداء. أَلا ترى أَنَّه يرفع هنا مايرفع فى النِّداءِ، كقولهم: اللهمَّ اغفرْ لنا أَيَّتها العصابة. اهـ.

وقال التبريزىّ: بَنِى نصب على الاختصاص والمدح، وخبر إنَّ لا ندَّعى، ولو رفع وقال بنو كان خبرًا ولا ندَّعى فى موضع الحال.

---

(١) ط: «غنى» صوابه فى ش وإعراب الحماسة.

(٢) رسمت فى إعراب الحماسة بدون نقط للقاف.

(٣) لعمرو بن الأهتم المنقرى، كما فى حواشى الكامل ٦٥.

والفرق بين أنْ يكون اختصاصاً وبين أن يكون خبراً صُراحاً : هو أنَه لو جعلَه خبراً لكان قَصده إلى تعريف نفسِه عند المخاطب ، وكان لايخلو فعله لذلك من خمولٍ فيهم[١] أو جهل بشأْنهم[٢]. فإذا جعل اختصاصاً فقد أَمِنَ الأَمرين جميعاً . وإنّما قلت خبراً صراحاً لأَنَّ لفظ الخبر قد يستعار لمعنى الاختصاص، لكنَّه يُستَدلُّ على المراد منه بقرائنه . وعلى هذا قوله :

* أنا أَبو النَّجم وشِعرى شِعرِى[٣] *

وقوله : « لا ندَّعى لأَبٍ عنه » ندَّعى نفتعل ، وعنه تعلَّق به . يقال ادَّعى فلانٌ فى بنى فلان ، إذا انتَسبَ إليهم . وادَّعى عنهم ، إذا عدل نسبَه عنهم . وهذا كقولهم : رغبت فى كذا ورغبت عنه . وقوله لأَبٍ ، أى من أَجل أَب . ومعناه إنَّا لا نرغب عن أبينا فننتسبَ إلى غيره ، وهو لا يرغب عنَّا ، قد رضىَ كلٌّ منَّا بصاحبه . وقوله : « يشرِينا » قال المبرِّد : يريد يبيعنا . يقال شراهُ يشريه ، إذا باعه . فهذه اللغة المعروفة ، قال الله عز وجل : ﴿ وشَرَوْهُ بثمنٍ بَخْس[٤] ﴾ ، ويكون شريت فى معنى اشتريت ، وهو من الأَضداد .

٥١٣

وقوله : « إن تُبتَدَرْ غايةٌ » إلخ ، يقال بادرت مكانَ كذا وإلى مكانٍ كذا وكذلك ابتدرنا[٥] الغايةَ وإلى الغايةِ . وقوله : « لمكرمة » أى لاكتساب مكرُمة . ويجوز أن تكون اللام مُضيفة للغاية إلى المكرمة ، كأَنَّه يريد

(١) ط : « فهم » ، صوابه فى ش وشرح التبريزى ١٠٠ .
(٢) التبريزى : « أوجهل من عند المخاطب بشأنهم » .
(٣) واضح أنه لأبى النجم . وانظر الخزانة ١ : ٤٣٩ .
(٤) الآية ٢٠ من سورة يوسف .
(٥) ط : « يبتدرون » ، وأثبت ما فى ش .

تسابقهم إلى أقصاها . وإنّما قال المصلّين ولم يقل المصَلّيات مع السوابق لأنّ قصده إلى الآدميّين وإنْ كان استعارهما من صفات الخيل . ويجوز أن يكون أخرج السابق لانقطاعه عن الموصوف فى أكثر الأحوال ، ولنيابتهِ عن المجلّى ، وهو اسم الأوّل من خيل الحلبة ، إلى باب الأسماء فجمعه على السوابق ؛ كما يقال كاهل وكواهل . والمصلّى : الذى يتلو السابق فيكون رأسهُ عند صَلاهُ . والصَّلوانِ : العظمان الناتئان من جانبي العجز . وقال ابن دريد : هو العظم الذى فيه مَغرِزَ عَجْب الذّنب . وقال بعض أهل اللغة : هما عِرقان فى موضع الرِّدف .

وأسماءُ خيل الحَلْبة عشرة ؛ لأنّهم كانوا يرسلونها عَشَرةً عَشَرة . وسُمّى كلّ واحد منها باسمٍ . فالأوّل : المجلّى ، والثانى : المصلّى ، والثالث : المسَلّى ، والرابع : التالى ، والخامس : المرتاح ، والسادس : العاطف ، والسابع : المؤمّل ، والثامن : الحظِىّ ، والتاسع : اللَّطيم ، والعاشر : السُّكَيت بالتصغير ، ويقال سُكّيت بالتشديد .

وقوله : « إلا افتلَينا » الافتلاءُ : الافتطام والأَخذُ عن الأمّ ، ومنه الفَلوّ . قال المبرِّد : مأْخوذ من فلوت الفَلُوَّ ، إذا أَخذتَه عن أُمّه . وأخذ هذا المعنى من قول أَبى الطَّمَحانِ :

* إذا مات منّا سيدٌ قام صاحبه[1] *

وقوله : « إنا لنُرخص » إلخ ، قال المبرد : أَخذه من قول الهمْدانىّ ،

---

(١) صدره كما فى الكامل ٣٠ والحيوان ٣ : ٩٣ مع نسبته فى الحيوان إلى لقيط بن زرارة :

* وإنى من القـــوم الذين هم هم *

وهو الأَجدع ، أَبو مسروق بن الأَجدع الفقيه[1] :

لقد علمتْ نِسوانُ همدانَ أَنَّنى ... لهنَّ غداة الرَّوع غيرُ خَذولِ
وأَبذل فى الهَيجاءِ وجهى وإِنَّنى ... له فى سِوى الهيجاءِ غيرُ بذولِ

ومن القَتَّال الكلابىّ حيث يقول :

أَنا ابن الأَكرمينَ بنى قشير ... وأَخوالى الكرامُ بنو كلابِ[2]
نُعرِّض للسُّيوف إِذا التقينـا ... نفوساً لا تُعرَّض للسِّبابِ

وقوله : « ولو نسام بها » أَى نُحمَل على أَن نسام بها . ويقال سامَ بسلعته كذا ، وأَسمته أَنا ، أَى حملته على أَن يُسَام . ويحتمل أَن يكون من سُمْته خسفاً . وأُغلينا ، الأَلف للإِطلاق ، والنون ضمير الأَنفس ، ومعنى أُغْلينَ[3] وُجِدَت غالية . وقوله : « بيضٌ مفارقنا » إلخ ، قال التبريزى : ويروى : « بيض معارفنا » وهى الوجوه ، والمراد به نقاءُ العرض وانتفاءُ الذمّ ، جمع مَعرَفٍ ، بفتح الرَّاءِ وكسرها ، سمِّى الوجهُ به لأَنَّ معرفة الأَجسام وتمييزَها به . والأَشهرُ « مفارقنا » . والمراد ابيضَّت مفارقنا من كثرة ما نقاسى الشَّدائد ، كما يقال أَمرٌ يُشِيب الذَّوائب . وتغلى مراجلنا ، أَى حروبنا ، كقول الآخر[4] :

٥١٤

(١) مسروق هذا هو الفقيه مسروق بن الأجدع بن مالك بن أمية بن عبد الله بن مر بن معمر بن الحارث بن سعد بن عبد الله بن وداعة الهمدانى الكوفى العابد ، وكنيته أبو عائشة . كان من كبار التابعين ، وروى عن أبى بكر وعمر وعثمان وعلى ، وابن مسعود وغيرهم . وروى عنه ابن أخيه محمد بن المنتشر بن الأجدع ، وإبراهيم النخعى ، وأبو اسحاق السبيعى ، وغيرهم . مات سنة ٦٣هـ وله ثلاث وستون سنة . وفى النسختين هنا : « قول الأجدع بن مسروق بن الأجدع » ، صوابه وتكملته ما أثبت من الكامل ٦٧ . وانظر تهذيب التهذيب فى ترجمته وتاج العروس (جدع) .

(٢) ديوان القتال ٣٧ عن الكامل والخزانة .

(٣) ط : « أغلينا » .

(٤) هو النابغة الجعدى ، كما فى اللسان (فثأ ، جيش) . وأنشده فى (دوم) بدون نسبة . ونسب فى التهذيب كما فى اللسان إلى الكميت . ولم أجده بهذه النسبة فى التهذيب ١٤ : ٢١١ بل هو مجرد من النسبة . والبيت فى ديوان النابغة ١١٨ .

تغـور علينا قِدرُهم فنُديمهـا ونَفثؤها عنَّا إذا حَمْيُها غلا[1]

ويجوز : ابيضَّت مفارقُنا من كثرة استعمال الطيب ، كقول الآخر :

* جَلا الأَذفرُ الأَحوَى من المِسك فَرقه[2] *

فقوله : « تغلى مراجلنا » أى قدورنا للضِّيافة . ويجوز أن يريد : مَشيبنا مَشِيبُ الكرام لا مشيب اللئام . كقوله :

وشَيبُ مَشيبِ العبدِ فى نُقرة القفـا
وشَيبُ كرامِ الناس فوقَ المفـارق[3]

فالمراجل : قدور الضيافة . وقوله : « نـأْسُو بـأَموالنا » ، يريد تَرفُّعَهم عن القَوَد[4] ودَفْعَ أطماع الناس عن مقاصَّتهم[5] . والأَسْوُ : المداواة ، أى نقتل ونَدِى .

وقوله : « لو كان فى الأَلْف » إلخ ، قال المبرد : أَخذه من قول طرفة :

إذا القومُ قالوا مَن فتًى خلتُ أَنَّنى
عُنِيتُ فـلم أَكْسَلْ ولم أتبلَّد

ومن قول متممٍّ :

---

(١) فى اللسان (جيش) : « تجيش علينا » .

(٢) البيت من أبيات بدون نسبة فى الحيوان ٣ : ٤٨٦ والبيان ١ : ٣٩٦ والكامل ١٠٣ والعقد ٥ : ٦/٣٤٣ : ٢٢٨ .
وعجزه كما فى تلك المراجع :
* وطيب الدهان رأسه فهـو أنزع *

(٣) البيت فى شرح الحماسة للتبريزى عن نوادر ابن الأعرابى .

(٤) القود ، بالتحريك : القصاص وقتل القاتل بالقتيل . وفى ش : « ندفعهم » ، وفى ط : « نرفعهم » ، صوابهما ما أثبت من التبريزى فى شرح الحماسة ١ : ١٠٤ .

(٥) ط والتبريزى : « ورفع أطماع الناس عن مقاصتهم » ، ووجهه : « دفع » بالدال كما أثبت من ش .

إذا القوم قالوا مَن فتًى لعظيمة
فما كُلُّهم يُدعَى ولكنَّه الفتى

وقوله : « إذا الكماةُ تنحَّوا » إلخ ، قال المبرد : الظُّبَة : الحدُّ بعينه ، يقال أَصابتهُ ظُبَة السَّيف وظُبَة النَّصل . وأَراد بالنَّصل هنا موضع الضَّرب وأَخذ هذا من قول كعب بن مالك :

نَصِلُ السيوفَ إذا قصُرْن بخطونا
قُدُمًا ونُلحِقُها إذا لم تَلحَقِ[1]

وقوله : « ولا تراهم وإن جلَّت » إلخ ، يعنى أَنَّهم لا يموتون إلاَّ بالقتل فقد صار لهم عَادةً ، وإنَّ كلَّ من يولد منهم يكون سيِّدًا ، فلا يجزعون على من مات منهم .

وقوله : « ونركب الكَرْهَ » إلخ ، يَفرجه : يَكشفه . وقوله : « أَسياف تواتينا » يجوز أَن يكون كقوله[2] :

* فحالفنا السُّيوفَ على الدهر[3] *

ويجوز أَن يكون أَراد بالسُّيوف رجالاً كأَنَّهم السيوف مضاءً . والأَوَّل أَولى . قاله التبريزى .

وهذه الأَبيات قد اختُلف فى قائلها ، والصحيح أَنَّها لِبَشامة ابن حَزْن النهشلى . وعليه الآمدىُّ (فى كتابه المؤتلف والمختلف)

---

(١) ديوان كعب ٢٤٥ والبيان ٣ : ٢٦ .

(٢) هو يحيى بن منصور الذهلى ، أو موسى بن جابر الحنفى ، انظر الحماسة ٣٢٦ وما أثبت فى حواشيها من تحقيق .

(٣) البيت بتمامه ، كما فى الحماسة :

فلما نأت عنا العشيرة كلهـــا أنخنا فحالفنا السيوف على الدهر

ونَسبها المبرد (فى الكامل) لأَبى مخزوم النَّهشلى . وقال ابن السِّيد البطليوسى (فيما كتبه على الكامل) : هذه الأَبيات لبَشَامة بن حزن النهشلى . وقال السكرى : هو بشامة بنُ حرِّىّ . والأَول قول أَبى رياش . ويقال بشامة بن جَزْء . وقال ابن الأَعرابى : هو لحُجْر بن خالد[1] بن محمود القيسى . وزعم ابن قتيبة أَنَّها لابن غلفاءَ التميمى . انتهى .

أَقول : الذى قاله ابن قتيبة (فى كتاب الشعراءِ) أَنَّ الأَبيات لنهشَلِ بن حَرِّىّ .

وقال النمرى : هى لرجل من بنى قيس بن ثعلبة .

قال أبو محمد الأَعرابى : لم يفرق النَّمَرىُّ بين بنى نهشل الذين هم مضريَّة ، وبين بنى قيس بن ثعلبة الذين هم رَبَعيَّة ، فلزَّهُما فى قَرَنٍ . والبيت الذى فيه « إنا بنى نهشل » لبشامة بن حزن النهشلى . والأَبيات الأُخر الأَربعة للمرقِّش الأَكبر ، وهو عمرو بن سعد بن مالك ابن ضُبيعة بن قَيس بن ثعلبة . انتهى .

وتقدَّمت الأَبيات الأَربعة أَوّلاً .

قال التِّبريزى : من قال إنَّ الشِّعر للقيسى ، روَى « إنا بنى مالك ».

المرقش

أَما المرقش فهو شاعر جاهلى . قال صاحب الأَغانى : المرقِّش لقَبٌ غلب عليه بقوله :

---

(١) فى النسختين : « لحجى بن خالد » . وإنما هو حجر بن خالد بن محمود بن عمرو بن مرثد بن مالك بن ضبيعة بن قيس بن ثعلبة . شاعر جاهلى كان معاصراً لعمرو بن كلثوم ، كان أنشد شعراً بين يدى الملك النعمان بن المنذر فأحفظ عمرو بن كلثوم ، فلطمه عمرو فى مجلس الملك ثم اقتص منه حجر ، وأجار الملك حجراً، فقال حجر أبياتاً يمدح بها النعمان، رواها الجاحظ فى الحيوان ٣ : ٥٨ وأبو تمام فى الحماسة ١٦٤٠ بشرح المرزوقى. كما روى له أبو تمام مقطوعات فى الحماسة ٣٥١ ، ٥١٢ ، ٥١٧ بشرح المرزوقى .

٥١٥ الدار وحشٌ والرُّسومُ كما رقَّش فى ظهر الأَديم قلمْ[1]

وهو أَحدُ من قال شعراً فلقِّب به ، واسمه فيما ذكر أَبو عمرو الشَّيبانى عمرو . وقال غيره : عوف بن سعد بن مالك بن ضُبيعة بن قيس بن ثعلبة بن عُكابة بن صعب بن على بن بكر بن وائل. وهو أحد المُتيَّمِين، كان يهوَى ابنة عمِّه أَسماءَ بنتَ عوف بن مالك بن ضُبيعة . ويقال له المرقِّش الأَكبر ، لأَنَّه عمٌّ المرقِّش الأَصغر . والمرقِّش الأَصغر عمٌّ طرفة ابن العبد .

وكان للمرقِّشَينِ معاً موقعٌ من بكر بن وائل فى حروبها مع بنى تغلب وبأْسٌ وشجاعة ونجدة ، وتقدُّمٌ فى الحروب ، ونكايةٌ فى العدوّ .

أوس بن غلفاء

وأَمّا ابن غلفاء ، بالغين المعجمة والفاءِ ، فهو أَوس بن غلفاء ، من بنى الهُجَيم[2] بن عمرو بن تميم وهو شاعر جاهلى ، وهو القائل :

أَلَا قالت أَمامةُ يوم غَـول تَقطَّعَ يا ابن غَلفاءَ الحبالُ[3]

ذرينى إنَّمـا خطئى وصَوْبى علىَّ ، وإنَّ ما أَنفقتُ مـالُ

يقول : إن الذى أَهلكتُ مالٌ ، ولم أُتلف عرضاً . والمال يستخلف. كذا (فى كتاب الشعراءِ لابن قتيبة) .

بشامة بن حزن

وأَمَّا بشامة بن حَزْن النهشلى ، فهو بفتح المَوحَّدة وتخفيف الشين المعجمة . قال ابن جنى (فى المبهج) : معناه عودُ شجر يُستاك به . قال جرير :

---

(١) المفضليات ٢٣٧ وسمط اللآلى ٨٧٤ .

(٢) ط : « الجهيم » ، صوابه فى ش مع أثر تصحيح . وانظر للهجيم جمهرة ابن حزم ٢٠٩ والاشتقاق ٢٠١ .

(٣) غول ، بالفتح : جبل للضباب حذاء ماء ، فيسمى الجبل هضب غول ، وكانت فى غول وقعة لضبة على بنى كلاب . معجم البلدان عند إنشاد هذا البيت .

أتنسى إذ تودِّعنا سُـليمى بعُود بَشامـةٍ سُقِىَ البَشَامُ

والحَزْن ، بفتح الحاءِ المهملة وسكون الزاى بعدها نون ، ومعناه الموضع الغليظ .

وذكره الآمدى (فى المؤتلف والمختلف) ولم يزد فى نسبه على قوله : بشامة بن حزن النهشلى ، نهشل بن دارم .

ولم أَر له ترجمة ، وليس له ذكر فى ترجمة الأَنساب ، والظاهر أَنَّه إسلامى. وكذا أَبو مخزوم النَّهشلى كما يظهر من شرح المبرِّد لأَبياته .

بشامة بن الغدر

وذكر الآمدى شاعراً آخر اسمُه بَشامة . قال : بشامة بن الغدير ، والغدير اسمه عَمرو بن هلال بن سَهم بن مُرّة بن عَوف بن سعد بن ذُبيان . شاعر مُحسِن مقدَّم ، وهو خال زُهير بن أَبى سُلمى المزنى . وله أَشعارٌ جياد طوال . انتهى .

* * *

وأَنشد بعده ، وهو الشاهد السادس والعشرون بعد الستّمائة[1] :

٦٢٦ (ولا يَجْزُونَ مِن حَسَنٍ بِسُوءَى ولا يَجْزُونَ من غِلَظٍ بلِينِ)

على أن (سُوءَى) مصدرٌ كالرُّجعى والبشرى وليس مؤنَّث أَسوأ .

والبيت من أَبياتٍ لأَبى الغُول ، مذكورةٍ فى أَوائل الحماسة ، وتقدَّم شرحها فى الشاهد الثالث والثمانين بعد الأَربعمائة[2] .

قال شرَّاح الحماسة : وقد روى « سوءَى » فى البيت رِوايتين أُخريين : إحداهما : « بِسَىْءٍ » بفتح السين وسكون المثناة التحتية بعدها همزة ، وهو

(١) ابن يعيش ٦ : ١٠٠ ، ٢٠٠ والحماسة ٤٠ بشرح المرزوقى .

(٢) الخزانة ٦ : ٤٣٤ — ٤٣٨

مخفَّف سَيِّئٍ بتشديد الياءِ ، كما يخفَّف هيِّن وليِّن فيكون وصفاً .
والثانية : « بِسِيٍّ » بكسر السين وتشديد الياءِ بلا همزة . والسِّيّ :
المِثل . ومعناه أَنَّهم يزيدون في الجزاءِ على قدر الابتداءِ . قال الطَّبْرَسي[1]
وهذا ليس بشيءٍ ، لأَنه إخلالٌ بالمطابقة التي حسُن البيتُ بها ، لأَنَّه
جعل سيِّئاً في مقابلة حسن ، واللِّين في مقابلة الغِلظ . وهذا من المطابقة
الصحيحة ، لأَنَّه قابل الاسم بالاسم ، والمصدر بالمصدر . انتهى .

وروى شُرَّاح المفصل رواية أُخرى وهي : « بسَوْءٍ » وهو مصدر أَيضاً
كالرواية الأُولى . قال ابن المستوفي : الذي استشهد به الزمخشريُّ هو ٥١٦
بعض الروايات، لكنَّه اختاره لمكان حاجته إِليه . والمعنى واضح . وضدُّه
قول قُريط بن أُنيف العنبريّ :

يَجزُون من ظلم أَهل الظلم مغفرةً
ومِن إساءةِ أَهلِ السُّوءِ إحسانا[2]

وروى ابن قتيبة (في كتاب الشعراءِ) البيتَ هكذا :

ولا يَجْزُونَ من خير بشرٍّ ولا يَجزُون من غِلَظٍ بلينِ

تتمَّة

خطَّأَ الزمخشريُّ (في المفصَّل) أَبا نُواس في قوله :

كأَنَّ صُغرى وكبرى من فقاقعها
حَصباءُ درٍّ على أَرض من الذَّهبِ

لكونه استعمل صُغرى وكبرى نكرة . وهذا الضَّرب من الصِّفات

---

(١) الطبرسي ، ستأتي ترجمته في ص ٣٨٥ . ونسبته إلى طبرستان . وفي ط : « الطيبرسي »
صوابه في ش .

(٢) البيت هو السادس من المقطوعة الأولى في حماسة أبي تمام .

لا يستعمل إلَّا معرَّفاً ، وإنَّما يجوز التنكير فى فعلى التى لا أَفعل لها نحو حُبلى . قال الأَندلسيُّ : لم يقل إنَّه ضرورة لأَنَّ المولَّد لا يسوغ له استعمال شيء على خلاف الأَصل للضَّرُورة إلَّا أن يردَ به سماع فَيُتَوقَّف فيه على محلِّ السماع ، ولا يقاس عليه . وصغرى ما ورد فيه سماع ، وقد حاولوا له أجوبة :

أَحدها : أَن صُغرى قد غلبت عليها الاسمية كما تقدم فى قوله :

* فى سَعْيِ دُنْيا طالما قد مُدَّتِ[1] *

قال ابن يعيش : والاعتذار عنه : أَنَّه استعمله استعمالَ الأَسماءِ لكثرة ما يجىءُ منه بغير موصوف، نحو صغيرة وكبيرة ، فصار كصاحبٍ والأبطح فاستعمله نكرة لذلك .

ثانيها : أَنَّ فعلى فيه ليست مؤنث أَفعل بل بمعنى فاعلة ، كأَنَّه قال: صغيرة وكبيرة من فقاقعها ، على حدِّ قوله تعالى: ﴿وهو أَهْوَنُ عَلَيْه[2]﴾ قاله[3] ابن يعيش أَيضاً .

وإليه ذهب ابن هشام (فى المغنى)، قال فيه : ربَّما استُعمل أفعل التفضيل الذى لم يرد به المفاضلة مُطابقاً[4] . مع كونه مجرَّدًا ، كقوله : « وأنتم ما أَقام ألائم[5] » . . . البيت ، أَى لئام . فعلى هذا يخرج بيت أَبى نواس ، وقولُ النحويِّين : جملة صغرى وجملة كبرى ، وكذلك

---

(١) الشاهد ٦٢٤ فى ص ٢٩٦ من هذا الجزء .
(٢) الآية ٢٧ من سورة الروم .
(٣) ط : « قال » ، صوابه فى ش .
(٤) ط : « مطابقة » ، » ، صوابه فى ش .
(٥) للفرزدق . وقد سبق فى ٢٧٧ ، ٢٨٠

قول العروضيين: فاصلة صغرى وفاصلة كبرى . انتهى .

ثالثها : قال الأندلسى : قيل إنَّ من المذكورةَ زائدة ، وكبرى مضافة ، وحذف مضاف الأوَّلِ كما فى قوله :

* ياتيمَ تيمَ عـدىٍّ[1] *

لكنَّ حذفَ مِن فى الواجب لا يجوز إلَّا عند الأخفش . والأجود أن يقال حذف المفضَّل الداخلَ عليه مِن ، اكتفاءً بذكره مرّة ، أى كأنَّ صغرى من فقاقعها وكبرى منها . انتهى .

ولا يخفى أنَّه كان يجب أن يقول : وزيادةُ مِن فى الواجب لا تجوز إلَّا عند الأخفش بدل قوله : « لكنَّ حذف من فى الواجب» إلخ . وقد ردَّ ابن هشام (فى المغنى) هذا الجوابَ فقال : وقول بعضهم إنَّ من زائدة وإنَّهما متضايفانِ ، يردُّه أنَّ الصحيح لا تُقحَم[2] مِنْ فى الإيجاب ولا مع تعريف المجرور . انتهى .

والبيت فى صفة الخمر . والفقاقع : جمع فُقَّاعة . ويروى: « من فواقعها » جمع فاقعة ، ومعناهما النُّفَّاخات التى تكون على وجه الماء . وصف الخمر وما يعلوها من الحَبَاب فشبَّه الحَبَاب بالدُّرِّ ، وهو اللؤلؤ الكبير ، والخمرَةَ[3] التى تحته بـأرض من ذهب .

---

(١) لجرير . وانظر الخزانة ٢ : ٢٩٨ – ٣٠٢ .

(٢) فى ش : « لايقحم » . والذى فى المغنى : « أن الصحيح أن من لاتقحم فى الإيجاب » .

(٣) ط : « والخمر »، وأثبت مافى ش. يقال خمر وخمرة . وفى اللسان : « والأعرف فى الخمر التأنيث ، يقال خمرة صرف ، وقد يذكر » .

وقال اللخميّ : باعث هنا بمعنى مرسل ، كما قال تعالى : ﴿ فابعَثُوا أَحدَكُم بوَرِقِكم هذهِ إلى المدينة[1] ﴾ . وقد يكون بمعنى الإيقاظ : كقوله تعالى : ﴿ من بَعَثَنَا مِنْ مَرْقَدِنا[2] ﴾ . غير أنَّ الأَحسن هنا أَن يكون بمعنى الإرسال ، إذ لا دليل على النَّوم في البيت.

٤٧٧

قال الأَعلم : يحتمل دينار هنا وجهين : أحدهما أَن يكون أَراد أَحد الدنانير ، وأَن يكون أَراد رجلاً يقال له دينار .

وكذا قال اللخمي : دينار وعبد ربٍّ : رجُلان ، وقيل : أَراد بدينار واحدَ الدَّنَانير ، كما قال بعض الشعراء :

إذا كنْتَ في حاجةٍ مرسلاً وأَنت بها كلفٌ مغرَمُ
فأَرسلْ حكيماً ولا تُوصِه وذاك الحكيمُ هو الدِّرهمُ[3]

وقال ابن خلف : عبد ربّ الاسمُ إنَّما هو ربّه ، لكنه تركَ الإضافة وهو يريدها . وأخا عون : وصف لعبد رب . ويجوز : أَوْ عبدِ ربٍّ أَخي ، بالجرِّ . وزعم عيسى بن عمر أَنَّه سمع العرب تنشده منصوباً .

وقال العيني : أَخا عون بدل من عبد رب ، بدل الشيء من الشيء ، وهما لعين واحدة .

وقال خضْرٌ الموصليّ : أَخاعون إمّا عطف بيان لعبد ربِّه أَو نعتٌ له على رواية النصب ، أَو منادًى عليهما . انتهى .

---

(١) الآية ١٩ من سورة الكهف .

(٢) الآية ٥٢ من سورة يس .

(٣) أي الحكيم مستغن بحكمته عن الوصية . ويقال في أمثالهم أيضاً : «أرسل حكيما وأوصه» ، أي إنه وإن كان حكيما فإنه يحتاج إلى معرفة غرضك . الميداني ١ : ٢٧٧ والمستقصى للزمخشري ١ : ١٤٠ . والبيتان لابن فارس صاحب المقاييس في ترجمته في معجم الأدباء ٤ : ٨٧ والثعالبي، وابن خلكان ، واليافعي ، وابن العماد . وانظر حواشي المقاييس ١ : ١٣ من مقدمة الناشر .

وأنشد بعده ، وهو الشاهد السابع والعشرون بعد السبعمائة[1] :

٦٢٧ (وأضربَ منا بالسُّيوف القَوانِسا)

على أنَّ (القوانس) منصوب بفعل محذوف لا بأضربَ .

قال ابن جنى (فى إعراب الحماسة) : القوانس منصوب عندنا بفعل مضمر يدُلُّ عليه أضرَب ، أى ضرَبْنا أو نضربُ القوانسَ . فلا يجوز أن يتناوله أضرَب هذه فى البيتِ ، لأنَّ أفعل هذه للمبالغة تجرى مجرى فعل التعجُّب . وأنت لا تقول ما أضربَ زيدًا عمرًا حتى تقول لعمرٍو ، وذلك لضعف هذا الفعل وقلَّةِ تصرفه . فإن تجشَّمت ما أضرب زيداً عمرًا فإنَّما نصبت عمرًا بفعل آخر ، على ما تقدَّم . انتهى .

وقال ابن الحاجب (فى أماليه على المفصَّل) : القوانس منصوب بفعل مقدَّر ، كأنَّه سئل عمَّا يضربون فقال : نضرب القوانسَ . انتهى.

واستشهد به صاحب الكشاف عند قوله تعالى : ﴿ أَىُّ الحِزبَينِ أَحْصَى لِمَا لَبِثُوا أَمَدًا[2] ﴾ على أنَّ أمدًا منصوب بفعل دلّ عليه أحصى الذى هو أفعل تفضيل ، كما نصب القوانس بما دلّ عليه أضربَ .

وقال بعض من شرح أبيات المفصَّل : المراد بالبيت أضربَ منا بالسُّيوف للقوانس ، فحذف اللام لضرورة الشعر . فمِن لابتداءِ الغاية متعلِّق بأضربَ تعلُّقَ الظرف ، وبالسُّيوف تعلُّق الآلة ، واللام تعلُّق المفعول به . وهذا التقدير أولى من الأوّل لوجهين : الأول أنَّ إضمار :

---

(١) ابن يعيش ٦ : ١٠٥ ، ١٠٦ والمغنى ٦٧٨ والتصريح ١ : ٣٣٩ والأشمونى ٣ : ٥٦ والأصمعيات ٢٠٥ والحماسة بشرح المرزوق ٤٤١ وبشرح التبريزى ٢ : ١٦ .

(٢) الآية ١٢ من سورة الكهف .

نضرب ، يفسد معنى البيت ، إذ مرادُ الشاعر أَنَّهم ضاربون ونحن أَضربُ منهم ، فيحصل التفضيل . ولو قال نضرب القوانس لم يكن فيه تفضيل . والثانى : أَنَّ أَضربَ لا ينصب المفعول به ، فكيف يدلُّ عليه والدَّال على عامل هو الذى يصحُّ أَن يعمل فى معموله . وإذا لم يصحَّ عملُه فيه لم يدلَّ عليه . انتهى .

وقد ردَّ عليه الجارَبَردىُّ (فى رسالة أَلَّفها على مسأَلة الكحل) قال : كِلا الوجهين فاسد . أَما الأَوّل فلأَنَّ التفضيل إنَّما يفوت لو لزم تقدير فعل ناصبٍ للمفعول ، إذْ لا يكون لاسم التفضيل تعلُّق معنوى بذلك المنصوب ، لكنَّه ممنوع لجواز أَن يكون أَضرب متعلقاً بالقوانس من حيث المعنى ، مع أَن يكون انتصابُها بفعل مقدَّر . وإذَنْ تعلَّق به معنى يحصِّل مرادَ الشاعر وهو التفضيل .

٥١٨ وقال المصنف (فى أَماليه) فى قولنا مررت بزيد قائماً : إنَّ العامل فى زيد فى اللفظ هو الباءُ ، ومن حيث المعنى هو مررت ، وفى قائماً بالعكس. يعنى أَنَّ الفاعل فيه من حيث المعنى هو الباءُ ، ومن حيث اللفظ هو مررت . هذا كلامه .

فأَقول : لا يبعد فيما نحن فيه أَيضاً أَن يكون نضرب عاملاً لفظاً فى القوانس ، ويكون لأَضربَ تعلُّقٌ بها من حيث المعنى ، فحينئذ يتم ما ذكرنا .

وأَما الوجه الثانى فلأَنَّ الدالَّ على عامل مقدَّر لا يلزم أَن يكون مما يعمل عملَ ذلك العامل . أَلا ترى أَنَّ الدال على العامل المقدَّر فى

قولنا : زيد مررت به هو مررت ، مع أنَّه لا ينصب زيدًا . ونظائره كثيرة . فإن قلت : مررت مع الباء يصحُّ أَن ينصب زيدًا ، فلذلك يدلُّ على الناصب المقدَّر . قلت : فكذا أَضرب فيما نحن فيه مع اللام المقدَّرة يصح أَن تنصب القوانس ، لأَنَّكم ذهبتم إلى أَنَّ القوانسَ تعلَّق بأَضربَ تعلُّق المضروب به ، وإذا صحَّ أَن يكون ناصباً لها مع اللام صحَّ أَن يكون دالاًّ على عاملها . وإذا ثبت فساد الوجهين فلا يكون التقدير الثانى أَولى من التقدير الأَوَّل ، بل الأَمرُ بالعكس ؛ لأَنَّ تقدير الفعل أَكثر من تقدير حرف الجر . وأَيضاً التفصيل الذى ذكره للخوافض الثلاث مخالفٌ لما يُفهم من كلام المحقِّقين على ما لا يخفى على الأَذكياء . انتهى كلام الجاربردى .

وأَقول : لم يبيِّن الفساد الذى ادَّعاهُ على وجهين من تقدير اللام ، وغاية ما أَوردهُ تصحيح تقدير الفعل على زعمه . فتأَملْ وأَنصف . والله تعالى أَعلم .

صاحب الشاهد

والمصراع من قصيدةٍ للعباس بن مرداس الصحابى ، قالها فى الجاهليَّة قبل إسلامه ومطلعها :

(لأَسماءَ رسمٌ أَصبحَ اليومَ دارساً … وأَقفرَ إلاَّ رَحْرَحانَ فراكِسا[1])

واختار منها أَبو تمام فى الحماسة أَربعة أَبيات ، وهى :

(فلم أَر مثلَ الحىِّ حيًّا مصبَّحاً … ولا مثلَنَا يوم التقَينا فوارسًا
أَكرَّ وأَحمَى للحقيقة منهمُ … وأَضربَ منا بالسُّيوف القَوانسَا
إذا ما حملنا حَملةً نَصبُوا لنا … صُدورَ المَذاكى والرِّماحَ المَداعسا

(١) القصيدة ثمانية وعشرون بيتاً فى الأصمعيات ٢٠٤ – ٢٠٧ .

إذا الخيل جالت عن صريع نكرُّها
عليهمْ فما يرجِعْنَ إلاَّ عوابسَا)

قال أبو عبيدة (فى كتاب أيام العرب) : غزت بنو سُليم ورئيسهم عبّاس بن مرداسٍ مُرادًا ، فجمع لهم عمرو بن معديكرب فالتَقوا بتثليث من أَرض اليمن ، بعد تسع وعشرين ليلة ، فاقتتَلوا قتالاً شديداً فقُتل من كبارِ مُرادٍ ستة ، وقُتل من بنى سُليم رجلان ، وصبر الفريقان حتَّى كره كلٌّ واحدٍ منهما صاحبَه ، فقال عبَّاس بن مرداس قصيدتَه التى على السِّين ، وهى إحدى المنصِفات . انتهى .

وقوله : « فلم أر مثلَ الحىِّ » إلخ ، أَراد بالحىّ المصبَّح بنى زُبيد بن مراد . قال المرزوقى : لم أَر مُغارًا عليه كالذين صَبَّحناهم ، ولا مغيرًا مثلَنا يوم لقيناهم ، فقسَم الشَّهادة قَسْم السَّواءِ بين أَصحابه وأَصحابهم وتناول بالمدحِ كلَّ فرقة منهم . وانتصب حيًّا مصَبَّحاً على التمييز ، وكذلك فوارساً تمييزٌ وتبيين ، ويجوز أَن يكونا فى موضع الحال . فإِن قيل : لم قال فوارس والتمييز يؤتى به مفردَ اللفظ ؟ قلت : إذا لم يتبيَّن كثرةُ العدد واختلاف الجنس من المميَّز يؤتى بالتمييز مجموعَ ٥١٩ اللفظ ، متى أُريد التنبيه على ذلك . وعلى هذا قول الله تعالى : ﴿ هلْ ننبّئكم بالأَخسَرِينَ أَعمالا[1] ﴾ ، كأَنَّه لما كانت أَعمالهم مختلفةً كثيرة نبَّه على ذلك بقوله : « أَعمالا » . ولو قال عملاً كان السامع لا يبعدُ فى وهْمه أَنَّ خُسرَهم كان لجنسٍ واحد من أَجناس المعصية ، أَو لعمل واحد من الأَعمال الذميمة . وكذلك قوله : « فوارس » ، جمعَه حتَّى يكونَ فيه إيذانٌ بالكثرة . انتهى .

---

(١) الآية ١٠٣ من سورة الكهف .

وقال ابن الحاجب (فى الأَمالى) : إنْ أُريد بالرؤية العلم فحيًّا منصوب بها مفعول أَوَّل ، ومثلَ مفعول ثان . وإن أُريد رؤية العين فيحتمل أَن يكون حيًّا مصبَّحاً هو المفعول ، ومثلَ الحيِّ صفة قدِّمت فانتصب على الحال . ويجوز أَن يكون مثل الحي هو المفعول ، وحيًّا مصبحاً إما عطفُ بيان لقوله مثل الحىّ وإمّا حالٌ من الحَىّ ، كأَنَّه قال : مثل الحىِّ مصبَّحاً ، وأَتى بحىّ للتوطئة للصفة المعنويَّة ، كقولهم: جاءَنى الرجل الذى تعلم رجلاً صالحاً . وصحَّ الحال من المضاف إليه لأَنَّه هنا فى معنى المفعول ، أَى لم أَر مماثلا للحىِّ فى حال كونهم مصبَّحين . والمضاف إليه إذا كان فى معنى فاعل أَو مفعول صحَّ منه الحال كغيره . ويجوز أَن يكون تمييزًا كقولك: عندى مثلُه تمراً أَو قمحًا ، لما فى مثل من إبهام الذات ، فصحَّ تمييزها كتمييز ما أَشبهها ، وكلُّ ما ذكر فى ذلك فهو جارٍ فى قوله مثلنا فوارساً ، ففوارساً مثل قوله مصبَّحاً ، ومثلنا مثل قوله مثل الحىّ . انتهى كلام ابن الحاجب .

ونقله [الجارَبَرديُّ [1]] فى تلك الرسالة وقال : على تقدير أَن يراد بالرُّؤية العلمُ يجوز أَن يجعل مثل الحىِّ مفعولا أَوَّل وحيًّا مصبَّحاً مفعولا ثانياً . فإن قلت : لا يجوز أَن يكون مثل الحى مفعولاً أَوّل ، لأَنَّه فى أَفعال القلوب حكمُه حكم المبتدأ ، فيجب أَن يكون معرفة أَو نكرة مخصَّصة بوجهٍ مّا . وهنا ليس كذلك ، لأَنَّ المِثل كما لا يتعرَّف بالإضافة فلا يتخصَّص أَيضاً ، فلا يصلح لأَن يكون مفعولاً أَوّل .

---

(١) التكملة من ش . يعنى رسالته فى مسأَلة الكحل .

فالجواب بعد تَسليم ذلك أن يقال : المِثل هنا إمَّا تخصَّص بالإضافة أَوْ لا ، بل بقى على ما كان ، يصلح لأن يكون مفعولاً أول . أمَّا على التقدير الأَوَّل فظاهر ، وأمَّا على التقدير الثانى فلأَنَّه إذا كان نكرةً وقد وقع فى سياق النفى فيعمّ ، ولا شكَّ أنَّه يصح الابتداءُ به ، فيصحُّ أن يكون مفعولاً أَوَّل . انتهى .

وقوله : « أكرَّ وأحمى » إلخ ، قال المرزوقى : المصراع الأَوَّل ينصرف إلى أعدائه وهم بنو زُبيدٍ ، والثانى إلى عشيرته وأصحابه . والمراد لم أر أحسنَ كرًّا وأبلغ حمايةً للحقائق منهم ، ولا أضربَ للقوانس بالسُّيوف مِنَّا . وانتصب القوَانسَ مِن فعلٍ[1] دلَّ عليه قوله : وأَضربَ منَّا . ولايجوز أن يكون انتصابه عَن أَضربَ ، لأَنَّ أَفعل الذى يتمُّ بمِنْ لا يَعمل إلاَّ فى النكرات ، كقولك : هو أَحسنُ [منك[2]] وجهاً . وأَفعل هذا يجرى مجرى فِعل التعجُّب ، ولذلك تعدى[3] إلى المفعول الثانى باللام فقلت : ما أَضرب زيداً لعمرو . قال الدُّريدىُّ : القَونس هو أَعلى البيضة . وقال غيره : قونس الفَرس : ما بين أُذنيه إلى الرأْس . ومثله قونس البيضة من السِّلاح . انتهى .

وقال ابن الحاجب : قولهُ : « أكرَّ وأحمَى » إلخ ، تبيين لما ادَّعاه فيما تقدَّم ، فيجوز أَن ينتصب بفعل مقدَّر لا صفة لما تقدَّم ، لئلَّا يفصل بين الصفة والموصوف بما هو كالأَجنبى إذا جُعل تمييزاً . ويجوز أَن يكون صفةً لما تقدَّم ، كأَنَّها صفة واحدة . وإذ جُعلا غير تمييز كأَنَّه ٥٢٠

---

(١) وكذا فى المرزوقى . وفى ش : « عن فعل » .
(٢) هذه التكملة الضرورية من المرزوقى .
(٣) ش فقط : « يعدى » بالباء .

قال : جاءنى زيدٌ وعمرو العاقلِ والعالِمِ . وذلك جائز . فأَكرَّ وأحمَى صفة لحيًّا مصبَّحاً ، وأَضربَ منَّا صفةٌ لِفوارسًا . انتهى .

ونقله الجارَبَردى فى تلك الرسالة وقال : كلامُه مشعرٌ بأنَّه على تقدير كون ماتقدَّم على أكرّ وأحمى تمييزاً لو جُعل أكرَّ وأحمى صفةً يلزم الفصل بين الصفة والموصوف بما هو كالأجنبىّ ، وأمَّا على تقدير كون المتقدِّم غير تمييز لو جعل أكرّ وأحمى صفةً لا يلزم ذلك . والفرق مشكلٌ جدًّا . انتهى .

و (أكرَّ) من كرّ عليه ، إذا صالَ عليه . (وأحْمَى) من الحماية . وحقيقة الرجل : ما يحقُّ عليه حفظه من الأهل والأولاد والجار .

وقوله : « إذا ما حملنا حملة » إلخ ، قال المرزوقى : يروى : « إذا ماشددنا شَدَّة » . يقول : إذا حملنا عليهم ثبتوا فى وجوهنا ونصبوا صُدورَ الخيل القُرَّحِ والرِّماحَ المعَدَّة للدَّفع . والدَّعْس : الدفع فى الأصل ، ثم يستعمل فى الطَّعن وشدَّة الوطء والجماع . والذَّكاءُ : ضد الفتاء ، يقال فرسٌ مُذَكٍ إذا تَمَّ سنُّه وكمُل قوَّته . وفى المثل : « جَرْىُ المذَكِّياتِ غِلابٌ[1] » . ويقال « غِلاءٌ » . ويقال فتاءُ فلانٍ كذكاءِ فلان وكتذكية فلان ، أى حَزَامته على نُقصان سنِّه كحزامة ذاك مع استكماله . قال زهير :

يفضِّله إذا اجتهدَا عليه تمامُ السِّنِّ منه والذَّكاءُ

انتهى .

وقال بعض شراح الحماسة : المذاكى : المُسِنَّات من الخيل . والمذكى من الخيل بمنزلة المُخْلِف من الإبل .

---

(١) أمثال الميدانى ١ : ١٤٣ ، وجمهرة العسكرى ١ : ٢٩٩ .

وقوله : « إذا الخيلُ جالت » قال المرزوقى : أى إذا الخيل دارت عن مصروع منَّا كرَرْنا عليهم لنصرعَ مثل ما صَرَعوا منَّا . ويجوز أن يريد : إذا جالت الخيل عن صريع منهم لا يُقنعنا ذلك فيهم ، بل نكرُّها عليهم لمثله وإن كرِهت الكرَّ لشدَّة البأْس ، فلم ترجع إلاَّ كوالح . والعامل فى إذا نكرُّها ، وهو جوابه . وعوابس حال ، والخيل فاعل فعل يفسِّره ما بعده . انتهى .

وقال شارحٌ آخر : جالت : انكشفت . جال القومُ جولة : انكشفوا ثم كرُّوا . ولم ترجع الخيل إلاَّ عابسةً لما وجدت منْ مسٍّ السِّلاح .

وقد ردَّ على العباس عمرو بن معديكرب ، واعتذر بأَنَّ خيلهم لم تكن سِماناً ، وأَنَّه لولا ذلك لم تنالوا الذى نلتم ، فى قصيدة يقول فيها :

أَعبَّاس لو كانت شِيارًا جيادُنا
بتثليثَ ما ناصيتَ بعدِى الأَحامسا[1]
لَدُسْناكُمُ بالخيل من كلِّ جانبٍ
كما داسَ طبَّاخُ القُدور الكَرادسا

يقال ناصيتُ الرجل ، إذا أَخذتَ بناصيته . والكُردوس : كلُّ ملتقى عظمين ، كالمنكِبين والرُّكبتين والوِركين . ودُسناكم : وطِئناكم . انتهى .

قال الطبرسىّ (فى شرحه أَبيات العباس من باب المنصفات) : وهو

(١) يقال فرس شير وخيل شيار ، مثل جيد وجياد ؛ من الشارة والشورة ، بالفتح ، وهو السمن . والبيت فى اللسان (شور ١٠٤) .

من باب التناصف . وللعرب قصائدُ قد أنصف قائلوها أعداءَهم [فيها[1]]
وصَدقُوا عنهم وعن أنفسهم فيما اصطلَوْه من حَرِّ اللقاءِ ، وفيما وصَفوه
من أحوالهم فى إمحاض الإخاء ، قد سمَّوها المنصفات . ويروى أَنَّ أَوّلَ
من أنصف فى شعره مُهلهِلُ بن ربيعة حيث قال :

كأنَّا غُدوةً وبنى أَبينا بجنبِ عُنيزَةٍ رَحَيا مُديرِ[2]

٥٢١ ومن التناصف فى الإخاءِ قول الفضل بن العبّاس رضى الله عنهما
فى أبى لهب :

لا تَطمَعوا أن تهينونا ونكرمَكم
وأن نكفَّ الأذى عنكم وتؤذونا

انتهى .

والعباس وعمرو بن معديكرب صحابيَّان ، تقدَّمت ترجمة الأَول
فى الشاهد السابعَ عشر[3] ، وترجمة الثانى فى الشاهد الرابعِ والخمسين
بعد المائة[4] .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثامن والعشرون بعد السمائة ، وهو من
شواهد سيبويه[5] :

٦٢٨ (مررتُ على وادِى السِّباعِ ولا أَرى
كوادى السِّباعِ حين يُظْلِمُ واديًا)

---

(١) التكملة من ش .
(٢) ط : « فانا غدوة » ، صوابه فى ش ، وأمالى القالى ٢ : ١٣٣ ، والبلدان (عنيزة) والأصمعيات ١٥٥ .
(٣) الخزانة ١ : ١٥٢ – ١٥٤ .
(٤) الخزانة ٢ : ٤٤٤ – ٤٤٦ .
(٥) سيبويه ١ : ٢٣٣ ، والعينى ٤ : ٨٨ ، ومعجم البلدان (وادى السباع) .

أقلَّ به ركبٌ أتوه تثيَّةً
وأخوَفَ إلاَّ ما وقَى اللهُ ساريا)

على أن أفعل فيه من قبيل: ما رأيتُ كعينِ زيدٍ أحسنَ فيها الكُحْل.

قال سيبويه : إنَّما أراد أقلّ به الرَّكبُ تَئيةً منهم ، ولكنَّه حذف استخفافاً ، كما تقول : أنت أفضل ، ولا تقول من أحد . وتقول : الله أكبر ، ومعناه الله أكبر من كل شىء . انتهى .

قال ابن خلف : حذف منهم وبه اختصاراً ، لعلم السامع . والهاءُ فى به الأُولَى ضمير (واديا)، والهاءُ فى به التى بعد منهم ضميرُ وادِى السِّباع .

وقال الجاربردى (فى رسالة ألَّفها لمسألة الكُحْل) على عبارة الكافية : ولوقوع التغيير الكثير فى العبارة الثالثة من الحذف والتقديم والتأْخير ، ربَّما يتوهَّم أنَّها غير جائزة ، فلذلك احتاج إلى إيراد نظيرٍ لها جاءَ فى كلام العرب ، وقد أنشدَه سيبويه ، وهو قوله :

مَررتُ على وادِى السباعِ . . . البيتين

والاستشهاد إنَّما يحصل من البيتين بقوله : ولا أرى كوادى السباع أقلَّ به ركبٌ أتوه تئيَّة فى وادى السباع . فأَفعَلَ ههنا وهو أقلَّ ، جرَى لشىءٍ وهو فى المعنى لمسبَّبٍ هو الرَّكب مفضَّل باعتبار مَنْ هو له ؛ وهو قوله به ، على نفسه ، باعتبار وادى السباع . انتهى .

وقد شرح الشارح المحقِّق البيتين بما لم يُسبَق به .

وقوله: « الواو فى ولا أرى اعتراضيَّة » هذا بالنظر إلى مايأْتى بعد البيت الثانى .

وجعل العينى جملة « ولا أرى » حاليَّة. وقوله : « وهو بمعنى المفعول » يعنى أنَّ أَخْوَف فى البيت مأْخوذ من الفعل المبنىِّ للمجهول ، أَى أَشدّ مخُوفيَّة ، كما أُخِذ أَشهَر وأَحمَد من المبنى للمجهول ، أَى أَشدُّ مشهوريَّة ومحموديَّة. وقوله : « وهو منصوب على التمييز من أَقلّ » ، هذا هو الظاهر وعليه اقتصر شارح اللباب قال : التثيَّة : التوقُّف والتثبت . وتثية تمييز ، من قوله أَقلَّ ، أَى أَقلّ توقُّفاً . فأَقلّ : أَفعل من القلة منصوب لأَنَّه صفة لمفعول أَرى . وقال الجاربردىُّ : تثيَّة إمّا مصدر على أَصلِه ، لأَنَّ الإتيان قد يكون تَثيّة أَى بتوقُّف ، وقد يكون بغيره . وإمّا مصدرٌ فى تـأْويل المشتقّ ، أَى متوقِّفين ، فيكون حالاً . وأَخوفَ عطف على أَقلّ أَو على تثيّة إن جعلت حالا . وإلاَّ ماوقَى الله : استثناءٌ مفرَّغ ، أَى فى كلّ وقت إلاَّ وقتَ وقاية الله السَّارى . انتهى.

ومحصَّل المعنى أَنَّ ثبوت الرَّكب فى وادى السباع أَقلُّ من ثبوته فى غيره .

صاحب الشاهد

والشعر لِسُحَيم بنَ وثيل ، وهو شاعِرٌ عصرىُّ الفرزدق ، وقد تقدَّمت ترجمته فى الشاهد الثامن والثلاثين[1]

ووادِى السِّباع : اسم موضع بطريق البَصرة . قال أَبو عُبيدٍ البكرى (فى معجم ما استعجم) : وادى السباع جمع سبع ، بالبصرة معروف ، وهو الذى قُتل فيه الزُّبير بن العوَّام ، سمِّىَ بذلك لأَنَّ أَسماءَ – بنتَ عمران بن الحاف بن قضاعـة . وقال

(١) الخزانة ١ : ٢٦٥ – ٢٦٧

أسماء بنت دريم

الكلبي : هى أسماءُ بنتُ دُريم بن القَين بن أَهْوَدَ[١] بن بهراء — كانت تنزلُه . ويقَال ، لها أُمُّ الأَسبُع ، لأَنَّ ولدَها أسد ، وكلب ، والذئب ، والدُّبّ ، والفهد ، والسِّرحان . وأَقبل وائلُ بن قاسط فلمَّا نظر إليها رآها امرأةً ذاتَ جمال ، فطمِعَ فيها ، ففطنت له فقالت : لو هَممتَ بى لأَتاك أسبُعِى ! فقال : ما أَرى حولك أَسبعاً . فدعَتْ بنيها فأَتوا بالسُّيوف من كلِّ ناحية . فقال : والله ما هذا إلاَّ وادى السباع : فسمِّى به . انتهى .

وقال ياقوت (فى معجم البلدان) : وادى السباع جمع سَبُع . والسبع يقال على ما له نابٌ ويَعدُو على الناس والدوابِّ فيفترسُها ، مثلُ الأَسد ، والذئب ، والنَّمر ، والفهد . فأَما الثعلب فإنه وإنْ كان له ناب فإنَّه ليس بسبع لأَنَّه لا عُدوانَ له . وكذلك الضَّبُع . ووادى السِّباع هو الذى قتل فيه الزُّبير بن العوَّام بين البصرة ومكة ، بينه وبين البصرة خمسة أميال[٢] . كذا ذكره أبو عبيدة . ووادى السباع من نواحى الكوفة ، سمِّىَ بذلك لما أذكُره لك ، وهو : أَنَّ أسماءَ بنت دُرَيْم بن القَين بن أَهْوَدَ[٣] بن بَهراء كان يقال لها أُمُّ الأَسبُع . وولدُها بنو وَبَرة بن تغلب بن حُلوان بن عمران بن الحاف بن قضاعة ، يقال لهم السِّباع ، وهم : كلب ، وأسد ، والذئب ، والفهد ، والثعلب ، وسِرحان . ونَزْكٌ ، بفتح النون

---

(١) ط : « أهوذ » ، صوابه بالدال المهملة كما فى ش معجم البلدان ومعجم ما استعجم والاشتقاق ونهاية الأرب ٢ : ٢٩٢ والقاموس (هود) .

(٢) فى النسختين : « خمسة أجبل » ، صوابه من معجم البلدان . وفى هامش المطبوعة مانصه : « قوله بينه وبين البصرة إلخ . المعروف الآن أن قبر الزبير بقرب البصرة ، بينهما أربعة أميال أو خمسة ، ولا يعرف جبل هناك ، فلعل أجبل مصحفة عن أميال . انتهى من هامش الأصل » . ولم ترد هذه الحاشية فى ش . وقد صح توقع ناشر الطبعة الأولى بما صححته به .

(٣) ط : « أهوذ » . وانظر ماسلف من تحقيق .

وسكون الزاى ، وهو الحَرِيش ويقال له الكركَدَّنُ ، له قرنٌ واحد يَحمل الفيلَ على قَرنه على ما قيل . وجُعثم[1] ، وهو الضبع . والفِزْر ، وهو البَبْر : نوع من الضِّباع دون جِرم الفهد إلاَّ أنّه أَشدُّ وأَجرأُ منه . وعَنْزة وهى دابَّةٌ طويلة الخَطْم يُعدُّ من رءُوس السِّباع ، يأْتى الناقَةَ فيُدْخل خطمَه فى حيائها ويأْكل ما فى بطنها ، ويأْتى البعير فيمتلخ عينيه . وهرّ ، وضبع . والسِّمع بالكسر ، وهو ولد الذئب من الضَّبع . ودَيْسَم ، وهو الثعلب ، وقيل ولد الذئب . ونِمْس ، وهو دويْبَّة فوق ابن عِرس يأْكل اللحم ، وهو أَسود ملمَّع ببياض . والعِفْر : جنس من الببر . وسِيد[2] . والدُّلدل . والظَّرِبانُ : دويْبَّةٌ منتنة الفُساء . ووَعوَع ، وهو ابن آوى الضخم . وكانت تنزل مع أَولادها بهذا الوادى فسمِّى وادىَ السباع بأَولادها .

قال ابن حبيب : مرَّ وائل بن قاسط بأَسماء هذه أُمِّ ولد وَبَرة وكانت امرأَة جميلة ، وبنوها يرعَون حَولها، فهَمَّ بها فقالت له : لعلَّك أَسررت فى نفسك منِّى شيئًا ؟ فقال : أَجلْ . فقالت : لئن لم تنته لأَستصرخنَّ عليك! فقال : والله ما أَرى بالوادى أَحدًا . فقالت : لو دعوتُ سِباعَه لمنعَتنى منك وأَعانتنى عليك. فقال : أَوَ تفهم السِّباعُ عنكِ ؟ قالت : نعم . ثم رفعت صوتَها : ياكلبُ ، ياذئبُ ، يافهدُ، يادُبُّ ، ياسِرحان ، ياأَسد[3] . فجاءُوا يتعادَون ويقولون : ما خبرُكِ ياأُمّاه ؟ قالت : ضيفكم هذا أَحسِنُوا قِراه . ولم تر أَنْ تفضح نفسَها عند بنيها ، فذبحوا له وأَطعموه ، فقال وائل : ما هذا إلاَّ وادِى السِّباع! فسمى بذلك . انتهى .

---

(١) فى معجم البلدان : « خثعم » .

(٢) السيد ، بالكسر : الذئب . وفى ش : « سليع » .

(٣) فى معجم البلدان : « يا أسد ياسيد » .

الفعل الماضى

أنشد فيه ، وهو الشاهد التاسع والعشرون بعد الستمائة[1] :

٦٢٩ (واللهِ لا عَذَّبَتْهُمْ بَعدَها سَقرُ)

٥٢٣ على أنَّ الماضى المنفىَّ بلا فى جواب القسم ينصرف إلى الاستقبال كما فى البيت . وهو عجزٌ وصدرُه :

(حَسْبُ المحبِّينَ فى الدنيا عذابُهُمُ)

صاحب الشاهد والبيت من قصيدةٍ للمؤمَّل بن أُمَيْل المحاربىّ ، قالها فى امرأةٍ كان يهواها من أهل الحيرة يقال لها « هند » ، وهى قصيدة مشهورة ، ومنها :

(شفَّ المؤمَّلَ يومَ الحِيرة النَّظرُ ليت المؤمَّل لم يُخلق له بصرُ)

ومنها :

(قَتلتِ شاعرَ هذا الحىِّ من مُضرٍ والله يعلم ما تَرْضَى بذا مُضرُ)

روى الأَصبهانى (بسنده فى الأَغانى) عن على بن الحسن الشَّيبانى قال : رأَى المؤمَّل فى نومه قائلاً يقول : أَنت المتأَلِّى على الله أَنّه لا يعذِّب المحبِّين ، حيث تقول :

يكفى المحبِّين فى الدُّنيا عذابُهمُ والله لاعذبَتْهُمْ بعدها سَقرُ

فقال : نعم . فقال : كذبتَ يا عدوَّ الله ! ثم أَدخل إصبعيه فى عينيه ، وقال له : أَنت القائل :

شفَّ المؤمَّل يوم الحِيرة النَّظرُ ... البيت

---

(١) الأغانى ١٩ : ١٥٠ ، والخزانة ٤ : ٢٢٨ بولاق ، والمغنى ٢٤٣ .

هذا ما تمنَّيت ! فانتبه فزِعاً فإذا هو قد عَمِى[1] .

وروى بسنده أيضاً عن مُصعب الزُّبيرى أنَّه قال : أُنشِد المهدىُّ :

قتلتِ شاعرَ هذا الحىِّ من مُضرٍ . . . البيت

فضحك وقال : لو علمنا أنَّها فعلتْ لمَا رضينا ، ولغضبناله وأنكرنا . انتهى .

و (شفَّ) بالشين المعجمة والفاء بمعنى أَرقَّه وأهزله ونقصه . والمتألِّى بمعنى الحالف : اسم فاعل من تألَّى من الأَلِيَّةِ وهى اليمين . ويقال منها آلى إيلاءً ، وائْتلى أيضاً : افتعل من الأَلِيَّة .

المؤمل بن أميل

والمؤمَّل : ابنُ أُمَيْل بن أَسِيد المحاربى . والمؤمَّل بصيغة اسم المفعول، والثانى بالتصغير ، وكلاهما مأْخوذان من الأَمل ، والثالث بفتح الهمزة وكسر السين المهملة .

وهذه ترجمته من الأَغانى قال : هو المؤمَّل بن أُميل بن أَسِيد المحاربىّ ، محارب بن خصفة بن قيس بن عَيلان بن مضر. شاعرٌ كوفىٌّ من مخضرمى الدولتين الأُمويَّة والعباسيَّة . وكانت شهرتهُ فى العباسيَّة أكثر ، لأَنَّه كان من الجُند المرتزِقة معهم ، ومن يخصُّهم ويخدُمهم من أوليائهم . وانقطعَ إلى المهدىِّ فى حياة أبيه وبعده . وهو صالحُ المذهبِ فى شعره ، ليس من المبرِّزين الفُحُولِ ولا المرذولين. وفى شعره لين[2] . وله طبعٌ صالح .

وروى عنه بالسَّنَد أنَّه قال : قدِمتُ على المهدىِّ وهو بالرَّىّ ، وهو إذْ ذاك ولىُّ عهد ، فامتدحْتُه بأَبياتٍ فأَمر لى بعشرين ألفَ درهم ، فكتب

(١) انظر معجم المرزبانى ٣٨٤ .
(٢) ش : « ولا المرذولين فى شعره » فقط .

بذلك صاحبُ البريد إلى أبى جعفر المنصور وهو بمدينة السلام ، يُخبره أنَّ الأمير المهدىَّ أمر لشاعرٍ بعشرين ألفَ درهم ، فكتب إليه يعذُلُه ويلومه ويقول له : إنَّما كان ينبغى [له[1]] أن تعطيَه بعد أن يقيم ببابك [سنة[2]] أربعةَ آلاف درهم . وكتب إلى كاتب المهدى أن يوجِّه إليه بالشاعر . فطلبْ فلم يقدر عليه ، وكتب إلى أبى جعفر : إنه قد توجَّه إلى مدينة السلام . فأجلسَ قائدًا من قوّاده على جسر النَّهْرَوانِ وأمره أن يتصفَّح الناس رجلاً رَجُلًا . فجعل لا تمرُّ به قافلة إلاَّ تصفَّحَ من فيها حتَّى مرَّت القافلةَ التى فيها المؤمَّل ، فتصفَّحهم فلما سأله من أنت؟ قال : أنا المؤمَّل بن أُمَيل المحاربى الشاعر، أحدُ زوَّار الأمير المهدى . فقال : إيَّاك طلبتُ . قال المؤمَّل : فكاد قلبى ينصدع خوفاً من أبى جعفرٍ المنصور . فقبض علىَّ وأسلمنى إلى الربيع[3] ، فأدخلنى إلى أبى جعفر وقال له : هذا الشاعر الذى أخذ من المهدى عشرينَ ألفَ درهم ، قد ظفِرْنا به . فقال : أدخلوهُ إلىَّ[4] . فأُدخلت عليه فسلَّمت تسليمَ مذعورٍ مروَّعٍ[5] فردَّ علىَّ السلام وقال : ليس ههنا إلاَّ خيرٌ ، أنت المؤمَّل بن أُميل ؟ قلت : نعمْ يا أمير المؤمنين . قال : أتيتَ غلامًا غِرًّا فخدعتَه . قلت : نعم ، أصلح الله أمير المؤمنين، أتيتُ غلاماً غِرًّا كريماً فخدعته فانخدع . قال : فكأنَّ ذلك أعجبه ، فقال : أنشِدْنى ما قلتَ له . فأنشدته :

٥٢٤

---

(١) هذه من ش فقط .

(٢) التكملة من ش ، والأغانى ١٩ : ١٤٧ .

(٣) فى ش : « وسلمنى من الربيع » ، وفى حواشيها : « كذا بخط المؤلف ، والصواب : وأسلمنى إلى الربيع » . وما أثبت من ط والأغانى .

(٤) ط : « قال أدخله إلى » ، وأثبت ما فى ش والأغانى .

(٥) فى الأغانى « تسليم مروع » .

هـو المهدى إلاَّ أَنَّ فيـه ... مشابهـةً من القمرِ المنيرِ[1]
تَشابهَ ذا وذا ، فهُما إذا ما ... أَنارا مشكلانِ على البصيرِ
فهذا فى الظَّلام سراجُ ليـلٍ ... وهذا فى النهار ضياءُ نورِ
ولـكنْ فضَّل الرحمنُ هـذا ... على ذا بالمنابرِ والسَّـريرِ
وبالمُلْك العزيزِ فـذا أَميرٌ ... وما ذا بالأَميرِ ولا الوزيرِ
وبعضُ الشَّهرِ ينقصُ ذا ، وهذا ... منيرٌ عند نقصانِ الشُّهورِ[2]
فيا ابنَ خليفةِ الله المصفَّى ... به تعلو مُفاخَرةُ الفَخورِ
لئن فُتَّ الملوكَ وقد توافَوْا ... إليك من السُّهولة والوعورِ
لقـد سبقَ الملوكَ أَبوك حتَّى ... بَقُوا من بين كابٍ أَو حسيرِ
وجئتَ مصلِّياً تجرى حَثيثاً ... وما بك حين تجرى من فتورِ
فقال الناس : ما هذان إلاَّ ... كما بين الخليقِ إلى الجديرِ
لئن سَبق الكبيرُ فأَهلُ سبقٍ ... له فضلُ الكبيرِ على الصغيرِ
وإنْ بلغ الصغيرُ مدى كبيرٍ ... فقد خُلِق الصَّغيرُ من الكبيرِ

فقال : والله لقد أَحسنت ، ولكن هذا لا يساوى عشرين ألف درهم ، فأَين المال ؟ قلت : ها هو هذا . قال : يا ربيع امضِ معه فأَعطه أَربعة آلاف درهم وخذْ منه الباقى . قال المؤمَّل : فخرج معى الربيعُ فحطَّ ثَقَلى ووزَن لى من المال أَربعة آلافِ درهم ، وأَخذ الباقى . فلمَّا وَلِىَ المهدىُّ الخلافَة ولَّى ثوبان[3] المظالم ، فكان يجلسُ للناس بالرُّصافة ، فإذا ملأَ كِساءه رقاعاً رفعها إلى المهدىّ ، فرُفعت إليه رقعةٌ فلمَّا دخل بها

(١) الأغانى والطبرى ٨ : ٧٤ : « مشابه صورة القمر » .
(٢) الأغانى : « ونقص الشهر ينقص ذا » ، وفى الطبرى : « ونقص الشهر يخمد ذا » .
(٣) فى النسختين « أبو ثوبان » فى هذا الموضع وتاليه ، صوابه فى الأغانى ١٩ : ١٤٨ ، والطبرى ٨ : ٤٧ .

ابن ثَوْبان جعل المهدىُّ ينظر فى الرِّقاع ، حتَّى إذا وصل إلى رقعتى ضحك، فقال له ابنُ ثَوبان : أَصلح اللهُ أَميرَ المؤمنين، ما رأَيتُك ضحكتَ من شىءٍ من هذه الرِّقاع إلاَّ من هذه الرقعة . فقال : هذه رقعة أَعرف سببها ، ردُّوا إليه عشرين أَلف درهم . فرَدُّوها إلىّ وانصرفْت .

وروى بسنده أيضاً عن أَبى محمد اليزيدىّ عن المؤَمَّل بن أُمَيل قال : صرت إلى المهدىِّ بجُرجان ، فمدحتُه بقولى :

تعزَّ ودعْ عنك سَلمى وسِـرْ حثيثاً على سائراتِ البغـالِ
وكـلِّ جـوادٍ له مَيْعـةٌ يخبُّ بسَرجك بعد الكلالَ
إلى الشَّمسِ شمسِ بنى هاشم وما الشمْس كالبدر أَو كالهلالِ
ويُضحكه أَن يدومَ السؤالُ ويتلفُ من ضِحكِه كلّ مالِ[1]

٥٢٥

فاستحسنها المهدىُّ وأَمر لى بعشرة آلاف درهم .

وشاع الشعر ، وكان فى عسكره رجلٌ يغنِّى ، فغنَّى فى الشعر لرفقائه وبلغ ذلك المهدىَّ فبعث إليه سرًّا فدخل عليه فغنَّاه ، فأَمر له بخمسة آلاف درهم ، وأَمر لى بعشرة آلاف درهم أُخرى ، وكتب بذلك صاحبُ البريد إلى المنصور . ثم ذكَر باقىَ الخبر نحو ما تقدَّم ، وزاد فيه أَنَّ المنصورَ قال له : جئتَ إلى غلامٍ غِرٍّ فخدعتَه حتَّى أَعطاك من مال الله عشرين أَلف درهم ، لشعرٍ قُلتَه غير جيِّد ، وأَعطاك من رقيق المسلمين مالاَ يملكه ، وأَعطاك من الكُراع والأَثاث ماأَسرفَ فيه ، ياربيعُ خذْ منه ثمانية عشر أَلف درهم وأَعطه أَلفين ، ولا تَعرِض لشىءٍ من الأَثاث والدواب والرَّقيق ، ففى ذلك غِناه[2] . فأُخِذَتْ منِّى والله بخواتمها . فلمَّا وَلِىَ المهدىُّ

(١) الأغانى : « أن يديم السؤال ويتلف فى ضحكة » .
(٢) الأغانى : « غناؤه » . والغنى يمد ويقصر .

دخلتُ عليه فى المتظلِّمين ، فلمَّا رآنى ضحك وقال : مظلُمَةٌ أَعرفها ولا أَحتاج إلى بيِّنةٍ عليها. وجعل يضحك ، وأَمر بالمال فرُدَّ علىَّ بعينه ، وزادنى فيه عشرة آلاف درهم . انتهى .

ومن شعرِه :

حَلَمْتُ بكم فى نومتى فغضبتمُ
ولا ذنبَ لى إن كنتُ فى النَّوم أَحلُمُ

سأَطردُ عنِّى النَّومَ كيلا أَراكمُ
إذا ما أَتانى النَّومُ والنَّاسُ نُوَّمُ

تُصارِمُنى ، والله يعلم أَنَّنى
أَبرُّ بها من والدَيْها وأَرحمُ[1]

وقد زعموا لى أَنَّها نذرَتْ دمى
وما لى بحمدِ الله لحمٌ ولا دمُ

بَرى حبُّها لحمى ولم يُبقِ لى دماً
وإنْ زَعموا أَنِّى صحيحٌ مسلَّمُ[2]

فلم أَر مثلَ الحبِّ صحَّ سقيمُه
ولا مثْلَ مَنْ لا يعرف الحبَّ يَسقمُ[3]

ستَقتل جِلدًا بالياً فوق أَعظُم
وليس يُبالى القتلَ جلدٌ وأَعظُمُ

---

(١) الأبيات بعده لاتتصل به مباشرة ، بل هى صوت خاص من القصيدة كما فى الأغانى .

(٢) ش : « ولم يبق لى دم » .

(٣) الأغانى : « ولا مثل من لم يعرف » .

روى صاحب الأَغانى بسنده إلى حذيفة بن محمد الطائى قال : حدثنى أَبى قال : رأَيت المؤَمَّل شيخاً كبيراً نحيفاً[١] أَعمى ، فقلت له لقد صدقتَ فى قولك :

وقد زعَموا لى أَنَّها نذرَتْ دمى . . . البيت

فقال : نعم فديتُك ، لا أَقول إلاَّ حَقًّا[٢] !

(١) الأغانى : « شيخاً مصفراً نحيفاً » .

(٢) الأغانى : « وما كنت أقول إلا حقاً » .

الفعل المضارع

أَنشد فيه ، وهو الشاهد الثلاثون بعد الستمائة[(١)] :

٦٣٠ (أَبيتُ أَسرِى وتبيتى تَدلُكِى　　جِلدَكِ بالعنبرِ والمِسْكِ الذَّكِى)

على أَنَّ النون من الأَفعال الخمسة قد يندُر حذفها لا للأَشياءِ المذكورة نظماً ونثراً . والأَصل تبيين تدلكين .

قال ابن جنى (فى باب ما يرِدُ عن العربىِّ مخالفاً لما عليه الجمهور ، من كتاب الخصائص) : سأَلت أَبا على رحمه الله عن قوله :

أَبيتُ أَسرِى وتبيتِى تدلُكى　　وجهَك بالعنبر والمِسكِ الذَّكِى

فخُضْنا فيه ، واستقرَّ الأَمر فيه على أَنَّه حذف النون من تبيتين ، كما حذف الحركة للضرورة فى قوله :

* فاليومَ أَشربْ غير مستحقبٍ[(٢)] *

٥٢٦ كذا وجَّهته معه . فقال لى : فكيف تصنع بقوله : « تدلكِى » ؟ قلت : نجعله بدلاً من تبيتى أَو حالا ، فنحذف النون كما حذفَها من الأَوَّل فى الموضعين[(٣)] . فاطمأَنَّ الأَمرُ على هذا . وقد يجوز أَن يكون تبيتى فى موضع النصب بإضمار أَن فى غير الجواب ، كما جاءَ بيت الأَعشى :

لنا هضْبةٌ لا ينزل الذُّلُّ وسْطَها　　ويأْوِى إليها المستجيرُ فيعصما[(٤)]

---

(١) الخصائص ١ : ٣٨٨ والمحتسب ٢ : ٢٢ والتصريح ١ : ١١ والهمع ١ : ٥١ ويس على التصريح ١ : ٧٦ ، ٣٣٢ .

(٢) لامرئ القيس فى ديوانه ٢٥٨ .
وعجزه :

* إثماً من الله ولا واغــل *

(٣) أى أول الموضعين ، وهو قوله : « تبيتى » .

(٤) الصحيح نسبته إلى طرفة . وانظر معجم الشواهد .

انتهى . وأورده ابن عصفور أيضاً (فى كتاب الضرائر) قال : ومنه حذف النون الذى هو علامة للرفع فى الفعل المضارع لغير ناصبٍ ولا جازم ، تشبيهاً لها بالضمة ، من حيث كانتا علامتَى رَفْع ، نحو قول أيمن بن خُرَيم :

وإذ يغصِبُوا الناسَ أموالَهم   إذا مَلكُوهم ولم يُغْصَبوا

وقول الآخر :

أبيت أَسرى . . . البيت

وقول الآخر ، أنشده الفارسى :

والأَرض أَورثْتَ بَنِي آداما   ما يَغرسوها شجرًا أَيَّامـا[1]

أَلا ترى أَنَّ النون قد حُذفت من يَغصبون ، وتبيتين ، وتدلكين ، ويغرسون ، لغير ناصب ولا جازم كما فعل بالحركة فى أَشربْ من قوله :

* فاليوم أَشرَبْ غيرَ مستحقب *

ولا يحفظ شيءٌ من ذلك فى الكلام إلاَّ ما جاءَ فى حديث خرَّجه مسلم[2] فى قتلى بدر ، حين قام عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فناداهم . . . . الحديث . فسمع عمر قول النبي صلى الله عليه وسلم فقال : « يارسول الله ، كيف يسمعُوا ، وأَنَّى يجيبوا وقد جيَّفوا[3] ! » ، فحذف النون من يسمعون ويجيبون . انتهى .

---

(١) كذا فى ش وضرائر ابن عصفور ١٠ ، وفى ط : « إذا ما » .

(٢) فى كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها ، فى باب عرض مقعد الميت من الجنة عليه وإثبات عذاب القبر . ج ٨ ص ١٦٣ . وقد أخرجه كذلك النسائى فى كتاب الجنائز ، كما أخرجه أحمد ١ : ٣/٤٧٢ : ١٠٤ ، ١٧٢ ، ٢٢٠ ، ٦/٢٦٢ : ١٧٠ .

(٣) ط : « أحيفوا » ، صوابه فى ش وصحيح مسلم . وتمام الحديث : « قال : والذى نفسى بيده ما أنتم بأسمع لما أقول منهم ولكنهم لا يقدرون أن يجيبوا . ثم أمر بهم فسحبوا فألقوا فى قليب بدر » . وفى نسخة من مسلم كما فى الحواشى : « كيف يسمعون وأنى يجيبون » . لكن حذف النون هو الوارد فى معظم النسخ المعتمدة ، كما فى الحواشى .

وهذا البيت لم أقف على قائله :

وقوله : « أبيت أسرى » إلخ ، أبيت مضارع بات بيتوتة ومَبيتاً ومَباتاً ، ومعناه اختصاص الفعل باللَّيل ، كما اختص الفعلُ فى ظَلَّ بالنَّهار. فإذا قلت بات يسرى ، فمعناه فَعلَ السُّرى بالليل ، ولا يكون إلاَّ مع سهر الليل . وأسرِى: مضارع سريت الليل وسَريتُ به سَرياً ، والاسم السِّراية ، إذا قطعتَه بالسَّير . وجملة أسرى خبَر بات . و (تدلُكى) دلكت الشيءَ دلْكاً من باب قتل ، إذا مَرسْتَه بيدك .ودلكتُ النَّعلَ بالأَرض : مسَحْتَها بها . وروى : (وجْهَك) بدل جلدك . والذكيُّ : الشَّديد الرائحة . قال أبو القاسم البصرى (فى كتاب أغلاط الدِّينَوَرىّ فى كتاب النبات) : يستعمل الذَّكاءُ أيضاً فى حدَّة الرائحة ، فيقال مسكٌ ذكىٌّ بيِّن الذكاءِ . ويستعمل أَيضاً فيما أنتن فيقال منهما : رائحةٌ ذكيَّة ، وقد ذكَت الرائحة تذكو ذكُوًّا وذَكاءً ، وهى فى الطِّيب أَشهر ، وهم لها أكثر استعمالاً . انتهى .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الحادى والثلاثون[1] بعد الستمائة[2] :

٦٣١ (كجوارِىٍ يَلْعَبْنَ بالصَّحراءِ)

على أنَّ ظهور الجرّ والتنوين على الياءِ ضرورة .

وقال فى شرح الشافية : وَقومٌ من العرب يُجْرُون الياءَ والواو مُجرى

---

(١) ش : « الواحد والثلاثون » والأفصح القلب ، أى الحادى . وفى التصريح ٢ : ٢٧٧ : « وحكى الكسائى عن بعض العرب واحد عشر على الأصل ، فلم يلتزم القلب كل العرب » .
وفى الأشمونى ٤ : ٧٧ : « وأما ما حكاه الكسائى من قول بعضهم واحد عشر فشاذ نبه به على الأصل المرفوض . قال فى شرح الكافية : ولا يستعمل هذا القلب فى واحد إلا فى تنييف ، أى مع عشرة أو مع عشرين وأخواته » .

(٢) ابن يعيش ١٠ : ١٠١ وشرح شواهد الشافية ٤٠٣ وأمالى الزجاجى ٨٣ .

الحرف الصحيح فى الاختيار ، فيحرِّكون ياءَ الرامى رفعاً وجرًّا ، وياءَ يرى رفعاً ، وكذا واو يغزو رفعاً . وأَنشد هذه الأَبياتَ وغيرها . والمشهور ما هنا .

قال ابن عصفور (فى كتاب الضرائر) : فيه ضرورتان : إحداهما إثبات الياءِ وتحريكها ، وكان حقُّه أَن يحذفها فيقول : كجوارٍ . والثانية أَنَّه صرفَ مالا ينصرف، وكان الوجه لمّا أَثبت الياءَ إجراءً لها مجرى الحرف الصحيح أَن يمنع الصرف فيقول كجواريَ . انتهى .

٥٢٧

وهذا المصراع عجزٌ ، وصدره :

* ما إنْ رأَيتُ ولا أَرى فى مُدَّتِى *

وإنْ زائدة مؤكِّدة لما النافية ، وجملة (ولا أَرى فى مُدَّتى) أَى فى عمرى، معترضة بين أَرى البصرية وبين مفعولها، وهو الكاف من قوله كجوارٍ ، فإنَّها اسميَّةٌ ولا يصحُّ جعلها حرفية ، فإنَّ التقدير حينئذ ما رأَيت نساءً كجوارى ، وحذف الموصوف من مثل هذا لا ينطبق عليه ضابطُه ، فإنَّ الصِّفة إذا كانت جارًّا ومجروراً فلا بدَّ لجواز حذف الموصوف أَن يكون بعضاً من مجرور بمن أَوفى ، كما هو المعروف . ومفعول لا أَرى محذوف ، أَى مثلَهن . والجوارى : جمع جارية ، وهى الشَّابَّة . قال صاحب المصباح : الجارية السَّفينة ، سمِّيت بذلك لجريها فى البحر ؛ ومنه قيل للأَمَة جارية على التشبيه ، لجرْيها مستَسخَرة فى أَشغال مَواليها . والأَصل فيها الشَّابَّة لخفتَّها . ثم توسَّعوا حتَّى سمَّوْا كلَّ أَمةٍ جارية وإن كانت عجوزًا لا تقدر على السَّعْى ، تسميةً بما كانت عليه . والصحراءُ : البرِّيَّة والخلاء .

وقال ابن المستوفى (فى شرح أبيات المفصَّل) : والعامل[١] فى فِى والكافِ على الاختلاف فى توجيه العاملين (رأيت) الواقع ، دون أرى المتوقَّع . وإن جاز إعمال كلٍّ واحدٍ منهما على الخلاف فيه ، لكنَّ الأَولَى ما ذكرته ، لوجود الرؤية متحقِّقة مع إعمال الأَوَّل ، وعدمها متوهَّمة مع إعمال الثانى . ويقوِّى ذلك زيادة إن مع ما . وموضع الكاف نصب ، وكذا موضع فى أيضاً . هذا كلامه .

والبيت مع كثرة تداوُله فى كتب النَّحْو واللُّغة لم أَقفْ على قائله . والله أَعلم .

* * *

وأَنشد بعده ، وهو الشاهد الثانى والثلاثون بعد السبّمائة[٢] :

٦٣٢ (أَبَى اللهُ أَن أَسمُو بـأُمٍّ ولا أَبِ)

على أَنَّ النصب على الواو يقدَّر كثيرًا لأَجل الضرورة .

وأَورده أَبو الحسن سعيد بن مسعدة المجاشعى الأَخفش (فى كتاب المعاياة) وقال : إنَّما جاز ذلك للشاعر لأَنَّ الحركات مستثقلة[٣] فى حروف المدِّ واللين ، فلمَّا جاز إسكانها فى الاسم فى موضع الجرِّ والرّفع أَجرىَ عليه فى موضع النصب أَيضاً لمَا أَخبرتُك به . انتهى .

وأَورده ابن عصفور أَيضاً (فى كتاب الضرائر) وقال : حذف الفتحة من آخر أَسمو إجراءً للنَّصب مجرى الرفع .

---

(١) ش : « العامل » .

(٢) كامل المبرد ٩٣ والمحتسب ١ : ١٢٧ وابن يعيش ١٠ : ١٠٠ ، ١٠١ والمغنى ٦٧٧ والعينى ١ : ٢٤٢ والأشمونى ١ : ١٠١ وديوان عامر بن الطفيل ١٠ .

(٣) ط : « مستقلة » ، صوابه فى ش .

صاحب الشاهد

والمصراعُ من أَربعة أَبيات لعدوِّ الله عامر بن الطفيل ، على ما فى ديوانه . وكانت كنيته فى السِّلم أَبو على ، وفى الحرب أَبو عَقيل ، وهى :

أبيات الشاهد

(وما سوَّدتْنى عامرٌ عن وِراثة ... أَبَى اللهُ أَنْ أَسمو بـأُمٍّ ولا أَبِ
ولا شَرَّفتنى كُنيَـةٌ عربيَّةٌ ... ولاخالفَتْ نفسى مَكارمَ مَنصِبى
ولـكنَّنى أَحمى حِماها وأَتَّقى ... أَذاها ، وأَرمِى مَن رَماها بِمَنكِبِ
وأَتركُها تسمو إلى كلِّ غاية ... وتَفْخُرُ حَيَّىْ مشْرق بعد مغربِ)

٥٢٨

قال جامع ديوانه : أَراد تغلبُ حيَّ المشرق وحيَّ المغرب .

وقوله : « وما سوَّدتنى عامر» أَى جعلتنى سيِّد قبيلة بنى عامر بالإِرث عن آبائهم ، بل سُدتهم بـأَفعالى . وقوله : « أَبى الله » إلخ ، أَبى له معنيان : أَحدهما بمعنى كرِهَ ، وهو المراد هنا . والثانى بمعنى امتنَع . و (أَنْ أَسمو) مفعوله . والسموّ: العلوّ .

وهذا المصراع أَورده ابن هشام (فى الباب الثامن من المغنى) قال فى القاعدة الأُولى : قد يُعطى الشىءُ حكمَ ما أَشبهه فى معناه أَوْ لفظه أَو فيهما . فـأَمَّا الأَوَّل فله صور كثيرة . إلى أَنْ قال منها : العطف بِوَلاَ بعد الإِيجاب ، فى نحو قوله :

* أَبَى اللهُ أَن أَسمُو بـأُمٍّ ولا أَبِ *

لمَّا كان معناه قال الله لى : لا تسمو بـأُمٍّ ولا أَب . انتهى .

وقال العينى : الإِباءُ : شدَّة الامتناع ، وأَنْ أَسمو مفعوله ، والتقدير : أَبَى اللهُ سموِّى وسيادتى بـأُمٍّ ولا أَب . وقوله (ولا أَب) عطفٌ على قوله بـأُمٍّ . وزاد كلمة لا تـأْكيدًا للنفى . هذا كلامه فتـأَمَّلْه .

وأَورده جامعُ ديوانه كذا :

* أَبَى اللهُ أَنْ أَسمو بِـأُمٍّ وَالأَبِ *

فلا شاهد فيه على ما ذكره ابن هشام . واللام فى الأَب عوضٌ عن المضاف إليه ، أَى بـأُمِّى وأَبى .

وأورد المصراعَ أَبو العباس المبرِّد (فى الكامل) فى أَبيات ثلاثة كذا :

إِنِّى وإِن كنتُ ابنَ فارسِ عامرٍ ... وفى السِّرِّ منها والصَّريح المهذَّبِ
فما سوَّدتنى عـامرٌ عـن وِراثةٍ ... أَبَى اللهُ أَن أَسمُو بـأُمٍّ ولا أَبِ
ولـكنَّنى أَحمى حِماها وأَتَّقى ... أَذاها وأَرمى مَن رماها بِمِقْنَبِ

قال أَبو الحسن الأَخفش (فيما كتبه على الكامل) : هذه الأَبياتُ الثلاثة أَوَّلها :

تقول ابنةُ العَمْرِىِّ مالكَ بعدما ... أَراك صحيحاً ، كالسَّليم المعذَّبِ
فقلتُ لهـا : همِّى الذى تعَلمينه ... من الثـأْر فى حَيَّىْ زُبيدٍ وأَرحَبِ
إِنَ آغزُ زُبَيْدًا أَغزُ قوماً أَعِزَّة ... مُرَكَّبهم فى الحىّ خير مُركَّبِ
وإِنْ أَغزُ حَيَّىْ خثْعمٍ فدماؤهم ... شِفاءٌ ، وخير الثَّأْر للمتـأَوِّبِ
فما أَدرك الأَوتارَ مثلُ محقّـق ... بـأَجردَ طـاوٍ كالعسيب المشذَّبِ
وأَسمرَ خَطِّى وأَبيضَ باترٍ ... وزَغْفٍ دلاصٍ كالغدير المثوِّبِ
سلاحُ امرئٍ قد يعلم الناسُ أَنَّه ... طَلوبٌ لثارات الرِّجال مُطلَّبِ

فإِنى وإِنْ كنتُ . . . . إِلى آخر الأَبيات الثلاثة .

قال الأَخفش: السَّليم: الملدوغ ، وقيل له سليمٌ تفاؤلاً له بالسَّلامة . وزُبيد وأَرحبُ : قبيلتان من اليمن . والثَّأْر : ما يكون لك عند من أَصاب حميمك من التِّرة . والمتـأَوِّب : الذى يـأْتيك لطلب ثأْره عندك ،

يقال: آب يئوب ، إذا رجع . والتأوّب فى غير هذا : السَّيْر بالنهار بلا توقُّف . والأَوتار والأَحقاد واحدُهما وِتر وحِقد . والأَجرد : الفرس المتحسِّر الشعر[(١)] ، والضامر أَيضاً . والعَسيب : السَّعفَة . والمشذَّب : الذى قد أُخذ ما عليه من العُقَد والسُّلاَّء والخُوص . ومنه قيل للطَّويل[(٢)] مشذَّب . وخطِّىٌّ : رمحٌ نسب إلى الخَطِّ ، وهى جزيرة بالبحرين يقال إنَّها تنبت الرماح . وقال الأَصمعى : ليست بها رماح ولكنَّ سفينةً كانت وقعت إليها فيها رِماحٌ وأُرفِئتْ بها فى بعض السنينَ المتقدِّمة ، فقيل لتلك الرماح الخطِّيَّة ، ثم عَمَّ كلَّ رمحٍ هذا النسبُ إلى اليوم . ٥٢٩ والزَّغْف : الدُّروع الرَّقيقة الدقيقة النسج[(٣)] . والمثوِّب : الذى تصفِّقه الرياح فيذهب ويجىءُ . وهو من ثاب يثوب إذا رجع . وإنَّما سمِّى الغدير غديراً لأَنَّ السَّيل غادره . اهـ .

وقد أَورد العينى رواية الأَخفش وفسَّر جميع الأَبيات وقال : الأَوتار جمع وِتر بالكسر : الجناية . والطاوى : ضامر البطن . والأَسمر : الرُّمح . والأَبيضُ : السَّيف . والباتر : القاطع . والزَّغْف ، بفتح الزاى وسكون الغين المعجمَة : جمع زَغَف بفتحتين ، وهى[(٤)] الدرع الواسعة . ومَنْكب ، بفتح الميم وكسر الكاف : أَعوان العرفان ، وقيل رأْس العرفاء

---

(١) تحسر الوبر عن البعير ، والشعر عن الحمار ، إذا سقط . ومنه قوله :

تحسرت عقـــة عنـــه فأنسلهـــا   واجتاب أخرى حديداً بعد ما ابتقلا

وفى النسختين : « المنحسر » صوابه فى الكامل .

(٢) فى الكامل : « للطويل المعرق » .

(٣) الذى فى الكامل : « والزغف : الدرع الرقيقة النسج » . والزغف لفظ مشترك بين المفرد والجمع ، كما فى اللسان . وفى القاموس : « درع زغف ودروع زغف أيضاً » . ومثله « الفلك » مشترك بين المفرد والجمع أيضاً للسفينة والسفائن ، وكذلك « الجنب » للواحد والجمع .

(٤) ش : « وهو » .

مِن النِّكابة، وهى العِرافة والنِّقابة. وروى بدله: « بمقنب » بكسر الميم وفتح النون: جماعة الخيل والفُرسان. انتهى المراد منه.

وترجمة عامر بن الطفيل تقدَّمت فى الشاهد الثامن والستين بعد المائة[1].

* * *

وأنشد بعده، وهو الشاهد الثالث والثلاثون بعد الستمائة[2]:

٦٣٣ (كأَنَّ أَيدِيهِنَّ بالقاعِ القَرِقْ
أَيدِى جَـوارٍ يتعاطَيْنَ الوَرِقْ)

على أنَّ تسكين الياءِ من (أَيديهنَّ) ضرورة، والقياس فتحها.

قال ابن جنى (فى المحتسب) عند قراءة الحسن: ﴿أَو يعفُو الذى﴾ ساكنة اللام: وسكونُ الواو من المضارع فى موضع النصب قليل، وسكون الياءِ فيه أكثر. وأَصل السكونِ فى هذا إِنَّما هو للأَلف لأَنَّها لا تحرَّك أبداً، ثم شبهت الياءُ بالأَلف لقربها منها، فجاءَ عنهم مجيئاً كالمستمرّ، نحو قوله:

كأَنَّ أَيديهنَّ بالموماةِ أَيدى جوار بِتْن ناعماتِ

وقال الآخر:

* كأَنَّ أَيديهنَّ بالقاع القَرقْ *

وقال الآخر:

* يا دارَ هندٍ عَفَتْ إلاَّ أَثافِيها[3] *

(١) الخزانة ٣ : ٨٠ – ٨٢.

(٢) الخصائص ١ : ٢٩١ : ٢/٣٠٦ والمحتسب ١ : ١٢٦ ، ٢٨٩ والعمدة ٢ : ١٩٣ وأمالى المرتضى ١ : ٥٦١ وابن الشجرى ١ : ١٠٥ وشرح شواهد الشافية ٤٠٥ وملحقات ديوان رؤبة ١٧٩.

(٣) البيت للحطيئة فى ديوانه ١١١. وعجزه:

* بين الطوى فصارات فواديها *

وكان أبو العباس المبرِّد يذهب إلى أنَّ إسكان هذه الياءِ فى موضع النَّصب من أحسن الضَّرورات ، وذلك لأَنَّ الألف ساكنةٌ فى الأَحوالِ كلِّها ، فكذلك جُعلت هذه ، ثم شبِّهت الواو فى ذلك بالياء ، فقال الأَخطل :

إذا شئت أن تَلهُو ببعضِ حديثها
رَفَعْنَ وأنزلْنَ القطينَ المولَّدا[1]

وقال الآخر :

* أَبَى اللهُ أن أَسمو بأُمٍّ ولا أَبِ *

فعلى ذاك ينبغى أن تُحمل قراءة الحسن : ﴿أو يَعْفُو الذى[2]﴾ فقال ابن مجاهد : وهذا إنَّما يكون فى الوقف . فأَمَّا فى الوَصل فلا يكون . وقد ذكرنا ما فيه . وعلى كلٍّ حال فالفتح أعرَف . ا هـ .

وقال ابن الشجرى (فى أَماليه) : قال المبرِّد : هذا من أَحسن الضَّرورات لأَنَّهم أَلحقوا حالة بحالتين ، يعنى أَنهم جعلوا المنصوب كالمجرور والمرفوع ، مع أَنَّ السكونَ أَخفُّ الحركات . ولذلك اعترضوا على إسكان الياء فى ذوات الياءِ من المركَّبات نحو مَعديكرب وقالى قلا . ا هـ.

والبيتان من الرَّجز نسبهما ابن رشيق (فى العمدة) إلى رؤبة بن العجَّاج ، ولم أرهما فى ديوانه .

وضمير أَيديهن للإبل . والقاع هو المكان المستوى . والقرق ، بفتح القاف الأُولى وكسر الراء : الأَملس . وجوار ، بفتح الجيم : جمع جارية .

---

(١) ديوان الأخطل ٩١ . رفعن : أسرعن السير . أنزلن القطين ، أى أنزلن خدمهن لئلا يسمعوا كلامهن .

(٢) من الآية ٢٣٧ فى سورة البقرة .

ويتعاطين ، أى يناول بعضُهنّ بعضاً . والوَرِق : الدراهم . وفى التنزيل : ﴿ فابعثُوا أحدكُمْ بورِقِكُم هذِه [(١)] ﴾ : كذا فى أمالى ابن الشجرى .

٥٣٠ وقال الشريف المرتضَى رحمه الله تعالى (فى أماليه) : القَرق : الخشن الذى فيه الحصى . وشبّه حذف مناسمهن له بحذف جوارٍ [(٢)] يلعبن بدَرَاهمَ . وخصَّ الجوارىَ لأَنَّهنَّ أخفُّ يداً من النساءِ . وقال آخرون : القرق هنا المستوِى من الأَرض الواسعُ . وإنَّما خُصَّ بالوصف لأَنَّ أَيدىَ الإِبل إذا أسرعت فى المستوِى فهو أَحمدُ لها ، وإذا أَبطأَت فى غيره فهو أَجهَدُ لها [(٣)] .

تتمـــــة

أَورد الشَّارح المحقق بعد هذا الشعر المثلَ المشهور : « أَعط القوسَ باريها » ، وقال: قد يقدر نصب الياءِ فى السَّعة أَيضاً . وذكر المثل ، فإِنَّ باريها مفعول أَعط ، وهو ساكن الياءِ . وهو فى هذا تابعٌ للزمخشرىِّ (فى المفصل) . قال الميدانى (فى أَمثاله) : أَى استعنْ على عملك بأَهل المعرفة والحِذق فِيهِ . ويُنشد :

يابارىَ القوس برياً لست تُحسِنها   لا تُفسِدَنْها وأَعط القوسَ باريها

قال شارح أَبياته ابن المستوفى : قرأْته على شيخنا أَبى الحرم مَكِّىِّ ابن ريَّان (فى الأَمثال لأَبى الفضل أَحمد بن محمد الميدانى) : أَعطِ القوس بارِيَها بفتح ، وكان فى الأَصل « ليس يُحسنه » فأَصلحه وجعلَه

(١) من الآية ١٩ فى سورة الكهف .

(٢) وكذا فيما نقل عنه البغدادى فى شرح شواهد الشافية . لكن الذى فى أمالى المرتضى : « شبه خذف مناسمهن له بخذف جوار » بالخاء المعجمة فى الموضعين ، وكلاهما صواب وإن كان استعمال الخاء المعجمة فى سير الإبل هو الأكثر فى الاستعمال .

(٣) أى أشد إجهاداً . وفى أمالى المرتضى : « فهو أحمد لها » ، وما هنا صوابه .

« بريًا لست تحسنها » وهو كذلك فى نسخ كتاب الميدانى . ولعلَّ الزمخشرى إنَّما أَراد بالمثل آخر هذا البيت المذكور ، فأَورده على ما قاله الشاعر ، لا على ما ورد من المثل فى النثر ، فإنَّه ليس بمحلِّ ضرورة . ويُروَى :

يابارىَ القوس بريًا ليس يصلحُه   لا تظلم القوسَ وَاعطِ القوسَ باريها

والأَوَّل أَصحّ . ويجوز أَن يسكن ياءَ باريها وإن كان مثلاً برأْسه ، على ما تقدَّم تعليله . اهـ .

والمشهور تسكين يائه .

وقد أَورده الزمخشرى (فى أَمثاله) وقال : قيل إنَّ الرواية عن العرب : « باريها » بسكون الياءِ لا غير. يُضرَب فى وجوب تفويض الأَمر إلى من يحسنه ويتمهَّر فيه . انتهى .

* * *

وأَنشد بعده ، وهو الشاهد الرابع والثلاثون بعد السبعمائة ، وهو من شواهد س[(١)] :

٦٣٤ (فاليَومَ أَشْرَبْ غير مَستحقِبٍ   إثْمًا من اللهِ ولا وَاغِــــل)

على أَنَّه يقدر فى الضرورة رفع الحرف الصحيح ، كما فى أَشربْ فإنَّ الباءَ حرفٌ صحيح وقد حذف الضمةُ منه للضَّرورة .

قال سيبويه : وقد يسكِّن بعضهُم فى الشعر ويُشِمّ ، وذلك قول امرئ القيس :

(١) فى كتابه ٢ : ٢٩٧ . وانظر النوادر ٣١٣ والخصائص ١ : ٧٤/٢ : ٣١٧ ، ٣٤٠/٣ : ٩٦ والمحتسب ١ : ١٥ ، ١١٠ وابن يعيش ١ : ٤٨ والمقرب ١١٦ وشذور الذهب ٢١٢ والتصريح ١ : ٨٨ والهمع ١ : ٥٤ وديوان امرئ القيس ١٢٢ ، ٢٥٨ .

فاليوم أَشربْ غيرَ مستحقبٍ . . . البيت

قال الأعلم : الشاهد فيه تسكين الباءِ من قوله أَشرب فى حال الرفع والوصل . اهـ .

وقال ابن جنى (فى المحتسب) : اعتراض أَبى العباس المبرِّد هنا على الكتاب إنَّما هو على العربِ لا على صاحب الكتاب ، لأَنَّه حكاه كما سمعَه ، ولا يمكن فى الوزن أَيضاً غيره. وقولُ أَبى العبَّاس: إنَّما الرواية : فاليوم فاشْربْ ، فكأَنَّه قال لسيبويه : كذبتَ على العرب ولم تسمع ما حكيتَه عنهم . وإذا بلغ الأَمر هذا الحدَّ من السَّرَف فقد سقطت كُلفَةَ القول معه . وكذلك إنكاره عليه أَيضاً قولَ الشاعر :

* وقد بدا هَنْك من المئزرِ[1] *

فقال : إنَّما الرواية :

* وقد بدا ذاكِ من المئزرِ *

و « ما أَطيب العِرْس لولا النَّفقَة[2] » . ولو كان إلى الناس تخيُّر ما يحتمله الموضعُ لكان الرجل أَقومَ من الجماعة به ، وأَوصلَ إلى المراد منه . اهـ .

٥٣١

ووقع فى نسخ الكامل للمبرِّد :

* فاليوم أُسقَى غيرَ مستحقبٍ *

فلا شاهدَ فيه على هذا . ورواه أَبو زيد (فى نوادره) كرواية المبرِّد :

---

(١) للأقيشر . وقد سبق فى الشاهد ٣٣٠ .

(٢) وكذا فى المحتسب . وسبق فى ٤ : ٤٨٥ : « ما أطيب العروس » . والعرس بالكسر والعروس : الزوجة . والعرس ، بالضم : طعام الوليمة فى الإملاك .

« فاليوم فاشرب » قالَ أَبو الحسن الأَخفش (فيما كتبه على نوادره) : الرواية الجيِّدة « فاليوم فاشرب » و « اليوم أُسقَى » . وأَما رواية من روى « فاليوم أَشرب » فلا يَجوز[1] عندنا إلاَّ على ضرورة قبيحة ؛ وإن كان جماعةٌ من رؤساءِ النحوِيِّين قد أَجازوا . اهـ .

وهو فى هذا تابعٌ للمبرِّد .

وأَورده ابن عصفورٍ (فى كتاب الضرائر) مع أَبياتٍ مثله وقال : ومن الضرورة حذف علامتَى الإِعراب : الضمة والكسرة ، من الحرف الصحيح تخفيفاً ، إجراءً للوصل مُجرى الوقف ، أَو تشبيهاً للضمة بالضمة من عَضُد، وللكسرة بالكسرة من فخذ وإبل، نحو قول امرئ القيس فى إحدىْ الروايتين :

* فاليوم أَشربْ غير مستحقبٍ *

إلى أَن قال : وأَنكر المبرِّد والزجَّاجىُّ التسكين فى جميع ذلك، لما فيه من إذهاب حركة الإِعراب، وهى لمعنىً ، ورَوَيا موضع فاليوم أَشرب : « فاليوم فاشرَبْ » . والصَّحِيح أَن ذلك جائزٌ سماعاً وقياساً .

أَمَّا القياس فإِنَّ النحويِّين اتفقوا على جواز ذهاب حركة الإِعراب للإِدغام ، لا يخالف فى ذلك أَحدٌ منهم . وقد قرأَت القراءُ : ﴿ مالَك لا تـأْمَنَّا[2] ﴾ بالإِدغام ، وخُطَّ فى المصحف بنون واحدة فلم ينكر ذلك أَحدٌ من النحويِّين . فكما جاز ذهابُها للإِدغام فكذلك ينبغى أَن لا يُنكَر ذهابُها للتخفيف .

وأَما السَّماع فثبوت التخفيف فى الأَبيات التى تقدَّمت، وروايتُهما

(١) وكذا فى ملحقات نوادر أبى زيد ٣١٤ . وفى ش : « فلا تجوز » بالتاء .
(٢) الآية ١١ من سورة يوسف .

بعضَ تلك الأَبيات على خلاف التخفيف لا يَقدح فى رواية غيرهما . وأَيضاً فإنَّ ابن محارب قرأَ : ﴿ وبُعولتْهنَّ أَحقُّ بردِّهنَّ[(١)] ﴾ بإسكان التاء . وكذلك قرأَ الحسَن[(٢)] : ﴿ وما يَعِدْهُمُ الشَّيطانُ[(٣)] ﴾ بإسكان الدال . وقرأَ أَيضاً مسلمة ومُحارب : ﴿ وإِذْ يَعِدْكُمُ[(٤)] ﴾ بإسكان الدال . وكأَنَّ الذى حسَّن مجىءَ هذا التخفيفِ فى حال السَّعة شدَّةُ اتصال الضمير بما قبله من حيث كان غير مستقلٍّ بنفسه ؛ فصار التخفيف لذلك كأَنَّه قد وقع فى كلمة واحدة . والتخفيفُ الواقع فى الكلمة نحو عَضْد فى عَضُد سائغٌ فى حال السَّعة ، لأَنَّه لغةٌ لقبائل ربيعة ؛ بخلاف ما شبِّه به من المنفصل، فإنَّه لا يجوز إلاَّ فى الشعر . فإن كانت الضمة والكسرة اللتان فى آخر الكلمة علامتَىْ بناءٍ اتَّفق النحويُّون على جواز حذفِهما فى الشَّعر تخفيفاً . انتهى ما أَردنا منه .

وما نقله عن الزجاج مذكورٌ (فى تفسيره) عند قوله تعالى : ﴿ فتوبوا إلى بارئِكم[(٥)] ﴾ من سورة البقرة قال : والاختيار ما رُوى عن أَبى عَمرو أَنَّه قرأَ : ﴿ إلى بارئْكم ﴾ بإسكان الهمزة . وهذا رواه سيبويه باختلاس الكسر ، وأَحسب أَنَّ الرواية الصحيحة ما رَوَى سيبويه فإِنَّه أَضبط لما رُوى عن أَبى عمرو . والإِعراب أَشبه بالرِّواية عن أَبى عمرو ، ولأَنَّ حذف الكسر فى مثل هذا وحذْفَ الضم إِنَّما يأْتى باضطرارٍ من الشعر . وأَنشد سيبويه وزعمَ أَنَّه مما يجوز فى الشعر خاصَّة :

---

(١) الآية ٢٢٨ من البقرة .

(٢) ط : « أبو الحسن » صوابه فى ش . على أنى لم أجد من نسب هذه القراءة إلى الحسن . بل هى قراءة الأعمش ، فى المحتسب ١ : ١٩٩ وشواذ القرآن لابن خالويه ٢٩ وتفسير أبى حيان ٣ : ٣٥٤ وإتحاف فضلاء البشر ١٩٤ .

(٣) الآية ١٢٠ من سورة النساء و٢٧ من سورة الإسراء .

(٤) الآية ٧ من سورة الأنفال .

(٥) الآية ٥٤ من سورة البقرة .

* إذا اعوجَجْنَ قلتُ صاحبْ قوِّمِ[1] *

بإسكان الباءِ . وأنشد أيضاً :

* فاليوم أَشربْ غير مستحقبٍ *

فالكلام الصحيح أن يقول : ياصاحبُ أَقبل، أَو ياصاحِبِ أَقبل ، ولا وجه للإِسكان . وكذلك : اليوم أَشربُ ياهذا . وروى غير سيبويه هذه الأَبياتَ على الاستقامة ، وما ينبغى أَن يجوز فى الكلام والشِّعر . رَوَوْا هذا البيت على ضربين : ٥٣٢

* فاليوم أُسْقَى غيرَ مُستحقبٍ *

ورَوَوْا :

* إذا اعوجَجْنَ قلت صاحِ قوِّمِ[2] *

ولم يكن سيبويه ليروىَ إلاَّ ما سمع ، إلاَّ أَنَّ الَّذى سمعه هؤلاءِ هو الثابت فى اللغة . وقد ذكر سيبويه أَنَّ القياس غير الذى رُوِى . اهـ .

والبيت من قصيدةٍ لامرئ لقيس . قال عبد الرحمن السَّعدىّ (فى كتاب مساوى الخمر) :

غزا امرؤ القيس بنى أَسدٍ ثائراً بـأَبيه ، وقد جمع جموعاً من حِمْيَرَ وغيرهم من ذُؤبان العرب وصعاليكها ، وهربَ بنو أَسدٍ من بين يديه حتَّى أَنضَوُا الإبل وحسَروا الخيل ، ولحقَهم فظفر بهم ، وقتل بهم

(١) لأبى نخيلة الأعرابى . معجم الشواهد ٥٤٠ . وفى النسختين هنا وفى الموضع التالى : « قومى » ، صوابه من سيبويه .

(٢) فى النسختين : « قومى » . وانظر ما سبق .

مقتلة عظيمة ، وأبار[١] حُلْمةَ بن أسد[٢] ، ومثَّل فى عمرٍو وكاهل ابنى أسد .

وذكر الكلبيُّ عن شيوخِ كندة أنَّه جعل يسمُل أعينَهم، ويُحمِى الدُّروعَ فيُلبسهم إيَّاها .

وروى أبو سعيد السكريُّ مثلَ ذلك ، وأنَّه ذبحهم على الجبل، ومزج الماءَ بدمائهم إلى أنْ بلغ الحضيض ، وأصاب قوماً من جُذامٍ كانوا فى بنى أسد . وفى ظَفَرِه ببنى أسد يقول :

قولا لُدودانَ عبيدِ العصا ... ما غرَّكم بالأَسدِ الباسِلِ
لا تسقينِّى الخمرَ إن لم يَرَوْا ... قَتلَى فئاماً بأَبى الفاضلِ[٣]
حتَّى أُبِيرَ الحىَّ من مالك ... قَتلًا ومن يَشرُفُ من كاهلِ
ومن بنى غَنْمِ بن دُودانَ إذ ... يُقذَفُ أَعلاهمْ على السَّافلِ[٤]
نَعلوهمُ بالبِيض مسنونةً ... حتى يُرَوْا كالخَشَب الشائلِ
حلَّت لىَ الخمرُ وكنت امرأً ... من شُربها فى شُغُلٍ شاغلِ
فاليومَ أشربْ غير مستحقبٍ ... إثماً من اللهِ ولا واغلِ[٥]

قوله : « لدودان عبيد العصا » دُودان بالضم، هو ابن أسد بن خزيمة ، وأراد القبيلة . وكان أبو امرئِ القيس إذا غضِبَ على أحدٍ منهم ضربوه

(١) ش : « وأباد » . والإبارة والإبادة سيان ، كلاهما بمعنى الإهلاك . وانظر البيت الثالث من المقطوعة التالية .

(٢) حلمة ، بضم الحاء ، كما فى مختلف القبائل لابن حبيب ٢٤ . وانظر جمهرة ابن حزم ١٩٠ والعقد ٣ : ٣٤٠ . وهم حلمة بن أسد بن خزيمة .

(٣) فى الديوان ٢٥٧ : « لا تسقنى الخمرة إن لم يروا » .

(٤) فى الديوان : « إذ نقذف أعلاهم » .

(٥) فى الديوان : « فاليوم فاشرب » .

بالعصا ، فسُمُّوا عبيد العصا، أى يُعطُون على الضَّرب والهوان . وأَراد بالأَسد الباسل أَباه . والفِئام، بكسر الفاء بعدها همزة ممدودة : الجماعة[(١)] .

وأُبير : أُفنِىَ . ومالك هو ابن أَسد . وأَراد بمن يَشرُف من كاهل عِلباءَ بنَ الحارث ، من بنى كاهل بن أَسد .

وقوله : يُقذَف ، أى يُرمَى بعضُهم على بعض إذا قُتلوا . والمسنونة : المحدَّدة . والشائل : الساقط .

وقوله : « حَلَّت لىَ الخمر » إلخ قال السعدى (فى مساوى الخمر) : إنَّما قال هذا لأَنه لم يكن حضر قتلَ أَبيه ، وكان أَبوه أَقصاه لأَنَّه كره منه قولَ الشعر ، وإنَّما جاءه الأَعور العجلى بخبره وهو يشرب فقال : « ضيَّعنى صغيراً ، وحمَّلنِى ثِقْل الثأْر كبيراً . اليومَ خمرٌ وغدًا أمر . لا صحوَ اليومَ ولا سُكر غدًا » . ثمَّ شرِب سبعاً، ثمَّ لمَّا صحا حلف أن لا يغسلَ رأْسه ولا يشربَ خمراً حتَّى يدركَ ثَأْره . فذلك قوله : « حَلَّت لِىَ الخمر » . وهذا معنًى مازالت العرب تطرُقه . قال الشَّنفرَى يَرْثى خاله تأَبَّط شرًّا[(٢)] ، ويذكر إدراكه ثأْره ، من قصيدةٍ له :

فادَّركنا الثأْر فيهمْ ولمَّـا يَنجُ من لِحْيانَ إلاَّ الأَقلُّ
حلَّت الخمرُ وكانت حراماً وبلأْيٍ ما أَلمَّتْ تَحِلُّ[(٣)]

وافهَمْ أَنَّهم إنَّما حرموا الخمر على أَنفسهم فى مدَّة طلبهم، لأَنَّها مَشغلة لهم عن كريم الأَخلاق والإقبال على الشهرة[(٤)] . اهـ .

٥٣٣

(١) لا واحد له من لفظه .

(٢) عند التبريزى فى شرح الحماسة . « قال ابن أخت تأبط شراً » . وروى هذا الشعر أيضاً لخلف الأحمر . انظر التبريزى ٢ : ٣١٣ والمرزوقى ٨٢٧ .

(٣) بلأى : أى بعد جهد ومشقة . ط : « وبلائى » ، صوابه فى ش والحماسة . وفى ط أيضاً : « يحل » صوابه بالتاء كما فى ش والحماسة وأمالى المرتضى ١ : ٢٨٠ .

(٤) ش : « وإقبال على الشهرة » .

قال إسماعيل بن هبةِ الله الموصليُّ (فى كتاب الأَوائل) أَوَّل من اخترع هذا المعنى امرؤُ القيس فى هذا الشعر . . وأَمَّا قولُ أَبى نواس :

فى مجلسٍ ضَحِكَ السُّرورُ بــه عن ناجذَيْهِ وحَلَّتِ الخمرُ

فكان نذَر لايشرَبُ حتى يظفر بمن يهوَى . فلما ظفِر به وشرب قال هذا البيت . وكذا أَيضاً قولُ البحتريِّ :

حتَّى نَحُلَّ ، وقد حَلَّ الشَّرابُ لنا جناتِ عدنٍ على السَّاجور أَلفافا[1]

فإِنَّه نذر أَن لايشرب خمراً حتى يصير إِلى بلده ، فلمَّا صار إِليه حلَّ له الشراب . اهـ .

وبيت أَبى نواس ، قبلَه :

ظلَّتْ حُميَّا الكاسِ تبسُطُنــا حتَّى تهتَّك بيننا السِّترُ

قال السيد المرتضى ، قدس الله روحه (فى أماليه) : قوله : « وحَلَّتِ الخمر[2] » يحتمل أَنَّ ماوصَف به من طِيب الموضع[3] وتكامل السُّرور به وحضور المأْمول فيه[4] ، صار مقتضياً لِشُربِ الخمر ، وملجئاً إلى تناولها ، ورافعاً للحَرَج فيها ، على مذهب الشُّعراءِ فى المبالغة . وتكون فائدة وصفها بأَنَّها حَلَّت ، المبالغةَ فى وصف الحالِ بالحُسْن والطِّيب . ويحتمل أَيضاً أَن يكونَ عقدَ على نفسه وآلَى أَن لا يتناول الخمر إلَّا بعد

---

(١) من قصيدة له فى ديوانه ١٣٨٢ تحقيق الصيرفى ، يمدح بها أبا جعفر الطائى . وضمير « تحل » عائد إلى « الخيل » فى بيت سابق ، وهو :

أزاجر أنا جرد الخيل أجشمهــا سيراً إلى الشام إغذاذاً وإيجافا

جنات ألفاف يلتف : بعض شجرها ببعض . والساجور : نهر بمنبج من الشام .

(٢) ط : « حلت لى الخمر » ، صوابه فى ش ، وذلك لأن المرتضى إنما يعلق على بيت أبى نواس : « فى مجلس ضحك السرور » . وانظر أمالى المرتضى ١ : ٢٨٠ .

(٣) ط : « المواضع » ، صوابه فى ش وأمالى المرتضى .

(٤) فى بعض أصول الأمالى : « وحصول المأمول فيه » .

الاجتماعِ مع محبوبه ، فكان الاجتماعُ معه مُخرِجاً عن يمينه ، على مذهب العرب فى تحريم الخمر على نفوسهم إلى أَنْ يأْخذوا بثأْرهمْ. ويحتمل أيضاً أَن يريد بحَلَّت : نزلت وأقامت ، من الحلول الذى هو المُقام لا من الحَلال ، فكأَنَّه وصف [بلوغ[1]] جميع آرابه ، وحضورَ فنونِ لذَّاته ، وأَنَّها تكاملت بحلول الخمر التى فيها جماع اللذَّات . وهذا الوجه وإنْ لم يُشَرْ إليه[2] فالقول يحتمله . ولا مانع من أَن يكون مرادًا . وقد قيل إنَّه أَراد : إذا استحللنا الخمر سكرنا[3] ، وفقدنا العقول التى كنا نمتنع لها من الحرام . والوجوهُ المتقدِّمة أَشبَهُ وأَقرب إلى الصواب . ا هـ .

وقوله : « فاليوم أَشربْ » إلخ غيرَ حالٌ من ضمير أشرب . (والمستحقب) : المكتسِب ، وأَصله من استحقب : أَى وَضَع فى الحقيبة ، وهى خُرجٌ يُربط بالسَّرج خلف الراكب . (وإثْما) مفعول مستحقب . كأَنَّ شربها بعد وفاءِ النذر لا إثم فيه بزعمه . و (واغل) معطوف على مستحقب ، والواغل : الذى يأْتى شرابَ القوم من غير أَن يدعَى إليه ، وهو مأْخوذٌ من الوغول وهو الدُّخول . ومعناه أَنَّه وَغَلٌ فى القوم وليس منهم .

وترجمة امرئ القيس تقدَّمت فى الشاهد التاسع والأَربعين[4] .

* * *

وأَنشد بعده ، وهو الشاهد الخامس والثلاثون بعد الستمائة[5] :

---

(١) التكملة من أمالى المرتضى فقط .

(٢) فى الأمالى : « وإن لم يشر إليه أحد ممن تقدم » .

(٣) ش : « انا استحللنا الخمر » ، صوابه فى ط . على أن الذى فى الأمالى : « إنه أراد استحللنا الخمر لسكرنا » .

(٤) الخزانة ١ : ٣٢٩ - ٣٣٥ .

(٥) الخصائص ١ : ٣٠٧ والمنصف ٢ : ١١٥ وسر الصناعة ١ : ٨٩ والمخصص ١٣ : ١٤/٢٥٨ : ٩ والإنصاف ٢٦ وابن يعيش ١٠ : ١٠٤ ، ١٠٦ والممتع ٥٣٨ وشرح شواهد الشافية ٤٠٩ والتصريح ١ : ٨٧ والعينى ١ : ٢٣٦ والهمع ٢ : ٥٢ وملحقات ديوان رؤبة ١٧٩ .

٦٣٥ (ولَا ترضَّاها ولا تَملَّقِ)

على أَنَّ حرف العلة قد لا يحذف للجازم فى الضرورة .

قال أَبو على (فى إيضاح الشعر) فى باب ما كان لامه من الأَفعال حرفَ علَّة : قال الشاعر :

هجوتَ زبَّانَ ثم جئتَ معتذرًا من هجو زَبَّانَ لَمْ تهجُو ولم تَدَعِ

وقال :

* أَلم يأْتيكَ والأَنباءُ تنمِى[(١)] *

وقال آخر :

* ما أَنس لا أَنساه آخر عيشتى[(٢)] *

هذه الحروف قد تحذف فى موضع الجزم فى الاختيار ، كما تحذف[(٣)] ٥٣٤ النون فى التَّثْنية والجمع وفعل المؤنَّثة المخاطبة . وربَّما لم تحذف فى الشعر . فقدَّر الشاعرُ فى الواو والياءِ الحركةَ كالأَبيات التى قدَّمناها ، فتشبَّه الأَلف بالياءِ فى نحو لا أَنساه فى البيت ، ونحو قوله :

إِذا العجوزُ غضِبتْ فطلِّقِ ولَا تَرضَّاها ولا تَملَّـقِ

ويدلُّ على تقدير الشاعر الحركةَ فى الياءِ والواوِ وحذفِها فى الضرورة أَنَّ سيبويه[(٤)] زعم أَنَّ أَعرابياً أَفصحَ الناس من كُليب ، أَنشَد لجرير :

فيوماً يُوافينَ الهوى غير ماضيٍ ويوماً ترى منهن غُولًا تَغَوَّلُ

اﻫ . وكذا قال ابن جنى (فى سر الصناعة ، وفى الخصائص) ، وشرحَهُ

(١) لقيس بن زهير ، وهو الشاهد التالى .

(٢) أمالى ابن الشجرى ١ : ٨٦ . وفى ش : « عيشى » تحريف .

(٣) ط : « كما حذفت » ، وأثبت ما فى ش .

(٤) فى كتابه ٢ : ٥٩ .

شرحاً واضحاً (فى شرح تصريف المازنى) . وزاد (فى سر الصناعة) أَنَّ بعضهم رواه على الوجه الأَعرف :

* ولا ترضَّها ولا تملَّقِ *

قال ابن عصفور (فى كتاب الضرائر) : ينبغى أَنْ تجعل لا فى قوله « ولا ترضَّاها » نافية ، والواو فيه للحال ، مثلُها فى قُمْتُ وأَصكُّ وجهه ، فيكون المعنى إذا ذاك : فطلِّقْها غير مترَضٍّ لها ، ويكون قوله ولا تَملَّقِ جملةَ نهى معطوفةً على جملة الأَمر التى هى طلِّقْ . ولا ينبغى أَن تجعل لاحرفَ نهى ، لأَنَّها لو كانت للنهى لوجب حذفُ الأَلف من ترضَّاها . ا ﻫ . وينبغى أَن يكون على هذا جملة « لا ترضَّاها » خبر مبتدإٍ محذوفٍ ، أى وأَنت لاتترضَّاها .

صاحب الرجز والبيتان من رجز لرؤبْة بن العجَّاج . وبعده :

واعمِدْ لأُخرَى ذاتِ دلٍّ مونقِ لِيِّنةِ المسِّ كمسِّ الخِرنقِ

هكذا أَورَده أَبو محمَّد الأَعرابى (فى ضالَّة الأَديب) .

وقولهُ : « إذا العجوزُ غضبت » روى أَيضًا : « كبرت » بدل غضبت. والترضِّى والاسترضاءِ بمعنًى . قال الجوهرى : يقال تملَّقه وتملَّق له تملُّقا وتِمِلَّاقاً ، أَى تودَّد إليه وتلطَّف له . واعِمْد بمعنى اقصِد . والدَّلُّ بفتح الدال ، بمعنى الدلالِ والغُنْج . ومونق : اسم فاعل من أَنِق الشىءُ أَنَقاً من باب تعب[١] ، أَى راع حسنُه وأَعجب . والخِرنق بكسر الخاءِ المعجمة والنون وسكون الراءِ بينهما : ولد الأَرنب .

وترجمة رؤْبة تقدَّمت فى الشاهد الخامس من أَول الكتاب[٢] .

* * *

(١) كذا . والصواب أنه من آنقنى الشىء إيناقاً ، أى أعجبنى .
(٢) الخزانة ١ : ٨٩ — ٩٣ .

وأنشد بعده ، وهو الشاهد السادس والثلاثون بعد الستمائة [وهو من شواهد س[(١)] :

٦٣٦ (ألم يأْتِيكَ والأَنباءُ تَنْمِى)

لما تقدَّم فى البيت قبله .

وأوردَه سيبويه فى موضعين من كتابه على أنَّه أثبت الياءَ فى حال الجزم ضرورة ، لأَنَّه إذا اضطُرَّ ضمَّها فى حال الرفع تشبيهاً بالصحيح .

قال الأَعلم : وهى لغةٌ ضعيفة ، فاستعملها عند الضرورة . ا ه .

وهذا قول الزجاجى (فى الجمل) ، وتبعه الأَعلم .

قال ابن السِّيد (فى شرح أبياته) : وقوله إنَّه لغةٌ خطأٌ .

ومثله للصَّفَّار (فى شرح الكتاب) قال : إثبات حرف العلة فى المجزوم ضرورةٌ ، نحو : أَلم يأْتيك . وقيل إنَّه لغةٌ ، يعربُ بحركاتٍ مقدَّرة . والصحيح أَنَّه ليس لغة ، ولا أَعلم من قاله غير الزجَّاجى ، ولاسندَ له فيه . وممَّا يدلُّ على أَنَّه غير معرب بحركات مقدَّرة أَنَّهم لايقولون لم أَخشى[(٢)] ؛ لأَنَّه لا يظهر فيه حركة بوجهٍ ، بخلاف الياء . فإنْ قلتَ : أَنَّه سمع فى قولِه تعالى : ﴿ لاتَخَفْ دَرَكاً ولاتَخْشَى[(٣)] ﴾ ، وقوله : ٥٣٥

إذا العجوزُ غضبت فطلِّقِ ...... البيت

---

(١) التكملة من الشنقيطية ، وانظر سيبويه ١ : ٥٩ / ٢ : ١٥ ونوادر أبى زيد ٢٠٣ والجمل ٣٧٣ والخصائص ١ : ٣٣٣ ، ٣٣٧ والمحتسب ١ : ٦٧ ، ١٩٦ ، ٢١٥ والمنصف ٢ : ٨١ ، ١١٤ ، ١١٥ وسر الصناعة ١ : ٨٨ وأمالى ابن الشجرى ١ : ٨٤ ، ٨٥ ، ٢١٥ والإنصاف ٣٠ وابن يعيش ٨ : ٢٤/١٠ : ١٠٤ والمقرب ٤ ، ٤٣ والمغنى ١٠٨ ، ٣٨٧

(٢) ش : « لم أتخشى » .

(٣) الآية ٧٧ من سورة طه . وهذه هى قراءة حمزة والأعمش وابن أبى ليلى . تفسير أبى حيان ٦ : ٢٦٤ وإتحاف فضلاء البشر ٣٠٦ .

قلت : لا دليل فِيه كما زعمت ، لأَنَّ الأَول مقطوع ، أى وأَنت لا تخشى ، أَى فى هذه الحال . وكذا ولاترضَّاها ، أى طلقها وأَنت لا تترضَّاها ، ثم قال ولا تملَّق ، فلا دليل فيه . ا هـ .

وقال ابن خلف: هذا البيت أَنشده سيبويه في باب الضَّرورات ، وليس يجب أَن يكون من باب الضَّرورات ، لأَنه لو أُنشد بحذف الياءِ لم ينكسر ، وإِنَّما موضع الضرورة ما لا يجد الشاعر منه بدًّا فى إِثباته ولا يقدر على حَذْفه لئلَّا ينكسر الشعر ، وهذا يسمَّى فى عروض الوافِرِ المنقوصَ ، أَعنى إذا حُذف الياءُ من قوله : « أَلم يأْتيك » .

هذا كلامه ، ولا يخفى أَنَّ ما فسَّر به الضرورة مذهبٌ مرجوح . والتحقيق عند المحققين أَنَّها ما وقع فى الشِّعر سواءٌ كان للشَّاعر عنه مندوحةٌ أَم لا .

وقال ابن جنى (فى فصل الهمزة من سرِّ الصناعة) : رواه بعضُ أَصحابنا: « أَلم يأْتِك » على ظاهر الجزم ، وأَنشدهُ أَبو العباس عن أَبى عثمان عن الأَصمعىّ :

* أَلا هَلَ اَتاكَ والأَنباءُ تنمِى * ا هـ.

فالأَوّل فيه الكفّ ، والثانى فيه نقل حركة الهمزة من أَتاك إلى لام هل وحذفُها . ورواه بعضهم :

* أَلم يبلغْك والأَنباءُ تنمِى *

فلا شاهد فيه على الروايات الثلاث .

والبيت أَورده ابن هشام (فى موضعين من المغنى) :

أَحدهما : فى الياءِ قال : الياءُ فى قوله بما زائدة فى الضرورة . وقال

ابن الضائع : الباءُ متعلقة بتَنْمِى وإنَّ فاعلَ يأْتى مضمر ، والمسأَلة من باب الإعمال[1] .

وثانيهما : فى الجملة المعترضة من الباب الثانى، قال : جملة والأَنباءُ تنمى معترضة بين الفعل والفاعل ، على أَنَّ الباءَ زائدة فى الفاعل . ويحتمل أَنَّ يأْتى وتنمى تنازعَا، فأَعمل الثانىَ وأَضمر الفاعل فى الأَوّل ، فلا اعتراض ولازيادة . ولكن المعنى على الأَوّل أَوجَه ، إذ الأَنباءُ من شأْنها أَن تنمِىَ بهذا وبغيره . ا ﻫ .

يريد أَنَّ يأْتى وتنمى تنازعَا قوله بما ، والأول يطلبه للفاعليَّة ، والثانى يطلبه للمفعوليَّة ، فأَعمل الثانىَ على المختار ، وأَضمر الفاعل فى الأَوّل وهو ضمير ما لاقت .

وقال الأَعلم ، وابن الشجرى (فى أَماليه) : الباءُ زائدة بمنزلتها فى : ﴿ كفَىٰ باللهِ شَهيداً[2] ﴾ . وحسَّن دخولَها فى ما أَنَّها مبهمة مبنيَّة كالحرف ، فأَدخل عليها حرف الجر إشعاراً بأَنَّها اسم ، والتقدير : أَلم يأْتيك مالاقت . ويجوز أَن تكون متّصلة بيأْتيك على إضمار الفاعل ، فيكون التقدير : أَلم يأْتيك النبأُ بما لاقت . ودلَّ على النبإِ قوله : «والأَنباءُ تنمى» أَى تشيع . وأَصله من نمى الشىءُ ينمِى ، إذا ارتفعَ وزاد . ا ﻫ .

وعلى هذا لاتنازع . وفيه الاعتراض بالجملة . وقولُ ابن هشام إنَّ زيادة الباءِ هنا ضرورة هو قول ابن عصفور ، قال (فى كتاب الضرائر) : ومنها زيادة حرف الجر فى المواضع التى لاتُزاد فيها فى سعة الكلام ،

---

(١) يعنى باب التنازع .

(٢) الآية ٧٩ ، ١٦٦ من سورة النساء .

نحو: ألم يأْتيك . البيت فزاد الباءَ فى فاعل يأْتى ، وزيادتها لا تنقاس فى سَعة الكلام إلَّا فى خبر ما ، وخبر ليس ، وفاعل كفى ومفعوله ، وفاعل أَفعِلْ بمعنى ما أَفعله . وما عدا هذه المواضعَ لا تُزاد فيه الباءُ إلَّا فى ضرورةٍ ، أوشاذٍ مِن الكلام يُحفَظ ولا يقاس عليه . اهـ .

وقال ابن جنى (فى المحتسَب) : زاد الباءَ فى « بما لاقت » لمَّا كان معناه : ألم تسمع ما لاقت لبونُهم .

هذا كلامهُ ، وكأَنه على التضمين . وفيه بعدٌ .

٥٣٦ وقال ابن المستوفى ، وابن خلف : ويجوز أَن يكون « لبون » فاعل يأْتى على تقدير مضاف ، أَى ألم يأْتيك خبر لَبونهم ، ويكون فى لاقت ضميرٌ يعود إلى لبون ، ويكون لبون فى نيَّة التَّقديم . وعلى هذا تكون الباءُ متعلِّقة بيأْتى، وفيه التنازع على إعمال الأوّل على خلاف المختار . وفيه تعسُّف لتقدير المضاف فى الأَوَّل وعدمه فى الثانى . والكاف فى يأْتيك لمخاطب غير معيَّن ، أَى يا من يصلُح للخطاب . و (الأَنباءُ) : جمع نبأ وهو خبَرٌ له شأْن . و (اللَّبُونَ) قال أَبو زيد : هى من الشاءِ والإبل[1] : ذات اللبن ، غزيرةً كانت أَم بكيئة. فإذا قصَدُوا قَصْدَ الغزيرةِ قالوا لَبنة. وقال ابن السِّيد ، وتبعه ابن خلف : اللَّبون : الإبل ذوات اللبن ، وهو اسمٌ مفرد أَراد به الجنس .

وبنو زياد هم الكمَلة : الربيع ، وعمارة ، وقيس ، وأَنس ، بنو زِياد ابن سفيان بن عبد الله العبسى . وأُمُّهم فاطمة بنت الخُرشُب الأَنماريّة . والمراد لبون الرَّبيع بن زياد . فإنَّ القصَّة معه فقطْ كما يأْتى بيانها .

(١) ش : « هى من الإبل والشاء » .

كما يقال : بنو فلان فَعَلوا كذا ، إذا كان الفاعل بعضهم ، وأسند الفعل إلى الجميع لرضاهم بفعل البعض .

ومثل هذا البيت قولُ عُفَيف بن المنذِر[(١)] :

أَلم يأْتيكَ والأَنباءُ تنمِى ... بما لاقت سَراةُ بنى تميمِ

تَداعَى من سَرَاتِهِمُ رجالٌ ... وكانوا فى النوائر والصَّميمِ[(٢)]

والبيت أَول أَبياتٍ لقيس بن زُهير بن جَذيمة بن رَوَاحة العبْسى ، وكان سيِّدَ قومِه ، ونشأَت بينه وبين الربيع بن زياد العبسى شَحناءُ فى شأْن درعٍ ساومه فيها ، ولمَّا نظر إليها وهو على ظهر فرسه وضعَها على القَرَبوس ثم ركض بها فلم يردَّها عليه ، فاعترض قيْسُ بنُ زهير أُمَّ الربيع : فاطمةَ بنتَ الخُرشب المذكورة ، فى ظعائنَ من بنى عبس ، فاقتاد جمَلها ، يريد أَن يرتهنَها بدرعه ، فقالت له : ما رأَيتُ كاليوم قطُّ فِعْلَ رجل ! أَين ضلَّ حِلمك ياقيس ؟ أَترجو أَن تصطلح أَنت وبنو زياد أَبداً وقد أَخذتَ أُمَّهم فذهبتَ بها يميناً وشمالا ، فقال الناسُ فى ذلك ما شاءُوا أَن يقولوا ؟ وحسبُك من شرٍّ سماعُه ! فأَرسلتْها مثلا . فعرفَ قيسٌ ما قالت فخلَّى سبيلَها ، ثم طرد إبلاً له ، وقيل إبلَه وإبلَ إخوته ، فقدِم بها مكَّة ، فباعها من عبد الله بن جُدْعان التيميّ ، معاوَضةً بأَدراعٍ وسيوف. ثمَّ جاورَ ربيعة بنَ قُرط بن سلمة بن قُشَير ، وهو ربيعة الخير ، ويكنى أَبا هلال .

---

(١) أحد بنى عمرو بن تميم ، ذكره سيف فى الفتوح ، وأنه شهد مع العلاء بن الحضرمى فى قتال الحطم ، وأبلى فيه بلاء حسناً . الإصابة ٦٤٢٩ . وانظر الطبرى ٣ : ٢٦٩ فى خبر بنى تميم وأمر سجاح بنت الحارث بن سويد . وكان الحطم بن ضبيعة قد أدرك الإسلام فأسلم ثم ارتد .

(٢) الطبرى : « وكانوا فى الذوائب » ، وهو الوجه . والذوائب : الرؤساء ، وذؤابة كل شىء : أعلاه . ومنه قول الأخنس بن شهاب فى المفضليات ٢٠٨ :

أرى كل قوم ينظرون إليهم ... وتقصر عما يفعلون الذوائب

وفاطمة الأَنمارية هى إحدى المنجبات . وسئلت عن بنيها : أَيُّهم أفضل؟ فقالت : الربيع ، لا بل عُمارة ، لا بل قيس ، لا بل أَنس ، ثكلتُهم إنْ كنت أَدرى أَيُّهم أَفضل ، همْ كالحلْقة المفرَغة لا يُدرَى أَين طرَفاها .

أبيات الشاهد

وكانت امرأَةً لها ضيافةٌ وسُودُد . والأَبيات هذه بعد الأَوّل :

(ومحبَسُها على القرشىِّ تُشرَى	بأَدراع وأَسيافٍ حِدادِ
كما لاقيتُ من حَمَل بن بدرٍ	وإخوته على ذاتِ الإصادِ
همُ فخرُوا علىَّ بغير فخرٍ	وردُّوا دونَ غايته جَوادى
وكنتُ إذا مُنِيتُ بخَصمٍ سَوءٍ	دلفتُ له بداهيَةٍ نآدِ
٥٣٧ بداهية تدُقُّ الصُّلبَ منهمْ	بقَصمٍ أَو تَجوبُ على الفؤادِ[1]
أُطوِّف ما أُطوِّف ثم آوِى	إلى جارٍ كجار أَبى دُوادِ
منيعٍ وسطَ عِكرمةَ بنِ قيس	وهُوبٍ للطَّريف وللتِّلاد
تظلُّ جيادُه يَعْسِلْن حولى	بذات الرِّمث كالحِدَإ العوادِى
كفانى ما أَخاف أَبو هلال	ربيعةُ فانتهت عَنِّى الأَعادى
كأَنِّى إذْ أَنختُ إلى ابن قُرط	أَنختُ إلى يَلَمْلَم أَونَضَادِ)

وقوله : « ومحبسُها » بالرفع معطوف على فاعل يأْتيك، وهو ما لاقت، أَو لبون ، وبالجرّ عطفاً على مدخول الباءِ إن كان الفاعل ضمير النَّبأ . والمحبَس : مصدر مِيمىّ .

والقرشىُّ هنا هو عبد الله بن جُدعان ، بضم الجيم ، ابن عمرو بن كعب بن سعد بن تَيم بن مرَّة القرشى . وعبد الله من أَجواد قريش فى

(١) ط : « عن الفؤاد » ، وأثبت ما فى ش والأغانى ١٥ : ٢٨ .

الجاهليَّة . وشذَّ ابن السِّيد فى قوله : إنَّ قيساً لمّا قدِم مكة بإبلِ الربيع باعها لِحربِ بن أميَّة وهشامِ بن المغيرة ، بخَيلٍ وسلاح .

وتُشْرَى ، بالبناء للمفعول ، الجملة حال من ضمير المؤنث فى مَحبسها . وقالوا : هو بمعنى تباع . ويجوز أن يكون المعنى يشتريها القرشىُّ ، فالجملة حالٌ من القرشى .

وفى هذا البيت بيانٌ لما لاقته لبُونُ بنى زياد ، وافتخارٌ وتبجُّح بما فعله مِنْ أخْذِ إبله وبيعها بمكة .

وقوله : « كما لاقيتُ » قال ابن الشجرى : العامل فيه محذوف تقديره : لاقيتُ منهم كما لاقيت من حَمَل بن بدر .

ومثله فى حذف الفِعل منه للدَّلالة عليه ، قول يزيد بن مفرِّغ الحميرىّ :

لا ذَعرتُ السَّوامَ فى وَضَح الصُّبْـ ـحِ مغيرًا ولا دُعيتُ يزيدا
يومَ أُعطَى من المخافة ضَيماً والمنايا يرصُدننى أن أحيدا[1]
طالعاتٍ أخذْنَ كلَّ سبيل لا شقيًّا ولا يدَعْنَ سعيدا

أراد : لا يدعن شقياً ، فحذف . انتهى .

وذات الإصاد ، بكسر الهمزة : موضع .

حرب داحس والغبراء

وهذا البيت وما بعده إشارةٌ إلى حرب داحسٍ والغبراءِ ، وهذا إجمالها (من كتاب الفاخر للمفضَّل بن سلمة) قال : داحسٌ : فرسُ قيس بن زهير العَبْسى ، والغبراءُ : فرس حُذيفة بن بدرٍ الفَزارىّ . وكان من حديثهما أنَّ رجلا من بنى عبس يقال له قِرواش بن هُنىّ ، مارَى حملَ

(١) ط : « يوم أعطى من النحافة » ، صوابه فى ش مع أثر تغيير . وفى ديوانه ٧٢ والأغانى ١٧ : ٥١ : « من مخافة الموت » .

ابن بدرٍ أخا حذيفة، فى داحس والغبْراءِ، فقال حمل: الغبراءُ أجود. وقال قِرواش: داحسٌ أَجود. فتراهنا عليهما عشرةً فى عشرة[١]. فأتى قِرواشٌ إلى قيس بن زهير فأَخبره، فقال له قيس: راهنْ من أَحبَبْت وجَنِّبنى بنى بدر فإنَّهم يَظلمون، لقُدرتهم على النَّاس فى أنفسهم، وأنا نَكِدٌ أَبَّاءٌ! فقال قرواش: فإنِّى قد أَوجبتُ الرِّهان. فقال قيس: ويلك، ما أَردت إلى أَشأَمِ أَهل بيت؟ والله لتنَفِّلنَّ علينا شرًّا[٢]. ثم إنَّ قيساً أَتى حملَ بن بدر فقال: إنِّى أَتيتُك لأُواضِعَك الرِّهانَ عن صاحِبِى. قال حمل: لا أُواضِعُك أو تجىءَ بالعشر، فإن أَخذتُها أَخذتُ سَبَقى، وإن تركتُها تركتُ حقاً قد عرفتَه لى وعرفتُه لنفسى. فأَحفَظَ قيساً فقال: هى عشرون. قال حَمَلٌ: ثلاثون. فتزايدا حتَّى بلغ به قيس مائة، وجعل الغاية مائة غَلوة ــ والغَلوة بفتح المعجمة: مقدار رميةِ سهم ــ فضمَّروهما أربعين يوماً، ثم استقبل الذى ذرَعَ الغاية من ذات الإصاد، وهى رَدْهة فى ديار عبس وسط هَضْب القليب ــ قال الأَصمعىُّ: هضب القليب بنجد جبالٌ صغار، والقليب فى وسط هــذا الموضع، يقال له ذات الإصاد، وهو اسم من أسمائها. والرَّدهةُ: نُقَيرة فى حَجَر يجتمع فيها الماءُ ــ فانتهى الذَّرْع إلى مكانٍ ليس له اسم. فقادوا الفرَسَيْنِ إلى الغاية وقد عطَّشوهما وجعلوا السابق الذى يردُ ذاتَ الإصاد وهى ملأَى من الماء. ولم يكنْ ثَمَّ قصبةٌ[٣]. ووضع حملٌ حَيْسا فى دلاءٍ، وجعله فى شِعْب من شعاب هَضْب القليب على طريق الفرسين، وكمَّن معه فتياناً وأمرهم إنْ جاءَ داحسٌ سابقاً أن يردُّوا وجهَه عن الغاية وأرسلوهما من منتهى الذَّرْع، فلما دنَوَا وقد برز داحسٌ وثب الفِتيانُ

٥٣٨

---

(١) فى الفاخر ٢١٩: «عشراً إلى عشر». فالتذكير للنوق، والتأنيث للإبل.

(٢) التنفيل: الزيادة. وفى الفاخر: «لتنغلن» بالغين المعجمة، وما هنا صوابه.

(٣) فى الفاخر: «ولم يكن ثم قصبة ولا شىء غير هذا».

فلطموا وجهَ داحس فردُّوه عن الغاية . فقال قيس : ياحُذيفة أعطِنى سَبَقِى . وقال الذى وُضِع عنده السَّبَق : إنَّ قيساً قد سبق ، وإنَّما أَردتُ أَن يقال سبق حذيفة ، وقد قيل[١] ؛ فأَمره أَن يدفعه لقيس . ثم إنَّ حذيفة ندَّمه الناس فبعث ابنه يأْخذ السبق من قيس ، فقتله قيس ، فاجتمع الناس فاحتملوا ديتَه مائةَ عُشَراءَ ، فقبضها حذيفةُ وسكن النَّاس . ثم إنَّ حذيفة استفرد أَخا قيس ، وهو مالكُ بنُ زهير ، فقتله . وكان الربيع ابن زياد يومئذٍ مجاورَ بنى فزارة عند امرأَته ، وكان مشاحناً لقيس بن زهير فى دِرعه التى اغتصبها من قيس ، كما تقدَّم ذكرُها ، فلما قُتل مالك بن زهير ارتحلَ الرَّبيع بن زياد ولحق بقومه ، وأَتاه قيس بن زهير فصالحه ونزل معه ، ثم دسَّ قيسٌ أَمَةً له إلى الربيع تنظر ما يعمل ، فأَتته امرأَته تَعرَّضُ له وهى على طُهر ، فزجَرها[٢] وقال :

منَعَ الرُّقادَ فما أُغمِّضُ حارِ ... جَللٌ من النَّبإِ المهمِّ السارى

مَن كان مسروراً بمقتل مالكٍ ... فليأْتِ نسوتَنا بوجهِ نهارِ

يَجِدِ النِّساءَ حَوَاسراً يندُبنه ... يندُبن بين عَوانس وعَذَارِى

أَفبعدَ مقتِلِ مالك بن زهيرٍ ... ترجو النِّساءُ عواقبَ الأَطهارِ[٣]

فأَخبرت الأَمَة قيساً بهذا فأَعتقها .

ثم إنَّ بنى عبس تجمَّعوا ورئيسُهم الربيع بن زياد[٤] ، وتجمَّع بنو ذبيان ورئيسهم حُذيفة بن بدر ، وتحاربوا مراراً .

---

(١) بعده فى الفاخر : « أفأدفع إليه سبقه » .

(٢) وكذا فى النسختين والفاخر ، وفى حواشى ش : « كذا بخط المؤلف : فزجرها ، والرواية : فدحرها ، أى طردها » .

(٣) فى هذا البيت الإتيان بعروض الكامل مقطوعة ، وهى فى سائر الأبيات تامة . وانظر العيون الغامزة للدمامينى ٢٧٤ والعقد ٥ : ٥٠٧ واللسان (قوى ٧٠) . وهو ما يسميه بعضهم الإقواء ، كأن عروض البيت نقصت قوة من قواه . وقال ابن عبد ربه : « والخليل يسمى هذا : المقعد » .

(٤) وذلك فى يوم الهباءة . وهو فى الفاخر ٢٢٦ .

ثم إنَّ الربيع بن زياد أظفره الله فى جفر الهباءة على حُذيفة بن بدر وأخويه : حملِ بن بدر ومالِك بن بدر ، فقتلهم ومثَّلوا بحذيفة فقطعوا ذكَره فجعلوه فى فِيه ، وجعلوا لسانه فى دُبره .

وقال الربيع بن زيادٍ يرثى حَمل بنَ بدر :

تَعَلَّمْ أنَّ خَير النَّاسِ طُـرًّا ... على جَفْـر الهبـاءَة مـايَريمُ
ولولا ظُلمُه ما زلتُ أبـكى ... عليه الدَّهرَ ما طلَعَ النُّجومُ
ولكنَّ الفتى حملَ بنَ بدرٍ ... بَغى ، والبغيُ مرتعُه وخِيمُ
أظنُّ الحلمَ دَلَّ علىَّ قـومى ... وقـد يُستجهَل الرّجلُ الحليمُ
ألاقى من رجـالٍ منكراتٍ ... فأُنكرُها وما أنا بالظلومِ[١]
ومارستُ الرِّجالَ ومـارسونى ... فمعوَجٌّ علـىَّ ومستقيمُ

٥٣٩ ودامت الحربُ بينهم أربعين سنة إلى أن ضعف قيسُ بن زهير ، فحالفَ ربيعةَ بن قُرط بن سَلمة بن قُشَير ، وهو ربيعة الخير ، ويكنى أبا هلال . وقيل هو ربيعة بن قُرط بن عبد بن أبى بكر بن كلاب . فنزل قيسٌ مع بنى عبس عندَه وقال :

أُحاول ما أُحاوِلُ ثم آوِى ... إلى جارٍ كجار أبى دُوادِ

إلى آخر الأبيات المذكورة .

وقوله : « وكنت إذا مُنيت » الخ ، أى بُليت . ودَلَفت : أسرعت . والنَّآدُ بهمزة ممدودة قبلها نون وبعدها دال : الشَّديدة من الدَّواهى . وتَقصِم[٢] : تكسر . وتجُوب : تشُقّ .

وقوله : « كجار أبى دواد » الجار هنا : الناصر والحليف .

---

(١) فى هذا البيت إقواء كما ترى.
(٢) ط : « وانقصم » ، صوابه فى ش .

كان أَبو دُواد الإِيادىُّ فى الجاهلية جاوَرَ الحارث بن هَمَّام بن مُرّة ابن ذُهل بن شيبان ، فخرج صِبيانُ الحىِّ يلعبون فى غدير ، فغمَسوا ابن أَبِى دُوادٍ فقتلوه ، فقال الحارث بن همَّام : لا يبق فى الحىِّ صبىٌّ إلاَّ غُرِّق فى الغدير ! فوُدِىَ ابنُ أَبِى دواد تسعَ دياتٍ أَو عشراً .

ويَعْسِلْن ، من العَسَلان ، وهو اهتزاز الذى يعدو . والحِدَأُ : جمع حِدأَة كعنب جمع عنبة : طائر معروف . ويَلملم ونَضَاد[1] : جبلان .

وقول الربيع بن زياد :

مَنْ كان مسروراً بمقتلِ مالك . . . الخ

يقول : من شَمِت من الأَعداءِ بمقتل مالك فليعلم أَنَّا قد أَدركنا ثأْره . وكانت العرب لا تندُب قتلاها حتَّى تدركَ ثأْرها . وكان قيسٌ قتل ابنَ حذيفة كما تقدَّم ، فقتل حذيفة مالكاً أَخا قيس . والمراد فليحضُر ساحتنا فى أَوَّل النَّهار ، ليعلم أَنَّ ما كان محرَّماً من البكاء قد حَلَّ ، ويجد النساءِ مكشوفاتِ الرءُوس يندُبنه . ورُوِىَ :

يجدِ النساءَ حواسراً يندُبنه يَلطِمْن أَوجهَهُنَّ بالأَسحار

وروى أَيضاً :

* قد قُمْنَ قبل تبلُّج الأَسحارِ *

وروى أَيضاً :

* بالصُّبح قبل تبلُّج الأَسحارِ *

قال ابن نباتة (فى سَرح العيون ، فى شرح رساله ابن زيدون) : لبعض الأُدباءِ اعتراضٌ فى قوله :

* بالصُّبح قبل تبلُّج الأَسحارِ *

---

(١) قال ياقوت فى (نضاد) : « يبنى عند أهل الحجاز على الكسر ، و بنو تميم ينزلونه بمنزلة ما لا ينصرف » .

فإنَّ الصُّبح لا يكون إلَّا بعد تبلُّج الأَسحار .

أُجيبَ بأَقوالٍ منها : أَنَّ الصبح هنا الحقُّ الواضح ، من وصفِه[١] الذى هو كالصُّبحِ ، لأَنَّها تندبه بخلاله الحسنة الواضحةِ . انتهى .

وقيس بن زهير جاهلىٌّ ، وهو صاحب الحروب بين عَبْس وذبيان بسبب الفرسين: داحس والغبراءِ كما تقدَّم. وكان فارساً شاعراً داهية ، يضرب به المثل فيقال: « أَدهى من قيس » .

ولمَّا طال الحربُ[٢] ومَلّ ، أَشار على قومه بالرُّجوع إلى قومهمِ ومصالحتهم فقالوا : سِرْ نسرْ معك . فقال : لا والله لا نظَرَتْ فى وجهى ذُبيانيَّةٌ قتلتُ أَباها أَو أَخاها ، أَو زَوْجها أَو ولدها .

وتقدَّم ذكرُ الصُّلح فى شرح معلَّقة زهير بن أَبى سُلمى .

ثمّ خرج على وجهه حتَّى لحق بالنَّمر بن قاسط ، وتزوَّج منهم وأقام عندهم مدَّة ، ثم رحل إلى عُمان فأَقام بها حتَّى مات . وقيل إنَّه خرج هو وصاحبٌ له من بنى أَسد عليهما المسوحُ يَسيحان فى الأَرض ويتقوَّتان مما تُنبت ، إلى أَن دَفَعا[٣] فى ليلةٍ باردة إلى أَخبيةٍ لقومٍ ، وقد اشتدَّ بهما الجُوع ، فوجدَا رائحةَ شواءٍ فسَعَيا يُريدانِه ، فلمَّا قاربا[٤] أَدركت قيساً شهامةُ النفس والأَنفةُ فرجع وقال لصاحبه : دُونَك وما تريد ، فإنَّ لى لُبْثاً على هذه الأَجارع ، أَترقَّب داهية القرون الماضية . فمضى صاحبُه ورجع من الغد فوجده قد لجأَ إلى شجرةٍ بأَسفل وادٍ فنال من ورقها شيئاً ثم مات .

٤٣٥

* * *

(١) فى سرح العيون ١٥٨ : « من وصف القتيل » .

(٢) الحرب ، مؤنثة ، وحكى فيها ابن الأعرابى التذكير ، وأنشد :

وهو إذا الحرب هفا عقابه   كره اللقاء تلتظى حرابه

(٣) دفع إلى المكان ، ودفع أيضاً بالبناء للمجهول ، كلاهما بمعنى انتهى إليه .

(٤) ش : « قارباه » .

وأنشد بعده :

(فأَنظورُ)

هو قطعةٌ من بيت ، وهو :

(وأنَّنى حيثُما يثنى الهَوَى بصرى
من حَوْثُما سَلكُوا أدْنُو فأَنظورُ)

أى فأَنظر . وتقدَّم الكلام عليه فى الشاهد الحادى عشر من أوائل الكتاب[١] .

* * *

وأنشد بعده :

(ينبـاعُ)

وهذا أيضاً قطعةٌ من بيت تقدَّم فى الشاهد الثانى عشر[٢] بعد بيت فأَنْظور ، وهو :

(يَنباعُ من ذِفرَى غَضوبٍ جَسْرَةٍ
زيَّافةٍ مثلِ الفنيق المُقْرَمِ)

أَى يَنْبَع . والذِّفرى : الموضع الذى يعرَق من الإبل خلف الأُذن . والغضوب : الناقة العَبُوس الصَّعبة الشديدة الرأْس . والجَسرة : الجاسرة فى السَّير . والزَّيَّافة : المتبخترة . والفنيق : الفحل المكرَم لا يُركَب لكرامته عند أهله . والْمُقرَم ، بضم الميم وفتح الراءِ : البعير الذى لا يُحمَل عليه ولا يذلَّل ، وإنَّما هو للفِحْلة .

وتقدَّم الكلام هناك مفصَّلا عليه .

* * *

(١) الخزانة ١ : ١٢١ - ١٢٢ .
(٢) الخزانة ١ : ١٢٢ - ١٢٩ .

وأنشد بعده ، وهو الشاهد السابع والثلاثون بعد الستمائة[(١)] :

٦٣٧ (وما كِدتُ آيبًا)

هو قطعة من بيت ، وهو :

(فأُبتُ إلى فَهْم وما كدتُ آيباً
وكم مِثْلِهَا فارقتُها وهى تَصْفِرُ)

على أنَّ أصل خبر كاد الاسم المفرد كما فى البيت .

قال ابن جنى (فى إعراب الحماسة) : استعمل الاسم الذى هو الأَصل المرفوض الاستعمالِ موضعَ الفعل الذى هو فرعٌ ، وذلك أَنَّ قولك : كدت أَقوم ، أَصله كدت قائماً ، ولذلك ارتفع المضارع . أَى لوقوعه موقعَ الاسم[(٢)] ، فأَخرجه على أَصله المرفوض كما يُضطَرُّ الشاعرُ إلى مراجعة الأُصول عن مستعمل الفروع ، نحو صرفِ ما لا ينصرف ، وإظهار التضعيف ، وتصحيح المعتلِّ ، وما جرى مجرى ذلك . ونحوٌ من ذلك ما جاء عنهم من استعمال خبر عسى على أَصله :

أَكثرتَ فى العذل ملحًّا دائمَا ... لا تُكثِرَنْ إِنّى عسيتُ صائمَا[(٣)]

وهذه [هى[(٤)]] الرواية الصحيحة فى هذا البيت ، أَعنى قوله « وما كدت آيبا » . وكذلك وجدتُها فى شعر هذا الرجل بالخطِّ القديم ، وهو عتيدٌ عندى إلى الآن . والمعنى عليه البتَّة . أَلا ترى أَنَّ معناه فأُبت

---

(١) الخصائص ١ : ٣٩١ والإنصاف ٥٥٤ وابن يعيش ٧ : ١٣ ، ١١٩ ، ١٢٥ والخزانة ٤ : ٩٠ بولاق والعينى ٢ : ١٦٥ والتصريح ١ : ٢٠٣ والهمع ١ : ١٣٠ والأشمونى ١ : ٢٥٩ والحماسة بشرح المرزوقى ٨٣ .
(٢) كلمة « أى » ساقطة من إعراب الحماسة الورقة ٢٢ .
(٣) لرؤبة فى ملحقات ديوانه ١٨٥ .
(٤) التكملة من ش وإعراب الحماسة .

وما كدت أءُوبُ ، كقولك : سلَّمت وما كدت أُسلِّم . وكذلك كُلُّ ما يلى هذا الحرف من قبله ومن بعده يدلُّ على ماقلنا . وأكثر الناس يروى : « ولم أكُ آئباً » ، ومنهم من يروى : « وما كنت آئباً » . والصواب الرواية الأُولى ، إذْ لا معنى هنا لقولك : وما كنت ، ولا لِلَمْ أك . وهذا واضحٌ . انتهى .

وقال مثلَه (فى الخصائص فى باب امتناع العرب من الكلام بما يجوز فى القياس) قال : وإنما يقع ذلك فى كلامهم إذا استغنَتْ بلفظ عن لفظ ، كاستغنائهم بقولهم : ما أجودَ جوابه عن قولهم : ما أجوبه . أو لأنَّ قياساً آخر عارضه فعاق عن استعمالهم إيَّاه ، كاستغنائهم بكاد زيد يقوم عن قولهم : كاد زيد قائماً أو قياماً. وربَّما خرج ذلك فى كلامهم. قال تـأبَّط شراً :

٥٤١

* فأُبتُ إلى فهم وما كدتُ آئباً *

هكذا صحَّة رواية هذا البيت . وكذلك هو فى شعره . فأمَّا رواية من لا يَضبطه : « وما كنت آئباً » و« لم أكُ آئباً » فلبُعده عن ضبطه. ويؤكِّد ما رويناه نحن مع وجوده فى الديوان ، أنَّ المعنى عليه . ألا ترى أنَّ معناه فأُبت وما كدت أءُوب . فأمَّا « ماكنت » فلا وجه لها فى هذا الموضع . انتهى .

ومراده من هذا التأكيدِ : الردُّ على أبى عبد الله النَّمرى (فى شرح الحماسة)، وهو أول شارحٍ لها ، وقد تحرَّفت عليه هذه الكلمة ، وهذه عبارته : أُبت : رجعت . وفهم : قبيلة . والهاءُ فى قوله : « وكم مثلها » راجعةٌ إلى هذيل. وقوله : « وهى تصفِر » قيل معناه أى تتـأسَّف على فوتى . هذا كلامه . وقد ردَّ عليه أبو محمد الأعرابى أيضاً فيما كتَبه على شرحه

قال : سألت أبا الندى عنه قال : معناه كم مثلها فارقتها[1] وهى تتلهَّف كيف أفلتُّ . قال : والرواية الصحيحة « وما كدت آئباً » . والهاءُ راجعة فى فارقتها إلى فهم . قال : ورواية من روى « ولم أَك آئِباً » خطأٌ . وفهْمٌ : ابن عمرِو بن قيس عيلان . انتهى كلامه .

قال التبريزى : قد تكلَّم المرزوقىُّ على اختيار ابن جنِّى هذه الرواية ردًّا عليه ولم يُنصِفه ، وقال : قوله ولم أَك آئباً، أى رجعت إلى قبيلتى فهمٍ وكدت لا أءُوب لمشارفتى التلف . ويجوز أن يريد: ولم أَك آئباً فى تقديرهم وظنِّهم. ويروى: « ولم آلُ آئباً » بمد الهمزة واللام، أى لم أَدَع جهدِى فى الإِياب . والأَوَّل أحسن . انتهى .

وقد أَورد ابن عصفور هذا البيت (فى كتاب الضرائر) قال : ومنه وَضْع الاسم موضعَ الفعل الواقعِ فى موضع خبر كاد ، وموضعَ أن والفعل الواقِع فى موضع خبر عسى ، نحو قول تأَبَّط شراً :

فأُبت إلى فهم وما كدت آئباً ... البيت

وقول الآخر :

* لا تُكثرنْ إنِّى عسيتُ صائمَا *

كان الوجه أَن يقول[2]: وما كدت أءُوب وإِنِّى عسيت أَن أَصوم، إِلَّا أَنَّ الضرورة منعت من ذلك . وقولهم فى المثل: «عسى الغويرُ أَبؤساً» شاذٌّ ، يُحفظ ولا يقاس عليه . انتهى .

وقال ابن المستوفى وغيره : قوله إلى فهم ، أَى إلى عقل . وقيل إلى قبيلتى التى هى فهم . وهذا أَولَى . انتهى .

---

(١) الكلام بعده إلى « فارقتها » التالية ساقط من ش .

(٢) ش : « أن يقال » .

ورجوع الضمير من مثلها إلى فهم غير مناسب ، والمناسب رجوعُه إلى لِحيان ، وهى قبيلة من هذيلٍ ، فى قوله :

أقول لِلِحْيانٍ وقد صفِرَتْ لهمْ وطابى ويومى ضيِّقُ الحَجْرِ مُعْوِرُ

ويجوز أن يرجع إلى الحالة التى صدرت منه حين أحاط به بنولحيان وأرادوا قتلَه ، فتحيَّل ونجا منهم . وعبَّر عنه ابن المستوفى بقوله : أى المحنة أو الخُطَّة أو المِنَّة . وكم مبتدأٌ وجملة فارقتها هو الخبر ، وجملة وهى تصفِرُ حاليَّة ، ومثلِها بالجر : مميِّزكم الخبرية .

قال ابن المستوفى : قرأت على شيخنا أبى الحرم مَكِّىٍّ : « وكم مثلها » بجرّ مثلها ورفعها ونصبها . فالجر على الإخبار . والرفع على معنى كم مرّةً وقع مثلُها فارقتها . والنصب على أن تكون[1] كم مبهمة بالاستفهامية ، ويكون مثلها صفة لنكرة محذوفة تقديرها : كم مرّة مثلَها فارقتها . هذا كلامه فتأمَّلْه .

٥٤٢

وقد أَنَّث مثلاً لإضافته إلى ضمير المؤنَّث ، بدليل عَود الضمير إليه من فارقتها مؤنَّثاً . قال ابن جنى : أَنَّثَ المثْلَ حملاً على المعنى لمَّا كان المراد به الحالَ والصُّورة التى ذكرها . وقد جاء فى التنزيل : ﴿ فله عَشْرُ أمثالها[2] ﴾ لمَّا كان المراد عشر حسنات أمثالِها، وتأْنيث المذكَّر أغلط من تذكير المؤنَّث ،لأنَّه مفارقة أصل إلى فرع ، وفى ما وردَ من تأْنيث نحو هذا دليلٌ على قوّة إقامة الصِّفة مقامَ الموصوف ، حتَّى كأَنَّ الموصوف حاضر . ولولا أنَّ ذلك كذلك لما جاز تأْنيث المثل ، لكن دلَّ جواز تأْنيثه علىقوة إرادة موصوفِه. فاعرفْ ذلك فإنَّه هو غرضُ هذا الفصل . انتهى .

(١) ش : « يكون » .
(٢) الآية ١٦٠ من سورة الأنعام .

وقوله : « تصفِرُ » قال ابن هشام (فى شرح الشواهد) أراد بالصفير النفخ عند الندم . ونقل ابن المستوفِى عن أبى محمد القاسم بن محمد الدِّيمرتى[١] أنَّ المعنى لمَّا أعجزتها جعلَتْ تصفِر خجلاً . قال : ومن عادة العرب إذا فاتهم[٢] أن يقولوا : هو هُو ! ثم يصفروا وراءَهُ، يريدون به البعد . انتهى .

صاحب الشاهد والبيت من أبيات لتأبَّط شرًّا ، تقدَّم شرحها فى الشاهد الثامن والستين بعد الخمسمائة[٣] .

وكان بنو لحيان من هُذيل أخذوا عليه طريقَ جَبل وجدُوهُ فيه يشتار عسلاً، لم يكن له طريق غيره ، وقالوا : استأسِرْ أو نقتلك ! فكره أن يستأْسر ، فصبَّ ما معه من العسل على الصَّخر ووضع صدرَه عليه حتَّى انتهى إلى الأَرض من غير طريق ، فصار بينه وبينهم مسيرة ثلاثة أيام ونجا منهم . فَحَكى الحكاية فى الأَبيات . وأوَّلها :

أبيات الشاهد

(إذا المرءُ لم يَحْتَلْ وقد جدَّ جِدُّه
أَضاعَ وقاسَى أمرَه وهو مدبرُ

ولكنْ أخو الحزم الذى ليس نازلاً
به الخطبُ إلاَّ وهو للقَصدِ مُبصِرُ

---

(١) ذكره ياقوت فى معجم البلدان (ديمرت) وقال : من نواحى أصبهان . وينسب إليها أبو محمد القاسم بن محمد الديمرتى الأديب . وذكره كذلك فى معجم الأدباء ١٦ : ٣١٩ ، وترجم له أيضاً ابن النديم فى الفهرست ١٢٨ . ومن تآليفه كتاب تفسير الحماسة فيما نقل ياقوت عن ابن النديم ، وإن لم أعثر عليه فى الفهرست . وفى حواشى ش : «كذا بخط المؤلف ، وصوابه الذيمونى بالذال والنون » . ولا وجه لهذه الحاشية .

(٢) فى حاشية ش : « كذا بخط المؤلف بغير بياض ، وفيه حذف لفساد المعنى دونه » . وكتب مصحح ط : « قوله إذا فاتهم ، هكذا بالأصل . ولعله إذا فاتهم فارس أو نحو ذلك ، فليحرر » .

(٣) الخزانة ٧ : ٥٠٢ – ٥٠٧ .

فـذاك قريعُ الدَّهر ما عاش حَـوَّلٌ
إذا سُدَّ منه مَنخِرٌ جـاش مَنخـرُ)

قال ابن هشام (فى شرح الشواهد) : ومن محاسن أهل الأَدب أَنَّ محيي الدين بن قُرناس قال بحضرة شرف الدين الحِلِّيِّ ، ملغزاً فى الشَّبَّابة[1] :

وناطقةٍ خَرساءَ بادٍ شجونُهـا تكنَّفُها عَشرٌ ومنهنَّ تُخبِرُ
يَلَذُّ إلى الأَسماع رجعُ حديثهـا إذا سُدَّ منها مَنْخِرٌ جاش مَنْخِرُ

فأَجابه فى الحال :

نهانى النُّهى والشَّيْبُ عن وَصلِ مثلِها
وكم مثلِهـا فارقتُها وهى تصفِرُ

وفى الموضعين تضمين .

تتمة

ما أورده الشارح المحقِّق على البصريِّين فى قولهم : رفع المضارع لوقوعه موقع الاسم ، قد أَجاب عنه صاحب اللباب ، قال فيه : وأَمَّا مرفوع الفعل فهو المضارع الواقع بحيث يصحُّ وقوع الاسم ، إمَّا مجرَّدًا أَو مع حرف لا يكون عاملاً فيه ، فى نحو زيد يضرب ، وسيضرب ، ويضرب الزيدان . لأَنَّ مبدأَ الكلام لا يتعيَّن للفعل دون الاسم ، ونحو: كاد زيد يقومُ ، الأَصل فيه الاسم ، وقد عُدل إلى لفظ الفعل لزوماً لغرض. وقد استُعمل الأَصل المرفوض فيمن روى قوله : « وما كدت آئباً » . انتهى .

---

(١) الشبابة ، قال الخفاجى فى شفاء الغليل ١١٢ : « بالتشديد : قصبة الزمر المعروفة ، مولد » .

واحترز بقوله لا يكون عاملاً عما إذا كان مع حرفٍ عامل نحو: زيد لم يضرب، أو لن يضرب. وقوله: لأَنَّ مبدأ الكلام. إلخ، هذا جواب عن سؤالَ مقدَّر، وهو أَنَّ يضرب فى يضرب الزيدان مرفوع، مع أنَّه ليس بواقعٍ موقعَ الاسم، إذْ لا يجوز ابتداءُ ضاربٌ الزيدان من غير اعتمادٍ على شئ.

٥٤٣

فأَجابَ بأَنَّ هذا الكلام من حيث هو كلامٌ لا يتعيَّن أَن يكون فعلاً دون اسم، بل جاز أَن يكون ابتداءُ الكلام اسماً على الجملة، فصدق أَنَّه واقعٌ موقع الاسم على الإطلاق، أَىْ موقعاً كان يصحُّ أَن يُوقَع فيه اسمٌ من الأَسماء وإن لم يقع اسم مخصوص.

وقوله: ونحو كاد زيد يقوم إلخ، هذا أَيضاً إيرادٌ وجوابٌ. أَمَّا لإيراد فهو أَنَّ خبر كاد يلزم أَن يكون فعلا، وهو أَنَّ كاد موضوع لمقاربة وقوع فعلٍ، فحقُّ خبره أَن يكون فعلاً مضارعاً، فلا يكون خبره اسماً، فينبغى أَن لا يرتفع لأَنَّ ارتفاعه لوقوعه موقع الاسم، والاسم لا يقع خبَرا لكادَ.

وأَجاب بأَن أَصل خبر كاد أَن يكون اسماً كما فى خبر كان، ولذلك استُعمل ذلك الأَصل المرفوض فى البيت، فالفعل واقعٌ موقع الاسم نظرًا إلى الأَصل.

وقد بسط الكلامَ على مذهب الفريقين ابنُ الأَنبارىّ (فى مسائل الخلاف) فلا بأْس بإيراده قال: اختلف مذهبُ الكوفيِّين فى رفع المضارع، فذهب الأَكثرون إلى أَنه يرتفع لتعرِّيه من العوامل الناصبة والجازمة.

وذهب الكسائيُّ إلى أنه يرتفع بالزائد فى أوله . وذهب البصريون إلى أنَّه يرتفع لقيامه مَقام الاسم .

واحتج الكوفيُّون بأَنَّ المضارع إذا دَخل عليه ناصب نصبه ، أو جازم جزمه ، وإذا خلا منهما ارتفع ؛ فعلمنا أنَّه بدخولهما يُنصب ويجزم ؛ وبسقوطهما عنه يُرفع . قالوا : ولا يجوز أن يكون مرفوعاً لقيامه مقامَ الاسم ، لأنَّه لو كان كذلك لكان ينبغى أن يُنصب إذا كان الاسم منصوباً نحو كان زيد يقوم . ثم كيف يأْتيه الرفعُ لقيامه مقام الاسم، والاسم يكون مرفوعاً ومنصوباً ومخفوضاً ؟ ولو كان كذلك لوجب أن يُعرب بإعراب الاسم ، ولوجب أن لا يرتفع فى كاد زيد يقوم ، لأنَّه لا يجوز كاد زيد قائماً .

واحتجَّ البصريون بوجهين : أحدهما أنَّ قيامه مقام الاسم عاملٌ معنويٌّ يشبه الابتداءَ ، والابتداءُ يوجب الرفع . وكذا ما أشبهه .

وثانيهما : أنَّ بقيامه مقامَ الاسم قد وقع فى أقوى أحواله ، فوجب أن يُعطَى أقوى الإعراب وهو الرفع . وإنَّما لم يرفع الماضى مع جواز قيامه مقام الاسم لأنَّه ما استحقَّ أن يكون معرباً بنوع من الإعراب ، فصار قيامه بمنزلة عدمه . وأمَّا قول الكوفيين إنَّه يرتفع بالتعرِّى من العوامل الناصبة والجازمة فهو فاسد ، لأنَّه يؤدِّى إلى أن يكون الرفع بعد النصب والجزم ، ولا خلاف بين النحويِّين أنَّ الرفع قبلهما ، وذلك أنَّ الرفع صفة الفاعل ، والنصب صفة المفعول ، فكما أن الفاعل قبل المفعول ينبغى أن يكون الرفع قبل النَّصب . وإذا كان الرفع قبل النصب فلأَن يكون قبل الجزم من طريق الأَولى . وأما قولهم : لو كانَ مرفوعاً[1] لقيامه مقام الاسم إلخ ، فنقول : إنَّما لم يكن منصوباً أو

(١) ط : « ولا يجوز أن يكون مرفوعاً » ، وأثبت ما فى ش والإنصاف ٥٥٣ .

مجروراً إذا قام مقام الاسم المنصوب والمجرور، لأَنَّ عوامل الأَسماء لا تعمل فى الأَفعال . وأَمَّا قولهم : «وجَدنَا نصبه وجزمه بناصب وجازم لا يدخلان على الاسم فعلمنا أَنَّه يرتفع من حيث لا يرتفع الاسم» ، قلنا : وكذلك نقول فإِنَّه يرتفع من حيث لا يرتفع الاسم ، لأَنَّ ارتفاعه لقيامه مقام الاسم ، والقيام مقام الاسم ليس بعامل للرَّفع فى الاسم .

٥٤٤

وأَمَّا قول الكسائى إِنَّه يرتفع بالزائد فى أَوَّله ، فهو فاسد من وجوه :
أَحدها : أَنَّه كان ينبغى أَن لا يدخل عليه عوامل النصب والجزم[١] لأَنَّهما لا يدخلان على العوامل .

الثانى : كان ينبغى أَن لا ينتصِب ولا يجزم بدخولهما ؛ لوجود الزائد فى أَوله أَبداً .

الثالث : أَنَّ هذه الزوائد بعضُ الفعل لا تنفصل مِنه فى لفظ ، بل هى من تمام معناه ؛ فلو عملت لزم أَن يعمَل الشىءُ فى نفسه .

وأَمَّا قولهم : « لو كان مرفوعاً لقيامه مقام الاسم لكان ينبغى أَن لا يرتفع فى كاد زيد يقوم» إِلخ ، قُلنا : هذا فاسد ، لأَنَّ الأَصل كاد زيد قائماً . ولذلك ردَّه الشاعر فى الضرورة إِلى أَصله فى قوله : « وما كدت آئباً »، إِلَّا أَنَّه لمَّا كانت كاد موضوعة للتقريب من الحال، واسم الفاعل ليسَ دلالتُه[٢] على الحال بأَولى من دلالته على الماضى ، عدلوا عنه إِلى يفعل؛ لأَنَّه أَدلُّ على مقتضى كاد، ورفعوه مراعاة للأَصل . فدلَّ على صحة ما ذهبنا إِليه .

انتهى كلامه باختصار ، وفيه مواضع تحتمل المناقشة لا تخفى على المتأَمِّل .

---

(١) ط : « أن لا يدخل عليه عامل النصب والجزم » ، وأثبت ما فى ش والإنصاف .
(٢) وكذا فى الإنصاف ٥ ٥ ٥ بترك التأنيث .

النواصب

أنشد فيه ، وهو الشاهد الثامن والثلاثون بعد الستمائة[١] :

٦٣٨ (وَدِدتُ وما تُغنى الودَادةُ أَنَّنى
بما في ضَميرِ الحاجِبيَّةِ عالمُ)

على أَنَّ (أَنَّ المفتوحة[٢]) يجوز أن تقع بعد فعل غير دالٍّ على العلم واليقين كما في البيت ، خلافاً للزمخشرى (في مفصَّله) ، فإِنَّ وددت بمعنى تمنَّيت .

قال ابن درستويه (في شرح فصيح ثعلب) : ودِدته بالكسر أَوَدُّه بالفتح ، بمعنى وَمِقته أَمِقه. وكذلك ودِدتُ أَنَّه كَذَا ، إذا تمنَّيته ،لأَنَّه أَيضاً من المِقَة والمحبة . انتهى .

والزمخشرى قاله[٣] في الحروف المشبَّهة بالفعل ، وهذا نصُّه :

فصلٌ : والفعل الذى يدخل على المفتوحة مشدَّدة أَو مخفَّفة يجب أَن يُشاكلَها في التحقيق . فإِن لم يكن كذلك نحو : أَطمع ، وأَرجو ، وأَخاف ، فليدخُلَ على أَن الناصبة للفعل . وما فيه وجهان كظننت وحسبت وخِلت فهو داخلٌ عليهما[٤] جميعاً . انتهى بحذف الأَمثلة .

وقد جاراه ابن يعيش (في شرحه) ولم ينتقده بشيء ، قال: قد تقدَّم أَنَّ أَنَّ المفتوحة معمولةٌ لما قبلها ، وأَنَّ معناها التأْكيد والتحقيق ، مَجْراها في ذلك مجرى المكسورة ، فيجب لذلك أَنْ يكون الفعل الذى

---

(١) الحماسة ١٢٨٧ ، ١٥٧٠ بشرح المرزوق وديوان كثير ٢ : ٣٦ .
(٢) ش : « على أن المفتوحة » .
(٣) ط : « قال » ، وأثبت ما في ش .
(٤) أي على أن وأن ، المشددة والمخففة .

تُبنَى عليه مطابقاً لها فى المعنى ، بأَن يكون من أَفعال العلم واليقين ونحوهما بما معناه الثبوت والاستقرار ، ليتطابق فى المعنى العامل والمعمول ولا يتناقضا[(١)] . وحكم المخفَّفة من الثقيلة فى التأْكيد والتحقيق حكمُ الثقيلة ، لأَنَّ الحذف إنَّما يكون لضربٍ من التخفيف ، فهى لذلك فى حكم الثقيلة ، فلذلك لا يدخل عليها من الأَفعال إلا ما يدخل على المثقَّلة . هذا كلامه

والبيت أَول أَبيات أَربعة أَوردها أَبو تمام (فى الحَماسة) لكثَيِّر عزَّة . وهى بعد الأَوَّل :

(فإنْ كان خيرًا سرَّنى وعلمته وإن كان شرًّا لم تَلُمْنى اللوائمُ

٥٤٥ وما ذكرَتْكِ النَّفسُ إلَّا تفرَّقتْ فريقين : منها عاذرٌ لى ولائم

فريق أَبَى أَن يقبل الضَّيمَ عَنوةً وآخرُ منها قابلُ الضَّيمِ راغمُ)

وقوله : (وما تُغنى الوِدَادة) أَى تنفع ، جملة معترضة بين وَدِدت وبين معموله وهو أَنَّنى إلخ . و (الحاجبيَّة) هى عزَّة محبوبة كثيِّر ، واشتُهر بالإضافة إليها فيقال كثيِّر عزَّة ، بفتح العين المهملة وتشديد الزاى . والحاجبية : نسبةٌ إلى أَحد أَجدادها ، قال ابن الكلبى : عزَّة بنت حُميل ، بضم المهملة ، ابن حَفص ، بفتحها ، من بنى حاجب ابن غِفَار ، بكسر المعجمة . وتقدَّم الكلام عليها فى الشاهد الثالث والسبعين بعد الثلثمائة[(٢)] .

---

(١) فى ابن يعيش ٨ : ٧٧ : « ليتطابق معنيا العامل والمعمول ولا يتناقضا » .

(٢) الخزانة ٥ : ٢٢١ - ٢٢٣ .

قال الطَّبَرْسِيُّ [١] (فى شرح الحماسة) : يقول : تمنَّيت أنَّى عالمٌ بما ينطوى عليه قلبُ هذه المرأةِ لى . والوِدادة بكسر الواو وفتحها [٢] .

وقوله : « فإن كان خيراً » إلخ ،أى فإن كان ما تضمره لى وُدًّا صافياً سرَّنى ذلك ، وإن كان ما تضمره إعراضاً وجفاءً قتلتُ نفسى وأرحتها من لوم اللائمات . أو يُريد : سلوت فاستريحتُ ممَّا ألام فيه من حبٍّ من لا يحبُّنى . وهذا الأخير عن البِيارىّ [٣] . وعلمته بمعنى عرَفته ، ولذلك اكتفى بمفعول واحد .

وقوله : « وما ذكرتُكِ النفسُ » إلخ ، أى ما ذكرتُك إلَّا تفرقتْ نفسى فريقين : ففريق يعذِرنى ، يقول : إنَّ مثلها فى جمالها وكمالِها يُحبّ . وفريق يلومُنى ، يقول : لِمَ تحبُّ من لا يحبُّك ولا تصلُ إليه ؟ والضَّيم : الظُّلم . والعَنْوة بالفتح : القهر . وراغم : ذليل ملصَقٌ أنفُه بالرَّغام وهو التُّراب .

وترجمة كثيِّرٍ قد تقدَّمت فى الشاهد الثالث والسبعين بعد الثلثمائة [٤]

---

(١) ط : « الطيبرسى » ، صوابه فى ش . والطبرسى هذا هو أمين الدين أبو على الفضل بن الحسن بن الفضل الطبرسى ، مفسر لغوى من أعيان الشيعة الإمامية . توفى سنة ٥٤٨ . انظر إنباه الرواة ٣ : ٦ ، ٧ ومعجم المؤلفين ٨ : ٦٦ . ومن شرحه لحماسة نسخة فى مكتبة فيض الله التى أدرجت ضمن مكتبة ملت بتركيا برقم ١٦٤٢ . ويسمى هذا الشرح « الباهر فى شرح الحماسة » . وانظر ماسبق فى ٣١٥ .

(٢) ش : « بفتح الواو وكسرها » .

(٣) نسبة إلى بيار ، بالكسر ، وهى مدينة من أعمال قومس . وهو على بن الحارث البيارى الخراسانى ، ترجم له القفطى فى الإنباه ٢ : ٢٧٤ وذكر من تصانيفه كتاب شرح الحماسة . وانظر دمية القصر ٣٠٢ . وشرحه لحماسة يعد مفقوداً وإن كانت قد بقيت منه بقية فى نقول أبى الرضا الراوندى ، ونقول الطبرسى . انظر تحقيق حماسة أبى تمام للدكتور عبد الله عسيلان . وفى النسختين : « البياسى » ، تحريف .

(٤) الخزانة ٥ : ٢٢١ - ٢٢٤ .

وكان مُشوَّه الخلق دميماً مفرط القِصَر، كان يقال له «زُبُّ الذُّباب» وهجاه بعض الشعراء بقوله :

* يَعَضُّ القرادُ باسته وهو قائمُ[(١)] *

روى صاحب الأغانى بسنده، أنَّ عمر بن أَبى ربيعة المخزومى قدِم المدينة لأَمرٍ، فأَقام شهراً ثم خرج إلى مكَّة، وخرج معه الأَحوص معتمراً. قال السائب راوية كثيِّر : : فلمَّا مرَّا بالرَّوحاء استتلیانى[(٢)] ، فخرجت أتلوهما حتَّى لحقتهما بالعَرْج ، فخرجْنا جميعاً حتَّى وَرَدْنا وَدَّان ، فحَبَسَهما نُصيب وذَبح لهما وأَكرمهما ، وخرجنا وخرج معنا نُصيب ، فلمَّا جئنا إلى منزلِ كثيِّر فقيل لنا : قد هبط قُدَيدًا . فجئنا قُديداً فقيل لنا : إنَّه فى خيمةٍ من خيامها ، فقال لى ابن أَبى ربيعة : اذهبْ فادعُه لى . فقال نُصيب : هو أَحمقُ أَشدُّ كِبرًا[(٣)] من أن يأْتيَك . فقال لى عمر : اذهبْ كما أَقول[(٤)] . فجئتُه فهشَّ لى وقال: « اذكُرْ غائباً تَرَه » لقد جئتَ وأنا أَذكُرك . فأَبلغته رسالة عمر، فحدَّد لى نظره ثُمَّ قال : أَمَا كان عندك من المعرفة بى ما كانَ يردعُك عن إتيانى بمثل هذا ؟ فقلت : بلى ، ولكنْ ستَرتُ عليك فأَبَى الله إلَّا أَن يَهتِك سترك . قال : إنَّك والله يا ابن ذَكْوانَ ما أَنت من شكلى ، قل لابن أَبى ربيعة : إنْ

---

(١) لحزين الكنانى . الأغانى ٨ : ٢٩ والحماسة ١٨٨٠ بشرح المرزوقى ومحاضرات الراغب ٢ : ١٢٩ وحواشى الحيوان ٥ : ٤٣٩ . وصدره :

* يكاد خليلى من تقارب شخصه *

(٢) أى طلبا منه أن يتلوهما ويتبعهما .

(٣) الأغانى ١١ : ١٧ : « أحمق وأشد كبراً » .

(٤) الأغانى : « كما أقول فادعه لى » .

كنتَ قرشيًّا فإنِّى قرشى ! فقلت : أَلا تترك هذا التلصُّق[1] ؟ فقال : والله لأَنا أَثْبَتُ فيهم منك فى دَوْس[2] . ثم قال : وقل له إن كنت شاعراً فأَنا أَشعر منك . فقلت : هذا إذا كان الحُكم إليك . قال : وإلى مَن هو؟ ومَنْ أولى به منِّى ؟ فرجعتُ إلى القوم فأَخبرتهم فضحكوا ثم نَهضُوا معى إليه ، فدخلنا عليه فى خيمةٍ فوجدناه جالساً على جلد كبش فوالله ما أَوسَعَ للقرشى ، فتحدَّثوا مليًّا ثم أَفضَوْا فى ذكر الشعر . فأَقبل على عمر فقال له: أَنت تبِعت امرأَة فتنسب بها ، ثم تدعُها فتنسب بنفسك . أَخبرنى عن قولك :

٥٤٦

قالت : تصدَّىْ له ليعـرفَنا ... ثم اغمِزِيه يا أُختُ فى خَفَرِ
قالت لها : قد غمزتُه فأَبَى ... ثم اسبطرَّت تشتدُّ فى أَثرى
وقولها والدمـوع تسبقهـا ... لنُفسِدَنَّ الطَّـوافَ فى عُمرِ[3]

أَتُراكَ لو وصفت بهذا الشعر هِرَّةَ أَهلك أَلم تكن قد قبَّحت ، وأَسأْت لها وقلتَ الهُجْرُ ! إنَّما توصف الحرّة بالحياء والإباء، والبخلِ والامتناع ، كما قال هذا ــ وأَشار للأَحوص :

أَدُور ولولا أَن أَرى أُمَّ جعفـر
بـأَبيـاتكمْ مـا درتُ حيث أَدورُ
وما كنت زَوّارًا ولكنَّ ذا الهـوى
إذا لم يُزَرْ لابدَّ أَن سيزورُ

---

(١) بعده فى الأغانى : « وأنت تفرق عنهم كما تفرق الصمغة » ، وصواب هذه « تقرف » ، و« كما تقرف » . وقرف الصمغة : قشرها واقتلاعها .

(٢) فى الأغانى : « سلوس » .

(٣) وكذا فى الأغانى ١١ : ١٧ . وفى الديوان ١٣٧ : « قالت لترب لها ملاطفة لتفسدن » .

لقد منعتْ معروفَها أُمُّ جعفـرِ
وإنِّى إلى معروفهـا لَفَقيـرُ

فدخلتِ الأَحوصَ الأُبَّهةُ وعُرفتِ الخيلاءُ فيه ، فلما عرف كثيِّرٌ ذلك منه قال له : أَبطِلْ أخزاك الله وأَذلَّك . أَخبرنى عن قولك :

فإن تصلى أَصِلْكِ وإن تبينى بصَرْمكِ بعدَ وصلك لا أُبالى
ولا أُلفَى كمن إن سِيمَ خَسفاً تعرَّض كى يُرَدَّ إلى الوصالِ(١)

أَمَا والله لو كنتَ فحلاً لباليت ، أَلَّا قلتَ كما قال هذا الأَسود – وأَشار إلى نصيبٍ – :

بِزينبَ أَلمْ قبل أن يرحلَ الرَّكبُ
وقُلْ إنْ تملِّينا فما مَلَّكِ القلبُ

فانكسر الأَحوص ودخلتْ نصيباً الأُبَّهة ، فلمَّا فهم ذلك منه قال : وأَنت ياأَسود أَخبِرْنا عن قولك :

أَهيم بدعدِ ما حييتُ وإنْ أَمُتْ فوا كبدى من ذا يهيمُ بها بعدى

أَهمَّك من ينيكها بعدك ؟ فأَبلَس نُصَيب . فلمَّا سكت كثيِّرٌ أَقبل عليه عمر فقال : قد أَنصتنا لك فاستمعْ ، أَخبرنى عن قولك لنفسك وتخيُّرك لمن تحبُّ حيث تقول :

أَلا ليتَنـا يا عزَّ من غير ريبةٍ بعيران نَرعَى فى الخَلاَ ونعزَّبُ(٢)

---

(١) الأغانى : « إن سيم صرماً » . وفى ديوان الأحوص ١٦٩ : « إن سيم ضيما » .
(٢) نعزب ، بالزاى ، من التعزيب ، وهو أن يذهب بالإبل إلى المرعى البعيد . ط : « ونعذب » بالذال ، صوابه فى ش وديوان كثير ١ : ٩٩ . لكن رواية الديوان : « نرعى فى الخلاء ونعزب » ، نعزب : نبعد ونغيب .

كِلانا به عَرٌّ فمنْ يرنا يَقُلْ على حُسْنها جَربى تُعدِّى وأجربُ[١]

إذا ما ورَدنا منهلاً صاح أَهلُه علينا فما ننفكُّ نُرمَى ونُضربُ

ودِدت وبيتِ الله أنّكِ بَكرةٌ هِجانٌ وأنّى مصعبٌ ثم نَهرُبُ

نكون بعيرَىْ ذى غِنًى فيُضِيعُنا

فلا هو يرعانا ولا نحن نُطلبُ

ويلكَ تمنيَّت لها ولنفسك الرّقَّ والجَرَب ، والرَّمى والطَّرد والمَسْخ ، فأىَّ مكروهٍ لم تتمنَّ لها ولنفسك! ولقد أصابها منك قولُ الأَوّل : « معاداة عاقِل خير من مودة أَحمق » . فجعل يختلج جَسَد كثيِّر كلُّه ، ثم أَقبل عليه الأَحوص فقال : أَخبرنى عن قولك :

وقلنَ ، وقد يكذبن: فيكَ تعفُّفٌ

وشُؤمٌ إذا ما لم تُطِعْ صاح ناعقُه

فأَعييتَنَا لا واخياً بكرامة

ولا تاركاً شكوى الذى أنت صادقُه

وأَدركتَ صفوَ الودِّ منّا فلمتَنا

وليس لنا ذنبٌ فنحن مَواذقُه[٢]

وأَلفيتنا سِلماً فصدَّعت بيننا

كما صدَّعت بين الأَديم خوالقُه[٣]

---

(١) فى هامش ش : « كذا بخط المؤلف وشكله بقلمه جربى بالقصر ، وتعدى . وهو خلاف السماع والقياس ، والصواب جرباء تعدى ، بالمد ، وتعدى من أعدى » . وهذا الصواب الذى أشير إليه هو الثابت فى الأغانى وديوان كثير .

(٢) أى موادق لودك نمذقه لا نخلص لك فيه .

(٣) صدعت ، أى شققت . والخوالق ، من قولهم : خلق الأديم خلقاً : قدره لما يريد قبل القطع وقاسه ليقطع منه مزادة ، أو خفاً ، أو نحو ذلك .

والله لو احتفل عليك مازاد على ما بؤت به على مافى نفسك ! ثم أَقبل عليه نصيبٌ فقال : أَقبل علىَّ يازُبَّ الذُّباب ، فقد تمنَّيتَ معرفة غائب عنك علمُه حيث تقول :

وددت وما تغنى الودادة أنَّنى بمـا فى ضمير الحاجبيَّة عـالمُ

انظر مافى مرآتك واعرِف صورة وجهك، تعرفْ ما عندها لك! فاضطربَ اضطراب العصفور ، وقام القومُ يضحكون .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد التاسع والثلاثون بعد السمّائة ، وهو من شواهد سيبويه[1] :

٦٣٩ (أَنْ هالكٌ كلُّ مَن يحفَى وينتعلُ)

هذا عجز ، وصدره :

(فى فتيةٍ كسيوف الهندِ قد علموا[2])

على أَنَّ أَنْ مخفَّفةٌ من الثقيلة ، واسمُها ضمير شأْن محذوف، وهالك خبر مقدم ، وكلُّ مبتدأٌ مؤخَّر ، والجملة خبرها .

وأورده صاحب الكشَّاف عند قوله تعالى : ﴿ وآخِرُ دَعواهُمْ أَنِ الحمدُ للهِ ربِّ العالمين[3] ﴾ ،على أَنَّ أَنْ مخفَّفة واسمها ضمير شأْن كما فى البيت .

(١) فى كتابه ١ : ٢٧٢ ، ٤٤٠ ، ٢/٤٨٠ : ١٢٣ والخصائص ٢ : ٤٤١ والمنصف ٣ : ١٢٩ والمحتسب ١ : ٣٠٨ وابن الشجرى ٢ : ٢ والإنصاف ١١٩ وابن يعيش ٨ : ٧٤ ، ٨١ والخزانة ٤ : ٣٥٦ بولاق والعينى ٢ : ٢٨٧ والهمع ١ : ١٤٢ وديوان الأعشى ٤٥ .

(٢) رواية البيت فى الديوان :

فى فتية كسيوف الهنـد قد علمـوا أن ليس يدفع عن ذى الحيلـة الحيل

(٣) الآية ١٠ من سورة يونس .

قال السيرافى : وفى كتاب أَبى بكر مَبْرَمان[1] : هذا المصراع معمول، أَى مصنوع ، والثابت المروىّ :

* أَنْ ليس يدفعُ عن ذى الحيلة الحيَلُ *

قال : والشاهد فى كلتا الروايتين واحد ، لأَنَّه فى إضمار الهاء فى أَنْ ، وتقديره ، أَنَّه هالك ، وأَنَّه ليس يدفع . انتهى .

قال ابن المستوفى : والذى ذكره السِّيرافى صحيح ، ولا شكَّ أَنَّ النحويِّين غيَّروه ليقع الاسم بعد أَن المخفَّفة مرفوعا ، وحكمه أَنْ يقع بعد أَنْ المثقَّلة منصوباً ، فلما تغيَّر اللفظ تغيَّر الحكم . انتهى .

صاحب الشاهد

والبيت من قصيدة للأَعشى ميمون[2] ، وقبله :

(وقد غدَوتُ إلى الحانوت يتبعُنى شاوٍ مِشَلٌّ شَلولٌ شُلشُلٌ شوِلُ)

وغَدوت : ذهبت غُدوة ، وهى ما بين صلاة الصُّبح وطلوع الشمس هذا أَصله ، ثمَّ كثُر حتَّى استُعمِل فى الذَّهاب والانطلاق أَىَّ وقت كان . كذا فى المصباح .

والحانوت : بيت الخمَّار ، يذكَّر ويؤنَّث . وجملة « يتبعنى » حالٌ من التاء فى غدوت . والشَّاوى : الذى يَشوى اللَّحم . والمشَلّ بكسر الميم وفتح الشين : المستحِثُّ والجيِّد السَّوق ، وقيل الذى يشُلُّ اللحمَ فى السَّفُّود ، من شللتُ الثوبَ ، إذا خِطته خياطة . كذا قال ابن السيرافى . والشَّلول، بفتح الشين ، مثل المِشلّ ، ويروى : « نشول » بفتح النون ،

(١) هو محمد بن على بن إسماعيل ، أبو بكر المعروف بمبرمان ، تلميذ المبرد والزجاج ، وأستاذ الفارسى والسيرافى . شرح كتاب سيبويه ولم يتمه ، وشرح شواهده . توفى سنة ٣٤٥ . البغية ٧٤ وإنباه الرواة ٣ : ١٨٩ وياقوت ١٨ : ٢٥٤ .

(٢) ش : « لأعشى ميمون » .

وهو الذى يأْخذ اللحم من القِدر ، يقال منه نشل ينشُلُ . والشُّلْشُل ، بضم الشينين كقنفذ : الخفيف اليدِ فى العمل ، والمتحرِّك . والشَّوِل ، بفتح فكسر ، مِثل الشُّلشل ، وقيل هو الذى عادتُه ذلك .

وقال الخطيب التِّبريزى فى شرح هذه القصيدة : الشَّوِل هو الذى يحمل الشىءَ ، يقال شُلت به وأشلته . وقيل هو من قولهم : فلانٌ يشُول فى حاجته ، أى يُعنَى بها ويتحرَّك فيها . ومن روى : « شُوَل» بضم الشين وفتح الواو فهو بمعناه ، إلّا أنَّه للتكثير. وروى بدله : « شَمِل» أيضاً بفتح فكسر ، وهو الطيِّب النَّفْس والرائحة . يقول : بكرت إلى بيت الخمَّار ومعى غلامٌ شوَّاءٌ طبَّاخ ، خفيف فى الخدمة .

ويشبه هذا البيتُ قولَ أَبى الطيِّب المتنبِّى وهو :

٥٤٨ فقلقت بالهمِّ الذى قلقلَ الحشَا قَلاقلَ عِيسٍ كلُّهن قَلاقلُ

قلقلت : حرَّكت . والقلاقل : جمع قَلقَل ، كجعفر : الناقة الخفيفة .

وقوله : « فى فتية » إلخ ، متعلِّق بغدوت فى البيت المتقدم . وفى بمعنى مع . وقال العينى : حالٌ من شاوٍ ، أَوْ حالٌ من الياء فى يتبعنى . والفتْية : جمع فتًى ، وهو الشابُّ . وقوله : (كسيوف الهند) فى محل الصِّفة لفتية ، وكذلك جملة (قد علمُوا) يريد أنَّهم كالسُّيوف فى المضاء والعَزْم ، أوفى صَبَاحة الوجه تبرق كالسيوف . وخصَّها بالهند لحسن صقالتها[1] . وجملة المصراع الثانى فى محل نصب علىأنَّه سادٌّ[2] مَسدَّ مفعولى علموا .

---

(١) لم أجد الصقالة فى اللسان أو القاموس وسائر المعاجم المتداولة ، والمعروف الصقل والصقال بالكسر .

(٢) ط : « سادة » ، صوابه فى ش .

(ويحْفَ) بالحاء المهملة من الحفاء ، وهو المشى بلا نَعْل ولا خفٍّ . وأَراد به الفقير. (وينتعل) : يلبس النَّعل ، وأَراد به الغنىّ . يريد قد علم هؤلاء الفتيان أَنَّ الموت يعمُّ فقيرهم وغنيَّهم ، فهم يبادرون إلى اللذَّات قبل أَن يَحُول الموتُ بينها وبينهم ، كما قيل :

خُذوا بنصيب من نعيمٍ ولذَّةٍ فكلٌّ وإن طال المدى يتصرَّمُ

والبيتان من قصيدة جيِّدة للأَعشى ، وهى أَحسن شعره ، وقد أُلحقت بالمعلَّقات السَّبع . وقد شرحها الخطيب التِّبريزى مع المعلقات ، وأَولها :

(ودِّع هُريرةَ إنَّ الرَّكبَ مرتحلُ وهل تُطيق وَداعاً أَيُّها الرَّجُلُ)

نقل الخطيب عن أَبى عبيدة أَنَّه قال: هُريرة: قينةٌ كانت لرجل من آل عمرو بن مَرْثَد ، أَهداها إلى قيس بن حسَّان بن ثَعلبة بن عمرو ابن مرثَد ، فولدت له خُليدًا . وقد قال فى هذه القصيدة :

* جهلاً بأُمِّ خليدٍ حَبلَ مَن تَصِلُ [(١)] * انتهى

وقيل إنَّ هريرة وخُليدة أُختان كانتا قينتين لبشر بن عمرو ، وكانتا تغنِّيانه ، وقدِم بهما إلى اليمامة لمَّا هرب من النُّعمان بن المنذر . وقيل إنَّ أُمَّ هريرة كانت أَمَةً سَوداءَ لحسَّان بنِ عمرو ، كان الأَعشى يشبِّب بها . وقيل إنَّ الأَعشى سُئِل عن هريرة فقال : لا أَعرفها ، وإنَّما هو اسمٌ أُلقِيَ فى رُوعى .

ونقل صاحب الأَغانى [(٢)] عن الشَّعبي أَنَّه قال : الأَعشى أَغزل النَّاس

---

(١) صدره فى ديوان الأعشى ٤٢ :

* صدت هريرة عنا ما تكلمنا *

(٢) الأغانى ٨ : ٧٦ .

فى بيت ، وأخنثُ النَّاس فى بيت ، وأشجع الناس فى بيت ، والكلُّ من هذه القصيدة .

أمَّا الأوّل فقوله :

(غرَّاءُ فرعاءُ مصقولٌ عوارضُها تمشى الْهُوينَى كمايمشِى الوجِى الوَحِلُ)

وأما الثانى فقوله :

(قالت هريرةُ لمَّا جئتُ زائرَها ويلى عليكَ وويلى منك يارجلُ)

وأما الثالث فقوله :

(قالوا الطِّرادُ فقلنا تلك عادتُنا أَو تنزلون فإنَّا معشرٌ نُزُلُ[1])

والغرَّاءُ : البيضاءُ الواسعة الجبين . والفرعاءُ : الطويلة الفَرْع ، أى الشعر . والعوارض : الرَّباعِيَات والأنياب . والوجِى ، بكسر الجيم : الذى يشتكِى حافره ولم يَحفَ . والوَحِل بكسر الحاء المهملة : الذى يتوحَّل فى الطين .

وقوله : « قالوا الطِّراد » يقول : إن طاردتم بالرماح فتلك عادتنا ، وإنْ نزلتم تجالدون بالسُّيوف نزلنا .

وروى صاحب الأغانى[2] بسنده قال : حدَّث جرير بن عبد الله البَجَلى الصحابىُّ قال : سافرت فى الجاهليَّة ، فأَقبلت ليلةً على بعيرى أُريد أن أسقيَه ماءً ، فلمَّا قرَّبته من الماء تأَخَّر فعقلتُه ، ودنوت من الماء ، فإذا قومٌ مشوَّهون عند الماء ، فبينا أنا عندهم إذْ أتاهم رجلٌ أشدُّ تشويهًا ٥٤٩

(١) التفسير التالى من كلام البغدادى .

(٢) الأغانى ٨ : ٩٧ .

منهم فقالوا : هذا شاعر[١] . ثم قالوا : يا أبا فلان أنشدْ هذا فإنّه ضيف . فأَنشد :

* ودِّع هريرة إنَّ الركبَ مُرتحلُ *

فوالله ما خرَم منها بيتاً حتَّى أتى على آخرها[٢] ، فقلت : من يقول هذه القصيدة ؟ قال : أنا أقولها . قلت : لولا ما تقول لأَخبرتك أنَّ أعشى قيس بن ثعلبة أنشدَنيها عامَ أَوَّلَ بنجران. قال : إنَّك صادق[٣] ، أنا الذى ألقيتُها على لسانه ، وأنا مِسحَلٌ [صاحبُه[٤]] ، ما ضاع شعرُ شاعرٍ وضعَه عند ميمون بن قيس .

وروى صاحبُ الأَغانى عن الأَعشى قال : حدَّث الأَعشى عن نفسه قال : خرجت أُريد قيسَ بنَ معديكرب بحضْرَمَوْت ، فضلَلْتُ فى أَوائل أَرض اليمن لأَنِّى لم أكن سلكت ذلك الطريق قَبلُ ، فأَصابنى مطرٌ ، فرميت ببصرى أَطلب مكاناً أَلجأُ إليه ، فوقعَتْ عينى على خباءٍ من شَعَر ، فقصدتُ نحوه ، وإذا أَنا بشيخ على باب الخباء فسلَّمت عليه ، فردَّ علىّ السلامَ وأدخل ناقتى خباءً آخرَ كان بجانب البيت ، فحَططتُ رَحلى وجلست فقال : من أنت ؟ وأين تَقصِد ؟ قلت : أنا الأَعشى ، أَقصِد قيسَ بن معديكرب . فقال : حيَّاك الله ، ، أَظنُّك امتدحتَه بشعر ؟ قلت : نعم . قال : فأَنشِدْنيه . فابتدأْت مطلعَ القصيدة :

رحَلَتْ سُميَّةُ غُدوةً أجمالَها غَضَباً عليكَ فما تقولَ بَدَا لَهَا

(١) فى الأغانى : « شاعرهم » .

(٢) الأغانى : « حتى انتهى إلى هذا البيت » :

تسمع للحلى وسواساً إذا انصرفت كما استعان بريح عشرق زجل

(٣) الأغانى : « فإنك صادق » .

(٤) التكلة من الأغانى ، وهى ضرورية ليستقيم الكلام بعدها .

فلما أنشدته هذا المطلعَ منها قال : حسبُك ، أهذه القصيدةُ لك ؟ قلت : نعم . قال : مَن سميّةُ التى تَنسِبُ بها ؟ قلت : لا أعرفُها ، وإنّما هو اسمٌ أُلقِيَ فى رُوعى . فنادى : يا سميّة اخرُجى . وإذا جاريةٌ خماسيَّة قد خرجت[1] ، فوقفت وقالت : ما تريد يا أبت ؟ قال : أنشدى عمَّك قصيدتى التى مدحتُ بها قيسَ بن معديكرب ونسبتُ بكِ فى أوّلها . فاندفعَتْ تُنشد القصيدة حتَّى أتت على آخرها لم تخرِمْ منها حرفاً ، فلما أتَمّتْها قال : انصرفى . ثم قال : هل قلتَ شيئاً غير ذلك ؟ قلت : نعم ، كان بينى وبين ابن عمٍّ لى يقال له يزيد بن مُسْهِر ، ويكنى[2] أبا ثابت ، ما يكون بين بنى العمِّ ، فهجانى وهجوتهُ فأفحمتُه . قال : ماذا قلتَ فيه ؟ قال : قلت :

* ودِّعْ هريرةَ إنَّ الركبَ مرتحلُ *

فلما أنشدته البيتَ الأوَّل قال : حسبك ، مَنْ هريرةُ هذه التى نسبتَ فيها ؟ قلت : لا أعرفها ، وسبيلُها سبيلُ التى قبلها . فنادى : ياهريرة . فإذا جاريةٌ قريبة السِّنِّ من الأُولى خرجَتْ ، فقال : أنشدى عمَّك قصيدتى التى هجوتُ بها أبا ثابت يزيدَ بنَ مسهر . فأنشدَتْها من أولها إلى آخرها لم تخرِم منها حرفاً . فسُقِطَ فى يدى وتحيَّرت ، وتغشَّتْنى رِعدة . فلمَّا رأى ما نزل بى قال : ليُفْرِخْ رُوعك يا أبا بَصير[3] أنا هاجِسُك مسحل بن أُثاثة الذى ألقى على لسانك الشعر . فسكنَتْ نفسى ورجعَتْ إلىّ ، وسكن المطرُ ، فدلَّنى على الطريق وأرانى سمتَ مَقصِدى وقال : لا تعُجْ يميناً ولا شِمالاً حتَّى تقع ببلاد قيس .

---

(١) الخماسية من الوصائف : ما كان طولها خمسة أشبار .

(٢) ط : « يكنى » بدون واو .

(٣) فى هامش كل من ط ، ش : « هاجس الأعشى مسحل بن أثاثة ، وابنتاه سمية وهريرة هما اللتان شبب بهما » .

وروى صاحبُ الأغانى[1] أيضاً أنَّ الأعشى قال هذه القصيدة ليزيد ابن مسهر أبي ثابت الشيبانى .

قال أبو عبيدة : وكان من حديث هذه القصيدة أنَّ رجلاً من بنى كهف بن سعد بن مالك بن ضُبيعة بن قيس بن ثعلبة ، يقال له ضُبيع ، قتل رجلاً من بنى همَّام ، يقال له زاهر بن سيَّار بن أسعد ابن همام ، وكان ضبيع مطروقًا[2] ، ضعيف العقل ، فنهاهم يزيد ابنُ مسهر ، وهو من بنى ثعلبة بن أسعد بن همَّام ، أن يقتلوا ضبيعاً بزاهر ، وقال : اقتلوا به سيِّدًا من بنى سعد بن مالك بن ضُبيعة . فحضَّ بنى سيَّارٍ بن أسعد على ذلك وأمرَهم به ، فبلغ بنى قيس ما قاله ، فقال الأعشى هذه القصيدة فى ذلك ، يأمُره أن يدعَ بنى سيَّار وبنى كهف ، ولا يعينَ بنى سيَّار، فإنَّه إن أعانهم أعانت قبائل بنى قيس بنى كهف . وحذَّره أن يلقى بنو سيَّارٍ منهم ما لقُوا يومَ العَين عين مُحلِّم بهجرَ .

٥٥٠

وكان من حديث ذلك اليوم كما زعم عُمرَ بن هلال ، أحد بنى سعد ابن قيس بن ثعلبة ، أنَّ يزيد بن مُسهِر كان خالَعَ أصرمَ بنَ عوف ابن ثعلبة بن سعد بن قيس بن ثعلبة ، فلما خلع يزيد بن مسهرٍ أصرمَ من ماله خالعَه على أن يرهنه ابنيه : أقلَبَ[3] وشهاباً ابنَىْ أصرم ، وأمُّهما فطيمة بنت شُرَحبِيلَ بن عَوسجة بن ثعلبة بن سعد بن قيس . وأنَّ يزيد قَمَرَ أصرم[4] ، فطلَبَ إليه أن يدفع إليه ابنيه رهينة ، فأبَت

يوم محلم

---

(١) الأغانى ٨ : ٩٦ .
(٢) المطروق : الذى فيه رخوة وضعف .
(٣) فى الأغانى : « أفلت » .
(٤) قمره : غلبه .

أمُّهما ذلك فنادت قومَها ، فحضر الناس واشتملت فطيمة على ابنيها بثَوبها ، ودافع قومُها عنهُما وعنها . فذلك قولُ الأَعشى :

نحْنُ الفوارسُ يومَ العين ضاحيةً جنَبيْ فُطيمةَ لا مِيلٌ ولا عُزُلُ

قال : فانهزم بنو سيَّار .

فحذَّر الأَعشى يزيدَ بن مسهر مثلَ تلك الحالة .

قال أَبو عبيدة : وذَكر عامرٌ ومسمع ، عن قتادة الفقيه أَنَّ رجلين من بنى مَرْوان تنازعا فى هذا الحديث ، فجرَّدوا[1] رسولاً فى ذلك إلى العراق حتَّى قدِم الكوفة ، فأُخبر أَنَّ فُطيمة من بنى سعد بن قيس ، وأَنَّها كانت عند رجل من بنى سيَّار وله امرأَة غيرُها من قومه ، فتغايَرَتا فعمَدت السَّيَّارية فحلقت ذوائبَ فُطَيمة ، فاهتاج الحيَّانِ فاقتتلوا ، فهُزِمَتْ بنو سيّارٍ يومئذ . انتهى .

وإنّما نقلت هذا الفصل لأَنَّ شُرَّاح القصيدة أَخلُّوا فى شروحهم بهذه الأُمور . والله أَعلم .

وترجمة الأَعشى تقدمت فى الشاهد الثالث والعشرين[2] .

* * *

وأَنشد بعده ، وهو الشاهد الأَربعون بعد الستمائة[3] :

٦٤٠ (ولا تدفِننِّى فى الفَــلاةِ فإنَّنى
أخــافُ إذا ما مِتُّ أَن لا أَذُوقُهــا)

على أَن (أَن) مخفَّفة لوقوعها بعد الخَوف بمعنى العلم واليقين ،

(١) فى الأغانى : « فجرد رسولا » .

(٢) الخزانة ١ : ١٧٥ - ١٧٨ .

(٣) المغنى ٣٠ والهمع ٢ : ٢ والأشمونى ٣٠ : ٢٨٣ وديوان أبى محجن ٨ .

واسمها ضميرُ شأْن محذوفٌ ، أَو ضميرُ متكلِّم . وجملة لا أذوقها فى محل رفع خبرها[1] .

وقبله :

(إذا متُّ فادفنِّى إلى جَنبِ كَرمةٍ
تروِّى عظامى بعد موتى عروقُها)

وأَصل الخوف الفزع وانقباض النفس عن احتمال ضرر ، وإذا اشتدَّ الخوف التحقَ بالمتيقَّن كما قال الشارح المحقق .

قال ابن خطيب الدَّهشة[2] وهو ابن مؤلِّف المصباح (فى كتاب التقريب[3] ، فى علم الغريب) : يقال خاف الشىء : علمَه وتيقَّنَه . انتهى .

وذلك لأَنَّ الإنسان لا يخاف شيئاً حتى يعلم أَنَّه مما يُخاف منه ، فهو من التعبير بالمسبَّب عن السَّبب ، وليس إطلاقُه عليه لأَنَّه من لوازم اليقين كما قال الشُّمُنِّى ، فكم من يقينٍ لا خوفَ منه .

وقال بعض المحقِّقين : الخوف والخشية يُستعملان بمعنى العلم ، لأَنَّ الخوفَ عبارة عن حالة مخصوصة متولِّدة من ظنٍّ مخصوص ، وبين

---

(١) كلمة « رفع » ساقطة من ش .

(٢) أى ابن خطيب جامع الدهشة ، وخطيب جامع الدهشة هو صاحب « المصباح المنير ، فى غريب الشرح الكبير » ، وهو أحمد بن محمد بن على الفيومى المقرى المتوفى سنة ٧٨٠ . وقد سبقت ترجمته فى حواشى الخزانة ١ : ٢٥ . واسم ولده هذا هو محمود بن أحمد بن على الحموى الفيومى ، وهو من فقهاء الشافعية كوالده . وأصله من الفيوم ، ومولده ووفاته بحماة (٧٦٠ - ٨٣٤) .

(٣) ذكر صاحب كشف الظنون أنه لغة تتعلق بالموطأ والصحيحين. وفى ش: «التعريب»، صوابه فى ط . ومما يجدر ذكره أن كتاب والده « المصباح المنير » هو شرح للغات التى وردت فى غريب الشرح الكبير للرافعى ، وهو أبو القاسم عبد الكريم بن محمد القزوينى الشافعى المتوفى سنة ٦٢٣ وهو أحد شرحين ألفهما على كتاب « الوجيز فى الفروع » للإمام الغزالى المتوفى سنة ٥٠٥ وهو فى فقه الشافعية .

٥٥١ الظنّ والعلم مشابهةٌ فى أُمور كثيرة ، فلذلك صحَّ إطلاق كلٍّ منهما على على الآخر .

وفى تخصيصه التولُّد بالظنّ نظر ، لأَنَّ الخوف كما يتولَّد عن الظَّنِّ يتولَّد عن العلم أَيضاً .

وقال الزمخشرى فى تفسير قوله تعالى : ﴿ فمن خافَ من مُوص ﴾[1] فمن توقَّعَ وعَلِم . وهذا فى كلامهم شائع ، يقال أَخاف أَن تُرسِل السماءُ ، يريدون التوقُّعَ والظنَّ الغالبَ ، الجارىَ مجرى العلم[2] .

وقال الدمامينى (فى الحاشية الهندية) عند قول ابن هشام (فى المغنى) : «الخوف فى هذا البيت يقين» : قد يقال لا يلزم من تعقُّل العقلاءِ أَنَّه لا يذوقها بعد الموت ، حملُ الخوف على اليقين عند هذا الشاعر ، لأَنَّ استهتاره بشُربها، ومغالاتَه فى محبَّتها ، أَمرٌ مشهور، فلعلَّ ذلك حمله على أَنَّه خاف ولم يقطع بما تيقَّنه غيره ، ولذلك أَمر بدفنه إلى جنب الكرمة ، رجاءَ أَنَّه ينال منها بعد الموت. ومن ثَمَّ قيل إنَّ هذا أَحمقُ بيت قالته العرب . انتهى .

قال المُلاَّ أَحمد الحَلَبى (فى شرحه) بعد نقل هذا الكلام : وهذا مَبنىٌّ كما قال شيخنا على أَنَّه كان إذْ ذاك متردِّدًا بين ذَوقها بعد الموت بتقدير دفنه إلى جنب الكرمة ، أَوْ لَا بتقدير دفنه فى الفلاة . فلا علمَ ولا ظنَّ . قال : وهذا احتمال ، لأَنَّ التعليلَ بقوله فإنَّنى أَخافُ ، إن كان لمجموع الأَمر والنهى[3] على معنى فإنَّنى أَخاف أَن لا أَذوقها غدًا

---

(١) الآية ١٨٢ من سورة البقرة .

(٢) تفسير الكشاف ١ : ٨٧ .

(٣) فى ش : « لجموع » ، والوجه ما أثبت من ط .

فلا علم ولا ظن ، فهى الناصبة أُهمِلت . فنى (شرح الكافية للحديثى) أَنَّ الخفيفة بعد فعل الخوف والرَّجاءِ ناصبة ، لأَنّه يحتمل أَن يقع وأَن لا يقع ، وبعد الظنّ تحتملُها والمخفَّفة ، نظراً إلى الرُّجحان وعدمه ، أَو على معنى فإِنَّنى أَخاف الآنَ ، بتقدير: أَن لا تدفنّى إلى جنبها بل فى الفلاة : أَن لا أَذوقها إذا ما مِتُّ ، أَو فإِننى أَخاف إذا ما متُّ ، بهذا التقدير : أَن لا أَذوقُها . فالخوفُ هنا علمٌ ويقين ، فهى المخفَّفة . وكذا إنْ جُعل تعليلا للنَّهى وحدَه ، لأَنَّه الذى قارنه فى هذا البيت ، على معنى فإِنّى أَخاف الآن أَو إذا مامتُّ ، بتقدير أَن تدفننى فى الفلاة لا إلى جَنْبها ، أَن لا أَذوقها . انتهى .

قال ابن المُلاَّ : وههنا بحثٌ ، وهو أَنَّ الشاعر وإنْ كان من المغرمين بالصَّهباءِ ، المتهتِّكين بها ، لكنَّه من ذوى العقول الكاملة ، والأَنظار الصائبة ، فكيف يظنُّ به أَنَّه غير قاطع بما يتيقَّنه غيره من عدم الذَّوق بعد الموت؟ بل هو أَمرٌ مركوز فى الأَذهان ، غنىٌّ عن البيان وإنَّما جرى فى كلامه هذا على مذهب الشُّعراءِ فى تخييلاتهم ، ورامَ سلوكَ جادَّةِ تمويهاتِهم ، فإِنَّهم سحرة الكلام ، ومخترعو صُوَر الإِيهام . فأَمَر أَوّلًا بدفنه بعد الموت بجانب كرمة ، وأَبدى عذره فى ذلك بوصفها بقوله :

* تروِّى عظامى بعد موتى عروقُها *

ليستفاد من ذلك علَّة الأَمر بالدَّفن المذكور ، إشارة إلى أَنَّ ما لا يُدرك كلُّه لا يترك كلُّه . وإذا تعذَّرت الترويَة الحقيقيَّة فلا أَقلَّ من حصول الترويةِ المجازيَّة . ثمَّ نهى ثانياً تأْكيداً للأَمر الأَوَّل عن دفنه لا بجنب كرمة ، وعلَّل ذلك بأَنَّه لا يذوقها إذا مات فلا يتروَّى بها حقيقة . فدفْنُه إلى جانبها مفوِّت للترويةِ المجازيَّة . ولمزيد

شَغَفَه بها آثر التعبير عن هذا اليقين بالخوف إيهاماً ؛ لأَنَّه مع ذلك لا يقطع بعدم الذَّوق . وجعَلَ رفع الفعل بعد أَنْ معه دليلاً على ما قصَده معنى . وإنَّما قلنا إنَّ ترويه العظام مجازيَّة لأَنَّ الرِّوَى[1] حقيقةً لذوات الأَكباد عن عطش ، وليست العظام منها . على أَنَّه لا عطش بعد الموت . أَو لما [ليسَتْ] له قوَّةٌ نامية . ومنه قولهم : رَوِىَ النباتُ من الماء . والعظام جماد . انتهى كلامه ، ومن خطه نقلت .

٥٥٢

ويؤيد هذا رواية ابن السكيت :

ولا تدفنَنِّى فى الفلاة فإنَّنى ... يقيناً إذا ما متُّ لستُ أَذوقها

وعليها لا شاهد فى البيت .

صاحب الشاهد

والبيتان أَوّلا قصيدةٍ لأبى مِحْجَنٍ الثَّقفى ، رواها ابنُ الأَعرابى وابن السكيت (فى ديوانه) ، وبعدهما :

أبيات الشاهد

(أُباكِرها عندَ الشُّروق وتارةً ... يُعاجلنى عند المَسَاءِ غَبوقُها[2]

وللكأْس والصَّهباءِ حقٌّ معظَّم ... فمِنْ حقِّها أَن لا تُضاعَ حقوقُها

أُقوِّمها زِقًّا بِحِقٍّ بِذَاكُمُ ... يُساق إلينا فَجْرُها وفُسوقها[3]

وعندى على شُرب المدام حفيظة ... إذا ما نساءُ الحىِّ ضاقت حُلوقها

---

(١) الروى ، بكسر ففتح : الرى ، كما فى اللسان . وفيه : « روى من الماء بالكسر ، يروى رياً وروى أيضاً مثل رضا ، وتروى وارتوى ، كله بمعنى » . وفى ش مع أثر تصحيح : « التروى » ولا داعى له .

(٢) فى الديوان ٢٤ : « يعاجلنى بعد العشى » .

(٣) ط : « بداكم » ، صوابه فى ش وديوان أبى محجن ٢٤ . ورواية الديوان أيضاً ، وهى الوجه : « تجرها ونسوقها» . وقال أبو هلال العسكرى فى تفسير البيت : « الحق من الإبل: ابن ثلاث سنين ، والأنثى حقة ، وسمى ذلك لأنه استحق أن يحمل عليه . يقول : أشترى زقاً بحق ، ولهذا يحمل إلينا الخمر ، لأنا نربح حاملها . والتجر : جمع تاجر ، مثل صحب وصاحب » .

وأُعجِلْنَ عن شدِّ المآزر وُلَّهاً مفجَّعةَ الأَصوات قد جفَّ ريقُها
وأَمنع جارَ البيت ممَّا ينوبه وأُكرم أَضيافاً قِراهَا طُروقُها)

قال ابن السكيت: قوله: (إذا متُّ فادفنِّى) هذا خطابٌ مع ابنه يأْمره بذلك ، وفيه مبالغة على حبِّه للخمر وتعطُّشه إليها ، إذْ أَظهرَ الرَّغبة إليها وهو ميّت . وقوله : (ولا تدفنَنِّى فى الفَلاة) الخ . قال ابن السكيت : الفلاة : الأَرض المهلكة التى لا عَلَم بها ولا ماء . والمعنى أَنَّ الفلاة لا يُغْرسُ فيها كرم[1] فلا تدفنِّى إلاَّ بمكان ينبت فيه العنب حتَّى أَكون قريباً منه ، فأَلتذَّ بذلك .

وقوله : « أُباكِرُهَا عند الشُّروق » إلخ . قال ابن السكيت: أى إنَّنى أُصبحُها عند شروق الشمس ، ومرَّةً أَشربها عِشاءً ، إلَّا أَننى أُقدِّم شربها على العِشاء فيعاجلنى الغَبوق . والصَّبوح : شرب الغدوّ . والغَبُوقُ : شرب آخر النهار . وأُباكرها : أُبادر إليها فى بكرة النهار .

وقوله : « وللكأْس والصَّهباء » إلخ . قال ابن السكيت: حقُّها : كونُها تسرُّ القلب وتُذهب الهمّ ، وتُسخِّى البخيل وتشجِّع الجبان ، إلى غير ذلك من فعلها ، وهذا حقٌّ لها . وإذا كان هذا دأْبَها فمن حقِّها أَن تعظَّم ولا تضيَّع حقوقها . انتهى .

وقال ابن المُلَّا : فإن قُلتَ : حقُّ الكلام أَن يقول : ومن حقِّهما أَن لا يضاع حقوقهما ، لادعائه أَنَّ الحقَّ المعظَّم للكأْس والصهباء . قلت : نعم ، إلَّا أَنَّه ذهب إلى أَنَّ الكأْس والصهباء وإن كانا شيئين فهما بمثابة الشىء الواحد . واستَلْمَحَ قول القائل[2] :

---

(١) ط : « لا يعرش فيها كرم » ، وأثبت ما فى ش .

(٢) أى لمحه وأخذ منه . والوجه أن تقرأ : « وأستلمح » بصيغة المضارع ، أو « استلمح » بصيغة الأمر ، وبإحدى هاتين القراءتين ينتفى اعتراض البغدادى عليه فيما سيأتى .

رَقّ الزجاجُ وراقت الخمر وتشاكلا فتشابَه الأَمرُ
فكأَنّما خمرٌ ولا قدحٌ وكأَنّما قدح ولا خمرُ

انتهى . وفيه أَنَّ هذين البيتين لأَبى إسحاق الصّابى ، وهو متأَخّر عن أَبى مِحْجن بأَكثر من ثلاثمائة سنة . وكان ينبغى أَن يعكس (١)

وقوله : «أُقوِّمها زقًّا » إلخ. قال ابن السكيت : الزِّقُّ بالكسر : ظرف الخمر . والحِقّ بالكسر من الإبل : ابن ثلاث سنين ، وكذلك الحِقّة ، وسُمِّيا بهذا الاسم لأَنّهما استحقَّا أَن يركبا . وفَجْرها : فجورها (٢) والفاجر : المائل عن الطاعة . والطاعة : الوقوف على الأَوامر . والفسوق توسيع ما ضيَّقه الله من أمر الدين .

٥٥٣ وقوله : « وعندى على شُرب » إلخ. قال ابن السكيت: الحفيظة كل شئ يُغضَب لأَجله . يعنى وإن كنت سكرانَ لا أُهملُ الحفاظ إذا استغاثت بى نساءُ الحىّ وصِحْن لنازلةٍ نزلَتْ بهنّ .

وقوله : « وأُعجِلن عن شدّ » إلخ . قال ابن السكيت : أَى دَهِمهنّ من البلاءِ ما أَعجلهنَّ عن شد المآزر فى أَوساطهن . ووُلَّهاً : مفعول من أَجله ، أَى للولَه الذى نزل بهنّ . والوالهُ : الذّاهب العقل . والمفجَّعة : التى نزل بها ما أَخافَها وأَفزَعها . وجفَّ ريقها ، أَى يبس . انتهى .

والصواب أَنَّ « وُلَّهاً » حال لا مفعول من أَجله .

وقوله : « وأَمنع جارَ البيت » إلخ . قال ابن السكيت : قَراها: أَطعمها يقول : إذا طرقتنا الضِّيفانُ ليلاً أَعجلْنا لها القرى، فكأَنَّ طروقها هو الذى قَراها . انتهى .

---

(١) ش : « أن لا يعكس » ، صوابه فى ط .

(٢) ط : « وفجورها » ، والوجه طرح الواو كما فى ش .

أبو محجن الثقفي

وأبو محجن : شاعر صَحابي ، له سَماعٌ ورواية . كذا في الاستيعاب كما يأْتي .

وإنّما أثبت له السُّيوطي (في شرح أَبيات المغني) رواية ، ولم يذكر أَنَّ له سماعاً . ونفاها أَيضاً الذهبيُّ (في تاريخ الإسلام) . وقال (في التجريد) : أَبو محجن الثقفي عمرو بنُ حَبيب ، وقيل مالك بن حبيب ، وقيل عبدالله . كان فارساً شاعراً من الأَبطال ، لكنْ جلَده عمرُ في الخمر مرَّاتٍ ، ونفاه إلى جزيرة في البحر ، فهرب ولحق بسعد وهو يحارب الفُرسَ فحبسه . وله أَخبارٌ . روى عنه أَبو سعدٍ البقَّال . انتهى .

ورواية أَبي سعد البقَّال عن أَبي محجن إنَّما هي بتدليس ، لأَنَّه لم يدرك عصره . وقد ذكروه في الضُّعفاء .

وقيل إنَّ اسمه أَبو محجن ، وهي كنيته أَيضاً . وهو بكسر الميم وسكون الحاء المهملة وفتح الجيم .

وهذه ترجمته (من الاستيعاب ، تأْليف أَبي عمر يوسف الشهير بابن عبد البر) قال : أَبو محجن الثقفي اختُلف في اسمه ، فقيل مالك ابن حَبيب، وقيل عبدالله بن حَبيب بن[1] عمرو بن عمير بن عوف بن عُقدة بن عميرة بن عوف بنَ قَسِيّ ، وهو ثقيف ، الثقفي . وقيل اسمه كنيتُهُ . أَسلمَ حَين أَسلمتْ ثقيف . وسمع من النبي صلى الله عليه وسلم وروى عنه . حدَّث عنه أَبو سعد البقَّال قال : سمعتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « أَخْوَفُ ما أَخاف على أُمَّتي من بعدي ثلاث : إيمانٌ بالنُّجوم ، وتكذيبٌ بالقَدَر ، وحَيف الأَئمة » .

---

(١) هذا يطابق ما في الاستيعاب ٣١٦١ والإصابة ١٠٠٧ من باب الكنى . وفي ش : « وقيل » موضع « بن » هذه .

وكان أبو محجن هذا من الشُّجعان الأَبطال فى الجاهليَّة والإسلام ، من أُولى البأْس والنجدة ، ومن الفُرسان البُهَم[1] . وكان شاعراً مطبوعاً كريماً إلَّا أنَّه كان منهمِكاً بالشَّرابِ لا يكادُ يُقلِعُ عنه[2] ولا يردُعه حَدٌّ ولا لومُ لائم . وكان أبو بكرٍ الصِّدِّيق يستعين به . وجلدَه عمر ابن الخطاب فى الخمر مراراً ، ونفاه إلى جزيرة فى البحر ، وبعث معه رجلاً فهرب منه ، ولحق بِسعد بن أبى وقاص بالقادسيَّةِ وهو محاربٌ للفرس . وكان قد همَّ بقتل الرجُل الذى بعثه عمر معه ، فأَحسَّ الرجلُ بذلك ، وخرج فارًّا ولحق بعُمَر ، وأخبره خبره ، فكتب عمر إلى سعدٍ بحبس أَبى محجن ، فحبسه .

حدَّثنا إسحاق ابن إبراهيم قال : حدثنا عبد الرزَّاق، عنِ ابن جُريج قال : بلغنى أَنَّ عمر بن الخطابَ حَدَّ أَبا مِحْجن الثَّقفىَّ سبعَ مَرَّات . ذكر ذلك عبدُ الرزَّاق فى باب من حُدَّ من الصحابة فى الخمر . قال : وأَخبرنا معمَّر عن أَيُّوب عن ابن سيرين قال : كان أَبو محجن الثَّقفى لا يزالُ يُجلَدُ فى الخمر ، فلما كثَّر عليهم[3] سَجَنوه وأَوثقوه ، فلمَّا كان يوم القادسيَّة رآهم يقتتلون فكأَنَّه رأَى أَنَّ المشركين قد أَصابوا من المسلمين ، فأَرسل إلى أُمّ ولد سعد ، أَو إلى امرأَة سعد ، يقول لها : إنَّ أَبا محجن يقول لك : إن خلَّيت سبيلَه وحملتِه على هذا الفرس ودفعتِ إليه سلاحاً ليكوننَّ أَولَ من يرجع إليك ، إلاَّ أَن يُقتلَ . وأَنشد يقول :

٥٥٤

كفَى حزناً أَن تلتقِى الخيلُ بالقنـا
وأُتـركَ مشدودًا عـلىَّ وَثَاقيـا

(١) البهم ، بضم ففتح : جمع بهمة بالضم ، وهو الشجاع الذى لا يهتدى من أين يؤتى .
(٢) وكذا فى الاستيعاب ، وفى ش : « يقطع عنه » .
(٣) فى الاستيعاب : « أكثر عليهم » .

إذا قمتُ عَنَّانى الحَديدُ وغُلِّقت
مَصَارعُ دونى قد تُصِمُّ المنادِيا[١]
وقد كنتُ ذا مالٍ كثيرٍ وإخوة
فقد تركونى واحدًا لاَ أخاليا[٢]
وقد شَفَّ نفسى أنَّنى كلَّ شَارق
أعالج كِبْلا مُصمتاً قد برانيا
فللهِ درِّى يومَ أُترك مُوثَقاً
وتُذهَلُ عنِّى أُسرتى ورجاليا
حُبستُ عن الحرب العَوان وقد بدت
وإعمالُ غيرى يوم ذاك العَواليا[٣]
ولله عهدٌ ، لا أخيسُ بعهده
لئن فُرِجَتْ أن لا أزور الحوانيا

فذهبت الأُخرى فقالت ذلك لامرأة سعد ، فحلَّت عنه قيوده ، وحُمل على فرسٍ كان فى الدار ، وأُعطِىَ سلاحاً ، ثم خرج يركض حتَّى لحق بالقوم ، فجعل لا يزالُ يَحمل على رجل فيقتله ويدقُّ صُلبه . فنظر إليه سعدٌ فجعل يتعجَّب ويقول : مَن ذلك الفارس ؟ قال : فلم يلبثوا إلاَّ يسيراً حتَّى هزمهم الله ، ورجَع أبو محجن وردَّ السلاح ، وجَعلَ

(١) ط : « غنانى الحديد » ، وأثبت ما فى ش والديوان ١٧ والاستيعاب وابن سلام . والمصارع : جمع مصرع كمنبر ، وهو لغة فى مصراع الباب . وما بعد هذا البيت من أبيات المقطوعة لم يرد فى الاستيعاب ، وأورد ابن سلام الثلاثة الأولى ، وزاد عليها رابعاً لم يرد فى ديوانه ، وهو :
أرينى سلاحى لا أبالك أننى أرى الحرب ما تزداد إلا تماديا

(٢) وكذا فى ابن سلام والأغانى ٢١ : ١٣٩ . وفى الديوان : « فأصبحت منهم واحداً » . وما بعد هذا البيت لم يرد فى الاستيعاب ولا الديوان ولا ابن سلام ، وإنما ورد فى الأغانى ٢١ : ١٣٩ .

(٣) فى الأغانى : « حبيساً عن الحرب العوان » . والعوان : التى قوتل فيها مرة بعد مرة .

رجليه فى القيود كما كان ، فجاءَ سعد فقالت له امرأته أَو أُمُّ ولده : كيف كان قِتالكم ؟ فجعل يخبرها ويقول : لقينا ولقينا ، حتَّى بعث الله رجلاً على فرسٍ أَبلق لولا أَنِّى تركت أَبا محجنٍ فى القيود لظننتُ أَنَّها بعض شمائل أَبى محجن ؟ فقالت : والله لأَبو محجن كان من أَمره كذا وكذا . فقصَّت عليه قِصَّته . فدعا به وحلَّ قيوده وقال : لا نجلدك على الخمر[1] أَبداً . قال أَبو محجن : وأَنا والله لاأَشربها أَبداً . كنت آنَف أَن أَدعَها من أَجل جَلْدِكم . قال : فلم يشربْها بعد ذلك .

وروى صاحب الاستيعاب بسنَده إلى إبراهيم بن محمد بن سعد بن أَبى وقَّاص عن أَبيه قال :

لمَّا كان يوم القادسية أُتىَ سعد بأَبى محجن وهو سكرانُ من الخمر ، فأَمر به إلى القيد ، وكان سعدٌ به جراحة فلم يخرُج يومئذ إلى الناس ، واستعمَلَ على الخيل خالد بنَ عُرفُطة ، ورُفع سعدٌ فوق العذيب[2] لينظر إلى الناس[3] ، فلما التقى الناسُ قال أَبو محجن :

كفى حزناً أَن تردىَ الخيل بالقنا[4] . . . الأَبيات السابقة

فقال لابنة خَصَفة[5] امرأةِ سعد : ويحكِ خلِّينى ولكِ علىّ[6] إنْ

---

(١) انظر ما سيأتى من كلام ابن حجر فى هذا فى ص ٤١١ — ٤١٢ .

(٢) العذيب ، بهيئة التصغير : ماء بين القادسية والمغيثة .

(٣) ش : « ينتظر إلى الناس » ، صوابه فى ط والاستيعاب .

(٤) فى الاستيعاب : « أن تلتقى » وفى ط ، ش : « أن تردد » ، وصواب هذه ما أثبت من الأغانى . ردت الخيل تردى ردياً : رجمت الأرض بحوافرها .

(٥) كذا فى الاستيعاب والإصابة . وفى النسختين : « حفص » ، تحريف . وفى الأغانى : « سلمى بنت أبى حفصة » ، تحريف أيضاً . وانظر الطبرى ٣ : ٤٨٩ ، ٤٩٠ ، ٥٤٢ ، ٥٤٨ ، ٥٥٠ ، ٥٧٠ ، ٥٧٥ .

(٦) هذا ما فى ش . وفى ط : « ولك » فقط . وفى الاستيعاب : « ولك على عهد الله » .

سلَّمنى الله أن أجىءَ حتى أضع رجلى فى القَيد ، وإن قتِلتُ استرحتم منِّى . فخَلَّته فوثب على فرس لسعد يقال لها البلقاءُ ، ثم أخذ الرَّمحَ ثم انطلق حتَّى أتى النَّاس ، فجعل لا يحمل فى ناحيةٍ إلّا هزمهم ، فجعل الناسُ يقولون : هذا مَلَكٌ : وسعد ينظر ، فجعل سعد يقول : الضَّبرُ ضَبرُ البلقاءِ ، والطَّعنُ طعن أبى محجن ، وأبو محجن فى القيد ! فلمّا هُزم العدوُّ رجع أبو محجن حتَّى وضع رجله فى القَيد، فأخبَرت ابنةُ خَصَفة[1] سعدًا بالذى كان من أمره، فقال : لا والله ماأبلى أحدٌ من المسلمين ما أبلى فى هذا اليوم ! لا أضرب رجلاً أبلى فى المسلمين ما أبلى ! قال : فخَلَّى سبيله .

وقال أبو محجن : كنت أشربها إذ يقام علىَّ الحدُّ وأُطهر منها ، فأمّا إذْ بَهْرَجتَنى[2] فوالله لا أشربُها أبداً .

ومن رواية أهل الأخبار أنَّ ابناً لأبى محجن دخل على معاوية ، فقال له معاوية : أبوك الذى يقول :

إذا متُّ فادفنى إلى جنب كرمة . . . الأبيات المتقدمة ٥٥٥

فقال له ابنه : لو شئتَ ذكرتُ أحسنَ من هذا من شعره . قال : وما ذاك ؟ قال : قوله :

لا تسألِ الناسَ عن مالى وكثرته ... وسائل الناس عن حزمى وعن خلقى[3]

---

(١) كذا فى الاستيعاب والإصابة . وفى النسختين هنا: « حفصة » تحريف .

(٢) هذا ما فى الاستيعاب واللسان (بهرج) . وفى النسختين : « إن بهرجتنى » . وبهرج الشىء : أبطله ، كما تبهرج الدنانير والدراهم . أراد أهدرتنى بإسقاط الحد عنى . كما فى اللسان .

(٣) وكذا فى الاستيعاب . لكن رواية الديوان ص ٣ :

لا تسألى الناس عن مالى وكثرته ... وسائل القوم عن دينى وعن خلقى

وقال أبو هلال فى تفسيره : « إنه خاطب امرأته . وكان من عاداتهم أن يخاطبوا نساءهم فى ابتداءات قصائدهم إذا حضروا ، ويخاطبوا خليليهم إذا سافروا ، لأنه كان لا يسافر منهم أقل من ثلاثة » .

قد يعلَم الناسُ أنّى من سَراتهمُ
إذا تَطِيشُ يد الرِّعدِيدةِ الفرِقِ[(١)]

قد أركبُ الهولَ مسدولاً عساكرُه
وأكتمُ السرَّ فيه ضربةُ العنقِ

أُعطى السِّنانَ غداةَ الرَّوع حِصَّتَه
وعاملُ الرُّمح أرويهِ من العَلَقِ[(٢)]

وزاد بعضُهم فى هذه الأبيات :

وأطعنُ الطَّعنةَ النَّجلاءَ قد علموا
تنفى المسابير بالإزباد والفَهَقِ[(٣)]

عفٌّ المطالب عمّا لستُ نائلَه
وإن ظُلمتُ شديدُ الحِقدِ والحَنَقِ

وقد أجودُ وما مالى بذى فَنَعٍ
وقد أكُرُّ وراءَ المُجحَرِ البَرِقِ[(٤)]

---

(١) فى الاستيعاب : « القوم أعلم » . وفى الديوان :

قد يعلم الناس أنا من سراتهم إذا سما بصر الرعديدة الفرق

(٢) ط : « عاسل » ، صوابه فى الديوان وش مع أثر تصحيح . وفى الاستيعاب : « وحامل الرمح » تحريف . ورواية الديوان أيضاً « نحلته » موضع « حصته » . قال العسكرى : « أصل النحلة أن يعطى الرجل الرجل ناقة ينتفع بمنافعها ثم يردها ، ثم سمى كل عطية نحلة . وجعل أبو محجن ما نال السنان من الدم نحلة . وروى : حصته . ومجاز هذا الكلام مجاز قولهم : فلان يوفى هذه الصناعة حقها ، إذا قام بها حق القيام . وعامل الرمح وعاملته : على قدر ذراع من السنان . وسافلته : على قدر ذراع من الزج » .

(٣) فى الاستيعاب : « لوعلموا » . وفى الديوان : « عن عرض » . والمسابير : جمع مسبار ، وهو الميل الذى يسبر به غور الجراحات . ط ، والديوان : « بالأزياد » صوابه فى ش .

(٤) الفنع : الكثرة . ط : « قنع » صوابه فى ش والديوان . والمجحر ، بتقديم الجيم : المضيق عليه كأنه فى جحر . وفى ط : « المحجر » بتقديم الحاء ، صوابه فى الاستيعاب وش مع أثر تصحيح . والبرق : الشاخص البصر ، كما فى شرح الديوان . وفى الاستيعاب : « الفرق » .

قد يُقْتِرِ المرءُ يوماً وهو ذو حسب

وقد يثُوبُ سوامُ العاجز الحَمِقِ[1]

ويكثُر المال يوماً بعد قِلَّته

ويكتسِي العودُ بعد الجدبِ بالورقِ

فقال له معاوية : لئن أسأْنا القول لَنُجزلُ العطيَّة[2]. ثم أجزل جائزته وقال : إذا ولدَتِ النساءُ فلتلدْ مثلَكَ !

وزعم الهيثم بن عديّ أنَّه أَخبره مَن رأَى قبر أَبي محجن الثقفي بأَذْرَبيجان ، أَو قال : في نواحي جُرجانَ ، وقد نَبتتْ عليه ثلاثُ أُصولِ كَرْمٍ وقد طالت وأثمرت ، وهي معرِّشة على قبره ، مكتوب على القبر : « هذا قبر أَبي محجن » قال : فجعلت أَتعجَّب وأَذكر قوله :

* إذا متُّ فادفنِّي إلى جنب كرمة *

هذا ما اخترته من الاستيعاب

وروى ابن الأَعرابي (في شرح ديوان أَبي محجن) عن ابن الكلبي أَنَّه قال : أَخبرنا عَوَانةُ قال : دخل عُبيد بن أَبي محجن على عبد الملك فقال له عبد الملك : أَبوك الذي يقول من قصيدة :

* إذا متُّ فادفنِّي إلى جنْب كرمة *

فقال : لا يا أَمير المؤمنين ، ولكن أَبي الذي يقول :

لاتسأَل القومَ عن مالي وكثرته . . . إلى آخر الأَبيات المذكورة .

ونقل ابن حجر (في الإصابة) عن ابن فَتحون (فيما كتبه على

---

(1) يثوب : يكثر ، من قولهم : ثاب إليه قومه ، أي نهضوا إليه وكثروا حوله .

(2) في الاستيعاب : : « لئن كنا أسأنا القول لنحسنن لك الصفد » .

أوهام الاستيعاب) أنَّه عاب أبا عمر على ماذكَر فى قصة أبى مِحجن أنَّه كان منهمكاً فى الشَّراب ، فقال : كان يكفيه ذكر حدِّهِ عليه ، والسكوتُ عنه أليق . والأَولى فى أمره ما أخرجه سَيف (فى الفتوح) : أنَّ امرأة سعدٍ سألَتْه فيمَا حُبس[1] ؟ فقال : والله ما حُبِسْتُ على حرامٍ أكلته ولا شربته ، ولكنِّى كنتُ صاحب شرابٍ فى الجاهلية ، فجرى كثيراً على لسانى وصفُها ، فحبسنى بذلك ، فأَعلَمتُ بذلك سعدًا فقال : اذهب فما أنا بمؤاخِذِك بشئٍ تقوله حتَّى تفعله .

قال ابن حجر : وسيفٌ ضعيف ، والروايات التى ذكروها أقوى وأشهر . وأنكر ابن فتحون قولَ من روى أنَّ سعداً أبطل عنه الحدَّ وقال : لا يُظَنُّ هذا بسعد ! ثم قال : لكن له وجه حسن ولم يذكروه . وكأنَّه أراد أنَّ سعدًا أرادَ بقوله لا يَجلدهُ فى الخمر[2] بشرطٍ أضمره ، وهو إنْ ثبتَ عليه أنَّه يشربها . فوفَّقه الله أنْ تاب توبةً نصوحاً فلم يَعُدْ إليها ، كما فى بقية القصَّة .

وقوله فى القصة: « الضَّبر ضَبْر البلقاء » هو بالضاد المعجمة والباء الموحَّدة: عَدْو الفرس . ومن قاله بالصاد المهملة فقد صحَّف. نبَّه عليه ابن فتحون .

٥٥٦

تتمة

سمَّاه الآمدىُّ (فى المؤتلف والمختلف) على خلاف ما تقدَّم مع بعض تغيير فى أسماء آبائه. قال: هو حبيب بن عمرو بن عُمير بنَ عوف بن عُقْدة بن غِيَرة الثقفى . وهو شاعرٌ فارس ، وهو القائل :

---

(١) وكذا فى الإصابة بإبقاء الألف ، وهى لغة قرئ بها : « عما يتساءلون » . وفى ش : « فيم حبس » .

(٢) ط : « لاتجلده » ، صوابه فى ش والإصابة . وانظر ماسبق فى ص ٤٠٨ .

لمَّا رأينا خيلاً محجَّلةً وقومَ بغْيٍ فى جَحفل لجبِ(١)
طِرنا إليهم بكلِّ سَلهبة وكلِّ صافى الأَديم كالذهبِ
وكلِّ عَرَّاصةٍ مثقَّفة فيها سِنانٌ كشُعلة اللَّهبِ
وكلِّ عضْبٍ فى مَتنه أُثُرٌ ومشرفىٍّ كالملح ذى شُطَبِ(٢)
وكلِّ فضفاضة مضاعفة من نسج داودَ غير مؤتشَبِ
لمَّا التقينا ماتَ الكلام ودا رَ الموتُ دَورَ الرَّحى على القُطُبِ
فَكُلُّنا يستكيص صاحبَه عن نفسه ، والنفوسُ فى كُرَبِ(٣)
إن حملوا لم نَرِمْ مواضعَنا وإنْ حمَلْنا جثَوْا على الرُّكبِ

انتهى. وهذا الشعر لم يروه ابن الأَعرابى وابن السكيت (فى ديوانه).

وحَبيب بالحاء المهملة المفتوحة ، أَورده الآمدى مكبَّراً اسماً لخمسة شعراء ، أَحدهم أَبو محجن. ثم قال : وأَما حُبَيب بالتصغير فهو حُبيْب ابن تميم المجاشعى . وأَورد له شعراً .

وبعد أَن نقل العينى الخلاف فى اسمه هل هو مالك بن حَبيب أَو عبد الله بن حبيب قال : وضُبط عن أَبى عُمر « حُبيْب » مصغَّراً . وتبعه السيوطى (فى شرح أَبيات المغنى) على هذا الضبط . والله أَعلم .

* * *

وأَنشد بعده ، وهو الشاهد الحادى والأَربعون بعد السمائة(٤) :

---

(١) المؤتلف للآمدى ٩٥ — ٩٦ .

(٢) الأُثر بضمتين ، وبضمة ، وبفتحتين وبفتحة، وبالكسر أيضاً، وهو فرند السيف وماؤه .

(٣) يقال كاص يكيص كيصا وكيصا ، وكيوصا : كع وجبن وضعف . وفى المؤتلف : « يستليس » .

(٤) ديوان النابغة ٤٨ من مجموع خمسة دواوين. وانظر لقصة الشعر ديوانه، والحيوان ٤ : ٢٠٣ — ٢٠٥ والشعراء ١١٢ — ١١٣ والمحاسن والمساوى ٢ : ١٣٤ وأمثال الميدانى ١ : ٨٢ ومروج الذهب ٢ : ١٢٩ وحياة الحيوان للدميرى ١ : ٤١٦ .

٦٤١ (فلما رأى أَنْ ثَمَّرَ اللهُ مالَه
وأَثَّل موجودًا وسَدَّ مفاقِرَهْ)

على أَنَّ الفراءَ وابنَ الأَنبارى جوّزا وقوعَ أَن المصدرية بعد فعل علم غير مؤوَّل بالظن ، كما فى البيت ، فإنَّ رأى فيه عِلْمية . ويجوز أَن تكون فيه مخفَّفة ، من غير فصل بينها وبين ثَمَّر على الشذوذ . فأَنْ وما بعدها فى تأْويل مصدر سادٍّ مسدَّ مفعولى رأى ، إلاَّ أَنَّها فى القول الثانى مخفَّفة واسمها ضمير شأْنٍ محذوف ، وجملة ثمر الله خبرها .

ولم يتعرَّض لكون رأى بَصَرَّية فتكون أَنْ هى المصدرية الداخلةَ على الفعل ، لأَنَّ ذلك لا يجوز ، لأَنَّ التثمير أَمر معنوىٌّ غير مُدرَك بحاسَّة العين ، ومعناه التكثير .

قال صاحب الصحاح : وأَثمر الرجلُ بالمثلثة ، أَى كَثُرَ ماله . وثَمَّرَ الله ماله ، أَى كثَّرهُ .

ففاعل رأى ضمير الحليف ، أَى المعاهد فى بيتٍ قبله .

(وأَثَّل) أَى أَصَّل وثبَّت . والتأْثيل : التأْصيل والتثبيت .

قال صاحب الصحاح : يقال سدَّ الله مفاقره ، أَى أَغناه وسدَّ وجوه فقره . انتهى . فيكون جمعَ مَفْقَر كجعافر جمع جعفر . والمفقَر : مكان الفقر وجهتُه .

وجواب لمَّا فى بيت بعده .

والبيت من قصيدة للنابغة الذبيانىِّ يعاتب بها بنى مُرّة فيما كان بينه وبين يزيد بن سنان بن أَبى حارثة ، واجتماع قومه عليه ،وطواعيتهم

له ، وطلبِه بحوائجهم عند الملوك . وكان النابغة يُحسَد كثيرًا ، وكان عفيفاً شريفاً فى قومه . وهذا أوَّلها : ٥٥٧

(ألا أَبلغا ذبيانَ عنِّى رسالةً
فقد أصبحَتْ عن منهج القَصْد جائرَه
أَجِدَّكُمُ لم تَزجُروا عن ظُلامةٍ
سفيهاً ، ولن تَرعَوْا لذِى الوُدِّ آصِرَه
فلَو شهدتْ سهمٌ وأَفناءُ مالك
فتعذِرَنى من مُرَّةَ المتناصرَه[1])

إلى أن قال بعد بيتين :

(فإنْ يكُ مولانا تجانَفَ نصرُه
وأَسلمَنا لِمُرَّة المتظاهرَه
فإنِّى لأَلقَى من ذوى الضِّغن منهمُ
بِلا عثرة ، والنفسُ لابدَّ عاثره
كما لقِيَتْ ذاتُ الصَّفا من حَليفها
وكانت تَدِيهِ المالَ غِبًّا وظاهرَه
تَذكَّرَ أنَّى يجعَلُ اللهَ جُنَّةً
فيصبحَ ذا مالٍ ويقتلَ واترَه
فلما رأى أنْ ثمَّرَ اللهُ مالَه
وأَثَّلَ موجودًا وسَدَّ مَفاقِرَه
أَكبَّ على فَأْسٍ يُحِدُّ غرابَها
مذكَّرةٍ من المَعَاول باتره

(١) وكذا فى الديوان . وفى الحيوان « أليس لنا مولى يحب سراحنا فيعذرنا » .

فلمَّا وقاها الله ضربةَ فأْسِهِ
وللبرِّ عينٌ ما تغمِّض ناظرَه

تندَّم لما فاته الذَّحلُ عِندها
وكانت له إذ خاسَ بالعهد قاهِرَه

فقال تعالَىْ نجعلِ اللهَ بيننا
على مالِنا أو تُنجزى لىَ آخرَه

فقالت يمينُ الله أَفعلُ ، إنَّنى
رأَيتُكَ مسحورًا يمينُك فاجِره

أَبِى لِىَ قبرٌ لا يزال مُقابِلى
وضربةُ فَأْس فوق رأْسىَ فاقره)

وهذا آخر القصيدة .

والآصرة : القرابة . يقال : فلانٌ ما تأْصره علىّ آصرةٌ ، أَى لا تَعطِفه علىّ رَحِمَ . وسهمٌ هو ابن مُرّة بن عوفِ الذُّبيانى . ومالك هو أَخو سهم ، قبيلتان . ولهذا قال « المتناصره » أَى التى ينصُر بعضها بعضاً . وتجانَفَ: تمايل . والمتظاهرة : التى صار كلٌّ منهم ظهيرًا ومعيناً للآخَر . والضِّغن : الحقد . وذاتُ الصَّفا هى الحيَّة كما يأْتى شرحها . والحليف : المُعاهَد . وقوله : « وكانت تديه المالَ » إلخ روى الأَصمعى بدله :

* وما انفكَّت الأَمثالُ فى الناس سائره *

وقال : تلك الرواية منحولة ، لأَنَّك تقول وديت فلاناً ، للمقتول نفسِه ، ولا تقول وديت وليَّهُ ولا أَهلَه . ووَدَى فلانٌ فلاناً : أَعطَى ديَتَه . وغِبًّا ، أَى تعطيه من الدِّية فى يوم ولا تعطيه فى اليوم الثانى . والغِبُّ

بالكسر : فَصلُ الفعل وتركه بيومٍ[(١)] بين فعلٍ يومين . ومنه حُمَّى الغِبّ ، إذا أتت يوماً وتركت يوماً . والظاهرة : البارزة غير مختفية[(٢)] ، وقيل الظاهرة التى تشرب كلَّ يوم .

وروى أبو عبيدة بدل البيت :

(فواثَقَها بالله حينَ تراضيا فكانت تديه المالَ غِبًّا وظاهره)

وقوله : « تذكر » فاعله ضمير الحليف. وأنَّى بمعنى كيف . والجُنَّة بضم الجيم : الوقاية . والواتر : الذى عنده الثأر ، من الوَتْر بفتح الواو عند قوم وكسرها عند آخرين ، وهو الذَّحْل والثأْر . وقوله : « فلما رأى » فاعله ضمير الحليف . وقوله : « أكبَّ » هو جوابُ لمَّا . يقال أكبَّ على كذا ، أى لازمَه . ويُحدُّ : مضارع أَحدَّه ، أى جعله حديدًا قاطعاً . والغُراب ، بضم المعجمة : رأس الفأْس القائم ؛ ولها رأْسان ، فالرأس العريض يقال له قَدُوم ، والآخر يقال له غُراب . قال صاحب الصحاح : الذَّكر من الحديد : خلاف الأَنيث . وسيف ذَكَرٌ ومُذكَّر ، بفتح الكاف المشدودة ، أى ذو ماءٍ . وقال أبو عبيد : هى سيوفٌ شَفَراتها حديدٌ ذَكَرٌ ومتونها أنيث. قال : ويقول الناس إنَّها من عمل الجنِّ . انتهى .

٥٥٨

والذكر هو الفُولاذ والصُّلب . والأَنيث ، هو الحديد المعروف . والمعاول : جمع مِعْول بِكسر الميم وفتح الواو ، وهى الفأْس العظيمة التى يُنقَر بها الصَّخر . والباترة : القاطعة . والذَّحل ، بفتح الذال المعجمة وسكون الحاء المهملة : الثَّأْر والحقد . وكانت ، أى الحيَّة .

---

(١) ط : « يقوم » .
(٢) كذا فى النسختين .

وخاس بالعهد بإعجام الأَوَّل وإهمال الآخِرِ ، بمعنى غَدَر به . وأَراد بقَهرِها إيّاه قطعَ العطيَّة من الدِّية . أو تنجزى : إلى أَن تنجرى .

وقوله : « يمينَ الله أفعل » أى أقسم يميناً بالله لا أفعل ، أى لا أُعطى . كما كنت أُعطيك . أو بمعنى لا أَقبل عهدَك بعد هذا . والمسحور : المخدوع ، يقال سحره أى خدعَه وعلَّله. وأرادت: إنَّك إنسانٌ خادعٌ غدَّار . وفاقرة: قاطعة ، يقال فقر الحبلُ أنفَ البعير ، إذا حزَّه وأثَّر فيه.

وهذه الأَبيات موقوفةٌ على سماع حكايةٍ هى من أكاذيب العرب قال أَبو عمرٍو الشَّيبانى وابنُ الأَعرابى : ذكروا أَنَّ أَخوين كانا فيما مضى فى إبلٍ لهما ، فأَجدبت بلادُهما وكان قريباً منهما وادٍ يقال له عُبَيدَانُ فيه حيَّة قد أَحمته[1] فقال أَحدُهما لصاحبه : هل لك فى وادى الحيَّة فإنَّه ذو كَلإٍ ؟ فقال أَخوه : إنِّى أَخاف عليك الحيَّةَ ، ألا ترى أَنَّ أَحدًا لم يهبط ذلك الوادىَ إلَّا أَهلكَتْه ؟ فقال : والله لأَفعلنَّ ! فهبط ذلك الوادىَ فَرعى فيه إبلَه ، فبينا هو ذاتَ يومٍ فى آخِرِ الإبل نائمٌ إذْ رفعت الحيَّة رأْسَها فأَبصرَتْه ، فأَتته فقتلتْه ثمّ دخلتْ جُحْرها ، وأَبطأَت الإبلُ على أَخيه فعَرَفَ أَنَّه قد هَلَك ، فقال : ما فى الحياة بعد أَخى خَيرٌ ، ولأَطلبنَّ الحيَّة ولأَقتلنَّها أو لأَتبعنَّ أَخى . فهبط ذلك الوادىَ فطلب الحيَّة ليقتلَها فقالت له : أَلستَ ترى أَنِّى قد قتلت أَخاك ، فهل لك فى الصُّلح فأَدَعكَ ترعى الوادىَ فتكونَ فيه ، وأَعطيَك ما بقِيتُ دينارًا يوماً ويوماً لا ؟ قال : أَوَ فاعلةٌ أَنتِ ؟ قالت : نعم . قال : فإنِّى أَقْبَل . فحلف لها وأَعطاها المواثيق لا يضرُّها ، وجعلتْ تعطيه ماضَمِنَتْ له ، فكثر ماله ونَبتت إبِلُه حتَّى صار من أَحسن

---

(١) كذا فى النسختين ، ويقال أحمى المكان : جعله حمى لايقرب .

الناس حالًا . ثم إنَّه ذكرَ أخاه ذات يوم فَدمعَتْ عيناه وقال : كيف ينفعنى العيشُ وأنا أنظرُ إلى قاتل أخى ؟ فعمَد إلى فأْس فأَحدَّها ثم قعد ، فمرَّتْ به فتبعها وضرَبها فأَخطأَها ، ودخلت جُحْرها ، ووقعت الفأْس فوق جُحْرها فأَثَّرت فيه ، فلمَّا رأَت ما فَعلَ قَطعتْ عنه الدِّينار الذى كانت تعطيه ، فلمَّا رأَى ذلك تخوَّفَ شرَّها وندِم ، فقال لها : هل لكِ أَن نتواثقَ ونعودَ إلى ما كنَّا عليه ؟ فقالت : « كيف أعاودُك وهذا أثر فاسِك »، وأنت ترى قبر أَخيك ، وأنت فاجر لا تبالى بالعهد.

وكان حديث الحيّة والفأْس من مشهور أَمثال العرب .

قال أبو عبيدة : لمَّا حجَّ عبد الملك بن مروان أَوّلَ حجَّة حجَّها فى خلافته قدِم المدينةَ فخطب، فقال : يا أَهل المدينة، والله لا تحبُّوننا ولا نحبُّكم أَبداً وأَنتم أَصحابُ عثمان ، إذْ نفيتمونا عن المدينة ونحن أَصحابُكم يوم الحَرَّة ، فإِنَّما مثَلُنا وَمثَلُكم كما قال النابغة . وأَنشد هذه الأَبياتَ من صفة الحية . ٥٥٩

ثم قال : إنَّه كانت حيّةٌ مجاورةً رجلاً فوكعَتْه فقتلته ، ثم إنَّها دعت أَخاه إلى أَن يصالحها على أَن تدِىَ له أَخاه ، فعاهدها ، ثم كانت تعطيه يوماً ولا تعطيه يوماً ، فلمَّا تنجَّز عامة ديَته قالت له نفسه : لو قتلتَها وقد أَخذْتَ عامَّةَ الدِّيَة فيجتمعان لك ! فأْخذ فأْساً فلما خرجتْ لتعطيَه الدينارَ ضربَها على رأْسها وسبقته فأَخطأَها وندم ، فقال : تعالَىْ نتعاقد ولا نغدِر وتُنْجزى آخر دِيَتى . فقالت : أَبى الصُّلحَ القبرُ الذى بين عينيك ، والضَّربةُ التى فوق رأْسى ، فلن تحبِّنى أَبداً ما رأَيتَ قبر أَخيك ، ولن أُحبَّك ما كانت الضربة برأْسى . إنَّا لن نحبَّكم ما ذكرنا ما صنعتم بنا ، ولن تحبُّونا ماذكرتم ما صنعنا بكم . انتهى .

والنابغة شاعرٌ جاهليٌّ تقدَّمت ترجمتُه فى الشاهد الرابع بعد المائة[(١)] .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثانى والأربعون بعد الستمائة[(٢)]

٦٤٢ (أنْ تقرآنِ على أسماءَ ويحكُما
مِنِّى السَّلامَ وأن لا تُشعِرَا أحَدَا)

على أنَّ (أنْ الخفيفة المصدريَّة) قد لا تنصب المضارع كما فى البيت، إمَّا للحَمْلِ على ما المصدرية أو على المخفَّفَة. ولو نصبت لحذفت النون من تقرآن .

قال ابن جنى (فى الخصائص) : سألت أبا علىٍّ رحمه الله عنه فقال : هى مخفَّفة من الثقيلة ، كأنه : قال أنَّكما تقرآن ، إلَّا أنَّه خفَّف من غير تعويض .

وحدَّثنا أبو بكر محمد بن الحسن عن أحمد بن يحيى قال : شبَّه أنْ بما ، فلم يُعملها كما لا يُعمل ما . انتهى .

وزاد (فى سر الصناعة) : وهذا مذهب البغداديِّين . وفى هذا بُعدٌ . وذلك أنَّ (أنْ) لا تقع إذا وُصِلت حالاً أبداً ، إنَّما هى للمضىِّ أو للاستقبال نحو : سرَّنى أن قام ، ويسرُّنى أن يقوم . ولا تقولُ يسرنى أن يقوم وهو فى حال القيام . و(مَا) إذا وُصِلتْ بالفعل وكانت مصدراً فهى للحال أبداً نحو قولك : ماتقوم حسن ، أى قيامك الذى أنت عليه حسن ، فيبعد تشبيه واحدةٍ منهما بالأخرى وكلٌّ واحدةٍ منهما لا تقع موقع صاحبتها. قال أبو على : وأوْلَى أن المخففةَ من الثقيلة الفعلَ بلا عوض ضرورةً .

(١) الخزانة ٢ : ١٣٥ — ١٣٨ .

(٢) مجالس ثعلب ٣٩٠ والخصائص ١ : ٣٩٠ والمنصف ١ : ٢٧٨ والإنصاف ٥٦٣ وابن يعيش ٧ : ١٥ / ٨ : ١٤٣ ومغنى اللبيب ٣٠ ، ١٩٧ والعينى ٤ : ٣٨٠ والتصريح ٢ : ٢٣٢ والأشمونى ٣ : ٢٨٧ .

وهذا على كلِّ حال وإن كان فيه بعضُ الضعف ، أسهلُ مما ارتكبه الكوفيُّون . انتهى .

وكذلك قال (فى شرح تصريف المازنى) : سألت أبا على عن إثبات النون فى تقرآن بعد أن ، فقال : أنْ مخفَّفة من الثقيلة ، وأَوْلاها الفعلَ بلا فصلٍ للضرورة . فهذا أيضاً من الشاذِّ عن القياس والاستعمال جميعاً ، إلَّا أنَّ الاستعمال إذا ورد بشيءٍ أُخذ به وتُرك القياس ، لأنَّ السَّماعَ يُبطل القياس . قال أبو على : لأنَّ الغرض فيما ندوِّنه من هذه الدواوين ، ونقنِّنه[1] من هذه القوانين ، إنَّما هو ليلحقَ من ليس من أهل اللُّغة بأهلها ، ويستوىَ من ليس بفصيح ومن هو فصيح . فإذا ورد السماعُ بشيءٍ لم يبق غرضٌ مطلوب ، وعُدِل عن القياس إلى السماع . انتهى .

وذهب إلى هذا ابن عصفور (فى كتاب الضرائر) قال : ومنه مباشرة الفعل المضارع لأن المخفَّفة من الثقيلة وحذفُ الفَصْل ، نحو قول الشاعر ، أنشده الفرَّاءُ عن القاسم بن معنٍ قاضى الكوفة :

إنِّى زعيمٌ يانُويْـ قةُ إنْ سلمتِ من الرَّزَاحِ[2]
أن تهبطين بلاد قو مٍ يَرْتَعُون من الطِّلاحِ[3]

٥٦٠

وقولِ الآخر :

أنْ تقرآنِ على أسماءَ ويحكما . . . البيت

(١) فى المنصف ١ : ٢٧٩ : « ونثبته » .

(٢) الرزاح ، كسحاب : شدة الضعف فى الإبل حتى تكاد تلصق بالأرض ولا يكون بها نهوض . وفى معانى الفراء ١ : ٣٦ : « من الزواح » كما فى اللسان (زوح) .

(٣) الطلاح : جمع طلحة ، وهو الواحدة من الطلح ، شبهوه بقصعة وقصاع . والطلح أعظم العضاه وأكثره ورقاً وأشده خضرة .

وقول الآخر :

إذا كان أمرُ الناس عند عجوزهم
فلا بدَّ أنْ يلقَوْنَ كل يبابِ[١]

وقولِ ابن الدُّمينة[٢] :

ولى كبدٌ مقروحةٌ من يبيعُنى
بها كبدًا ليست بذاتِ قُروح
أَبَى النَّاسُ وَيْحَ النَّاسِ أن يشترونها
ومن يشترى ذا علَّةٍ بصحيحِ[٣]

وقولِ الآخر[٤] :

وإنِّى لأَختار القِرى طاوىَ الحشا
محاذرةً من أنْ يُقالُ لئيمُ

قال أبو بكر بن الأَنبارى : رواه الكسائىُّ والفرّاءُ عن بعض العرب برفع يقال . ولا يحسُن شىءٌ من ذلك فى سَعة الكلام حتَّى يفصل بين أَن والفعل بالسين أَو سوف أَو قَدْ فى الإيجاب ، وبلا فى النفى . فإنْ جاءَ شىءٌ منه فى الكلام حُفظ ولم يُقَس عليه ، نحو قراءة ابن مجاهد: ﴿لمن أَراد أَنْ يُتِمُّ الرَّضاعة[٥]﴾ برفع يتمُّ . ومن النحوِّيين من زعم أَنَّ أَنْ فى جميع ذلك هى الناصبة للفعل ، إلَّا أَنَّها أُهملت حملاً على المصدرية

(١) فى حواشى ش : « هكذا بخط المؤلف ، وصوابه : كل تباب » .
(٢) ديوان ابن الدمينة ٢٧ .
(٣) فى الديوان : « ويب الناس » .
(٤) هو حاتم الطائى . ديوانه ١١٤ .
(٥) الآية ٢٣٣ من سورة البقرة .

فلم تعملْ لمشابهتها لها فى أنَّها تقدَّر مع ما بعدها بالمصدر . وما ذكرتُ[(١)] قبلُ من أنَّها مخفَّفة أولى ، وهو مذهب الفارسيِّ وابن جنِّى ، لأنَّها هى التى استقرَّ فى كلامهم ارتفاعُ الفعل المضارعِ بعدها . انتهى .

وذهب الزمخشرىُّ إلى أنَّ الرفع بعد أنْ لغةٌ . قال (فى المفصل) : وبعض العرب يرفع الفعل بعد أنْ تشبيهاً بما . قال :

أن تقرآنِ على أسماءَ ويحَكما . . . البيت

وعن ابن مجاهد : ﴿ أَنْ يتمُّ الرَّضاعة ﴾ بالرَّفع . انتهى .

قال شارحه ابن يعيش : قال ابنُ جنِّى : قرأتُ على محمد بن الحسن ، عن أحمد بن يحيى قولَ الشاعر :

ياصاحبيَّ فدَتْ نفسى نفوسَكُما   وحيثُما كنتما لاقيتُما رَشَدا
أنْ تحملاحاجةً لىخفَّ مَحمَلُها   وتصنعا نِعمةً عندى بها وَيَدا
أَن تقرآن . . . .   البيت

فقال فى تفسير أنْ تقرآن : وعِلَّةُ رفعه أنَّه شبَّه أنْ بما فلم يُعمِلْها فى صِلتها . ومثله الآية ، وهو رأى السِّيرافى . ولعلَّ صاحب هذا الكتاب نقله من الشَّرح . وهذا رأْى البغداديِّين، ولا يراه البَصريُّون . وصحَّة مَحْمَل البيت عندهم على أنَّها المخفَّفة من الثقيلة ، أى أنَّكما تقرآن . وأنْ وما بعدها فى موضع البدل من قوله حاجة ، لأنَّ حاجته قراءةُ السلام عليها . وقد استبعدوا تشبيه أنْ بما ، لأنَّ ما مصدرٌ معناه الحال ، وأنْ وما بعدها مصدرٌ إمَّا ماضٍ وإمَّا مستقبَل ، على حسَب الفعل الواقع بعدها ، فلذلك لا يصحُّ أَحدُهما بمعنى الآخر[(٢)] . انتهى .

---

(١) ش : « وما ذكرته » .

(٢) فى ابن يعيش ٨ : ١٤٣ : « حمل إحداهما على الأخرى » .

ونقل ابن هشام (فى المغنى) خلافَ هذا ، قال فى بحث أَن المخفَّفة وقد[١] يرفع الفعل بعدها كقراءة ابن مُحيصِن : ﴿ لمن أَرادَ أَنْ يتمُّ الرَّضاعة ﴾ ، وكقول الشاعر :

* أَن تقرآن على أَسماءَ وَيْحَكما *

وزعم الكوفيون أَنَّ أَنْ هذه هى المخفَّفة من الثقيلة شذَّ اتِّصالها بالفعل . والصَّواب قولُ البصريين ، أَنَّها أَن الناصبة أُهمِلتْ حملاً على أُختها ما المصدرية . هذا كلامه .

وقوله : « أَن تحملا حاجة » فى موضع نصب بفعل مضمر دلَّ عليه ما تضمَّنه البيت الأَوّلُ من النداءِ والدعاءِ . والمعنى : أَسالكما أَن تحملا . ٥٦١ وقول ابن جنى : التقدير أَنَّكما تقرآن، إشارة إلى أَنَّ اسم أَنْ ضميرٌ محذوف ، وهو ضمير التثنية .

وقد ذهب ابن هشام (فى موضعين من المغنى) كالشَّارح المحقق . إلى أَنَّها فى البيت هى الخفيفة الناصبة للمضارع ، قال فى القاعدة الحاديةَ عشرة من الباب الثامن : مِن مُلَح كلامهم تقارُضُ اللفظين فى الأَحكام ، ولذلك أَمثلة منها إعطاءُ أَن المصدريّة حكمَ « ما » فى الإِهمال كقوله :

أَن تقرآن على أَسماءَ ويحكما . . . البيت

الشاهد فى أَن الأُولى[٢] وليست مخفَّفة من الثقيلة ، بدليل أَن المعطوفةِ عليها . وإعمالُ « ما » حمْلاً على « أَنْ » كما روى من قوله عليه

---

(١) ش : « قد » .
(٢) ش : « ليست » بطرح الواو .

الصلاة والسلام : «كما تكونوا يولَّى عليكم » ، ذكره ابنُ الحاجب . والمعروف فى الرواية : « كما تكونون » . انتهى .

قال الدماميني معترضاً على دليله فى الأوّل : لا مانع من عطف أن الناصبةِ وصِلتها على أن المخفَّفة وصلتها ، إذ هو عطفُ مصدر على مصدر ولا يمنعه أحَد ، كما تقول : عندى أن لا تسىءُ إلى أحد وأن تحسنَ إلى عدوِّك ، برفع تسىءُ .

واعتذر عنه الشُّمُنِّيُّ بأَنَّ المراد بالدليل هنا ما يُفيد الظنَّ والرُّجْحان وليس المراد أَنَّ ذلك دليلٌ من جهة امتناع عطف أن الناصبة وصلتها على أن المخففة وصلتها ، ومن جهة أَنَّ الظاهر أَنَّ الثانية من نوع الأُولى ، والثانية ليست خفيفةً ، فكذا الأُولى .

وقال الدماميني فى دليله بالحديث : لا حاجة إلى جعل ما ناصبه حملاً على أُختها أَنْ ، فإنَّ فيه إثباتَ حكمٍ لها لم يثبت فى غير هذا المحلِّ ، بل الفعل مرفوع ونون الرفع محذوفة . وقد سُمع ذلك نظماً ونثراً . قال الشاعر :

* أَبيت أَسرى وتبيتى تدلكى[1] *

أَى : وتبيتين تدلكين . وخرَّج على ذلك مارُوى عن أَبى عمرو : ﴿ قالوا ساحران تَظَّاهرَا[2] ﴾ بتشديد الظاء ، أَى أَنتما ساحران تتظاهران ،

---

(١) رجز مجهول القائل . انظر معجم شواهد العربية ٥١٥ .

(٢) الآية ٤٨ من القصص . والمراد بالساحرين : موسى وهارون ، أو موسى ومحمد ، أو عيسى ومحمد . ونسبة هذه القراءة إلى أبي عمرو لم ترد فى الإتحاف أو تفسير أبي حيان ، وإنما نسبت فى تفسير أبي حيان ٧ : ١٢٤ إلى محبوب عن الحسن ، ويحيى بن الحارث الذمارى ، وأبي حيوة ، وأبي خلاد عن اليزيدى . ونسبت فى القراءات الشاذة لابن خالويه ص ١١٣ إلى يحيى الذمارى . وقال ابن خالويه : « تشديده لحن لأنه فعل ماض ، وإنما تشدد فى المضارع » ورد عليه أبو حيان بقوله : « وله تخريج فى اللسان ، وذلك أنه مضارع حذفت منه النون ، وقد جاء حذفها فى قليل من الكلام وفى الشعر » .

فحذف المبتدأ أو أُدغمت التاءُ فى الظاءِ وحذفت نون الرفع . وفى الحديث : « لا تَدخُلوا الجنَّةَ حتَّى تؤمنوا ، ولا تؤمنوا حتَّى تَحَابُّوا »، فحذف النون من الفعلين المنفيَّين . فعليه يخرَّج « كما تكونوا » إن ثبتَ . ولا حاجة إلى ارتكاب أَمرٍ لم يثبت .

ولم يهتد أَبو البقاءِ لمرادِ الزَّمَخْشرىّ فى تشبيه أن بما .

قال تلميذه الإمام الأَندلسى (فى شرح المفصَّل) : قال أَبو البقاءِ : إن أَراد تشبيه أَن بما النافية فهو تشبيهٌ بعيد ، لأَنَّ أَن تقرآن فى الشعر إيجاب فهو ضدٌّ للنفى . وتشبيهُ الإثبات بالنفى بعيدٌ خصوصاً فى باب العمل والإلغاءِ . وإن أَراد بما الزائدة فهو أَقرب ، ويؤيِّد ذلك قراءة ابن مجاهد : ﴿ لمن أَراد أَن يتمُّ الرَّضاعة[1] ﴾ .

ثم قال : قلت ماذكره شيخنا خالٍ عن التحقيق ، بل المشبَّه بها ههنا ما المصدرية ، فى أَنَّها تطلب [صِلة[2]] وتقدَّر معها تقديرالمفرد ، فتقسيم الشيخ ضائع . ومن أَراد إبطال شىءٍ بالتقسيم فطريقُهُ أَن يحصُر الأَقسام بـأَسْرها ، ثم يُبطلَ قسماً قسما . والشيخ لم يفعل ذلك . واستدلالُه أَيضاً بقراءة ابن مجاهد على أَنَّها زائدة عجيب ، والأَجود أَن يقال : إنَّها فى البيت مفسِّرة بمعنى أَى ، وتكون تفسيراً للحاجة المذكورة فى البيت المتقدِّم . انتهى كلام الأَندلُسِىّ .

وهذا تخريجٌ ثالث للبيت ، تبعه جماعةٌ ، فجعلوا أَنْ تقرآن تفسيراً لحاجةٍ .

قال الشارح المحقق فى آخر الكتاب أَنْ لا تفسَّر إلَّا مفعولاً مقدَّرَ

---

(١) الآية ٢٣٣ من البقرة .

(٢) تكلة يفتقر إليها الكلام .

٥٦٢ اللفظ ، دالاًّ على معنى القول مؤدّياً معناه . وقد تفسِّر المفعول به الظاهر كقوله تعالى: ﴿ إِذْ أَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّكَ مَا يُوحَى . أَنِ اقْذِفِيهِ[1] ﴾ . انتهى .

ولا يخفى أنَّ الحمل ليس فيه معنى القول ، فلا يجوز جعل أنْ تفسيرية . فتأَمَّلْ .

وقوله: « ياصاحبيَّ فدَتْ نفسى» إلخ الجملة الدعائية ــ وهى فدت نفسى إلخ ، والجملة الشرطيّة المراد بها الدُّعاءُ أيضاً وهى المصراع الثانى ــ وقع الاعتراضُ بهما بين قوله ياصاحبي وبين قوله « أن تحملا » . وأنْ تحملا فى تأْويل مصدرٍ إمّا منصوبٍ بفعل مقدَّر هو المقصود بالنداءِ ، تقديره : أَسأَلكما أن تحملا ، أى حَمْلَ حاجة لى . وإمَّا مجرور بلام محذوفة مع فعلٍ يدُلّ على النداءِ ، أَى أُناديكما أَو أَدعوكُما لأَنْ تحملا . ويجوز أَن يكون مفعولاً لأَجله وعامله محذوفٌ يدلُّ عليه الدُّعاءُ لهما ، وتقديره : أَدعو لكما لأَجل حملكما حاجةً لى . وعلى هذا لا اعتراض فى الكلام ، ويكون المقصود بالنداءِ هو الجملة الدعائية .

و « المَحْمَل » بفتح الميمين : مصدر ميمى بمعنى الحمل . وعطف اليد على النِّعمة تفسيرىٌّ .

وروى شارح اللُّباب وغيرُه :

* تستوجبا مِنَّةً عندى بها وَيَدا *

وهذا يقتضى أَن يكون قوله : «أَن تحملا» شرطاً ، و« تستوجبا » جوابه . فإنْ على هذا إما مكسورة وإمّا مفتوحة وهى حرف شرط كالمكسورة ، وهو مذهب الكوفيِّين ، وتبعهم الشارح المحقق وابنُ هشام (فى المغنى) .

---

(١) الآية ٣٩ من سورة طه .

وقوله: « أنْ تقرآن » هو إمّا بدل من قوله حاجة، وإمّا خبر مبتدإ محذوف، أى هى أن تقرآن. والجملة استئنافٌ بَيانىٌّ. كذا فى شرح اللباب وغيره. وقال ابن المستوفى: هو بدلٌ من قوله أن تحملا. وإن كان أنْ تفسيريّةً فلا محلَّ لما بعدها من الإعراب.

قال الزمخشريُّ (فى أساس البلاغة): يقال: اقرأْ سلامى على فُلانٍ، ولا يقال: اقرأْه منِّى السلام. انتهى.

ووجهُه أنَّ قرأَ يتعدَّى إلى مفعول واحدٍ بنفسه، وإلى المبلَّغ إليه بعلى. وهذا مذهب الأَصمعىّ، قال صاحب المصباح: قال الأَصمعى: وتعديته بنفسه خطأٌ، فلا يقال اقرأْه السلام، لأَنَّه بمعنى اتلُ عليه. وحكى ابن القطَّاع أنَّه يتعدى بنفسه رباعيًّا فيقال: فلانٌ يُقرِئك السَّلام. انتهى.

وما فى البيت جارٍ على كلام الأَصمعىّ، ولا مانعَ من تعلق منِّى بتقرآن كما فهمه ابنُ المُلاَّ من نقل كلام الزمخشرى؛ فإنَّ مراده أَنَّ قرأَ لا يتعدَّى إلى مفعولين بنفسه، ولا يمنع من تعلُّق « مِنِّى » به إذا كان مستعملاً على ما قاله. ويجوز أَن يكون « مِنِّى » حالاً من السلام.

و (أَسماءُ) من أَعلام النساء، ووزنه فَعْلاءُ لا أَفعال، لأَنَّه من الوسْم[1] وهو الْحُسن، فهمزته بدل من الواو.

وجملة (ويحكما) معترضة. ووَيْحَ: كلمة ترحُّم ورأْفة، وهو مصدرٌ منصوب بفعل واجب الحذف.

وهذه الأَبيات الثلاثة قلَّما خلا عنها كتابُ نحوٍ، ومع كثرة الاستعمال لم يعزُها أَحدٌ إلى شاعر. والله أَعلم.

* * *

(١) كذا فى النسختين. والوجه « الوسام » أو « الوسامة ».

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثالث والأربعون بعد الستمائة[1] :

٦٣٤ (كانَ جزائى بالعَصَا أَنْ أُجْلَدَا)

على أن الفرّاء استدل به على جواز تقديم معمول معمولِ أن المصدريَّة عليها[2] ، فإنَّ قوله (بالعصا) يتعلّق بقوله أُجلدا ، و (أُجْلَدَ) معمول أَنْ .

٥٦٢ وقال البصريون : معمولُ الصلة من تمام الصلة ، فكما لا يجوز تقديم الصِّلة على أَنْ ، كذلك لا يجوز تقدُّم معمولها عليها . وأجابوا عن هذا كما قال الشارح المحقق بأَنَّه نادر ، أَو هو متعلِّق بأُجلد مقدَّراً ، يُريد : بأَن أُجلد . فاختصر .

وزاد الشارح المحقق بأَنَّ قوله بالعصا خبرُ مبتدإٍ مقدَّر ، وتقديره ذلك الجزاءُ بالعصا ، والجملة اعتراضية.

وقال التبريزى[3] (فى شرح الحاجبية[4]) : لم يتعلَّق بالعصا بأَن أُجلد ، بل إمَّا بأَعنى للتبيين ، أَو بمثْلِ المؤخَّر ، أَو بجعل كان تامَّةً

(١) المحتسب ٢ : ٣١٠ والمنصف ١ : ١٣٠ ، ٢٩ / ٣ : ٢٠ وابن يعيش ٩ : ١٥١ والعينى ٤ : ٤١٠ والهمع ١ : ٨٨ / ٢ : ٣ والأشمونى ٣ : ٢٨٤ وملحقات ديوان العجاج ٧٦ ليبسك .

(٢) ش : « تقديم معمول أن المصدرية عليها » ، والصواب ما أثبت من ط ، فإن « بالعصا» معمول لأجلد الذى هو معمول أن المصدرية فى هذا الشاهد .

(٣) هذا التبريزى غير التبريزى المشهور ، أبى زكريا يحيى بن على الخطيب التبريزى ، المتوفى سنة ٥٠٢ . بل هو تاج الدين أبو محمد على بن عبد الله بن أبى الحسن الأردبيلى التبريزى المتوفى سنة ٧٤٦ . قال صاحب كشف الظنون ٢ : ٢٥٣ عند الكلام على شرحه : « وهو شرح كبير كشرح الرضى » . وانظر بغية الوعاة ٣٣٩ .

(٤) أى الكافية فى النحو لابن الحاجب .

وبالعصا متعلِّقاً بها ، وأَنْ أُجلَد فى موضع رفع على أَنَّه بدل من الجزاء . انتهى .

وقال أبو على (فى الإيضاح الشِّعرىّ) : لا يمتنع أن يتقدَّم على وجه التبيين ، ليس على أَنَّه متعلق بالصلة ، لم يجعلوا بالعصا متعلقا بالجَلْد ، ولكن جعلوه تبييناً للجلْد ، كقوله :

* أَبَعْلِىَ هذا بالرَّحا المتقاعسُ[1] *

وقوله تعالى : ﴿ وكانوا فيه من الزاهدين[2] ﴾ .

قال ابن جنى عند قول الحماسى[3] :

ولا يحمل القوْمُ الكرامُ أَخاهم الـ ـعتيدَ السِّلاحِ عنهمُ أَن يُمارِسا

أراد : فى تَرْكِهِ أَن يمارسَ ، فحذف « فى » أَوّلاً ، ثم « تَرْك » ، ومعناه أَن يمارس عنهم . إِلَّا أَنَّ إعرابه الآنَ يمنع من حمله عليه ، لما فى ذلك من تقديم بعض الصِّلة على الموصول . فإذا كان كذلك أضمر لحرف الجرِّ ما يتناوله ودلَّ عليه يمارس . ومثله قول العجاج :

* كان جزائى بالعصا أَن أُجلدَا *

وقال أيضاً بعده ، عند قول الحماسى من بيت :

* واللهُ أَعلم بالصَّمَّانِ ماجَشِمُوا[4] *

---

(١) للهذلول بن كعب العنبرى ، كما فى الحماسة ٦٩٦ بشرح المرزوقى . وانظر معجم شواهد العربية ١٩٧ . وصدره :

* تقول وصكت صدرها بيمينها *

(٢) الآية ٢٠ من سورة يوسف .

(٣) هو حسيل بن سجيح ، كما فى الحماسة ٥٧١ بشرح المرزوقى .

(٤) لمحرز بن المكعبر لضبى ، كما فى الحماسة ٥٧٣ بشرح المرزوقى . وصدره :

* حتى أتى علم الدهنا يواعسه *

المعنى والله أعلم : ماجَشِموا بالصَّمَّان . فإنْ حملتَه على هذا كان لحناً ، لتقديم ما فى الصِّلة على الموصول . لكنْ تجعلُه تبييناً فتعلِّقه بمحذوف يدلُّ عليه الظاهر . وهو بابٌ فاعرفه .

وقد تكلَّم على التبيين بأَبسَط من هذا (فى شرح تصريف المازنى) قال : إن كان على تقدير أَن أُجلد بالعصا فخطأٌ ، لأَنَّ الباءَ فى صلة أَنْ ، ومحالٌ تقديم شيءٍ من الصلة على الموصول ، ولكنَّه جعل الباءَ تبييناً ومثله قولُه تعالى : ﴿ وكانوا فيهِ من الزَّاهدين[1] ﴾ فلمَّا قدِّم جعل تبييناً فأُخرج عن الصلة . ومعنى التبيين أَنْ تعلِّقه بما يدلُّ عليه معنى الكلام ، ولا تقدِّره فى الصلة ، لأَنَّ معنى البيت جلدى بالعصا . فإذا فعلتَ هذا سلم لك اللفظُ والمعنى ، ولم تقدِّم شيئاً عن موضعه الذى هو أَخصُّ بهِ ، ولا يجوز إزالتُه عنه . وليس يمتنع أَن يكون تفسير المعنى مخالفاً لِتقديرِ الإِعرابِ . أَلا ترى أَنَّ معنى قولهم : «أَهلَكَ والليل» ، معناه الحقْ بأَهلك قبل الليل ، وإنَّما تقديره فى الإِعراب : الحقْ بأَهلك وسابق الليل . فكذلك أَيضاً يكون معنى الكلام كان جزائى أَن أُجلد بالعصا ، وتقديره فى الإِعراب غير ذلك . وسيبويه كثيراً ما يميل فى كلامه على المعنى ، فيتخيَّل مَن لا خبرة له أَنَّه قد جاءَ بتقدير الإِعراب ، فيحمله فى الإِعراب عليه وهو لا يدرى ، فيكون مخطئاً وعنده أَنَّه مصيب ، فإذا نوزع فى ذلك قال : هكذا قال سيبويه وغيرُه . فإذا تفطَّنت لهذا الكتاب وجدتَه كثيرًا . وأَكثر ما يستعمله فى المنصوبات فى صدر الكتاب ، لأَنَّه موضعٌ مشكلٌ وقلَّما يُهتدَى له . انتهى .

---

(١) الآية ٢٠ من سورة يوسف .

والبيت للعجاج ، كما قاله ابن جنى . وقبله :

ربَّيتُه حتَّى إذا تمعْدَدا وآض نَهْداً كالحصان أَجرَدَا

كان جزائى . . . إلخ .

قال ابن جنى (فى شرح التصريف) : تمعدَد من لفظ معدٍّ بن عدنان وإنَّما كان منه لأَنَّ معنى تمعدد تكلَّم بكلام مَعدٍّ، أى كبر وخَطَب[1] . هكذا قال أبو على . ومنه قول عمر : « اخشَوشِنوا وتمعدَدُوا » . قال أحمد بن يحيي : تمعددُوا ، أى كونوا على خُلُق معدّ . انتهى .

٥٦٤

وأورده الجوهرى فى (عدد) ، ونقل الخلاف فى مِيمه وقال: تمعدد الرجل أى تزيَّا بزيِّهم ، أو تنسَّب إليهم ، أو تصبَّر على عيش معدّ . وقال أبو عبيدٍ : فى أَثَر عمر قولان : يقال هو من الغِلظ ، ومنه قيل للغلام إذا شبّ وغُلظ : قد تمعدد . قال الراجز :

* ربَّيته حتى إذا تمعددا *

ويقال معناه تشبَّهوا بعَيْش معدٍّ . وكانوا أهلَ قَشَف وغلظ فى المعاش . يقول : فكونوا مثلهم ودَعُوا التنعُّم وزىَّ العجم . قال : وهكذا هو فى حديث آخر: « عليكم باللِّبْسة المعدِّيّة » .اهـ .

وقال ابن دريد (فى الجمهرة): التمعدد: الشدَّة والقُوّة . وأنشد هذا الرجز ثم قال : والمِعدة من هذا اشتقاقُها . ومَعْدان : اسم رجلٍ أَحسب اشتقاقه من المعدة . اهـ .

وقوله: « وآض نَهدًا » إلخ ، آض بمعنى صار . والنَّهْد ، بفتح النون وسكون الهاءِ : العالى المرتفع . والحِصان ، بكسر الحاءِ ، هو الذكر من الخيل . والأَجرد ممَّا تُمدَح به الخيل ، ومعناه القصير الشَّعَر .

---

(١) فى المنصف ٣ : ٢٠ : « خطب وكبر » .

والعجّاج تقدّمت ترجمته في الشاهد الحادي والعشرين من أوائل الكتاب [١] .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الرابع والأربعون بعد الستمائة [٢] :

٦٤٤ (وشفاءُ غَيِّكِ خابرًا أن تسأَلي)

على أنَّ تقدُّم خابرًا على أنْ نادر ، أو هو منصوب بفعل يدلُّ عليه المذكور ، والتقدير : تسأَلين خابرًا .

ولم يذكر التخريج الثانيَ في البيت الذي قبله ؛ لأَنَّه لا يتأَتَّى هنا ، فإنَّ خابراً منصوب .

قال ابن السرّاج (في الأُصول) : ولا يجوز عند الفراءِ إذا قلت أَقوم كي تضرب زيداً : أَقوم زيداً كي تضرب . والكسائُّ يُجيزه ، وينشد :

* وشفاءُ غَيِّكِ خابراً أَن تسالى *

وقال الفَرَّاءُ : خابرًا حالٌ من الغيّ . ا هـ .

ونقله صاحبُ اللباب فقال : ولا يجوز : قمتُ زيداً كي أَضرب ، كما لا يجوز : أُريد زيدًا أن أَضرب ، خلافاً للكسائيّ . وقولُه :

* وشفاءُ غَيِّكِ خابرًا أن تسالى *

---

(١) الخزانة ١ : ١٧٠ . وفي ش : « الواحد والعشرين » .

(٢) الحماسة البصرية ٢ : ٣٧ مع نسبته إلى امرأة من سليم . وفي الأغاني ١٩ : ٩٣ قصيدة طويلة منسوبه إلى ربيعة بن مقروم منها هذا الشاهد . وهناك أبيات من الروى والعروض، ليس منها هذا البيت في الحماسة بشرح المرزوقي ٦١ — ٦٧ .

ممَّا يعضد مذهبَه . والفراءُ يجعل المنصوب حالاً من الغى على ماحكاه ابن السَّرَّاج . اهـ .

وقول الفراءِ فى البيت لا وجهَ له ، فإنَّ خابرًا اسمُ فاعل من خبرته أخبُره ، من باب نصر ، خُبراً بالضم ، إذا عَلِمته . وهو بالخاءِ المعجمة والباءِ الموحَّدة . فالخابر : العالم . و (الغىّ) بفتح الغين المعجمة : مصدر غوى غَيًّا ، من باب ضرب ، أى انهمَكَ فى الجهل ، وهو خلاف الرُّشد ، والاسم الغَوَاية بالفتح .

والمصراع عجزٌ وصدره :

(هلَّا سألتِ وخُبْرُ قَومٍ عندَهم وشفاءُ غَيِّكِ خابرًا أن تسألى[1])

وبعده :

(هَل نكرم الأَضيافَ إن نزلوا بنا ونَسُود بالمعروف غيرَ تنحُّلِ)

فلا يمكن تخريج البيت إلاَّ على ما ذكره الشارح المحقق أو الكسائى .

ولا يصحُّ جعل خابرًا حالاً من الغى ولا من الكاف ، فإنَّ الغىَّ لا يتَّصف بالخُبْر ، إذْ هو ضدُّه . وكذلك المخاطبة لا تتَّصف به لأَنَّها متَّصفة بالغى، ولعدم قوله خابرة بالتأْنيث .

٥٦٥ وقد تصحَّف على شارح اللباب لفظتان منه : الأُولى : الغَىُّ تصحَّفت عليه بالعَين المهملة المكسورة . والثانية : قوله خابرًا ، تصحَّفت عليه بجابر بالجيم ، فإنَّه قال بعد عبارة اللباب : هكذا ذكره المصنِّف ، وفيه نظر :

أَمَّا أَوّلاً فلأَنَّه يتعلق بالقصَّة ، فإن كان جابرٌ اسمَ رجل فالحقُّ ماذكره

(١) البيت شديد التحريف فى الحماسة البصرية . والبيت الذى بعده، وهما بيتان اثنان فقط ، سيأتى قريباً فى ص ٤٣٥ .

الكسائى ، وإن لم يكن اسم رجل جاز أن يكون فاعلاً من الجبر ، فالحقُّ ما ذكره الفراء . وإن كان مجهولَ الحال احتمل الوجهين .

وأما ثانياً فلأنَّ وصف الشفاءِ بالجبر كان أولى من وصف العِيّ به ، فإنَّ العِيَّ والعجز ليس سبب الجبْر والصَّلاح ، بل هو سبب الاختلال ، والشِّفاءُ والخلاص عَن العِيّ هو الجابر للاختلال . فلعلَّ تأْويله أنَّ العِيّ سببُ السؤالِ والحاملُ عليه ، والسؤالَ سببُ الشفاءِ والجبر . فجاز أن يُجعل العيُّ شافيًا ، إسنادًا للأَثر إلى سبب السبب .

هذا كلامه ، وهو فى هذا معذورٌ، لأَنَّه لم يقف على أصل الشعر .

وقد أورد البيتَ بمصراعيه ابنُ الأَنبارىِّ والقالىُّ (فى تأْليفِهما فى المقصور والممدود) . شاهدًا للممدود المكسور أَوَّلُه ، وهو الشِّفاءُ .

ورأيت (فى الحماسة البصرية) : قالت امرأة من بنى سُليم :

هلاَّ سألتِ خبيرَ قَومٍ عنهمُ وشفاءُ عِلْمكِ خابرًا أن تسالى
يُبدى لكِ العلمَ الجلىَّ بفهمه فيلوحُ قبل تفكُّرٍ وتأَمُّلِ

ومثل البيتين الأَوَّلين فى المعنى وغالبِ اللفظ ، قولُ سَعْيَةَ بنِ عُرِيضٍ[1] من يهود خيبر :

إن تسأَلى بى فاسأَلى خابرًا فالعلم قد يُلفَى لدى السائلِ
يُنبيكِ من كان بنا عالماً عنَّا ، وما العالِمُ كالجاهلِ

---

(١) فى النسختين : « سعيد بن العريض » ، تحريف . وهو بفتح السين المهملة والياء المثناة التحتية ، كما فى الروض الأنف للسهيلى ١ : ١٤٢ وابن الأثير فى أسد الغابة ١ : ٦٩ — ٧٠ ٢٤١ . وانظر ماأثبتناه فى شرح الأصمعيات ٨٢ — ٨٣ . وسعية هذا هو أخو السموءل المشهور بالوفاء . وسعية لم يدرك الإسلام ، ولكن أدركه ولداه : ثعلبة وأسد، وأسلما وحسن إسلامهما وتوفيا فى حياة رسول الله .

صاحب الشاهد

وبيت الشاهد من قصيدةٍ لربيعة بن مقرومٍ . وبعد ذينك البيتين :

أبيات الشاهد

(ونـحُلّ بالثَّغر المخوفِ عدوُّه ... ونردُّ خالَ العارض المتهلِّلِ
ونُعينُ غارمَنا ونمنعُ جارَنا ... ويزينُ مولًى ذكرُنا فى المحفلِ
وإذا امرؤٌ منَّا جنَى فكأنَّه ... مما يَخافُ على مناكبِ يَذبُلِ
ومتى يقمْ عند اجتماع عشيرةٍ ... خطباؤنا بين العشيرة يَفصلِ(١)
وإذا الحَمَالةُ أثقلت حُمَّالَها ... فعلى سوائِمنا ثقيلُ المَحمِلِ
ويحقُّ فى أموالنا لِحَرِيبِنا ... حقٌّ ننوءُ به وإن لم نُسألِ(٢))

ومن هذه القصيدة :

(ولقدشهِدتُ الخيلَ عندطِرادها ... بسليمِ أوظفةِ القوائم هيكلِ
متقاذفٍ شَنِجِ النَّسا عَبْلِ الشوى ... سبَّاقِ أندية الجياد عَميثْلِ(٣)
لولا أكفكِفُه لكاد إذا جرى ... منه الشَّكيمُ يدقُّ فأْس المِسْحَلِ
وإذا جرى منه الحميمُ رأيتَه ... يَهوى بفارسه هَوىَّ الأَجدلِ
وإذا تُعلَّل بالسِّياط جيادُها ... أَعطاك نائبةً ولم يتعلَّلِ
ودعَوْا نَزَالِ فكنتُ أَوَّلَ نازلٍ ... وعلام أَركبُه إذا لم أَنزلِ
ولقد جمعت المالَ من جمع امرئ ... ورفعتُ نفسى عن لئيم المأْكلِ
ودَخلت أَبنيةَ الملوك عليهمُ ... ولشرُّ قولِ المرءِ مالم يَفعلِ
وأَلدَّ ذى حنَقٍ علىّ كأَنَّما ... تغلى عداوةُ صدره فى مِرجلِ

٥٦٦

---

(١) ط : « خطابنا » ، وأثبت مافى ش مع أثر تصحيح والأغانى .

(٢) فى الأغانى : « ونحق فى أموالنا لحليفنا حقاً يبوء به » . والحريب هنا : المسلوب ماله .

(٣) فى الأغانى : « أبدية الجياد » .

أَوْجَيْتُه عنى فأبصَرَ قصدَه ... وكويته فوقَ النَّواظرِ من عَلِ[1]
وأَخى محافظةٍ عَصَى عُذَّاله ... وأَطاع لذَّته مُعِمٍّ مُخولِ
هَشٍّ يَرَاحُ إلى الندى نبَّهتُه ... والصُّبحُ ساطعُ لونه لم يَنجَلِ
فأَتيت حانوتًا به فصَبَحْتُه ... من عاتقٍ بمزاجها لم تُقتَلِ
صهباءَ صافيةِ القذى أَغلَى بها ... يَسَرٌ كريمُ الخِيم غير مبخَّلِ
ولقد أَصبتُ من المعيشةِ لِينَها ... وأَصابنى منه الزَّمانُ بكلكلِ
فإذا وذاك كأَنَّه مالم يكن ... إلَّا تذكُّرُه لمن لم يجهلِ
ولقد أَتت مائةٌ علىّ أَعُدُّها ... حَولاً فَحوْلاً لوْ بلاها مبتلى[2]
فإذا الشباب كمِبذَلٍ أَنضيتُه ... والدَّهر يُبلِى كلَّ جِدَّةٍ مِبذلِ)

ومن هذه القصيدة فى وصف امرأة ، روى صاحب الأَغانى بسنده إلى الهيثم بن عدىٍّ ، عن حمّادٍ الراوية قال :

دخلت على الوليد بن يزيد وهو مصطبحٌ ، وبين يديه مَعبدٌ، ومالك ، وابن عائشة ، وأبو كامل ، وحكمٌ الوادىُّ ، وعُمَر الوادىُّ ، يغنُّونَه ، وعلى رأْسه وصيفةٌ تَسقيه ، لم أَر مثلها تماماً وكمالاً وجمالاً ، فقال لى : يا حمَّاد ، إنى أَمَرت هؤلاءِ أَن يغنُّوا صوتاً يوافقُ صفة هذه الوصيفة ، وجعلتُها لمن وافق صفتَها نِحلةً[3] ، فما أَتانى واحدٌ منهم بشىء ،

(١) فى الأغانى : « أرجيته » بالراء . وقال المرزوقى : « ذكر بعض المتأخرين ، فى أرجيته ، أن الرواية الصحيحة : أوجيته ، وما عداه تصحيف . قال : وهو أفعلته من الوجى. وإنما أوجب ذلك ليكون لفق قوله بزعمه : وكويته» .

(٢) بلاها : اختبرها فعرفها . وفى ط : « لابلاها » ، تحريف . صوابه فى ش . وفى الأغانى : « إن بلاها » .

(٣) النحلة ، بالكسر : الهبة والعطية .

فأَنشِدنى أَنت ما يوافقُ صفتَها وهى لك . فأَنشدته قول ربيعة بن مقروم الضَّبِّىّ :

شماءُ واضحة العوارضِ طَفلةٌ ... كالبدر من خَلَل السحاب المنجلِى
وكأَنَّ فاهاً بعد ماطرقَ الكرى ... كأْسٌ تُصفَّق بالرَّحيق السَّلسلِ
لو أنَّها عرضَت لأَشمطَ راهبٍ ... فى رأس مشرفةِ الذُّرَى، متبتِّلِ [1]
لصبَا لبهجتها وطِيبِ حديثها ... ولهمَّ من ناموسِهِ بِتنزُّلِ

فقال الوليد : أَصبتَ وصفها فاخترْها أَو أَلفَ دينارٍ. فاخترت الأَلفَ الدِّينار [2] .

وهذه القصيدة من فاخر الشعر وجيِّده . فمن مختارها ونادرها قوله :

بل إن تَرَىْ شَمَطًا تَفرَّعَ لمَّتى ... وحَنَى قناتى وارتقى فى مِسْحلى [3]
ودَلفت من كبرٍ كأَنِّى خاتلٌ ... قَنَصًا ومن يَدْبِبْ لصيدٍ يختِلِ
ولقد أُرَى حَسَنَ القناةِ قويمَها ... كالنَّصل أخلصَه جِلاءُ الصَّيقلِ [4]

ربيعة بن مقروم

وربيعة هو ابن مقروم بن قيس بن جابر بن خالد بن عَمرو بن غَيْظ بن السِّيد بن مالك بن بكر بن سعد بن ضبَّة بن أُدّ بن طابخة ابن الياس بن مضر بن نزار .

---

(١) بين هذا البيت وتاليه فى الأغانى ١٩ : ٩٢ :
جآر ساعات النيـــــام لربه ... حتى تخدد لحمه مستعمـــل
(٢) فى النسختين : « الألف دينار » ، صوابه فى الأغانى ، لعدم جواز إضافة مافيه أل إلى ماهو نكرة . وانظر الأشمونى ٢ : ٢٤٥ والهمع ٢ : ٤٨ .
(٣) فى ط والأغانى : « شمطاء تفرع » صوابه فى ش . والشمط : بياض الرأس يخالط سواده . تفرعها : علاها . والمسحل : واحد المسحلين ، وهما جانبا اللحية . وفى النسختين والأغانى أيضاً : « مسحل » ، ووجه كتابتها بالياء كما أثبت .
(٤) الأبيات من أصوات الأغانى ١٩ : ٩٢ ولها رابع فى الأغانى :
أزمان إذ أنا ، والجديد إلى بلى ... تصبى الغوانى ميعتى وتنقــلى

وهو شاعرٌ مخضرم أَدرك الجاهلية والإسلام ، وكان ممَّن أَصفقَ عليه كسرى[١] ثم عاش فى الإسلام زماناً[٢] . كذا فى الأَغانى .

وزاد على هذا ابن الانبارى (فى شرح المفضليات) : وهو مُسْلمٌ وشهد القادسيَّة .

٥٦٧ وزاد ابن قتيبة (فى كتاب الشعراء): شهد القادسية وجَلولاءَ . وهو من شعراءِ مضر المعدودين .

وقد ذكره ابن حجر (فى قسم المخضرمين من الإصابة) ونقل عن المرزُبانىّ[٣] أَنَّه قال : كان ربيعة بن مقروم أَحَدَ شعراءِ مضر فى الجاهلية والإسلام ، ثم أَسلم وشهد القادسية وغيرَها من الفتُوح ، وعاش مائة سنة .

وأما البيتان الأَخيران فهما من قصيدة جيِّدة أَيضا لسَعْيَة[٤] بن عُرَيض اليهودى الخَيْبرىّ ، وهو أَخو السموءَل بنِ عُرَيض بن عادِياء ، الذى يضرب به المثل فى الوفاء . وأَوَّل القصيدة :

لُبَابُ يا أُختَ بنى مالكٍ لا تَشترى العاجلَ بالآجلِ
لُبابُ هل عندكِ من نائلٍ لعاشق ذى حاجة سائلِ
عَلَّلتِهِ مِنكِ بما لم يَنَلْ يا رُبَّما عَلَّلتِ بالباطلِ

(١) إشارة إلى يوم الصفقة الذى نكل فيه كسرى ببنى تميم،فأخذ أموالهم وسبى ذراريهم بمدينة هجر من أرض البحرين ، لأنهم كانوا قد أغاروا على لطيمة له فيها مسك وعنبر وجوهر كثير ، فسميت تلك الوقعة يوم الصفقة . وانظر خبر اليوم فى ياقوت (الصفقة) والعقد ٥ : ٣٢٤ والأغانى ١٦ : ٧٥ / ٢٠ : ١٣٥ والعمدة ٢ : ١٦٩ والميدانى ٢ : ٣٥٣

(٢) ش : « ثم عاش زماناً » .

(٣) ط ، ش : « المرزبان » ، صوابه فى الإصابة .

(٤) فى النسختين : « لسعيد » ، صوابه ما أثبت . وانظر ماسبق فى حواشى ٤٣٥ .

لُبابُ داوِيني ولا تقتُلى قد فُضِّل الشافى على القاتلِ
إن تسأَلى بى فاسأَلى خابرًا فالعلمُ قد يُلفَى لدى السَّائلِ
يُنبيكِ من كان بنا عالماً عنَّا ، وما العالمُ كالجاهلِ
إنَّا إذا جارَت دَوَاعى الهوَى وأَنصتَ السامعُ للقائلِ
واعتلج القوُم بأَلبابهم فى المنطق الفائلِ والفاصل[1]
لا نجعل الباطلَ حقًّا ولا نُلِطُّ دُونَ الحقِّ بالباطلِ
تخاف أَن تَسفَه أَحلامُنا فنخْمُلَ الدَّهرَ مَع الخاملِ

روى صاحب الأَغانى بسنده إلى العتبى قال : كان معاوية يتمثَّل كثيراً إذا اجتمع الناس فى مجلسه بهذا الشعر :

* إنَّا إذا مالت دواعِى الهوى *

الأَبيات الأَربعة :

روى أَيضاً بسنده إلى يوسف بن الماجِشون قال : كان عبد الملك ابن مروان إذا جلسَ للقضاءِ بين الناس أَقامَ وصيفاً على رأْسه ينشده :

إنَّا إذا مالت دَواعى الهوى وأَنصتَ السامعُ للقائلِ
واصطرعَ القومُ بأَلبابهم نقضى بحكمٍ فاصل عادِلِ

مع البيتين الآخرين، ثم يجتهد عبدُ الملك فى الحقِّ بين الخَصمين[2] .

* * *

وأَنشد بعده ، وهو الشاهد الخامس والأَربعون بعد السمّائة[3] :

٦٤٥ (يرجِّى المرءُ مالا أَن يُلاقِى وتَعِرضُ دونَ أَدناه الخُطوبُ)

---

(١) الفائل : الخاطىء الضعيف . فال يفيل فيولا وفيالة وفيلولة .
(٢) الأغانى ١٩ : ١٠١ .
(٣) نوادر أبى زيد ٦٠ ومغنى اللبيب ٢٥ وشرح شواهد المغنى ٣٢ والتصريح ٢ : ٢٣ والهمع ١ : ١٢٥ .

على أنَّ الخليل قال : أَصل لَنْ : لا أَن ، كما جاءت فى البيت ، على أَصلها ، بدليل أَنَّ المعنى فيهما واحد ، فحذفت الهمزةُ تخفيفًا لكثرة الاستعمال ، كما حذفت من قولهم : ويْلُمِّه ، والأَصل ويلُ أُمِّه ، فلما حذفت الهمزة التقى ساكنان : أَلفُ لا ونون أَن ، فحذفت الأَلف لدفع التقاءِ السا كنَين ، فصار : لَنْ .

وهذا مذهب الكسائى أَيضاً . وردَّه سيبويه بما ذكره الشارح المحقّق .

والمشهور فى رواية البيت :

* يرجِّى المرءُ ما إن لا يلاقى *

بتقديم إن المكسورة الهمزة على لا ، وهى زائدة .

وبه استشهد صاحب الكشّاف والقاضى البيضاوىُّ عند تفسير قوله تعالى : ﴿ ولَقَدْ مَكَّنَّاهُم فِى مَا إن مَكَّنَّاكُمْ فيه[1] ﴾ على أَن إن فى الآية صلة كما فى البيت . ٥٦٨

ومثله لابن هشام (فى المغنى) قال : وقد تزاد إن بعد «ما» الموصولة الاسميّة . وأَنشد البيت .

ولم يذكر الزمخشرى (فى المفصل) زيادة إن هذه إلَّا بعد ما النافية ثم قال : وقد يقال : انتظِرْنى ما إن جلس القاضى ، أَى مُدَّةَ جلوسه .

وصرَّح ابن الحاجب بقلّتها بعدها .

وهذه الرواية هى رواية أَبى زيد وابن الأَعرابىّ (فى نوادرهما) ، وأَنشداه بين بيتين ، والأَصل :

(فإن أُمسِك فإنَّ العيش حلْوٌ   إلىَّ كأَنّه عسلٌ مَشوبُ

(١) الآية ٢٦ من سورة الأحقاف .

يرجِّى العبدُ ما أَن لا يراه   وتَعرِضُ دون أَدناه الخطـوبُ
وما يدرى الحريصُ علامَ يُلقِى   شَراشِرَه أَيخطئُ أَم يصيبُ)

قال أَبو زيد : قوله : إلىَّ فى معنى عندى . والشَّراشِر : الثِّقْل ثِقْل النفس . انتهى

وقال [أَبو] الحسن الأَخفش (فى شرح نوادر أَبى زيد) : وروى أَبو حاتم : « مالا إن يلاقى » بتأْخير إن المكسورة الهمزة . وروايةُ « ما إن لا يلاقى » بتقديم إن المكسورة غلط ، والصواب : « ما أَن لا يلاقى » ، بفتحها ، وهى زائدة ، تزاد فى الإيجاب مفتوحة ، وفى النفى مكسورة[1] . تقول : لمَّا أَن جاءَنى زيدٌ أَعطيته ، قال الله تعالى : ﴿ فلمَّا أَن جاءَ البَشِير[2] ﴾ . وتقول فى النفى : ما زيد منطلقاً ، فإذا زدت إن قلت ما إن زيد منطلق ، فإنْ كافَّةٌ لما عن العمل . ونظير هذا قولك : إنَّ زيداً منطلق ، ثم تقول : إنَّما زيد منطلق ، فكفَّت ما الزائدة إنَّ عن العمل كما كفت إنْ ما النافيةَ . وهذا تمثيلُ الخليل . فلمَّا قال « ما أَن لايلاقى » فنظر إلى ما ، الذى روى هذه الرواية ، ظَنَّها[3] النافية . وهذه بمعنى الذى فلا تكون أَن بعدها إلَّا مفتوحة . ورواية أَبى حاتم : « ما لا إن يلاقى » صحيحة ، لأَنَّ لا فى النفى بمنزلة ما ، وإن كانت إن لا تكاد تزاد بعد لا . انتهى .

وهذا خلافُ ما نقله الشارح المحقِّق عن الخليل ، وهو المخطئُ فى النَّقل والتَّخطئة . ودعواه أَنَّ إن المكسورة لا تزاد بعد ما الموصولة مردودة

---

(١) فى النوادر : « وإن زائدة ، وهى تزداد فى الإيجاب مفتوحة وفى النفى مكسورة » . وكلمة « تزاد » ساقطة من ش .

(٢) الآية ٩٦ من سورة يوسف .

(٣) ط : « فظنها » صوابه فى ش والنوادر ٦١ .

فإنَّها تزاد بعد ما المصدرية وغيرها أيضاً . قال ابن عصفور (فى كتاب الضرائر) : ومن زيادة إن المكسورة الهمزة فى الضرورة قولُ الشاعر ، أنشده سيبويه :

ورجِّ الفتى للخَيْر ما إن رأيتَه   على السنِّ خيرًا لا يزالُ يزيدُ[1]

فزاد إن بعد ما المصدرية وليست بنافيةٍ ، تشبيهاً لها بما النافية . ألا ترى أنَّ المعنى : ورجِّ الفتى للخير مدَّة رؤيتك إيَّاه لا يزال يزيدُ خيرًا على السِّنّ . لكن لمَّا كان لفظُها كلفظ ما النافية زادها بعدها ، كما تزاد بعد ما النافية ، فى نحو قولك : ما إن قام زيد . وقولِ الآخر أنشده أبو زيد :

يرجى المرءُ ما إن لا يلاقى ...... البيت

فزاد إن بعد ما ، وهى اسم موصول ، لشبهها باللفظ بما النافية . وقول النابغة فى إحدى الروايتين .

إلاَّ الأَواريَّ لا إن ما أُبيِّنُها ..... البيت

فزاد إن بعد لا لشبهها بما من حيث كانتا للنفى . وزعم الفرَّاءُ أنَّ لا وإن وما حروف نفى ، وأنَّ النَّابغة جمع بينها على طريق التأْكيد. انتهى.

وقال ابن هشام (فى المغنى) : وقد تزاد بعد ما الموصولة الاسمية وبعد ما المصدرية ، وأورد البيتين المتقدمين ، ثم قال : وبعد ألا الاستفتاحيّة :

ألا إنْ سَرَى ليلِى فبتُّ كئيبًا   أُحاذِر أَن تنأَى النَّوى بغَضُوبا[2]

(١) كتاب سيبويه ٢ : ٣٠٦ ومعجم شواهد العربية ١٠٣ وهو للمعلوط بن بدل .

(٢) المغنى ٢٢ وشرح شواهد المغنى ٣٢ والهمع ١ : ١٢٤ .

وقَبْلَ مَدَّةِ الإنكار ، سمع [سيبويه[١]] رجلا يقال له : أتخرج إن أخصبتِ البادية ؟ فقال : أنا إنيه ! منكرًا أن يكون رأيه على غير ذلك[٢] . انتهى

وقوله : « فإن أمسِكْ فإنَّ العيش حُلوٌ » الخ ، أمسك مضارع أمسَكَ . قال صاحب المصباح : أمسكته بيدى إمساكاً : قبضته باليد . وأمسكت عن الأمر : كففت عنه . وأمسكَ اللهُ الغيثَ : حبسه ومنَع نزوله . انتهى .

ولم يذكر الشاعر صلة أُمسك ، فمعناه متوقِّف على ما قبله . وقوله « مشوب » أى مخلوط بالماء . قال صاحب المصباح : شابه شَوبا : خلَطه ، مثل شَوْب اللبن بالماء ، فهو مشوب . والعرب تسمِّى العسل شَوْباً ؛ لأنَّه عندهم مزاجٌ للأشربة .

وقوله : « يرجِّى المرءُ » إلخ ، روى بدل المرءُ (العبدُ) وهو عبد الخِلْقة . ويرجِّى بمعنى يأْمُل ، وهو مبالغةُ رجاه يرجوه رُجُوًّا على فعول ، والاسم الرَّجاءُ بالمد . ورجَيْته أرجيه من باب رمى ، لغة . كذا فى المصباح .

وقد حذف العائد إلى ما الموصولة من قوله (لا يلاقى) ، والأصل لا يلاقيه ، وروى بدله : (لا يراه) ، فالهاءُ هى العائد .

و (تَعرض) إمَّا من عرضت له بسُوءٍ أى تعرَّضت ، من باب ضرب ، وبابُ تعب لغة . وفى النهى : لا تَعْرِض له بكسر الراءِ وفتحها ، أى لا تعترض له فتمنعه باعتراضك أن يبلغ مراده ؛ لأنَّه يقال سِرت فعَرض لى فى الطريق عارضٌ من جبل ونحوه ، أى مانع يمنع من المضىّ . واعترض

---

(١) التكملة من المغنى . وانظر سيبويه ١ : ٤٠٦ و ٢ : ٤٢٠ من نسختى .

(٢) فى سيبويه : « منكراً لرأيه أن يكون على خلاف أن يخرج » .

لى بمعناه . ومنه اعتراضات الفقهاءِ ، لأَنَّها تمنع من التمسُّك بالدَّليل . وإمَّا مِنْ عرضَ له أَمرٌ، إذا ظهر، من باب ضَرب أَيضاً . ويحتمل أَن تكون « تَعرُض » بضم الراءِ ، من عرُض الشيءُ بالضم عِرَضاً كعنب وعَراضةً[1] بالفتح : اتَّسع عَرضه وتباعَدَ حاشيتُه ، فهو عريض .

و (أَدناه) : أَقربه ، أَفعل تفضيل من الدنوِّ وهو القُرب .

(والخطوب) : جمع خطب . قال صاحب المصباح : والخطب : الأَمر الشديد يَنزِل ، والجمع خطوب ، مثل فلس وفلوس . انتهى .

وقيل الخطب هو الشَّأن والأَمر ، عظُم أَو صغر . وقال الدَّمامينى (فى الحاشية الهندية) : هو سَبَب الأَمر ، يقال : ما خطبك؟ أَى ما سببُ أَمرك الذى أَنت عليه . وغلب استعمالُ الخطوب فى الأُمورِ الشَّاقَّة الصَّعبة . انتهى .

جابر بن رألان

وهذه الأَبيات الثلاثة نسبها أَبو زيد إلى جابر بن رأْلان الطائى ، قال : وهو شاعرٌ جاهلى . وكذا نسبها ابن الأَعرابى (فى نوادره) ثم قال : ويقال إنَّها لإياس بن الأَرتِّ .

ورأْلان بالراءِ المهملة بعدها همزة ساكنة . وإياس بكسر الهمزة بعدها مثناة تحتية . والأَرتُّ بالمثناة ، قال صاحب الصحاح : الرُّتَّةُ بالضم : العُجمة فى الكلام. ووجلٌ أَرتٌّ بيِّن الرَّتَت، وفى لسانه رُتَّة، وأَرتَّه الله.

* * *

وأَنشد بعده ، وهو الشاهد السادس والأَربعون بعد الستمائة[2] :

٦٤٦ (إذَنْ لقَامَ بنصرى مَعشرٌ خُشُنٌ)

على أَن (إذن) تدخل فى الماضى كما فى البيت .

---

(١) ط : « وإعراضة » ، صوابه فى ش والمغنى وابن يعيش ١ : ٨٢ / ٩ : ١٣ ، ٦٩ -

(٢) الخصائص ٢ : ٢٧ وأمالى ابن الشجرى ٢ : ٢٨٨ وابن يعيش ١ : ٢/٩ : ١٣، ٦٩ والحماسة بشرح المرزوقى ٢٥ .

والمصراع من أبياتٍ فى أول الحماسة ، وقبله :

(لو كنتُ من مازن لم تستَبِحْ إبلِى بنو اللَّقيطة من ذُهْل بنِ شَيبانا
إذَنْ لقام بنصرى مَعشرٌ خُشُنٌ عند الحفيظة إنْ ذو لُوثَةٍ لانا)

قال الشارح المحقق بعد أسطر : إنَّ إذن متضمّنة لمعنى الشرط على ما حقَّقه . وإذا كانت بمعنى الشرط الماضى جاز إجراؤها مجرى لو فى إدخال اللام فى جوابها كما فى البيت . فجملة لقام إلخ جواب إذن ، كأنَّه قِيلَ : ولو استباحوا إبلى مع كونى من بنى مازن لقام بنصرى إلخ .

٥٧٠

وهذا مختار الشارح المحقِّق ومذهبُه فى إذن . وفيه ردٌّ على الإمام المرزوقى فى زعمه أنَّ قوله « لقام » جوابُ قسمٍ مقدَّر . قال : اللام فى لقام جوابُ يمين مضمَر ، والتقدير : إذن والله لقام بنصرى . وفائدة إذن هو أنَّ هذا البيت الثانى أُخرِجَ مُخرجَ جواب قائلٍ قال له : ولو استباحوا ماذا كان يفعل بنو مازن ؟ فقال : إذن لقام بنصرى إلخ . وإذا كان كذلك فهذا البيت جوابٌ لهذا السائل ، وجزاءٌ على فعلِ المستبيح . انتهى .

وفيه ردٌّ أيضاً لما قاله ابن جنى (فى إعراب الحماسة) قال : قوله : « إذن لقام » إلخ هو جوابُ قوله : « لو كنت من مازن » . فإن قلت : فقد أجاب لو هذه بقوله لم تستبح إبلى . قيل : قوله إذن لقام إلخ بدل من قوله لم تستبح إبلى ، وهذا كقولك: لو زرتنى لأكرمتك ، إذن لم يضعْ عندى حقٌّ زيارتك . انتهى .

وتبعه جماعة ، منهم ابن يعيش (فى شرح المفصل) قال : فإذن جوابٌ لقوله : لو كنت من مازن لم تستبح إبلى ، على سبيل البدل

من قوله لم تستبح[1] إبلى ، وجزاءٌ على فعل المستبيح . انتهى .

ومنهم ابن هشام (فى المغنى) قال : الأكثر أن تكون إذن جواباً لإن ، أولو ، ظاهرتين أو مقدَّرتين .

فالأوَّل كقوله[2] :

لئن عادَ لى عبدُ العزيز بمثلها وأمكننى منها إذَن لا أُقيلُها

وقول الحماسى : « لو كنتُ من مازن » البيتين . فقوله « إذن لقام » بدل من لم تستبح ، وبدل الجواب جواب .

والثانى : [فى[3]] نحو أن يقال آتيك ، فتقول : إذن أُكرمك ، أى إن أتيتنى إذن أُكرمك . وقال تعالى : ﴿ ما اتَّخذ اللهُ مِن ولَدٍ وما كانَ مَعَهُ مِن إلٰهٍ إذًا لَذَهبَ كلُّ إلهٍ بمَا خَلَقَ وَلَعَلاَ بعضُهُم على بعض[4] ﴾ . قال الفرَّاء : حيث جاءت بعدها اللام فقبلها لو مقدَّرة ، إن لم تكن ظاهرة . انتهى .

وجوَّز الإمام المرزوقىُّ أن تكون إذن لقام إلخ ، جواباً ثانياً للو ، لاَعلى البدليَّة . قال : ويجوز أن تكون أيضاً إذن لَقَام جوابَ لو ، كأنَّه أُجيب بجوابين . وهذا كما تقول : لو كنتَ حُرًّا لاستقبحتَ ما يفعله العبيد إذن لاستحسنت ما يفعلهُ الأَحرار . انتهى .

وزعم ابن المُلَّا (فى شرح المغنى) أنَّ هذا عينُ ما قاله ابن هشام أو قريبٌ منه .

ولا يخفى أنَّه قريبٌ منه لاعينه .

---

(١) ش : « لم يستبح » ، صوابه فى ط وابن يعيش ٩ : ١٤

(٢) هو كثير عزة . كما سيأتى فى ٤٧٣ . والبيت هو الشاهد ٦٥١ .

(٣) التكملة من ش .

(٤) الآية ٩١ من سورة المؤمنون .

وجَعْلُ ابن هشام إذن لا أُقيلها فى البيت جواباً لإن الشرطية دونَ القسم المقدَّر مخالفٌ للقاعدة ، كما يأتى بيانه قريباً عند إنشاد الشارح البيت . وإن أراد تقدير إن ولو صناعةً يردُ عليه أنّه يمتنع النَّصبُ فى المثال الذى أورده ، لوقوعها حشوًا ، وهو قوله : آتيك، فتقول : إذن أُكرمُك ، أى إن أتيتنى إذن أُكرمُك .

وما نقله عن الفرَّاء فيه تقصير كما يظهر من نصّ عبارته ، قال (فى تفسيره) عند قوله تعالى: ﴿ أَمْ لهم نَصِيبٌ مِنَ المُلْكِ فَإِذًا لا يُؤتون النَّاسَ نَقِيرًا[1] ﴾ : وإذا رأيت فى جواب إذَنْ اللامَ فقد أضمرت لها لَئِنْ أو يميناً ، أو لو . من ذلك قوله تعالى : ﴿ ما اتَّخَذ اللهُ مِن ولد وما كان مَعَهُ مِن إلٰه إذًا لذَهَبَ كُلُّ إلٰهٍ بما خَلَقْ ﴾ والمعنى والله أعلم : لو كان [معه[2]] إله لذهب كلُّ إلٰهٍ بما خلق . ومثله : ﴿ وإن كادُوا ليَفتِنُونَكَ عَنِ الَّذِى أَوْحَيْنَا إليك لِتَفْتَرِىَ عَلَيْنَا غَيْرَهُ وإذًا لاتَّخذُوكَ خَليلا[3] ﴾ ، ومعناه لو فعلت لا تّخذوك . وكذلك قوله : ﴿ كدتَ تَركَن[4] ﴾ ثم قال : ﴿ إذًا لأَذَقْنَاكَ ﴾ معناه : لو ركنت لأذقناك . انتهى كلامه .

٥٧١

وقوله : (معشر خشُن) : جمع خَشِن أو أَخشَن ، وضمة الشين للإتباع ، بمعى الشديد . وأراد بهم بنى مازن . و (اللُّوثة) بالضم : الضَّعف . وأراد به قومه . قال ابن جنى : إن قلت أين جواب قوله إن ذو لوثة لانَا ؟ قيل : محذوف دلَّ عليه قوله خُشُن ، أى إن لان ذو لُوثة خَشُنوا هم أو يخشنوا ، ودلَّ المفرد الذى هو خُشُنٌ على الجملة التى هى خشنوا

(١) الآية ٥٣ من سورة النساء . وانظر معانى القرآن للفراء ١ : ٢٧٣ — ٢٧٤ .
(٢) التكملة من معانى القرآن .
(٣) الآية ٧٣ من سورة الإسراء .
(٤) من الآية ٧٤ فى سورة الإسراء .

أَو يخشنوا ، وذلك لمشابهة اسم الفاعل وما يجرى مجراه الجملةَ ، بما فيه من الضمير[١] . انتهى .

والمشهور فى مثل هذا أَنَّ المتقدِّم دليلُ الجواب المحذوف ، فيقدَّر قام بنصرى معشر خشن . وصنيع ابن جنِّى أَبلغ . فتأَمَّل .

والاستباحة : أَخذ الشيء مباحاً للنفس . و (قام) من القيام بالشيء والتكفُّل به . و (المعشر) : اسمٌ لجماعةٍ أَمرُهم واحد .

وتقدَّم شرحهما فى شرح الأَبيات بأَوفَى من هذا فى الشاهد السادس والخمسين بعد الخمسمائة[٢]

* * *

وأَنشد فيه بعده :

(نَهيتُكَ عن طِلَابِكَ أُمَّ عمرٍو بعاقبةٍ وأَنت إِذٍ صَحيحُ)

وتقدَّم شرحه مفصلا فى الشاهد الثامن والتسعين بعد الأَربعمائة من باب الظروف[٣] .

* * *

وأَنشد بعده ، وهو الشاهد السابع والأَربعون بعد الستمائة[٤] :

٦٤٧ (ما إِنْ أَتيتُ بشيءٍ أَنتَ تكرَهُه

إِذَنْ فلا رَفَعَتْ سَوطِى إِلَىَّ يَدِى[٥]

إِذَن فعاقبَنى ربِّى معاقبةً قرَّتْ بها عينُ مَن يأْتيكَ بالحَسَدِ)

---

(١) بعده عند ابن جنى فى شرح الحماسة الورقة ٧ : « وذلك نحو قولك : مررت برجل محسن إذا سئل ، شجاع إذا لقى . أى إذا سئل أحسن ، وإذا لقى شجع . وهو كثير » .

(٢) انظر الخزانة ٧ : ٤٤١ – ٤٤٦ .

(٣) الخزانة ٦ : ٥٣٩ – ٥٥٠ .

(٤) مجالس ثعلب ٣٦٦ والمغنى ٢٥ .

(٥) ط : « صوتى » ، صوابه فى ش وجميع المراجع الأخرى .

على إنَّ إذن إذا كانت للشَّرط فى المستقبل جاز دخول الفاءِ فى جزائها ، كما فى جزاءِ إنْ ، كما فى البيت ، كأَنَّه قال : إن أَتيتُ بشىءٍ فلا رفَعَت . فجملة فلا رفعت الخ ، جملة دعائيَّة وقعت جزاءً واقترنت بما يقترن به جزاءُ الشرط ، لما فى إذن من معنى الشرط . وكذا الحالُ فى البيت الثانى .

صاحب الشاهد

وهما من قصيدة طويلة للنابغة الذُّبيانى مدح بها النُّعمانَ بنَ المنذر ، وتنصَّل بها عمَّا قذفوه به ، حتَّى خاف وهرب منه إلى بنى جَفْنة ملوك الشام . وهى من القصائد الاعتذاريَّات، ولِحُسنِها أَلحقها أَبو جعفر النحاس ، والخطيبُ التِّبريزىُّ وغيرُهما ، بالمعلَّقات السَّبع .

وتقدَّم شرحُ أَبيات كثيرةٍ منها فى (باب الحال) ، وفى باب (خبر كان) ، وفى (النعت) ، وفى (البدل) ، وفى (أَسماءِ الأَفعال) وفى غير ذلك . وقبلها :

(والمؤمنِ العائذاتِ الطيرِ يَمسحُها ... رُكبانُ مكَّة بين الغِيل والسَّنَدِ)

وبعدهما :

(هذا لأَبرأَ من قولٍ قُذِفتُ به ... طارت نوافذُه حَرًّا على كَبِدِى)

قال ابن رشيق (فى العمدة) : وأَجلُّ ما وقع فى الاعتذار من مشهورات العرب ، قصائد النابغة الثلاث ، إحداها[1] :

* يادارَ ميَّةَ بالعلياءِ فالسَّندِ *

يقول فيها :

فلا لعمر الذى مسَّحت كعبته ... وما هُريق على الأَنصابِ من جَسَدِ

(١) فى العمدة ٢ : ١٤٣ : « إحداهن » .

٥٧٢ والمؤمن العائذات الطير . . . إلى آخر الأبيات الثلاثة :

والثانية :

* أرسماً جديداً من سُعادَ تجنَّبُ *

يقول فيها معتذراً من مدح آل جفنة ومحتجًّا بإحسانهم إليه :

حلفتُ فلم أتركْ لنفسكِ ريبةً وليس وراءَ الله للمرءِ مطلبُ

الأبيات المشهورة . والثالثة :

* عفا حُسُمٌ من أهله فالفَوارعُ[1] *

يقول فيها بعد قَسَم قدَّمه على عادته :

لكلَّفتَنِى ذنبَ امرئٍ وتركتَه كذى العُرِّ يُكوى غيرهُ وهو راتعُ

انتهى . وقد شرحنا القصائد الثلاث برُمَّتها فى المواضع التى استُشهِد بأبياتها .

وقوله : « والمؤمن العائذاتِ الطيرِ » قد شُرِح هو وما قبله فى الشاهد السابع والأربعين بعد الثلثمائة من باب النعت[2] .

وقوله : « ما إنْ أتيت » إلخ ، هذه الجملة جواب القسم الذى هو قوله :

* فلا لَعَمْرُ الذى مسَّحتُ كعبتَه *

مع البيت الذى بعده . وما نافية وإنْ زيدت بعدها للتوكيد . وبه استشهد ابن هشام (فى المغنى) .

وقوله : « فلا رفعَتْ سَوطِى[3] إلىَّ يدى » ، أراد به : شَلَّت يدى ولم

(١) الذى فى العمدة :

* عفا ذو حسى من فرتنـــا فالفوارع *

(٢) الخزانة ٥ : ٧١ — ٧٤ .

(٣) ط : « صوتى » ، صوابه فى ش .

تقدر على رفع السَّوط[1]. وهذا دعاءٌ على نفسه على تقدير صحَّة ما نسبه أعداؤه إليه .

وقوله : « إذن فعاقَبَنى رَبِّى » الخ ، هذا دُعاءٌ آخر على نفسه.وجملة « قرَّت بها » الخ ، صفة مُعاقَبة . والمعاقبة : العذاب . وقرَّت العين قُرَّة وقُروراً بضمها ، من باب تعب ، أى بردت سروراً . والحسَد هو تمنِّى زوالِ نعمة الغير .

وقوله : « هذا لأَبرأَ » إلخ ، أَى هذا القسم لأَجل أَن أَتبرَّأَ مما اتُّهمت به . والنوافذ تمثيلٌ ، من قولهم جُرح نافذ . أَى قالوا قولاً صارَ حرُّه على كبدى ، وشَقِيتُ به .

* * *

وأَنشد بعده :

(والمرءُ عند الرُّشا إن يلقَها ذيبُ)

وهو عجزٌ ، وصدره :

(هذا سُراقةُ للقرآن يَدرسُه)

وتقدَّم شرحه فى الشاهد الثانى والثمانين من أوائل الكتاب[2] .

* * *

وأَنشد بعده ، وهو الشاهد الثامن والأَربعون بعد السمائة ، وهو من شواهد س[3] :

٦٤٨ (.... فإنَّ بحبِّهسا أَخاكَ مُصابُ القلبِ ....)

(١) ط : « الصوت » ، صوابه فى ش .

(٢) الخزانة ٢ : ٣ — ٤ .

(٣) سيبويه ١ : ٢٨٠ والمقرب ١ : ١٠٨ والمغنى ٦٩٣ وشرح شواهد المغنى ٣٢٧ والعينى ٢ : ٣٠٩ والهمع ١ : ١٣٥ والأشمونى ١ : ٢٧٢ .

على أنَّه إنَّما جاز الفصل بالجار والمجرور بين إنَّ واسمها لقوَّة شبه إنَّ بالفعل .

قال سيبويه (فى باب الحروف الخمسة التى تعمل فيما بعدها كعمل الفعل فيما بعده) : وتقول : إنَّ بك زيداً مأْخوذ ، وإنَّ لك زيداً واقف . إلى أن قال : ومثل ذلك إنَّ فيك زيداً لراغبٌ . قال الشاعر :

فلا تَلْحَنِى فيها فإنَّ بحبِّها أخاكَ مصابُ القلبِ جمٌّ بلابلُه

كأَنَّك أَردتَ: إنَّ زيدًا راغب، وإن زيدًا مأْخوذ، ولم تذكر «بك» ولا «فيك» ، فأُلغِيَتَا هنا كما أُلغِيَتا فى الابتداءِ . انتهى .

قال الأَعلم : الشاهد فيه رفع مصابُ على الخبر وإلغاءُ المجرور لأَنَّه من صلة الخبر ومن تمامه ، ولا يكون[1] مستقرًّا للأَخ ولا خبراً عنه. انتهى .

وقال أَبو على (فى إيضاح الشعر) : الظرف قد استُجيزُ فيه من الاتساع مالم يُستَجزْ فى غيره . أَلا ترى أَنَّه قد جاءَ: « فلا تلحَنى فيها » البيت . ففصل بقوله « بحبِّها » بين إنَّ واسمها . ولو كان مكانَ الظرف غيرُه لم يجز ذلك . والظرف متعلِّق بالخبر ، كأَنَّه قال : إنَّ أَخاك مصاب القلب بحبِّها . ٥٧٣

وأَورده أَيضاً فى موضعين (من التذكرة القَصْرية) قال فى الأَوَّل :

مسأَلة : إن قال قائل لم لا يكون المحذوف فى التقدير مؤخَّراً ، كأَنَّه قال: [إنَّ[2]] فى الدار زيدًا ، فلا يسقط بذلك حكم ما تعلَّق به الظرف ؟

---

(١) ط فقط : « لا يكون » ، وأثبت مافى ش والشنتمرى .
(٢) ساقطة من النسختين .

قِيلَ : يقبح هذا للفصل ، كما [فى[1]] : كانت زيداً الحُمَّى تأْخذ. فإن قيل: فقد قال: « فإنَّ بحبها أَخاك مصاب القلب[2] » قيل: قد روى البغداديُّون هذا « مصابَ القلب » . فذا يدلُّك على استكراههم الرفعَ ، لما فيه من الفصل ، فعدَلوا عنه إلى النصب . ويجوز أَن تقول : إنَّ الظرف قد فُصِل به فى أَماكنَ ، فيجوز أَن يكون هذا مثلَها .

وقال فى الموضع الثانى: مسأَلة : « ما كان فيها أَحد خيرٌ منك »، فيها متعلِّقة بكان إذا نصبت خيراً منك ، ومتعلِّقة بمحذوف إذا كانت مستقرًّا . ويجوز أَن تنصبها بخيرًا منك وإنْ تقدَّم عليه ، لشبهه بالفعل . وليس الفصلُ بفيها إذا علَّقتها بخير منك بقبيح ، لأَنَّ أَبا الحسن قد أَنشد (فى المسائل الصغير): فإنَّ بحبِّها أَخاك مصابُ القلب[3] ، ورواه الكوفيُّون: « مصابَ القلب » . وأَظنُّهم هربوا من الفصل فنصبوا، مخافة أَن يجرىَ مجرى: كانت زيداً الحمَّى تأْخذ. وأَتى أَبو الحسن بمسائلَ هناك يُفصَل فيها بالظرف المتعلِّق بالخبر . انتهى .

وقد فصَّل ابن السَّرَّاج (فى الأُصول) مذهبَ الكوفيين فى هذه المسأَلة قال : إذا كان الظرف غيرَ محلٍّ للاسم[4] سمَّاه الكوفيون الصِّفة الناقصة ، وجعله البصريون لغوًا ولم يجز فى الخبر إلَّا الرفع ؛ وذلك قولك : فيك عبدُ الله راغب ، ومنك أَخواك هاربان ، وإليك قومُك قاصدون ، لأَنَّ منك وفيك وإليك لا تكون محلاً ، ولا يتمُّ بها الكلام .

---

(١) هذه التكملة ليست فى الأصل ، والكلام يفتقر إليها .

(٢) بعده فى النسختين : « قد » ، وهى مقحمة لاوجه لها .

(٣) ط : « مصاب بالقلب » ، صوابه فى ط .

(٤) فى الأصول ١ : ٢٤٧ : « للأسماء » .

وقد أجاز الكوفيون : فيك راغباً عبدُ الله ، شبَّهها الفراءُ بالصفة التامَّة لتقدُّم راغب على عبد الله . وذهب الكسائى إلى أنَّ المعنى : فيك رغبةً عبدُ الله . واستضعفوا أن يقولوا: فيك عبد الله راغباً، وأنشدوا بيتاً جاءَ فيه مثل هذا منصوباً .

فلا تلحَنى فيها فإنَّ بحبِّها . . . . . البيت

فنصب « مصاب القلب » على التشبيه بقولك : إنَّ بالدار أَخاك واقِفاً ، إلى آخر ما فصَّله .

وقوله : « فلا تلْحَنى » هو نهىٌ ، أى لا تلمنى فى حبِّ هذه المرأةِ فقد أُصيب قلبي بها واستولى عليه حبُّها ، والعَذْلَ لا يصرفني عنها . يقال لَحَيت الرجل ، إذا لُمته . قال صاحب الصحاح : ولحيت الرجل أَلحاه لحيًا ، إذا لمتَه ، فهو ملحىٌّ ، ولاحيتهُ مُلاحاة ولحاءً ، إذا نازعته . وفى المثل : « مَن لا حاك فقد عاداك » . وتلاحَوْا ، إذا تنازعوا ، وأَصله من لحَيت العصا أَلحيها لَحيًا إذا سلخت لِحاءَها وجلدها . وكذلك لحوتُها أَلحوها لحوًا . واللِّحاءُ بالكسر والمد : قشر الشجر . وفى المثل : « لاتدخُلْ بين العصا ولحائها » . كذا فى الصحاح .

وقال صاحب المصباح : اللِّحاءُ بالكسر والمدّ ، والقصرُ لغة : ما على العود من قشرِه . ولحوت العود لحواً من باب قال ، ولحيته لحيًا من باب نفع ، إذا قشرتَه .

و (المصاب) : اسم مفعول من أُصيب بكذا ، من المصيبة وهى الشِّدَّة النازلة . (والجَمّ) بالجيم : الكثير . و (البلابل) : الأَحزان وشُغل البال ، واحدها بَلبال . وهو مبتدأٌ وجمٌّ خبره ، والجملة خبر ثانٍ لإنَّ .

وزاد العينى : « أو هى بدل من قوله مصاب القلب» فتأمَّلْ . وقال : البلابل : الوساوس ، وهو جمع بلبلة وهى الوسوسة .

والبيت من الأبيات الخمسين التى هى فى كتاب سيبويه ولم يُعرَف لها قائل . والله أعلم .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد التاسع والأربعون بعد السمائة[1] :

٦٤٩ (لاَ تَترُكَنِّى فيهمُ شَطِيرَا إِنِّى إِذَنْ أَهلِكَ أَو أَطِيرَا).

على أَنَّ الفعل جاء منصوباً بإِذَنْ مع كونه خبرًا عمَّا قبلها ، بتأْويل أَنَّ الخبر هو[2] مجموع إذن أَهلك ، لا أَهلِكَ وحده ، فتكون إذن مصدَّرة .

وقال الأَندلسى : يجوز أَن يكون خبر إِنَّ محذوفاً ، أَى إِنِّى لا أَحتمل. ثم ابتدأَ فقال : إذن أَهلك . والوجه رفع أَهلكُ وجعل أَو بمعنى إِلَّا .

أَمَّا التخريج الأَوّل فهو للشارح المحقِّق . وقد ردَّه الدمامينىُّ (فى الحاشية الهندية) بأَنَّ مقتضاه جواز قولك :زيد إذن يقومَ، بالنصب، على جعل الخبر هو المجموع ، إذ الاعتماد المانع منتفٍ ، إذ هو ثابتٌ للمجموع ، وصريحُ كلامهم يأْباه . وأَجيب عن الرضىّ بأَن تخريجه إِنَّما هو لبيان وجهِ ارتكاب الشُّذوذ فى هذا المسموع ، فلا يكون مقتضاه جوازَ النصب فى كلٍّ ما سواه مما لم يتحقَّق فيه شذوذ . هذا كلامُه .

ولا يخفى أَنَّ مراد الرضىِّ تخريجُه على عملها المأْلوف قياساً ، وهو أَن لا يعتَمِدَ ما بعدها على ما قبلها ، بدليل مقابلته لقول الأَندلسىّ .

---

(١) معانى الفراء ١ : ٢٧٤ / ٢ : ٣٣٨ والإنصاف ١٧٧ وابن يعيش ٧ : ١٧ والمقرب ١ : ٢٦١ والمغنى ٢٢ والعينى ٤ : ٣٨٣ والتصريح ٢ : ٢٣٤ والهمع ٢ : ٧ واللسان (شطر ٧٦). ومع نسبته إلى رؤبة لم يوجد فى ديوانه .

(٢) ش : « بتأويل الخبر » .

وأمّا قول الأندلسى ، وعليه اقتصر ابن هشام (فى المغنى) ، فهو تخريجُ السِّيرافى . قال (فى شرح الكتاب) : هذا البيت شاذٌّ ولا يُحتجُّ به ، لأنَّ قائله مجهول لا يُحتجُّ بقوله . فإنْ صحَّ فإما أن يقال إنَّه لغةٌ حُمِل فيها إذن على لن ، وهى لا تُلغَى بحال . أو نقول : خبر إنَّ مقدَّر ، أى إنِّى لا أقدر على ذلك ، وجملة إذن أهلك مستأنفةٌ ، وإذن فيها مصدَّرة . انتهى .

وفيما قاله تخريجان آخرانِ ، فصارت التخاريج أربعة .

وسلك نحوه ابن يعيش (فى شرح المفصل) فقال : البيت شاذٌّ . وإنْ صحَّت الرِّواية فهو محمول على أن يكون الخبر محذوفاً . وساغ حذفُ الخبر لدلالة ما بعده عليه وابتداءِ إذن بعد تمام المبتدأ بخبره . أو يكون شبَّه إذن ههنا بلن فلم يلغِها ، لأنَّهما جميعاً من نواصب الأفعال المستقبلة . وتشبَّه[1] إذن من عوامل الأفعال بأفعال الشك واليقين ، لأنَّها أيضاً تُعمَل وتُلغَى ، لأنَّ أفعال الشك إذا تأخَّرت أو توسَّطت يجوز أن تعمل . وإذن إذا توسَّطت بين جزأى كلامٍ أحدُهما محتاجٌ إلى الآخر لم يجز أن تعمل ، لأنَّها حرف ، والحرف أضعف فى العمل من الأفعال . انتهى .

وقد نقل ابن الحاجب تخريجاً خاصاً (فى شرح المفصَّل) قال : وقد أُوِّل إنِّى إذَنْ أهلكَ على معنى إنِّى أقول . والقولُ يحذف كثيراً .

وقد ناقشه الإمام الحديثى[2] (فى شرح الكافية)، بأنَّه إنَّما يتخلَّص

---

(١) ش : « ويشبه » .

(٢) فى كشف الظنون ٢ : ٢٥٤ : « ومن شروح الكافية شرح الإمام ركن الدين الحديثى ، وهو مثل شرح الرضى بحثاً وجمعاً ، بل أكثر منه » .

عنه به إذا كان الموضع للحكاية فقط[1] . وفيه نظر . وألا يكون حينئذ معتمدًا على أقول . وتوضيحه : أَنَّ المحكوم عليه بأَنَّه خبر وأَنَّه فى موضع رفع حينئذ إمّا الحكاية فقط ، أَعنى جملة أَقول ، وبه يتحقَّق الخلاص عَن هذه الورطة . أَو الحكاية أَو المحكىُّ، أَعنى مجموع أَقول إذن أَهلك . لا سبيل إلى الأَوَّل لاقتضائه قطعَ كلٍّ من القول والمقول عن صاحبه ، واستئنافَ ما حقُّه أن لا يستأْنف . ولا إلى الثانى لبقاءِ الإشكال لتحقُّق النصب مع الاعتماد ، فإِنَّ أَهلِك معتمدٌ على أَقول لكونه جزءَ معموله الذى هو إذن أَهلك .

وأجاب عنه ابن الحنبلى (فيما كتبه على المغنى) ، كما نقله عنه تلميذه ابن المُلَّا ، بأَنَّا لا نسلِّم أَنَّ جزءَ المعتمد معتمد . ولئن سلَّمناه فلا نسلِّم أَنَّ كلَّ معمولٍ لشىءٍ يكون معتمدًا عليه ، فهم قد حصَروا صوَر الاعتماد فى ثلاث صور ليس إلَّا ، بحكم الاستقراءِ ، فدلَّ ذلك على أَنَّ ما عداها لا يتحقَّق فيه اعتماد ، وإن تحقَّقت معموليَّته بوجهٍ ما . ٥٧٥

ثم قال : ولعلَّ ابن الحاجب قدَّر أَقول ليكون إذن أَهلك أَو أَطير مقولًا وقعت فيه إذن مصدَّرة وإن توهِّم أَنَّها بتقدير أَقول غير مصدَّرة . أَلا ترى أَنَّ القائل إذا قاله بعدُ كما سبق به الوعد أَظهرت صدارتها فيه . انتهى .

وهذا بحثٌ جيِّد ، إلَّا أَنَّه يردُ على تخريجه بإضمار القول ما وردَ على تخريج الشارح المحقِّق وقول الأَندلسىّ : « والوجه رفع أَهلك » .

وقال الحديثىُّ : الحقُّ رفع أَهلك ، وجعل أَوْ بمعنى إلَّا أَنْ، كما فى

---

(١) مابعده إلى كلمة « فقط » التالية ، ساقط من ش .

قولك : لألزمنَّك أو تقضيني حقِّي ، أي إلَّا أن تقضيَني حقِّي . أراد أنَّ الرفع فيه وفي مثلِه هو القياسُ ، جريًا على القاعدة . وتعسَّف ابنُ المُلَّا في قوله إنْ أراد أنَّه الوجه والحقُّ في مثل هذا التركيب إذا صدَر من متكلِّم فله وجه ولكن غير نافع لنا بوجه . وإن أراد أنَّه الوجه والحقُّ في قول هذا الشاعرِ فمَمْنوع . فإنَّه كيف يسلَّم لهما ذلك حيث ثبت أنَّ الرواية عن القائل بنصب الفعلين . انتهى .

وقال العيني : إعمال إذن في البيت ضرورة ، خلافاً للفراء . أراد بالضَّرورة ما هو المذهبُ الصحيح ، وهو ما أتى في النظم دون النثر ، سواءٌ كان عنه مندوحة أم لا .

ولم يصب ابن المُلَّا في قوله : هذا إنَّما يتجه بالنِّسبة إلى نصب أطير دون أهلك ، فإنَّه إن كان ثمَّ ضرورةٌ فهي قصدُ التوفيق بينه وبين « شطيراً »، حذرًا من عيب الإقواء . اللهمَّ إلَّا أن يدَّعىَ أنَّ هذه الضرورةَ ألجأت إلى نصب أهلك ، لئلاً يعطف منصوبٌ على مرفوع .

هذا كلامُه . وأيُّ مانع من العطف بالنَّصب بأن ، بعد أو التي بمعنى إلَّا ، كما نقله عن الأندلسيّ والحديثي .

هذا . وقد نقل الفرَّاءُ عن العرب (في تفسيره) أنَّ النصب في مثل البيت لغة ، قال عند تفسير قوله تعالى : ﴿ أَمْ لَهُمْ نَصِيبٌ مِنَ المُلْكِ فَإِذًا لا يُؤْتُونَ النَّاسَ نَقِيراً[1] ﴾ : إذا وقعتْ إذَن على يَفعل وقبله اسمٌ بطلت فلم تنصب ، فقلت : أنا إذَنْ أضربُك. وإذا كانت في أوَّل الكلام

---

(١) الآية ٥٣ من سورة النساء .

« إنَّ » نصبْتَ يَفعلُ ورفعْتَ فقلتَ: إنى إذَنْ أُوذيَك. والرَّفع جائز . أَنشدنى بعضُ العرب :

لا تتركَنِّى فيهمُ شطيرا إنِّى إذَنْ أَهلكَ أَو أَطيرا

وقال أَيضاً (فى تفسير سورة الأَحزاب) عند قوله تعالى : ﴿وإذًا لا تُمَتَّعُون[1]﴾ : وقد تنصب العرب بإذَنْ وهى بين الاسمِ وخبره فى إنَّ وحدها، فيقولون : إنِّى إذَنْ أَضربَك . قال الشاعر :

لا تتركَنِّى فيهمُ شَطيرا ..... البيت

والرفع جائز . وإنَّما جاز فى إنَّ ولم يجز فى المبتدإ بغير إنَّ لأَنَّ الفعلَ لا يكون مقدَّما فى إنَّ ، وقد يكون مقدَّما لو أَسقطت .

هذا كلامه ، وأَنت ترى أَنَّه إمامٌ ثقة ، وقد نَقل عن أَهل اللِّسان ، فينبغى جواز النصب فى الفعل الواقع خبرًا لاسمِ إنَّ لا غير، حَسْبما نُقِل[2] . وحينئذ يسقُط ما تكلَّفوا من التخريج .

وأَفاد الفرَّاءُ أَنَّ البيت حجَّةٌ يصحُّ الاستدلال به ، لقوله : « أَنشدَنى بعض العرب » ، فيكون جواز النصب والرفع فيه مع إنَّ ، مثلَ ما إذا اقترن الفعل بعاطف ، فى جواز الوجهين .

وقد أَطلق الشارح المحقِّق فى العاطف ولم يمثِّل إلَّا لما اقترن بالواو والفاءِ . وقد صرَّح الفرَّاءُ فى تعميم العاطف ، قال : إذا كان فى الفعل فاءٌ، أَو واوٌ، أَو ثم، أَو أَوْ، أَوحرفٌ منحروف النسق ، فإن شئتَ كان معناها

---

(١) الآية ١٦ من سورة الأحزاب .

(٢) حسبا ، بفتح السين وإسكانها . وفى اللسان (حسب ٣٠٢) : « والحسب والحسب قدر الشيء ، كقولك : الأجر بحسب ماعملت وحسبه » .

معنى الاستئناف فنصبت بها أيضاً ، وإن شئت جعلت الفاء أو الواو إذا كانتا منها منقولتين عنها إلى غيرها[١] . والمعنى فى قوله . فإذًا لا يؤتون [على : فلا يُؤتون[٢]] الناس نقيراً إذاً. ويدلُّك على ذلك أنَّه فى المعنى ، والله أعلم ، جوابٌ لجزاءٍ مضمَر ، كأنَّك قلت : ولئن كان لهم ، أو لوْ كان لهم نصيب لا يؤتون الناس إذًا نقيرا[٣] . وهى فى قراءة عبد الله منصوبة . وإذا رأيتَ الكلام تامًّا مِثلَ قولك: هل أنت قائم ، ثم قلت : فإذن[٤] أضربك، نصبتَ بإذن ونصبت بجواب الفاء ونوَيْتَ النقل . وكذلك الأمر والنَّهى ، يصلُح فى إذن وجهان : النصب بها ، ونقلها . ولو شئتَ رفعت الفعل إذا نويت النقل فقلت : ائته فإذن يكرمُك زيد ، فهو يكرمك إذن ، ولا تجعلها جواباً .

هذا كلامه ، وقد أجاز الجزمَ والنصبَ والرفع فى جواب الشرط ، قال : وإذا كان قبلها جزاءٌ وهى له[٥] جوابٌ قلت : إن تأْتنى إذن أُكرمْك ، وإن شئت: إذن أُكرمُك . . فمن جزم أراد أُكرمك إذن ، ومن نصب نوى فى إذن فاءً تكون جواباً فنصب الفعل بإذن ، ومن رفع جعل إذن منقولة إلى آخر الكلام ، كأنَّه قال: فأُكرمُك إذن . اه .

وهذا خلاف مذهب البصريِّين ، وليس عندهم إلَّا الجزم .

وقوله : « لا تتركنِّى » إلخ ، الترك يستعمل بمعنى التَّخلية ، ويتعدَّى

---

(١) فى حواشى معانى القرآن ١ : ٢٧٣ : « يريد بنقل حرف العطف عن إذا تقديره مقروناً بالفعل بعدها ، وتقدير إذا فى آخر الجملة ، وبذلك تتأخر عن الصدر فتلغى » .

(٢) التكملة من معانى الفراء . وقد أثبتها الشنقيطى بخطه على هامش نسخته .

(٣) فى معانى الفراء : « لايؤتون الناس نقيراً إذاً » .

(٤) ط : « إذن » ، وأثبت مافى ش ومعانى القرآن .

(٥) فى النسختين : « لها » صوابه فى معانى القرآن .

لمفعول واحد وبمعنى التصيير ، وهنا محتملٌ لكلٍّ منهما ، فشطيرا على الأوّل حال من الياء ، وعلى الثانى هو المفعول الثانى ، و (فيهم) عليهما متعلّق بالترك ، أو هو المفعول الثانى . و (شطيرا) حالٌ من ضمير الظرف ، ويجوز أن يكون مفعولا آخر مكرّرًا ، كما قيل فى قوله تعالى: ﴿وتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَّا يُبْصِرون[1]﴾ إنَّ فى ظلمات مفعول ثان وجملة لا يبصرون مفعول آخر مكرَّر .

وقال العينى : فيهم يتعلق بشطيرًا ، وشطيرًا نصب على الحال ، والتقدير : لا تتركنّى حال كونى شطيراً كائنا فيهم .

هذا كلامه ، ولا يخفى أنَّ ذكر كائناً مع قوله متعلق بشطيرًا لا وجه له .

و (الشطير) : الغريب . وأهلك بكسر اللام ، والماضى بفتحها .

والشعر لم ينسبه أحدٌ إلى قائله . والله أعلم .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الخمسون بعد الستمائة ، وهو من شواهد س[2] :

٦٥٠ (ازجُرْ حِمارَكَ لا يرتَعْ بِرَوْضَتِنا
إذَنْ يردَّ وقيدُ العَيرِ مَكْروبُ)

على أنَّه يجوز على مذهب الكسائى أن يكون (لا يرتع) مجزوماً بكونِ لا فيه للنَّهى ، لا أنَّه جوابُ الأَمر .

ويردُ مجزوماً لا منصوباً بكونه جواباً للنهى ، كما هو مذهبه فى

---

(١) الآية ١٧ من سورة البقرة .

(٢) سيبويه ١ : ٤١١ والمقتضب ٢ : ١٠ وابن يعيش ٧ : ١٦ والحماسة بشرح المرزوقى ٥٨٦ والمفضليات ٣٨٣ .

نحو : لا تكفرْ تدخل النار ، أى إن تكفر تدخل النار . فيكون المعنى لا يرتع ، إن يرتعْ يُردَّ . وعند غيره : يردَّ منصوب ، وإذن منقطعٌ عما قبله مصدَّر[١] ، كأنَّ المخاطب قال : لا أَزجُره[٢] . فأَجاب بقوله : إذن يردَّ .

أَقول : [يكون[٣]] لا يرتع على قول الكسائى بدلاً[٤] من ازجرْ ، وهو أَوفى من الأَوّل فى تأْدِية المعنى المراد ، كقوله :

* أَقول له ارحَل لا تقيمنَّ عندَنا[٥] *

وإذن تكون مؤكِّدة للشَّرط المقدَّر ، وهو إن يرتع ، ويردَّ جوابُ الشرط المقدَّر . وهو مجزوم بسكون مقدَّر ، والفتحة لدفع التقاءِ الساكنين. ويجوز ضم الدال وكسرها أَيضاً للدفع المذكور ، والأَصلُ يُردَدْ ، فلمَّا أُدغم سكنت الدال الأُولى ، والثانية ساكنة أَيضاً للجزم ، فالتقى ساكنان فلنا أَن تدفَع التقاءَهما بإحدَى الحركات الثلاث[٦] .

وقوله : « بكونه جواباً للنهى » متعلِّق بقوله مجزوماً . وقوله : « وعند غيره يردَّ منصوب » ، أَى عند غير الكسائى يردَّ منصوب بإذن، فالفتحة

(١) مصدر ، ساقطة من ش ثابتة فى شرح الرضى ٢ : ٢٢٢ .

(٢) ط : « لا أزجر » ش : « لا تزجر » ، وفى شرح الرضى : « لا تزجره » ، والصواب ما أثبت من إحدى نسخ الشرح المسجلة فى حواشيه .

(٣) هذه التكملة من ش .

(٤) ط : « بدل » .

(٥) تمامه كما فى المغنى ٤٢٦ ، ٤٥٦ والعينى ٤ : ٢٠٠ والتصريح ٢ : ١٦٢ وحواشى الأشمونى ٣ : ١٣٢ ومعاهد التنصيص ١ : ٩٤ :

* وإلا فكن فى السر والجهر مسلما *

(٦) فى النسختين : « بأحد الحركات الثلاث » ، والوجه ما أثبت .

فتحة إعراب وإذن هنا ليست متضمِّنة للشرط وإنَّما هى متضمِّنة للنهى ، وهو لا تزجرُهْ .

وعبَّر (التِّبريزى فى شرحه) عن هذا بأَنَّ إذن هنا على بابها ؛ لأَنَّها جوابُ كلامٍ مقدَّر ؛ لأَنَّه قدَّر أَنَّ المأْمور بالردَّ قال : لا أَردُّ . فأَجابه بذلك ، وحذفه لفهم المعنى . اهـ .

وهذا من غير الغالب كما قال الشارح المحقِّق : الغالب فى إذن تضمُّن الشَّرط . وهذا الوجه هو مذهب سيبويه ، قال فى الكتاب : واعلمْ أَنَّ إذن إذَا كانت بين الفعل وبين شىءِ الفعْلُ [معتمدٌ] عليه[1] فإنَّها ملغاة لا تنصب البتَّة ، كما لا تنصب أرى إذا كانت بين الفعل والاسم فى قولك : كان أُرى زيدٌ ذاهباً[2] . فإذنْ لا تصل فى ذا الموضع إلى أَن تنصب ، كما لا تصل أُرى هنا إلى أَن تنصب . فهذا تفسير الخليل . وذلك قولك : أَنا إذن آتِيك ، فهى هنا بمنزلة أُرى حيث لا تكون إلاَّ ملغاة . ومن ذلك : إن تأْتنى إذن آتِك ، لأَنَّ الفعل ههنا معتمدٌ على ما قبل إذن . وليس هذا كقول ابن عَنَمة الضَّبِّى :

اردُدْ حمارَك لا تُنْزَعْ سويَّتُه إذن يردَّ وقيدُ العَير مكروبُ

من قبَل أَنَّ هذا منقطع من الكلام الأَوَّل وليس معتمداً على ما قبله لأَنَّ ما قبله مستغن . انتهى .

---

(١) فى النسختين : « وبين شىء الفعل عليه » ، مع ترك بياض فى ط بين كلمتى « شىء » و « الفعل » ، والصواب ما أثبت مع التكملة من سيبويه ١ : ٤١١ .

(٢) بعده فى سيبويه : « وكما لاتعمل فى قولك : إنى أرى ذاهب » .

وأَجاز الأَعلم هنا رفع يُردُّ ، قال : الشاهد فيه نصب ما بعد إذن لأَنَّها مبتدأَة . والرفع جائزٌ على إلغائها وتقديرِ الفعل واقعاً للحال ، لأَنَّ حروف النصب لا تعمل إلّا فيما خلص للاستقبال . ا هـ .

صاحب الشاهد

والبيت من أَبياتٍ ستَّةٍ لعبد الله بن عَنَمة ، أَوردها المفضل (فى المفضَّليات) ، وأَبو تمام (فى الحماسة)، وهى :

أبيات الشاهد

(ما إنْ تَرى السِّيدُ زيداً فى نفوسِهِمُ
كما تَراه بنو كُوز ومرهوبُ

إن تسأَلوا الحقَّ نُعْطِ الحقَّ سائلَهُ
والدَّرعُ مُحقَبةٌ والسَّيفُ مقروبُ

وإنْ أَبيتُمْ فإنَّا معشرٌ أُنُفٌ لا نَطعمُ الخَسْفَ إنَّ السمَّ مشروبُ

فازجُرْ حمارك لا يرتع . . . . البيت

إن تدعُ زيدٌ بنى ذُهْلٍ لمغضَبةٍ نَغضَبْ لزُرعة إنَّ الفضْلَ محسوبُ[1]

ولا يكونَن كمُجرَى داحس لكمُ
فى غَطفانَ غداة الشِّعبِ عُرقوبُ)

قوله : « ما إنْ ترى السِّيدُ» إلخ، إن زائدة مؤكِّدة لما النافية . والسِّيدُ بالكسر ، وزيد ، وكوز ، ومرهوب ، كلٌّ من الأَربعة : أَبو حيٍّ من بنى ضَبَّة . وزيد وكوز أَخَوانِ ، ابنا كعب بنَ بَجَالة بن ذُهل بن مالك ابن بكر بن سعد بن ضَبَّة بن أُدٍّ بن طابخة . والسِّيد هو أَخو ذهل المذكور.

---

(١) ويروى : « إن القبص محسوب » ، كما فى المفضليات والحماسة ، وسيشير إليه البغدادى فى التفسير .

ومرهوب هو ابنُ عبيد بن هاجِرِ[١] بنِ كعب بنِ بجَالة المذكور .

وقد روى الضبى (فى المفضليات) كُرز ، بالراءِ المهملة بدل الواو[٢].
قال المرزوقىّ : يقول : بنو السِّيد لايَقسِمون لزيد من التعظيم ، ولا يوجبون له فى نفوسهم من الحرمة والتبجيل ، ما يوجبه ويقسمه بنو كوز ومرهوب . والضمير على هذا فى نفوسهم للسِّيد . ولا يمتنع أن يكون لزيد ، لأَنَّه قبيلة . وهذا كما يقال : لك فى نفسك حقٌّ ومنزلة ، كأَنَّ زيدًا كان له إذا رجَعَ نفسَه من التوجُّه والإدلال والتخصيص والاعتزاز فى بنى كُوز ومرهوب ، ما لا يكاد يجده فى بنى السِّيد . ٥٧٨

وقوله : « إن تسأَلوا الحقَّ » إلخ ، قال ابن الأَنبارىّ : قال الضَّبِّىُّ : قوله محقَبة أَى تكون الدرع فى حقيبة البعير . وكذلك كانت العرب تفعل بالدُّروع إذا همُّوا بالقتال ، استخرجوا الدُّروع من الحقائب فلبسوها . وقوله : « مقروب » أَى فى قِرابهِ . يقال قرَبْت السيف: أَدخلته فى قِرابه ، وهو غِمدُه . يَقول : إن أَردتم الصُّلح أَجبنا كم والسلاحُ مستور ، وإن أَبيتم أَظهرناه لكم .

وقوله : « وإن أَبيتم » إلخ ، الأُنف ، بضمتين : جمع أَنوف ، وهو الذى به أَنفَةٌ ونخوة . والخسف : حمل الإنسان على ما يكرهه ، ثم استُعمِل فى معنى الذلّ . يقال سُمته الخسفَ ، إذا حملتَه على الهوان . وأَصل الخَسْف أَنْ تبيت الدابَّةُ على غير علف . يقول : إن اقتصرتم على أَخْذِ حقِّكم أَعطيناكُموه والحربُ موضوعةٌ بيننا وبينكم ، وإن طلبم أَكثر

(١) هاجر ، بكسر الجيم ، كما فى القاموس (هجر) ، قال : « وهاجر : قبيلة. وبفتح الجيم : أم إسماعيل صلى الله عليه وسلم » . وانظر الاشتقاق ١٠٠ وجمهرة ابن حزم ٢٠٤ .

(٢) الذى فى المفضليات : « كوز » .

منه أَبينا أَن نعطيَكم إِيَّاه . واستعارَ الطَّعم والشُّرب لتجرُّع الغصَّة وتوطين النفس على المشقَّة عند إِزالة المذلَّة وردِّ الكريهة . قال المرزوقى : لا نطعم الخسف وإِنْ شربنا السمّ .

وقال أَبو محمد الأَعرابى (فى شرحه) : لانطعم :لانذوق . وطَعِمت الشىءَ : ذقته ، وطعمته : أَكلته أَيضاً . والمعنى وإن أَبيتم الحقّ فإِنَّا لا نقرُّ بالخسف[1] أَى الهوانِ ، ونؤثرُ عليه شربَ السم ، كما قال :

* ويركب حدَّ السيفِ مِن أَن تَضيمه[2] *

وقال التبريزى : معناه نحن نأْبى الذلّ وإن كان غيرنا يقرُّ بما هو أَبلغ فى الهوان . أَو يريد : إِنَّ السُّمَّ مشروبٌ ، وإن احتجنا إِلى شربه شربناه ولم نقبل ضيمًا ، لأَنَّ الإنسان يصبر على شرب السم ويكون ذلك أَيسرَ عليه من صبره على الضيم .

وقال أَبو عبد الله النمرى (فى شرحه) : يريد بالسم الموت لا السمَّ المعروف . وقوله : مشروب ، أَى كلُّ أَحد يشربُه[3] ولا يُعفَى منه ، كقولك : إِنَّ الحوض مَورود ، يريد به الموت [أَيضاً] . يقول : فعَلامَ نحمل الضَّيم ومصيرُنا إِلى الموت ؟

وردَّه أَبو محمد الأَعرابى فيما كتبه عليه وقال : إِنَّما أَراد : إِنَّا نخوض الموت ونحتمل الشدائد ولا ننزل تحت الضيم .

---

(١) فى ش : « فإنا نقر بالخسف » ، وكتب فى حاشيتها : « كذا بخط المؤلف . والصواب لانقر » .

(٢) لمعن بن أوس فى ديوانه ٣٧ والحماسة ١١٢٩ بشرح المرزوقى . وعجزه :

* إذا لم يكن عن شفرة السيف مزحل *

(٣) ط : « يشرب » .

قال التبريزى بعدما نقل هذا الكلام : هذه الأَقوالُ يقرب بعضُها من بعض ، وكلُّها ترجع إلى معنًى واحد ، وليس فيها ما يُردُّ .

وقوله : « فازجر حمارك » إلى آخره ، هكذا فى جميع الروايات بالفاء ، وقد سقطت من رواية الشارح المحقِّق تبعاً لرواية سيبويه : « اردد حمارك » فى إسقاط الفاء .

و (رتعت) الماشية رتْعاً ، من باب نفع ، ورُتوعاً : رعتْ كيف شاءت .

و (الرَّوضة) : الموضع المعجب بالزُّهور . قيل سمِّى بذلك لاستراضة المياه السائلة إليها ، أى لسُكونها بها . وأَراضَ الوادى[1] واستراض ، إذا استنْقَع فيه الماءُ . كذا فى المصباح . وروى سيبويه هذا المصراع :

* اردد حمارك لا تنزع سويَّتُه *

والردّ : الإرجاع . والنزع : السَّلْب . قال الأَعلم . والسويَّة : شىءٌ يُجعل تحت البِرذعة للحمار ، كالحِلْس للبعير .

وكذا أَورده الجوهرى وقال : السويَّة : كساءٌ محشوٌّ بثُمامٍ ونحوه كالبرذعة ، والجمع سَوَايا . وكذلك الذى يُجعل على ظهر الإبل ، إلَّا أَنَّه كالحَلْقة لأَجل السَّنَام ، وتسمى الحوِيَّة . والحِمار والعير بفتح العين المهملة ، هما الذكَر من الحمير . وكان الظاهر أَنْ يقول وهو مكروب ، لكنَّه أَعاد الحمار باسمه الظاهر المرادِف له للضَّرورة . وحسَّنَه وقوعُه فى جملة مستقلة . ٥٧٩

(١) ش : « وأراد الوادى » ، صوابه فى ط .

قال المرزوقي قوله (ازجُرْ حمارك) : هذا مثلٌ ، والمعنى انقبضْ عن التعرُّضِ لنا والدُّخول في حريمنا ، ورَعْيِ سَوامِك بروضتنا ، فإنَّك إن لم تفعل ذلك ذَممت عاقبة أمرك[1] . وجعَل إرسال الحمار في حماهم كنايةً عن التحكُّك بهم والتعرُّض لمسَاءَتهم ، ولا حمارَ ثَمَّ ولا رَوْض . وقال ابن الأعرابي : « اكفف لسانك » . وقوله إذن ، قال سيبويه : هو جوابٌ وجزاءٌ ، فالابتداءُ الذي هو جوابُه وجزاؤُه محذوف مستدَلٌّ عليه ممَّا في كلامه ، كأنَّه قال : فإنَّه إن رتَع رجَع إليك وقد ضُيِّق قيده ، أي مُلِئ قيدُه فَتْلاً حتى لا يمشي إلاَّ بتعب . كأنَّه يُضرَب أو يُستعمَل حتَّى يرِمَ جسمُه ويؤدِّيَ الوجعُ منه إلى موضعِ حافرِه ، فيضيقُ عليه القَيد . اه .

وكذا قال ابن الأنباريّ عن الضَّبيّ : إنَّ المكروب الشديد الفتل ، يقال قد كرب حَبْله ، إذا شدَّ فتله[2] ؛ كأنَّه من قولهم : فلان مكروبٌ أي ممتلئٌ غمًّا . وكذلك الحبل ممتلئٌ فتلا . والمعنى : انتَهِ عنا وازجرْ نفسك عن التعرُّض لنا ، وإلاَّ رددناك مضيَّقاً عليك ممنوعاً من إرادتك . اه .

وقال التبريزي : يقول اكفف شرَّك عنَّا . وجعلَ الحمارَ كنايةً عن الأذاة ، أو عن رجلٍ من أصحاب هذا المخاطبِ يتعرَّض لهم بالمكاره . وهذا نحوٌ من قول النابغة :

سأَمنعُ كلبي أن يَريبك نَبحُهُ ... وإن كنتُ أَرعَى مُسْحُلاَن فحامرَا

والعرب تكنى بالحمار والعَير في أنحاءِ الكلام ، فيقولون : قد

---

(١) بعده في المرزوقي : « وعدت خاسر الصفقة ، وخيم الرتعة » .

(٢) ش : « إذا اشتد فتله » .

حَلَّ حمارُه أَو عيرُه بمكانٍ كذا ، إذا أقام فيه وتمكَّن . وقوله : « وقيدُ العَير » إلخ ، أَى مُدَانَّى مضيَّق حتَّى لا يقدر على الخَطو . اه .

ونقل النَّمرىُّ (فى شرحه) عن الباهلى صاحب (كتاب المعانى) أَنَّ المكروب من كربت الشيء، إذا أَحكمتَه فأَوثقته . ومعنى البيت إنَّا نردُّ الحمار مملوءًا قيدُه فتْلا ، كما يمتلئُ الإنسان كرباً . وحكى ثعلبٌ عن ابن الأَعرابى فى قوله : « فازجُرْ حمارَك » أَى اكفف لسانك. وقال يعقوب : هذَا مَثَل ، يقول : ردَّ أَمرَك وشرَّك عنَّا ولا تَعرِض لنَا ، فإن لا تفعلْ يرجعْ عليك أَمرُك مضيَّقا . هذا كلامه .

وردَّ عليه أَبو محمد الأَعرابى فيما كتبه عليه وقال : هذا موضع المثل « عَيٌّ ناطقٌ أَعيا من عَيٍّ ساكت[1] » . لو سكت أَبو عبد الله عن تفسير هذا البيتِ لكان أَولى به . سأَلت أَبا النَّدى رحمه الله عن معناه فقال : قوله ازجرْ حمارك ، يعنى فرسَ زيد الفوارس ، واسمه « عرقوب » فكنَّى عنه بالحمار على سبيل التهكُّم والْهزء . قال : وبعد البيت ما يدلُّك على ذلك ، وهو :

ولا يكونَنْ كمجرى داحس لكم ..... البيت

قال : وقوله : « وقيد العير مكروب[2] » ، أَى إنَّهم يَعقرونه. والعقر أَضيق القيود . وجَعَل القعقاعُ بن عطية الباهلىُّ العقر عِقالًا فقال :

فخرّ وظيفُ القَرْم فى نصف ساقِه وذاك عقالٌ لا ينشَّط عاقلُه

انتهى . وقوله : « إن يدعُ زيد بنى ذهْل » إلخ، قال المرزوقى : يقول إن غضب بنو ذهلٍ لزيد وامتَعَضوا من ضيمٍ يركبها فأَغاثوها إذا

(١) العى، بالفتح : مخفف العيي ، كالهين بسكون الياء مخفف الهين .
(٢) ط : « مكرب » ، صوابه فى ش .

استجارت بهم ، غضبنا نحنُ لزرعة وانتقمْنا له ممن يهتضمه ، إنَّ الفضل معدود . والمعنى : إنَّه لا فضلَ لَكم علينا ، فقد عددنا مالَكمْ ولنا فلم نجد زيادةً لكم توجب لكم التعلِّىَ والتغلُّب . وإذا كان الأَمرُ بيننا على التَّساوِى فلا استبدادَ ولا احتكام . وروى : « إنَّ القِبْص محسوب » بكسر القاف وسكون الموحدة .وآخره صاد مهملة ، وهو العدد الكثير ، ويكون الكلام مَثَلا . ويقال : إنَّهم لفى قِبصِ العددِ وفى قِبص الحصا : فى أكثرِ ما يستطاعُ عَدَدُه من كثرته . والمراد أنَّ الأَعداد الكثيرة تُضبَط وتُحصر ، فكيف ما بيننا من تقارُب أَو تفاضُلٍ ، أَو تساوٍ وتعادل .

٥٨٠

وقوله : « ولا يكونَنْ كمُجْرَى داحس » إلخ، قال المرزوقى : كان التنازع بينهم فى رِهانٍ وقع على عُرقوب ، وهو فرسٌ لهم ، فيقول : لا يكونن جَرْىُ عرقوبٍ عليكم فى الشؤم . كجرى داحس فى غَطَفان ، غداة شِعْب الحَيْس[1] . فقوله « عرقوب » ارتفع على أَنَّه اسمُ ولا يكونَنْ ، وقد حذف المضاف منه ، أَى لا يكونن مجرى عرقوب كمجرى داحس . وغَداة ظرفٌ لمُجْرى . وجَعَل النَّهى فى اللفظ لعرقوب وهو فى المعنى لهم . حذَّرهم استعمالَ اللَّجاج ؛ لئلَّا يتأَدَّى الأَمرُ إلى مثل ما تأَدَّى فى رهان داحسٍ والغبراءِ . ومثلُ هذا فى النَّهى قولهم : لا أَرَيَنَّك ههنا . انتهى .

ولم يذكر أَحدُ قصَّة هذه الأَبيات .

عبد الله بن عنمة

وعبد الله بن عَنَمة ، بفتح العين المهملة والنون والميم . والعَنَمة فى اللغة : واحدة العَنَم ، وهى قضبانٌ حمرٌ تنبتُ فى جوف السَّمُرة تُشبَّه بها البنان المخضوبة . وقيل : هى أطراف الخَرُّوب الشامى .ويقال :

(١) ط : « الحليس » ، وأثبت مافى ش .

هو دودٌ أَحمر يكون فى الرّمل يشبَّه به . ويقال : بل هو شيءٌ ينبتُ ملتفًّا على الشجر يبدو أَخضرَ ثم يحمرّ .

وعبد الله هذا شاعرٌ إسلامىٌّ مخضرَم ، وذكره ابن حجر (فى القسم الأَول ، فى ترجمة عبد الله بن عَنَمة المزنى[1])، وهو صحابى ؛ ولم يفردِ الضَّبىَّ بترجمة فى قسم المخضرمين من الإصابة[2] . والظاهر أَنَّه من المخضرمين . وهذه عبارته فى ترجمة المزنى :

وفى الشعراءِ ممّن له إدراكٌ : عبد الله بن عَنَمة الضبّىّ . قال ابن ماكولا شهد القادسيَّة . انتهى .

وهو من بنى غَيظ بن السِّيد، بكسر السين المهملة .

وهذا نسبه (من الجمهرة) : عبد الله بن عَنَمة بن حُرثان بن ثعلبة ابن ذُؤيب بن السِّيد بن مالك بن بكر بن سَعد بن ضَبّة .

وأَما زيد الفوارس الذى ذكره أَبو محمد الأَعرابىُّ فهو شاعِرٌ فارسٌ جاهلىٌّ من بنى ضَبة ، وقد ذكرنا ترجمته فى الشاهد السابع والثمانين

---

(١) الإصابة ٤٨٥٩ .

(٢) هنا حاشية بخط ناسخ الشنقيطية هذا نصها : « هذا خطأ ، بل أفرده فى قسم المخضرمين وذكر أن المرزبانى أفرده فى معجم الشعراء ، وساق نسبه إلى ضبة ، وقال إنه أتى بسطام بن قيس الشيبانى . وذكر ابن حجر له ثلاثة أبيات رثى بها بسطاماً»، وفى هامش المطبوعة : « هذا سهو ، بل أفرده فى قسم المخضرمين . وذكر أن المرزبانى ذكره فى معجم الشعراء وساق نسبه إلى ضبة ، وقال : إنه رثى بسطام بن قيس . وذكر ابن حجر له ثلاثة أبيات رثى بها بسطاماً . ا ه بتصرف من هامش الأصل . وكتب عليه به : لم أجده فى نسختى من الإصابة . فلعله فى بعض النسخ دون بعض . فالشارح معذور . ك . ا ه » .

وقد أصاب صاحب هذه الحاشية ، فإن ماذكره وارد فى الإصابة برقم ٦٣٣٤ . أما « أتى بسطام بن قيس » فى هامش الشنقيطية فصوابها : « رثى بسطام بن قيس » . وتجد نص المرثية ، وهى ثمانية أبيات فى الحماسة ١٠٢١ — ١٠٢٧ . وأورد ابن حجر فى الإصابة منها ثلاثة أبيات فقط.

بعد المائة[١] . وهو ابن حُصَين بن ضِرار بن عمرو بن مالك بن زيد بن كَعب بن بَجَالة . إلى آخر النسب .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الحادى والخمسون بعد السمائة ، وهو من شواهد س[٢] :

٦٥١ (لئِنْ عادَ لى عبدُ العَزيزِ بِمِثْلِها وأمكننى منهَا إذَنْ لا أُقيلُها)

على أنَّ (إذن) لا تعمل فى المضارع الذى يقع جواباً للقسم الذى قبلها ، كما فى البيت .

فإذن مهملة لعدم التصدُّر ، ولا أُقيلها مرفوعٌ، وهو جواب القسم المذكور فى بيت قبله ، وهو :

(حلفتُ بربٍّ الراقصاتِ إلى مِنًى يَغُول الفيافى نصُّها وزَميلُها)

واللام فى لئن هى اللام المؤْذنة ، ويقال لها الموطِّئة ، لأنَّها آذنت أى أعلمت ووطَّأَت أنَّ الجوابَ للقسم المذكور ، جرياً على المأْلوف المشهور فى اجتماع الشرط والقسم ، أنْ يكون الجواب للسَّابقِ منهما ، وجوابُ المؤخر محذوفٌ لسدَّ المذكور مسدَّه .

٥٨١ قال سيبويه : ومن ذلك : والله إذن لا أفعلُ ، من قِبَلِ أنَّ أفعل معتمد على اليمين وإذن لغو . وقال كُثَيِّرُ عزَّة :

لئن عاد لى عبد العزيز بمثلها ..... والبيت

---

(١) الخزانة ٣ : ١٧٧ .

(٢) سيبويه ١ : ٤١٢ والبيان والتبيين ٢ : ٢٤١ والجمل ٢٠٥ وابن يعيش ٩ : ١٣ ، ٢٢ والخزانة ٤ : ٢٨٠ عرضاً وشذور الذهب ٢٩٠ والمغنى ٢١ ، والعينى ٤ : ٣٨٢ والتصريح والتصريح ٢ : ٢٣٤ والهمع ٢ : ٧ والأشمونى ٣ : ٢٨٨ وديوان كثير ٢ : ٧٨ .

قال الأَعلم : الشاهد فيه إلغاءِ إذن ورفعُ لا أَقيلُها اعتمادًا على القَسم المقدَّر فى أَوّل الكلام . والتقدير : والله لئن عادَ لى بمثلها لا أُقيلُها .

وكذا صنع الشاطبيُّ (فى شرح الأَلفيَّة) وقال : إنَّ جملة لا أُقيلها جوابُ القسم . وقال : مثله قولُ الآخر[١] :

لئن نائباتُ الدَّهرِ يوماً أَدَلْنَ لى ... على أُمِّ عمرٍو دولةً لا أُقيلُها

وهذا البيت من الحماسة . قال ابن جنى (فى إعرابها) : رفعه لا أُقيلها يدلُّك على أَنَّه معتمد لليمين ، وأَنَّ اللام فى لئن ليست الجوابَ للقسم فى البيت الذى قبله . ا هـ.

ولا يصحُّ هنا جعل الجملة جواباً للشرط ، وإلَّا قيل لا أُقِلْها بالجزم فإنَّ المضارع المنفىَّ بلا ولم ، يُجزَم شرطاً وجواباً ولم يفتقر إلى الفاءِ .

وزعم ابن هشام (فى المغنى) أَنَّ جملة لا أُقيلها جواب إنْ . قال فيه : والأَكثر أَن تكون إذن جواباً لإنْ أَو لوْ ، ظاهرتين أَو مقدَّرتين . فالأَوّل كقوله :

لئن عادَ لى عبدُ العزيز بمثلها ... . البيت

واعترض عليه الدَّمامينى (فى الحاشية الهندية) بأَنَّه مخالفٌ للقاعدة المشهورة ، وهى أَنَّ القسم والشرط متى اجتمعا فالجواب للسَّابق منهما ، واللام مصاحبة لقسمٍ مذكور فى بيتٍ قبلها ، فالجواب للقسم السابق لا للشرط اللاحق ، ولهذا لم يُجزَم الفعل . وإلاَّ فلو كان[٢] للشرط لجُزِمَ . انتهى .

---

(١) الحماسة ١٢٣٧ بشرح المرزوق ، بدون تعيين للقائل .
(٢) ش : « وإلا لو كان » .

وما ذكره من القاعدة فى اجتماعهما هو ما نظمه ابنُ مالك (فى الأَلفيَّة) وقال :

واحذِف لدى اجتماعِ شرطٍ وقَسَمْ جوابَ ما أَخَّرتَ فهو مُلتزَمْ

ولم يذكر الشاطبي (فى شرحه) خلافاً فى هذا . وبه تعلم سُقوط قول ابن المُلَّا (فى شرح المغنى) : إطلاق أَنَّ إذن جوابٌ مجاز ، فلا يردُ أَنَّ رابط هذا الشرط إنما هو الفاءُ أَو إذا الفجائية ليقال أَراد بكونها حرفَ جوابٍ أَنَّها تختصُّ به وإن لم تكن رابطةً له بالشَّرط . والاعتراضُ بأَنَّ ما ذكره مخالفٌ للقاعدة ، فالجواب أَنَّ التمثيل هنا ليس على المشهور ، بل على رأْى ابن مالك كما هو مذهب الفراء ، مِنْ جعلِ الجواب للشرط المتأَخِّر . هذا كلامه إن كان له .

وقد عرفتَ أَنَّ الجواب لو كان للشَّرطِ لجزم ولم يُحتَجْ للفاء أَو إذا .

وأَغربُ من هذا قول العينى : لا أُقيلها فى موضع جزْم على جواب الشرط ، وعملتْ إن فى الموضع دُونَ اللفظ . والاستشهادُ فى إذن حيث أُلغيت لوقوعها بين القسم والجواب ، وهما : حلفت ، ولا أُقيلها . انتهى .

تتمَّة

قال أَبو على (فى المسائل البغدادية) : ذكر سيبويه لئن أَتيتنى لأَفعلنَّ ، وما أَشبهه نحوَ قوله تعالى : ﴿ لَئِنْ جِئْتَهُمْ بِآيَة لَيَقُولَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا[1] ﴾ ، فزعم أَنَّ الذى يعتمد عليه اليمين اللام الثانية . فاعتلَّ أَبو إسحاقَ لذلك (فى كتابه فى القرآن) عند قوله تعالى :

---

(١) الآية ٥٨ من سورة الروم .

﴿ ولقَدْ عَلِمُوا لمَن اشْتَرَاهُ [(١)] ﴾ بأَن قال : إنَّ اللام الثانية هى لام القسم فى الحقيقة ، لأنَّك إنما حلفت على فعلك لا على فعل غيرك فى قولك : والله لئن جئتنى لأكرمنَّك . وهذا الذى اعْتلَّ به فاسدٌ جدًّا ضعيف ، وذلك أنَّه لو قال : لئن جئتنى ليقومنَّ عمرو ، لكان الذى يعتمد عليه القسم اللامَ الثانية مع أنَّ الحالف لم يحلف على فعل نفسه ، وإنَّما حلف على فعل غيره . فهذا عندى بيِّن الفساد . ولكن ممَّا يدلُّ على أنَّ الاعتمادَ على اللام الثانية أو ما يقوم مقامها مما يُتلقَّى به القسم قولُ كثيِّر :

٥٨٢

لئن عادَ لى عبد العزيز بمثلِها ..... البيت

فلو كان الاعتمادُ على اللام فى لئن دون لا لوجَب أن ينجزم الفعل بعد لا فى الجزاء ، فلمَّا ارتفع الفعلُ الذى هو لا أُقيلها علمتَ أنَّ معتمد اليمين إنَّما هو على اللام الثانية أو ما أشبه اللام . فمن هنا تعلم أنَّ الاعتماد على الثانية لا من حيث ذكر . اهـ .

صاحب الشاهد

والبيت من قصيدةٍ لكثيِّر عزَّة ، يمدح بها عبد العزيز بن مروان . ويتَّصل به من قبلُ أبياتٌ ، وهى :

(وإنَّ ابن لَيلى فاهَ لى بمقالةٍ ... ولو سِرتُ فيها كنتُ ممن يُنيلها
عجبتُ لِتَركِى خُطَّةَ الرُّشد بعدما ... بدا لىَ من عبد العزيز قَبولُها
وأُمِّىَ صَعباتِ الأُمورِ أَرُوضها ... وقد أمكنتْنى يوم ذَلَّ ذَلولُها
حَلَفْتُ بربِّ الراقصاتِ إلى منًى ... يَغُول البلادَ نصُّها وزميلُها
لئن عاد لى عبد العزيز . . . . البيت
فهل أنت إن راجعْتُكَ القولَ مرَّةً ... بأَحسَنَ منها ، عائدٌ فمُقِيلُها)

---

(١) الآية ١٠٢ من سورة البقرة .

قال ابن هشام اللخمى (فى شرح أبيات الجمل) : ذكر أَهلُ الأَخبار أَنَّ كُثَيِّراً لمَّا دخل على عبد العزيز فأَنشده قصيدته التى أَلحق فيها البيتَ المستشهدَ به مع الأَبيات المتقدِّمة ، أُعجب بقوله فيها :

إذا ابتدرَ النَّاسُ المكارِمَ بذَّهُمْ عُراضَةُ أَخلاقِ ابنِ لَيلى وطُولُها

فقال : حكمَكَ يا أَبا صخر . قال : فإِنِّى أَحكُمُ أَن أَكون مكانَ ابن رُمَّانة . وكان ابن رُمَّانة كاتِبَ عبدِ العزيز وصاحبَ أَمره . فقال له عبد العزيز : تَرَحاً لك[1] ! ما أَردتَ ويلكَ ولا علمَ لك بخراجٍ ولا كتابة ؟ اخرجْ عنِّى! فخرج كثيِّر نادماً على ما حكم ، ثم لم يزل يتلطَّف حتَّى دخل عليه ، فأَنشده :

عجبتُ لتركى خُطَّة الرُّشد ..... الأَبيات

فلما أَتى إلى قوله :

فهل أَنت إنْ راجعتُك القولَ مرّةً ..... البيت

قال له عبد العزيز : أَمَّا الآن فلا ، ولكن قد أَمرنا لك بعشرين أَلفَ درهم .

فقوله فى البيت: (لئن عادَ لى عبدُ العزيز بمثلها) ، أَى بمقالةٍ مثلها ، وهى قول عبد العزيز له : حكمَك . وقوله: (إذن لا أُقيلُها) أَى أَطلبُ منه ما لاَ اعتراضَ علىَّ فيه ولا قَدْح . هكذا فسَّره العلماءُ، وهو الصحيح . وما قاله ابن سيده ، أَنَّ عبد العزيز بن مروان كان أَعطاه جاريةً فأَبى كثيِّر من قبولها ، ثم ندِم بعد ذلك فيقول : لئن عاد لى بجارية مثلِها مرّةً أُخرى لا أُقيلها ، غلط . وهو قياسٌ منه ، والصَّحيح ما تقدَّم .اهـ.

---

(١) ط : « ترى حالك » ، صوابه فى ش .

ومن حكى هذا ابنُ السِّيد (فى شرح أبيات الجمل) قال : وقيل بل عرضَ عليه أَن يهبَ له جارية ويترك التغزُّل بعزَّة ، فأَبى مِن ذلك ، ثم ندِم على ما فعلَ فقال هذا الشعر . اه .

ولم يذكر الجاحظ (فى البيان والتبيين) إِلَّا الوجهَ الأَوّل، قال فيه : ومن الحمق كثيِّرُ عَزَّةَ . ومن حُمقه أَنَّه دخل على عبد العزيز بن مروان فمدحَه بمديحٍ استجاده ، فقال له : سلْنِى حوائجَك . قال : تجعلنى فى مكان ابن رُمّانة . قال : ويلك ذاك رجلٌ كاتب وأَنت شاعر ! فلمَّا خرج ولم ينل شيئاً قال فى ذلك : ٥٨٣

* عجبت لتركى خُطَّة الرشد[1] * ..... الأَبيات المتقدمة

وقوله : « وإِنَّ ابنَ ليلى فاه لى بمقالة » الخ ، قال السِّيرافى : أَراد بمثل المقالة المذكورة فى هذا البيت . والمعنى ممن يُنيلهوها[2] . والعائد إِلى من هو ضمير المذكور المنصوب المحذوف، وضمير المؤنَّث للمقالة . وفى ينيلها ضمير فاعل لابن ليلى ، والمعنى ينيله ابنُ ليلى إِيَّاها . أَى لو سِرتُ فى طلبها .

وقال الأَندلسى : فإِن قلت : كيف ينيله المقالة ؟ قلت : يريد المقولة فيه .

قال ابن المستوفِى : وهذا قولٌ غير مشكل ، لأَنَّ عبد العزيز حكَّمه ، ولا نَيْلَ أَوفى من أَن يحكِّم المسئُولُ سائلَه . أَى لو طلبتُها من عبدالعزيز لعادَ لى بمثلها مُحكَّما ، فكنت ممن ينيله عبد العزيز إِيَّاها، على ما ذكره السيرافى .

---

(١) فى البيان : « لأَخذى خطة الغى » ، ومؤداهما واحد .

(٢) ط : « ممن ينيلوها » ، صوابه فى ش . وانظر الأشمونى ١ : ١٢٢ .

وقوله : « ولو سِرْتُ فيها » أى لو رحلتُ لأَجلها ، أى لطلبها .

وقوله : « عجبت لتَركِى » إلخ ، الخُطَّة ، بالضم : الأَمر والقصَّة . وأَراد بخطَّة الرُّشد تحكيمَ عبدِ العزيز إيّاه فيما يطلب . وفسَّرها العينى وتبعه السيُّوطى بخَصْلة الهِداية . وهذا معناها اللغوىُّ ، ولم يذكر المراد منها .

عبد العزيز بن مروان

وعبد العزيز هو عبد العزيز بن مروان بن الحكم، والد عمر بن عبد العزيز أَمير مصر ، وولىُّ العهد بعد أَخيه عبد الملك من أَبيهما مروان. وقول الدمامينى : أَحدُ الخلفاءِ الأَمويين ، ينبغى حمله على ولاية العهد ، وإلَّا فهو لم يلِ الخلافة أَصلاً . لكن يبقى عليه أَنَّ الصَّحيح أَنَّ خلافة مروان غير صحيحة ، وأَنَّه خارجٌ على ابن الزُّبير باغٍ عليه ، فلا يصحُّ عهدهُ إلى ولديه .

ولمَّا ملك مرْوانُ الشَّامَ سارَ إلى مصر ، وغلب عليها ، واستخلف عليها ولده عبدَ العزيز ، فبقى أَميرَها إلى أَنْ مات سنة خمس وثمانين ، عند الأَكثر .

حُكِى عنه أَنَّ رجلا دخل عليه يشكو صهراً له ، فقال : إنَّ ختَنى فعل بِى كذا وكذا . فقال له : ومن ختَنَك ؟ وفتح النون . فقال : ختننى الختَّان الذى يختِن الناس . فقال عبد العزيز لكاتبه : ما هذا الجواب؟ فقال : إنَّ الرجل يعرف النحو ، وكان ينبغى أَن تقول : من خَتَنُك ؟ بضم النون . فقال : والله لا شاهدتُ الناسَ حتَّى أَعرفَ النحو ، وأَقام فى بيته جمعةً لا يظهر ، ومعه من يعلِّمه العربية ، ثم صلَّى بالناس الجمعة الأُخرى وهو من أَفصح الناس .

وقوله : « وأَمِّىَ صعباتِ » إلخ ، الأَمُّ بفتح الهمزة وتشديد الميم : القصد ، مصدرٌ مضاف إلى فاعله ، ومفعولُه الصَّعْبات بسكون العين . وأَروضُها : أُذَلِّلها . والذَّلول ، بالفتح : السَّهل المنقاد .

وقوله : « حلفتُ بربِّ الراقصات » إلخ ، قال ابن السيرافى : الرَّقَص : ضربٌ من الخبب فى العَدْو . وحلف بربِّ الإبل التى يُسار عليها إلى الحجّ . و « تغول البلاد » : تقطعها . والنَّصُّ والذَّميل : ضربان من العَدْو .

وقوله : « لئن عاد لى عبد العزيز » ، الضمير فى قوله بمثلها راجعٌ لمقالة عبد العزيز ، وهى : حُكْمك ، أَو سَلْنى حوائجك . ويجوز أَن يرجع لخُطَّة الرشد التى هى عبارةٌ عن مقالة عبدالعزيز . ولم يذكر غيرَه العينى . ويؤيِّده قول الزمخشرى : منها أَى من الخُطَّة . لا أُقيلها ، أَى العثرة . اه .

والعشرة غير مذكورة فى الكلام ، وإنَّما أعاد الضمير عليها لفهمها من المقام . والإقالة : الردُّ . وفى الدعاءِ يقال : لا أَقال الله عثرته !

قال ابن المستوفى وبعض فضلاءِ العجم (فى شرح أَبيات المفصَّل) : ويروى : « لا أُفيلها » بالفاء ، أَى لا أُفيل رأْيه فيها ، أَو فى التأَخُّر عنه والتثبُّط عن تنجيزِ ما وَعَدَنى به . يقال : فالَ يَفيل فَيلُولة ، إذا ترك الرَّأْى الجيِّد وفعلَ ما لا ينبغى للعقلاءِ أَن يفعلوه . فالفيلولة : ضعف الرأْى . وهذه الرواية هى المناسبة . والله أَعلم .

٥٨٤

وترجمة كثيِّر عزَّة تقدَّمت فى الشاهد الثالث والسبعين بعد الثلثمائة[1] .

* * *

(١) الخزانة ٥ : ٢٢١ — ٢٢٤ .

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثانى والخمسون بعد الستمائة ، وهو من شواهد المفصَّل[1] :

٦٥٢ (فقالتْ : أَكُلَّ النَّاسِ أَصْبَحْتَ مانحاً
لِسانَك كيما أَنْ تَغُرَّ وتَخدَعا)

على أَنَّ (كى) عند الأَخفش حرف جرٍّ دائماً ، ونصبُ الفعل بعدها بأَن مضمرة ، وقد تظهر كما فى البيت .

نقل ابن المستوفى عن صاحب المفصَّل، أَنَّه قال فى الحواشى : لمَّا دخل عليها حرف الجرّ تعيَّنت أَنَّها حرفٌ ناصب للفعل . فإذا جاءت كى ومعها أَنْ كان شاذاً ، للجمع بين المَنُوب والنائب ، كالجمع بين العِوَض والمعوَّض عنه . اهـ .

وهذا عند ابن عصفور ضرورة ، قال (فى كتاب الضرائر) : ومنها زيادة أَنْ ، كقولك :

* أردتَ لكيما أن تَطِير بِقربَتى *

أَنْ فيه زائدة غير عاملة ، لأَنَّ لكيما تنصب الفعل بنفسها ، ولا يجوز إدخال ناصب على ناصب . وأَمَّا قول حسَّان :

فقالت أَكُلَّ الناس أَصبحتَ ما نحاً ..... البيت

فأَنْ فيه ناصبة لا زائدة ، أُظهرت للضرورة ، لأَنَّ كيما إذا لم تدخل عليها اللام كان الفعل بعدها منتصباً بإضمار أَن ، ولا يجوز إظهارُها فى فصيح الكلام . اهـ .

---

(١) ابن يعيش ٩ : ١٤ — ١٦ والمغنى ١٨٣ وشذور الذهب ٢٨٩ والعينى ٣ : ٢٤٤- ٤ : ٣٧٩ والتصريح ٢ : ٣ ، ٢٣٠ ، ٢٣١ والهمع ٢ : ٥ والأشمونى ١ : ٢٧٩ / ٢ : ٢٠٤ وديوان جميل ٢٥ .

ومثله لابن هشام ، قال (فى المغنى) : ولا تظهر أنْ بعد كى بلا لام إلّا فى الضرورة . وأنشد البيت ثم قال : وعن الأخفش أنَّ كى جارَّةٌ دائماً ، وأنَّ النصب بعدها بأن ظاهرة أو مضمرة . ويردُّه نحو : ﴿ لكَيْلَا تأْسَوْا[1] ﴾ . فإنْ زعم أنَّ كى تأْكيدٌ للام كقوله :

* ولا لِلما بهم أبدًا دواءُ[2] *

ردَّ بأَنَّ الفصيح المقيسَ لا يخرَّج على الشاذّ . اه .

وقال ابن يعيش : ويروى :

* لسانك هذا كى تغرَّ وتخدعا *

وقال السيوطى : رأيته فى ديوان جميل كما قال ابن يعيش ، فلا شاهدَ ولا ضرورة .

وكذا قال ابن المستوفى : هكذا هو فى شعره ، ولعلَّ ما أورده الزمخشرىُّ روايةٌ أُخرى . والمعنى أَنَّها قالت له : أَهكذَا منحتَ لسانك هذا لِتغُرَّهم كما تغرُّنى ، وتخدعَهم كما تخدعنى .

صاحب الشاهد

والصحيح أَنَّ البيتَ من قصيدة لجميل العُذْرىِّ صاحبِ بُثينة ، لا لحسَّان بن ثابت . وهذا مطلعُ القصيدة :

(عرفتُ مصيفَ الحىِّ والمتربَّعا ... كما خَطَّت الكفُّ الكتابَ المرجَّعا
معارفُ أَطلالٍ لِبَثْنة أَصبَحتْ ... معارفُها قفراً من الحىِّ بَلقعا
معارف للخَوْد التى قلتُ أَجملى ... إلينا فقد أُصْفيتِ بالودِّ أَجمعا
فقالت : أَفِقْ ما عِندنا لكَ حاجةٌ ... وقد كنتَ عنَّا ذَا عزاءٍ مشيَّعا

(١) الآية ٢٣ من سورة الحديد .

(٢) لمسلم بن معبد الوالبى . وانظر معجم شواهد العربية ٢١ . وصدره :

* فلا والله لا يلفى لما بى *

فقلت لها : لو كنتَ أُعطيتُ عنكم عزاءً لأَقللتُ الغداةَ التضرُّعا
فقالت : أَكلَّ النَّاسِ أَصبحتَ مانحاً
لسانَك هذا كى تَغُرَّ وتخدعا[1])

المصيف : موضع الإقامة فى الصيف . والمتربَّع : موضع الإقامة فى الربيع.
٥٨٥ وقوله: « كما خطَّت » إلخ ، حال منهما . أَراد أَنَّ الآثار قد انمحت كالخطِّ القديم الذى قد رُوجع للقراءة فيه مرّاتٍ كثيرة[2] .

والمعارف : الأَماكن المعروفة . والبلقع : الخالى من الأَنيس . والخَوْد، بالفتح : الجارية الناعمة ، والجمع خُود بالضم . وأَجملى : أَمرٌ من الإجمال وهو المعاملة بالجميل . وأُصفيتِ مجهول أَصفيته الودَّ ، أَى أَخلصته له . والعزَاءُ : الصَّبرُ . والمشيَّع ، بفتح المثناة التحتية المشددة ، يقال قلبٌ مشيَّع أَى مشجَّع ، أَى ذو شِيعة ، وهم الأَنصار والأَتباع .

وقوله : « فقالت أَكلَّ الناس » إلخ ، الهمزة للاستفهام ، وكلَّ مفعول ثان لمانِحاً ، وفيه تقديم مفعول معمولِ أَصبح عليه ، لأَنَّ مانحًا خبر أَصبح . والمنح : الإعطاء ، يتعدَّى لمفعولين . يقال مَنَحه كذا بفتح النون فى الماضى ، وتفتح وتكسر فى المستقبل . و (لسانك) مفعوله الأَوّل . ومنْح اللسان عبارةٌ عن التلطُّف والتودُّد . وقال بعض فضلاء العجم (فى شرح أَبيات المفصَّل) : وروى : « ماتحًا » بالمثنَّاة من فوق، من متح الماءَ من البئر إذا استقى منها . وجعلَه هنا بمعنى سقى فعدَّاه إلى

(١) بعده فى الديوان ، وهما تتمة الأبيات الثمانية :
فما نعجة أدماء ترعى مهارقاً تزجى لهـا طفلا يروح مرضما
بأحسن منها يوم قالت : ألا أرى جيلا غدا لم ينتظر أن يمنما

(٢) هذا تفسير ساذج . وإنما المرجع من الكتب الذى أعيد عليه السواد مرة بعد أخرى . يقال رجع النقش والوشم ترجيعاً : ردد خطوطه . وانظر اللسان (رجع ٤٧٣) .

مفعولين . ويصح أن يكون لسانكَ منصوباً بنزع الخافض ، أى بلسانك . هذا كلامه . وما فى كيما زائدة .

وزعم العينى أنَّها مصدريَّة أو كافَّة . ولا وجهَ لهما . فتأمَّلْ .

وغرَّته الدنيا غُرورًا ، من باب قعد : خدعَتْه بزينتها . فمفعوله محذوف، أى تغرُّهم . وكذا ما بعده . وخدَعه : مكَر به ، بفتح الدال فى الماضى والمستقبل ، والألف للإطلاق .

وترجمة جميل العذرىُّ تقدَّمت فى الشاهد الثانى والستِّين من أوائل الكتاب[1] .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثالث والخمسون بعد الستمائة[2] :

٦٥٣ (أردتَ لكيما أنْ تطيرَ بِقربتى   فتتركَها شَنًّا ببيداءَ بَلْقَعِ)

لما تقدَّم قبله. وقال ابن الأنبارى (فى مسائل الخِلاف): ذهب الكوفيون إلى أنَّه يجوز إظهار (أنْ) بعد كى توكيدًا لكى. وذهب بعضُهم إلى أنَّ العامل فى جئتُ لكى أن أُكرمَك ، اللامُ ، وكى وأنْ توكيدان لها . وقالوا : يدلُّ على جواز إظهارها النقل ، كقوله :

* أردتَ لكيما أن تطيرَ بقِربتى *

والقياسُ على تأكيد بعض الكلمات لبعض ، فقد قالوا: لا ، ما ، إنْ[3] رأيت مثلَ زيد . فجمعوا بين ثلاثة من أحرف الجحد ؛ للمبالغة .

---

(١) الخزانة ١ : ٣٩٧ - ٣٩٨ .

(٢) معانى الفراء ١ : ٢٦٢ والإنصاف ٥٨٠ وابن يعيش ٧ : ١٩ / ٩ : ١٦ والمغنى ١٧٢ وشرح شواهده للسيوطى ١٧٣ والعينى ٤ : ٤٠٥ والتصريح ٢ : ٢٣١ والأشمونى ٣ : ٢٨٠.

(٣) ط : « لا ما إن » ، وأثبت ما فى ش والإنصاف وإن كان مؤداهما واحداً .

وقال البصريُّون : لا يخلو إظهار أن بعد كي إمَّا لأَنَّها كانت مقدَّرة فظهرت ، وإمّا لأنَّها زائدة . والأَوّل باطل ، لأَنَّ كي عاملةٌ بنفسها ، ولو كانت تعمل بتقدير أَن لكان ينبغي إذا ظهرت أَن يكون العمل لأَنْ ، فلمَّا أُضيف العمل إلى كي دلَّ على أَنَّها العامل . وكذا الثانى باطل ، لأَنَّ زيادتها ابتداءً ليس بمقيس ، فوجب أن لا يجوز إظهار أَنْ بِحال . ومنهم من قال : إنَّما لم يجز إظهار أَنْ بعد كي وحتَّى لأَنَّهما صارتا بدلاً من اللفظ بأَنْ ، كما صارت ما بدلاً عن الفعل فى قولهم : أَمَّا أَنت منطلقاً انطلقتُ معك ، والتقدير : أَنْ كنت منطلقاً ، فحذف الفعل وجُعل ما عوضاً عنه . وأَمَّا قوله :

* أَردت لكيما أَن تطير بقربتى *

فلا حجة فيه ، لأَنَّ قائله مجهول . وإن عُلم فإظهار أَنْ بعد كى لضرورة الشعر ، أَو لأَنَّ أَن بدلٌ من كى ، لأَنَّهما بمعنًى واحد[1] . اهـ .

والجيِّد هو الجواب الثانى . وأَمَّا الأَوّل والثالث ففاسدان .

٥٨٦ والذاهب إلى أَنَّ العامل اللام ، وكى وأن مؤكِّدان لها ، هو الفراءُ ، قال (فى تفسيره) ، عند قوله تعالى : ﴿يُرِيدُ اللهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ[2]﴾ : مثلُه فى موضع آخر : ﴿واللهُ يُرِيدُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْكُمْ[3]﴾ . والعرب تجعل اللام التى على معنى كى فى موضع أَن ، فى أَردت وأَمرت ، فتقول : أَردت أَن تذهب وأَردت لتذهب ، وأَمرتك أَن تقوم وأَمرتك لتقوم . قال تعالى : ﴿وأُمِرْنَا لِنُسْلِمَ لِرَبِّ العَالَمِينَ[4]﴾ ، وقال فى موضع آخر : ﴿قُلْ إِنِّى أُمِرْتُ أَنْ

(١) تصرف البغدادى فى هذا النص تصرفاً كبيراً .
(٢) الآية ٢٦ من سورة النساء .
(٣) الآية ٢٧ من سورة النساء .
(٤) الآية ٧١ من سورة الأنعام .

أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ[(١)]﴾ وقال: ﴿يُرِيدُون لِيُطْفِئُوا[(٢)]﴾ و﴿ أن يُطْفِئُوا[(٣)]﴾.
وإنَّما صلحت اللام فى موضع أَنْ فى أُمرت وأَردت ، لأنَّهما يطلبان المستقبل ولا يصلحان مع الماضى . ألا ترى أَنَّك تقول : أَمرتك أَن تقوم ، ولا يصلح أَمرتك أَن قمت ، وكذلك أَردت . فلمَّا رأَوْا أَنْ فى غير هذين تكون[(٤)] للماضى وللمستقبل، استوثقُوا لمَعْنَى الاستقبالِ بكى[(٥)] وباللام التى فى معنى كى . وربَّما جمعوا بينهما ، وربما جمعوا بين ثلاثِهنَّ . أَنشدنى أَبو ثَرْوان :

أَردتَ لكيما أَنْ تُرى لى عَثرة ومَن ذا الذى يُعطَى الكمَالَ فيكمُلُ[(٦)]

فجمع بين اللام ، وكى وأَن . وقال تعالى: ﴿ لِكَيْلَا تَأْسَوْا[(٧)]﴾ . وقال الآخر فى الجمع بينهنَّ :

* أَردتَ لكيما أَنْ تطيرَ بقربتى * ..... البيت

وإنَّما جمع بينهنَّ لاتِّفاقهنَّ فى المعنى واختلاف لفظهنَّ . قال رؤبة :

* بغير لا عصفٍ ولا اصطرافِ *

وربَّما جمعوا بين ما ولا وإن التى على معنى الجحد ، أَنشدنى الكسائىُّ فى بعض البيوت :

* لا ما إن رأيت مثلك *

(١) الآية ١٤ من سورة الأنعام .
(٢) الآية ٨ من سورة الصف .
(٣) الآية ٣٢ من سورة التوبة .
(٤) ش : « يكون » .
(٥) ط : « لكى » ، صوابه فى ش ومعانى القرآن ١ : ٢٦٢ .
(٦) ورد أيضاً فى همع الهوامع ٢ : ٥ والدرر ٢ : ٥ .
(٧) الآية ٢٣ من سورة الحديد .

فجمع بين ثلاثة أحرف . وربَّما جعلت العرب اللامَ مكان أَنْ فيما أشبه أَردت وأَمرت . مِمَّا يطلب المستقبل . أَنشدنى أَبو الجرَّاح الأَنْفِىُّ ، من بنى أَنف النَّاقة ، من بنى سعد :

أَلم تسأَل الأَنفِىَّ يوم يسوقُنى ... ويزعمُ أَنِّى مُبطل القولِ كاذبُه

أَحَاوَلَ إعناتى بما قال أَمْ رجا ... ليضحكَ منى أَو ليضحكَ صاحبُه [(١)]

والكلام : رجَا أَن يضحك . ولا يجوز ظننت لتقوم ، وذلك أَنَّ أَن التى تدخل مع الظنِّ تكون مع الماضى نحو : أَظُنُّ أَن قد قام زيد ، فلم تُجعل اللام فى موضعها ولا كى [(٢)] إذْ لم تطلب المستقبل وحدَه . وكلَّما رأَيت أَنْ تصلح مع المستقبل والماضى فلا تدخِلنَّ عليها كى ولا اللام .

هذا كلام الفراء . وظهر منه أَنَّ أَن لا تكون إلَّا مع كى المسبوقة باللام مع تقدُّم أَحد الفعلين من أَمر وأَراد، وما أَشبههما ، وأَنَّ لام كى لا تكون إلَّا مسبوقة بأَحد هذين الفعلين .

وقال ابن هشام (فى المغنى) : كى تكون بمنزلة أَن المصدرية معنًى وعملا ، نحو: ﴿ لِكَيْلَا تَأْسَوْا [(٣)] ﴾ ، يؤيِّده صحة حلول أَنْ محلَّها ، وأَنَّها لو كانت حرفَ تعليل لم يدخل عليها حرف تعليل . ومن ذلك : جئتك كى تكرمَنى ، إذا قدَّرت اللام قبلها ، فإنْ لم تقدِّر فهى تعليليَّة جارَّة ، ويجب حينئذ إضمار أَن . ومثله فى الاحتمالين قوله :

* أَردتَ لكيما أَن تطيرَ بقِربتى *

---

(١) ش : « أو رجاً » .

(٢) معانى الفراء : « ولا كى فى موضعها » .

(٣) الآية ٢٣ من سورة الحديد .

فكى إمّا تعليلية مؤكِّدة للام ، أو مصدريَّة مؤكَّدة بأَن . ولا تظهر أَنْ بعد كى إلَّا فِى الضرورة ، كقوله :

* كيما أَن تغرَّ وتخدعَا[1] *

وقوله : « أَردتَ لكيما » إلخ ، ما صلة وزائدة . والطَّيران هنا مستعارٌ للذّهاب السريع . و(القربة) بكسر القاف معروفة . و (تتركَها) منصوب بالعطف على تطير . والترك يستعمل بمعنى التخليَة ويتعدَّى لمفعول واحد، وبمعنى التصييرِ ويتعدَّى لمفعولين ، وهنا محتملٌ لكلٍّ منهما . فشنًّا على الأَوّل حال من الهاءِ ، وعلى الثانى هو المفعول الثانى ، و « ببيداءَ » عليهما متعلِّق بالترك؛ أَو هو المفعول الثانى ، وشَنًّا حال . وبَلقع بالجر صفة بيداءَ .

٥٨٧

وقال العينى : شنًّا حال بتأْويل متشنِّنة ، من التَشَنُّن[2] وهو اليبس فى الجلد . والباءُ فى ببيداءَ تتعلَّق بمحذوف ، تقديره شنًّا كائنةً ببيداءَ . هذا كلامه .

والشَّنُّ ، بفتح المعجمة وتشديد النون : القِربةُ الخَلَق . والبَيْداءُ : الفلاة التى يَبيد من يدخلُها ، أَى يَهلِك . والبلقعُ : القَفْر .

وهذا البيت قلمَّا خلا منه كتابٌ نحوى ، ولم يعرف قائله . والله أَعلم .

* * *

وأَنشد بعده ، وهو الشاهد الرابع والخمسون بعد الستِّمائة[3] :

٦٥٤ (كَىْ لتَقْضِينى رُقَيَّةُ ما وعَدَتْنى . . . . . .) البيت ..

(١) هو الشاهد ٦٥٢ المنسوب جميل . انظر ما سبق ص ٤٨١ .

(٢) ط : « التشنين » ، صوابه فى ش والعينى .

(٣) العينى ٤ : ٣٧٩ والتصريح ٢ : ٢٣١ والهمع ١ : ٥٣ والأشمونى ٣ : ٢٨١ وديوان ابن قيس الرقيات ١٦٠ .

على أَنَّ الأَخفش يعتذر لتقدُّم اللام على كى فى (لكَيْما) وتأَخُّرها عنها فى (كى لتقضينى) أَنَّ المتأَخِّر بدلٌ من المتقدِّم .

وهذا يَرُدُّ على الكوفيِّين فى زعمهم أَنَّ كى ناصبة دائماً ، لأَنَّ لام الجر لا تفصل بين الفعل وناصبهِ . كذا قال ابن هشام (فى المغنى) .

وقال الدمامينى : هذا الردُّ على الكوفيِّين ظاهر . أَمّا إذا جُعل النصبُ بأَن مضمرة كما يقول البصريُّون ، وكى جارّةٌ تعليليَّة أُكِّدَت بمرادفها وهى اللام ، انتفى هذا المحذور . نعم يلزم الشُّذوذ من جهة هذا التأْكيد ، ولكنَّه سُمع فى كلامهم ، بل هو أَحقُّ ، من نحو قوله :

* ولا لِلِما بهمْ أَبدًا دواءُ[1] *

لاختلاف الحرفين لفظاً .

هذا كلامه ، وهو خلافِ ما (فى التَّذكِرة) لأَبى على ، قال فيها : كى هنا بمعنى أَنْ ، ولا تكون الجارّةَ ، لأَنَّ حرف الجرِّ لا يتعلَّق . وإذا كانت الأُخرى كانت زائدة ، كالتى فى قوله :

* كأَنْ ظبيةٍ تعطُو إلى وارقِ السَّلَمْ[2] *

وقال النِّيلىُّ (فى شرح الكافية) : ويحتمل أَن يكون أَراد: لكى تقضينى ، فقدَّم وأَخَّر .

والبيت من أَبياتٍ لابن قيس الرُّقيّات ، محذوفُ الآخر ، وقبله : صاحب الشاهد

(١) انظر ماسبق فى ص ٤٨٢ س ٥ .

(٢) لابن صريم اليشكرى . وهو الشاهد ٨٧٤ . وصدره :

* ويوماً توافينا بوجه مقسم *

(ليتَنى أَلقَى رُقيَّةَ فى خَلوةٍ من غيرِ ما أَنَسِ
كى لتقضينى رُقيَّةُ ما وعَدتْنى غيرَ مُختَلَسِ[1])

ورقيَّة : اسم محبوبته . والأَنَس ، بفتحتين ،بمعنى الإِنس، بكسر الهمزة وسكون النون . وما زائدة ، وفيه مضاف محذوف تقديره من غير حضور أَنَس .

وقوله : « لتقضِينى » علّة لقوله أَلقَى . والقضاءُ : الأَداءُ ، يقال قضيت الحجَّ والدَّين . أى أَدَّيتُهما . فهو متعدٍّ لمفعول واحد . فما فى البيت بدل اشتمال من الياء . وكون ما موصوفةً أحسنُ من كَونها مَوصولة . فتأَمَّلْ .

وقال العينى : مفعول ثانٍ لتقضينى . وهى يجوز أنْ تكون موصولة والعائد محذوف ، أى وعَدَتنى إيّاه . ويجوز أن تكون مصدريّة ، أى لتقضينى وعدَها لى . اه .

وهو فى هذا محتاجٌ إلى أن يثبت قَضَى متعدِّياً إلى مفعولين . ولا سبيل إليه إلّا بتضمين ، وهو غير مقيس .

و (المختلَس) بفتح اللام : مصدر ميمى ، يقال خلست الشىءَ خلساً ،من باب ضرب ، واختلستُه اختلاساً ، أَى اختطفته بسُرعة على غفلة . و (غير) مفعول مطلق ، أَى لتقضينى قضاءً غير اختلاس . والمراد : لِأَنال مِن وصلها فى أَمنٍ من الرُّقباء .

---

(١) الشاهد من بحر المديد . قال العينى : « وفيه الخبن والحذف والكف »، صوابه « الخبن والحذف » فقط .

وقد تقدَّمت ترجمة ابن قيس الرقيات فى الشاهد الثالث والثلاثين بعد الخمسمائة[١] .

* * *

٥٨٨ وأنشد بعده ، وهو الشاهد الخامس والخمسون بعد الستمائة[٢] :

٦٥٥ (فثُمَّ إذا أَصبحتُ أَصبحتُ غاديًا)

على أَن الحرف قد يُبدل من مثله الموافقِ له فى المعنى ، كما فى البيت ، فإنَّ ثُمَّ بدلٌ من الفاءِ .

وذهب ابن جنى (فى سر الصناعة) ، وتبعه ابن هشام (فى المغنى) إلى أَنَّ الفاءَ زائدة . قال : لأَنَّ الفاءَ قد عُهِد زيادتها .

وكذا (فى كتاب الضرائر) لابن عصفور ، قال : ومن زيادة الفاء قوله :

يَموت أُناسٌ أَو يشيبُ فتاهُم ويحدثُ ناسٌ والصغيرُ فيكبرُ[٣]

يريد : والصغير يكبَر . وقول أَبى كبير :

فرأَيتُ ما فيه فثُمَّ رزِئتُه فلبثتُ بعدكَ غير راضٍ مَعْمَرِى[٤]

يريد : ثم رزئته . وقول الأَسود بن يعفر :

فَلَنَهشلٌ قومى ولى فى نَهشلٍ نَسَبٌ لعمر أَبيك غيرِ غِلابِ[٥]

---

(١) الخزانة ٧ : ٢٨٤–٢٨٩ .

(٢) سر الصناعة ١ : ٢٦٦ وابن الشجرى ٢ : ٣٢٦ وابن يعيش ٨ : ٦٩ والمغنى ١١٧ والهمع ٢ : ١٣١ والأشمونى ٣ : ٩٥ وديوان زهير ٢٨٥ .

(٣) الهمع ٢ : ١٣١ والدرر ٢ : ١٧٢ بدون نسبة . ط : « أو يشب فأهم » ، صوابه فى ش والهمع .

(٤) ديوان الهذليين ٢ : ١٠١ وشرح السكرى ١٠٨٢ . وقبله :

وبياض وجه لم تحـل أسراره مثل الوذيلة أو كشنف الأنضر

(٥) ط : « نشب » ، صوابه فى ش .

زاد الفاءَ فى أَوّل الكلام لأَنَّ البيت أَوّلُ القصيدة . اهـ .

وقال النِّيلى (فى شرح الكافية) : الذى أَراه أَنَّ الفاءَ للترتيب المتَّصل فى الحكم ، وكأَنَّ الشاعر أَخبرنا بالحكم الثانى عقب إخباره بالحكم الأَوّل .

ونقل السيوطى (فى شرح أَبيات المغنى) : عن السِّيرافى أَنَّه قال : الأَجود فَثَمَّ ، بفتح المثلثة ، لكراهة دخول عاطف على عاطف .

صاحب الشاهد — والبيت من قصيدةٍ لزهير بن أَبى سُلمى ، وهى :

أبيات الشاهد — (أَلا ليتَ شعرى هل يرى الناسُ ما أَرى — من الأَمر أَو يبدو لهم ما بدا ليا

بدا لىَ أَنَّ الناس تَفنى نفوسُهم — وأَموالُهم ولا أَرى الدهرَ فانيا

وأَنِّى متى أَهبطْ من الأَرض تَلعةً — أَجدْ أَثراً قبلى جديداً وعافيا

أَرانى إذا ما بتُّ بتُّ على هَوًى — فثُمّ إذا أَصبحتُ أَصبحتُ غاديا

إلى حفرةٍ أَهوِى إليها مقيمةٍ — يَحُثُّ إليها سائقٌ من ورائيا

كأَنِّى وقد خلَّفت تسعين حِجّةً — خلعتُ بها عن مَنكبيَّ ردائيا

بَدا لىَ أَنِّى عِشتُ تسعين حِجّةً — تِباعاً ، وعشراً عشتُها ، وثمانيا

بدا لىَ أَنَّ الله حقٌّ فزادنى — من الحقِّ تقوى الله ماقد بدا ليا

بدا لىَ أَنِّى لستُ مدركَ ما مضى — ولا سابقاً شيئاً إذا كان جائيا[1]

أُرانى إذا ما شئتُ لاقيتُ آيةً — تذكِّرنى بعضَ الذى كنتُ ناسيا

وما إن أَرى نفسى تَقِيها كريمتى — وما إن تَقِى نفسى كريمةَ ماليا

(١) فى ديوان زهير ٢٨٧ : « ولا سابقٍ شىء » . وفى الشرح : « ويروى : « ولا فاتنى » .

أَلا لا أرى على الحوادث باقيَا ولا خالدًا إلَّا الجبالَ الرَّواسيا
وإلَّا السَّماءَ والبلادَ وربَّنا وأيامَنا معدودةً واللَّياليا
أَلم تر أَنَّ الله أَهلكَ تُبَّعا وأَهلك لقمانَ بن عادٍ وعاديا
وأَهلَكَ ذا القرنين من قبلِ ما ترى وفرعونَ أَردى كيدَهُ والنَّجاشيا
إذا أَعجبتكَ الدَّهْرَ حالٌ من امرئٍ فدَعْهُ وواكلْ حالَهُ واللَّياليا
أَلا لا أَرى ذا إمَّةٍ أَصبحت به فتتركَه الأَيَّامُ وهى كما هيا ٥٨٩
أَلم تَر للنُّعمانِ كانَ بنجوةٍ من الشَّرِّ لو أَنَّ امرأً كان ناجيا
فغيَّر عنه مُلكَ عشرين حجةً من الدَّهر يومٌ واحدٌ كان غاويا(١)
فلم أَر مسلوبًا له مثلُ مُلكه أَقلَّ صديقاً معطياً أَو مواسيا(٢)
فأَين الذين كان يُعطى جيادَه بأَرسانهنَّ والحسانَ الغواليا(٣)
وأَين الذين كان يُعطيهمُ القُرَى بِغَلَّاتِهنَّ والمئينَ العواديا(٤)
وأَين الذين يَحضرُون جِفانَهُ إذا قُدِّمَتْ أَلقَوْا عليها المراسيا
رأَيتُهمُ لم يُشْرِكوا بنفوسهمْ منيَّتَه لمَّا رأَوا أَنَّها هيا
سِوى أَنَّ حيًّا من رَوَاحة حافَظُوا وكانوا أُناسًا يتَّقون المخازيا(٥)
فسَاروا له حتَّى أَناخوا ببابه كِرامَ المطايا والهجانَ المَتَاليا(٦)

---

(١) فى الديوان : « رشد عشرين حجة » .

(٢) فى الديوان : « مثل قرضه » .

(٣) فى الديوان : « الحواليا » ، جمع حالية .

(٤) فى الديوان : « والمئين الغواليا » . قال : « ويروى الغواديا » .

(٥) فى الديوان : « أقبلوا وكانوا قديماً » .

(٦) فى الديوان :

يسيرون حتى حبسوا عند بابه ثقال الروايا والهجان المتاليا

فقال لهم خيراً وأثنى عليهمُ ووَدَّعهم وداعَ أن لا تلاقيا
وأجمعَ أمرًا كان ما بعدَه لـه وكان إذا ما اخْلَوْلجَ الأمرُ ماضيا)

قال صَعوداءُ ، والأعلم الشنتمرىُّ (فى شرحيهما لديوان زهير) : هذه القصيدة قالها زهير يذكر النُّعمانَ بن المنذر ، حيثُ طلبه كسرى لِيَقْتُلَهُ ، ففرَّ فأتى طَيِّئاً ، وكانت ابنةُ[1] أوس بن حارثة بن لأْم عنده ، فأتاهم فسألهم أن يدخلوه جبَلَهم فأبوا عليه . وكانت له يدٌ فى بنى عبس فى مَرْوان بن زنباع ، وكان أُسِر فكلَّم فيه عمرَو بن هند عمَّه وشفَع له فشفَّعه ، وحَمَله النعمانُ وكساه . فكانت بنو عبسٍ يشكرون ذلك للنُّعمان . فلمَّا هرب من كسرى ولم تُدخله طيِّئُ جبلَها لقيَتْه بنو رَوَاحةَ مِن عبس ، وهم رهطُ مروان بن زِنباع ، فقالوا له : أَقِمْ فينا[2] فإنَّا نمنعك مما نَمنع منه أنفسَنا . فقال لهم : لا طاقة لكم بكسرى وجنوده . فأبى وسارُوا معه ، فأثنى عليهم خيراً وودَّعهم .

وقال الأصمعىُّ : ليست لزهير ، ويقال هى لصِرْمة الأنصارىّ . ولا تشبه[3] كلام زهير .

وقوله : « ولا أرى الدهرَ فانيَا » ، قال صعوداءُ : يقال إنَّ الدهر هو الله جلَّ وعزَّ ثناؤه ، وإنَّما يراد بذلك أنَّ الذى يُحدثه الدهر إنَّما هو من تقدير الله ، فلا ينبغى أن يُسَبّ الدهر ، لأنَّه يرجع إلى سبِّ ما قدَّر الله .

وقوله : « وأنِّى متى أهبطْ » إلخ ، قال الأعلم : التَّلعة : مجرى الماء إلى

---

(١) ط : « وكان ابن » ، صوابه فى ش وشرح ثعلب ص ٢٨٣ .
(٢) ط : « قم فينا » ، صوابه فى ش وشرح ثعلب .
(٣) ط : « ولا يشبه » .

الرّوضة ، وتكون فيما علا عن السَّيل وفيما سَفَل عنه . ودوُن التَّلعة الشُّعبة. والعافى : الدارس . يقول : حيثما سار الإنسان[1] من الأَرض فلا يخلو من أن يجدَ فيه أثرًا قديماً أَو حديثاً[2] .

وقوله : « أُرانى إذا ما بتُّ » إلخ . مع البيت بعده ، قال صعوداءُ : على هوًى ، أى على أمر . يقول : أُرانى إذا مابتُّ على أمرٍ أو حاجة أُرِيدُها ثم أَغدو وأَدع .

وقال الأَعلم : أى لى حاجةٌ لا تنقضى أبدًا ، لأَنَّ الإنسان ما دام حيًّا فلا بدَّ من أن يهوَى شيئًا ويحتاج إليه .

ولم يتعرَّض كلٌّ منهما إلى قوله فثمّ .

وفى جميع النسخ : « غاديًا » بالغين المعجمة . وروى البيت (فى مغنى اللبيب) كذا :

أُرانى إذا أَصبحتُ أَصبحتُ ذا هوًى فثُمَّ إذا أَمسيتُ أَمسيتُ عاديا

قال ابن المُلاَّ : أُرانى من أَفعال القلوب التى يجوز أن يكون فاعلها ومفعولها الأَوّل ضميرين متَّصلين متَّحدىِ المعنى . والهوى : إرادة النفس أى أُصبح مريدًا لشىءٍ وأُمسِى تاركاً له متجاوزاً عنه . يقال عدَا فلان الأَمر ، إذا تجاوزَه .

قال الشُّمُنِّىُّ : وهذا يدلُّ على أنَّ عادياً بالعين المهملة . وهو مضبوطٌ فى بعض نسخ المغنى وغيره بالمعجمة .

٥٩

(١) فى النسختين : « صار الإنسان » ، وأثبت ما فى الشنتمرى ٨٧ .

(٢) عند الأعلم الشنتمرى : « من أن يجد فيه أثرا قبل أثره قديماً وحديثاً » .

قال ابن القطّاع : غدا إلى كذا : أَصبح إليه. ورواية الإعجام أَنسب بالبيت بعده ، إذ يقال غدا إلى كذا بمعنى صار إليه . وإن صحّ أَن يقال المعنى متجاوزاً إلى حفرة . ووصف الحفرةَ بكونها مقيمةً إمَّا على مُعتَقَد الجاهليّة من أَنَّه لا فناءَ للعالَمِ ولا بعثَ ، أَو المقيمةُ عبارةٌ عن ذات المدَّة الطويلة . والسائق : الذى يحثُّ على العَدْو إلى تلك الحفرة ، وهو الزمان[1] ، فإنَّه المفنى المبيدُ عندهم . اهـ .

وقوله : « كأَنِّى وقد خلَّفت » إلى آخره . قال الأَعلم : أَى لا أَجد مَسَّ شىءٍ مضى ، فكأَنَّما خَلَعْتُ[2] به ردائى عن مَنكبِى .

وقوله :

* بدا لىَ أَنِّى لستُ مدركَ ما مضى *

يـأْتى إن شاءَ الله شرحه فى الجوازم[3] .

وقوله : « أُرانى إذا ما شئتُ[4] » إلخ ، أَى إذا غفلتُ عن حوادث الدَّهر من موت وغيره ونسيتُها رأَيتُ آيةً مما تصيب غيرى ، فذكَّرتنى ما كنتُ نسيت . والآية : العلامة .

وقوله : « وما إن أَرى » إلخ ، قال صَعوداءُ : كريمة ماله : أَهلُه وخاصَّته . وروى الأَعلم : « كريهتى » ، وقال : لا تَقِى نفسى من الموت كريهتى ، أَى شدَّتى وجراءَتى ، ولا تقيها كرائمُ مالى .

وقوله : « أَلم تر أَنَّ الله أَهلك تُبَّعًا » إلى آخره ، تُبَّع : ملكُ اليمن .

---

(١) ش : « هو الزمان » بطرح الواو .

(٢) ش : « خلفت » ، صوابه فى ط والشنتمرى .

(٣) هو الشاهد ٧٠٤ فى ٦٤٦ بولاق .

(٤) ط : « إذا ما نسيت » ، صوابه فى ش ونص الشعر .

وعادياءُ أبو السموءَل [١] ويقال السموءَل [٢] بن حيا بن عادياء . وكان له حصنٌ بتيماءَ . وهو الذى استودعَه امرؤ القيس أدراعَه . وقال صَعُوداءُ: عادياءُ ابنُ عاد . وأوّل من سَنَّ الدِّيَة لقمان بن عاد . وأوّل من تكلّم بالعربية العمالقة بمكة ، ملوك كان يقال لهم العمالقة ، ولا يدرى لأَىٍّ شىءٍ سُمّوا بذلك . ا هـ .

والنجاشىُّ : ملك الحبَشة . والإِمَّة بالكسر : النَّعمة والحالةُ الحسنة ؛ أَى من كان ذا نَعمةٍ فالأَيّام لا تتركه ونَعْمتَه كما عُهِدت ، أَى لا بدَّ من أن تغيِّرها الأَيام . وقوله : « كان بنجوة من الشرِّ » ، أَى كان بمعزِل منه . يقال فلانٌ بنجوةٍ من السَّيل ، إذا كان بموضع مرتفع حيثُ لا يدركه السَّيل . وروَى صعوداءُ : « بنجوة من العيش » وقال : أَى كان بمرتفع من السُّلطان والملك .

وقوله : « فغيّر عنه ملكَ » إلخ ، الحِجَّة بالكسر : السَّنة . والغاوى هنا : الواقعُ فى هَلَكة . وقال صَعوداءُ : نسب اليومَ إلى الغىّ لأَنَّ الغى كان فيه .

وقوله : « فلم أَر مسلوباً » إلخ ، يقول : لم أَر إنساناً سُلب النَّعيم والمُلْك ، وله عند الناس أَيادٍ ونعم كثيرة فلم يَفِ له أَحدٌ ولم يواسِهِ ، كالنُّعمان حينَ لم يُجِرْه من استجار به . والباذل : المعطى . وقوله : « والمئين الغواديا » ، أَى كان يهَبُ المئين من الإِبل فتغدُو عليهم .

وقوله : « أَلقَوْا عليها المَرَاسيا » أَى ثبتوا عليها آكلين منها . والمَرَاسى :

---

(١) ش : « عادياً » بالقصر ، فى هذا الموضع وتاليه .

(٢) ط : « ويقال أبو السموءل » ، صوابه فى ش .

جمع مَرْسًى ، وهو من رسا يرسو ، إذا ثبتَ وأقام ، ومنه مَرْسى السفينة . والجفان : القصاع .

وقوله : « لم يُشْرِكوا بنفوسهم » أى لم يواسوه فى الموت ، ومعناه لم يَخلِطوه بأنفسهم حين استجار بهم من كسرى .

والهجان : البيض من الإبل ، وهى أكرمُها . والمتَالى : التى تتلوها أولادها ، جمع مُتْلية .

وقوله :[1] « فقالهم خيراً » أى قال النعمان لبنى رَوَاحة خيرًا لما دعَوْه إلى مجاورتهم وودَّعهم وداعَ مَن يتيقنُ بالموت .

وقوله : « وأجمع أمرًا » إلخ، ما بعده أى من ثنائه . واخْلَوْلَجَ : التوَى ولم يستقمْ . والماضى : النافذ فى الأمر العازمُ عليه . ٥٩١

وترجمة زهير تقدَّمت فى الشاهد الثامن والثلاثين بعد المائة[2] .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد السادس والخمسون بعد الستمائة[3] :

٦٥٦ (إذا أَنتَ لم تَنْفَعْ فضُرَّ فإِنَّما
يُرادُ الفتى كيما يَضُرُّ ويَنفَعُ)

على أَنَّ (يضرُّ) بالرفع ، وما كافَّةٌ وقيل مصدريَّة ، وكى جارة ، أَى لمضرَّته ومنفعته .

وهذان الوجهان أَجازهما أَبو على (فى التَّذكِرة القصْرية) و (فى البغداديات) كما ننقله فى البيت بعده .

---

(١) مابعده إلى « قوله » التالية ساقط من ش .

(٢) الخزانة ٢ : ٣٣٢ - ٣٣٦ .

(٣) المغنى ١٨٢ والعينى ٣ : ٢٤٥ / ٤ : ٣٧٩ والتصريح ٢ : ٣ والأشمونى ٢ : ٣/٢٠٤ : ٢٧٩ وملحقات ديوان قيس بن الخطيم ١٧٠ .

وكذا قال ابن هشام (فى المغنى) .

وقال العينى : إنَّ دخول كى على المصدرية نادر .

ورأيت (فى طبقات النُّحاة) لأَبى بكر محمد الشَّهير بالتاريخى عند ترجمة يونسَ بن حبيب ، أَنَّ يونس قال : كان عبد الأَعلى بن عبد الله بن عامر فصيحاً ، وهو الذى يقول :

إذا أَنت لم تنفع فضرَّ فإِنَّما يرجَّى الفتى كيما يضرَّ وينفعا

فعلى هذه الرواية ما زائدة ويضر منصوب بكى واللام مقدَّرة ، وأَنت فاعل لفعل محذوف يفسِّره المذكور ، أَى إذا لم تنفع الصديق فضرَّ العدو . وإنَّما قدِّر الفعل واقعاً على هذا المفعول لأَنَّ العاقل لا يأْمر بالضر مطلقاً ، وحُسن المقابلة اقتضى تعيين الأَوَّل .

و (يرجَّى) بتشديد الجيم المفتوحة ، أَى إنَّما يرجَّى الكامل فى الفتوَّة لضررِ من يستحق الضَّرَّ، ونفعِ من يستحقُّ النفع .

وقيل : يمكن حمل البيت على أَنَّ المراد الحثُّ على النفع بالأَمر بالضَّرر ، لا على أَنَّه مراد، ولا يقدَّر للفعل متعلَّق ؛ بملاحظة أَنَّ الإنسان إنَّما يُقصَد ويكثُر رجاؤه لوصفٍ فيه لا لذاته .

وروى : « يُراد » بدل « يرجَّى » .

قال العينى : البيت للنابغة الذُّبيانىّ ، وقيل للنابغة الجعدى . والأَصحُّ أَنَّ قائله قيس بن الخطيم . ذكره البحترىُّ (فى حماسته). اهـ .

ولم نسمع أن للبحترى حماسة[١] .

ونسبه الإمام الباقلَّانىُّ (فى كتاب إعجاز القرآن) لقيس بن الخطيم بنصب يَضُرٍّ وينفع . والله أعلم .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد السابع والخمسون بعد الستمائة[٢] :

٦٥٧ (لا تَظلِمُوا النَّاسَ كما لا تُظلَمُوا)

على أَنَّ المبرد والكوفيِّين جَوَّزُوا نصب المضارع بعد (كما) على أَنَّ أَصلها كيما ، حذفت الياءُ تخفيفاً ، فإنَّ لا تُظْلَموا منصوب بحذف النون بها ، وقيل بل نصبُه بما المصدريَّة حملاً على أَن المصدرية كما أَنَّ أَنْ تُهمل حملا على ما . وهذا من باب التقارض .

فالكاف حينئذ للتشبيه .

والبصريُّون يمنعون ذلك ، وينشدون :

* لا تظلمِ النَّاس كما لا تظلمُ *

بالتوحيد ، فالفعل مرفوع على هذا بعد لا النافية ،والكاف للتشبيه ، وما كافَّة .

---

(١) هكذا يقول البغدادى . والواقع أن هناك نسخة وحيدة من حماسة البحترى مودعة فى مكتبة ليدن برقم ٨٨٩ كما نص عليه بروكلمان . وقد طبعت حماسة البحترى عدة طبعات أولاها سنة ١٩٠٩ بمطبعة بريل . وهى من رواية أبى العباس أحمدبن محمد، المعروف بابن أبىخالد الأحول، عن أبيه عن البحترى اختارها من شعر العرب ، وأهداها للفتح بن خاقان، ورتبها على ١٧٤ باباً. وقد عنى الأب لويس شيخو بطبعها مضبوطة بالشكل الكامل ووضع لها فهرسا : للشعراء ، وقوافيهم، مع مقدمة باللغة الفرنسية . وذلكفىالمطبعة الكاثوليكية ببيروت سنة ١٩١٠. وقد استعان فيها بطبعة ليدن المصورة سنة ١٩٠٩ .

(٢) أمالى ابن الشجرى ١ : ١٨٦ والإنصاف ٥٨٧ ، ٥٩١ والخزانة ٤ : ٢٧٦ بولاق وملحقات ديوان رؤبة ١٨٣ . .

قال سيبويه : سألت الخليل عن قول العرب : انتظرنى كما آتيك فزعم أنَّ ما والكاف جُعلتا بمنزلة حرف واحد وصيِّرت للفعل كما صيِّرت للفعلُ ربَّما ، والمعنى لعلِّى آتيك . فمن ثَمَّ لم ينصبوا به الفعل كما لم ينصبوا بربَّما . قال :

* لا تشتُمِ الناسَ كما لا تُشتَم[1] *

وقال أبو النجم :

قلتُ لشيبان ادنُ مِن لقائه كما تُغدِّى القومَ من شِوائه

انتهى .

٥٩٢ قال الأعلم : الشاهد وقوع الفعل بعد كما لأنَّها كاف التشبيه ووصلت بما ، لوقوع الفعل بعدها ، كما فعل بربَّما ، ومعناها هُنا لعلَّ ، أى لا تشتم الناس لعلك لا تشتم إنْ لم تشتمهم . ومن النحويِّين من يجعلها[2] بمعنى كى ويجيزُ النصب بها ، وهو مذهب الكوفيين .

وقال النحاس : هذا قول الخليل وسيبويه . وحكى ابنَ سعدان النصبَ بكما إذا كانت بمعنى كيما ، وقد حكاه الأخفشُ سعيد .

وقوله : « قلت لشيبان » إلخ يأمر ابنه شيبان باتِّباع ظليمٍ والدنوِّ منه ، لعلَّه يصيده فيطعم أصحابَه من شوائه .

وقال أبو على (فى البغداديات) بعد أن نقل عبارة سيبويه : جعل سيبويه (كما) فى هذا البيت كالتى فى البيت الأوَّل . وأنشده أبو بكر

---

(١) هو الشاهد ٨٣٨ . وانظر سيبويه ١ : ٤٥٩ بولاق .

(٢) يعنى « كما » . وفى ش : « من يجعلها » تحريف .

عن يعقوب أَو غيره من أَهل الثبت فى اللغة : « كيما تغدَّى القوم» . وقال : شيبان : ابنُه ، أَى قلت له اركَبْ فى طلبه كيما تصيدَه فتُغدِّىَ القوم به مشويًّا . يصف ظليما . وأَقول : إنَّ ما على هذا الإنشاد تحتمل وجهين : يجوز أَن تكون زائدة كالتى فى قوله :﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ[1]﴾ والفعل منصوب . بإضمار أَنْ ، إلَّا أَنَّه ترك على الإسكان ، وذلك مما يستحسَنُ فى الضرورات . ويجوز أَن تكون ما بمعنى المصدر ، فى موضع جرٍّ بكى ، وتغدِّى صلته وموضعه رفع . ونظير ذلك قولُ الآخَر ، أَنشده أَبو الحسن :

إذا أَنت لم تنفع فضُرَّ فإنَّما يُرجَّى الفتى كيما يضرُّ وينفعُ

كأَنَّه قال : لِلضَّرِرِ والنفع . ويحتمل عندى أَن تكون ما كافَّة لكى ، كما كانت كافَّة لربَّ . انتهى .

وقال ابن هشام (فى المغنى) : اختُلف فى نحو قوله :

وطرفَك إمَّا جئتنا فاحبسَنَّه كما يَحسبوا أَنَّ الهوى حيثُ تنظرُ[2]

فقال الفارسى : الأَصل كيما ، فحذف الياءَ . وقال ابن مالك : هذا تكلُّف ، بل هى كاف التعليل وما الكافَّة ، ونُصب الفعل بها ، لشبهها بكى فى المعنى . وزعم أَبو محمد الأَسود (فى كتابه المسمَّى نزهة الأَديب) أَنَّ أَبا علىٍّ حرَّف هذا البيت ، وأَنَّ الصواب فيه :

إذا جئتَ فامنحْ طرفَ عينِكَ غيرنا

لكى يَحْسَبُوا . . . البيت[3] انتهى

(١) الآية ١٥٩ من سورة آل عمران .

(٢) لعمر بن أبى ربيعة فى ديوانه ٧٣ . وانظر الإنصاف ٣٤٤ والمغنى ١٧٠ .

(٣) هنا ينتهى نص المغنى . والنص فيه : « طرف عينيك » بالتثنية .

والبيت الذى أورده الشارح المحقِّق لرؤبة بن العجاج ، ويأْتى إن شاء الله بقيَّةُ الكلام عليه فى الشاهد الأَربعين بعد الثمانمائة .

والمشهور فى الاستعمال ما أورده سيبويه ، وهو :

* لا تشتُمِ الناسَ كما لا تشتَمُ *

وهو لرؤبة بن العجاج أيضاً . وتقدَّمت ترجمته فى الشاهد الخامسِ من أول الكتابِ[1] .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثامن والخمسون بعد السبعمائة ، وهو من شواهد (س)[2] :

٦٥٨ (ولُبْسُ عباءةٍ وتَقَرَّ عينى)

هذا صدرٌ وعجزه :

(أحبُّ إلىَّ من لُبس الشُّفوفِ)

على أَنَّ (تقرَّ) منصوب بأَنْ مضمرة بعد الواو ، وأَنَّ تقرَّ فى تأْويل مصدر معطوف على مصدر وهو لُبْس .

وسيأْتى الكلامُ عليه إن شاء الله فيما بعد الشاهد الثانى والسبعين بعد السبعمائة .

صاحب الشاهد — والبيت من أبياتٍ لميسونَ بنتِ بَحْدلٍ الكلبِيَّة ، وهى :

أبيات الشاهد — (لَبَيْتٌ تخفِقُ الأَرواحُ فيه أَحبُّ إلىَّ مِن قَصرٍ مُنيفِ

(١) الخزانة ١ : ٨٩ — ٩٣ .

(٢) فى كتابه ١ : ٤٢٦ . وانظر المقتضب ٢ : ٢٧ والجمل ١٩٩ والمحتسب ١ : ٣٢٦ وسر الصناعة ١ : ٢٧٥ ودرة الغواص ٢٤ وابن الشجرى ١ : ٢٨٠ وحماسة ابن الشجرى ١٦٦ وابن يعيش ٧ : ٢٥ والمغنى ٢٦٧ ، ٢٨٣ ، ٢٦١ ، ٤٧٩ ، ٥٥١ وشذور الذهب ٣١٤ والعينى ٤ : ٣٩٧ والتصريح ٢ : ٢٤٤ والهمع ٢ : ١٧ والأشمونى ٣ : ٣١٣ .

وبَكرٌ يَتبعُ الأَظعانَ سَقْباً أحبُّ إلىَّ من بَغلٍ زَفوفِ
وكلبٌ يَنبَحُ الطُّرَّاقَ عنِّى أَحبُّ إلىَّ من قِطٍّ أَلوفِ
ولُبسُ عباءَةٍ وتقَرَّ عينى أَحبُّ إلىَّ من لُبس الشُّفوفِ
وأَكلُ كُسَيْرةٍ فى كِسر بيتى أَحبُّ إلىَّ من أَكل الرَّغيفِ
وأَصواتُ الرياح بكلِّ فجٍّ أَحبُّ إلىَّ من نَقْر الدُّفوفِ
وخِرقٌ من بنى عمِّى نحيفٌ أَحبُّ إلىَّ من عِلجٍ عَليفِ
خُشونةُ عِيشتى فى البدْو أَشهى إلى نفسى من العيش الطَّريفِ
فما أَبغى سوى وَطنِى بديلاً فحَسْبى ذاكَ من وطنٍ شريفِ)

الخفق : الاضطراب ، وفعله من باب ضرب . والمنيف : العالى .
وأَورد الحريرىُّ هذه الأَبياتَ (فى درة الغواص) لأَجل هذا البيت على أَنَّه يقال فى جمع ريح أَرواح ، وقول الناس : أَرياح ، قياساً على رياح خطأٌ .

والبَكْر بفتح الموحدة : الفتىُّ من الإِبل . والأَظعان : جمع ظعينة ، وهى المرأَةُ ما دامت فى الهودج . والسَّقب : الذكر من وَلد الناقة ، وهو حالٌ مؤكِّدة . وروى : « صعب » فهو صفة لبكر . والزَّفوف بالزاء المعجمة[1] والفاءين ، أَى مسرع .

والطُّرَّاق : جمع طارق ، وهو الذى يأْتى ليلاً .

وقوله : « ولُبْس عباءَة » فى غالب كتب النحو « للُبس » بلامين ، وهو خلاف الرواية الصحيحة . والعَباءَة ، وكذا العَبَاية : الجبَّة من الصُّوف ونحوِها ، وقيل كساءٌ مخطَّطٌ . وتَقَرَّ بفتح القاف ، من قولهم :

(١) ش : « بالزاى المعجمة » .

عين قريره ، أى باردة من البَرْد ، الذى هو النوم ، وقيل من البرد الذى هو ضدُّ الحرِّ ، أو من القَرار وهو السُّكون ، لأَنَّ العين إذا قرَّت سكنت عن الطموح إلى شىءٍ . والشُّفوف : جمع شِفّ بكسر الشين وفتحها ، وهو الثَّوب الرقيق ، سمِّى بذلك لأَنَّه يُستشَفُّ ما وراءه ، أى يُبصَر . ومثله قول بعض الأَعراب :

لَعمرِى لأَعرابيـةٌ فى عَبـاءَةٍ تحُلُّ دماثاً من سُوَيقـة أَو فَرْدا
أَحبُّ إلى القلب الذى لجَّ فى الهوى من اللابساتِ الخزَّ يُظْهِرْنَه كَيدا

والكُسَيرة ، بالتصغير : القِطعة من الخبز . والكِسْر، بكسر الكاف: طرف الخِباءِ من الأَرض[1] .

والخِرْق، بكسر الخاءِ المعجمة : الكريم . والعلج بالكسر، قال ابن دريد : هو الصُّلب الشديد ، وبه سمِّى حمار الوحش عِلجاً . ويحتمل أَن تريد: إنَّ الأَمردَ أَحبُّ إلىَّ من ذى اللِّحية . قال أَبو زيد : يقال لكلِّ ذى لحية علج ، ولا يقال للغلام إذا كان أَمردَ علج . واستعلج الرجُل ، إذا خرجت لحيته . والأَوَّل أَنسَبُ لقولها عليف أَى مسمَّنٌ بالعَلَف . قال الأَعلم : تعنى به معاوية لقوّته وشدَّته ، مع سمنه ونَعْمته .

وقال العينى : الغليف بالغين المعجمة : وهو الذى يغلِّف لحيته بالغالية . ويجوز بالعين المهملة .

ومَيسون قال اللخمى : هى زوجُ معاوية بن أَبى سُفيان وأُمّ ابنهِ يزيد ، وكانت بدويّة فضاقت نفسُها لمَّا تسرَّى عليها ، فعذَلَها على

(١) الأوضح منه ما فى اللسان : « أسفل الشقة التى تلى الأرض من الخباء » وفى حواشى ش : « من الأرض هكذا بخط المؤلف ، ولايستقيم » .

ذلك وقال لها : أنتِ فى مُلكٍ عظيم وما تدرين قدره ، وكنتِ قبلَ اليوم فى العباءة : فقالتْ هذه الأبياتَ ، فلمَّا سمعها قال لها : ما رضيتِ يا ابنة بَحْدلٍ حتَّى جعلْتِنى علجاً عليفاً ، فالحقى بأهلك! فطلَّقها وألحقها بأهلها وقال لها : كنتِ فبنتِ ! فقالت : لا والله ما سُرِرنا إذْ كنَّا ولا أَسِفنا إذْ بِنَّا ! ويقال أنَّها كانت حاملاً بيزيد، فوضَعته فى البرّيّة ، فمِن ثَمَّ كان فصيحا . ٥٩٤

وقال الشريف (فى حماسته) : وروى الكلبي عن عَوانة قال : لما زُفَّت ميسونُ بنت بَحْدَلٍ من بادية كلب إلى معاوية وهو بِرِيف الشَّام ثقُل عليها الغُربةُ والبعدُ عن قومها ، فسمعها ذاتَ ليلة تقول هذه الأبيات فقال : أنا والله العلج : وازداد بها عُجْبًا ، وإليها مَيْلا .

قال ابن الكلبي (فى الجمهرة) : كان معاوية بن أبي سفيان بعث رسولاً إلى بهدلة بن حسان بن عدىّ بن جبَلة بن سَلامة بن عبد الله بن عُليم بن جَنَاب يخطب إليه ابنتَه ، فأخطأ الرسول فذهب إلى بَحدَلٍ بن أنيف ، من بنى حارثة بن جناب، فزوَّجه ابنته مَيْسُون بنت بحدل، فولدت له يزيد. انتهى .

ذكَره فى جمهرة قضاعة ، وهى من قبائل اليمن .

وميسون : فَيْعول ، مِن مسَنَه[1] بالسوط إذا ضربه ، أو فَعْلون[2] من ماسَ يميس ، إذا تبختر، ولا نظير له إلَّا زَيتون ، استدلَّ به بعض النحويِّين على زيادة النون بالزَّيت المعصور . وحُكى أَرض زَتِنة ، إذا كان فيها الزيتون. وبَحْدل ، بفتح الموحَّدة وسكون الحاء المهملة .

* * *

(١) ط : « ميسنه » ، صوابه فى ش .
(٢) ط : « أو من فعلون » ، صوابه فى ش مع أثر تصحيح وترميج بخط الشنقيطى .

وأنشد بعده :

(أَلَا أَيُّهــذا الزَّاجِرِى أَحْضُرَ الوغى)

على أَنَّ (أَحضر) منصوب بأَن مضمرة ، بدليل تمامه :

(وأَن أَشهد اللَّذَّاتِ هل أَنتَ مُخلدى)

وتقدَّم الكلام عليه فى الشاهد العاشر من أَوائل الكتاب[١] .

وهذه روايةُ الكوفيِّين ، والرفع رواية البصريِّين . قال سيبويه : وقد جاء فى الشعر :

* أَلَا أَيُّهذا الزَّاجِرِى أَحضرُ الوغَى *

قال الأَعلم : الشاهد فيه رفع أَحضرُ بحذف الناصب وتعريِّه منه . والمعنى لِأَنْ أَحضر الوغى . وقد يجوز النَّصب بإضمار أَن ضرورة ، وهو مذهب الكوفيِّين . انتهى .

وفى التذكرة القصرية ، وهى أَسئلة من أَبى الطيِّب محمد بن طوسى[٢] المعروف بالقصرى ، وأَجوبة من شيخه أَبى على الفارسى قال : سأَلت أَبا على عن أَحضر الوغى ، أَىُّ شىء موضعه ؟ فقال : نصبٌ ، وهو يريد حاضراً . فقلت : كيف يجوز أَن يكون حالا وإِنَّما الحضور مزجورٌ عنه لا عن غيره ؟ فقال : قد يجوز أَن يكون لم يذكر المزجور عنه . فقلت : قد فهمْنا من قوله :

* أَلا أَيُّهذا الزَّاجرِى أَحضُرَ الوغَى *

قد نهاه عن حُضور الوغى . قال : صَيِّرْ أَنْ يُفْهَمَ منه هذا وإِن

(١) الخزانة ١ : ١١٩ - ١٢١ .

(٢) وكذا فى معجم البلدان فى رسم (قصر ابن هبيرة)، وإنباه الرواة ٣ : ١٥٤ . وفى البغية فى طبعتيها : « طوس » . وفى معجم الأدباء ١٨ : ٢٠٦ : « طويس » .

كان ذلك لا يفهم منه إذا قدَّرته بقولك حاضرا . قلت : فإنَّ الحضور لم يقع ، ونحن نعلم أنَّه ما نهاه وقد حضر . قال : هذا مثلُ قولك : هذا صاحبُ صقر صائدًا به غدًا . قلت : فما الحاجة إلى أن قدَّرته حالا . قال : ليتعلَّق بما قبله ، وإلَّا فلا سبيل إلى تعلُّقه بما قبله إلَّا على هذا الوجه . انتهى .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد التاسع والخمسون بعد الستمائة[1] :

٦٥٩ (لَوْ بغيرِ الماءِ حَلقِى شَرِقٌ)

على أنَّ الجملة الاسمية بعد (لو) وضعت موضع الجملة الفعلية شذوذاً ، كما قاله فى باب الاشتغال .

٥٩٥

وهذا مذهبُ ابن جنى . ونسبه أبو حيَّان إلى أبى بكر بن طاهر[2] . وهذا صدر ، وعجزه :

(كنتُ كالغصَّانِ بالماءِ اعتصارى)

والباء من (بغير) متعلِّقة بالخبر ، وهو شرق ، (وحلقى) هو المبتدأُ . وهذا أَحد تخاريجَ ثلاثةٍ فى البيت .

ثانيها لبدرِ الدين (فى شرح أَلفيَّة والده) قال : كان الشَّأْنية محذوفة بعد لو ، فهى على بابها من دخولها على الجملة الفعلية ، فتكون

(١) سيبويه ١ : ٤٦٢ والاشتقاق ٢٦٩ والخزانة ٤ : ٤٦٠ ، ٥٢٤ بولاق والمغنى ٢٦٨ والعينى ٤ : ٤٥٤ والتصريح ٢ : ٢٥٩ والهمع ٢ : ٦٦ والأشمونى ٤ : ٤٠ واللسان (عصر ٢٥٦) وديوان على بن زيد ٩٣ .

(٢) هو أبو بكر محمد بن أحمد بن طاهر الأنصارى الإشبيلى ، المعروف بالخدب . والخدب ، بكسر الخاء وفتح الدال وتشديد الباء الموحدة : الرجل الطويل . أخذ عنه ابن خروف ومصعب الخشنى ، وعبد الحق بن خليل ، وأطنبوا فى الثناء عليه واشتهر بتدريس الكتاب . توفى فى عشر الثمانين وخمسمائة . بغية الوعاة ١٢ .

الجملة الاسمية خبراً لكان المحذوفة . ونسبه أبو حيّان إلى البصريين . ولم يذكر ابن هشام هذا التخريج (فى المغنى) .

ثالثها : لأبى على الفارسى (فى الإيضاح الشعرىّ) قال فيه : موضعُ « حلقى » رفعٌ بأنه فاعل ، والرافع له فعل مضمر يفسّره « شَرِق » كأنَّه قال : لو شرقَ حلقى بغير الماء . ولا يكون شرق خبر حلقى . هذا الظاهر . لأنَّ ما بعد « لو » لا يكون مبتدأً كما أنَّ ما بعد « إن » وما بعد « إذا » لايكون كذلك . فإذا لم يجز أن تجعله خبر حلقى الواقع بعد لو ، لأنَّه يرتفع بفعل مضمر ، وجَب أن تضمر له مبتدأً ، والتقدير هو شرق ، فيكون هو شرقٌ ، بمنزلة شرِقَ ، تفسيراً للفعل المضمر بعد لو ، ويكون ذلك بمنزلة ما يحمَل على المعنى . ألا ترى أنَّ هو شرق بمنزلة شرق فى المعنى . وقوله : « بغير الماء » يتعلَّق الجارُّ فيه بالفعل الواقع لحلقِى ، وهو أسهلُ من أن تعلِّقه بشرقٍ هذا الظاهر . وإن لم تقدِّر هذا المضمرَ لزم أن تكون لو قد ابتدىءَ بعدها الاسم[1] فإذا ثبت فى هذا الموضعِ إضمارُ الفعل فحكمُ سائر ما أشبَهه مثلُه . انتهى مختصراً .

واختصره ابن هشام (فى المغنى) بقوله : وقال الفارسى : الأصل لو شرق حلقى هو شرق ، فحذف الفعل أوّلًا والمبتدأ آخرًا . انتهى .

ونسب أبو جعفر النحاس هذا التخريجَ لأبى الحسن الأخفش ، وأنشدَ البيت (فى أبيات سيبويه) وقال : أنشده سيبويه فى باب من أبواب أنَّ فى نسخة أبى الحسن وحده . انتهى .

وقد راجعتُ الكتاب وهو من رواية المبرِّد فلم أجده فيه .

وبتقدير المبتدإ تعرف أنَّ ما نقله ابن جنى عن شيخه الفارسى

(١) ش : « قد ابتدأ بعدها الاسم » .

(٢) الحق أنه من صميم كتاب سيبويه . انظر ١ : ٤٦٢ بولاق و ٣ : ١٢١ هارون .

عند الكلام على البيت الآتى خلافُ الواقع . قال : سألْنا يوماً أبا علىّ عن بيت عدىّ فأخذ يتطلَّب له وجهاً وتعسَّف فيه ، وأراد[(١)] أن يرفع حلقى بفعل مضمر يفسِّره قوله شرق . فقُلنا له : فبِمَ يرتفع إذن شرقٌ ؟ فقال : هو بدلٌ من حَلْقى . فأطال الطريق وأعْوَرَ المذْهب[(٢)] . ولو قال إنَّ الجملة الاسميَّة وقعتْ موقع الفعلية لكان أقرب مأْخذًا وأسهلَ متوجَّهاً . انتهى .

وقوله : « بالماءِ اعتصارى » قال أبو على : موضعه نصبٌ بأنَّه خبر كنتُ ، والعائد إلى الاسم الياءُ فى اعتصارى ، وكالغصَّان فى موضع حال والعامل فيه كنت ، ولا يكون الخبرَ لأنَّ الحال إذْا تقدَّمت لم يعمل فيها معنى الفعل كما يعمل فى الظرف إذا تقدَّمه . ولا تكون الباءُ فى قوله بالماءِ كالجارِّ فى قوله : ﴿إِنِّى لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ[(٣)]﴾ ولكنَّه يتعلق بمحذوف فى موضع خبر المبتدإِ ، ألا ترى أنَّك لو قلت إنِّى من الناصحِينَ لكما ، لتعلقت اللام بالناصحين[(٤)] . ولو قلت : كنت مرورى بزيد لم تتعلَّق الباءُ بالمرور ، إنَّما تتعلَّق بمحذوف . ا هـ .

وقوله : «ولا يكون الخبَرَ» ، أى لا يكون العامل فى الحال الخبر ، وهو قوله بالماءِ الواقع خبراً لقوله اعتصارى . والجملة خبر كنت .

وزعم العينى أنَّ قوله كالغصَّان خبر كنت . ولم يذكر موقع الجملة التى بعده من الإعراب . ويجوز على هذا أنْ تكون خبراً ثانياً . ٥٩٦

وشرِق فلانٌ بريقه أو بالماءِ ، إذا غصَّ به ولم يقدر على بلعه ،

(١) ش : « ورام » مع أثر تبديل .
(٢) ط : « وأغور » بالغين المعجمة ، صوابه فى ش . يقال عوره تعويراً ، وأعوره إعواراً ، وعاره أيضاً ، أى صيره أعور . اللسان (عور ٢٩١) .
(٣) الآية ٢١ من سورة الأعراف .
(٤) ش : « بالنصح » .

وهو من باب تعب. والغَصَّان، مِنْ غَصّ فلانٌ بالطَّعام غَصَصاً من باب تعب، ومن باب قتل لغة، إذا لم يقدر على بلعه. والغُصَّة بالضم: ما غَصّ به الإنسانُ من طعام، أو غيظٍ على التشبيه به، ويتعدَّى بالهمزة نحو: أغصصتْه به.

قال الجوهرى: الاعتصار: أن يغصَّ الإنسان بالطعام فيعتصر بالماءِ، وهو أن يشربَه قليلاً قليلا ليُسيغه. وأَنشد هذا البيت.

وتحقيقه أَنَّ الاعتصار معناه الالتجاءُ، كما قاله أَبو القاسم علىٌّ ابن حمزة البصرى (فيما كتبه على كتاب النبات لأَبى حنيفة الدينورى) وهذا نصُّ كلامه، وفيه فوائد.

وأَنشد أَبو حنيفة للبَعيث:

وذى أُشَرٍ كالأُقحُوان تَشُوفه ... ذِهابُ الصَّباوالمُعصِراتُ الدَّوالحُ[1]

وقال: الدوالح: الثِّقال التى تَدْلَح بالماءِ. ويُرَى[2] أَنَّه معنى قول الله عز وجل: ﴿ وأَنْزَلْنَا مِنَ المُعْصِرَاتِ مَاءً ثَجَّاجاً[3] ﴾. وقال: قوم: إنَّ المعصرات الرياحُ ذات الأَعاصير، وهو الرَّهَج والغُبار. قال الشاعر:

وكأَنَّ سُهْكَ المُعصِراتِ كَسَوْنَها ... تُربَ الفدافدِ والنِّقاعِ بِمُنْخُلِ[4]

النِّقاع: جمع نَقْع، وهو القاع من القِيعان. وزعموا أَنَّ معنى مِنْ معنى الباءِ، كأَنَّه قال: وأَنزلنا بالمعصرات. وقال بعضهم: بل المعصرات الغيوم أَنفُسها، ذهب إلى معنى البَعيث. ولا يحتمل قولُه

(١) اللسان (دلح، عصر).
(٢) ط: «ويروى».
(٣) الآية ١٤ من سورة النبأ.
(٤) السهك: جمع سهوك، وهى العاصف الشديدة المرور. وفى النسختين: «سهل» صوابه فى اللسان والمقاييس (عصر).

غيرَ السَّحاب لقوله : « الدَّوالح » . فتكون المعصرات التى أمكنت الرياحَ من اعتصارها واستنزال قَطْرها ، كما يقال أمضغ النخلُ وآكَلَ[1] وأطعَم ، وأفرك الزَّرع ، إذا أمكن ذلك فيه . قال أبو القاسم : ألَمّ أبو حنيفة بالصَّواب ثم حادَ عنه . المُعْصِرات : السَّحاباتُ بعينها ، ولكنَّها إنَّما سمِّيت بذلك بالعَصَر بفتحتين ، والعُصْرةِ بالضم ، وهما الملجأُ . قال الشاعر[2] :

فارسٌ يستغيث غير مُغاثٍ ولقد كان عُصرةَ المنجودِ

أى ملجأَ المكروب . وتقول : أعصرنى فلانٌ ، إذا ألجأَك إليه . واعتصرت أنا اعتصاراً . قال عدىُّ بن زيد :

لو بغير الماء حَلقى شرقٌ . . . البيت

فمعنى المعصرات المُنْجيات من البلاء ، المُعْصِمات من الجدب بالخِصب ، لا ما قال أبو حنيفة ، ولا ما قال من قال : إنَّها الرياحُ ذات الأَعاصير . فلا تلتفتنَّ إلى القولين معاً . انتهى كلامه .

وكذا قال أبو عبيد : الاعتصار : الملجأُ . والمعنى : لو شرقت بغير الماء أسغْتُ شَرَقى بالماء ، فإذا غصصت بالماء فبمَ أُسيغُه ؟

وقد صار البيت مثلاً للتأَذِّى ممن يرجَى إحسانه . قال ابن عبد ربه (فى العقد الفريد) : هذا البيت أوّل ما قيل فى معناه . وقال آخر :

إلى الماء يَسعى من يغَصُّ بريقِهِ فقلْ أين يسعى من يَغَصُّ بماء

وقال الأَحنف بن قيس : « من فسَدَتْ بطانته كان كمن غَص بالماء » . وقال العباس بن أحنف :

---

(١) ط : « وأكل » ، صوابه فى ش .

(٢) هو أبو زبيد الطائى . ديوانه ٤٤ واللسان والمقاييس (عصر) والمخصص ٩ : ٩٦ . والبيت من قصيدة يرثى بها ابن أخته اللجلاج ، وكان قد مات عطشاً فى طريق مكة .

قلبي إلى ما ضرَّني داعي   يُكثر أحزاني وأوجاعي

كيف احتراسي مِن عدوِّي إذا   كان عدوّى بينَ أضلاعِي

وقال آخر :

٥٩٧ كنتُ من كُربتي أفرُّ إليهم   فهمُ كربتي فأَين الفِرارُ

صاحب الشاهد والبيت من قصيدة لعدىّ بن زيد ، يخاطب بها النُّعمان بن المنذر ، وكان قد حبسه النُّعمان . وقبله وهو أول القصيدة :

أَبلغِ النُّعمانَ عنِّى مأْلُكًا   أنَّه قد طال حبسِى وانتظارِى

وأَبلغْ فعلُ أَمر . والمأْلُكُ ، بسكون الهمزة وضم اللام : الرِّسالة .

وقال الزجاج (فى تفسيره) عند قوله تعالى : ﴿ وإذْ قُلْنا للملائكة اسجُدُوا[1] ﴾ : ومأْلُك : جمع مأْلكة ، وأنشد هذا البيت .

وبقية القصيدة مذكورة (فى العقد الفريد) و (فى الأَغانى) وغيرهما .

وقد استعطفه عدىٌّ بعدَّة قصائدَ فلم تنفعه شيئاً ، ثم قتَلَه بعد مدَّةٍ طويلة فى الحبس . وقد ذكرنا سببَ حبسه وكيفيَّةَ قتلِه مع ترجمته فى الشاهد الستين[2] .

* * *

(وأنشد بعده) :

(يَقُولون لَيْلَى أَرسلَتْ بشفاعةٍ   إلَىَّ فهلاَّ نفسُ ليلى شفيعُها)

لما تقدَّم فى البيت قبله . وفيه التخريجان الآخَران أَيضاً .

---

(١) من الآية ٣٤ من البقرة ، و ٦١ من الإسراء ، و ٥٠ من الكهف ، و ١١٦ من طه .

(٢) الخزانة ١ : ٣٨١ - ٣٨٦ .

وقد تقدَّم شرحُه فى الشاهد الخامس والستِّين بعد المائة [(١)] .

* * *

وأَنشد بعده ، وهو الشاهد الستون بعد السِّتِّمائة [(٢)] :

٦٦٠ (تُريدينَ كيما تجمعِينى وخالدًا
وهل يُجمَعُ السَّيفانِ وَيْحَكِ فى غِمْدِ)

على أنَّ (كى) جاءَت من غير سببيَّة بعد فعل الإرادة . (وما) بعدَها زائدة ، والفعل منصوب بحذف النون ، والنون الموجودة للوقاية .

قال التبريزى (فى شرح الكافية) : فجُوِّز الفصلُ بين كى وبين الفعل بلا النافية بالاتفاق ، كقوله تعالى : ﴿ كَيْلا يكونَ دُولةً [(٣)] ﴾ وبلا الزائدِة كقول قيس بن سعد بنِ عُبادة :

أَردت لكيلا يعلمَ النَّاس أَنَّها سراويلُ قيسٍ والوفُود شهودُ

وقد فُصل بينهما بما الزائدة ولا النافية ، كقول الآخر :

أَرادت لكيما لا تَرانى عشيرتى ومَن ذا الذى يُعطَى الكَمَالَ فيكملُ [(٤)]

ولا يجوز الفصل بينهما بغير ما ذكر . اهـ .

صاحب الشاهد — والبيت أَوّل أَبياتٍ خمسةٍ لأَبى ذؤيب الهذلى [(٥)] . وبعده :

أبيات الشاهد — (أَخالدُ ما راعيتَ من ذى قَرابةٍ فتحفظَنى بالغيب أَو بعضِ ماتُبدِى

دعاكَ إليها مقلتاها وجيدُهَا فَملتَ كما مال المحبُّ على عمدِ

---

(١) الخزانة ٣ : ٦٠ – ٦٢ .
(٢) همع الهوامع ٢ : ٥ وديوان الهذليين ١ : ١٥٩ وشرح السكرى ٢١٩ .
(٣) الآية ٧ من سورة الحشر .
(٤) انظر ما سبق فى ٤٨٦ . وصواب روايته : « أردت لكيما لا ترى لى عثرة » . كما فى الهمع ومعانى الفراء ١ : ٢٦٢ .
(٥) الهذلى ، ساقطة من ش .

فكنتَ كرقراق السَّراب إذَا جرى لقوم وقدباتَ المطىُّ بهم تَخْدِى[1]
فآليتُ لا أنفكُّ أَحذُو قصيدةً تكون وإياها بها مَثَلًا بعدى[2])

وسبب هذه الأَبيات أَنَّ أَبا ذؤيب كان يَعْشَق امرأَةً اسمها أُمُّ عمرو، وكان رسوله إليها خالدًا، وهو ابنُ أُختٍ له وقيل ابن عمٍّ له ، وكان جميلا ، فعشِقَتْه أُمُّ عمرو ، فلما أَيقن أَبو ذؤيب بغدرِ خالد صرمَها ، فأَرسلت تترضَّاه فلم يفعل ، وقال هذه الأَبيات .

٥٩٨

وكان أَبو ذؤيب فعَلَ كذلك برجل يقال له مالك بن عُويْمرٍ ، وكان رسولَه إليها .

وتقدَّم شرح هذه القصَّة مبسوطاً بأَبسطَ من هذا فى الشاهد الثامن والأَربعين بعد الثلثمائة[3] .

وجرى بين أَبى ذؤيب وبين خالدٍ أَشعارٌ مذكورةٌ فى أَشعار الهذليِّين ، منها قول خالدٍ يجيبه ، قصيدةً على هذا الروىِّ والوزن :

فلا تجزَعَنْ من سُنَّةٍ أَنتَ سِرْتَها فأَوَّلُ راضٍ سُنَّةً من يَسيرُها

وقوله : (تريدين كيما تجمعينى وخالدًا) هكذا رواه السكَّرىُّ وغيره . ورواه ابن السِّكِّيت (فى إصلاح المنطق) وصاحب الصحاح :

* تريدين كيما تَضْمِدِينى وخالدًا *

وقال : الضمد : أَن تتخذ المرأَةُ خليلين ، وفِعله من باب ضرب .

و (هل) للاستفهام الإنكارى . و (الغِمد) بالكسر : قِراب

(١) فى شرح السكرى : « يخدى » بالياء .
(٢) فى ديوان الهذليين وشرح السكرى : « فأقسمت » . وفى ديوان الهذليين : « أدعك وإياها بها مثلا » .
(٣) الخزانة ٥ : ٨٣ - ٨٦ .

السَّيف . وفى أمثال العرب : « لا يُجمَعُ سيفانِ فى غمد، ولا فحلان فى ذَوْد » .

وقد استُعمل هذا المصراعُ مثلاً ، قال الزَّمخشرى (فى أمثاله) : هو من قول أبى ذؤيب . يُضرب فى قلة الاتِّفاق . اهـ .

ومنه قول يزيد بن خَذَّاق[1] الشَّنِّىِّ ، من قصيدةٍ مذكورةٍ فى المفضَّليَّات :

لن تجمعوا وُدِّى ومَعتَبتى أَو يُجمعَ السَّيفانِ فى غمدِ[2]

وقول العُدَيل بن الفُرْخِ العِجلىّ[3] ، من قصيدة مذكورة فى الحماسة :

وعلَّ النَّوى بالدار تجمع بيننا وهل يجمع السيفانِ ويْحكِ فى غمدِ

وقوله : « أخالد ما راعيتَ » إلخ ، الهمزة للنداء . قال السكرى : أراد فتحفظنى بالغيب ، أو فى بعض ما تُظهِر لى من الإخاء والمودة . والغَيْب : السِّرّ .

وقوله : « فكنتَ كرقراق » إلخ ، قال السكرى : يقول[4]: ظننتُ أنَّ

---

(١) خذاق ، بالذال المعجمة المشددة . قال ابن دريد فى الاشتقاق ٣٣١ : « فعال من قولهم : خذق الطائر وخزق ، إذا رمى بذرقه » . وفى النسختين : « حذاق » بالحاء المهملة ، تصحيف . ويزيد هذا شاعر جاهلى من شعراء عبد القيس . قال أبو عمرو بن العلاء : ليزيد بن خذاق هذا أول شعر قيل فى ذم الدنيا ، وهو :

هل للفتى من بنات الدهـر من واق أم هـل له من حمام المـوت من راق

(٢) المفضليات ٢٩٦ ، والمعتبة : الموجدة ، والمعاداة .

(٣) سبقت ترجمته فى ٥ : ١٦٠ - ١٦١ ، وهو بضم العين على هيئة التصغير . والفرخ بضم الفاء ، كما قيده البغدادى . وقيده التبريزى بالفتح ، إذ قال : « الفرخ أصله فى ولد الطائر » .

(٤) القصيدة فى الحماسة ٧٢٩ بشرح المرزوقى و ٢ : ٢٤٩ بشرح التبريزى . وليس فى أبيات هذا البيت . ويقول أبو رياش : « ليست هذه الأبيات للعديل ، وهى قصيدة طويلة لأبى الأخيل العجلى ، قالها فى آخر أيام بنى أمية » .

لك أمانةً ، فكنتَ كالسَّراب الذى يكذِب مَن رآه ، يظنُّ أنَّه ماءٌ وليس بماءٍ ، وكذلك أنت .

وقوله : « فآليْتُ » إلخ هذا البيت من شواهد النحويين فى باب المفعول معه . وآليت : حلفت . ولا أنفكُّ : لا أزال . وأحذُو[1] ، رواه السكرى بالذَّال المعجمة لا غير ، بمعنى أُطابق . قال ابن السِّيد (فى شرح أبيات الجمل) : ومعنى أحذو : أصنعُ وأهيِّئُ كما تُحذَى النَّعْل على المِثال ، إذا سُوِّيتْ عليه . ومن روى « أحدو » بدال غير معجمة فهو من قولهم : حدوت البعير إذا سقتَه وأنت تتغنَّى فى أثره ، ليَنْشَط فى السير .

ونقل العينى عن ابن يسعون أنَّه قال على هذه الرواية : عندى فى « أحدُو » ثلاثة أوجه :

الأول : أن يريد أحدُو قصيدةً إليك ، أى أسوقها حادياً ، كما يفعل الحادى بالإبل عند سَوقها ؛ لأنَّه يتغنَّى ، وإنما أراد بذلك الشُّهرة .

الثانى : أنْ يريد أحذُو غَدْرتَك لى قصيدةً أبلُغُ بتخليدها فيك أمَلى. فحذف المفعول للحال الدَّالَّة عليه ، ونصب قصيدةً نصب المصدر ، أى حذْوَ قصيدةٍ ، فلمَّا حذف المضاف أقام المضاف إليه مقامه .

الثالث : أن يريد : أتحدَّى لها وأتبعُها ناظماً لها ، حتَّى كأنه قال : أُوالى قصيدة .

ثم قال العينى : وقال السكرى : أحدُو معناه أُغنِّى ، فعلى هذا ينبغى أن يكون قوله قصيدة مفعولاً بإسقاط حرف الجرّ ، وهو الباء . ا هـ .

---

(١) ش : « وأحدو » بالدال المهملة .

أقول : إنَّ السكرى لم يَرْوِ أَحدُو ، بدال مهملة ، فكيف يفسِّرها بما ذكر . وأنما أَحدو معناه أسوقُ ، فلا حذف[1] .

٥٩٩ وقوله : « تكون وإيّاها » إلخ قال ابن السِّيد : تكون فى موضع الصفة لقصيدة ، وهى صفةٌ جرَتْ على غير من هى له ، ولو جعلتَها صفةً محضة لبرز الضمير الفاعل المستتر فيها ، وكنت تقول : كائناً بها أَنت وإيَّاها . والضمير فى قوله (وإيَّاها) يعود على المرأَة ، كأَنَّه قال : حلفت لا أَزالُ أَصنع قصيدةً تكون مع هـذه المرأَة مثلاً بعدى ، أَى إِنَّها تبقى ما بقىَ الدهر .

قال العينى : فإن قلت : كيف يكون مَثَلا خبراً والتطابق شرط ؟ قلت : هو مفرد وقع موقع التثنية ، وكذلك قد يقع موقع الجمع لمَا فيه من العُموم المقتضى للكثرة . هذا كلامه فتأَمَّلْه .

قال أَبو علىٍّ : نصَبَ وإيَّاها على المفعول معه بتوسُّطِ الواوِ لمَّا لم يمكنْه العطف ، فيقول : « تكون وهى » ، لأَمرين : أَحدهما كَسْر البيت لو فعل ذلك ، والثانى قبح العطف على الضمير المرفوع وهو غير مؤكَّد . وقال ابنَ بَرّىّ (فى شرح أَبيات الإيضاح لأَبى على) : لمَّا لم يمكنه العطف على الضمير فى تكون من غير تأْكيد نصب على معنى مَعَ . وكان أَبو الحسن يذهب إلى انتصابه على الظرف كما كانت مع ، فلمَّا حُذِفت وقامت الواو مَقامها انتصبَ الاسم على ذلك المعنى ، ودخلتْ مهيِّئة لعمل الفعل فيه ونصبِه على الظرف . ومعنى العطف قائمٌ فيها وجائزٌ فيها ، ولذلك لم تعمل الجرّ كما لا تعمله حروف العطف ، بخلاف

(١) الحق والإنصاف أن السكرى رواها « أحذو » بالذال المعجمة ، ثم إنه قال فى الشرح : « من قال أحذو قال أقول ، ومن قال أحدو قال أغنى » . فقد أتى بالروايتين .

واو القسم لأَنَّ معنى العطف معدومٌ فيها . والصواب مذهبُ الجمهور لأَنَّ وجود معنى العطف فيه ينافى الظَّرفية ، لأَنَّ العطف فى التقدير من جملة أُخرى والظرف من الجملة الأُولى ، ولأَنَّ تقديره بنِي بعيدٌ ، إذ لا يجوز تقديرها قبل الواو لفصلها بين الجارّ والمجرور ، ولا بعدَها لفصلها بين الفعل وما تعلَّق به . انتهَى كلامه .

وقال السكرى : روى الباهلىُّ : « أَدَعْكَ وإيّاها » ، ويروى[1] : « أَذْرك وإيَّاها » فجزم لكثرة الحركات . وروى أَيضاً .

* تكونان فيها للمَلاَ مثلاً بعدى[2] *

وعلى هذه الروايات الثلاث لا شاهد فيه .

وترجمة أَبى ذؤيب ، وهو شاعر إسلامىٌّ ، تقدَّمت فى الشاهد السابع والستين[3] .

* * *

وأَنشد بعده ، وهو الشاهد الواحد والستون بعد السمائة[4] :

٦٦١ (ولا صُلْحَ حتَّى تَضْبَعُونَ ونَضْبَعَا)

على أَنَّ (حتَّى) فيه ابتدائية والفعل بعدها مرفوع بثبوت النون ، ونصب (نضبع) بالعطف على توهُّم نصب ما قبله .

وهذا على رواية ثعلب (فى أَماليه) عن ابن الأَعرابى ، قال : والمعنَى : تمدُّون[5] أَيديَكم إلينا بالسُّيوف ونمدُّ أَيديَنا . وكذا قال ابن السكيت (فى إصلاح المنطق) : أَى تمدُّون إلينا أَصَباعَكم بالسُّيوف ونمدُّ

---

(١) ط : « ويرى » ، صوابه فى ش .
(٢) الذى عند السكرى ٢١٩ : « ويروى : أذرك وإياها . الأصمعى : أدعك » ، فقط .
(٣) الخزانة ١ : ٤٢٢ - ٤٢٣ .
(٤) مجالس ثعلب ٥٠ وإصلاح المنطق ١٩٦ ثالثة واللسان (ضبع ٥٨) .
(٥) فى النسختين : « حتى تمدون » تحريف . والذى فى المجالس : « قال تجدون » .

إليكم أَضباعَنا بالسُّيوف. قال: وقد ضَبَعت الخيلُ والإبلُ تضْبَع، بفتح الباءِ فيهما، ضَبْعا بسكونها، إذا مدَّتْ أضباعَها فى عَدْوها، وهى أَعضادُها. ومنه هذا البيت. لكنَّه رواه بالنصب.

وتبعه صاحب الصحاح هكذا:

* ولا صلحَ حتَّى تضبعونَا ونضبعا *

فحتَّى فيه جارّة، وتضبعونا منصوب بأَنْ على حذف النون، ونَا ضميرُ المتكلم مع الغير مفعوله، والفعل مستقبَل؛ ولا حاجة لتأْويله بالحال، ويكون نصب نضبع بالعطف عليه ظاهراً من غير ادِّعاءِ توهُّم.

وفسَّره أَبو عمرو بن العلاءِ، كما نقله صاحب الصحاح: بقوله: أَى حتَّى تضبعون للصُّلح والمصافحة[1]. وقد جاءَ نظائرهُ بالنصب منها ما أَنشده صاحب العباب، قال: وضبَعْت الرجلَ: مددتُ إليه ضَبْعى للضَّرب، قال عمرو بن الأَسود، أَحد بنى سُبيع، وكانت امرأَةٌ اسمُها غضوبُ هجتْ مِربعَ بنَ سُبيع، فقتلها مِربع، فعرض قومُ مربع الدِّيَة فَأَبَى قومُها: ٦٠٠

كذبتم وبيتِ الله نرفَعُ عَقلَها عن الحقِّ حتَّى تضبعوا ثم نَضْبَعا

أَى حتى تمدُّوا إلينا أَضباعكم بالسُّيوف ونمدُّ أَضباعنا إليكم. وقال أَبو عمرٍو: أَى حتى تضبعوا للصلح والمصافحة. انتهى

والضَّبْع، بسكون الموحدة وفتح الضاد المعجمة: العضُد، وقيل من العضُد: وسَطُه بلحمه، يقال أَخذت بضبْعَىْ فلانٍ فلم أُفارقْه. ومددت

---

(١) كلمة «حتى» ليست فى الصحاح.

(٢) البيت من شواهد سيبويه ١ : ٢٢ بولاق ١ : ٤٧ هارون.

بضبْعيهِ ، إذا قبضتَ وسَط عضديه . ومنها قول عمرو بن شأْسٍ الجاهلى من قصيدة :

بنى أَسدٍ هل تعلمون بلاءَنا إذا كان يوماً ذا كواكبَ أشنعا

إذا كانت الحُوُّ الطِّوالُ كأَنّما كساها السِّلاحُ الأُرجُوانَ المضلَّعا

نذود الملوكَ عنكمُ وتذودنا إلى الموتِ حتَّى يضبعوا ثم نَضْبَعا[١]

والبيت الأَوّل من الثلاثة استشهد به سيبويه على أنه أَراد الشاعرُ إذا كان اليوم يوماً . وأَضمر لِعلمِ المخاطب ، ومعناه إذا كان اليومُ الذى يقع فيه القتال . قال سيبويه : وبعض العرب ينشده :

* إذا كان يومٌ ذو كواكب أَشنعا *

ومعنى كان فى الوجهين معنى وقع ، ويوماً منصوب على الحال ، وأَشنعا حال أَيضاً مؤكِّدة على الرواية الثانية . وزعم المبرِّد أَنَّه خبر كانَ، وردُّوا عليه بأَنَّه لا فائدة فى هذا الإخبار[٢] .

والحُوّ : جمع أَحوَى ، أَراد به أَنَّ الخيل السُّود قد صُبغت بدم الأَعداءِ حتَّى صارتْ كالأُرجُوان .

وتضبعون هنا ظاهرٌ فيما فسَّره أَبو عمرو بن العلاء .

والبيت الشاهد لم أَقف على تتمتّه ، ولا على قائله . والله أَعلم[٣] .

* * *

(١) لم يرو سيبويه هذا البيت ، بل روى سابقيه فقط .

(٢) رواية البيت عند المبرد فى المقتضب ٤ : ٩٦ تخالف ما هنا . وفيه :

فدى لبنى ذهل بن شيبان ناقتى إذا كان يوم ذو كواكب أشهب

وهو بيت آخر لقائل آخر هو مقاس العائذى ، ولكن موضع الكلام فى « إذا كان يوماً » .

(٣) سيبويه ١ : ٢٢ ، ٤٤٨ . وانظر المقتضب ٢ : ٢٤ والمحتسب ١ : ١٩٧ وابن يعيش ١ : ٢٧٩ والمقرب ١ : ٢٦٣ والمغنى ١٧٥ وشرح شواهد المغنى ١٦٩ والشذور ٢٢٢ والعينى ٤ : ٤٩٠ والهمع ١ : ٢/٧٧ : ١٠ ، ١٦ ، ٧٣ والأشمونى ٣ : ٣٠٥ .

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثانى والستون بعد الستمائة ، وهو من شواهد سيبويه :

٦٦٢ (سأَترُكُ مَنزِلى لبنى تميمٍ وأَلحقُ بالحِجازِ فأَستريحا)

على أَنَّ (أَستريح) جاءَ منصوباً بعد الفاءِ فى ضرورة الشِّعر ، فيما ليس فيه معنى النَّفى أَصلا .

قال سيبويه : وقد يجوز النصب فى الواجب فى اضطرار الشعر ، ونصبُه فى الاضطرار من حيث انتصبَ فى غير الواجب ، وذلك لأَنَّك تجعل أَنْ العاملة . فممَّا نُصب فى الشعر اضطراراً قوله :

سأَترك منزلى لبنى تميم . . . . . البيت

وهو ضعيفٌ فى الكلام . انتهى

قال الأَعلم : ويروى : « لأَستريحا » ، ولا ضرورة فيه على هذا .

وقال ابن السرَّاج (فى الأُصول) : جعل لحاقه بالحجاز سبباً لاستراحته ، فتقديره لمَّا نُصِبَ كأَنه قال : يكون لحَاقٌ فاستراحة . وقد جاءَ مثلُه فى الشعر لقومٍ فصحاءِ ، إلاَّ أَنَّه قبح النصبُ فى العطف على الواجب الذى على غير شرط ، لأَنَّه قد جُعل لهذا المعنى آلاتٌ ، وكان حقُّ الكلام أَن يقولَ ، لو كان فى غير شعر : وأَلحقُ بالحجاز فإِذا لحقتُ استرحت ، أَو وإِن أَلْحقْ أَسترحْ . ومع ذلك فإِنَّ الإِيجاب على غير شرطٍ أَصلُ الكلام ، وإِزالة اللَّفظ عن جهته فى الفروع أَحسن منها فى الأُصول ، لأَنَّها أَدلُّ على المعانى . انتهى

ونقل أَبو على هذه العبارة بعينها (فى التذكرة) .

٦٠١ وأَورد ابن عصفور (فى كتاب الضرائر) لهذا البيت نظائر ثم قال :

لمَّا اضطُرّ إلى استعمال النصب بدلَ الرفع حُكم لها حُكمُ الأَفعالِ الواقعة بعد الفاءِ فى الأَجوبة الثمانية ، فنُصب بإِضمار أَنْ. وتُؤُوِّلت الأَفعال التى قبلها تأْويلا يوجب النصب ، فحكِمَ لقوله وأَلحق بالحجاز بحكْمِ : ويكون(١) منىِّ لحاقٌ بالحجاز فاستراحة ، فعُطفت بالفاءِ على المصدر المتوهَّم . انتهى .

فقول الدمامينى (فى الحاشية الهندية) : النصب على حدَّ :

* ولُبس عباءَةٍ وتقرَّ عينى *

غير جيّد . وقال أَيضاً : للقائلِ أَن يقول : لا نسلِّم(٢) أَنَّ أَستريح منصوب ، بل هو مرفوع مؤكَّد بالنون الخفيفة موقوفاً عليها بالأَلف ، وتأْكيد مثل هذا جائز فى الضرورة . قال سيبويه : يجوز للمضطرّ : أَنت تفعَلَنَّ . ولا شكَّ أَنَّ التخريج على هذا متَّجه ، بخلاف التَّخريج على النصب مع فقد شرطه .

هذا كلامه ، وهو من باب غسل الدم بالدم ، لأَنَّه تفَصَّى من ضرورة ولجأَ إلى ضرورة ، وشرط كلٍّ من النصب والتأْكيد مفقود .

ونقل الدمامينى أَنَّ بعضهم رام تخريجَه على النصب فى جواب النفى المعنوىّ المستفادِ من قوله : « سأَترك منزلى » ، إذ معناه : لا أُقيم به . ثم تعقَّبه بأَنَّه غير متَّجه ، لأَنَّ جواب النفى منفىٌّ لا ثابت ، نحو : ما جاء زيد فأُكرمَه ، بالنصب ، والاستراحة ثابتة لا منفية .

والبيت لم يعزُه أَحدٌ من خَدَمة كتاب سيبويه(٣) إلى قائلٍ معيَّن .

---

(١) ويكون ، ساقطة من ش ثابتة فى ضرائر ابن عصفور ص ٢٨٥ .

(٢) ش : « أن يقول لأتم » وكتب فى حواشيها : « كذا بخط المؤلف والصواب لا نسلم ».

(٣) فى النسختين : « كلام سيبويه » وكتب فى حواشى ش : « كذا بخطه ، والصواب : خدمة كتاب » . وانظر ما كتبت فى مقدمة سيبويه ١ : ١١ من نسختى .

المغيرة بن حبناء

ونسبه العينيُّ وتبعه السُّيوطيُّ (فى أبيات المغنى) إلى المغيرة بن حَبْناءَ ابن عمرو بن ربيعة الحنظلى التيمى . وقد رجعتُ إلى ديوانه وهو صغير فلم أجدْه فيه .

والمغيرة شاعر إسلامىٌّ من شعراء الدولة الأُموية ، وغالبُ شعره[(١)] هجوٌ فى أخيه صخر .

وقال صاحب الأَغانى : وحَبْناءُ : لقبٌ على أُمّه غلب على أبيه ، واسمه حُبَيْن. هاجى زياداً الأَعجم . وحَبْناءُ ، بفتح المهملة وسكون الموحدة بعدها نون وألف ممدودة . وحُبَيْن بضم المهملة وفتح الموحَّدة[(١)] .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثالث والستون بعد الستمائة ، وهو من شواهد سيبويه[(٢)] :

٦٦٣ (ألم تســألِ الرَّبعَ القَواءَ فينطقُ)

هذا صدرٌ وعجزه .

(وهَلْ تُخبِرنْكَ اليومَ بَيْداءُ سَمْلقُ)

على أن ما بعد فاء السببية قد يبقى على رفعه قليلاً وهو مستأْنَف.

وأنشد سيبويه هذا البيت وقال : لم يَجعَل الأَوَّل سببَ الاخر ، ولكنه جعله ينطق على كلِّ حال ، كأَنه قال : وهو ممَّا ينطق ، كما قال : ائتنى وأُحدِّثك ، فجعل نفسه ممن يحدِّثه على كلّ حال . وزعم

(١) ط : « وقال شعره » ، صوابه فى ش .

(٢) سيبويه ١ : ٤٢٢ . وانظر معانى القرآن ١ : ٢/٢٧ : ٢٢٩ والجمل ٢٠٤ والأغانى ٨ : ١٤٥ وابن يعيش ٧ : ٦٣ والشذور ٣٠٠ والمغنى ١٦٨ والعينى ٤ : ٤٠٣ والتصريح ٢ : ١١ ، ١٣١ وديوان جميل ١٤٤ .

يونس أنَّه سمع هذا البيت بـأَلَمْ . وإنَّما كتبت ذا لئلاً يقول انسانٌ فلعلَّ الشاعر قال : أَلَا . انتهى .

قال أبو جعفر النحاس عن أبى إسحاق قال : إنَّه تقريرٌ ، معناه إنَّك سأَلته . فيقبح النصب لأَنَّ المعنى يكون : إنك إن تسأَله ينطق . ويمنع سيبويه أَنْ يروى : « أَلا تسأَل الربعَ » لأَنَّه لو رواه كذا حسن النصب ، لأَنَّ معناه فإنَّك إن تسأَله ينطق. قال أَبو الحسن : ﴿ أَلم تر أَنَّ الله أَنزلَ من السَّماءِ ماءً فتُصبِحُ الأَرْضُ مُخْضَرّة[1] ﴾ . والقوَاءُ :التى لا تُنبت . والسَّملق : الخالية . انتهى .

قال الأَعلم : الشاهد فيه رفع ينطق على الاستئناف والقطع ، على معنى فهو ينطقُ، وإيجابِ ذلك له . ولو أَمكنه النصب على الجواب لكان أَحسن. والرّبع : المنزل . والقَواءُ : القفر . وجعله ناطقاً للاعتبار بدروسه وتغيُّره . ثم حقَّق أَنَّه لا يجيب ولا يخبر سائله ، لعدم القاطنين به . والبيداءُ : القَفر . والسَّملق : التى لا شىءَ بها . انتهى . ٦٠٢

وأَورده الفراءِ عند هذه الآية (من تفسيره) قال : رُفِعت فتصبحُ لأَنَّ المعنى فى أَلم تر معناه خبرٌ ، كأَنَّك قلت فى الكلام : أَعلمُ أَن الله يُنزل من السَّماءِ ماءً فتصبح الأَرض . وهو مثل قول الشاعر[2] :

* أَلم تسال الربعَ القديمَ فينطقُ *

أَى قد سأَلتَه فنطق. ولو جعلتَه استفهاما وجعلتَ الفاءَ شرطاً لنصبت، كما قال الآخر :

---

(١) الآية ٦٣ من سورة الحج . وكذا ورد الكلام فى النسختين .

(٢) هو جميل . ديوانه ١٤٤ ومعجم الشواهد . وعجزه :

* وهل تخبرنك اليوم بيداء سملق *

أَلم تسأَل فتخبرَك الديارَا عن الحىِّ المضَلَّلِ حيثُ سارا[1]

والجزمُ فى هذا البيت جائز ، كما قال :

فقلت له صوِّبْ ولا تُجهِدَنَّه فيُذْرِكَ من أُخرى القطاة فتزلَقِ[2]

فجعل الجواب بالفاء كالمنسوق على ما قبله . انتهى .

وقال ابن المستوفى : قصدَ الشاعر نفى السُّؤال فرفع . وقد جوَّزوا فيه النصب والجزم لولا أَنَّ الروى مرفوع .

وهذا هو ما نقلناه عن الفراءِ .

وأَمّا قول ابن هشام (فى المغنى) : الفاءُ فيه للاستئناف ، أَى فهو ينطق ؛ لأَنَّها لو كانت للعطف لجزم ما بعدها ، ولو كانت للسببيَّة لنصب ، فقد قال شُرَّاحُه : الملازمة الثانية ممنوعة ، فقد تتحقق[3] السببيَّةُ مع رفع الفعل ، كما قيل فى قوله تعالى : ﴿ لا يُؤْذَنُ لهم فيَعتذِرُون[4] ﴾ . نعمْ الأَكثر مع السببية النصب ، اللهمَّ إلاَّ أَن يقال إنَّ الملازمة بالنسبة إلى الأَكثر .

وهذا الاعتراض إنَّما هو من كلامِ الشارح المحقِّق هنا .

صاحب الشاهد

والبيت مطلع قصيدةٍ لجميل بن مَعْمرٍ العُذرىّ . وبعده :

---

(١) ويروى : « حيث صارا » . معانى الفراء ٢ : ٢٢٩ .

(٢) نسب فى اللسان (ذرا ٣٠٩) إلى امرئ القيس ، وليس فى ديوانه طبعة هندية ولكنه فى ديوانه ١٧٤ بتحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم . ونسبه سيبويه فى كتابه ٣ : ١٠١ إلى عمرو بن عمار الطائى . ط : « فيدرك » ، صوابه بالذال المعجمة كما فى ش والديوان .

(٣) ط : « يتحقق » .

(٤) الآية ٥٦ من سورة المرسلات . ونصها : « ولا يؤذن لهم » .

أبيات الشاهد

(بمختلف الأرواح بين سُويقةٍ وأَحْدَبَ كادت بعدَ عَهدك تُخلقُ[١]

أضرَّت بها النَّكباءُ كلَّ عشيّة ونفحُ الصَّبا والوابلُ المتبعِّق[٢]

وقفتُ بها حتى تجلَّتْ عَمَايتى وملَّ الوقوفَ الأرحبيُّ المنوّقُ[٣]

وقال خليلى إنَّ ذا لَصَبابةٌ ألا تزجُرُ القلبَ اللَّجُوجَ فيلحقُ[٤]

تعزَّ وإن كانت عليك كريمةً لعلَّك من أسبابَ بَثْنَةَ تعتَقُ

فقلت له إنَّ البِعادَ يشُوقنى وبعض بعادِ البين والنَّأْيِ أشوَقُ

روى صاحب الأغانى عن الهيثم أنَّ جميلاً طال مُقامه بالشام ، ثم قدِمَ وبلغ بثينَةَ خبَرُه ، فراسلته مع بعض نساء الحىِّ تذكُر شوقَها إليه ووجدَها به ، وواعدتْه لموضعٍ يلتقيان فيه ، فصار إليها وحادثَها طويلا وأخبرها بحالِهِ بعدها ، وقد كان أَهلُها رصَدُوها ، فلمّا فقدوها تبعها أبوها وأخوها حتَّى هجما عليهَا ، فوثب جَميلٌ فسلَّ سيفَه وشدَّ عليهما فاتَّقيَاهُ بالهرب ، ونَاشدتهْ بثينةُ بالانصراف وقالتْ : إن أقمْتَ فضَحْتَنى ، ولعلَّ الحىَّ أن يلحقــوك ! فأَبى وقال : أنا مُقيمٌ وامضى أنتِ ولْيصنعوا ما أَحبُّوا ! فلم تزل به تناشده حتَّى انصرف. وقال فى ذلك وقد هجرته مدَّةً طويلة ولم تلقَه[٥] ، هذه القصيدةَ وهى طويلةٌ .

قوله : (ألم تسأَل الربع) الخ قال اللخمىُّ (فى شرح أبيات الجمل) الرَّبْع : الدار بعينها حيثما كانت . والمربع : المنزل فى الرَّبيع خاصة .

---

(١) الأحدب : جبل فى ديار بنى فزارة ، أو هو موضع كما سيأتى فى الشرح .

(٢) ط : « ونفخ » ، صوابه فى ش والديوان .

(٣) الديوان : « العنتريس المنوق » .

(٤) الديوان : « إن ذا لسفاهة » .

(٥) ش : « فلم تلقه » .

والقَوَاءُ : القفر . يقال ربعٌ قواءٌ ودارٌ قواءٌ ، أى خالية . والبيداءُ : القفر الذى يُبيدُ مَن سَلكه ، أى يُهلكه . والسَّملق : الأَرض التى لا تنبتُ شيئاً ، وقيل هى السَّهلة المستوية . ومفعول تسأَل الثانى محذوف ، والتقدير : أَلم تسأَل الربع عن أَهله فينطق . انتهى .

وقال ابن السِّيد : ومعنى نُطْق الربعِ ما يتبيَّن من آثاره . والعرب تسمِّى كلَّ دليل نُطقاً وقولاً وكلامًا . قال الله تعالى : ﴿ هذَا كتابنَا يَنْطِقُ عليكم بالحَقّ[1] ﴾ : ومنه قول زهير :

* أَمِنْ أُمِّ أَوْفَى دمنةٌ لم تَكلَّمِ *

أى لم يكن بها أثر يُستَبان لقدم عهدِها بالنُّزول فيها ونحوه . انتهى.

وقوله (وهل تُخبِرنْكَ[2] اليوم) إلخ ردٌّ على نفسه بأَنَّ مثله لا ينطق فيجيب . وهذا رجوعٌ إلى الحقيقة بعد المجاز . ومثله ما أنشده أبو الفرج الأصبهانى (فى الأَغانى) لمحمد بن عبدالله بن مسلم بن المولى ، مولى الأَنصار ، من مخضرمى الدَّولتين ، يمدح المهدىّ :

سَلا دارَ ليلى هل تُبينُ فتنطقُ وأَنَّى تردُّ القولَ بيداءُ سَملقُ[3]

وأَنَّى تردُّ القولَ دَارٌ كأَنَّها لِطولِ بِلاها والتَّقادمُ مُهرَقُ

وقوله (فينطق) الفاءُ للاستئناف ، وجملة ينطق خبر مبتدأ محذوف ، أى فهو ينطق . قال صاحب الكشاف عند قوله تعالى : ﴿ وهو الله فى السَّمواتِ وفى الأَرضِ يَعلم سِرَّكم وجَهْرَكم[4] ﴾ : يعلم جملة مستأْنفة أى هو يعلم سركم .

---

(١) الآية ٢٩ من سورة الجاثية .

(٢) ط : « وهل يخبرنك » .

(٣) الأغانى ٣ : ٨٥ .

(٤) الآية ٣ من سورة الأنعام .

قال التفتازانى : جرت عادتُه فى مثل هذا بتقدير المبتدأ ، ولا يظهر له وجهٌ يعتدُّ به . وقال (فى التلويح) فى قوله تعالى : ﴿ والرَّاسخون فى العِلْم يقولون آمَنَّا به[1] ﴾ هكذا قال جار الله (فى الكشَّاف والمفصَّل) ، فيقدِّر المبتدأ فى جميع ما هو من هذا القبيل . وفيه نظرٌ لأَنَّ الجملة الفعليَّة صالحة للابتداءِ من غير احتياج إلى تقدير مبتدأ .

وفى شرح التسهيل(للدَّمامينىّ) : النحويون يقدِّرون فى الاستئناف مبتدأ ، وذلك إمَّا لقصد إيضاح الاستئناف ، وإمَّا لأَنَّه لا يستأْنَف إلَّا على هذا التقدير . وإلَّا لزم العطف الذى هو مقتضى الظاهر . انتهى .

قال شيخنا الشهاب الخفاجى فى بعض رسائله : حاصله أَنَّ الجملة المضارِعيّة المستأْنفة يقتضى كلامُ المفسرين والنُّحاة أَنَّه لا بدَّ فيها من تقدير ضمير مبتدأ . واستشكله المتأَخِّرون بأَنَّه لا ضرورة تدعو إليه ، فإنَّه يجوز الاستئناف بدونه . ولم يدفعه أَحد ، فظنُّوا أَنه واردٌ غير مندفع . ولمَّا تأَمَّلْت ما قالوه حقَّ التأَمُّل ظهر لى أَنَّ الحق ما قالوه ، وأَنّه لابدَّ من هذا التقدير ، لأَنَّك إذا وقفت على قوله : فى الأَرض) من غير تقدير لم يقع موقعه ، إذ لم يُفدْ ما يحسُن السكوت عليه . والضمير المستتر خفىٌّ لا يظهر بادىَ الرأْى . فإذا قلت يعلم لم يُعْلَم مِنَ العالم . فإذا كان المبتدأُ ظاهراً أَو [فى][2] حكمه علم المراد . ونظيره النعت المقطوع إذا رفع ، يقدَّر قبله ضمير لأَنَّه مفرد لا يفيد إلاَّ على ذلك التقدير . وبهذا تبينَ أَنَّ الاعتراض من الغُفول ، عمَّا قصده هؤلاءِ هؤلاءِ الفحول . وهو معنى قوله (فى شرح التسهيل) : وإلاَّ لزم العطف ،

(١) الآية ٧ من آل عمران .
(٢) تكلة يفتقر إليها الكلام .

أى بطل الاستئنافُ وكان خبراً ثانياً . وكيف يُتردَّد فى مثله بعد اتفاق النحاة عليه .

إلاَّ أنَّهم لم يبيِّنوا أنَّ هذا الحذف واجب أَوْ لَا . والظاهر أَنَّه واجب. وهذا من مهمات المقاصد . انتهى كلام شيخنا .

وما ذكره بحثاً هو كلام الشارح المحقِّق عند كلامه على قول الشاعر :

٦٠٤ غير أَنَّا لم تـأْتنا بيقين فنرجِّى ونكثرَ التأْميلا[1]

بعد نحو ورقة من هذا الموضع .

وقول شيخنا : « أَى بطل الاستئناف وكان خبراً ثانياً » فيه أَنَّ الخبر المتعدِّد يجوز فيه العطف ولم يجب كما بيِّن فى محله .

وقوله : « بمختَلَفِ الأَرواح » إلخ الباءُ للسببية . والمُختَلَفُ : الموضع الذى تهبُّ فيه الرّياح من كل وجه . وسُويقة بالتصغير ، وأَحدب بالحاءِ المهملة والباءِ الموحدة لا بالمثلثة : موضعان . وتَخلُق : تبلَى ، يقال خلُقَ الثوب بالضم ، إذا بلى ، فهو خَلَق بفتحتين . وأَخلقَ الثَّوبُ بالأَلف لغة .

وقوله : « أَضرَّت بها النكباءُ » الخ . النكباءُ : كلُّ ريح تهب بين مهبِّ ريحين ، لأَنَّها نَكَبَتْ عن مهبِّها ، أَى عَدَلت . ونَفَحت الريح بالحاءِ المهملة ، أَى هبَّت ، من باب نفع . والوابل : المطر العظيم القَطْر. والمتبعِّق ، بتشديد العين المهملة المكسورة : الشديد المطر . يقال تبعَّق المُزْن ، إذا سال بشدة .

(١) هو الشاهد ٦٦٥ فيما سيأتى .

والعَمَاية بفتح المهملة بعدها ميم : الضَّلالة ، وهى من عَمَى القلب . وروى : « غيابتى » بالغين المعجمة . والغيابة : الظُّلمة ، وقعرُ البئر ونحوِها. والأَرحبيُّ : الجمل النجيب ، منسوبٌ إلى أرحَب بالحاء المهملة : قبيلة ، وقيل فحل ، وقيل موضع . وروى بدله : « العنتريس » ، وهو الجمل الشَّديد الصلب . والمنوَّق : المذلَّل كالناقة .

وقوله : « لعلك من أَسبابَ بَثْنة » روى بدله « لعلك من رِقٍّ لبثنة » . وجميل بن معمر شاعرٌ إسلاميٌّ ، تقدمت ترجمته فى الشاهد الثانى والستين من أوائل الكتاب[1] .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الرابع والستون بعد الستمائة[2] :

٦٦٤ (لم تَدرِ ما جزعٌ عليك فتَجزعُ)

لِمَا تقدَّم قبله . وهو عجزُ وصدره :

(ولقد تركتِ صَبيَّةً مَرحومة)

قال ابن هشام (فى المغنى) : وللاستئناف وجه آخر ، وهو أن يكون على معنى السببية وانتفاءِ الثانى لانتفاءِ الأَوَّل ، وهو أَحد وجهَى النَّصب وهو قليل ، وعليه قوله :

ولقد تركتِ صبيَّةً مرحومةً   لم تدر ما جزعٌ عليك فتجزعُ

أَى لو عرفَتِ الجزعَ لجزِعَتْ ، ولكنها لم تعرفه فلم تجزع . إلى آخر ما ذكر من نظائره من الآيات القرآنيَّة .

(١) الخزانة ١ : ٣٩٧ - ٣٩٨ .
(٢) المحتسب ١ : ١٩٣ والمغنى ٤٨١ والحماسة ٩٠٣ بشرح المرزوقى .

وقد تكلم ابن جنى على هذا البيت (فى إعراب الحماسة) فلا بأْس بإيراده قال : هذا البيت طريفٌ غريب الحديث ، وذلك أنه ليسَ بجواب لأَنَّه مرفوع كما ترى ، ولو كان منصوباً جواباً لكان أوفق معنى ، وأَسْلب طريقاً[1] ، ولا قبله أيضاً فعلٌ مرفوع فيعطف عليه كما عطف فى قوله :

* فما تحلُّ على قوم فترتحل[2] *

فلهذا كان غريباً . غير أَنَّ وجهه عندى أن يكون قوله فتجزع صفةً لقوله مرحومة أو صغيرة ، ويكون معطوفاً على جملةِ قولِه : « لم تدر ما جزعٌ عليك » ، لأَنَّ هذه الجملة صفة لقوله صغيرة أو مرحومة ، فكأَنَّه قال : فلقد تركتِ صغيرةً جاهلة بالجزعِ فجازعةً مع ذلك . فلما وقع تجزع موقع الاسم ارتفعَ فجرى مجرى قولك : مررت برجل من أَهلِ العلم ويُقرئُ الناس . فتعطف يقرئُ على من أهل العلم ، حتَّى كأَنَّك قلت : عالم ومقرئٌ . وإن شئت جعلت الفاء زائدة فى جميع ذلك فكان . فلا أُمٌّ تبكيه ولا أخت تفقده[3] . و : فما تحلُّ على قوم ترتحل ،[أى][4]

---

(١) ش : « طريق » ، صوابه فى ط وإعراب الحماسة . وأسلب ، من السلب وهو الخفيف السريع .

(٢) لأبى تمام فى ديوانه ٢٢٩ من قصيدة فى مدح المعتصم ويعتز بمدحته فيه . والبيت بتمامه مع ما قبله :

لقد لبست أمير المؤمنين بها حلياً نظاماه بيت سار أو مثل

غريبة تؤنس الآداب وحشتها فما تحل على قوم فترتحل

(٣) إشارة إلى بيت سابق فى الحماسة ٨٩٨ بشرح المرزوقى ، تعرض له ابن جنى فى إعراب الحماسة الورقة ١٣١ . ونصه :

فلا أم فتبكيه ولا أخت فتفتقده

(٤) التكملة من ش وإعراب الحماسة .

٦٠٥ معتقدة للارتحال ، ولم يكن بيننا شرٌّ نصطلح من أجله[١] ، ولم تدر ما جزعٌ عليكِ جازعة ، أى تركت صبية جازعةً وإن لم تعرف الجزع ، أى صورتها صورة الجازعة .

فإن قلت : فهل هناك أمٌّ غير باكية ، أو أُخت غير مفتقِدة ؟ قيل : ليس نفىُ الشىء عندنا إثباتاً لضدِّه . ألاَ ترى لو قلت[٢] : إنَّ زيدًا لم يُعزِّنى[٣] لم يكن فى هذا دليل على أنَّه قد أهانك .

وقال أبو الحسن فى قوله تعالى : ﴿ يا ليتَنا نُرَدُّ ولا نكذِّبَ بآياتِ ربِّنا ونكونَ من المؤمنين[٤] ﴾ قال : هو فى اللفظ معطوفٌ وفى المعنى جواب ، قال : وذلك أنَّهم إذا تمنَّوا[٥] الردَّ ولم يتمنَّوا ترك التكذيب ولا الإيمان ، بل أوجبوه[٦] على أنفسهم عند الردِّ ، فكان يجب النصب ، أى إنْ رُدِدْنا آمنَّا ولم نكذِّب . قال : ولكنَّه جرى فى اللفظ معطوفاً ، والمعنى معنى الجواب. وشبهه فى الحمْلِ على اللفظ والمعنى مخالفٌ لقراءة من قرأ : ﴿وامسَحُوا برؤسكم وأرجُلِكم[٧] ﴾ بالجر ، فهذا يقتضى مسح الرجلين .

---

(١) هذا إشارة إلى بيت أنشده ابن جنى فى إعراب الحماسة الورقة ١٣٢ وهو للبحترى فى ديوانه ١١٦ من قصيدة يمدح بها الحسن بن مخلد . ونصه :

يريغ كاتبه صلحى لينقصنى ... ولم يكن بيننا شر فنصطلح

(٢) فى إعراب الحماسة لابن جنى : « ألا تراك إذا قلت » .

(٣) فى إعراب الحماسة : « لم يكرمنى » .

(٤) الآية ٢٧ من سورة الأنعام .

(٥) فى إعراب الحماسة : « لما تمنوا » .

(٦) إعراب الحماسة : « بل أوجبوهما » .

(٧) الآية ٦ من سورة المائدة . وهى قراءة ابن كثير وأبى عمرو وحمزة وأبى بكر وأنس وعكرمة والشعبى والباقر وقتادة وعلقمة والضحاك . وقرأ الحسن : « وأرجلكم » بالرفع . تفسير أبى حيان ٣ : ٤٣٧ – ٨٣٤ وإتحاف فضلاء البشر ١٩٨ . وفى النسختين : « فامسحوا » بالفاء ، وهو تحريف قرآنى .

وإنَّما المفروض فيهما الغَسْلُ[١] ولكنَّه جرى فىاللفظ على الجرّ ، والمعنى معنى النصب . وهذا لعمرى متوجِّه فى قوله :

* فما تحلُّ على قومٍ فترتحلُ *

لأَنَّ هناك مرفوعاً قبله . فأَما قوله :

* لم تدر ما جزعٌ عليكِ فتجزع *

فليس فى قوله قبله مرفوع فيعطفَ عليه . وقد يجوز أَن يكون أَراد فهى تبكيه وهى تفتقده[٢] على أَنَّه وضع الجملة المركبة من المبتدأ والخبر موضع الفعل المنصوب على الجواب . ومثلُه قوله تعالى : ﴿ هل لَكُمْ ممَّا ملكَتْ أَيمانُكمْ مِنْ شُرَكاءَ فيما رزَقْناكم فأَنتمْ فيه سواءٌ[٣] ﴾[أى][٤] فتستووا . ومثله : ﴿ أعنده عِلمُ الغَيب فهو يَرَى[٥] ﴾ أى فيرى . فاعرفْ تفصيل ذلك .

هذا كلام ابن جنى .

وأورده (فى المحتسب) أَيضاً عند قراءة الحسن ويزيدَ النَّحْوىّ : ﴿ ياليتَنِى كنتُ مَعَهُمْ فأَفوزُ فوزاً عظيما[٦] ﴾ بالرفع ، قال رَوْح[٧] : لم

---

(١) ط : « المسح » ، صوابه فى ش وإعراب الحماسة .

(٢) ط : « تفقده » ش : « مفتقدة » ، صوابهما فى إعراب الحماسة .

(٣) الآية ٢٨ من سورة الروم .

(٤) التكلة من إعراب الحماسة .

(٥) الآية ٣٥ من سورة النجم .

(٦) الآية ٧٣ من النساء .

(٧) هو روح بن عبد المؤمن البصرى النحوى ، مقرئ جليل ثقة ضابط مشهور ، روى عنه البخارى فى صحيحه . توفى سنة أربع أو خمس وثلاثين مائة . طبقات ابن الجزرى برقم ١٢٧٣ .

يجعل لِليْتَ[١] جواباً . (أقول) : محصوله[٢] أنَّه يتمنى الفوز ، فكأنه قال : ياليتني أفوز فوزاً عظيما . ولو جعله جواباً لَنصبَه ، أى إنْ أكن معهم أفُزْ . هذا إذا صرَّحت بالشرط ، إلَّا أنَّ الفاء إذا دخلت جواباً للتمنِّي نصب الفعل بعهدها بإضمار أن ، وعَطف أفوز على كنت معهم لأنَّهما جميعاً متمنَّيان ، إلَّا أنَّه عطف جملة على جملة ، لا الفعل على انفراده على الفعل ، إذْ كان الأوّل ماضياً والثانى مستقبلا . وعليه قول الآخر :

* لم تدرِ ما جزعٌ عليكِ فتجزعُ *

والقوافى مرفوعة ، أى هى تجزع . ولو كان جواباً لقال فتجزعَا . وقد ذكرنا هذا ونحوه (فى كتابنا تفسير مشكل أبيات الحماسة). انتهى .

صاحب الشاهد

والبيت لم يعرفه شُرّاح مُغنِى اللبيب ، وهو من أبياتٍ أوردها أبو تمَّام (فى باب المراثى من الحماسة) لمُوَيلكٍ المزموم ، فى امرأته أُمِّ العلاء . وأوردها الأعلم الشنتمرىُّ أيضاً فى حماسته ، وهى :

أبيات الشاهد

امرُرْ على الجدَث الذى حلَّتْ به — أُمُّ العَلاءِ فنادها لو تسمعُ
أنَّى حللتِ وكنتِ جِدَّ فروقةٍ — بلدًا يَمُرُّ به الشَّجاع فيفزَعَ
صَلَّى عليكِ اللهُ من مفقودةٍ — إذْ لا يلائمُكِ المكانُ البلقعُ
فلقد تركتِ صغيرةً مرحومةً — . . . . البيت
فَقَدَتْ شمائلَ من لِزامِك حُلوةً — فتبيتُ تَسهَرُ ليلَها وتَفجَّعُ
فإذا سمعتُ أنينَها فى ليلِها — طَفِقَتْ عليكِ شُئُونُ عينى تَدمعُ

(١) ط : « للبيت » ، صوابه فى المحتسب و ش مع أثر تصحيح .
(٢) فى المحتسب : « قال أبو الفتح : محصول ذلك كله » .

٦٠٦ وزاد الأعلم بعد هذا ستَّة أبيات أُخر .

وقوله : « امرر على الجدَث » إلخ . هو بفتح الجيم : القبر . وروى « فحيِّها » بدل « فنادِها » . و « هل » بدل « لو » .

قال الطَّبَرْسِىُّ[1] (فى شرحه) : يقول : امرر على القبر الذى دُفنت فيه وسلِّمْ عليها إن كانت تسمع . وهذا توجُّعٌ وتلهُّف . وروى : « هل تسمع » . والفرق أنَّ لو فائدته الشرط ، وهل من حيث كان استفهاماً كلامُ راجٍ لسماعها ، فكأنَّه قال : وانظر هل تسمع .

وقولهُ : « أنَّى حللتِ » الخ : قال ابن جنى : الهاءُ فى فروقةٍ مع المؤنث مثلُها مع المذكَّر ، لا فرق بينهما فِى الحال . وإنَّ المراد فيهما معنى الغاية والمبالغة . وكذلك رجلٌ راوية وامرأة راوية ، وكذا علاَّمة ونسَّابة ، لم تدخل هذه الهاءُ على المؤنث ، لأنَّها لو كانت كذلك لما لحقت المذكر . وهذا قاطع . انتهى .

وقوله : « جِدَّ فَروقة » أى كنت فروقةً جدًّا لا هَزْلا ، وحقًّا لا باطلا . والبلدة : القِطعة من الأَرض . يقول : كيف أقمتِ فى بلدٍ قفر إذا مرَّ به الرَّجلُ الشجاعُ استولى عليه الفزع ، وعهدى بِكِ أنَّكِ كنتِ أشدَّ الناس خوفاً وأَضعفَهم قَلباً .

وقوله : « صلى عليك الله » إلخ . الصَّلاة من الله الرحمة ، ومن العبد الدُّعاءُ . ولا يُلائمك : لا يوافقك . والبلقع : الخالى . ومِن مفقودةٍ : تمييز

---

(١) فى النسختين : « الطيبرسى » ، تحريف . وهو أمين الدين أبو على الفضل بن الحسن بن الفضل الطبرسى ، مفسر لغوى من أعيان الشيعة الإمامية . من أشهر كتبه مجمع البيان لعلوم القرآن ، ومختصر الكشاف . توفى سنة ٥٤٨ . إنباه الرواة ٣ : ٦ ، ٧ وروضات الجنات ٥١٢ - ٥١٤ وأعيان الشيعة ٤٢ : ٢٧٦ - ٢٨٢ ومعجم المؤلفين ٨ : ٦٦ . وقد طبع كتابه مجمع البيان فى صيدا بعناية محسن الحسينى العاملى .

وقوله : (فلقد تركتِ صغيرةً) إلخ. قد تقدَّم أنَّ ابن جنى جوَّز وجهين : أن يكون فتجزع صفة لصغيرة ، وأن يكون استئنافاً . واختار المرزوقىُّ الاستئنافَ وقال : أراد أنَّها من صغرها لا تعرِف المصيبةَ ولا الجزعَ لها ، فهى على حالها تجزع ، لأنَّ ما تأتيه من الضَّجر والبكاء وتتركه من النوم والقَرَارِ فعلُ الجازعين .

وقوله : « فقدت شمائل » إلخ ، جمع الشِّمال بالكسر ، وهى الطبيعة . يقول : كانت قد اعتادت منكِ أخلاقاً جميلة ففقدَتْها ، فَبقيتْ لاتنام ولا تنيم[(١)] بل تفجَّعُ وتوجَّع ، فإذا سمعتُ شَكْواها وبكاءها أقبلتْ شئون رأسى تسحُّ بالبكاء ولهًا عليكِ . وطفقت : شرَعَتْ. والشئون: جمع شأْن ، وهو الشعب الذى يجمع بين القبيلتين من قبائل الرأس ، وهى القطعة المشعوب بعضها إلى بعض . ويقال إنَّ الدمعَ يجرى من الشَّأْن .

ومُوَيلكٌ : مصغر مالك . والمزموم : اسم مفعول من زَممت الناقة ، أى وضعتُ عليها الزمام . **مويلك المزموم**

والظاهر أنَّه شاعر إسلامىّ . ولم أَقِفْ على نسبه حتَّى أَكشفَ عنه (فى الجمهرة) ، ولا على ترجمته . والله أعلم .

* * *

(١) ش : « ولا تقيم » ، صوابه فى ط . وهو مثل معروف أورده المفضل وسلمة فى الفاخر ٤٢ والعسكرى فى الجمهرة : ٤١٨ . وأنشد فى اللسان (نوم) لخنساء . :

كا من هاشم أقررت عينى وكانت لا تنام ولا تنيم

وأورده المفضل أيضاً فى الفاخر ٢٠٢ ، وكذا الميدانى فى ١ : ٣١٠ بلفظ: « السليم لا ينام ولا ينيم » . والسليم هنا : الملدوغ .

وأَنشد بعده ، وهو الشاهد الخامس والستّون بعد الستّمائة وهو من شواهد س[1] :

٦٦٥ (غير أَنَّا لم يأْتِنا بيقينٍ فنرجِّى ونكثرُ التَّأْميلا)

على أَنَّ ما بعد الفاءِ هنا على القطع والاستئناف ، أَى فنحن نرجِّى .

قال سيبويه عند توجيه النصب فى : ما[2] تأْتينا فتحدِّثنا : وإن شئت رفعت على وجهٍ آخر ، كأَنك قلت : فأَنت تحدِّثنا . ومثل ذلك قول بعض الحارثِيِّين :

غير أَنَّا لم تأْتنا بيقين .... البيت

كأَنَّه قال : فنحن نرجِّى . فهذا فى موضع مبنىّ على المبتدإ . انتهى .

فالإِتيان منفىٌّ وحده ، والرّجاءُ مثْبت ، وهو المراد . ولا يجوز نصب نرجِّى ، لأَنَّه يقتضى نفيه إمَّا مع نفى الإتيان وإمَّا مع إثباته ، كما هو مقتضى النَّصب ، وكلاهما عكسُ المراد .

ويدلُّ لهذا قول أَبى على (فى التذكرة) : هو بالرفع ، وكذلك الصَّواب ، لأَنَّهم إنَّما رَجَوْا وأَمَّلُوا مالم يأْتِهم بيقين؛ ولو أَتاهم بيقين لآل إلى الترجِّى والتأْميل بيقينه .

٦٠٧ ومثله لابن هشام (فى المغنى) قال : المعنَى أَنَّه لم يأْت باليقين فنحن نرجو خلافَ ما أَتى به ، لانتفاءِ اليقين عمَّا أَتَى به . ولو جَزَمه

---

(١) فى كتابه ١ : ٤١٩ . وانظر ابن يعيش ٧ : ٣٦ والمقرب لابن عصفور ١ : ١٦٥ والمغنى ٤٨٠ وشرح شواهده للسيوطى ٢٩٥ والتصريح ٢ : ٢٠٤ .

(٢) كتبت فى النسختين : « فيما » ، والوجه ما أثبت .

أو نصبَه لفسَد معناه ، لأنَّه يصير منتفياً على حِدَته كالأوّل إذا جزم ، ومنفياً على الجمع إذا نصب . وإنَّما المراد إثباته . انتهى .

وقوله : « ومنفيًّا على الجمع إذا نُصب » أراد بالجمع نفى الإتيان والرجاءِ كليهما . ولم يذكر الشقَّ الثانىَ من النصب ، لأنَّه لم يتصوَّر نفى الرجاءِ مع ثبوت الإتيان بيقين . ومنه يظهر لك فسادُ تجويز الأعلم نصبَه بمرتبتين ، وقوله : ولو أمكنه النصبُ على الجواب لكان أحسن.

وتبعه ابن يعيش (فى شرح المفصل) ولم يتنبَّه لفساده.

ومقتضى كلام أبى علىّ وابن هشامٍ أنَّ قوله « لم يأْتنا » بالمثناة التحتيَّة لا الفوقية ، فيكون فاعله مستتراً فيه . والمشهور بالفوقيَّة على الخطاب .

ومشى على الأوّل شارحُ شواهد المفصَّل أيضاً فقال : المعنى أتانا آت بخبر إخوتنا ، غير أنَّا أى لكنَّا لم يأْتنا الآتى بخبر يقين يوجبُ اليأْس، فنحن نرجِّى خلافَ ما أَتى به ، لانتفاءِ اليقين عما أَتَى به ، فنكثر التأْميل لخلاف خبره ، ونقول : لعلَّه يكون كذباً . ولا يجوز فى قوله فنرَجِّى إلاَّ الرفع . اهـ

وكون اليقين هو خبر الإخْوة إنَّما هو حدس وتخمين ؛ فإنَّ البيت من أبيات سيبويه الخمسين التى ما عرف قائلها ولا تتمتُها . والله أعلم به.

فيقين صفةُ موصوف محذوف ، أى بخبر يقين . ونكثر بالرفع عطفٌ على نُرجِّى . و (التأْميل) : مصدر أمَّلته ، إذا رجوته .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد السَّادس والسِّتون بعد الستمائة ، وهو من شواهد سيبويه[(١)] :

٦٦٦ (وما قَامَ مِنَّا قَائِمٌ فى ندِيِّنا فينْطقَ إلَّا بالتى هىَ أَعْرَفُ)

على أنَّ النفى بالمعنى الثانى ، وهو أن يرجعَ النفىُ لما بعد الفاء ، كثيرُ الاستعمال كما فى البيت ؛ فإنَّ النفى منصبٌّ على ينطق فى المعنى ، و (قام) مثبَتٌ فى تأْويل المستقبل ، لمناسبة المعطوف . ولهذا قال الشارح المحقق : أى يقومُ ولا يقومُ إلاَّ بالتى هى أعرف . وإنَّما جعل النفى هنا بالمعنى الثانى لأَجل الاستثناء ، فإنَّ الاستثناء المفرَّغ لا يكون إلَّا مع النفى ، فلمَّا اعتُبر فى ينطق صَحّ التفريغ .

وجوّز صاحب اللباب أنْ يكون النفى فى البيت على ظاهرِه من القسم الأَوّل . قال فى باب الاستثناء : والمفرَّغ لا يكون إلَّا فى الإثبات . إلى أن قال : ويجوز فيما هو جوابُ النفى . وأنشد هذا البيت .

قال الفالى فى (شرحه) : لا يقال ينبغى أن لا يجوز ، لأَنَّ قولك فينطق مثبت ، ولا يصحُّ المفرَّغ فى المثبت ، لأَنَّ قوله فينطقَ بالنصب بأَنْ مضمرة ، والتقدير فأَن ينطق ، وهذا المصدر معطوفٌ على مصدر منتزع من الأَوّل وهو قام ،أى ما يكون قيام فنطقٌ . فحكم النفى منسحبٌ على القيام والنُّطق . فالنطق فى المعنى منفىٌّ فيصحُّ الاستثناء المفَرَّغ فيه . ونظيره : ما تأْتينا فتحدِّثنَا ، بالنصب ، أى ما يكون منك إتيان فتحديث على نفى المركَّب ، أى ما يكون منك إتيانٌ كثير ولا تحديثٌ عَقِيبه . ا هـ .

---

(١) سيبويه ١ : ٤٢٠ . وانظر الأصول لابن السراج ٢ : ١٩٢ والعينى ٤ : ٣٩٠ والأشمونى ٣ : ٣٠٤ ، ٣٠٥ وديوان الفرزدق ٥٦١ .

وهذا نصُّ سيبويه فى باب الفاءِ ، قال : وتقول ما أَتيتنا فتحدِّثنا ، والنصبُ فيه كالنصب فى الأَوّل ، وإن شئت رفعتَ على معنى فأَنتَ تحدِّثنا الساعة . والرفع فيه يجوز على ما . وإنّما اختير النصب لأَنَّ لوجه ههنا وحدَّ الكلام أن تقول: ما أتيتنا[1] فحَدَّثتنا، فلمَّا صرفوه عن هذا الحدِّ ضعُفَ أن يضمُّوا يفعل إلى فعلتَ ، فحملوه على الاسم ، كما لم يجزْ أن يضمُّوا إلى الاسم فى قولهم : ما أنت منَّا فتنصرُنَا يعنى أنت ونحوه . وأَمَّا الذين رفعوه فحملوه على موضع أَتيتنا ، لأَنَّ أَتيتنا[2] فى موضع فعل مرفوع ، وتُحدِّثنا ههنا فى موضع حدَّثتنا . وتقول : ما تـأْتينا فتكَلَّمَ إلاَّ بالجميل. فالمعنى إنَّك لم تأْتنا إلا تكلَّمت بجميل . ونصبُه على إضمار أن كما كان نصبُ ما قبله على إضمار أن. وإن شئتَ رفعت على الشِّركة ، كأَنه قال : وما تكلَّم إلاَّ بالجميل . وَمثَل النصب قولُ الفرزدق :

وما قام منَّا قائمٌ فى ندِيِّنا فينطقَ إلاَّ بالتى هى أعْرَفُ

وتقول : لا تـأْتينا فتحدِّثَنَا إلاَّ ازددنا فيك رغبة ، فالنصب ههنا كالنصب فى ما تـأْتينى فتحدِّثَنى ، إذا أَردتَ معنى ما تـأْتينى محدِّثاً ، وإنَّما أَراد معنى ما أَتيْتنى محدِّثاً إلا ازددتُ فيك رغبة . ومثل ذلك قول اللَّعين :

وما حَلّ سعدىٌّ غريباً ببلدة فيُنسبَ إلاَّ الزِّبْرِقانُ له أَبُ[3]

وتقول : لا يسعُنى شئ فيعجِزَ عنك ، أى لا يسعنى شئ فيكون

---

(١) الكلام بعده إلى « أتيتنا » التالية ساقط من ش .

(٢) هنا ينهى سقط ش الذى أشرت إليه قريباً .

(٣) هو الشاهد ١٩٤ ، فى الخزانة ٣ : ٢٠٦ هارون .

عاجزًا عنك ، ولا يسعنى شىءٌ إلاَّ لم يعجز عنك . هذا معنى الكلام . فإنْ حملتَه على الأَوّل قَبُحَ المعنى ، لأَنَّك لا تريد أَن تقول إنَّ الأَشياءَ لا تسعُنى ولا تعجز عنك . فهذا لا يَنْوِيه أَحد . انتهى كلام سيبويه .

ومنه تعرفُ وجْهَ جعل الشارح المحَقِّق هذا المثال من النَّفى بالمعنى الثانى ، وأَنَّ الرواية بِنَصبِ فينطق .

قال الأَعلم : الشاهد فى نصب ما بعد الفاءِ على الجواب مع دخول إلاَّ بعده للإيجاب ، لأَنَّها عَرَضت بعد اتِّصال الجواب بالنفى . ونصبَه على ما يجب له ، فلم يغيِّره . والندِىّ : المجلس ، أَى إذا نطق منَّا ناطق فى مجلسِ جماعةٍ عُرِف صوابُ قوله فلم تُردَّ مقالتُه . انتهى .

ومثله لابن السرَّاج ، قال (فى الأُصول) : وتقول ما قام زيدٌ فيحسِنَ إلَّا حُمِد ، وما قام زيد فيأْكلَ إلاَّ طعامَه بالنصب . قال الشاعر :

* وما قام منَّا قائمٌ فى ندِيِّنا *

ويجوز رفع (فينطق) كما جاز فى : ما[1] أَتينا فتَكلَّمَ إلاَّ بالجميل ، فتكون الفاءُ للعطف .

وبه استشهد ابن الناظم والمرادى (فى شرح الأَلفيّة) . قال العينى : الشاهد فيه رفع ينطق لأَنَّ من شرط النصب بعد النفى أَن يكون النفى خالصاً ، وههنا ليس كذلك . انتهى .

صاحب الشاهد

والبيت من قصيدةٍ طويلة للفرزدق ، يفتخر بها على جرير ، وعدَّتها مائة بيت وخمسة عشر بيتاً ، تقدَّم منها بيتان ، أَحدهما فى باب النعت وهو :

(١) فى النسختين : « فيما » ، ووجه كتابته ما أثبت .

فأَصبح فى حيثُ التقينا شريدُهم .... البيت[١]

وثانيهما فى باب العطف ، وهو :

وعضُّ زمانٍ يا ابنَ مروانَ لم يَدعْ ... البيت[٢]

وهى قصيدة جيِّدة من غُرَر قصائده .

* * *

وأَنشد بعده :

(وما حَلَّ سعدىٌّ غريباً ببلدة فيُنسبَ إلاَّ الزبرقانُ له أَبُ)

لمَا تقدَّم قبله ، أَى يحلُّ ولا ينسب .

والكلام فيه كما تقدَّم قبله . قال الأَعلم : الشاهد فيه نصب ما بعد الفاء على الجواب . والرفع جائز ، والقول فيه كالقول فى الذى قبله . يقول :الزبرقان سيِّدُ قومه وأَشهرهم ، فإذا تغرَّب رجلٌ من سعد وهم رهط الزبرقان فسئل عن نسبه انتسب إليه لشرفه وشُهرته . انتهى .

٦٠٩

وقد تقدَّم الكلام على هذا البيت مفصَّلا فى الشاهد الرابع والتسعين بعد المائة من باب الحال[٣] .

* * *

وأَنشد بعده ، وهو الشاهد السابع والستُّون بعد الستِّمائة ، وهو من شواهد س[٤] :

(١) تمامه فى الخزانة ٥ : ٣٦ ، وهو الشاهد ٣٣٩ :

* طليق ومكتوف اليدين ومرهف *

(٢) تمامه فى الخزانة ٥ : ١٤٤ ، وهو الشاهد ٣٥٧ :

* من المال إلا مسحتاً أو مجلف *

(٣) الخزانة ٣ : ٢٠٦ - ٢٠٩ .

(٤) فى كتابه ١ : ٤٢٧ . وانظر المقتضب ٢ : ٢٨ والجمل ١٩٧ والخصائص ١ : ٢٣٦ وابن يعيش ٧ : ٢٢ ، ٢٣ والأشمونى ٣ : ٢٩٥ وديوان امرئ القيس ٦٦ .

٦٦٧ (نُحاوِلُ مُلْكاً أَو نَمُوتُ)

وهو قطعةٌ من بيت ، وهو :

(فقلتُ له لا تبكِ عَيْنُكَ إنَّما نُحاوِلُ مُلكاً أَو نَمُوتُ فنُعْذَرا)

على أنَّ سيبويه جوّز الرفع فى قوله (نموت) إمَّا بالعطف على نحاول ، أَو على القطع ، أى نحن نموت .

وهـذا نصُّ سيبويه : واعلم أَنَّ معنى ما انتصب بعد (أَو) على إلاَّ أَنْ ، كما كان معنى ما انتصب بعد الفاءِ . تقول : لأَلزمنَّك أَو تقضيَنى حَقِّى ، ولأَضربنَّك أَو تسبقَنى . فالمعنى لأَلزمنَّك إلاَّ أَنْ تقضينى ، ولأَضربنَّك إلاَّ أَن تسبقنى . هذا معنى النصب . قال امرؤ القيس :

فقلتُ له لا تبك عينك . . . . البيت

والقوافى منصوبة ، فالتمثيل على ماذكرت لك ، والمعنى على إلَّا أَن نموتَ فنُعذرا . ولو رفعتَ لكان عربيًّا جيداً[1] على وجهين : على أَن تشرك بين الأَوَّل والآخِر ، وعلى أَن يكون مبتدأً مقطوعاً من الأَوَّل ، يعنى أَو نحن ممّن يموت . وقال تعالى :﴿سَتُدْعَوْنَ إلى قومٍ أُولِى بأْسٍ شديدٍ تُقاتلونَهم أَو يُسلمُونَ[2]﴾، إنْ شئت كان على الإشراك، وإن شئتَ كان على : أَو وَهم يسلمون . انتهى كلامه.

وقال صاحب التكميل : ويحتمل أَن يكون أَو هنا للغاية ، أَى نحاول الملك إلى أَن نموت . وأَمَّا نصب قوله فنُعذراً فبالعطف على نموت على

(١) فى كتاب سيبويه : « جائزاً » .

(٢) الآية ١٦ من سورة الفتح .

رواية النصب ، وأمّا على رواية الرفع فخفيٌّ . ولهذا حذفه الشارح المحقِّق من المصراع .

ووجّه نصبَه الكرمانيُّ (فى شرحأَبيات الموشَّح) بأَنَّ الفاءَ للسببيَّة ، وبعدها أن مضمرة فى جواب النفى الضِّمنى ، بتأْويل « نموت » بلا نبقى . فتأَمّل .

و (نعذرا) بالبناءِ للمفعول ، وروى « نُعذِر » من أَعذر الرجل إذا أَتى بعذر .

وقال ابن السيد (فى شرح أَبيات الجمل) : وروى : فنَعذِر ، بكسر الذال ، أى نبلغ العذر .

صاحب الشاهد والبيت من قصيدةٍ لامرئُ القيس مشتملةٍ على جملٍ من يواقيت الفصاحة ، وجواهر البلاغة ، قالها لمّا دخل بلاد الروم مستجيرًا بقيصر ، لأَنَّ أَباه كان قد وَلِىَ بنى أَسد فظلمهُم ، فتعاونوا على قتله ، كما تقدَّم فى ترجمته ، فخرج امرؤ القيس إلى قيصر يستمدُّه .

قال أَبو القاسم السَّعدىُّ (فى كتاب مساوى الخمر) : وممَّن بلغ به إفشاءُ سرِّه حتفَه امرؤ القيس بن حُجْر الكِندىّ . وذلك أَنَّ المنذر بن ماء السماءِ عند ما ملَكَ على الحيرة عندما ولّاه أنو شِروان ذلك بعد مقتل حجر ، وزوالِ مُلك بنى آكل المُرار ، أَرسلَ جيشاً من بكر وتغلبِ فى طلب بنى آكل المُرار ، فجىءَ إليه منهمْ بستَّة عشر رجلاً ، فضرب أَعناقهم فى بيوتِ بنى مَرِينا . وفى ذلك يقول امرؤ القيس :

أَلا ياعَيْن بكِّى لى شَنيِنَـا ... وبكِّى لى الملوكَ الذَّاهبينا[1]

(١) فى النسختين : « شبيباً » ، صوابه من الديوان ٢٠٠ . وفى شرحه : « وهو فعيل من الشن ، وهو الصب » .

ملوكاً من بنى حُجر بن عمرو يُساقُونَ العشيَّـةَ يُقتَّلونا
فلو فى يومِ معركة أُصيبُـوا ولكنْ فى بيوت بنى مَرينا ٦١٠

وفى ذلك أيضاً يقول عمرو بن كلثوم فى معلَّقته :

فآبُوا بالنِّهاب مع السَّبايا وأَبناء الملوكِ مصفَّـدينا(١)

فهرب منه امرؤ القيس ، قيل : كان معهم فأَفلتَ ، وقيل سمِع بخبرهم فذهبَ على وجهه يستجيرُ بالعرب ، فبعضٌ يقبلُه وبعضٌ يردُّه . فخرج إلى الحارث بن أَبِى شَمِر الغسَّانى ، المعروف بابن ماريَة ، وحالُ الحارثِ يومئذٍ بالشَّام كحالِ المنذر بن ماءِ السماءِ بالعراق ، فسأَله الجوارَ والنُّصرة ، وتوسَّل إليه بالْخُئُولة . وذلك أَنَّ مارِيَةَ ذات القُرطين اللذين يَضرِب العربُ بهما المثلَ هى أُخت هندٍ امرأَةِ حُجر والد امرئ القيس . فأَكرمَه ، وسأَله النُّصرة على المنذر فاعتذر إليهِ ، وقال له : إنِّى لست أَقدر على المسير إلى العراق فى هذا الوقت ، ولكنِّى أَسيرُ معك إلى الملك قيصر فهو أَقوى منِّى على ما سأَلت . وكانت للحارث وِفادةٌ على الملك ، فأَوفده معه . وهذا قبل أَن يغزوَ المنذرُ بنُ ماءِ السماءِ إلى الحارث بن أَبِى شَمِر وقبل أَن يقتله .

وقيل إنَّ سبب ما هيَّج ما بين المنذر والحارث هذا الحربَ (٢) إنَّما هو إجارة الحارث لامرئِ القيس ، فتوجَّه معه امرؤ القيس إلى بلد الرُّوم . وفى ذلك قال هذه القصيدة ، ذكر فيها استجارته وخُلوصَه إلى التوجُّه إلى بلد الروم :

---

(١) هذه الرواية الغريبة اتفقت فيها النسختان ، ولم أجدها فى روايات المعلقات عند كل من ابن الأنبارى ، وابن النحاس ، والزوزنى ، والتبريزى ، وكذلك جمهرة أشعار العرب والرواية المعروفة : « وأبنا بالملوك مصفدينا » .

(٢) الحرب تذكر وتؤنث . ووردت فى النسختين مذكرة . وفى ش : « هكذا بخط المؤلف ».

سَما لكَ شوقٌ بعدما كان أَقصَرا ... وحلَّتْ سُليمى بطَنَ ظَبيٍ فعَرعرا[1]

فدَعْها وسلِّ الهمِّ عنها بَجْسرةٍ ... ذَمولٍ إِذا صامَ النَّهارُ وهجَّرا[2]

عليها فتىً لم تحمل الأَرضُ مثله ... أَبرَّ بميثاقٍ وأَوفَى وأَصبرا

إِذا قلتُ هذا صاحبٌ قد رضيتُه ... وقَرَّت به العينانِ بُدِّلتُ آخَرا

كذلك جَدِّى لا أُصاحبُ صاحباً ... من النَّاس إلاَّ خانني وتغيَّرا

تذكَّرتُ أَهلَى الصالحينَ وقد أَتت ... على جَمَلٍ بنا الرِّكاب وأَعفَرا[3]

ولمَّا بدتْ حَوْرانُ والآلُ دونها ... نَظرتَ فلم تَنظُر بعينيكَ منظرَا[4]

تَقطَّعَ أَسبابُ اللُّبانات والهَوَى ... عشيَّةَ جاوزْنا حَماة وشَيزَرا

بكى صاحبي لمَّا رأَى الدَّربَ دُونَه ... وأَيقَنَ أَنَّا لاحقِان بقَيْصرا

فقلت له : لا تبكِ عينُك إِنَّما ... نُحاوِل ملكاً أَو نموتَ فنُعذَرَا

---

(١) فى ديوانه ٥٦ : « بطن قو » . وبين هذا البيت وتاليه فى الديوان ٢٣ بيتاً .

(٢) فى الديوان ٦٣ : « فدع ذا » . وبين هذا البيت وتاليه فى الديوان خمسة أبيات . وهكذا نجد الأبيات هنا مختزلة من قصيدة الديوان ، مع الخلاف فى الرواية والترتيب أيضاً .

(٣) فى الديوان ٦١ : « على خملى خوص الركاب وأوجرا » . وفى الشرح : « خملى وأوجر : موضعان قبل الشام » . ولم يرسم ياقوت لهذين الموضعين ، لكن ذكرهما البكرى فى رسم (أعفر) استطراداً ، كما أفرد رسماً خاصاً للموضع (أوجر) وقال : « موضع بأرض بلقين من الشام قد تقدم ذكره فى رسم أعفر » . وكلاهما لم يرسم لخملى ، وانفرد البكرى فى (أعفر) بذكر (خملى) قال : « وروى الأصمعى :

* على خملى خوص الركاب فأوجرا *

بالخاء المعجمة على وزن فعلى » .

أما رواية « جمل » بالجيم المعجمة فقد ذكرها ياقوت فى رسم (حمل) عرضاً ، إذ قال : « العمرانى : حمل بالشام فى شعر امرئ القيس . ورواه السكرى عن الكلبى بالجيم » . كما ذكر البكرى « حمل » بالحاء المهملة فى رسم (أعفر) عرضاً ولم يفردها برسم ، وسكت عن رواية « جمل » بالجيم .

(٤) أى لم أر شيئاً أسر به ، فكأن كل ما أراه غير مرئى ، لحقارته وقبحه فى عينى .

وبعد هذا سبعةُ أَبيات فى وصف فرسه وفى بعض ما مرَّ لَهُ فى بعض المنازل .

وصاحبُه الذى بكى هو عَمرو بن قميئة الضُّبَعى الشاعر المشهور، وقد تقدَّمت ترجمته فى الشاهد السابعَ عشرَ بعد الثلثمائة[1] . كان صحب امرأ القيس لمَّا مر ببكر بن وائل يطلبُ منهم النُّصرة ، فسأَلهم عن شاعرٍ محسن فيهم، فأَتَوْه به وقد أسنَّ ، فاستنشده فأَعجبه ، ثم شكا إليه حالَه فقال له : اصحبْنى . فصحبَه وكان معه حتَّى سلك الطريق إلى بلد الروم ، فلمَّا توسَّط الدَّربَ بكى عمرو بن قميئة وقال : غرَّرْت بنا .

ــ والدَّرب : كلُّ مدخَل إلى الروم ، أَو النافذ منه ، وباب السكة الواسع ، والباب الأَكبر . كذا فى القاموس ــ

٦١١ ثم إنَّ عمرًا مات فى الطَّريق فكان يسمَّى عَمْرًا الضائعَ . فلمّا وصل امرؤ القيس إلى بلد الروم أَمرَ ملكُ الروم بإدخاله عليه ، وكان لا يدخل على قيصرٍ أَحدٌ إلاَّ سَجد له . فقيل له إنَّ امرأ القيس لا يسجدُ لك . وكان لقيصر بابان أَحدهما صغير والآخر كبير ، فقال أَدخِلوه من الباب الصغير ليضَع رأْسَه لى . فلمَّا رأَى امرؤ القيس صِغَر الباب ولَّى ظهره فدخل مُوَلِّياً حتَّى قام بين يديه . قالوا : فنظر إليه قيصر فأَعجبه ، وكان وسيماً جميلاً ، وأَعلمَه أَنَّه جاءَه يستمدُّه على العرب . فرحَّب به وأَلطَفه وقال له : أَيُّما أَحبُّ إليك : ستُّمائة من أَولاد الملوك أَو ستَّة آلاف من الجند ؟ فاختار ستَّمائة من أَبناءِ الملوك . وخَفَّ على قلب قيصر حتَّى نادمه ، ففى ذلك يقول :

(١) الخزانة ٤ : ٤١١ - ٤١٢ .

ونادمتُ قيصرَ فى مُلكه فأَوجهنى وركِبتُ البريدا[1]
إذا ما ازدحَمْنا على سكَّةٍ سَبقْتُ الفُرانقَ سبْقاً بعيدا

ـ والفُرانق بضم الفاء وكسر النون : الذى يدلُّ صاحبَ البريد على الطريق . والبَريد : دابَّةُ الرسولِ المستعجِل ـ

ثم إنَّ امرأَ القيس لطُف محلُّه من قيصر ، فأَدخله الحمّامَ معه ، فرأَى غُلْفة قيصر فقال :

لقد حلفتُ يميناً غير كاذبةٍ إنَّكَ أَغلفُ إِلّا ما جَنَى القمرُ[2]

ـ وخِتانة القَمَر مثلٌ تضربُه العرب للأَغلف ، لأَنَّ القمر لا يَختِن أَحدًا ـ

وفى مدَّة منادمته لقيصر رأَته ابنةُ قيصر فعشِقَتْه وراسلته ، وصار إليها ، وفيها يقول من قصيدة :

سموتُ إليها بعد ما نامَ أَهلُها سُموَّ حَبابِ الماءِ حالًا على حالِ[3]
فقالتْ سَباكَ اللهُ إنَّك فاضِحِي أَلستَ تَرى السُّمّارَ والنَّاسَ أَحوالِي
فقلت لها باللهِ أَبرحُ قاعداً ولو قطَعُوا رأْسى لديكِ وأَوصالى

وسيأْتى شرح هذا إن شاءَ الله فى حروف القسم وغيرها .

قالوا : ولم يزل يصير إليها ، ثم أَخبَرَ بذلك أَصحابَه ، وفيهم الطِمَّاح بن قيسٍ الأُسدى ، فقال له : ائتنا بأَمَارةٍ . فأَتاه بقارورة من

(١) ديوان امرئ القيس ٢٥٢ . أوجهه : جعل له وجهاً عند الناس فكان وجيهاً .
(٢) البيت مع قرين له فى الديوان ٢٨٠ .
(٣) الديوان ٣١ ـ ٣٢ .

طِيب الملك ، وذلك كان عند سُكره . وكان أبو امرئ القيس قد قَتل قيساً أَبا الطمّاح أيام أَوقع ببنِى أسد ، فتحيَّل الطمَّاح حتَّى أَخذَها فأَنفذها إلى قيصر وأَخبرَه بالحديث ، فعرَفه وعلم صحَّته . فنى ذلك يقول من قصيدة :

لقد طمَح الطمّاحُ من بُعد أَرضِه ليُلبسنى من دائه ما تلبَّسا[1]

وقال أَيضاً من قصيدة :

إذا المرءُ لم يُخْزن عليه لسانَهُ فليس على شيءٍ سِوَاه بخزَّانِ[2]

فلما نَفَذَ امرؤ القيس بالجيش[3] ، أَتى الطمّاحُ ملكَ الروم فقال له : أَيُّها الملك أَهلكتَ جيشاً بعثتَه مع المطرود الذى قُتل أَبوه وأَهلُ بيته ، وما تريد من نصره ، وكلَّما قتَلَ بعضُ العرب بعضاً كان خيراً لك ! قال : فما الرأْى ؟ قال : أَن تتداركَ جيشَك وتردَّه ، وتبعثَ إلى امرئ القيس بِحُلَّةٍ مسمومة . ففعل وعزَم على امرئ القيس أَن يلبَسها ، فدخل امرؤ القيس الحمَّام فاطَّلَى ولبسَها وقد رقَّ جلدُه لقروح كانت به ، فتساقط لحمُه . وردَّ قيصرُ جيشَه . وقدِم امرؤ القيس أَنقِرَةَ[4] ، وهى التى يقال لها الآن أَنكورية ، فأَقام بها مُدْنَفاً يعالج قروحَه ، ونزل إلى جنب جبلٍ يقال له عَسِيب ، وإلى جنبه قبرٌ لابنة بعضِ الرُّوم ، فسأَل عن القبر فأُخْبِر به فقال :

٦١٢

(١) الديوان ١٠٨ .

(٢) الديوان ٩٠ . وكنى باللسان عن السر الذى يحفظه ويذيعه .

(٣) نفد ، بفتح الفاء وآخره دال مهملة ، أى جاز .

(٤) أنقرة ، بكسر القاف ، كما فى اللسان والقاموس ومعجم البلدان . وفى اللسان : « وهو أيضاً : جمع نقير ، مثل رغيف وأرغفة ، وهو حفرة فى الأرض » .

أَجارتَنا إنَّ الخُطوبَ تنوبُ وإنِّى مقيمٌ ما أَقَام عسيبُ[(١)]
أَجارتنا إنَّا غريبانِ ههنا وكلُّ غريبٍ للغريبِ نسيبُ

فلما أَيقنَ بالموت قال :

كمْ طعنةٍ مُثْعَنْجِرَه وخُطبةٍ مُسحَنْفِره[(٢)]
وجَفْنةٍ مُدعثَره قد غُودرت بأَنْقِرَه

وكان هذا آخرُ ما تكلَّم به ومات .

هذا ما نقلته من كتاب مساوى الخمر[(٣)] .

والمثعنجرة : السَّائلة . والمسحنفرة : الواسعة ، فى الصحاح يقال اسحنفَر فى خطبته ، إذا مضَى واتَّسعَ فى كلامه . والجَفْنَة بفتح الجيم : القَصْعة . والمُدَعثَرة : المتثلِّمة والمُتكَسِّرة[(٤)] .

وقوله : « بطن ظبي وعرعرا » هما موضعان .

وترجمة امرئْ القيس تقدَّمت فى الشاهد التاسع والأَربعين[(٥)] .

* * *

وأَنشد بعده ، وهو الشاهد الثامن والستون بعد الستِّمائة ، وهو من شواهد سيبويه[(٦)] :

---

(١) فى الديوان ٣٥٧ : « إن المزار قريب » . وعسيب : جبل بعالية نجد معروف .
(٢) ديوانه ٢٤٩ .
(٣) وكذا ورد ذكره فى الجزء الأول من الخزانة ١ : ٢١ . وفى ٥ : ٣٣٠ : « مساوى الخمرة » . وذكر أن مؤلفه هو أبو القاسم عبد الرحمن السعدى الأندلسى المتوفى بمصر سنة ٥٥٥ . وقال : « وهو كتاب ضخم ، وهو عندى فى جلدين » .
(٤) ط : « والمنكسرة » بالنون .
(٥) الخزانة ١ : ٣٢٩ - ٣٣٥ .
(٦) سيبويه ١ : ٤٢٩ . وانظر المحتسب ١ : ١٩٥ وابن الشجرى ٢ : ٣٠ والمغنى ٦٩٣ ، والهمع ٢ : ٦٠ وديوان الأعشى ٤٨ .

٦٦٨ (إن تَرْكَبُوا فركوبُ الخيلِ عادَتُنا
أَو تنزلـون فـإِنَّا معشـرٌ نُـزُلُ)

على أَنَّ (تنزلون) عند الخليل معطوفٌ على إنْ تركبوا على المعنى ، وهو المسمَّى عطف التوهُّم . وقال يونس : هو على القطع ، أَى بل أَنتم نازلون ، وأَوْ بمعنى بل .

وكلٌّ من الخليل ويونس شيخ سيبويه ، وهذا نصُّه فى الكتاب :

وسأَلت الخليل رحمه الله عن قول الأَعشى :

إن تركبوا فركوبُ الخيل عادتُنا . . . . البيت

فقال : الكلام ههنا على قوله يكون كذا أَو يكون كذا ، لمّا كان موضعه ما لو قال فيه أَتركبون لم ينقص المعنى ، صار بمنزلة ولا سابق شيئاً(١) . وأَمَّا يونس فقال : أَرفعه على الابتداء ، كأَنَّه قال : أَو أَنتم نازلون . وقول يونس أَسهل . وأَمَّا قول الخليل فجعله بمنزلة قول زُهير :

بدا لِيَ أَنِّى لستُ مدركَ ما مضَى ولا سابقٍ شيئاً إذا كانَ جائيا

والإِشراك على هذا التوهم بعيدٌ كبعد : ولا سابق شَيئاً . انتهى .

قال الأَعلم : الشاهد فى رفع تنزلون حملاً على معنى إن تركبوا ، لأَنَّ معناه ومعنى أَتركبون متقارب . وكأَنَّه قال أَتركبون فذلك عادتنا ، أَو تنزلون فى مُعظَم الحرب فنحن معرُوفون بذلك . هذا مذهب الخليل وسيبويه . وحمله يونس على القطع ، والتقدير عنده : أَو أَنتم تنزلون . وهذا أَسهلُ فى اللفظ ، والأَوّل أَصحُّ فى المعنى والنظم ، والخليل ممَّن يأْخذ بصحَّة المعانى ولا يبالى باختلال الأَلفاظ . انتهى .

---

(١) إشارة إلى الشاهد التالى لزهير .

وكذا نقل ابن هشام (فى المغنى) .

فأَنت ترى أَنَّهم حملوه على إضمار المبتدأ بالنقل عن يونس ، ولم يقل أَحدٌ منهم إنَّ أَوْ بمعنى الإضراب كما قال الشارح المحقق . ولا ضرورة تُلجئه إليه .

واقتصر ابن عصفور (فى كتاب الضرائر) على مذهب الخليل ، وخصَّه بالضرورة ، قال : أَلا ترى أَنَّ تنزلون حكمه أَن يحذف منه النون للجزم ، لأَنَّه معطوف على الفعل المجزوم بأَداة الشرط وهو تركبوا لكنَّه اضطُرّ إلى رفعه بالنون فاستعمل الرفعَ بدلَ الجزم ، حملاً على أتركبون المضمَّن معنى إن تركبوا ، لأَنَّ الفعل المستفهم عنه جائز فيه أَن يضمَّن معنى الشرط إلاَّ أَنَّ ما حَمَل عليه رفع تنزلون لا يُحوِج إلى اللفظ . انتهى . ٦١٣

والبيت من قصيدةِ الأَعشى ميمون ، التى أَوَّلها :

ودِّعْ هُريرة إنَّ الركبَ مُرتحِلُ وهل تطيق ودَاعاً أَيُّها الرجلُ

وتقدَّم شرح أَبيات منها . وهذه القصيدة ملحقة بالمعلَّقات السبع .

ورُوى البيت كذا أَيضاً :

قالوا الطِّرادُ فقلنا تلك عادتُنا أَو تنزلون فإنا معشرٌ نُزلُ

وعليه لا شاهد فيه .

ولم يذكر الخطيب التبريزى فى شرح القصيدة غيرَ هذه الرواية ، وقال فى شرحه : يقول : إن طاردتم بالرِّماح فتلك عادتنا ، وإن نزلتم تُجالدون بالسُّيوف نزلنا . انتهى.

ونُزُل بضمتين : جمع نازل . ونزولهم عن الخيل يكون عند ضِيق المعركة ، ينزلون فيقاتلون على أَقدامهم ، وفى ذلك الوقت يتداعَوْن : نزال .

وقد تقدَّم الكلام على شرح النزول مفصلا فى الشاهد الواحد والأَربعين بعد الأَربعمائة[١] .

والأَعشى شاعر جاهلى تقدَّمت ترجمته فى الشاهد الثالث والعشرين من أَوائل الكتاب[٢] .

* * *

وأَنشد بعده :

(ولا ناعبٍ إِلَّا ببينٍ غُرابُها)

وهذا عجزٌ وصدره :

(مشائيمُ ليسوا مُصلِحينَ عشيرةً)

على أَنَّ ناعب عطف بالجرّ على مصلحين الواقع خبرًا لليس على توهُّم الباءِ فيه ، فإِنَّها يجوز زيادتها فى خبر ليس .

ومشائيم : جمع مشئوم كمنصور ، وهو من به الشُّؤم ، نسَبهم إِلى الشُّؤم وقلَّة الصَّلاح والخير . يقول : لا يُصلحون أَمر العشيرة إِذا فسَدَ ما بينهم ولا يأْتمرون بخير ، فغُرابُهم لا ينعِبُ إِلا بالتشتيت والفراق . وهذا مثلٌ للتطيُّر منهم والتشؤُّم بهم . والعرب تتشاءَم بصوت الغراب .

(١) كذا فى النسختين . والصواب أنه الحادى والأربعون بعد الثلثمائة . الخزانة ٥ : ٤٩ - ٥٠ .

(٢) الخزانة ١ : ١٧٥ - ١٧٨ .

وقد تقدَّم شرحُه مفصَّلا فى الشاهد الثامن والسبعين بعد المائتين [١]

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد التاسع والستون بعد الستمائة ، وهو من من شواهد سيبويه [٢] :

٦٦٩ (عَلَى الحَكَمِ المأْتِيِّ يوماً إذا قضى   قضيَّتَه أن لا يجورَ ويَقْصِدُ)

على أنَّ القطع قد يجيءُ بعد الواو غير الجمعية . وقد شرحه الشارح المحقق .

قال سيبويه : وممَّا جاء منقطعاً قولُ الشاعر :

على الحكم المأْتِيِّ   . . . . البيت

كأنَّه قال : عليه غير الجور ، ولكنَّه يقصد أو هو يقصد أو هو قاصد ، فابتدأ ولم يحمل الكلام على أنْ ، كما تقول : عليه أنْ لا يجور وينبغي له كذا وكذا . فالابتداء فى هذا أسبق وأعرف . فمن ثَمَّ لايكادون يحملونها [٣] على أن . انتهى .

وقال النحاس (فى شرح شواهدِه) : سألت عنه أبا الحسن فقال : ويقصد مقطوع من الأوّل ، وهو فى معنى الأمر وإن كان مضارعاً ، كما تقول : يقوم زيد ، فهو خَبَرٌ وفيه معنى الأَمر . انتهى

ومثله للأَعلم قال : قطعَه لأَنَّ المعنى وينبغي له أن يقصد . ولم يحملْه على أوّل الكلام لأنَّ فيه معنى الأمر ، فكأَنه قال : وليقصد فى حكمه .

---

(١) الخزانة ٤ : ١٥٨ - ١٦٥ .

(٢) فى كتابه ١ : ٤٣١ . وانظر المحتسب ١ : ٢/١٤٩ : ٢١ ، وابن يعيش ٧ : ٣٨ ، ٣٩ والمغنى ٣٥٩ واللسان (قصد) .

(٣) ط : « يحملون » ، وأثبت ما فى ش وسيبويه .

ونظيره ممَّا جاءَ على لفظ الخبر ومعناه أَمرٌ قولُه تعالى : ﴿ والوالداتُ يُرضِعْنَ أَولادَهُنَّ[١] ﴾ أى ليرضعن أَولادهنَّ ، وينبغى لهن أَن يرضعنَهم . انتهى .

٦١٤

ونقله الجوهرى فى الصحاح وقال : قال الأَخفش : أَراد : وينبغى أَن يقصد ، فلما حذفه وأَوقع يقصد موضع ينبغى رفعَه ، لوقوعه موقع المرفوع .

وإليه ذهب ابن جنى (فى المحتسب) . وهذا توجيهٌ لانقطاعه واستئنافه ؛ وليس المراد أَنَّ « يقصد » كان منصوباً بـأَنْ فارتفع لمَّا حُذفت ، كما ذهب إليه الدمامينىّ (فى الحاشية الهندية) وقال : ويحتمل أَن يكون يقصد منصوباً فى الأَصل بإضمار أَنْ ، والمعنى : عليه أَن لا يجورَ وعليه أَن يقصد ، ثم حذفت أَنْ وارتفع الفعل كما فى : « تسمعُ بالمُعَيْدىِّ خيرٌ من أَن تراهُ » . انتهى .

وهذا المعنى وإنْ كان جيّدًا إِلّا أَنَّه لا يحسنُ التخريج على حذف أَنْ ، فإِنَّه غير مَقيس . فالصحيح الاستئناف .

قال ابن الحاجب (فى الإيضاح) : العطف على يجور غير مستقيم لأَنَّ غرضه[٢] أَن ينفى الجور ويُثبت القصدَ ليحصل المدح ، وإذا أَشركَ بينه وبين الجور دخَل فى النفى ، فيصير نافياً للجور ونافياً للقصد ، فلا يحصل مدح ، بَلْ يتناقض . فوجب أَن يُحمل على أَنَّه مستأْنف ليكون مثبتاً فيكون الجورُ منفيًّا والقصد مثبتاً ، فيحصل المقصود ، ويرتفع التناقض . انتهى .

---

(١) الآية ٢٣٣ من سورة البقرة .
(٢) ش : « لأنه غرضه » .

وقوله (على الحَكَم) ظرف وقع فى موقع الخبر المقدَّم . وروى :

* على الحكم المأْتِىِّ حقٌّ إذا قضى[١] *

فيكون حقٌّ هو الخبر ، وعلى متعلقة به .

وقوله : (أن لا يجور) فى تأْويل مبتدأ مؤخَّر ، والمعنى واجبٌ على كلِّ حكَم بين الناس يؤتى لفصل الخصومات أن لا يجور فى حُكمه إذا قضَى قضيَّته وحَكَم حُكْمَه ، وهو يقصد ويعدل فى قضاياه . وهذا منه إرشادٌ للحاكم إلى العدل فى الحُكم ، وحثٌّ على النَّصَفة . والحَكَم بفتحتين : وصفٌ من حكمت بين القوم : فصَلْت بينهم ، فأَنا حاكم وحَكَم بفتحتين . والحُكْم بالضم : القضاءُ ، وأصله المنع ، يقال حكمت عليه إذا منعتَه من خلافه فلم يقدر على الخروج من ذلك .

و (المأْتِىّ) : اسم مفعول من أتيته ، يكون متعدِّياً بنفسه ويجىءُ لازماً يتعدَّى بإلى . وعلى[٢] الأَول يكون اسم المفعول منه بدون إلى بلا حاجة إلى قول ابن الملا (فى شرح المغنى) : المأْتىّ معناه المأْتىّ إليه ، فهو على الحذف والإيصال ، كقولهم المشترَك . وقَضَى : حكم . وَقضيّة فعيلة بمعنى مفعولة . وجار فى حكمه ، أى ظلم . والقصد : العدل ، يقال قصد فى الأَمر من باب ضرب ، إذا توسَّط وطلب الأَسَدَّ ، ولم يجاوز الحدَّ .

صاحب الشاهد

والبيت من قصيدةٍ عدَّتها تسعة عشر بيتاً لأَبى اللحَّام التغلبى[٣]

---

(١) هذه رواية غير التى صدر بها الشاهد ، فإنها فى الشاهد: « يوماً إذا قضى » وكذا فى جميع المراجع المذكورة فى تخريجه . ويبدو أنها رواية أبى تمام فى مختار أشعار القبائل كما سيأتى .

(٢) ط : « وقال » ، صوابه فى ش مع أثر تصحيح .

(٣) ط : « اللجام » بالجيم ، صوابه فى ش .

أَوردها أَبو عمرو الشيبانى (فى أَشعار تغلب له) ، وانتخبها أَبو تمام فأَورد منها خمسة أَبيات (فى مختار أَشعار القبائل) وهذا أَوَّلُها :

(عَمِرتُ وأَطْوَلتُ التفكُّر خالياً وساءَلت حتَّى كاد عُمرىَ يَنفَدُ

فأَضحت أُمورُ الناس يَغْشَين عالِماً بما يُتَّقَى منها وما يُتَعَمَّدُ

جديرٌ بأَن لا أَستكينَ ولا أُرَى إذا الأَمر وَلَّى مُدْبراً أَتبلَّدُ

عَلَى الحكمِ المأْتِى حقٌّ إذا قَضَى . . . .) البيت

عمِرت ، أَى عشت عمراً طويلا ، من باب فرح ، والمصدر العَمْر بفتح العين وضمها مع سكون الميم فيهما . وساءَلت : فاعلت من السؤال أَى أَكثرت السؤال . وينفَد : يفنى .

ويَغْشَين : يأْتين . والغِشيان : الإتيان . وأَراد بالعلم نفسَه . والفعلانِ بعده يجوز أَن يكونا بالبناء للمعلوم وبالبناء للمجهول . ويُتعَمَّد بمعنى يُقصَد . ٦١٥

وجديرٌ خبر مبتدإٍ محذوف ، أَى أَنا جدير بأَن لا أَستكينَ ، أَى لا أَخضع ولا أَذلَّ . وأُرَى بالبناء للمفعول . ورُوى المصراع الثانى هكذا :

* إذا حلَّ أَمرٌ ساءَنى أَتبلَّدُ *

أَى أَتحيَّر[1] كالبليد .

ومن هذه القصيدة :

(وليس الفتَى كما يقولُ لسانُه إذا لم يكن فعلٌ مع القول يُوجَدُ

(١) فى النسختين : « أتخبر » ، صوابه ما أثبت .

عسى سائلٌ ذو حاجة إنْ منعتَه من اليوم سُؤْلا أن يكون له غد
وإنَّك لا تدرى بإعطاءِ سائلٍ أأنت بما تُعطيه أم هو أَسعدُ)

أبو اللحام التغلبي

وأبو اللحَّام شاعرٌ جاهلى ، اسمهُ حُرَيْثٌ مصغر حارث[1] . واللحَّام بفتح اللام وتشديد الحاءِ المهملة .

وهذا شيءٌ من أَخباره ، أَورده أَبو عمرو الشيبانى قال :

كان أَبو اللحَّام خرج فى ناس من بنى تغلِب ، فأَغار على قُرًى من قرى السَّوادِ وأَقام يَجْبيهم[2] ويأْخذ منهم ، فبعث إليهم كِسرى النَّخِيرجان[3] فى خيلٍ من الأَساورة ، فهزم ذلك الجيش وأَخذ أَبا اللَّحَّام فحمله على بعير ، وعَدَله بفِراشٍ وهو مغلولٌ ، فقال : انظروا إلى هذا الخبيث الذى جاءَ يُغير على الملك وهو عِدلُ فراشٍ فى الخفَّة ! ثم إنَّه نزل فى ناحية الفرات على شاطئه الغربى فبعث خيلَه إلى العرب فلم يُصِبْ أَحداً إلَّا قتله . وجَعَل مع أَبى اللحَّام رجلاً من أَهل الحيرة عربيًّا كان من أَعوانه يقال له بَرِيم ، فى سلسلةٍ ، شِمالُ أَبى اللحَّام بيمينه ، وهو يريد أَن يَقدَم الحِيرة ليصلبَه بها فيراه مَن يقدَم الحِيرةَ من العرب . فلقىَ رجُلا نبطيًّا كان يعرفه فى بعض السَّواد إلى جنب أَجَمة ، فأَخذ

---

(١) ط : « حرث » ، وكلاهما صحيح . فإن تصغير حارث على حريث ، هو تصغير ترخيم كما يقال فى حامد وحمدان وحماد ومحمود : حميد . انظر الأشمونى ٤ : ١٦٩ . وحمله على المألوف فى التسمية وهو « حارث » أولى من حمله على غير المألوف ، فإنهم لم يسموا حرثاً .

(٢) ط : « بجيهم » ، صوابه فى ش . وجباية الخراج : جمعه وتحصيله .

(٣) النخيرجان كان عاملا على الحيرة هو وإياس بن قبيصة الطائى ، أمضيا فى العمالة تسع سنين فى زمن كسرى بن هرمز . ولسنة وثمانية أشهر من ولاية إياس بن قبيصة بعث النبى صلى الله عليه وسلم . الطبرى ٢ : ٢١٣ . وقد استمر النخيرجان عاملا من قبل الفرس إلى سنة ١٥ من الهجرة حيث هزم بعد يوم القادسية . الطبرى : ٣ : ٦١٩ . ثم كان على بيت مال كسرى . ونجد بعد وقعة نهاوند خبراً عنه فى كنوز آل كسرى التى كان قيما عليها . الطبرى ٤ : ١١٦ .

منه دراهم ، فجعل إذا مشى ينطلق ببريم فيَسقيه ويُدهنه[(١)] ويُطعمه من تلك الدراهم . فلما كان ذاتَ ليلة أَظلمت السماءُ بغيمٍ ومطر ، وجعَل يُلحُّ عليه بالشَّراب ، ثم جعلا يمشيان فى الأَجمَة فتناول سيفَ بريمٍ فاستلَّه ثم ضرب السلسلة فقطعها ، ثم خرج إلى البرِّيَّةِ فأَتى رجلاً من الأَعراب من بكر بن وائل فأَخبره الخبر ، وأَخذ منه نجيبةً فلحق بالشَّام .

* * *

وأَنشد بعده :

(فنرجِّى ونكثرُ التَّأْميلا)

على أن نرجِّى مقطوع بعد الفاء . وهذا عجزٌ ،وصدره :

(غير أَنَّا لم يأْتِنَا بيقينٍ)

وتقدم شرحه قريباً[(٢)] . والفاءُ استئنافية لا سببية ، بدليل القطع . وجَوَّز هناك أَن تكون سببية . وإنَّما لم ينصب نُرجِّى لعدم اللَّبس .

* * *

وأَنشد بعده ، وهو الشاهد السبعون بعد الستمائة ، وهو من شواهد سيبويه[(٣)] :

٦٧٠ (وما هُوَ إلاَّ أَن أَراها فُجاءَةً فأَبهَتَ حتَّى ما أَكادُ أُجيبُ)

على أَنَّه يروى بنصب (أَبهَت) ورفعه على القطع ، أى فأَنا أُبهت.

---

(١) يريد : يطعمه الدهن ، نظير قولهم : ألحمه : أطعمه اللحم ، وأشحمه : أطعمه الشحم . لكنى لم أجد يدهن بهذا المعنى فى المعاجم المتداولة .

(٢) هو الشاهد ٦٦٥ .

(٣) فى كتابه ١ : ٤٣٠ . وانظر ابن يعيش ٧ : ٣٨ وديوان عروة بن حزام مخطوطة الشنقيطى الورقة ٥ .

قال سيبويه : وسأَلت الخليل رحمه الله عن قول الشاعر :

* وما هو إِلّا أن أَراها فجاءَةً * . . . . البيت

فقال : أَنت فى أَبهت بالخيار ، إن شئت حملتهَا على أَنْ ، وإن شئت لم تحملْها عليه فرفعتَ ، كأَنك قلت : ما هو إِلّا الرأْى[1] فأَبهت. انتهى .

وقوله (هو) ضمير يفسِّره خبره ، كقوله تعالى : ﴿ إنْ هِىَ إلاَّ حياتُنا الدُّنيا[2] ﴾ . قال الزمخشرى : هذا ضميرٌ لا يُعلم ما يُعنى به إلاَّ بما يتلوه . وأَصله : إن الحياةُ إِلّا حياتنا الدنيا ، ثم وضع هىَ موضع الحياة ، لأَنَّ الخبرَ يدلُّ عليها ويبيِّنها . انتهى .

٦١٦

وليس هو فى البيت ضميرَ الشأْن والحديثِ كما زعمه شارح أَبيات المفصل ، لأَنَّ ضمير الشأْن لا بدَّ أن يفسَّر بجملة ، ولا جملة هنا ، وأَمّا أَن أَراها ففى تأْويل المفرد كما صرَّح به سيبويه ، لأَنَّ أَنْ هى الناصبة للمضارع ، وليست مخفَّفة من الثقيلة لأَنَّها تقع بعد فعل اليقين أَو ما نزِّل منزلته ، وحينئذ يكون اسمها ضميرًا وخبرها جملة مفصولة عنها بقد ، أَوْلوْ ، أَو السِّين[3] ، أَو النفى ، على ما فُصِّل فى محله . وقد غَلط [فى[4]] ذلك الشارحُ فزعم أَنَّها المخفَّفة ، قال : والتقدير إِلّا أَنّه أَراها أَى إِنَّ الشأْن . وهذه غفلةٌ منه ، فإِنَّها لو كانت المخفَّفة ما كان وجهٌ لنصب أَبهت بالعطف على مدخولها .

---

(١) الرأى هنا بمعنى الرؤية ، يقال رأى رأيا ورؤية وراءة مثل راعة أيضاً . وفى الكتاب العزيز : « يرونهم مثليهم رأى العين » .

(٢) الآية ٢٩ من الأنعام و٣٨ من المؤمنون .

(٣) ط : « بقد والواو والسين » ، صوابه فى ش .

(٤) تكلة يفتقر إليها القول .

و (أَراها) بفتح الهمزة من رُؤية العين تتعدَّى إلى مفعول واحد ، وهو ضمير الحبيبة . ورأيته فى بعض النسخ بضم الهمزة على أَنَّه من أَرى المتعدِّى بالهمزة إلى مفعول ثان ، فيكون المفعول الأَوّل نائب الفاعل وهو ضمير المتكلم ، والثانى ضمير الحبيبة .

و (الفجاءَة) بالضم والمدِّ : البغتة ، يقال فَجِئت الرجلَ أفجؤه ، مهموز ، من باب تعب ، وفى لغة بفتحتين ، إذا جئتَه بغتة . والاسم الفَجأَة . وفجاءَةً : مفعول مطلق ، أَى رؤيةً فجأَة . وقال ذلك الشارحُ : هو مصدرٌ فى موضع الحال من الفاعل أَو المفعول ، أَى مفاجئاً أَو مفاجأَة.

وقوله : (فأَبهت) إن[١] روى بالنصب فالفاءُ عاطفة ، عطفت أَبهت على أَراها ، وهو عطف مفرد على مفرد ، وهو فى تأْويل مصدر ، أى إلاَّ الرأى فالبَهْت . وإن روى بالرفع فالفاءُ استئنافية ، وجملة البهت خبر مبتدإٍ محذوف ، أَى فأَنا أَبهت بفتح الهمزة وضم الهاء وفتحها ، لأَنَّه جاءَ من بابى قرُب وتعب ، بمعنى أَدهشُ وأَتحيَّر . وأَما أُبهت بالبناءِ للمفعول فغير مرادٍ هنا . يقال بهته يَبْهَته بفتحتين ، فبُهِتَ بالبناءِ للمفعول ، فهَذا متعدٍّ وذاك لازم .

و (حتى) هنا ابتدائية ، ومعناها الغاية ، و (ما) نافية . و (أَكاد) بمعنى أَقرُب . وجملة (أُجيب) فى محل نصب خبرها ، ومفعول أُجيب محذوف أَى أُجيبها إنْ كلَّمتنى . ومثله قولُ الآخر :

عَلامةُ مَن كان الهوى فى فؤاده إذا لقِيَ المحبوبَ أَن يتحيَّرا

---

(١) ط : « أى » ، صوابه فى ش .

والبيت من قصيدة لعروةَ بنِ حِزامٍ العُذرىّ . تقدَّمت مع ترجمته صاحب الشا
فى الشاهد السادس والتسعين بعد المائة[(١)] . وقبله وهو مطلع القصيدة :

(وإنِّى لتعرُونى لذكراكِ رَوْعةٌ لها بينَ جِلدِى والعِظَامِ دَبِيبُ)

وقد وقع البيت الشاهد مع بيتين آخرين من القصيدة فى قصيدةٍ لكثيِّر عزة ، أورد ستة أبيات منها (فى حماسته) الشريفُ ضياءُ الدين هِبةُ الله على بن محمد بن حمزة الحسينى ، وهى[(٢)] :

(أَبَى القلبُ إلّا أُمَّ عمرو وبَغَّضت إلَىَّ نساءً مالهنَّ ذُنُوبُ
وليس على شَحْط النوى أُكثر البكا لقد كنت أَبكى والمزارُ قريبُ
لعَمْرُ أَبيها إنَّ دهراً يردُّها إلَىَّ عَلى شَحْط النوى لَطَلُوبُ
وما هو إلّا أن أَراها . . . . البيت)

وقد وقع البيت الشاهد بقافيةٍ رائيةٍ فى قصيدةٍ لأَبى صخرٍ الهُذَلِّى منها :

وإنِّى لآتيها أُرِيدُ عتابَها وأُوعِدُها بالهَجْرِما برقَ الفجرُ[(٣)]
فما هو إلّا أن أَراها فجاءَة فأَبهَتَ لا عرفٌ لدىّ ولانُكْرُ[(٤)] ٦١٧

---

(١) الخزانة ٣ : ٢١٢ - ٢١٣ .
(٢) حماسة ابن الشجرى ١٥٣ .
(٣) لم ترد الأبيات ولا قصيدتها فى ديوان الهذليين ، ووردت فى شرح السكرى ٩٥٦ - ٩٥٩ وأمالى القالى ١ : ١٤٨ - ١٥٠ . وأبيات من القصيدة فى الأغانى ٥ : ١٥ - ١٦ والحماسة ١٢٣٠ - ١٢٣٢ بشرح المرزوقى
(٣) بدله فى شرح السكرى ٩٥٨ :
وإنى لآتيها لكيما تثيبنى أو اوذنها بالصرم ما وضح الفجر
وفى الأمالى :
لقد كنت آتيها وفى النفس هجرها بتاتاً لأخرى الدهر ما طلع الفجر
(٤) فى شرح السكرى : « أن أراها بخلوة » .

وأَنسى الذى فيه أَكونُ هجرتُها كما قدتنسِّى لبَّ شاربِها الخمرُ[1]

وعلى هذا فضمير هو عائد على العِتاب .

وأَبو صخرٍ الهذلىتقدَّمت ترجمتُه فى الشاهد الخامس بعدالمائتين[2] .

* * *

وأَنشد بعده ، وهو الشاهد الحادى والسبعون بعد الستمائة ، وهو من شواهد س[3] :

٦٧١ (لا تَنْهَ عن خُلُقٍ وتـأْتىَ مِثلَه عارٌ عليكَ إذا فعلتَ عظيمُ)

على أَنَّ (تـأْتىَ) منصوب بـأَنْ مضمرة بعد واو الجمعيّة[4] الواقعة بعد النهى .

قال سيبويه : واعلم أَنَّ الواو وإن جرت هذا المجرى فإِنَّ معناها ومعنى الفاءِ مختلفان . أَلا ترى الأَخطل قال :

لا تنهَ عن خُلقٍ وتـأْتى مثله . . . . . .البيت

فلو دخلت الفاءُ ههنا لأَفسدت المعنى . وإِنَّما أَراد: لا تجمعنَّ النهى والإِتيان ، فصار تـأْتى على إِضمار أَن . انتهى .

---

(١) السكرى :
وأنسى الذى قد جئت كيما أقوله كما تتناسى لب شاربها الخمر
(٢) الخزانة ٣ : ٢٦١ - ٢٦٣ .
(٣) فى كتابه ١ : ٤٢٤ . وانظر المقتضب ٢ : ١٦ والجمل ١٩٨ وحماسة البحترى ١٧٤ والمؤتلف ١٧٩ ومعجم الشعراء للمرزبانى ٤١٠ وابن يعيش ٧ : ٢٤ والمغنى ٣٦١ والشذور ٢٣٨ ، ٣١٢ وأدب الدنيا والدين ٢٨ والعينى ٤ : ٣٩٣ والتصريح ٢ : ٢٣٨ والأشمونى ٢ : ٢٠٧ وملحقات ديوان أبى الأسود ١٣٠ .
(٤) هذا تعبير الرضى فى شرح الكافية ٢ : ٢٣٠ ، ٢٣١ . والمألوف فى اصطلاح النحاة ، هو واو المعية ، وتعبيره أدق ، وذلك للفصل بين واو المعية الخاصة بالمفعول معه ، والواو التى تضمر بعدها أن .

ويجوز رفعه على أَنَّه خبر مبتدإٍ محذوف ، أَى وأَنت تأْتى .
ولا يجوز جزمُه ، لفساد المعنى . وعار خبر مبتدإٍ محذوف، أَى هو عارٌ.
وعظيم صفته . وهذه الجملة دليلُ جوابِ إذا . ومعنى البيتِ من قوله
تعالى : ﴿ أَتأْمُرونَ النَّاس بالبِرِّ وتنسَوْنَ أَنفُسَكُم [1] ﴾. وقال الحاتمى : هذا
أَشْرَدُ بيتٍ قيلَ فى تجنُّب إتيان ما نُهِىَ عنه [2] . والبيت وُجد فى عدة
قصائد . ومنه اختُلف فى قائله ، فنسبه الإِمام أَبو عبد الله القاسم بن
سَلَّام (فى أَمثاله) إلى المتوكِّل الكِنانى . وأَورده فى باب تعيير الإِنسان
صاحبَه بعيب هو فيه .

والمتوكِّل من شعراءِ الإِسلام ، وهو من أَهل الكوفة ، وكان فى عصر
معاوية ويزيد ، ومدحَهما .

المتوكل الليثى

ونسبه إليه أَيضاً الآمدى (فى المؤتلف والمختلف) ، وقال فيمن يقال
له المتوكِّل : منهم المتوكِّل الليثى ، وهو المتوكِّل بن عبد الله بنَ نَهشَل
ابن وهب بن عمرو بن لَقيط بن يَعْمَرَ الشدَّاخ بن عوف بن كعب
ابن عامر بن ليث بن بَكر بن عبد مناة بن كنانة بن خزيمة ، الشاعر
المشهور ، القائل :

* لا تنهَ عن خُلق * . . . . . البيت

ونسبه إليه أَيضاً أَبو الفرج الأَصبهانى (فى الأَغانى) [3] وذكر بإسنادٍ

---

(١) الآية ٤٤ من سورة البقرة .
(٢) الشرود هنا بمعنى الشهرة والذيوع ، من قولهم : قافية شرود ، أى عائرة سائرة فى البلاد ، تشرد كما يشرد البعير . قال الشاعر :
شرود إذا الراءون حلوا عقالها   محجلة فيها كلام محجل
(٣) الأغانى ١١ : ٣٧ .

أَنَّ الأَخطل قدم الكوفة فنزل على قَبيصة بن ذالق[١] ، فقال المتوكِّل الليثى لرجلٍ من قومه : انطلقْ بنا إلى الأَخطل نستنشده ونسمعُ مِن شعره . فأَتياه فقالا له : أَنشدنا يا أَبا مالك . فقال : إِنَّنى لخاثرٌ يومى هذا . فقال له المتوكل : أَنشدنا أَيُّها الرجل ، فوالله لا تُنشدنى قصيدةً إِلّا أَنشدتُك مثلَها أَو أَشعرَ منها[٢] . قال : ومن أَنت ؟ قال : أَنا المتوكِّل . قال : ويحك ، أَنشِدْنى من شعرك . فأَنشده :

للغانيات بـذى المَجَاز رُسوم ... فببطن مَكَّة عهدُهنَّ قَـديمُ
فبِمَنْحَر البُدْن المقلَّدِ من منًى ... حِلَل تلوحُ كأَنَّهنَّ نجومُ[٣]
لا تنَه عن خُلـــق وتـأْتِىَ مِثله ... . البيت
والهمُّ إن لم تُمْضِهِ لسبيلـه ... داءٌ تضمَّنه الضُّلوعُ قديمُ[٤]

٦١/١ وكذلك نسبه إليه الزمخشرى (فى المستقصى) قال : هو من قول المتوكِّل الكنانى :

ابدأْ بنفسِك فَانْهَهَا عن غيِّها ... فإذا انتهَتْ عنه فأَنتَ حكيمُ
فهناك تَعْدِل إنْ وَعَظتَ ويُقتَدى ... بالقـولِ منك ويُقبل التعليمُ
لا تنه عَن خلق[٥] . . . . البيت

ونسبه سيبويه للأَخطل . ونسبه الحاتمى لسابق البربرى . ونقل السُّيوطى (عن تاريخ ابن عساكر) أَنَّه للطرماح .

---

(١) فى الأغانى : «بن والق» بالواو .
(٢) فى الأغانى : «أو أشعر منها ، من شعرى» .
(٣) الحلل هنا : جمع حلة بالكسر ، جمع قياسى وإن لم تنص المعاجم على هذا الجمع ، وذكرت أن الحلة تجمع على حلال وأحلة . والحلة : جماعة بيوت الناس ، لأنها تحل . وقال كراع : هى مائة بيت .
(٤) فى الأغانى : «مقيم» .
(٥) أورده فى باب «لا» من المستقصى ٢ : ٢٦٠ .

والمشهور أَنَّه من قصيدة لأَبى الأَسود الدؤلى . قال اللخمى (فى شرح أَبيات الجمل) : الصَّحيح أَنَّه لأَبى الأَسود . فإِن صحَّ ما ذكر عن المتوكِّل فإِنَّما أَخذ البيت من شعر أَبى الأَسود . والشعراءُ كثيراً ما تفعل ذلك . وهذه هى قصيدة أَبى الأَسود ، سُقناها برُمَّتها لجودتها :

(حسَدُوا الفتى إذْ لم ينالوا سَعْيَه فالقومُ أَعداءٌ له وخصوم
كضرائر الحسناءِ قُلْنَ لوجهها حسدًا وبَغْياً إِنَّه لدميم[1]
والوجهُ يشرق فى الظَّلامِ كأَنَّه بدرٌ منيرٌ والنساءُ نجومُ[2]
وترى اللبيبَ محسَّداً لم يَجْترِمْ شتْمَ الرجالِ وعرضُه مشتومُ
وكذاك مَن عظُمت عليه نعمةٌ حُسَّادُه سيفٌ عليه صَرومُ
فاتركْ مُحاورةَ السَّفيه فإِنَّها ندمٌ وغبٌّ بعد ذاك وخيمُ
وإذا جريت مع السفيه كماجَرى فكلاكما فى جريه مذمومُ
وإذا عتبتَ على السَّفيه ولمتَه فى مثلِ ما تأْتى فأَنتَ ظلُومُ[3]
لا تنهَ عن خُلق وتأْتىَ مثله عارٌ عليك إذا فعلتَ عظيمُ
ابدأْ بنفسِك وانههَا عن غَيِّها فإذا انتهتْ عنه فأَنت حكيمُ[4]
فهناك يُقبل ما وَعظتَ ويُقتدى بالعلم منك وينفع التعليمُ
ويلَ الخلىِّ من الشجىِّ فإِنَّه نَصِبُ الفؤاد بشجْوه مَغمومُ[5]

(١) ط : « قلنا لوجهها » ، صوابه فى ش والديوان . وفى الديوان : « حسداً وبغضاً » .
(٢) فى الديوان : « والعيون نجوم » .
(٣) فى سمط اللآلى ٦٠٦ :
وإذا عتبت على اللئيم ولمته فى بعض ما يأْتى فأنت ملوم
(٤) فى حماسة البحترى ١٧٤ : « فأنت عليم » .
(٥) فى ش مع تصحيح الشنقيطى بقلمه : « ويل الشجى من الخلى » ، وهو الوجه . وهو نص المثل المشهور ، وقائله أكثم بن صيفى . الفاخر ٢٤٨ وجمهرة العسكرى ٢ : ٣٣٨ والميدانى ٢ : ٢٩١ - ٢٩٢ . وقالوا أيضاً : « ما يلقى الشجى من الخلى » . الميدانى ٢ : ٢٠٣ .

وترى الخليَّ قريرَ عينٍ لاهياً　　وعلى الشجيِّ كآبةٌ وهُمومُ
ويقول : مالَكَ لا تقولُ مقالتى　　ولسانُ ذا طلقٌ وذا مكظومُ
لا تَكلِمَنْ عِرضَ ابنِ عمِّك ظالماً　　فإذا فعلتَ فعرضُك المكلومُ
وحريمُه أيضاً حريمُك فاحمِه　　كى لا يُباعَ لديكَ منه حريمُ
وإذا اقتصصتَ من ابنِ عمِّك كَلمةً
فكلومه لك إن عَقلت كلومُ[(١)]
وإذا طلبت إلى كريم حاجةً　　فلقاؤه يكفيكَ والتسليمُ
فإذا رآك مسلِّما ذكر الذى　　كلَّمته فكأنَّه ملزومُ
ورأى عواقب حمدٍ ذاك وذمِّه　　للمرء تبقَى والعظامُ رميمُ
فارجُ الكريمَ وإن رأيتَ جفاءه　　فالعتبُ منه والكرام كريمُ[(٢)]
إن كنت مضطرًّا وإلاَّ فاتَّخذْ　　نفقاً كأنَّك خائفٌ مهزومُ
واتركْه واحذر أن تمرَّ ببابه　　دهراً وعرضُك إن فعلتَ سليمُ
فالناسُ قد صاروا بهائمَ كلُّهم　　ومن البهائم قائلٌ وزعيمُ[(٣)] ٦١٩
عُمىٌ وبُكم ليس يُرجَى نفعُهم　　وزعيمُهم فى النائبات مُليمُ[(٤)]
وإذا طلبتَ إلى لئيمٍ حاجة　　فألِحَّ فى رفقٍ وأنتَ مُديمُ
والْزمْ قُبالة بيتهِ وفِنائه　　بأشدِّ مالزم الغريمَ غريمُ[(٥)]
وعجبتُ للدُّنيا ورغبة أهلها　　والرزقُ فيما بينهم مقسومُ
والأحمقُ المرزوق أعجبُ مَنْ أرى　　مِن أهلها والعاقلُ المحرومُ

---

(١) الكلمة ، بالفتح : المرة من الكلم بالفتح أيضاً ، وهو الجرح ، كلمه يكلمه ، من بابى ضرب وقتل .
(٢) كذا فى النسختين . وفى الديوان : « والكريم كريم » .
(٣) ش : « قابل وزعيم » . والقابل : الكفيل ، وفى الديوان : « قائد وزعيم » .
(٤) ألام : فعل ما يلام عليه . وفى الديوان : « كليم » .
(٥) فى الديوان : « واسكن قبالة بيته وفنائه » ، والوجه ما هنا .

ثم انقضَى عجبي لعلمى أنَّه رزقٌ موافٍ وقتُه معلومُ)

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثانى والسبعون بعد الستِّمائة ، وهو من شواهد س[١] :

٦٧٢ (وما أنَا للشَّيْءِ الذى ليس نافِعِى ويَغْضَب منه صاحبي بِقؤولِ)

على أن سيبويه جوَّز فى (يغضب) النصب والرفع .

وهذا نصُّ سيبويه : وسمعنا من يُنشد هذا البيت من العرب ، وهو لكعبٍ الغَنَوى ، بالنصب . والرفعُ أيضاً جائزٌ حسن . ويغضب معطوف على الشيء ، ويجوز رفعه على أن يكون داخلاً فى صلة الذى . انتهى .

قال النحاس : قال محمد بن يزيد : الرفع الوجه ، لأَنَّ يغضبَ فى صلة الذى؛ لأَنَّ معناه الذى يغضبُ منه صاحبي . قال : وكان سيبويه يقدِّم النصب ويثنِّى بالرفع ، وليس القول عندى كما قال ، لأَنَّ المعنى الذى يصحُّ عليه الكلام إنَّما يكون بأَن يقع يغضب[٢] فى الصِّلة كما ذكرتُ لك . وَمن أَجاز النصب فإنَّما يجعل يغضب معطوفاً على الشيء ، وذلك جائزٌ ولكنه بعيد . وإنَّما جاز لأَنَّ الشيء منعوتٌ ، فكأَنَّ تقديره : وما أنا للشيء الذى هذه حالُه ولأَن يغضب صاحبي . وهو كلامٌ محمول على معناه ، لأَنَّه ليس يقول الغضب . ومثل هذا تجوُّز . تقول : إنَّما جاء بك طعامُ زيد . والمعنى إنَّما جئتَ من أَجله . قال أَبو إسحاق : النصب بمعنى وغَضَب ، أى دون غضب صاحبي . والرفع على أَن يكون

(١) فى كتابه ١ : ٤٢٦ . وانظر المقتضب ٢ : ١٩ والمنصف ٣ : ٥٢ والقالى ٢ : ٢٠٤ وحماسة ابن الشجرى ١٣٧ وابن يعيش ٧ : ٣٦ والأصمعيات ٧٦ .

(٢) ش : « بأن يغضب » .

داخلاً فى صلة الذى ، كأَنَّه قال : والذى يغضب منه صاحبى . وسأَلت عنه أَبا الحسَن فقال : يجوز عندى أَن يكون جواباً لمَا . انتهى .

أَى يكون يغضب منصوباً بعد الواو فى جواب النفى الأَوَّل الذى هو : وما أَنا ، دون الثانى الذى هو : ليس نافعى . وهو المسمَّى فى الشرح بالصَّرْف[1] . وهو مختار الشَّارح ، تبعاً لصاحب اللباب .

وفيه ردٌّ على ابن الحاجب (فى أَماليه على المفصَّل) من وجهين :

أَحدهما : أَنَّه زعم أَنَّ الواو فى ويغضب ليست واوَ الجمع ، وإِنَّما هى واوُ العطف . وذكرها الزمخشرىُّ وإِن لم يَكن بابَها[2] لموافقتها لواو الجمع من وجهين ، الرفع والنصب . وكذلك فعل فى الفاء .

ثانيهما : فى اتِّباعه لسيبويه فى زعمه أَنَّ يغضب معطوف على قوله للشىء .

بقى احتمالٌ آخر لعطف يغضب المنصوب ، قال ابن الحاجب : ولا يستقيم أَن يكون معطوفاً على نافعى لأَمرٍ معنوىٍّ ، وهو أَنَّه يصير المعنى : لا ينفعنى ولا يُغضِب صاحبى . وليس الغرضُ كذلك ، بل الغرض نفى النفع عنه وإِثبات الغضب للصاحب . وأورد على مختار الشارح بأَنَّه يلزم منه تقدُّم المعطوف وهو يغضب ، على المعطوف عليه وهو قَؤول . وأَجاب بأَنَّ قوله ويغضب فى نية التأْخير ، إِذ التقدير : وما أَنا بقؤول للشىء الذى لا ينفعنى ويغضبَ صاحبى بالنصب ، أَى مع

٦٢٠

(١) فى شرح الرضى على الكافية ٢ : ٢٣٢ : « وإذا نصبته فهو على الصرف » . وتسمية هـــذه الواو بواو الصرف اصطلاح كوفى ، كما فى المغنى ٣٦١ عند الكلام على الواو المفردة . وانظر الصبان ٣ : ٣٠٦ .

(٢) ط : « تكن بابها » .

غضب صاحبي . فيغضب وإن كان مقدَّماً لفظاً على قَؤول فهو متأخِّر معنىً ، لأَنَّ بقؤول خبر ما ، فهو مقدَّم فى التقدير . ونظيره تقدُّم الفاء فى قولك : متى فأُكرمك تكرمُنى . والتقدير متى تكرمُنى فأُكرمك .

وقول الشارح المحقق: « وقال أَبو على فى كتاب الشعر : بل هو عطف على نافعى » ، أَراد بكتاب الشعر كتابَه المسمى بإيضاح الشِّعر وإعراب الشعر .

وهذه عبارته فيه : فى قولك يغضب ضربان[1] : إن جعلتها داخلةً فى الصلة كانت مرفوعة ، لأَنَّه لا شىء يحمل عليه فينصب ، فإذا عَطف لم يخرجْها من الصَّلة وحَملَ الكلام على المعنى ، كأَنه قال : وما أَنا للذى لا ينفعنى ويغضب منه صاحبي بقؤول . فإذا دخل يغضب فى الصِّلة عطف المضارع على اسم الفاعل ، وكلٌّ واحد من المضارع واسم الفاعل يُعطَف على الآخر لتشابهما . وموضع المضارع الذىهو يغضب نصبٌ للعطف على خبر ليس ، والضمير الذى هو منه ، يعود على اسم ليس ، والمقول حينئذٍ هو الشىء ، والقول يقع عليه لعمومه[2] ، واحتماله أَن يكون القولَ وغيرَه . وليس كالغضب . فإذا أُخرِج يَغضب من الصلة أَضمر أَنْ بِعطفه إياها على الشىء ، كأَنه قال : وما أَنا للشىء الذى ليس نافعى ويُغضِب[3] صاحبي بقؤول . فالغضب لا يقال ، ولكنَّ التقدير ولقولِ غضبِ صاحبي . فتضيف القول الحادثَ عنه الغضبُ

(١) ط : « ضرباب » ، صوابه فى ش .

(٢) يعنى عموم الشىء .

(٣) ط : « ولغضب » ، صوابه فى ش .

إلى الغضب، كما تقول: ضرب التلفِ، فتضيف الضَّرب إلى ما يحدُث عنه. هذا كلامه.

ونظرَ صاحبُ اللباب فى تقدير القول المضاف، وبيَّنه شارحه الفالىُّ[1] بأنَّ القَول المقدر إمَّا من باب إضافة المصدر إلى المفعول، أو من باب إضافة الشىء للشىء للملابسة. وهما فاسدان.

أمَّا الأوَّل فلأنَّه يلزم منه وقوعُه على ما هرب منه، إذ يلزم أنْ يكون الغضب مقولا.

وأما الثانى فلأنَّ لفظة منه تدفعه[2]، إذْ إضافة الملابسة مغنيَة عن ذكر منه، إذْ قولك قول غضَب صاحبي بمعنى الملابسة، معناه قولٌ يصدر ويتولَّد عنه غضبُ صاحبي. فلا حاجة إلى ذكرِ منه، كما تقول: رأيتك يومَ خرجت، فإنَّ الإضافة مصحِّحة لكون الخروج فى اليوم، فلا حاجة إلى أن تقول يومَ خرجت فيه.

صاحب الشاهد — والبيت من قصيدة لكعب بن سَعدٍ الغنوى، أوردها أبو تمام (فى مختار أشعار القبائل) وأورد بعضها القالىُّ (فى أماليه)، والشريف (فى حماسته)، وهى:

(لقد أنصبَتْنى أمُّ عمرٍو تلومنى — وما لوُم مثلى باطلاً بجميلِ
ألم تَعلمى أنْ لا يراخى منيَّتى — قُعودِى، ولايُدنِى الحمامَ رَحيلى[3]

(١) فى النسختين: «القالى». بالقاف، صوابه بالفاء كما سبق التنبيه فى أكثر من مرة. نسبة إلى مدينة «فاله» قريبة من أيذج من بلاد خوزستان، وذكر الميمنى أن من هذا الشرح نسخة بحيدرآباد كتبت سنة ٧٧٥ وأنه يوجد كثير من نسخه بالهند.

(٢) ش: «يدفعه».

(٣) الأصمعيات ٧٤: «ولا يدنى الوفاة». والأبيات كلها فى الأصمعيات.

فإِنَّكِ واللومَ الذى تَرجِعِينه ... علىَّ ، وما لوَّامةٌ بعَقولِ[1]

كداعى هديلٍ لا يُجاب إذا دعا ... ولا هو يَسلُو عن دُعاءِ هَدِيلِ

وذى نَدَبٍ دامِى الأَظَلِّ قسَمتُه ... محافظةً ، بينى وبينَ زَميلِى[2]

وزادٍ رفعتُ الكفَّ عنه عَفافةً ... لأُوثِرَ فى زادى علىَّ أكيلى[3]

ومَن لا ينل حتَّى يسدَّ خِلالَه ... يجدْ شهواتِ النَّفس غيرَ قليلِ

وعوراءَ قد قِيلتْ فلم ألتفِتْ لها ... وما الكَلِمُ العوراءُ لِى بقَبولِ[4]

وما أنا للشىءِ الذى ليسَ نافعى ... . . . البيت ٦٢١

ولن يلبثَ الجُهَّال أن يتهضَّموا ... أخا الحلمِ مالم يَستعِنْ بجهولِ[5])

وهذا ما أورده أبو تمام .

وأنصبه : أوقَعه فى النَّصَب بفتحتين ، وهو التعب . والحِمام بالكسر : الموت . والهَديل : فرخ كان على عهد نوحٍ عليه السلام ، فصاده جارحٌ من جوارح الطير . قالوا : فليس من حمامةٍ إلاَّ وتبكى عليه . قال الكميت :

وما مَنْ تَهتفينَ به لنصرٍ ... بأَقربَ جابةً لكِ من هَديلِ[6]

---

(١) فى الأصمعيات :

فإنك والموت الذى ترهبينه ... على وما عذالة بنفول

(٢) هذا البيت مع تاليه والبيت التاسع ثلاثة فى أمالى القالى .

(٣) فى أمالى القالى : « عنه تجملا » . وهذا البيت مع التاسع والعاشر ثلاثة فقط فى حماسة ابن الشجرى .

(٤) فى الأصمعيات : « فلم أستمع لها » .

(٥) حماسة ابن الشجرى : « أخا الحكم » .

(٦) الجابة : الجواب ، ومنه المثل : « أساء سمعاً فأساء جابة » . وفى ط : « جامة » ، صوابه فى ش وديوان الكميت ٢ : ٥٨ واللسان (هدل) وجمهرة العسكرى ١ : ٢٥ .

والنَّدَب بفتحتين ، قال القالى : هو الأَثر ، وجمعه نُدوب وأَنداب . والأَظلُّ بالمعجمة قال القالى : هو باطنُ خفِّ البعير . والزَّميل : الرفيق . يريد أَنَّه قسَم ظهرَ بعيره بينه وبين رفيقه فى الرُّكوب ولم يتركه ماشياً . والعَفافة : العِفَّة . والأَكيل : المؤاكِل . والخلال بالكسر : جمع خَلَّة بالفتح : الحاجة والفقر . والعوراءُ : الكلمة القبيحة . وتهضَّمه وهَضَمه ، إذا دَفَعَه[1] عن موضعه .

كعب بن سعد الغنوى

وكعب بن سعد الغَنَوىُّ هو شاعرٌ إسلامى ، وهو أَحد بنى سالم بن عُبيد بن سَعد بن عوف بن كعب بن جِلَّان ، بكسر الجيم وتشديد اللام ، ابن غَنْم بسكون النون ، ابن غنى بن أَعصُر . كذا قال أَبو عبيد البكرى (فى شرح أَمالى القالى) فى موضعين منه .

وقد راجعتُ كتب الصحابة وكتابَ الشعراء لابن قتيبة ، وكتابَ الأَغانى وغيرها ، فلم أَجد ترجمته فى أَحدها إِلَّا ما قاله أَبو عبيدٍ المذكور . والظاهر أَنَّه تابعى .

* * *

وأنشد بعده :

(ولُبْسُ عَباءَةٍ وتقرَّ عينى أَحبُّ إلىَّ من لُبس الشُّفوفِ[2])

على أَن (تقرَّ) منصوب بأَنْ بعد واو العطف .

قال سيبويه : لمَّا لم يستقم أَن تحمل وتقر وهو فعل ، على لُبس

---

(١) ط : « رفعه » ، صوابه فى ش .

(٢) فى النسختين : « لما لم يستقم له أن يحمل » ، صوابه ما أثبت من كتاب سيبويه ١ : ٤٢٧ و ٣ : ٤٦ من نسختى . والكلام كله على الخطاب عند سيبويه .

وهو اسم ، ولمَّا ضممتَه إلى الاسم وجعلتَ أَحبَّ لهما ، ولم ترد قَطعَه[1] لم يكن بدٌّ من إضمار أن .

قال النحاس : قال أَبو الحسن : أَىْ لم ترد[2] لُبس عباءَة أَحبُّ إلى وأَن تقرّ عينى ، لأَنَّ هذا يبطل المعنى ، لأَنَّه لم يرد أَنَّ لبس عباءَة أَحبُّ إليه . هذا سخف ، إنَّما أَراد قُرّة العين[3] ، فلهذا نصب .

وقال الأَعلم : نصب تقرّ بإِضمار أَن ليعطف على اللُّبس ، لأَنه اسم وتقرّ فعل ، فلم يمكن عطفه عليه فحمل على إضمار أَنْ لأَنَّ أَن وما بعدها اسم ، فعطف اسماً على اسم ،وجعلَ الخبر عنهما واحداً ، وهو أَحبُّ . والمعنى : لبس عباءَةٍ مع قُرّة العين وصَفَاءِ العيش أَحبُّ إلىَّ من لُبس الشفوف مع سُخنة العينِ ونكد العيش . والعباءَة : جبَّة الصوف . والشُّفوف : ثيابٌ رقاقٌ تصف البدن ، واحدها شِفٌّ . انتهى .

فإن قلت : ما الفرق بين واو الجمع وواو العطف ، وهل هما إلا شئٌ واحد؟ قلت : وَاوُ الجمع فى الأَصل للعطف ، لكنَّه خصّ ببعض أَحواله ، وذلك أَنَّ المعطوف قد يكون قَبلَ المعطوف عليه فى الوجود ، وقد يكون بعدَهُ ، وقد يكون معَه ، نحو : جاءَ زيد [وعمرٌو[4]] قبله أَو بعده أَو معه . فخصَّ واو الجمع بما يكون بمعنى مع ، فهو باعتبار أَصل معنى العطف احتاج إلى تقدير مصدَرٍ منتزع من الأَوّل . وباعتبار اختصاصه العارض بحال المعيَّة صار كأَنه قسيمٌ للعطف المطلق الذى لا يتقيَّد . فواو الجمع عطفٌ مقيَّد بالمعيَّة ، وواو العطف غير مقيَّد بها . فهذا هو الفرق . ٦٢٢

(١) ط : « لفظه » ، صوابه فى سيبويه و ش مع أثر تصحيح .

(٢) كذا بالتاء هنا ، وبالياء فيما سيأتى : « لم يرد » .

(٣) فى النسختين : « قرت العين » ، والوجه ما أثبت ، لأنه يريد المصدر . وانظر ما سيأتى من كلام الشنتمرى .

(٤) تكملة يستقيم بها الكلام .

وقال اللخمى (فى شرح أبيات الجمل) : ولو رفعت وتقرّ لجاز ، على أن ينزَّل الفعل منزلة المصدر ، ونحو قولهم: « تسمع بالمعيدىّ » ، فتسمَع منزَّل منزلةَ سماعك . وكقول جريرٍ يعنى الفرزدق :

نفاك الأغرُّ بنُ عبد العزيز وحَقُّكَ تُنفَى من المسجدِ[(١)]

وقولِ امرئُ القيس :

فدمعُهما سحٌّ وسكبٌ ودِيمة ورشٌّ وتَوكافٌ وتَنْهملانِ[(٢)]

قال : يريد وحقّك النّفىُ وانهمالٌ .

واستشهد صاحب الكشّاف بالبيت على قراءة : ﴿ أَو آوِىَ[(٣)] ﴾ بالنصب على إضمار أنْ ، كأنّه قيل : لو أنّ لى بكم قوّةً أو أُوِيًّا ، كما فى : لبس عباءة وقرّة عينى .

صاحب الشاهد والبيت من أبياتٍ لميْسونَ بنت بحدلٍ الكلبيّة ، وتقدّمت مشروحة فى الشاهد الثامن والخمسين بعد الستمائة[(٤)]

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثالث والسبعون بعد الستّمائة[(٥)] :

٦٧٣ (أو أنْ يلُومَ بحاجةٍ لُوَّامُها)

على أنّ (أن) قد ظهرت بعد (أو) فى الشّعر .

---

(١) الخصائص ٢ : ٤٣٤ والأغانى ١٩ : ٢١ ، ٥٢ وديوان جرير ١٢٨ .
(٢) ديوان امرئُ القيس ٨٨ .
(٣) الآية ٨٠ من سورة هود . ونصها : « قال لو أن لى بكم قوة أو آوى إلى ركن شديد » . وهذه قراءة شيبة وأبى جعفر كما فى تفسير أبى حيان ٥ : ٢٤٧ .
(٤) ش : « الثانى والخمسين بعد الستمائة » ، صوابه ما أثبت من ط . وانظر ما سبق فى هذا الجزء من الخزانة ص ٥٠٣ — ٥٠٦ .
(٥) الشاهد من معلقة لبيد ، ولم أجد مستشهداً به لهذا غير الرضى .

وهذا عجزٌ ، وصدره :

(أَقضِى اللُّبانةَ لا أُفرِّطُ رِيبةً)

صاحب الشاهد

والبيت من معلَّقة لبيدِ الصحابى رضى الله عنه . قال شارح المعلقات القاضى أَبو الحسين الزَّوْزَنى : يقول : أَقضى وطرى ولا أُفرِّط فى طلبِ بُغيتى ، ولا أَدع ريبةً إِلَّا أن يلومَنى لائم . وتحرير المعنى أَنَّه لا يقصِّر ، لكنَّه لا يمكنه الاحتراز عن لوم اللوَّام . وأَوْ فى قوله : « أَو أَنْ يلوم » بمعنى إلاَّ أَنْ يلوم . ومثله قولهم : لأَلزمنَّه أَو يُعطِيَنى دَينِى ، معناه إِلَّا أَنْ يعطيَنى حقِّى . انتهى كلامه .

يقال قضيت وطَرى ، أَى بلغته ونِلتُه . واللُّبانة بضم اللام : الحاجة . ويقال فرَّطته ، أَى تركته وتقدَّمته . كذا فى الصحاح . وفرَّط فى الأَمر تفريطاً : قصَّر فيه وضيَّعه . والرِّيبة : الحاجة ، ومثله الرَّيب . قال الشَّاعر [١] :

* قضينا من تِهامةَ كلَّ رَيْبٍ *

هذا المناسب ، وهو المفهوم من كلام الزوزنى السابق .

وقال أَبو جعفر النحوى ، والخطيب التبريزى ، وأَبوالحسن الطوسى (فى شروحهم) : الرَّيب : الشك . ورووا :

* أَقضِى اللُّبانة ، أَن أُفرِّطَ رِيبةً *

بنصب ريبة ورفعها . قالوا : فمن رفع جعله خبر ابتداءٍ ، والمعنى تفريطى رِيبةٌ . ومن نصب فالمعنى مخافة أَن أُفرِّط ، ثم حذف مخافة .

---

(١) لكعب بن مالك فى السيرة ٨٧٠ واللسان (ريب ٤٢٧) . وعجزه :
* وخيبر ثم أجمنا السيوفا *

هذا قول البصريِّين . وقال الكوفيُّون : لئلا مضمرة ، والمعنى لئلاَّ أُفرِّط ريبة . يريد إنِّى أَتقدَّمُ فى قضاءِ حاجتى لئلاَّ أَشكَّ وأَقولَ إذا فاتَتْنى : ليتنى تقدَّمت ، أَو يلومَنى لائمٌ على تقصيرى . والمعنى إنِّى لا أَدع ريبةً تَنفُذُنِى[1] حتَّى أَحكمها . والتفريط : الإنفاذ والتقديم .

هذا كلامهم ، وفى حلِّهم المعنى قلاقة وعقادة[2] . وليست « أَو » على كلامهم بمعنى إلاَّ . ومعنى البيت على شرح الزَّورنى واضحٌ لا خفاءَ فيه . واللوَّام : مبالغة لائم ، فاعل يلوم .

وترجمة لبيد تقدَّمت فى الشاهد الثانى والعشرين بعد المائة[3] .

* * *

وأَنشد بعده ، وهو الشاهد الرابع والسبعون بعد الستمائة[4] :

٦٧٤ (لقد عَذَلَتْنى أُمُّ عمرٍو ولم أَكُنْ مَقالتَها ما كنتُ حيًّا لأَسمَعا)

٦٢٣ على أَنَّ مقالتها مفعولٌ مقدَّم لأَسمع عند الكوفيين كما نقله الشارح المحقِّق وغيرُه . وعند البصريِّين منصوب بِفعلٍ[5] محذوفٍ يفسِّره المذكور ، والتقدير : ما كنت أَسمع مقالتها . ثم بيَّن ما أَضمر بقوله لأَسمعا .

وهذا البيت قد أَورده ابن الأَنبارى (فى مسائل الخلاف) ، وابن يعيش (فى شرح المفصَّل) ، ولم أَقف على تتمته ولا على قائله . والله أَعلم بذلك .

---

(١) فى النسختين : « تنقذنى » بالقاف ، صوابه بالفاء كما أثبت من الشروح .
(٢) يريد التعقيد . ولم أجد هذا المصدر فى المعاجم المتداولة .
(٣) الخزانة ٢ : ٢٤٦ - ٢٥١ .
(٤) ابن يعيش ٧ : ٢٩ والإنصاف ٥٩٣ والتصريح ٢ : ٢٣٦ .
(٥) ط : « لفعل » ، وأثبت ما فى ش مع أثر تصحيح .

وما مصدريَّة ظرفيَّة ، وحيًّا خبر كنت ، أى مدَّة كونى حيًّا .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الخامس والسبعون بعد الستمائة (١) :

٦٧٥ (وحُقَّ لمثلى يا بُثَينةُ يجزعُ)

على أَنَّ أَصله :أَن يجزع ، فحذفت أَن وارتفع الفعل ، وهو نائب فاعلُ حقّ.

قال ابن جنى (فى سر الصِّناعة) : وقد حملهم كثرةُ حذف أَنْ مع غير الفاعل على أَن استجازوا ذلك مع اسم مالم يُسمَّ فاعله وإن كان جاريًا مجرى الفاعل وقائماً مقامه ، وذلك قول جميل :

(جزِعتُ حِذارَ البينِ يومَ تحمَّلوا وحُقَّ لمثلى يابثينه يَجْزَعُ)

أَراد: أَن يجزع . على أَنَّ هذا قليل . والمفعول قد يكون غير اسمٍ صريح نحو : ظننت زيداً يقوم ، والفاعل لا يكون إلَّا اسماً صريحاً محضاً ، وهم على إمحاضه اسماً أَشدُّ محافظة من جميع الأَسماء . أَلا ترى أَنَّ المبتدأَ قد يقع غير اسم محضٍ ، وهو قولهم : « تسمعُ بالمُعَيْدِىّ خيرٌ من أَن تراه » ، فتسمع كما ترى فعل ، وتقديره أَن تسمع ، فحذفُهم أَنْ ورفعُهم تسمع يَدلُّ على أَنَّ المبتدأَ قد يمكن أَن يكون عندهم غَير اسمٍ صريح. فإذا جاز هذا فى المبتدإ على قوَّة شبهه بالفاعل فهو فى المفعول الذى يبعُد عنهما أَجْوَز . فمن أَجل ذلك ارتفع الفعلُ فى قول طَرَفة :

* أَلا أَيُّهذا الزاجرى أَحضُرُ الوغى *

(١) الخصائص ٢ : ٣٤٥ وسر الصناعة ١ : ٢٨٦ ، ٢٨٩ وابن يعيش ٤ : ٨/٢٧ : ٤٣ وضرائر ابن عصفور ٢٦٤ وديوان جميل ١١٨ .

عند كثير من الناس ، لأَنَّه أَراد أَن أَحضُر . وأَجازَ س فى قولهم : «مُرْه يَحفِرُها» أَن يكون الرفع على قوله مره أَن يحفرَها ،فلمَّا حذفت أَنْ ارتفع الفعل بعدها . انتهى كلامه .

وقال (فى الخصائص) عندما أَنشد هذا البيت : أَى وحُقَّ لمثلى أَن يجزع . وأَجاز هشامٌ: يسرّنى تقومُ. وينبغى أَن يكون ذلك جائزاً عنده فى الشعر لا فى النثر . انتهى .

وقد عدَّ ابن عصفور (فى كتاب الضرائر) جميعَ هذا من الضَّرورة. قال : ومنه وضع الفعلِ موضعَ المصدر على تقدير حذف أَنْ وإرادة معناها من غير إبقاءِ عملها ، نحو قوله :

وما راعَنى إلاَّ يَسيرُ بشُرطةٍ وعَهدِى به قَيناً يفُشُّ بكير[(١)]

يريد : وما راعنى إلَّا أَن يسير بشرطة . فحذف أَنْ وأَبطل عملَها وهو يريد معناها . والدَّليل على أَنَّ الفعل المضارعَ يُحكم له بحكمِ ماهو منصوبُ بـأَنْ وإنْ كان مرفوعاً قولُه :

أَلا أَيُّهذا الزَّاجِرِى أَحضرُ الوغى وأَنْ أَشهدَ اللذاتِ هل أَنتَ مُخْلِدِى[(٢)]

فى رواية من رفع أَحضرُ . أَلا ترى أَنَّه عَطَف أَن أَشهد على أَحضر ، فدَّل ذلك على أَنَّ المراد أَن أَحضر . ومثله قولُ أَسماءَ بنِ خارجة :

أَوَليس من عجبٍ أُسائلُكم ما خَطْبُ عاذلتى وما خَطْبِى[(٣)]

---

(١) سيأتى الكلام على هذا الشاهد فى التتمة الملحقة بالشاهد ٦٧٥ .

(٢) من معلقة طرفة . وانظر سر الصناعة ١ : ٢٨٦ والمقتضب ٢ : ٨٥ ، ١٣٦ والمحتسب ٢ : ٣٣٨ والشذور ١٥٣ .

(٣) من الأصمعية ١١ . انظر الأصمعيات ٤٩ .

٦٢٤

يريد ، أَن أُسائلكم . وقول علىّ بن الطُّفيل السعدى :

وأَهلكنى لكم فى كلِّ يوم تعَوُّجكمْ علىَّ وأَستقيمُ[١]

يريد : وأَنْ أَستقيم ، أَى واستقامتى لكم . وقولُه :

جزِعتُ حِذارَ البين يومَ تحمَّلوا وحُقَّ لمثلى يا بثينة يَجزعُ[٢]

يريد : أَن يجزع . وقولُه :

نفاك الأَغرُّ بنُ عبد العزيز وحقُّك تُنفَى عن المسجدِ[٣]

يريد : وحقُّك أَن تنفى عن المسجد . وقولُ الآخر ، أَنشدهُ يعقوب :

* لولا يرائى النَّاسَ لم يصلِّ[٤] *

يريد : لولا أَن يرائىَ النَّاسَ .

وقد يجىءُ مثلُ هذا فى الكلام ، نحو قولهم : « تسمع بالمُعَيْدى خيرٌ من أَن تراه » ، إِلَّا أَنَّ ذلك يقلُّ فى الكلام ، ويكثُر فى الشعر. انتهى .

وجزِع الرجل جَزَعاً ، من باب تعب ، فهو جزِعٌ وَجَزوعٌ مبالغة ، إِذا ضَعُفت مُنَّته عن حَملِ ما نزَل به ولم يجِدْ صبرًا. وأَجزَعه غيرُه، والغَداة: الضَّحوة . والبَيْن :الفراق ، مصدر بانَ يبين ، إِذا فارقَ وانفصل . ولمَّا ظرفٌ بمعنى حين ، بدلٌ من غداة[٥] . والواو فى ترحَّلوا ضمير أَهل

(١) نوادر أبى زيد ١٦١ والمحتسب ٢ : ٣٢ .

(٢) هو الشاهد المعقود له هذا الفصل .

(٣) لجرير فى ديوانه ١٢٨ من نقائضه مع الفرزدق . وانظر النقائض ٧٩٧ والخصائص ٢ : ٣٤٢ والأغانى ١٩ : ٢١ ، ٥٢ .

(٤) الضرائر لابن عصفور ٢٦٥ وتهذيب الألفاظ ١٣٢ .

(٥) لم يرد نص البيت هنا على هذه الرواية : « جزعت غداة البين لما تحملوا » ، وإنما هى رواية ديوان جميل ١١٨ كما أنها رواية الأغانى فى نسخة البغدادى ، تبناها فانطلق فى تفسيرها سهواً منه .

بثينة . وكان الظاهر أن يقول ترحَّلت بالتأْنيث ، لأَنَّ جزعَه إنَّما كان لرحيلها ، لكن لمَّا كان رَحيلُ أَهلها مُوجباً لرحيلها جَمَعَ .

وقوله: (وحُقَّ لمثلى) إلخ ، وهو بالبناء للمفعول . فى الصحاح : قال الكسائى : يقال حُقَّ لك أن تفعل كذا وهو حقيق به ومحقوق ، أى خليق لَه . وقال الفراءُ : حُقَّ لك أن تفعل كذا وحَقَّ عليك أن تفعل كذا . فإذا قلت حُقَّ بالضم قلت : لك ، وإذا قلت حَقَّ بالفتح قلت :عليك. وهذا من باب قولهم : مثلُك لا يبخل ، وهو أَنَّه استعمله كنايةً من غير تعريض ، ممَّا لا يراد بلفظ (مثل) غيرُ ما أُضيف إليه ، لكن أُريد أَنَّ من كان على هذه الصفة التى هو عليها كان مقتضى العُرف أن يفعل ما ذكر . فعلى هذا ليس المراد فى البيت أَنَّ مثله حقيقٌ بالجزع ، بل المراد بالمثل نفسُه . لكنْ كلُّ من كان على هذه الصِّفة من فراق الأَحبَّة ينبغى أن يكون حالُه مثلَ حالِه فى الجزَع .

وجملة « حُقَّ لمثلى» إلخ ، إمَّا حال من التاء فى جزعتُ بإضمار قد ، وإمَّا معطوفة على جزعت .

وروى الأَصبهانى (فى الأَغانى) :

* وما كان مثلى يا بثينةُ يجزعُ[1] *

فعلى هذا لا شاهد فيه .

وبثينة : محبوبة جميل قائل الشعر . وقد نَسَبَ بعض الشعراء بنساءٍ مخصوصة ، واشتهر كلُّ واحدٍ منهم بمن تغزَّل بها ، منهم جميل اشتهر ببثينة ، ومنهم كثيِّر اشتهر بعزَّة ، ومنهم عُروة بن حزام اشتهر

(١) لم أجد هذا البيت فى نسخة الساسى من الأغانى .

بعفراءَ ، ومنهم مجنونُ بني عامر اشتهر بليلى ، ومنهم قيس بن ذَريح اشتهر بلُبنى ، ومنهم المرقِّش اشتهر بفاطمة ، ومنهم ذو الرمة اشتهر بميَّة وهى الخَرقاءُ كما تقدَّم ، ومنهم العباس بن الأَحنف نَسَب بفَوْز .
وبعض الشُّعراءِ لا يلتزم التغزُّلَ بامرأَةٍ مخصوصة كامرئ القيس .

و (بثينة) مصغَر بثْنة . قال صاحب الصحاح : البَثْنة بالتسكين : الأَرض الليِّنة ، وبتصغيرها سمِّيت بثنة .

صاحب الشاهد

والبيت من قصيدةٍ طويلة لجميل بنَ مَعْمرٍ العُذرى .

روى صاحب الأَغانى بسنده[1] قال : اجتمع جميل مع جماعةٍ من رهطه يتحدَّثون فقال بعضهم : بالله حدِّثنا أَعجَبَ يومٍ لك مع بثينة . قال : نعم ، مُنعَتْ من لقائى مُدَّةً ، وتعرَّضتُ لها جَهدى فلم أَصلْ إليها . فبينا أَنا ذاتَ ليلةٍ جالسٌ بين شجَراتٍ بالقُرب من حَيِّها ، وقد أَقمتُ فيها ثلاثاً أَنتظرُها ، إذا شخصٌ قد أَقبلَ إلىّ ، فجلستُ وانتضيتُ سيفى فلم أَلبثْ أَن غشِيَنى الشخصُ ، فإذا هى بُثينةُ قد أَكبَّتْ علىَّ ، فأَدْهشَنى ذلك وبقيتُ متحيِّراً لا أُحِيرُ جوابًا ولا أُراجعُها ، حتَّى بَرَق الصبحُ وما استطعتُ أَن أُكلِّمَها . قالوا : فهل قلتَ فى ذلك شيئاً ؟ فأَنشدهم قصيدةً طويلةً . وهذه أَبياتٌ من أَوّلها :

٦٢٥

أَهاجَك أَم لا بالتَّناضِبِ مربَعُ ورسمٌ بأَجراعِ الغَديرينِ بلقعُ[2]
ديارٌ لليلى إذ نحلُّ بها معاً وإذْ نحن منها فى المودَّة نطمعُ[3]

(١) هذا الخبر لم يرد فى نسخة الساسى من الأغانى .
(٢) التناضب بكسر الضاد : موضع . وفى الديوان : « بالمداخل مربع ودار » وهو موضع كذلك .
(٣) فى حواشى المطبوعة : « قوله لليلى ، لا يخفى أن جميلا ينسب ببثينة ، كما تقدم قريباً . وسيأتى فى هذه الأبيات يقول : يابثينة يجزع . إلا أن يقال إنه قد يعبر عن محبوبته تارة ببثينة وتارة بليلى . فليحرر » .

فيارِبِّ حبِّبْنى إليها وأَعطنى الـ ـــمودَّة منها أَنت تُعطى وتمنعُ
وإلَّا فصيِّرنى وإن كنتُ كارهاً فإنِّى بها ياذا المعارج مُولعُ[1]
فإن يك قد شطَّت نواها وقد نأَت فإنَّ النوى مما تُشِتُّ وتجمعُ[2]
جزِعتُ غداةَ البين لمَّا تحمَّلُوا وما كان مثلى يا بثينةُ يجزعُ
تمتَّعتُ منها يومَ بانُوا بنظرةٍ وهل عاشقٌ من نظرةٍ يتمتَّعُ

وتقدمت ترجمة جميلٍ العُذرىّ فى الشاهد الثانى والستين من أَوائل الكتاب[3].

تتمَّة

قد وقع (فى مغنى اللبيب) و (فى بعض شروح الأَلفية) الاستشهادُ بقوله :

وما راعنى إلاَّ يَسيرُ بشُرطةٍ وعَهدِى به قَيْناً يفُشُّ بِكيرِ

ولم يقف على قائله ولا على تتمته السيوطىُّ ولا العينىُّ ، وهومذكورٌ (فى نوادر ابن الأَعرابىِّ) قال : أَنشدَنى الدُّبيرىُّ لرجلٍ من بنى أَسدٍ يقال له معاوية بن خليل النَّصرى[4] ، فى إبراهيم ذى الشَّقر . وكان إبراهيم أَطردَه عَن بلاده ، فأَقام فى رمل بنى حِسْل ، فقال يهجو إبراهيم

(١) المعارج : جمع معرج ، وهو الدرجة والسلم ، واستعير للرتب والفواضل والصفات الحميدة والنعم ، كما جاء فى تفسير قتادة وابن عباس . وقال ابن عباس أيضاً : المعارج : السموات تعرج فيها الملائكة من سماء إلى سماء . وقال الحسن : هى المراقى والمصاعد إلى السماء . وقال الفراء : ذى المعارج من نعت الله ، لأن الملائكة تعرج إلى الله ، فوصف نفسه بذلك . تفسير أبى حيان ٨ : ٣٣٣ واللسان (عرج) ومعجم ألفاظ القرآن الكريم ٢ : ٢٠٥ فى تفسير الآية ٣ من سورة المعارج .

(٢) فى الديوان : « وإن تلك قد شطت نواها ودارها » .

(٣) الخزانة ١ : ٣٩٧ - ٣٩٨ .

(٤) نسبة إلى بنى نصر بن قعين بن الحارث بن ثعلبة بن دودان بن أسد . وانظر جمهرة ابن حزم ١٩٤ ، ٤٦٦ .

يلقب « فرُّوخاً » وربَّما قالوا »[1] فرُّوجاً » . وهو إبراهيم بن حَوْران :

يَعْرِض فرُّوخُ بن حَوْران بنتَه ... كَمَا عُرِضَتْ للمشترين جَزُورُ[2]

فأَمَّا قريشٌ فهى تُعرِض رغبةً ... وأَمَّا الموالى حولها فتدورُ[3]

وما راعَنا إلَّا يسيرُ بشُرطةٍ ... وعَهْدى به قيناً يفُشُّ بكيرِ

لحا اللهُ فَرُّوخاً وخرَّب دارَه ... وأَخزى بنى حَوْران خِزىَ حميرِ

* * *

وأنشد بعده :

(أَلا أَيُّهذا الزاجِرِى أَحضرُ الوغَى)

هو صدرٌ ، وعجزه :

(وأن أَشهدَ اللَّذَّاتِ هل أنت مُخلدى)

على أَنَّه رُوى : (أَحضرُ) بالرفع ، وأَصله أَن أَحضرَ ، فلما حُذفت (أَنْ) ارتفع الفعل . وروى أَيضاً بالنصب بإبقاء عملها بعد الحذف.

وقد تقدَّم الكلامُ على هذا البيتِ مستوفًى فيما بعد الشاهد الثامن والخمسين بعد السبعمائة[4] ، وفى الشاهد العاشر من أوائل الكتاب[5] .

نهاية الجزء الثامن من تقسيم محققه

---

(١) ش : « قال » .

(٢) فى البيت خرم ، بإسقاط حرف فى أوله . و « فروخ » كتبت فى ش بنقطة للجيم فى وسطها وأخرى فوقها لتقرأ بالوجهين .

(٣) أى رغبة عنها وزهداً فيها .

(٤) انظر هذا الجزء الثامن ص ٥٠٧ – ٥٠٨ .

(٥) الخزانة ١ : ١١٩ – ١٢١ .

فهرس التراجم

فهرس الشواهد

باب المجموع

جمع المؤنث السالم

جمع التكسير

المصـــدر

اسم الفاعـل

اسم المفعول

الصفة المشبهة

أفعل التفضيل

الفعل الماضى

الفعل المضارع

النواصب



ولب لباب لسان العرب

تحقيق وشرح

عبد السلام محمد هارون

الجزء التاسع

الناشر مكتبة الخانجي بالقاهرة

○ الطبعـــة الثالثـة ○

١٤١٦ هـ - ١٩٩٦م

مطبعة المدني

المؤسسة السعودية بمصر

٦٨ شارع العباسية - القاهرة - ت: ٨٢٧٨٥١

بسم الله الرحمن الرحيم

الجـوازم

أنشد فيه ، وهو الشاهد السادس والسبعون بعد الستمائة[1] :

٦٧٦ (لولا فوارسُ مِنْ ذُهلٍ وأُسْرَتُهِمْ ... يَومَ الصُّليفاءِ لم يُوفُونَ بالجارِ) ٦٢٦

على أن (لم) قد جاءت فى الشعر غيرَ جازمة .

وكذلك قال ابن عصفور : إنَّ رفع المضارع بعد لم ضرورة . وأنشد مع هذا البيت قولَ الشاعر :

وأَمسَوْا بَهَالِيلَ لو أَقسَمُوا ... على الشَّمس حَولين لمْ تَطْلُـعُ

برفع (تطلعُ) . وقال : حَكَم للم بدلاً من حُكمها بحكم ما ، لمَّا كانت نافيةً مثلَها . فرفع المضارع بعدَها كما يرفع بعد ما .

وقال التبريزى (فى شرح الكافية)، تبعًا لابن جنى (فى سر الصناعة): وقد لا تجزم لم ، حملاً على لا .

وقال ابن مالك : إنَّ رفع المضارع بعدها لغةٌ لا ضرورة . كذا فى مغنى اللبيب .

وفوارس : جمع فارس ، شاذّ . وذُهل، بضم الذال المعجمة: اسمٌ لقبيلتَين ، إحداهما: ذهل بن شيبان بن ثعلبة بن عُكابة ، والأُخرى[2] :

---

(١) المحتسب ٢ : ٤٢ وابن يعيش ٧ : ٨ وضرائر ابن عصفور ٣١٠ والمغنى ٢٧٧ ، ٣٣٩ والعينى ٤ : ٤٤٦ والتصريح ٢ : ٢٤٧ والهمع ٢ : ٥٦ والأشمونى ٤ : ٦ واللسان (صلف) .

(٢) ط : « والآخر » ، صوابه فى ش . ومما يجدر ذكره أن « ذهل » اسم لعدة قبائل لا لقبيلتين . انظر فهارس جمهرة ابن حزم ٥٦٣ ، فقد عد منهم ثمانى قبائل .

ذُهل بن ثعلبة بن عكابة ، وهما من ربيعة . وروى بدله : « من جَرْمٍ » بفتح الجيم ، وهو قبيلة أيضاً . وروى : « نُعْم » أيضًا بضم النون ، وهو اسم امرأة ، وهو تحريف .

(من ذُهل وأُسرتهم) يروى بالرفع عطف على فوارس ، ويروى بالجر عطف على ذهل .

وأُسرة الرجل ، بضم الهمزة : رهطُه . والصُّليفاء : مصغر صَلْفاء ، وهى الأَرض الصُّلبةُ ، والمكان أصلف . ويقال صِلْفاءُ ، بوزن حِرباء . وقال الأَصمعيُّ : الأَصلَف والصَّلْفاءُ : ما اشتدَّ من الأَرض وغَلُظ وصَلُب ، والجمع الأَصالف والصَّلاَفيُّ . كذا (فى العباب للصَّاغانى) . ويوم الصَّلْفاء هو يومٌ من أيَّام العرب[1] ، لكنَّ الشاعر صغَّره . قال ابن رشيق (فى العمدة) : يوم الصَّلفاء لهوازن على فَزَارةَ وعَبْسٍ وأَشجع ، وفيه قتل دُريد بأَخيه ذؤاب بن أَسماء[2] . انتهى .

والواو فى (يوفون) ضمير القوم الذين هجاهم الشَّاعر . و (الجارُ) له معانٍ : منها المجاوِر فى السَّكَن ، ومنها المستجير وهو الذى يَطلُب الأَمان ، ومنها الحليف . وأحد هذه الثلاثة [هو المنَاسِب[3]] ، وعليه ففيه حذف مضاف ، أَى لم يوفون بذمَّة الجار .

وهذا البيت أَنشده الأَخفشُ والفارسيُّ وغيرهما ، ولم أَجد من عَزاه إلى قائله ، ولا مَنْ ذكر له تتمَّة . والله أَعلم به .

---

(١) لم يذكره ياقوت . وإنما ذكر « الصلعاء » و « الصليعاء » أيضاً بالتصغير ، ذكرهما بالعين المهملة ، مشتقين من قولهم : رجل أصلع وامرأة صلعاء ، وقال : إنه موضع كانت به وقعة لهم .

(٢) العمدة ٢ : ١٦١ حيث ذكر الموضع بالفاء أيضاً .

(٣) التكلة من ش .

وأنشد بعده ، وهو الشاهد السابع والسبعون بعد السنمائة[1] :

٦٧٧ (فأَضحت مَغَانيها قِفارًا رسومُها
كأَنْ لَمْ سِوَى أهلٍ من الوَحْش تُوهَل)

على أنَّ (لم) قد فُصلت فى الضرورة مِنْ مجزومها ، فإنَّ الأَصل : كأَنْ لم توهل سوى أَهلٍ من الوحش .

وقيَّد ابنُ عصفور الفصلَ فى الضَّرورة بالمجرور والظرف ، وأَنشد :

نوائب من لَدْنِ ابنِ آدم لم تَزَلْ تباكر مَنْ لم بالحوادثِ تَطْرُقِ

وأَنشد بعده قوله : (فأَضحت مغَانيها) البيت . وقد فصل فى الأَوَّلِ بين لمْ ومجزومها وهو تطرق ، بالمجرور ، وفصل فى الثانى بالظَّرف بينهما.

وكذلك صنع ابن هشام (فى المغنى) ، قال : وقد تُفصَل من مجزومها فى الضَّرورة بالظرف ، كقوله :

فذاك ولمْ إذا نحن امتريْنا تَكنْ فى الناس يُدرِكُك المِراءُ

وقولِه : (فأَضحت مغانيها) البيت . وقد يليها الاسم معمولاً لفعلٍ يفسِّره ما بعده ، كقوله :

٦٢٧ ظُنِنتُ فقيرًا ذا غِنًى ثم نلتُه فلَمْ ذا رجاءٍ أَلْقَهُ غيرَ واهبِ[2]

انتهى .

---

(١) الشاهد لذى الرمة فى ديوانه ٥٠٦ . وانظر الخصائص ٢ : ٤١٠ والضرائر ٢٠٣ . والمغنى ٢٧٨ والعينى ٤ : ٤٤٥ والهمع ٢ : ٥٦ والأشمونى ٤ : ٥

(٢) المغنى ٢٧٨ .

وقوله (إذا نحن امترينا) متعلق بيدروك ، الأَصل : وَلم تكن فى الناس يدركك المراءُ إذا نحن امترينا ، والامتراءُ : الشَّكُّ . والمِراءُ : الجِدال .

وقولُه : « ظُنِنْتُ فقيرًا » الخ . هو بالبناءللمجهولوالتكلم. وفقيرًا حال من نائبالفاعل، وذا غنى : مفعولٌ ثانٍ لظُننت، وضمير نلتُه للغِنى، وذا رَجاءٍ : مفعولٌ لفعل محذوف مفسَّر بأُلقَى المذكور. وغيرَ واهب : حالٌ مِن فاعله ، يعنى أَنَّه فى حال فقره كان متعفِّفاً ، فكنى عن ذلك بظنِّه ذا غنى ، وأَنَّه حين صار غنيًّا يعطى كلَّ راجٍ لقيَهُ ما يرجو .

أبيات الشاهد

والبيت من قصيدة طويلة لِذِى الرُّمَّة . وقبله :

(فياكَرَمَ السَّكْنِ الذين تحمَّــلوا عن الدار والمسْتَخلَفِ المتبدِّلِ)

وبعده :

(كأَنْ لمتَحُلَّ الزُّرقَ مىٌّ ولم تطأْ بجرعاء حُزْوَى نِير مِرْطٍ مرَحَّلِ
إلى مَلعبٍ بينالحِواءَينِ مَنْصَفٍ قريبِ المزارطيِّب التربُ مُسْهِلِ)

وقوله : « فياكرم السَّكْن » إلخ . هو نداءٌ تعجُّبى، أَى يا صاح ، انظر كرمَ السَّكن ، وهو أَهل الدار، جمع ساكن كصَحْب جمع صاحب. وتحملوا : ارتحلوا . والمستخاف معطوف على الدار ، وهو والمتبدّل رُوِيا على صيغة اسم الفاعل واسم المفعول . يريد : الدار تبدَّلت بالسَّكْن الوحوشَ والظِّباءَ والبقَر . يعنى أَنَّ الدار استخلفت واستبدلت الوحش.

وبهذا البيت استشهد صاحب (الكشاف) على أَن التبدُّل فى قوله

تعالى : ﴿ ولا تتبدَّلوا الخبيثَ بالطَّيِّبِ[1] ﴾ بمعنى الاستبدال، كالتعجُّل والتأخُّر ، بمعنى الاستعجال والاستئخار .

وقوله : (فأَضْحَتْ مغانيها) أى صارت، والمغانى . جمع مغنًى، وهو المُقَام ، مِن غَنِيَ بالمكان كَرَضِيَ ، إذا أقام فهو غانٍ . والقِفار : جمع قَفْر . فى المصباح: القفر: المفازة لا ماء فيها ولا نبات . ودارٌ قفرٌ : خاليةٌ من أهلها . والرَّسم : الأَثَر . ورسومُها فاعل قِفار . والمرويُّ فى ديوانه كذا :

* فأَضحت مَبَاديها قفارًا بلادُها *

قال شارحه : مَباديها: حيث تبدو فى الرَّبيع . والبلاد : جمع بلدة، وهى القِطعة من الأَرض . وأَهَلَ المكانُ أُهولاً من بابِ قعد : عَمِر بأَهله فهو آهل ، وقرية آهلة . وأَهِلْت بالشيء: أَنِست به . قال شارح الديوان: تُوهَلُ : تُنزَل . يقال بلدٌ مأْهولٌ : ذو أهل .

وقال ابن الأَنبارى (فى شرح المفضليات) : أَهِلَ هذا المكانُ . وسمعتُ يقال مكان آهل أى ذو أَهل . وأنشد هذا البيتَ ، ثم قال : وبنو عامر يقولون : أَهِلت به آهَلُ به أُهولا ، أى أَنِسْتُ به .

وقوله : « كأَن لم تَحُلَّ الزُّرق » هو جمع أزرق . قال شارح الديوان : الزُّرق : أكثبةٌ بالدَّهناء . والجَرْعاءُ من الرمل . وحُزْوى بضم المهملة : موضع : والمِرط ، بالكسر : الإزار . ونِيره : عَلَمُه . والمرحَّل بفتح الحاء المهملة المشددة : الموشَّى على لون الرِّحال[2] .

وقوله :« إلى ملعب» الحِواءين بكسر المهملة : أبياتٌ مجتمعة . يريد:

---

(١) الآية ٢ من سورة النساء .

(٢) فى الديوان : « المرجل » بالجيم . وفى شرحه : « والمرجل : المعلم » .

ملعباً بين الحِواءين . وَمنْصَف: بفتح الميم والصاد ، يقول: هو بين الحِواءين وسط . ومسهل : سهلٌ قد انحدرَ عن الغلظ .

وترجمة ذى الرمة تقدمت فى الشاهد الثامن من أول الكتاب[1] .

* * *

وأنشد بعده :

(أَزِفَ الترحُّــلُ غير أنَّ رِكابنا لمَّا تَزُلْ برحالنــا وكأَن قدِ)

٦٢٨ على أنَّ الفعل بعد (قد) محذوف اختيارًا، أى وكأن قد زالت. وأزِف : دنا . والرِّكاب: الإبل . ولمَّا نافية جازمة ، وتَزُل مجزوم وأصله تزول . والرِّحال : جمع رَحْل، وهو ما يستصحبه الإنسان من الأثاث فى السفر . وكأَن مخففة .

وتقدَّم شرح هذا البيت مفصَّلاً فى الشاهد الخامس والعشرين بعد الخمسمائة[2] .

* * *

وأنشد بعده، وهو الشاهد الثامن والسبعون بعد الستمائة[3] :

٦٧٨ (احفَظْ وديعتَك التى استُودِعْتَهــا

يومَ الأعــاربِ إنْ وصَلْتَ وإنْ لَمِ)

على أنَّ حذف مجزوم (لم) ضرورة ، والأصل: وإن لم تَصل[4] .

كذَا قدَّره أبو حيان ، فيكون وصلتَ مثله بالبناء للمعلوم .

---

(١) الخزانة ١ : ١٠٦ .

(٢) الخزانة ٧ : ١٩٧ — ٢٠٤ .

(٣) ديوان ابن هرمة ٢٠١ والمغنى ٢٨٠ والعينى ٤ : ٤٤٣ والتصريح ٢ : ٢٤٧ والهمع ٢ : ٥٦ والأشباه والنظائر ٢ : ٧٣ والأشمونى ٤ : ٦ .

(٤) ط : « والأصل أن لم تصل » . وإثبات الواو من ش .

وقدره أبو الفتح البَعْلى : وإن لم تُوصَلْ ، فيكون إن وُصِلت مثلَه بالبناء للمفعول .

وأنشد ابن عصفور (فى الضرائر الشعريَّة) قول ابن هَرْمة :

وعليكَ عهدُ الله إنَّ ببـــابه أهلَ السَّيالة إن فعلتَ وإن لمِ [١]

يريد : وإن لم تفعل . ومثلُه قول الآخر :

يارُبَّ شيخٍ من لُكيز ذى غَنَمْ فى كَفِّه زيغٌ وفى الفَمِّ فَقَــمْ [٢]

أَجْلحَ لمْ يَشْمَط وقد كان ولَمْ

يريد : وقد كان ولم يجلحْ . ثم قال : وإنَّما لم يَجُزْ الاكتفاءُ بلم وحذفُ ما تعمل فيه إلَّا فى الشِّعر، لأنَّها عاملٌ ضعيف، فلم يتصرَّفوا فيها بحذف معمولها[٣] فى حال السَّعة ، بل إذا كان الحرف الجارّ — وهو أقوى فى العمل منه ، لأنَّه من عوامل الأَسماء ، وعواملُ الأَسماء أقوى من عوامل الأَفعال — لا يجوز حذف معمولِه[٤]، فالأَحرى أن لا يجوز ذلك فى الجازم . فإنْ قال قائل: فلم جاز الاكتفاءُ بلمَّا وحذفُ معمولها فى سَعَة الكلام وهى جازمة ، فقالوا : قاربت المدينة ولمّا ، أى ولمَّا أدخلْها ولم يجز ذلك فى لم ؟ فالجواب أن تقول : إنَّ الَّذى سوَّغ ذلك فيها كونُها نفيًا لِقَدْ فعل . ألا ترى أنَّك تقول فى نفيِ قدْ قام زيد : لم يقم، فحُملت لذلك على قد ، فكما يقال لم يأْت زيد وكأَن قد ، أى وكأَن

(١) ديوان ابن هرمة ٢١٩ والضرائر ١٨٣ . وفى الديوان : « إن أنبأته » .
(٢) كذا ورد فى الضرائر وابن يعيش ٨ : ١١١ بدون نسبة. وفى ابن يعيش: « وفى فيه » .
(٣) ط : « معمولهما » ، صوابه فى ش والضرائر .
(٤) فى النسختين : « معمولها » ، صوابه من الضرائر .

قد أتى ، فيُكتَفى بقد، فكذلك أيضاً قالوا : قاربت المدينة ولمَّا، أى ولمَّا أدخلْها ، فاكتفَوْا بلمَّا . هذا كلامه .

وقوله : (احفظْ) أمرٌ . و (استُودعتها) على بناء المجهول . و (يوم الأعارب) لم أقفْ عليه فى كتب أيام العرب ، وقال العينى : هو يومٌ معهودٌ بينهم . ونسب البيتَ إلى إبراهيم بنِ هَرْمة . وتقدَّمت ترجمته فى الشاهد الثامن والستين[1] والله أعلم .

صاحب الشاهد

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد التاسع والسبعون بعد الستمائة[2] :

٦٧٩ (ألمَّا تعرِفُوا منَّا اليقينـــا)

على أنَّ الهمزة الداخلة على لمَّا للاستفهام التقريرى ، أى ألم تعرفوا منَّا إلى الآن الجِدَّ فى الحربِ عِرفانًا يقيناً . أى قد علمتم ذلك فلم تتعرَّضوا لنا .

وهذا عجزٌ وصدره :

(إليكم يا بنى بَكرٍ إليكمْ)

والبيت من معلقةِ عمرو بن كلثوم التغلِبى ، يخاطب بنى عمِّه بكر ابن وائل .

وإليكم[3] : اسم فعل، أى : ابعُدوا وتَنَحَّوْا عنَّا إلى أقصى ما يمكن من البُعْد . وكرَّر إليكم تأكيدًا للأُولى .وبعده :

٦٢٩

(ألمَّا تعلموا مِنَّا ومنــكم كَتائبَ يَطَّعِنَّ ويرتمينـــــا)

و (ألمَّا) مثل الأُولى . والكتيبة : الجماعة من الجيش،سمِّيت كتيبة

(١) الخزانة ١ : ٤٢٤ .

(٢) معلقة عمرو بن كلثوم .

(٣) ط : « وإليك » ، صوابه فى ش .

لاجتماع بعضها إلى بعض؛ ومنه كتبت الكتاب، أى جمعت بعضَ حروفه إلى بعض. ويطَّعِنَّ : يفتعلن من الطَّعن . وكذلك يرتمينا[1] : يفتعلن من الرَّمْى ، والألف للإطلاق . أراد التَّطاعُن بالرمح، والترامىَ بالسَّهم مِنَّا ومنكُمْ .

وتقدمت ترجمة عمرو بن كلثوم صاحب المعلقة مع شرح أبيات منها فى مواضع فى الشاهد الثامن والثمانين بعد المائة[2] .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثمانون بعد السبمائة . وهو من شواهد سيبويه[3] :

٦٨٠ (مُحَمَّدُ تَفْدِ نفسَك كلُّ نفسٍ
إذا مــا خِفْتَ من شىءٍ تَبــالا)

على أنه جاءَ فى ضرورة الشِّعر حذفُ لام الأَمر فى فعلٍ غير الفاعل المخاطَب ، والتقدير : يامحمَّد لتَفْدِ نفسَك كلُّ نفس .

قال سيبويه : واعلم أنَّ هذه اللام قد يجوزُ حذفُها فى الشِّعر وتَعمل مضمرةً ، كأنَّهم شبَّهوها بأَنْ إذا أعملوها مُضمَرة . وقد قال الشاعر :

محمد تُفدِ نفسَك كلُّ نفسٍ ... البيت .

وإنَّما أراد : لِتَفْدِ . وقال مُتَمِّم بنُ نُويرة :

---

(١) ش : « يرتمين » .
(٢) الخزانة ٣ : ١٨٣ . وفى ش : « الثامن والثلاثين بعد المائة » ، صوابه ما أثبت من ط .
(٣) سيبويه ١ : ٤٠٨ والمقتضب ٢ : ١٣٢ والأصول لابن السراج ٢ : ١٨٢ وأمالى ابن الشجرى ١ : ٣٧٥ والإنصاف ٥٣٠ وابن يعيش ٧ : ٣٥ ، ٦٠ ، ٦٢ / ٩ : ٢٤ والمقرب ١ : ٢٧٢ ورصف المبانى ٢٥٦ وشذور الذهب ٢١١ والمغنى ٢٢٤ ، ٦٤١ والعينى ٤ : ٤١٨ والتصريح ٢ : ١٩٤ والهمع ٢ : ٥٥ والأشمونى ٤ : ٥ .

على مثلِ أَصحابِ البَعُوضة فاخمِشِى
لكِ الويلُ حُــرَّ الوجهِ أَو يبكِ مَن بكَى[1]

أَراد : ليَبْكِ . انتهى .

قال الأَعلم: هذا من أَقبح الضرورة، لأَنَّ الجازم أَضعف من الجارّ ، وحرف الجرّ لا يُضمر . وقد قيل إنَّه مرفوعٌ حُذفت لامهُ ضرورةً واكْتُفِىَ بالكسرةِ منها . وهذا أَسهلُ فى الضَّرورة وأَقرب .

وقال النحَّاس : سمِعت علىَّ بن سليمان يقول : سمعت محمد بن يزيدَ ينشد هذا البيت ويلحِّن قائله ، وقال : أَنشده الكوفيُّون ، ولا يُعرف قائله ، ولا يُحتجُّ به ، ولا يجوز مثلُه فى شعرٍ ولا غيره ؛ لأَنَّ الجازم لا يُضمَر؛ ولو جاز هذا لجاز يقمْ زيد ، بمعنى ليقم. وحروف الجزم لا تُضمَر ، لأَنَّها أَضعف من حروف الخفض، وحرف الخفض لا يضمر .

فبعد أَنْ حكى لنا أَبو الحسن هذه الحكاية ، وجدتُ هذا البيت فى كتاب سيبويه يقول فيه : وحدَّثنى أَبو الخطَّاب أَنَّه سمع هذا البيت ممن قاله .

قال أَبو إِسحاق الزجَّاج احتجاجًا لسيبويه : فى هذا البيت حذف اللام ، أَى لتفد . قال: وإِنَّما سماه إِضمارًا لأَنَّه بمنزلته . وأَمَّا قوله أَو يبك من بكى فهذا البيتُ لِفَصيح ، وليس هذا مثلَ الأَوّل ، وإِن كان سيبويه

---

(١) سيبويه ٣ : ٨ والمقتضب ٢ : ١٣٢ وأصول ابن السراج ٢ : ١٦٣ ، ١٨١ وابن الشجرى ١ : ٣٧٥ وابن يعيش ٧ : ٦٠ ، ٦٢ والإنصاف ٥٣٢ ورصف المبانى ٢٢٨ والمغنى ٢٢٥ والبلدان (البعوضة) .

قد جمع بينهما . وذلك أنَّ المعطوف يُعطَف على اللفظ وعلى المعنى . فعطفَ الشاعرُ على المعنى ،لأنَّ الأصل فى الأمر أن يكون باللام ، فحذفت تخفيفًا والأصل : فلْتخمشى ، فلما اضطُرّ الشاعر عطف على المعنى ، فكأنه قال : فلتخمشى ويَبْكِ، فيكون[1] الثانى معطوفًا على معنى الأول .والبعوضة : موضع بعينه قُتل فيه رجالٌ من قومَه فحضَّ على البكاء عليهم .

وحذا ابن هشام (فى المغنى) هذا الحذو وقال : وهذا الذى منعه المبرّد أجازه الكسائى فى الكلام ، بشرط تقدُّم قُلْ ، وجعل منه : ﴿قُلْ لعبادىَ الذين آمنوا يُقيموا الصَّلاة[2] ﴾، أى ليقيموا .

ووافقه ابن مالك (فى شرح الكافية) وزاد عليه أنَّ ذَلك يقع فى النثر قَليلاً بعد القول الخبرىّ ، كقوله :

قلتُ لبــوّاب لديه دارُها تِيذَن فإنِّى حَمْوُها وجارُها[3]

أى لتيذن ، فحذف اللام وكسر حرْف المضارعة .

٦٣٠

وأمَّا ابن عصفور فلم يَزِدْ (فى كتاب الضرائر) علىقوله : إضمار الجازم وإبقاءُ عمله أقبح من إضمار الخافض . ثم أنشد خمسة أبيات حذف فيها اللام .

و (محمدُ) منادى . و (تفدِ) أمرٌ من الفداء . و (كلّ) فاعله . و (نفسَك) مفعوله . و(التَّبَال) بفتح المثناة بعدها موحَّدة . قال الأعلم ، وتبعه ابن هشام : هو سوءُ العاقبة ، وأصله وَبَال، فتاؤه مبدلة من الواو .

---

(١) ش : « ويكون » .

(٢) الآية ٣١ من سورة إبراهيم .

(٣) لمنظور بن مرثد، فى المغنى ٢٢٥ والعينى ٤ : ٤٤٤ والهمع ٢ : ٥٦ والأشمونى ٤ : ٥٠

والبيت لا يُعرف قائله ، ونسبه الشارح فى الباب الذى بعد هذا لحسّان ، وليس موجودًا فى ديوانه .

صاحب الشاهد

وقال ابن هشام (فى شرح الشذور) : قائله أبو طالب عم النبى صلى الله عليه وسلم .

وقال بعض فضلاء العجم (فى شرح أبيات المفصل) : هو للأعشى . والله أعلم بحقيقة الحال .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الحادى والثمانون بعد السمائة[١] :

٦٨١ (لِتقُمْ أنتَ يا ابنَ خيرِ قُريشٍ
فلتُقَضِّى حَــوائجَ المُسْلِمِينــا)

على أنَّ أمر المخاطب جاءَ فيه باللام ، وهو فى الشعر أكثر منه فى النثر ، أراد قم . وكذا اللام فى قوله (فلتقَضِّى) لأمر المخاطب ، والياءُ إشباع الكسرة .

والبيت أورده الكوفيُّون . وهو مجهول لا يعلم تتمته ولا قائله . والله أعلم .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثانى والثمانون بعد السمائة[٢] :

٦٨٢ (قالتْ بناتُ العَمِّ يَا سَلْمَى وإنْ
كان فقيرًا مُعْدِمًا قــالت وإنْ)

(١) العقد ٣ : ٤٩٦ والإنصاف ٥٢٥ والمغنى ٢٢٧ ، ٥٥٢ والتصريح ١ : ٥٥ / ٢ : ٢٤٦

(٢) المقرب ١ : ٢٧٧ والضرائر ١٨٥ ورصف المبانى ١٠٦ والمغنى ٦٤٩ والعينى ١ : ١٠٤ / ٤ : ٣٣٦ والتصريح ١ : ١٩٥ والهمع ٢ : ٦٢ والأشمونى ١ : ٣٣ / ٤ : ٢٦ وملحقات ديوان رؤبة ١٨٦ .

على أنَّ فيه حذف الشرط والجزاء معًا لضرورة الشِّعْر ، والتقدير : وإنْ كان كذلك رضيتُه أيضاً .

وكذا قال ابن عصفور (فى كتاب الضرائر[1]) : إنَّ حذفهما خاصٌّ بالشعر .

وأورده ابن هشام (فى فصل الحذف من المغنى) ولم يخْصُصْه بالشعر .

وأمّا إن الأُولى فإنَّما حذف منها جوابُها ، والتقدير : وإن كان فقيرًا أترضَينَ به ، لأنَّ كان شرطها ، واسمها مستتر فيها يعود إلى بعلٍ فى بيت مقدَّم ، وهو :

(قالت سليمى ليت لى بعلاً يَمُنْ ... يَغْسِل جلدى ويُنَسِّينى الحَزَنْ
وحاجةً ما إنْ لها عِندى ثمنْ ... ميسورةً قضاؤها منهُ ومِنْ
قالت بناتُ العمِّ ياسلمى وإنْ ... كان فقيرًا مُعدِماً ، قالت وإنْ)

صاحب الشاهد وهذا الرجز منسوب إلى رؤبة بن العجَّاج ، وسليمى : مصغَّر سَلمى الاتية . والبعل : الزَّوج. ويَمُنّ فعل مضارع من المِنَّة ، وخفف النون للضرورة ، والمِنَّة : النعمة يقال منَّ عليه ،أى أنعم عليه. والمراد هنا : يحصل منه المنُّ والإنعام ، سواءٌ كان عليها أو على غيرها ، فهو مطلق .

وقال : العينى : هو بتقدير يمنُّ علىَّ .

وقوله : « يغسل جلدى » إلخ تفسيرٌ لقولها يُمنّ . وقولها : «وحاجةً» منصوب بتقدير : ويقضى لى حاجة ، وهى قضاءُ شَهْوة النَّوم . وقال العينى : حاجة معطوف على بعلاً ، وما نافية ، وإن زائدة . وكون هذه الحاجة

---

(١) ط : « الضرورة » ، وأثبت ما فى ش .

لا ثمن لها عندها لغلائها وعِزّتها. وميسورة صفة حاجة . وأرادت: قضاؤُها من البعل ومنّى، فحذفت الياءُ مع نون الوقاية ضرورة .

وروى: (قالت بنات الحيّ) بدل بنات العم . وروى (وإنِنْ) بزيادة نون فى الموضعين ، وبها استشهد شُرّاح الألفية على أنَّ هذه النون هى تنوين الغالى ، وبها يخرج الشعرُ عن الوزن ولا يستقيم إلاَّ بحذفها . ٦٣١

ورؤبة تقدَّمت ترجمته فى الشاهد الخامس من أول الكتاب[1]

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثالث والثمانون بعد الستمائة[2] :

٦٨٣ (أماوىَّ مَهْمَنْ يَسْمعَنْ فى صديقِهِ
أقاويلَ هذا النَّاسِ ماوىَّ يَندمِ)

على أنَّ الكوفيين حكَوْا عن العرب مجىء (مهمن) بمعنى مَنْ كما فى البيت .

قال ابن يعيش عند الكلام على مَهما : وقال آخرون هى مركبة من مَهْ بمعنى اكفف وما الشرطيَّة . والمعنى عندهم : اكفف عن كلِّ شىء، ما تفعل أفعل . ويؤيِّده قولُ الشاعر :

أماوىَّ مَهمَنْ يستمع فى صديقه . . . . البيت

فركَّب مه مع من ، كما ركَّبها مع ما . فاعرفه . انتهى.

وقال (صاحب تهذيب اللغة) : مَهْمن استفهام، وأصلها مَنْ مَنْ فأُبدلت النون هاءً . وأنشد هذا البيت .

والهمزة فى قوله: (أماوىَّ) للنداء . و (ماوىَّ) مرخم ماويَّة ، وهى من أسماء النساء ، منها ماويَّة امرأة حاتم طىّ .

---

(١) الخزانة ١ : ٨٩ .

(٢) السبع الطوال ٤٥ وابن يعيش ٤ : ٨ والتهذيب ٥ : ٢٨٥ واللسان (مهه ٤٤٠) .

وهذا البيت شبيهٌ بشعره ، لكنّى لم أقف عليه منسوبًا إليه .

قال فى الصحاح: والماويَّة : الْمِرآة كأنَّها منسوبةٌ إلى الماء . وماويَّة : اسم امرأة . قال طرفة :

* ليس هذا منكِ ماوىَّ بحُرّْ[1] *

واسم امرأةِ حاتم طىّ ، وتصغيرها : مُوَيَّة . قال حاتمٌ يخاطبُها :

فضارتْهُ مُوَىَّ ولم تَضِرْنى ولم يعرقْ مُوَىَّ لها جَبينى

يعنى الكلمة العوراء . انتهى .

ومهمن اسم شرط يجزم فعلين ، الأوَّل يسمعن ، والنون هى نون التوكيد الخفيفة . ورُوى (يستمع) بدله ، يفتعل من السَّماع . والثانى : يندم ، وكسر للقافية . و (ماوىَّ) الثانى منادًى، وحرف النداءِ محذوف، وكرَّر المنادى للتَّلذُّذ به . وروى المصراع الثانى هكذا أيضاً :

* أقاويلَ هذا الناس يُصْرَم ويَندمِ *

فيكون يُصرم جزاءَ الشرط . والصَّرم : الهجر والقطع .

ورأيت فى قصيدةٍ لذى الرمَّة هذا المعنى مع المصراع الثانى بعينه ، وهو قوله :

ومَن يك ذا وصلٍ فيَسمعْ بوصلهِ
أقاويلَ هذا الناسِ يَصرِمِ ويُصرَمِ[2]

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الرابع والثمانون بعد السبعمائة[3] :

---

(١) صدره فى ديوان طرفة ٦٣ :

* لا يكن حبك داء داخلا *

(٢) ديوان ذى الرمة ٦٢٩ .

(٣) نوادر أبى زيد ٦٢ والأزهية ٢٦٥ وابن يعيش ٧ : ٤٤ والمغنى ١٠٨ ، ٣٣٢ والهمع ٢ : ٥٨ .

٦٨٤ (مَهمَا لِيَ اللَّيلَةَ مهما لِيَهْ أُودَى بنعــلىَّ وسِــرباليَهْ)

على أنَّ (مهما) فيه بمعنى الاستفهام .

قال أبو على الفارسى (فى تذكرته) : هذا عندى مثل قول الخليل فى مهما فى الجزاء : إنَّه ما ما ، فقلب الألف هاءً . وذلك لأنَّه يريد : مالى الليلة . وما تستعمل فىالاستفهام على حدِّ استعمالها فى الجزاء ، أى غير موصولةٍ فيهما . وإنَّما غيِّر كراهية التقاء الأَمثال . ألا ترى أن قوله تعالى : ﴿فى ما إن مَكَّنَّاكُمْ فيه[1]﴾ ولم يقل : مامامكَّناكم فيه ، فعدّل إلى (إنْ) لئلاً تلتقى الأَمثالُ فى اللفظ . ومن قال مهما هىمَهْ ما غيرُ مغيَّرة، فإن كان يريد أَنَّها مَهْ التى للأَمر فليس يخلو من أن يجزمَ بها أَو لا يجزم. فإنْ كان يجزم فإنَّما قال مَهْ ثم استأْنف فقال: ما تفعلْ أفعل ، لم يجز . ألا ترى أنَّ قوله:

* وأنَّكمهما تـأْمرى القلبَ يفعل[2] *

ليس يريد به : وأنَّك اكفنى ، ما تـأْمرى القلب يفعلْ ، وإن كان لا يَجزِمِ الفعلَ بها[3] ، كأَنَّه قال : لتكفُفْ افعلْ، لم يكن لذكر فعل الشرط وجهٌ . وإن كان لا يريد الأَمر بها ولكنَّها حرفٌ يوافق التى للأَمر فى اللَّفظ ويخالفُه فى المعنى ، فيكون حرفًا للشَّرط يجزم ، بمنزلة إنْ ، جاز ذلك . انتهى .

٦٣٢

وقال ابن الحاجب (فى أماليه) : إنَّه يجوز أَن يكون مَهْ فى « مهما لى الليلة » ، اسم فعل بمعنى اسكتْ واكففْ عما أَنت فيه من اللَّوْم ، كأَنَّه

---

(١) الآية ٢٦ من سورة الأحقاف . وكلمة « فيه » ليست فى ش .

(٢) لامرئ القيس فى معلقته . وصدره :

* أغرك منى أن حبك قاتلى *

(٣) ش : « وإن كان جزم الفعل بها » ، صوابه فى ط .

يخاطب لائمًا على ما يراه من الوَلَه . ثم قال : مالى الليلة ، تعظيمًا للحال التى أصابته ، والشِّدّةِ التى أدركتْه . ثم ذكر الأَمر الذى يحقِّق تعظيم الأَمر فقال :

* أودَى بنعلىّ وسِرباليَه *

يعنى ذهب بنعلىَّ وسرباليه ، كقوله تعالى: ﴿ هلك عَنِّى سُلطانِيَه[1] ﴾ . وإذا ذهب عنه نعله وسرباله دلَّ على أَنَّ حاله بلغت مبلغًا أَذهلته عما لا يُذهَل متيقِّظ عن مثله . وصورة الاستفهام للتعظيم ثم مَجىءُ ما يحقِّق ذلك التعظيم بجملة أُخرى بعد ذلك ، من فصيح كلام العرب وبديعِه . قال تعالى: ﴿ الحاقَّةُ ما الحاقَّة * وما أَدراكَ ما الحَاقَّة[2] ﴾ ثم قال: ﴿ كذَّبَتْ ثمودُ[3] ﴾ . ويجوز أَن يكون مهما أَصله ماما ، كرِّرت ما الاستفهاميَّة للتأْكيد اللفظى ، فقلبت الأَلف الأُولى هاءً كما قلبت أَلف الشرطية فى قولهم : مهما . وهى عند الأَكثرين : ما ما . وليس ذلك بقياس وإنَّما هو حَمل لفظ العربىِّ على ما يحتمله ، ممَّا هو من جنس كلامهم ، وليس من القياس المختلَفِ فيه فى شىءٍ . ويجوز أَنْ تكون ما الأُولى قَدَّر الوقف عليها ، فقلبت أَلفُها هاءً ، ثم أُجرِىَ الوصلُ مجرى الوقف . والوجه الأَوَّل أَوجَهُ وأَوضح . انتهى .

واختار ابن هشام التوجيه الأَوَّل (فى المغنى) فى ردّ ما قاله الشارح المحقق . قال : ذكر جماعةٌ منهم ابن مالك أَنَّ مهما تأْتى للاستفهام ، واستدلُّوا بهذا البيت ، ولا دليلَ فيه ؛ لاحتمال أَنَّ التقدير : مه اسم فعل

(١) الآية ٢٩ من سورة الحاقة .

(٢) الآية ١ ، ٢ من سورة الحاقة .

(٣) الآية ٤ من سورة الحاقة .

بمعنى اكفف ، ثم استأنف استفهامًا بما وَحْدَها . هذا كلامه ، وكأنّه يريد به تقليل الأقسام مهما أمكن. وعلى أىّ تقديرٍ كان ، مهما ههنا مبتدأ، ولِىَ هو الخبر، والليلة ظرف معمول إمّا لمتعلّق الجارِّ فى لى ، والتقدير : ما حصل لى ، وإمّا بما تضمَّنه معنى الجملة الكبرى ، لأنَّ معناها ما أصنع وما ألبس . وأودى : هلك وتَلِف . والنَّعلان : مثنى نعل، وهو ما وقَيت به الرِّجلَ من الأرض. والسِّربال، بالكسر : القميص، وقيل الدِّرع ، وقيل كل ما لُبس على البَدَن . والباءُ فى قوله(بنعلىَّ) : زائدة فى الفاعل . قال أبو علىّ(فى كتاب الشعر) : يجوز أن تكون الباءُ زائدة ، كأنَّه قال أودى نعلاى ، فلحقت الباءُ كلما لحقت فى : ﴿ كفى بالله[1] ﴾ . فإنْ قلت : فلم لا تجعل الباءَ زائدةً فى المفعول به ، ويكون الفاعل مضمرًا ، كأنَّه قال أودى مُودٍ بنعلىّ ، فتضمِرُه للدَّلالة عليه كما أُضمر فى قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ بَدَا لَهُمْ[2] ﴾؟ فالقول أنَّ هذا أَضعف ، لأنَّه ليس فى مودٍ الذى تضمِرُه زيادةٌ على ما استفدتَه فى قوله أودى ، وليس قوله سبحانه : ثم بدا لهم ، كذلك ، لأَن البَدَا والبداءَ قد صارًا بمنزلة المذهب فى قولك ذُهب به مذهبٌ وسُلك به مسلك . فإن قلت : فلم لا تجعل فاعل أودى ذِكْرًا يعود إلى ما فى قوله : مَهما لى الليلة؟ فإنّ ذلك أيضاً ليس بالقوىّ ، لأَنَّ المعنى يصير كأنّه أوَدَى شىءٌ بنعلىَّ . فإذا جعلت الباءَ لاحقة للفاعل كان أشبه ، ولا تزيد مع الفاعل من الحروف الجارّة غيرَ الباءِ فى قول سيبويه فى الإيجاب ، كما لم تزد فيه غير الباءِ فى المبتدأ . انتهى كَلام أبى على .

٦٣٣ وذهب ابن الحاجب (فى أماليه) إلى أنَّ الباءَ للتعدية . قال : والباءُ

(١) فى آيات متعددة ، أولها الآية ٦ من سورة النساء .

(٢) الآية ٣٥ من يوسف .

باءُ التَّعدية ، يعنى أذهَبَهُما وأَضَلَّهما عنِّى . يقال أذهبته وذهبت به بمعنًى واحد . هذا كلامُه .

واختار ابن‌هشام(فى المغنى) مذهبَ أبى‌على، لكنَّه‌جَعل‌زيادة الباءفى الفاعل مختصًا بالضرورة، تبعاً لابن عُصفور (فى كتاب الضرائر) . ثم نقل كلام ابنِ الحاجب وتعقبَّه بقوله : ولم يتعرَّض لشرح الفاعل ، وعلام يعود إذا قدَّر ضميرًا فى أودى . ويصح أن يكون التقدير : أودى هو ، أى مُودٍ ، أى ذهب ذاهبٌ .

ولا يخفى عليك أنَّ هذا التوجيه قد ردَّه أبو علىٌّ وبيَّنَ ضعفَه .

صاحب الشاهد

وهذا البيت مطلعُ قصيدة لعَمْرو بن مِلْقطِ الطائى ، عدَّتُها اثنا عشر بيتاً ، أوردها أبو زيد وابنُ الأَعرابى (فى نوادرَيْهما) .

أبيات الشاهد

وما بعده على رواية أبى زيد :

(إنَّك قــد يكفيكَ بَغْىَ الفتى ... ودَرْءَهُ أن تَرْكُضَ العــاليه

بطعنـــةٍ يَجـرى لهـا عاندٌ ... كالمـاءِ من غـائلةِ الجـابيَه

يا أوسُ لو نالتـك أرماحُنا ... كنتَ كمن تهـوى به الهاويَه

أُلفِيتَــا عينـاكَ عند القَفـا ... أَولَى فأَولى لك ذا واقِيَــه

ذاك سنــانٌ مُحْلِبٌ نصـرُهُ ... كالجمَلِ الأَوطف بالرَّاويه[1]

يا أَيُّها النـاصر أخـــوالَه ... أَأَنت خَـيرٌ أم بنو جاريه

أَمْ أُختُكم أَفضلُ أَمْ أُختُنـا ... أَم أُختُنـا عن نصرِنا وانيه

والخيل قد تُجشِمُ أَربابها الـ ... ـشِّقَّ وقد تَعْتسِفُ الـدَّاويَه

يـأْبى لى الثَّعلبتــانِ الـذى ... قال ضُـراطُ الأَمة الراعيَـه

(١) فى النوادر : « بالجمل الأوطف » .

ظلَّت بِوادٍ تجتنى صمغــهُ واحتبلت لِقحتَها الآنيه[١]

ثم غــدَت تَنبِــذ أحرادُهــا إنْ مُتغنَّاةً وإنْ حــاديَه[٢])

قوله : « أن تركُضَ العالية » ، فى تأْويل مصدر مرفوع فاعل يكفيك ، أى يقيك[٣] ، وبَغْىَ الفتى مفعوله الثانى ، ودرءَه معطوف على بغى . والبغى : التعدِّى . والدَّرءُ : العِوَج . يقال أَقمت دَرْءَ فلان أى اعوجاجه . وروى بدله : « وشَغْبه » بالسكون ، وهو تهييج الشَّرِّ . والعالية بالعين المهملة : اسم فرس الشاعر ، وهو عَمرو بن ملقط ، كذا قال أبو زيد .

وزعم ابن الأَعرابى أنَّه أَراد عالية الرُّمح ، وغلَّطه أَبو محمد الأَعرابىُّ (فيما كتب على نوادره) .

وقد خاطب الشاعر نفسَه فى هذا البيت. وأَراد بالفتى أَوسَ بن حارثة ابن لَأْم الطائى كما يأْتى .

وقوله : « بطعنة » الخ متعلق بيكفيك . والعاند بالمهملة والنون ، هو العِرق الذى لا يخرج دمُه على جهةٍ واحدة . قاله أَبو زيد . والغائلة بالمعجمة : ما غال من الماءِ وسَرَق . والجابية ، بالجيم : الحوض . كذا قالهما أَبو زيد .

وقوله : « يا أَوس» هو أَوس المذكور ، وهو جاهلى . ورواه ابن الأَعرابى:

---

(١) ط والنوادر : «صمغة » ، صوابه فى ش .

(٢) وكذا فى ط والنوادر . وجعلها الشنقيطى فى نسخته : « جاذية » . والجاذية : التى تقوم على أطراف أصابعها . قال النعمان بن نضلة :

إذا شئت غنتنى دهاقين قرية وصناجة تجذو على حد منسم

لكن شرح البغدادى يقتضى « حاديه » بالحاء والدال المهملتين .

(٣) ش : « أى يكفيك » ، وأثبت ما فى ط .

«ياعمرو» وغلّطه أبو محمد الأعرابي. وتهوِى : تقع من فوق إلى أسفل . والهاوية : المَهْواة .

وقوله : « أُلْفِيَتَا عيناك » إلخ أُلفِيتَا بالبناء للمفعول، أى وُجِدَتا . وهذا على لغةِ أكلونى البراغيث .

وأورده ابنُ هشام (فى المغنى ، وفى شرح الأَلْفِيَّة) على أَنَّ الأَلف فيه علامةٌ لاثنين .

٦٣٤ وكذا أورده ابن الأَعرابىّ ، وقد غلَّطه أَبو محمد الأَعرابى وقال : إنَّما هو: « أَفلِتَتَا عيناكَ عند القفا ». ولم يظهرلى معناه، مع أَنَّه قد وافق أَبا زيد فى الرِّواية .

والعجب من شارحه ابنِ المُلاَّ لقوله هنا : إن هذا البيت لم يسمَّ قائله ، مع أَنَّ هذه القصيدةِ بتمامها فى شواهد العينى فى باب الفاعل ، ولم يتذكَّر ما أَسلفه فى شرح قوله :

* مَهما لىَ الليلةَ مهماليه *

فى حرف الباءِ (من المغنى) من قوله : هذا البيتُ مطلع قصيدة لعمرو بن مِلقطٍ الطائى؛ وسيُورده المصنِّف فى الكلام على مهما . واستشهد ببيتٍ من أَبياتها أَيضًا فى الحرف الهاوى . ويأْتى الكلام عليه هناك . اهـ.

وقال أَيضاً (عند الكلام على متى): تقدَّم الكلام عليه مستوفًى فى الباءِ الموحدة .

وقوله : «أَوْلى لك»، كلمةُ وعيدٍ وتهديد قد شرحها الشارحالمحقِّق فى أَفعال المقاربَة . وقوله : «ذا واقية»، حالٌ من الكاف، وصحَّ مجىءُ الحال من المضاف إليه لكون المضاف جزءًا منه . والواقية : مصدرٌ بمعنى الوقاية

كالكاذبة بمعنى الكذب . يصفه بالهروب، ويقول : أنت ذو وقاية من عينيك عند فِرارك تحترس بهما ، ولكثرة تلفُّتك حينئذٍ صارت عيناك كأنَّهما فى قفاك .

وقوله : « ذاك سنان» إلخ : قال أبو زيد: سنان: اسم رجل. والمُحلِب، بضم الميم وسكون المهملة وكسر اللام : المُعين ، من الإعانة . والأوطف: الكثير شعر الأُذنين وهُدْب العينين . ا ﻫ . والرَّاوِية : البعير ، أو البغل، أو الحمار الذى يُستَقى عليه . ونَصرُه مبتدأ ومُحلبٌ خبره . ووانية من الوَنْى[1] وهو الفتور والإبطاء .

وقوله : « والخيل قد تُجْشِم » إلخ ، الإجشام بالجيم : التكليف ، وفاعله ضمير الخيل، وأربابَها مفعوله الأوَّل. والشَّقّ بفتح الشين وكسرها بمعنى المشقَّة ، مفعوله الثانى . والاعتساف : المشى على غير الطريق المسلوكة ، وفاعله ضمير الخيل . والداويَّة : المفاز، وخفّفت الياءُ للضرورة .

وقوله : « يـأْبى لى الثعلبتان » إلخ يـأْبى من الإباء، أى يَكره. والثَّعلبتان فاعل يـأْبَى . قال صاحب الصحاح : الثعلبتان : ثعلبة بن جُدعان بن ذُهل بن رُومان بنِ جندب بن خارجة بن سعد بن فُطْرة بن طيئ، وثعلبة ابن رُومان بن جندب . وأنشد هذا البيت .

والذى : مفعول يَـأْبى ، وقال صلة الذى ، والعائد محذوف، أى قاله. وضُراط فاعل قال، وأراد به أوْسًا المذكورَ، سَّماه به استهانَةً به وتحقيراً له. وروى: « خُبَاج » بدل ضراط، بضم الخاء المعجمة بعدها موحَّدة ثم جيم ، وهو بمعنى الضُّراط .

وقوله : « ظَلَّت » ، أى استمرت . واللِّقحة بالكسر : الناقة ذات اللَّبن.

---

(١) يقال : ونى يني ونْياً ووَنًى ووَناء ووُنيًّا .

والآنية قال أبو زيد : هى المبطئة بلبَنها. وفسَّرها بعضهم على هامش النوادر بالمُدْرِكة .

وقوله : « تَنبِذ أَحرادها » إلخ. تنبذ: تطرح، وفاعله ضمير الأَمة . والأَحراد : جمع حَرَد بفتح المهملتين ، قال أَبو زيد : هو الغيظ والغضب. ورواه ابنُ الأَعرابىِّ: « ثم غَدت تنبِض أَحرادُها »، وقال: تنبض تضطرب . أَحرادُها : أَمعاؤها . قال أَبو محمد الأَعرابى : الصواب « ثم غدت تنبذ أَحرادُها » أَى تضرط ، يدلُّك على هذا قوله سابقًا : ضُراط الأَمة الرَّاعية . ا هـ . وروى العينى : « تحرد أَحرادُها » وما أَدرى من أَين نقلها .

وقوله : « إن مُتغنَّاة» إلخ ، قال أَبو الحسن فى شرحه : أَراد متغنِّية يقلبون الياءَ أَلفاً . وحادية من حُداء الإبل ، وهو سَوْقها بالغناء . وإن هنا للتقسيم بمعنى إمَّا المكسورة. قال ابن هشام (فى المغنى) : إمَّا المكسورة المشدَّدة مركبة عند سيبويه من إنْ وما . وقد تحذف ما ، كقوله : ٦٣٥

سَقتهُ الرَّواعدُ مِن صيِّفٍ   وإنْ مِنْ خريف فلن يَعْدَما[1]

أَى إمَّا من خريف وإمَّا من صيِّف . ويدلُّ لما قلناه رواية الْجرْمى وأَبِى حاتم :

* إمَّا مُغنَّاةٌ وإن حاديه *

وعمرو بن مِلقطٍ الطائىُّ شاعرٌ جاهلىٌّ . ومِلقط بكسر الميم وسكونِ اللام وفتح القاف . ا هـ . والله أَعلم . عمرو بن ملقط

* * *

(١) للنمر بن تولب . وهو الشاهد الحادى بعد التسعمائة .

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الخامس والثمانون بعد السمائة[١] :

٦٨٥ (ومَهْما وكَلْتَ إليه كَفاه)

على أنَّ (مهما) اسمٌ ، بدليل رجوع الضمير إليه ، وهو الهاءُ من كفَاه ، والضمير لا يرجع إلاَّ إلى الاسم ، وأمَّا الضمير فى إليه فراجعٌ إلى الممدوح.

كذا استدلَّ به ابن يعيش (فى شرح الكافية). وكذا الضمير فى به راجع إلى مهما فى الآية[٢] .

وقال الزمخشرى وغيره : عاد عليها ضمير به وضمير بها ، حملاً على اللفظ وعلى المعنى .

قال ابن هشام (فى المغنى) : والأَوْلى أن يعُود ضمير بها لِآيةٍ . وفيه أَنَّ عَوْدَ الضمير إلى المبيَّن أَولى من عوده إلى البيان[٣] . وزعم السُّهيلى أَنَّ مهما تأْتى حرفًا بدليل قول زهير :

ومَهما تكن عنــد امرىءٍ من خليقــةٍ
وإنْ خالهــا تَخْفَى على النَّــاس تُعْلَمِ

قال : هى هنا حرفٌ بمنزلة إن ، بدليل أَنَّها لا محل لها. وتبعَه ابن يَسَعُون واستدلَّ بقوله :

قــد أُوبيَتْ كــلَّ ماءٍ فهى ضــاويَةٌ
مهمَــا تُصِبْ أُفقًا من بارقٍ تَشِمِ[٤]

---

(١) ابن يعيش ٧ : ٤٣ وديوان الهذليين ٢ : ٣٠ .
(٢) الآية ١٣٢ من سورة الأعراف : « مهما تأْتنا به من آية لتسحرنا بها » .
(٣) المغنى ٣٣١ .
(٤) لساعدة بن جؤبة فى ديوان الهذليين ١ : ١٩٨ واللسان (أبى ٤) .

قال : إذْ لا تكون مَبتَدأً لعدم رابطٍ من الخبر[1] وهو فعل الشرط ، ولا مفعولاً لاستيفاء فعل الشرط مفعولَه . ولا سبيل إلى غيرهِما ، فتعيَّن أَنَّها لا موضع لها .

قال ابن هشام : والجواب أَنَّها فى الأَوَّل إمّا خبر تكن ، وخليقة اسمها ، ومن زائدة ، لأَنَّ الشرط غير موجَب عند أَبى على ، وإمَّا مبتدأٌ واسم تكن ضمير راجعٌ إليها والظرف خبر ، وأَنَّث ضميرها لأَنَّها الخليقة فى المعنى ، ومن خليقة تفسيرٌ للضَّمير ، كقوله :

* لِمَا نسجَتْها من جنوبٍ وشمْأَلِ[2] *

وفى الثانى مفعول تُصب وأُفقًا ظرف ، ومن بارق تفسيرٌ لمهما ، أَو متعلِّق بتُصِب ، فمعناها التبعيض ، والمعنى : أَىَّ شىءٍ تصبْ فى أُفقٍ من البوارق تَشِمْ .

وقول الشارح المحقِّق : إنَّ مهما تأْتى ظرف زمان إلخ ، هو فى هذا تابعٌ لابن مالك ، زعم أَنَّ النحويِّينَ أَهملوا هذا المعنى . وأَنشَدَ لحاتم :

وإنَّك مهما تُعطِ بطنَك سُــؤْلَه وفَرجَكَ نالَا منتهى الذَّمِّ أَجمَعَا[3]

وأَبياتاً أُخر . قال ابن هشام : ولادليل فى ذلك ، لجواز كونها للمصدر بمعنى أَى إعطاءً كثيراً أَو قليلاً .

وابن مالك مسبوقٌ بهذا القول . وشدَّد الزمخشرى الإنكار على من قال بها فقال : هذه الكلمة فى عداد الكلمات التى يحرِّفها من لاَ يَدَ له فى

---

(١) الذى فى المغنى : « لعدم الرابط من الخبر » .

(٢) لامرئ القيس فى معلقته . وصدره :

* فتوضح فالمقراة لم يعف رسمها *

(٣) ديوان حاتم ١١٤ والهمع ٢ : ٥٧ والأشمونى ٤ : ١٢ .

علم العربية ، فيضعها فى غير موضعها ، ويظنُّها بمعنى متى ، ويقول : مهما جئتنى أعطيتك . وهذا مِنْ وضعه ، وليس من كلام واضع العربية ، ثم يذهب فيفسِّر بها الآية ، فيُلحد فى آيات الله تعالى .

قال ابن هشام : والقول بذلك فى الآية ممتنع ، لتفسيرها بمن آية ، وإنْ صحَّ ثبوته فى غيرها كما ذهب بعضهم فى : مهما تُصِبْ أفقاً البيت السابق ، قال : مهما فيه ظرف زمان ، والمعنى أىَّ وقت تُصِبْ بارقاً من أُفق ، فقلب الكلام . أوفى أُفقٍ بارقاً ، فزاد مِنْ واستعمل أُفقًا ظرفاً . ٦٣٦

والمصراعُ الشاهد وقع فى شعر شاعرين أحدهما المتنخِّل الهُذَلى ، وهو عجز ، وصدره :

(إذا سُدتَه سُدتَ مِطواعةً)

والآخَر : ذو الإصبع العَدْوانى ، وصدره :

(فإنْ سُسْتَه سُسْت مِطواعةً)

وتقدَّم شعرهما مشروحاً فى الشاهد السادس والسبعين بعد المائتين[(١)]

وقوله :« إذا سُدته » هو من المساوَدَة التى هى المسارَّة ، والسِّواد كالسِّرار بكسرهما لفظاً ومعنى . قال : إذا سارَرْته طاوعك وساعدك . وقال قوم : هو من السِّيادة فكأنه قال : إذا كنت فوقه سيِّدًا له أَطاعَك ولم يحسُدْك ، وإن وَكَلْتَ إليه وفوَّضْتَه شيئًا كفاك . والمطواع : الكثير الطَّوع والانقياد ، والتاءُ لتأكيد المبالغة . وقوله فى الرِّواية الأُخرى : « إذا سُسْتَهُ » هو من سُسْت الرَّاعيَة[(٢)] سِياسة ، إذَا دبَّرتَهم وقمتَ بأَمرهم . ووكلت[(٣)] إليه الأَمر وَكلا من باب وَعد ، ووُكولاً : فوَّضته إليه واكتفيت به .

* * *

(١) الخزانة ٤ : ١٤٦ - ١٥٢ .
(٢) بمعنى الدواب التى ترعى . وفى ط : « الرعية » .
(٣) ط : « ووكل » ، وأثبت ما فى ش .

وأنشد بعده ، وهو الشاهد السادس والثمانون بعد السَّمائة ، وهو من شواهد س[1] :

٦٨٦ (إذْما دَخَلْتَ على الرَّسولِ فقُلْ له
حَقًّا عليكَ إذا اطمَأَنَّ المجلسُ)

على أنَّ سيبويه استشهَد به لإِذْما .

وهذا نصُّ سيبويه فى باب الجزاء: فمِمَّا يجازى به من الأَسماءِ غيرِ الظُّروف : مَنْ وما وأَيُّهم . وما يجازَى به[2] من الظُّروف: أىَّ حينٍ[3] ومتى ، وأين ، وأنَّى ، وحَيثُما . ومن غَيرِهِما : إنْ وإذْما . ولا يكون الجزاءُ فى حيثُ ولا فى إذْ حتَّى يضمَّ إلى كلٍّ واحدةٍ منهما ما ، فيصير إذْ مع ما بمنزلة إنَّما وكأنَّما ، وليست ما فيهما بلَغْوٍ ، ولكنَّ كلَّ واحدة منهما مع ما بمنزلة حرفٍ واحد . فممَّا[4] كان من الجزاءِ بإذْما قولُ العبَّاس بن مِرداس :

إذْما أَتيتَ على الرسول فقُلْ له البيت .

وقال الآخر ، وهو عبد الله بن همَّام السَّلولى :

إذْما تَرَيْنى اليوم مُزْجًى ظعينتى البيت الآتى

سمعناهُما ممَّن يرويهما عن العرب ، والمعنى إمَّا . ا هـ .

---

(١) فى كتابه ١ : ٤٣٢ . وانظر المقتضب ٢ : ٤٧ والكامل ١٦٤ والجمل ٢٢٢ والخصائص ١ : ١٣١ والمحتسب ٢ : ٨٤ وابن يعيش ٤ : ٩٧ / ٧ : ٤٦ ورصف المبانى ٦٠ .
(٢) ش : « ومما يجازى به » . وفى سيبويه : « ما يجازى به » ، فى هذا الموضع وسابقه .
(٣) ط : « حين » فقط ، صوابه فى ش وسيبويه .
(٤) ط : « فا » ، وأثبت ما فى ش وسيبويه .

قال ابن يعيش: إن قيل: إذْ ظرفُ زمانٍ ماضٍ ، والشرط لا يكون إلاَّ بالمستقبل ، فكيف يصحُّ المجازاةُ بها ؟ فالجواب[1] من وجهين : أحدهما أَنَّ إذْ هذه التي تستعمل فى الجزاء مع ما ، ليست الظرفيَّة ، وإنَّما هى حرف غيرها ضُمَّت إليها ما، فركِّبا دلالةً على هذا المعنى كإمَّا[2]. والثانى : أَنَّها الظرفيَّة ، إلَّا أَنَّها بالتركيبِ غُيِّرت ونُقلت ، وغيِّرت عن معناها بلزوم ما إيَّاها إلى المستقبَل ، وخرجت بذلك إلى حيِّز الحروف. ولذلك قال سيبويه : ولا يكون الجزاءُ فى حيثُ ولا فى إذْ[3] حتَّى يضمَّ إلى كلٍّ واحدةٍ منهما ما ، إلخ . ا هـ .

ورواه أَهل السِّيرَ ، منهم ابن هشام[4] :

* إمَّا أَتيت على النبيِّ فقُل له *

وعليه لا شاهد فيه ، وأَصله إنْ ما ، وهى إن الشرطية وما الزائدة .

صاحب الشاهد

والبيت من قصيدةٍ للعباس بن مرداس الصَّحابى ، قالها فى غزوة حُنين يخاطب بِها النبيَّ صلى الله عليه وسلم ، ويذكر بلاءَه وإقدامَه مع قومه فى تلك الغَزْوة وغيرِها من الغَزَوات ، وعدَّتها ستَّةَ عشرَ بيتًا ، وأَولها :

أبيات الشاهد

(يأَيُّها الرَّجــلُ الذى تَهْوِى به ... وَجْناءُ مُجمَرةُ المناسم عِــرمِسُ
إمَّا أَتيت على النبيِّ فقــل له ... حَقًّا عليك إذا اطمــأَنَّ المجلسُ
ياخيرَ مَنْ ركِبَ المطىَّ ومَن مشَى ... فوقَ التُّراب إذا تُعَدّ الأَنْفُسُ
إنَّا وفَيْنــا بالذى عاهدتَنــا ... والخيلُ تُقْدَع بالكُماة وتُضْرَسُ)

٦٣٧

(١) فى النسختين : « والجواب » . والوجه ما أثبت من ابن يعيش ٧ : ٤٧ .
(٢) فى ابن يعيش : « كإنما » .
(٣) ط فقط : « إذا » تحريف ، صوابه فى ش وسيبويه وابن يعيش .
(٤) سيرة ابن هشام ٨٦٣ . وانظر أيضاً البداية والنهاية لابن كثير ٤ : ٣٤٣ .

قوله : « يأَيُّها الرجل » إلخ تهوِى بكسر الواو : تُسرع . والوَجْناءُ : الناقة الغليظة الوَجَنات ، قال السُّهيلىُّ (فى الروض الأُنف) : وجْناءُ : غليظةُ الوجَنَات بارزتُها ، وذلك يدلُّ على غُؤور عينها ، وهم يصفون الإبل بغُؤور العينين عند طول الأَسفار . ويقال من الوَجْنة فى الآدميِّين: رجلٌ موجَّن وامرأة موجَّنة ، ولا يقال وجناء . قاله يعقوب . ومُجمَرة بالجيم : اسم مفعول من أجمَرَ البعيرُ ، إذا أَسرَعَ فى سيره . والمناسم : جمع مَنسِم كمجلس ، وهو مقدَّم طرفِ خُفِّ البعير . قَال السُّهيلى : مُجْمَرة المناسم ، أى نَكَبتْ مناسمَها الجمار ، وهى الحجارة . وقد يريدُ أَيضاً أَنَّ مناسمها مجتمعة منضمَّة ، فذلك أَقوى لها . وقد حُكى : أَجمرت المرأَةُ شعرَها ، إذا ضَفرته. وأَجمر الأَميرُ الجيشَ، أَى حبَسَه عن القُفول . والعِرمِس ، بكسر العين وسكون الراء المهملتين وكسر الميم ، قال السُّهيلىُّ : هى الصخرة الصُّلبة ، ويشبَّه بها[1] الناقة الجَلْدة .

وقوله : (إذْما دخلْتَ) إلخ جملةُ « دخلتَ » وجملة « أَتيتَ » فى الرواية الأُخرى فى محلّ جزمٍ شرطٌ لإذما أَو لإمَّا ، وجملة فقل كذلك جوابُ إذما وجزاؤه . وأَراد بالرَّسول والنبيِّ نبيَّنا محمدًا صلى الله عليه وسلم . وقوله : (حقًّا عليك) قال اللخمى : قيل إنَّه منصوب بقُل ، والصواب أَن يكون منصوباً على المصدر المؤكَّد به ، أَو نعتًا لمصدر محذوف ، لأَنَّ المقول ما بعد البيت ، وهو « يا خَيْرَ من ركب المطىَّ » إلخ. وعليك متعلِّق بحقًّا . وإذا ظرفٌ لقُلْ . واطمأَنَّ : سكَن . والمجلس ،

---

(١) فى الروض الأنف ٢ : ٢٩٨ : « وتشبه بها » .

قيل يريد أهلَ المجلسِ فحذف المضاف . وحكى أبو عليٍّ البغداديُّ[(١)] أنَّ المجلسَ النَّاسُ . وأنشد :

ذهب الخيارُ من المعاشِرِ كلُّهمْ واستَبَّ بعدكَ يا كليبُ المجلسُ[(٢)]

ويجوز أن يكون المعنى : إذا اطمأنَّ جلوسك .

وقوله : « يا خيرَ من» إلخ ، هذا مقول القول . وقد تعسَّف بعضُ أفاضل العجم (فى شرح أبيات المفصَّل) بقوله : يا خير من ركب بيانٌ لقوله حقًّا أو بدل منه . ويجوز أن يكون واقعاً موقعَ القسم، تأكيداً للأمر، والمعنى : قل له قولاً حقًّا صدقاً واجبًا عليك ، أو قل له واللهِ يا خير الراكبين . هذا كلامه .

والمطىّ : جمع مطيَّة : البعير، لأنه يُركَب مَطاهأى ظهره . وقوله : « ومن مشى » هو معطوف على من ركب، أى ويا خير من مشى . وقوله : « إذا تُعَدُّ الأَنفس » إذا متعلِّقة بخير ، أى أنت خير الناس إذا عُدُّوا نَفْساً نفساً ، أى واحداً واحداً . ورواه ابن المستوفى (فى شرح أبيات المفصل) : « إذا يُعدُّ الأَنْفَسُ » بالمثناة من تحت . وقال : الأَنفس بفتح الفاء ، على أنه أفعل تفضيل من النَّفاسة .

وقوله : « إنَّا وفَيْنا » إلخ هذا جواب النداء . وقوله : « والخيلُ تُقدَع» إلخ بالبناء للمفعول أى تُكَفُّ . وقيل تُقدع بمعنى تُضرب بالمِقْدَعة[(٣)] وهى العَصا . والكُماة : جمع كمىٍّ، وهو الشُّجاع . وتُضْرَس بالبناء للمفعول أيضاً أىْ تُخرَج . وقال السُّهيلىُّ : أى تُضرَب أضراسُها باللُّجُم ، تقول : ضرْستُه أى ضربتُ أضراسه ، كما تقول : رأستُه ، أصبتُ رأسه .

(١) يعنى أبا على القالى فى أماليه ١ : ٩٥ .

(٢) البيت لمهلهل ، كما فى الأمالى . وانظر نوادر أبى زيد ٢٩ ومجالس ثعلب ٤٦ ، ٥٦٢ وابن الشجرى ١ : ٥٢ ، ١٨٤ ، ٣٢٤ .

(٣) ط : « بالقدعة » ، صوابه فى ش .

٦٣٨ والعباس بن مرداس السُّلَمى ، من بنى سُلَيم بضم السين : صحابىٌّ رضى الله عنه . وقد تقدَّمت ترجمته فى الشاهد السابع عشر من أوائل الكتاب[١] .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد السابع والثمانون بعد السمائة ، وهو من شواهد سيبويه[٢] :

٦٨٧ (إذْما تريْنِى اليومَ أُزجِى ظَعِينَتِى أُصعِّدُ سيراً فى البلاد وأُفْرِعُ)

لما تقدَّم قبله . فترينى مجزوم بإذما بحَذْف النون ، والأَصل تريننى ، فحذِفت الأُولى للجزم ، والثانية نون الوقاية ، والياءُ ضمير المتكلم وجزاءُ الشرط هو الثانى .

وقد أنشدهما سيبويه معاً ، فكان ينبغى للشارح المحقق إنشادُهما كذلك ، وهو :

(فإنِّىَ من قومٍ سِواكُمْ وإنَّما رجالىَ فَهُمْ بالحجــاز وأَشْجَعُ)

فجملة إنِّى من قوم سواكم فى محل جزم جزاءُ الشرط ، والفاءُ للربط.

صاحب الشاهد والبيتان لعبد الله بن هَمَّام السَّلولى .

والإزجاءُ : السَّوق ، بالزاءِ المعجمة والجيم . يقال أزجيت الإبل، إذا سقْتَها . وظعينتى مفعول أُزجِى . و (الظعينة): المرأة ما دامت فى الْهَوْدج . وروى بدله : « مطيتى » . والمطيَّة : البعير .

وزعم بعض فضلاءِ العجم (فى شرح أبيات المفصل) أَنَّ ظعينتى منادًى ، ومفعول أُزجى محذوف تقديره : ركائبى .

(١) الخزانة ١ : ١٥٢ .

(٢) سيبويه ١ : ٤٣٢ والأصول لابن السراج ٢ : ١٦٥ والأزهية ٩٨ وابن الشجرى ٢ : ٢٤٥ وابن يعيش ٧ / ٣٧ ، ٩ : ٦ .

وروى سيبويه : « مزجًى ظعينتى » بصيغة اسم المفعول ، فيكون ظعينتى نائبَ الفاعل ، وذكَّر مُزْجًى والأَصل مزجاة بالهاء ، قاله ابن المستوفى .

وجملة أُزجى حالٌ من الياء من تَرَينى لا مفعولٌ ثانٍ لترى ، لأَنَّها هنا بصريَّة . وكذلك مزجًى حال .

وجملة أُصعِّد وأُفرِعُ تفسيرٌ لأُزجى وبيانٌ له . وقال ابن المستوفى : أُصعِّد موضعه النصب على الحال ، ولو جُعل بدلاً من مُزجًى على رواية من روى مطيَّتى ، جاز ؛ لأَنَّ معنى يُزْجِى مطيَّته معنى يصعِّد فى البلاد ويُفْرع . قال صاحب الصحاح : وأَصعَد فى الوادى وصَعَّد فى الوادى تصعيدًا ، أَى انحدر فيه . وأَنشد هذا البيت ، فيكون أَفْرِع بفتح الهمزة مقابلاً له . قال صاحب الصحاح : وفرعت الجبل : صَعِدته ، وأَفرعت فى الجبل : انحدرت. قال رجلٌ من العرب : لقيت فلاناً فارعاً مُفرعاً ، يقول : أَحدنا مُصعِدٌ والآخر منحدر . وسيرًا : مصدر فى موضع الحال . وأَنشد الزمخشرى (فى المفصَّل) المصراعَ الأَوَّل كذا : « فإِمَّا ترينى اليومَ » على أَنَّ ما تزاد بعد إِنْ للتأْكيد .

وقوله : « فإِنِّىَ من قومٍ سواكم » .

فإِن قيل : كيف قال سواكم ، وهو يخاطب امرأَة ؟ فالجواب أَنَّه للتعظيم ، وربَّما خوطبت المرأَةُ الواحدة بخطابِ جماعةِ الذُّكور مبالغةً فى سَتْرها ، فيُعدَل عن الإِفرادِ والتأْنيث إِلى الجمع والتذكير ، فيبعد عن الضَّمير لها بمرتبتين . ومنه قوله تعالى حكايةً عن موسى : ﴿ فقالَ لأَهلِهِ امْكُثُوا[1] ﴾ . وقال عُمر بن أَبى ربيعة مخاطبًا لامرأَة :

---

(١) الآية ١٠ من سورة طه .

كم قد ذكرتكِ لو أُجزَى بذكرِكُمُ
يا أشبَه النَّاسِ كلِّ النَّاسِ بالقَمَرِ [١]

وفَهْم بالميم لا بالراء ، وأشجع : قبيلتان . قال الأعلم [٢] : انتمى الشاعر فى النَّسب إلى فَهْمٍ وأشجع ، وهو من سَلول بن عامر ، لأنَّهم كلَّهم من قيسِ عَيلان بن مضر .

وقائل هذين البيتين كما قال سيبويه وغيره : عبدُ الله بن همَّام السَّلولى .

٦٣٩ وهذا نسبُه (من الجمهرة) : عبد الله بن همَّامٍ بتشديد الميم ، ابنِ نُبَيشة بضم النون ، ابنِ رِياح بكسر الراء بعدها مثناة تحتية ، ابنِ مالك ابنِ الهُجَيم بالتصغير ، ابنِ حَوْزة بالحاء المهملة ، ابنِ عمير بنِ مرَّة بنِ صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن .

وكان يقال لعبد الله من حُسن شعره : « العَطَّار » .

وسَلول هى بنت ذُهْل بن شيبان بن ثعلبة ، كانت امرأة مُرَّةَ بنِ صعصعة ، وأولادها منه ينسبون إليها .

عبد الله بن همام وعبد الله بن همام شاعر إسلامىٌّ من التابعين . قال ابن قتيبة (فى كتاب الشعراء) : هو من بنى مُرّة بن صعصعة من قيس عيلان . وبنو مُرَّة يعرفون ببنى سَلولَ ، وهى أُمُّهم ، وهى بنت ذُهْل بن شيبان من ثعلبة ، وهم رهط أبى مريم السَّلولى ، وكانت له صحبة [٣] . وعبد الله هو القائل فى عَريفِهم :

---

(١) ديوان عمر ١١٦ . ونسب فى العينى ٤ : ٨٨ إلى كثير . انظر ديوانه ٥٣١ .
(٢) ش : « قال الشاعر » ، تحريف . وانظر الشنتمرى ١ : ٤٣٢ .
(٣) واسمه مالك بن ربيعة ، وهو مشهور بكنيته . الإصابة ٧٦٢٥ .

ولمّـــا خشيتُ أظـافيره نجـوتُ وأرهنْتُه مالكا[١]

عَرِيفًا مقيمًا بدار الهـــوا نِ أهونْ عليَّ به هالكا[٢]

وهو القائل فى الفُلافِس[٣] :

أَقِلِّى علىَّ اللّــوْمَ يا ابنةَ مالكٍ[٤] وذُمِّى زمانًا ساد فيه الفُـلافِسُ

وســاعٍ من السلطان ليس بناصح ومحترس من مثلهِ وهو حارسُ[٥]

وكان الفُلافس هذا على شُرطة الكوفة ، من قبل الحــارث بن عبد الله بنِ أبي ربيعة المخزومى ، أخى عمر بن أبى ربيعة . وخرج الفُلافس مع ابنِ الأشعث فقتله الحجَّاج .

وعبد الله هو القائل ليزيدَ بنِ معاوية[٦] :

اصبرْ يزيد فقـد فارقتَ ذا مِقَـةٍ

واشـكرْ حِباءَ الذى بالملك ردَّاكا[٧]

---

(١) أنشدهما فى اللسان (رهن) وبعدهما بيتان ، هما :

وأحضرت عذرى عليه الشهـو د إن عاذرا لى وإن تاركا

وقد شهد الناس عنـد الإما م أنى عدو لأعدائكا

وفى اللسان وإصلاح المنطق ٢٣١ ، ٢٤٩ .

فلمـا خشـيت أظافيرهم نجـوت وأرهنتهم مـالكا

(٢) فى اللسان : « غريباً » .

(٣) فى الحيوان ١ : ٢١٦ وعيون الأخبار ١ : ٥٧ أن الفلافس هذا كان على شرطة الكوفة من قبل الحارث بن عبد الله بن أبى ربيعة المخزومى ، أخى عمر بن عبد الله بن أبى ربيعة ، كما سيأتى . وفى ش : « الفلاقس » ، تحريف .

(٤) فى المحاسن والمساوى للبيهق ١ : ٢٦٦ : « ياأم مالك » .

(٥) فى الحيوان وعيون الأخبار والشعراء : « وساع مع السلطان » . وفى المحاسن والمساوى للبيهق : « كساع إلى السلطان » ، مع نسبة البيتين إلى البر دخت الشاعر .

(٦) يعزيه عن أبيه معاوية . الشعراء ٦٥٢ والكامل ٧٨٥ .

(٧) فى الكامل : « ذا ثقة » . والمقة : المحبة ، ومقه يمقه . وفى الكامل أيضاً : « واشكر بلاء الذى بالملك أصفاكا » . وكذا نجد بقية الأبيات برواية أخرى فى الكامل .

لا رُزْءَ أعظَمُ بالأقوام قد علموا
ممَّا رُزِئْتَ ولا عُقبَى كعُقباكا
أصبحتَ راعىَ أهلِ الدِّين كُلِّهمُ
فأنت ترعاهُمو والله يَرْعَاكا
وفى معاويةَ الباقِى لنا خَلَفٌ
إذا نُعِيتَ ولا نسمَعْ بمنعاكا

* * *

وأنشد بعده :

(كبيرُ أُناسٍ فى بِجادٍ مُزَمَّلِ)

على أن قوله (مزمَّل) جُرَّ لمجاورته المجرور ، وهو أُناس ، أو بجاد ، ولولاه لرُفع ، لأنَّه صفة لقوله كبير .

وقد تقدَّم شرحه مفصَّلاً مستوفًى فى الشاهد الخمسين بعد الثلثمائة[1] وهو عجزٌ ، وصدره :

(كأَنَّ أبانًا فى عرانينِ وَبْلِه)

والبيت من معلَّقة امرئ القيس .

* * *

وأنشد بعده :

(فَمتَى واغلٌ يَنُبْهم يُحيُّو ... هُ وتُعطَفْ عليه كأْسُ السَّاق)

على أنَّه فصل اضطرارًا بين متى ومجزومه فعلِ الشرط بواغل ، فواغل فاعلُ فعلٍ محذوف يفسِّره المذكور ، أى متى يَنُبْهم واغل يَنُبْهم .

والواغل : الذى يدخل على مَنْ يشرب الخمر ولم يُدْعَ إليها ، وهو فى الشَّراب بمنزلة الوارش فى الطَّعام ، وهو الطُّفيلىّ .

(١) الخزانة ٥ : ٩٨ .

وقد تقدَّم الكلام على هذا البيت فى الشاهد الحادى والستين بعد المائة[1] .

* * *

وأنشد بعده :

(أينما الرِّيح تُميِّلها تَمِلْ)

لما تقدَّم قبله ، فتكون الريحُ فاعلةً لفعل محذوف يفسِّره المذكور ، أى أينما تميِّلها الريح تميِّلها .

وقد تقدم الكلام على هذا البيت أيضاً فى الشاهد الثانى والستين بعد المائة[2] . وهو عجز وصدره :

(صعدة نابتة فى حائرٍ)

* * *

٦٤٠ وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثامن والثمانون بعد الستمائة[3] وهو من شواهد سيبويه :

٦٨٨ (ومَنْ نحن نؤمِنْه يبِتْ وَهْوَ آمِنٌ)

لما تقدَّم قبله ، فنحن فاعل لفعل محذوف يفسِّره المذكور ، فلمَّا حُذف الفعل برز الضمير وانفصل ، والتقدير : فمن نؤمنه نؤمِنْه .

قال سيبويه (فى باب الحروف التى لا تقدُم فيها الأسماءُ الفِعل) : اعلم أنّ حروف الجزاء يقبح أن تتقدَّم الأسماءُ فيها قبل الأفعال ، وذلك أنّهم شبهوها بما يَجزِم ممَّا ذكرنا ، إلَّا حروف الجزاء ، قد جاز ذلك فيها

(١) الخزانة ٣ : ٤٦ — ٤٧ .
(٢) الخزانة ٣ : ٤٧ — ٥١ .
(٣) فى كتابه ١ : ٤٥٨ . وانظر المقتضب ٢ : ٦٥ والإنصاف ٦١٩ والمغنى ٤٠٣ والهمع ٢ : ٥٩ .

فى الشِّعر ، لأَنَّ حروف الجزاء يدخلها فعَل ويفعُل ، ويكون فيها الاستفهام فيُرفع فيها الأَسماءُ ، وتكون بمنزلة الذى ، فلما كانت تَصرَّفُ هذا التصرُّفَ وتُفارقُ الجزم ، ضارعت ما يجرُّ من الأَسماء التى إن شئْتَ استعملتَها غير مضافةٍ ، نحو ضاربٌ عبدَ الله ، فلذلك لم تكن مثل لم ولا فى النهى ، واللام فى الأَمر ، لأَنَّهنَّ لا يفارقْن الجزم . ويجوز فى الكلام فى (إن) إذا لم تجزْم فى اللفظ ، نحو قوله :

* عاوِدْ هَرَاةَ وإنْ معمورُها خَربا[1] *

فإن جزمت ففى الشعر ، لأَنَّه يشبَّه بلم. وإنَّما جاز فى الفصل ولم يشبه لأَنَّ (لم) لا يقع بعدها فَعَلَ. وإنَّماجاز هذا فى إنْ لأَنَّها أَصل الجزاء ، ولا تفارقُه ، فجاز هذا كما جاز إضمار الفعل فيها حين قالوا : إنْ خيرًا فخيرٌ وإنْ شرًّا فشر . وأَمَّا سائر حروف الجزاء فهذا فيه ضعْف فى الكلام ، لأَنَّها ليست كإن، فلو جاء[2] فى إن وقد جزمَتْ كان أقوى ، إذ جاز فيها فَعَل. وممَّا جاء فى الشعر مجزومًا فى غير إن قولُ عدىٍّ بن زيد :

فمتى واغلٌ ينُبْهم يحيُّو ... هُ . . . البيت

وقال :

* أينَما الرِّيحُ تميِّلْها تمِلْ[3] *

ولو كانت فَعَل كان أقوى ، إذْ كان ذلك جائزاً فى إن فى الكلام. واعلم أَنَّ قولهم فى الشعر : إنْ زيدٌ يـأْتِكَ يكن كذا ، إنَّما ارتفع على فعلٍ

---

(١) لشاعر من أهل هراة ، قاله عند ما افتتحها عبد الله بن خازم سنة ٦٦ . انظر ما كتبت فى حواشى سيبويه ٣ : ١١٣. وعجزه :

* وأسعد اليوم مشغوفاً إذا طربا *

(٢) فى سيبويه : « فلو جاز » .

(٣) لكعب بن جعيل ، كما فى سيبويه ١ : ٤٥٨ . وصدره :

* صعـــدة نابتـــة فى حائر *

هـــذا تفسيرُه ، كما كان ذلك فى قولك : إنْ زيدًا رأيته[١] يكن ذلك ، لأنَّها لا يبتدأُ بعدها الأسماءُ ثم يبنى عليها . فإن قلت: إن تأْتنى زيدٌ يقل ذلك، جاز على قول من قال: زيداً ضربته. وهذا موضع ابتداءٍ. ألا ترى أنَّك لو جئت بالفاء فقلت: إنْ تأْتنى فأَنا خيرٌ لك ، كان حسناً . وإن لم تجعله على ذلك[٢] رُفع وجاز فى الشعر ، كقوله :

* الله يشكرها[٣] *

ومثل الأوَّل قول هِشامٍ المُرِّىّ :

(فمن نحنُ نؤمِنْه يبتْ وهو آمنٌ ومن لانُجِرْهُ يُمْسِ منَّـا مفزَّعا)

انتهى كلامُ سيبويه ، ولنفاسته سُقناه بتمامه .

وقد أورد ابن هشام هذا البيت (فى المغنى) قال: قولنا الجملة المفسِّرة لا محلَّ لها ، خالف فيه الشَّلوبين ، فزعم أنَّها بحَسَب ما تفسِّره ، فهى فى نحو: زيدًا ضربته لا محلَّ لها، وفى نحو:﴿ إنَّا كلَّ شىْءٍ خَلقْناهُ بقَدرٍ[٤] ﴾ ونحو زيدٌ الخبزَ يأْكله ،بنصب الخبز، فى محلّ رفع. ولهذا يظهر الرفع إذا قلت آكِلُه . قال :

* فمن نحن نؤمِنْه يبتْ وهو آمنٌ *

فظهر الجزمُ . وكانت الجملة المفسِّرة عنده عطفَ بيان أو بدلاً. ٦٤١

(١) فى النسختين : « إن زيد رأيته » ، وأثبت ما فى سيبويه :

(٢) فى سيبويه : « وإن لم يحمله على ذلك » .

(٣) قطعة من بيت هو الشاهد ٦٩١ ص ٤٩ . وتمامه .

من يفعل الحسنات الله يشكرها والشر بالشر عند الله مثلان

(٤) الآية ٤٩ من سورة القمر .

ولم يُثبت الجمهورُ وقوع البيان والبدل جملةً . وقد بيَّنت[1] أنَّ جملة الاشتغال ليست من الجمل التى تسمَّى فى الاصطلاح جملةً مفسِّرة وإنْ حصل فيها تفسير .

ولم يثبتْ جوازُ حذف المعطوف عليه عطفُ البيان ، واختُلِف فى المبدل منه .

(وفى البغداديات) لأَبى علىّ أنَّ الجزم فى ذلك بأَداة شرط مقدَّرة فإنَّه قال ما ملخَّصه أنَّ الفعل المحذوف والفعل المذكور فى نحو قوله :

* لا تجزعى إنْ منفسًا أهلكته[2] *

مجزومان فى التقدير، وأنَّ انجزام الثانى ليس على البدَليَّة ، إذ لم يثبت حذف المبدل منه ، بل على تكرير إنْ، أى إن أهلكتُ منفسًا إن أَهلكته ، وساغ إضمار إنْ لاتِّساعهم فيها . ا هـ .

والبيت لهشامٍ المرّى كما قاله سيبويه[3] وغيره ، وهو منسوبٌ إلى مُرّة بن كعب بن لؤىٍّ القرشىٍّ ، وهو شاعر جاهلى .

صاحب الشاهد

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد التاسع والثمانون بعد الستمائة[4] :

٦٨٩ (يُثنِى عليكَ وأنتَ أهلُ ثنائِهِ ولديك إنْ هو يستزدْكَ مَزيدُ)

على أنَّ مجىء الشرط المفصول باسمٍ من أداة الشرط مضارعًا شاذٌّ ، وحقه أن يكون ماضيًا ، سواءٌ كان لفظًا ومعنى ، نحو : إن زيد قام قمت ، أو معنًى فقط نحو قوله[5] :

(١) ش : « وقد ثبت » ، وما أثبت من ط يطابق ما فى المغنى .
(٢) للنمر بن تولب فى سيبويه ١ : ٦٧ والمقتضب ٢ : ٧٦ والخزانة ١ : ١٥٢، ٤٥٠/٤ : ٤١٠
(٣) ش : « كما قال سيبويه » .
(٤) الهمع ٢ : ٥٩ والأشمونى ٤ : ٣٠ والحماسة بشرح المرزوقى ١٠٤١ .
(٥) هو السموءل بن عاديا . الهمع ١ : ٦٣ / ٢ : ٥٩ والحماسة بشرح المرزوقى ١١١ .

وإنْ هو لم يَحْمِلْ على النَّفسِ ضيمَهَا
فليس إلى حُسْنِ الثَّنـاءِ سبيـلُ

وفيه نظر من وجهين :

الأَوَّل : أَنَّه عمَّم فى أَداة الشرط ، وسيبويه خَصَّه بإِنْ كما تقدَّم ، وتبعه مَنْ بعدَه .

الثانى : أَنَّ مجىءَ المضارع ضرورةٌ لا شاذٌّ ، سواءٌ كانت الأَداة إن أَو غيرها ، كما تقدَّم عن سيبويه . وهو فى هذا الثانى تابعٌ لابن مالك (فى التسهيل) . ورُوِىَ :

* ولديك إمَّا يستزدْك مزيدُ *

فلا شاهد فيه . فإِمَّا هى إن الشرطية وما الزائدة .

صاحب الشاهد — والبيت من أَبياتٍ ستَّةٍ لعبد الله بن عَنَمة الضَّبِّىّ ، أَوردها أَبو تمّام (فى باب المراثى من الحماسة) ، وهى :

أبيات الشاهد

(أَأُبَىُّ لا تبعَـدْ وليس بخـالد	حىٌّ ومن تُصِبِ المنـونُ بعيدُ
أَأُبَىُّ إنْ تصبحْ رَهينَ قـرارةٍ	زَلِجِ الجوانبِ قعرُها ملْحودُ[(١)]
فلربَّ مكروب كررتَ وراءَه	فمنعتَـهُ وبنو أَبيـهِ شُهودُ
أَنَفًا ومَحمِيَـةً وأَنَّك ذائـدٌ	إذ لا يكاد أَخو الحفاظ يذودُ
فلربَّ عانٍ قد فككتَ وسائلٍ	أَعطيتَهُ فغَـدَا وأَنت حميـدُ
يُثنِى عليك وأَنت أَهلُ ثنائه	ولديك إمَّـا يستزدْك مزيدُ)

وقوله : « أَأُبَىُّ » إلخ الهمزة للنداء ، وأُبَىّ منادى . ولا تبعَد : لا تهلِك

---

(١) الزلج ، بالفتح وبفتحتين : الزلق . ويروى : « زلخ » بالفتح وكفرح ، وهو بمعنى السابق . وفى ط : « ذلج » ، تحريف .

وأخبَرَ أنَّ ذلك ليس بكائن، من أَجْل أنَّه لا يبقى على الدَّهر ذو حياة .
والمَنونُ : المنيَّة . وبعيدُ خبر مبتدإٍ محذوفٍ ، أى فهو بعيد .

وقوله : « تصبحْ رهينَ » ، إلخ أى إنْ خلَّيت مكانك وصرت رهينَ قبر زلقِ الجوانب[1] لا يُنعَش صريعُه ولا يفكّ رهينُه، فلربَّ مكروبٍ، أى ربَّ مُضيَّقٍ عليه ، تعطَّفت عليه وأنقذته .

وقوله :« أنفاً ومحميَة » مفعول لأَجله، أى فعلت ذلك حميَّةً وأنفة، ولأنَّ مِنْ سجيَّتك الذِّيادَ ، أى المنع ، حين لا ذائدَ ، لشدَّة الأَمر .

والعانى : الأَسير ، من عنا يعنو إذا خضعَ. أى وربَّ أسيرٍ أطلقته من إسارِه ، وربَّ سائلٍ أعطيتَه فأغنيتَه، فانصرفَ عنك وأنت محمودٌ مشكور ، وهو يثنى عليك ويشكر نِعْمتَك . ولو عاد إليك لوجد مَعَادًا ، إذْ لا تضَجُر ولا تسأَم من الإفضال والجود .

٦٤٢

وعبد الله بن عنمة شاعرٌ إسلامىٌّ مخضرمٌ ، تقدَّمت ترجمته فى الشاهد الخمسين بعد الستمائة[2] .

* * *

وأنشد بعده :

(أينَما الرِّيحُ تميِّلْهَا تَمِلْ)

لما تقدَّم قبله . وتقدَّم الكلامُ عليه قريباً وبعيداً[3]

* * *

وأنشد بعده :

(إنْ منفسٌ أهلكتُه)

---

(١) فى النسختين : « رتق الجوانب » ، صوابه ما أثبت .
(٢) الخزانه ٨ : ٤٧١-٤٧٢ .
(٣) الخزانة ٣ : ٤٧ – ٥١ ، كما سبق هنا قريباً فى ص ٣٨ .

هو قطعة من بيت ، وهو :

(لا تجزعى إنْ مِنفسٌ أَهلكْتُه وإذا هلكتُ فعند ذلك فاجزَعى)

وتقدَّم الكلام عليه مفصَّلاً فى الشاهد السادس والأَربعين من أَوائل الكتاب[1]

* * *

وأَنشد بعده ، وهو الشاهد التسعون بعد الستمائة[2] :

٦٩٠ (وللخيلِ أَيّامٌ فمن يَصطبِرْ لهـا
ويَعْرِفْ لهـا أَيّامَهـا الخيرَ تُعْقِبِ)

على أَنَّ (الخيْر) مفعولٌ مقدَّم لتُعقِب، وتعقب مجزومٌ جواب الشرط، وإِنَّما كسرت الباءُ لأَنَّ القصيدة مجرورة .

وإِنَّما جاز الكسر فى المجزوم دون المرفوع والمنصوب لوجهين :
أَحدهما أَنَّ الجزم فى الأَفعال نظير الجرّ فى الأَسماء ، فلمَّا وجب تحريكُه للقافية حرّكوه بحركة النظير .

والثانى: أَنَّ الرفع والنصب يدخلان هذا الفعل ولا يدخله الجرّ ، فلو حرّكوه بالضم أَو الفتح لالْتبس[3] حركةُ الإِعراب بحركة البناء ، بخلاف الكسر فإِنَّه ليس فيهِ لَبْس .

صاحب الشاهد قال يعقوب بن السكيت (فى شرح ديوان طفيل): أَراد تُعْقِبه الخيلُ الخيرَ؛ فقدَّم وأَخَّر . ا ﻫ .

وأَجابَ الدماميني عن الكوفيين بأَنَّ الخيرَ صفةُ أَيامَها، أَى أَيّامَها الطيِّبة ، فلا فصلَ لأَنَّه ليس بمفعول للجزاء ،فجزم تعقب لعدم الفَصْل .

---

(١) الخزانة ١ : ٣١٤ – ٣٢٢ .
(٢) الإنصاف ٦٢١ . وانظر ديوان طفيل ١٦ كرنكو ، و٣٥ محمد عبد القادر .
(٣) ش : مع تصحيح : « لالتبست » ، وهما سواء .

وفيه نظر من وجهين :

أحدهما أنَّ الأيَّام هنا عبارةٌ عن الشَّدائد المتعلِّقة برياضة الخيل ، ومقاساةِ أهوالها ، فلا طيب بالشَّدائد على النفس ، والقرينة استعمال الصَّبر .

ثانيهما: أنَّ تُعقِب فعل متعدٍّ ، فلا بدَّ له من مفعول ، وليس هنا منزَّلاً منزلة الفعل اللازم . فإذا كان الخير صفة أيامَها ، لا يعلم ما الذى تُعْقبه الخيل . ويشهَدُ لما قلنا ما أنشدَه ابن قتيبة (فى أبيات المعانى) ، وهو قول الشاعر :

* وكلَّ مُفَدَّاة العُلالة صِلدِمِ[1] *

قال : أى أعقبهم خيلهم هذِه[2] خيراً، ممَّا قاموا عليها وصنَعوها. والأهوج : الذى يركب رأسه. والمِهْرج، بكسر الميم : الكثير الجرى. وقوله : مفدَّاة العُلالة، يقال لها إذا طُلب علالتُها وهى بقيَّة جريِها : وَيْهاً فِدًا لك ، ومثله قولُ طفيل : « وللخيل أيّام » البيت . والعربُ لكثرة انتفاعها بالخيل تسمِّيها الخير، قال الله تعالى: ﴿ إنِّى أحبَبْتُ حُبَّ الخَيْرِ عَنْ ذِكْر رَبِّى حتَّى توارَتْ بالحجاب[3] ﴾. ذكروا أنَّه لَهَا بالخيل وبالنَّظر إليها ، حتَّى فاتته صلاةُ العصر . وقال أبو ميمون العِجْلىّ :

* والخيلُ والخيراتُ كالقرينين[4] *

---

(١) المعانى الكبير ٨٤ برواية : « كل أهوج ممرج » . وفى ديوان أوس بن حجر ١٢٠ : « مهرج » ، وكذا فى الأمالى ١ : ١٨٩ .

(٢) ط : « هذا » ، صوابه فى ش والمعانى الكبير .

(٣) الآية ٣٢ من سورة ص .

(٤) المعانى الكبير ٨٥، ١٧٦ وعيون الأخبار ١ : ١٥٦ . وفى عيون الأخبار : « فى قرينين » .

وقوله : « وللخيل أيام » مبتدأ وخبر ، وقوله : « ويعْرِف لها » معطوف على يصطبر ، ولهذا جزم . وتُعقِب ، أى تحدث الخيرَ فى العاقبة . والماضى أعقبَ بالهمزة ، وهو متعدٍّ لمفعولين كما فُهِم من ابن السكيت.

والبيت من قصيدةٍ طويلة عدّتها ستة وسبعون بيتاً ، قالها فى غارةٍ أغارها على طيِّئ أكثرُها فى وصف الخَيْل . وبعده :

أبيات الشاهد

وقــد كان حيَّــانَا عــدُوَّيْنِ فى الــذى
خَلا ، فعلَى ما كان فى الدهــر فارتُبِى[1]

إلى اليــومِ لم تَحدُثْ إليــكم وسيــلةٌ
ولم تَجِدُوها عنــدنا فى التنسُّبِ[2]

جــزيناهُمُ أمسِ العظيمــةَ إنّنــا
متى مــا تكن منا الوسيقة نَطلب[3]

قال ابن السكيت : قوله فارتبي ، يريد فاثبتى أيتها العداوة . وقوله : « إلى اليوم » إلخ يقول : لم تكن بيننا مودّةٌ ولا نسب فيُستعطَف به . والوَسيقةِ : الطريدة . والعظيمة : الفظيعة[4] .

طفيل الغنوى

وطفيل الغنوىُّ شاعر جاهلى ، وهو طفيل بن عوف بن خَلَف بن ضُبَيس بن مالك بن سعد بن عوف بن كعب بن جِلَّان ، بكسر الجيم وتشديد اللام ، ابن غَنْم بفتح فسكون ، ابن غنىّ بن أعصُر . كذا فى الجمهرة .

---

(١) ويروى : « فارتب » بخطاب المذكر ، أى اثبت أيها الأمر .

(٢) ويروى : « لم نحدث إليكم » بالنون .

(٣) ويروى : « الفطيمة » ، وهى ما فطمهم وحرمهم ما أرادوه من الوقائع . وفى ط : « الوثيقة » بالثاء هنا وفى الشرح . صوابه فى ش والديوان .

(٤) ش : « القطيعة » .

قال الصولى (فى كتاب الكتاب[1]) فى خلال وصف الحِبْر : وسمَّوا طُفيلًا الغنوى محبِّراً ، لتحسينه شعره . وقيل سمِّى بذلك لقوله يصفُ بُرْدًا :

سماوتُه أسمالُ بـــردٍ محبّرٍ   وســائرُه من أتحَمِىٍّ مُعَصَّبِ[2]

وسَمَاوة البيت : سَقْفُه . والأَتحمىُّ : ضرب من البرود . ا هـ.

وقال ابن قتيبة (فى كتاب الشعراء): كان طفيلٌ الغَنَوىُّ من أَوصف العرب للخيل ، فقال عبد الملك : من أَراد ركوب الخيل فلْيروِ شعرَ طفيل . وقال معاوية : دعُوا لى طُفيلاً ، وسائرُ الشُّعراءِ لكم . ا هـ .

وقال الأَصمعى : كان طفيلٌ أَحدَ نُعّات الخيل ، وكان أكبر من النابغتين[3] ، وليس فى قيسٍ فحلٌ أَقدمُ منه ، وكان يسمَّى طفيلَ الخيل لكثرة وَصْفِهِ إيّاها ، والمحبِّرَ لحسن وصفِهِ لها .

وقد أَورد الآمدى (فى المؤتلف والمختلف) أَربعة شعراءَ ،كلٌّ منهم اسمه طُفيل ، أَحدهم هذا .

* * *

وأَنشد بعده :

(يا أَقرعَ بنَ حابسٍ يا أَقرعُ   إِنَّك إنْ يُصرَع أَخوك تُصــرَعُ)

---

(١) كذا . وصوابه « أدب الكتاب » ، وهو لأبى بكر محمد بن يحيى الصولى ، وقد طبع فى المطبعة السلفية ١٣٤١ بتحقيق محمد بهجة الأثرى . والنص فيه ص ١٠٥ .

(٢) البيت أيضاً فى ديوان طفيل ١٩ والكامل ٨٧ والأغانى ١٤ : ٨٦ ، ٨٧ والعينى ٣ : ٢٤ . ويروى : « من أتحمى مشرعب » . وما بعد هذا البيت من تفسير ساقط من النسخة المطبوعة من أدب الكتاب .

(٣) أى النابغة الذبيانى والنابغة الجعدى . وفى الأغانى ١٤ : ٨٥ عن الأصمعى قال : « كان طفيل أكبر من النابغة » . وفى الأصل هنا : « من الناعتين» ، والتصحيح بقلم الشنقيطى فى نسخته .

على أَنَّ الكوفيين استدلُّوا به على أَنَّ رتبة الجزاء التقديمُ، فرفع (تصرُع) مراعاةً لأَصله ، ولو كان رتبته التأْخير لجزم .

وأَجاب الشارح عنه بأَنَّه ضرورة، كما بيَّنه .

وهذا مأْخوذٌ من كلام سيبويه ، وهذا نصُّه : وقد تقول : إن أَتيتنى آتيك ، أى آتيك إن أَتيتنى . قال زهير :

وإنْ أَتاهُ خليلٌ يومَ مسأَلةٍ يقول لا غائبٌ مالى ولا حَرِمُ

ولا يحسُن إن تأْتينى آتيك ، من قِبَل أَنَّ إنْ هى العاملة . وقد جاءَ فى الشعر ، قال جرير بن عبد الله البَجلىّ :

يا أَقرعَ بنَ حـابسٍ يا أَقـرعُ إنَّك إن يُصرع أَخـوك تُصرعُ

أى إنَّك تصرع إن يُصرَعْ أَخوك . ومثل ذلك قوله :

٦٤٤ هـذا سراقةُ للقرآن يدرسُه والمرءُ عند الرُّشا إنْ يَلقَها ذِيبُ(١)

أى والمرءُ ذئبٌ إن يَلْقَ الرُّشا . قال الأَصمعىّ : هو قديم أَنشدَنيه أَبو عمرو . وقال ذو الرمَّة :

وإنِّى ، متى أُشرفْ على الجانب الذى

بِه أَنتِ من بين الجوانب ، ناظر(٢)

أى إنِّى ناظر متى أُشرفْ . فجاز هذا فى الشعر ، وشبَّهوه بالجزاء إذا كان جوابه منجزماً ؛ لأَنَّ المعنى واحد، كما شَبَّه « الله يشكُرها » ،

(١) هو الشاهد ٨٢ فى الخزانة ٢ : ٣ — ٤ . وانظر سيبويه ١ : ٤٣٧ وابن الشجرى ١ : ٣٣٩ والهمع ٢ : ٣٣ .

(٢) هو الشاهد ٦٩٢ . وسيأتى فى ص ٥١ .

جعَله بمنزلة يشكرها الله، وكما قالوا فى اضطرار: إن تأْتنى أنا صاحبك، تريد معنى الفاء، فتشبِّهه ببعض ما يجوز فى الكلام حذفُه وأنت تعنيهِ. وقد يقال إن أتيتنى آتِكَ، وإن لم تأْتنى أَجْزِكَ، لأَنَّ هذا فى موضع الفعل المجزوم، وكأَنَّه قال: إن تفعل أفعل. وتقول: إن تأْتنى فأُكرمُك، أى فأَنا أُكرمك، فلا بُدَّ من رفع فأُكرمك إذا سكت عليه[1] لأَنَّه جواب. وإنَّما ارتفع لأَنَّه مبنىٌّ على مبتدإٍ. انتهى كلام سيبويه.

فتخريج الشارح المحقق فى البيت خلافُ ما خرَّجه سيبويه، فإنَّ الشَّارح جعل تصرع جوابَ الشرط مع مبتدإٍ محذوف مع الفاء الرابطة، والتقدير: فأَنت تصرُع، والجملة الشرطية خبر إنَّ. وسيبويه جعل تصرع خبر إنّ، وجواب الشرط محذوف يدلُّ عليه ما قبله.

والرجز لعمرو بنِ الخُثارِم، وتقدَّم شرحه فى الشاهد الحادى والثمانين بعد الخمسمائة[2]. صاحب الشاهد

* * *

وأَنشد بعده، وهو الشاهد الحادى والتسعون بعد الستّمائة، وهو من شواهد س[3]:

٦٩١ (مَنْ يَفعلِ الحَسَناتِ اللهُ يَشْكُرُها)

على أن الفاء الرابطة محذوفة من جواب الشرط ضرورة، أى فالله يشكرها.

(١) وكذا فى سيبويه ١ : ٤٣٧ . وفى ش : «إن أسكت عليه»

(٢) الخزانة ٨ : ٢٠ — ٢٩

(٣) فى كتابه ١ : ٤٣٥ ، ٤٥٨ . وانظر نوادر أبى زيد ٣١ والمقتضب ٢ : ٧٢ والأصول ٢ : ٢٠٤ ومجالس العلماء ٤٣٢ والخصائص ٢ : ٢٨١ والمنصف ٣ : ١١٨ والمحتسب ١ : ١٩٣ وسر الصناعة ١ : ٢٦٦ ، ٢٦٧ وابن يعيش ٩ : ٢ ، ٣ والمقرب ١ : ٢٧٦ والمغنى ٥٦ ، ٩٨ ، ١٣٩ ، ١٦٥ ، ٢٣٦ ، ٤٢٢ ، ٤٢٣ ، ٥١٧ ، ٦٣٦ ، ٦٤٧ والعينى ٤ : ٤٢٣ والتصريح ٢ : ٢٥٠ .

قال النحَّاس : أبو العباس المبرِّد يجيز حذف الفاءِ فى الشعر .

ونقل العَينى عنه خلافه ، قال : وعن المبرد أَنَّه منعَ ذَلك حتَّى فى الشعر .

ثم قال النحاس : وقال أَبو الحسن: هو عندى جائزٌ فى الكلام إذا عُلِم، ومنه قول الله عز وجل: ﴿ وما أَصابَكُمْ مِنْ مُصِيبةٍ فبِمَا كَسَبَتْ أَيديكم[1] ﴾ وقرئ: ﴿ بما كسبت[2] ﴾ فاستُدِلّ بهذا على أن الفاءَ محذوفة. ومنه قوله تعالى : ﴿ إنْ تَرَكَ خيراً الْوَصِيَّةُ للوالدَيْنِ[3] ﴾. وكذلك جوَّزه ابنُ مالك، قال : ومنه حديث اللُّقطة : « فإنْ جاءَ صاحبُها وإلاَّ استمتعْ بها » .

ثم قال النحاس : قال أَبو الحسن : حدَّثنى محمد بن يزيد قال : حدّثنى المازنى أَنَّ الأَصمعى قال : هذا البيت غيَّره النحويون ، والرواية :

* من يفعل الخير فالرَّحمنُ يشكرُهُ * اهـ

وأبو الحسن قال هذا فيما كتبه على نوادر أَبى زيد ، قال : أَخبرنا أَبو العباس عن المازنى عن الأَصمعى أَنَّه أَنشدهم : « فالرحمنُ يشكره » . قال : فسأَلتُه عن الرواية الأُولى فذكر أَنَّ النحويين صنعوها . ولهذا نظائرُ ليس هذا موضعَ شرحها . اهـ .

وهذا مردودٌ ؛ لأَنَّه طعنٌ فى الرُّواة العُدول .

وأَغرب منه ما نقل ابن المستوفِى قال : وجدت فى بعض نسخ

---

(١) الآية ٣٠ من سورة الشورى .

(٢) هى قراءة نافع وابن عامر من السبعة ، وأبى جعفر يزيد بن القعقاع من العشرة . تفسير أبى حيان ٧ : ٥١٨ وإتحاف فضلاء البشر ٣٨٣ . وهى أيضاً قراءة شيبة ، كما فى تفسير أبى حيان .

(٣) الآية ١٨٠ من سورة البقرة .

الكتاب فى أصله : قال أبو عثمان المازنى : خبَّر الأصمعىُّ عن يونس قال : نحن عملنا هذا البيت .

وكذلك نقله الكرمانى (فى الموشَّح) .

صاحب الشاهد

والبيت نسبه سيبويه وخدَمته لعبد الرحمن بن حسان بن ثابت رضى الله عنه ، ورواه جماعةٌ لكعب بن مالكٍ الأنصارى . وقبله بيتان وهما[1] :

(إنْ يسلم المرءُ من قتلٍ ومن هَرَمٍ	للذَّةِ العيشِ أفناهُ الجـديدان[2]	٦٤٥
فإنَّمـا هـذه الدنيـا وزينتُها	كالزاد ، لابدَّ يومـًا أنَّه فانى)	

وترجمة كعب بن مالك تقدَّمت فى الشاهد السادس والستين[3] .

عبد الرحمن ابن حسان

وعبد الرحمن بن حسان يعرف نسبه من ترجمة والدِه رضى الله عنه ، وقد تقدَّمت فى الشاهد الحادى والثلاثين من أوائل الكتاب[4] .

* * *

وأنشد بعده وهو الشاهد الثانى والتسعون بعد الستمائة ، وهو من شواهد سيبويه[5] :

٦٩٢ (وأنِّى متى أشرِفْ على الجـانب الذى
به أنتِ من بين الجـوانب ناظـرُ)

على أنَّ قوله (ناظر) جواب الشرط، بتقدير مبتدإٍ محذوف مع الفاء الرابطة ، أى فأنا ناظر ، وتكون الجملة الشرطيَّة خبر أنَّ .

---

(١) شواهد التوضيح والتصحيح لابن مالك ١٣٣ . والحديث أخرجه البخارى فى كتاب اللقطة ، يقوله صلوات الله عليه وسلامه لأبى بن كعب .

(٢) ديوان كعب بن مالك ٢٨٨ وحماسة البحترى ١٣٥ .

(٣) الخزانة ١ : ٤١٧ .

(٤) الخزانة ١ : ٢٢٧ – ٢٢٨ .

(٥) فى كتابه ١ : ٤٣٧ . وانظر المقتضب ٢ : ٧١ وديوان ذى الرمة ٢٤١ .

وهذا خلاف ما ذهب إليه سيبويه ، فإنَّ ناظراً عنده خبر إنّ ، والجملة دليل جواب الشرط المحذوف .

قال ابن السّرّاج (فى الأُصول): هذا عندسيبويه على تقديم الجزاء[1] : وإنِّى ناظر متى أَشرف . وأَجاز أَيضاً أَن يكون على إضمار الفاء . والذى عند أَبى العباس وعندى فيه وفى أَمثاله ، أَنَّه على إضمار الفاء لا غير ، لأَنَّ الجواب فى موضعه ، فلا يجوز أَن يُنْوَى به غير موضعه إذا وُجد له تأْويل . ومثله :

* إنَّك إن يصرع أَخوك تصرعُ[2] *

فهذا على ماذكَرتُ لك . وكذلك قوله :

. . . . . إنَّها مطبَّعةٌ من يأْتها لاَ يضيرها[3]

أَراد : لا يضيرها مَنْ يأْتها ، وإنَّك تصْرعُ إنْ يصْرع أَخوك، وهو عندنا على إضمار الفاء . فأَما قوله :

* من يفعل الحسناتِ الله يشكرها *

فعلى إضمار الفاء فى كلِّ قول . ا هـ .

وسيأْتى نقل كلام المبرد فى الشاهد السادس والثمانين[4] بأَبسط من هذا .

صاحب الشاهد

وهذا البيت من قصيدةٍ لذى الرمة ، وهذا مطلعها :

---

(١) ش : « تقديم الخبر » ، صوابه فى ط . والمراد ما تضمن معنى الجزاء أى جواب الشرط .

(٢) هو الشاهد ٥٨١ وقد سبق فى ٨ : ١٩ — ٢٩ .

(٣) هو الشاهد ٦٩٤ فيما سيأتى ص ٥٧ .

(٤) ش : « الشاهد السادس والثلاثين » . وكلاهما خطأ . وأرى أنه يشير إلى ما سيأتى فى الشاهد السابع والتسعين بعد السبّمائة فيما سيأتى .

أبيات الشاهد

(لميَّـــة أَطلالٌ بحُزْوَى دواثرُ عَفَتْها السَّوافِى بعـــدنا والمواطرُ
كأَنَّ فؤادى هاضَ عرفانُ ربعها بهِ وَعْىَ ســاقٍ أَسلَمتْهَا الجبائرُ
عشيّةَ مَسعود يقولُ وقـــد جَرَى على لحيتى من عَبرة العَين قاطرُ
أَفى الدار تبكى أَنْ تفرَّقَ أَهلُها وأَنت امرؤٌ قد حلَّمَتك العشائرُ
فلا ضيرَ أَن تستعبِرَ العينُ إنَّنى على ذاك إلاَّ جَولةَ الدَّمع صابرُ
فيامىّ هل يُجزَى بكائى بمثـــله مِرارًا وأَنفاسى إليكِ الزوافـــرُ
وأَنّى متى أُشرف على الجانب ....) البيت

قوله : « لمية أطلال » الخ حُزوى : اسم مكان . والدوائر : التى قد انمحت . وعَفَتها : محتها . والسَّوافى : الرياح التى تَسفِى التراب .

وقوله : « كأَنَّ فؤادى » الخ الهَيْض : الكسر بعد الجبر ، وضمير به للفؤاد . والوَعْى : الجَبْر. وأَسلمتها : خذَلَتْها . والإسلام : التخلية والخِذلان. والجبارة بالكسر : ما شددت به الكَسْرَ من الأَعواد . وعِرفانُ فاعل هاضَ ، ووعْىَ مفعوله .

وقوله : « عشية مسعود » هو أَخو ذى الرمة . وقوله : « فى الدار » الخ هو مقول مسعود ، وأَن تفرَّقَ مجرور باللام المقدرة ، و« أَنت امرؤ » الخ جملة حالية . وحلَّمَتْك : وصفَتْك بالحلم .

٦٤٦

وقوله : «فلا ضَير» إلخ الضَّير : الضَّرَر . وصابر : خبر إنَّنى ، يريد : إنَّنى صابر على ذلك الوَجْد إلَّا جولةَ الدَّمع ، أَى يَجول فى العين[1] .

وقوله : « فيامى » إلخ هو مرخم ميَّة . ويُجزَى ببناء المفعول ، يريد :

---

(١) ط : « تجول فى العين » .

هل تبكين مثلَ ما أبكى مرارًا . والزَّفير : إدخال النَّفَس إلى الجوف . والشَّهيق : إخراجه .

وقوله : (وأنى متى أُشرف) الخ، هو بفتح الهمزة معطوف على المستثنى ، وهو جَولة الدَّمع . قال شارح ديوانه : يريد: إننى على ذاك صابر إلاَّ جولةَ الدَّمع وأنِّى متى أُشرِف . والأَقرب أن يكون معطوفاً على بكائى ، أى هل يُجزَى نظرى إليك فى كل جهة كنتِ فيها[1] ،أى هل تنظرين إلىَّ كذلك . أو المعنى : هل تجزيننى على هذه المحبّة . والتاء من أنتِ مكسورة .

وترجمة ذى الرمة تقدَّمت فى الشاهد الثامن من أوَّل الكتاب[2] .

* * *

وأنشد بعده :

(فأَنتِ طـلاقٌ والطَّـلاقُ أَليّةٌ)

على أنَّ جملة (والطَّلاق أَليّة) اعتراضية ، وقعت بين المصدر وهو طلاق ، وبين عدده وهو ثلاثًا فى المصراع الثانى ، وهو :

(ثلاثاً ومن يَخْرَقْ أَعقُّ وأَظلَمُ)

وتقدَّم الكلام عليه بما لا مزيدَ عليه فى الشاهد الخامس والأَربعين بعد المائتين[3] .

* * *

وأَنشد بعده ، وهو الشاهد الثالث والتسعون بعد السّمائة[4] :

---

(١) ط : « فيه » ، صوابه فى ش .

(٢) الخزانة ١ : ١٠٦ .

(٣) الخزانة ٣ : ٤٥٩ – ٤٧١ .

(٤) ديوان المتنبى بشرح العكبرى ٢ : ٤٦٩ وتحرير التحبير ٣٦٠ .

٦٩٣ (يَرَى كلَّ مَن فيها وحاشاكَ فانيَا)

على أَنَّ جملة (وحاشاك) اعتراضية وقعت بين مفعولى يرى ، أَوَّلُهما كلَّ ، وثانيهما فانيا .

وهذا عجزٌ ، وصدره :

(وتَحتقر الدُّنيا احتقارَ مجرِّبٍ [1])

والبيت فيه من أَنواع البديع التكميلُ ، وهو أَن يأْتِىَ الشاعرُ أَو المتكلِّم بمعنًى من معانى المدح أَو غيره من فنون الشعر وأَغراضِه ، ثم يرى مَدحَه بالاقتصار على ذلك المعنى فقط غيرَ كامل ، فيكمِّل بمعنًى آخر ، كمن أَراد مدح إنسانٍ بالشجاعة ، ورأَى مدحَه بالاقتصار عليها دون الكرم مثلاً ، غير كامل ، فيكمِّله بذكر الكرم ، أَو بالبأْس دون الحلم وما أَشبهه .

قال ابن أَبى الإِصبع (فى تحرير التحبير) : وممَّا وهِمَ فيه المؤلِّفون فى هذا الموضع أَنَّهم خلطُوا التكميل بالتتميم ، إذ ساقوا فى باب التتميم شواهد التكميل ، لأَنَّهم ذكروا قول عَوف :

إنَّ الثمانينَ وبُلِّغْتَهَا قد أَحوجَتْ سمعى إلى تَرجُمانِ

من شواهد التتميم . ومعنى البيت تامٌّ بدون لفظة وبُلِّغتها . وإذا لم يكن المعنى ناقصاً فكيف يسمَّى هذا تتميما ؟ وإنَّماهو تكميل . وما غلَطُهم إلاَّ من كونِهم لَم يَفْرِقوا بين تتميم الأَلفاظ وتتميم المعانى . وكذلك أَتوا بقول المتنبى :

* وتحتقر الدنيا احتقارَ مجرِّب * البيت .

---

(١) ط : « ويحتقر » فى هذا الموضع وتاليه ، صوابهما فى ش والديوان .

فى باب التتميم ، وهو مثل الأَوّل وإن زاد على الأَول أدنى زيادةٍ[(١)]
لما فى لفظة حاشاك[(٢)] بعد ذكر الفَناء من حُسْن الأَدب مع الممدوح .
وربَّما سُومِحَ بأَن يُجْعل هذا البيتُ فى شواهد التتميم بهذه اللفظة .
وأَمَّا الأَوَّل فمحض التكميل ، ولا مدخل له فى التتميم . ا هـ .

وقد ذكر التتميم فى أَوَّل كتابه[(٣)] وقال : سمَّاه ابن المعتز اعتراضَ
كلامٍ فى كلام لم يتمَّ معناه ، ثم يعودُ المتكلم فَيُتمُّه . وشَرح حدَّه أَنَّه ٦٤٧
الكلمة التى إذا طُرحت من الكلام نَقص حُسْنُ معناه أَو مبالغتُه ، مع
أَنَّ لفظَه يُوهم بأَنَّه تامّ . ومجيئه على وجهين : للمبالغة ، والاحتياط .
ويجىءُ فى المقاطع كما يجىءُ فى الحَشْو . هذا كلامه .

ولا يخفى أَنَّ هذا الحدَّ منطبقٌ على البيت .

وأَما أَنا فالبيت عندى من الاحتراس، وهو أَن يأْتىَ المتكلِّم بمعنًى
يتوجَّه عليه دَخَلٌ ، فيفطِنُ له فيأْتى بما يخلِّصه من ذلك .

قال ابن أَبى الإِصبع : والفرق بين الثلاثة أَن المعنى قبلَ التكميل
صحيح تامّ ، ثم يأْتى التكميل زيادةً يكمُل بها حُسنه ، إمَّا بفنّ زائد
أَو بمعنًى . والتتميم يأْتى ليتمِّمَ نقص المعنى . والاحتراس لاحتمالِ دَخَلٍ
على المعنى وإنْ كان تامًّا كاملاً .

صاحب الشاهد والبيت من قصيدةٍ للمتنبى مدح بها كافورًا الإِخشيدىَّ . وقبل
هذا البيت :

---

(١) وكذا فى تحرير التحبير . وفى ش : « أوفى زيادة » .
(٢) ش : « حشاك » ، تحريف .
(٣) تحرير التحبير ١٢٧ . وفيه : « باب التمام، وهو الذى سماه الحاتمى : التتميم » .. الخ.

(وقد تَهبُ الجيشَ الذى جاءَ غازيًا   لسائلك الفَرْدِ الذى جاءَ عافيَـــا)

يقول : إذا غزاك جيشٌ أخذتَه فوهبته لسائلٍ واحد أتاك يسألك .

وقوله : « وتحتقرُ الدُّنيا » إلخ هو بالخطاب. وجملة يرى إلخ صفة لمجرِّب . يقول: أنت تحتقر الدنيا احتقارَ مَنْ جرَّبها فعَرَفها ، وعلمَ أنَّ جميع ما فيها يفنى ولا يبقى، أى فلذلك تَهبُهَا ولا تدَّخرها . وقوله : (وحاشاك) استثناءٌ ممَّا يفنى . وذكر هذا الاستثناء تحسينًا للكلام واستعمالاً للأَدب فى مخاطبة الملوك ، وهو حَسَنُ الموقع .

وترجمة المتنبى تقدَّمت فى الشاهدالحادى والأَربعين بعد المائة[1] .

* * *

وأَنشد بعده ، وهو الشاهد الرابع والتسعون بعد السمّائة ، وهو من شواهد سيبويه[2] :

٦٩٤ (فقلتُ تحمَّلْ فوقَ طَـــوْقِكَ إنَّهـــا
مُطَبَّعةٌ مَنْ يـأْتِهـــا لاَيَضِيرُهـــا)

على أنَّ التقدير عند سيبويه : لا يضيرُها من يـأْتها ، فهو مؤخَّر من تقديم .

وهذا نصٌّ سيبويه : وقد يجوز فى الشعرِ : آتى من يـأْتنى . وقال الْهُذَلىّ :

فقلت تحمل فوق طوقك ... البيت

(١) الخزانة ٢ : ٣٤٧ – ٣٦٣ . وفى ش : « الواحد » بدل « الحادى » .

(٢) فى كتابه ١ : ٤٣٨ . وانظر المقتضب ٢ : ٧٢ والأصول ٢ : ٢٠٢ وابن يعيش ٨ : ١٥٨ والتصريح ٢ : ٢٤٩ والعينى ٤ : ٤٣١ والأشمونى ٤ : ١٨ وديوان الهذليين ١ : ١٥٤ والسكرى ٢٠٨

هكذا أنشدَناه يونس، كأنَّه قال : لا يضيرها مَنْ، كما كان وأنىَّ متى أُشرِفْ ناظرٌ على القلب . ولو أُريد به حذف الفاءِ جاز فجعلت كإنْ . ا هـ .

قال الأعلم : وهذا عند المبرِّد على إرادة الفاء ، لأَنَّ يضير إذا تقدمت على مَنْ ارتفعت مَنْ به . ويلزم منه أن يبطل عملُها من الجزم ، لأَنَّ حرف الشرط لا يَعمَلُ فيه ما قبله . والحجَّة لسيبويه أنَّه يقدِّر الضمير فى يضير على ما هو عليه فى التأْخير . ومَنْ مبتدأة على أَصلها ، فلا يلزم أَن ترتفع مَنْ به ، وتبطل من عمل الجزم . هذا كلامه .

وسننقل كلام المبرد فى الشاهد الثالث والثمانين[1] .

وقد تكلَّم أَبو على (فى كتاب الشعر) على فاعل يضير على التقديرَين فقال : من قدَّر فيه التقديم كان فاعل لا يضيرها ضَيْر ، فأَضمر الضَّير له لدلالة يضير عليها . والضَّير قد استُعمِل استعمالَ الأَسماءِ فى نحو لا ضير ، كأَنَّه قد صار اسماً لما يُكره ولا يراد . ومن قدَّر الفاءَ محذوفة أَمكنَ أَن يكون الفاعل عندنا أَحدَ شيئين : أَحدُهما الضَّير كقول من قدَّر التقديم . ويجوز أَن يكون فاعل يضير ضميرًا من الذى تقدَّم ذكره . ا هـ .

أَراد بما تقدَّم التحمُّل فوق الطاقة .

صاحب الشاهد ٦٤٨

والبيت من قصيدة عدَّتها سبعةَ عَشَرَ بيتًا لأَبى ذؤيب الهذلى ، قالها فى ابن أُخته خالد بن زهير ، وكان خاله أَبو ذؤيب فى صِغَره رسولاً من وهب بن جابرٍ إلى امرأَةٍ من هذيل كان يتعشَّقها وهبٌ ، وكان أَبو ذؤيب

---

(١) انظر ما سبق فى حواشى ص ٥٢ . وانظر أيضاً الشاهد ٦٩٧ .

جميلاً فرغبت فيه واطَّرحت وَهبًا ، ففشا أمرُهما فى هذيل ، فكان يُرسل إليها ابنَ أُخته خالد بن زهير ، وعاهده على أن لا يخونه فيها ، فلم تلبث أن عشِقت خالدًا وتركت أبا ذؤيب ، فجرى بين أبى ذؤيب وبين خالدأشعارٌ كثيرة منها هذه القصيدة، وأجابه خالدٌ بقصِيدةٍ على رويِّها ، منها :

فـلا تجزعَنْ مِن سُنّةٍ أنتَ سِرْتَهـا
فأوَّلُ راضٍ سُنّةً مَن يسيرُهـا

وقد شرحنا حالهما وما لَهما فى الشاهد الثامن والأربعين بعد الثلثمائة وفى الشاهد الستين بعد السمائة[1] .

وهذه أبياتٌ من أوَّل قصيدة أبى ذؤيب :

(ما حُمِّلَ البُخْتِىُّ عـامَ غيـارهِ — عليـه الوُسوقُ بُرُّها وشَعيرُهـا
أَتى قريةً كانت كثيرًا طعامُها — كرَفغِ التُّرابِ كلُّ شىءٍ يَميرُها[2]
فقيل تحمَّلْ فوق طَـوقك إنَّها — مُطبَّعة من يـأْتِهـا لا يَضيرها
بأكثرَ مِمَّا كنتُ حمَّلتُ خالداً — وبعض أمانات الرجال غُرورُها)

قوله : « ما حُمِّل البختى عامَ غياره » ما نافية. والبُختىُّ نائب فاعل حُمِّل ، وهو واحد البُخْت ، وهو نوع من الإبل . والغِيار ، بكسر المعجمة ، مصدر غارهم يَغِيرهُم ، إذا مارهم ، أى أتاهم بالمِيرة بالكسر ، وهى الطَّعام . والوُسوق : جمعَ وَسْق ، وهو حِملُ بعيرٍ ، وجملة عليها الوسوقُ تفسير لقوله : حُمِّلَ البختىّ . وبرُّهَا وشعيرها بدلٌ من الوُسوق ، بَدل مفصَّل من مجمل . وإضافة البرّ والشعير إلى ضمير الوسوق لأدْنى ملابسَة ، لأنَّهما

(١) الخزانة ٥ : ٨٣ – ٨٦ و٨ : ٥١٥ .
(٢) البيتان التاليان ساقطان من ش

يصيران وسُوقاً . واختار البختىَّ على البعير لأنَّـه أشدُّ منه وأقوَى على زيادة التحمُّل . ولهذا قال : « عليها الوسوق » . يعنى أنَّ هذا البختىَّ حُمِّل أضعافَ ما يَحْمِله غيرُه من الإبل .

وقوله : « أتى قريةً » إلخ فاعل أتى ضمير البختى . والجملة حالٌ من البختى . وقوله : « كرَفْع التُّراب» أى ككثرة التُّراب، وأصلُ الرَّفع اللِّينُ والسهولة، وهو بالفاء والغين المعجمة. وقوله : « يَمِيرها » هو على القلب، أى كل شىء تميرهُ هذه القرية، فقَلب، فجعل الفاعل وهو ضمير القرية مفعولاً وأسند الفعل إلى ضمير كلِّ شىء. والنُّكتة فيه أنَّ كلَّ شىء يُعطى هذه القريةَ الميرةَ ، حتَّى اجتمع فيها الطعام ككثرة التراب . وقال القارى (فى شرحه) : قوله يميرها ، يريد يمتار من القرية. قال الباهلى : كلُّ شىء يمير لها .

أقول : الوجه الأوَّل معنى الكلام قبل القلب، والثانى معناه بعدَ القلب ،كما قلنا فيها .

وقوله : (فقلتُ تحمَّلْ) إلخ رواية السكرى: « فقيل تحمَّلْ » وهى الجيِّدة ، أى وقيل للبختى تحمَّلْ فوقطاقتك ، وقوله : (إنَّها) أىإنَّ هذه القرية مطبَّعة ، أى مختومة بالطَّابَع . يعنى أنَّ هذه القرية مملوءةٌ بالطعام ، لأنَّ الخَتْم إنما يكون غالبًا بعد الملء . وفيه مبالغة لا تخفى . وجملة إنَّها مطبَّعة استئنافٌ بيانىٌّ ، كأنَّه سأل البختىَّ هل يَدعوننى أن أتحمَّل فوق طاقتى من هذه القَرْية . فهو سؤالٌ عن السبب الخاصّ للحكم ، لا عن سبب الحكم مطلقًا، فلهذا أكَّد بإنَّ. والجملة الشرطيَّة خبر ثان لإنَّ . وضاره ضَيرًا ، من باب باع : أضرَّ به .

وقولهُ : (بأكثر مما كنتُ) إلخ يقول: ماحُمّل هذا البختى من الطّعام بأكثرَ ممّا كنتُ حَمّلت خالدًا من الأمانة . والغُرور بالضم : الغفلة ، والضمير للرِّجال .

وترجمة أبى ذؤيب الهذلى تقدمت فى الشاهد السابع والستين[1] . ٦٤٩

* * *

وأنشد بعده :

(والمرءُ عِند الرُّشَا إنْ يَلْقَهَا ذِيبُ)

على أنَّ التقدير عند سيبويه : والمرءُ ذِئْبٌ ، فأَخَّر خبر المبتدإ بعد الشرط ، وتكون الجملة دليلَ الجواب المحذوف .

وعند المبرِّد «ذيبُ» هو الجزاءُ ، بتقدير المبتدإ مع الفاءِ، أى : فهو ذيب ، وتكون الجملة الشرطية خبر المبتدأ .

وهذا عجزٌ وصدرُه :

(هذا سُراقَةُ للقُرآنِ يَدرُسُه)

وتقدم الكلام عليه فى الشاهد الثانى والثمانين[2] .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الخامس والتسعون بعد السمائة ، وهو من شواهد س[3] :

٦٩٥ (على حِينِ مَنْ تَلْبَثْ عليه ذَنُوبُه
يَجِدْ فَقْدَها إذْ فى المَقَام تدابُرُ)

(١) الخزانة ١ : ٤٢٢ .
(٢) الخزانة ٢ : ٣ - ٤ .
(٣) فى كتابه ١ : ٤٤١ . وانظر الإنصاف ٢٩١ والهمع ٢ : ٦٢ وديوان لبيد ٢١٧ .

على أَنَّ جزم أَدوات الشرط المضاف إلى جملتها ظرف ، خاصٌّ بالشعر كما فى البيت ، فإنَّه جازى بمَنْ مع إضافةحين إلى جملة الشَّرط ضرورةً، وحكمُها أَن لا تضاف إِلّا إلى جملةٍ خبرِيَّة ، لأَنَّ المبهماتِ إنَّما تفسَّر وتُوصَل بالأَخبار ، لا بحروف المعانى وما ضُمِّنت معناها . وجاز هذا فى الشِّعر [تشبيهًا[1]] لجملة الشرطبجملةالابتداء والخبر ، والفعلوالفاعل.

قال سيبويه : وقد يجوز فى الشِّعر أَن يُجازَى بعد هذه الحروف فتقول : أَتذكر إذْ من يـأْتنا نـأْته ، فإنَّما أَجازُوه لأَنّ إذْ[2] لا تغيِّر مادخلت عليه عَن حالِهِ[3] قبل أَن تجيءَ بها[4] ولا تغيِّر الكلام ، كأَنَّا قلنا : من يـأْتنا نـأْتِه ، كما أَنَّا إذا قلْنا : إذْ عبد الله منطلق ، فكأَنَّا قلنا : عبد الله منطلق ، لأَنَّ إذْ لم تُحدِثْ شيئًا قبل أَن تذكرها . قال لبيد :

على حين من تلبث عليه . . . البيت .

ولو اضطُرّ شاعر فقال: أَتذكر إذ إنْ تـأْتنا نـأْتِك ، جاز له كما جاز فى مَنْ[5] . وتقول: أَتذكر إذ نحن من يـأْتنا نـأْتِه ، فنحن فصَلَتْ[6] بين إذ وَمن . وتقول : مَررت به فإذا من يـأْتيه يُعطيه ، وإن شئت جزمتّ ؛ لأَنَّ الإِضمار يحسُن هنا . أَلا ترى أَنَّك تقول : مررت به فإذا أَجملُ الناس ، ومررنا به فإذا أَيُّما رجلٍ . فإذا أَردت الإِضمار فكأَنَّك قلت : فإذا هو من يـأْته يعطيه ، فإن لم تضمر فهى بمنزلة إذْ ، لايجوز فيها الجزم .

---

(١) التكملة من ش

(٢) فى سيبويه : لأن إذ و هذه الحروف » .

(٣) ط : « من حالة » ، صوابه فى ش وسيبويه .

(٤) ش : « أن يجيء بها » .

(٥) ط : « فيمن » ، صواب كتابته فى ش وسيبويه .

(٦) ط : « فصلنا » ، صوابه فى ش وسيبويه .

صاحب الشاهد

والبيت من قصيدةٍ للبيد بن ربيعة الصَّحابى ، وكان له فى الجاهلية جارٌ من بنى القَين قد لجأَ إليه ، فضربه عمُّه عامرٌ بالسَّيف ، فغضِب لذلك لبيدٌ وقال هذه القصيدة ، يعدِّد على عمه بلاءه عنده ، ويُنكِر فعلَه بجاره .

وقد تقدَّم شرحُ أبياتٍ منها فى الشاهدالثالث عشر بعد الخمسمائة[1] .

أبيات الشاهد

وقبل هذا البيت :

(ودَافعتُ عنك الصِّيدَ مِن آلِ عامرٍ
ومنهم قَبيلٌ فى السُّرادق فاخرُ[2]
وذُدْتُ معدًّا والعِبَادَ وطيِّئًا
وكلباً كما ذِيدَ الخماسُ البواكر)

على حين مَنْ تلبث ..... البيت

الصِّيد : الرؤساءُ المتكبِّرون . يقال للسيِّد المتعاظم أَصْيَد ؛ لميله[3] رأسَه مِن الكِبْر والعظمة ، تشبيهًا بالجمل الأَصيَد ، وهو الذى به داءٌ يأْخذ البعير فَيَرِمُ أَنفُه فيشمَخ ويَميل رأسُه لذلك الوَجع . والقبيل : الجماعة من قوم شتى . والسُّرادق : ما يُدار حولَ الخيمة من شُقَقٍ بلا سَقْف ، وقيل هو الفسطاط ، وقيل هو كلُّ بيت من قُطْن . وفاخرٌ ، يريد يفخرون عليك .

٦٥٠

(١) الخزانة ٧ : ٩١ — ٩٧ .

(٢) فى الديوان ٢١٦ : « من آل دارم » ، وهو الصواب ، لأن بعد هذا البيت فى الديوان :

فقيم وعبد الله فى عز نهشل بثيتل ، كل حاضر متناصر

وفقيم هم بنو فقيم بن دارم بن مالك . وكذلك نهشل، بنو نهشل بن دارم وعبد الله أيضاً ، بنو عبد الله بن دارم .

(٣) فى هامش ش : « كذا بخط المؤلف ، والصواب لتمييله » .

وقوله : «وذُدت مَعدًّا» إلخ . الذَّودْ : الطرد . ومعدٌّ: أبو قبيلةٍ ، أراد من ينسَب إليه من أولاده . والعِباد بالكسر : قبائل شتَّى من بطون العرب ، اجتمعوا على النَّصرانية بالحيرة ، والنسبة إليهم عِبادىٌّ . وطيِّئ بهمزة الآخر على وزن فيعل ، وهو القبيلة المشهورة بلا همز . وكلبٌ أيضاً : قبيلة . والخِماس، بالكسر: الإبل التى لا تشرب أربعة أيام . والبواكر : التى تُبْكِر غداةَ الخِمْس .

وقوله : (على حينِ مَنْ تَلبث)على متعلقة بقوله ذدت ، وحين يجوز جرُّها بالكسرة ويجوز بناؤها على الفتحة ، لأنَّ الظروفَ المضافة إلى الجمل يجوز إعرابها وبناؤها على الفتحة . واللَّبْثُ : البطءُ . والذَّنوب ، بفتح الذالِ المعجمة ، قال صاحب المصباح[1] : هى الدَّلو العظيمة . قالوا : ولا تسمَّى ذنوباً حتَّى تكون مملوءةً ماءً . وتذكَّروتؤنث[2] . وقال الزجاج : مذكَّر لا غير . ا هـ . ويردُّ عليه حَصْرَه هذا البيتُ ، فإنَّ الضمير فى « فَقْدَها » مؤنَّث ، وهو عائد إلى الذَّنوب . و (التَّدابُرُ) : التقاطُع . وأصله أن يولِّىَ كلٌّ واحد من المتقاطعين صاحبَه دُبُرَه . يقول لعمِّه عند قيامه فى مقام النُّعمان بن المنذر ملكِ الحِيرة مع خصومه : أنا دافعتُ عنك بلسانى فى مجمعٍ. يقول : قمتُ بفخرك وأيَّامك على حين من لا يقوم بحجَّته . وهذا على المثلَ . يعنى أنَّه نَصرَه فى وقت إن تبطئ فيه الحجّة عن المحتجّ يَهلِكْ ولا يمكنْه أن يتلافَى ما فَرَطَ منه . وقوله : (يجِدْ فقدها) معناه يؤلمه فقدُها ، كما يقال وجَد فلان فَقْدَ فلانٍ ، إذ انقطع عنه نفعُه فأثَّر ذلك فى حاله . وروى : (تداثر)

---

(١) ط : « الصحاح » ، صوابه فى ش . وانظر المادة فى المصباح المنير .
(٢) بعده فى المصباح : « فيقال هو الذنوب ، وهى الذنوب » .

بالمثلَّثة بدل (تدابُر) بالموحَّدة ، وهو التزاحم والتكاثُر . جَعل الجمعَ الذينَ عند الملك بمنزلةِ المزدحِمِينَ على الماءِ ليَسقُوا إبلَهم . وأَصل الدَّثْر المالُ الكثير . وأَراد بالمقام المجلسَ الذى جَمَعهم للخِصام ، ورُوى فى ديوانه :

* يجدْ فقدها وفى الذِّناب تداثُرُ *

بالمثلثة . والذِّناب، بالكسر : جمع ذَنُوب المذكورة . قال شارح ديوانه : يقول: ذُدْت عنك فى ذلك الوقت. تَلبث: تبطئ. والذَّنوب : الدلْو . يجد فقدها إذا لم تخرجْ إليه . وإنَّما هذا مثلٌ ضَرَبَه . وفى الذِّناب تداثرُ ، يقول : وفى ذلك تكاثر. وإنَّما هذا مَثَلٌ، أَراد الأَلسُنَ التى كَثُرت عليه. ا هـ .

وروى سيبويه المصراع الثانى كذا :

* يرثْ شِرْبُه إذْ فى المقام تدابرُ *

قال الأَعلم : وصَف مقامًا فاخر فيه غيره وكثُرت[1] المخاصمة والمحاجَّة فيه . وضَرَبَ الذَّنوبَ ، وهى الدَّلو مملوءَةً ماءً ، مثلاً لما نزل به من الحجَّة . والشِّرب بالكسر : الحظُّ من الماء . والرَّيْث: الإبطاءُ . انتهى.

وترجمة لبيد تقدَّمت فى الشاهد الثانى والعشرين بعد المائة[2] .

* * *

وأَنشد بعده وهو الشاهد السادس والتسعون بعد السمائة[3] :

---

(١) ط : « وكثرة » بالعطف على « مقاماً » ، وهو يطابق ما فى شرح الديوان ٢١٧ نقلا عن الخزانة . لكن فى ش ونسخة الأعلم على هامش سيبويه : « وكثرت » عطفاً على « فاخر » .

(٢) الخزانة ٢ : ٢٤٦ .

(٣) فاته أن ينص على أنه من شواهد سيبويه ١ : ٤٤٢ . وانظر الموشح ٧٣ والمغنى ٦٠٦ وشذور الذهب ١٣٥ والعينى ٤ : ٤٢٢ .

٦٩٦ (ولستُ بِحَلاَّلِ التِّــلاعِ مخــافةً
ولـــكنْ متى يَستَرْفدِ القـــومُ أرفِـــدِ)

على أنَّ وقوع الجملة الشرطية بعد(لكنْ) لكونها لا تغيِّر معنى الجملة.

قال سيبويه: وتقول: ما أنا ببخيلٍ ولكن إنْ تـأْتنى أُعطِك .
٦٥١ جاز هذا وحَسُن لأَنَّك قد تضمر ههنا كما تضمر فى إذا. ألا ترى أنك تقول : ما رأيتك عاقلاً ولكن أحمقَ . وإن لم تضمر تركت الجزاء كما فعلت ذلك فى إذا . قال طرفة :

ولست بحلاَّل التلاع مخافة . . . . البيت

كأَنَّه قال : أنا . ولا يجوز فى متى أن يكون الفعل وصلًا لها كما جاز فى مَنْ . والذى سمعناهم ينشدون قولَ العُجير السَّلولى :

وما ذاك أن كان ابن عمِّـــى ولا أخـــى
ولـــكن مَتَى ما أملكِ الضُّرَّ أَنفَـــعُ

والقوافى مرفوعة ، كأَنه قال : ولكنْ أَنفع متى ما أملك الضر ، ويكون أملك على متى فى موضع جزاءٍ ، وما لغوٌ . ولم تجد سبيلاً إلى أن تكون بمنزلةِ مَنْ فتوصَل ، ولكنَّها كمهما . انتهى كلام سيبويه .

فشرط جواز وقوع أَداة الشَّرط بعد لكنْ تقديرُ الضَّمير بينهما ، وحينئذ لا ضرورة فيه ، بل هو حسنٌ للفصل كما قال سيبويه .

ولم يُصب الأَعلم فى قوله : الشاهد فى هذا البيت حذف المبتدأ بعد لكنْ ضرورة ، والمجازاة بعدها ، والتقدير : ولكن أنا متى يسترفد القوم أرفد . ا هـ .

ولم يقدَّر الضمير ، فلا يجوز وقوع الأَداة بعد لكنْ إلاَّ فى الشعر.

والشارح المحقق أخلَّ بهذا التَّفصيل ولم يذكرْه، وقد أَخذ به أَبو على (فى التذكرة القصرية) وقال فيها : قال سيبويه فى قوله :

* ولكن متى يسترفِد القومُ أَرفِدِ *

تقديره : لكن أنا إنْ . قيل : هلا لم يحتج إلى هذا الضمير لأَنَّ لكن إنَّما تُشبه الفعل إذا كانت ثقيلة ، فإذا خفَّت زال عنها شَبه الفعل ، وإذا كان كذلك صلَحت للجملتين ، وإذا صلحت لهما لم تحتج إلى ضمير ؟ قيل : لكن لما فيها من معنى الاستدراك لَم يزُل عنها معنى الفعل ، فاحتيج إلى الضمير فيها . وهذا عندى إنَّما يجب إذا دخل حرف العطف عليه ، نحو ولكن، التى فى البيت، لأَنَّ حرف العطف إذا دخل عليها خلَصت لمعناها وخرجت من العَطْف . وإذا لم يدخل عليها حرف العطف كانت للعطف ، فلم يُحتج[1] فى وقوع الجزاء بعدها إلى إضمار ، كما لا يُحتاج فى حروف العطف إلى ذلك . ا هـ.

وقد نقل ابن هشام (فى المغنى) عن أَبى علىٍّ خلافَ هذا . قال : وزعم سيبويه فى قوله :

* ولكنْ متى يَسترفدِ القومُ أَرفدِ *

أَنَّ التقدير : ولكن أنا . ووجَّهوه بأَنَّ لكن تشبه الفعل فلا تدخل عليه . وبيان كونها داخِلةً عليه أَنَّ متى منصوبة بفعل الشرطِ ، فالفعل مقدَّم فى الرُّتبة عليه . وردَّه الفارسىُّ بأَنَّ المشْبه للفعل هو لكنّ المشددة لا المخفَّفة ، ولهذا لم تعمل المخفَّفة لعدم اختصاصها بالأَسماء . وقيل: إنَّما يُحتاج إلى التقدير إذا دخل عليها الواو ، لأَنَّها حينئذ تخلُص لمعناها وتخْرُج عن العطف. ا هـ.

---

(١) ط : « فلم تحتج » .

وهذا كما ترى مخالف لكلام أَبى على من وجوه، ولا أَدرى من أَين نقله .

وقوله: (ولست بحَلاَّل) إلخ الحَلاَّل : مبالغة الحالّ ، من الحُلول وهو النُّزول . والأَحسن أَنْ يكون فعَّالٌ للنِّسبة ، أَى لست بذى حُلول . و (التِّلاع) : جمع تَلْعة ، وهو مَجرى الماءِ من رءُوس الجبال إلى الأَودية . قال ابن الأَنبارىّ : والتَّلعة من الأَضداد ، تكون ما ارتفع، وما انخفض . والمراد هنا الثانى ، وهو سيل ماءٍ عظيم . و (مخافة) مفعول لأَجله . و (أَرفِد) بكسر الفاء ، لأَنه مضارِع رَفَدَه رَفْداً من باب ضرب ، أَى أَعطاه أَوْ أَعانه . والرِّفد بالكسر اسمٌ منه . وأَرفَدَهُ بالأَلف مثله . وتَرافَدُوا : تعاوَنوا . واسترفدته : طلبت رفده . قال الزوزنى : المعنى إِنِّى لستُ ممَّن يستتر فى التِّلاع مخافة الضَّيف[1] أَو غدرِ الأَعداءِ إِيَّاى[2] ، ولكنْ أَظهَرُ وأُعِينُ القومَ إذا استعانوا بى، إِمَّا فى قِرى الضيف، وإِمَّا فى قتال الأَعداءِ . ٦٥٢

صاحب الشاهد

وهذا البيت من معلَّقة طرفة بن العبد . وقد عابه المرزُبانى (فى كتاب الموشح) وقال : المصراع الثانى غيرُ مشاكِلٍ للأَوَّل .

وبعده :

(فإِنْ تَبْغِنِى فى حَلْقة القوم تَلْقَنى
وإِن تَقْتَنِصْنِى فى الحوانيتِ تَصْطَدِ)

---

(١) فى النسختين : « الضيق » ، والوجه ما أثبت . والذى فى شرح الزوزنى : « مخافة حلول الأضياف أو غزو الأعداء إياى » .

(٢) انظر الحاشية السابقة .

الحلْقة بسكون اللام : ما استدار من الناس ومن الحديد ، وتُجمَعُ على الحَلَق بفتح الحاء واللام ، وهذا من الشواذّ . وقد تجمع على الحِلَق بكسر الحاء مثل بَدْرة وبِدَر[1] . والاقتناص : الاصطياد . يقول : وإن تطلبنى فى مَحفِل القوم وجدتَنى هناك ،وإن تطلبنى فى بيوت الخمَّارين صِدْتنى . والبُغاءُ هو الطَّلَب ، والفعل بغى يبغِى . يريد أنَّه يجمع بين الجِدّ والهزل . كذا فى شرح الزوزنىّ . وقال أبو جعفر النحوى[2] : المعنى إن تطلُبْنى فى موضع يجتمع القوم فيه للمَشُورة وإجالةِ الرَّأْى تلقَنِى ، لما عِندِى من الرَّأْى ، لا أتخلَّف عنهم ، وإن تطلَّبتَ صيدى فى حوانيت الخمَّارين تجدْنى أشربُ وأسقِى مَنْ حضرنى . والحانوت : بيت الخمَّار ، يذكَّر ويؤنث . ا هـ .

وقال ابن السكيت : يقول : أبدًا تجدُنى فى مجلس القوم للمفاخرة وفى بيوت الخمَّارين مع الشَّرْب ، يعنى أنَّه من وجوه قومه لا يُبرَمُ أمرٌ إلاَّ بحضْرتِه ، وأنَّه صاحبُ شرابٍ ولهو . ا هـ .

وترجمة طرفة تقدمت فى الشاهد الثانى والخمسين بعد المائة[3] .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد السابع والتسعون بعد الستمائة ، وهو من شواهد س[4] :

---

(١) فى النسختين : « بردة وبرد » ، والصواب ما أثبت . والبدرة ، بالفتح : كيس فيه ألف أو عشرة آلاف درهم .

(٢) هو أبو جعفر أحمد بن محمد النحاس المتوفى سنة ٣٣٨ . والنص فى شرحه للقصائد التسع ١ : ٢٥٦ .

(٣) الخزانة ٢ : ٤١٩ .

(٤) فى كتابه ١ : ٤٤٢ . وانظر الأصول لابن السراج ٢ : ٢٠٣ والأغانى ١٤ : ١٥١ .

٦٩٧ (وما ذاك أن كـــان ابنَ عمِّى ولا أخـــى
ولـــكن مَتَى مـــا أملكِ الضَّـــرَّ أنفَـــعُ)

على أَنَّ (أنفع) مرفوع ، وهو مؤخَّر من تقديمٍ لضرورة الشعر ، كما فى قوله :

* إنَّك إنْ يُصرع أخوك تصرعُ *

والأَصل فيهما : ولكِن أَنفعُ متى أَملك الضَّرَّ ، وإنَّك تُصرَعُ إنْ يصرع أخوك ، ويكون هذا المقدَّمُ تقديرًا دليلَ الجزاءِ المحذوف .

قال سيبويه : والذى سمعناهم ينشدون قولَ العجير السلولى : «وما ذاك إن كان ابن عمِّى» البيت. والقوافى مرفوعة ، كأَنه قال : ولكن أَنفعُ متى ما أملكِ الضَّر . ا هـ.

والضرورة عند المبرد إنَّما هى فى حذف الفاءِ من أَنفع وتصرع ، وقد ردَّ على سيبويه دعواه تقديرَ التقديم فى هذا وفيما تقدم ، ونقله ابن السَّرَّاج (فى الأُصول) ، فلا بأْس علينا إن نقلناه . وهذا كلامه :

قال أَبو العباس محمد بن يزيد : أَمَّا قوله آتيك إن أَتيتنى فغير مُنكَر ولا مدفوع ، استغنَى عن الجواب بما تقدَّم ، ولم تجزم إنْ شيئاً فتحتاج إلى جواب مجزوم أَو شىءٍ فى مكانه ، وأَما قوله :

وإن أَتاه خليلٌ يوم مسغبةٍ يقولُ لا غائبٌ مالى ولا حَرِمُ[1]

يقول على القلب ، فهو محال ، وذلك لأَنَّ الجواب حدُّه أَن يكون بعد إن وفعلِها الأَوّل ، وإنَّما يُعنَى بالشىءِ موضعُه إذا كان فى غير موضعه ،

(١) فى الأصول لابن السراج : « يوم مسألة » . والبيت من شواهد سيبويه ١ : ٣٤٦ لزهير بن أبى سلمى . وانظر معجم الشواهد .

نحو ضرب غلامَه زيدٌ ، لأَنَّ حدَّ الغلام أن يكون بعد زيد . وهذا قد وقع فى موضعه من الجزاء ، فلو جاز أَن تعنِيَ به التَّقديم لجاز أَنْ تقول : ضرب غلامُه زيدًا ، تريد ضرب زيدًا غلامه. وأَمَّا ما ذكره من مَنْ ومتى ، وسائر الحروف فإنَّه يستحيل فى الأَسماء منها والظروفِ من وجوهٍ فى التقديم والتأْخير ، لأَنَّك إذا قلت : آتى من أَتانى ، وجب أَن تكون مَنْ منصوبة بقولك آتِى ونحوه ، وحروف الجزاء لا يعمل فيها ما قبلها ، فليس يجوز هذا إلاَّ أَن تريد بها معنى الذى ومتى ، إذا قلت آتِيك متى أَتيتنى ، فمتى للجزاء وهو ظرف لأَتيتنى ، لأَنَّ حرف الجزاء لا يعمل فيه ما قبله ، ولكن الفعل الذى قبل متى أَغنَى عن الجواب ، كما قلت فى إنْ فى قولِك : أَنت ظالم إن فعلت . فأَنت ظالم منقطع من إن وقد سدَّ مسدَّ الجواب . وكذلك آتيك قد سدّت مَسدَّ الجواب فى متى وإن لم يكن منها فى شىءٍ ، لأَنّ متى منصوبة بأَتيتنى[1] ، لأَنَّ حروف الجزاء من الظروف والأَسماء إنَّما يعمل فيهما ما بعدهما ، وهو الجزاءُ الذى يعمل فيه الجزم . والباب كلُّه على هذا ، لا يجوز غيره . ولو وُضع الكلام فى موضعه لكان تقديره : متَى أَتيتنى فأَتيتك ، أى فأَنا آتيك .
وأَما قوله :

* . . . من يأْتِها لا يضيرُها *

إنَّما هو مَنْ يضيرها لا يأْتِها ، فمحال أَن ترتفِعْ مَنْ بقولك لا يضيرها ومَنْ مبتدأة ، كما لا تقول زيد يقوم فترفعه بيقوم . وكلُّ ما كان مثلَه فهذا قياسُه . وهذه الأَبياتُ التى أَنشدَها كلُّها لا تصلح إلاَّ على إرادة الفاءِ فى الجواب ، كقوله : «الله يشكرها» ، لا يجوز إلاَّ ذلك. ا هـ .

٦٥٣

---

(١) ش : « لأن أتى » ، صوابه فى ط وأصول ابن السراج .

صاحب الشاهد

والبيت من قصيدة للعُجير السلولى . قال الأَصفهانى (فى الأَغانى) ، وابن هشام اللخمى (فى شرح أَبيات الجمل) : قال ابنُ الأَعرابىّ : كانت للعُجير بنتُ عَمٍّ كان يهواها وتَهواه ، فخطبها إلى أَبيها فوعده وقارَبَه ، ثم خطبها رجلٌ من بنى عامرٍ مُوسِرٌ ، فخيَّرها أَبوها بينه وبين العُجير ، فاختارت العامرىَّ ليساره ، فقال العجير فى ذلك :

أبيات الشاهد

(أَلمَّا على دارٍ لزينبَ قد أَتى
لها باللِّوى ذى المَرْج صَيْفٌ ومَرْبَعُ[1])

وقولا لها : قد طال ما لم تكَلَّمِى
وراعَكِ بالغيب الفؤادُ المروَّعُ[2]

وقُولا لها : قال العُجَير وخَصَّنى
إليكِ ، وإرسالُ الخليلين ينفعُ

أَأَنتِ الذى أَودعتُكِ السِّرَّ وانتحى
بكِ الخَوْنَ مَزَّاحٌ من القوم أَفرَعُ

إذا مِتُّ كان الناسُ صنفانِ : شامتٌ
وآخر مُثنٍ بالذى كنتُ أَصنعُ

ولكنْ ستبكينى خطوبٌ كثيرة
وشُعثٌ أُهِينوا فى المجالس جُوَّعُ[3]

ومُستَلْحِمٌ قد صَكَّه القومُ صكَّةً
بَعيدُ الموالى نِيلَ ما كانَ يَمنَعُ

---

(١) فى الأغانى : « ذى المرخ » . والمرخ من العضاه ، وهو ينفرش ويطول فى السماء حتى يستظل فيه ، وهو كثير الورى سريعه .

(٢) فى الأغانى : « بالعين » .

(٣) فى الأغانى : « ستبكينى خطوب ومجلس » .

رددتُ له ما فرَّط القَيــلُ بالضُّحى
وبالأَمس حَتَّى آبَنَا وهو أَضــلعُ[١]

وما ذاك أنْ كــان ابنَ عمِّى ولا أخى
ولكن متى ما أملكِ الضَّرَّ أنفــعُ[٢])

وهى قصيدة طويلة .

والإلمام : النُّزول ، وضمَّنه معنى الإشراف . واللوى : ما التوى من الرَّمل . والمرج : الموضعُ الذى ترعَى فيه الدوابُّ . وأَراد بالمربع الربيع .

وراعك : أفزعك . وانتحى : اعتمد وقصد . والخَوْن : الخيانة .

وقولُه : «إذا متُّ كان الناس» إلخ هو من شواهد سيبويه على أنَّ كان فيها ضمير الشأْن ، وهو اسمها . وجملة الناس صنفان خبرها .

وروى ابنُ الأَعرابى البيتَ كذا :

إذا مُتّ كــان النــاسُ صِنفَيْنِ شامتٌ
ومُثْنٍ بِنِيرَىْ بَعْضِ ما كنتُ أَصنَــعُ[٣]

فكان على أَصلها . والنِّيرانِ : العَلَمَانِ فى الثَّوب . وإنَّما يريدُ أَنَّه يُثْنَى عليه بحُسْنِ فعلِه ، الذى هو فى أَفعال النَّاسِ كالعَلَمِ فى الثوب . ٦٤٥

وخطَّأَه أَبو محمد الأَسود وقال : الصواب الرواية الأُولى فى المصراع الثانى .

---

(١) فى الأغانى : «حتى اقتاله فهو أصلع»، تحريف .
(٢) فى الأغانى : «ولست بمولاه ولا بابن عمه» .
(٣) سيبويه ١ : ٣٦ ومعجم الشواهد .

وقوله : « ولكن ستبكيني خطوب » الخطوب هنا : الأُمور العظام . وروى بدله : « خصوم » جمع خَصْم ، وهو معروف . والشُّعث : جمع أَشعثَ وشَعثاءَ ، وهو المتلبِّد الرأس . وقال أَبو محمد الأَسود : الصَّواب :

* بلى سوف تأْتيني خطوب كثيرة *

ولم يظهر لى وجهُه . ورَوَيا[1] : « أُهينوا حَضْرَةَ الدار »، بدل : « أُهينوا فى المجالس » ، وحضرةَ ظرف . وجُوّع : جمع جائع .

وقوله : ومُستلحِمٌ قد صَكَّه » بالرفع معطوف على ما قبله . والمستلحِم بكسر الحاء ، المستلحِقُ فى القرابة وفى الجِوار ، من اللُّحمة بالضم ، وهى القَرابة . والصَّكَّة : الضَّربة . والمولى هنا الناصر والمُعِين. وبَعِيدَ : حال من المفعول . ورَوَيا : « ذَليل الموالى » بدل : « بعيد الموالى » . وقوله : « نيل» أَى أُخِذ منه ما كان يمنعه . ورَوَيا المصراعَ الأَوَّل هكذا :

* ومضطهَدٌ قد صَكَّه الخَصْمُ صَكَّةً *

والمضطهد بفتح الهاء : المقهور والمُضطرُّ .

وقوله : « ردَدْتُ له ما فرّط القَيْل » أَى ما نحَّاه القيل . قال فى الصحاح : قال الخليل : فرَّط الله عنه ما يكره[2] أَى نحَّاه ، وقلَّما يستعمل إلاَّ فى الشعر. والقَيْل بفتح القاف : المَلِك . قال ابن خلف ويحتمل أَن يكون القَيْل هنا شُربَ نِصفِ النَّهار . وآبَنَا : رجَعَ إلينا . والأَضلع ، بالمعجمة : المُطِيق للشىء القائمُ به . وروى ابنُ الأَعرابىّ :

(١) كذا فى النسختين : « ورويا » يعنى ابن الأعرابى ، وأبا محمد الأسود الأعرابى . وذلك فى مقابل الرواية الأخرى التى أثبتها البغدادى عن أبى الفرج فى أغانيه .

(٢) فى النسختين : « ما فرط الله عنه مايكره » ، والصواب حذف « ما » كما هو فى الصحاح .

رَدَدتُ له ما سلَّفَ القَومُ بالضُّحَى   وبالأَمسِ حَتَّى اقتالَه وهو أَخضَعُ

وقال : سَلَّفَ القومُ ذلاًّ وهو أَخضَع ، أَراد أَنَّ مفعول سَلَّف محذوف وجملة « وهو أَخضع » حال . واقتاله ، أَى اقتالَ عليه أَى تحكَّم . قال صاحب الصحاح : واقتال عليه : تحكَّم . ومادته القول . وروى أَبو محمدٍ الأَسودُ المصراعَ الثانىَ كذا :

* حتَّى ناله وهو أَضلع *

وقال : أَى أَخذ أَكثر من حَقِّه .

وقوله : « وما ذاك أَن كان » إلخ اسم الإشارة راجع لما صنعه[1] من الجميل مع المستلحِم ، وهو ردُّ ما أُخذَ من ماله إليه قهراً ، وهو مبتدأٌ وخبره محذوف ، أَى صَنَعْتُه . وأَنْ مصدريَّة مجرورة باللام . واسم كان ضمير المستلحِم . وابنَ خبر كان ، والتقدير : وما ذاك الجميلُ فعلته معه لكونه ابنَ عمى ، ولكونهِ أَخى ، ولكن من شأْنى إذا قَدَرت على الضَّرّ والبَطْش نفَعْت .

وروى أَبو محمد الأَسودُ المصراعَ الأَوَّل كذا :

* ولست بمولاه ولا بابن عمِّه *

والعُجَير السَّلولى : شاعرٌ إسلامىٌّ تقدّمت ترجمته فى الشاهد الثامن والثلاثين بعد الثلثمائة[2] .

* * *

وأَنشد بعده :

(إنَّ مَنْ لامَ فى بنى بنتِ حَسَّا   نَ أَلُمْهُ وأَعصِهِ فى الخُطُوبِ)

---

(١) ش : « إلى ما صنعه » .

(٢) الخزانه ٥ : ٣٥ - ٣٦ . وكرر البغدادى ترجمته فى الشاهد ٣٨٠ فى الخزانة ٥ : ٢٦٣ .

على أنَّ ضمير الشأْن وهو اسم إنَّ محذوف ، والجملة الشرطية خبرها.

وتقدم شرح هذا البيت مفصلاً فى الشاهد السابع بعد الأَربعمائة[١] .

* * *

وأَنشد بعده ، وهو الشاهد الثامن والتسعون بعد السِّمائة[٢] :

٦٩٨ (مَنْ يَكِدْنِى بسيِّئٍ كُنْتَ منـه

كالشَّجَـا بين حَلْقِـهِ والـوريدِ)

٦٥٥ على أَنّ مجىءَ الشرط مضارعًا مجزوماً والجزاءِ ماضيًا خاصٌّ بالشِّعر عند بعضهم .

قال ابن مالك : الصحيح الحكم بجوازه ، لثبوته فى كلامِ أَفصح الفصحاءِ ، قال صلى الله عليه وسلم : « مَنْ يَقُم ليلةَ القَدْرِ إيمانًا واحتساباً غُفِرَ له ما تَقَدَّمَ من ذنبه[٣] » .

والبيتُ من قصيدةٍ لأَبى زُبيدٍ الطائىِّ النَّصْرانى ، رثى بها ابن أُخته اللَّجلاج . وقبله :

(كانَ عَنِّى يردُّ دَرْؤُكَ بعدَ ا   للهِ شَغْبَ المُستَصْعَبِ المِرِّيدِ[٤])

من يَكِدْنى . . . .   البيت .

الدرءُ : الدفع. وفى الحديث: «ادرءُوا الحدودَ بالشُّبُهات[٥]». والشَّغب

---

(١) الخزانة ٥ : ٤٢٠ — ٤٢٥ .

(٢) ديوان أبى زبيد الطائى ٥٢ . وانظر المقتضب ٢ : ٥٩ والمقرب ١ : ٢٧٥ ورصف المبانى ١٠٥ والعينى ٤ : ٤٢٧ والأشمونى ٤ : ١٧وجمهرة القرشى ٢٦٣ .

(٣) من حديث أبى هريرة فى صحيح البخارى ومسلم،وسنن أبى داود والترمذى والنسائى وابن ماجه . وانظر الألف المختارة الحديث ١٦٣ .

(٦) الدرء : الدفع . ط : « درأك » ، صوابه فى ش والديوان .

(٥) أخرجه ابن عدى فى الكامل . الجامع الصغير ٣١٤ .

بفتح الشين وسكون الغين المعجمتين : تهييج الشر . والمرِّيد : مبالغة المارد .

وقوله : (من يَكِدْنى) يقال كاده كيْدًا من باب باع، إذا خدَعَه ومكَرَ به . والسيِّئُ : فَيْعِل، وصفٌ من السوء . و(كنتَ) بالخطاب . و (الشَّجَا) : ما يعترض فى الحَلْق كالعَظْم . و (الوريد) : عرقٌ قيل هو الودَج ، وقيل بجنْبِه . وقال الفرَّاءُ : عرق بين الحُلقوم والعِلباوَيْن، وهو ينبض أبدًا، فهو من الأَوردة التى فيها الحياة ولا يجرى فيها دم ، بل هى مجارى النَّفس بالحركات . وهذا مطلع القصيدة :

(إنَّ طُولَ الحياةِ غيرُ سعودِ وضلالٌ تأْميلُ نَيلِ الخُـــلودِ)

وعدَّتها تسعة[1] وخمسون بيتاً ، وهى من القصائد الجياد فى المراثى وقد جمعها محمد بن العباس اليزيدى ، عن ابن حبيب ، وهى عندى بخط محمد بن أسد بن علىٍّ القارى ،وتاريخ خطِّه سنة ثمانٍ وستِّين وثلثمائة .

وترجمة أَبى زُبيد الطائى تقدَّمت فى الشاهد الثانى والثمانين بعد المائتين[2] .

* * *

وأنشد بعده :

(منَ يفْعَلِ الحسناتِ اللهُ يشْكُرها)

وتقدَّم شرحه قريباً[3] :

* * *

(١) ط : « تسع » ، صوابه فى ش . والقصيدة بهذا العدد فى ديوانه .
(٢) الخزانة ٤ : ١٩٢ .
(٣) هو الشاهد ٦٩١ .

وأنشد بعده ، وهو الشاهد التاسع والتسعون بعد السمائة ، وهو من شواهد س[(١)] :

٦٩٩ (أَتَغْضَبُ إِنْ أُذْنَا قُتَيْبَةَ حُزَّتا)

على أنَّه قد يستعمل الماضى فى الشَّرطِ متحقِّق الوقوع ، وإن كان بِغير لفظ كان ، لكنَّه قليل . وهو هنا محذوفٌ مفسَّر بالفعل المذكور ، والتقدير : إن حُزّتْ أُذُنا قتيبة . فحزُّ أُذُنَيْهِ قد وقَع فيما مضَى من الزمان وتحقَّق معناه .

وقدّر المصنف (فى شرح المفصل) بما نقله الشارح عنه ، وردَّه . ويشهد لما قاله الشارح المحقق ما نقله سيبويه عن الخليل ، قال : سأَلتُ الخليل رحمه الله عن قول الفرزدق :

أتغضب إنْ أُذنا قُتيبةَ حُـزَّتا   جِهارًا ولم تغضب لقتل ابن خازم

فقال : لأَنَّه قبيح أَنَّ تفصل بين أَنْ والفعل ، كما قَبح أن تفصل بين كَى والفعل ، فلَمَّا قبح ذلك ولم يَجُزْ حملوه على إنْ ، لأَنَّه قد يقدّم فيها الأَسماءُ قبل الأَفعال . ا هـ .

يريد الخليل أَنّ إنْ فى البيت لا يصحُّ فتح همزتها للقبح المذكور ، وإنما هى إن المكسورةالهمزة ، لجواز الفصل بينها وبين الفعل باسمٍ على شريطة التفسير ، نحو قوله تَعالى : ﴿ وإِنْ أَحَدٌ مِنَ المُشْرِكينَ استَجَارَكَ[(٢)] ﴾ . ٦٥٦
و (فى المسائل القصرية لأَبى على) : اعترض أَبو العباس المبرِّد على إنشاد هذا البيت بالكسر فقال : قتل قُتيبة قد مضى وإن للجزاء ، والجزاءُ

(١) فى كتابه ١ : ٤٧٩ . وانظر الهمع ٢ : ١٩ والمغنى ٢٦ ، ٣٥ ، ٣٦ وشرح شواهده للسيوطى ٣٢ والأزهية ٦٩ وديوان الفرزدق ٨٥٥ .
(٢) الآية ٦ من سورة التوبة .

يكون لِما يأْتى ، فلا يستقيم أن تقول : إن قمتَ قمتُ ، وقد مضى قيامه .
قال أبو علىّ : إنما يريد : أفتغضبُ كلما وقع هذا الفعلُ ، أى مثلُ هذا الفعل ، وإن كان التأْويل على هذا صحّ الكسر . ا هـ .

وأراد بتقدير المِثْل كوْنَ الفعل مستقبلاً .

وظاهر نقل أبى علىٍّ أنّه لا يجوز الكسر عند المبرد ، ولكنّ صريح كلام ابن السِّيد أنّ المبرِّد يجوِّزه ، قال (فى شرح كامل المبرد) : وأجاز أبو العباس فتحَ أنْ فى هذا البيت ، وجعلها أنِ المخفَّفةَ من الثقيلة وأضمر اسمها ، كأنّه قال : أنّه أُذنا قتيبة حُزَّتا . ومن روى إنْ بكسر الهمزة ، وهو رأى سيبويه ، فوجهه أنّه وضع السبب موضعَ المسبَّب ، كأنّه قال : أتغضب إن افتخر مفتخرٌ بحزِّه أُذُنَىْ قتيبة ، كما قال الآخر[1] :

إنْ يقتلوك فإنَّ قتلَكَ لم يكن عارًا عليك ، ورُبَّ قتلٍ عـــارُ

المعنى : إن افتخروا بقتلك . فذكر القتْلَ الذى هو سببُ ذلك . ا هـ .

وقد صَرفه ابن هشام (فى المغنى) إلى المستقبل بتأْويلين : أحدهما : ما ذكره ابن السِّيد من إقامة السّبب مقام المسبب . والثانى : أنّه على معنى التبيُّن ، أى أتغضب إن تبيَّن فى المستقبل أنَّ أُذنى قتيبة حُزَّتا فيما مضى .

ثم قوله : وقال الخليل والمبرّد : الصواب «أنْ أُذنا» بفتح الهمزة ، أى لأَنْ أُذنا ، هو خلاف ما نقله سيبويه عن الخليل ، وخلاف ما نقله ابن السِّيد عن المبرد . وذهب الكوفيون إلى أنَّ أن فى هذا البيت ليست للشَّرط ، لمضيِّه ، وإنّما هى بمعنى إذْ . قال إمامُهُمْ[2] (فى سورة الزخرف .

(١) هو ثابت قطنة ، وهو الشاهد ٧٩٨ .
(٢) يعنى الفراء .

من تفسيرهِ) عند قوله تعالى: ﴿أفَنَضْرِبُ عنكم الذِّكْرَ صَفْحاً إنْ كنتم[1]﴾ قرأ الأعمش بالكسر ، وقرأ عاصم والحسن بفتح أنْ ، كأنَّهم أرادوا شيئًا ماضيًا . وأنت تقول فى الكلام : أأسبُّك أنْ حَرَمتنى ، تريد إذْ حرمتنى . وتكسر إذا أردت: أأسبُّك[2] إن تحرمْنى. ومثله: ﴿ لا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قومٍ أنْ صَدُّوكم[3] ﴾ تكسر إنْ وتفتح . ومثله ﴿ فلعلَّك بَاخِعٌ نَفْسَكَ على آثارهم إنْ لم يؤمنوا[4] ﴾ و (أن لم يُؤمنوا) . والعرب تنشد قول الفرزدق :

* أتجزع إن أُذْنا قتيبة حُزَّتا *

وأنشدونى :

وَتجـزع إنْ بانَ الخليطُ المـودِّعُ
وحَبْـلُ الصَّفا من عَزَّةَ المتقطِّعُ[5]

وفى كلٍّ واحدٍ من البيتين ما فى صاحبه من الكسر والفتح .
انتهى كلامه .

صاحب الشاهد

والبيت من قصيدةٍ طويلة للفرزدق مدحَ بها سليمان بنَ عبد الملك ، وهجا جريراً . وقبله هذه الأبيات :

---

(١) الآية ٥ من سورة الزخرف .
(٢) فى النسختين : « لأسبك » . صوابه من معانى الفراء ٣ : ٢٦ .
(٣) الآية ٢ من المائدة . وقراءة الفتح هى قراءة الجمهور . وقرأ بالكسر ابن كثير وأبو عمرو ، ووافقهما ابن محيصن واليزيدى . إتحاف فضلاء البشر ١٩٨ .
(٤) الآية ٦ من الكهف . وقد نص الزمخشرى فى الكشاف على القراءتين ولم يعين صاحبهما ، ونقل عنه ذلك أبو حيان فى تفسيره ، وجاء فيه النص محرفاً على هذه الصورة : « بكسر الميم وفتحها » والصواب « بكسر الهمزة وفتحها » . والواضح أن قراءة الكسر هى قراءة الجمهور . ووجدت فى مختصر شواذ القرآن لابن خالويه ص ٧٨ نسبة قراءة الفتح إلى الأعشى عن أبى بكر عن عاصم . وانظر معانى الفراء ٢ : ١٣٤ .
(٥) يبدو أنه لكثير . ولم أجده فى ديوانه .

والبيت من قصيدةٍ طويلة للفرزدق مدحَ بها سليمان بنَ عبد الملك ، وهجا جريراً . وقبله هذه الأبيات :

فإنْ تكُ قيسٌ فى قتيبة أُغضِبَتْ
فلا عَطَستْ إلَّا بأَجدعَ راغمِ

وهل كان إلاّ باهليًّا مجدَّعاً
طغَى فسقيناه بكأْس ابن خازمِ

لقد شهدت قيسٌ ، فما كان نصرُها
قتيبةَ إلاَّ عضُّها بالأَباهم

فإن تقعُدوا تَقعُدْ لئامٌ أَذلَّة
وإن عدتُمُ عُدنا بأَبيضَ صارمِ)

أَتغضب إنْ أُذنا قتيبة . . . . . البيت

(فما منهما إلَّا بعثْنا برأْسه
إلى الشَّامِ فوقَ الشَّاحجات الرَّواسمِ

تَذبذبُ فى المِخلاة تحتَ بطونها
محذَّفَةَ الأَذناب جُلْحَ المقادمِ

ستعلم أَيُّ الواديينِ له ثَرًى
قديماً وأَوْلَى بالبحور الخضارمِ(١)

وما أَنت من قيسٍ فتنبِحَ دُونَها
ولا من تميمٍ فى الرؤُوس الأَعاظَمِ(٢)

٦٥٧

(١) فى الديوان ٨٥٥ : « له الثرى » .
(٢) بين هذا البيت وسابقه فى الديوان ٢١ بيتا .

قوله : « فإن تك قيس» إلخ ، قيس : أبو قبيلة ،وهو قيس بن عَيلان ابن مضر . وقبيلةُ باهلةَ : فخذٌ من قيس بن عيلان . وأراد القبيلة . ولجريرٍ خُئولةُ فى قيس . وقتيبة هو ابن مسلم الباهلى ، وستأْتى حكايته . وأُغضِبَت بالبناء للمفعول ، وقوله « فلا عَطَست» إلخ جملة دعائية : وقعت جزاءً للشَّرط ، فلذا قرنت بالفاء . وأَجْدَع صفة موصوفٍ محذوف أى أنف أجدع . والراغم : الذَّليل أو الكاره[1] ، وهو على النسبة ، أى ذى الرّغام وهو التُّراب[2] ، يقال أرغم الله أَنْفَه ، أى أَلصقه بالرَّغام ، وهو التُّراب ، وهو كناية عن الإذلال .

وقوله : « وهل كان إلاَّ باهليًّا » اسم كان ضمير قُتيبة ، ومجدَّعاً يُدْعَى عليه بالْجَدْع ، وهو قَطْع الأَنف . وباهلة : قبيلةٌ منحطَّة بين العرب . ولذا قيل :

وما يَنفَعُ الأَصلُ من هـــاشمٍ إذا كانت النَّفسُ من باهِلَــه

رُوى أَنَّ قتيبة هذا مازحَ أَعرابيًّا جافياً فقال : أَيسرُّك أَن تكونَ باهليًّا ؟ فقال : لا والله . قال : فتكون باهليًّا خليفة ؟ قال : لا والله ولو أَنَّ لى ما طلعَتْ عليه الشَّمس : قال : فيسرُّك أَنْ تكون باهليًّا وتكونَ فى الجنَّة ؟ فأَطرقَ ثم قال : بشرط أَن لا يعلم أَهلُ الجنَّة أَنِّى باهلى ! فضَحِكَ من قوله .

وقوله : (أَتغضبُ إن أُذنا قتيبة) إلخ. فاعل تغضب قيسُ المتقدم ، وأَنَّث فعله لأَنَّه أَراد به القبيلة . والاستفهام للتعجُّب والتوبيخ . ويجوز أَن يكون فاعله مستترًا فيه تقديره أَنت ، وهو خطابٌ مع جرير

(١) ط : « والكاره » .
(٢) ط : « أى ألصقه بالتراب » فقط .

بدليل ما بعده من البيتين . والحَزُّ ، بالحاء المهملة والزاى المشددة : القطع. وحَزّ الأُذنين كناية عن القَتل ، لأَنَّ القتيل قد تُقطَع أُذنه للتشويه . (جهارًا) أى حزًّا جهاراً. و(ابن خازم) بالخاء والزاء المعجمتين. يريد أَنَّ قيسا غضبت من أَمرٍ يسيرٍ ولم تغضب لأَمرٍ عظيمٍ . وقد أَنكَر هذا منها .

وأَمَّا قتيبة بالتصغير فهو قُتيبة بنُ مسلم بن عمرو بن حُصين بن ربيعة بن خالد بن أُسيد الخير بن كعب بن قُضاعيّ بن هلال الباهلى . نشأَ فى الدَّولة المَرْوانية ، وتَرقَّى وتولَّى الإمارة ، وفتح الفتوحات العظيمة ، وعَبَرَ ما وراءَ النَّهرِ مراراً وأَبلى فى الكُفَّار . وكان شُجاعًا جوادًا دمِثَ الأَخلاق ذا رأْى ، افتتح بُخارى ، وخُوارزم ، وسَمَرْقَند ، وفَرغانة ، والتُّرك . وولىَ خراسان ثلاثَ عَشْرة سنة .

وهذا خبر مقتَله (من تاريخ النُّويرى[1]) قال : قُتل قتيبةُ بن مسلمٍ الباهلىُّ فى سنة ستٍّ وتسعين فى خراسان . وكان سببُ ذلك أَنَّه أَجابَ الوليدَ إلى خلع سليمان ، فلما أَفْضَت الخلافةُ إلى سليمانَ خَشِىَ قتيبةُ أَنَّ سليمان يستعمل يزيد بن المهلَّب على خُراسان ، فكتب قتيبة إلى سليمان كتابًا يهنِّئه بالخلافة ، ويذكر بلاءَه وطاعتَه لعبد الملك والوليدِ ، وأَنَّه له على مثل ذلك إنْ لم يعزِلْه عن خُراسان . وكتب إليه كتاباً آخر يُعلمه فيه بفتوحه ونكايتِه ، وعظِيمِ قَدْره عند ملوك العجم ، وهَيبته فى صدورهم ، ويذمُّ آلَ المهلَّب ويحلف بالله : لو استُعمِل يزيد على خراسان ليخلعنَّه . وكتب كتابًا ثالثاً فيه خلعُه . وبعث الكتبَ مع رجلٍ من باهلة وقال له : ادفع الكتابَ الأَوَّل إليه ، فإنْ كان يزيد حاضراً

---

(١) هو نهاية الأرب ، ويعنى القسم التاريخى منه ، ويبدأ فى الجزء الثالث عشر من نهاية الأرب .

٦٥٨ فقرأه ثم ألقاه إليه[١] . فادفع إليه الثانىَ . فإن قرأه ودفعه إليه فادفع إليه الثالث . وإن قرأ الأوَّل ولم يدفَعْه إلى يزيد فاحبس الكتابين عنه . فقدِم رسولُ قتيبة فدخلَ على سليمان وعنده يزيدُ بن المهلَّب ، فدفع إليه الكتاب الأوَّلَ فقرأَهُ وألقاه إلى يزيد ، فدفع إليه الثانىَ فقرأه ودفعه إلى يزيد ، فأعطاه الثالثَ فقرأه وتمعَّر لونُه وختَمه ، وأمسكه بيده . فقيل : كان فيه « إنْ لم تُقرَّنى على ما أنا عليه وتؤمِّننِّى[٢] لأخلعنَّك ، ولأملأنَّها عليك خيلًا ورَجْلاً » ثم أمر سليمان بإنزال رسول قتيبة وأحضره ليلا[٣] وأعطاه دنانيرَ وعَهْد قتيبةَ على خراسان ، وسيَّر معه رسولًا . فلما كانا[٤] بحُلوان بلغهما خَلْعُ قتيبة ، فرجع رسولُ سليمان فلمَّا خلعَه قتيبةُ دعا الناس إلى خلعِه فلم يجبْه أحد ، فغضب وسبَّهم طائفةً طائفة ، وقبيلةً قبيلةً ، فغضب الناسُ واجتمعوا على خَلع قتيبة ، وكان أوّل من تكلم فى ذلك الأزْد ، فأتَوْا حُضَين بن المنذر[٥] فقالوا :إنَّ هذا قد خلع الخليفة ، وفيه فسادُ الدِّين والدنيا ، وقد شتَمَنا فما ترى؟ فأشار أنْ يأتوا وكيعَ بنَ حسّانِ بن قيسٍ الغُدَانى . وغُدانة هو ابن يربوع بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم . وكان وكيعٌ مقدَّما، لرياسته على بنى تميم ، وكان قتيبة عزَله ، فحقد عليه وكيع . فلما أتوه وسألوه أن يلىَ أمرَهم فعل ، فبلغ أمرُه لقتيبة ، فأرسل إليه يدعوه ، فلبس

(١) ط : « ثم دفعه إليه » ، وأثبت ما فى ش مطابقاً لابن الأثير ٥ : ١٢ فى حوادث سنة ٩٦ .

(٢) كذا فى التسخبن . والإتيان بنون التوكيد بعد « لم » قليل نادر .

(٣) ش : « ثم أحضره ليلا » .

(٤) ط : « كان » ، صوابه فى ش .

(٥) هو الحضين بن المنذر بن الحارث بن وعلة الرقاشى ، من كبار التابعين ، وكان فارسا شاعرا ، وكانت معه راية على بن أبى طالب يوم صفين ، دفعها إليه وهو ابن تسع عشرة سنة . مات على رأس المائة . المؤتلف ٨٧ وتهذيب التهذيب ٢ : ٥٩٥ . وانظر ما سبق فى ٤ : ٣٨ .

وكيع سلاحه ونادى فى الناس فأَتَوْه ، وركب فرسَه وخرج ، وأَتاه الناس أَرسالاً ، واجتمع إلى قتيبة أَهلُ بيته وخواصٌّ اصحابه ، فكَبّروا وهاجوا ، فقُتل عبدُ الرحمن أخو قتيبة ، وجاءَ الناس حتَّى بلغوا فُسطاطَ قتيبة فقطعوا أَطنابه ، وجُرح قتيبة جراحاتٍ كثيرة . ثم نزل سعدٌ[1] وشقّ الفُسطاط واحتزَّ رأْس قتيبة وقَتلَ معه من أَهله وإخوته أَحدَ عشر رجلا . فأَرسل وَكيع إلى سليمانَ برأْسه ورُءُوس أَهله .

وأَما ابن خازم فهو عبد الله بن خازم السُّلَمِىّ[2] . وينتهى نسبُ سُليمٍ إلى قيس عيلان . وهو أَحدُ غِربان العرب فى الإسلام . وكان من أَشجع الناس ، وقتلته بنو تميم بخُراسان فى سنة اثنتين وسبعين ، وكان الذى وَلِىَ قتلَه وكيعُ بن الدَّوْرقيَّة القُرَيعىّ . وكان ابنُ خازم أَمير خراسان من قبل ابن الزُّبير ، وكان أَوَّلا استعمله ابنُ عامرٍ على خُراسان فى أَيَّام عثمان . وكان أَحدَ الأَبطال المشهورين ، وقد حضر مواقفَ مشهورةً وأَبلَى فيها .

وهذا خبرُ مقتله (من تاريخ النويرى) قال : ولمَّا قُتل مصعب ابن الزبير كان ابن خازم يقاتل بُجَير بن وَرْقاءَ التَّميمى[3] بنيسابور ، فكتب عبد الملك بنُ مروانَ إلى ابن خازمٍ يدعوه إلى البيعة ويُطعِمه خراسان سَبعَ سنين ، فامتنع وأَطعم كتابه لرسوله . وكتب عبد الملك إلى

---

(١) سعد هذا لا يعرف من خبره إلا أنه قاتل قتيبة ، وقد سجل حضين بن المنذر أن اسمه سعد بن سعد ، بقوله فى شعره وهو يعنيه :

وإن ابن سعد وابن زحر تعاورا بسيفيهما رأس الهمام المتوج

انظر تاريخ الطبرى ٦ : ٥١٧ فى حوادث سنة ٩٦

(٢) ط : « السليمى » ، صوابه فى ش .

(٣) انظر خبره فى نوادر المخطوطات ٢ : ١٧٦ – ١٧٧ .

بُكير بن وسَّاج[1] وكان خليفةَ ابن خازم على مَرْو ، وتعهَّده[2] على خراسان ، ووعده ومَنَّاه ، فخلع بُكيرٌ ابنَ خازم ، ودعا إلى عبد الملك ، فأجابه أهل مرو . وبلغ ابنَ خازمٍ فخاف أن يأْتيه بُكير ، فيجتمعَ عليه أهل مَرْو وأهلُ نيسابور ، فترك بُجيرًا وأقبل إلى مَرْو فاتبعه بجير فلحقه بقريةٍ على ثمانية فراسخ من مَرْو فقاتله ، فقُتل ابن خازم وكان الذى قتله وَكيع بن عمرو القُريعى ، اعتوَرَه وكيعٌ وبُجير بن ورقاء ، وعمَّار ابن عبد العزيز ، فطعنوه فصرعوه ، وقعد وكيعٌ على صَدره فقتله ، وبعث بشيرًا بقتله إلى عبد الملك ولم يبعَثْ برأْسه ، وأقبل بكيرٌ فى أهل مرو فوافاهم حين قتل ابن خازم ، فأَراد أَخْذ الرأْسِ وإنفاذَه إلى عبد الملك ، فمنعه بجير .

٦٥٩

كذا قال النُّويرى . وهو خلاف قولِ الفرزدق :

فما منهما إلاَّ بعثنا برأْسِهِ إلى الشام .... البيت

والله أعلم .

وكان بين قتل ابن خازم وقتل قتيبة أَربعٌ وعشرون سنة[3] .

وقوله : « فوق الشاحجات » يعنى البغال . والرسم : ضرب من السَّير ، وإنَّما عنَى ههنا بغالَ البريد بقوله :

* محذَّفةَ الأَذنابِ جُلحَ القَوادِمِ *

وترجمة الفرزدق تقدمت فى الشاهد الثلاثين[4] .

* * *

(١) ط : « وشاح » ، وأثبت ما فى ش مطابقاً فى القاموس (وسج) وتاريخ الإسلام للذهبى ٣ : ١١٢ ، وجمهرة ابن حزم ٢١٨ ، ٢١٩ .

(٢) المراد أعطاه عهداً بها . وفى ش : « تعهده » بلا واو .

(٣) فى النسختين : « أربعة وعشرون سنة » ، والوجه ما أثبت .

(٤) فى الخزانة ١ : ٢١٧ .

وأنشد بعده :

(لم تَدْرِ ما جزعٌ عليتَ فتجْزَعُ)

تقدَّم شرحه فى هذا الباب قريباً[1] .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الموفى السَّبعَمائة ، وهو من شواهد س[2] :

٧٠٠ (وقالَ رائدُهم أَرْسُوا نُزاوِلُها

فكلُّ حتْفِ امرئٍ يجرى بمقدارِ)

على أنّ قوله : (نزاولُها) استئنافٌ ولهذا وجب رفعُه .

قال سيبويه : وتقول : ائتنى آتِك ، فتجزم على ما وصفنا ، وإن شئت رفعتَ على أن لا تجعله معلَّقاً بالأَوّل ، ولكنك تبتدئهُ وتجعل الأَوَّلَ مستغنياً عنه ، كأَنه يقول : ائتنى أَنا آتيك . ومثل ذلك قول الأَخطل :

* وقال رائدُهم أَرسُوا نُزاوِلُها * البيت . ا هـ

وأَجاز الشارح المحقق كونَ نزاولُها حالاً .

فإنْ قلت : الحال قيدٌ لعاملها ، فكيف يكون الإرساءُ فى حال المُزاوَلة والمزاولةُ إنَّما تكون بعد الإرساءِ ؟

قلت : أَوَّل المزاولة مقارنٌ للإرساءِ وإنْ كانت لا تتمُّ إلاَّ بعده .

وهذا المقدار كافٍ .

---

(١) انظر الخزانة ٨ : ٥٣١ . ومن الجدير بالذكر أنه هذا الشاهد ليس فى هذا الباب ، بل هو فى باب النواصب .

(٢) فى كتابه ١ : ٤٥٠ . وانظر ابن يعيش ٧ : ٥٠ ، ٥١ ومعاهد التنصيص ١ : ٩٢ .

وهذا البيت أُورِدَ فى علم المعانى مثالاً لكمال الانقطاع باختلاف الجملتين خبرًا وإنشاءً لفظًا ومعنى ، ولهذا لم يتعاطفا . فإنَّ أَرسُوا إنشاءٌ لفظاً ومعنى ونزاولُها خبرٌ كذلك ، فوجب تركُ العطف . ولم يُجعل نزاولها مجزومًا جوابًا للأَمر؛ لأَنَّ الغرض تعليلُ الأَمر بالإرساء بالمزاولة ، والأَمر فى الجزم بالعكس ، أَعنى يصير الإرساءُ علَّة المزاولة كما فى «أَسلِمْ تدخُلِ الجنَّة» . كذا قرَّره التفتازانى . وبه يُعرَف ما فى قول الأَعلم ، وتبعه ابن يعيش : « ولو أَمكنه الجزمُ على الجواب لجاز » ــ من الضَّعف .

وتبعه أَيضاً ابن المستوفِى فقال : ويجوز أَنْ يُجزَم إذا جعلتَه عِلَّة للأَوّل ومحتاجاً إليه .

وإنَّما استشهدُوا به لأَنَّه لا يمكن جزم نزاولها .

و (الرائد) : الذى يتقدَّم القومَ ليطلبَ الماءَ والكلأَ، من الرَّود وهو التردُّد فى طلب الشىءِ برفق . و (أَرْسُوا) بفتح الهمزة أَمرٌ من الإرساءِ ، أَى أَقيموا ، من أَرسيت السفينة إرساءً، أَى حبَسْتُها بالمِرساةِ . ولم يُصب العبَّاسىّ (فى معاهد التنصيص) فى قوله : وهو من رَستِ السَّفينة ترسو رُسوًّا ، إذا وقفَتْ على الأَنجر[1] معرب لَنْكر ، وهو مِرساة السَّفينة ، وهى خَشَبات يُفْرَغ بينها الرَّصاصُ المذاب ، فتصير كصخرةٍ ، إذا رسَتْ رست السَّفينة. أَو هو من رسَتْ أَقدامهم فى الحرب ، أَى ثبتت . (نزاولها) : مضارع زاولَ الشىءَ ، أَى حاول وعالجه . و (الحتف) : الهلاك . قال السعد : الضمير فى نزاولها للحرب ، أَى

(١) وكذا فى معاهد التنصيص . وفى ش : « اللنجر » ، تحريف . وانظر القاموس واللسان والمعرب للجواليق ٢٦ . وفى التهذيب : هو اسم عراق، وهو خشبات يخالف بينها وبين رءوسها، وتشد أوساطها فى موضع واحد ثم يفرغ بينها الرصاص المذاب فتصير كأنها صخرة ، ورءوس الخشب ناتئة تشد بها الحبال وترسل فى الماء ، فإذا رست رست السفينة فأقامت .

قال رائدُ القوم، ومقدمهم : أَقيموا نقاتل . فإنَّ موت كلِّ نفس يجرى بمقدار الله وقَدَره ، لا الجبنُ يُنجيه ، ولا الإقدامُ يُرْديه . وقيل الضمير للسَّفينة ، وقيل للخمر . والوجه ما ذكرنا . اهـ. ٦٦٠

ويشهد لما اختار ما أَورده الكرماني (فى الموشَّح) ، وتبعه العباسى من بيتٍ بعده ، وهو :

(إمَّا نموتُ كرامًا أَو نفوزُ بها   لنسلم الدَّهرَ من كَدٍّ وأَسفارِ)

والعجب من الكَرمانىّ فى قوله : وصف الشاعر جماعةَ اللُّصوص ، لما رأَوُا السَّفينةَ طمِعوا فى أَخْذها ، فأَمر سيِّدُ القوم الملاَّحين بإرساء السفينة . ويَعضِد هذا الوجهَ ما بعده : إمَّا نموت كرامًا .... البيت .

وقال الأَعلم ، وتبعه ابن يعيش : وصف شَربًا قدَّموا أَحدَهم يرتاد لهم خمراً فظفر بها فقال لهم : أَرسُوا ، أَى انزلوا ، نشربها . ومعنى (نزاولها) : نخاتل صاحبَها عنها . وقوله : (فكلّ حتف) إلخ أَى لابدَّ من الموت ، فينبغى أَن نبادر، بإنفاق المال فيها وفى نحوها، إلى اللذات. هذا كلامه .

والبيت قد نسَبه إلى الأَخطل، وراجعتُ ديوانَه مرارًا فلم أَظفر به فيه . والله أَعلم به .

* * *

وأَنشد بعده ، وهو الشاهد الحادى[1] والثانى بعد السبعمائة ، وهو من شواهد س[2] :

---

(١) وفى ش : « الشاهد الواحد » . وانظر ما كتبت فى حواشى الجزء الثامن ص ٣٤١ ، كما أن الحق أن هذا الإنشاد يتضمن شاهدين لا شاهداً واحداً كما سيأتى فى ص ٩٦ .

(٢) فى كتابه ١ : ٤٤٦ . وانظر المقتضب ١ : ٦٦ والإنصاف ٥٨٣ وابن يعيش ٧ : ٥٣ / ١٠ : ٢٠ ورصف المبانى ٣٢ ، ٣٣٥ والهمع ٢ : ١٢٨ والأشمونى ٣ : ١٣١ ويس ٢ : ١٦٢ .

٧٠١ (مَتَى تـأْتِه تَعْشُو إلى ضَــوءِ نارِهِ
تَجِــدْ حَطَبــاً جــزلاً ونارًا تـأَجَّجا)

على أنَّ جملة (تعشو) جاءت حالاً بعد صَريح الشَّرط وهو تـأْتِهِ وصاحب الحال الضمير المخَاطَب فى الشرط . والمعنى : متى تـأْتِه عاشياً، أى فى الظلام .

قال الشارح المحقِّق : « ويجوز فى مثلِه البدل » . أَراد ما أَنشده [سيبويه [1]] ، وهذا نصُّه (فى باب ما يرتفع بين الجزمين وينجزم بينهما) : أَما ما يرتفع بينهما فقولك : إن تـأْتنى تسأَلُنى أُعطِك، وإن تسأَلنى تَمْشى أَمْشِ معك . وذلك لأَنَّك أَردت أَن تقول ، إن تـأْتنى سائلاً يكن ذلك وإن تـأْتنى ماشيًا فعلتُ . وقال زهير :

ومَن لا يزلْ يستحملُ النَّــاسَ نفسَــه
ولا يُغْنِهــا يومًا من الدَّهر يَسْــأَمِ

إنَّما أَراد : مَن لا يزل مستحملاً يكون من أَمره ذلك . ولو رفع يغنها جاز وكان حسناً ، كأَنَّه قال : من لا يزل لا يغنى نفسه . ومما جاء أَيضاً مرتفعاً قول الحطيئة :

متَى تـأْته تعشُو إلى ضوءِ ناره تجِــدْ حطباً جَزْلاً ونارًا تـأَجَّجا

وسأَلتُ الخليل رحمه الله عن قوله ، وهو عُبيد الله بن الحُرِّ [2] :

متى تـأْتنا تلمم بنا فى ديارنا تَجدْ حطبًا جزلا ونارًا تـأَجَّجا

قال : تلمم بدل من الفعل . ونظيره فى الأَسماء : مررت برجل عبدِالله

---

(١) التكملة من س . وانظر سيبويه ١ : ٤٤٥ – ٤٤٦ .

(٢) ط : « عبد الله بن الحر » ، صوابه فى ش . وقد سبقت ترجمته عبيد الله هذا فى ٢ : ١٥٥ – ١٦١ .

فأراد أن يفسِّر الإتيان بالإلمام ، كما فسَّر الاسمُ الأوَّل بالاسم الآخرِ.

ومثل ذلك قوله ،أنشدنيهما الأصمعىُّ عن أبى عمرٍو لبعض بنى أسد[1] :

إنْ يبخَلوا أو يجبُنُوا ... أو يَغدِرُوا لا يَحفِلوا

يغدُوا عليكَ مَرجَّلِيـ ... ـنَ كأنَّهم لم يَفْعَلُوا[2]

فقوله : يَغْدُوا بدلٌ من لا يحفِلوا . وغدوُّهم مرجَّلين يفسِّر أنَّهم لم يحفلوا .

وسألته رحمه الله :هل يكون إنْ تأْتنا تسأَلْنا نعطك؟ فقال : هذا يجوز على غير أنْ يكون مثلَ الأوَّل ، لأنَّ الفعل الآخر تفسيرٌ له ، وهو هو . والسؤال لا يكون الإتيانَ ، ولكنَّه يجوز الغلط والنسيان ممن يتدارك كلامَه . ونظير ذلك فى الأسماء : مررت برجل حمارٍ ، كأنَّه نسىَ ثم تداركَ كلامه . اهـ .

وعُلم مِن هذا أنَّ ما أنشده الشارحِ مركَّب من بيتين سهوًا . فصدرُه للحطيئة ، وعجزه لابن الحرّ .

ورفع يستحملُ الناس فى البيت الأوَّل لأنه خبر زال الناقصة .

وقوله : « تلمم بنا » فى البيت الثالث بدل من تأْتنا وتفسيرٌ له ، لأنَّ الإلمام إتيان . ولو أمكنه رفعه على تقدير الحال لجاز .

وقوله : « يغدوا عليك » فى البيت الرابع بدلٌ من قوله : لا يحفلوا ، لأنَّ غدوَّهم مرجَّلين دليل على أنَّهم لم يحفلوا بقبيحِ ما أتوه ، فهو

(١) فى الحيوان ٣ : ٤٧٧ أن هذا الشعر من الشوارد التى لا أرباب لها .

(٢) بعده فى الحيوان والبيان ٣ : ٣٣٣ وأمالى القالى ٣ : ٨٣ وعيون الأخبار ٢ : ٢٩ والصناعتين ١٠٣ :

كأبى براقش كلَّ يو ... م لونه يتخيل

تفسيرٌ له وتبيين . والترجيل : مَشْط الشعر وتليينُه بالدُّهن . وحَفَلت بكذا ، أى بَاليتُ به .

وقوله : (متى تـأْتِه تعشو) إلخ. قال المرزوقى (فى شرح الفصيح): يقال عشا يعشو ، إذا سار فى ظلمة تسمَّى عشوة مثلثة العين . وأنشد هذا البيت . وقال ابن يعيش : يقال عَشَوته أى قصدته فى الظَّلام ، ثم تُّسِع فقيل لكل قاصدٍ : عاشٍ .

وقال اللخمى (فى شرح أبيات الجمل) : قوله تعشو إلى ضوءِ ناره، قال الأَصمعى : تـأْتيه على غير هداية . وقال غيره : تجىءُ على غير بصرٍ ثابتٍ فتهتدى بناره . وقال القُتَبِىّ: يقال عشوت إلى نارك أَعشو عُشُوًّا ، إذا قصَدْتَها بليل ، ثم سمِّى كلُّ قاصد عاشيًا . قال صاحب الكشاف عند قوله تعالى : ﴿ ومَنْ يَعْشُ عَنْ ذِكر الرَّحمن[1] ﴾ إذا حَصَلت الآفةُ فى البصر قيل عَشِىَ كفرح ، وإذا نظر نظر العُشْى ولا آفة به قيل عَشَا يعشُو . ونظيره : عرِج ، لمن به الآفة ، وعَرَج لمن مشى مِشية العُرجان من غير عَرَج . قال الحطيئة :

* متى تـأْتِه تعشو إلى ضوءِ ناره[2] *

أَى تنظُرُ إليها نظرَ العُشْى لِمَا يضعفُ بصرُكُ من عِظَمِ الوقود، واتِّساع الضوءِ . وهو بيِّنٌ فى معنى قول حاتم :

أَعشـو إذا ماجارَتى برزَتْ حتَّى يُوارِىَ جارتىالخِدْرُ[3] . ا هـ .

---

(١) الآية ٣٦ من سورة الزخرف .

(٢) عجزه كما فى الديوان ٢٥ ، وهو من شواهد سيبويه ١ : ٤٤٥ :

* تجد خير نار عندها خير موقد *

(٣) لم يرد البيت فى ديوان حاتم من مجموع خمسة دواوين ، والحق أنه لمسكين الدارمى فى ديوانه ٤٥ وحماسة الخالديين ١ : ٦٦ وأمالى المرتضى ١ : ٤٧٤ والخزانة ٣٦٩١٣. ونسبته إلى حاتم فى الكشاف للزمخشرى وتفسير أبى حيان . وانظر ديوان حاتم ٣١٣ تحقيق عادل سليمان .

وقول العينى : تعشو من عشا إذا أتى نارًا يرجو عندها خيرًا أو هُدًى، ليس معناه ما ذكره .

وكذلك قول ابن المستوفى : يقال عشا إلى النار يعشُو إذا استدلَّ عليها ليُبصر — ضعيفٌ .

قال عبد اللطيف البغدادى (فى شرح نقد الشعر لقدامة): وصفَهُ بأَنَّ نارَه موقَدة باللَّيل ، وهذا عند العرب غايةُ المدح بالكرم وقِرَى الضِّيفان. ثم دلَّ بقوله تعشو إلى ضوءِ ناره أَنَّ السَّابلة تستضىء بها وتَقصِد نحوها . وهذا صفةُ النَّار إذا كانت على نَشز ، ولا يفعل ذلك إلاَّ السيِّد الجوادُ المطعام . وقوله :

* تجدْ خير نارٍ عندها خيرُ موقدِ *

أى متى أتيته عاشيًا إلى ضوءِ ناره وجدتَ خير نار ، أى أنفعَ نارٍ للدِّفءِ والأَكل ، عندَها خير موقد يحتمل معنيين : أحدهما أن يريد بمن عندها مَنْ يوقدها مِن الغِلمان والخوَل . ويريد بقوله خير موقد كثرةَ كرمهم واحتفالَهم بالوارد عليهم ، وحُسنَ القيام عليه بجميع ما يحتاج إليه.

والثانى : يريد به الممدوح ، ووصَفَه بالإيقاد وإنْ كان سيِّدًا لأَنَّه آمرٌ به ، فكأَنه فاعله . ويريد بقوله خير موقد أكرمَ موقد ، وأسخى مُوقِد ، وأفضلَ موقد .

فعلى هذا يكون قد وصَفه فى هذا البيت بجماع الفضائل[1] . وعلى

(١) ش : « بجميع الفضائل » .

التـأويل الأَوَّل إنَّما وصفه بالسَّخاء فقط، لكن ذكره أوّلاً مفصلًا وهُنَا مجْمَلا، فاعرف ذلك. اهـ.

٦٦٢ ويروى أن هذا البيت لما أُنشِدَ لعمرَ بنِ الخطّاب قال: كذب، تلك نار موسى صلوات الله عليه وسلامه.

والبيت من قصيدةٍ طويلة للحطيئة مدحَ بها بغيضَ بن عامرِ بن شمّاس بن لأْى بن أنفِ النّاقة التميمى. وهذه أَبياتٌ من آخرها، وهو أوّلُ المديح:

(فما زالت الوَجْناءُ تجرى ضُفورها
إليكَ ابنَ شمّاسٍ تَروحُ وتَغْتدِى

تزورُ امــرأً يُؤتِى على الحمـــد ماله
ومن يُعطِ أثمانَ المحامدِ يُحْمَـــدِ[1]

تَرَى البخل لا يُبقى على المرءِ مــالَه
ويعـــلمُ أَنَّ الشحَّ غير مخلَّدِ

كَسوبٌ ومِتلاف إذا ما ســأَلتَه
تَهلَّلَ واهتزَّ اهتزازَ المهنَّـــدِ

متى تأْتِه تعشـــو ... . البيت

تزور امرأً إن يُعطِكَ اليوم نائلاً
بكفّيه لا يمنعك من نائل الغدِ[2]

هو الواهبُ الكُومَ الصَّفايَا لجـــارِهِ
يُروِّحها العِبْدانُ فى عازبٍ ندِى[3])

(١) ط: «يرقى على الحمد»، صوابه فى ش وديوان الحطيئة ٢٤.
(٢) فى الديوان: «وذاك امرؤ».
(٣) فى الديوان: «يروح بها العبدان».

وهذا آخر القصيدة .

وقوله :« فما زالت الوجناءُ » الخ. الناقة الوجناءُ : الغليظة . وضفورها : أنساعها ، وإنَّما تَجرِى لأَنَّها قلقَتْ من الضُّمر . وابنَ شماس : منادى .

وقوله : « تزور امرأً » إلخ ، قال عبد اللطيف البغدادى (فى شرح نقد الشعر لقدامة) : فيه صنفان من المدح : أَحدهما : أَنَّه يُؤتِى ماله لاكتسابِ الحمد، فخلص به[1] من رذيلة التَّبذير الذى هو إنفاق لالغرض صحيح . والثانى : أَنَّه ينفق مالَه لطلب الحمد ، لا لِعوضٍ[2] آخر فخلص به من رذيلة التقتير ، وهو أَخذ العوض المحسوس فيما ينفقه . فحينئذ تمحَّضَ الوسط للفضيلة .

وقوله : « ومن يعطَ» إلخ ، أَتى بقضية كلية مشهورة تقتضى استحقاقه للحمد .

وقوله : « يرى البخلَ لا يُبقِى» إلخ . دلَّ به على أَنَّ كرَمه ليس لمجرَّد الطَّبع فقط ، بل عن فكرة وروِيَّة واعتقادٍ صحيح ، ونَظرٍ فى العواقب مستقيم . قال أفلاطون فى هذا المعنى : « نِعم البخلُ لو كان المال لا يؤتَى عليه إلاَّ من جهة البَذْل . ولكنْ لمَّا كان المال معرَّضًا للتلف بالحوادث الخارجة التى لا يمكن الاحتراسُ منها ، كان إتلافه على يدَىْ مالكه أفضَلَ ، لأَنَّه يَحُوز به الحمد » .

وقوله : « كسوب ومِتْلاف » إلخ. قال عبد اللطيف: وصفَه بالشَّجاعة والسَّخاء جميعاً . فبالشجاعة يكتَسِب ، وبالسَّخاء يبذلُ ويُتلف . ويجوز

---

(١) ش : « فتخلص به » .

(٢) ش : « لا لغرض آخر » .

أن يريد بكسوب أنَّه يكتسب الحمد ، وبقوله متلاف البذل ، فلا يخرج إذن عن وصفه بالسَّخاء ، بل يصحُّ أن يقال إنَّه وصفه مع السَّخاء بالعقل؛ لأنَّ السَّعىَ فى كسبِ الحمد من أفعال العقلاء . وقوله: « إذا ما سألْتَه تهلَّل » أى استبشَرَ واستنار مُحيَّاهُ . وهذا إنَّما يكون عند تناهِى الجُودِ . وقوله: « اهتزَّ اهتزازَ المهنَّد» وصَفَه مع البشاشة بالجمال والشَّهامة ، واعتدال الحركات ، فإنَّ اهتزاز المهنَّد ممَّا يوصف به الشَّهم الشجاع . وأمَّا اهتزاز القضيب والغُصنِ الرَّطيب ، فممَّا يُوصَف به النِّساءُ والمُتْرَفون .

وقوله: « هو الواهبُ الكُوم » إلخ الكُوم: جمع كَوْماءَ ، وهى الناقة العظيمة السَّنام . والصَّفايا : جمع صفيَّة ، وهى الناقة الغزيرة اللَّبن . والعِبْدان بالكسر : جمعَ عبد . والعازب : النَّبت البعيدُ عن الناس فلم يُرْعَ ، فهو أتَمُّ[1] له . وهو بالعين المهملة والزاى المعجمة . وقد حرَّف العينى هذه الكلمة لفظًا ومعنى فقال : والغارب ، بالغين المعجمة والراء : ما بين السَّنام والعنق . ٦٦٣

والحطيئة تقدمت ترجمته فى الشاهد التاسع والأربعين بعد المائة[2]

وأما البيت الآخر وهو :

(مَتى تأْتنا تلمِم بنـــا فى دِيارنا تجِدْ حطبًا جَزْلًا ونارًا تأَجَّجا)

فإنَّ تُلمِمْ فيه بدلٌ من تأْتنا ، لأنَّ الثانى – من جنس الأوَّل ، فإنَّه يقال : ألَمَّ الرجلُ بالقوم إلمامًا : أتاهم فنزلَ بهم . ومنه قيل ألَمَّ بالمعنى،

(١) ط : « فهو اسم له » ، صوابه فى ش .

(٢) الخزانة ٢ : ٤٠٦

إذا عرَفه ، وألمَّ بالذنب : فعله . كذا فى المصباح . كما أَنَّ تعشو من جنس الإتيان ، فلولا أنَّه فى شعرٍ لجاز جزمُه . ويدلُّ عليه كلامُ سيبويه المتقدِّمُ وكلامُ الشارح المحقق ، فإنَّه لو كان مراده بالمِثْليّة فى قوله : « ويجوز فى مثله البدل» وقوعَ المضارع بين الشرط والجزاء فقط ، لقال : إذا كان الثانى من جنس الأَوّل ، ولم يقل لأَنَّ الثانىَ إلخ .

وكذا قال اللَّخميُّ (فى شرح أَبيات الجمل) ، [قال[1]] : ولو كان تعشو فى موضع يقوم بالجزم فيه وَزْنُ الفِعْل[2] ، لجاز أن يبدل من تأْتِهِ ، لأَنَّ معناهما واحد . لأَنَّه كثر فى كلامهم حتَّى صار كلُّ قاصدٍ عاشياً . والحطَب الجَزْل ، بفتح الجيم : الغليظُ منه . يريد أَنَّهم يوقدون الجَزْل من الحطب لتقوى نارُهم فينظُرَ إليها الضُّيوف على بُعدٍ ويَقصِدُونَها . والتأَجُّج : توقُّد النار . وتأَجَّجا فى البيت ماضٍ ، والأَلف للإطلاق وفاعله ضمير النار .

وقال أَبو حنيفة (فى كتاب النبات) : النارْ تذكَّر وهو قليل ، وأَنشد هذا البيت . ويشهد له قول الشَّمرذل[3] :

أَناخوا فصَالُوا بالسيوف وأَوقَدوا بعلياءَ نارَ الحربِ حتَّى تأَجَّجا

وقال بعضهم : النَّار مؤنَّثة لا غير ، وإنَّما ردَّ الضميرَ مذكَّراً لأَنَّه أَراد بها الشِّهابَ وهو مذكَّر . وقيل لأَنَّ تأْنيث النار غير حقيقى ، فيكون على طريقة :

---

(١) التكملة من ش.

(٢) يريد وزن الشعر .

(٣) كذا فى النسختين ؛ والمعروف « الشمردل » بالدال المهملة ، وهو اسم لعدة شعراء فى المؤتلف ١٣٩ – ١٤٠ . لكن فى القاموس وتاج العروس : « الشمرذل بالذال المعجمة أهمله الجوهرى وصاحب اللسان . وقال الليث : لغة فى الشمردل بالمهملة كما فى العباب » .

* ولا أرضَ أبقَلَ[١] *

وقيل: الضمير راجعٌ للحطب،لأنَّه أهمُّ ،إذِ النَّار إنَّما تكون به . وقيل: ليست الألف للإطلاق وإنَّما هى ضمير الاثنين: الحطب والنار ، وإنَّما ذكَّر الضمير لتغليب الحطب على النار . وكذا فى قوله :

مَن يأْتنا يومًا يقصُّ طريقَنـــا يجدْ حطبًا جزلاً ونارًا تأَجَّجـــا

قال أبو على: قال أبو الحسن : يعنى النار والحطب . وقال بعضهم: تأَجَّجا فعلٌ مضارع محذوفٌ من أوّله التاءُ ، والأَلف مبدلةٌ من نون التوكيد الخفيفة ، والأَصل تتأَجَّجَن ، فالضمير المستتر للنار المؤنَّثة ، ولهذا أنَّث الفعل .

والبيت من قصيدةٍ تزيد على ثلاثين بيتاً لعُبيد الله[٢] بن الحرّ ، قالها وهو فى حبس مُصعَب بن الزُّبير فى الكوفة .

وكان ابنُ الحرِّ لشهامته لا يُطِيع أحدًا ، فقال الناس لمصعب: إنَّ عُبيد الله بنَ الحرّ كان قد أَبَى على المختار غير مرَّة ، وخالفه وقاتله، وفعل مثل ذلك بعُبيدِ الله بنِ زيادٍ منْ قَبْل، فليس لأَحدٍ عليه طاعة ، ونحن نتخوَّف أن يثور فى السَّــواد فَيكسِرَ عليك الخراجَ كما كان يفعل ، وقد أظهر طَرَفًا من الخلاف، فأَلطِفْ له حتَّى تحبسَه . فلم يزل مصعبٌ يتلطَّف به ويَعِدُه بمنِّيه الأَمانىَّ حتَّى أتاه، فلمَّا أتاه أمربه فحُبِس، فقال فى ذلك قصائد، وقال هذه القصيدةَ وهو فى السِّجن لرجل من أَصحابه ، وكان

---

(١) قطعة من الشاهد المشهور ، وهو الشاهد الثانى فى الخزانة لعامر بن جوين الطائى :

فلا مزنة ودقت ودقهـــا ولا أرض أبقل إبقالهـــا

(٢) فى النسختين : « لعبد الله بن الحر » ، صوابه فى ش مع أثر تصحيح . وانظر ترجمته فيما سبق ٢ : ١٥٥ – ١٦١

حُبِس معه ، يقال له عطيّة بن عمرٍو البكرى ، وذلك أَنَّ عطيّةَ جزع فى السِّجن . ومطلعها :

أبيات الشاهد ٦٦٤

(أَقــولُ له صبرًا عَطِىَّ فإِنَّمــا هو السِّجنُ حتَّى يجعلَ اللهُ مَخرَجا)

إلى أن قال :

(ومنزلةٍ يا ابن الزُّبير كريهــةٍ شددتُ لها من آخر الليل أَسْرُجا
لفتيانِ صدقٍ فوق جُرْدٍ كأَنَّهــا قِداحٌ براها الماسخىُّ وسَــحَّجا
إذا خرجُوا من غمرةٍ رجَعُوا لها بأَسيافهم والطَّعنِ حتَّى تَفرَّجــا
متى تأْتنا تلمم بنا فى ديارنا . . . البيت)

والقصيدة بتمامها (فى كتاب اللصوص) . وعَطِىّ : منادى مرخم عطيَّة . والواو فى قوله « ومنزلة » واو رُبَّ . وابن الزبير هنا مُصعَب . وأَسرُج : جمع سَرْج . والجُرد : جمع أَجرد ، وهو القصير الشَّعر من الخيل . والقداح : جمع قِدْح بكسر القاف فيهما ، وهو عُود السهم قبل أَن يُجعَل له نَصل . والماسخىّ ، بالخاء المعجمة : الذى يصنع السِّهام . وسَحَّجا بتشديد الحاءِ المهملة وقبلها سين مهملة ، أَى نحتَه وملَّسَه .

والغمرة ، بفتح المعجمة : الشِّدَّة . والطعن معطوف على الأَسياف ، وتَفَرَّجا أَصله تتفرَّجنْ بنون توكيد خفيفة ، فقلبت أَلفاً ، وحذفت التاءُ من أَوله ، ومعناه تتكشَّف. والفُرجة : الثُّلمة . وفاعله ضميرُ الغمرة.

وقوله : (متى تأْتنا) فاعلُه مستتر فيهراجعٌ لفتيان . وكذلك الحال فى (تُلْمِم) و (تجد) ، وليست التاءُ فيها للخطاب. ورواهصاحب كتاب اللصوص :

متى تأْتنى فى منزل قد نزلتُه تجد حطباً جزلًا . . . البيت

وترجمة ابن الحُرّ تقدَّمت مفصَّلَة فى الشاهد التاسع بعد المائة[١] .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثالث بعد السبعمائة[٢] .

٧٠٣ (دَعْنِى فأَذهبَ جانبًا يومًا وأَكفِكَ جانبا)

على أنَّه عطف (أَكفِك) مجزومًا على جواب الأَمر المنصوب بأَن بعد الفاءِ السببية . وهو فأَذهَبَ ، على توهُّم سقوط الفاءِ وجزمِ أذهبْ فى جواب الأَمر .

قال صاحب المفصَّل : وسأَل سيبويه الخليلَ عن قوله تعالى : ﴿ لولا أَخَّرتَنِى إلى أَجَلٍ قريبٍ فأَصَّدَّقَ وأَكُنْ من الصالحين[٣] ﴾ ، فقال : هذا كقول ابنِ معديكرب[٤] : صاحب الشاهد

دعْنى فأَذهبَ جانبَـا يومًا وأَكفِـكَ جانبـا

وكقوله :

بدا لىَ أَنِّى لستُ مُدرِكَ ما مضىَ

ولا سابقٍ شيئًا إذا كـان جائيا[٥]

أى كما جرُّوا الثانى ، لأَنَّ الأَوَّل تدخله الباءُ[٦] فكأَنَّها ثابتة فيه . فكذلك جزمُوا لأَنَّ الأَوَّل يكون مجزومًا ولا فاءَ فيه ، فكأَنَّه مجزوم. ا هـ .

أَقول : بيت ابنِ معديكرب لم يوردهُ سيبويه فى كتابه البتَّةَ ،

---

(١) انظر الحاشية السابقة .
(٢) ابن يعيش ٧ : ٥٦ .
(٢) الآية ١٠ من سورة المنافقين .
(٤) فى النسختين : « معديكرب » فى هذا الموضع وتاليه ، والوجه ما أثبت .
(٥) هو الشاهد التالى .
(٦) ط : « يدخله الباء » .

لا هنا ولا فى موضع آخر ، كما يظهر لك من نقل كلامه بعد هذا .
وقد خَبَط ابن المستوفى هنا خَبْط عشواءَ من وُجوه[1] فقال بعد أن نقل عبارة المفصَّل : الأوَّل من المسألتين كثيرٌ فصيح ، كقوله تعالى : ﴿ منْ يُضْللِ اللهُ فلا هادِىَ له ويَذَرْهم[2] ﴾ . والثانى لحنٌ لا يأْتى إلَّا فى ضرورة شعر ، لأَنَّ الأَوّل محقَّق فيه الجزم موضعًا لوجود الفاء ، والثانى مُتوهَّمٌ فيه الجرُّ لعدم الباء . هذا إذا ثبت أَنَّه روى بفتح الباء فى قوله : فأَذهَب ، ولو رُوِى بسكونها كان معطوفًا عليه لفظًا ، وإذا فتحتَ الباءَ كان وأكفك معطوفًا على محل الفاء ، لأَنَّها واقعة موقع الجزاء المجزوم.اه

٦٦٥

أحدها : أنَّ الآية لا مناسبة لإيرادها هنا .

ثانيها : أنَّ بيت زهير لم يقل أحدٌ إنَّه مِن قبيل اللحن . وكيف يسوغ تلحينُ أهلِ اللِّسان لاسِيَّمَا زهير .

ثالثها : قوله : « هذا إذا ثبت أَنَّه روى بفتح الباء » إلخ ، كأَنَّه لم يثبت عنده فتح الباء ، مع أَنَّه ثابتٌ عند جميع الرُّواة .

رابعها : قوله : « ولو روى بسكونها » إلخ ، يعنى أَنَّه يكون عطفَ أمر على أمر . وفيه أَنَّه يخرج حينئذ عن كونه شعرًا .

خامساً : قوله : « كان أكفك معطوفًا على محلّ الفاء » إلخ عبارةٌ قلقة ، وحقُّ التعبير : على توهّم سقوط الفاء وجزم أذهبْ ، وهو المسمَّى عطفَ التوهُّم ، والعطفَ على المعنى .

---

(١) ط : « من وجده » ، صوابه فى ش .

(٢) الآية ١٨٦ من الأعراف . وقراءة الجزم هى قراءة حمزة ، والكسائى ، وخلف . إتحاف فضلاء البشر ٢٣٣ .

هذا: وقال ابن الحاجب (فى أماليه): يجوز أن يكون المعنى اتركْنى أتصرَّفْ فأذهبَ إلى جهة فأكفِيَك جانباً تحتاج إلى كفايته بتصرُّفى وذهابى. ويجوز أن يريد: دعنى يومًا وأكفك جانباً يومًا. أى: إذا تصرَّفتُ لنفسى يومًا كفيتُك جهةً تخشاها يومًا آخر. اهـ.

وقال بعض فضلاء العجم: انتصب جانبًا الأوَّل على الظرف، والثانى على أنَّه مفعولٌ ثان لأكفك، كأنَّه خطابٌ لمن عذلَه على السَّفر والبُعْد، أى اتركنى أذهبْ فى جانب من الأرض وأكفِكَ جانبًا من الجوانب التى تتوجَّه إليها.

وهذا البيت لم أجده فى ديوان عمرو بن معد يكرب، فإنى تصفَّحت ديوانه مرارًا فلم أره فيه، كما أنَّ غيرى تصفَّح ديوانه فلم يجدْه فيه. والله أعلم.

* * *

وأنشد بعده، وهو الشاهد الرابع بعد السبعمائة، وهو من شواهد س[1]:

٧٠٤ (بدالىَ أنِّى لستُ مـدركَ ما مضى
ولا سابقٍ شيئًا إذا كانَ جائيا)

على أنَّ قوله: (سابق) بالجر معطوف على مدرك على توهُّم الباءِ فيه، فإنَّه يجوز زيادة الباءِ فى خبر ليس، كقوله تعالى: ﴿ أليسَ اللهُ بكافٍ عَبْدَه[2] ﴾.

---

(١) فى كتابه ١ : ٨٣ ، ١٥٤ ، ٢٩٠ ، ٤١٨ ، ٤٢٩ ، ٤٥٢ / ٢ : ٢٧٨ وانظر المقتضب ٢ : ٣٣٩ / ٤ : ١٩١ ، والأصول ١ : ٣٠٦ والجمل ٩٦ والخصائص ٢ : ٣٥٣، ٤٢٤ ومختصر القوافى لابن جنى ٢٦ والإنصاف ١٩١ ، ٣٩٥ ، ٥٦٥ وابن يعيش ٢ : ٥٢/ ٧ : ٥٦ / ٨ : ٦٩ والمغنى ٩٦ ، ٢٨٨ ، ٤٦٠ ، ٤٧٦ ، ٤٧٨ ، ٥٥١ ، ٦٧٨ والعينى ٢ : ٣٦٧ / ٣ : ٣٥١ والهمع ٢ : ٢٤١ وديوان زهير ٢٨٧ .

(٢) الآية ٣٦ من سورة الزمر .

قال سيبويه (فى باب الحروف التى تنزَّل بمنزلة الأمر والنهى، لأنَّ فيها[(١)] معنى الأمر والنهى) : وسألت الخليل عن قول الله عزَّ وجل : ﴿ فأَصَّدَّقَ وأَكُنْ[(٢)] ﴾ فقال : هو كقول زهير :

بدا لىَ أنِّى لستُ مدركَ مامضَى ولا سابقٍ شيئًا إذا كان جائيـا

فإنَّما جرُّوا هذا لأنَّ الأول تدخله الباءُ ، فجاءُوا بالثانى وكأنَّهم قد أثبتوا فى الأوَّل الباء . وكذلك هذا لمَّا كان الفعل الذى قبله قد يكونَ جزْمًا ولا فاءَ فيه تكلَّموا بالثانى وكأنَّهم قد جَزَموا قبله . فعلى ذلك توهَّموا هذا . اهـ .

وهذا كما ترى ليس فيه البيتالسابق. وبيان الآية وأوّلها: ﴿ رَبِّ لولا أخَّرتنى إلى أجلٍ قريبٍ فأَصَّدَّقَ وأَكُنْ من الصَّالحين ﴾: أنَّ لولا معناها الطلب والتحضيض ، فإذا قلت لولا تعطينى، معناه أَعطِنى ، فإذا أُتِىَ لها بجواب كان حكمُه حكمَ جواب الأمر ، إذْ[(٣)] كان فى معناه وكان مجزومًا بتقدير حرف الشرط ، فإذا أَجبتَ بالفاءِ كان منصوبًا بتقدير أَن ، فإذا عطفت عليه فعلاً آخر جاز فيه وجهان : النصب بالعطف على ما بعد الفاء ، والجزم على موضع الفاءِ لو لم تدخل وتقديرِ سقوطها .

٦٦٦

وقد ذكر سيبويه هذا البيتَ فى ثلاثة مواضعَ أُخَر من كتابه[(٤)] .

أحدها : فى باب الفاءِ عند ذكر نواصب الفعل ، قال فيه بعد أن أنشده : لمَّا كان الأوَّل يُستعمَل فيه الباء ولا تغيِّر المعنى ، وكانت

---

(١) فى النسختين : « فيه » ، صوابه فى سيبويه ١ : ٤٥٢ .
(٢) الآية ١٠ من سورة المنافقين .
(٣) ط : « إذا » صوابه فى ش .
(٤) هى ست مواضع أخر ، كما سبق فى تخريج الشاهد .

مما يلزم الأَوَّل ذَووْها فى الحرف الآخِر ، حتَّى كأَنهمْ قد تكلَّموا بها فى الأَوَّل .

ثانيها : قُبيلَ باب يضمرون فيه الفعل لقُبح الكلام ،أنشده فيه كذلك.

ثالثها : وهو أول موضع وقع فى كتابه ، أنشده فى باب اسم الفاعل يعمل عمل فِعله ، بنصب سابقٍ قال : إذا كان اسم الفاعل منوَّنًا ينصب المفعولَ به .

وأنكر المبرِّد روايةَ الجر وقال : حروف الخفض لا تُضمَر وتَعمل. والرواية عنده : « ولا سابقًا » بالنصب ، « ولا سابقِى شئٌ » بالإضافة إلى الياء ورفع شىء على أنَّه فاعل سابق. وروى أيضاً: «ولا سابقٌ شيئًا» بالرفع على أنه خبر لمبتدإٍ محذوف ، والتقدير: ولا أنا سابقٌ شيئاً .

قال اللخمى (فى شرح أبيات الجمل) : وفى هذا البيت شاهدٌ آخر وهو إضافة اسم الفاعل المعمَل ، وذلك قوله : « مدركَ ما مضى » . والدليل على أنَّه مُعمَلٌ أنَّه خبر ليس، وليس لا تنفى ماضيًا ، وإنَّما تنفى المضارع، وعطفُ سابق عليه . وفيه تقديرُ المصدر على المعنى ، إذْ لم يكن للفعل الواقع بعدها مصدرٌ، فيكون التقدير : بدا لِىَ امتناعُ إدراكِ ما مضى . وإنَّما قدِّر المصدر من غير اللفظِ، لأَنَّ ليس لا مصدر لها. بدا: ظَهَرَ . وأَنِّى بالفتح . وجملة لست إلخ فى محلّ خبر أَنَّ ، وأَنَّ ومعمولاها فى تأْويل مصدرٍ مرفوعٍ فاعل بدا . وما موصولة ومضى صلتها ، أَو ما نكرة ومضى فى محل الصّفة . وإذا شرطيّةٌ حذف جوابُها ، ويدلُّ عليه ما قبلها. ولا يصحُّ أَن تكون ظرفيَّة ، لأَنَّ الشىء لا يسبق وقت مجيئه ،وإنَّما

يسبق قبل مجيئه ، والعامل فى إذا الشرطية هنا خبر كان ، أو نفس كانَ إنْ قلنا بدلالتها على الحدث .

صاحب الشاهد

والبيت نسبه سيبويه تارةً إلى زهير بن أبى سلمى ، وتارة إلى صِرمة الأَنصاريّ . وقال ابن خلف : وهو الصحيح. ويروَى لابن رَوَاحة الأَنصاريّ وقد تقدم إنشادُه فى قصيدةَ زهيرٍ فى الشاهد الخامس والخمسين بعد السمّائة[1] .

---

(١) الخزانة ٨ : ٤٩٢ .

باب الأمر

أنشد فيه :

(لتقمْ أَنتَ يا ابنَ خيرِ قريشٍ)

تقدَّم شرحه فى الجوازم فى الحادى والثمانين بعد السمّائة[١] .

* * *

وأنشد بعده :

* محمَّدُ تفْدِ نفسَك كلُّ نفسٍ *

تقدم شرح هذا أيضاً هناك[٢] .

(١) انظر ما سبق فى ص ١٤ .

(٢) يعنى الشاهد الثمانين بعد السمّائة . وقد سبق فى ص ١١ — ١٤ .

المتعدى وغير المتعدى

٦٦٧ أنشد فيه ، وهو الشاهد الخامس بعد السبعمائة[١] :

٧٠٥ (يقرَأْن بالسُّوَرِ)

هو قطعةٌ من بيت ، وهو :

(تلكَ الحرائرُ لا رَبَّاتُ أَحمــرة
سُــودِ المحاجرِ لا يَقْرأْن بالسُّــوَرِ)

على أَنَّ الباءَ زائدةٌ فى المفعول به .

قال ابن هشام (فى المغنى) : وقيل ضمِّن يقرأْن معنى يَرقِين ويتبرَّكن ، وأَنَّه يقال : قرأْت بالسُّورة ، على هذا المعنَى ، ولا يقال قرأْت بكتابك ، لفَواتِ معنى التبرُّك . قاله السهيلى .

وقال أَيضاً (فى أَوَّل الباب الثامن) : قد يُعطَى النَّفْىُ حكم ما أَشبهه فى معناه ، ومنه إدخال الباءِ فى لا يقرأْن بالسُّور ، لمَا دخَلهُ من معنى لا يتقرَّبن بقراءَة السُّوَر . ولهذا قال السُّهيلى : لا يجوز أَن تقول : وَصَلَ إلىَّ كتابُك فقرأْتُ به ، على حدِّ قوله : لا يقرأْن بالسُّوَرِ ، لأَنَّه عارٍ عن معنى التقرُّب . اهـ .

ولا يخفاك أَنَّ ما نقله عن السهيلى فى الموضعين مختلف ، وكأَنَّه أَشار إلى أَنَّ مدار التضمين لفظٌ يجوز أَن يتعدَّى بالحرف المذكور ، أَىَّ لفظ كان . وكلٌّ من هذه الأَلفاظ المذكورة يتعدَّى بالباءِ ، ولكنَّ كلام السُّهيلى مبنىٌّ على أَنَّ التضمين قياسى .

(١) مجالس ثعلب ٣٦٥ والمخصص ١٤ : ٧٠ وابن يعيش ٨ : ٢٣ والمغنى ٢٩ ، ١٠٩ ، ٦٧٥ وديوان الراعى ٨٧ و القتال الكلابى ٥٣ . و اللسان (قرأ) .

صاحب الشاهد

والبيت وقع فى شعرين : أَحدهما للرَّاعى النميرى ، والثانى للقتَّال الكلابى .

أَمَّا الأَوَّل فهو من قصيدةٍ أَوّلُها :

(يا أهلُ ما بالُ هذا الليلِ فى صَفَرِ
يزداد طولاً وما يزداد فى قِصَرِ

ى إثْر من قُطِعت عنِّى قرينتُه
يوم الحَدَالَى بأَسبابٍ من القَدرِ

كأَنَّما شُقَّ قلبى يومَ فارقهُمْ
قسمين : بين أخى نَجْدٍ ومنحدِرِ

همُ الأَحبَّةُ أَبكِى اليومَ إثرَهمُ
قد كنتُ أَطربُ إثْرَ الجِيرة الشُّطُرِ

فقلتُ والحَرَّةُ الرَّجْلاءُ دونَهمُ
وبَطنُ لجَّانَ لمَّا اعتادنى ذِكرى

صَلَّى على عزَّةَ الرّحمنُ وابنتِها
ليلى ، وصَلَّى على جاراتها الأُخَرِ

هن الحرائرُ لا ربَّات أَحمرةٍ . . . . . البيت)

وهى قصيدةٌ طويلة تزيد على الخمسين .

قوله : « فى صفر » هو اسم الشهر، قالوا : خصَّه لأَنَّ الهَم فيه أصابه . وقيل كان صفرُ صيفًا ، وليل الصيف قصير ، فقال : كيف طال علىّ الليل فى الصَّيف ؟ ! وإنّما ذلك لما هو فيه من الغَمّ ، فلذلك طال عليه اللَّيل . كذا قال ابن المستوفى .

وقوله : « فى إثر » متعلّق بيزداد . وأراد بالقرينة الحبيبةَ، لأنّها تشبه القمر . والحَدَالَى بفتح المهملة والقَصْر : موضع .

والجيرة : جمع جار بالجيم . والشُّطرُ بضمتين : جمع شطير ؛ وهو البعيد .

والحرّة الرَّجْلاءُ : موضعٌ فى ديار جُذام ، الأوّل بالمهملة والثانى بالجيم . ويروى : « والحرة السَّوداءُ » . ولَجَّان ، بفتح اللام وتشديد الجيم : وادٍ قِبَلَ حرّةِ بنى سُليم .

وقوله : « صلَّى على عزَّة » إلخ الصَّلاة: الرحمة . وعَزّة بفتح المهملة وتشديد المعجمة : محبوبة كثيِّر الشاعر .

وقوله : (تلك الحرائر) إلخ، الإشارة بتلك إلى النساء المذكورة . وإيثار اسم الإشارة لتمييزهنَّ أكملَ تمييز ، وكونه بالبعيد للتعظيم . وروى: « هُنَّ الحرائر » . وتلك مبتدأ ، والحرائر خبره ،وقال بعض أفاضل العجم : الحرائر صفته. وقوله (لا ربّات) هو الخبر. ويبطله رواية هُنّ الحرائر ، وهو جمع حُرّة ، ومعناها الكريمة والأصيلة ، وضدُّ الأَمَة. والرَّبَّات : جمع ربَّة بمعى صاحبة . ولا نافية عاطفة على هُنّ أو على تلك . قال الجواليقى (فى شرح أدب الكاتب) : والأحمرة : جمع حِمار بالحاء المهملة جمع قِلَّة . وخَصَّ الحمير لأنّها رُذَالُ المالِ وشرُّه . يقال « شرُّ المال مَالَا يزكّى ولا يُذَكَّى[1] » . ا هـ. ٦٦٨

وكذا ضبط هذه الكلمة صاحبُ (كتاب اللصوص) وابن المستوفِى . وقد صحَّف الدَّمامينىُّ (فى الحاشية الهندية) هذه الكلمةَ بالخاء المعجمة

(١) شرح أدب الكاتب للجواليقى ٣٧٨ – ٣٧٩ .

وقال : والأَخمرة : جمع خِمار ، وهو ما تستُر به المرأَةُ رأْسها . وفى القاموس : « وكلُّ ما ستر شيئًا فهو خِمار » . هذا كلامه[(١)] ، وتبعه من بعده .

وقوله : (سُود المحاجر) صِفةُ رَبَّات ، لأَنَّ إضافة ما بمعنى اسم الفاعل المستمرّ تخفيفيّة[(٢)] لا تفيدُ تعريفاً ، كقولهم : ناقة عُبْرُ الهواجر[(٣)] ، أى عابرة فيها . وكذلك سُود المحاجر ، أَى مسوَدَّة محاجرها ، وهو جمع محجر كمجلس ومِنبر . قال الجواليقى : هو من الوجه حيث يقَع عليه النِّقاب ، وما بدا من النِّقاب أَيضاً . اهـ . وأَراد بهذا الوصف الإماءَ السود .

قال (صاحب أشعار اللصوص) : سود المحاجر من سَواد الوجه ، وخصَّ المحاجر دون الوجه والبدن كلِّه لأَنَّه أَوّلُ ما يُرَى . ومن هذا قولُ النابغة :

* ليست من السُّودِ أعقابًا إذا انصرفت[(٤)] *

وإنما أَراد سواد الجَسدِ كلِّه .

وجملة (لا يقرأْن) صفة ثانية لربَّات . قال الجواليقى : يقول : هنّ خَيْراتٌ كريماتٌ[(٥)] ، يتلون القرآن ، ولسنَ بإماءٍ سُود ذوات حُمُر يَسقِينَها . اهـ .

---

(١) ش : « وهذا كلامه » ، بزيادة الواو .

(٢) فى النسختين : « تخفيفة » ووجهه ما أثبت . والمراد أنها إضافة لفظية .

(٣) فى النسختين : « عبرة » ، صوابه ما أثبت . والكلمة مثلثة الفاء مع سكون العين ، كما فى اللسان والقاموس . وفى القاموس أنها بلفظ واحد للمذكر والمؤنث والواحد والجمع .

(٤) عجزه فى ديوانه ٦٥ من مجموع خمسة دواوين :

* ولا تبيع بجنبى نخلة البرما *

(٥) ط : « هن من خيرات كريمات » ، وأثبت ما فى ش والجواليقى .

وقال بعض فضلاء العجم (فى شرح أبيات المفصل) : إنَّ تلك الحرائر ليست أَربابَ أخمرة ولا يتستَّرن بها ، سودُ المحاجر لهزالها أو لكِبَرِ أَسنانها ، جاهلاتٌ لا يقرأْن القرآن . هذا كلامه . وهذا لا يُقضَى منه العجب .

وعنده أنَّ أَخمرة بالمعجمة ، وهو تصحيف كما مرّ .

وترجمة الراعى تقدَّمت فى الشاهد الثالث والثمانين بعد المائة [1] :

وأمّا الشعر الثانى فهو للقتَّال الكلابى . قال صاحب (كتاب اللصوص) : أخبرنا أَبو سعيدٍ حدّثنى أَبو زيد ، حدَّثنى حُميد بن مالك ، أَنشدنى شدَّاد بن عُقبة ، للقتَّال فى ابنه عبد السلام :

(عبدَ السَّلامِ تأَمَّلْ هل تَرى ظُعُنًا
إنِّى كبِرتُ وأنتَ اليوم ذو بَصَرِ
لا يُبعِدِ اللهُ فتيانًا أَقولُ لهم
بالأَبرقِ الفَرْدِ لمَّا فاتنِى نظرِى
يا هَلْ تُرَوْنَ بأَعلى عاسمٍ ظُعُنًا
نَكَّبْن فَحلَيْنِ واستَقْبلن ذا بقَرِ
صَلَّى على عَمْرةَ الرَّحمنُ وابنتِها
ليلى ، وصلَّى على جاراتِها الأُخَرِ
هُنَّ الحرائرُ . . . . البيت)

---

(١) الخزانة ٣ : ١٥٠ .

وعبدَ السلام منادى . وظُعن : جمع ظعينة ، وهى المرأة فى الهودج . والأَبرقُ الفردُ : موضع ، وكذلك عاسم ، بالمهملتين ، وفحلَين بإعراب المثنَّى ، وذو بقر : أسماءُ مواضع . وأراد بهذه الظُّعن نساءَه وحريمه .

قال ياقوت (فى معجم البلدان) : فحلين بلفظ التثْنيه : موضعٌ فى جَبل أُحد . وأنشد هذه الأَبيات .

القتال الكلابي

والقتَّال الكلابى اسمُه عبد الله بن مُجِيب بن المَضْرَحىّ بن عامر ابن كعب بن عَبْد بن أَبى بكر بن كلاب . وقيل اسمه : عبادة بن المجيب . وقيل اسمه : عُبيد بن مُجيب ، وكنيته أَبو المسيَّب . كذا (فى كتاب اللصوص) .

وهو شاعرٌ إسلامىٌّ كان فى الدولة المرْوانية فى عَصر الراعى والفرزدق وجرير ، ولُقِّبَ بالقتَّال لتمرُّده وفَتْكه . وكان شجاعًا شاعراً . وكان فى دناءَة النفس كالحُطيئة ، وكانت عشيرته تُبغِضه لكثرة جناياته ، وما يَلحقُها من أَذاه ، ولا تمنعُه من مكروه يلحقه .

وأورد له صاحب كتاب اللصوص جناياتٍ كثيرة ، وله فيها أشعار .

* * *

وأنشد بعده :

(إذا لم تَجِدْ من دُونِ عَدنانَ والدًا
ودُونَ مَعَــدٍّ فلتزَعْكَ العــواذلُ)

على أَنَّ (دون) معطوف على محلِّ الجار والمجرور ، أَعنى « مِنْ دون»

وكأنَّه قال : فإن لم تجد دونَ عدنان والدًا ودون مَعَدٍّ . وقوله : (فلتزَعْك) بفتح الزاى : أمرٌ من وزعته أَزَعُه وَزْعاً ، إذا كفَفْتَه .

وقد تقدَّم شرحُه مستوفىً فى الشاهد الثالث والعشرين بعد المائة[1] .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد السادس بعد السبعمائة[2] :

٧٠٦ (أشارتْ كُليبٍ بالأَكُفِّ الأَصابعُ)

على أنَّ بقاءَ عمل حرف الجر بعد حذفه شَاذٌّ . وعند ابن عصفور ضرورة ، والتقدير: أشارت إلى كليب ، وكان القياس النَّصبَ بعد حذف الجار .

وقد رأيتُه (فى ديوانه) و (فى المناقضات) منصوبًا . وأنشده أبو على الفارسى (فى التذكرة القصرية) بالرفع . وكذا رأيته (فى شرح المناقضات)، قال شارحها: أراد: أشارت الأَصابع: هذه كليبٌ . ويروى: « أشَرَّت كليبًا » ، أى رفَعَت .

وهذا المصراع عجزٌ، وصدره :

(إذا قيل أَىُّ النَّاسِ شَرٌّ قبيلةً)

والبيت من قصيدة عدتها خمسةٌ وأربعون بيتاً للفرزدق ، ناقض بها قصيدةً لجرير هجاه بها على هذا الروىِّ ، وغالب أبياتها فى كتب النحو . وهذا مطلعها :

صاحب الشاهد

أبيات الشاهد

(مِنَّا الذى اختِيرَ الرِّجالَ سَماحــةً
وخِيرًا إذا هبَّ الــرِّياحُ الــزَّعــازِعُ

(١) الخزانة ٢ : ٢٥٢ – ٢٥٩ .

(٢) النقائض ٧٠٢ والمغنى ١١ ، ٦٤٣ والعينى ٢ : ٥٤٥٢ / ٣ : ٣٤٥ والتصريح ١ : ٢١٢ والهمع ٢ : ٣٦ ، ٨١ والأشمونى ٢ : ٩٠ ، ٢٣٣ وديوان الفرزدق ٥٢٠ .

ومنّا الذى قاد الجيــادَ على الوجَى
لِنَجْــرانَ حتّى صبَّحتها النزائعُ[١]
ومنّا الذى أعطَى الرّســولُ عطيّةً
أُســارَى تميم والعيــونُ دوامــعُ
ومنّا الذى يُعطِى المئينَ ويشترى الْـ
غَوالِيَ ويعــلُو فضلُه مَن يُـــدافــعُ
ومنّا خطيبٌ لا يُعــابُ وحــاملٌ
أَغــرُّ إذا التفَّتْ عليــه المجــامعُ
ومنّا الذى أحيا الوئيدَ ، وغــالبٌ
وعمــرٌو ، ومنّا حــاجبٌ والأَقــارعُ
أُولئك آبائى فجئنــى بمثلِهــمْ
إذا جَمَعَتْنــا يا جــريرُ المَجــامــعُ
بهــمْ أعتلِى ما حَمَّلتنى مجــاشعٌ
وأَصْــرَعُ أقــرانى الــذين أُصــارِعُ
فيــاعجبًــا حتّى كليبٌ تسبُّنى
كأَنَّ أباها نَهْشَــلٌ أو مجــاشــعُ
تَنحَّ عن البَطْحــاءِ إنَّ قديمَهَــا
لنا ، والجبالُ الراســياتُ الفــوارعُ
أَخَذْنا بآفــاق السَّمــاءِ عليــكمُ
لنــا قَمراها والنجــومُ الطَّــوالعُ
أَتَعــدِلُ أحســابًا لِئَامًــا أَدِقَّــة
بأَحســابنا ، إنِّى إلى الله راجــعُ

---

(١) ترتيب هذا البيت هو السابع فى كل من النقائض والديوان .

وكُــلُّ فطــيم ينتهــى لفــطامه
وكــلُّ كليبىّ ولو شــابَ راضــعُ[(١)]

تَزَيَّدُ يَرْبوعٌ بهــم فى عــديدهم
كما زيد فى عرض الأَديم الأَكــارعُ[(٢)]

إذا قيــل أىُّ النــاس شرٌّ قبيــلةٍ
أَشــارت كليبًا بالأَكــفِّ الأَصــابعُ)

٦٧٠

وقوله : « منا الذى اختير الرِّجالَ سماحةً » ، يأْتى شرحُه إن شاء الله فى بيتٍ بعد هذا .

وقوله : « ومنا الذى قاد الجياد » إلخ ، هذا هو الأَقرع بن حابس ، وعمرو بن كلثوم ، كلاهما غَزَوا نَجْران .

وقوله : « ومنَّا الذى أَعطى الرَّسولُ » إلخ هذا يومُ بنى عَمرو بن جُندب ، حين ردَّ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم سَبْيهم . وقال أَبوعبيدة : كلَّم الأَقرعُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم فى أَصحاب الحُجُرات ، وهم بنو عمرو بن جندب ، فردَّ سبْيَهم .

وقوله : « ومِنَّا خطيبٌ » إلخ الخطيب هو عُطارد بن حاجب بن زُرارة ، حين وفَدَ إلى النبىِّ صلى الله عليه وسلم فى وفد بنى تميم . والحامل : عبد الله بن حكيم ، الذى حَمَل الحَمَالاتِ يوم المِرْبَد ، يوم قُتِلَ مسعودُ ابن عمرو العَتَكِىُّ .

---

(١) فى كل من الديوان والنقائض : « وإن شب » .
(٢) الديوان والنقائض : « فى عدادهم » .

وقوله: « ومنَّا الذى أحيا الوئيد» هو جدُّه صعصعة بن ناجية، كان يشترى البنت ممن يريد وَأْدها، فأحيا ستًّا وتسعينَ موءُودةً إلى زمن النبي صلى الله عليه وسلم .

وقوله: فيا عَجباً حتى كليبٌ، البيت، يأتى شرحه إن شاء الله تعالى فى حتَّى الجارة .

وقوله: « إذا قيل أىُّ الناس » إلخ إنَّما بنى قِيلَ بالبناء للمفعول لأنَّه أراد التعميم ، أى إذا قال قائل . وجملة أىُّ الناس شرٌّ قبيلةً من المبتدإ والخبر نائب الفاعل ، ونيابة الجملة مختصَّة بالقول نحو : ﴿ ثم يُقالَ هَذا الذى كُنْتُمْ بِهِ تُكذِّبون[1] ﴾ لأنَّ الجملة التى يراد بها لفظُها تنزَّل منزلة الأسماء المفردة . و (شرٌّ) أفعل تفضيل حُذفت منها الهمزة . و (أشارت) جواب إذا . وروى أبو على (فى تذكرته): « أشَرَّت» بدله ، وقال : يريد أشارت إليها بأنَّها شر الناس ، يقال لا تُشِرَّ فلانًا ، أى لا تُشِرْ إليه بشَرّ . وإنَّما قال أشارت للإيماء إلى أنَّ حال هذه القبيلة فى الشر قد صار أمرًا محسوساً يُشار إليه . و(الأصابع) فاعل أشارت ، وإنَّما جمع للتنبيه على كثرة المشيرين[2] ، كلٌّ واحدٍ منهم يُشير إليهم[3] بإصبعٍ واحدةٍ كما هو المعتاد .

قال الدَّمامينىّ: وبالأكفّ حال من الأصابع، أى أشارت الأصابع فى حالة كونها مع الأكفّ . يعنى أنَّ الإشارة وقعَتْ بالمجموع . قال :

---

(١) الآية ١٧ من سورة المطففين .

(٢) ط : « المشير من » ، صوابه فى ش .

(٣) ط : « لا يشير إليهم » ، وأثبت ما فى ش . والمألوف أن يشار بإصبع واحدة فقط . وقد يكون عنى أن الإشارة وقعت على خلاف المعتاد ، فيكون إثبات « لا » مقبولا .

وفيه مزيدُ ذَمٍّ لهذه القبيلة ، فالباءُ على هذا للمصاحبة . وقيل هذا من قبيل القلب المقبول ، لتضمُّنه معنًى لطيفًا ، وهو المبالغة فى هَجْوِ هذه القبيلة ، لإيهامه أَنَّه صار يُشار إليها حالَ السؤال عن حالها على خلاف المعتاد ، لمزيدِ شَرِّها . والأَصل : أَشارت الأَكفُّ إلى كليب بالأَصابع ، فالباءُ للاستعانة . قال ابن الحنبلىّ : ويقوِّى الأَوَّل أَنَّه يقال : فلانٌ يشار إليه بالأَصابع ، ولا يقال بالكفّ ، فلتكن الأَصابع هنا هى المشيرة ظاهرًا وباطناً، على التجوُّز فى الإِسناد ، من دون قَلْب .

ورد ابن المُلاَّ على شيخه بأَنَّه إِنَّما يقال ذلك حيث يُطوَى ذكر الفاعل ، وما فى البيت ليس كذلك ، على أَنَّ مَا يقال إنَّما يقوِّى وجه القلب ، لدخول الباءِ فيه على الأَصابع .

والناس : اسمُ جمعٍ لإنسان ، أَصله أُناس حذفت همزته تخفيفاً . وفى القاموس : الناس يكونُ من الإِنس ، ومن الجنّ .

والقبيلة : واحدة قبائل العرب ، وهى الطبقة الثانية من الطبقات الست التى عليها العرب ، وهى الشَّعب بالفتح ، والقبيلة ، والعمارة[1] والبطن ، والفخذ ، والفصيلة . فالشَّعب يجمع القبائل ، وهى تجمع العمائر ، والعمارة تجمع البطون ، والبطن يجمع الأَفخاذ ، والفخذ يَجْمع الفصائل . وإنَّما قيل لها قبيلة أَخْذًا من قبيلة الرأْس وقبائله : القِطَع المَشْعوبُ بعضها إلى بعض ، وذلك لتقابلها وتناظرها فى الشَّعب كما قيل له شَعْب لتَشعُّب القبائل إليه أَوْ منه .

---

(١) العمارة بكسر العين وفتحها ، كما فى اللسان والقاموس . وما بعده إلى «العمارة» التالية ساقط من ش .

وكليب ، بالتصغير : أبو قبيلةِ جرير ، وهو كليب بن يربوع بن حَنظلة .

وردَّ عليه جريرٌ فى مناقضته بمثل هذا البيت فقال :

إذا قيل أىُّ الناس شرٌّ قبيلة   وأعظَمُ عارًا قيل: تلك مُجاشعُ[(١)]

وقبيلةً فى البيتين بالنصب على التمييز .

وتقدَّمت ترجمة الفرزدق فى الشاهد الثلاثين[(٢)]

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد السابع بعد السبعمائة[(٣)] :

٧٠٧ (تَمُرُّونَ الدِّيارَ ولَمْ تَعُوجُوا)

على أنَّ حذف الجار منه على سبيل الشذوذ ، والجارُّ المحذوف إمَّا الباءُ ، وإمَّا على ، فإنَّ المرور يتعدَّى بهما .

قال ابن هشام (فى المغنى) : وعن الأخفش فى مررت بزيد ، أنَّ المعنى مررت على زيدٍ ، بدليل ﴿ لَتَمُرُّونَ عَلَيْهِم[(٤)] ﴾ . وأقول: إنَّ كُلًّا من الإلصاق والاستعلاء إنَّما يكون حقيقيًّا إذا كان مُفضِيًا إلى

---

(١) ديوان جرير ٣٧٣ والنقائض ٦٩٥ . ومما يجدر ذكره أن الذى بدأ المناقضة هو جرير ، وأن الفرزدق صنع نقيضته جواباً على جرير . على أن جريراً كرر هذا المعنى فى قوله لعبد العزيز ابن الوليد مادحاً :

إذا قيل أى الناس خير خليفــة   أشارت إلى عبد العزيز الأصابع

ديوان جرير ٣٥٧ والنقائض ٣٥١ .

(٢) الخزانة ١ : ٢١٧ .

(٣) ابن يعيش ٨ : ٨ / ٩ : ١٠٣ ، والمقرب ١ : ١١٥ ورصف المبانى ٢٤٧ ، والمغنى ١٠٢ ، ٤٧٣ والعينى ٢ : ٥٦٠ ، والهمع ٢ : ٨٣ ، والأشباه والنظائر للسيوطى ٣ : ١٩٤ / ٤ : ٢٢٤ ، وديوان جرير ٥١٢ .

(٤) الآية ١٣٧ من سورة الصافات .

نَفْس المجرور ، كأَمسكت بزيد ، وصَعِدت على السَّطح . فإنْ أفضَى إلى ما يقرُب منه فمجَازىٌّ كمررت بِزيدٍ ، فى تـأْويل الجماعة ، أى أَلصَقتُ مرورى بمكانٍ يقرب منه . وكقوله :

* وبات على النَّار النَّدَى والمحلَّق[١] *

فإذا استوى التَّقديران فى المجازِيَّة فالأَكثر استعمالاً أَولى بالتخريج عليه ، كمررت به ومررت عليه ، وإن كان قد جاء كما فى :﴿ لَتَمُرُّون عليهِمْ[٢] ﴾ ، ﴿ يَمُرُّونَ عَليها[٣] ﴾.

* ولقد أَمُرُّ على اللئيم يسبُّنِى[٤] *

إلاَّ أنَّ مررتِ به أكثر ، فكان أَولى بتقديره أَصلاً . ويتخرَّج على هذا الخلاف خلافٌ فى المقدَّر فى قوله :

* تمرُّون الدِّيارَ ولم تَعوجُوا *

أَهو الباءُ أَو على . ا هـ .

يعنى : فمن ساوى بين التقديرَين قدَّر أَيَّهما شاءَ ، لصحَّة المعنى بهما . ومن رجَّح الباءَ لكثرة الاستعمال قدَّرها ، لأَنَّه متى أَمكنَ المصيرُ إلى الأَصل لم يُتجاوَزْ عنه .

وعدَّ ابنُ عصفورٍ حذفَ الجارِّ وإيصالَ الفعل إليه ضرورةً. والصَّحيح ما ذهب إليه الشارح المحقِّق ، بدليل ما أَورده من الآيات .

---

(١) للأعشى فى ديوانه ١٥٠ والأغانى ٨ : ٧٧ ، والمغنى ١٠١ . وصدره :

* تشب لمقرورين يصطليانها *

(٢) الآية ١٣٧ من سورة الصافات .

(٣) الآية ١٠٥ من سورة يوسف .

(٤) لرجل من بنى سلول . وعجزه كما فى سيبويه ١ : ٤١٦ والخزانة ١ : ٣٥٧ :

* فضيت ثمت قلت لا يعنينى *

وقول الشارح المحقِّق : والأَخفشُ الأصغر يجيز حذفَ الجار مع غيرهما أيضاً قياساً إذا تعيَّن الجارّ ، أَى مع غير أن وأنَّ . والأَخفش الأَصغر هو تلميذ أَبى العبَّاس ، وهو أَبو الحسن علىُّ بن سليمان الأَخفش . وليس ما نسبه إليه مذهبَه ، وإنَّما مذهبه أن يكون الفعل متعدِّيًا بنفسه إلى مفعول واحد ، وإلى آخَر بحرف جرٍ ، فحينئذ يجوز حذفه .

وهذا كلامُه (فيما كتبه على كامل المبرد) ، قال : فأَمَّا قوله :

* وأُخفِى الذى لولا الأُسَى لقَضَانى[١] *

فإنَّما يريد : لقضَى علىَّ الموتَ ، كما قال الله تعالى : ﴿ فلمَّا قَضَينا عَليهِ المَوْتَ[٢] ﴾ فالموت فى النية[٣] ، وهو معلومٌ بمنزلة ما نطقتَ به . ومثله : ﴿واختارَ مُوسَى قَوْمَه[٤] ﴾ أَى لقومه . وكذلك قوله تعالى : ﴿وإذا كالُوهم أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرون[٥] ﴾ والمعنى : إذا كالوا لهم أَو وزنوا لهم ، أَى كالوا لهم الشىءَ ووزنوه لهم . والمكيل والموزون معلومٌ بمنزلة ما ذُكِر فى اللفظ . ولا يجوز مررت زيدًا وأنت تريد بزيد ، لأَنَّه لا يتعدَّى إلاَّ بحرف ، وذلك أنَّه فِعلُ الفاعل فى نفسه ، وليس فيه دليلٌ على مفعول[٦] ، وليس هذا بمنزلة ما يتعدَّى إلى مفعولين فيتعدَّى إلى أحدهما بحرف الجرّ وإلى الآخر بنفسه ؛ لأَنَّ قولك : اخترتُ الرِّجالَ

٦٧٢

---

(١) صدره كما فى الكامل ٢١ ، وهو لأعرابى من بنى كلاب :

* تحن فتبدى ما بها من صبابة *

(٢) الآية ١٤ من سورة سبأ .

(٣) أى فى نية الشاعر .

(٤) الآية ١٥٥ من سورة الأعراف .

(٥) الآية ٣ من سورة المطففين .

(٦) فى الكامل ٢٢ : « على المفعول » .

زيدًا، قد عُلِم بذكرك زيدًا أنَّ حرفَ الجرّ محذوفٌ من الأوَّل . فأمَّا قولُ جرير وإنشادُ أهل الكوفة له ، وهو قوله :

تمرُّون الدِّيارَ ولم تَعُوجُوا كلامُكُم علىَّ إذًا حرامُ

ورواية بعضهم له :

* أتَمْضُون الدِّيارَ ولم تُحَيَّا[(١)] *

فليستَا بشىءٍ لما ذكرتُ لك . والسَّماع الصحيح والقياسُ المطَّرد لا تعترِض عليه الرِّواية الشاذة . أخبرنا أبو العباس محمد بن يزيد قال : قرأت على عُمارة بن عَقيل بن بلال بن جرير :

* مررتم بالدِّيار ولم تَعُوجوا *

فهذا يدلُّك على أنَّ الرواية مغيَّرة . ا هـ .

والبيت من قصيدة لجرير هجا بها الأخطلَ النَّصرانى . وهذا مطلعُها : صاحب الشاهد

(مَتَى كان الخيامُ بذى طُلوحٍ سُقيتِ الغيثَ أيَّتُها الخيامُ أبيات الشاهد
تَنكَّر مِن معالمها ومالت دعائمُها وقد بَلِىَ الثُّمامُ
أقولُ لصُحبتى لمَّا ارتحلْنا ودَمعُ العَين مُنهمِرٌ سِجامُ
تمرُّونَ الدِّيارَ ولم تَعُوجُوا كلامُكُمُ علىَّ إذًا حرامُ)

ومنها

(لقد وَلدَ الأُخيطِلَ أمُّ سَوءٍ على باب استها صُلُبٌ وشَامُ)

قوله : « متى كان الخيام» الخ . أورد ابن هشام عجُزَه (فى المغنى)

---

(١) كذا بالتاء فى « تحيا » بالنسختين ، بعود الضمير إلى « الديار » . والذى فى الكامل : « أتمضون الديار » فقط . وفى ديوان جرير : « أتمضون الرسوم ولا تحيا » .

على أنَّه قد تولَّدت واوٌ من إشباع ضمة الميم . والخَيمة عند العرب : كلُّ بيتٍ يُبنَى مِن عِيدان الشَّجَر . وذو طلوح[1] بمهملتين : مكان . والطَّلح : شجرٌ عظيم له شوك .

والمعالم : جمع مَعْلم كمقعد : مَظِنَّة الشيء وما يُستدَلُّ به . والدِّعامة بالكسر : عماد البيت . والثُّمام بضم المثلثة : نبتٌ ضعيف له خُوص رُبَّما حُشِيَ به الوسائد ، ويسدُّ به خَصاصُ البُيوت . والمنهمر : المنسكب . والسِّجام بالكسر : مصدر سجم الدمع إذا سال .

وقوله : (ولم تَعُوجوا) يقال عاج رأْسَ البعير ، إذا عطفَه بالزِّمام . (وكلامُكم) مبتدأٌ ، وهو مصدرٌ مضاف إلى مفعوله ، والفاعل محذوف أى كلامى إياكم . و (حرام) خبره وعلىَّ متعلق بالخبر .

وقوله : « لقد ولدَ الأُخيطِلَ » أورده صاحب الكشاف ، شاهدًا لقراءةِ إبراهيمَ النَّخَعىّ : ﴿ ولم يَكن له صاحِبَةٌ[2] ﴾ بالمثناة التحتية ، على أنَّه لم يؤنِّث الفعلُ المسند إلى المؤنث الحقيقى للفصل .

والأُخيطل : مصغر الأَخطَل . والصُّلُب : جمع صليب . وشامٌ : جمع شامة ، وهى العلامة . يريد أَنَّ أُمَّه فعلَتْ فعلَ الموشّمات ، نقشَتْ صورة الصَّليب فى ذلك الموضع .

وفى القاموس أَنَّ الأَخطل كان يلقَّب بذى الصليب .

---

(١) ط : « وذى طلوح » .
(٢) المغنى ٣٦٨ . وانظر معجم شواهد العربية . وقد كتبت القافية فى المغنى « الخيامو » إظهاراً للإشباع .
(٣) من الآية ١٠١ من سورة الأنعام . وانظر تفسير أبى حيان ٤ : ١٩٤ .

والشام : النقوش . وفى بعض حواشى المفصَّل : صُلب وشام : نبتانِ ، يصفها بخشونة ذلك الموضع .

وترجمة جرير تقدَّمت فى الشاهد الرابع من أوّل الكتاب[١] .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثامن بعد السبعمائة ، وهو من شواهد سيبويه[٢] :

٧٠٨ (ومِنَّا الذى اختِيرَ الرِّجالَ سَماحةً)

على أنَّ (الرجال) منصوبٌ بنزع الخافض ، والأَصل : من الرجال ، وهو المفعول الثانى المقيَّد بحرف الجرِّ لاختار ، فإنَّه يتعدَّى إلى الأَوَّل بنفسه ، وإلى الثانى بحرف الجرِّ . والمفعولُ الأَوّل هنا نائب الفاعل ، وهو الضمير العائد إلى الذى فى اختير . ٦٧٣

وهذا الحذفُ كثير الاستعمال ، ولهذا قال الشارح المحقِّق :« وكذا[٣] يحذَف من المفعول الثانى » . والإشارة لقوله سابقاً .

وأَمَّا كثرة الاستعمال ، قال سيبويه فى باب الفاعل الذى يتعدَّاه فعله إلى مفعولين : إن شئت اقتصرتَ على المفعول الأَوّل ، وإن شئت تعدّى إلى الثانى ، ومن ذلك : اخترت الرِّجالَ عبدَ الله . ومثل ذلك قوله تعالى: ﴿ واختار مُوسَى قَوْمه سبعين رجلا[٤] ﴾ ، وسمَّيتُه زيدًا . ومِنْه قولُ الشاعر :

---

(١) الخزانة ١ : ٧٥ .

(٢) فى كتابه ١ : ١٨ . وانظر المقتضب ٤ : ٣٣٠ والأصول ١ : ٢١٥ ومجالس العلماء ١٩٣ وابن الشجرى ١ : ١٨٦ ، ٣٦٤ وابن يعيش ٥ : ١٢٣ / ٨ : ٥٠ ، ٥١ ، والهمع ١ : ١٦٢ والأشباه والنظائر ١ : ٢٨٥ وديوان الفرزدق ٥١٦ .

(٣) ط : «كذا» ، وأثبت ما فى ش وشرح الرضى ٢ : ٢٥٤ .

(٤) الآية ١٥٥ من سورة الأعراف .

* أستغفر الله ذنبًا لستُ مُحصِيَه[١] *

وقال عمرو بن معديكرب :

* أمرتك الخيرَ فافعَلْ ما أُمرْتَ به[٢] *

وهذه أفعالٌ توصل بحروف الإضافة ، فتقول : اخترت من الرجال ، وسميته بفلان ، كما تقولْ : عرفتُه بهذه العلامة ، وأستغفِر الله من ذلك . فلمَّا حذفوا حرف الجرّ عمل الفعلُ . وليس أستغفر الله ذنبًا وأمرتك الخيرَ أكثرَ فى كلامهم جميعًا ، وإنَّما يتكلَّم به بعضُهم . فهذه الحروفُ كان أصلُها فى الاستعمال أن تُوصلَ بحروف الإضافة . ومنه قول الفرزدق :

منَّا الذى اختِير الرِّجــالَ سمــاحةً
وجُودًا إذا هبَّ الرِّياحُ الزَّعازعُ . ا هـ .

صاحب الشاهد

والبيت مطلعُ قصيدةٍ للفرزدق تقدَّم أبياتٌ منها قبل هذا بشاهد . قال صاحب المصباح :سَمَح بكذا يسمَحُ ، بفتحتين ،سمُوحاًوسَمَاحاًوسمَاحة : جاد وأعطى ، أو وافقَ على ما أُرِيدَ منه . و (الجود) : الكرم . وروى بدله : (وخِيراً) بكسر المعجمة ، وهو الكرم . (والزَّعازع) : جمع زَعزَعٍ كجعفر ، وهى الريح التى تهبُّ بشدة . وعنى بذلك الشِّتاءَ ، وفيه تقلُّ الألْبانُ ، وتُعدَم الأزواد ، ويبخَل الجَواد . فيقول : هو جوادٌ فى مثل هذا الوقت الذى يقلُّ فيه الجود . وسماحةً وجوداً مصدران منصوبان على المفعول لأجله ، كأنه قيل : اختير من الرِّجال لسماحته وجُوده .

---

(١) عجزه : رب العباد إليه الوجه والعمل *

(٢) عجزه : فقد تركتك ذا مال وذا نشب *

ويجوز أَن يكونا تمييزَين أَو حالين ، أَى سَمْحًا وجَوَادًا [1] . قاله ابن خلف ولم يذكر ابن المستوفى غير الأَخيرين .

وقال ابن السيد (فى أَبيات المعانى) : ونصب سماحةً على المصدر ممَّا دلَّ عليه اختير ، لأَنَّه لا يُختار إلاَّ الكرام . وأَراد بقوله : « ومنا الذى اختِير » أَباه غالبًا ، وكان جواداً .

* * *

وأَنشد بعده ، وهو الشاهد التاسع بعد السبعمائة [2] :

٧٠٩ (خَرَجْتُ إلى أَقطاعِهِ فى ثيــابه

على طِرْفهِ من دارِه بحُســامِه)

على أَنَّه يجوز أَن يَجتَمِع على فعلٍ واحد عدّةٌ من حروف الجرّ إذا كانت مختلفة ، فإنَّ الفعل الواحد قد يتعدَّى بعدّةٍ من حروف الجرِّ على مقدار المعنى المرادِ من وقوع الفعل ، لأَنَّ هذه المعانىَ كامنةٌ فى الفعل ، وإنَّما يُظهرها حروفُ الجر ، فإنَّك إذا قلتَ : خرجتُ فأَردت أَن تبيِّن ابتداءَ خروجك قلت : خرجت من الدار . فإنْ أَردتَ أَن تبيِّن انتهاءَهُ قلت : إلى المسجد . وإن أَردت أَن تبين ظَرفَه قلت : فى ثيابى . وإن أَردتَ أَن تبيِّن أَنه مقارنٌ للاستعلاءِ قلت : على الفرس . وإن أَردت أَن تبيِّن الملابسة والصُّحبة : قلت بحسامى . ويجوز أَنْ يكون بعضُ هذه المجرورات فى موضع الحال .

٦٧٤

وهذا البيت يوجد فى بعض النسخ قبل قوله : « وإلى اثنين كأَعطى وعلم » بسَطرٍ ، بعد قوله : خرجتُ من الكوفة إلى البصرة لإكرامك .

---

(١) ط : « جوداً » ، صوابه فى ش .

(٢) الأشباه والنظائر ٣ : ١٧٦ ، وديوان المتنبى ٢ : ٢٧٩ .

صاحب الشاهد

والبيت من مقطوعةٍ عدّتها ستة أَبيات ، للمتنبِّى ، قالها لما ودَّعَ سيفَ الدولة بنَ حمدان ، وأَراد التوجُّهَ إلى أَقطاعه التى أَقطعه إيَّاها .

قال ياقوت الحموى (فى معجم البلدان) : السَّبْع هو بلفظ العدد : قريةٌ بباب حلب كانت إقطاعًا للمتنبِّى من سيف الدولة . وإياها عنى بقوله :

أَسير إلى أَقطاعه . . . البيت

وأَوّله الثابتُ فى جميع نسخ ديوانه ، هو كما أَنشده ياقوت بلفظ : « أَسيرُ » .

والأَبيات هذه وشرحها للواحدىّ :

أبيات الشاهد

(أَيا رامِيًا يُصْمِى فُــؤادَ مَرَامِه تُرَبِّى عِداهُ رِيشَها لسِهامِه)

الإِصماء : إصابة المقتل فى الرَّمى . والمعنى أَنَّه إذا طلب شيئًا أَصاب خالصَ ما طلبه ، كالرامى يصيب فؤادَ ما يطلبه بِرمْيِه . وقولهُ : تُرَبِّى عِدَاهُ ، مثلٌ ، وذلك أَنَّ السِّهام إنَّما تنفُذ بريشها ، وأَعداؤه يجمعون العُدَد والأَموال له ، لأَنَّه يأْخذها فيتقوَّى بها على قتالهم ، فكأَنَّهم يربُّون الرِّيش لسهامه ، حيث يجمعون المال له . فالرِّيش مَثَل الأَموال والسِّهامُ مَثَل له [١] .

(أَسير إلى أَقطاعه فى ثيابه) البيت ، يريد أَنَّ جميع ما يتصرَّف فيه من ضروب مملوكاته إنَّما هو من جهته وإنعامه . وكأَنَّ هذا تفصيلُ ما أَجمله النابغةُ فى قوله :

وما أَغفلتُ شكرى فانتصِحْــنى وكيفَ ومِن عطائك جُلُّ مالِى [٢]

---

(١) فى شرح العكبرى وكذلك فى شرح الواحدى ٥٧٦ – ٥٧٧ : « فالريش مثل لأموالهم »

(٢) ديوان النابغة ٦٥ من مجموع خمسة دواوين ، وشرح العكبرى للمتنبى ٢ : ٢٨٠ .

وقد فصَّله النابغة أيضاً فقال :

وإنّ تلادى إن نظرتُ وشِكَّتِى ومُهرى وما ضُمَّت إليه الأَناملُ[١]
حِبَاؤك والعِيسُ العِتــاقُ كأَنَّها هِجانُالمَهَا تَردِى،عليها الرَّحائلُ[٢]

وهذا كما قال أبو نواس :

* وكلُّ خيرٍ عندنا من خَيْره[٣] *

(وما مَطَرتْنيه مِنَ البيض والقنا ورُوم العِبِدَّى هاطلاتُ غمــامِهِ)

الروم : جمع رومىّ ، كما يقال زنج وزنجى . والعِبِدَّى : العبيد . يعنى وما أنعم علىّ من أنواع نعمه ، من الأَسلحة والعبيد الروميَّة .

(فَتًى يهَبُ الإقليمَ بالمال والقُرَى ومن فيـــه مِن فُرسانه وكرامِه
ويجعــلُ ما خَوَّلتُه من نوالـــهِ جزاءً لمـــا خَوَّلتُه من كـــلامِهِ)

أَى يُجازِينى بنواله إذا مدحتُه بما استفدتَه من الأَدب من كلامه .

(فلا زالت الشمسُ التى فى سمائِه مُطالِعَةَ الشَّمسِ التى فى لثامِهِ)

أَى لا زالت شَمْسُ السَّماءِ تطالع وجهَه الذى هو كالشمس . وأَضاف السماءَ إليه مبالغةً فى المدح، كما قال الفرزدق :

---

(١) ديوان النابغة ٦١ ، وشرح العكبرى ٢ : ٢٨٠ . وفى الديوان : « إن ذكرت » . وفى الديوان وشرح العكبرى : « وما ضمت إلى الأنامل » . و « ضمت » على هذه الرواية بالبناء للفاعل .

(٢) فى الديوان : « تحدى » بمعنى تساق ، كما نص عليه فى شرحه و « العيس » بالنصب عطف على تلادى ، وبالرفع على الاستئناف وتقدير الخبر بعده ، أى حباؤك .

(٣) كذا فى النسختين . والذى فى التبيان للعكبرى ٢ : ٢٨٠ وديوان أبى نواس ٢٠٦ :

* وكل خير عندنا من عنده *

لكن فى الديوان : « عندهم » . وقبله فى الديوان :

أنعت كلبا أهله من كده قد سعدت جدودهم بجده

* لنا قَمَراها والنُّجومُ الطَّوالعُ[١] *

وقال ابن جنى : أَضاف السَّماء إليه لإشرافها عليه ، كما قال الآخر :

إذا كوكبُ الخرقاء لاحِ بسُحرةٍ سُهيلٍ أذاعَتْ غَزْلَها فى القَرائبِ[٢]

أَضاف الكوكب إليها لجِدِّها فى عملها عند طلوعه .

تم الجزءُ الثالث ويليه الجزءُ الرابع ، أَوّله أَفعال القلوب .

---

(١) صدره فى الديوان ٥٠٩ ، وانظر الخزانة ٤ : ٣٩١ :

* أخذنا بآفاق السماء عليكم *

(٢) ط : « أزاعت »، صوابه فى ش . ويروى : « أشاعت » ، ويروى : « فى الغرائب » وانظر ابن يعيش ٣ : ٨ والمحتسب ٢ : ٢٢٨ والمقرب ١ : ٢١٣ والعينى ٣ : ٣٥٩ واللسان (غرب) . وهو الشاهد ١٧٦ فى الخزانة ٣ : ١١٢ .

أفعال القلوب

أول الجزء الرابع من التقسيم القديم

أَنشد فيها ، وهو الشاهد العاشر بعد السبعمائة[١] :

٧١٠ (تَعَلَّمْ أَنَّ بعد الغَيِّ رشدًا)

على أَنَّ (تعلَّمْ) التى بمعنى اعلمْ أمرًا ، لا تنصب المفعولين بل تَرِدُ الاسميّةُ مصدَّرة بأَنَّ السَّادةِ مع معموليها مسدَّ المفعولين . ويقلُّ نصبها للمفعولين ، كقول زياد بن سَيّار الجاهلىّ :

تَعلمْ شِفاءَ النَّفسِ قَهْرَ عــدوِّها فبالغ بلطفٍ فى التحيُّل والمَكْرِ[٢]

صاحب الشاهد

وهذا المصراع من قصيدةٍ طويلة جدًّا للقُطامىِّ ، وقبله :

أبيات الشاهد

وأَمَّــا يومَ قلتُ لعبــد قيسٍ كلامًا لا أُريد به خِــداعــا[٣]

تعــلَّمْ أَنّ بعــد الغَــىّ رشــداً وأَنَّ لهــذه الغُبَرِ انقشــاعا[٤]

ولــو تُستَخْبَرُ العلمــاءُ عنّــا ومَن شهدَ الملاحمَ والوِقــاعا[٥]

بتَغْلِبَ فى الحروب أَلم يــكونوا أَشــدَّ قبائلِ العــربِ امتناعا

وتقدَّم، فى الشاهد الثالث والأَربعين بعد المائة، ما تقدّم من أَول القصيدة إلى هذه الأَبيات مع ترجمته[٦] .

---

(١) همع الهوامع ١ : ٧٥ وديوان القطامى ٤٠ .

(٢) شذور الذهب ٣٦٢ والمغنى ٥٩٤ والعينى ٢ : ٣٧٤ والتصريح ١ : ٢٤٧ والهمع ١ : ١٤٩ والأشمونى ٢ : ٢٤ .

(٣) فى الديوان : « ما أردت به خداعا »، وفى الديوان نسخة الشنقيطى: « ما أريد له خداعاً » .

(٤) فى الديوان : « لهذه الغمم » .

(٥) فى الديوان نسخة الشنقيطى : « ولو يستخبر » بالياء .

(٦) الخزانة ٢ : ٣٦٣ – ٣٧٢ .

وتقدَّم أيضاً إيرادُ أبيات بعد هذه الأبيات فى الشاهد التاسع والتسعين بعد الخمسمائة[١] .

وقوله : « وأمَّا يوم قلتُ لعبد قيس » ، هو أخو القطامى .

وقوله : (تعلمْ أنَّ بعد الغى) إلخ الغُبَر : جمع غُبْرة وهِى القَتَمة ، يريد ما أَظلَّ[٢] من الأُمور الشِّداد المظلمة . والانقشاع : الانكشاف .

وأورد اللَّبْلِىّ المصراعَ الثانى (فى شرح الفصيح) برواية :

* وأنَّ لتالك الغُبَرِ انقشاعا *

وقال : (تالك) بكسر اللام لغة فى تلك ، فى الإشارة إلى المؤنَّثة البعيدة . ويريد القطامى بهذا تسليةَ أَخيه ، فإنَّ بنى أسد كانوا أوقعوا ببنى تغلب فى نواحى الجزيرة ، والقُطامىُّ منهم ، فأَسره بنو أسدٍ وأرادُوا قتلَه ، فحال زُفر بن الحارث الكلابى بينه وبينهم ، وحَماه وكساه ، وأعطاه مائة ناقة كما تقدَّم .   ٤ : ٣

وقوله : « ولو تُستخبَر العلماءُ » إلخ هو بالبناء للمفعول . والملاحم : جمع مَلحمة ، وهى موضع الحرب . والوِقاع : المُواقَعة .

وقوله : « بتغلب » أَى عن تغلب ، كقوله :

* واسأَلْ بمَصْقلة البكرىِّ ما فعلا[٣] *

أى عن مَصقلة . وتغلب : قبيلةُ القطامى ، وهو تغلب بن وائل .

---

(١) الخزانة ٨ : ١٣٦ - ١٣٨ .

(٢) ط : « ما أطل » ، صوابه فى ش .

(٣) للأخطل فى ديوانه ١٤٣ وسيبويه ٢ : ٢٩٩ . وصدره :

* دع المغمر لا تسأل بمصرعه *

ثم أَخذ بعد هذا يذكُر مآثر قومِه فى الجاهلية .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الحادى عشر بعد السبعمائة[(١)] :

٧١١ (اللهَ مُوفٍ للنَّاسِ ما زَعَما)

على أنَّ (زعم) قد يستعمل فى التحقيق .

رأيت (فى شرح الكتاب للسيرافى) :الزَّعْمُ : قولٌ يقترن به اعتقاد، وقد يصحُّ ذلك أَو لا يصحّ . فأَمّا قول الجعدى:

(نودِىَ قُمْ واركبَنْ بأَهــلِكَ إِ نَّ اللهَ مُوفٍ للنَّــاسِ ما زَعَما)

فقيل الزَّعم ههنا بمعنى القول، وقيل بمعنى الضَّمان. ومنه قول عمرو ابن شأْس :

تقولَ هَلَكنا إِنْ هلكتَ، وإِنَّمــا على الله أَرزاقُ العباد كما زعَمْ[(٢)]

قيل معناه كما ضَمِن ، وقيل كما قال . وشاهد الزَّعمِ بمعنى القول قول أَبى زُبيد :

يالَهْفَ نفسىَ إِنْ كان الذى زَعمــوا

حَقًّا ، وماذا يردُّ اليومَ تلهيــفى[(٣)]

أَى الذى قالوه . وذلك أَنَّه سمع من يقول : حُمل عثمان على النعش إِلى قبره . وهذا ليس فيه معنى ظنٍّ ولا ضمان . ا ﻫ .

---

(١) ديوان النابغة الجعدى ١٣٦ واللسان (زعم ١٥٧) .

(٢) همع الهوامع ١ : ١٤٩ واللسان (زعم) .

(٣) ديوان أبى زبيد ١٢٠ والتصريح ١ : ٢٥ واللسان (أمر ٩٢ نجف ٢٣٦) ، وجمهرة ابن دريد ٢ : ٤١٧ .

وقال ابن برى (فى حاشية الصحاح) : الزعم يأتى فى كلام العرب على أربعة أوجه : يكون بمعنى الكفالة والضمان ، شاهده قول عمر بن أبى ربيعة :

قلتُ : كَفِّى لكِ رهنٌ بالرضا   وازعُمى يا هِند قالت : قد وجبْ[(١)]

وقال النابغة يصف نوحاً :

نُودىَ قُم واركَبَنْ بأَهلك   . . . . . .   البيت

زعم هنا فُسِّر بمعنى ضَمن ، وبمعنى قال ، وبمعنى وَعَد . ويكون بمعنى الوعد ، قال عَمرو بن شأس :

وعاذلةٍ تخشى الردى أن يصيبَنى

تَرُوح وتغدو بالملامة والقَسَمْ

تقول هلكنا إن هلكتَ   . . . .   البيت

زعم هنا بمعنى وَعدَ ، وبمعنى قال . ويكون بمعنى القول والذِّكر . قال أبو زبيد الطائى :

يا لهف نفسى إن كان الذى زعموا   .....   البيت

المعنى : إن كان الذى قالوه حَقًّا ، لأَنَّه سمع من يقول : حُمل عثمانُ على النعش إلى قبره .

وقال المثقِّب العبْدىّ :

---

(١) رواية الديوان ٣٧٨ لهذا البيت وما قبله :

قلت حلا فاقبلى معذرتى   ما كذا يجزى محب من أحب

إن كفى لك رهن بالرضا   فاقبلى يا هند ، قالت : قد وجب

وكـلامٍ سيِّئٍ قـد وُقِـرَتْ أذنى عنه وما بى من صَمَمْ[١]

فتصـامـمت لـكى مـا لا يَرى جاهلٌ أنِّى كما كانَ زعمْ[٢]

ويكون بمعنى الظنّ ، قال عُبيد الله بن عبد الله بن عُتبة بن مسعود :

فذُقْ هجرها إن كنت تزعمُ أنَّه رشادٌ ، ألاَ يا رُبَّما كذَبَ الزَّعْمُ[٣]

فهذا البيت لا يحتمل سوى الظن ، وبيت عمر لا يحتمل سوى الضَّمان ، وبيت أبى زُبيدٍ لا يحتمل سوى القول ، وما سوى ذلك على ما فسِّر .

وبيت النابغة رُوِىَ لأُميّة بن أبى الصلت، وبيت عمرو بن شأْس روى لمضرِّس . ا هـ . ٤

وما أورده الشارح قطعة من قوله :

نودِىَ قُمْ واركبَنْ بـأَهلك إ نَّ الله . . . . إلخ .

و (زعم) فيه على ما فسَّروه متعدٍّ إلى مفعول واحد ، وهو الضمير المحذوف العائد إلى ما الموصولة .

صاحب الشاهد

والبيت من قصيدة للنابغة الجعدىّ الصَّحابى ، أوّلُها :

(الحمـد لله لا شريكَ لـه مَنْ لم يَقُلْها فنفسَه ظَلَمـا)

فالألف فى قوله « زعما » للإطلاق . قال ابن خالويه (فى كتاب ليس) :

---

(١) ديوان المثقب ٢٣٠ : « عنه أذناى »، وفى ط : « أذنى منه »، وأثبت ما فى ش واللسان (زعم) وأساس البلاغة (وقر) والمفضليات ٢٩٤ . وأوله فى أساس البلاغة : «كم كلام سيئ» .

(٢) فى الديوان والمفضليات : « فتعزيت خشاة أن يرى » . وفى اللسان (خشى) : « فتعديت خشاة أن يرى ظالم » ، وفيه تحريف .

(٣) فى اللسان (زعم ١٥٧) : « قد كنت تزعم أنه رشاد » .

قال بعض المفسِّرين: إن الزعم زامِلة الكذب[١] . وليس فى كلام العرب وأشعارهم زعم محمودًا إلاَّ فى بيتين ، قال أُميَّة بن أَبِى الصَّلت ، وقيل للنابغة الجعدى ، فى قصيدةٍ أوّلها :

نودىَ قُمْ واركبَنْ . . . البيت .

فهذا على الحقّ . وسمعت الزَّاهد[٢] يقول : زعم فى هذا البيت بمعنى قال ووعد ، كما يقال : زعم الشافعى ، أى قال . ا هـ .

نسبة أخرى

والقصيدة التى هى لأُميَّة بن أَبِى الصَّلت طويلة ذكر فيها صنع الله وعظم قدرته . وقبله :

أبيات الشاهد

(عَرفتُ أنْ لن يفوتَ اللهَ ذو قِدَمٍ ... وأنَّه من أَميرِ السَّوءِ ينتقمُ[٣]

المُسْبِحُ الخُشْبَ فوقَ الماءِ سخَّرها ... خِلالَ جِريتها كأنَّها عُوَمُ

تَجرى سفينةُ نوحٍ فى جوانبه ... بكلِّ مَوجٍ مع الأَرواح تقتحمُ

نُودِىَ قم واركبَنْ بأَهلك ... نَّ اللهَ مُوف للناس ما زَعَمُوا[٤]

---

(١) أصل الزاملة البعير يستظهر به الرجل ، يحمل عليه طعامه ومتاعه . وهذا النص بأكله ليس موجوداً فى النسخ المطبوعة من كتاب ابن خالويه .

(٢) الزاهد هذا هو أبو عمر محمد بن عبد الواحد بن أبى هاشم المطرز اللغوى ، غلام ثعلب . ولد سنة ٢٦١ . وتوفى سنة ٣٤٥ . بغية الوعاة وإنباه الرواة ٣ : ١٧١ — ١٧٧ وفيه بيان مراجع ترجمته .

(٣) ذو قدم ، أى من عمر طويلا . وفى الديوان ٥٧ : « وأنه من عبيد السوء » .

(٤) وكذا فى الديوان . وقد أدرك مصحح طبعة بولاق أن هذا البيت من بين أخواته ينتمى إلى المنسرح ،والقصيدة كلها مبنية على البسيط .

مشحونةٌ ودُخانُ المَوجِ يرفعُها
مَلأَى وقد صُرِّعَتْ من حَولها الأُمُمُ(١)

حَتَّى تسوَّت على الجُوديِّ راسيةً
بكلِّ ما استُودِعَتْ كأَنَّها أُطُمُ)

قال شارح ديوانه : يقال سَبح الرَّجلُ وأَسْبَحَه الله . والعُوَم : جمع العُومة ، كأَنَّها حية تكون بُعمان . والعامَة : شبه الطَّوف إلاَّ أَنَّه أصغر منه ، يُركَبُفيه البحرُ . فى جوانبه : جوانب الماء . ومشحونة : مملوءة ، يقال اشحَنْ سفينَتك ، أَى املأْها . والجوديُّ فيها سوقٌ يقال له سوق الثَّمانين ، لثمانين رجلاً كانوا مع نوحٍ فى السفينة. والأُطُم بضمتين : القصر ، والجمع آطام .

وترجمة أُمية تقدَّمت فى الشاهد السادس والثلاثين(٢) .

قال ابن خالويه . وقصيدة النابغة :

(يا مالكَ الأَرضِ والسماءِ ، ومَنْ يَفْرَقْ من الله لاَ يَخَفْ أَثمَا(٣)

إنِّى امرؤٌ قد ظَلمتُ نفسِى وإ لاَّ تعفُ عَنِّى أُغْلَى دَمًا كَثما(٤)

أُطرَح بالكافرين فى الدَّرَكِ ا لأَسفَلِ يا ربِّ أَصطلى الضَّرَما(٥)

---

(١) فى الديوان : « يدفعها » بالدال .

(٢) الخزانة ١ : ٢٤٧ .

(٣) ديوان الجعدى ١٣٥ ، ١٣٤ حيث وردت فيه الأبيات الثلاثة الأولى بعد الأبيات الثلاثة الأخيرة على خلاف هذا الترتيب . والأثم ، بالتحريك : لعله مقصور الأثام كسحاب ، وهو جزاء الإثم . ولم أجد له سنداً .

(٤) عنى ، ساقطة من ش ثابتة فى الديوان . وأغلا ، كتبت فى النسختين والديوان بالألف فى آخرها . والكثم : الغليظ ، من قولهم : حمأة كاثمة وكثمة : غليظة .

(٥) بالكافرين ، أى معهم . والدرك الأسفل : أقصى القعر .

يــأَيُّها النـــاسُ هـــل تَرونَ إلى فارسَ بادَتْ وخَرَّ من دَعَمـــا[1]

أَمسَــوْا عبيــدًا يرعَوْنَ شـــاءَكم
كـــأَنَّمـــا كـــان مُلكُهم حُلُمـــا[2]

رأَوْا سَبَا الحاضِـــرينَ مأْرِبَ إذْ
يَبْنـــونَ من دُون سَيْـــلهِ العَـــرِما) اهـ.

* * *

وأنشد بعده :

(ولَقَدْ نَزَلتِ فـــلا تظُنِّى غيرَهُ مِنِّى بمنزلة المُحَبِّ المُـــكْرَمِ)

على أَنّ (ظنَّ) يقلُّ فيها نصب المفعول الواحد ، فإِنَّ معناه هنا لا تظنِّى شيئًا غير نزولك . وصحة هذا المعنى لا تقتضى[3] تقدير مفعول آخر .

وفيه ردٌّ للنحويين ، فإِنَّهم قالوا : المفعول الثانى لظن محذوفٌ اختصارًا لا اقتصاراً .

وبه استشهد شُرَّاح الأَلفية وقالوا : تقديره : فلا تظنِّى غيره واقعاً ، أَو حقًّا . وجملة (فلا تظنِّى غيره) معترضةٌ بين نزلت وبين متعلَّقِهِ ، وهو منِّى . ٥

وهذا البيت من معلَّقة عنترة ، وتقدم شرحه فى الشاهد الموفى المائتين[4] .

* * *

(١) فى الديوان : « وخدها رغما » . رغم : ذل . وخر : سقط .

(٢) كذا والرواية المعروفة كما فى الديوان : « أو سبأ الحاضرين مأرب » .

(٣) ط : « لا يقتضى » .

(٤) الخزانة ٣ : ٢٢٧ – ٢٢٨ .

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثانى عشر بعد السبعمائة[١] :

٧١٢ (بأَىِّ كتابٍ أَمْ بأَيَّةِ سُنَّةٍ تَرَى حُبَّهمْ عارًا علىَّ وتَحَسِبُ)

على أَنَّه قد حذف مفعولاً (تحسب) للقرينة ، والتقدير : وتحسِب حبَّهم عارًا علىّ .

قال ابن جنى (فى إعراب الحماسة) عند قول حَكيم بن قَبِيصة[٢] :

فما جَنَّةَ الفِردوسِ هاجــرتَ تبتغى
ولكنْ دعاك الخُبزُ أَحسَبُ والتَّمْرُ[٣]

نصب جنَّة الفردوس بتبتغى ، وهى حال من التاءِ فى هاجرتَ . وجاز تقديم ما انتصب بتبتغى لجواز تقديم الفعل نفسِه، حتَّى كأَنه قال : فما مبتغيًا جنَّة الفردوس هاجرتَ ، على حدِّ قوله تعالى : ﴿ خُشَّعاً أَبصارُهُمْ يَخرُجونَ من الأَجْداث[٤] ﴾ ولم يعمل أَحسَب على اللفظ ، وأَراد مفعوليهَا فحذفَهما ، كبيت الكُميت :

بأَىِّ كتاب ... البيت

أَى وتحسب ذاك كذلك . ولايحسن أَن تجعلها هنا لَغْوًا ، مِن قِبَلِ أَنَّها لم تقع بين المبتدأ وخبره ولا بعدهما ، نحو : زيد قائم أَحسب ،

---

(١) المحتسب ١ : ١٧٣ والمقرب ١ : ١١٦ والعينى ٢ : ٤١٣ والتصريح ١ : ٢٥٩ والهمع ١ : ١٥٢ ويس ١ : ١٦١ والهاشميات ٣٨ .

(٢) ط : « قيصة » ، صوابه فى ش ، والحماسة ١٨٢٥ بشرح المرزوق وإعراب الحماسة الورقة ٢٤٥ .

(٣) فى النسختين : « دعاك الخبز والتمر أحسب » ، صوابه ما أثبت من الحماسة وإعرابها . وقبل البيت :

لعمــر أبى بشر لقــد خانه بشر على ساعة فيهــا إلى صاحب فقر

(٤) الآية ٧ من سورة القمر .

وإنَّما كان اعتبارُ عملها أو إلغائها هناك، لأنَّها لو كانت عاملةً لعمات فيهما ، وأمَّا ههنا فلا سبيلَ إلى الخبز والتَّمر ونحوهما . ا هـ.

وقوله : (بأَى كتاب) متعلق بقوله (ترى) .

صاحب الشاهد

والبيت من قصيدةٍ طويلةٍ للكميت بن زَيدٍ الأَسَدى ، مدح بها آلَ النبي صلى الله عليه وسلم . وبعدَه :

أبيات الشاهد

(إذا الخيلُ وَارَاها العَجاجُ وتحتَه
غُبارٌ أثارتْه السَّنابكُ أَصهَبُ[١]

فمالى إلاَّ آلَ أَحمدَ شِيعةٌ
ومالى إلاَّ مَشْعَبَ الحقِّ مَشعبُ[٢])

وَارَاها : غَطَّاها . والمَشْعَب : الطريق .

وتقدَّمت مع ترجمته فى الشاهد الثانى بعد الثلثمائة[٣] .

* * *

وأنشد بعده :

(لا تَخَلْنا على ،غَرَائِك إنَّا طالمَا قد وشَى بنا الأَعداءُ[٤])

على أنَّه قد حذف المفعول الثانى من تخلْنا ، وتقديره كما قال الشارح المحقق : لا تخلْنا أذلَّة على إغرائك الملك بنا .

والبيت من معلَّقة ابن حِلِّزة، تقدَّمَ شرحُه مع ترجمته، فى الشاهد الثامن والأَربعين من أَوائل الكتاب[٥] .

* * *

(١) هذا البيت لم يرد فى ديوانه ولا فى الهاشميات .
(٢) ويروى : « إلا مذهب الحق مذهب » . انظر معجم شواهد العربية .
(٣) الخزانة ٤ : ٣٠٧ - ٣٢٠ .
(٤) وروى : « على غراتك » بالتاء كما سبق فى الجزء الأول .
(٥) الخزانة ١ : ٣٢٤ - ٣٢٦ .

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثالث عشر بعد السبعمائة[(١)] :

٧١٣ (كذاك أُدِّبْتُ حتَّى صـــار من خُلُقى
إنِّى وجدتُ مَـــلاكُ الشِّيمة الأَدبُ)

على أَنَّ وجدت قد أُلغىَ عن العمل مع تقدُّمه ، وهو ضعيفٌ وقبيح.

وخرَّجه الشارح المحقِّق تبعًا لسيبويه على تقدير لام الابتداء ، أَو على تقدير ضمير الشأْن تبعًا لابن جنى ، فتكون وَجَد عاملةً على التقديرين. أَمَّا على الأَوَّل فتكون معلَّقة عن العمل فى اللفظ بلام الابتداء المقدَّرة ، ويكون ما بعدها من المبتدإ والخبر فى محل نصبٍ على أَنَّهما سادَّان مسَدَّ مفعولَىْ وَجَد . وأَمَّا على الثانى فيكون ضمير الشأْن المحذوف هو المفعولَ الأَوَّل ، والجملة بعده فى محل المفعول الثانى . ٦

قال ابن جنى (فى إعراب الحماسة[(٢)]) : أَراد : وجَدته مِلاكُ الشِّيمة الأَدب ، كقولك : ظننته زيدٌ منطلق ، أَى ظننت الأَمرَ والشَّأْنَ زيد منطلق ، إلاَّ أَنَّه حذف الضميرَ فى وجدت للضَّرورة ، كما حُذِف أَيضًا فى بيت الكتاب :

إنّ مَنْ لام فى بنى بنتِ حَسّا نَ . . . . البيت

أَراد: إنَّه من لامَ . أَلا ترى أَنَّ مَنْهنا شرط ، فلا ينصبها ما قبلها كالاستفهام . وعلى هذا تقول : ظننت أَبوك أَخوك ، أَى ظننته . فاعرفه . ا هـ .

---

(١) المقرب ١ : ١١٧ والعينى ٢ : ٤١١ والتصريح ١ : ١٥٨ والهمع ١ : ١٥٣ والأشمونى ٢ : ٢٩ ، والحماسة ١١٤٦ بشرح المرزوقى برواية « الأدبا » .
(٢) إعراب الحماسة الورقة ١٦٧ .

والفرق بين الإلغاءِ والتعليق أنَّ الأوّل : إبطال العمل لفظًا ومحلًّا والثانى : إبطاله لفظًا لا محلًّا لمجىء ماله صدر الكلام . وكأنَّ العينىَّ لم يفرق بينهما ، لقوله : ألغى عملُ وجدتُ لكون لام الابتداءِ مقدَّرة[١] ، والصواب عُلِّق وجدت عن العمل لفظًا ، لكون لام الابتداء مقدَّرة . ولا يخفى أن هذا التخريجَ على كلام ابن جنِّى يكون من باب غَسْل الدَّم بالدم . والصَّحيح أنَّ حذف ضمير الشَّأْن لا يختصُّ بالشعر . ومنه الحديث: « إنَّ مِن أشدِّ النَّاسِ عذابًا يومَ القيامةِ المصوِّرون[٢] » ، وحكاية الخليل : إنَّ بك زيدٌ مأْخوذ .

ولم يورد ابن عصفور هذا (فى كتاب الضرائر) .

والبيت أورده أبو تمام (فى الحماسة) مع بيت قبله ، ونسبه إلى بعض الفَزاريِّين ، وهو :

أَكْنيهِ حين أناديهِ لأُكرمَــه ولا أُلَقِّبهُ والسَّوءَةُ اللقبُ

لكن روايته بنصب القافيتين ، ولا تحتاج إلى ما ذكر من التوجيه ويكون اللقب على روايته مفعول أُلقِّبه. والسَّوْءَةُ منصوبةٌ أيضاً. قال ابن جنى : نصب السَّوءَة لأَنَّهُ جعلها مفعولاً معه ، أى لا أُلقِّبه مع السوءة اللقبا، مقترناً بالسَّوءة[٣] . ألا ترى أنَّك تجد هذا المعنى فى المفعول معه ، تقول : قمت وزيدًا، فتجد معناه قمت مقترناً بزيد . ا هـ .

قال ابن الناظم ؛ تقديم المفعول معه على مصحوبهِ ، الجمهورُ على منعه ، وأجازه أبو الفتح (فى الخصائص) واستدلَّ بقوله :

---

(١) ما بعده إلى « مقدرة » التالية ساقط من ش .

(٢) أخرجه البخارى فى كتاب (اللباس) من حديث عبد الله ، وكذا أخرجه مسلم فى (اللباس) عن ابن عمر ، والنسائى فى (الزينة) عن أحمد بن حرب من حديث عبد الله . وانظر الألف المختارة ٧٥٦ .

(٣) فى إعراب الحماسة : « أى مقترناً بالسوءة » .

* جمعت وفحشًا غِيبةً ونميمة[١] *

وقول الآخر :

* ولا أُلقِّبه والسَّوءَةَ اللَّقَبا *

على رواية نصب السوءة واللقب ، أراد : ولا أُلقِّبه اللَّقَبَ والسوءة أى مع السَّوءة ، لأنَّ من اللقب ما يكون لغير سَوءة ، كتلقيب الصِّدِّيق عتيقًا لعَتاقة وجهه ، فلهذا قال الشاعر : ولا أُلقِّبه اللقب مع السوءة ، أى إنْ لقَّبته لقَّبته بغير سوءة . قال الشيخ – يعنى والده – ولا حجَّة لابن جنى فى البيتين ، لإمكان جعل الواو فيهما عاطفةً قدِّمت هى ومعطوفها ، وذلك فى البيت الأوّل ظاهر ، وأمَّا فى البيت الثانى فعلى أن يكون أصله ولا أُلقِّبه اللقبَ وأسوءُه السَّوءة ، ثم حذفَ ناصب السَّوءة كما حذف ناصب العُيون من قوله :

* فزجَّجن الحواجبَ والعيونا[٢] *

ثم قدَّم العاطف ومعمول الفعل المحذوف . ا هـ.

وأمَّا على رواية رفع القافية فالسَّوءة مرفوعةٌ على الابتداء واللقبُ الخبر ، والجملة حال من الهاء . والسوءة بالفتح : اللَّفظة القبيحة . وقال العينى على رواية نصب القافيتين : ويجوز أن يكون انتصاب السوءة على المعنى ، يعمل فيه معنى لا أُلقِّبه ، فيكون على هذا من باب :

---

(١) هو الشاهد ١٨٠ من الخزانة ٣ : ١٣٠. وعجزه :

* ثلاث خلال لست عنها بمرعوى *

(٢) للراعى فى ديوانه ١٥٦ . وانظر معجم الشواهد . وصدره :

* إذا ما الغانيـــات برزن يوماً *

والرواية المعروفة : « وزججن » ، لكن هكذا ورد فى النسختين .

ياليتَ بعلكِ قد غَـدَا متقلِّدًا سيفًـا ورُمْحا[١]

٧ وإن رُفِعَ فارتفاعه يجوز أن يكون بالابتداء ويكون الخبر مضمرًا ، كأنه قال : والسوءة ذاك . يعنى إن لقَبْته والفحْشُ فيه . ويجوز أن يكون مبتدأً وخبره اللَّقبا ، يكون مصدرًا كالجمَزَى . ويجوز أن يكون خبر مبتدأ محذوف ، كأنَّه قال : لا ألقِّبه اللقبا ، وهو السوءة . ا هـ .

وهذه الاحتمالات لا فائدة فيها سوى تسويدِ الورق . على أنَّ اللَّقبا بالألف مقصورًا غير موجود .

وقوله : « أكنيهِ حينَ أناديهِ » العربُ إذا أرادت تعظيمَ المخاطب خاطبَتْه بالكُنية وعدلَتْ عن التصريح باسمه . وصفَ الشاعرُ نفسَه بحُسن العشرة مع صاحبه .

وقوله : (كذاك أُدِّبت[٢]) هو بالبناء للمفعول ، والكاف هنا اسمٌ مفعول مطلق ، أى أُدِّبت تأْديبًا مثلَ ذلك ، والإشارة إلى البيت الأوَّل . وحَتَّى ابتدائية كقوله تعالى: ﴿ حتَّى عَفَوْا[٣] ﴾ ،واسم صارَ الضميرُ المستتر فيها العائدُ إلى الأدبِ المفهومِ من أُدِّبت . (ومن خُلقى) خبر صار . وقوله: (إنِّى وجدتُ) بكسر الهمزة استئناف ، أَرسلَه مثلا . وقال العينى : الكاف للتشبيه ، أى كمثل الأدب المذكور . وحتى للغاية بمعنى إلى . ومِنْ متعلِّق بصار . وقوله (أنِّى وجدت) بفتح الهمزة فاعل صار . هذا كلامه ، وفيه خللٌ من وجوه .

---

(١) لعبد الله بن الزبعرى فى الكامل ١٨٩ ، ٢٠٩ والمقتضب ٢ : ٥١ . وانظر معجم الشواهد .

(٢) فى النسختين : « كذلك أدبت » ، صوابه ما أثبت ، لئلا ينكسر الوزن .

(٣) الآية ٩٥ من سورة الأعراف .

قال الجوهرى : مِلَاك الأَمر ومَلاكُه ، أَى بالكسر والفتح : ما يقوم به . والشِّيمة ، بالكسر : الخُلق. والأَدبُ الذى تَعرفه العربُ، هو ما يحسُنُ من الأَخلاقِ وفعلِ المكارم ، مثل ترك السَّفَهِ ، وبَذْل المجهود ، وحُسْن اللقاء .

والنَّصب والرفعُ فى قافيتى البيتين رواهما ابن جنى والطَّبرسى ، مِن شُرّاح الحماسة .

* * *

وأَنشد بعده ، وهو الشاهد الرابع عشر بعد السبعمائة[1] :

٧١٤ (أَرجُو وآمُلُ أَن تَدْنُو مَوَدَّتُها

وما إِخالُ لَدَيْنَا مِنْكِ تنويلُ)

على أَنَّه قد أَلغى (إخال) عن العمل مع تقدُّمه .

وقال ابن هشام (فى شرح بانت سعاد) : وجه إلغاء إخال هنا عدمُ تصدُّرها ، فإنَّ حرف النفى لمَّا تقدَّمها أزال عنها التصدُّر المحض ، فسهَّل إلغاءها كما سهَّل إلغاءَ ظننت تقدُّمُ متى وإنِّى فى : متى ظننت زيدٌ منطلق ، وقولِ الحماسى :

* إنِّى وجدت مِلاكُ الشِّيمة الأَدبُ[2] *

أَو يكون الإلغاءُ على تقدير حرف النفى داخلاً على الجملة الاسمية ، وتقدير إخال معترضةً بينهما . ا هـ .

---

(١) العينى ٤ : ٤١٢ ، والتصريح ١ : ٢٥٨ والهمع ١ : ٥٣ ، ١٥٣ والأشمونى ٢ : ٢٩ وديوان كعب بن زهير ٩ وشرح بانت سعاد ٤٠ وسيرة ابن هشام ٨٩٠ وابن سيد الناس ٢ : ٢١٠ .

(٢) انظر الشاهد السابق .

ويجوز أن يخرَّج أيضاً كالذى قبله إمَّا على تقدير لام الابتداء ، أو على تقدير ضمير الشأن ، فيكون على الأوَّل معلَّقا عن العمل فى اللفظ ، ويكون جملة «لدينا منك تنويل» فى موضع المفعولين . وعلى الثانى تكون عاملةً لفظاً ويكون مفعولها ضميرَ الشأن المحذوف ، أى ما إخاله ، وجملة لدينا منك تنويل فى موضع المفعول الثانى . وقد تقدَّم الفرق بين الإلغاء والتعليق[1]. ويظهر كونُ التعليق هو العملُ فى محلٍّ الجملة من عطف شىءٍ على الجملة المعلَّقة ، فإنَّه يُعرب بإعرابها المحلِّى ، كقول كُثَيِّر :

وما كنتُ أدرِى قبــل عَزَّةَ ما البــكا
ولا مُوجعــاتِ القلبِ حتَّى تولَّتِ

فعطف موجعاتٍ بالنصبِ على محلِّ ما البكا ، وهذا على تقدير اسميَّةِ ما . فإنْ كانت حرفًا زائدًا فأدرِى بمعنى أعرِف ، والبكا مفعوله ، ولا يكون ممَّا نحن فيه .

قال ابن هشام (فى المغنى) : رأيت بخط الإمام بهاءِ الدين بن النحَّاس: أقمتُ مدَّة أقول : القياسُ جواز العطف على محلِّ الجملة المعلَّق عنها بالنصب . ثم رأيته منصوصاً . ا هـ .

وممن نصَّ عليه ابن مالك ، ولا وجه للتوقُّف فيه مع قولهم إنَّ المعلَّق عاملٌ فى المحلّ . ا هـ .

وخرَّجها ابن إياز على الإعمال من غير تعليق بتكلُّف ، بجعل ما موصولة اسمية . حكاه عنه أحمد بن محمد بن الحداد البَجَلى

---

(١) انظر ما سبق فى ص١٤٠ .

(٢) ديوان كثير ٩٥ ، والعينى ٢ : ٤٠٨ ، والمغنى ٤١٩ .

البغدادى (فى شرح قصيدة بانت سعاد) . وكان تاريخ شرحه فى بغداد سنة أربع وعشرين وسبعمائة . قال فى شرحه[١] : وقال ابن إياز[٢] الرومى: يجوز فيه وجهٌ آخر ، وهو أن تكون ما موصولة وموضعها رفعٌ بالابتداء ومفعول إخال الأوّل محذوف ، وهو العائد إلى ما ، ومنكِ المفعول الثانى، وتنويل خبر المبتدأ . انتهى كلامه .

قلت : (ولدينا) فى هذا الوجه والذى قبله ، وهو تقدير ضمير الشأن : ظرفٌ لإخالُ . ومعنى البيت على هذا الوجه : إنّ الذى أظنُّه وإخاله من وصالها المقدَّر يجرى عندى مجرى الوصل المحقَّق ، من فرط المحبَّة .

وقد أبان التِّهامى عن هذا المعنى فبالغَ وأحسنَ بقوله :

أهتزُّ عنـــد تمنِّى وصْلِها طَربًا ورُبَّ أُمنيَّةٍ أحلَى من الظَّفَـــرِ[٣]

وابنُ الخيَّاط الدِّمشقى عكَس هذا المعنى وردَّه على معتقِدِه ، بقوله :

أُمنِّى النَّفسَ وصـــلاً من سُـــعادِ وأين من المُنى دَرْك المُـــرادِ[٤]

وهذا قولُ من لا يقنع بدون الوصال ، ولا يسوِّف نفسَه بالمحال .
وأين هوَ من قناعة الآخر بالنَّيِّر[٥] ، حين بالغ بقوله :

ألستُ أرى النجمَ الذى هو طالعٌ عليها وهذا للمُحبِّين مَقْنَـــعُ

(١) ط : « شارحه » ، والتصحيح للشنقيطى فى نسخته .
(٢) ابن إياز هو الحسين بن بدر بن إياز . ولى مشيخة النحو فى المستنصرية . وقال الشرف الدمياطى : رأيته شاباً فى زى أولاد الأجناد يقرأ النحو على سعد بن أحمد البينانى . وقال أبو حيان: ابن إياز أبو تعاليل . توفى سنة ٦٨١ . بغية الوعاة ٢٣٢ .
(٣) ديوان التهامى ٤١ . وبعده :
تجنى على وأجـنى من مراشفهـــا فى الجنى والجنايات انقضى عمـــرى
(٤) ط : « من سعادا » ، صوابه من ش مع أثر تصحيح .
(٥) يعنى النجم المضىء .

انتهى كلام البغدادى .

وهذا البيت (من قصيدةٍ بانت سعادة المشهورة) فى مدح رسول الله صلى الله عليه وسلم . وقد أورد الشارح بيتًا آخر منها فى حروف الشرط فى أواخر الكتابِ . وقد اعتنَى بشرحها أجِلَّةُ العلماءِ ، والذى يحضُرنى من شروحها الآنَ شرحُ أبى العباس الأحول مع شرح جميع ديوانه ، وهو عندى بخطِّه . وشرحُ أبى عبد اللهِ نِفطَويه النَّحوى . وشرحأبى بكر بن الأنبارى ، وهو شرحٌ صغيرٌ قليل الجدوى . وشرح البغدادى المذكور ، وشرح ابن هشامٍ الأنصاريِ ، وهما أجلُّ الشُّروح . لكنَّ شرح البغدادِى أكثر استنباطًا لمعانى الشعر ، وأدقُّ تفتيشًا للمزايا والنُّكَت . وشرح ابن هشام أوعَى منه للمسائل النحويَّة وتفسير الألفاظ اللغويّة ، وكلٌّ منهما فى حجم الآخر ، ، وعصر تأْليفهما متقارب .

وهذا البيت لم يردْ فى رواية نِفطويه ، ورواه أبو العبّاس الأحولُ كذا :

أَرجُو وآمُل أن يَعْجَلْنَ فى أَبَدٍ   ومالهنَّ طَوَالَ الدهر تعجيـــلُ

وعليه لاشاهد فيه . قال الأحول : فى أبد : فى دهرٍ . ويروى :

* ومالنا عندهنَّ اليوم تعجيلُ *

أى لا يُعجِّلن وصلنَا فى الرواية الأُولى . يقول : آملُ وأرجو وما أظنُّ ذلكِ يكون أبداً . انتهى كلامه .

وضبط بخطِّه «يَعْجَلْنَ» بفتح الياءِ والجيم، على أنَّه مبنى للفاعل . وطَوَالَ بفتح الطاءِ على أنَّه ظرف بمعنى طُولَ الدَّهر ، ولكن لم يتقدَّم لضمير جمع المؤنث مرجع . فإنْ قلنا إنّ المرجع سعاد ، وإنّ جمع الضمير

للتعظيم ، ورَدَ أنَّ إرجاع ضمير الجمع إلى الواحد إنَّما هو فى التكلُّم والخطاب ، وقد ورد تعظيمُ الغائب قليلا . قال البيضاوى ، فى تفسير قوله تعالى: ﴿ مِنْ فِرْعَون ومَلَئِهِم[1] ﴾ من سورة يونس : والضمير لفرعون ، وجَمَعَه على ما هو المعتاد فى ضمير العُظَماء . لكن استَشْكله شُرَّاحه . قال سَعْدىّ : أىُّ قدْرٍ لفرعونَ عند الله حتَّى يعبَّر عنه بصيغة التعظيم . نعم لو كان هذا من كلام مَنْ يعظِّم فرعونَ لكان له وجه .

٩

وكذا قال الكازرونى .

وأورد البغدادى[2] هذه الرِّواية[3] وقال : الضمير فى يَعْجلْن ولهنَّ لمواعيدها فى البيت الذى قبله ، وهو :

كانَتْ مَواعِيدُ عرقوبٍ لها مَثَلًا

ومــا مواعيدُها إلاَّ الأَباطيــــلُ

ويَعْجَلن من العَجلة ، وهو خلاف البُطءِ ، يقال عاجَله وأَعجله ، إذا سبَقَه . وعَجِل هو يعجل من باب فرح . والأَبد : الدَّهر . يقول : أَرجو أن تَسبِق مواعيدُها ويُسْرِع إنجازها فى دهرٍ من الدُّهور ، ولا يحصل ذلك . والرواية الأُولى أَشهر . ا هـ .

ورواه ابن سيِّد الناس (فى سيرته) ، تبعاً لسيرة ابن هشام :

أَرجُو وآمُل أَنْ يَعْجَلْن فى أَمَدٍ وما لهنَّ إخــالُ الدَّهرَ تعجيلُ

وقوله : (أَرجو وآمُل) الخ أَرجو معفاعله المستتر جملةٌ استئنافيَّة ،

---

(١) الآية ٨٣ من سورة يونس .

(٢) هو شارح بانت سعاد ، أحمد بن محمد بن الحداد ، السابق الذكر .

(٣) ط : « فى هذه الرواية » ، صوابه فى ش .

لا تعلُّقَ لها [١] بما قبلها ، وهو البيت الذى نقلناه . وآمُل معطوف عليه ، وهو بمعناه ، وحَسُنَ العطفُ لتغاير اللفظين ، وعطف المترادفين لا يكون إلَّا بالواو . وقال البغدادىّ : وبعضهم فرَق بينهما بأَنَّ الرجاءَ توقُّع حُصولِ مطلوب فى المستقبل مع خوفِ عدمِ وقُوعه . والأَمل : طلبُ حصولِ ما يَغلِب وقوعُه فى ظنّ الطالب لتعلُّقه به . وإنْ لم يقارنْه خوفُ عَدَمِ الوُقوع . وقال صاحب المصباح : أَمَلْتُه أملاً من باب طَلَب ، وهو ضدُّ اليأْس . وأكثر ما يُستعمَل الأَملُ فيما يُستبعَدُ حصوله . قال :

* أَرجو وآمُلُ أن تَدنُو مودَّتُها *

ومَن عزم على سفرٍ إلى بلد بعيد يقول : أَمَلْتُ الوصولَ ، ولا يقول طمِعت إلاَّ إذا قرُب منها ، فإنَّ الطمع لا يكون إلاَّ فيما قُربَ حصولُه . وقد يكون الأَمل بمعنى الطَّمع . والرَّجاءُ بين الأَمَل والطمع ، فإنَّ الرَّاجىَ [٢] قد يَخافُ أن لا يحصل مأْمولُه ، فلهذا يستعمل بمعنى الخوف . فإنْ قوِىَ الخوفَ استُعمِل استعمال الأَمل ، وعليه بيت كعب . وإلاَّ استُعمِل بمعنى الطَّمع ، فأَنا آملٌ وهو مأْمول . وأَمَّلته تأْميلا مبالغةٌ وتكثير ، وهو أكثر استعمالاً من المخفَّف . اهـ .

وفى المجلس الثامن والخمسين (من أمالى ابن الشجرىِّ البغدادى) أَنَّه استُفْتِىَ عَن مسائل ، منها : هل يأْمل ومأْمول وما تصرَّف منها جائز ؟ فأَجاب عنها أَوَّلا الحسنُ بن صافى المكنَّى أَبا نزار ، المتلقِّب بملك النحاة بأَنَّ أَمل يأْمُل لا يجوز ، لأَنَّ الفعل المضارع إذا كان على يفعل بضم العين كان بابه أَنَّ ماضيَه على فعَل بفتح العين ، وأَمَل لم أَسمعْه فعلاً

(١) ط : « لا تتعلق لها » ، صوابه فى ش .
(٢) ط : « الرجاء » ، صوابه فى المصباح وش مع أثر تصحيح فيها .

ماضياً . فإن قيل : فقدِّرْ أنَّ يأْمُل مضارع ولم يأْت ماضيه ، كما أنَّ يذر ويدَعُ كذلك . قلت : قد عُلِم أنَّ يذر ويدع على هذه القضيَّة قد جاءا شاذَّين ، فلو كان معهما كلمة أُخرى شاذَّة لنُقِلتْ نقلَهما[١] ولم يجز أن لا تنقل . وما سمعنا أنَّ ذلك ملحقٌ بما ذكرنا ، فلا يجوز يأْمُل ولا مأْمول ، إلَّا أن يُسمِعنى الثقةُ أَمَل خفيفة الميم . كتبه أبو نزار النحوى .

قال ابن الشجرىّ : وأَجاب عنه الشيخ أَبو منصور موهوب بن أَحمد: وأَمَّا أَمل يأْمُل ، فهو آمل ، والمفعول مأْمول . فلا ريبَ فى جوازه عند العلماء ١٠ وقد حكاه الثِّقات ، منهم الخليل وغيره ، والشاهد عليه كثير . قال بعض المعمَّرين[٢] :

المـرءُ يأْمُـل أَنْ يعيـ شَ وطولُ عيْشٍ قد يضرُّه

وقال الآخر[٣] :

ها أَنا ذا آمُل الخلودَ وقَدْ أَدرَكَ عَقْلِي ومَوْلِدِى حُجُرا

وقال كعب بن زهير :

* والعفو عند رسول الله مأْمُولُ *

وقال المتنبي ، وهو من العلماء بالعربيَّة :

* حُرِموا الذى أَمَلُوا[٤] *

كتبه موهوب بن أَحمد .

---

(١) فى النسختين : « لم تنقل نقلهما » ، صوابه من أمالى الشجرى ٢ : ١١٧ .
(٢) هو النابغة الجعدى ، ديوانه ١٩١ . وانظر معجم الشواهد .
(٣) هو الربيع بن ضبع . المعمرين ٧ ونوادر أبى زيد ١٥٩ .
(٤) يبدو أنه صدر بيت له ، فإنى لم أجده فى قوافى اللام .

وكتب على هامش الأمالى هنا أَبو اليُمْن الكندى البغدادى : قد جاءَ أَمَل مخفَّفاً ماضياً فى شعر ذى الرمة ، وهو قوله :

إذا الصيفُ أَجلَى عن تَشَاءٍ من النَّــوَى
أَمَلْتُ اجتماعَ الحىِّ فى صيفِ قابِلِ[(١)]

ولا غَرْوَ أن لا يحضر الشاهدُ للإنسان وقتَ طلبه .

وهذا البيت ذكره أَبو حنيفة الدينورى (فى كتابه فى الأَنواءِ) ، وذكره ابن جنى (فى الخاطريات) . وهو فى ديوان ذى الرمة مشهور. اهـ.

وأَجاب ابن الشجرى بقوله : وأَمَّا قوله فى أَمَل وآمُل، أَنَّهما لايجوزان عنده ، لأَنَّه لم يُسمع فى الماضى منهما أَمَل خفيف الميم ، فليت شعرى ما الذى سَمِع من اللغة ووَعاه حتَّى أنكر أَنْ يفوتَه هذا الحرف ، وإنَّما يُنكِر مثلَ هذا مَن أَنعم النظر فى كتب اللغة كلِّها[(٢)] ، ووقف على تركيب أَمل[(٣)] (فى كتاب العين للخليل) ، و (كتاب الجمهرة لابن دريد) ، و (المجمل لابن فارس) ، و (ديوان الأَدب للفارابى) ، و (كتاب الصحاح للجوهرى) ، وغير ذلك من كتب اللغة . فإذا وقفَ على أُمَّهاتِ كتبِ هذا العلم التى استوعبَ كلُّ كتاب منها اللُّغةَ أَو مُعظمَها ، فرأَى أَنَّ هذا الحرف قد فات أُولئك الأَعيان ، ثم سمِع قول كعب بن زهير :

---

(١) التشائى : التفرق والاختلاف . ومنه قوله :

لعمرى لقد أبقت وقيعة راهط ... لمروان صدعاً بيننا متشائيا

وفى ط : « عن شتاء » ، وفى ش : « تناه » ، وصواب الرواية من الديوان ٤٩٤ .
ورواية الديوان أيضاً : « أملنا » بضمير الجماعة .

(٢) ط : « فى كتب العربية كلها » ، وأثبت ما فى ش وأمالى ابن الشجرى ٢ : ١٢٢ .

(٣) هذا رسم ش وأمالى ابن الشجرى ، ورسمت فى ط : « أمل » .

* والعفو عند رسول الله مأْمولُ *

سلَّم لكعب وأذعَنَ له صاغرًا ، فكيف يقول من لم يتولَّج سمعَه عشرةُ أسطرٍ من هذه الكتب التى ذكرتُها : لم أسمع أَمَل ، ولم أُسلِّمْ أنْ يقال مأْمول. وأمَّا قوله : إنَّه لا يجوز يأْمُل ولا مأْمول إلَّا أن يُسمِعَنى الثقة أَمَل ، فقولُ من لم يعلم بأنَّهم قالوا فقير ولم يقولوا فى ماضيه فَقَر ولم يأْت فعلُه إلَّا بالزيادة ، أفترَاهُ يُنكر أن يقال فقير ، لأنَّ الثقة لم يُسمعه فَقَر ؟ !ولعلَّه يجحد أن يكونوا نطقوا بفقير وقد ورد به القرآن فى قوله جل ثناؤه : ﴿ إنِّى لمَا أنزلتَ إلىَّ من خيرٍ فقيرٌ[1] ﴾. وهل إنكار فقير إلَّا كإنكار مأْمول ، بل إنكار فقير عنده أوجب ، لأنَّهم لم يقولوا فى ماضيه إلا افتقر ، ومأْمول قد نطقوا بماضيه بغير زيادة. انتهى كلام ابن الشجرى .

وقد نقل ابن هشام (فى شرح هذه القصيدة) السؤال والجوابين باختصار ، ثم قال : ومن الغريب أنَّ هذين الإمامين لم يستدلاً على مجىء آمل بالبيتين فى هذه القصيدة ، أحدهما البيت الشاهد ، وثانيهما قوله :

* وقال كلُّ خليلٍ كنتُ آمُله[2] *

بل تكلَّف ابن الجواليقى وأنشد قولَ شاعرٍ آخر .

وقول ابن الشجرى إنَّه لم يسمع فقر اعتمد فيه على كلام سيبويه والأكثرين . وذكر ابنُ مالكٍ أنَّ جماعة من أئمة اللغة نقلوا مجىء

---

(١) الآية ٢٤ من سورة القصص .

(٢) عجزه كما فى ديوان كعب وشرح بانت سعاد ٧١ :

* لا ألفينك إنى عنك مشغول *

ويروى : « لا أُلهينك » .

فقرُ وفَقِرَ، بالضم والكسر، وأنَّ قولهم فى التعجب ما أَفقَره مبنىٌّ على ذلك، وليس بشاذٍ كما زعموا . ا هـ .

وقوله : (أن تدنو) سكنت الواو للضرورة، أو أُهملت أَنْ حَمْلًا على «ما المصدريَّة» وهى مع مدخولها فى تأْويل مفرد منصوب، تنازعه الفِعلان، فأُعمل الثانى وحذف مفعول الأوّل كما هو الأَولَى عند البصريين. و (مودَّتها) فاعل تدنو، والضمير لسعاد . والمودّة : مراعاة الصُّحبة . ١١

وقوله : (وما إخال) الواو للاستئناف. وكسْرُ همزَة إخال فصيحٌ استعمالًا شاذٌّ قياسًا ، وفتحها لغة أَسد .وقوله: (لدينا منكِ تنويل) قال البغدادى : تنويل مبتدأٌ ولدينا خبره ، ومِنك : حال من تنويل ، وكان صِفتَه فلمَّا تقدَّمه صار حالاً منه . ومِنْ فيه لابتداءِ الغاية . ولدى : ظرف مكان غير متمكِّن بمنزلة عندَ ، لا يُجَرُّ إلَّا بمن . وتنويل : تفعيل من النَّوال ، وهو العطاءُ ، وكأَنَّه كنى به عن وصلها . وفى منكِ التفاتٌ من الغيبة إلى الخطاب . ا هـ .

وجوَّز ابن هشام ارتفاع تنويل بأَحد الظَّرْفين ، لاعتماده على النَّفى ، وتكون جملة إخال معترضةً كقوله :

* ما خِلتُنى زلتُ بعدَكم ضَمِنًا[1] *

ولم يبيِّن ما موضع الظرف الآخر من الإعراب، وجوَّز أَيضاً أَن يكون كلٌّ منهما أَو كلاهما خبراً عن تنويل، والمسوّغ إمّا تقدُّم النفى[2] ، أَو

(١) فى النسختين : «ظمأ» ، صوابه فى شرح ابن هشام لبانت سعاد ٤٢ والعينى ٢ : ٣٦٨ والتصريح ١ : ٢٤٩ ، واللسان (ضمن ١٢٩) . وعجزه :

* أشكو إليكم حموة الألم *

والضمن كالزمن بكسر الميم، وزناً ومعنى .

(٢) ط : «ما تقدم النفى» ، صوابه فى ش .

تقدُّم الخبر . وإذا قدِّر الظرفان خبرين قدِّر لكلٍّ منهما متعلِّق يخصُّه .
وإذا قدّر الخبر الأَول فالظرف الثانى إمَّا متعلق به أَو بمتعلَّقه المحذوف
على الخلاف المشهور فى أنَّ العمل للظرف أَو للاستقرار . وإمَّا حالٌ
فيتعلَّق بمحذوف ، وصاحبُ الحال إمَّا الضمير المستتر فى الظرف الأَوّل ،
لأَنَّ الصحيح أنْ الظرف يتحمَّل ضميراً منتقِلاً إليه من الاستقرار
المحذوف . وإمَّا نفس التنويل ، وعامله على هذا الاستقرارُ المقدَّر
لا الابتداءُ ، لأَنَّ الحال إنَّما يعمل فيها الفعل أَو شبهه أَو معناه .
وإذا قدر الخبر الظرف الثانى كان الظرف الأَوَّل متعلِّقاً به ، وجاز تقديمه
عليه للاتِّساع فى الظَّرف .

كعب بن زهير

وكعب بن زهير صحابىٌّ تقدَّم نسبه فى ترجمة والده فى الشاهد
الثامن والثلاثين بعد المائة(١) .

وقال ابن عبد البر (فى الاستيعاب) : كان كعبُ بن زهير شاعراً
مُجوِّداً كثير الشعر ، مقدَّماً فى طبقته هو وأَخوه بُجير ، وكعبٌ أَشعرُهما ،
وأَبوهما زهير فوقَهُمَا . قال خلفٌ الأَحمر : لولا قصائدُ لزُهير ما فضَّلته
على ابنه كعب . ولكعبٍ ابنٌ شاعر اسمه عُقبة ولقَبُه المضرَّب ، لأَنَّه
شبَّب بامرأَةٍ فضربه أَخوها بالسَّيْف ضَرَبَاتٍ كثيرة ، فلَم يَمُتْ . وله
ابنٌ أَيضاً يقال له العوَّام ، شاعر .

ومما يُستجاد لكعب قوله :

لو كنتُ أَعجبُ من شىءٍ لأَعجَبَنى
سَعْىُ الفتى وهو مخبوءٌ له القَــــدَرُ(٢)

---

(١) الخزانة ٢ : ٣٣٢ .
(٢) ديوان كعب ٢٢٩ ، والشعراء ١٥٢ ، ومجموعة المعانى ٥ .

يسعَى الفتى لأُمـــور ليسَ يُدركُهــا
فالنَّفس واحــــــدةٌ والهمُّ منتشرُ
والمـــرءُ ما عاش ممــدودٌ له أملٌ
لا تنتهى العينُ حتَّــى ينتهـــى الأثرُ

ومما يُستجاد له أيضًا :

إنْ كنتَ لا ترهَبُ ذمِّــى لِمَـــا
تعــرِفُ من صَفحى عن الجــاهِلِ[1]
فاخشَ سُــكوتى إذْ أنا منصِتٌ
فيــك لمسمــوعِ خَنــا القــائل
والسَّـــامعُ الــذمِّ شــريكٌ له
ومُطعــم المأكـــولِ كــالآكل
مَقــالةُ السَّــوْءِ إلى أهْلِهـــا
أســــرعُ من مُنحــدِرٍ ســائلِ
ومن دعَــــا النَّــــاسَ إلى ذمِّــه
ذمُّــــوه بالحــــقِّ وبالبــاطــل

١٢ وسببُ إسلام كعبٍ وخبرُ هذه القصيدة مذكورٌ فى كتب السِّيَر والأَخبار ، لا سيَّما فى شرحَيْها للبغدادى وابن هشام .

---

(١) هذه الأبيات لم ترد فى ديوانه . ونسبت فى الأغانى ١٢ : ١٠ ولباب الآداب لأسامة ٣٦٠ ورسائل الجاحظ ١ : ٣٥٥ إلى العتابى . ووردت فى الحيوان ١ : ١٥ وجمع الجواهر ٤ بدون نسبة . ووردت نسبتها إلى كعب هنا نقلا عن شرح بانت سعاد لابن هشام ٣ . ونسبت إلى محمد بن حازم الباهلى فى زهر الآداب ٤٩٧ .

وملخصَّه على ما نقله البغداديُّ عن أَبي عمرو بن العلاء : أَنَّ زهيرًا قال لبنيه : إنِّى رأَيتُ فى منامى سبباً دُلِّىَ من السماءِ إلى الأَرض ، فمددت يدى لأَتناولَه ففاتَنى . فأَوَّلته بالنبىِّ الذى يُبعَثُ فى هذا الزَّمان وأَنِّى لا أُدركُه ، فمن أَدرَكَه منكم فليؤمنْ به . فلمَّا بعث الله محمدًا صلى الله عليه وسلم آمن بُجَير بن زُهير ، وأَقام كعبٌ على الكفر والتَّشبيب بنساءِ المسلمين ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لئن وَقَع كعبُ ابنُ زهير فى يَدِى لأَقطعَنَّ لِسانه » .

وكتب كعب أَبياتاً أَرسلها إلى بُجير يوبِّخه على إسلامه . فكتب بجير إلى كعب : إنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أَهدر دمَك ، فإنْ أَسلمْتَ ولقِيتَه مُسْلماً طَمِعت لك فى النَّجاة ، وإلَّا فإنِّى أَحسَبُك لا تنجو ! فأَسلم كعبٌ وقدِمَ على رسول الله صلى الله عليه وسلم فأَنشدَهُ هذه القصيدة ، فأَمَّنه النبىُّ صلى الله عليه وسلم وأَجازَه بُرْدَتَه الشَّريفة التى بيعَتْ بالثَّمن الجزيل ، حتَّى بيعت فى أَيَّام المنصور الخليفة بمبلغ أَربعين أَلفَ دِرْهم ، وبقيت فى خزائن بنى العبَّاس إلى أَن وصَلَ المُغُول وجرى ما جرى . والله أَعلمُ بحقيقة الحال .

* * *

وأَنشد بعده :

(إنَّ من يدخُلِ الكنيسةَ يومًا يَلْقَ فيها جَاذِرًا وظِبــاءَ)

على أَنَّ اسم إنَّ ضمير الشأْن ، حذف لضرورة الشعر ، والتقدير إنَّه من يدخل إلخ .

وهذا البيت قد تقدَّم شرحه فى الشاهد الثامن والسبعين[1] .

* * *

(١) الخزانة ١ : ٤٥٧ - ٤٦٢ .

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الخامس عشر بعد السبعمائة[(١)] :

٧١٥ (ولستم فاعِلين إخالُ حَتَّى ينالَ أَقاصِيَ الحَطَبِ الْوَقُودُ)

على أَنَّ إخال الملغاة وقعت مُعترَضًا بها بين اسم الفاعل وهو فاعِلِينَ ، وبين معموله وهو حتَّى ، فإنَّها جارَّة بمعنى إلى متعلِّقة به . وينالَ منصوب بأَنْ مضمرة بعدها .

صاحب الشاهد

والبيت من أبياتٍ ستَّة لعَقيل بن عُلَّفة ، أوردها أبو تمام (فى الحماسة) ، وهى :

أبيات الشاهد

(تَناهَوْا وٱسْأَلوا ابنَ أَبى لبيدِ
أَأَعتَبه الضُّبارمة النجيدُ[(٢)]
ولستم فاعِلينَ إخال حتَّى
ينالَ أَقاصىَ الحطب الوقُودُ
وأَبغَضُ مَن وضَعت إلىّ فيه
لسانى ، مَعشرٌ عنهم أذودُ
ولستُ بسائلٍ جاراتِ بيتى
أَغُيَّابٌ رِجالُكِ أَم شهودُ
ولست بصادرٍ عن بيت جارى
صُدورَ العَيْر غَمَّره الورودُ
ولا مُلْقٍ لذى الودَعاتِ سَوطى
أُلاعبُه وريبتَهُ أُرِيدُ[(٣)])

---

(١) الحماسة ٤٠١ بشرح المرزوقى و ١ : ٣٧٧ بشرح التبريزى ، واللآلى ١٨٥ .

(٢) فى هذا البيت إقواء فى التصريع . وانظر العمدة ١ : ١١٦ .

(٣) فى السمط : « ولا ألق » . ويروى : « لأُلهيه » . ويروى : « وربته أريد » أى ربة ذى الودعات ، يعنى أمه .

(فى شرح التبريزى) : البيتان الأَخيران لابن أَبى نُمير القَتَّالى ، من بنى مُرّة ، جاء بهما أَبو تمام ضَلّةً فى هذه الأَبيات وليستا منها . وكذا قال أَبو عبيد البكرى (فى اللآلى شرح أمالى القالى) نقلا عن أَبى [الفضل[1]] الرياشى.

قوله : «تناهَوْا واسأَلوا» الخ ، كلاهما فعل أَمر من النَّهى والسُّؤال. والضُّبارمة ، بضمّ المعجمة بعدها موحَّدة ، هو الجرىءُ على الأَعداءِ. ويسمَّى الأَسد ضُبارمة . ويقال: هو الأَسَد الوثيق الخلْق الكثيرُ اللَّحْم . والنَّجيد : ذُو النجدة ، وهو البأْس والشِّدَّة . وأَعتَبه بمعنى أَرضاه . وليس يريد الرِّضا ، ولكن يريد : هل جازيتُه بما فعَل لى ؟ لأَنَّه لمَّا جنى عليه فكأَنَّه استدعَى شرَّه كما يَستدعِى الرَّجلُ العُتبَى من صاحبه . يقول : كفُّوا عمَّا أَنتم عليه من تهييج الشرّ ، واسأَلوا هذا الرجلَ هل أَرضاهُ الأَسدُ القوىُّ الشَّديدُ لمَّا تحكَّك به ، وهل وفَّاه ما استحقَّه عليه ، كابن أَبى لبيد ، كان أَجدرَ منهم بأَن ينال البُغية منه ، لشدَّة شكيمته وقوّتهِ فأَخفق. يقول : سلوه عن وِتْره عنده هل نقضَه؟ ثم ليَنْهَكُم ذلك عن الجَراءَة على مثلى .

١٣

وقوله : « ولستم فاعلين » الخ ، حذف مفعول فاعِلِين ، وهو ما دلَّ عليه فى البيت قبله « تناهَوْا » كأَنَّه قال : ولستم فاعلين التَّناهىَ . والوُقود بالضم : إيقاد النار ، وبالفتح : الحطب . والأَقصى : الأَبعد. وهذا مثَلٌ تمثَّل به فى انتهاءِ الشر . يقول : لستم متناهين عمَّا أَكرهُه منكم حتَّى يعمَّكم الشرُّ ويبلغَ البلاءُ أَقصى المبلغ ، فيتعدَّى من الأَقارب إلى الأَباعد ، ومن السَّقيم إلى البرىء . وذكرَ الحطبَ والوقودَ هنا مثلاً لتفاقم الشَّرِّ واتِّساع المكروه .

(١) ساقطة من النسختين ، وهو العباس بن الفرج الرياشى ، تلميذ المازنى فى النحو وأستاذه فى اللغة ، وروى عنه المبرد وابن دريد . توفى مقتولا سنة ٢٥٧ . إنباه الرواة ٣ : ٣٦٧ — ٣٧٣ وبغية الوعاة ٢٧٦ .

وقوله : « وأبغَضُ من وضَعْتُ» إلخ ، فيه تقديمٌ وتأْخير ، وأصله : وأبغض مَن وضعت لسانى فيه إلىَّ معشرٌ أَذُودُ عنهم ، أى أبغض الأشياء إلىَّ أن أهجُوَ معشرى الذين يلزمنى الذبُّ عنهم ، فمن هنا نكرة موصوفة ، وصفته الجملة التى هى وضَعْتُ لسانى فيه ، وقد فصل بينهما بقوله « إلىَّ » وهو أجنبىٌّ منها . وهذا فى الصِّفة أقربَ منه فى الصِّلة .

وقوله : « ولست بسائل » إلخ ، كنى فى البيت عن عِفَّته . يقول : لا أُكلِّم جارتى لأنِّى أصونها عن الكلام . ويجوز أن يكون تعريضاً للذى يهجوه ، أى لا أَغتنم الخلوة لجارات بيتى فأَتطلَّب غيبةَ رجالهنَّ عنهنّ .

وقوله : « ولست بصادر » إلخ، يقول : إذا دعانى الجارُ إلى بيته يكرمنى ببرِّه لا أَصدُر عن بيته والطمعُ فى مالِه بحاله ، كما يصدر العَيْر عن الماء وقد غمَّره الورود . والتَّغْمير[١] كالتصريد ، وهو شربٌ دون الرىّ ، ومنه الغُمَر للقَدَح الصَّغير . وقيل فى غمَّره إنَّه بمعنى أرواه من الغَمْر وهو الماءُ الكثير ، فيكون المعنى : لا أَتهالك على طعامه كالمنهوم الخسيس الهمَّة ، لكنِّى آكلُ أكلاً كريماً . والمعنى الأَوَّلُ أوجَه . وقيل : معناه إنِّى لا أُصدُر عن بيته ونفسى تدعونى إلى صاحبة البيت ، لأَنِّى رجعتُ مسرعًا حين علمتُ بمكان جارى عنه[٢] ، كما يفعل العَير إذا أَحسَّ بالقانص .

وقوله : « ولا مُلْقٍ لذى الوَدَعات » إلخ ، الوَدَعة : الخَرَزة تُعلَّق فى عُنُق الصبى ، أى لا أَشغَل الصَّبىَّ ذا الودعات بسوطى[٣] وأنا أريد

(١) ط : « والتغمر » ، صوابه فى ش .
(٢) كذا فى النسختين ؛ فيكون المعنى رجعت مسرعاً عن البيت .
(٣) ط : « بصوطى » ، صوابه فى ش .

ربيته ، أى ربية أُمِّه . ويروى : « ورَبَّتَهُ أُريد » وعلى هذا فالمراد أُمُّه لأَنَّها تَرُبُّه وتملِك أمره . ويجوز أن يريد بذى الودعات ابن أَمَة ويريد بربَّته مولاتَه . وجملة أُلاعبه حال .

وعَقيل بنُ علَّفة شاعرٌ إسلامىّ فى الدَّولة الإسلامية المروانية ، تقدَّمت ترجمته فى الشاهد التاسع والعشرين بعد الثلثمائة [1] .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد السادس عشر بعد السبعمائة ، وهو من شواهد سيبويه [2] :

٧١٦ (ولقد عَلِمتُ لَتَأْتِيَنَّ مَنِيَّتِى إنَّ المنايا لا تَطيش سِهامُها)

على أنَّ علم نزِّل منزلة القسم ، فيكون جملة لتأْتينَّ جوابَ القسم الذى هو علمتُ ، وحينئذ تخرج عمَّا نحن فيه فلا تقتضى معمولاً ولا تتَّصف بعملٍ ولا تعليقٍ ولا إلغاء . ١٤

وهذا مأْخوذٌ من كلام سيبويه ؛ فإنَّه أورد هذا البيت فى باب أفعال القسم وقال : كأَنَّه قال : والله لتأْتينَّ ، كما قال: قد علمت لعبد الله خيرٌ منك . اهـ .

ويجوز أن تبقى علم هنا على بابها ، وتكون معلَّقة بلام القسَم ، فيكون جملة لتأْتِيَنَّ منيَّتى جوابًا لقسمٍ محذوف تقديره : ولقد علمت واللهِ لتأْتينَّ منيَّتى . وجملتا القسم والجواب فى موقع نصب بعلمت المعلَّق .

---

(١) الخزانة ٤ : ٤٨١ — ٤٨٣ .
(٢) فى كتابه ١ : ٤٦٥ . وانظر المغنى ٤٠١ ، ٤٠٧ وشذور الذهب ٣٥٦ ، والعينى ٢ : ٤٠٥ ، والتصريح ١ : ٢٥٤ ، ٢٥٥ ، ٢٥٩ ، والهمع ١ : ١٥٤ ، والأشمونى ٢ : ٣٠ .

وإلى هذا ذهب ابن الناظم (فى شرح الألفيَّة) قال : ومنها ، أى من المعلِّقات، لام الابتداءِ والقسم ، كقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ عَلِموا لَمَن اشْتَراه مَاله فى الآخرةِ مِنْ خَلاق[1]﴾ ، وكقول الشاعر :

ولقد علمتُ لَتَأْتِيَنَّ منيتى . . . . . . البيت

وقرَّره ابن هشام (فى شرح شواهده) ، وجوَّز الوجه الأَوَّلَ أيضاً فيه، ثم قال : ويأْتى الوجهان فى الآية الكريمة أيضاً .

والسابق إلى تجويز الوجهين فى الآية والبيتِ ابنُ جنِّى (فى سر الصناعة) قال فيه: وأما قوله تعالى: ﴿ ولقد عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَراه[1]﴾ الآية فاللام فى لقد لامُ القسم ، وهو محذوف ، والتقدير : والله لقد علموا . واللام فى لمن اشتراه لام الابتداء ، ومَنْ بمنزلة الذى مبتدأً ، وصلته اشتراه ، وماله فى الآخرة خبره ، والجملة فى موضع نصب بعلموا ، كما تقول : قد علمت لَزَيدٌ أفضل منك ، فلام الابتداءِ وهمزة الاستفهام فى التعليق سواءٌ . وهذا مذهب سيبويه . وذهب غيره إلى جعل مَنْ شرطاً وجعل اللام فيه كالتى تعترض زائدةً بين القسم والمقسم عليه ، فالتقدير : والله لقد علموا لئن أحدٌ اشتراه ماله فى الآخرة من خَلاق . وفى جَعْلِ مَن للشَّرط بعضُ الضعف ، وذلك أَنَّ عِلموا تقتضى مفعولها ، فإذا أوقعت القسمَ بعدَها صار التقدير : ولقد علموا أحلف بالله لئن اشتراه أحدٌ . وإذا تأَدَّى الأَمر إلى هذا قبُح أَن تلىَ علمتُ فعلَ القَسم ، لأَنَّها وأَخواتِها إنَّما يدخُلْن على المبتدإِ والخبر .

فإن قلت : فعلام تجيز كون مَن شرطاً وقد قدَّمتَ قُبح ذَلك ؟

---

(١) الآية ١٠٢ من سورة البقرة .

فالجواب أنَّ جواز ذلك على أن تجعَل علموا نفسها قَسَماً . وقد استعملتها العرب بمعنى القسم . ومن أبيات الكتاب :

* ولقد علمت لتأْتينَّ منيَّتى *

فكأنَّه قال : والله لتأْتينَّ منيتى .

فإن قلت : فإذا جعلت علموا جاريًا مجرى القسم ، وعندك أنَّ اللام فى لقد دالَّةٌ على القسم المحذوف ، فكأنَّه عندك : والله لقد علموا ، وقولك لقد علموا جارٍ مجرى القسم ، فكيف يجوز على هذا دخول القَسَم على القَسَم ؟ أوَ لا ترى أنَّ الخليل وسيبويه ذهبا فى قوله تعالى : ﴿ والشَّمْسِ وضُحاها * والقَمَرِ إذَا تَلَاها[1] ﴾ أنَّ جميعَ ما بعد الواو الأُولى من الواواتِ إنَّما هو حرف عطف ، لئلاَّ يدخل قَسَمٌ على قسمٍ فيبقَى الأوّل منهما غيرَ مجاب . فالجواب : أنَّ ذلك إنَّما جاز فى علموا من حيث كان إنَّما هو فى معنى القسم ، وليس قسماً صريحاً ، وإنَّما هو بمنزلة أشهد لقد كان كذا . فلأَجْل هذا جاز أن تكون[2] (مَنْ) فى ﴿لمن اشتراه﴾ شرطًا ، واللام فى أوّلها مؤكِّدة للشرط . فاعرف ذلك . ا هـ .

والبيت نسبه سيبويه (فى كتابه) للبيد ، والموجود فى معلَّقته إنَّما هو المصراع الثانى ، وصدره :

* صادَفْنَ منها غِرَّةً فأَصبنَه *

والنون من صادفن ضمير الذِّئاب ،وضمير منها ضمير البقَرة الوحشية، والهاءُ فى «أَصبنه» ضمير ولد البقرة . والمنية : الموت . وطاش السَّهم عن الرَّميَّة ، إذا وقع يمينَه أو شِمالَه ولم يصبْه .

---

(١) الآية الأولى والثانية من سورة الشمس .
(٢) ط : « يكون » .

١٥ ولم يوجد للبيدٍ فى ديوانه شعر على هذا الرَّوىّ غير المعلَّقة . والله أعلم .

* * *

وأنشد بعده :

(. . . . . وإننى قَسَمًا إليكَ مع الصُّدودِ لأَمْيَلُ)

على أنَّ (لقد علمتُ) فى البيت السابق منزَّل منزلة القسم ، فصار كقوله : « قسما » فى هذا البيت ، وهو بتقدير أُقسم قسمًا . وقوله : «لأَمْيَل» خبر مبتدإ محذوف ، أى لأَنا أميل ، والجملة جواب القسم .

وقد تقدَّم مشروحاً فى الشاهد التِّسعين[1] . وأصله :

إنِّى لأَمنحكَ الصُّدودَ وإنَّنـــى قسمًا إليكَ . . . . البيت

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد السابع عشر بعد السبعمائة ، وهو من شواهد سيبويه[2] :

٧١٧ (لقد عَلِمْتُ أىَّ يومٍ عُقْبَتِى)

على أنَّه يجوز رفع (أىّ) على الابتداء ، ونصبها على الظرفية .

قال سيبويه (فى باب مالا يعمل فيه ما قبله من الفعل الذى يتعدَّى): وتقول : عرفت أىَّ يومٍ الجمعةُ ، فتنصب على أنَّه ظرف لا علَى عرفت . وإن لمْ تجعله ظرفًا رفعت. وبعض العرب يقول : لقد علمت أىَّ يوم عقبتى . وبعضهم يقول : أىُّ يوم عقبتى . ا هـ .

---

(١) الخزانة ٢ : ٤٧ — ٥٥ حيث نسب البيت إلى الأحوص .

(٢) أورده سيبويه فى كتابه ١ : ١٢٢ ، وساقه مساق النثر لا الشاهد ، مسبوقاً بقوله : « وبعض العرب يقول » . وانظر المخصص ٧ : ١١٩ .

وظاهر سياقه إنَّ هذا كلامٌ لا شعر ، ولهذا لم يشرحه أكثر شُرّاح شواهده ، ولم يورده أحد منهم فى الأبيات إلّا أبو جعفر النحاس ، وقال بعده : لا أنشده ، قال بعضهم : أىّ حينٍ، إذا رُفِع فلأنَّ الاستِفهام لا يفعل فيه ما قبله فيكون مبتدأً وخبره عقبتى . فإذا نصبت جعلته ظرفًا ولم يعمل فيه عَلمت . ا هـ .

يعنى أن أيًا اكتسبت الظرفيَّة من حِين ، لإضافتها إليه .

وأورده أيضاً ابن السيرافى (فى شرح أبياته) وقال : هو من رجز الراجز ، وهو :

أأنتِ يا بَسِيطةُ التى التى هَيَّبَنِيكِ فى المَقيلِ صُحْبتى[1]

لقد عَلِمتُ أىَّ حينٍ عُقبتى هى التى عند الهَجيرِ قالتِ

إذَا النُّجومُ فى السَّماء وَلَّتِ

وبَسيطة : اسم أرضٍ بين الكُوفة وحَزْن بنى يَربوع .

قال أبو محمدٍ الأعرابىُّ (فى فُرحة الأَديب) : وفيها يقول عَدىّ ابن عَمرٍو الطائِى :

لولا توقُّد ما يَنفيهِ خَطْوُهُما على البَسيطةِ لم تُدركْهمَا الحَدَقُ[2]

(١) أنشد ياقوت هذا الشطر وسابقه فى رسم (البسيطة) بالتصغير ، ولكن مقتضى التفسير التالى أن تضبط بهيئة المكبر . وكذلك أنشده فى اللسان (بسط) مع تصريحه بأن اسم هذا المكان فى الرجز يحتمل التصغير والتكبير . ورواية ياقوت : « قد هيبتك فى المقيل ». ورواية ابن منظور :

ما أنت يا بسيط التى التى أنذرنيـــك فى المقيل صحبتى

قال ابن سيده : « أراد يا بسيطة ، فرخم » . فهاتان لغتان فى اسم المكان « بسيطة » بالتصغير مع التخفيف ، و « بسيطة » بالتصغير مع تشديد الياء ، ولغة ثالثة فى اللسان هى « بسيطة » بلفظ المكبر ، وأنشد أيضاً فى تلك اللغة :

إنك يا بسيطة التى التى أنذرنيك فى الطريق إخوتى

(٢) أنشد ياقوت هذا البيت فى رسم (البسيطة) المكبر ، ولعله فى صفة الأتان والعير ، أو النعامة والظليم .

وخَطَّأ ابنَ السِّيرافى فى قوله : البسيطة : الأرض المنبسطة الممتدَّة .

ثم رأيت ابن خلف أورد هذا الرجز ، وقال فى مثال سيبويه : أَمَّا نصبه فعلى قولك : فى أىِّ الأَوقات الاجتماعُ للصَّلاة؟ ورفعه جيِّد، كأَنَّه قال : أىُّ الأَيَّام يوم الجمعة ، والسَّبت مثل الجمعة . وإنَّما جاز النصبُ فى ذلك لأَنَّ الجمعة فيها معنى الاجتماع ، والأَصل فى السَّبت الراحة ، وهو فعل واقع فى اليوم . [ولو قلت: اليومَ[1]] الأَحدُ والاثنانِ، إلى الخميس لم يجز إلا الرفع . وليس للأَحد معنًى يقع فى اليوم .

ثم قال سيبويه : وبعضٌ يقول : لقد علمت أىَّ يوم عقبتى ، أَنشدَه نصباً ، وهذا البيت من الشعر ، وقد خُلط بالكلام فى الكتاب .

والشاهد فيه نصب أىّ على الظرف. وعُقبتى مبتدأٌ وأىُّ حينٍ خبره، كأَنه قال : أىّ الأَحيان اعتقابى ، يريد ركوب عُقْبته . ورفعه جائزٌ على ما قدمته . والبسيطة : الأَرض المنبسطة الممتدة. « هَيَّبَنِيكِ صُحبتى »: هيبونى من ركوبكِ والسَّير فيكِ . والهجير : الهاجرة . وولَّت النجوم يعنى النجومَ التى كانت فى أوَّل الليل مرتفعة، ولَّت: انحطَّت لتغيب. يريد أَنَّ له عقبتين : عُقبةٌ بالليَّل ، وعقبةٌ بالنَّهار. انتهى كلامه .

وذهب بالبسيطة إلى معناها اللغوى . وقد ردَّه أَبو محمد الأَعرابى وقال : إنَّها علمٌ لأَرضٍ بعينها ، وعلمت بالبناء للمعلوم والتكلم . والعُقْبة بضم العين المهملة وسكون القاف ، وهو مضاف إلى الياء . قال صاحب العباب: العُقبة بالضم : النَّوبة بالنون . تقول : تَمَّتْ عُقبتُك ، أى نَوْبتك .	١٦

---

(١) التكملة من ش .

ولم أَقفْ عليه بأَكثرَ من هذا والله أعلم .

* * *

وأَنشد بعده ، وهو الشاهد الثامنَ عشرَ بعد السبعمائة[1] :

٧١٨ (غادَرْتُه جَزَرَ السِّباع)

وهو قطعةٌ من بيت ، وهو :

(غادرتُه جَزَرَ السِّباعِ يَنُشْنَهُ ما بين قُلَّةِ رأْسِهِ والمِعْصمِ)

علىأَنَّ (غادرَ) ملحق بصيَّر فى العملوالمعنى ، إذا كان ثانىالمنصوبين معرفةً كما فى البيت .

والمشهور فى روايته : « وتركتُه جَزَر السِّباع » .

وقد استشهد به (فى التفسيرين[2]) على أَنَّ ترك فى قوله : ﴿وتَرَكَهُمْ فى ظُلُماتٍ لا يُبْصِرُون[3]﴾ ، كما فى البيت .

وترك فى الأَصل يتعدَّى إلى مفعولٍ واحد لأَنَّه بمعنى طَرَح وخلَّى ، ثم ضُمِّن معنى صار ، إلَّا أن ما فى البيت متعدٍّ قطعاً إلى مفعولين ، لكون الثانى معرفة ، بخلاف الآية فإنَّ تَرَكَ فيها يحتمل أَن تكون بمعنى الأَصل متعدِّية إلىمفعولٍ واحد، ويكون «فى ظلماتٍ لا يبصرون» حالين مترادفتين كما قاله ابن الحاجب .

والبيت من معلَّقة عنترة العبسىّ . وقبله :

أبيات الشاعر

(ومُدَجَّجٍ كَرِهَ الكُمَاةُ نِزالَهُ لا مُمعنٍ هَـرَبًا ولا مُستسلم
جادَتْ يداىَ له بعاجِلِ طَعنةٍ بمثقَّف صَدْقِ الكعُوبِ مقوَّمِ
فشككتُ بالرُّمح الطَّويل ثيابَه ليس الكريمُ على القنا بمحرَّمِ

---

(١) البيت من معلقة عنترة ، ولم أجد من استشهد به فى النحو غيره .

(٢) انظر ما سبق فى حواشى ٧ : ٤٨٥ .

(٣) الآية ١٧ من سورة البقرة.

وتركته جَزَر السباع . . . .) البيت

وقوله :« ومُدجّج» أى ربَّ مدجّج ،وهو التام السَلاح ، بكسر الجيم وفتحها. والكُمَاةُ : الشُّجعان . والنِّزال : المنازلة فى الحرب . وقوله : « لا ممعن » إلخ صفة ثانية لمدجّج . والإمعان : المبالغة ، ومعناه لا يمعن هربًا فيبعُد ، ولا هو مستسلم فيؤْسر ، ولكنّه يُقاتِل . ويقال معناه لا يفرُّ فرارًا بعيداً ، إنما هو منحرفٌ لرَجْعةٍ أو كرّة يكُرّها إذا طَرَد لِقرنه. وأراد وصفَه بالحزْم فى الحرب. وأراد أنَّه وإن كان[1] بهذه الصِّفة ، وكان ممَّن تُكره منازلته ، فإنِّى[2] لم أجبُنْ عنه ولا هِبْته ، ولكنِّى أقدمت عليه .

وقوله : « جادت يداى » الخ أى سبَقْته بالطَّعن ، لأنِّى كنتُ أحذقَ منه . والمثقَّف : الرمح المقوَّم . والصَّدْق ، بالفتح : الصُّلب . وما بين كلِّ أنبوبتين كعب .

وقوله : « فشككت بالرُّمح » إلخ . أى انتظمت ثيابه بالرمح ، يريد أنَّ الرِّماح مُولعةٌ بالكِرام ، لحِرصهم على الإقدام . وقيل : معناه كرمه لا يخلِّصه من القتل المقدَّر له .

وقوله : (وتركته جَزَرَ السِّباع) إلخ، الجَزَر : جمع جزرة بفتح الجيم والزاى ، وهى الشَّاة أو الناقة تنحر وتذبح . أى تركته لحمًا للسِّباع . والنَّوش: التناوُل . و (قلّة رأْسِه) : أعلاه . و (المِعْصَم) : موضع السِّوار من الذراع . وكان الوجه أن يقول : ما بين قُلَّة رأْسه والقَدَم ، فلم يمكنه للقافية . ويحتمل أنَّه استعار المعصم لما فوقَ القدم من السَّاق ، لتقارُبهِما فى الخِلقة .

---

(١) ط : « وأراد أنه كان » ، صوابه فى ش .

(٢) ط : « وإنى » ، صوابه فى ش .

وترجمة عنترة تقدَّمت فى الشاهد الثانى عشر من أوائل الكتاب[١]

* * *

١٧

وأنشد بعده ، وهو الشاهد التاسع عشر بعد السبعمائة[٢] :

٧١٩ (سَمِعْتُ النَّاسَ يَنْتَجِعون غيثًا فقُلْتُ لِصَيْدَحَ انتجعى بلالاً)

على أنَّ الفعل التالى لاسم العين بعد سمع، يجوز أن لا يكون بمعنى النُّطق كما فى البيت ، فإنَّ الانتجاع التردُّدُ فى طلب العُشْب والماء ، وليس قولا ، والمسموع مطلقُ الصّوت سواءٌ كان قولاً أو حركة ، فإنَّ المشْى فيه صوتُ تحريك الأَقدام . وكذا الانتجاع ، هو طلب النُّجعة ، وهى مكان المطر إذا أجدَبوا . والطَّلب إمَّا بالسُّؤال وهو قولٌ ، أو بالتردُّد ذَهابًا ومجيئًا وفيه حركات مسموعة .

والشارح المحقق مسبوقٌ بهذا الاختيار .

وقال ابن مالك (فى التسهيل): أَلحقوا برأى العلميَّةِ الحُلميّةَ وسَمِع المعلَّقةَ بعَيْن ، ولا يُخبر بعدها إلاَّ بفعلٍ دالّ على صوت . ا ه .

وقال شيخنا الخفاجى (فى شرح درّة الغواص) و (فى أماليه) : ذهب الرضىُّ إلى أنَّه لا يشترط ذكر مسموع بعد سمع ، وأنَّ اشتراطه أكثرىٌّ . وهذا من القليل الوارد على خلافه . ا ه .

وهذا مخالِفٌ لصريح كلام الرضىّ . وقوله (فى أماليه) إنَّ قياس سمعتك تمشى ، على سمعت أنَّك تمشى ، قياسٌ مع الفارق، لأنَّه بتقدير الباء ، وليس من هذا القبيل الذى يدخل على المبتدإ والخبر .

---

(١) الخزانة ١ : ١٢٨ .

(٢) المقتضب ٤ : ١٠ والكامل ٢٥٩ والعقد ٥ : ٣٣٣ والجمل ٣١٥ والموشح ٢٨١ ، ٢٨٢ وسر الصناعة ١ : ٢٣٦ وشرح درة الغواص ٢٢٥ والتصريح ٢ : ٢٨٢ والأشمونى ٤ : ٩٣ واللسان (صدح ٣٤٠ نجع ٢٢٥) وديوان ذى الرمة ٤٤٢ .

أقول : مراده أنَّ سَمِع فى المثالين متعلَّقه مطلقُ الصَّوت ، سواءٌ كان من استعمالٍ واحد أو من استعمالين. فإنَّ سمع فى أكثر استعمالاته متعلَّقهُ الصَّوت ، ولا يُستعمَل[1] فى غير مسموع ؛ فإنَّ اللفظة موضوعة له ، ولا يلزم الدَّلالة على الصَّوت وضعًا ، بل يكفى الدَّلالة عليه ولو التزاماً .

وقول الشارح المحقِّق : « بنصب الناس » فيه ردٌّ على الحريرى بإنكاره النصب ؛ فإنَّه قال (فى درّة الغَوَّاص) : ومن أوهامهم فى هذا المعنى أنَّهم ينشدون بيت ذى الرمة :

* سَمِعتُ النَّاسَ ينتجعون غيثا *

فينصبون لفظ النَّاسَ على المفعول ، ولا يجوز ذلك لأَنَّ النصب يجعل الانتجاع ممَّا يسمع ، وما هو كذلك . إنَّما الصواب أن يُنشَدَ بالرفع على وجهِ الحكاية . ا هـ .

وقد تبع فى هذا المبردَ ، فإنَّه قال (فى الكامل) : قوله سمعت الناس ينتجعون غيثًا حكاية ، والمعنى إذا حُقِّق إنَّما هو : سمعت هذه اللفظة ، أى قائلاً يقول : الناسُ ينتجعون غيثًا ، ومثل هذا قوله :

وَجَدْنا فى كتاب بنى تميمٍ : أحقُّ الخيل بالرَّكْضِ المُعارُ[2]

فمعناه وجَدْنا هذه اللَّفظة . فقوله : « أَحقُّ الخيل » ابتداءٌ ، والمعار خبره . وكذلك الناس ابتداءٌ وينتجعون خبره . ومثل هذا فى الكلام : قرأتُ : الحمدُ لله رب العالمين ، إنَّما حكيتَ ما قرأت ، فهذا لا يجوز سواه.

---

(١) ش : « ولا تستعمل » .

(٢) لبشر بن أبى خازم فى ديوانه ٧٥ . وانظر معجم الشواهد .

وقد روى النصبَ فى البيت جماعةٌ ثقات ، منهم ابن السيد (فى أبيات المعانى) ، ومنهم الفارق (فى شرح أبيات الإيضاح) ، ومنهم الزمخشرى وغيره . وقد أورده بالرفع الزمخشريُّ أيضاً فى أوّل سورة البقرة ، على أنَّ جملة الناسُ ينتجعون محكيٌّ والحكاية إمّا بقولٍ مقدَّر على مذهب مَن اشترط فى الحكاية القول ، أو بسَمِعت على خلاف . وتقديره كثير . واعلمْ أن نحو سمعت زيدًا يقول كذا ، اختُلِف فيه : فعند الأخفش وأبى على الفارسى (فى الإيضاح) وابن مالك ، وصاحب الهادى[1] ، وجَمٌّ غفير ، أنَّه يتعدَّى إلى مفعولين : الأوّل الذات والثانى الجملة المذكورة بعد .

١٨

قال البعلى (فى شرح الجمل) : وأمَّا سمِعَ فإنْ وليَه ما يُسمَع تعدَّى إلى مفعول واحد ، تقول : سمعت الحديث ، وسمعت الكلام . وإن وليَه مالا يسمع تعدَّى إلى مفعولين ، كقولك : سمعت زيدًا يقول كذا . ولم يُجِزْ بعضُهم سمعت زيدًا قائلا ، إلّا أنْ يعلِّقه بشىءٍ آخر ، لأنَّ قائلاً من صفات الذات ، والذات لا تسمع . وأما قوله تعالى : ﴿ هل يَسْمَعُونَكُمْ إذْ تَدْعُون[2] ﴾ فعلى حذف المضاف ، تقديره : هل يسمعون دعاءكم . ولو جعل المضاف إلى الظرف مُغْنيا عن المضاف جاز . ا هـ .

قال (فى شرح الهادى) : وفيه نظر ، فإنَّ الثانىَ من قولنا سمعت زيدًا يقول ، جملة ، والجملة لا تقع مفعولاً إلاَّ فى الأفعال الداخلة على المبتدإ والخبر ، نحو ظننت ، وسمعتُ ليس منها ، بل الحقُّ أنَّه مما

---

(١) هو عبد الوهاب بن إبراهيم بن عبد الوهاب الزنجانى ، صاحب تصريف العزى ، المتوفى سنة ٦٥٥ . وكتابه الهادى فى النحو والصرف ، وشرحه وسمى شرحه الكافى . وقد قام بدراسته وتحقيقه محمود فجال سنة ١٣٩٨ فى رسالة دكتوراه .

(٢) الآية ٧٢ من سور الشعراء .

يتعدَّى إلى مفعول واحد ولا يكون إلاَّ ممَّا يسمع . فإنْ عدَّيته إلى غير مسموع فلا بدَّ من قرينةٍ بعده تدلُّ على أنَّ المراد ما يسمع فيه. فإنْ قلت : سمعت زيدًا يقول ، فزيدًا مفعول على تقدير مضاف ، أى سمعت قول زيد ، ويقول فى موضع الحال . ا هـ .

وهذا النَّظر غير واردٍ ، وفى كلامهم ما يدفعه . كذا فى التسهيل ، وقد نقلنا عبارته .

فعُلم أنَّ من قال بنصبها مفعولين جعلها ممَّا يدخل على المبتدإ والخبر ، لأنَّ الحواسَّ الظاهرة لمَّا أفادت الإدراك والعلم ، إذ كانت طريقًا له ، أجرَوْها مُجرَى رأى وعلم لذلك ، فأعملوها عملَها .

وذهب بعضُهم إلى جعل الجملة حالاً بعد المعرفة ، وصفةً بعد النكرة. قال القاضى فى تفسير : ﴿ سَمِعْنا فَتَى يذكُرُهُم[1] ﴾ : صفة مصحِّحة لأن يتعلَّق به السمع ، وهو أبلغ فى نسبة الذّكر إليه . ووجه كونه أبلغ إيقاع الفعل على المسموع منه ، وجعله بمنزلة المسموع مبالغةً فى عدم الواسطة بينهما ، لِيفيدَ التركيبُ أنَّه سمعه منه بالذاتِ . وضمير هو راجعٌ إلى التعلُّق. وهذا معنى قوله فى تفسير : ﴿ سَمِعْنا مُنادِيًا يُنادِى للإِيمان[2] ﴾ حيث قال : أوقع الفعل على المُسْمِع وحذف المسموع ، لدلالة وَصْفه عليه . وفيه مبالغةٌ ليست فى إيقاعه على نفس المسموع[3] .

وقال الفاضل (فى حواشى الكشاف) : فى مثل هذا يُجعل ما يُسمع صفةً للنَّكرة وحالا للمعرفة ، فأغنى عن ذكر المسموع . لكن لا يخفى أنَّه

---

(١) الآية ٦٠ من سورة الأنبياء .
(٢) الآية ١٩٣ من سورة آل عمران .
(٣) ش : « على النفس المسموع » ، صوابه فى ط وتفسير البيضاوى ١ : ٢٥٢ .

لا يصحُّ إيقاع فعل السَّماع على الرجل إلَّا بإضمارٍ أو مجاز ، أى سمعت كلامه . وأَنَّ الأَوفق بالمعنى فيما جُعل وصفاً أَو حالا أَن يُجعل بدلًا بتأْويل الفعل ، على ما يراه بعض النحاة . لكنه قليلٌ فى الاستعمال ، فلذا آثر الوصفيَّة والحاليَّة . ا هـ .

وإنَّما كان البدل أَوفقَ لأَنَّه يستغنِى عن التجوُّز والإضمار ، إذ هو حينئذٍ بدل اشتمال ، ولا يلزم فيه قصد تعلُّق الفعل بالمبدَل منه حتَّى يحتاج إلى إضمارٍ أَو تجوُّز ، كما فى : سُلب زيدٌ ثوبُه ،إذْ ليس زيد مسلوبًا . ولم يؤوِّله أَحد لأَنَّه غير مقصود بالنسبة ، بل توطئةٌ لما بعده . وإبدال الجملة من المفرد جائِز نحو : ﴿ وأَسَرُّوا النَّجوَى الذين ظَلَمُوا هَلْ هذا إلاَّ بشرٌ مِثْلُكم[1] ﴾ .

وفى شرح المغنى : المحقِّقون على أَنَّها متعدية إلى مفعول واحد ، وأن الجملة الواقعة بعده حال . وقال التفتازانى : أَو بدل أَو بيانٌ بتقدير المصدر . ويلزم عليه حذفُ أَنْ ورفْعُ الفعلِ ، وجَعْلُه بمعنى المصدر بدون سابك ، وليس مثلُه بمقيس. وهذا ليس بوارد لأَنَّه إشارة إلىأَنَّ بدل الجملة من المفرد باعتبار محصَّل المعنى ، لأَنَّه سبكٌ وتقدير .

بقِى لسَمِعَ استعمالات غير ما تقدَّم ، وهى ثلاثة :

١٩ أَحدها : أن تتعدَّى إلى مسموع . وقد حقق السُّهيلى أَنَّ جميع الحواسِّ الظاهرة لا تتعدَّى إلَّا إلى مفعول واحد ، نحو : سمعت الخبر ، وأَبصرت الأَثر ، ومَسِست الحجر ، وذُقْتُ العسلَ ، وشمِمتُ الطِّيب .

ثانيها : تعديتها بإلى أَو اللام ، وهى حينئذ بمعنى الإصغاء ،

---

(١) الآية ٣ من سورة الأنبياء .

والظاهر أنَّه حقيقة لا تضمين ، قال الزمخشرى فى تفسير قوله تعالى : ﴿لا يسَّمَّعون إلى المَلَإِ الأَعْلَى[1]﴾. فانقلت: أىُّ فرقٍ بين سمعت فلانًا يتحدَّث ، وسمعت إليه يتحدَّث ،وسمعت حديثَه ، وإلى حديثه[2] ؟ قلت : المعدَّى بنفسه يفيد الإدراك ، والمعدَّى بإلى يفيد الإصغاءَ مع الإدراك . قال الجوهرىُّ : استمعت له ، أى أَصغيت ، وتسمَّعت إليه ، وسمعت إليه وسمعت له . وأَمّا قوله :سمع اللهُ لمن حَمِدَه ،فإنَّه مجاز عن القَبُول .

ثالثها : تعديتها بالباء ، وهو معروف فى كلام العرب ، ومعناه الإخبار ونَقْلُ ذلك إلى السامع . ويدخل حينئذ على غير المسموع ، وليست الباءُ فيه زائدة ، تقول: ما سمعت بأَفضلَ منه. وفى المثل: «تسمع بالمَعيدىِّ خيرٌ من أن تراه» . قابَلَه بالرُّؤية لأَنَّه بمعنى الإخبار عنه المتضمِّن للغيبة . وقال الحماسى[3] :

فإذا سمعتَ بهالكٍ فتيَقَّنَنّ أَنَّ السَّبيلَ سبيلُه فتزوَّدِ[4]

وقال آخر[5] :

صــاح هل رَيْتَ أَو سمِعْتَ براعٍ
ردَّ فى الضَّرع ما قَرَى فى العِـــلابِ

---

(١) الآية ٨ من سورة الصافات .

(٢) وإلى حديثه ، ساقطة من ش ، ثابتة فى ط وتفسير الزمخشرى ٢ : ٢٦٠ .

(٣) لم أعثر على هذا البيت فى حماسة أبى تمام بشرح المرزوقى ، ولكنه ثانى بيتين فى الحماسة بشرح التبريزى فى أواخر باب المراثى ٣ : ١٢٤ ، وقبله :

إن المساءة للمسرة موعــــد أختان رهن للعشية أو غد

(٤) فى النسختين : « فتيقن » ، والوجه ما أثبت من الحماسة .

(٥) هو إسماعيل بن يسار . الأغانى ٤ : ١١٩ وشرح شواهد الشافية ٣١٦ . والبيت فى اللسان (رأى ٤) بدون نسبة ، وكذلك فى (علب ١١٩) ، وقال : « ويروى فى الحلاب » ، وبتلك ورد فى اللسان (حلب ٣١٩) .

وقال ربيعة بن مقروم :

وقد سمعتُ بقوم يُحمَـدُون فلم
أسمَـعْ بمثلك لا حلماً ولا جُـودا[١]

وانّما أَطلتُ الكلام فى هذه الكلمة لأَنَّ الشارح المحقِّق أَوجز فيها كلَّ الإِيجاز .

صاحب الشاهد

والبيت من قصيدة لذى الرُّمة ، مدح بها بلالَ بنَ أَبى بُردةَ بنِ أَبى موسى الأَشعرى . وبعده :

أبيات الشاهد

(تُناخِى عنـد خيرِ فتًى يمـانٍ
إذا النـكباءُ ناوحَتِ الشَّمـالا[٢]
ندًى وتـكرُّما ولُبـابَ لُبٍّ
إذا الأَشيـاءُ حَصَّلت الرِّجالا[٣]
وأَبعـدِهمْ مَسافَةَ غَـوْرِ عقلٍ
إذا مـا الأَمرُ ذو الشُّبهات عالا)

وهى قصيدةٌ طويلة جداً ، وسيأْتى إن شاءَ الله بيتٌ منها أَيضاً فى أَفعالِ المدح والذم .

وقوله : (سمعت النَّاس) الخ الغيث : المطر ، وأَراد به ما يحصلُ بسببه من الكلإِ والخِصْب . و (صَيْدَح) بإِهمال الطرفين : اسم ناقةِ ذى الرمَّة . و (بلال) هو الممدوح ، وتقدَّمت ترجمته فى الشاهد الستين بعد المائة[٤] . قال المبرد (فى الكامل) : وكان بلالٌ داهية لقِنًا أَديباً .

---

(١) المفضليات ٢١٤ والأغانى ١٩ : ٩١ من قصيدة يمدح بها مسعود بن سالم بن أبى سلمى . وربيعة هذا من مخضرمى الجاهلية والإسلام .

(٢) ديوان ذى الرمة ٤٤٢ .

(٣) فى الأساس (حصل) : « أى ميزت خيارها من شرارها » .

(٤) الخزانة ٣ : ٣٥ .

ولما سَمِع قوله « سمعت الناس » البيت قال لغلامه : مُرْ لها بقتٍّ ونَوًى .
أراد أنَّ الرَّمة لا يُحسِن المَدْح . ا هـ .

وروى المرزبانى (فى الموشح) عن أبى عبيدة أنَّ بلالا قال : يا غلام اعلِفْ ناقته فإنّه لا يُحسن أن يَمْدَح. فلما خرج ذو الرّمّة قال له أبوعمرو وكان حاضرًا : هلاَّ قلت له إنّما عَنَيتُ بانتجاع الناقة صاحبَها كما قال الله عز وجل : ﴿ واسأَل القَرْيةَ التى كُنَّا فيها[1] ﴾ يريد أهلها . وهَلاَّ أنشدْته[2] قول الحارثى :

وقفتُ على الدِّيار فكلَّمتنى فمـا مَلَكت مدامعَها القَلوصُ[3]

يريد صاحبها ، فقال ذو الرمة : يا أبا عَمرو ، أنت مفردٌ فى عِلْمك ، وأنا فى علمى وشعرى ذو أشباه . ا هـ .

وقال ابن عبد ربه (فى العقد الفريد) : ولما أنشد هذا الشعرَ بلالاً،قال : يا غلامُ مُرْ لصيدحَ بقتٍّ وعلف، فإنَّما هى انتجعَتْنا . وهذا من التعنُّت الذى لا إنصافَ معه ، لأنَّ قوله انتجعى إنَّما أراد نفسَه . ومثله فى كتاب الله تعالى : ﴿ واسأَل القريةَ التى كُنَّا فيها والعِيرَ التى أقبَلْنا فيها[4] ﴾ ،وإنَّما أراد أهل القرية وأهل العِير .

وقوله : « إذا النكباءُ » إلخ قال المبرد (فى الكامل): النكباءُ: الريح التى تـأْتى من بين ريحين ، فتكون بين الشمال والصَّبا ، أو الشَّمال والدَّبور ، أو الجنوب والدَّبور ، أو الجَنوب والصَّبا . فإذا كانت النَّكباءُ تناوِحُ

٢٠

(١) الآية ٨٢ من سورة يوسف .
(٢) ط : « وقد أنشدته » ، صوابه من ش والموشح ٢٨٢ .
(٣) ط : « القلوصا » ، صوابه فى ش والموشح .
(٤) الآية ٨٢ من سورة يوسف .

الشَّمال فهى آيةُ الشتاءِ . ومعنى تُناوِح تُقابِل ، يقال تناوَحَ الشَّجرُ ، إذا قابَلَ بعضُه بعضاً . وزعم الأَصمعىُّ أَنَّ النائحة بهذا سمِّيت ، لأَنَّها تقابل صاحبتَها . ا هـ .

يريد ذو الرمة أنّه يُعْطِى فى هذا الوقتِ الذى هو الجدبُ والقحطُ ويُبْسُ وجهِ الأَرض .

وقوله : « ندًى وتكرُّماً » تمييز لقوله : خَيْر فتًى . وحَصَّلت بمعنى ميَّزت الشَّريف من الوضيع .

والمسافة : الغاية . وعال : غلب . وذو الشبهات : ما اشتبه ولا يُهتدَى له .

وترجمة ذى الرمة تقدَّمت فى الشاهد الثامن من أول الكتاب[1] .

* * *

وأَنشد بعده ، وهو الشاهد العشرون بعد السبعمائة[2] :

٧٢٠ (إذا أَقبلت قُلْتَ دُبّاءَةٌ)

على أَنَّ (دُبّاءَة) ليست وحدها محكيَّة بالقول ، بل هى خبر مبتدإ محذوف ، أى هى دبَّاءَة ، والمجموع هو المحكىّ .

وهذا صدرٌ ، وعجزه :

(من الخُضْر مغموسةٌ فى الغُدُرْ)

والبيت من قصيدةٍ لامرئ القيس فى وصف فرس . وقبله : صاحب الشاهد

(لهـا حافرٌ مثـلُ قَعْبِ الوَلِيـ ـدِ رُكِّبَ فيه وَظِيفٌ عَجِرْ) أبيات الشاهد

---

(١) الخزانة ١ : ١٠٦ .

(٢) المعانى الكبير ٦٠ ، ١٦٧ وتصحيف العسكرى ٢٢٣ والعمدة ٢ : ٢٠ ومجالس العلماء ٩٥ وديوان امرئ القيس١٦٦ .

لهـا ثُنَن كخـوافى العُقـا ... بِ سُودٌ يفِينَ إذا تزبئرّ(١)

لهـا ذنبٌ مثلُ ذيلِ العروس ... تَسُدُّ به فرجَهـا من دُبرْ

لهـا متنتـانِ خظاتَا كمـا ... أكَبَّ على سـاعدَيه النَّمِرْ

لهـا كَفَلٌ كصَفـاة المَسِيـل ... أبرزَ عنهـا جُحَافٌ مُضِرّ

لهـا مَنخِرٌ كوِجـارِ السِّباع ... فمنـه تُـريح إذا تنبهـرْ

وعينٌ لهـا حَدْرةٌ بَـدْرة ... وشُقّت مآقيُّهـا من أُخُـر(٢)

إذا أقبلتْ قُلتَ دُبَّـاءَةٌ ... من الخُضْر مغموسةٌ فى الغُدرْ

وإن أدبرتْ قلتَ أُثفيَّـةٌ ... مُلَمْلَمَةٌ ليس فيهـا أُثُر(٣)

وإن أعرضَتْ قلتُ سُرعوفةٌ ... لها ذنبٌ خَلْفَها مُسْبَطـرّ)

قوله: « مثل قعب الوليد » إلخ ، القَعب بفتح القاف: قدح من خشَب مقعَّر . وحافر مقعَّب مشبَّه به . والوليد : الصبي . يريد أنَّ جوف حافرها واسع . وبيَّنَه عوفُ بن عطيَّة بقوله :

لها حافرٌ مثلُ قَعْب الوليـ ... ـدِ يتخذ الفَأْر فيه مَغَارا(٤)

والمَغار بالفتح : المَسْكن . والوظيف من الحيوان : ما فوق الرُّسغ إلى الساقِ، وبعضهم يقول: مُقدَّم الساق. وعَجِر، بفتح المهملة وكسر الجيم، قال فى الصحاح : ووظيف عجرٌ، بكسر الجيم وضمها ، أى غليظ .

---

(١) فى الديوان ١٦٣ : « يفئن » بالهمز ، وفسره بقوله : « يعنى يرجعن بعد ازبئرارهن إلى مواضعها ». ثم قال : « ويروى : يفين ، بلا همز ، من الوفاء » .

(٢) فى الديوان ١٦٦ : « شقت مآقيهما » بالخرم والإضافة إلى ضمير المثنى .

(٣) الأثر ، بضمتين وبضمة واحدة : الأثر من الجراح ونحوها . ولم يفسره البغدادى .

(٤) المفضليات ٤١٤ وسمط اللآلى ٦٣٣ .

وقوله: « لها ثنن» الخ هو جمع ثُنَّة بضم المثلثة وتشديد النون ، وهى الشعراتُ التى فى مؤخر رُسغ الدابة . ويَفِينَ غير مهموز، أى يكْثُرن. يقال وَفَى شعره ، إذا كثُر. يقول: ليست بمنجردة لا شعرَ عليها . وتزبئِرُّ تنتفش. والخوافى : ما دون الرِّيشات العَشْر من مقدَّم الجناح .

٢١

وقوله : «لها ذنب مثل ذيل » إلخ دُبر كلِّ شيء: خَلْفُه، وهو هنا حشْوٌ يغنى عنه ذكر الفَرْج . وقال الآمدى عند قول البحترى :

ذنَبٌ كما سُحِب الرِّداءُ يذبُّ عن
عُرف ، وعرفٌ كالقِناعِ المُسْبَلِ[(١)]

هذا خطأٌ من الوصف ، لأَنَّ ذنب الفرس إذا مسَّ الأَرضَ كان عيبًا ، فكيف إذا سَحبَهُ . وإنَّما الممدوح من الأَذناب ما قَرُب من الأَرض ولم يمسَّها ، كما قال امرؤ القيس :

كميتٍ إذا استدبَرْتَه سَدَّ فرجَه
بضافٍ فُويقَ الأَرضِ ليسَ بأَعزلِ

والأَعزل من الخيل : الذى يقع ذنبُه فى جانب ، وهو عادةٌ لا خِلقة ، وقد عِيب قولُ امرئِ القيس :

لها ذنب مثلُ ذيل العـــروس . . . . البيت

وما أَرى العيب يلحقه ، لأَنَّ العروس وإن كانت تسحب أَذيالَها ، وكان ذنبُ الفرس إذا مسَّ الأَرض عيبًا ، فليس بمنكر أَنْ يشبَّه به الذَّنب وإن لم يبلغ إلى أَنْ يمسَّ الأَرض؛ لأَنَّ الشيء إنَّما يُشبه الشيء إذا

---

(١) ديوان البحترى ١٧٤٦ تحقيق الصيرفى والموازنة ١٨٦ . وفى ط :« يذب عن غوف » ، صوابه فى ش وديوان البحترى والآمدى .

قاربه ، فإذا أَشبَهَهُ فى أكثر أحوالِه فقد صحَّ التشبيه . وامرؤ القيس لم يَقصِد أَنْ يشبِّه طول الذنب بطول ذيل العروس فقط ، وإنَّما أَراد السُّبوغ والكثرةَ والكثافة . أَلا ترى أَنَّه قال « تسدُّ به فرجَها من دبر ». وقد يكون الذنَبُ طويلاً يكاد يمسُّ الأَرض ولا يكون كثيفًا فلا يسدُّ فرج الفرَس . فلما قال تسدُّ به فرجَها علمنا أَنَّه أَراد الكثافة والسُّبوغ مع الطُّول . فإذا أَشبه الذَّنبُ الذَّيلَ من هذه الجهة وكان فى الطول قريبًا منه فالتشبيه صحيح ، وليس ذلك بموجبٍ للعَيب، وإنَّما العيب فى قول البحترى : « ذنَبٌ كما سُحِبَ الرِّداءُ ». فأَفصحَ بأَنَّ الفرس يسحَب ذنبه .

ومثل قول امرئ القيس قولُ خِداش بن زُهير :

لها ذنبٌ مثل ذيلِ الهَــدِىِّ إلى جُؤْجُــؤٍ أَيِّدِ الزَّافــرِ(١)

والهدىّ : العروس التى تُهدَى إلى زوجها . والأَيِّد: الشَّديد. والزَّافر: الصَّدر، لأَنَّها تزفِرُ منه ، فشبَّه الذنَّبَ الطويلَ السَّابغَ بذيل الهَدِىّ وإنْ لم يبلغْ فى الطُّول إلى أنْ يمسَّ الأَرض . ا هـ .

وقوله : « لها متنتان » إلخ ، قال ابن قتيبة (فى أبيات المعانى)، عند قول أبي دُوَاد :

ومَتْنانِ خَظَــاتانِ كزُحلوفٍ من الهَضْبِ(٢)

يقال لحمه خَظَا بَظَا ، إذا كان كثيرَ اللحم صُلْبَه . والزُّحلوف : الحجر الأَملس . قال امرؤ القيس : « لها متنتان خظاتا » ، البيت . يقال هو خاظِى البَضيع ، إذا كان كثير اللَّحمِ مُكتنِزَه . وقوله خَظَاتا ، فيه قولان :

---

(١) المعانى الكبير ١٤٩ .

(٢) ديوان أبي دواد ٢٨٨ والمعانى الكبير ١٤٥ والخيل لأبي عبيدة ١٥٨ والأصمعيات ٤١ .

أحدهما : أنَّه أراد خظاتان ، كما قال أبو دُوَاد ، فحذف نون التثنية . يقال مَتْنٌ خَظَاةٌ ومتنةٌ خظاة . والآخر : أنَّه أراد خَظَتا ، أى ارتفعتا ، فاضطُرَّ فزاد ألفًا . والقول الأَوَّل أجوَد . وقوله « كما أكبَّ على ساعديه النَّمر » ، أراد: كأنَّ فوق مَتنها نمرًا باركًا ، لكثرة لحم المتن . ا هـ .

ولا يخفى أنَّ هذا لا وجهَ له ، والصَّوابُ ما قاله ثعلب ، أى فى صلابة ساعد النمر إذا اعتمد على يده .

وقوله : « لها كفل » إلخ الصَّفاةبالفتح : الصَّخرة الملساءُ . والمَسِيل : مجرى السيل ، شبَّه كفلَها فى ملاسته بصفاةٍ فى مَسيل أبرزها السَّيل وكشَفَ ما كان عليها من التُّراب . والجُحافُ ، بضم الجيم بعدها مهملة : السَّيل الشديد . والمُضِرّ : الذى يضرُّ بكلِّ شىءٍ يمرُّ عليه ، أى يهدِمُه ويقلَعُه . ٢٢

وقوله : « لها منخر كوِجار» الخ الوِجار بفتح الواو وكسرها بعدها جيم : جُحْر الضب ، شبَّه [به[1]] منخرها لسعَته . وتُريح : تستنشق الرِّيح تارةً وتُرسلها ، من أَرَاحَ . والبُهْر بالضم : ضِيق النَّفَسِ عند الجَرْى والتَّعب .

وقوله : « وعَين لها حَدْرة » الخ بفتح الحاءِ وسكون الدال المهملتين، فى الصحاح : وعينٌ حَدْرة ، أى مكتنزة صُلبة . وعينٌ بَدْرة أى تبدُر بالنَّظر ، ويقال تامَّة كالبَدْر . وأُخُر بضمتين ، فى الصحاح : وشقَّ ثوبه أُخُرًا ومن أُخُر ، أى من مؤخَّره . وأنشد البيت .

(١) التكلة من ش .

وقوله : (إذا أقبلتْ قلتَ دُبَّاءَة) هي بضم الدال وتشديد الموحَّدة بعدها ألف ممدودة . قال أبو حنيفة (فى كتاب النبات) : الدُّبَّاءُ : القَرْع ، واحدهُ دُبَّاءَة وقَرْعة . وأنشد البيت ، ثم قال : وإنَّما شبَّهها بالدُّبَّاءَة لدقَّة مقدَّمها وفَعَامة مؤَخَّرها . وقيل كذلك خَلْق الإناثِ من الخيل. وهذا فى الإناث والذكور سواءٌ، يستحبُّ من الخيل أن تَطُول[1] وتكون مآخيرها أَعظم من مقاديمها . وامرؤُ القيس وإن كان وصَف فرسًا أُنثى هذا الوصفَ فقد وصف ابنُ مُقْبِلٍ ذكرًا من الخَيْل[2] . ا هـ .

وقال المرزوقى (فى شرح الفصيح) : يشبِّهون إناثَ الخيل بالدُّبَّاء ، وهى القَرْع ، والسُّلَّاء وهو الشَّوك ، لأَنَّها يُستحَبُّ منها دقَّة المقدَّم وكثافة المؤخَّر ، وعلى هذا خِلقة القَرْع والشَّوْك. وأنشد البيت ثم قال : ويستحَبُّ من الذُّكور غِلَظ المقدَّم ودقَّة المؤخر ، ولهذا يشبِّهونها بالذِّئابِ لكونها زُلًّا جمع أَزَلّ . ا هـ .

وقال ابن قتيبة (فى أبيات المعانى) : يقول : كأَنَّها من بريقها قرعَةٌ ، وليس يريد أَنَّها مغموسة فى الماءِ ، ولكنَّه أَراد أَنَّها فى رىٍّ ، فهو أَشدُّ لملاَستها . وهذا كقولك : فلانٌ مغموس فى الخَير . وقال بعضهم : إناث الخيل تكون فى الخِلْقة كالقرعة ، يدِقُّ مقدَّمها ويعظُم مؤخَّرها . ا هـ.

وقال العسكرى (فى كتاب التصحيف) عند قول امرئ القيس :

* مَداكَ عروسٍ أَو صَرايةَ حنظــلِ *

---

(١) ط : « لطول أعناقها » ، صوابه فى ش .

(٢) لم يذكر بيت ابن مقبل . وقد وجدته فى ديوانه ٩٩ والمعانى الكبير ٦١ ، وهو :

كأن دباءة شـــد الحـــزام بهـــا ... فى جـــوف أهـــوج بالتقريب والحضر

وبعده :

غـــوج اللبـــان ولم تعقـــد تمائمـــه ... معـــرى القـــلادة مـــن ربو ولا بهر

رواه الأصمعيُّ : «صَراية» الصاد مفتوحة غير معجمة وتحت الياء نقطتان، وهي الحنظلة الخَضْراءُ ، وقيل هي التي اصفرَّت ، لأنَّها إذا اصفرَّت بَرَقت ، وهي قبل أن تصفرَّ مغبرَّة . قال : ومثله .

* إذا أقبلت قلتَ دُبَّاءَة[1] *

أي من بريقها[2] ، كأنَّها قرعة . ا هـ .

والأُثفيَّة : الحجر الذي يُنصَب عليه القِدْر . والسُّرعوفة ، بضم المهملتين ، قال الصاغاني (في العباب) : هي الجرادة ، ويشبَّه بها الفرس . وأنشد هذا البيت .

وقد أورد ابن رشيق (في العمدة) هذه الأَبياتَ الثلاثةَ الأَخيرة في باب التقسيم ، قال : زعم الحاتمي أنَّ أصحَّ تقسيمٍ وقَع لشاعرٍ قولُ الأَسْعَر الجُعْفيّ يصف فرساً[3] :

أَمَّا إذا استقبلتَه فكأنَّه ... بازٍ يُكفكِف أنْ يَطِيرَ وقد رأى
أَمَّا إذا استدبرتَه فتسُوقُه ... ساقٌ قَموصُ الوَقْع عاريةُ النِّسا
أَمَّا إذا استعرضتَه مُتَمَطِّراً ... فتقول: هذا مثلُ سِرحان الغَضَا

---

(١) الذي في التصحيف : « إذا أعرضت » .

(٢) في أصل التصحيف: « من رِفقها » ، وما هنا صوابه لا ما كتبه المحقق: « من يرا [ها يظنها] » .

(٣) في النسختين : « الأشعر » بالشين المعجمة ، وهو تحريف يقع كثيراً في الكتب القديمة ، صوابه بالسين المهملة . والأسعر لقب له ، واسمه مرثد بن أبي حمران الجعفي ، وهو شاعر جاهلي ، لقب بالأسعر لقوله :

فلا يدعني قومي لسعد بن مالك ... لئن أنا لم أسعر عليهم وأثقب

المؤتلف ٤٧ والسمط ٧٤ والاشتقاق ٤٠٨ والمزهر ٢ : ٣٤٨ واللسان والتاج (سعر) . وسعر النار والحرب يسعرهما سعراً ، وأسعرهما إسعاراً ، وسعرهما تسعيراً : أوقدهما وهيجهما . وانظر الأصمعيات ١٤٠ — ١٤٣ .

واختاره أيضًا قدامة ، وليس عندى بأفضل من قول امرئ القيس إلّا بشرف الصفات[١] :

إذا أقبلتقلتَ دُبَّاءةٌ الأبيات الثـــــلاثة

٢٣ ولو لم يكن إلاَّ بنسْق هذا الكلام بعضِهعلى بعض ، وانقطاعذلك بعضِه من بعض . ا هـ .

وتقدمت ترجمة امرئ القيس فى الشاهد التاسع والأربعين من أول الكتاب[٢] .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الحادى والعشرون بعد السبعمائة[٣] :

٧٢١ (تنادَوْا بالرَّحيلُ غدًا وفى تَرْحالِهِمْ نفسِى)

على أَنَّ جملة (الرَّحيلُ غداً) من المبتدإ والخبر محكيَّة بقولٍ محذوف عند البصريين، والتقدير: تنادوا بقولهم : الرحيلُ غداً . وعندالكوفيِّين محكيَّة بتَنَادَوْا ، فإنَّه يجوز عندهم الحكاية بما فى معنى القول ؛ فإنَّ تنادَوْا معناه نادَى كلٌّ منهم الآخَرَ ورفع صَوتَه بهذا اللفظ ، وهو : الرَّحيل غدًا .

وهذا البيت أنشده ابن جنى (فى سرّ الصناعة) وقال : أجاز أبو على فى الرحيل ثلاثة أوجه : الجرُّ ، والرفـــع والنَّصب على الحكاية . فكأنَّهم قالوا : الرحيلغدًا ، أو نرحل الرحيل غدًا، أو نجعل الرّحيل[٤] غَدًا ، أو أجمعوا الرَّحيل غدًا . فحكى المرفوع والمنصوب . ا هـ .

---

(١) فى ط : « إلا شرف الصفات » ، صوابه فى ش والعمدة .

(٢) الخزانة ١ : ٣٣٠ .

(٣) المحتسب ٢ : ٢٣٥ وسر الصناعة ١ : ٢٣٦ والمقرب ١ : ٢٩٣ ودرة الغواص ١٠٩ والأشباه والنظائر ٤ : ١٦٦ .

(٤) فى النسختين : « ترحل الرحيل غداً ، أو تجعل الرحيل غداً » بالتاء فى الفعلين ، صوابهما بالنون كما أثبت منسر الصناعة .

ونقله القاسِم بن على الحريرى (فى درَّة الغوَّاص) عن ابن جنى ولم يَزده شيئًا[١] . والتَّرحال: مصدرٌ جاءَ على التَّفعال بالفتح ، بمعنى الترحُّل. والنَّفْس بسكون الفاء .

ولم أقف على هذا البيت بأكثرَ من هذا . والله أعلم .

ومثله ما أنشده الزمخشرى (فى الكشاف) ، قول الشاعر :

رجْـــلانِ من ضبَّة أَخبرانا إنَّا رأينـــا رجلا عريانا[٢]

قال : إنَّا بالكسر بتقدير القول عندنا ، وعندهم يتعلَّق بفعل الإخبار.

* * *

وأنشد بعده :

(جاءُوا بِمَذْقٍ هل رأيتَ الذِّئبَ قَطّْ)

على أنَّ جملة (هل رأيت الذئب قَطّْ) محكيّة بقول محذوف ، تقديره بمذقٍ مقول فيه : هل رأيت الخ .

وقد تقدَّم شرحُه فى الشاهِد السادس والتسعين من أوائل الكتاب[٣]

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثانى والعشرون بعد السبعمائة ، وهو من شواهد س[٤] :

٧٢٢ (أَجُهَّالاً تَقُولُ بنى لُؤَىٍّ لَعَمْرُ أَبيك أَمْ مُتجاهِلِينا)

---

(١) ط : « ولم تزده شيئاً » ، والوجه ما أثبت من ش .

(٢) أنشده فى الخصائص ٢ : ٣٣٨ شاهداً على إسكان ضمة الجيم فى « رجلان » . وانظر معجم الشواهد .

(٣) الخزانة ٢ : ١٠٩ – ١١٢ .

(٤) فى كتابه ١ : ٦٣ . وانظر المقتضب ٢ : ٣٤٩ وابن يعيش ٧ : ٧٨ وشذور الذهب ٣٨١ والعينى ٢ : ٤٢٩ والتصريح ١ : ٢٦٣ والهمع ١ : ١٥٧ والأشمونى ٢ : ٣٧ وملحقات ديوان الكميت ٣ : ٣٩ .

على أنّه فصل بالمفعول الثانى بين الهمزة وبين تقول .

قال سيبويه : واعلم أنَّ قلت إنَّما وقعت فى كلام العرب على أنْ يحكَى بها ، وإنَّما يُحكَى بعد القول ما كان كلامًا لا قولا ، نحو : قلت زيد منطلق ، لأنَّه يحسن أن تقول زيد منطلق ، وتقول : قال زيدٌ إنَّ عَمْرًا خيرُ النَّاس . وكذلك ما تصرَّف من فِعْله ، إلاَّ تقول فى الاستفهام شبَّهوها بتظنّ ولم يجعلوها كيظُنّ وأظنّ فى الاستفهام ، لأنَّه لا يكاد يُستفْهَمُ [المخاطَبُ[1]] عن ظنٍّ غيره ، ولا يُستفهَم هو إلاَّ عن ظنه . فإنَّما جُعلت كتظنّ كما أنَّ ما كليس فى لغة أهل الحجاز ما دامت فى معناها ، فإذا تغيَّرتْ عن ذلك أو قُدِّم الخبرُ رجعَتْ إلى القياس وصارت اللُّغات فيها كلغة بنى تميم . ولم تُجعَل قلتُ كظننت ، لأنَّها إنَّما أصلُها عندهم أن يكون ما بعدها محكيًّا ، فلم تدخل فى باب ظننت بأكثر من هذا . وذلك قولك : متى تقول زيدًا منطلقًا ، وأتقول[2] عمرًا ذاهباً وأكلَّ يومٍ تقول عمرًا منطلقاً ، لا تفصل بها كما لم تفصل فى أكلَّ يومٍ زيدًا تضربه . وتقول : أأنت تقول زيدٌ منطلق ، رفعتَ لأنَّه فُصِل بينه وبين حرف الاستفهام ، كما فُصِل فى قولك : أأنت زيدًا مررت[3] به ، فصارت بمنزلة أخواتها ، وصارت على الأصل، كما قال الكميت :

٢٤

أَجُهَّالاَ تقولُ بنى لؤىٍّ . . . . البيت

---

(١) التكلة من سيبويه .

(٢) ش : « وأقول » ، صوابه فى ط .

(٣) فى سيبويه : « أأنت زيد مررت به » برفع « زيد ». وهما وجهان جائزان ، والأرجح عند الفصل الرفع .

وقال عمر بن أبى ربيعة :

أمّا الرَّحيلُ فدونَ بَعْدِ غدٍ فمتى تقولُ الدَّارَ تجمَعُنا[١]

وإن شئتَ رفعت بما نصبتَ فجعلته حكاية . وزعم أبو الخطّاب وسألتُه عنه غير مرّة . أنَّ ناساً يُوثق بعربيتهم ، وهم بنو سُلَيم ، يجعلون باب قلت أجمع مثلَ ظننت . انتهى كلام سيبويه .

قال الأعلم : الشاهد فيه على أنّه أعمل تقولُ عملَ تظنُّ لأنّها بمعناها ولم يُرِدْ قولَ اللِّسان ، وإنّما أراد الاعتقادَ بالقلب . والتقدير : أتقول بنى لؤى جهّالاً ، أى أتظنُّهم كذلك وتعتقدُه فيهم ؟ فبنِى لؤىّ المفعول الأوّل ، ومتجاهلينا المفعول الثانى . وأراد ببنى لؤىٍّ جُمهور قريش كلِّها.

وهذا البيتُ من قصيدةٍ يفخَر فيها على اليمن ، ويذكرُ فضلَ مُضَرَ عليهم فيقول : أتظنُّ قريشًا جاهلين أو متجاهلين حين استعملوا اليمانيِّين فى ولاياتهم ، وآثَرُوهم على المُضَريِّين ، مع فَضْلهم عليهم. والمتجاهل: الذى يستعمل الجهل وإنْ لم يكن من أهله . ا هـ .

وقال ابن المستوفِى : أنشدهُ سيبويه للكُميت ، ولم أره فى ديوانه. والذى فى ديوان شعره :

أنُوّاماً تقول بنى لؤىٍّ لَعمرُ أبيك أم متناومينا
عَن الرّامى الكِنانةَ لم يُرِدْها ولكن كاد غَيرَ مُكايَدينا

يقول : أتظنُّ أنَّ قريشًا تغفُل عن هجاءِ شعراءِ نزار ، لأنّهم إنْ هجَوْا مُضَرَ والقبائل التى منها هؤلاءُ الشعراءُ فقد تعرَّضوا لسبِّ قريش ، فَهُم[٢]

---

(١) ديوان عمر ٣٩٤ ، والعينى ٢ : ٤٣٤ .

(٢) ط : « فيهم » ، صوابه فى ش .

بمنزلة من رمَى رجلاً فقيل : لِمَ رميته ؟ فقال : إنَّما رميت كنانتَه ولم أرمِه ، وكان غرضُه أن يصيبَ الرَّجل . فيقول : من هجا بنى كنانة وبنى أَسد ومن قُرب نسبُه من قريش فقد تعرَّض لسبٍّ قريش . يحرِّض الخلفاءَ عليهم والسُّلطان . ا هـ .

وقول سيبويه : وإن شئت رفعتَ بما نصبتَ فجعلته حكاية ، قال المازنى : غلط سيبويه فيه ، لأَنَّ الرفع بالحكاية ، والنَّصبَ بإعمال الفعل. وأُجيب بـأَنَّ مراده : وإن شئت رفعت فى الموضع الذى نصبت ، أَو أَنَّ الباءَ زائدة فى المفعول .

وأقول : هذه القصيدة تقدَّم أبياتٌ منها فى عدَّة مواضع ، وأوَّل ما مرَّ فى الشاهد السادسَ عشر من أَوائل الكتاب مع ترجمة الكميت[1] وتقدَّم هناك سببُ نظْمها . وهَجَا فيها الأَعورَ الكلبىَّ فإنَّه هجا مضر ومدحَ أهل اليمن .

وتقدَّم بيتٌ منها فى الشاهد الرابع والعشرين[2] .

وقوله : (لعمر أَبيك) مبتدأٌ مضاف ، وخبره محذوف أى قسمى ، وجواب القسم محذوف أيضاً ، والتقدير : أَجهّالاً تقول بنى لؤى أَو متجاهلين ، لعمر أَبيك لتخبرنِّى . إلاَّ أَنَّه قدم القَسَم واعترض به بين الفعل ومفعوله ، وحذف الجواب لدلالة الاستفهام عليه ، إذْ معلومٌ أَنَّ المستفهِم يطلب من المستفهَم منه أن يخبره عمَّا استفهمه [عنه[3]] .

* * *

(١) الخزانة ١ : ١٣٩ – ١٤٧ .
(٢) الخزانة ١ : ١٧٨ – ١٨١ .
(٣) التكملة من ش .

الأفعال الناقصة

أَنشد فيها ، وهو الشاهد الثالث والعشرون بعد السبعمائة[1] :

٧٢٣ (فصِرْنا إلى الحُسْنَى ورَقَّ كلامُنا
ورُضْتُ فذلَّتْ صعبةً أَىَّ إذلالِ)

على أَنَّ (صار) تامّة ونا فاعلها، أَى رجعنا وانتقلنا . يقال: صار الأَمرُ إلى كذا، أَى رجَع. والحسنى إمّا اسمُ مصدرٍ بمعنى الإحسان ، وإمَّا صيغة مؤنَّثِ أحسن ، أَى إلى الحالة الحسنى . و (رقَّ) بمعنى لطُف. و(رُضْتُ) فعل وفاعل مِن رُضت الدابة رياضة: ذلَّلتُها . وصَعبةً مفعول رضت . وذلَّت من ذلَّت الدابة ذِلًّا بالكسر : سَهُلت وانقادت ، فهى ذلول . وذلَّلتها بالتثقيل فى التعدِية وكذلك أذللته بالهمزة. وقوله (أَىَّ إذلالِ) مفعول مطلق ، عامله رُضْتُ . قال الزجاج عند تفسير قوله تعالى ﴿ كتابَ الله عَليكم[2] ﴾ : منصوب على التوكيد ، محمولٌ على المعنى ،لأَنَّ معنى ﴿ حُرِّمت عليكم أُمَّهاتُكُم[3] ﴾ : كتبَ الله عليكم هذا كتابًا، كما قال الشاعر :

* ورُضْت فذلَّتْ صعبةً أىّ إذلال *

لأَنَّ معنى رُضت أَذللت . ا هـ .

صاحب الشاهد

وهذا البيت من قصيدةٍ لامرئ القيس تقدّم بعضٌ منها فى الشاهد الثالث من أَوّل الكتاب ، وبعضٌ منها فى التاسع والأَربعين. وقبله :

(١) المقتضب ١ : ٧٤ والمحتسب ٢ : ٢٦٠ وديوان امرئ القيس ٣٢ .
(٢) الآية ٢٤ من سورة النساء .
(٣) الآية ٢٣ من سورة النساء .

(فلمَّا تنازَعْنا الحديثَ وأَسْمَحَتْ

هَصَرتُ بغُصْنٍ ذى شَماريخَ مَيَّـالِ)

وتنازعنا : تجاذبنا . وأَسمحَتْ : وافقَتْ على ما أُريد منها . وهَصَرتُ : جذبت وأَمَلْت . والباءُ فى « بغصن » زائدة فى المفعول . وأراد بالغصن قامتَها. والشَّماريخ، إمَّا جمع شِمراخ بالكسر، وإمَّا جمع شُمروخ كعصفور، فإنَّهما يجمعان على شماريخ ، وهو ما يكون فيه الرُّطَب .

وترجمة امرئ القيس تقدَّمت فى الشاهد التاسع والأَربعين[1]

* * *

وأَنشد بعده ، وهو الشاهد الرابع والعشرون بعد السبعمائة[2] :

٧٢٤ (أَيقَنْتُ أَنِّى لامَحَا لَةَ حيثُ صارَ القَوْمُ صائرْ)

على أَنَّ (صار) فيه تامَّة ، أَى أَيقنت أَنى منتقل حيث انتقل القوم . فصائرٌ خبر أَنَّ ، وصار بمعنى انتقل ، والقومُ فاعله .

و (لا مَحالة) بفتح الميم : لا تغيير ولا تبديل، وأَنِّى بفتح الهمزة . و (أَيقنت) جوابُ لمَّا فى البيت قبله ، وهو :

أبيات الشاهد

(فى الذَّاهبينَ الأَوَّليـــ نَ من القُرونِ لنا بَصائرْ

لمَّـــا رأَيتُ مَـــوارِدًا للمـــوتِ ليس لها مَصادرْ

ورأَيتُ قـــومى نحوها يَمضِى الأَصاغرُ والأَكابرْ

لا يرجـــعُ الماضى إلَـــ ىَّ ولا مِنَ الباقين غابرْ

أَيقنت أَنِّى . . . .) البيت

---

(١) الخزانة ١ : ٣٢٩ – ٣٣٥ .

(٢) البيان ١ : ٣٠٩ والأغانى ١٤ : ٤٠ .

والقرون : جمع قرن بالفتح ، قال الزجاج : هو أَهل كلِّ مدّة كان فيها نبيٌّ أَو طبقة من أَهل العلم ، سواءٌ قلَّت السِّنونَ أَو كثُرَتْ . والموارد : جمع مورد ، وهو محلُّ الورود ، أَى الإتيان . والمصادر : جمع مصدر ، وهو موضع الصُّدور ، أَى الانصرافُ والرُّجوع . وغابر ، بالمعجمة : اسم فاعل من غَبر بمعنى مَكث وبقىَ ، وبمعنى مضى أَيضًا فهو ضدّ .

صاحب الشاهد

وهذه الأَبياتُ لقُسّ بن ساعدة . روَى أَهلُ السِّيَر والأَخبار ، بسندٍ متَّصل إلى ابن عبَّاس ، أَنَّه قال : قدم وفدُ إيادٍ على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : أَيُّكم يعرف القُسَّ بنَ ساعدة الإيادىّ ؟ قالوا: كلُّنا نعرفه يا رسولَ الله . قال : فما فعل ؟ قالوا : هلَك . قال : ما أَنساهُ بعكاظَ على جملٍ أَحمر وهو يقول : أَيُّها الناس ، اجتمِعوا واسمَعوا وعُوا . مَنْ عاش مات ، ومَن مات فات ، وكلُّ ما هو آتٍ آت. إنَّ فى السماء لخبرًا ، وإنَّ فى الأَرض لَعِبرًا . مهادٌ موضوع ، وسَقفٌ مرفوع ، ونجومٌ تَمُور ، وبحارٌ لا تغور . أَقسَمَ قُسٌّ قسمًا حَتْما ، لئن كان فى الأَمر رضًا ليكونَنّ سَخَطًا . إنَّ لِلهِ لدِيناً هو أَحبُّ إلىَّ من دينكم الذى أَنتم عليه . مالى أَرى النَّاسَ يذهبون ولا يرجعون ؛ أَرَضُوا بالمقام فأَقاموا ، أَم تُركوا فناموا ! ٢٦

ثم قال : أَيُّكم يروى شعره ؟ فأَنشدوه :

فى الذاهبين الأَوَّليـــ نَ منَ القرونِ لنا بصائرْ

إلى آخر الأَبيات الخمسة .

وتقدَّمت ترجمة قُسٍّ فى الشاهد الثانى والتسعين من أَوائل الكتاب[1]

* * *

---

(١) الخزانة ٢ : ٨٩ .

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الخامس والعشرون بعد السبعمائة[١] :

٧٢٥ (غدَا طاويًا يعارِضُ الرِّيح هافياً)

على أنَّ ابن مالك قال : (غَدَا) فعلٌ تامٌّ يكتفى بفاعله ، والمنصوب بعده حالٌ كما فى البيت .

قال (فى التسهيل) : والأَصحُّ أن لا يُلحق بها غدَا وراحَ .

قال شارحه ابن عقيل : خلافًا للزمخشرى وأَبى البقاء ، فالمنصوب بعدهُما حالٌ لا خبر ، لالتزام تنكيره ، ومنه قوله عليه السلام : «تَغدُو خِماصًا وتَرُوح بِطانًا[٢]» . وبحثَ معه الشارح المحقِّق. وهذا صدرٌ وعجزه :

(يَخُوتُ بأَذناب الشِّعاب ويَعْسِلُ)

صاحب الشاهد — والبيت من القصيدة المشهورة بلاميَّة العرب ، للشَّنفَرَى ، وقد تقدَّم شرح أَبياتٍ من أَوّلها مع ترجمته فى باب الاستثناء ، وفى باب الجمع. وقبله :

أبيات الشاهد — (أُديمُ مِطالَ الجُوع حتَّى أُميتَــه
وأَضربُ عنه الذِّكر صفحاً فأُذهَلُ

وأَستَفُّ تُرْبَ الأَرضِ كى لا يرى له
علىَّ من الطَّول امرؤٌ متطــوِّلُ

ولولا اجتنابُ الذَّامِ لم يُلْفَ مشــربٌ
يعــاشُ به إلَّا لدىَّ ومَــأْكَلُ

ولــكنَّ نفسا مُرَّة لا تقيم بــى
على الــذَّام إلَّا ريثَمَــا أتحــوّلُ

(١) لامية العرب وشروحها .
(٢) فى نهاية ابن الأثير واللسان (خمص، بطن): « كالطير تغدو خماصاً وتروح بطاناً » . أى تغدو بكرة وهى جياع ، وتروح عشاء وهى ممتلئة الأجواف .

وأَطوِى على الخُمْص الحَوَايا ، كما انطوَتْ
خُيوطَةُ مارِىٍّ تُغارُ وتُفتَلُ
وأَغدو على القُوتِ الزهيدِ كما غدا
أَزلُّ تَهاداه التنائفُ أَطحلُ
غدا طاويا . . . . .) البيت

قوله : « أُدِيم مِطَالَ الجوع » إلخ المطال : مصدر ماطَله بمعنى مطله يمطُله مَطْلا ، من باب قتل ، إذا سوّفه بوعد الوفاء مرّةً بعد مرّة . وضرب عن كذا وأضرب عنه أيضًا : أعرض عنه تركًا أو إهمالاً . وصفحت عن الأَمر : أعرضت عنه وتركته . وذَهَل عن الشيء يَذْهَل، بفتحتين ، ذُهولا بمعنى غفل ، وقد يتعدّى بنفسه فيقال ذَهلته ، والأَكثر أن يتعدّى بالأَلف فيقال : أَذْهَلنِى فلانٌ عن الشيء . وقال الزمخشرى : ذَهَل عن الأَمر : تناساه عمداً وشُغِل عنه . وفى لغةٍ : ذَهِل يَذهَل من باب تعب . وجملة أُديمُ مستأْنفة ، وحتّى بمعنى إلى متعلقة بأُديم . وأَضرب معطوفة على أُديم ، وأَذهَل معطوف على أَضرب لا على أُديم ، لأَنَّ الفاءَ للترتيب والتعقيب . والذّكر مفعول أَضرِب وصفحًا تمييز ، أَو مصدرٌ فى موضع الحال ، أَى معرضاً . يقول : أَقوَى على ردِّ نفسى عما تهوَى وأَغلبُها ، وأَذهَلُ عن الجوع حتى أنساه . ٢٧

وقوله : « وأَستَفُّ ترب » إلخ ، يقال سَفِفت الدواءَ وغيره من كلِّ شيءٍ يابسٍ أَسَفُّهُ ، من باب تعب ، سفًّا ، هُو أَكْله غير ملتوت . وهو سَفُوفٌ مثل رسول . واستففت الدواءَ مثل سَفِفته . والطَّول : مصدر طالَ على القوم يَطُول من باب قال ، إذا أَفْضَلَ عليهم . وتطوّل : تفضّل . وكىْ إمّا بمعنى اللام حرف جر وأَن مضمرة ، أَو بمعنى أَنْ واللام مقدّرة . وفاعل

يرى امرؤ ، وله متعلقة بيرى ، ومفعول يرى محذوف أى شيئًا ، ومن الطَّوْل بيانٌ له ، وقيل نعت له . وعند الأخفش المفعول هو الطَّول ومِن زائدة ، وعليَّ متعلق بيرى . ولا يجوز أن يتعلق بالطَّوْل ، لأَنَّ المصدر لا يتقدّم معمولُه عليه . ويجوز عند الشارح المحقِّق تعلُّقه به لأَنَّه ظرف.

وقوله : « ولولا اجتناب الذَّام » الخ ، الذام : العيب ، يُهمز ولا يهمز. ويُلْفَ: يُوجَد، يتعدّى إلى مفعولين أصلهما المبتدأ والخبر . ومَشربٌ نائب الفاعل ، وهو المفعول الأَوَّل فى الأَصل ، ويعاش به صفته . ولدىً ظرف بمعنى عندى ، وهو متعلق بمحذوف على أَنَّه المفعول الثانى ووقع الحصر فيه . ومأْكل معطوف على مَشرب ، أى لم يوجد مَشربٌ يُعاش به ومأْكلٌ كذلك إلاَّ حاصليْن لدىَّ .

وأَخطأَ معرب هذه القصيدة[1] فى قوله : « ويعاش به نعتٌ لمشرب ، والتقدير : إلاَّ هو لدىَّ ، محذوفُ المبتدإ للعلم به ، ولدىّ خبره ، ومأْكل معطوف على هو . ا هـ .

وخطؤه من وجهين ظاهرين للمتأَمِّل .

وقوله : « ولكنّ نفسًا » إلخ ، لكنّ هنا للتأْكيد ، فإِنَّ ما بعدها مؤكِّد لما قبلها من الصِّفات ، وخبرها محذوف تقديره لى . ومُرّة صفة نفس بمعنى أَبيَّة كالمُرَّة ، فى أَنَّ كلاًّ منهما ممتنع على مُتناوِله . وروى: « حُرّةٌ » بدل مُرّة . وجملة لا تقيم بى صفة ثانية لنفس ، أَو استئنافيّةٌ جوابُ سؤال مقدّر .

---

(١) لم يعين البغدادى اسم هذا المعرب هنا وكذلك فيما سيأتى فى ص ٣١، ٢٠٨، ٥٤٥ بولاق .

وزعم مُعرب هذه القصيدة أَنَّ الجملة خبر لكنَّ . وتقيم ، من الإقامة فى المكان وهو اللَّبْث فيه ، والباءُ فى بى للمصاحبة على أَنَّها فى موضع الحال . وقال مُعرب هذه القصيدة : بى متعلِّق بتقيم ، والمعنى تقيمنى فهو مفعول به . ا هـ .

وهذا لا وجه له . وعَلى متعلِّقةٌ بتقيم . والاستعلاءُ هنا معنوىٌّ نحو : ﴿ لهُمْ عَلَيَّ ذَنْبٌ[1] ﴾ ، ويجوز أَن تكون للمصاحبة . ورَيْثَ فى الأَصل مصدرُ راث ، أى أَبطأَ ، استعمل هنا للظرف الزَّمانىّ ، أَى إلاَّ بمقدار تحوُّلى . فما مصدريّة ، وقيل ما زائدة ، وقيل كافَّة . وقيل نصب ريثَ على الحال .

وقوله : « وأطوى على الخُمْص » إلخ ، الخمص بالضم : مصدر خَمُصَ الرجلُ خُمْصًا فهو خميص ، إذا جاع ، مثل قَرُب قُرْباً فهو قريب . كذا فى المصباح . وقيل : الخُمص بالضم : الضمر ، وبالفتح : الجوع . وعلى هنا للمصاحبة ، متعلق بأَطوِى . والحوايا مفعول أَطوى ، جمع حَوِيَّةٍ ، وهى فعيلة بمعنى مفعولة ، وهى الأَمعاءُ فى الجوف . والخُيوطة : جمع خيط ، والتاءُ لكثرة الجمع نحو : حجار وحجارة . وقال التبريزى : أَتى بالهاءِ للتأْنيث ، إذْ كان بمعنى الجماعة . والمارِىّ : الفتَّال ، وهو الذى يَفتِل الحبال . وتُغارُ : يُحكم فتْلُها . يقال أَغار الفَتْلَ ، أَى أَبرمَه وأَحكمه . ومرادهُ تُفتَل وتغار . ولا يضرُّ التأْخير ، فإنَّ الواو لاتدلُّ على الترتيب . وقوله : « كما انطوت » الكاف نعتٌ لمصدرٍ محذوف ، وما مصدرية . ومصدر انطوت الانطواءُ ، وليس بمصدر أَطوِى ، وإنَّما المعنى أَطوى الحوايا فتنطوى كانطواءِ خُيوط الفَتَّال .

---

(١) الآية ١٤ من سورة الشعراء .

وقوله : « وأغدو على القوت » إلخ . غدا غُدُوًّا من باب قعد : ذهب غُدوة ، وهى ما بين صلاة الصبح وطُلوع الشمس ، هذا أَصله ثم كثُر حتى استُعمل فى الذَّهاب أَىَّ وقت كان . كذا فى المصباح . والغداة والغُدْوة واحد ، كما فى القاموس . وعلى هنا للتعليل بمعنى اللام ، كقوله تعالى : ﴿ ولتُكبِّروا الله على مَاهَدَاكم[1] ﴾ . والزهيد : القليل الذى يُزهَد فيه . والكاف نعت لمصدر محذوف ، أَى غدوًّا كَغُدُوِّ الأَزلّ ، والأَزلُّ : الذِّئب الأَرسح ، بالمهملات ، أَى القليل لحم الفخذين . والأَزَلّ لا ينصرف للوصف ووزن الفعل ، وكذلك أَطحَل . والذئب الأَزلُّ : الخفيف الوركين ، وهذه صفةٌ لازمة له . قال التبريزى : الأَزلُّ : الأَرسح ، وبه يوصف الذئب . ومن أَمثالهم :

* لا أُنْسَ فى الذئب الأَزلِّ الجائعِ *

وقال بعضهم : قلت لأعرابىٍّ : ما الأَرسح ؟ فقال : الذى لا اَستَ له . ووصف رجلٌ فارسًا فقال : قاتله الله ، أَقبل بِزُبْرَةِ الأَسَدِ ، وأَدبَرَ بعَجُز ذِئب . وذلك أَنَّه يُحمَد من الفارس أَن يكون أَشعَرَ الصَّدر ، وأَن يكون ممسوحَ الاست كالذئب .

والتنائف : جمع تَنوفة ، وهى الفلاة . ومعنى تهاداه : تتَّخذه هديّة ، كلَّما خرج من تنوفة ودخل فى أُخرى . وهو مضارعٌ محذوف من أوله التاء ، وأَصله تتهاداه . ويجوز أَن يكون ماضياً ، وإنَّما لم يقل تهادته[2] بالتأْنيث لأَنَّ التنائف مؤنَّث مجازىّ ، وجملة تهاداه صفة أَزلّ ، وكذلك

(١) الآية ١٨٥ من سورة البقرة . أما الآية ٣٧ من الحج ففيها : « لتكبروا الله على ما هداكم » ، غير مسبوقة بالواو .

(٢) ط : « تهاديه » ، صوابه فى ش .

أطحلُ. وذئبٌ أطحَلُ وشاةٌ طحلاءُ. والطُّحلة بالضم: لونٌ بين الغُبرة والسَّواد ببياض قليل. وقال التِّبريزى: الأَطحل: الذى لونه لون الطِّحال.

وقوله: «غدا طاويًا» إلخ، غدا يحتمل أن يكون بمعنى ذهَب غُدوة، ويحتمل أن يكون بمعنى دخَل فى الغُدوة، ويحتمل أن يكون بمعنى ذهب أىَّ وقتٍ كان مجازًا، من باب استعمال المقيَّد فى المطلق. فغدا على هذه الوجوه تكون تامّة، وطاويًا يكون حالاً من ضمير غدَا الراجع إلى أزلّ. ويحتمل أن يكون بمعنى يكون فى الغُدْوة، فيكون غَدَا من الأَفعال الناقصة، وطاويًا يكون خبرها، وغدا مع فاعلها المستتر استئنافيّة منقطعة عمّا قبلها، ويجوز أن تكون الجملة صفة أُخرى لأَزلّ، أو حالاً منه بتقدير قَدْ. وطاويًا يحتمل أن يكون من طوى المتعدِّية المتقدّمة، أى طاوياً أحشاءه على الجوع، فالمفعول محذوف بقرينة ما قبله، يقال طوى الشىء طَيًّا فهو طاوٍ. ويحتمل أن يكون من طَوِىَ يَطْوَى طَوًى من باب فرح، أى جاع، فهو طاوٍ وطوٍ وطَيَّانُ، والأُنثى طَيًّا وطاوية. وبهذا يضمحل قول المُعرب: وليس من قولك طوِىَ يطوَى إذا جاع، لأَنّ الاسم منه طوٍ مثل عَمٍ وشجٍ، مع أنّه قال قبل هذا: وطاويًا يجوز أن يكون من طوَى المتعدِّية. فنقض بكلامه الأَخير ما قدَّمه.

وقال التبريزى: يقول غدا طاويًا، وطوَاه من الجوع، كأَنَّه طَوى أمعاءه عليه، يقال رجل طاوٍ وطَيَّان والأُنثى طاوية وطَيَّا[1]، والمصدر الطَّوَى، وهو خُمْص البطن من أىّ شىءٍ كان.

هذا كلامه، ولا يخفى أنَّه تخليط بين المعنيين.

---

(١) ط: «وطياء» فى هذا الموضع وتاليه، صوابه فى ش.

« ويعارض الريح » أى يستقبلها فى عَرْضها ، ويصادِمُها ؛ ومنه المعارضة بمعنى المخالفة . و« هافيا » يحتمل أن يكون من هفا الطائر بجناحِه يهفو ، أى خفَق وطار . ويحتمل أن يكون من هفا الظبى يهفو ، إذا اشتدَّ عدْوُه ، ومصدره الهُفُوّ على فعول . ويحتمل أن يكون من الهَفْو وهو الجُوع ، يُقال رجل هافٍ أى جائع . وقال التبريزى : هافيًا : يذهب يمينًا وشِمالا من شدَّة الجوع. ويَخُوت ، بالخاءِ المعجمة والتاءِ المثناة أى يختل ويختلس ، يقال خات البازى واختات أى انقضَّ على الصَّيد ليأْخذه . وقال الفراءُ: يقال ما زال الذئبُ يختات الشاة[1] بعد الشَّاة، أى يختلها فيسرقُها . وإنَّهم يختاتون اللَّيل ، أى يسيرون ويقطعون الطريق . فجملة يعارض ويخوت وهافيًا ، أخبارٌ أُخَر لغدا إن كانت ناقصة ،أو أحوال من ضمير طاويا[2] ، أو أحوالٌ متداخلة ،أو الجملتان صفتان للنكرة قبلهما . وتجوز هذه الأَوْجُه كلُّها ما عدا الأَوَّل ، إن كانت غدا تامّة ، ويجوز حينئذ أيضًا أن يكون[3] طاويًا مع ما بعده أحوالًا من الضمير فى غدا .

٢٩

والباءُ فى قوله : « بأَذناب » بمعنى فى . وأذناب : جمع ذَنَب بفتحتينِ، وذنب كلّ شىءٍ : مؤخَّره . وذِنابة الوادى ، بالكسر : الموضع الذى ينتهى إليه سَيْله ، وكذلك ذَنَبُه ، وذِنَابته أكثر من ذَنَبه . و« الشِّعاب » بالكسر : إمَّا جمع شِعب بالكسر أيضاً ، وهو الطَّريق فى الجبل ، وإمَّا جمع شُعبة بالضم، وهو المسيل الصغير. وقال التبريزى: الشِّعاب: مسايلُ صغارٌ. وأذنابها: أواخرها . ويَعسِل معطوف على يَخُوت ، بكسر السين من باب فرح . فى

(١) فى النسختين : « يختال » ، صوابه ما أثبت . وانظر اللسان (خوت) .
(٢) ش : « طاوى » ، وأثبت ما فى ط .
(٣) ش : « تكون » .

الصحاح : والعَسْل والعَسَلان : الخَبَب . يقال عَسَل الذئب يَعسِل عَسْلاً وعَسَلانا ، إذا أعنق وأسرع . وكذلك الإنسان . والذئب عاسل والجمع العُسَّل والعواسل . وعسلَ الرُّمحُ عَسَلاناً : اهتزَّ واضطرب ، والرمح عَسَّال. وقال التبريزى : ويَعسِل، إذا مَرَّ مرًّا سهلا فى استقامة . ومن ذلك يقال للرمح عَسّال، إذا تتابع عند الهزِّ ولم يكن كزًّا . ومتعلِّق يَعسِل محذوفٌ يدلٌّ عليه ما قبله[١] .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد السادس والعشرون بعد السبعمائة[٢] :

٧٢٦ (يَرُوح ويَغْدُو داهنًا يتكَحَّلُ)

على أنَّ (يروح ويغدو) وإن كانا بمعنى يدخلُ فى الرَّواح والغداة فهما تامَّانِ ، والمنصوب حال . وإن كانا بمعنى يكون فى الرَّواح والغداة فهما ناقصان .

وقد تقدَّم الكلام على يغدو . وأمَّا الرَّواح فقد قال صاحب الصحاح : والرَّواح : نقيض الصَّباح ، وهو اسمٌ للوقت من زوالِ الشَّمس إلى الليل . وقد يكون مصدرَ قولك راح يروح رَوَاحاً ، وهو نقيض قولك : غدا يغدو غدُوًّا . اهـ .

قال أبو سهل الهَرَوىّ : الصواب الرَّواح : نقيض الغدُوّ . وقال صاحب المصباح : راح يروحَ روَاحًا ، وتروَّح مثله ، يكون بمعنى الغدوّ ، وبمعنى الرُّجوع. وقد طابق بينهما فى قوله تعالى: ﴿ غدوُّها شَهرٌ ورَوَاحُها شَهر ﴾ أى ذهابها ورجوعها . وقد يتوهَّمُ بعض الناس أنَّ الرَّواح لا يكون

---

(١) أى ويعسل بأذناب الشعاب .

(٢) لامية العرب وشروحها .

إلّا فى آخر النهار ، وليس كذلك ، بل الرَّواح والغدوّ عند العرب يُستعملان فى المسير أىّ وقتٍ كان، من ليلٍ أو نهار . قاله الأزهرىُّ وغيره . وعليه قوله عليه السلام : « من راح إلى الجمعة أوّلَ النَّهار[1] فله كذَا » ، أى مَنْ ذهَب . ا هـ .

فقوله يروح إن كان بمعنى يرجع فى الرَّواح أو يرجع مطلقا أى فى أى وقت كان، من باب استعمال المقيَّد فى المطلق مجازًا، أو يدخل فى هذا الوقتِ الذى هو الرَّواح ، فالفعل تامٌّ . وإن كان بمعنى يكون فى الرَّواح فالفعل ناقص ؛ لقوله[2] يروح ويغدو . وإن كانا تامَّين فداهنًا حالٌ من فاعل أحدِهما ، وهو ضميرٌ مستتر ، وتكون حال الآخَر محذوفة .والأَوْلى أن يكون حالًا من فاعل يغدو. ولا يقدَّر ليروح حال . وداهن: اسم فاعل من الدَّهن ، يقال دَهنت الشعر وغيره دَهْنا من باب قتل . والدَّهن : استعمال الدُّهن بالضم ، وهو ما يُدهَن به من زيت أو طِيب . وجملة « يتكحَّل » حال أيضًا إمَّا من فاعل يغدو ، وإمَّا من فاعل داهناً . ويجوز أن يكون صفة لداهنًا . وإن كانا ناقصين فداهنًا خبر يَغْدو ، ويكون خبر يروح محذوفاً ، وجملة يتكحل إمَّا خبر بعد خبر ، أوحال من ضمير داهن ، أو صفة له. ويجوز أن يكون داهناً خبر يروح، وجملة يتكحَّل خبر يغدو ، فلا حذف . وهذا أولى على تقدير النقص .

٣٠

ويجوز أنْ يكون أحد الفعلين تامًّا والآخَر ناقصاً . فتأمَّلْ .

وهذا المصراع عجزٌ وصدرُه :

(ولا خالفٍ دارِيَّة متغزِّل)

---

(١) فى المصباح : « من أول النهار » .

(٢) ش : « فقوله » ، صوابه فى ط .

صاحب الشاهد

وهذا البيت أيضًا من لاميَّة العرب . وقبله :

أبيات الشاهد

(ولستُ بمهيـاف يعشِّى سَوامَــهُ مُجدَّعةً سِقْبانها وهى بُهَّــلُ
ولا جُبَّإٍ أكهَى مُــرِبٌّ بعِرْسِــه يُطـالِعها فى شأْنه كيفَ يفعلُ
ولا خَــرِقٍ هَيْــقٍ كأنَّ فــؤادَه يظلُّ به المُكَّاءُ يعلو ويَسفُلُ
ولا خـالِف داريَّــةٍ متغزِّلٍ يروح ويغدُو داهنًا يتكحَّــلُ)

قوله : « ولست بمهياف » إلخ. قال التِّبريزى: المهياف الذى يَبعُد بإبله طلبَ الرَّعى على غير عَلَم ، فيُعْطِشها ويُسىءُ بها . و (فى العباب) : قال الأصمعىُّ : رجلٌ مهياف: سريع العَطَش. وأنشد هذا البيت . (وفيه أيضاً) : وقال الليث : المهياف الذى قد هافت إبلُه . ويعشِّى سَوامَه : يُطعمها عَشاءَها ، والعَشاءُ : الطَّعام بعينه ، وهو خلاف الغَداء ؛ وكلاهما بالفتح والمد . والسَّوام : المال الراعى ، اسم جمع لسائمة . ومجدَّعة بالجيم والدال المهملة : اسم مفعول من جدَّعت الصبىَّ تجديعاً ، إذا أسأْتَ غِذاءه. ويقال جَدَعته بالتخفيف من باب منع . وفيه لغةٌ أُخرى أجدعت الصبىَّ إجداعاً . وجَدِع الصبىُّ من باب فرح ، إذا ساء غذاؤه . وقيل المجدَّعة هنا : المقطَّعة أطراف الآذان ليُصرَف عنها العَين . وقال التِّبريزى : والمجدَّع : السيئُ الغِذاءِ ، والأَصل فيه أن يطرح الراعى ولدَ الناقة على الضَّرع لتدرَّ الناقة ، فإذا مَصَّ شيئًا واجتمع اللبنُ نحَّاه وحلَب اللبن . والسِّقبان بالكسر : جمعُ سَقْب بالفتح . فى الصحاح : السَّقب : الذكر من ولَد الناقة ، ولا يقال للأُنثى سَقْبَةٌ ولكنْ حائل[1] . والضمير المؤنث يرجع إلى السَّوام . قال التبريزى : وروى ثعلب : « سَقْباتُها » بجمع المؤنث السالم . والمحفوظ الأَول .

(١) هذا قول ، وفى قول آخر أن الأنثى سقبة ، كما فى اللسان والقاموس ، وفيهما أيضاً أن الجمع سقبان بضم السين .

و « بُهّل » : جمع باهل . فى العباب : وناقة باهلٌ: لاصرارَ عليها . وأنشد هذا البيت . وقال التِّبريزى : البهَّل : جمع باهلةٍ وباهل ، وهى المخَلّاة لا يتعهَّدها راعيها . ويقال بَهَلَ الرجلُ ، إذا مضَى لا قيِّمَ عليه . وأبهلته ، إذا تركتَه مخلًّى . والباهلة أيضا : التى لا صِرار عليها ، لتَرضَعها أولادُها فتكون أسمَن وأحسن . والباءُ فى قوله « بمهياف » زائدة فى خبر

٣١ ليس . ويعشًّى صفة له ، وسوامَه مفعول يعشًّى ، ومجدّعة حال سببيّة لسوامَه . وسِقبانها نائب فاعل مجدَّعة ، وجملة وهى بُهَّل حال من سوامَه. وصَفَ الشَّنْفَرَى نفسَه بالجلادة وحُسن التعهُّد لمالِهِ وجودةِ القيام عليه .

وقوله : « ولا جُبّإٍ أكهى » إلخ . الجُبَّأُ ، بضم الجيم وفتح الموحَّدة المشددة بعدها همزة ، على وزنُ سُكَّر : هو الجبَان ، والخائفُ . والأَكهَى بالقصر ، قال التبريزى : هو الكَدِر الأَخلاق الذى لا خيرَ فيه . وقال ثعلب : هو البليد ، مثل الكَهَام . والمُرِبّ : اسم فاعل من أَرَبَّ بالمكان أى لزمَه وأقام فيه ، والعِرس ، بالكسر : الزَّوجة . يقول : لست أُسىءُ الرِّعْية ولا أَجبُن ، ولا أقيمُ مع النساءِ وأُشاورهنَّ فى أمورى . وجُبَّإٍ بالجر معطوف على مهياف ، ولو عُطف بالنصب على موضعه لجاز . وأكهى ومُربّ وصفان لجبّإٍ . قال المُعْرب : الباءُ فى بعرسه بمعنى فى ، أىْ مقيم فى بيت عرسه . ويجوز أن تكون بمعنى علَى ، أى مقيم على عرسه . وجملة يطالعها حال من الضمير فى مُرِبّ، وفى شأْنه متعلِّق بيطالعها .

وقوله : « ولاَ خَرِقٍ هَيْقٍ » إلخ. هذا أيضًا بالجر معطوف على مهياف . والخَرِق بفتح المعجمة وكسر المهملة بعدها قاف ، قال الزمخشرى: هو المَدْهوشُ من الخوف . والهَيْق ، بفتح الهاء وسكون المثناة التحتية ، هو الظَّلِيم ، أى النعام فى نِفاره عند حدوثِ مروِّع . والمُكَّاءُ ، بالضم

والتشديد والمد : طائر . أى كأَنَّ فؤاده على جناحِ طائر . وهذا تحقيق لجُبْنه وتحيُّره .

وقوله : « ولا خالفٍ دارِيَّة » ، هذا أيضاً بالجرّ للعطف على مهياف . والخالف ، بالخاء المعجمة : من لا خير فيه . ودارِيَّةٍ بالجر صفة لخالف ، وهو المقيم فى داره لا يفارقه . والتاءُ زائدة للمبالغة . والدارىّ أيضًا : العطَّار ، منسوب إلى دَارِينَ : فُرضة بالبحرين ، فيها سوقٌ كان يحمل إليها مسكٌ من ناحية الهند . قال الزمخشرى : ويحتملهما كلامُه ؛ لأَنَّ العطَّار يكتسب من رِيح عطره فيصير بمنزلة المتعطِّر ، فالمعنى لست ممَّن يتشاغل بتطييب بدنه وثوبه . أو يلازم زوجته فيكتسب من طِيبها . والمتغزِّل : الذى يغازل النِّساء . فى الصحاح : مغازلة النساءِ : محادثتهنّ ومُراوَدتهنّ. تقول : غازلتُها وغازلتْنى ، والاسم الغَزَل. وتغزَّل ، أى تكلَّف الغزل . وجملة يروح صفة متغزّل أو حال من ضميره .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد السابع والعشرون بعد السبعمائة [1] :

٧٢٧ (بتَيهــاءَ قَفْرٍ والمطــىُّ كأَنَّهــا
قَطَا الحَزْن قد كانَتْ فراخًا بُيوضُها)

على أنَّ (كان) فيه بمعنى صار .

والتَّيهاءُ: المفازة التى لا يُهتَدى فيها ، فَعْلاءُ من التِّيه ، وهو التَّحيُّر . يقال تاهَ فى الأَرض يتيه تَيْهاً وتَيهاناً ، أى ذهبَ متحيِّراً . والقفر : المكان الخالى . يصف المطىَّ بِسُرعة السَّير ، كأَنها [2] بمنزلة قَطًا تركت

---

(١) المعانى الكبير ٣١٣ وأسرار العربية ١٣٧ وابن يعيش ٧ : ١٠٢ والأشمونى ١ : ٢٣٠ واللسان (عرض ٤٩) وديوان ابن أحمر ١١٩ .

(٢) ط : « فإنها » ، صوابه فى ش .

بُيُوضًا صارت أفراخًا، فهى تمشى بسرعة إلى أفراخها . ومعنى كانت : صارت ، لأَنَّ البُيوضَ صارت أفراخًا ، لا أَنَّها كانت فراخًا . والقطا : طائر سريعُ الطَّيَران . والحَزْن بفتح المهملة وسكون المعجمة : ما غلُظ من الأَرض ، وهو ضدُّ السَّهل، وأَضاف القطا إليه لأَنَّه يكون قليلَ الماء ، فتكون قطاه أَكثَرَ عطشاً ، فإذا أَراد الماءَ كان سريعَ الطَّيَران . قال الأَصمعى ، ونقله ابن قتيبة (فى كتاب أَبيات المعانى) : أَراد أَنَّها شربت من الغُدُر فى الرَّبيع ، فإذا فرَّخت ودخلَتْ فى الصَّيف احتاجت إلى طلب الماءِ على بُعْدٍ ، فيكون أَسرعَ لطيرانها . وإنَّما تفرِّخ بيضَها إذا جاءَ الحرّ . فأَراد أَن يخبر عنْ سُرعة طيرانها عند حاجتها إلى الماءِ[1] .

٣٢

ووجب تقدير كان بصار هنا ليصحَّ المعنى ، ولو قدِّر بكان لفسد ، لكونه محالا .

ومثله قول شَمْعلة بن أَخْضَر ، من شعراءِ الحماسة

فخرَّ على الأَلاءَة لمْ يُوسَّـدْ وقد كان الدِّماءُ له خِمارا[2]

قال ابن جنى (فى إعرابه للحماسة) : كان هنا بمنزلة صار . أَنشد أَبو علىّ : بتيهاءَ قفر والمطىُّ ...... البيت ، أَى صارت .

وهذا وجهٌ من وجوه كانَ خفىٌّ . ا هـ .

ومثله قول رؤبة :

* والرأْسُ قد كان له قَتيرُ[3] *

---

(١) هذا النص مخالف لألفاظه فى المعانى الكبير ، ولا يعدو أن يكون ترجمة وتعبيراً عن ألفاظ ابن قتيبة .

(٢) الحماسة ٥٦٧ بشرح التبريزى، والمؤتلف ١٤١ .

(٣) ديوانه ١٧٤ وابن يعيش ٧ : ١٠٣ . ويروى : « شكير » .

أى صار .

وبقى وجهٌ آخر لم يرتضه الشارح المحقِّق ، ولهذا لم يذكره ، وهو أن تكون كان على بابها ويُدَّعَى القلب فى الكلام ، ويكون الأَصل : قد كانت فراخُهَا بيوضًا ، كقول الآخر :

. . . . كمـــا كان الزِّناءُ فريضةَ الرَّجْمِ[1]

أَراد : كما كان الرَّجم فريضةَ الزنى .

وما اختاره الشارح المحقِّق هو مذهب ثعلبٍ ، وأَبى على ، وابن جِنِّى ؛ وهو الجيِّد ؛ لأَنَّ القلب لا يُصار إليه إذا وُجد وجهٌ آخر .

وأَما قوله : (بيوضها) فقد رواه ثعلب بضم الباء . ومَشَى عليه (فى الإيضاح) مستشهدًا به على أَنَّه جمع بيض ، كبيت وبيوت ، وخالفه (فى التذكرة) وجزمَ بأَنَّ بيوضها بفتح الباء بمعنى ذات البيض ، واستبعد رواية الضم ؛ وقال : فإِنْ قلت ما تنكر أَن يكون بُيوضها بضم الباء ؟ فالقول فى ذلك أَنَّه يبعُد وإِنْ كانوا قد قالوا التُّمور ، لاختلاف الجنس ، لأَنَّ البيض هنا ضربٌ واحد وليس بمختلف ، فلا يجوز أَن يجمع . وهذا الاستبعاد مبْنِىٌّ على أَنْ يكون جمعَ بَيض ، والصَّحيح أَنه جمع بيضة ، كما أَنَّ مُئُونًا جمع مَأْنة وهى السُّرَّة وما حولها ، لاَ أَنَّه جمع بَيْض لعدم الاختلاف المسوِّغ للجمع . وهذا أَولى من الطَّعن فى رواية ثعلب .

ويؤيِّد روايتَه قولُ بعض بنى نُمير :

يُضِلُّ القطا الكُدرىُّ فيها بُيُوضَهُ ويَعوِى بها من خيفة الهُلْكِ ذيبُها[2]

---

(١) للنابغة الجعدى فى ديوانه ١٣٥ ، وانظر معجم الشواهد . والبيت بتمامه :
كانت فريضة ما أتيت كما كان الزناء فريضـــة الرجم

(٢) فى ط : « ويعدى بها » ، صوابه فى ش .

وقول الجعدى :

* لهن أداحىٌّ به وبُيُوضُ [(١)] *

فإنْ قال قائل: هذا جعل بيوضاً جمع بيضة ، كما جعل سِخالًا جمع سخلة ، ومُئُونًا جمع مأْنة . فالجواب أن نقول : إنَّما جعل سِخالاً جمع سخلة لا سخل، وإن كان باب كلٍّ واحدٍ منهما أن لا يكسَّر ، لأَنَّ امتناع التكسُّر فى أَسماءِ الأَجناس أَقوى . أَلا ترى أَنَّ أَسماءَ الاجناس كلَّها لا يجوز تكسير شىءٍ منها بقياس . وقد نصَّ على ذلك سيبويه فى باب جمع الجمع . والآحادُ المخلوقة كلُّها يجوز تكسيرها بقياس ، فيما عدا هذا الباب ، فكانَ جعلُ سِخال جمع سخلة أَوْلَى من جعلها جمع سَخل لذلك . وأَما بُيُوض فالذى أَوجَبَ عليه أَن يجعلها جمع بَيْض لا بيضة أَنَّه رأَى أن فُعولا فى جمع فَعْل مقيس، نحو فَلس وفلوس ؛ وفُعول فى جمع فعلة، نحو بَدْرة وبُدُور، غير مقيس، فيرجُح عنده جَعلُ بيوض جمع بيض لذلك . ومن ذلك صخور وتمور وأَشباهه . وليس كذلك فِعال فإِنَّه جمع لفعلةٍ وفَعْلٍ بقياس ، نحو جِنَان وكِلاب . وجعل مُئُونًا جمعَ مأْنة لمَّا لم يُسمع مَأْن . وأَمَّا على قول أَبى علىٍّ فلا بدَّ من تقدير مضاف ، والتقدير : كانت بيوضها ذات أَفراخ ، ولا قلبَ فى الكلام حينئذ ، كما فى صورة جَعْلِ كان بمعنى صار مع رواية الباء . وإنَّما يدَّعى القلب فى صورة جَعْلِ كان على بابها مع رواية ضمّ الباء .

٣٣

والقطا: ضربٌ من الطَّير ، وهو نوعان : كُدرىٌّ وجُونىّ . فالكُدرىّ غُبر الأَلوانِ رُقْش الظُّهورِ والبُطون ، صُفْر الحلوق ، قِصارُ الأَذناب .

---

(١) لم يرد فى ديوان النابغة الجعدى .

والجُونىُّ سُود البطون سُود بطونِ الأَجنحةِ والقوادم ، بيض الصُّدور غُبْر الظُّهور ، وفى عنق كلٍّ واحد منها طَوْقانِ : أَصفر وأَسود .

وقوله :(بتيهاءَ قَفر) الجارّ يتعلّق بقوله : « والعيس تجرى غُروضها » فى بيت قبله .

صاحب الشاهد

والبيت من أبيات لابن أحمرَ ، وهى :

أبيات الشاهد

(لعَمْرِى لئن حَلَّتْ قُتَيْبة بلدةً شَــديدًا بمال المقْحَمِين عَضيضُها
فللّهِ عينَا أُمِّ فَرعٍ وعَبْــرةٌ تُرقرِقُها فى عَيْنهــا أَو تُفِيضُهــا
أَلا ليتَ شعرى هل أَبيتنَّ ليلةً صحيحَ السُّرى والعِيسُ تجرى غروضُها
بتيهــاءَ قَفْــرٍ والمطىُّ كأَنَّها قَطَا الحزْنِ قد كانت فراخًا بيُوضُها)

وفى شرحها : قتيبة : بطنٌ من باهلة . والمُقْحَمون : الذين أَقحمتهم السَّنة ، وهى القُحْمة بالضم ، أَى القحط . وعَضيضها : عضُّها . وصَحيح السُّرى ، أَى غير جائرٍ عن القَصْد، فيكون أَسرعَ لقصده لصحّة سراه . فتمنَّى أَن يصحَّ سُراه ويستقيمَ ليعجل إلى مقصِده . وغُروضها : أَنساعها. أَى إنَّها قد أُضمرت حتى قد كانت ،أَى قد صارت . بيوضُها : جمع البيض . انتهى .

ومعنى البيت أَنَّ المطىَّ براها السَّير وحملَها على المتاعب، حتَّى صارت كالفراخ فى الضَّعف والهُزال ، بعد ما كانت قويَّةً سِمانًا كالدَّجاج البَيُوض ، بإضافة الفراخ إليها . انتهى .

وهذا كلامُ مَن لم يقف على الرواية . والتى فى عامة نسخ شعره :

أُريهمْ سُهيلاً والمطىُّ كأَنها قَطَــا الحــزن . . . . إلخ

قال شارحه : قوله أُريهم سُهيلاً، يعنى أَصحابه وإن لم يجرِ له ذكر، لدلالة الحال عليه ، أى يريهم مَطْلِعَه الذى ببلاد أَحبابه التى يقصدها ، فهو يتمنى أن يصحَّ سُراه إلى مَقصده ليريَهم مطلعَ سُهيلٍ ببلاد أَحبابه[١] وتكون[٢] المطىُّ على الحال التى وَصَفها من قَلق غُروضها وأَنساعها. لحثِّه إيَّاها على السُّرى الذى أَهزلها[٣] فقلقَت أَنساعها[٤]. وشبَّهها بسُرعة القطا التى فارقتْ فراخَها لتحمل إليها الماءَ فتسقيَها ، فهو أَسرعُ لطيرانها . ودَلَّ كلام الشاعر على أنَّه أَراد : يريهم سهيلاً من آخِر الليل ، لأَنَّ القطا إنَّما تصير كما ذكر فى الصَّيف . وطلوع سُهيل بالحجاز يكون عند فتور الحرّ ، فى عِشرِى آب[٥] من شهور الروم .

وقوله : (والمطىُّ كأَنَّها) حال من فاعل تجرى فى البيت المتقدّم، على الرواية الأُولى ، وصاحب الحال فى الرواية الثانية ضمير الجمع فى أُريهم سهيلا . والعامل أَرى ، كقولك : جئتك والشمس طالعة . وقوله : (قد كانت) إلخ حالٌ من القطا ، والعامل ما فى كان من معنى التَّشبيه. و (فراخًا) خبر مقدم لكان ، و(بيوضها) اسمها المؤخر .

وابن أَحمر شاعر إسلامىٌّ مخضرم ، تقدَّمت ترجمته فى الشاهد الستين بعد الأَربعمائة[٦] .

* * *

(١) الكلام من « أحبابه » السابقة إلى هنا ساقط من ش .

(٢) ش : « وتقول » ، صوابه فى ط .

(٣) ش : « التى هزلتها » . والسرى تذكر وتؤنث ، بل لم يعرف اللحيانى فيها إلا التأنيث .

(٤) ط : « فقلقلت » ، صوابه فى ش .

(٥) ط : « فى عشر آب » . والمراد فى اليوم العشرين من آب .

(٦) الخزانة ٦ : ٢٥٧ – ٢٥٨ .

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثامن والعشرون بعد السبعمائة[١] :

٧٢٨ (سَرَاةُ بنى أَبى بكر تَسَامَى على كانَ المَسَوَّمةِ العِرابِ)

على أنَّ (كان) فيه زائدة بين الجار والمجرور .

وزيادتها عند الشارح قسمان :

أَحدهما : زيادة حقيقيَّة ، تزاد غير مفيدةٍ لشيءٍ إلاَّ محضِ التوكيد ، يكون وجودُها فى الكلام وعدمُها سواءً ، لا تعمَل ولا تدلُّ على معنى .

٣٤

ثانيهما : زيادةٌ مجازيَّة ، تدلُّ على معنًى ولا تعمل .

ومثَّل للأَوَّل بهذا البيت وبالآية الشريفة[٢] ، وبقولهم : لم يوجد كان مثلُهُم . ومثَّل للثانى بما كان أحسن زيدًا ، وبقولهم : إنَّ من أَفضلهم كان زيدًا ، وبالبيت أيضا ، فجعله متردِّداً بينهما .

وما ذكره أحدُ مذاهبَ ثلاثة :

الأَوَّل : مذهب ابن السَّرَّاج ، واختاره ابن يعيش ، قال : والذى أَراه أَنْ تكون زائدةً دخولُها كخروجها ، لاعملَ لها فى اسمٍ ولا خبر ، ولا هى لوقوع شيءٍ . وإليه ذهب ابن السَّرَّاج ، قال (فى أَصوله) : وحقُّ الزائد أَن لا يكون عاملاً ولا معمولا ، ولا يحدثَ معنًى سوى التأْكيد . ويؤيِّد ذلك قوله تعالى: ﴿كيف نُكَلِّمُ مَنْ كَانَ فى المَهْدِ صَبِيًّا﴾ أَنَّ كان فى

(١) سر الصناعة ١ : ٢٩٨ والأزهية ١٩٧ وابن يعيش ٧ : ٩٨ ، ١٠٠ والضرائر ٧٨ ورصف المبانى ١٤٠ ، ١٤١ ، ٢١٧ ، ٢٥٥ والعينى ٢ : ٤١ والتصريح ١ : ١٩٢ ، والهمع ١ : ١٢٠ والأشباه والنظائر ٢ : ٣١١ والأشمونى ١ : ٢٤١ ، ويس ١ : ١٩١

(٢) يعنى قوله تعالى : « من كان فى المهد صبيا » ، وهى الآية ٢٩ من سورة مريم . وانظر شرح الرضى ٢ : ٢٧٢ .

الآية زائدة ، وليست الناقصة ، إذ لو كانت الناقصة لأفادت الزمان ، ولو أفادت الزمان لم يكن لعيسى عليه السلام فى ذلك مُعجزة ، لأنَّ الناس كلّهم فى ذلك سواءٌ ، فلو كانت الزائدة تفيد معنى الزَّمان لكانت كالناقصة ، فلم يكن للعدول إلى جعلها زائدةً فائدة . ومن مواضع زيادتها قولهم : إنَّ من أفضلهم كان زيدا ، فكان مزيدةٌ لضرب من التأْكيد ، إذ المعنى أنّه فى الحال أفضلُهم وليس المراد أنَّه كان فيما مضى ، إذ لامَدْحَ فى ذلك . ولأنَّك لو جعلت لها اسماً وخبرًا لَكَانَ التقدير : إن زيدًا كان من أفضلهم ، وكنت قد قدَّمت الخبر على اسم إنَّ وليس بظرف ، وذلك لا يجوز . وقولُ الشاعر :

* على كانَ المَسَوَّمةِ العِــرابِ * . . . البيت

كان فيه زائدة . وعند هذا القائِلِ دَلالتُها على الزَّمان يستدعى كونَها ناقصة .

الثانى : مذهب السيرافى ، قال : لسنا نعنى أن دخولها كخروجها فى كلِّ معنى ، وإنما نعنى بذلك أنَّها ليس لها عمل ، ولا هى لوقوع شىء مذكور ، ولكنَّها دالَّة على الزمان الماضى[1] وفاعلها مصدرها ، وذلك كقولك : زيد كان قائم ، تريد كان ذلك الكون ، وقد دلَّت على الزمان الماضى ، ولو خلا منها الكلامُ لوجب أن يكون ذلك فى الحال . وقول الشاعر :

* على كان المسوَّمةِ العِرابِ *

كان ذلك الكونُ . وإذا قدِّر هذا التقدير كانت كان واقعة لوقوع شىء مذكور ، وهو ذلك الكون .

---

(١) الكلام بعده إلى كلمة « الماضى » التالية ساقط من ش .

ثالثها : قال ابن يعيش : ذهب قومٌ إلى أنَّ كان زيدت على وجهين : أَحدهما أَنْ تُلغى عن العملِ مع بقاءِ معناها ، والآخر أَن تلغَى عن العمل والمعنى معاً . وإنما تدخلُ لضربٍ من التأْكيد . والأَوَّل نحو قولهم : ما كان أَحسن زيدًا ، المراد أَنَّ ذلك كان فيما مضى ، مع إلغائها عن العمل ، ومعناه ما أَحسن زيدًا أَمس ، فهى فى ذلك بمنزلة ظننت ، إذا أُلغيت بطل عملها لا غير ، نحو قولك : زيد ظننتُ منطلق . أَلا تَرى أَنَّ المراد : فى ظنِّى . وأَما الثانى فنَحو قوله :

* على كانَ المسوَّمةِ العِرابِ[1] *

ومنه قوله تعالى: ﴿ كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كَانَ فى الْمَهْدِ صَبِيًّا ﴾ . ولو أُريد فيها المضىُّ لم يكن لعيسى عليه السلام فى ذلك معجزة، لأَنَّه لا اختصاصَ له بِذَلكَ الحكمِ دونَ سائر الناس .

وقوله : (سَرَاة بنى أَبى بكر) الخ، قيل هو جمع سَرِىّ ، وقيل اسمُ جمع له ، وهو الشَّريف . قيل : ويحتمل أَن يكون بالضم ، جمعَ سارٍ كقضاة جمع قاض . و (تَسامى) أَصله تتسامى بتاءين ، من السموِّ، وهو العلوّ . و(المسوَّمَة) : الخيل التى جُعلت عليها سُومةٌ بالضم ، وهى العلامة ، وتُركت فى المرعى . (والعِراب) : الخيل العربيَّة ، وهى خلاف البراذين. والمعنى أَنَّ ساداتِ بنى أَبى بكر يركبون الخيولَ العربيَّة . وروى: (المطهَّمة) بدلَ المسوَّمة ، وهو التامُّ الخِلقة من كلِّ حيوان . وروى: (جيادُ بنى أَبى بكر) إلخ ، وهو جمع جَواد، وهو الفَرَسُ السَّريع العَدْو . والمعنى على هذه الروايةِ أَنَّ خيل هؤلاءِ تفضلُ على خيول غيرهم .

٣٥

(١) ش : « وعليه » ، وما أثبت من ط يوافق ابن يعيش .

وقال ابن هشام (فى شرح الشواهد) : السَّرِىُّ : ذو السخاءِ والمروءة ، وروى : (جياد) فإن كان جمع جيِّد فهما متقاربان ، أو جواد ، فالممدوح خيلهم ، والمعنى حينئذ : على المسوَّمة العِراب من جيادِ غيرهم .

وهذه الرواية وهذا التفسير أَظهر ، إذ ليس بمعروف تفضيلُ النَّاس على الخيل ؛ وكأَنه فهِم أَنَّ تَسامَى بمعنى التفاضُل ، وليس كذلك كما ذكرنا .

ثم قال : وتَسامَى إمَّا مضارع ، أَو ماضٍ على حدِّ : الركْب سارَ . ويؤيِّده أَنه روى : « تسَامَوْا » . ورَوَى الفرّاءُ : « المطهَّمةِ الصِّلاب » ، أَى ذوات الصَّلابة أَى الشِّدّة .

وهذا البيت مع شُهرته وتداوله لم أَقفْ على خَبر له . والله أَعلم .

تتمـــة

ذهب ابن عصفور (فى كتاب الضرائر) إلى أَنَّ زيادة كان فى الشعر ، وأَنَّها تكون دالَّة على المضىّ دائماً . وكلاهما خلاف المرضىّ . قال : ومنها زيادة كان للدلالة على الزَّمان الماضى ، نحو قول الفرزدق :

* فى الجاهليةِ كان والإسلامِ [1] *

وقول الآخر ، أَنشده الفارسى :

فى غُرَف الجنَّةِ العُليا التى وجَبتْ لهم هناك بسَعْيٍ كان مشكورِ [2]

يريد : بسَعى مشكور ، وقول الآخر ، أَنشده الفراء :

* على كان المسوَّمةِ العرابِ *

---

(١) هو الشاهد التالى لشاهدنا هذا ، وصدره :

* فى لجة غمرت أباك بحورها *

(٢) البيت للفرزدق فى ديوانه ١٦٥ والضرائر ٧٧ .

وقول غيلان بن حُرَيث :

* إلى كِناسٍ كانَ مستعيدِهِ[١] *

يريد إلى كِناسٍ مستعيدِهِ . وقول امرئ القيس ، فى الصَّحيح من القولين :

أرى أُمَّ عمرٍو دمعُها قد تحدَّرا بكاءً على عمرٍو وما كان أَصبَرَا[٢]

يريد : وما أَصبر ، أى وما أَصبرها .

وقد تزاد فى سَعَة الكلام ، ومنه قول قيس بن غالب البدرىّ[٣] : «ولدت فاطمة بنتُ الخُرشُب الكمَلة من عبس ، لم يوجَدْ كان مثلُهم» . إلاَّ أنَّ ذلك لا يحسُن إلاَّ فى الشعر . وإنما أَوردت زيادتها فى فعلٍ دون زيادة الجملة لأَنَّها فى حال زيادتها غير مسندة إلى شىء . وسبب ذلك أَنَّها لما زيدت للدَّلاله على الزمان الماضى أَشبهت أَمسِ ، فحكم لها بحكم أَمس . هذا كلامه .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد التاسع والعشرون بعد السبعمائة[٤] :

٧٢٩ (فى لُجَّةٍ غمَرَتْ أَباك بحورُها فى الجاهليّةِ كان والإسلامِ)

على أنَّ (كان) زائدة بين المتعاطفين لا عملَ لها ، ولا دلالةَ على مضىّ .

---

(١) مجاز القرآن ٢ : ٧ . ونسب فى مجاز القرآن ٢ : ١٤٠ إلى العجاج .

(٢) ديوان امرئ القيس ٦٩ .

(٣) لم أعثر له على ترجمة .

(٤) ضرائر ابن عصفور ٧٧ والأشمونى ١ : ٢٤٠ وديوان الفرزدق ٨٥٠ والنقائض ٢٦٤ .

أمَّا الأوّل فظاهر . وأمّا الثّانى فلأنَّ المعنى أنَّ الغَمْر ثابتٌ فى زمن الجاهليَّة وفى زمن الإسلام ، لاأنَّه كان فى الجاهليَّة وانقطع ؛ لأنَّ المعطوف يأْبَى هذا المعنى . وكذا (كان) فى قولهم : لم يوجد كان مثلُهم ، فإنَّها لو كانت دالَّةً على المضىّ لاقتضى أنَّه يوجد مثلُهم الآن . وهذا خلافُ المقصود .

صاحب الشاهد — والبيت من قصيدةٍ للفرزدق هجا بها جريرًا . وقبله يخاطبه :

أبيات الشاهد —
(أَشْبَهْتَ أُمَّك إذْ تعارض دارمًا ... بأَدِقَّةٍ متقاعسِينَ لئــامِ
وحسِبتَ بحرَ بنى كليب مُصدِرًا ... فغرِقتَ حين وقعْتَ فى القَمقامِ

٣٦ فى حومة غمرت أباك بحورها) . . . . . إلخ .

قوله : « أشبهت أُمّك » إلخ ، يريد : أشبه عقلُك عقلَ أُمّك حين تُفاخر بكليب دارمًا . وكليب : رهط جرير ، ودارم : فخذٌ شريف من قبيلة تميم . وأدِقَّة : جمع دقيقٍ ، يريد به الضَّعيف الضئيل . والمتقاعس : المتأَخِّر عن المجد والشَّرف . ولئام : جمع لئيم .

وقوله : « وحسبت بحر » إلخ ، ويروى : « وحسبتِ حَبْل بنى كليب » يقول : ظننت أنَّ بنى كليب ينجُّونك مما قد وقعتَ فيه حين تعرَّضتَ لى . ومُصْدِر : اسم فاعل من أصدرته ، بمعنى رَجَعته . والقَمقام : البحر .

وقوله : (فى لُجَّةٍ غمرَت) إلخ ، اللُّجَّة : معظم الماء . وروى بدله : (فى حَوْمة) بمعناه . قال شارح المناقضات : «حَومَة الماء : مجتمعُه ومُعظمُه [1] » ، وهو بدل من القمقام . و (غَمرَت) : غطَّت . والغَمْر : الماءُ الكثير . وقد غمره الماءَ يغمُره ، أى عَلاهُ . و (البحر) : الماءُ الكثير ، وكلُّ نهرٍ عظيم . (والجاهلية) : الزمان الذى كثُر فيه الجُهّال ، وهى ما قبل

---

(١) الذى فى النقائض ٢٦٤ : « مجتمعه وكثرته » .

الإسلام . وقيل أيّام الفَتْرة . وقد تُطلَق على زمن الكفر مطلقًا ، وعلى ما قبل الفتح .

وترجمة الفرزدق تقدّمت فى الشاهد الثلاثين من أوائل الكتاب[١] .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثلاثون بعد السبعمائة[٢] :

٧٣٠ (بَدَا لك فى تِلْكَ القَلُوصِ بَدَاءُ)

على أن (بَدَاءُ) فاعل بدا ، وهو مصدرٌ بمعنى اسم الفاعل ، والتقدير : بدا لك رأىٌ بادٍ ، ولمَّا كان ظاهر هذا الشعرِ على طِبْق « ثَبَتَ الثُّبوتُ » بجعل المصدر فاعلاً لفعله ، وهو مما لا معنًى له ، أجابَ عنه بما ذكر .

ولا يخفى أنَّه تكلُّف . والجيِّد ما قاله أبو على (فى كتاب الشعر) قال : أُضمر البداءُ فى قوله تعالى : ﴿ثم بَدَا لَهُمْ من بَعْدِ ما رأَوُا الآياتِ لَيَسجُنُنَّه[٣]﴾ لأنَّ البداءَ الذى هو المصدر قد صار بمنزلة العِلْم والرأى. ألا ترى أنَّ الشاعر قد أظهره فى قوله :

لعلَّك والموعودُ حَقٌّ لِقــاؤُه بَدَا لكَ فى تلك القَلوصِ بَــدَاءُ[٤]

وكذلك صنع ابن الشجرىّ فى الآية والبيت ، وقال : ألسُنُ العرب متداوِلة فى قولهم : بدا لى فى هذا الأَمرِ بَدَاءٌ ، أى تغيَّر رأْيى عما كان عليه . ويقال فلانٌ ذو بَدَوات ، إذا بدا له الرّأْىُ بعد الرأى. انتهى .

---

(١) الخزانة ١ : ٢١٧ .

(٢) الأغانى ١٤ : ١٥١ وأمالى القالى ٢ : ٧١ والخصائص ١ : ٣٤٠ وابن الشجرى ١ : ٣٠٦ والروض الأنف ١ : ١٧١ والمغنى ٣٨٨ وشذور الذهب ١٦٧ ، والتصريح ١ : ٣٦٨ ، والهمع ١ : ٣٤٧ ، واللسان (بدا ٧١) .

(٣) الآية ٣٥ من سورة يوسف .

(٤) فى النسختين : « حقاً لقاؤه » ، صوابه بالرفع كما فى معظم المراجع . وفى الخصائص : « صدق لقاؤه » . وفى الروض الأنف : « حق وفاؤه » .

وقد وقع هذا التركيب (فى سِيرة ابن هشام) ونصُّه : قال ابن إسحاق : ظنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم أنْ قد بدَا لِعمِّهِ بَدَاءٌ .

قال السّهيلى (فى الروض) : أى ظهرَ له رأى ، فسمِّى بَدَاءً لأنَّه شىءٌ يَبدُو بعدما خَفَى ، والمصدر البُدُوّ[1] ، والاسم البَداء . ولا يقال فى المصدر بدا له بُدُوٌّ ، كما لا يقال ظهر له ظهور بالرفع ، لأنَّ الذى يظهر ويبدو ههنا هو الاسم نحو البَداء . ومن أجل أنَّ البدُوَّ هو الظُّهور كان البَداءُ فى وصف البارى سبحانه محالاً ، لأنَّه لا يبدو له شىءٌ كان غائبًا عنه . والنَّسخ للحُكْم ليس ببدُوّ[2] كما توهَّمه جماعةٌ من الرافضة واليهود ، وإنَّما هو تبديل حُكْم بحكم ، بقدَر قدَّره ، وعلم قديم عَلِمَه . وقد يجوز أن يقال بدا له أنْ يفعل كذا ويكون معناه أراد . وهذا من المجاز الذى لا سبيل إلى إطلاقه إلاَّ بإذن من صاحب الشرع ، وقد صحَّ فى ذلك ما خرَّجه البخارى فى حديث الثلاثة : الأَعمى والأَقرع والأَبرص[3] ، وأنَّه عليه السلام قال : « بدَا لِلهِ أن يَبْتَلِيَهُمْ » . فبدا ههنا بمعى أراد .

٣٧

وابن أَعْيَنَ ومن اتَّبعه يُجيزون البَداءَ على الله[4] ، ويجعلونه والنَّسخَ

---

(١) فى الروض الأنف : « والمصدر البدء والبدو » . والبدو ، يقال بالفتح ، ويقال بضم الباء والدال مع تشديد الواو .

(٢) ط : « يبدو » ، صوابه فى ش والروض .

(٣) انظر الحديث وتخريجه فى الألف المختارة من صحيح البخارى . وهو الحديث رقم ٤٦٥ .

(٤) الذى فى الروض : « وذكرنا الرافضة لأن ابن أعين ومن تبعه منهم يجيزون البداء على الله » . وابن أعين هذا هو زرارة بن أعين الكوفى ، مولى بنى أسعد بن همام ، وكان رئيس الشميطية أتباع أحمر بن شميط . انظر الحيوان ٢ : ٢٦٨/٧ : ١٢٢ . وكان أحمر بن شميط هذا من أمراء المختار بن أبى عبيد الثقفى الذى كان يقول بالبداء أيضاً . وعندما انهزم أصحاب المختار وقتل أميرهم أحمر بن شميط رجع فلولهم إلى المختار وقالوا له : ألم تعدنا بالنصر على عدونا ؟ فقال : إن الله تعالى كان قد وعدنى ذلك لكنه بدا له . الفرق بين الفرق ٣٦ . فالقول بالبداء عند هؤلاء الإمامية انتقل من المختار إلى أتباعه وأتباع أتباعه ، وفى جمهرة ابن حزم ٥٩ أن عبد الله بن محمد =

شيئًا واحدا . واليهود لا تجيز النسخ ، يحسبونه بداءً . ومنهم من أجاز البَداء .

صاحب الشاهد

وروى الأصبهانى (فى الأغانى) أنَّ رجلا وعَدَ محمد بن بشيرٍ الخارجىَّ بقَلوصٍ ، وهى الناقة الشابّة ، ومَطَله ، فقال فيه يذمُّه ويمدح زيدَ بنَ الحسن بن على بن أبى طالب :

أبيات الشاهد

(لعلَّكَ والموعودُ حقٌّ لقاؤُه بَدَا لكَ فى تلك القَلوصِ بَداءُ[1]

فإنَّ الذى أَلقَى إذا قال قائلٌ من الناس : هلْ أَحسَسْتَهَا لَعَنَاءُ[2]

أقول الذى يُبدِى الشَّمَاتَ وإنَّها علىَّ وإشمات العدوِّ سواءُ[3]

دعوتُ وقد أَخلفتَنِى الوعدَ دَعوةً بزيدٍ فلم يَضْلِل هناكَ دُعاءُ[4]

بأَبيضَ مثلِ البدر عَظَّمَ حقَّه رجالٌ منَ آلِ المصطفَى ونساءُ[5])

فبلغت هذه الأبياتُ زيد بنَ الحسنِ ، فبعث إليه بقلوصٍ من جياد إبله ، فقال يمدحُه :

إذا نزلَ ابنُ المصطفى بَطْنَ تَلعةٍ نفى جَدبَهَا واخضرَّ بالنبت عودُها[6]

وزيدٌ ربيعُ النَّاسِ فى كل شَتوةٍ إذا أَخلفَتْ أَنواؤُها ورُعُودها

=ابن على بن الحسين ، وهو الملقب بالأفطح ، كانت له شيعة تدعى إمامته ، منهم زرارة بن أعين الكوفى ، محدث ضعيف ، فقدم زرارة المدينة فلقى عبد الله فسأله عن مسائل من الفقه فألفاه فى غاية الجهل ، فرجع عن إمامته ، فلما انصرف إلى الكوفة أتاه أصحابه فسألوه عن إمامه وإمامهم ، وكان المصحف بين يديه ، فأشار لهم إليه وقال لهم : هذا إمامى ، لا إمام لى غيره !

(١) فى الأغانى ١٤ : ١٥١ : « حق وفاؤه » .

(٢) فى الأغانى : « هل للواعدين وفاء » .

(٣) فى الأغانى :

أقول لمن تبدى الشمات وقولها على به بين الأنام عناء

(٤) فى الأغانى : « وقد أخلفتنى الرأى » .

(٥) لم يرد هذا البيت فى الأغانى .

(٦) الأغانى : « بالغيث عودها » .

حَمولٌ لأشتـــات الدِّياتِ كَأَنَّه سراجُ الدجى إذ قارنتْه سعودها[١]

انتهى .

وقوله : (لعلك والموعود) إلخ ، أورده ابن هشام (فى المغنى) فى الجملة المعترضة من الباب الثانى ، على أنَّ قوله (والموعود حق لقاؤه) جملة اعتراضية بين ما أصلُه المبتدأ وبين خبره .

وأحسستَها : استفدتَها . وأحسست الشيء : وجدت حِسَّه . وقوله لُعَناءُ خبر إنَّ الذى ألقى . يقول: إن قلتُ للسائل الشامت إنِّى أَفَدْتُها فقد كذبت ، وكذبى وإشماتُ العدوِّ سواءٌ .

وقوله : « بزيد » الباءُ زائدة ، أى ناديته مرَّة . وجملة وقد أخلفتَنى الوعد اعتراضيَّة .

محمد بن بشير

وقائل هذه الأبيات محمد بن بشير بن عبد الله بن عقيل الخارجى ، من بنى خارجة بن عَدْوان بن عمرو بن قَيْس بن عيلان بن مضر ، ويكنى أبا سليمان . وهو شاعرٌ فصيح حجازىٌّ من شعراء الدولة الأمويَّة ، وكان منقطعًا إلى [أبى[٢]] عبيدة بن عبد الله بن ربيعة القُرشى ، أحد بنى أسَد بن عبد العُزَّى . وله ترجمةٌ طويلة فى الأغانى .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الحادى والثلاثون بعد السبعمائة [وهو من شواهد س[٣]] :

---

(١) الأغانى : « لأسنان الديات » . وفى النسختين هنا : « إذ قاربته » ، وأثبت ما فى الأغانى .

(٢) التكملة من الأغانى .

(٣) التكملة من ش . وانظر سيبويه ١ : ٢٨٩ والمقتضب ٤ : ١١٦ والجمل ٦٢ والأزهية ١٩٧ والمغنى ٢٨٧ والعينى ٢ : ٤ والتصريح ١ : ١٩٢ والأشباه والنظائر ١ : ٤٩ ، ٦٩ والأشمونى ١ : ٢٤٠ وديوان الفرزدق ٨٣٥ .

٧٣١ (فكيف إذا مَرَرْتُ بدارِ قَومٍ وجيرانٍ لنا كانوا كِرامِ)

على أنَّ (كان) فيه ناقصة كما ذهب إليه المبرّد ، الواو اسمها ، ولنا خبرها ، وليست زائدة كما قال سيبويه : وقال الخليل : إنَّ من أفضلهم كان زيدًا على إلغاء كان . وشبَّهه بقول الشاعر :

فكيف إذا رأيت ديار قوم وجيرانٍ لنا كانوا كِـرامِ اهـ .

قال الأعلم : الشاهد فيه إلغاء كان وزيادتها ، توكيدًا وتبيينًا لمعنى المضىّ ، والتقدير : وجيران لنا كرام كانوا كذلك . وقد ردَّ المبرد هذا التأويل وجعل قوله «لنا» خبرًا لها ، والصحيح ما ذهبَ إليه الخليل وسيبويه من زيادتها ، لأنَّ قوله لنا من صلة الجيران ، ولا يجوز أن تكون خبرًا لكان إلاَّ أن تريد معنى المِلك ، ولا يصح المِلْك ههنا ، لأنَّهم لم يكونوا لهم مِلْكاً ، إنَّما كانوا لهم جيرة . انتهى .

٣٨

ولا يخفى أنَّ هذا تعسُّفٌ منه ، ولا فرق بين قولك : جيران لنا وبين كانوا لنا ، فإنَّ الواو فى كانوا ضمير الجيران ، واللام للاختصاص لا للمِلك .

وقد نسب الزجاج (فى تفسيرِهِ) زيادة كان فى البيت إلى المبرد ، ونقل عنه غلطةً لم يغلطها أصاغر الطلبة ، قال عند قوله تعالى: ﴿إنَّه كانَ فاحشةً ومَقْتًا[1]﴾ : قال محمد بن يزيد : جائِزٌ أن تكون كان زائدة فالمعنى على هذا إنَّه فاحشة ومقت . وأنشد فى ذلك قول الشاعر :

فكيف إذا حللتَ ديارَ قــومٍ وجيــرانٍ لنا كانوا كــرامِ[2]

---

(١) الآية ٢٢ من سورة النساء .

(٢) فى المقتضب : « إذا رأيت ديار قوم » .

وهذا غلطٌ من أبي العباس لأنَّ كان لو كانت زائدةً لم تنصب خبرها[1] . انتهى .

وهذا نقلٌ شاذٌّ ، وكلهم أجمعوا على أنَّ زيادة كان فى البيت إنَّما قال به سيبويه . لكنَّ الزجاج تلميذ المبرد ، وهو أدرى بمذهب شيخه . والله أعلم .

وتجويز المبرد زيادة كان فى الآية مع نصب خبرها خطأٌ ظاهر[2] .

قال ابن السِّيد (فى أبيات المعانى) : وكان أبو العباس محمد بن يزيد المبرِّد يمتنع من زيادة كان فى البيت ، ويقول : : إنَّما تلغى إذا كانت مجرَّدة لا اسمَ لها ولا خبر ، وأما فى البيت فالواو اسمها ، ولنا الخبر ، وكرام صفة لجيران . وقد ردَّ الناس هذا وقالوا : يجوز أن تكون[3] الواو حرفًا دالاً على الجمع يؤكِّد به الجيران ، كالواو فى أكلونى البراغيثُ . وهذا مذهبُ كثيرٍ من البصريِّين وبعض الكوفيين . ولأنَّه يقدَّر بلنا التأْخير ، وهو صفة لجيران وقد حلَّ محله من حيث تبع الموصوف : ولا حاجةَ تدعو إلى انتزاعه من موضعه وتقديره مؤخَّراً . وهذا حجة أبى على . انتهى .

أقول : هذا التوجيه ضعيفٌ جداً ، فإنَّ القول بحرفيَّة واو الجمع انَّما هو إذا كان بعدها جمع مرفوع كما فى المثال ، وأمَّا إذا لم يأْتِ بعدها جمعٌ مرفوع فلم يقل أحدٌ إنَّها تأْتى حرفًا دالاً على الجمع . والصواب

---

(١) هذا تجن من الزجاج على المبرد ، فإن المبرد إنما حكى قول النحويين ، من زيادة كان ، ولم يرتضه ، بل رد عليه قائلا : « وهو عندى على خلاف ما قالوا من إلغاء كان ، وذلك أن خبر (كان) (لنا) ، فتقديره : وجيران كرام كانوا لنا . انظر المقتضب ٤ : ١١٧ وما نقله البغدادى فيما سيأتى عن ابن السيد .

(٢) انظر الحاشية السابقة .

(٣) ش : « يكون » .

ما وجَّه به الشارح المحقق ، وهو أنَّ كان زِيدت مع الفاعل لأنَّه كالجزء منها ، لأنَّهم قالوا : والفاعل كالجزء من الفعل .

واستدلَّ صاحب اللباب على أنَّهما كالكلمة الواحدة باثنى عشر وجهاً ، منها زيادة الفعل مع الفاعل فى نحو هذا البيت . قال شارحه (الفالى[1]) : تقريره أنَّهم حكموا بأنَّ «كانوا» زائدة وإن كان الفعل وهو «كان» وحده زائدًا ، ولكنْ لما كان الفاعل كالجزء لم يَفُكُّوهُ عن الفعل ، فحكموا بزيادتهما جميعاً . انتهى .

وأبو على لم يجعل الواو فاعل كان ، وإنَّما جعلها ضميرًا مؤكِّداً للضمير المستتر فى الظرف الواقع صفة لجيران ، أعنى قوله لنا ، قال : لنا فى موضع الصِّفة لجيران، وفيه ضميرهم مستتر على ما عُهِد من حكم الجارّ والمجرور إذا وقع صفة ، والضمير المتَّصل بكان تأكيد له ، ولم يكنْ بُدٌّ من اتصاله لأنَّه لايقوم بنفسه . واستدلَّ على ذلك بقول الشاعر[2] :

نحنُ بغــرسِ الوَدِىِّ أَعلمُنَا   مِنَّا بطَعْنِ الكُماةِ فى السُّدَفِ

قال : فنَا من أعلمُنَا لا حاجة إليه ، لأنَّ أعلم أفعل ، وأفعل إمّا أن يضاف ، وإما أنْ يتصل بمن ويُمنَع[3] من إضافته . وإذا كان كذلك فلابدَّ من تخريج يصحُّ عليه الاعراب ، وذلك أنَّه تأكيد للضَّمير فى منَّا . ولقوَّةِ تناوله قدَّموه ليدلُّوا على شدَّةِ اتصاله . وإذا جاز ذلك فى أعلم [مع[4]] ما بعده كان فى كان أولى وأحسن .

هذا كلامه ، ونقله عنه اللخمى (فى شرح أبيات الجمل) .

---

(١) فى النسختين : «القالى» بالقاف ، تصحيف سبق التنبيه عليه فى مواضع كثيرة .

(٢) هو سعد القرقرة ، أو قيس بن الخطيم . وانظر معجم الشواهد .

(٣) فى النسختين : «يمنع» ، والوجه إثبات الواو قبلها .

(٤) التكملة من ش .

٣٩ وقد جمع ابن هشام (فى شرح الشواهد) جميعَ ما للعلماءِ من التخاريج فى هذا البيت قال :

« لنا » قيل خبر مقدَّم ، ثم اختلف على قولين :

أَحدهما : أَنَّه خبر مبتدأ ، والأَصل لنا هم ، ثم زيدت كان بينهما فصار لنا كان هم ، ثم وصل الضمير إصلاحًا للَّفظ ، لأَنَّه لا يصحُّ وقوعه منفصِلا إلى جانب فعلٍ غير مشتغل بمعمول .

والثانى : أَنه خبر لكان وأَنَّها ناقصة ، وهو قول المبرِّد وجماعةٍ ، وعليه فالجملة صفةٌ لجيران، وتقدَّمت على الصفة المفردة ، والأَكثر فى الكلام تقديم المفردة .

وقيل لنا صفَةٌ لجيران ، ثم اختُلِف على قولين أَيضاً :

أَحدهما : أَنَّ كان تامة والضمير فاعل ، أَى وُجِد . ورُدَّ بأَنَّه لا فائدة فى الكلام على هذا القول .

والثانى : أَنَّها زائدة ، ثم اختلف فى الاعتذار عن الضمير على قولين: أَحدهما أَنَّ الزيادة لا تمنع العمل فى الضمير كما لم يمنع إلغاءُ ظنَّ عملَها فى الفاعل مطلقًا . قالهُ [1] ابنُ السِّيد وابنُ مالِك . وفيه نظر ، لأَنَّ الفعل الملغَى لم ينزَّل منزلة الحروف حتَّى لا يليق الإسناد إلى الفاعل ، وإنَّما هو فعلٌ صحيح وُضِع لقصد الإسناد . والثانى: أَنَّ الأَصل: كان هم،على أَنَّ الضمير توكيدٌ للضمير المستتر فى لنا ، ثم زيدت كان بينهما ، ووُصل الضميرُ للإصلاح . انتهى .

---

(١) ط : « قال » ، صوابه فى ش .

وقد لخَّصَه (فى المغنى) فى بحث لعلّ .

وقوله: على تقدير كونها تامّة مع فاعلها أنَّه لا فائدة فى الكلام[1] — ممنوع ، فإنَّها صفة لجيران بمعنى ثبتوا وحَصَلوا . وما أورده أوّلاً من أنَّ الأَصل لنا هم ، ثم زيدت كان بينهما ، فاتَّصل بها الضمير ، هو قول صاحب الكشَّاف ، قال فى قوله تعالى : ﴿ وإنْ كانت لكبيرةً[2] ﴾ : وقرأ اليزيدىُّ : (لكبيرةٌ) بالرفع ، ووجهها أن تكون كان مزيدة ، كما فى قوله : «وجيران لنا كانوا كرام» الأَصل: وإن هى لكبيرة ، كقولك : إنْ زيدٌ لمنطلق ، ثم وإنْ كانت لكبيرة . انتهى .

قال أَبو القاسم على بن حمزة البصرى اللغوى (فى كتاب التنبيه على أغلاط أبى زيادٍ[3] الكلابى فى نوادره): روى أبو أحمد عبد العزيز بن يحيى بن أحمد بن عيسى بن يزيد الجُلودى ، فى أَخبار الفرزدق ، بإسنادٍ متَّصل ذكره، أنَّ الفرزدقَ حضرَ عند الحسَن البصرى ، فأَنشده :

أَقولُ إذا رأَيتُ ديارَ قومى ⁂ وجيرانٍ لنـــا كانوا كرامِ

فقال له الحسن : كرامًا يا أَبا فراس . فقال الفرزدق : ما ولدَتْنى إلاَّ مَيْسانية ، إنْ جازَ ما تقولُ يا أَبا سعيد . قال : وأُمُّ الحسن من مَيْسان. فهذا ردُّ الفرزدق عن نفسه . وقد أَصاب ، وتقدير قوله : وجيران كرام كانوا لنا . انتهى .

---

(١) انظر ما مضى فى الصفحة السابقة س ١١ — ١٢

(٢) من الآية ١٤٣ من سورة البقرة : « وإن كانت لكبيرة إلا على الذين هدى الله » .

(٣) ط : « أبى زيد » ، صوابه فى ش . واسمه يزيد بن عبد الله بن الحر بن همام بن دهن ابن ربيعة بن عمرو بن نفاثة . انظر حواشى الحيوان ٦ : ١٢٨ . قال ابن النديم ٦٧ : قدم بغداد أيام المهدى حين أصابت الناس المجاعة ، ونزل قطيعة العباس بن محمد ، فأقام بها أربعين سنة ، وبها مات . وكان شاعراً من بنى كلاب بن عامر . وأقول : إن هذا القسم من التنبيهات قد باد فيما باد من نصوص التنبيهات .

وميسان : قريةٌ من قرى العراق . يريد إنّى لم أكنْ من العرب العَرْباءِ بل من المولَّدين إنْ صحَّ ما لحَّنتنى فيه .

صاحب الشاهد

والبيت من قصيدةٍ للفرزدق يمدح بها هشام بنَ عبد الملك ويهجو جريراً ، وأوّلها :

أبيات الشاهد

(ألسْتُمْ عائجين بنا لَعَنَّا ... نَرَى العَرَصَاتِ أو أَثَرَ الخيامِ

فقالوا إنْ عَرَضْتَ فأَغنِ عَنَّا ... دُموعاً غير راقئةِ السِّجامِ [(١)]

فكيفَ إذا مررتُ بدار قوم ... وجيرانٍ لنا كانوا كرامِ [(٢)]

أُكفكفُ عَبْرَةَ العينين مِنِّى ... وما بعدَ المدامع من لِمامِ [(٣)])

قوله : « ألستم عائجين » إلخ ، الهمزة للاستفهام التقريرى، وروى « هَلَ اَنْتَم » بدله . وعائجون : جمع عائج ، اسم فاعل من عُجت البعير ٤٠ أَعُوجُه عَوْجاً ، إذا عطفْتَ رأْسَه بالزِّمام . والباءُ فى بنا بمعنى مع . وروى العينى فقط : « عالجون » باللام ، وقال : أى داخلون فى عالج ، وهو اسم موضع . ولم أره لغيره . وليس فى الصحاح عالَجَ بمعنى دخل فى عالج . ولَعَنَّا أى لعلَّنا . ولعَنَّ لغة فى لعَلَّ. وعَرصة الدار : ساحتها ، وهى البقعة الواسعة التى ليس فيها بناءٌ ، وسمِّيت عَرصةً لأَنَّ الصِّبيان يَعرِصون فيها، أى يلعبون ويَمْرحون .

وقوله : « إنْ عرَضْتَ » كذا رواه محمد بن المبارك (فى منتهى الطلب من أشعار العرب) : قال صاحب الصحاح : وعَرَض الرجلُ ، إذا أتى

---

(١) فى ديوان الفرزدق ٨٣٥ : « فقالوا إن فعلت » .

(٢) فى الديوان : « فكيف إذا رأيت ديار قومى » وفى النقائض ١٠٠٤ : « وكيف إذا رأيت ديار قوم » .

(٣) فى الديوان : « من ملام » . وفى النقائض : « من كلام » .

العَرُوض، وهى مَكَّة والمدينة وما حولَهُمَا . قال :

* فيا راكبًا إمَّا عرَضْتَ فبلِّغَنْ[(١)] *

وقول الكميت :

* فأَبلغ يزيدَ إنْ عَرَضْتَ ومُنذِرًا[(٢)] *

يعنى إنْ مررت به . انتهى .

وما هنا يحتمل كلاًّ منهما . وروى أيضًا : « إن فعلتَ » بدلَه ، أى فعلت العَوْج وهو عَطْفُ رأس الناقة بالزمام . وقوله : « فأَغنِ عَنَّا » هو أمرٌ من قولهم : أغنيت عنك ، أى أجزأْت مَجزأَةً . يريد أنَّ أصحابَه لم يوافِقوه على عطفِ الزِّمام. وقوله : « دموعاً » أصله بدموع ، فلما حذفت الباءُ نصب. وراقئة بالهمز ، من رقأَ الدمع رَقْئًا ورُقوءًا ، إذا سكَن. والسجام : مصدر سجَمَ الدمع سُجُومًا وسِجَامًا ، أى سال .

وقوله : (فكيف إذا مررتُ) إلخ ، كيف استفهام وفيها معنى التعجُّب ، وهى هنا ظرف ، والعامل فيها فعلٌ محذوف دلَّ عليه الكلام ، وهو أكوْن ، وهو مقدَّر بعدها ، لأَنَّ الاستفهام لا يعمل فيه ما قبله . والتقدير : على

---

(١) صدر بيت مشترك بين شاعرين أحدهما عبد يغوث بن وقاص الحارثى الجاهلى ، وبيته :

فيا راكبا إما عرضت فبلغن ندامای من نجـران أن لا تلاقيا

والآخر مالك بن الريب المازنى ، وبيته :

فيا راكبا إما عرضت فبلغن بنى مالك والريب ألا تلاقيا

(٢) عجزه ، كما فى اللسان (عرض ٣٥ نمس ١٣٠) وتكملة الصاغانى ٣ : ٤٤١ ،

* وعميهما والمستسر المنامسا *

وانظر ديوان الكميت ١ : ٢٤٥ . وفى التكملة :

« هكذا وقع : وعميهما على التثنية . والصواب : وعمهما على التوحيد . ويزيد هو يزيد بن خالد بن عبد الله . ومنذر هو منذر بن أسد بن عبد الله . وعمهما هو إسماعيل بن عبد الله . والمستسر هو خالد بن عبد الله » .

أيٍّ حال أكون إذا مررت بدار قوم إلخ ، وجواب إذا محذوف لدلالة ما تقدَّم عليه ، وهو العامل فيها . كذا قال اللخمى .

وقال ابن هشام : كيف ظرفٌ لأُكفكف[١] . وفيه نظر . والتاءُ فى مررتُ للمتكلِّم ، بدليل لنا ، وأُكفكف . وروى بدله : « رأيتُ » . وقوله : أُكفكف : أَحبس . والعَبْرة ، بالفتح : الدَّمعة . واللِّمام بكسر اللام بعدها ميم . كذا فى منتهى الطلب ، والمشهور « من ملام » .

وترجمة الفرزدق تقدمت فى الشاهد الثلاثين من أوائل الكتاب[٢] .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثانى والثلاثون بعد السبعمائة ، وهو من شواهد س[٣] :

٧٣٢ (كأَنَّ سبيئةً من بيتِ رأسٍ يكون مزاجُها عَسَلٌ ومـــاءُ[٤])

على أَنَّ أَبا البقاء جوَّز زيادة (يكون) بلفظ المضارع ، وادَّعى أَنَّها هنا زائدة على روٰاية رفع مزاجُها على المبتدإ وعسل خبرها .

وكذلك قال ابن السِّيد (فى أَبيات المعانى) : تكون[٥] زائدة لا اسمَ لها ولا خبر ، فيكون قوله (مزاجُها عسلٌ) جملةً من مبتدإٍ وخبر . وقد عطف ماءُ على الخبر فرفع .

---

(١) ش : « كيف لأكفكف » ، صوابه فى ط .
(٢) الخزانة ١ : ٢١٧ – ٢٢٣ .
(٣) فى كتابه ١ : ٢٣ . وانظر سيرة ابن هشام ٨٢٩ والروض ٢ : ٢٨٠ والكامل ٧٣ والمقتضب ٤ : ٩٢ والأصول ١ : ٧٣ ، ٧٤ والجمل ٥٨ والمحتسب ١ : ٢٧٩ وابن يعيش ٧ : ٩١ ، ٩٣ وتسهيل الفوائد ٣٦ والمغنى ٤٥٣ ، ٦٩٥ والهمع ١ : ١١٩ والأشباه والنظائر ١ : ٢٧١ ، وديوان حسان ٣ .
(٤) ط : « كأنه » ، صوابه فى ش وسائر المراجع .
(٥) كذا فى النسختين ، وهى رواية صحيحة فى البيت ستأتى فى الصفحة التالية .

وذهب ابن الناظم أيضًا (فى شرح الألفيَّة) إلى أنَّ زيادتها بلفظ المضارع نادر . كقول أمِّ عَقيل رضى الله عنه :

أنتَ تكونُ ماجدٌ نبيلُ إذا تهُبُّ شَمْألٌ بليلُ[١]

وارتضاه ابنُ هشام (فى شرح شواهده)، لكنَّه أنكر زيادتها (فى المُغنى)، قال : ويروى برفعهنَّ . أى برفع « مزاجُها عسل وماءُ » على إضمار الشأن . وأمَّا قول ابن السِّيد : إنَّ كان زائدة ، فخطأ ؛ لأنَّها لا تزاد بلفظ المضارع بقياس . ولا ضرورة لدعوَى ذلكَ هنا . انتهى .

٤١ وهذا التخريج مشهور ، وذكره[٢] ابن خلفٍ وغيره ، فيكون اسمها ضميرَ الشأن والأمر ، وجملة « مزاجها عسل » من المبتدإ والخبر خبرها . وذكر ابن هشامٍ اللَّخمى تخريجًا آخر بعد ذلك ، قال : اسم يكون ضمير سَبيئة ، وجملة «مزاجُها عسلٌ» فى موضع الخبر ، أَوْ إنَّ[٣] خبرَها مقدَّم عليها ، وهو قوله من بيت رأس ، وجملة تكون من بيت رأس صفة لسَبيئة ، وجملة مزاجها عسل صفة ثانية لها . قال : وعلى هذين القولين يقال « تكون » بالتاء . والسابق إلى هذا التخريج ابنُ السِّيد (فى أبيات المعانى) .

ثم قال : والأَحسن أن تَقول[٤] على هذا الوجه : تكون بالتاء ؛ لأَنَّ السُّلافة مؤنثة ، ولو قلت بالياء جاز ، لأَنَّ التأنيث غير حقيقى ، وليس بالجيِّدِ .

---

(١) العينى ٢ : ٣٩ والتصريح ١ : ١٩١ والهمع ١ : ١٢٠ والأشمونى ١ : ٢٤١ وأم عقيل بن أبى طالب هى فاطمة بنت أسد بن هاشم ، أم جميع ولد أبى طالب . انظر جمهرة ابن حزم ١٤ وما سيأتى .

(٢) ش : « ذكره » بدون سبق للواو .

(٣) ط : « وإن » ، صوابه فى ش .

(٤) ط : « يقول » ، وأثبت ما فى ش .

أَقول : إِذا أُسند الفعل إِلى ضمير المؤنث المجازى » فالتأْنيث واجبٌ إِلاَّ فى الضَّرورة ، وإِنَّما جواز التأْنيث فى الإِسناد إِلى ظاهره .

وأَما بيت أُمّ عقيل فلم أَر من خرَّجه . وأَقول بعون الله تعالى : إِنَّ اسمَ تكون ضمير المخاطَب المستتر فيها، وخبرها محذوف ، وماجدُ خبر أَنت ، والتقدير : أَنت ماجد نبيل تكونُه ، أَو تكون ذاك ، والجملة اعتراضيَّة بين المبتدأ والخبر .

وأُمُّ عَقِيل هى أُمُّ على بن أَبى طالب رضى الله عنهما ، واسمها فاطمة بنت أَسَد بن هاشم بن عبد مناف .

وهذا الرجز كانت ترقِّص به عَقِيلاً لمَّا كان طفلا . وقبله :

إِنَّ عَقِيــلا كاسمه عَقِيــلُ   وبِيَبِى الملفَّفُ المحمــولُ

وآخره :

* يُعطى رجالَ الحىِّ أَو يُنِيلُ *

وعَقيل كلِّ شىءٍ:أَفضلُه . وبَيبى : بِـأَبِى ، أَى يفدَّى بـأَبِى أَو مفدًّى به.

ورواه الأَزدى (فى كتاب الترقيص) :

أَنتَ تكونُ السيِّدُ النَّبيلُ   إِذا تهُبُّ الشمْأَلُ البَليلُ(١)

ورواية سيبويه فى البيت المتقدّم بنصب مزاجَها ، على أَنَّه خبر مقدم ، ورفع عسَل على أَنَّه اسمٌ مؤخَّر . وإِنْ شاءَ الله يـأْتى الكلامُ عليها فى آخر الباب .

---

(١) ط : « شمأل بليل » ، وأثبت ما فى ش .

وروى أيضاً برفع مزاجها ونصب عسَلٌ على الاسم والخبر ، ويكون ارتفاع ماءٌ بفعل محذوف تقديره: ومازَجَها ماءٌ ، لأَنَّ الشىءَ إذا خالط شيئًا فقدخالطه ذلك الشىءُ أَيضاً . وهذه روايةُ أَبى عثمان المازنى ومختارُه، نقله عنه ابنُ السِّيد وابنُ خلف وغيرُهما .

وخبر كأَنَّ المشدَّدة فى بيتٍ يليه ، وهو :

(على أَنيابها أَو طَعْمَ غَضٍّ   من التُّفَّاحِ هَصَّرَهُ اجتنـاءُ)

فقوله « على أَنيابها » هو الخبر . والأَنياب أَربعة أَسنان : ثنتان من يمين الثنايا: واحدة من فوق وواحدة من أَسفل ، وثنتان من شِمالها كذلك . شبَّه طَعم ريقِها بطعم خَمرٍ قدمُزِجت بعَسلٍ وماءٍ ، أَو بطَعْم تُفَّاح غضٍّ قد اجتُنِىَ . فطعمَ بالنصب معطوفٌ على سبيئة . وهَصَّره : أَمالَه . والاجتناءُ : أَخْذُ الثَّمر من الشجر . ويروى بدله: « جِناءُ » بكسر الجيم ، وهو الثمر بعينه .

والبيت الثانى ثابتٌ فى ديوان حسَّان ، وهو عندى نُسخةٌ قديمةٌ تاريخ كتابته سنة أَربع وثلاثين وثلثمائة .

وكذا رواه من تكلَّم فى شعره. وقد أَنكره السهيلى (فى الروض) وقال: قوله : « كأَنَّ سبيئة » خبر كأَنَّ فى هذا البيت محذوف ، تقديرُهُ : كأَنَّ فى فيها(١) . ومثلُه فى النكرات حَسَنٌ(٢) كقوله :

* إنَّ محَلاً وإنَّ مرتحلاَ(٣) *

(١) فى الروض ٢ : ٢٨٠ : « كأن فى فيها خبيئة » .
(٢) فى الروض : « ومثل هذا المحذوف فى النكرات حسن » .
(٣) صدر بيت للأعشى فى ديوانه ١٥٥ . وعجزه :
* وإن فى السفر ما مضى مهلا *

أى إنَّ لنا مَحلًّا . وكقول الآخر[(١)] :

٤٢ * ولكنَّ زنجياً طويلاً مشافرُه[(٢)] *

وزعم بعضهم أنَّ بعده بيتًا فيه الخبر ، وهو « على أنيابها » البيت . وهو مصنوعٌ لا يشبه شعر حسّانٍ ولا لفظَه . انتهى .

والسبيئة : فعيلة بمعنى مفعولة . وهى الخمر التى تُسبَأُ ، أى تُشترى بالهمز . قال المبرد (فى الكامل) وأنشد البيت : يقال سبأْت الخمر سبئًا ، إذ اشتريتَها . والسابئُ : الخمَّار . قال ابن السِّيد : إنَّما السابئُ مُبتاع الخمر لا بائِعُها . وهذا منه غلط . وفى القاموس : سبأَ الخمرَ كجعل، سبئًا وسِباءً ومَسْبأً : شرَاها كاستبأَها . وبيَّاعها السَّبَّاءُ . والسبيئة . ككريمة : الخمر . ثم قال فى المعتلّ: سَبَى العدوَّ : أَسرَه . والخمرَ سبيًا وسِباءً ، ووَهم الجوهرى : حملَها من بلد إلى بلد . انتهى .

والجوهرى قيَّد السَّبءَ بشرائها للشُّرب . قال : فأمَّا إذا اشتريتها لتحملَها إلى بلدآخر قلت :سَبيتُ الخمر. فشراؤها للتِّجارةيكونعنده بالياء .

وردَّ عليه الصفدى (فى نفوذ السهم ، فيما وقع للجوهرى من الوهم). قال : هذا تحكُّم منه، ودَعْوَى بلاد ليل . وقول ابن هَرْمة :

---

(١) هو الفرزدق من قصيدة فى الأغانى ١٩ : ٢٤ يهجو بها أيوب بن عيسى الضبى. وليست فى ديوانه .

(٢) صدره :

* فلو كنت قيسياً إذن ما حبستنى *

وهو الشاهد ٨٧٩ فيما سيأتى . وروى : « فلو كنت ضبياً عرفت قرابتى » .

خَــودٌ تعــاطيكَ بَعْدَ رَقْدتِهــا إذا تلاها العيون مهدؤهــا[١]
كأْسًا بفيهــا صَهباءَ مُعْرَقَــةً يَغلو بـأَيدى التِّجــارِ مَسبَؤُها

يشهد بخلاف هذا الفرق الذى أبداه[٢] . ولا يجوز سبيت الخمر بالياء إلّا على قول من يرى تحويل الهمزة. انتهى .

وروى: « كأَنَّ سُلافة » ، والسلافة : الخمر ، وقيل خلاصة الخمر ، وقيل ما سال من العِنب قبل العصر ، وذلك أَخلَصُها . واشتقاقُها من سَلفَ الشئُ ، إذا تقدَّم. وروى أَيضاً : « كأَنَّ خبيئة » ، وهى الخمر المخبَّأَة المَصُونة المضنونُ بها. وقوله: (من بيتِ رأْسٍ) متعلِّق بمحذوف على أنَّه صفةٌ أُولى لسبيئة ، وجملة (يكون) إلخ صفة ثانية لها ؛ كأَنَّه قال : سبيئةً مشتراةً من بيت رأْسٍ ممزوجةً بعَسلٍ وماءٍ . وبيت رأْس : موضع ، قال ابن السيد (فيما كتبه على كامل المبرد) : قال عبيد الله[٣] ابن عبد الله[٤] بنُ خُرْداذَبه : بيت رأْس : اسمُ قرية بالشام من ناحية الأُردنّ ، كانت الخمورُ تُباع فيها ، وبه ماتت حَبَابة[٥] جاريةِ يزيدَ بن

(١) فى ديوان ابن هرمة ٤٩ واللسان والتاج « سبأ » : « إذا يلاقى العيون » . وما فى شرح شواهد المغنى يطابق ما هنا .

(٢) هكذا فى النسختين بالهمز . أبدأه : ابتدعه .

(٣) ش : « أبو عبيد الله » ، صوابه فى ط . وهو الجغرافى المشهور أبو القاسم عبيد الله بن عبد الله بن خرداذبه ، صاحب كتاب المسالك والممالك الذى نشره دى غويه سنة ١٣٠٦ فى ليدن . وكان خرداذبه مجوسياً أسلم على يد البرامكة ، فتولى أبو القاسم هذا البريد والخبر بنواحى الجبل . الفهرست ٢١٢ ودائرة المعارف الإسلامية ١ : ١٤٩ .

(٤) ويقال « ابن أحمد » أيضاً .

(٥) حبابة هذه بتخفيف الباء . وفيها يقول يزيد :

أبلغ حبابة أســقى ربعهــا المطــر ما للفــؤاد ســوى ذكراكم وطر

الأغانى ١٣ : ١٥٤ . ويقول القعقاع بن خليد العبسى مخاطباً لابن هبيرة :

هــلم فقــد ماتت حبابــــة سامنى بنفسك يقــدمك الذرى والكواهل
أغرك أن كانت حبابـــة مـــرة تميحك فانظر كيف ما أنت فاعل

ابن الأثير ٥ : ٩٩ — ١٠٠ ، وكان ابن هبيرة يهدى لها ويبرها تملقاً منه ليزيد .

عبد الملك ، فمات يزيدُ بعد بضعَ عشرةَ جزعًا عليها . انتهى . وقيل : بيتٌ : موضع الخمر ، ورأسٌ : اسمٌ للخمَّار . وقَصد إلى بيت هذا الخمَّار لأَنَّ خمره أَطيبُ الخمر . وقيل الرأس هنا بمعنى الرّئيس ، أى من بيت رئيس . قال اللخمى : وهذا أحسن الأَقوال ؛ لأَنَّ الرؤساءَ إنَّما تشرب الخمر ممزوجةً . وإنَّما اشترط أن يمزُجَها لأَنَّها خمرٌ شاميّة صَليبة ، فإن لم تُمزَجْ قتلتْ شاربَها . وخصَّ العسلَ والماءَ لأَنَّ العسل أَحلى ما يخالطها ، وأَنَّه يذهبُ بمرارتها ، وأَمَّا الماءُ فيبرِّدها ويليِّنها . وقيل: إنَّما عنَى شرابَ الرُّؤساءِ والملوك على قول من جعَلَ رأْسًا : بمعنى رئيس ،لأَنَّها إذا مُزِجَتْ لا يشْرَبُها إلاَّ الرؤساءُ وأَشرافُ النَّاس ، كراهيةَ أَن تُخرجَهم عن عقولهم . أَلا ترى إلى قول عدىّ بن زيد :

رُبَّ ركبٍ قد أَناخُوا حولنَـــا يَشرَبون الخمرَ بالماءِ الزُّلالْ[1]

وقد عابت على جذيمةَ الأَبرشِ أُختُه شُربَ الخمرِ صِرفًا لأَمرٍ لحِقَها من ذلك ، فقالت له :

ذاكَ من شُربِك المُدامةَ صِــرفًا وتَمادِيك فى الصِّبــا والمُجُونِ

وقد مدح الله خمرَ الجنَّة لمَّا لم يكن الشاربُ يَزْوِى وجهَه لها ، فقال عزَّ من قائل: ﴿وأَنهارٌ من خمرٍ لَذَّةٍ للشاربِينَ[2]﴾ ، أى إنَّ الشارب إذا شَرِبَها لم يقطِّب وجهَه ، ولم تُخرجْه عن عَقله . ٤٣

وبيتُ حَسَّان مع ما بعده مأْخوذٌ من قول امرئ القيس ، وإن كان فى قول امرئ القيس زيادةٌ أَحْسَنَ فيها ما شاءَ ، وأَتبع دَلْوَه فى الإجادة الرِّشاءَ ، فقال :

---

(١) ديوان عدى بن زيد ٨٢ . وانظر تخريجه فيه .

(٢) الآية ١٥ من سورة محمد .

كأَنَّ المُدامَ وصَوبَ الغَمامِ ... وريحَ الخُزامَى ونَشْرَ القُطُرْ[1]
يُعَلُّ به بَردُ أنيابِها ... إذَا طرَّبَ الطائِرُ المستَحِرْ

والزيادة التي زادها قوله « إذا طرَّب الطائر المستحِر » يعني عند تغيُّر الأَفواه . فشبَّه حسان ريقَ هذه المرأةِ بخمر ممزوجةٍ بعسل وماءٍ ، أو بطعم غَضٌ من التُّفَّاح .

صاحب الشاهد

والبيت من قصيدةٍ لحسانَ بن ثابت قالها قبل فتح مكَّة، مدح بها النبيَّ صلى الله عليه وسلم وهجا أَبا سُفيان ، وكان هجا النبي صلى الله عليه وسلم قبل إسلامه ، وهي هذه :

أبيات الشاهد

(عَفَتْ ذاتُ الأَصابعِ فالجِواءُ ... إلى عَذراءَ مَنزلُها خلاءُ[2]
ديارٌ من بني الْحَسحاسِ قَفرٌ ... تُعفِّيها الرَّوامسُ والسَّماءُ
وكانت لا يزال بها أَنيسٌ ... خِلالَ مُروجها نَعَمٌ وشاءُ
فدَعْ هذا ولكن مَنْ لِطَيْفٍ ... يُؤرِّقني إذا ذَهَبَ العِشاءُ
لِشَعثاءَ التي قد تيَّمَتْهُ ... فليس لقلبهِ منها شفاءُ
كأَنَّ خبيئةً من بيتِ رأْسٍ ... يكون مزاجَها عسَلٌ وماءُ[3]
إذا ما الأَشرِباتُ ذُكِرن يومًا ... فهنَّ لطيِّبِ الرَّاحِ الفِداءُ
نُولِّيها المَلامةَ إنْ أَلَمْنا ... إذا ما كان مَغْثٌ أَو لِحاءُ
ونشربُها فتتركُنا ملوكًا ... وأُسدًا ما يُنَهْنِهُنا اللقاءُ
عَدِمنا خَيلَنَا إن لم تَرَوْها ... تُثِير النَّقعَ مَوعِدُها كَداءُ

(١) ديوان امرئ القيس ١٥٧ — ١٥٨ .

(٢) ديوان حسان ٣ — ١٠ ، والسيرة ٨٢٩ — ٨٣٠ .

(٣) في الديوان : « كأن سبيئة » . وبعد هذا البيت في الديوان فقط :

على أنيابها أو طعم غض ... من التفاح هصره الجناء

يُبارِين الأَسِنَّـة مصغِيات ... على أكتافها الأَسَلُ الظِّماءُ[(١)]

تظلُّ جيادُنا مُتَمَطِّرات ... تُلطِّمهُنَّ بالخُمُر النِّساءُ

فإمّا تُعرِضوا عنّا اعتمرنا ... وكانَ الفتحُ وانكشَفَ الغِطاءُ

وإلاَّ فاصبِرُوا لجِلادِ يوم ... يُعِين اللهُ فيه مَن يَشاءُ[(٢)]

وقال اللهُ: قد يَسَّرتُ جندًا ... همُ الأَنصارُ عُرْضَتُها اللِّقاءُ

لنا فى كلِّ يوم من مَعَدٍّ ... قِتالٌ أو سِبابٌ أو هِجاءُ

فنُحْكِمُ بالقوافى مَنْ هجانا ... ونَضرِب حين تختلطُ الدِّماءُ

وقال الله :قد أرسلتُ عبدًا ... يقولُ الحقَّ إنْ نَفَعَ البَلاءُ

شَهِدتُ به وقومى صدَّقوه ... فقلتم ما نُجيب وما نشاءُ

وجِبريلٌ أمينُ الله فينا ... ورُوح القُدْسِ ليسَ له كِفاءُ[(٣)]

ألا أَبلِغْ أَبا سفيانَ عنِّى ... مُغَلغَلَةً فقد بَرِحَ الخَفاءُ[(٤)]

بأَنَّ سيوفنا تركَتْكَ عبدًا ... وعبدُ الدار سادتُها الإماءُ

هجوتَ محمدًا فأَجبتُ عنه ... وعند الله فى ذاك الجَزاءُ[(٥)]

٤٤

أَتهجوه ولستَ له بكفءٍ ... فشرُّكُما لخيرِكُما الفِداءُ

هجوتَ مُبارَكًا بَرًّا حنيفًا ... أَمينَ اللهِ شيمتُه الوفاءُ

أَمَنْ يهجو رسولَ اللهِ منكمْ ... ويَمدحُهُ وينصُرُهُ سَواءُ

فإنَّ أَبى ووالدَه وعِرضى ... لِعرضِ محمّدٍ منكم وِقاءُ

لسانى صارمٌ لا عيبَ فيه ... وبَحرِى لا تكدِّرُه الدِّلاءُ)

---

(١) فى الديوان : « يبارين الأعنة مصعدات » . وفى السيرة : « ينازعن الأعنة مصغيات » .

(٢) فى الديوان : « يعز الله فيه » .

(٣) موقع هذا البيت فى كل من الديوان والسيرة قبل بيت : « وقال الله قد أرسلت عبدا » .

(٤) فى الديوان : « فأنت مجوف نخب هواء » .

(٥) فى السيرة : « وأجبت عنه » .

وهذه رواية ابن هشام (في السيرة) . وفى الديوان ثلاثة أبيات أُخَر من آخرها زيادة على هذا .

قال ابن هشام : قالها حسّان قبلَ يوم الفتح . ويروى: «لسانى صارمٌ لا عتب فيه» بالتاء. وبلغنى عن الزُّهرى أنَّه قال: لمَّا رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم النِّساء يلطِّمن الخيلَ بالخُمُر تبسَّم إلى أبى بكر . انتهى .

وقوله: «عفَتْ ذاتُ الأَصابع» إلخ عفت بمعنى درست . وذات الأَصابع : موضعٌ بالشام . والجِواءُ بكسر الجيم كذلك. قال السهيلى : وبالجواء كان منزلُ الحارث بن أبى شَمِر . وكان حسَّانُ كثيرًا ما يرِدُ على ملوك غَسَّانَ بالشام يمدحُهم، فلذلك يذكر هذه المنازل . وعَذْراءُ ، قال السكرى (فى شرح ديوانه) : قريةٌ على بريدٍ من دمشق ، وبها قَتَلَ معاويةُ حُجْرَ بنَ عدىٍّ وأصحابَه .

وقوله : «ديارٌ من بنى الحَسحاسِ» ، بمهملات ، قال السكرى: الحسحاس بن مالك بن عدىّ بن النجار . وقال السُّهيلى : بنو الحسحاس حىٌّ من بنى أسد . قال السكرى : والرَّوامس : الرياح التى تَرمِسُ الآثارَ وتغطِّيها . وقال السهيلى : يعنى بالسَّماء المطر . والسَّماءُ لفظٌ مشتركٌ يقع على المطر وعلى السماء التى هى السَّقفُ . ولم نعلم ذلك من هذا البيت ونحوه ولا من قوله :

إذا سقط السَّماءُ بأَرضِ قومٍ رَعيناهُ وإنْ كانوا غضابا[1]

لأَنَّه يحتمل أن يريد مطر السماء ، فحذف المضاف ، ولكن إنَّما عرفناه من قولهم فى جَمعِهِ: سُمِىٌّ وأَسمية ، وهم يقولون فى جمع السَّماء سماوات ، فعلمنا أنَّه اسم مشترك بين شيئين .

---

(١) لجرير فى ديوانه ١٧ .

وقوله: « وكانت لا يزالُ بها » إلخ خلالَ ظرفٌ بمعنى بَيْنَ، خبرٌ مقدَّم . ونَعَمٌ مبتدأ مؤخَّر . قال السهيلى : النَّعَم : الإبل ، فإذا قيل الأَنعام دخل فيها البقرُ والغنمُ ، . والشَّاءُ والشَّوِىُّ : اسمٌ للجميع ، كالضَّأْن والضَّئين ، والإبل والأَبيل ، والمَعْز والمعيز. فأَما الشَّاةُ فليست من لفظ الشاء ، لامُ الفعل منها تاءٌ .

وقوله: « فدع هذا » إلخ ، الطَّيف : الخيال . ويؤرِّقنى: يُسْهرنى. فإنْ قيل : كيف يسهره الطيفُ والطيف حُلمٌ فى المنام ؟ فالجواب أَنَّ الذى يؤرِّقه لوعةٌ يجدها عند زواله ، كما قال الطائى[1] :

ظَبىٌ تقنَّصتُه لمـَّا نَصبتُ له ... من آخر الليـل أَشْراكًا من الحُلُمِ
ثمَّ انثنى وبِنَا من ذِكره سَقَمٌ ... باقٍ وإن كان معسولاً من السَّقَمِ[2]

وقوله: « لشعثاءَ التى» إلخ، شعثاءُ: بنت سَلَّام بنِ مِشْكمٍ اليهودىّ .

وبيت

* على أَنيابها أو طَعمَ غَضٌ *

إلخ لم يورده ابن هشام (فى السيرة) ، ولهذا أَنكره السُّهيلى .

وقوله : « نُولِّيها الملامةَ » إلخ، يقال، أَلامَ، إذا أَتى بما يُلامُ عليه[3] . يعنى إن أَتينا بما نُلامُ عليه صرفنا اللَّوم إلى الخمر، واعتذرنا بالسُّكر. والمَغْث ، بفتح الميم وسكون الغين المعجمة بعدها مثلثة : الضَّربُ باليد. واللِّحاءُ : المُلاحَاة باللسان ، يروى أَنَّ حسان مرَّ بفِتيةٍ يشربون الخمرَ

٤٥

(١) هو أبو تمام . ديوانه ٢٦٨ من قصيدة فى مدح مالك بن طوق التغلبى .

(٢) فى الديوان : « ثم اغتدى » و « وإن كان مغسولا » .

(٣) ط : « بالملام عليه » ، وأثبت ما فى ش .

فى الإسلام فنهاهم فقالوا : والله لقد هَمَمْنَا بتركها فزيَّنَها لَنا قولُك :

ونشربها فنتركنا ملوكًا . . . . البيت

فقال : والله لقد قلتُها فى الجاهليَّة ، وما شربتُها منذ أسلمت :

ولذلك قيل : إنَّ بعض هذه القصيدة قالها فى الجاهليَّة وقال آخرَها فى الإسلام .

وقوله : « عدِمْنا خيلَنا » إلخ النقع : الغُبارُ . وكَدَاءُ بالفتح والمد : الثَّنيَّة التى فى أصلها مقبرةُ مكةَ ، ومنها دخل الزُّبير يومئذ ودخل النبيُّ صلى الله عليه وسلم من شِعْب أَذَاخِر .

وقوله : « يبارين الأَسنَّة » ، إلخ مباراتها الأَسنَّة : أن يُضجع الرجلُ رُمحَه ، فكان الفرسُ يركض ليَسبق السِّنان . والمُصْغِيات : المَوَائل المنحرِفاتُ للطَّعن . والأَسَل: الرِّماح . ورواية ابنِ هشام: « ينازعن الأَعنَّةَ مُصغياتٍ » .

وقوله: « تظلُّ جيادُنَا » إلخ المُتَمَطِّرات: الخوارج مِن جُمهورِ الخيل . قال ابن دريد (فى الجمهرة) : كان الخليل يروى: « يُطَلِّمُهنَّ بالخُمُر النِّساءُ » ، وينكر يلطِّمهنّ، ويجعله بمعنى ينفُضْن النِّساءُ بِخُمُرهنَّ ماعليهنَّ من غبارٍ أو نحوِ ذلك[1] . قال : والطَّلْم : ضَرْبُك خُبزة المَلَّة بيدِكَ لتنفضَ ما عليها من الرَّمادِ . والطُّلمة : الخُبْزة .

(١) الكلام بعد «يلطمهن» إلى هنا لم يرد فى نسخة الجمهرة المطبوعة . انظر الجمهرة ٣ : ١١٦ . ولكنه فى نقل الروض الأنف ٢ : ٢٨١ وفيه: «ينفض النساء »بدل: « ينفضن النساء » التى وردت على لغة أكلونى البراغيث .

وقوله : « فنُحكِمُ بالقَوافِى » ، أَحكمَه : كفَّه ومَنَعَه . ومنه سمِّى القاضى حاكِمًا لأَنَّه يمنع الناس من الظُّلم . قال جرير :

أَبَنِى حنيفةَ أَحكِمُوا سُفهاءَكمْ إنِّى أَخافُ عليكمُ أن أَغضَبا[1]

وقوله : « أَلا أَبلِغْ أَبا سفيانَ عنِّى » إلخ المُغلغَلة : الرِّسالة الذاهبة إلى كلِّ بلدٍ ، مِن تغلغَلَ ، إذا ذهب . وروى غير ابن هشام مصراعه الثانى كذا :

* فأَنتَ مجوَّفٌ نَخِبٌ هَواءُ *

والنَّخِب ، بفتح النون وكسر المعجمة : الجَبَان .

وقوله : « هجوتَ محمدًا » ، قال اللخمى : قال ابن دريد : أخبرنا السَّكَن بن سعيد ، عن عبَّاد بن عبَّاد ، عن أَبيه قال : لما انتهى حَسَّانُ إلى هذا البيت قال له النبىُّ صلى الله عليه وسلم : « جزاؤك على الله الجنَّةُ يا حسَّان » .

ولمَّا انتهى إلى قوله .

* أَتهجوه ولستَ له بكفءٍ *

قال مَنْ حضَر : هذا أَنصَفُ بيت قالته العرب .

ولمَّا انتهى إلى قوله : فإنَّ أَبى ووالده وعرضى » قال صلى الله عليه وسلم : « وقاكَ الله يا حَسَّان حَرَّ النار » .

---

(٣) ديوان جرير ٥٠ واللسان (حكم) ، والكامل ٤٤٣ . وبعده :
أبنى حنيفة إننى إن أهجكم أدع اليمامة لا توارى أرنبا

وقوله : « فشرُّكما لخيركما الفداءُ » . قال السُّهيلى :

فى ظاهر هذا اللفظِ شناعةٌ[1] لأنَّ المعروف أن لا يقال هو شرُّهما إلاَّ وفى كليهما شَرٌّ[2] . وكذلك شرٌّ منك[3] . ولكنَّ سيبويه قال: تقول مررت برجل شرٍّ منك . إذا نقَصَ عن أن يكون مثلَه . وهذا يدفع الشَّناعة عن الكلام الأوَّل . ونحوٌ منه قولُه عليه السلام : « شرُّ صفوفِ الرِّجالِ آخرُها » . يريد نقصانَ حَظِّهم عن حظِّ الصفِّ الأوَّل ، كما قال سيبويه . ولا يجوز أن يريد التفضيل فى الشَّرّ . والله أعلم .

* * *

وأنشد بعده . وهو الشاهد الثالث والثلاثون بعد السبعمائة[4] :

٧٣٣ (فَلَا وأَبِى دَهْمَاءَ زالَتْ عَزِيزَةً)

على أنَّه قد فصل بالجارّ والمجرور ، أَعنى الجملة القسميَّة ، وهو « وأَبى دهماءَ » بين لا النافية وبين زالت .

وهذا الفصل شاذّ . وإليه ذهب ابن هشام (فى المغنى) ، إلاَّ أنَّه لم يقيِّده بالشذوذ ولا بالقِلة . وكأنَّه مطَّردٌ عنده . قال (فى بحث الجملة المعترِضة) : ويفصَل بين حرف النفى ومنفيِّهِ ، كقوله[5] :

٤٦

* ولا أُراها تَزالُ ظالمةً *

---

(١) فى الروض : « بشاعة » .
(٢) فى النسختين : « كلاهما شر » ، والوجه ما أثبت من الروض .
(٣) فى النسختين : « شر مثله » ، صوابه من الروض .
(٤) المقرب ١ : ٩٤ والضرائر ١٥٦ والمغنى ٣٩٣ والهمع ٢ : ١٥٦ .
(٥) لابن هرمة فى ديوانه ٤٨ ومعانى القرآن ٢ : ٥٤ ، ١٥٤ والكامل ٣٨٠ ، ٦٨٠ . وعجزه :

* تحدث لى نكبة وتنكؤها *

ويروى : « تحدث لى قرحة » و « تظهر لى قرحة » .

وقوله :

* فلا وأبي دَهْماءَ زالت عزيزةً *

قال شارحه ابن المُلاَّ الحلبي : ويجوز أن تكون لا ردًّا وحرفُ النفي محذوفًا ، ولا اعتراض . انتهى .

وقد ردَّ الشارح المحقق هذا الجوازَ فقال : وليس مِمَّا حُذِف منه حرف النفي إلخ .

ومراده الرَّدُّ على الفرّاء ، فإنَّه ذهب في موضعين (من تفسيره) إلى أنَّ حرفَ النفي منه محذوف :

الأوّل في سورة يوسف عند قوله تعالى : ﴿ تالله تَفْتَؤُ تَذْكُرُ يُوسُفَ[1] ﴾ قال : أي لا تزال تذكر يوسف . ولا قد تُضمَر مع الأيمانِ ، لأنَّها إذا كانت خبرًا لا يضمر فيها لا ، لم تكن إلاَّ بلام . ألا ترى أنَّك تقول : والله لآتينَّك . ولا يجوز : والله آتيك ، إلاَّ أنْ تكون تريدُ لا . فلما تبيَّن موضعُها وفارقت الخبر أُضمِرت . قال امرؤ القيس :

فقلت يمينَ اللهِ أبرحُ قاعدًا . . . . البيت[2]

وأنشدني بعضُهم :

فلا وأبي دَهْمــاءَ زالت عزيزة على قومِها ما فَتَّل الزَّندَ قادحُ

يريد : لا زالت .

---

(١) الآية ٨٥ من سورة يوسف .

(٢) عجزه في ديوانه ٣٢ ومعاني الفراء :

* ولو قطعوا رأسي لديك وأوصالي *

والموضع الثاني في سورة الكهف . عند قوله تعالى : ﴿ وإذْ قال موسى لفَتَاهُ لا أَبرحُ[1] ﴾ قال : لا يكون[2] تزال وأبرح وأفتأُ إلّا بجحْد ظاهر أو مضمر . فأمَّا الظاهر فقد تراه في القرآن : ﴿ ولا يزالونَ مُختلِفِين[3] ﴾ . والمضمر فيه الجحدُ قولُ الله تعالى : ﴿ تفتَؤُ ﴾ معناه لا تفتؤ . ومثلهُ قول الشاعر :

فلا وأبي دَهمـــاءَ زالتْ عزيزة . . . . البيت

وكذلك قول امرئ القيس :

فقلت يمينَ الله أَبرحُ قاعدًا . . . . البيت . انتهى

وقد جعله ابن عُصفور من باب حذف النّافى ، وهو ما ، لكن روى صدره على خلاف هذا . قال : ومنه حذف ما النافية وهو قليلٌ جدًّا وهو قوله :

لعمر أَبي دَهماءَ زالت عزيزةً على قومها ما فَتَّلَ الزَّندَ قادحُ

يريد : ما زالت عزيزة . انتهى .

وكذا رواه المرادى (في شرح التسهيل) وخرَّجه . إلاَّ أَنَّه قال : أَى لا زالت عزيزة . انتهى .

وقوله : (فلا وأَبي دهماءَ) الخ الفاءُ في التقدير داخلة على واو القَسَم ، أَى فوَ أَبي دهماءَ لا زالت عزيزة. أَقسَمَ الشاعرُ بوالدِ هذه المرأة. فأَبي مضافٌ إلى دهماءَ وهي اسم امرأة ، واسم زالت الضَّميرُ الراجع إلى دهماء ، وعزيزة خبرها ، وهي من العِزَّة بالعين المهملة وبالزاء المعجمة ، وجملة

(١) الآية ٦٠ من سورة الكهف .
(٢) ش : « لا تكون » ، وأثبت ما في ط ومعاني القرآن .
(٣) الآية ١١٨ من سورة هود .

لا زالت جواب القسم ، وعلى قومها متعلِّق بعزيزة ، وما مصدريَّة ظرفية . وفَتَّل بالفاء بعدها مثناة فوقية ، روى بشدِّها وتخفيفها ، وهو فعلٌ ماض ، والزَّندَ مفعوله ، وقادح فاعله .

وقد ذكر أبو حنيفة الدِّينَوَرىُّ (فى كتاب النبات) صِفةَ الزَّند والزَّنذة ، وكيفيَّةَ الفَتْل ، فلا بأْس بإيراده هنا ، قال :

أفضلُ ما اتُّخِذت منه الزِّناد شَجَرَتَا المَرْخ والعَفَار ، بفتح العين المهملة بعدَها فاءٌ ، فتكون الأُنثى وهى الزَّندة السُّفلى مَرْخا ، ويكون الذَّكر وهو الزند الأعلى عَفَارًا . أخبرنى بعضُ علماءُ الأعراب أنَّ العَفَار شجرٌ يشبه صغارَ شجر الغُبَيراء ، منظرُه من بعيدٍ كمنظره . وأمَّا المَرْخ فقد رأيتُه يَنبُت قُضبانًا سَمْحة طِوالاً لاورقَ لها . ولفَضْل هاتين الشجرتين فى سُرْعة الوَرْى ، وكثرةِ النار ، سارَ قولُ العرب فيهما مثلاً ، فقالوا : « فى كلِّ الشَّجر نار ، واستَمجَدَ المَرْخ والعَفَار[1] » ، أى ذهبا بالمجد فكان الفضلُ لهما . ولذلك قال الأعشى :

٤٧ زنادُك خيرُ زناد الملـــو ... كِ خالط فيهن مَرْخٌ عَفَارا[2]

ويختار أن تكون الزَّنذة من المَرْخ ، والزَّندُ من العَفَار .

ومن فضيلة المرخ فى كَثْرة النار وسُرعة الورى ، ما ذكرَ أبو زيادٍ الكِلابىُّ فإنَّه قال : ليس فى الشجر كلِّه أورَى زِنادًا من المَرْخ ، قال : وربَّما كان المرخ مجتمعًا ملتفًّا وهبَّت الريح فحكَّ بعضُه بعضاً فأَورَى ، فاحترق الوادى كلُّه . ولم نر ذلك فى شىء من الشجر .

(١) الحيوان ٤ : ٤٦٦ والعقد ٣ : ٣٢ وجمهرة العسكرى ٢ : ٩٢ وفصل المقال ٢٠٢ والميدانى ٢ : ١٨ والزمخشرى ٢ : ١٨٣ واللسان (عفر ٢٦٦) .

(٢) ديوان الأعشى ٤١ .

ثم بعد أن ذكر الأشجار التى تُتَّخذ منها الزِّناد قال : وصِفَة الزَّندة : عود مُربَّعٌ فى طول الشِّبر أو أكثر ، وفى عَرض إصبع أو أشفّ ، وفى صفحاتها فُرَضٌ ، وهى نُقَرٌ ، الواحدة منها فُرْضة ، وتجمع فِراضاً أيضاً . والزَّند الأعلى نحوُها غير أنَّه مُستدير وطرفه أدقُّ من سائِره . فأما وصفُ الاقتداح بها فإنَّ المقتدِح إذا أراد أنْ يقتدح بالزِّناد وضع الزندة ذاتَ الفِراض بالأرض ، ووضع رجلَيه على طرفَيها ، ثم وضع طَرَف الزَّند الأعلى فى فُرضةٍ من فِراض الزَّندة ، وقد تقدَّم فهيَّأ فى الفُرضة مجرى للنار إلى جهة الأرض بحزٍّ ، وقد حزَّه بالسِّكِّين فى جانب الفُرضة ، ثم فتل الزَّندَ بكفِّه كما يُفتَل المِثقب ، وقد ألقى فى الفُرضة شيئًا من التُّراب يسيرًا يبتغى بذلك الخُشْنة[1] ، ليكون الزَّند أعمَلَ فى الزَّندة ، وقد جَعَل إلى جانب الفرضة عند مُفضَى الحَزِّ ، رِيَةً[2] تأْخذ فيها النَّار ، فإذا فُتِل الزَّند لم يلبث الدُّخَان أن يظهرَ ثم تتبعه النار[3] فتنحدر فى الحزِّ ، وتأْخذ فى الرِّيَة . وتلك النَّار هى السِّقْط . انتهى كلامُه باختصار كثيرٍ .

وقد صحَّف بعضُهم قوله : « ما فَتَّل الزندَ قادح » وروَى : « ما قِيلَ للزَّنْدِ قادح » ، على أنَّه فعل مجهول من القَوْلِ . وجَرّ الزند باللام .

وهذا البيت لم أقفْ له على تتمة ولا قائلٍ . والله أعلم .

* * *

---

(١) الخشنة ، بالضم : الخشونة . يقال خشن خشنة وخشانة وخشونة ومخشنة .

(٢) الرية من الورى ، كالعدة من الوعد . ورت النار ترى ورياً ورية حسنة . وقد كتبت الكلمتان فى الأصل كلمة واحدة برسم « الحزورية » ، وإنما هما كلمتان .

(٣) كتبت « تتبعه » فى ش بنقطتين فوق التاء الأولى ، ونقطتين تحتها ، لتقرأ بالقراءتين جميعاً .

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الرابع والثلاثون بعد السبعمائة[١] :

٧٣٤ (تَنْفَكُّ تَسْمَعُ ما حَيِيـ ــتَ بهالِكٍ حَتَّى تَكُونَه)

على أنَّ حرف النفى محذوف ، والتقدير : لا تنفك .

وظاهره أنَّ حذف النافى أىَّ حرفِ نفى كانَ ، يجوز حذفُه من هذه الأَفعال ، سواءٌ وقعت جوابَ قسم كالآية والبيتِ الذى بعدَه[٢] ، أَم لا كهذا البيت ، فإِنَّه لم يتقدَّمه شىءٌ . وهو الظاهر أَيضا من كلام الزمخشرى (فى المفصَّل) ، ومن كلام ابن هشام (فى شرح الشواهد) . لكنَّ ابن يعيش قيَّد حَرف النفى بكونه لا ، وأَنَّهُ لا يحذف من هذه الأَفعال إِلَّا إذا وقعَتْ جوابَ قسم . قال : إنَّ حرف النفى قد يحذف فى بعض المواضع ، وإِنَّما يسوغ حذفُه إذا وقع فى جواب القَسمِ ، وذلك لأَمْن اللَّبس ، كقوله :

تزالُ حِبالٌ مُبرماتٌ أُعِدُّها .... البيت[٣]

ولا يجوز أَن يحذف من هذه الحروف غير لا ، لأَنَّه لا يجوز حذف لم وما ، لأَنَّ « لم » عامِلةٌ فيما بعدها ولا يجوز أَن تُحذَف وتعمل ، وكذلك « ما » قد تكون عاملةً فى لغة أَهل الحجاز . انتهى .

ويؤخذ منه أَنَّه لا يجوز حذف إِنْ أَيضًا ؛ لأَنَّها قد تعمل عمل ليس .

وفى كلامه نظر : أَمَّا أَوَّلاً فَلِأَنَّه قد مثَّل بهذا البيت تبعًا لصاحب المفصَّل ، وتنفكُّ فيه ليس جوابَ قسم .

---

(١) الإنصاف ٨٢٤ وابن يعيش ٧ : ١٠٩ والعينى ٢ : ٧٥ والهمع ١ : ١١١ .

(٢) أى بعد هذا الشاهد وهو الشاهد ٧٣٥ .

(٣) هو الشاهد التالى ٧٣٥ .

وأمّا ثانيًا فلأنَّ الكلام فى حروف النفْيِ الدَّاخلةِ على الأَفعال، وما الحجازية داخلة على المبتدإ والخبر، فأَين هذا من ذاك ؟ وهل هو إلاَّ اشتباه .

٤٨ وقد تبعه المرادى (فى شرح التسهيل) فى الثانى قال : وينقاس الحذف فى المضارع جوابَ قسم، وشذَّ فى الماضى جوابَ قسم، كقوله :

* لعمر أَبى دهماءَ زالت عزيزة *

أى لا زالت . وشذَّ فى المضارع غيرَ جواب، كقوله :

وأَبرحُ ما أَدامَ الله قومِى   بِحمدِ الله مُنتطِقا مُجِيدا[1]

أى لا أَبرح، وقيل لا حذفَ، والمعنى : أَزول عن أَن أَكون منتطقاً مُجيدًا، أى صاحبَ نطاق وجَوادٍ، ما أَدام الله قومى، فإنَّهم يَكفُونَنى ذلك . انتهى .

ودعوى عدم الحذف تعسُّفٌ وقع فى أَشدَّ ممَّا فرّ منه[2] .

وأَغربُ من قول المرادى ما ذهب إليه ابن عصفور، من أَنَّه ضرورة، قال : ومنه إضمار لا النافية فى غير جواب القسم، كقوله :

تنفكُ تسمعُ ما حييتَ . . . .البيت . انتهى .

فللّهِ درُّ الشَّارحِ المحقِّقِ ما أَجودَ اختياره، وما أَرصَنَ سَبْكَه .

وقوله: (تنفكُّ تسمع) إلخ، جملة تسمع مع فاعله الضمير خبرُ لا تنفكُّ، وما مصدرية ظرفية . و(حَيِيتَ) بالخطاب، أى مدّة حياتك.

---

(١) لخداش بن زهير فى معجم الشواهد .

(٢) فى النسختين : « فى أشد ما فر منه »، والوجه ما أثبت .

ولا وجه لقول بعض أفاضل العجم (فى شرح أبيات المفصل) : وقوله ما حييتَ بيانٌ لقوله تنفك تسمع، وتأكيدٌ له . انتهى

و(بهالكٍ) متعلق بتسمع على تقدير مضاف ، أى بخَبرِ هالك . وسَمِع هنا ليست مما يتعدّى لمفعولين ، وتعدّيها بالباءِ أحد استعمالاتها كما تقدَّم ، كقولهم : « تسمع بالمُعَيْدىِّ » . ويجوز أن تكون الباءُ زائدةً فتكون متعدِّية إلى مفعول واحد ، كقولك : سمعت الخبر . وهذا أيضاً أحد استعمالاتها . و (حتَّى) حرف جر بمعنى إلى ، والهاءُ فى (تكونه) ضمير الهالك . والأكثر فى خبر كان إذا كان ضميرًا أن يكون منفصلا . وهذا من القليل .

وقد استشهد صاحب اللباب لقلّته بهذا البيت . قال ابن هشام : أى لا تزال تسمع : مات فلانٌ، حتّى تكونَ الهالكَ . والخطابُ لغير معيَّن ، مثلُه فى :« بشِّرْ مالَ البخيل بحادث أو وارث ». وتسمع خبرٌ ،والباءُ [وحتّى[1]] متعلّقتان به ، وماظرف له ، والهاءُ من(تكونه)راجعةٌ للهالك باعتبار لفظِه دونَ معناه ، لأنَّ السّامع غير المسموع . ومثله مسألة التنازع : ظنّنى وظننت زيدًا قائماً إيّاه . وقد غَمَضَ هذا المعنى على ابن الطَّراوة فمنع المسألة ، وخالف الأئمة . وبعده :

(والمرءُ قد يرجُو الرَّجـا ءَ مؤَمِّلاً والموتُ دونَـه)

وكان أبو بكر الصديق رضى الله عنه كثيرا ما يتمثّل بهما . انتهى . وكذا رواه العينى .

والذى رواه ابن المستوفِى وغيره :

* والمرءُ قد يرجو الحياة *

---

(١) التكملة من ش .

ومؤمِّلا حال من ضمير يرجو . وقال العينى : مؤمَّل إن كان اسم فاعل فهو حالٌ من المرءِ ، وإن كان اسمَ مَفعول فهو مفعول ليرجو. هذا كلامه . فتأمَّله .

ودونَ هنا بمعنى أمامَ أو خَلْف ، لأنه من الأضداد . وجملة « والموت دونه » حالٌ إمّا من ضمير مؤمّل ، أو من ضمير يرجو .

والبيتان نسبهما أبو عُبيدٍ القاسم بن سَلاَّم (فى كتاب الأمثال) لِخَليفة بن بَرَاز[1] ، وهو جاهلى . وقد أخذ البيتَ بعضهُم فقال :

صاحب الشاهد خليفة بن براز

يُقال فلانٌ ماتَ فى كـلِّ سـاعةٍ ويوشك يومـاً أن تـكونَ فلانا

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الخامس والثلاثون بعد السبعمائة[2] :

٧٣٥ (تزالُ حِبالٌ مُبرَماتٌ أُعِدُّها لها ما مَشَى يوماً على خُفِّهِ جَمَلْ)

٤٩

على أنَّ (تزال) جواب قسم وحذف منه حرف النفى. أى لا تزال. والقسم فى بيت قبله ، وهو :

(حَلفتُ يمينًا يا ابنَ قُحفان بالذى تكفَّل بالأرزاقِ فى السَّهلِ والجبَلْ
تزال حبـالٌ مبـرماتٌ . . . . البيت
فأَعطِ ولا تبخَـلْ إذا جاءَ سائلٌ فعندِى لها عُقْلٌ وقد زاحَتِ العِلَلْ)

وروى أيضاً :

* وتُقسِمُ ليلى يا ابنَ قُحفان بالذى *

---

(١) انظر فصل المقال ٦٤ حيث أنشد البيت الشاهد منسوباً إليه برواية : « وتزال تسمع » . وفى القاموس (برز) : « وكسحاب : اسم » .

(٢) ابن يعيش ٧ : ١٠٩ والحماسة ١٧٢٧ بشرح المرزوقى وسمط اللآلئ ٦٣١ وفصل المقال ٦٤ .

إلخ . فجملة لا تزال بتقدير لا ، جواب القسم الذى هو تقسم ليلى . ومُبرَمات : محكمات . وأعِدّها : أهيِّئها . وضمير لها للإبل فى شعرٍ قبل هذا يأْتى آنفاً . وما مصدرية ظرفية . وجَمَل فاعل مَشى وسكّن للقافية . وعُقُل : جمع عِقال ، وهو ما يربط به رُكبة البعير . وزاحت، بإعجام الأوَّل ، بمعنى زالت .

صاحب الشاهد

وكان مِن حديث هذه الأَبياتِ ما رواه أبو تمام (فى الحماسة) : أَنَّ سالم بن قُحفان جاءَ إليه أخو امرأتهِ زائرًا فأَعطاه بعيرًا من إبله وقال لامرأته : هاتى حَبلاً يَقرِن به ما أَعطيناه إلى بعيره . ثم أَعطاه بعيرًا آخر وقال مثل ذلك ، ثم أَعطاه مِثلَ ذلك، فقالت : ما بقِى عندى حَبل ! فقال : « علىَّ الجمالُ وعليكِ الحبالُ » . وأنشأَ يقول :

أبيات الشاهد

لقد بكَرتْ أُمُّ الوليد تَلومُنِى ... ولم أَجْتَرِمْ جُرْماً فقلت لها مَهْلَا[1]

فلا تَعْذِلِينى بالعطاءِ ويَسِّرى ... لكلِّ بعيرٍ جاءَ طالبهُ حَبْلاَ

فإِنِّىَ لا تبكى عَلَىّ إفَالُها ... إذا شَبِعَتْ من روضِ أَوطانها بَقْلاَ

فلم أَرَ مثلَ الإبْلِ مالاً لمُقْتَنٍ ... ولا مثلَ أَيَّامِ الحُقوقِ لها سُبْلاَ

فرمَت إليه خِمارَها وقالت : صيِّرْه حبلاً لبعضها . وأنشأَت تقول :

حلفت يميناً يا ابن قحفان .... الأَبيات الثلاثة . انتهى .

ولم يتكلم الخطيب التَّبريزى بشىءٍ (فى شرحه) على هذه الأَبيات.

والإفال : أولاد الإبل . قال ابن المستوفى فى قوله :

* فإِنِّىَ لا تبكى علىّ إفالُها *

---

(١) انظر الحماسة ١٥٨١ ثم ١٧٢٦ بشرح المرزوقى ؛ فقد أنشدت الأبيات فيها مرتين مع خلاف فى الترتيب والنص .

قولين : أحدهما أنّ الإبل بَهَائمُ لا تهتمُّ بى إذا مِتّ ، بل تَربَعُ وتَشْبَع . والثانى : موتى عندها وأنا أنحرُها أحبُّ إليها ، فلعلَّه يأْخذها من لا ينحرها ، ولا يغمُّهما موتِى لأَنِّى جوادٌ . انتهى .

وقال أبو عبيد البكرى (فيما كتبه على أمالى القالى) : إنَّ هذا مأْخوذ من قول ضَمْرة بن ضمرة :

أرأيتَ إنْ صَرخَتْ بليلٍ هامَتِى وخرجت منها باليًا أثـوابى[1]

هل تَخمِشن إبلى علىَّ وجوهها وتُعصِّبنَّ رءُوسَهـا بسِـلابِ[2]

والسِّلاب : عصائب سُود . يقال امرأة مسلِّبة ، إذا لبست السَّوادَ حداداً .

سالم بن قحفان

وسالم بن قُحفان بضم القاف وسكون المهملة بعدها فاءٌ : لم أقف له على خبرٍ ، ولا على زوجته ليلى . والله أعلم .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد السادس والثلاثون بعد السبعمائة ، وهو من شواهد سيبويه[3] :

(حَرَاجيجُ ما تَنفكُّ إلاَّ مناخةً على الخَسْف أو نَرمِى بها بلدًا قَفْرا)

على أنَّه خُطِّئَ ذو الرمَّة فيه ، لأَنَّ ما تنفكُّ وأخواته بمعنى الإيجاب من حيث المعنى ، لايتَّصل الاستثناءُ بخبرها ، كما بيَّنه الشارح المحقق.

٥٠

(١) السمط ٦٣١ ، ٦٦١ . وفى ط : « إن سرحت بليل همتى » ، صوابه فى السمط فى الموضعين . وفى ش مع أثر تصحيح ، ويروى : « صدحت » .

(٢) فى السمط : « أو تعصبن رءوسها » .

(٣) فى كتابه ١ : ٤٢٨ . وانظر معانى الفراء ٣ : ٢٨١ والمحتسب ١ : ٣٢٩ والموشح ٢٨٦ ، ٢٨٧ وابن الشجرى ٢ : ١٢٤ وابن يعيش ٧ : ١٠٦ والضرائر ٧٥ ، والإنصاف ١٥٦ والمغنى ٧٣ والهمع ١ : ١٢٠ ، ٢٣٠ والأشباه والنظائر ٣ : ٧٠ والأشمونى ١ : ٢٤٦ ويس ١ : ١٨٥ ، وديوان ذى الرمة ١٧٣ .

وذكر عنه جوابين :

أحدهما: أَنَّ تنفك تامَّةٌ ومناخةً حال ، وعلى الخسف متعلق بمناخة ، ونرمى معطوف على مُناخة .

وثانيهما : أنَّها ناقصة ، وعلى الخسْف خبرها ، ومناخة حال . وذكر ما وردَ على هذا الجواب .

والمخطئ هو أبو عمرو بن العلاء[١] . قال المرزُبانى (فى كتاب الموشح): أخبرنى محمد بن يحيى ، حدثنا الفَضْل بن الحُباب ، حدَّثنا بكر بن محمد المازنى ، حدَّثنا الأَصمعى ، سمعتُ أَبا عمرِو بنَ العلاءِ يقول : أخطأَ ذو الرمة فى قوله :

حَرَاجيجُ مُا تنفكُّ إلاَّ مُناخــةً . . . . البيت

فى إدخاله إلَّا بعد قوله « ما تنفك » .. قال الصُّولى : وحدَّثنا محمد ابن سعيد الأَصمّ ، وأحمد بن يزيد ، قالا : حدثنا يزيدُ المهلبىُّ عن إسحاق الموصلِىِّ أَنَّه كان يُنشد هذا البيت لذى الرمة :

* حراجيجُ ما تنفكُّ آلاً مناخة *

والآل : الشَّخص . ويحتجُّ ببيته الذى ذكر فيه الآلَ فى غير هذه القصيدة ، وهو قوله :

فلم نهبِطْ على سَفَوانَ حتَّى طَرَحْنَ سِخالَهَنَّ وصِرنَ آلا[٢]

وعلى هذا يكون « آلا » خبر تنفكُّ ، ومناخة صفته ، وأنَّث الصِّفة

(١) الكلام بعده إلى « العلاء » التالية ساقط من ش .

(٢) وكذا فى الموشح ، وفى ضرائر ابن عصفور : « فما بلغت بنا سفوان » ، و : « فصرن آلا » . والبيت فى ديوان ذى الرمة ٤٣٩ برواية :

فلم نهبط على سفوان حتى طرحن سخالهن وإضن آلا

لأَنَّ الشخص ممَّا يؤنَّث ويذكَّر . فرواية « إلاَّ » بالتشديد غلطٌ من الرَّاوى لا من القائل . ويردُ عليه أَنَّ ذا الرمّة لما قرأ البيتَ عند أبى العلاء غلَّطه فيه بما ذكره النحويُّون .

وقال ابن عصفور (فى كتاب الضرائر) : إنَّ ذا الرمَّة لمَّا عِيبَ عليه قوله ما تنفكُّ إلاَّ مناخة فَطِنَ له فقال : إنَّما قلت : « آلاً مُناخة » أى شخصاً .

وكذا قال ابن هشام (فى شرح الشواهد) قال ابن الأَنبارىّ (فى الإنصاف) : الآل : الشَّخص . يقال هذا آلٌ قد بدا ، أى شخصٌ . وبه سُمِّىَ الآلُ ؛ لأَنَّه يرفع الشخوص أَوَّلَ النهار وآخِرَه .

وبه يضمحلُّ توقُّف ابنِ المُلاَّ الحلبى (فى شرح المغنى) ، فى قوله : بقىَ شىءٌ ، وهو أَنَّ صاحب القاموس على تبحُّره لم يذكُرْ مجىءَ الآل بمعنى الشَّخص[1] . انتهى .

وخرَّجه المازنى (كما قال ابن يعيش) على زيادة إلاَّ ، وتبعه أَبو على (فى القَصْريَّات) وقال : إلاَّ ههنا زائدة ، لولا ذلك لم يجزْ هذا البيت ، لأَنَّ تنفكُّ فى معنى تزال ، ولايزال[2] لا يُتكلَّم به إلاَّ منفيًّا عنها . انتهى.

ونسب ابن هشام (فى المغنى) هذا التخريجَ إلى الأَصمعىِّ وابن جنِّى ، قال : وحملَ عليه ابنُ مالكٍ قولَه :

* أرى الدَّهر إلاَّ منجنونًا بأَهلِه[3] *

وإنما المحفوظ : « وما الدَّهر إلَّا » . ثُمَّ إنْ ثبتَتْ روايتُه فتتخرَّج على

---

(١) هذا غير صحيح ، فإن صاحب القاموس ذكر الآل بمعنى الشخص فى مادة (أول) .

(٢) ش : « ولا تزال » بالتاء .

(٣) مجهول القائل كما فى معجم الشواهد . وعجزه :

* وما صاحب الحاجات إلا معذبا *

أنَّ أرى جوابٌ لقسم مقدَّر ، وحذفت لا كحذفها فى : ﴿ تاللهِ تَفتؤُ[١] ﴾ ودلَّ على ذلك الاستثناءُ المفرَّغ . انتهى .

ولم يذكر ابن عصفورٍ غيرَه وغير احتمال التَّمام ، لكنَّه جعله من الضَّرائر . قال : ومنها زيادة إلاَّ فى قوله :

أَرى الدَّهرَ إلاَّ منجنونًا . . . . البيت

هكذا رواه المازنى ، يريد : أَرى الدهر منجنونًا . وكذلك جَعَلها فى قول الآخر :

ما زالَ مُذْوجفَتْ فى كلِّ هاجــرةٍ بالأَشعثِ الْوَرْدِ إلَّا وهو مَهمومُ[٢]

يريد : هو مهموم ، فزاد إلاَّ والواوَ فى خبر زال .

وفى قول الآخَر :

وكلُّهمُ حــاشاكَ إلاَّ وجــدتُه كعَينِ الكذوبِ جَحْدُها واحتفالُها[٣]

يريد : وكلُّهم حاشاك وجَدْته .

وفى قول ذى الرمة :

حراجيج ما تنفكُّ إلَّا مُناخةً . . . . البيت

يريد : ما تنفكُّ مناخة .

---

(١) الآية ٨٥ من سورة يوسف .

(٢) لذى الرمة فى ديوانه ٥٨٤ ، واللسان (شعث ٤٦٦) . وجفت : أسرعت ، يعنى الرياح . وجفت الرياح بالأشعث ، أى جرت ذيلها عليه . والأشعث الورد هو الصفار ، وهو شوك البهمى إذا يبس ، وإنما اهتم الحمار لما رأى البهمى هاجت ، وقد كان رخى البال وهى رطبة . من شرح الديوان واللسان . ويروى : « فى كل ظاهرة » ، وهى ما ارتفع من الأرض .

(٣) وكذا ورد بدون نسبة فى معانى الفراء ١ : ١٤٠ .

ويحتمل أن يُجعَل زال وتنفكُّ تامّتين وتكون إلاَّ داخلةً على الحال.

وكذلك تُجعل إلاَّ فى قوله :

٥١

* وكلُّهمُ حاشاكَ إلاَّ وجدتُه *

إيجابًا للنفى الذى يُعطيه معنى الكلام ، أى ما مِنهم أحدٌ حاشاك إلّا وجدتُه . وعليه حَمله الفرّاءُ . وأمّا « أرى الدهر إلاَّ منجنونًا » فلا تكون إلاَّ فيه إلاَّ زائدة . انتهى .

وقد رأيتَ تخريجَ ابنِ هشام بيتَ المنجنون .

وأوّل مَنْ ذهب إلى أنَّ تنفك فى بيت ذى الرمة تامَّةٌ هو الفرّاءُ (فى تفسيره)، عند قوله : ﴿ لم يكن الذين كفروا مِنْ أهل الكتابِ والمُشْرِكِين مُنْفكِّينَ حَتَّى تَأْتِيَهُمُ البيِّنة[1] ﴾ : قد يكون الانفكاك على جهةِ يَزال ويكون على الانفكاك الذى تعرفه . فإذا كانت على جهة يزال فلا بدَّ لها مِن فعل وأن يكون معها جَحد ، فتقول : ما انفككت أذكرك ، تريد : مازلت أذكرك . فإذا كانت على غير معنى يزال قلت : قد انفككت منك ، وانفكَّ الشىء من الشىء ، فيكون بلا جَحْدٍ وبلا فعلٍ . وقد قال ذو الرمة :

قلائص لا تنفكُّ إلاَّ مُناخةً . . . . البيت

فلم يدخل فيها « إلّا » إلاَّ وهو ينوى بها التَّمامَ وخلافَ يزال . لأنَّك لا تقولُ : ما زلت إلاَّ قائما . انتهى كلامه .

ونسبه ابن الأَنبارى (فى الإنصاف) إلى الكسائِىّ . قال : وهذا الوجهُ رواه هِشامٌ عن الكسائى .

(١) الآية الأولى من سورة البينة .

وبما ذكرنا يُعلَم أَنَّ قول المُرادى (فى شرح التسهيل) : وخرَّجه قومٌ منهم على أَنَّها ناقصة ، خلافُ الواقع . وتنفكُّ على هذا مطاوع فَكَّه ، إذا خلَّصه أَو فصَله .

قال الزمخشرى (فى حواشى المفصل) : وفى تصحيح البيت وُجَيهٌ ، وهو أَن يريد لا تنفك عن أَوطانها ، أَى لا تنفصل عنها ، إلاَّ ولها بعد الانفصال هاتان الحالتان : إمَّا الإِناخة على الخَسْف فى المراحل ، أَو السَّيرُ فى البلد القَفْر . انتهى .

وبهذا يظهر قول الشارح المحقِّق : مناخةً حال ونَرمِى معطوف عليه.

وقال ابن عقيل والمُرادى (فى شرحَيْهما للتسهيل) : كأَنَّه قال : ما تتخلَّص أَو ما تنفصِل عن السَّير إلاَّ فى حال إناختها على الخسف ، وهو حبسُها على غير عَلَف . يُريد أَنَّها تُناخ مُعدَّةً للسَّير عليها ، فلا تُرسَل من أَجل ذلك فى المرعى. وأَوْ بمعنى إلى،وسكَّن الياءَ للضَّرورة.انتهى.

والوجه الأَوَّل أَوجَهُ . و (الخَسْف) بفتح المعجمة : النَّقيصة ، يقال رَضِيَ بالخَسْف ، أَى بالنَّقيصة . وبات على الخَسْف أَى جائعاً . وربطت الدَّابةَ على الخَسْف، أَى على غير عَلَف . و (على) بمعنى مَع . وقال الشارح المحقق : جعل الخَسْف كالأَرض التى يُناخ عليها ، كقوله :

* تحيَّة بينهِمْ ضربٌ وجيعُ[1] *

يريد أَنَّ الإِناخة إنَّما تكون على العَلْف ، فجعل الخسف بدلاً منه ، كما جُعِل الضربُ الوجيع بدلاً من التحية . و (نرمى) بالنون مع البناء للمعلوم ، ويروى (يُرمَى) بالمثناة التحتية مع البناء للمفعول . و (بها)

---

(١) لعمرو بن معديكرب ، وهو الشاهد التالى برقم ٧٣٧ .

نائب الفاعل ، وبلدًا ظرف للرَّمى ، وهو بمعنى المكان والأَرضِ لا بمعنى المدينة . و (الخُرجوج) كعصفور : النَّاقة الضامرُ[1] ،قاله أَبو زيد . وقد روى (مُناخةٌ) بالرفع أَيضًا . قال ابن المستوفى : قال أَبو البقاء : رُوى مُناخةٌ بالرفع على أَنَّه خبر مبتدإٍ محذوف ، وموضع الجملة حال ؛ وبالنَّصب على الحال ، وتكون تنفكُّ تامة .

وكَذَا رواه ابنُ الأَنبارىِّ (فى الإِنصاف) .

وأَمَّا التخريج الثانى من التخريجين اللذين ذكرهما الشارح المحقِّق فهو للأَخفش أَبى الحسن سَعيدِ بن مَسْعَدَة المجاشعى ، قال (فى كتاب المعاياة) : أَراد : لا تنفكُّ على الخسف أَو نرمى بها بَلَدًا قَفْرًا إلاَّ وهى مناخةٌ ؛ لأَنَّه لا يجوز لا تنفكُّ إلا مناخة ، كما لا تقول : لا تزال[2] إلَّا مناخة . انتهى .

٥٢ وقد تبعه على هذا جماعةٌ منهم الزَّجاج . قال ابنُ جنِّى فى بعض أَجزائه : وقد قال فيـه بعض أَصحابنا قولاً ، أُرَاهُ أَبا إِسحاق ، ورأَيت أَبا علىٍّ قد أَخَذَ به ، وهو أَن يُجعَل خبر ما تنفكُّ الظَّرفَ ، كأَنَّه قال : ما تنفكُ على الخَسف ، ونصب [مناخة[3]] على الحال ، وقدّم إلاَّ عن عن موضعها . وقد جاء فى القرآن والشِّعر نَقْلُ إلاَّ عن موضعها . انتهى .

ومنهم أَبو البقاء ، قال : يجوز أَن تكون تنفكُّ الناقصةَ ، ويكون على الخَسْف الخبر ، أَى ما تنفكُّ على الخسف إلَّا إذا أُنيخت . وعليه المعنى . انتهى .

---

(١) كذا فى النسختين . يقال ناقة ضامرة وضامر أيضاً بغير هاء ، ذهبوا إلى النسب ، أى ذات ضمر ، كما قالوا : لابن وتامر . وانظر القاموس واللسان (ضمر) .

(٢) ط : « لا تزول » ، صوابه فى ش .

(٣) تكملة يفتقر الكلام إليها .

وقد ردَّه جماعةٌ منهم صاحب (اللُّباب) ، وهو محمد بن محمد بن أحمد الأسفَرَايني المعروف بالفاضل ، قال فيه : وخُطِّئ ذو الرمَّة في قوله : حراجيج لا تنفكُّ إلاَّ مناخة ، والاعتذار بجعله حالاً وعلى الخسف خبرًا ضعيفٌ ، لِمَا أنَّ الاستثناء المفرَّغ قلَّما يجيء في الإثبات ، ويقدَّر المستثنى منه بعده . وتقدير التام في تنفك أحسَنُ منه . والله أعلم. انتهى .

قال شارحه الفالي[1] : معناه أنَّ الاستثناء المفرَّغ في الإثبات قليل. وبَعدَ تسليمه إنَّما يأتي إذا قدِّر المستثنى منه قبله لفظًا وههنا يقدَّر بعده ؛ لأنَّ قوله إلاَّ مناخة مستثنى من[2] أحوال الضمير المستترِ في على الخسف أي ما تنفكُّ مهانةً مظلومة في جميع الأَحوال ، إلاّ في حال الإناخة . وذلك غير معهودٍ في الاستثناء المفرَّغ ، فإنَّ أعمَّ العامّ في الاستثناء المفرَّغ يقدَّر قبله لا بعده ، فإنَّك إذا قلت : ما ضربتُ إلا راكبًا ، فالتقدير : ما ضربت في حالٍ من الأَحوال إلاَّ في حال الركوب. ولذا جاز في الإثبات نحو قرأت إلاَّ يومَ كذا ، التقدير : قرأت في جميع الأَيَّام إلاَّ يومَ كذا . فالمستثنى منه يقدَّر قبل الاستثناء لا بعدَه . انتهى

ومنهم الشارح المحقِّق كما حرّره .

ومنهم ابن هشام (في المغني) قال فيه : قال جماعةٌ كثيرة : هي ناقصةٌ ، والخبر على الخسف، ومناخة حال . وهذا فاسدٌ لبقاء الإشكال ، إذْ لا يقال : جاء زيد إلاَّ راكبًا . انتهى .

وقول أبي البقاء : « وعليه المعنى » مردودٌ ؛ فإنَّ الحاليَّة سواءٌ نصبتَ مناخةً أو رفعتَها كما رُوِيَ ، بتقدير مبتدإٍ محذوف ، والجملة حال ،

---

(١) الفالي ، بالفاء . وقد جاء في النسختين بالقاف ، وهو تصحيف نبهت على صوابه مراراً . انظر منها حواشي ١ : ٣٣٨ .

(٢) ط : « عن » ، صوابه في ش مع أثر تصحيح .

يكون التقدير فيها : هى مستمرَّةٌ على الخسف فى كل حال إلاَّ حالَ الإناخة ، فإنَّها تكون حينئذ ذاتَ راحة . وهذا غيرُ مرادِ الشَّاعر ، إذْ مرادُه وصفُ هذه الإبل بأنَّها لا تتخلص من تعبٍ إلاَّ إلى مثلِه ، فليس لها حالُ راحةٍ أصلاً .

وسيبويه قد أورد هذا البيتَ فى باب أو التى ينتصبُ بعدها المضارع بإضمار أنْ ، قال : ولو رفعتَ لكان عربيًّا جائزًا على وجهين : على أن تشرك بين الأَوَّل والآخر ، وعلى أن يكون مقطوعًا من الأَوَّل . قال تعالى : ﴿سَتُدْعَوْنَ إلى قومٍ أُولِى بَأْسٍ شديدٍ تُقاتِلُونَهم أو يُسلِمُون[1]﴾ إنْ شئتَ كان على الإشراك، وإن شئتَ كان على : أَوْ وهم يُسلمون . وقال ذوالرمة :

حراجيج لا تنفكُّ إلاَّ مناخة .... البيت

فإنْ شئتَ كان على لا تنفكُّ نَرمِى ، أو على الابتداء . انتهى .

يريد بالأَوَّل العطف على خبر تنفكُّ ، وبالثانى القَطْع .

قال النحاس : سألتُ عنه عليًّا ، يعنى الأَخفش الصغير ، فقال : لك أن تجعل نرمى معطوفًا ، ولك أن تقطعَه ، ولك أن تقدِّر أو بمعنى إلى أَنْ وتُسكِّن الياءَ فى موضع نصب .

صاحب الشاهد

والبيت من قصيدةٍ طويلةٍ لذى الرُّمَّة ، يُقال لها أُحجيَّة العرب . وأَوَّلُها :

أبيات الشاهد

(لقد جَشَأَتْ نفسى عَشِيَّةَ مُشرف
ويَومَ لِوَى حُزْوَى فقلتُ لها : صَبْرَا[2]
تحنُّ إلى مَىٍّ كمــا حَنَّ نازعٌ
دَعَاهُ الهوى فارتَادَ من قَيدِه قَصْرا)

٥٣

(١) الآية ١٦ من سورة الفتح .
(٢) ديوان ذى الرمة ١٦٩ – ١٧٣ .

جَشأَتْ : نهضتْ . ومُشرِف وحُزْوَىَ : موضعان . واللِّوى : منقطَع الرمَّل . وصبرًا : اصبرى [(١)]. والنازع : البعير يحنُّ إلى وطنه . فارتاد من قيده قصرًا ، أى طلب السَّعة فوجده مقصوراً . ويقال : ارتاد جَدْبًا وارتاد خيرًا ، أى طلب الخِصْب فوقع على جَدْب . إلى أنْ قال :

(فيامَىَ ما أدراكِ أينَ مُناخنا
مُعرَّقَةَ الألْحِي يمانيَّة سُجْرا

قد اكتفلَتْ بالحَزْنِ واعوَّج دُونَها
ضواربُ من خَفَّان مجتابةَ سِدْرا

حراجيج ما تنفك إلاَّ مناخة ...... البيت

أَنَخْنَ لتعريسٍ قليل فصارفٌ يغنِّى بنابيهِ مُطلَّحةً صُعْرا)

مُعرَّقة الألحِى : قليلة لحم الألحِى ، جمع لَحْى . وإذا كثُر لحمُ لحيها فهو عيبٌ . يقال : ناقةٌ سَجْراءُ : تضرب إلى الحمرة .

وقوله : « قد اكتفلت بالحزن » أى صَيَّرتَ الناقة الحزنَ خلفَها ، كالرَّجُل الذى يركب الكِفْل فإنّما يركب على أقصى الكِفْل ؛ كما تقول : اكتفلت الناقةَ ، أى ركبت موضع الكِفْل مِن النَّاقة . والحزن : ما غلُظَ من الأرض . والضَّارب : منخفضٌ كالوادى . وخَفَّان : موضع . ومجتابةَ سِدْرًا ، أى لابسة سدرًا [(٢)]. واعوَجَّ ، يعنى : الضَّواربُ لَيْسَتْ على جهةِ النَّاقة .

والحراجيج : الضُّمَّر . والخَسْف : الجوع ، وهو أن تبيتَ على غيرَ علف ، والتَّعريس : النزول فى آخر اللَّيْل . وصارفٌ : أى فبعضُها صارفٌ

---

(١) ش : « واصبرى صبرا » .

(٢) فى شرح الديوان أن « سدر : مكان » . وفى بعض نسخ الديوان أن المراد بالسدر هنا هو شجر النبق . انظر تحقيق عبد القدوس صالح ص ١٤١٨ .

يَصرِف بنابيه من الضُّجر والجَهْد . ومُطلَّحة : مُعْيِيَة . وصُعْر : فيها مَيَلٌ من الجَهْد والهزال .

وهذا نقلته من شرح ديوانه .

وترجمته تقدَّمَت فى الشاهد الثامن من أوّل الكتاب [١] .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد السابع والثلاثون بعد السبعمائة ، وهو من شواهد سيبويه [٢] :

٧٣٧ (تحيَّةُ بينهِمْ ضربٌ وجيعُ)

على أنَّه جَعَل الضَّرب الوجيع كالتحيَّة ، كما جُعل الخسفُ كالأَرض التى يناخ عليها .

يريد أنَّ الخَسْف جُعِل بدلاً من الأَرض ، كما أَنَّ الضرب جُعِل بدلاً من التحية ، ولا يريد أَنَّهما من باب التشْبيه ، فإنَّه غير صحيح فيهما ؛ فإنَّ الأَوّلَ ليس فيه من أَركان التشبيه غير الخسف ، ولا يقال لمثله إلا استعارة ، وإنْ كان أَصله التشبيه . فإن كان المشبه به مذكورًا والمشبه غير مذكور فهو استعارة تصريحيَّة ، وإن كان بالعكس فهو استعارة بالكناية . والخسف وإن أَمكن أَن يُجعَل من الاستعارة بالكناية ، لكنَّه لمَّا شُبِّه بما بعده عُلِم أَنَّ مراده أَنَّه من باب التنويع ، كما يأْتى بيانه . وأَمَّا الثانى فهو ليس من التشبيه قطعًا ،

---

(١) الخزانة ١ : ١٠٦ .

(٢) فى كتابه ١ : ٣٦٥ ، ٤٢٩ . وانظر النوادر ١٥٠ والمقتضب ٢ : ٢٠/٤ : ٤١٣ والخصائص ١ : ٣٦٨ والعمدة ٢ : ٢٢٤ وابن يعيش ٢ : ٨٠ والتصريح ١ : ٣٥٣ ويس ١ : ٣٥٣ ٣٥٤ والحماسة بشرح المرزوقى ٢٤٦ ، ٦٤١ ، ١٣٨٧ ، ١٤٨١ ، ١٧٦٥ .

إذ المعهودُ فى مثله أنْ يشبَّه الأَوَّل بالثانى لا العكس ، إذ لا يقال فى زيد أَسدٌ : إنَّ أسدًا مشبَّه بزيد . ولم يجيزوا أَيضًا أَنْ تشبَّه التحيَّة بالضرب ، لأنَّه من باب التنويع ، وهو من خلاف مقتضى الظاهر . وهو ادِّعَاءُ أَنَّ مسمَّى اللفْظ نوعان : متعارَف وغير متعارف ، على طريق التخييل ، بأَنْ ينزَّل ما يقع فى موقع شىءٍ بدلاً عنه . مَنزِلتَه بدونِ تشبيهٍ ولا استعارةٍ ، سواءٌ كان بطريق الحمل ، كقوله :

٥٤ * تحية بينهم ضربٌ وجيعُ *

أو فى الاستثناء المنقطع ، كقوله :

وبلدةٍ ليس بهــا أنيسُ إلاَّ اليعافيرُ وإلاَّ العِيسُ[(١)]

على معنى أَنيسها اليعافير . أى إنْ كان يعدُّ أَنيسًا فلا أَنيس إلاَّ هوَ.

أَو بدونهما كقوله :

غضبت حنيفةُ أن تُقتَّلَ عامرٌ يومَ النِّسارِ فأُعْقِبُوا بالصَّيْلَمِ[(٢)]

أى إنَّهم لمَّا طلبوا إلينا العُتبَى وضعنا لهم السَّلاح مكانها . وهذا تهكُّم . والصَّيلم : الدَّاهية .

وحيث أُطلِقَ التنويعُ فالمراد به [هذا[(٣)]] ، كما تراهم يقولون : من باب :

* تحيةُ بينِهِمْ ضربٌ وجيعُ *

---

(١) لجران العود فى ديوانه ٥٣ ، وهو الشاهد ٨٠٤ فيما سيأتى .

(٢) لبشر بن أبى خازم فى ديوانه ١٨٤ ، والمفضليات ٣٤٦ . وفى النسختين : « عامرا » صوابه بالرفع كما فى الديوان والمفضليات واللسان (عتب ، صلم) . ويروى أيضاً : « فأعقبوا » و « فأغضبوا » ثلاث روايات .

(٣) التكلمة من ش .

فيجعلون المثالَ أساسًا وقاعدة ، وليس من المجاز فى شىءٍ ؛ لأَنَّ طرفيه مستعملان فى حقيقتهما ؛ ولا تشبيهًا كما صرَّحوا به ، بل التَّشبيه يعكس معناه ويُفسِده .

قال الشيخ (فى دلائل الإعجاز) : اعلم أَنَّه لا يجوز أَنْ يكون سبيل قوله :

* لعابُ الأَفاعى القاتلاتِ لعابُه[(١)] *

سبيلَ قولهم : « عتابُه السَّيف » . وذلك لأَنَّ المعنى فى بيتأَبى تمام على أَنَّك تشبه شيئًا بشىءٍ لجامعٍ بينهما فى وصف . وليس المعنى فى عِتابُك السيف على أَنَّك تشبِّه عتابه بالسيف بدلاً من العتاب . أَلا ترى أَنَّه يصح أَن تقول مِدادُ قلمه قاتلٌ كسمِّ الأَفاعى ، ولا يصحُّ أَن تقول عتابُكَ كالسَّيف، اللهمَّ إلاَّ أَن تخرُجَ إلى باب آخر وشىءٍ ليس هو غرضَهم بهذا الكلام ، فتريد أَنَّه قد عاتب عتاباً خشِناً مؤْلماً . ثم إنَّك إذا قلت السَّيف عتابك ، خرجْتَ به إلى معنىً ثالث[(٢)] ، وهو أَنْ تزعم أَنَّ عتابَه قد بلغ فى إيلامه وشدّة تأْثيره مبلغًا صار له السيفُ كأَنَّه ليس بسيف. انتهى .

وليس هذا من قبيل التشبيه الذى ذُكر معه ما يُحيلُ دخولَ أَداة التشبيه كقوله :

* أَسدٌ دمُ الأَسدِ الهِزبرِ خضابُه *

---

(١) عجزه فى ديوان أبى تمام ٢٥٧ ، ودلائل الإعجاز ٢٣٨ :

* وأرىُ الجنى اشتارته أيد عواسل *

(٢) فى النسختين : « حادث » ، صوابه من دلائل الإعجاز .

فإنَّه لا سبيلَ إلى التصريح بأَداة التشبيه ، لدلالة التشبيه على أَنَّه دون الأَسَد ، ودلالة الوصف على أَنَّه فوقَه. فالوصف مانعٌ. وأَمَّا هنا فالتشبيه يَعكِس المعنى المرادَ . وأَيضًا فإنَّ المقصود نفىُ ما صدَّر بِهِ ، يعنى لا تحيّة بينهم . والتشبيه لا يفيد هذا المعنى .

وليس الشيخ أبا عُذرةِ هذا ، بل صرَّح به النحاة ، منهم سيبويه ، وقد فصله فى باب الاستثناءِ من كتابه ، ونقله ابن عصفور وابن الطرواة قالوا : إذا كان المبتدأُ والخبر معرفتين إمّا أَن تكون إحداهما قائمةً مقام الأُخرى ، أَو مشبَّهةً بها ، أَو هى نفسُها . فإن كانت قائمةً مقامَها كان الخبر ما تريد إثباته ، نحو قول عبد الملك بن مروان : « كان عقوبتك عَزْلَك » ، وكان زيْدٌ زهيرًا . فالعزلُ ثابتٌ لا العقوبة . والتشبيه بزهير ثابت . ولو قلتَ : كان عزلُك عقوبتَك كان معاقَبًا لا معزولا . ولو قلتَ : كان زهير زيدًا ، أَثبتَّ التشبيه لزهير بِزيد.

قال ابن الطَّراوة : وقد[1] غلط فى هذا أَجِلَّةٌ من الشُّعراءِ ، منهم المتنبِّى فى قوله :

ثيابُ كريمٍ ما يصُـــونُ حِسانَها إذا نُشِرَتْ كان الهباتُ صوانَها[2]

فذمَّه وهو يرى أَنَّه مدحَه . أَلا ترى أَنَّه أَثبت الصَّونَ ونفى الهبات، كأَنَّه قال : الذى يقوم لها مقامَ الهباتِ أَن تصان . وقد أُجيب عن المتنبى.

---

(١) فى ط : « قد غلط » مجردة من الواو .

(٢) مطلع قصيدة له فى ديوانه ٢ : ٣٩٠ يمدح بها سيف الدولة وقد أهدى له ثياب ديباج ، ورمحاً ، وفرساً ، ومهراً . قال العكبرى : « رفع ثياب على تقدير : عندى ثياب ، أو أتتنى ثياب » . وفى الشرح أيضاً : « يقول : أتتنى ثياب من كريم لا يصون الثياب الحسنة ، ولكن يهبها ، فليس لها صوان إلا الهبات ، فلا يتركها فى التخت ، بل يهبها . قال الواحدى : ويجوز أن يكون ما يصونها من منديل ونحوه يكون هبة أيضاً » .

فإذا لم يكن فى شىءٍ من أطرافه تجوُّز ولم يُقصَد التشبيه فهو حقيقة ، بجعلِ بدلِ الشىء القائم مقامه فردًا منه ادّعاءً. فالتصرُّف فى النسبة .ألاترى لو قلت إنْ كان الضرب تحيّةً فهو تحيَّتهم ، كان حقيقةً قطعًا . فجعل الغرض المقدَّر كالظاهر ، وهو نوعٌ على حِدَة ، من خلاف مقتضى الظاهر .

٥٥

وأمَّا وجه بلاغته وعلى ماذا يدلُّ ، فقد حقَّقه صاحب (الكشَّاف) فى مواضع : منها أنَّه قال فى تفسير قوله تعالى : ﴿يومَ لا يَنْفَعُ مالٌ ولا بَنُون[1]﴾ الآية : هو من باب :

* تحيّةُ بينهِمْ ضربٌ وجيعُ *

وما ثوابهُ إلاَّ السيف . وبيانه أن يقال : هل لزيد مال وبنون ، فتقول : ماله وبنوه سلامةُ قلبه . تريد نفىَ المالِ والبنينَ عنه . وإثباتَ سلامةِ القلب له بدلاً عَنْ ذلك .

وقال فى موضع آخر : إنَّه يدلُّ على إثبات النفى[2] ؛ فمعنى : « ليس بها أنيسُ إلاَّ اليعافير » : أى إنَّه لا أنيسَ بها قطعًا . لأنَّه جعل أنيسها اليعافير دون غيرها . وهى ليست بأَنيسٍ قطعًا . فدلَّ على أنَّه لا أنيس بها . وهو قريبٌ مما لوقلت : إن كانت اليعافير أنيسًا فإنَّها أنيس . ووجه دَلالته على إثبات النفى[3] أنَّه استعملته العرب مرادًا به الحصر ، فإنَّ الكلام قد يدلُّ عليه ، نحو : الجواد زيد ، والكرم فى

---

(١) الآية ٨٨ من سورة الشعراء .

(٢) ط : « ثبات النفى » .

(٣) ط : « ثبات النفى » .

العرب، وشرٌّ أهرَّ ذا ناب. ولذا ذكره النحاة فى باب الاستثناء. والحصرُ الملاحَظُ فيه جارٍ على نَهْج الاستثناء المنقطع، لأنَّه من التنويع عند الخليل. فعلى هذا وضَحَ إفادته ثَبات النفى[١]. وظهرعدم التجوُّز فىمفرداته وأنَّه لا يتصوّر فيه التشبيه.

وأما قوله فى المائدة فى تفسير: ﴿بِشَرٍّ مِنْ ذلكَ مَثُوبةً[٢]﴾ فإنْ قلت: المثوبة مختصَّة بالإحسان فكيف جاءت فى الإساءة، قلت: وضعت المثوبة موضعَ العقوبة على طريقة قوله:

* تحية بينهم ضربٌ وجيع *

ومنه: ﴿ فبشّرْهُم بعذابٍ أليم[٣] ﴾. انتهى.

فمراده أنَّ الآية من باب الإيجاز، وأنَّ فى الكلام تنويعًا مقدّراً. وهذا تفريعٌ مبنىٌّ عليه. والتقدير: إنْ نَقَمتم منهم وادَّعيتم لهم العقوبة فعقوبتهم المَثُوبة. وقد صَرَّح فى سورة مريم، وهذا دأبه، يُجمِل فى محلّ ويفصِّل فى آخر.

وقال فى تفسير قوله تعالى: ﴿ والباقياتُ الصَّالحاتُ خَيْرٌ عِنْدَ ربِّك ثوابًا[٤] ﴾: فإن قلت: كيف قيل خيرٌ ثواباً، كأَنَّ لمفاخراتهم ثوابًا حتَّى يجعل ثوابُ الصالحات خيرًا منه؟ قلت: كأَنَّه قيل: ثوابهم النار، على طريقة قوله:

---

(١) اتفقت النسختان هنا على « ثبات النفى ».

(٢) الآية ٦٠ من سورة المائدة.

(٣) من الآية ٢١ من آل عمران و ٢٤ من التوبة، كما أنها الآية ٢٤ من الانشقاق.

(٤) من الآية ٤٦ من سورة الكهف و ٧٦ من مريم. والكلام بعده إلى « قلت » الثانية ساقط من ش.

* فأَعتِبُوا بالصَّيْلم *

وقوله :

* تحيّة بينهم ضربٌ وجيعُ *

ثم بُنِيَ عليه خير ثواباً . وفيه ضربٌ من التهكُّم الذى هو أَغْيَظُ للمتهدَّد من أن يقال له : عقابُك النار . انتهى .

والمُراد أنَّ بعضَ التَّنويع قد يُستعْمَل فى مقامِ التهكُّم . وقد صرح به ابن فارس (فى فقه اللغة الصاحبي[١]) فى باب ما يجرى مجرى التهكُّم والهُزء ، فقال : ومن هذا الباب أتانى فقرَيته جَفاءً ، وأعطيتُه حِرْمانًا . وقولُ الفرزدق :

* قريناهُم المأْثورةَ البيضَ[٢] * انتهى .

وقد يستعمل بدونه كما فى قوله : ﴿ يوم لا ينفَعُ مالٌ ولا بنون[٣] ﴾ الاية . وفى الحديث : « من كان له إمامٌ فقراءة الإمام قراءةٌ له » وقد فسِّر بهذا المعنى ، ولا يمكن فيه التهكُّم .

وهذا المصراع عجزٌ ، وصدره :

(وخَيلٍ قد دَلفتُ لها بخيـــل تحيَّةُ بينِهِم ضربٌ وجيـــعُ)

---

(١) كذا فى النسختين . والمعروف أنه « الصاحبى فى فقه اللغة » .

(٢) كذا اقتصر ابن فارس على هذا الجزء من بيت الفرزدق . وقد وجدته فى ديوانه ٥٦٢ ، والنقائض ٥٦٥ . وهو بتمامه :

قريناهم المأثورة البيض ، قبلهـــا يثج العروق الأزأنى المثقـــف

والمأثورة : السيوف التى قد صقلت حتى ظهر أثرها ، أى فرندها وحسنها الذى تراه فى السيف كأنه أرجل نمل . والأزأنى : الرماح المنسوبة إلى ذى يزن . والمثقف : المقوم بالثقاف . يريد : طاعناهم بالرماح ثم صرنا إلى التضارب بالسيوف .

(٣) الآية ٨٨ من سورة الشعراء .

و (الخيل) : اسمُ جمعِ الفرس لا واحدَ له من لفظه . والمراد به الفُرسان كما فى قوله صلى الله عليه وسلم : « يا خيلَ الله اركبى » . وأراد بالخيل الأَوَّل خيلَ الأَعداء ، وبالثانى خيلَه ، والضمير فى بينهم للخيلين. ودلَفْتُ : دنوت وزَحَفت ، من دلف الشيخ من باب ضَرَب ، إذا مشَى مشيًا ليِّنا . والباءُ للتعدية ، أَى جَعلتُها دالفــة إليها . فاللام بمعنى إلى .

٥٦ وتحيّة مضاف ؛ وبينهِم مضاف إليه مجرور بكسر النون ، لأَنَّه ظَرف متصرِّف ، ولو فتح كان مبنيًّا لإضافته للمبنىْ .

وزعم ميربادشاه (فى حاشية البيضاوى) أَنَّ معناه إنَّ ضربهم الوجيعَ كتحيّة بينهم ، على التشبيه البليغ المقلوب . وقد بيَّنّا بُطلانه .

ووصف الضَّربَ بالوجيع مجازًا . ويجوز أَن يكون وجيع بمعنى مُوجع ، والمعنى ربَّ خيلٍ للأَعداء أَقبلْتُ عليهم بخيلٍ أُخرى كان التحيَّةُ بينهم ضربًا وجيعًا ، أَى كان مكانَ التحية هذا النَّوعُ من الضرب .

وقد أَوردَهُ[1] سيبويه فى باب الاستثناء وقال : جَعلوا الضَّرب تحيةً كما جعلوا اتِّباع الظنِّ علمهم .

وأَورده ثانيًا فى باب (أَو) وقال : العرب تقول : تحيَّتك الضَّربُ، وعِتابُك السَّيف ، وكلامُك القتل[2] .

قال الأَعلم : الشاهد فيه جعل الضَّرب تحيّةً على الاتِّسَاع المقدَّم ذكره . وإنّما ذكر هذا تقويةً لجواز البدل فيما لم يكن من جنس الأَوّل .

---

(١) ط : « أورد » ، صوابه فى ش .

(٢) سيبويه ١ : ٤٢٩ .

يقول : إذا تلاقَوْا فى الحرب جعلوا بدلاً من تحيَّة بعضِهم لبعض الضربَ الوجيع .

صاحب الشاهد

وهذا البيت نسبه شُرَّاح أبيات الكتاب وغيرُهم ، إلى عمرو بن مَعْدِ يكربَ الصَّحابى ،ولم أره فى شعره . والعجب من شيخنا الشِّهابِ الخفاجىّ أنَّه نسبه إليه (فى حاشية البيضاوى) وقال : هو من قصيدة مَسطورةٍ له فى المفضليات ، مع أنه غير موجود شعرُه فى المفضليات لا من كثيره ولا من قليله .

قال ابن رشيق (فى العمدة ، فى باب السرقات الشعرية) : ومما يعدّ سَرِقًا وليس بسَرق اشتراك اللفظ المتعارَف ، كقول عنترة :

وخيــل قد دلفت لها بخيـل ... عليها الأُسْدُ تَهْتَصِرُ اهتصارا[1]

وقول عمرو بن معد يكرب :

وخيــل قد دلفت لها بخيل ... تحية بينهِمْ ضربٌ وجيعُ

وقول الخنساءِ تَرْثى أخاها صخراً[2] :

وخيــل قد دلفت لها بخيل ... فدارت بين كبشَيْها رحاها

وقول الأعرابى[3] :

وخيل قد دلفت لها بخيـلٍ ... ترى فُرسانَها مِثْلَ الأُســودِ

وأمثال هذا كثيرٌ . انتهى[4] .

---

(١) ديوان عنترة ١١٠ ، والعمدة ٢ : ٢٢٤ .

(٢) ديوان الخنساء ١٤٠ ، والعمدة ٢ : ٢٢٤ . وفى ديوانها : « بجول خيل » .

(٣) الذى فى العمدة : « ومثله » .

(٤) وردت هذه الأبيات فى العمدة على النسق الذى أثبته من ط . وقد سقط البيت الثانى من ش وقدم فيها البيت الأخير على الذى قبله . وورد البيت الأول لعنترة مشوهاً إذ جعل عجزه تكراراً سابقاً لعجز بيت الخنساء .

وإن يكن البيت لعمرو بن معديكرب فقد تقدَّمت ترجمته فى الشاهد الرابع والخمسين بعد المائة[١] .

* * *

وأنشد بعده :

(إذْ ذَهَبَ القومُ الكِرامُ لَيْسِى)

على أنَّ (ليس) لنقصان فعليَّتها جاز ترك نون الوقاية معها . وصدره :

* عددت قومى كعَدِيدِ الطَّيْسِ *

وتقدَّم شرحه فى الشاهد الثانى والتسعين بعد الثلثمائة[٢] .

* * *

وأنشد بعده :

(فأنْتِ طَلاقٌ والطَّلاقُ إليَّةٌ)

وهذا صدر وعجزه :

* ثلاثًا ومن يَخرَقْ أعقُّ وأَظلَمُ *

على أنَّ جملة (والطلاق أليَّة) من المبتدَإ والخبر اعتراضيَّة .

وتقدَّم شرحُه مفصَّلا فى الشاهد الخامس والأربعين بعد المائتين[٣]

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثامن والثلاثون بعد السبعمائة[٤] :

٥٧ ٧٣٨ (وكُونِى بالمَكارِمِ ذَكِّرِينِى)

على أنَّه جاء خبر كان جملةً طلبيَّة . وهذا مختصٌّ بالشِّعر .

والمعنى : كونى مُذكِّرةً بالمكارم ، وليس يريد كونى بِالمكارم . يقوِّى ذلك قولُه قبلَه :

---

(١) الخزانة ٢ : ٤٤٤ .

(٢) الخزانة ٥ : ٣٢٤ – ٣٢٧ .

(٣) الخزانة ٣ : ٤٥٩ – ٤٧١ .

(٤) نوادر أبى زيد ٣٠ ، ٥٨ وضرائر ابن عصفور ٢٥٨ والمغنى ٥٨٥ والهمع ١ : ١١٣ والأشباه والنظائر ٣ : ٢٣٦ .

(أَلَا يا أُمَّ فارعَ لا تَـلُومِى   على شىءٍ رفعتُ به سَماعِى
وكـونى بالمـكارِمِ ذكِّرينى   ودَلِّى دَلَّ مـاجِدةٍ صَنَاعِ)

فالمعنى : لا تلومينى على شىءٍ رفعتُ به صِيتى وذِكرِى . وذكِّرينى به[1] .

صاحب الشاهد

والبيتان أَوردهما أبو زيدٍ (فى نوادره) ، ونسبَهما إلى بعض بنى نَهْشَل ، وقائلهما جاهلىٌّ .

قال ابن عصفور (فى كتاب الضرورة) : جعل ذكِّرينى فى موضع مذكِّرة ، وهو قبيح . لأَنَّ فعلَ الأَمر لا يقوم مقامَ الخبر فى باب كان. وإنما فَعَل ذلك لأَنَّ كُونى أَمرٌ فى اللفظ ، ومحصولُ الأَمر منه لها إنما وقَعَ على التذكير ، فلمَّا كان فى المعنى أَمرًا لها بتذكيره استعمل فيه لفظَ الأَمر . انتهى .

وقال السكرى (فيما كتب على نوادر أَبى زيد) : المعنى : وصِيرِى مذكِّرةً لى بالمكارم . وتقديره فى العربيّة ردىءٌ ، لو قلت : كن بغلام بشِّرنى لم يَجُزْ . وهو يريد يا أُمَّ فارعةَ ، فحذف، وذلك شاذٌّ لأَنه ليس بمنادًى إنَّما المنادى الأُمّ . والصَّنَاع ، بفتح الصاد : الرفيقةُ الكفّ . والماجدة : الكريمة . يقول : اضبِطى دلالَكِ[2] بمنفعةٍ وصنعة ، ولاتكونى خرقاءَ لا تنفع أَهلها . انتهى .

وقال أَبو زيد: قوله سماعى، أَى ذِكْرى وحُسْنَ الثَّناءِ علىّ . ودَلِّى بفتح الدال ، من دلَّتتدلُّ، ودَلِلْتُ أنا أَدَلُّ، مثل خَجِلت أَخجل.انتهى.

---

(١) كلمة « به » ساقطة من ش .

(٢) فى النوادر : « اخلطى ذلك » .

قال ابن عقيل : الدَّلُّ قريبُ المعنى من الهَدْى . وهما من السَّكينة والوقارِ فى الهيئة والمنظر[(١)] والشمائل وغير ذلك . قاله أبو عبيدة . والصَّنَاع : الماهرة الحاذقة بعمل اليدَين . وقال الأخفش (فى حواشيه على النوادر): قوله :كونى بالمكارم ذكِّرينى . تقديره: كونى ممَّن أقول له ذَكِّرنى[(٢)] إذا سهوت . فجرى هذا على الحكاية . كما قال :

* سمعتُ النَّاسُ ينتجعون غيثًا *

أراد : سمعت قائلاً يقول : الناسُ ينتجعون ، فحَكَى . هذا كلامُه.

وقال ابن هشام (فى المغْنى) : جملة ذكِّرينى مؤوَّلة بالجملة الخبرية ، أى وكونى تذكِّريننى[(٣)] . انتهى .

وإنَّما أوّلَه لِما عُرِفَ من أنَّ شرط خبر كان إذا كانت جملة أن تكون خبرية . وقال السَّخاوى : يجوز أن يكون الخبر محذوفاً وذكرينى أمرًا مستأنفا . أى كونى بالمكارم مذكِّرة ذكرينى .

* * *

وأنشد بعده . وهو الشاهد التاسع والثلاثون بعد السبعمائة[(٤)] :

٧٣٩ (قَنافِذُ هَدَّاجُونَ حَوْلَ بيوتِهِمْ بما كان إيَّاهم عَطِيَّةُ عوَّدَا)

على أنَّ (كان) فى البيت عند البصريين إمّا شأْنيَّة وإمَّا زائدة ، فيكون عطيّة فى الأوّل مبتدأً وعوّدا فعل ماض، وألفُه للإطلاق، وفاعله ضمير عطية ، ومفعوله إيَّاهم المتقدم على المبتدإ؛ والأصل عَوَّدَهم، فلمَّا

---

(١) فى النسختين : « النظر » ، والوجه ما أثبت .

(٢) فى النسختين : « ذكرينى » ، صوابه من النوادر ٣٢ .

(٣) فى النسختين : « تذكرينى » ، صوابه من المغنى .

(٤) المقتضب ٤ : ١٠١ والتسهيل ١٠٧ والعينى ٢ : ٣٤ والهمع ١ : ١١٨ والتصريح ١ : ١٩٠ والأشمونى ١ : ٢٣٧ وديوان الفرزدق ٢١٤ والنقائض ٤٩٣ .

تقدَّم انفصل ، وجملة عوَّدهم خبر المبتدإ . والجملة الكبرى ، أعنى عطية عَوَّدهم ، فى محل نصب خبر كان ، واسمها ضمير الشأن .

قال ابن هشام (فى شرح الشواهد) : يجوز أن يكون اسمُ كان ضميرًا مستترًا فيها عائدًا على ما الموصولة . أى بسبب الأمرِ الذى كان هو عطيّة عوَّدهم إياه . وجملة عطيّة عودَّهم خبر كان . وحذف العائد لأنَّه ضميرٌ منصوب . ويجوز أيضًا أن يكون عطيّة اسم كان . وتقديم معمول الخبر للضرورة . وهذا الجوابُ عندى أولَى لاطِّراده فى نحو :

٥٨

باتَت فــؤادِىَ ذاتُ الخال سالبَةً
فالعيشُ إنْ حُمَّ لى عيشٌ من العَجَبِ[1]

إذِ الأَصل : باتت ذات الخال سالبةً فؤادى . ولا يجوز تقدير ذات مبتدأ ، لنصب سالبةً . واعتُرض على هذه الأَوجُه بأَنَّ الخبر الفعلىَّ لا يسبق المبتدأ ، فكذا معموله. والجواب: أَنَّ المانع من تقديم الفعل خشيةُ التباس الاسميَّة بالفعلية ، وذلك مأْمونٌ مع تقدُّم المعمول . انتهى

وأَوضحه (فى المغنى) بقوله : ولانتفاءِ الأَمرين ، وهما تهيئة العامل للعمل مع قطعه ، وإعمالُ الضَّعيف مع إمكان القوىّ، جاز عند البصريِّين وهِشامٍ تقديمُ معمولِ الخبر على المبتدإ فى نحو : زيدٌ ضرب عَمرًا ، وإن لم يجز تقديمُ الخبر . وقال البصريون فى نحو قوله :

* بما كانَ إيَّاهم عَطيَّةُ عوَّدَا *

إنَّ عطية مبتدأ ، وإيَّاهم مفعول عَوَّد ، والجملة خبر كان، واسمها

---

(١) مجهول القائل . وانظر العينى ٢ : ٢٨ والتصريح ١ : ١٩٠ والأشمونى ١ : ١٣٨ .

ضمير الشأْن . وقد خفيت هذه النكتة على ابن عُصفورٍ فقال : هَرَبُوا من محذور وهو أَنْ يفصلوا بين كان واسمها بمعمول خبرها ، فوقعوا فى محذورٍ آخرٍ ، وهو تقديم معمول الخبر حيث لا يتقدَّم الخبر . وقد بيَّنَّا أَنَّ امتناع تقدُّم الخبر فى ذلك لمعنىً مفقود فى تقدُّم معموله[1] . انتهى .

وبهذه الأَجوبةِ يُرَدُّ على الكوفيِّين قولُهم : يجوز أَنْ يلىَ كان أو إحدى أَخواتِها معمولُ خبرها غيرُ الظَّرف . واحتجُّوا بهذين البيتين . قال ابن الناظم ، وبِقوله :

فأَصبحُوا والنَّوَى عالِى مُعَرَّسِهِمْ وليس كلَّ النَّوى يُلقِى المساكينُ[2]

وقد خطَّأَه ابن هشام فيه بأَنَّه لو كان المساكين [اسما[3]] لِكانَ يجب أَن يقال يلقون أَو تلقى[4] ، وإنَّما كان فيه عند الفريقين مسندةٌ إلى ضمير الشَّأْن .

صاحب الشاهد — والبيت من قصيدةٍ للفرزدق (مذكورةٍ فى النَّقائض) ، هجا بها جريراً .

وقوله : (قنافذ هدَّاجون) : جمع قُنفذ بالذال المعجمة والمهملة ، وهو حيوانٌ معروف ، يُضرَب به المثلُ فى سُرَى اللَّيل ، يقال « أَسْرَى مِنْ قُنفذ[5] » . وهو خبر مبتدإٍ محذوف ، أَى هم قنافذ . وهذا تشبيهٌ بليغ كما

---

(١) ش : « تقديم معموله » .

(٢) لحميد الأرقط . وانظر معجم الشواهد .

(٣) تكلة يفتقر إليها الكلام . والمعنى أن تكون المساكين اسماً لليس ويلقى خبراً لها ، وفصل معمولها وهو « كل » بينها وبين اسمها .

(٤) ش : « أو متلق » ، صوابه فى ط .

(٥) وقالوا أيضاً : « أسرى من أنقد » ، وهو القنفذ ، لا ينام ليله أجمع . يشبه النمام لخبثه وتقلبه فى ليله . جمهرة العسكرى ١ : ٥٢٥ .

حقَّقه السَّعد التفتازانى ، لا استعارةٌ بالكناية كما توهَّم العينى ، مع اعتراضه بأنَّه خبر مبتدإٍ كما ذكرنا . وهَدَّاجون : فعَّالون من الهَدْج ، بالإسكان ، والهَدَجانِ بالتحريك ، وهو السَّير السريع . وفعلُه كضرب. ويروى : (درَّاجُون) من دَرَج الصبىُّ والشيخُ ، وفِعلُه كدخل ، ومعناه تقارُبُ الخطو بمنزلة مشْىِ الصبىّ(١) .

وعطية : أبو جرير . يقول : إنَّ رهط جرير كالقنافِذ ، لمشْيهم فى اللَّيل للسَّرقة والفجور ، وإنَّ أبا جرير هو الذى عوَّدهم ذلك .

وقد هجاه الأَخطلُ بمثل هذا أيضًا ، قال من قصيدة :

أَمّا كليبُ بنُ يَرْبُوعٍ فليس لهـا
عنـد التفاخُرِ إيرادٌ ولا صَدَرُ(٢)

مُخلَّفون ويَقْضِى النَّاسُ أمرَهُمُ
وهم بغَيبٍ وفى عَمْياءَ ، ما شَعَـرُوا

مِثلُ القنافذ هدَّاجونَ قد بلغَتْ
نجرانَ أَو بلغَتْ سَـوْءاتِهِمْ هَجَرُ(٣)

وترجمة الفرزدق قد تقدَّمت فى الشاهد الثلاثين من أوائل الكتاب(٤) .

* * *

(١) رواية النقائض : « قنافذ دراجون خلف جحاشهم لما كان » .

(٢) فى ديوان الأخطل ١٠٩ : « فليس لهم عند التفارط » . والتفارط : التقدم فى طلب الماء . ومنه الحديث : « أنا فرطكم إلى الحوض » .

(٣) فى الديوان :

على العيارات هداجون قد بلغت   نجران أو حدِّثت سوءاتهم هجـر

والعيارات : جمع عير ، وهو الحمار .

(٤) الخزانة : ١ : ٢١٧ .

٥٩ وأنشد بعده ، وهو الشاهد الأربعون بعد السبعمائة ، وهو من شواهد سيبويه[(١)] :

٧٤٠ (ما دامَ فيهنَّ فَصِيلٌ حَيًّا)

على أنَّه يجوز فى باب كان الإخبار عن النَّكرةِ المحضة إذا حصلت الفائدةُ كما هنا . فإنَّ قوله فصيلٌ اسم دام ، وحيًّا خبرها ، وحصلت الفائدةُ من تقديم فيهنَّ وهو متعلِّق بالخبر ، ولو حذفت فيهنّ انقلَبَ المعنى ، لأَنَّك إذا قلت ما دام فصيلٌ حيًّا فالمراد أَبدًا ، كما تقول : ما طلعَتْ شمس ، وما ناح قُمرىّ . فلمَّا لم تتمَّ الفائدة إلاَّ به حُسنَ تقديمُهُ لمضارعته الخبرَ فى الفائدة .

ومثله قوله تعالى: ﴿ ولم يكن له كُفُوًا أَحَدٌ[(٢)] ﴾ فإنَّ قوله له وإن لم يكن خبرًا فإنَّه به يتم المعنى ، لأَنَّ سقوطَها يُبطِلُ معنى الكلام ؛ لأَنَّك لو قلت : لم يكن كفوًا أَحـــد ، لم يكن له معنى، فلمَّا أَحوجَ الكلامُ إلى ذكر «له» صار بمنزلة الخبر الذى لايُستغنَى عنه، وإن لم يكن خبرًا . ولم يكن بمنزلة قوله : ما كان فيها أحدٌ خيرًا منك ، لأَنَّك لو حذفت فيها كان كلامًا صحيحاً .

وهذا البيت أورده سيبويه فى باب الإخبار عن النكرة بالنكرة وأمثلته فى كان وأخواتها؛ قال فيه: وتقول : ما كان فيها أحدٌ خيرًا منك ، وما كان أَحدٌ مثلُك فيها، وليس أَحدٌ فيها خيرٌ منك، إذا جعلتَ

---

(١) فى كتابه ١ : ٢٧ . وانظر النوادر ١٩٤ والمقتضب ١ : ٩٤ وابن يعيش ٤ : ٧/٣٣ : ٩٦ ، ١١٥ وشرح أدب الكاتب للجواليقى ٦٥ واللسان (جلذ ١٣ دوم ١٠٨ هيا ٢٥٣) .

(٢) الآية ٤ من سورة الإخلاص .

فيها مستقَرًّا ولم تجعله على قولك : فيها زيد قائم ، أجريت الصِّفة على الاسم . فإن جعلته على قولك: فيها زيد قائم، نصبتها ، تقولُ: ما كان فيها أحدٌ خيرًا منك ، وما كان أحدٌ خيراً منك فيها ، إلّا أنَّك إذا أردت الإلغاء فكلَّما أخَّرتَ الذى تُلغيه كان أحسن . وإذا أردت أن يكون مستقَرًّا مكتفىً [به[1]] فكلَّما قدَّمته كان أحسن ، لأنَّه إذا كان عاملاً فى شىء قدَّمته ، كما تُقدِّم أظنّ وأحسَب . وإذا ألغيتَه أخَّرته ، كما تؤخِّرهما ، لأنَّهما ليسا يعملان شيئًا . والتقديم ههنا والتأخير ، والإلغاءُ والاستقرار ، عربىٌّ جيِّدٌ كثير . فمن ذلك قوله عزَّ وجلّ : ﴿ولم يكنْ له كُفُوًا أحد﴾. وأهلُ الجفاء يقولون : ولم يكن كفوًا له أحد ؛ كأنَّهم أخَّروها حيث كانت غير مستقرّة . قال الشاعر :

(لتقرُبِنَّ قَــــربًا جُلذيًّا ... مــا دامَ فيهنَّ فصيلٌ حيًّا
وقد دَجَا اللَّيلُ فَهيًّا هِيًّا)

انتهى كلام سيبويه .

قال ابن يعيش : سيبويه يسمِّى الظرف الواقعَ خبراً : مستقَرًّا ، لأنَّه يقدَّر باستقَرّ وإن لم يكن خبراً سمَّاه لغْواً . وتقديم الظرف وتأخيره إذا كان مستقَرًّا جائزٌ عنده ، وإنَّما يُختار تقديمُه . فإن قيل : فما تصنع بقوله سبحانه : ﴿ ولم يكن له كُفُوًا أحد ﴾ قُدِّم الظرف مع أنَّه لغو ؟ قيل : لمَّا كانت الحاجةُ ماسَّةً والكلامُ غيرَ مستغنٍ عنه ، كأنَّه خبرٌ مقدَّم لذلك . ألا ترى أنَّ قوله تعالى : ﴿ الله الصَّمَدُ ﴾ مبتدأٌ وخبر . وقوله : ﴿ ولم يكن له كُفُوًا أحدٌ ﴾ معطوف عليه ، وما عُطِف على الخبر

---

(١) التكلة من ش وسيبويه . لكن فى سيبويه : « تكتفى به » .

كان فى حكم الخبر ، فلذلك لم يكن من العائد فى قوله له بُدٌّ، لأَنَّ الجملة إذا وقعت خبرًا افتقرت إلى العائد . قال : وأهل الجفاء يقولون : ولم يكن كُفُوًا له أحد[1] . أراد بأَهل الجفاء الأَعرابَ الذين لم يبالوا بخطِّ المصحف ، ولم يَعلموا كيف هُو . فأَمَّا قوله :

* ما دام فيهنَّ فصيلٌ حيًّا *

فإنَّه قدَّم الظرف ههنا وإن لم يكن مستقَرًّا ، فإنَّه متعلِّق بالخبر وذلك لجواز التقديم عنده[2] مع أنَّه قد تدعو الحاجة إليه ولا يسوغ حذفه ، إذ حذفُه يغيِّر المعنى[3] ، ويصير بمعنى الأَبد ، كقولك : ماطلعت الشمس . فلمَّا كان المعنى متعلِّقاً به صار كالمستقَرِّ فقدَّمه لذلك . انتهى.

٦٠

وقد أَورد الشارح المحقِّق هذا الكلامَ فى آخر البحث (فى الحروف المشبَّهة بالفعل) وقال : يجوز الإخبار عن النكرة فى باب إنَّ وفى باب كان ، بالنكرة والمعرفة .

وجوَّزه أبو حيَّان فى الأَوَّل دونَ الثَّانى ، قال (فى تذكرته) : نَصبُ إنَّ وأَخواتِها للنَّكرات لا ينحصر ، وقد أُخبر بالمعرفة ، وهذا غريب ،ولا يجوز فى الابتداء ولا فى كان. حكى سيبويه : إنَّ قريباً منك زيد ، وإنَّ بعيدًا منك زيد . وأَنشد سيبويه :

* وإنَّ شفاءً عَبرةٌ مُهَرَاقةٌ[4] *

(١) ط : « ولم يكن له كفواً أحد » ، صوابه فى ش وابن يعيش . وانظر الصفحة السابقة . وبعده فى ابن يعيش : « فيؤخرون الجار والمجرور لقوة التأخير فى الملغى عندهم » .

(٢) ط : « وذلك يجوز التقديم عنه » ، ش : « وذلك يجوز التقديم عنده » ، صوابه من ابن يعيش ٧ : ١١٥ .

(٣) ابن يعيش : « إذ لو حذف تغير المعنى » .

(٤) لامرئ القيس فى معلقته ، وتمامه :

* وهل عند رسم دارس من معول *

وحَكى : إنَّ ألفًا فى دراهمك بيضٌ ، وإنَّ بالطريق أسدًا رابضٌ .

وجاز عندى أن يكون المعرفة خبرًا عن النكرة هنا لمَّا كان المعنى واحداً ، وأنَّه لما كان فضلةً فكأنَّه غير مسند إليه ، فجاز تنكيره ، ولمَّا كان الخبر مرفوعًا صار كأنَّه مسند إليه فكان معرفة .

وذكر الجرمىُّ هذه المسألة (فى الفرخ) وقال : إنَّه يبتدأُ بالنكرة ويخبر بالمعرفة عنها فى هذا الباب . وقال : جائزٌ ذلك ، لأنَّهم لا يقدِّمون خبر إنَّ كما يتَّسعون فى ذلك ، فَأَعْطَوْا إنَّ ما منعوا فى كان . وقد منَعُوا خبر كان ، ومنعوا أن يكون خبرها معرفة واسمها نكرة ، فأعطَوْا كلَّ واحد منهما ما مُنِعَه صاحبُه . انتهى .

والشارح تابعٌ فى ذلك لابن مالك . وكثرةُ السَّماع يشهدُ لصحَّة قولهما .

صاحب الشاهد

وهذه الأبيات الثلاثة نسبَها ابنُ السِّيرافى وابنُ خلفٍ لابن ميَّادة . وتقدَّمت ترجمته فى الشاهد التاسعَ عشرَ من أوائل الكتاب[1] .

وقوله : « لتقرُبِنَّ » قال ابن السيرافى : هو جوابُ قسمٍ محذوف ، وهو بضم الراء وكسر الباء . قال الجوهرى : قَرَبْت أَقْرُب قرابة ، مثل كَتَبت أكتب كتابة ، إذا سرتَ إلى الماء وبينك وبينه ليلة . والاسم القَرَب بفتحتين . وقال الأصمعى : قلت لأعرابىٍّ : ما القَرَب ؟ قال : سير الليل لورِدِ الغد . قلت : ما الطَّلَق ؟ قال : سير اللَّيل لورد الغِبِّ . وقال : أقرب القومُ فهم قاربون ، ولا يقال مُقْربون . قال أبو عبيد : هذا الحرف شاذ .

(١) الخزانة ١ : ١٦٠ .

أقول : قد سُمع ثلاثيُّهُ فلا شذوذ . وقال أبو الحسن الأخفش : لتقرُبِنّ: لَترِدِنّ . وليلة القَرَب : ليلة الورد . وهذا خطابٌ لناقته . يقول: لتسيرِنَّ إلى الماءِ سيرًا حثيثًا[١] . والجُلْذِيّ بضم الجيم وسكون اللام بعدها ذال معجمة ، ومعناه السَّريع الشديد ، فهو وصفُ القَرَب . وقيل منادًى مرخَّم . جُلذيّةَ : اسم ناقته . والضمير فى فيهن عائد على الإبل ، ودلَّ عليه سياق الكلامِ وذِكرُ النَّاقة ، فأضمر وإن لم يَجْر لها ذِكر . والفصيل: ولد الناقة ، وإنَّما ذكره لأنَّ ناقته من جملة الإبل يسوقها إلى الماءِ سَوقاً حثيثاً . فيقول : لا أعذِرك ما دام فيهنَّ فصيلٌ يطيق السَّير. ودجَا اللَّيلُ: أظلم . وهَيًّا هِيًّا زجرٌ لها وتصويتٌ حتَّى تسِير ، أى مبادرةً . وليس منه فعل، وهى مكسورة الأوّل . وقد حكيت بالفتح. قاله ابن خلف. [وقوله[٢]] : وليس منه فعلٌ، يناقضه قول الجواليقى (فى شرح أدب الكاتب) : يقال هَوى يهوِى هَيًّا وهُوِيًّا وهَوَيانا ، إذا سقَط . وأنشد هذا الرجز[٣] ثم قال : يريد اهوِى واعجَلى . انتهى .

ومقتضاه أنَّه بالفتح لا بالكسر ، وأنَّه مصدرٌ لا اسمُ فعل ، إلاَّ أن يكون هذا هو الأَصل ثم نُقِل إلى اسم الفعل .

* * *

٦١ وأنشد بعده ، وهو الشاهد الحادى والأربعون بعد السبعمائة ، وهو من شواهد سيبويه[٤] :

---

(١) ط : « حبيباً » ، صوابه فى ش . (٢) تكملة يفتقر إليها الكلام .

(٣) رواية الرجز فى شرح الجواليقى :

لتقربن قربا جلذيـــا ما دام منهن فصيل حيا

فقد دنا الليل فهيا هيا

ولا ريب أن « جلديا » بالدال المهملة تصحيف .

(٤) فى كتابه ١ : ٢٨٤ . وانظر المقتضب ٣ : ٢٩١ والمنصف ٣ : ٤٠ وسر الصناعة ١ : ٢٥٨ وأسرار البلاغة ١٦٠ والمغنى ٣٥١ ، ٤٨٣ والهمع ٢ : ٧٧ ، ١٤٠ والأشمونى ٣ : ١٢٢ ، واللسان (هلل) . وهو من معلقة امرئ القيس .

٧٤١ (وإنَّ شفاءً عبرةٌ مُهَرَاقةٌ)

على أنَّه يجوز أن يُخبَر فى باب إنَّ أيضاً عن النكرة كما هنا ، فإنَّ شفاءً وقع اسمَ إنَّ منكَّرًا ، وأُخبر عنه بَعبْرة .

قال الشارح المحقِّق : وكذا أنشده سيبويه .

أقول : هذا نصُّه (فى باب ما يحسُن عليه السُّكوت فى هذه الأَحرف الخمسة إنَّ وأخواتها) ، قال : وتقول : إنَّ قريبًا منك زيدًا ، إذا جعلتَ قريبًا منك مَوضعا . وإنْ جعلت الأَوّل هو الآخر قلت : إنَّ قريبًا منك زيدٌ ، وتقول : إنَّ بعيدًا منك زيد . والوجهُ إذا أَردتَ هذا أَنْ تقول : إنَّ زيدًا قريبٌ أَو بعيدٌ منك ، لأَنَّه اجتمع معرفةٌ ونكرة . وقال امرؤُ القيس :

وإنَّ شفــاءً عَبرةٌ مُهَــرَاقةٌ فهَلْ عِندَ رسمٍ دارسٍ من مُعَوَّل

فهذا أَحسَنُ لأَنَّه نكرة . وإن شئتَ قلت : إنَّ بعيدًا منك زيدًا . وقلَّما يكون « بعيدًا منك » ظرفًا ، لأَنَّك لا تقول : إنَّ بُعدَك وتقول: إنَّ قُربَك[1] ، فالدُّنوُّ أَشدُّ تمكينًا فى الظرف من البُعْد . انتهى كلامه .

والرواية المشهورة فى البيت : « وإن شفائى »، بالإِضافة إلى ياء المتكلِّم. وهذا هو المشهور المعروف .

صاحب الشاهد

والبيت من أَوّلِ معلَّقة امرئْ القيس ، ولم يذكر شُرَّاحُها تلك الرواية ، إلاَّ أَنَّ الخطيبَ التِّبريزى قال : روى سيبويه هذا البيتَ « وإنَّ شفاءً عَبرةٌ » ، واحتجَّ فيه بأَنَّ النَّكرة يُخبَر عنها بالنكرة . ويروى :

* وإن شفائى عَبرةٌ لو سَفَحْتُها *

---

(١) فى كتاب سيبويه : « لأنك لا تقول إن بعدك زيداً ، وتقول إن قربك زيداً » .

أى صببتُها . ولوْ للتَّمَنِّى لا جوابَ لها . والعَبرة ، بالفتح : الدَّمعة ، وجمعها عِبَر ، كَبَذْرة وبِدَر . ومُهَراقة بفتح الهاءِ ، أى مصبوبة . قال ابن السيد (فى شرح أدب الكاتب) : قد ذكر ابنُ قتيبة فى باب فعلت وأفعلت هَرَقت الماءَ وأهرقته. وقد قال مثلَه بعضُ اللغويِّين ممَّن لايُحسن التصريف ، وتَوهَّم أنَّ هذه الهاءَ فى هذه الكلمة أصل . وهو غلطٌ ، والصَّحيح أنَّ هَرقْت وأهرقت فِعلان رُباعيَّانِ معتلَّان ، أصلهما أَرقت[1] . فمن قال هَرقت فالهاءُ عنده بدلٌ من همزة أَفعلت ، كما قالوا : أرحت الماشية وهَرَحتها ، وأنرت الثوب وهَنَرتُه . ومن قال أهرقت فالهاءُ عنده عِوضٌ من ذَهاب حركة عين الفعل عنها ، ونقلها إلى الفاء ؛ لأَنَّ الأَصل أَرْيَقْتُ أو أَرْوَقْتُ ، بالياءِ أو بالواو ، على الاختلاف فى ذلك ، ثم نُقلت حركة الواو أو الياءِ إلى الراءِ ، فانقلب حرفُ العلَّة ألفًا لانفتاح ما قبلها ثم حُذف لسكونه وسكون القاف[2] . والساقط من أرقت يحتمل أن يكون واوًا فيكون مشتقًا من راق الشىءُ يروق ، ويحتمل أن يكون ياءً لأَنَّ الكسائىَّ حكى رَاق الماءُ يَريق ، إذا انصبَّ. والدَّليل على أنَّ الهاءَ فى هرقت وأهرقت ليست فاءَ الفعل على ما توهَّم من ظَنَّها كذلك ، أنَّها لو كانت كذلك للزم أن يُجرى هَرقت فى تصريفه مُجرى ضربت ، فيقال هرقت أهرِق هَرْقًا ، كما تقول ضَربت أضرِب ضَربًا ، أو مُجرَى غيرِه من الأَفعال الثلاثية التى يجىءُ مضارعُها بضمِّ العين وتجىءُ مصادرُها مختلفة . وكان يلزم أن يُجرَى أهرقت فى تصريفه مُجرَى أكرمت ونحوِه من الأَفعال الرباعية المصَحَّحة ، فيقال أهرقت أهرِق

---

(١) ط : « أريقت » ، صوابه فى ش والاقتضاب لابن السيد ٢٢٧ .

(٢) ش : « الفاء » ، صوابه فى ط والاقتضاب ٢٢٧ .

٦٢ إهراقا ، كما تقول : أكرمت أُكرِم إكراماً . ولم تقل العرب شيئًا من ذلك ، وإنَّما يقولون فى تصريف هَرَقت أهَرِيق ، يفتحون الهاء ، وكذلك يفتحونها فى اسم الفاعل فيقولون مُهَرِيق ، وفى اسم المفعولُ مُهَراق ، لأنَّها بدل من همزةٍ لو ثبتت فى تصريف الفعل لكانت مفتوحة . ألا ترى أنَّك لو صرَّفت أرقت على ما ينبغى من التصريف ولم تحذف الهمزة منه لقلت فى مضارعه يُؤَرْيِق ، وفى اسم فاعله مُؤَرِيق ، وفى اسم مفعوله مُؤْرَيَقٌ . وقالوا فى المصدر : هِراقة كما قالوا إراقة . وإذا صرَّفوا أهرقت قالوا فى المضارعُ أُهْرِيق وفى المصدر إهْراقة ، وفى اسم الفاعل مُهْرِيق وفى اسم المفعول مُهْراق ، فأَسكنوا الهاء فى جميع تصريف الكلمة . فهذا يدلُّ على أنَّه رباعىٌّ معتلٌّ وليس بفعل صحيح ، وأنَّ الهاء فيه بدل من همزة أَرَقت أو عوضٌ كما قلنا . قال العُدَيل بن الفُرخ[1] :

فكنت كمهريق الذى فى سِقائه ... لرقراقِ آلٍ فوقَ رابيةٍ صَلْدِ[2]

وقال ذو الرمة :

* فلما دنت إهْراقةُ الماءِ أنصَتَتْ[3] *

وقال الأعشى فى أَراكٍ :

فى أَراكٍ مَرْدٍ يكاد إذا ما ... ذرَّتِ الشَّمس ساعةً يُهْراقُ[4]

(١) سبقت ترجمته فى ٥ : ١٩٠ . والفرخ بضم الفاء وآخره خاء معجمة ، وفى الاقتضاب ٢٢٨ : « الفرج » ، تحريف .

(٢) فى الاقتضاب : « رابية جلد » ، وكذا فى اللسان (هرق ٢٤٦) .

(٣) تمامه كما فى الاقتضاب ٢٢٨ وديوان ذى الرمة ٦٤٥ واللسان (هرق) :

* لأعزله عنهـــا وفى النفس أن أثنى *

وهو من لغز له فى بكرة البئر من أبيات ثلاثة ، وقبله :

وجارية ليس من الإنس تستحى ... ولا الجن قد لاعبتها ومعى ذهـنى

فأدخلت فيهـا قيـد شبر موفـــر ... فصاحت ولا والله ما وجدت تزنى

(٤) ديوان الأعشى ١٤١ .

انتهى كلامُه ، ولجودته سقناه بتمامه .

وقوله : (فهل عِنْد رسم) إلخ ، الرَّسمُ : الأثَر . والدَّارس : المنطمِس . والفاءُ فى جواب شرط مقدَّر ، قال ابن جنى (فى سر الصناعة) : ومن ذلك قول امرئ القيس :

وإنَّ شفائى عَبرةٌ .... البيت

ففى قوله معوَّل مذهبان : أحدهما أنَّه مصدرُ عوَّلت بمعنى أعولت ، أى بكيت . أى فهل عند رسم دارسٍ من إعوالٍ وبكاءٍ . والآخر : أنَّه مصدر عوَّلت على كذا ، أى اعتمدت عليه ، كقولهم : إنَّما عليك مُعوَّلى ، أى اتِّكالى . وعلى أىِّ الأمرينِ حملتَ المعوَّل فدخول الفاءِ على : فهل عند رسمٍ ، حسنٌ جميل ، أمَّا على الأوَّل فكأنَّه قال : إنَّ شفائى أنْ أسفحَ عَبرتى . ثم خاطبَ نفسَه أو صاحبيْهِ فقال : إذا كان الأمر على ما قدَّمتُ من أنَّ فى البكاءِ شفاءَ وجَدْىِ ، فهل من بكاءٍ أُشفى به غليلى ؟ فهذا ظاهره استفهامٌ لنفسه ، ومعناه التَّحضيض لها على البكاءِ ، كما تقول : قد أحسنتَ إلىَّ فهل أشكرُك ؟ أى فلأشكرنَّك . وقد زُرتَنى فهل أُكافئك؟ أى فَلَأُكافئنَّك . وإذا خاطب صاحبيه فكأنَّه قال : قد عرَّفتُكما سببَ شفائى ، وهو البكاءُ والإعوال ، فهل تُعْوِلان وتَبْكِيان معى لأَشفِىَ وَجْدِى ببكائكما . فهذا التفسير على قول من قال إنَّ معوَّلى بمنزلة إعوالى . والفاءُ عَقَدَتْ آخرَ الكلام بأوَّلِه ، لأنَّه كأنَّه قال : إن كنتما قد عَرَفتما ما أُوثره من البكاءِ فابكيا معى . كما أنَّه إذا استفهم نفسَه فكأنَّه قال : إذا كنتُ قد علمتُ أنَّ فى الإعوال راحةً لى فلا عذرَ لى فى ترك البكاءِ . وأمَّا مَنْ جعل معوَّلى بمعنى تعويلى على كذا ، أى اعتمادى واتِّكالى عليه ، فوجه دخول الفاءِ على (فهل) فى قوله : أنَّه لما قال : إن شفائى عبرةٌ

مهراقة فكأنَّه قال : إنَّما راحتى فى البكاء ، فما معنى اتكالى فى شفاء غليلى على رسمٍ دارس لاغنَاء عنده عنِّى . فسبيلى أن أُقبل على بكائى ولا أُعوِّل فى برد غليلى[1] على مالا غناء عنده . وهذا أيضًا معنى يُحتاج معه إلى الفاء لتربِط آخر الكلام بأوَّله ، فكأنَّه قال : إذا كان شفائى إنَّما هو فى فيض دمعى فسبيلى أن لا أُعوِّل على رسمٍ دارسٍ فى دَفْع حزنى ، وينبغى أن أجِدَّ فى البكاء ، الذى هو سبب الشفاء . انتهى كلامه . ٦٣

ووقع فى رواية ابن هشام « وهل » بالواو . قال (فى المغنى ، فى بحث هل ، وفى عطف الإنشاء على الخبر من الباب الرابع) : إنَّ هل فيه للنفى ، ولذا صحَّ العطف ، إذْ لا يُعطف الإنشاءُ على الخبر .

وقد تقدَّم فى الشاهد التاسع والتسعين بعد المائة عن الباقلانى (فى إعجاز القرآن) أنَّ هذا البيت مناقضٌ لما قبله ، فراجعْه[2] .

وترجمة امرئ القيس تقدَّمت فى الشاهد التاسع والأَربعين[3] .

* * *

وأنشد بعده

(يكون مِزاجَها عَسَلٌ وماءُ)

على أنَّه يجوز أن يخبر فى بابَىْ (كان) و(إنَّ) بمعرفة عن نكرة فى الاختيار كما هنا ، فإنَّ مزاجها رُوى بالنصب على أنَّه خبر مقدَّم وهو معرفة ، وعَسَلٌ اسم كان مؤخَّر وهو نكرة .

---

(١) رسمت فى ط « غلى لى » خطأ ، صوابه فى ش وسر الصنا ١ : ٢٥٩ .
(٢) الخزانة ٣ : ٢٢٤ — ٢٢٥ .
(٣) الخزانة ١ : ٣٢٩ — ٣٣٥ .

وقال الزَّمَخشرىّ : لا يجوز هذا إلاّ فى ضرورة الشعر .

وهذا مذهب ابن جنّى ، قال (فى المحتسَب) : روى عن عاصم أنّه قرأ : ﴿وما كانَ صلاتَهم عِند البيت﴾ نصبًا ﴿إلاَّ مُكَاءٌ وتصدَيةٌ﴾[1] رفعاً . ولحَّنَه الأعمش . وقد رُوِى هذا الحرفُ أيضًا عن أبانَ بنِ تغلب أنّه قرأهُ كذلك[2] . ولسنا ندفع أنَّ جعلَ اسم كان نكرةً وخبرها معرفةً قبيح ، فإنّما جاءت منه أبياتٌ شاذّة، وهو فى ضرورة الشعر أعْذَر[3] ، والوجه اختيار الأفصح الأعْرَب ، ولكنَّ وراءَ ذلك ما أذكره . اعلم أنَّ نكرةَ الجنسِ تُفيد مُفاد معرفتِه . ألا ترى أنَّك تقول : خرجتُ فإذا أسدٌ بالباب ، فتجد معناه معنى قولك : خرجت فإذا الأَسدُ بالباب ، لا فرق بينهما . وذلك أنَّك فى الموضعين لا تريد أسدًا واحدًا معيَّناً ، وإنّما تريد خرجت فإذا بالباب واحدٌ من هذا الجنس . وإذا كان كذلك جاز هنا الرفع فى « مُكَاءٌ وتصدية» جوازاً قريباً ، حتَّى كأنَّه قال : وماكان صلاتَهم عند البيت إلاَّ المكاءُ والتَّصديةُ ، أى إلاَّ هذا الجنسُ من الفعل. وإذا كان كذلك لم يجر هذا مَجرى قولك : كان قائمٌ أخاك وكان جالسٌ أباك ، لأنَّه ليس فى جالس وقائم من معنى الجِنْسيَّة التى تَلاقَ معْنَيا نكرتِها ومعرفتها[4] . وأيضًا فإنَّه يجوز مع النفى من جعل اسم كان وإخواتها نكرةً ما لا يجوز مع الإيجاب[5] ، فكذلك هذه القراءة، لمَّا

---

(١) الآية ٣٥ من سورة الأنفال ، وانظر المحتسب ١ : ٢٧٩ .

(٢) ط : « أنه قراءة كذلك » ، صوابه فى ش والمحتسب .

(٣) فى النسختين : « عذر » ، وأثبت ما فى المحتسب .

(٤) بعده فى المحتسب : « على ما ذكرنا وقدمنا » .

(٥) بعده فى المحتسب : « ألا تراك تقول : ما كان إنسان خيراً منك ، ولا تجيز : كان إنسان خيراً منك » .

دخلها النفى قَوِىَ وحَسُنَ جعلُ اسمِ كان نكرةً . هذا إلى ما ذكرنا من مشابهة نكرةِ اسم الجنس لمعرفته . ولهذا ذهب بعضُهم فى قول حسّان :

كأنَّ سبيئةً من بيت رأسٍ يكون مزاجَها عسلٌ وماءُ

أنّه إنّما جاز ذلك من حيث كان عسل وماءُ جنسين ، فكأنّه قال : يكون مزاجَها العسلُ والماءُ . فبهذا تسهُلُ هذه القراءة ، ولا تكون من القُبح واللَّحْن [الذى[1]] ذهب إليه الأعمش . انتهى .

وإليه أيضًا ذهب ابن السِّيد (فى أبيات المعانى) قال : هذا لا يجوز إلاّ فى ضرورة الشعر ، فأمّا فى الكلام فلا يجوز .

وقال اللخمى : حَسَّنَ ذلكَ أنَّ مزاجًا مضاف إلى ضميرِ نكرة . قال السِّيرافى عندما أنشد سيبويه :

* أظبيٌ كان أُمَّك أم حمارُ[2] *

إنَّ ضمير النكرةَ لا تَستفيد منه إلاَّ نكرةً . ألا ترى إذا قلتَ مررت برجلٍ فكلَّمته ، لم تكن الهاءُ بموجبةٍ تعريفًا لشخصٍ بعينه، وإن كانت معرفة من حيث علم المخاطب أنّها ترجع إلى ذلك المنكور . انتهى .

٦٤ وقال ابن خلف : فى هذا أربعة أقوال : قيل هو على وجه الضرورة، وقيل أراد مزاجًا لها فنوى بالإضافة الانفصالَ فأخبر بنكرة عن نكرة . وقال أبو على : نصب مزاجها على الظَّرفِ السادُّ مسَدَّ الخبر ، كأنه قال : يكون مستقِرًّا فى مزاجها . فإذا كان ظرفًا تعلّق بمحذوف يكون

---

(١) التكلة من المحتسب .

(٢) هو الشاهد ٥٢٤ فى الخزانة ٧ : ١٩٢ .

الناصبَ له ، وقُدِّم على عسل وماءٍ كعادتهم فى الظروف إذا وقعَتْ أخباراً عن النَّكرات ، لئلا تلتبس بالصفات[١] .

ثم نقل توجيه ابن جنى . وكذا نقل اللخمىُّ عنه قال : وعن أبى علىّ أنَّ مزاجها ينتصب على الظرف ، تقديره على المعنى : يكون مكانَ مزاجها عسلٌ وماءٌ .

قال ابن هشام (فى المغنى) : وتأوَّله الفارسىُّ على أنَّ انتصاب المزاج على الظرفية المجازيَّة .

وزعم شارحه ابن الملاَّ أنَّ كان على تأْويل أبى علىٍّ تكون تامَّة .

وذهب الزمخشرى (فى المفصَّل) إلى أنَّ هذا ونحوه من القلب الذى شجَّع عليه أَمْنُ الإلباس .

وإليه جنح ابن هشام (فى المغنى) قال فى الباب الثامن : من فنون كلامهم القلبُ ، وأكثر وقوعه فى الشعر . وأنشدالبيتَ . وقال فى الباب الرابع منه : إنَّه ضرورة . ولم يذكر القلب .

ورُوى فى البيت رفع مزاجُها ونصب عسل ورفع ماءٌ، وبِرفْع الجميع.

وقد تقدم كلُّه مشروحًا مع القصيدة فى الشاهد الثانى والثلاثين بعد السبعمائة[٢] .

* * *

وأنشد بعده :

(ولا يَكُ موقفٌ مِنْكِ الوَدَاعا)

---

(١) ط : « يلتبس بالصفات » ، وأثبت ما فى ش .

(٢) انظر هذا الجزء التاسع ص ٢٢٤ — ٢٣٧ .

لما تقدَّم قبله ، من أنَّه يجوز فى الاختيار أن يُخبَر عن نكرة بمعرفة فى ذينك البابين .

قال ابن مالك (فى التسهيل) : وقد يُخبر هنا وفى باب إنَّ بمعرفةٍ عن نكرة اختيارًا .

وقال (فى شرحه) : لمَّا كان المرفوع هنا مشبَّهاً بالفاعل ، والمنصوبُ مشبَّهًا بالمفعول ، جاز أن يُغْنِيَ هنا تعريفُ المنصوبِ عن تعريف المرفوع ، كما جاز فى باب الفاعل ، لكن بشرط الفائدةِ وكونِ النكرة غيرَ مَحْضة . من ذلك قولُ حسان :

* يكون مزاجَها عسلٌ وماءُ *

وليس بمضطرٍّ ، إذ يمكنهُ أن يقول مِزاجُها بالرفع فيجعل اسم يكون ضمير الشأن . وقولُ القطامىّ :

* ولايك موقفٌ منك الوَداعا *

وليس بمضطرّ ، إذ له أن يقول : ولايك موقفى . والمحسِّن لهذا شَبهُ المرفوعِ بالفاعل والمنصوب بالمفعول . وقد حُمِل هذا الشَّبه فى باب إنَّ ، كقول الفرزدق :

وإنَّ حرامًا أن أَسُبَّ مجاشعًا بآبائى الشُّمِّ الكرامِ الخضارم[1] . انتهى.

وهذا مبنىٌّ على تفسير الضرورة بما لا مندوحةَ للشاعر عنه . وهذا

---

(١) ديوان الفرزدق ٨٤٤ والمقتضب ٤ : ٧٤ والهمع ١ : ١١٩ . وفى الديوان : « وليس بعدل أن سببت مقاعسا » . ورواية « مجاشعا » خطأ، فإن « مجاشع بن دارم » من أجداد الفرزدق فى نسبه، وهو دائم الاعتزاز به . و « مقاعس » هو الحارث بن عمرو بن كعب بن سعد ابن زيد مناة بن تميم .

فاسدٌ من وجوهٍ تقدَّم بيانُها فى شرح أوّل شاهد . وعند الجمهور هو من الضَّرورة ، ومعناها ما وقع فى الشعر سواءٌ كان عنه مندوحةٌ أم لا .

قال اللخمى : جَعْلُ موقفًا وهو نكرة اسم يَكُ ، والوداع وهو معرفةٌ الخبر ، ضرورةٌ لإقامة الوزن . وحَسَّن الضَّرورةَ فيه ثلاثةُ أوجه :

أحدها : أنَّ النكرةَ[1] قد قربت من المعرفة بالصِّفة .

والثانى : أنَّ المصدر جنسٌ ، فمُفاد نكرته ومعرفته واحد .

والثالث : أنَّ الخبر هو المبتدأ فى المعنى .

وقال صاحب اللباب : وهما ، أى المرفوع والمنصوب بكان ، على شرائطهما فى باب الابتداء . وزعم بعضُ المنتمين إلى هذه الصَّنعة أن بناء الكلام على بعضِهما[2] من غير تقدير دخولٍ على المبتدإ والخبر سائغ ، بدليل قوله : ٦٥

* ولايكُ موقف منك الوداعا *

وليس بمحمول على الضرورة ، إذ لا يتمُّ المعنى المقصود إلا هكذا ، إذْ لو عرَّفهما لم يؤدِّ أنَّه لم يرخِّص أن يكون ما سوى ذلك من المواقف وَدَاعًا . ولو نكرَّهما لم يؤدِّ أنَّ الوداع قد كُرِّه إليه حتَّى صار نُصْب عينيه . ولو عرَّف الأولَ ونكَّر الثانى لجمع بين الهُجنتين . والجواب بعد تسليم جميع ما ذكره أنَّه لو أراد إيراد هذا المعنى بطريق النفى دون النهى ، لا بدَّ أن يقول : ما موقف منك الوداع ، بعين ما ذكره . على أنَّ

---

(١) ط : « النكرات » ، وأثبت ما فى ش .

(٢) أى بعض النكرات والمعارف دون تقيد بالنوع .

المقصود أنْ لا يكون الوداعُ موقفًا منها[١] فيكون من باب القلب ، مثل ما فى قول الآخر :

* يكون مزاجَها عسلٌ وماءُ * انتهى .

أراد بالهجنتين ترخيصَ كونِ ما سوى هذا الموقف المعيَّن موقفَ وداع ، وفواتَ النُّكتة المستفادة من تعريف الوداع . وحاصلُه أنَّه لما اختار أنَّ وجود شرائط المبتدإ والخبر فى هذه الأَفعال لازم، ذهب إلى أنَّ البيتَ محمولٌ على الضَّرورة ، لأَنَّها دعت إلى القلب .

وأجاب عن استدلال المخالف بوجهين :

الأَول : أن يقال : لا نسلِّم أنَّهما إن كانا معرفتين يلزم قُبح ، لأَنَّ مبناه أنَّ اللام فى الموقف للعهد، وهو ممنوع لجواز أَن تكون للجنس ، أى لايك جنسُ الموقف الوداع . وفيه عمومٌ سلَّمناه ، لكن لا نسلِّم أَنَّهما إن كانا منكَّرين يلزم قبح ، لأَنَّه مبنىٌّ على أَنَّ اللام فى الوداع للعهد إلى الشىء المكَرَّهِ عنده ، وهو ممنوعٌ لجواز كونه للجنس . سلَّمناه لكنَّه منقوضٌ بنقضٍ إجمالى ، وتوجيهه لو صحّ ما ذكرت لكان الواجب أَن يقال عند إرادة هذا المعنى بطريق النفى دون النهى : ما موقفٌ منك الوداع بعينِ ما ذكرت . لكنّ التالى باطل ، لأَنَّ تنكير المبتدإ وتعريف الخبر بعد النفى ليس حدَّ الكلام الذى يجب أَن يكون عليه الاتفاق[٢] .

الثانى : أَنَّ مقصود الشاعر أَن لا يكون موقف الوداع موقفًا من مواقِفها بأَن لا يكون وداعٌ أَصلا . وعلى هذا كان الوداع اسم كان ،

(١) ش : « على أن المقصود لا يكون الوداع موقفاً منها » .

(٢) ط : « بالاتفاق » .

والموقف خبره ، فقُلب بأن جعل الاسم خبرًا والخبر اسما ؛ والقلب ممّا[1] يشجّع عليه عند أَمْن الالتباس .

وهذا المصراع عجزٌ ، وصدرُه :

(فقِى قبل التَّفرُّقِ يا ضُباعا)

صاحب الشاهد

والبيت مطلعُ قصيدةٍ للقطامىّ تقدم الكلام عليه فى الشاهد الثالث والأربعين بعد المائة[2] .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثانى والأربعون بعد السبعمائة ، وهو من شواهد س[3] :

٧٤٢ (أَسَكرانُ كانَ ابنَ المَرَاغةِ إذْ هَجَا تميماً بجَوْفِ الشَّام أَمْ مُتسَاكِرُ)

على أن سيبويه مثّل به للإخبار عن النكرة بالمعرفة .

وهذا نصُّه : اعلم أنّه إذا وقع فى الباب نكرةٌ ومعرفة فالذى تُشْغَلُ به (كانَ) المعرفةُ ؛ لأنّه حَدُّ الكلام ، ولأنّهُما شىءٌ واحد[4] ، وليس بمنزلة قولك : ضرب رجلٌ زيدًا ، لأنّهما شيئان مختلفان ، وهما فى كان بمنزلتهما فى الابتداء . فإذا قلت : كان زيدٌ فقد ابتدأت بما هو معروف عنده مثلَه عندك ، وإنّما ينتظر الخبر . فإذا قلت حليماً فقد أعلمته مثلَ ما علمت . فإذا قلت كان حليما فإنّما ينتظر أن تعرِّفه صاحبَ الصِّفة ، فهو مبدوءٌ به فى الفعل وإن كان مؤخَّرًا فى اللفظ . فإن قلت : كان حليمٌ ،

(١) ط : « ما » ، وأثبت ما فى ش .

(٢) الخزانة ٢ : ٣٦٧ .

(٣) فى كتابه ١ : ٢٣ ، ٣١٤ . وانظر الخصائص ٢ : ٣٧٥ والمغنى ٤٩٠ والهمع ١ : ٦٧ وديوان الفرزدق ٤٨١ .

(٤) فى كتاب سيبويه : « لأنهما شىء واحد » بدون سبق للواو .

أو رجل. فقد بَدأتَ بنكرةٍ ، فلا يستقيم أن تخبر المخاطَب عن المنكور.
ولا يُبدأُ بما فيه يكون اللَّبْس ، وهو النكرة . ألَا ترى أنَّك لو قلت كان ٦٦
حليماً أو كان رجل منطلقًا ، كنتُ تُلبِس ، لأَنَّه لا يُستنكر أن يكون
إنسان هكذا . فكرِهوا أن يبدءُوا باللَّبس ويجعلوا المعرفةَ خبرًا لما يكون
فيه هذا اللَّبس . وقد يجوز فى الشعر فى ضعف من الكلام . حملَهُم على
ذلك أَنَّه فعل بمنزلة ضرب ، وأَنَّه قد يُعلم إذا ذكرت زيدًا وجعلته
خبرًا أَنَّه صاحب الصِّفة ، على ضعفٍ من الكلام . وذلك قول خِداش
ابن زُهير :

فإِنَّك لا تُبالِى بَعْدَ حولٍ أَظبىٌ كانَ أُمَّكَ أَم حمارُ

وقال حسَّان :

كأَنَّ سبيئةً من بيتِ رأْسٍ يكونُ مِزاجَها عَسَلٌ وماءُ

وقال أبو قيسِ بن الأَسلت الأَنصارىُّ :

أَلا مَنْ مُبلِغٌ حسَّانَ عنِّى أَسحرٌ كان طبَّك أَم جُنونُ

وقال الفرزدق :

أَسكرانُ كان ابنَ المَرَاغة إِذْ هجا تميمًا بجوف الشَّام أَم متساكِرُ

فهذا إنشاد بعضهم . وأَكثرهم ينصب السَّكران ويرفع الآخِرَ على
قطع وابتداءٍ . انتهى كلام سيبويه .

وقوله : « وأَكثرهم ينصب السكران » ، أى ويرفع ابن المراغة على
أَنَّه اسم كان ويكون الخبر مقدَّماً وهو سكران . وعلى هذا لاَ قبحَ .
وقوله : « ويرفع الآخِر » هو متساكر ويكون رفعه على القطع بجعله خبرَ

مبتدإٍ محذوف ، أى أم هو متساكر ، فتكون أَم منقطعة . وإذا رفع سكرانُ ونصب ابنَ المراغة ، وهذه مسأَلتنا ، ففيه قبحٌ لضرورة الشعر لأَنَّه جعل اسم كان ضمير سكران وهو نكرة ، ويكون ابن المراغة خبر كانَ ، فيكون قد أخبر بمعرفة عن نكرة ، ويرتفع سكران حينئذ بكان محذوفة كما يأْتى بيانه ، ويكون متساكر معطوفًا عليه . وعلى هذا أَمْ متَّصلة ، ويكون العطف من عطفِ مفردٍ على مفرد ، والجملة واحدة . وعلى الأَول جملتان .

وإنَّما قال الشارح المحقق : « وأَورد[1] سيبويه للتمثيل بالإِخبار عن النكرة بالمعرفة » ، ولم يقل : استشهَد للإِخبار ، لأَنَّ سيبويه لم يذهب إلى أَنَّ هذا جائزٌ فى الاختيار حتَّى يستشهدَ له ، وإنَّما هو قبيحٌ خاصٌّ بالشعر لم يرتَضِهِ فى الكلام . فأَوردَ هذه الأَبياتَ أَمثلةً لما استقبحَه فى الشِّعر .

وقد رُوى رفع ابن المراغة مع رفع سكران ، فيكون المعرَّف على هذا مبتدأً والمنكَّر خبراً وكَانَ زائدة .

وجوَّز ابن خلف أَن يضمر فى كان ضميرُ الشأْن . وهذا خطأٌ تبع فيه يوسفَ بنَ السيرافى (فى شرحه لشواهد سيبويه) .

قال ابن هشام : وضمير الشَّأْن يعود على ما بعده لزومًا ، ولا يجوز للجملة المفسِّرة له أَن تتقدَّم هى ولا شىءٌ منها عليه . وقد غَلط يوسف ابن السيرافى إذ قال فى قوله :

* أَسكران كان ابن المراغة إذ هجا * . . البيت

---

(١) ش : « وأوردَه » ، صوابه فى ط وشرح الرضى للكافية ٢ : ٢٧١ .

فيمن رفع سكرانُ وابنُ المراغة : إنَّ[1] كان شأْنية ، وابن المراغة وسكران مبتدأٌ وخبره . والجملة خبر كان . والصَّواب أنَّ كان زائدة. والأَشهر فى إنشادهِ نصبُ سكران ورفع ابن المراغة ، فارتفاع متساكر على أنَّه خبر لهو محذوفاً . ويروى بالعكس فاسم كان مستتر فيها . انتهى .

٦٧ وقال أبو على (فى المسائل العسكرية) : قوله أَسكرانُ رفع بفعل مضمر تكون كان تفسيراً له ، ودليلاً عليه . وحسُن الرفع فى هذا الموضع لأَنَّ التقدير : أَكان سكرانْ ابنَ المراغة ؟ فاستفهم عن سُكرِهِ لا عنه فى نفسه. وإذا كان كذلك كان الأَولى أن يرفع ، لأَنَّ النكرة لما دخلها هذا المعنى من أَنَّ القصد إنما وقع اليها ، وجب أن يكون الرفعُ ، فترفع بكان . وكذلك قول الآخر :

* أَظبيٌ كان أُمَّك أم حمارُ * انتهى

ومثله لابن جنى (فى الخصائص) قال : وقد حُذِف خبرُ كان فى قوله :

* أَسكرانُ كان ابن المراغة * البيت

أَلا ترى أَنَّ تقديره : أَكان سكرانُ ابنَ المراغة ، فلمَّا حذف الفعل فسَّره بالثانى ، وابن المراغة المذكور خبر كان الظاهرة ، وخبر كان المضمرة محذوفٌ معها ، لأَنَّ كان الثانية دلَّت على الأُولى . وكذلك الخبر الثانى الظاهر دلّ على الخبر الأَول المحذوف . انتهى .

وزعم ابن الملا الحلبى (فى شرح المغنى) أَنَّ سكران مبتدأٌ . قال :

---

(١) ط : « وإن » ، صوابه فى ش .

وصحَّت ابتدائيَّته مع نكارته[١] لوقوعِه فى حيِّز الاستفهام ، وأنَّ جملة كان ابنَ المراغة خبره . هذا كلامه .

صاحب الشاهد

والبيت من قصيدة للفرزدق هجا بها جريرًا . وأراد بابن المراغة جريراً ، وكان الفرزدق قد لقَّب أمَّه بالمراغة ونسبها إلى أنَّها راعيةُ حَمِير . والمراغَة : الأَتان التى لا تمتنع من الفحول . وإذ ظرف يتعلَّق بكان ، وفاعل هجا ضمير ابن المراغة . وأراد بتميم ههنا بنى دارم بن مالك بن حنظلة ، وهم رهط الفرزدق ، وجريرٌ من رهط كُليب بن يربوع بن حنظلة . فلم يعتدَّ الفرزدقُ برهط جرير فى تميم ، احتقارًا لهم . وأراد بجوف الشام داخلَها . وروى أبو على وابنُ جنِّى وغيرُهما : « ببطن الشَّام » وهو بمعناه . وروى : « بجوِّ الشام » ، وهذا تحريف .

وترجمة الفرزدق تقدَّمت فى الشاهد الثلاثين من أوائل الكتاب[٢]

* * *

وأنشد بعده :

(فإنَّك لا تُبالِى بَعْدَ حولٍ أظبىٌ كانَ أمَّكَ أم حمارُ)

لما تقدَّم قبله ، فاسم كان ضمير ظبى وهو نكرة ، وأمَّك بالنصب خبرها وهو معرفةٌ ، وظبى اسمٌ لكان المضمرة المداولِ عليها بكان المذكورة ، وهو نكرةٌ أيضاً ، وخبر المحذوفة محذوف أيضًا مدلولٌ عليه بخبر المذكورة ، كما تقدَّم عن ابن جنى .

وقيل : ظبى مبتدأ وجملة كان أمَّك خبره .

قال ابن هشام (فى المغنى) الأوَّل أولى ، لأنَّ همزة الاستفهام بالجمل

---

(١) فى اللسان أن المنكر ضد المعروف ، وقد نكر نكارة .

(٢) الخزانة ١ : ٢١٧ .

الفعلية أولى منها بالاسمية . وعليهما فاسم كان ضميرٌ راجع إليه . وقول سيبويه إنّه أخبر عن النكرة بالمعرفة واضحٌ على الأوّل ، لأنّ ظبياً المذكور اسم كان ، وخبره أمّك، وأمّا على الثانى فخبر ظبي إنّما هو الجملة والجمل نكرات ، ولكن يكون محلَّ الاستشهاد قوله : كان أمّك على أنّ ضمير النكرة عنده نكرة(١) . انتهى .

وذهب صاحب (المفتاح) إلى أنّ تنكير المسند إليه غير موجود بالاستقراء . وأما هذا البيت ونحوه فتنكير المسند إليه إنما هو فى ظبي إذا ارتفعَ بالمضمر ، لا فى ضمير كان العائد عليه . وهو واردٌ على القلب، والأصل: أظبيًا كان أُمُّك أم حمارًا . قال : إنّ كون المسند إليه نكرة والمسندمعرفة سواءٌ . قُلنا : يمتنع عقلا أو يصحُّ عقلا ليس فى كلام العرب، وأمّا ما جاء من نحو قوله :

* ولايك موقفٌ منك الوداعا(٢) *

٦٨

وقوله :

* يكون مزاجها عَسَلٌ وماءٌ(٣) *

وبيت الكتاب :

* أظبيٌ كان أمَّك أم حمارُ *

---

(١) فى النسختين : « أعيدت نكرة » ، صوابه من المغنى ٥٩٠ . وبعده : « لا على أن الاسم مقدم » .

(٢) هو الشاهد ١٤٣ فى الخزانة ٢ : ٣٦٧ .

(٣) هو الشاهد ٧٣٢ فى هذا الجزء الثامن ، كما سبق الاستشهاد به بعد الشاهد ٧٤١ . وما بعده من الكلام إلى « وماء » التالية ساقط من ش .

فمحمولٌ على مِنوال: عرضتُ الناقةَ على الحوض. وأصل الاستعمال: ولايك موقفًا منك الوداعُ، ويكون مزاجُها عسلاً وماءً، وأظبياً كان أُمُّك أم حماراً. ولا تظنَّنَّ بيتَ الكتاب خارجًا عما نحن فيه، ذهابًا إلى أنَّ اسم كان هو الضمير، والضمير معرفة، فليس المراد كان أُمّك، إنّما المراد ظبيٌ، بناءً على أنَّ ارتفاعه بالفعل المفسَّر لا بالابتداءِ. ولذلك قدَّرنا الأَصل على ما ترى. انتهى.

واختار السعد (فى المطوَّل) هذا الأَخير، فليس فيه قلبٌ لفظى وإنَّما يكون فيه قلب معنوى. قال: قيل إنَّه قلبٌ من جهة اللَّفظ، بناءً على أنَّ ظبى مرفوع بكان المقدَّرة لا بالابتداءِ، فصار الاسم نكرة والخبرُ معرفة. والحقُّ أَنَّ ظبى مبتدأ، وكان أمك خبره، فحينئذ[1] لا قَلْب فيه من جهة اللَّفظ، لأَنَّ اسم كان ضمير، والضمير معرفة. نعم فيه قلبٌ من جهة المعنى؛ لأَنَّ المخبر عنه فى الأَصل هو الأُمّ. انتهى.

ويشهد للقلب ما رواه ابن خلف، قال: وقد يُنشَد:

* أظبيًا كان أُمُّك أم حمارُ *

على أنَّه جعل اسم كان معرفة وخبرها نكرة. فهذا جيّد، إلَّا أنَّه كان يجب أن ينصب حمار، لأَنَّه معطوف على ظبى. فيجوز رفعُه على إضمار مبتدإٍ. قال المبرد (فى كتابه الجامع): والأَجود فى هذه الأَبيات نصبالأَخبار المقدَّمة ورفع المعارف، ورفعالقوافى على قطعٍ وابتداءٍ. انتهى.

صاحب الشاهد

والبيت من أبياتٍ لِثَرْوانَ بنِ فَزَارة العامرىّ الصحابى، وقد تقدم الكلام عليها مفصّلا فى الشاهد الرابع والعشرين بعد الخمسمائة[2].

* * *

(١) ش: «فح» بدل «فحينئذ»، وهى كتابة رمزية اختزالية.

(٢) الخزانة ٧: ١٩٢ – ١٩٧.

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثالث والأربعون بعد السبعمائة ، وهو من شواهد س[(١)] :

٧٤٣ (ألَا مَنْ مُبلِغٌ حَسَّانَ عَنِّى   أَطِبٌّ كان سِحْرَكَ أم جُنونُ)

لما تقدَّم قبله ، والكلام فيه كما تقدَّم .

والطِّبّ بالكسر ، قال الأعلمَ : هو هنا العِلَّة والسَّبب ، أى أسحِرتَ فكان ذلك سببَ هجائك أم جُنِنت . وسِحرٌ هنا مصدرُ سُحِرَ المبنى للمفعول ، وهو مضافٌ للمفعول .

صاحب الشاهد

والبيت لأَبى قيس بن الأَسلت الأَنصارى . وقد اختُلف فى إسلامه . وحَسَّان هو ابن ثابتٍ شاعرُ النبىّ صلى الله عليه وسلم . وكان أبو قيسٍ من الأَوس ، وحسَّان من الخزرج ، وكانا يتهاجيان ، فقال أبو قيس لحسان : أذهَبَ عنك عقلَك بسحرٍ حتّى اجترأْتَ على هجائِى ، أم أصابك جنونٌ فلم تدرِ ما صنَعْتَ . يُعْظِم فى نفسِ حَسّان ما يأْتى مِن هجاءِ الأَوس وشُعَرائِها ، ويتوعَّده بالمقارضة .

ورواه ابن دريد (فى الجمهرة) كذا :

* أَطِبٌّ كان داءَك أم جنونُ *

وقال : الطِّبّ هنا : السِّحر . وروى أيضاً :

* أطِبٌّ كان شأْنَكَ أم جنون *

وهما أحسنُ من الرِّواية الأُولى . وبعده :

(فلستَ بُزائلٍ أبدًا تَمنَّى   بصدرك من وَحاوِجِهِ فُنونُ[(٢)])

(١) فى كتابه ١ : ٢٣ ، واللسان (طبب ٤٢) .
(٢) ش : « لصدرك » .

والوحاوح بواوين ومهملتين : الحزازات .

وأبو قيسٍ تقدَّمت ترجمتُه فى الشاهد السابع والثلاثين بعد المائتين[(١)] .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الرابع والأربعون بعد السبعمائة ، وهو

٦٩ من شواهد س[(٢)] :

٧٤٤ (إنَّما يَجْزِى الفَتَى ليسَ الجَمَلْ)

هذا عجزٌ وصدره :

(وإذا أُقْرِضْتَ قرضاً فاجزِهِ)

على أنَّ (ليس) يجوز حذف خبرها كثيرًا كهذا البيت ، أى ليس الجمل جازيًا أو يَجزِى . وقيل إنَّ الجمَل هو الخبر ، وسكَّن للقافية ، واسمها ضمير اسم الفاعل المفهوم من يَجزى ، أى ليس الجازى الجمل ، فلا حذف فيه . وقيل : إنَّ ليس فيه عاطفة ، وقد ذكره الشارح فى لا العاطفة ، وسيأْتى الكلام عليه هناك إن شاءَ الله .

هذا ورواية البيت عند سيبويه :

* إنَّما يجزى الفتَى غَيْرُ الجَمَلْ *

وكذا رواه الطوسى فى شرح ديوان لبيد .

وأنشده سيبويه على أنَّ الفتى وهو معرفة قد نُعت بغير ، وهى نكرة ، والذى سوّغه أنَّ التعريف باللام يكون للجنس ولا يخصُّ واحدًا بعينه ، فهو مقاربٌ للنكرة ؛ وأنَّ غيرًا مضاف إلى معرفة فقاربت المعارف لذلك.

---

(١) الخزانة ٣ : ٤٠٩ – ٤١٣ .

(٢) فى كتابه ١ : ٣٧٠ . وانظر مجالس ثعلب ٥١٥ والمقتضب ٤ : ٤١٠ ، والأصول ١ : ٣٤٨ ، ٣٦٨ والأزهية ١٩٢ ، ٣٠٥ ودلائل الإعجاز ٢٩٩ والعينى ٤ : ١٧٦ والتصريح ١ : ٢٩١ / ٢ : ١٣٥ وديوان لبيد ١٧٩ .

وكذا أورده ابن السَّرَّاج (فى الأُصول) قال : إنَّ غيرًا لا تدخل فى الاستثناء إلَّا فى الموضع الذى ضارعت فيه إلاَّ . أَلَا ترى أَنَّك تقول مررت برجلٍ غيرِك ولا تقع إلاَّ فى مكانها ، لا يجوز أن تقول : جاءَنى رجل إلاَّ زيد ، تريد غير زيد على الوصف . فالاستثناءُ هنا محال . ولكن تقول : ما يحسُنُ بالرجل إلاَّ زيدٍ أَنْ يفعَل كذا ، لأَنَّ الرجل جنسٌ ، ومعناه : بالرجل الذى هو غير زيد ، كما قال :

* إنَّما يَجزى الفتى غير الجمل * انتهى

صاحب الشاهد

وهذا البيت من قصيدةٍ طويلة للبيد بن ربيعةَ الصَّحابى ، وقد تقدَّم بعضُها فى الشاهد الثامن والعشرين بعد المائتين[(١)] . وهذه أَبياتٌ منها[(٢)] :

أبيات الشاهد

(اعقِلِى إنْ كنتِ لمَّــا تَعقِلِى	ولقَدْ أَفلحَ مَنْ كان عَقَــلْ
إن تَرَىْ رأْسىَ أَمسى واضحاً	سُلِّطَ الشَّيبُ عليه فاشــتعَلْ
فلقــد أُغوِصُ بالخَصم وقــد	أَملأُ الجَفْنَةَ من شَحمِ القُلَلْ
ولقد تَحمَــدُ لمَّــا فارقت	جارتى، والحمدُ من خير الخوَلْ
وغــلامٍ أَرســلَتْهُ أُمُّــه	بأَلوكٍ فبــذَلْنَا مــا ســأَلْ
أَو نَهَتــه فــأَتاهُ رِزقُــه	فاشتوى ليــلةَ ريحٍ واجتَمْل
مِن شواءٍ ليس مِن عارضــةٍ	بيدَىْ كلِّ هَضُــومٍ ذى نَزَلْ
فإذا جُوزِيتَ قــرضًا فاجزِهِ	إنَّما يَجزِى الفتى ليسَ الجمَلْ
أَعمِلِ العِيسَ على عِلَّاتِهــــا	إنَّما يُنجِحُ أَصحــابُ العمَلْ
وإذا رُمْتَ رحيلاً فارتحِــلْ	واعصِ ما يأْمُر توصيمُ الكسَلْ

(١) الخزانة ٣ : ٣٦٨ – ٣٧٣ .

(٢) ديوان لبيد ١٧٧ – ١٨٠ .

واكذِبِ النَّفسَ إذا حدَّثتَها إنَّ صِدقَ النَّفسِ يُزرِي بالأَمَلْ
غيرَ أنْ لا تكذِبَنْها فى التُّــقى واخزُها بالبرِّ للهِ الأَجَــلّْ)

قوله : « اعقلى إن كنت » إلخ يخاطب عاذلتَه ، وقيل نفسه . وعقَلت الشىءَ عقلاً ، من باب ضرب ، إذا تدبَّرته . ولمَّا نافية .

وقوله : « إن تَرَىْ رأسىَ » إلخ وضَح الشَّىءُ وضوحًا ، إذا برَقَ بياضُه . وشبَّه انتشارَ الشَّيب باشتعال النار ، فى سُرعة الالتهاب .

٧٠ وقوله : « فلقد أُعوِصُ » إلخ أَعْوَصَ بالخصم ، إذا لوَى عليه أمرَه . وقال الطوسى : أُعوِصُ : أَركَب به الأَمرَ العويص ، أى الشَّديد . ويقال أَعوِصْ به ، أى ائْتِهِ بالعَويص[1] . ويقال : أعوِصْ [به[2]] ، أى احمله على العَوْصاءِ ، وهى الشِّدَّة . والجَفنَة ، بفتح الجيم : القَصْعة . وأراد بالقُلَلَ الأَسنمة : جمع سَنام ، والواحدُ قُلَّة . وقُلَّة كلِّ شىءٍ : أعلاه وأرفعُه. يقول : إنِّى وإن شِبْتُ فإنِّى أنفعُ وأَضرّ .

وقوله : « ولقد تَحمَد » إلخ جارتى فاعل تحمَد . والخَوَل بفتح الخاءِ المعجمة : العطيَّة .

وقوله : « وغلامٍ أَرسَلَتْه » إلخ ، الواو واو ربَّ . والأَلوك ، بفتح الهمزة : الرسالة ، ومنه أَلِكْنى السَّلامَ إلى فلانٍ ، أى أَبلِغْ عنِّى السَّلام .

وقوله : « أو نهته فأتاه » إلخ معطوف على أرسلَتْه ، أى ربَّ غلامٍ نَهتَه أُمّه عن السؤال مِنَّا حياءً أَوْ قُنوعا فبعثنا إليه بما اشْتَوَى واجتمل . يريد

(١) ط : « أى آتيه بالعويص » على أنه تفسير للمضارع . وإنما المراد هنا تفسير الأمر كما فى ش .
(٢) التكملة فى ش .

إنَّنا نُنعِم على الفقير على كلِّ حال ، سواء جاء يطلبُ أو مُنِع من الطلب.
يقال شوَيتُ اللحم ، واشتويته . وإذا شويته فنضِج قلت قد انشوى بالنون لا غير . واجتمل : اتَّخذ الجَمِيل ، بفتح الجيم ، وهو الشَّحم المذاب . يقال اجتمل ، أى أذابَ الشَّحم . وفى الحديث : « لعن الله اليهودَ حُرِّمت عليهم الشُّحُوم فَجمَلوها فباعوها[1] » : وقال الطُّوسى : ويقال اجتمل اللحمَ أى طبخه بالشَّحم ليس معه ماءٌ ، وذلك إذا قَلاه به . وقوله : « ليلة ريح » أى ليلة بردٍ من الشِّتاء . وهذا غايةُ الكرم ، فإنَّ شدَّة العَرب وبُؤْسَهم فى الشتاءِ ، لعدم النبات .

وهذا البيت استشهدَ به صاحب الكشاف عند قوله تعالى : ﴿ ولهُمْ ما يَدَّعُونَ[2] ﴾ على أنَّ يدَّعون افتعالٌ من الدُّعاء ، أى يدعون لأنفسهم ، كما فى اشتوى واجتمل ، أى شوى لنفسه وجَمَل لنفسه . ومثله (فى الصحاح) قال : اشتويت : اتَّخذت شواءً . وأنشَدَ هذا البيت .

وقوله : « من شواءٍ » إلخ مِن متعلقة باشتوى فى البيت المتقدِّم . قال صاحب الصحاح ، شويت اللحم شَيًّا ، والاسم الشِّواءُ . والعارضة : الناقة التى أصابها كَسرٌ أو عَرَض فنُحرت . والهَضُوم ، بفتح الهاء وضم المعجمة : الفتَى الذى يُهتَضَم مالُهُ يُقطع منه ويُكسَر . والنَّزَل ، بفتح النون والزاى : المعروف والخير .

وقوله : فإذا أُقرِضْتَ[3] » إلخ بالبناء للمفعول ، يقال : أقرضَنى

---

(١) من حديث جابر بن عبد الله فى البخارى (المغازى والتفسير) ومسلم وأبى داود والترمذى والنسائى (البيوع) وابن ماجه (التجارات) . وانظر الحديث ٦٣٨ من الألف المختارة . واللفظ فيها : « قاتل الله اليهود ، لما حرم الله عليهم شحومها جملوها ثم باعوها فأكلوها » .

(٢) الآية ٥٧ من سورة يس .

(٣) هذه الرواية غير الرواية التى أثبتت فى الأبيات السابقة والديوان ، وهى الرواية الأخرى التى أثبتها البغدادى فى أول الكلام على الشاهد .

فلانٌ، أى أَعطانى قَرْضاً . والقرض : ما تُعطيه من المال لتُقْضاه [١] . والقرض هنا : ما سلف من إحسان أو إساءة . قال أُميَّة بن أَبى الصَّلت :

لا تَخلِطَنَّ خبيثــاتٍ بطيِّبــة واخلَعْ ثيابك منها وانْجُ عريانا [٢]

كلُّ امرئٍ سوف يُجزَى قَرْضَه حسنًا أَو سيِّئًا ومَــدِينا كالــذى دَانــا

وزعم العينى أَنَّ قرضاً هنا مفعول مطلق . وقال الزَّجاجُ عند تفسير قوله تعالى : ﴿ مَنْ ذا الذى يُقْرِضُ اللهَ قَرْضًا حسَنًا [٣] ﴾ : معنى القرض فى اللُّغة : البَلَاءُ السَّيِّئُ والبلاءُ الحسَن . العرب تقول : لك عندى قرضٌ حسنٌ وقرضٌ سَيِّئٌ . وأَصل القرض ما يُعطِيه الرجلُ ليجازَى عليه . وأَنشد بيتَ لبيد وبيت أُمية .

وقوله : (فاجزِه) أمرٌ من الجزاء . قال صاحب المصباح : جزَى يَجزِى مثل قضى يقضى وزنًا ومعنى . وفى الدعاء : جزاه الله خيرًا ، أَى قضاه له وأَثابه عليه ، وجَزَيت الدَّينَ : قضيتُه . ورُوِى :

* فإذا جُوزيت قَرضًا فاجزِه *

قال العينى : هما بمعنى واحد . وليس كذلك ، لأَنَّ الجزاء لا يكون إلاَّ بعد الإقراض ، لا على الجزاء .

٧١ وقوله (إنَّما يَجزِى الفَتَى) إلخ بالبناء للمعلوم ، والفتى فاعله . وزعم

---

(١) ط : « لتقتضاه » ، صوابه فى ش .

(٢) ديوان أمية بن أبى الصلت ٦٣ .

(٣) الآية ٢٤٥ من البقرة ، وكذلك الآية ١١ من سورة الحديد .

العينى أنَّه بالبناء للمجهول ، والفتى نائب الفاعل . وكأنَّه لم يتصوَّر المعنى . ومعناه أنَّ الذى يَجْزِى بما يُعامَل به من حَسَن أو قبيح هو الإنسان لا البهيمة . قال الزمخشرى (فى المستقصى) وقيل : الفتى السيِّد اللبيب . والعرب تقول للجاهل : ياجمل . أى إنَّما يَجزِى اللبيبُ مِن الناس لا الجاهلُ . يُضرَب فى الحثِّ على مجازاة الخير والشر . انتهى .

وعلى هذا فيكون للجمل هنا موقع ، لا أنَّه جاء للقافية فقط كما زعم الطوسى .

والجمل كنيته عند العرب أبو أيُّوب . قال ابن الأثير (فى المرصَّع) كُنِّى الجملُ به لصبره على المَسِير والأَحمال ، تشبيها بصبر أيُّوب عليه السلام (١) .

وإلى هذا لَمَّح علىُّ بن العباس ، الشهير بابن الرُّومى ، فى شعر لبيدٍ وقد ضمَّنه فى شعره هاجيًا به وزيرَ المعتضِد ،أبا أيُّوبَ سليمانَ بنَ عبدِ الله فقال :

يا أبا أيُّوبَ هــذِى كنيــةٌ ... من كُنَى الأَنعامِ قِدمًا لَمْ تَزَلْ
ولقــد وُفِّق من كَنَّاكَهــا ... وأَصابَ الحقَّ فيهــا وعدَلْ
أَنت شِبهٌ للــذى تُكنَى به ... ولِبعضِ الخلْقِ منْ بعضٍ مَثَلْ (٢)
لستُ أَلحــاكَ على ما سُمتنى ... من قبيحِ الرَّدِّ أَو مَنْعِ النَّفَلْ (٣)
قد قضى قولُ لبيــدٍ بيننــا ... إنَّما يَجزِى الفتى ليسَ الجملْ

(١) إلى هنا ينتهى النص فى المرصع لابن الأثير ٥٧ . وفيه : « لشبهه بصبر أيوب عليه السلام » .

(٢) ط : « من بعض بطل » صوابه فى ش وديوان ابن الرومى ١٩٠٢ .

(٣) النفل ، بالتحريك : العطية والهبة ، ومثله النافلة والنوفل . كما أن النوفل الكثير العطاء .

كم حَدَوناك لترقى فى العــلا وأبى الله ، فلا تعْلُ هُبَــلْ[١]

ولم أر ذكر أَيُّوبَ واشتقاقَه فى كتب اللغة المدوَّنة ، كالقاموس، والعباب ، والصِّحاح مع كثرةِ دورانِه فى الأَلسنة ، ولا فى مفردات القرآن مع أنَّه مذكور فيه .

وفى المعرَّبات للجواليقى : قال أبو على : وقياس همزة أَيُّوب أن تكون أصلاً غير زائدة ، لأَنَّه لا يخلو أن يكون فيعولا أو فَعْلولا . فإن جعلته فيعولا كان قياسُه لو كان عربيًّا أَنْ يكون من الأَوب مثل قَيّوم ، ويمكن أَن يكون فَعُّولا مثل سَفُّود وكَلُّوب ، وإن لم يعلم فى الأَمثلة هذا ، لأَنَّه لا يُنكَر أَنْ يجىءَ العجمىُّ على مِثال[٢] لا يكون فى العربى. ولا يكون من الأَوْب وقد قلبت الواو فيه إلى الياءِ ، لأَنَّ من يقول صُيِّم فى صُوَّم لا يقلب إذا تباعدت من الطَّرف، فلا يقول إلاَّ صُوَّام . وكذلك هذه العين إذا تباعدت من الطرف وحَجز الواوُ بينه وبين الآخِر لم يجز فيه القلب[٣] . انتهى .

فأَجاز أن يكون من مادة (أوب) ومن مادة (أيب) ، والمادتان مذكورتان فى القاموس ، وفى غيره الأُولَى فقط .

---

(١) إشارة إلى ما كان من قول أبي سفيان بن حرب حين ظفر يوم أحد: « اعل هبل »، أى أعل يا هبل دينك ، وقال السهيلى : « معناه زد علواً فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « الله أعلى وأجل » . انظر الحديث رقم ٥٥٢ من الألف المختارة ، والروض الأنف ٢ : ١٤٣ والسيرة ٥٨٢ جوتنجن .

(٢) ط : « على لسان » ، صوابه فى ش والمعرب للجواليقى ١٥ .

(٣) فى النسختين : « إلا القلب » ، وهو عكس المراد ، صوابه من المعرب ١٥ ، وإن كان فى بعض أصوله « إلا القلب » بزيادة « إلا » . وقد تنبه إلى هذا الخطأ الذى نبهت عليه مصحح نسخة بولاق من الخزانة .

وقوله: « أَعمِلِ العِيس » إلخ أعمِلْ: أمرٌ من الإعمال، وهو الإشغال. والعِيس: الإبل البِيض. وروى « العَنْس » بالنون، وهى الناقة الشديدة. والعِلاَّت، بالكسر: الحالات، جمع عِلَّة بمعنى الحالة.

وقوله: « وإذا رُمتَ رَحِيلاً » إلخ توصيم فاعل يأمُر، والمفعول محذوف أى يأْمره. والتوصيم، بالصاد المهملة، هو فى الجَسَد كالتكسير والفَتْرة؛ ووَصَّمته الحمَّى بالتشديد، إذا أحدثَتْ فيه فترةً وتكسيراً. وهو من الوَصْم، وهو الصَّدع فى العُود من غير بَينونة. والوصم أيضًا: العيبُ والعار.

٧٢ وقوله: « واكذب النفس » إلخ، اكذِبْ فعل أمر، والنفسَ مفعوله، وحَدِّثتها بالبناء للفاعل. قال الزمخشرى (فى المستقصى): هذا المصراع مَثَلٌ يضرَب فى الحثِّ على الجسارة؛ أى حدِّثْها بالظَّفَر وبلوغِ الأَملِ إذا هممتَ بأَمر، لتنشِّطها للإقدام؛ ولا تناغِها[1] بالخيبة فتثبِّطَها. انتهى.

وقوله: « إنَّ صِدْقَ » إلخ، يعنى إذا حدَّثتَ نفسَك بالموت لمْ تُعمِّر شيئًا ولم تؤثِّل مالاً، وفسَد عليك عيشُكَ، فأَزرى ذلك بأَملك. والإزراءُ بتقديم المعجمة على المهملة: النقص. قال بعضهم:

وإذا صدَقْتَ النَّفسَ لم تتركْ لها أَملاً ويأْمُلُ ما اشتهى المكذوبُ

وأورد هذا البيت صاحب الكشاف عند قوله تعالى: ﴿ ونَعْلَمُ ما تُوَسْوِسُ به نَفْسُهُ[2] ﴾ على أنَّ ما مصدرية، فإنَّه يقال: حدَّث نفسهَ بكذا، كما يقولون حدثتْه به نفسُه[3].

(١) المناغاة: المحادثة، ومنه مناغاة الصبى. وفى النسختين هنا: « ولا تنازعها »، صوابه من المستقصى ١: ٢٨٩.
(٢) الآية ١٦ من سورة ق.
(٣) ش: « فإنه يقال حدث به نفسه » فقط.

وقوله «غير أنْ لا تكذبَنْها» ، هو استثناءٌ من قوله أكذب النفس . واخْزُها بالمعجمتين : أمرٌ من خَزاه يَخزُوه خَزْوًا ، إذا ساسهَ وقهره . والباءُ متعلِّقة به ، ولله متعلق بالبرّ . والأَجلُّ : أفعل تفضيل .

وترجمة لبيد تقدَّمت فى الشاهد الثانى والعشرين بعد المائة[١] .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الخامس والأَربعون بعد السبعمائة[٢] :

٧٤٥ (لم يَكُ الحقَّ على أنْ هاجَه رَسْمُ دارٍ قد تَعَفَّى بالسَّرَرْ)

على أنَّ حذف نون (يكن) المجزوم الملاقى للسَّاكن ، جائزٌ عند يونس . وقال السيرافى : هذا شاذّ .

والبيت أنشده أبو زيد (فى نوادره) مع بيت آخر بعده ، وهو :

(غيَّرَ الجِدَّةَ من عِرفانه خِرَقُ الرِّيح وطُوفان المَطَرْ)

وقال بعدهما : لا أعرف بيتًا حُذفت منه النون من يكن مع الأَلف واللام غير هذا البيت . وهذا الحصر غير صحيح ، فقد سُمِع فى غيره ، قال ابن صخرٍ الأَسدى[٣] :

فإنْ لاتكُ المرآةُ أبدَتْ وَسَامةً فقد أبدت المِرآةُ جَبْهةَ ضَيغمِ

قال ابن السَّرَّاج (فى الأُصول) : قالوا : لم يكن الرّجل ، لأَنَّ هذا موضعٌ تحرَّك فيه النون ، والنون إذا وليها الأَلف واللام للتعريف

---

(١) الخزانة ٢ : ٢٠٤٦ .

(٢) نوادر أبي زيد ٧٧ والخصائص ١ : ٩٠ والمنصف ٢ : ٢٢٨ والهمع ١ : ١٢٢ .

(٣) اسمه الخنجر بن صخر الأسدى . وانظر تخريج هذا الشاهد فى معجم الشواهد .

لم تحذف إلاَّ أن يُضطرَّ إليه شاعر ، فيجوز ذلك على قُبحٍ واضطرار .
وأنشدَ هذين البيتين .

وكذلك ذهب إلى أنَّه ضرورةٌ أبو على (فى كتاب الشعر)، وابنُ عصفور (فى الضرائر) .

وقال ابن جنى (فى سر الصناعة) : أنشد قطربٌ وقرأناه على بعض أصحابنا يرفعه إليه :

* لم ياكِ الحقَّ سوى أنْ هاجه * البيت

أى لم يكن الحقَّ . وكان حكمُه إذا وقعت النون موقعاً تحرَّكُ فيه فتقوَى بالحركة أن لا يحذفها ، لأنَّها بحركتها قد فارقت شَبهَ حروفِ اللِّين ، إذْ كنَّ لا يكنَّ إلاَّ سَوَاكن . وحذفُ النُّون من يكن أقبح من حذف التنوين ونون التثنية والجمع ، لأنَّ النون فى يكن أصلٌ ، وهى لام الفعل ، والتنوين والنون زائدتان[1] ، فالحذف فيهما أسهل منه فى لام الفعل . وحذفُ النون من يكنْ أيضاً أقبح من حذف نون مِنْ فى قوله :

* غيرَ الذى قد يُقالُ مِ الكذِبِ[2] *

٧٣ أى من الكذب ، لأنَّ يكن أصله يكونُ ، حُذِفت منه الواو لالتقاء الساكنين ، فإذا حذفتَ منه النون أيضًا لالتقاءِ الساكنين أجحفْتَ به لتوالى الحذفين ، لا سيَّما من وجه واحد عليه . هذا قول أصحابنا فى

---

(١) هذا الصواب من ش . وفى ط : « الزائدتان » .

(٢) صدره فى اللسان (ألك) ، والخصائص ١ : ٣١١ / ٣ : ٢٧٥ :
* أبلغ أبا دختنوس مألكة *

هذا البيت . وأرى أنا شيئًا آخر غير ذلك ، وهو أن يكون جاء بالحقّ بعد ما حذف النون من يكن ، فصار يك ، مثل قوله : ﴿ ولم تَكُ شيئًا[1] ﴾ فلمَّا قدَّره يك ، جاء بالحق بعد ما جاز الحذف فى النُّون وهى ساكنة تخفيفًا ، فبقِى محذوفًا بحاله ، فقال : لم يكُ الحقّ . ولو كان قدَّره يكنْ ثم جاء بالحق لوجبَ أن يكسِر نونه لالتقاء الساكنين .

هذا كلامه ، ولا يخفى أنَّ تعليله يقتضى قياس هذا الحذف . وهذا الذى ادَّعاه لنفسه هو لشيخِه أبى على (فى المسائل العسكريَّة) قال فى آخرها ، بعد إنشاد البيت : إنْ قلت فيه إنَّ الجزم لحِقَه قبل لَحَاق السَّاكن واجتماعِه معَه ، فكأنَّ السَّاكنَ الثانىَ قد مَضَى فى الحرف . ونظير هذا إنشادُ مَنْ أنشَد :

* فغُضَّ الطَّرفَ إنَّك من نُميرٍ[2] *

حرَّك الساكن الأَوَّل فلحقَ الساكن الثانى وقد مضى الحذف[3] بالفتح للسَّاكن الأَوَّل ، فكذلك لَحِق الساكن وقد مضى الحذفُ فى الحرف . وإنْ شئت قلت إنَّ الحركة هنا كانت لالتقاء الساكنين لم يعتدَّ بها ، وكان الحرفُ فى نيّة سكون ، فكما كان يحذفها ساكنة كذلك يحذفُها إذا كانت فى نيَّة السكون . انتهى كلامه .

وقوله : (على أنْ هاجَه) ظرف مستقرٌّ فى موضع الخبر لكان . و (الحقّ) يطلق على معانٍ منها وهو المراد هنا : الموجودُ بحسب مقتضى

---

(١) الآية ٩ من سورة مريم .

(٢) لجرير فى ديوانه ٧٥ . وانظر معجم الشواهد . وعجزه :

* فلا كعباً بلغت ولا كلابا *

(٣) فى النسختين : « الحرف » ، وانظر ما سيأتى .

الحكمة ، أى ليس بلائقٍ بالعاشق أن يَهِيج حزنَه الرسمُ الدَّاثر . وهاج هنا متعدٍّ بمعنى أثار . والهاءُ مفعول مقدَّم ضمير العاشقِ فى بيتٍ قبله ، وهو على حذف مضاف أى هاج حُزنَه ووَجدَه . ورسمُ فاعل هاج ، وهو أثر الدار ، وجملة (قد تعفَّى) فى موضع الصِّفة لرسم . وتعفَّى : مبالغة عفَا الرّسمُ ، أى دثَرَ ودرس . وقوله : (بالسِّرَر) ظرف مستقَرٌّ فى موضع الصِّفة لدار ، فقد وصف المضاف والمضاف إليه . والسَّرَر هنا ضبطه أبو حاتم بفتح السين والراءِ المهملتين[1] وقد يكسر الأَوّل[2] ؛ وكلٌّ منهما اسم موضع . قال ياقوت (فى معجم البلدان) : قال نصر : السَّرَر بالتحريك : وادٍ يدفع من اليمامة إلى أرض حضرموت . والسِّرَر بكسر أوله . قال السُّكَّرى فى قول أبى ذؤيب :

بآيةِ مـــا وقَفَتْ والرِّكـــا ... بُ بين الحَجُون وبين السِّرَرْ[3] :

هو موضعٌ على أربعة أميال من مكَّة حرسها الله تعالى ، عن يمين الجبل بطريق مِنًى . وكان عبد الصَّمد بن على اتَّخذ عنده مسجدًا كان به شجرةٌ ، ذُكِر أنَّه سُرَّ تحتها سبعون نبيًّا ، أى قطعت سُرَرُهم . انتهى .

وكذا قال ياقوت ناقلاً عن الأزهرى : عن ابن عمر أنَّه سُرَّ تحتها سبعون نبيًّا ، سمِّى سُرَراً لذلك .

ثم قال ياقوت : وروى المغاربة : « السُّرَر » : وادٍ على أربعة أميال من مكة عن يمين الجبل ، قالوا : هو بضم السين وفتح الراءِ الأُولى ، قالوا :

---

(١) انظر النوادر ٧٧ .

(٢) ط : « وقيده بكسر الأول » ، صوابه فى ش .

(٣) شرح السكرى ١٠٣

كذا رواه المحدِّثون بلا خلاف . قال الرياشي : المحدِّثون يضمُّونه ، وهو إنَّما هو السَّرَر بالفتح . وهذا الوادى هو الذى سُرّ فيه سبعون نبيًّا ، أى قطعت سِرَرُهم بالكسر . وهو الأَصحّ . انتهى .

وروى : « ودَثَر » بدل قوله « بالسرر » أى دَرَس ولم يبق منه شىءٌ . وعلى هذا يكون معطوفًا على تعفَّى ، فيكون صفةً لرسم أيضا .

وقوله : « غيَّر الجدَّة » إلخ هذه الجملة صفةٌ لرسم أَيضًا . والجِدّة بكسر الجيم : مصدر جَدّ الشىءُ يجد بالكسر جِدَّة ، هو خلاف القديم. والعِرفان بالكسر : مصدر عَرَفته عِرفةً بالكسر وعِرفانًا ، إذا علمتَه بحاسَّةٍ من الحواسِّ الخمس ، فهو مصدر مضاف لمفعوله ، والهاءُ ضمير الرسم ، وفاعله محذوف . وخِرَق فاعل غيَّرَ ، وهو بكسر الخاءِ المعجمة وفتح الراءِ المهملة ، أى القِطَع من الرِّيح ، جمع خِرقة . وروى الأَصمعى : « خُرُق » بضمتين جمع خَريق ، وهى الريح الّتى تتخرَّق فى الجبال وغيرها . و « طُوفان المطر » : كثرته . كذا قال أبو حاتم فيما كتبه على النوادر . يقول: غيَّرت كثرةُ الرِّيحِ والأَمطار ما استجدَدْناه من معرفتنا لهذا الرسم .

٧٤

حسيل بن عرفطة

والبيتان نسبهما أبو زيد لحُسَيل بن عرفطة قال: وهو شاعر جاهلى. وحُسَيل: مصغر حِسْل، بكسر الحاءِ وسكون السين المهملة بعدهما لام، وهو ولد الضَّبِّ . قال أبو العباس[١] :هو حَسِيل بفتح الحاءِ وكسر السين. وقال أَبو حاتم: وحُسَين: مصغر حسن بالنون. وغلَّطه الأَخفش فيه . والله أعلم .

---

(١) أبو العباس هذا هو محمد بن يزيد الأزدى المبرد ، شيخ أبى الحسن على بن سليمان الأخفش .

أفعــال المقاربة

أَنشد فيه ، وهو الشاهد السادس والأَربعون بعد السبعمائة[١] :

٧٤٦ (إذا غَيَّرَ النَّأْىُ المُحِبِّينَ لم يَكَدْ رَسِيسُ الهَوَى مِنْ حُبِّ مَيَّةَ يَبْرَحُ)

على أَنَّ بعضهم قال : إنَّ النفى إذا دخَل على (كاد) تكون فى الماضى للإِثبات ، وفى المستقبل كالأَفعال ، مستمسكاً بالآية وهذا البيت.

وهذا الفصل فى (كاد) هنا هو بعينه عبارة اللُّباب بتغيير كلمةٍ . قال (صاحب اللباب) : وإذا دخل النَّفْىُ على كاد فهو كسائر الأَفعال على الصحيح ، وقيل يكون للإِثبات ، وقيل يكون فى الماضى دون المستقبل ، تمسُّكاً بقوله تعالى : ﴿وما كادُوا يَفْعلون[٢]﴾ ، وبِقولِ ذىِ الرُّمَّة :

* إذا غيَّرَ الهجرُ المحبِّينَ لم يَكَدْ * .... إلخ

والجواب أَنَّه لنفى مقاربة الذَّبح ، وحصولُ الذَّبح بعدُ لا ينافيها ، ولم يُؤْخَذ من لفظ : وما كادُوا ، بل من لفظ : فَذَبَحوها . انتهى .

قال شارحه الفالى : قوله : «وإذا دخل النفى» إلخ معناه نَفْىُ مادخَل عليه ، إدراجًا له فى الأَمر العامِّ المعلوم من اللغة ، وهو أَنَّه إذا دخل النفى على فعلٍ أَفاد نفىَ مضمونه . وقيل يكون للإِثبات ، أَى لإِثبات الفعل الذى دخل عليه كاد فى الماضى وفى المستقبل . أَمَّا فى الماضى ، فلقوله تعالى : ﴿ وما كادُوا يَفْعلون[٢] ﴾، والمراد أَنَّهم قد فعلوا الذَّبح . وأَمَّا فى المضارع فلأَنَّ الشُّعراء خَطَّئُوا ذا الرُّمَّة فى قوله :

---

(١) الموشح ٢٨٣ ودلائل الإعجاز ١٨٩ ، ١٩٠ وابن يعيش ٧ : ١٢٤ ، ١٢٥ والتسهيل ٨٠ والعينى ٣ : ٣٧٨ والأشمونى ١ : ٢٦٨ وديوان ذى الرمة ٨٦ .

(٢) الآية ٧١ من سورة البقرة .

. . . . لم يكد رسيسُ الهوى من حُبِّ ميَّةَ يبرحُ

وهو أنَّه يؤدِّى إلى أَنَّ المعنى إنَّ رسيس الهوى يبرح ويَزُول وإنْ كان بعدَ طولِ عهد . فلولا أنَّهم فَهموا فى اللغة أنَّ النفى إذا دخَلَ على المضارع من كاد أفاد إثباتَ الفعل الواقعِ بعده لم يكنْ لتخطئتهم وجه . وقيل : يكون فى الماضى للإثبات دون المستقبل، تمسُّكا بقوله تعالى: ﴿ وما كادوا يفعلون ﴾ إذ المعنى قــد فَعَلوا كما ذكرنا . وبِقولِ ذى الرمة : « إذا غيَّر الهجر » البيت ، إذِ المعنى : وما برِح حبُّها من قلبى . فهــذا القائل تمسَّكَ بقول ذى الرمة ، والقائل الأَول تمسَّك بتخطئة الشعراءِ ذا الرمَّة . والجواب أنَّه لنفى مُقارَبة الذَّبح ، وحصولُ الذَّبح بعدُ ، أى بعد أنْ نَفَى مقاربَةَ الذبح، لا يُنافيها . ولم يؤخذ من لفظ: كادُوا ، بل من لفظ : فذبحوها .

٧٥ وهــذا جــوابٌ عن القولين المذكورين ، فإنَّا[١] لا نسلِّم أنَّ النَّفى الداخل على كاد يفيد الإثبات لا فى الماضى ولا فى المستقبل ، بل هو باقٍ على وضعه[٢] ، وهو نفى المقاربة. وليس ما تمسَّكوا به بشىء ؛ أمَّا فى الآية فهو أنَّ معناه أنَّ بنى إسرائيل ما قارَبُوا أنْ يفعلوا للإطناب فى السُّؤالات، ولِمَا سَبَق فى قولهم: ﴿ اتتَّخِذُنَا هُزُوًا[٣] ﴾ وهذا التعنُّت دليلٌ على أنَّهم كانوا لا يُقارِبون فعلَهُ فضلاً عن نَفْسِ الفعلِ . ونَفْى المقاربة قد يترتَّب عليه الفعل وقد لا يترتَّب، وهو قوله: «وحصولُ الذَّبح بعدُ لا ينافيها ». وأمَّا إثبات الذَّبح فمأْخوذٌ من الخارج، وهو قوله :﴿فذبحوها ﴾

(١) ط : « بأنا » ، صوابه فى ش .
(٢) ش : « وصفه » .
(٣) الآية ٦٧ من سورة البقرة .

وأمَّا البيت فكذلك معناه ، أنَّ حبَّها لم يقارب أنْ يزولَ فضلاً عن أنْ يزول. وهو مبالغةٌ فى نفى الزوال؛ فإنَّك إذا قلت: ما كاد زيدٌ يسافر فمعناه أبلَغُ من: ما يسافر زيد ، أى لم يسافر، ولم يقرُبْ من أنْ يسافرَ أيضًا . فالبيت مستقيمٌ ، ولا وجهَ لتخطئة الشُّعراءِ إيَّاه . انتهى .

وقد بيَّنَ الشارحُ المحقِّق فسادَ هذين القولَين فى آخر الباب . وقوله كغيره : « إنَّ الشُّعراءَ خطَّئُوا ذا الرمّة » المخطىءُ إنّما هو عَبدالله بن شُبُرُمة .

قال المرزُبانى (فى الموشح) : : حدَّثنى أحمد بن محمد الجوهرىُّ ، وأحمد بن إبراهيم الجمَّالُ، قالا : حدثنا الحسن بن عُلَيل العَنزى قال : حدَّثنا يزيد بن محمد بن المهلَّب بن المغيرة بن حَبيب بن أبى صُفْرة قال: حدثنا عبدُ الصَّمد [بن[1]] المعذَّل عن أبيه ، عن جدِّه غيلانَ بنِ الحكم ، قال :

قدِم علينا ذو الرُّمّة الكوفَة فوقَفَ على راحلته بالكُناسةِ ينشدنا قصيدتَه الحائيّة ، فلمَّا بلغ إلى هذا البيت :

إذا غيَّر النَّأْىُ المحبِّينَ . . . إلخ

فقال له[2] ابن شبرمة : ياذا الرمَّة ، أُراه قد بَرِحَ . ففكَّر ساعة ثم قال :

إذا غيَّر النَّأْىُ المحبِّين لم أجِدْ[3] رسيسَ الهوى . . . . . إلخ

قال : فرجعتُ إلى أبى الحكم بن البَختَرِىّ بن المختار ، فأخبرته

---

(١) التكملة من ش والموشح .
(٢) وكذا فى الموشح : « فقال له » بزيادة الفاء .
(٣) الكلام بعده إلى « لم أجد » فى الصفحة التالية بالسطر ٩ ساقط من ش .

الخبر فقال : أَخْطَأَ ابنُ شُبْرمةَ حيث أَنكَرَ عليه ، وأَخطأَ ذو الرمة حيث رجَع إلى قوله . إنَّما هذا كقول الله عز وجل : ﴿ إذا أَخرَجَ يَدَه لم يَكَدْ يراها ﴾، أى لم يرها ولم يكد . انتهى .

وقال السيد المرتضى (فى أماليه) : روى عبدُ الصمد بن المعذَّل عن غَيلانَ عن أَبيه عن جدّه غَيلان قال : قدِم علينا ذُو الرمَّة الكوفةَ فأَنشَدَنا بالكُناسة ، وهو على راحلته ، قصيدتَه الحائيَّة التى يقول فيها :

إذا غيَّر النَّأْىُ المحبِّين إلخ

فقال له عبد الله بن شبرمةُ : قد بَرِح يا ذا الرمَّة . ففكَّر ساعة ثم قال :

* إذا غيَّر النَّاى المحبِّين لم أَجِدْ[1] * إلخ

قال : فأَخبرتُ أَبى بما كان من قول ذى الرمَّة واعتراضِ ابن شُبرمَة عليه ، فقال : أَخطأَ ذو الرمة فى رجوعِه عن قوله الأَوَّل ، وأَخطأَ ابنُ شبرمة فى اعتراضه عليه . وهذا كقول الله تعالى : ﴿ إذَا أَخرَجَ يَدَه لم يَكَدْ يراها[2] ﴾ . انتهى .

صاحب الشاهد — وهذا البيت من قصيدةٍ لذى الرمَّةِ مطلعُها :

(أَمنزلتَىْ مىٍّ سَلامٌ عليكمـــا   على النَّأْىِ والنائى يَودُّ ويَنصَحُ)

وبعده :

(فلا القُربُ يُبْدِى مِنْ هواها مَلالةً   ولا حبُّها إن تنزَحِ الدارُ يَنزحُ[3])

---

(١) هنا ينتهى السقط الذى نبهت عليه فى الصفحة السابقة .

(٢) الآية ٤٠ من سورة النور .

(٣) ط : « من هواها ملامة » ، صوابه فى ش والديوان ٧٨ ومجموعة المعانى ٢١ . وفى الديوان أيضاً : « يدنى » موضع « يبدى » .

أَنَقْرَحُ أكبـــادُ المحبِّين كلِّهمْ كما كبدِى من ذِكر ميَّة تَقْرَحُ[١])

وقوله : « إذا غيَّر النأْى » إلخ ، النأْى فاعل غيَّر ، ومعناه البُعْد . و (رسيس الهوى) : مَسُّه . و(يبرح): يزول ، وهو فعل تامٌّ لازم . و(ميّة) : اسم معشوقته . يقول : إنَّ العشاق إذا بُعدوا عمَّن يحبُّون دَبَّ السُّلوُّ إليهم ، وزالَ عنهم ما كانُوا يُقاسون ، وأمَّا أنا فلم يقرُبْ زوال حبِّها عنِّى ، فكيف يمكن أن يزول .

٧٦

وزاد على هذا المعنى قولَه فى هذه القصيدة :

(أرى الحُبَّ بالهِجرانِ يُمْحَى فينمَحِى وحبُّكَ ميًّا يَستجِدُّ ويَربَحُ[٢])

أى يزيد الحبُّ كما يزيد الرِّبح .

وقوله : « فلا القُربُ يُبدِى » إلخ نزحت الدار : بَعُدتْ . يقول : حبُّها إن بعُدتِ الدار لم يتغيَّرْ ، هو لازمٌ ثابت .

وقوله : « أَتقْرَح » القَرح : الجُرْح .

وترجمة ذى الرمة تقدَّمت فى الشاهد الثامن من أول الكتاب[٣] .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد السابع والأربعون بعد السبعمائة[٤] :

٧٤٧(ظَنِّى بهم كعَسَى وهُمْ بتَنوفةٍ يتنازعُون جوائزَ الأَمثـــالِ)

على أنَّ أبا عبيدة قال : إنَّ (عسى) تأْتى بمعنى اليقين كما فى البيت.

---

(١) هذا البيت لم يرد فى الديوان ، ونقله كارليل هنرى عن الخزانة فى حواشى الديوان ، لكنه فى نسخة عبد القدوس مثبت عن بعض النسخ .

(٢) فى الديوان ٧٩ : « فيمتحى » ، وفى نسخة عبد القدوس : « فيمحى » .

(٣) الخزانة ١ : ١٠٦ .

(٤) ابن يعيش ٧ : ١٢٠ والأضداد للأصمعى ٣٥ وابن السكيت ١٨٨ والسجستانى ٩ وابن نبارى ١٨ ، واللسان (جوز ، عسى) ، وديوان ابن مقبل ٢٦١ .

ونقله عنه عبد الواحد أبو الطَّيِّب اللغوى (فى كتاب الأَضداد) قال فيه : قال أَبو حاتم وقطرب : عسى تكون شكًّا مرّةً ويقينًا أُخرى ، كما قال تعالى : ﴿ عَسَى رَبُّكم أَنْ يَرحَمَكم[1] ﴾ وعسى فى القرآن واجبةٌ . قال ابن عبّاسٍ رضى الله عنهما : هى واجبةٌ من الله . وكل ما فى القرآن من ذلك فهو واجبٌ من الله . قال أَبو عبيدة: ومنه قول ابن مقبِل : « ظَنِّى بهم كعَسَى » ، البيت ، أَى ظنِّى بهم كيقين . انتهى .

واعترض عليه الشارح المحقِّق بأَنه لا يعرف عسى فى غير كلام الله لليقين ، ويجوز أَن يكون معنى ظنِّى بهم كعسى ، أَى رجاءٌ مع طمع .

ويؤيِّد توقُّفَه ما ذهب إليه ابن السِّكِّيت (فى كتاب الأَضداد) قال فيه : الظَّنُّ يقين ، والظَّنُّ شك ؛ ومن اليقين قولُ ابن مقبل :

ظَنٌّ بهم كعَسَى وهم بتنوفةٍ يتنازعون جوائزَ الأَمثـالِ[2]

ويروى : « جوائب » أَى تجوب البلاد . يقول : اليقينُ منهم كعسى ، وعسى شك . انتهى .

فجعل اليقين للظَّنِّ[3] وعسى للشك على أَصلها . والرواية عنده : « ظنٌّ بهم كعسى »، بتنوين ظنّ من غير إضافةٍ إلى الياء . والباءُ متعلقة بمحذوف على أَنّه صفة لظنّ ، وهو مبتدأٌ وخبره كعسى ، أَو خبره محذوف ، أَى للناس ظنٌّ بهم ، فالباءُ متعلقة بظنّ ، والكاف اسمٌ

---

(١) الآية ٨ من سورة الإسراء .

(٢) ش : « ظنى بهم » ، صواب النص فى ط وأضداد ابن السكيت . على أنه يروى أيضاً : « ظنوا بهم » كما عند الأصمعى ، و « عهدى بهم » كما فى الجمهرة ١ : ٢٣٣ .

(٣) ط : « معنى الظن » ، وأثبت ما فى ش .

صفةٌ لظنٍّ ، وجملة وهم بتنوفة حاليَّة ، وجملة يتنازعون حالٌ من ضمير الظَّرف المستقَرّ . والتَّنوفة : الفلاة . ويتنازعون : يتجاذبون . وجوائز الأَمثال ، أى الأَمثال السَّائرة فى البلاد . وبمعناه « جوائب الأَمثال » من جاب الوادِىَ أو المكانَ يَجُوبه جَوْبًا ، إذا سلكَه وقطعَه . وأمَّا على رواية « ظنى » بالإضافة فهو مبتدأٌ وخبره كعسى ، أى يقينى بهم كشكٍّ فى حالِ كونِهم فى الفلاة ، إذْ لَسْتُ أعلمُ الغيب . يريد أنَّه لا يقينَ له بهم . وبهذه الرواية فسَّر أبو حاتمٍ الظنَّ فى البيت باليقين ، نقله عنه عبد الواحد المذكور ، قال (فى كتابه الأَضداد) : قال أبو حاتم : وأما قوله تعالى: ﴿ وظنَّ أنَّه الفِراقُ[1] ﴾ فأَظنُّه يستيقن . قال الشاعر فى الظنّ بمعنى اليقين : « ظنِّى بهم كعسى » . . . البيت . والجوائز: التى تجوز البلادَ ، أى تقطعها . يقول : يقينى بهم كعسى . انتهى .

ولم أقف على تتمة هذا البيت، وهو لابن مقبل[2] ، وهو شاعر إسلامىٌّ صاحب الشاهد تقدَّمت ترجمته فى الشاهد الثانى والثلاثين[3] .

ثم رأيت (فى كتاب الأَضداد لأَبى بكرٍ محمد بن القاسم بن بشَّار الأَنبارى) قال : عسى لها معنيان متضادَّان : أحدُهما الشَّكُّ والطَّمَع ، ٧٧ والآخَر اليقين . قال تعالى : ﴿ وعَسَى أَنْ تكْرَهُوا شيئًا وهو خَيْرٌ لكم[4] ﴾ معناه ويقينٌ أنَّ ذاك يكون . وقال بعض المفسِّرين : عسى فى جميع

---

(١) الآية ٢٨ من سورة القيامة .

(٢) ط : « لابن أبى مقبل » ، صواب هذه : « لابن أبى بن مقبل » و « أبى » فيه بهيئة التصغير . وأثبت ما فى ش فهو المعروف المتداول . وتصح رواية ط بإضافة « ابن » قبل « مقبل » . والبيت من قصيدة طويلة له فى ديوانه ٢٥٥ — ٢٦٤ .

(٣) الخزانة ١ : ٢٣١ .

(٤) الآية ٢١٦ من سورة البقرة .

كتاب الله واجبة . وقال غيره : عسى فى القرآن واجبة إلاَّ فى موضعين فى سورة بنى إسرائيل: ﴿ عسى ربُّكم أَنْ يَرحَمكُم [١] ﴾ يعنى بنى النَّضِير، فما رحِمَهم ربُّهم بل قاتَلَهم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، وأَوقع العُقوبة بهم . وفى سورة التحريم: ﴿ عَسَى ربُّه إنْ طَلَّقَكُنَّ أَنْ يُبْدِلَه أَزواجًا [٢] ﴾ فما أَبدله الله بهنَّ أَزواجًا ولا بِنَّ منه [٣] . وقال تميم بن أُبَيّ [بن [٤]] مقبل فى كون عَسَى إيجابا :

ظنٌّ بهم كعَسَى وهم بتَنُوفةٍ   يتنازعون جَوائزَ الأَمثـالِ

أَراد : ظنٌّ بهم كيقين . ويروى : « سوائر الأَمثال [٥] » . ويروى :« جوائب الأَمثال » . وأَنشدنا أَبو العباس :

* عسى الكرب الذى أَمسيتَ فيه * البيت

فعسى فى هذا الباب على معنى الشك . انتهى كلامُه .

* * *

وأَنشد بعده ، وهو الشاهد الثامن والأَربعون بعد السبعمائة [٦] :

٧٤٨ (لا تَلْحَنِى إنِّى عَسِيتُ صائمًا)

على أَنَّ المتـأَخِّرين استدلُّوا بهذا ، وبالمثَل ، وهو :« عسَى الغُوَيرُ أَبؤُساً » بوقوع المفرد منصوبًا بعد مرفوع ، على أَنَّ أَنْ والفعل فى قولهم : عسى

(١) الآية ٨ من سورة الإسراء .
(٢) الآية ٥ من سورة التحريم .
(٣) من البينونة ، والمراد الطلاق .
(٤) التكلة من ش . والذى فى أضداد ابن الأنبارى : « تميم بن أبى » فقط . وانظر ما سبق قريباً فى الحواشى .
(٥) ط : « سرائر الأمثال » ، صوابه فى ش وأضداد ابن الأنبارى .
(٦) الخصائص ١ : ٩٨ وابن الشجرى ١ : ١٦٤ وابن يعيش ٧ : ١٤ ، ١٢٢ والمقرب ١ : ١٠٠ والمغنى ١٥٢ والهمع ١ : ١٣٠ والمزهر ١ : ٢٢٨ والأشمونى ١ : ٢٥٩ وملحقات ديوان رؤبة ١٨٥ .

زيد أن يفعل ، فى موضع نصب على أنَّه خبرٌ لعسى ، وهى تعمل عمل كان .

قال ابن هشام (فى شرح أبيات الناظم) : طعن فى هذا البيت عبدُ الواحد الطَّرّاح[1] (فى كتابه بغية الآمل ، ومُنْية السائل) فقال : هو بيتٌ مجهولٌ ولم ينسُبه الشُّرَّاح إلى أحـد ، فسقط الاحتجاج به . ولو صحَّ ما قاله لسقط الاحتجاجُ بخمسين بيتًا من كتاب سيبويه ، فإنَّ فيه ألفَ بيت قد عُرِف قائلوها ، وخمسين بيتًا مجهولةَ القائلين. انتهى .

أقول : الشاهد الذى جُهِل قائله إنْ أنشدهُ ثقةٌ كسيبويه وابن السَّرَّاج والمبرِّد ونحوهم فهو مقبولٌ يعُتَمد عليه ، ولا يضرُّ جهلُ قائله ، فإنَّ الثقة لو لم يعلم أنَّه من شعرِ مَنْ يصحُّ الاستدلال بكلامه لَمَا أنشَده . ومرادُ عبدِ الواحد أنَّه لم ينسُبه الشرَّاح إلى أحدٍ ممن أنشده من الثِّقات أو إلى قائل معيَّن يُحتجُّ بكلامه .

ثم قال ابنُ هشام : وقد حرَّف ابن الشجرىِّ هذا الرجزَ فأنشده :

قُمْ قَائماً قم قائمـا إنِّى عسيتُ صـائما

وإنَّما قُمْ صدْرُ رَجَز آخَر يأْتى فى باب الحال ، ولا يتركَّب قوله إنى عسيتُ صائمًا ، عليه ؛ بل أصلُه :

أكثرتَ فى العَذلِ مُلِّحا دائما لا تُكثِرَنْ إنِّى عَسَيتُ صائما

فإنَّ معناه : أيُّها العاذل الملحُّ فى عَذْله ، إنَّه لا يمكن مقابلةُ كلامِك بما يناسبُه من السَّبّ ، فإنِّى صائمٌ . وهو مقتبَسٌ من الحديث : « فليقلْ

(١) فى كشف الظنون : « الطواح » بالواو .

٧٨ إنِّى صائم[(١)] » . ويروى « لا تَلْحَنى » مكان « لاتُكثرنْ » ، وهو بفتح التاء . يقال لحيتُه ألحاه لحيًا ، إذا لُمتَه .

والشاهد فى قوله صائماً ، فإنَّه اسمٌ مفرد جىء به خبرًا لعسَى .

كذا قالوا ، والحقُّ خلافُه ، وأنَّ عسى هنا فعلٌ تامٌّ خبرىٌّ، لا فِعلٌ ناقصٌ إنشائىّ . يدلُّك على أنَّه خبرىٌّ وقوعُه خبرًا لإنَّ ، ولا يجوز بالاتِّفاق : إنَّ زيدًا هل قام ، وأنَّ هذا الكلامَ يقبل التَّصديق والتكذيب. وعلى هذا فالمعنى : إنِّى رجوتُ أن أكونَ صائماً. فصائماً[(٢)] خبرٌ لكان، وأن والفعل مفعولٌ لعسَى . وسيبويه يُجيز حذف أنْ والفعلِ إذا قويت الدّلالةُ على المحذوفِ . ألَا ترى أنَّه قدَّر فى قوله : « مِنْ لَدُ شَولا[(٣)] »: من لدُ أَن كانت شَوْلا .

ومن وقوع عسى فعلاً خبريًّا قولُه تعالى : ﴿ قال هَلْ عَسَيتم إنْ كُتِب عَليكمُ القِتالُ ألاَّ تقاتِلُوا[(٤)] ﴾ ألا ترى أنَّ الاستفهام طلبٌ ، فلا يدخل على الجملة الإنشائية ، وأنَّ المعنى قد طَمِعتم أن لا تقاتلوا إنْ كُتِب عليكم القتال .

وممَّا يحتاج إلى النظر قولُ القائل : عسى زيد أن يقوم ، فإنَّك إنْ قدَّرت عسى فيه فعلاً إنشائيًّا كما قاله النحويُّون أشكَلَ ، إذْ لايُسنَدُ

---

(١) تمام الحديث : « إذا دعى أحدكم إلى طعام وهو صائم فليقل إنى صائم » . الجامع الصغير ٦٠٨ . وأخرجه مسلم وأبو داود والترمذى وابن ماجه ، عن أبى هريرة .

(٢) ط : « وصائماً » .

(٣) قطعة من شطر من الرجز فى سيبويه ١ : ١٣٤ ، وهو من شواهد الخزانة فيما سبق ١ : ٢٤ ، وهو بتمامه :

* من لد شولا فإلى إتلائها *

(٤) الآية ٢٤٦ من سورة البقرة .

فعلُ الإنشاءِ إلّا إلى مُنْشِئه وهو المتكلِّم ، كبعتُ واشتريت ، وأقسمت ، وقبلت ، وحَرَّرتُك . وأيضًا فمن المعلوم أَنَّ زيدًا لم يترجَّ وإنَّما المترجِّي المتكلِّم . وإنْ قدَّرتَه خبراً كما فى البيت والآية فليس المعنى على الإخبار ولهذا لا يصحُّ تصديق قائله ولا تكذيبه .

فإنْ قلتُ : يُخلِّص من هذا الإشكال أنَّهم نصُّوا على أنَّ كان وما أشبهها أفعالٌ جارية مَجرى الأَدوات ، فلا يلزم فيها حكمُ سائِر الأَفعال .

قلت : قد اعترفوا مع ذلك بأَنَّها مسندَة ، إذ لا ينفكُّ الفعل المركَّب عن الإسنادِ إلاَّ إنْ كان زائدًا أو مؤكِّداً ، على خلافٍ فى هذين أيضاً . وقالوا : إنَّ كان مسندةٌ إلى مضمون الجملة . وقد بيَّنَّا أَنَّ الفعلَ الإنشائىَّ لا يمكن إسنادُه لغير المتكلم . وإنَّما الذى يخلِّص من الإشكال أنْ يُدَّعى أنَّها هنا حرفٌ بمنزلة لعلّ ، كما قال سيبويهِ والسِّيرافىُّ بحرفيَّتها فى فى نحو عسى ، أى[1] وعَسَاك وعَسَاه . وقد ذهب أبو بكر وجماعةٌ إلى أنَّها حرفٌ دائمًا . وإذا حملناها على الحرفيَّة زال الإشكال ، إذ الجملة الإنشائيَّة حينئذٍ اسميَّةٌ لا فعلية ، كما تقول : لعلَّ زيدًا يقوم . فاعرف الحقّ ودع التقليد ، واستفتِ نفسَك وإنْ أَفتاك الناس .

هذا كلام ابن هشام ، وهو خلاف مَسلك الشارح المحقِّق .

وقال ابن هشام فى شرح المثل : إنَّ عسَى للإشفاق ، والغُوَير : ماءٌ لكلب معروف . قال ابن الكلبي . وهو فى الأَصل مُصَغَّر غَوْر أو غار . والأَبؤُس : جمع بُؤس ، وهو الشدّة . وأصل المثل أَنَّ الزَّبَّاء لمَّا قتلَتْ جَذيمةَ جاءَ قصيرٌ إلى عَمرو بن عديّ فقال : ألاَ تأْخذُ ثأْر خالك ؟ فقال :

---

(١) كلمة « أى » ساقطة من ش .

كيف السَّبيلُ إلى ذلك . فعَمَد قصيرٌ إلى أنفِهِ فجدَعَها ، فقيل : « لأمرٍ ما جَدَع قصيرٌ أنْفَه » وأتَى الزباءَ وزعم أنَّه فرَّ إليها ، وأنَّهم آذَوْه بسببها . وأقام فى خدمتها مدّة يتَّجِر لها ، ثم إنَّه أبطأَ عنها فى السَّفر فسأَلت عنه ، فقيل : أَخذَ فى طريق الغُوَير ، فقالت : « عسى الغُوير أَبؤُسا » . ثم لم يلبثْ أنْ جاءَ بالجِمَال عليها صناديقُ ، فى جوفها الرِّجال ، فلمَّا دخلوا البلدَ خرجوا مِن الصَّناديق ، وانضافَ إليهم الرّجالُ الموكَّلون بالصَّناديق فقَتَلوا فى الناس قتلاً ذريعاً ، وقتلوا أَهل الزَّبّاء ، وأَسروها وفقئُوا عينَيها وأَتَوْا بها عَمرًا فقتلهَا . وقيل إنَّها امتصَّت خاتماً كان معها مسموماً .

٧٩ ومعنى المثل : لعلّ الشرَّ يأْتى من قِبَل الغُوير . يُضرب للرّجُل يتوقَّع الشر من جهةٍ بعينها .

وجاءَ رجلٌ إلى عمرَ رضى الله عنه يحمل لقيطًا فقال له عمر : « عسى الغُوير أَبؤُسًا » . قال ابنُ الأَعرابىّ : عَرَّض به ، أَى لعلَّك صاحبُ اللَّقِيط . ووهِم ابنُ الخبَّاز فى أَصل المثل فقال : قالته الزَّباءُ حين أَلجأَها قَصيرٌ إلى غارها . انتهى .

وفى الصحاح : « قال الأَصمَعى : أَصله أَنَّه كان غارٌ فيه ناسٌ ، فانهارَ عليهم ، أَو أَتاهم فيه عدوٌّ فقتلهم[1] ، فصار مثلاً لكلِّ شىءٍ يُخافُ أَن يأْتِىَ منه شرٌّ » .

قلت : وتكون الزّباءُ تكلَّمت به تمثُّلاً . وهذا حسَنٌ لأَنَّ الزبّاءَ فيما زعموا روميَّة ، فكيف يحتجُّ بكلامها ، وقد يقال : وجهُ الحجّة أَنَّ العرب تمثَّلتْ به بعدَها .

واختُلِفَ فى ناصب أَبؤُسًا ، فعند سيبويه وأَبى على أَنَّه (عَسَى) ،

---

(١) فى الصحاح (غور) : « فقتلوهم » .

وأنَّ ذلك من مراجعة الأُصول . وقال ابن الأعرابي : (يصيرُ) محذوفةٌ.
وقال الكوفيون : التقدير : أنْ يكونَ أبؤسًا ، كقوله :

* لعمر أَبيك إلاَّ الفرقدان[1] *

ومنع سيبويه أَن يكون إضمارٌ فيه لأَنَّ فيه إضمار الموصول ، وقدَّر إلاَّ صفة . وقيل التقدير : يكون أبؤساً ، وفيه مجيءُ الفِعل بعد عسى بغير أنْ ، وإضمارُ كان غير واقعةٍ بعدَ أداةٍ تطلب الفعل . وقيل التقدير : عسى الغوير يأْتي بأَبؤس ، وفيه ترك أنْ وإسقاط الجارِّ توسُّعاً . ولكن يشهد له قولُ الكميت :

قالوا أَساءَ بنو بكر فقلتُ لهم عسى الغويرُ بإبآسٍ وإغوارِ[2]

وتلخَّص أنَّ أبؤساً خبر لعسى ، أو لكان ، أو لصار ، أو مفعول به . وأحسَنُ من ذلك كلِّه أنْ يقدَّر يَبْأَسُ أبؤُسًا ، فيكونَ مفعولاً مطلقاً ، ويكونَ مثلَ قوله تعالى : ﴿ فطَفِقَ مَسْحاً[3] ﴾ أى يَمْسَحُ مسحًا ، وقولِ أَبى دَهْبل الجمحيّ :

لأَوشَكَ صرفُ الدّهرِ تفريقَ بينِنا ولايستقم الدَّهرُ والدَّهرُ أَعوج[4]

أى لأَوشك يفرِّق بيننا تفريقاً ، ثم حذف الفعل وأُقيم المصدرُ مقامه وأُضيف إلى ظرفه .

---

(١) هو الشاهد ٢٤٠ فى الخزانة ٣ : ٤٢١ . وصدره :
* وكل أخ مفارقه أخـــوه *
(٢) ديوان الكميت ١ : ١٨٦ والمستقصى ٢ : ١٦١ واللسان (بأس ٣٢١ غور ٣٤٤) .
(٣) الآية ٣٣ من سورة ص .
(٤) ديوان أبي دهبل ٥٥ والشعراء ٦١٧ والأغانى ٦ : ١٥١ . وفى الديوان والأغانى: « يفرق بيننا » . وفى الديوان فقط : « وهل يستقيم الدهر » .

انتهى كلام ابن هشام ، وهذا خلاف ما اختاره (فى المغنى) قال فيه : الصواب أنّهما أى البيت والمثَل ممَّا حُذف فيه الخبر ، أى يكون أبؤساً ، وأكون صائماً ، لأَنَّ فى ذلك إبقاءً لهما على الاستعمال الأَصلى، ولأَنَّ المرجوَّ كونُه صائماً لا نفس الصائم . انتهى .

واعتُرِض عليه بأَنَّه إنّما يكون ذلك إبقاءً على الاستعمال الأَصلى أَنْ لو جعل التقدير أَن يكون وأَن أَكون ، لأَنَّ الأَصل فى خبر عسى أَن يكون بأَنْ ، وعدمُها قليل كما نصَّ هو عليه . وقد ذكر جميعَ أَوجهِ عسى فى الاستعمال ، ومذاهبَ النحويين فيها (فى مغنى اللبيب) .

وقول الشاعر : « أكثرت فى العذل » إلخ ، يجوز أَن يكون بيتًا مصرَّعًا من تامِّ الرجز[1] من ضربه الأَوَّل ، وأَن يكون بيتين من مشطوره . وقد نسب إلى رؤبة بن العجاج ، ولم أَجده فى ديوان رجزه . والله أَعلم به .

* * *

وأَنشد بعده :

(لعمر أَبيك إلاَّ الفرقَدانِ)

هذا عجز ، وصدره :

(وكلُّ أَخ مفارقُه أَخوه)

وتقدَّم شرحُه مفصَّلًا فى الشاهد الأَربعين بعد المائتين[2] .

* * *

وأَنشد بعده ، وهو الشاهد التاسع والأَربعون بعد السبعمائة[3] :

---

(١) ط : « من تمام الرجز » ، صوابه فى ش .
(٢) الخزانة ٣ : ٢٤١ .
(٣) كامل المبرد ٢١٧ ، ٢٢٠ والشعراء ٣٥١ وتاريخ الطبرى ٤ : ٤٠٢ .

٧٤٩ (همَمتُ ولم أفعَلْ وكدِتُ وليتَنى ... تركتُ على عُثمانَ تَبكى حَلائلُه) ٨٠

على أن خبر (كدت) فيه محذوف ، والتقدير : وكدت أفعل .

كذا قدَّره أبو على (فى كتاب الشِّعر) وأورد له نظيرًا . والمراد : هممت بقتله ولم أفعله وكدت أقتله .

وأورده صاحب الكشاف عند قوله تعالى : ﴿ ولقد هَمَّتْ بِهِ وهَمَّ بها[1] ﴾ على أنَّ الهمَّ القصدُ ، مِنْ همَّ بالأمر : قصَدَه وعزم عليه ، كما فى البيت . ومنه الهُمام للملِكِ ، لأَنَّه إذا قصد شيئًا أَمضاه .

و(الحلائل) : جمع حليلة ، وهى الزوْجة . والمعنى : قصدتُ قتل عثْمانَ ابنِ عفَّان رضى الله عنه ولم أَفعَلْ ما قصدتُه ، وقاربته ، وليتنى تركت زوجاتِه يبكينَ عليه .

صاحب الشاهد

والبيت من أبياتٍ سبعةٍ لضابئِ البُرجُمىّ ، قالها فى الحبس ومات فيه ، أَوردها أبو تمام (فى كتاب مختار أشعار القبائل)، وهى :

أبيات الشاهد

(مَن قافلٌ أَدنَى الإلهُ رِكـابه ... يُبلِّغُ عنى الشِّعرَ إذْ مات قائلُه

فلاَ يقبلَنْ بعدى امرؤٌ سِيمَ خُطَّةً ... حِذارَ لقاءِ الموتِ والموتُ نائلُه

ولا تُتبِعِينى إنْ هلكتُ مَلامــةً ... فليس بعارٍ قتلُ مَن لا تقاتلُه

فإنِّى وإيَّاكمْ وشــوقًا إليكمُ ... كقابِضِ ماءٍ لم تُطِعْــهُ أَناملُه

هممتُ ولم أفعلْ وكِدتُ وليتنى ... تركتُ على عثْمانَ تَبكى حلائلُه

وقائلةٍ لا يَبْعَــدَن ذلك الفتى ... إذا احمرَّ من بَرد الشِّتاءِ أَصائلُه[2]

وقائلةٍ لا يُبعِــد الله ضــابئًا ... إذا الكبشُ لم يُوجَدْ لهمَن ينازلُه)

---

(١) الآية ٢٤ من سورة يوسف .

(٢) فى الكامل ٢٢٠ : « ولا تبعدن أخلاقه وشمائله » .

وقوله : « مَنْ قافل » استفهام ، أَىْ مَنْ راجعٌ ، وجملة « أَدنى الإله ركابه » دعائيّة ، أى قرَّب الله إبله إلى وطنه .

وقوله : « سِيمَ خُطَّة » أى كُلِّف أمرًا . ومفعول يَقبلَنْ محذوف .

وقوله : « ولا تُتبعينى » خطابٌ لامرأته . وقوله : « فليس بعارٍ » إلخ أى قتلُ من لا تقدر على مقاتلته ، لأنه مات فى حبس الإمام .

وقوله : « و قائلة » أى رُبَّ قائلة . ولا يبعَدَن ، أى لا يَهلِكَنْ ، من بَعِدَ من باب فرح ، إذا هَلك . وقوله : « إذا احمرَّ مِن برد » إلخ يريد أنَّه مضيافٌ فى الشِّتاءِ ، وهو زمن القحط عند العرب ، لعدم نبات الأَرض .

وقوله : « لا يُبعد الله » من أَبعَدَه أى أهلكه . وضابئ آخره همزة بعد موحَّدة وأوله ضاد معجمة ، وهو قائل الشِّعر . والكبش : السيِّد الشجاع .

ضابىء البرجمى

وضابِئٌ هذا هو ضابئ بن الحارث بن أَرطاة ، من بنى غالب بن حنظلة التميمى البُرجُمىّ ، بضم الموحدة وسكون المهملة وضم الجيم ، نسبة إلى البراجم ، وهم[1] ستٌّ بطونٍ من أَولاد حنظلة بن مالك بن زيدِ مناةَ ابن تميم ، وهم : قيس ، وعمرو ، وغالب ، وكُلْفة ، والظُّليم ، ومكاشر[2] ، لقِّبوا بالبراجم لأَنَّ رجلاً منهم اسمه حارثة بن عامر قال لهم : تعالَوْا فلنجتمِعْ[3] مثلَ براجم يدى هذه ! ففعلوا فسُمُّوا بالبراجم ، وهى عُقَد الأَصابع . وفى كل إصبع ثلاثُ براجم .

---

(١) هذا ما فى ش ، وفى ط : « وهى » .

(٢) فى الاشتقاق ٢١٨ : أنهم خمسة ، بإسقاط « مكاشر » . وكذا فى اللسان (برجم) والمعارف ٣٥ . وهناك براجم من عبد القيس بن أفصى ، وهم عبد شمس ، وعمرو ، وحى : بنو معاوية بن ثعلبة بن جذيمة بن عوف بن أنمار بن عمرو بن وديعة بن لكيز بن أقصى بن عبد القيس . جمهرة ابن حزم ٢٩٥ — ٢٩٦ ونهاية الأرب للنويرى ٢ : ٣٤٤ .

(٣) ط : « فلنتجمع » ، وأثبت ما فى ش .

وضابئٌ أدرك النبي صلى الله عليه وسلم ، وكان يَقنِص الوحشَ ، فاستعار من بعض بني جَرول بن نَهشل كلبًا اسمه قُرْحان ، بضم القاف وسكون المهملة بعدها حاءٌ مهملة ، وكان يَصِيد به البقرَ والظِّباءَ والضباع ، فطال مُكثهُ عنده ، فطلبوه فامتنع ، فركبوا يطلبون كلبهم ، فقال لامرأته : اخلطى لهم فى قِدْرِكِ من لحوم البقر والظِّباءِ والضِّباع ، فإن عافوا بعضًا وأكلوا بعضًا تركوا كلبك لك ، وإن هم لم يَفرِقوا فلا كلبَ لك . فلمّا أطعمَهم أكلوه ثم أخذُوا كلبهم ، فغضب ضابئٌ ورمى أُمَّهم بالكلب وقال :

٨١

تَجشَّم نحوى وفدُ قُرحانَ سَرْبَخًا
تظَلُّ به الوجناءُ وهى حَسِيرُ[(١)]

فأَردفتُهُمْ كلبًا فراحُوا كأنّما
حَبَاهم بتاج الهُرمُزانِ أَميرُ[(٢)]

وقلَّدتُهمْ ما لَوْ رمَيتُ مُتالعاً
به وهو مُغبرٌّ لكادَ يطيرُ

فياراكباً إمّا عرَضْتَ فبلِّغَنْ
أُمامةَ منِّى ، والأُمورُ تدورُ[(٣)]

---

(١) الحيوان ١ : ٣٦٩ – ٣٧٠ والنقائض ٢١٩ والشعراء ٣٥٠ وتاريخ الطبرى ٤ : ٤٠٢ ومعاهد التنصيص ١ : ٦٦ . وفى الحيوان والشعراء والنقائض : « وفد قرحان شقة . تظل بها الوجناء » .

(٢) الطبرى : « فباتوا شباعاً ناعمين كأنما » ، وفى النقائض والطبرى : « ببيت المرزبان أمير » .

(٣) فى النقائض والشعراء : « ثمامة عنى » .

فأُمَّكم لا تتـــركوهـــا وكَلبَـكمْ
فإنَّ عُقُـــوق الوالـــداتِ كبيـــرُ

فإنَّك كلبٌ قد ضَرِيتَ بمـــا ترى
سميعٌ بمـــا فوقَ الفراشِ بصيـــرُ

إذَا عَثَّنَت من آخـــر الليـــل دُخْنةٌ
يبيت له فوقَ الفِـــراش هرير[١]

فلما بلغهم الشِّعرُ وأنَّه رمى أُمَّهم بالكلب استعْدَوْا عليه عثمانَ بن عفَّان رضى الله عنه ، وكان يَحبِس على الهجاء ، فأَرسل إليه فأَنشده الشِّعرَ ، فقال له عثمان رضى الله عنه : ما أَعرِف فى العرب أَفحشَ ولا أَلْأَمَ منك ، فإنِّى ما رأيتُ أَحدًا رمَى أَحداً بكلبٍ غيرك ، وإنِّى لأَظنُّك لو كنت فى زمنِ النبى صلى الله عليه وسلم لنزلَ فيك وحى . فحبسَه فى السِّجن ، فقال فى الحبس أَبياتًا منها :

ومَنْ يَكُ أَمسَى بالمدينة رحلُه فإنِّى وقيـــارٌ بهـــا لغريبُ

وسيأْتى إن شاءَ الله مع الأَبيات فى إنَّ المشددة .

فلمَّا سمعها أَخرجَه من الحبس ، فأَخذ سِكِّيناً فجعلها فى أَسفل نعله ليَفْتِكَ بعثمان ، فأُعلم بذلك فضربَه ، ورَدَّهُ إلى الحبس إلى أَنْ مات فيه . وفى ذلك قال الأَبياتَ التى منها :

هممت ولم أَفعَلْ وكدتُ وليتنى . . . . البيت

ولم يزل فى الحبس حتَّى أَصابته الدُّبيلة[٢] فأَنتن ، فمات فى الحبس .

---

(١) الحيوان : « يبيت له فوق السرير » . الشعراء : « يبيت لها فوق الفراش » .

(٢) الدبيلة ، بالتصغير : داء يجتمع فى الجوف ، وهو خراج ودمل كبير ، تقتل صاحبها غالباً . ولعله ما يدعى بالسرطان .

ولمَّا قُتِل عثمان جاء عُمير بنُ ضابئٍ فرفسَه برجله ، فكسر ضِلعين من أضلاعه وقال : حبستَ أبي حتى مات !

ولمّا كان زمن الحجّاج ، واستعرض أهلَ الكوفة ليوجِّهَهم إلى المهلَّب، عُرِض عليه فيهم عُمير بن ضابئ ، وهو شيخ كبير يُرعَش كِبَرا ، فقال : أيُّها الأمير ، إنِّي من الضَّعف على ما ترى ، ولى ابنٌ أقوى على الأسفار منِّى ، أفتقبله بديلا ؟ قال : نعم . فلما ولَّى قال قائلٌ : أتدرى مَنْ هذا أيها الأمير ؟ قال: لا، قال : هذا عمير بن ضابئ البرجمى الذى يقول أبوه :

هممت ولم أفعل .... البيت

وحَكى القصَّة ، فقال الحجاج : ردُّوه علىَّ . فلما رُدَّ قال : أيُّها الشيخ ، هلاَّ بعثت إلى عثمان بديلاً يوم الدار ، إنَّ فى قتلك لَصلاحًا للمسلمين ، يا حرسىُّ اضربْ عنقه ! وسمع ضوضاة[1] فقال : ما هذا ؟ قالوا: البراجم جاءت لتنصر عُميرًا . قال : أتحِفُوهم برأسِه ! فولَّوا هاربين .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الخمسون بعد السبعمائة ، وهو من شواهد سيبويه[2] :

---

(١) الضوضاة والضوضاء : أصوات الناس وجلبتهم . والفعل منه ضوضى ضوضاة وضيضاء بالكسر . اللسان (ضوا) . وفى ش : « ضوضاه » بالهمز .

(٢) فى كتابه ١ : ٤٧٨ . وانظر المقتضب ٣ : ٧٠ والكامل ١١١ وأمالى القالى ١ : ٧١ والجمل ٢٠٩ ومعجم المرزبانى ٤٨٣ وحماسة ابن الشجرى ٦٠ وابن يعيش ٧ : ١١٧ ، ١٢١ والمقرب ١ : ٩٨ والضرائر ١٥٣ ، والحماسة البصرية ١ : ٤٤ والعيون الغامزة ١٦٣ والمغنى ١٥٢ ، ٥٧٩ وشرح شواهده للسيوطى ١٥٢ والعينى ٢ : ١٨٤ والهمع ١ : ١٣٠ والتصريح ١ : ٢٠٦ والأشمونى ١ : ٢٦٠ ، ٢٦٤ .

٧٥٠ (عسَى الكربُ الذى أمسيتَ فيـه
يكونُ وراءَه فـرجٌ قرِيبُ)

على أنه حذف (أنْ) من خبر عسى ، وهو قليل ، والتقدير : أن يكون وراءه إلخ .

٨٢ وكذا قال ابن هشام (فى المغنى) . وهو ظاهر كلام سيبويه ، قال سيبويه : واعلم أنَّ من العرب من يقول عسى يَفعل يشبِّهها بكاد يفعل ، فيفعل حينئذ فى موضع الاسم المنصوب فى قوله « عسى الغوير أبؤساً » . فهذا مثلٌ من أمثال العرب ، أجرَوْا فيه عسى مجرى كان . قال هُدبة :

عَسَى الكرب الذى أمسيتَ فيه يـكون وراءه فـرجٌ قـريبُ

وقال :

عَسَى الله يُغنِى عن بلاد ابن قادرٍ بمنهَمِر جَـوْنِ الرَّبابِ سَـكُوبِ

وقال :

فأمَّـا كيِّسٌ فنجـا ولـكنْ عسى يغترُّ بى حَمِقٌ لئيـمُ .ا ه

قال الأعلم : الشاهد فى هذه الأبيات إسقاط أنْ ضرورةً ورفع الفعل . والمستعمل فى الكلام أن يكون كما قال تعالى : ﴿ عَسَى أَنْ يبعَثَكَ ربُّك[١] ﴾ و ﴿ عسى الله أن يأْتِىَ بالفتْح[٢] ﴾ . والمنهمر : السائل . والجَوْن : الأَسود . والرَّباب : السَّحاب . والحَمِق : بكسر الميم : الأَحمق .

---

(١) الآية ٧٩ من سورة الإسراء .

(٢) الآية ٥٢ من سورة المائدة . ولفظها : « فعسى الله أن يأتى بالفتح » . وترك الفاء والواو ونحوها فى مثل هذا جائز فى الاستشهاد . انظر حواشى الحيوان ٤ : ٥٧ .

وكذا قال ابن عصفور (فى كتاب الضرائر) ، وبعد أن أورد هذه الأبياتَ وغيرَها قال : وما ذكرتُه من أنَّ استعمال الفعل الواقع فى موضع خبر عسى بغير أنْ ضرورةٌ هو مذهبُ الفارسيِّ وجُمهورِ البصرِّيين. وظاهرُ كلام سيبويه يُعطى أنَّه جائزٌ فى الكلام ، لأنَّه قال : « واعلم أنَّ من العرب من يقول : عسى يفعل ، تشبيهًا بكاد[1] » . فأطلق القولَ ولم يقيِّد ذلك بالشِّعر . إلاَّ أنه ينبغى أن لا يُحمل كلامُه على عمومه ، لمَا ذكره أبو علىّ من أنَّها لا تكاد تجئُ بغير أنْ إلاَّ فى ضرورة . وأيضاً فإنَّ القياسَ يقتضى أن لا يجوز ذلك إلاَّ فى الشعر ، ولأنَّ استعمالها بغير أنْ إنَّما هو بالحمْل على كاد ، لشبهها بها من حيثُ جمعتْهما المُقارَبة . وكادَ محمولة فى استعمالها بغير أن على الأَفعال التى هى للأَخذ[2] فى الشروع ، من جهة أنَّها لِمقاربةِ ذاتِ الفعل ، فقربت لذلك من الأَفعال التى هى للأَخذ فى الفعل ؛ وليست عسى كذلك لأَن فيها تراخيًا . ألاترى أنَّك تقول : عسى زيد أن يحجَّ العام [الآتىَ[3]] . وإنَّما عُدّت فى أَفعال المقاربة مع ما فيها من التَّراخى من جهةِ أنَّها تدخُل على الفعل المرجوّ ، والفعلُ المرجوّ قريبٌ بالنظر إلى ما ليس بمرجوّ . فلما كانت محمولةً فى استعمالها بغير أنْ على ما هو محمول على غيره ، ضعف الحملُ فلم تجئْ إلاَّ فى الضرورة . انتهى .

صاحب الشاهد

والبيت من قصيدةٍ لهدْبةَ بنِ خَشْرمٍ ، قالَها فى الحبس ، وهى :

---

(١) الذى فى الضرائر وسيبويه : « يشبهها بكاد » . وانظر ما سبق أيضاً ، ولكن هكذا وردت فى النسختين .

(٢) الكلام بعده إلى « للأخذ » التالية ساقط من ش ونسخة الضرائر .

(٣) التكلة من ضرائر ابن عصفور .

أبيات الشاهد

(طَرِبتَ وأَنت أَحيانًا طَروبُ
وكيف وقد تَعلاَّكَ المَشِيبُ[(1)]

يُجِدُّ النَّأْىُ ذِكرَكِ فى فؤادى
إذا ذُهِلت على النَّأْى القُلوبُ[(2)]

يؤرِّقنى اكتئابُ أَبى نُميرٍ
فقلبى من كآبته كئيبُ[(3)]

فقلت له : هَدَاك اللهُ مَهْلاً
وخيرُ القولِ ذو اللبِّ المصيبُ[(4)]

عَسى الكربُ الذى أَمسيتَ فيه
يكون وراءه فَرَجٌ قريبُ

فيأْمَنَ خائف ويُفَكَّ عانٍ
ويأْتِىَ أَهلَه الرَّجلُ الغريبُ[(5)]

أَلا ليت الرِّياحَ مُسخَّراتٍ
بحاجتنا تباكرُ أَو تئُوبُ[(6)]

---

(١) ابن الشجرى : « وقد تغشاك المشيب » ، وكذلك فى شرح شواهد المغنى للسيوطى .

(٢) القالى والعينى والسيوطى : « عن النأى » .

(٣) ابن الشجرى : « وأرقنى » .

(٤) هذا البيت لم يرد فى حماسة ابن الشجرى .

(٥) القالى وابن الشجرى : « النائى الغريب »

(٦) هذا البيت لم يرد فى حماسة ابن الشجرى . وفى سمط اللآلى ٢٤٩ : « وبخط أبى على : تصبح أو تئوب » .

٨٣

فتخبرَنا الشَّمالُ إذا أتتْنا ... وتخبرَ أهلَنا عنَّا الجنوبُ[١]

فإنَّا قد حللنا دارَ بلوَى ... فتُخطئُنا المنايا أو تصيبُ

فإن يك صدرُ هذا اليومِ ولَّى ... فإنَّ غدًا لناظره قريبُ

وقد علمتْ سُلَيمى أنَّ عُودى ... على الحَدثانِ ذو أيْدٍ صليبُ

وأنَّ خليقتى كرمٌ وأنِّى ... إذا أبْدَت نواجذَها الحُروبُ

أُعِينُ على مكارمها وأَغْشَى ... مَكارهَها إذا كَعَّ الهَيوبُ[٢]

وقد أبقى الحوادثُ منك ركنًا ... صَليبًا ما تؤبِّسه الخطوبُ[٣]

على أنَّ المنيةَ قد تُوافى ... لوقتٍ ، والنوائبُ قد تنوب[٤])

هذا ما أورده القالى (فى أماليه) ، وزاد بعده الشريف الحسينىّ (فى حماسته) :

(وإنِّى فى العظائم ذو غَناءٍ ... وأُدعَى للفَعَال فأستجيبُ[٥]

وإنِّى لا يخاف الغدرَ جارى ... ولا يَخشى غوائِلَى القريبُ

وكم من صاحبٍ قَدْ بانَ عنِّى ... رُميتُ بفقدِه وهو الحبيبُ

فلَمْ أبدِ الذى تحنو ضلوعى ... عليه ، وإنَّنى لأنا الكئيبُ

مخافةَ أن يَرانى مستكينًا ... عدوٌّ أو يُساءَ به قريبُ

ويَشمتَ كاشحٌ ويظُنَّ أنِّى ... جَزوعٌ عند نائبةٍ تنوبُ

فبعدك سَدَّت الأعداءُ طُرْقًا ... إلىّ ورابنى دهرٌ يَريبُ

(١) فى الحماسة البصرية : « إذا هاب الهيوب » .

(٢) هذا البيت والبيتان بعده لم يردا فى حماسة ابن الشجرى .

(٣) هذا البيت ورد عند ابن الشجرى تالياً للبيت التالى .

(٤) عند القالى : « ما تؤيسه الخطوب» بالياء . وقد قيده البغدادى فى شرحه بأنه بالموحدة . ومدلولهما واحد .

(٥) الحماسة البصرية : « وأدعى للسماح » .

وأنــكرتُ الــزَّمانَ وكــلَّ أهلي وهــرَّتنى لغَيبتــك الكليبُ
وكنت تقطَّــع الأبصارُ دونــى وإن وَغِرت من الغيظ القــلوبُ)

الطرب : خفَّة تُصيب الإنسانَ لفرح أو حزن . والنَّأْى : البُعد . ويؤرِّقنى : يُسهرنى . والاكتئاب : افتعالٌ من الكآبة ، وهى الحزن . وأبو نمير ، قال اللخمى : هو ابن عمِّه ، وكان مسجونًا معه . وقال ابن هشام (فى شرح شواهده) : هو رجلٌ كان مسجونًا معه ، فجالسه يومًا وأَظهر له التألُّمَ . وقال العينى : هو رجلٌ من قرابته زار هُدبةَ أيَّامَ حبسه فأظهر الحزنَ والكآبة . وقوله : « و خير القول ذو اللُّبّ » أى قول ذى اللُّبّ . ورواه ابن المستوفى :

* وخير القول ذو العَيْج المصيبُ *

بالمثنَّاة التحتية والجيم ، وقال : وهو مأْخوذ من قولهم ما عِجْت به ، أى لم أرْضَ به . وإن روى « العَنْج » بالنون فهو الاسم من عَنجت البعير أَعنِجه عَنْجًا ، وهو أن يجذب الراكب خطامَه فيردَّه على رجليه ، ضربٌ من رياضة البعير . قال ابن السيرافى : والعَيْج من القول : ما ينتفع به ، وهو مأْخوذ من قولهم : ما عِجْت بكلامه أى ما انتفعت . كذا وجدته العَيْج بفتح العين والياء .

وقوله : (عسى الكرب الذى أمسيتُ فيه) إلخ الكرب : الهَمّ . قال ابن المستوفى : روى بفتح التاء وضمّها من (أمسيت) . والنحويُّون إنما يروونه بالضِّم، والفتحُ عندى أولى ، لأنَّه يخاطب ابنَ عمِّه أبا نمير ، وكان معه فى السِّجن . وقوله هذا لابن عمِّه ليسلِّيَه به ، لِمَا رآه من خوفه ، أجود من أن يكونَ يريدُ به نفسَه ، لأنَّ فى قوله لابن عمه زجرًا

له : مهلاً ، أى امهل ، يدلُّ على ما ذكرته . ولا يجوز أن يقال إنَّ اكتئاب ابن عمِّه إنَّما كان حذرًا على هُدبة ، لأَنَّه لو كان كذلك لما قال له مهلا ، ولأَنَّ الإنسان أكثرُ عنايةً بنفسه من عنايته بغيره . ولا يمتنع ضمُّ التاء على أن يريد به : لا يضِقْ صدرُك بشىءٍ ، فإنَّ الكرب الذى أمسيتَ فيه يكون له فرج قريب ، فيزولُ ما عندك . انتهى .

وعيَّن اللخمىُّ فتح التاء ، قال : الرواية عن أبى القاسم الزجاجى ضمُّ التاء ، وإنَّما هى تاءُ المخاطب ، لأَنَّ ما قبل البيت يدلُّ عليها ، لأَنَّه يخاطب أبا نمير ، وهو ابن عمه ، وكان مسجونًا معه .

وقوله : (يكون وراءه) اسم يكون ضمير الكرب ، وخبره الظرف ، وفرج فاعل الظرف . وقال ابن هشام : وراءَ ظرف مؤَنَّث تصغيره على وُرَيئة ، وظهور الهمزة فى تصغيره دليل على أنَّه ليس من واريت كما قال بعضهم . والأظهر أنَّه بمعنى أمام كقوله تعالى: ﴿ من ورائِهِ جهنم[1] ﴾ ﴿ وكان وراءَهم ملكٌ يأْخذ كلَّ سَفينةٍ غَصْبًا[2] ﴾ . والفَرَج: انكشاف الهم . وفى يكون ضمير الكرب ، ويجوز أن تكون ناقصة وتامَّة ، وعلى الأَوَّل يكون فرج مبتدأً وقريبٌ صفته ، والظرف خبر ، والجملة الاسمية خبر يكون . وعلى الثانى تكون الجملة حالا . ويجوز على الوجهين أن يكون فرج فاعلاً بالظرف على أنَّه خبرُ الناقِصةِ وحالٌ من فاعل التامّة . وهذا أرجح من تقديره مبتدأً . وإنما لم أقدِّر فرجٌ اسمَ يكون على أنَّها الناقصة ووراءه الخبر ، أو فاعلاً ليكون على أنَّها التامة ووراءه متعلق

---

(١) الآية ١٦ من سورة إبراهيم .

(٢) الآية ٧٩ من سورة الكهف .

بيكون كما فعل بعضهم ، لأَنَّ فاعلَ الفعل الواقع فى باب كاد لايكون إلاَّ ضميرًا راجعًا للاسم السابق ، فلا يجوز كاد زيد يموت أبوه . وما خرج عن ذلك نادر ، فلا يحمل عليه مع وجود مندوحة عنه . وكذلك لايكون اسم يكون ضمير الشأْن كما قدَّره جماعة ، لِمَا ذكرنا . انتهى كلامه.

وعانٍ : أسير . وأراد بدار بلوَى : السِّجن. والناظر هنا : المنتظِر . والأَيْد : القوَّة . وكعَّ : جبن وخاف . وما تؤبِّسه : ما تذلِّله وما تؤثِّر به ، بالموحدة بعد الهمزة . وباقى أَلفاظ القصيدة ظاهرةٌ .

هدبة بن خشرم

وهدبة هو هدبة بنُ خشرم بن كُرز بن أَبى حيَّة بن الكاهن ، وهو سلمة ، ابن أَسحم بن عامر بن ثعلبة بن عبد الله بن ذُبيان بن الحارث بن سعد بن هُذَيم ، وسعدٌ : ابنُ أَسلَمَ بن الحاف بن قضاعة ، ويقال بل هو سعد بن أَسلم بن هذيم ، وهذيمٌ عبدٌ لأَبيه ربَّاه ، فقيل سعد ابن هذيم ، يعنى سعداً هذا .

وهدبة شاعر فصيح متقدِّم من بادية الحجاز ، وكان شاعراً راوية ، وكان يَروِى للحطيئة ، والحطيئة يَروِى لكعب بن زهير . وكان جَميل راويةَ هُدبة ، وكثيِّر راوية جميل .

وكان لهدبة ثلاثة أخوة كلُّهم شاعر ، وأُمُّه كانت شاعرةً أَيضاً . كذا فى الأَغانى .

وهدبة ، بضم الهاء وسكون الدال بعدها موحَّدة . وخَشْرم ، بفتح الخاء وسكون الشين المعجمتين . وكُرْز ، بضم الكاف وسكون المهملة . وأَبو حيَّة ، بفتح المهملة وتشديد المثناة التحتية .

وسبب حبسه على ما رواه الأَصبهانى بسنده فى الأَغانى[1] : أَنَّ هُدبة ابن خشرم وزيادة بن زيد بن مالك بن عامر بن قُرّة بن حنيس[2] بن عمرو بن ثَعلبة بن عبدالله بن ذُبيان بن الحارث بن سعد بن هذيم المذكور[3] اصطَحبا وهما مُقبلان من الشام فى ركب من قومهما ، فكانا يتعاقبان السَّوق بالإبل، ومع هدبة أُخته فاطمة ، فنزل زيادة فارتجز فقال : ٨٥

عُوجى علينا واربَعى يا فاطِمَا ما بين أَن يُرَى البعيرُ قائمـا
أَلاَ ترينَ الدّمعَ منّى ساجما حِذار دارٍ منكِ أَن تلائمـا[4]
فعرَّجَتْ مطَّرداً عُراهِمـا فَعْمـاً يبذُّ القُطُفَ الرَّواسمـا
كـأَنَّ فى المَثْنـاة منه عائما إِنَّكَ واللهِ لأَنْ تُبـاغمـا
خَوْدًا كأَنَّ البُوصَ والمـآكما منهـا نَقًـا مخـالطٌ صرائمَا
خيـرٌ من استقبالكَ السَّمـائما ومن مُنادٍ يَبتَغى مُعـاكِمَا[5]

وقوله : « مابين أَن يرى البعير » أَى ما بين مُناخ البعير إلى قيامه . ومطَّرد : متتابع السَّير، عُراهم : شديد . وفعم : ضخم . والرَّسيم : سير فوق العَنَق . والرَّواسم : الإبل التى تَسير هذا السَّير . والمَثْناة : الزِّمام ، وعائم : سابح . وتباغم : تكلِّم . والبُوص : العَجُز . والمأْكَمتانِ : ما عن يمين العجُز وشِماله . والنَّقا : ما عظُم من الرمل. والصرائم دونه . ومُعاكِمًا ، أَى يُعينك على عِكمك حتى تشدَّه .

---

(١) الأغانى ٢١ : ١٧٠ .

(٢) كذا فى النسختين ، وليس فى أعلام قبائلهم . وفى الأغانى: « خنبس » ، صواب هذه « خنيس » .وفى معجم المرزبانى ٤٨٣ : « خنبش » ، تحريف أيضاً .

(٣) ط : « هذيم بن المذكور » ، صوابه فى ش مع أَثر تصحيح .

(٤) كذا فى النسختين . ولعله نوى حذف لا ، كما فى قوله تعالى : « يبين الله لكم أن تضلوا » . وفى الأغانى : « لن تلائما » .

(٥) ويروى : « ومن نداء يبتغى » . وفى النسختين: « مناد تبتغى»، صوابه من الأغانى .

فغضب هُدبة حين سمع زيادةَ يرجز بأُخته ، فنزل فرجَزَ بأُخت زيادة ، وكانت تُدعَى أُمَّ خازم ، وقيل أُم قاسم ، فقال :

لقد أرانى والغلامَ الحازما ... نُزجى المطىَّ ضُمَّراً سَواهِما

متى تقولُ القُلُصَ الرَّواسما ... والجِلَّةَ الناجيةَ العَياهما

يُبلِغْن أُمَّ خَازم وخازما ... إذا هبطن مستحيراً قاتما

ورفَّع الحادى لها الهمَاهِما[1] ... ألا ترَيْنَ الحُزْنَ منِّى دائما

حِذارَ دار منك أن تلائِما[2] ... والله لا يشفى الفؤادَ الهائما

تَمساحُك اللَّباتِ والمآكما[3] ... ولا اللِّمامُ دون أن تلازما[4]

ولا اللِّثام قبل أن تُفاقما[5] ... وتعلُوَ القوائمُ القوائما[6]

وقوله : « تقول القُلَص » الخ أورده النحويون شاهداً على إعمال القول إعمالَ الظنّ . والعَيَاهم : الشِّداد .

قال : فشتمه زيادة ، وشتمه هُدبة ، وتسابًّا طويلاً ، فصاح بهما القوم : اركبا لا حَمَلكما الله ، فإنَّا قومٌ حُجَّاج . وخَشُوا أن يقع بينهما شرٌّ ، فوعظوهُما حتَّى أمسك كلٌّ واحدٍ منهما على ما فى نفسه ، وهُدبة أشدُّهما حَنقًا ، لأنَّه رأى أن زيادة قد ضامَه إذْ رَجَزَ بأُخته وهى تسمع

(١) فى الأغانى : « ورجع الحادى » .

(٢) فى الأغانى : « لن تلائما » .

(٣) فى نوادر المخطوطات ٢ : ٢٥٦ : « تمساكك » .

(٤) فى نوادر المخطوطات : « دون أن تفاغما » .

(٥) الأغانى : « ولا اللزام » ، وفى نوادر المخطوطات : « ولا اللمام » . وبعده فى الأغانى :

* ولا الفقام دون أن تفاغما *

(٦) الأغانى : * وتركب القوائم القوائما *

قولَه ، وكانت أُخت زيادة غائبة ، فمضيا ولم يتحاورا بكلمةٍ حتَّى قضَيا حجَّهما ، ورجَعا إلى عشائرهما. وجعل هُدبة وزيادة يتهاديان الأَشعار. ولم يزل هُدبةُ يطلب غِرّة زيادة حتَّى أَصابها ، فقتله وهرب ، وعلى المدينة يومئذٍ سعيدُ بنُ العاص . فأَرسل إلى عمٍّ هُدبة وأَهْلِه فحبسهم بالمدينة ، فلما بلغ هدبةَ ذلك أَقبل حتَّى أمكن من نفسه ، وتخلَّص عمَّه وأَهلَه ، فلم يزل محبوسًا حتَّى شخص عبد الرحمن أَخو زيادة إلى معاوية ، فأَورد كتابه إلى سعيد بأَن يُقِيده منه إذا قامت البيِّنة ، فكره سعيدٌ الحُكم بينهما ، فحملهما إلى معاوية فلما صارُوا بين يديه[1] قال له معاوية : قل يا هُدْبة . قال : إن شئت أَن أَقصَّ عليك قصّتنا كلاماً وشعراً فعلت . قال : بل شعراً . فقال هُدبة ارتجالا :

٨٦

أَلا يا لقومى لِلنَّـــوائبِ والدَّهر ... وللمرءِ يُردِى نفسَه وهو لايدرى

وللأَرض كم من صالح قد تـأَكَّمت ... عليه فوارَتْه بلمَّاعــةٍ قَفْـــرِ

فـــلا تتَّـــقِى ذا هَيبَةٍ لجلالِهِ ... ولا ذا ضَيَاعٍ هُنَّ يتركن للفَقْرِ

حتى قال :

رُمِينا فرامَيْنا فصـــادف رَمْيُنَــا ... مَنَايَا رجالٍ فى كتابٍ وفى قَدْرِ

وأَنت أَميرُ المــؤمنين فمـــا لنا ... وراءَك مِن معدًى ولا عنك من قَصْرِ

فإِن تكُ فى أَموالنا لم نضقْ بهـــا ... ذراعًا وإن صبرٌ فنصبرُ للصَّبــرِ

وهذا البيت الأَخير من شواهد النحويين. وتـأَكَّمت : صارت أَكمة . وروى بدله : « قد تواْدت » ، « قد تلمَّأَتْ » و« تَلَأَّمت » ، أَى وارته .

(١) وكذا فى الأغانى ٢١ : ١٧٩ . وكثيراً ما يعبر بالجمع عن المثنى . كما فى قوله تعالى : « وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا » . وفى ط فقط : « فلما صارا بين يديه » .

(٢) ش : « ألا يا لقوم » .

فقال له معاوية : أُراك يا هدبة قد أقررتَ بقَتل صاحبهم. ثم قال لعبد الرحمن : هل لزيادة ولد ؟ فقال: نعَم ، المِسْوَر ، وهو غلام لم يبلغ ، وأنا عمُّه وولىُّ دم أبيه . فقال : إنَّك لا تُؤمَن على أخذ الدية أو قَتْلِ الرجل بغير حقّ ، والمِسورُ أحقُّ بدمِ أبيه . فردَّه إلى المدينة ، فحبس ثلاثَ سنين حتَّى بلغ المِسورُ، وذهب عبدُ الرحمن بالمسور وقد بلغَ إلى والى المدينة ، وهو سعيد بن العاص، وقيلَ : مَرْوان بن الحكم ، فأخرج هدبة ، فلما مُضِى به من السجن للقَتْل التفتَ فرأى امرأته ، وكانت من أجمل النِّساء ، فقال :

أَقِلِّى علىَّ اللــومَ يا أُمَّ بوزعــا
ولا تعجَبى ممَّــا أصاب فأَوجَعــا

ولا تَنكِحى إنْ فرَّق الدهرُ بيننــا
أغمَّ القفا والوجهِ ، ليس بأَنزعا

كليلاً سوى ما كان من حَدِّ ضرسه
أعيبِدَ مِبْطانَ العشيَّاتِ أروعــا[1]

ضروبًا بلَحْيَيْــهِ على عَظْم زَوره
إذا النَّاس هَشُّوا للفعال تقنَّعــا

وحُلِّ بذى أكــرومةٍ وحَمِيَّــةٍ
وصبر إذا ما الدهرُ عضَّ فأَسرعــا

(١) فى النسختين : « من جد ضربه » ، صوابه فى الأغانى ، وفى ش بخط ناسخها تعليقاً على « أعيبد » : « كذا بخط المؤلف ، والصواب : « أكيبد » . وفى الأغانى أيضاً : « أكيبد » ، وهو تصغير الأكبد ، وهو الضخم الوسط، ولا يكون إلا بطىء السير .

فمالت زوجته إلى جزَّارٍ وأخذت شَفرتَه فجدعت به أنفَها ، وجاءته تَدْمَى مجدوعةً ، فقالت : أتخاف أن يكون بعد هذا نكاح ؟ قال : فرسَف فى قيوده وقال: الآن طاب الموتُ؟ فإذا هو بأبويه يتوقَّعان الثُّكْل ، فهما بسوءِ[1] حال ، فأقبل عليهما وقال :

أبلِيانى اليومَ صبراً منكما
إنَّ حزنا إنْ بَدَا بادئُ شَرّْ

لا أرانى اليومَ إلاَّ ميتاً
إنَّ بعد الموت دارَ المستقَرّْ

اصبرَا اليومَ فإنِّى صابرٌ
كلُّ حىٍّ لقضاءٍ وقَدَرْ

قال النَّوفلى : حدثنى أبى عن رجلٍ من عذرة عن أبيه قال : إنِّى لَفِى بلادنا يوماً فى بعض المياه ، فإذا أنا بامرأة تمشى أمامى وهى مُدْبرة ولها خَلْقٌ عجيب من عَجُز وهيئة ، وتمامِ جسم وتمام قامَة ، وإذا صَبيَّانِ قد اكتنفاها يمشِيان ، فتقدَّمتُها والتفتُّ إليها ، وإذا أقبح منظر ، وإذ هى مجدوعة الأنف مقطوعة الشَّفتين ، فسألتُ عنها فقيل : هذه امرأة هدبة تزوَّجت بعده رجلاً أولدَها هذين الصبيَّين .

قال ابن قتيبة : فسأل سعيدُ بن العاص أخا زيادة أن يقبل عنه[2] ، فقال : أُعطيكَ ما لم يُعْطَ أَحدٌ من العرب : مائة ناقةٍ حمراءَ ، ليس فيها ذاتُ داءٍ[3] . فقال : والله لو نقَبْت لى قُبّتك هذه ، ثم ملأْتَها ذهباً

٨٧

---

(١) وكذا فى الأغانى ٢١ : ١٧٥ .
(٢) ش : « فسأل سعيد بن العاص أخا زيادة عنه » .
(٣) الأغانى : « ليس فيها جداء ولا ذات داء » . والجداء من الغنم والإبل : المقطوعة الأذن .

ما رضيتُ[١] بها . ولم يزل سعيدٌ يسأله حتّى عرض عليه سِتّ دِيات فأَبى ، فدفعه إليه حينئذٍ لقَتْله بأخيه ، فاستأْذن هدبةُ فى أن يصلىَ ركعتين ، فأَذِن له فصلاَّهما وخفَّف ، ثم التفت إلى مَنْ حضر فقال : لولا أَنْ يُظَنَّ بِى الجزعُ لأَطلتُهما ، فقد كنت محتاجاً إلى إطالتهما . ثم قال لأَهله : إنَّه بلغنى أنَّ القتيل يَعْقِلُ ساعةً بعد سقوط رأسه ، فإن عَقَلْتُ فإنى قابضٌ رجلى وباسطُها ثلاثاً . ففعل ذلك حين قُتل .

وقال قبل أن يقتل :

إن تقتلونى فى الحديد فإننى ⁂ قتلت أَخاكم مطلقًا لم يقيَّدِ

فقال أخو زيادة : والله لا قَتَلتهُ[٢] إلاَّ مطلَقًا من وَثاقه . فأُطلق له وتولَّى قتلَه ابنهُ المسور ، دفعَ إليه عمُّه السيف وقال : قم فاقتل قاتل أبيك . فقام فضربه ضربتين قتلَه فيهما .

وهدبة أَول من سنّ ركعتين عند القتل[٣] . هذا ما اختصرته من الأَغانى .

* * *

---

(١) فى الأغانى : « ما رضيت بها من دم هذا الأجدع » .

(٢) هذا ما فى الأغانى . وفى النسختين : « لا أقتلنه » .

(٣) فى حواشى ش بخط الناسخ : « أول من سن ركعتين عند القتل خبيب لا هدبة ». وهذا حق . وجاء فى ترجمته من صفة الصفوة ١ : ٢٥٤ . أن المشركين لما خرجوا به من الحرم ليقتلوه فى الحل قال لهم خبيب : دعونى أصلى ركعتين . فتركوه فركع ركعتين وقال : « والله لولا أن تحسبوا أن ما بى جزعاً لزدت . اللهم أحصهم عدداً واقتلهم بدداً ، ولا تبق منهم أحداً » ، وقال :

ولست أبالى حين أقتل مسلما ⁂ على أى جنب كان فى الله مصرعى

وذلك فى ذات الإله وإن يشأ ⁂ يبارك على أوصال شلو ممزع

ثم قال : « وكان خبيب هو [أول من] سن لكل مسلم قتل صبراً الصلاة ». وانظر الإصابة ٢٢١٨ .

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الحادى والخمسون بعد السبعمائة[1] :

٧٥١ (عَسَى طَيِّئٌ من طَيِّئٍ بعدَ هذِهِ
ستُطفِئُ غُلاَّتِ الكُلَى والجوانحِ)

على أنَّ السين فى قوله « ستطفِئُ » قائمة عند المتأخِّرين مقامَ أنْ ، لكونهما للاستقبال .

قال الزمخشرى (فى المفصل) : ولمَّا انحرفَ الشاعرُ فى هذا البيت عمَّا عليه الاستعمالُ جاءَ بالسين التى هى نظيرةُ أنْ ، يعنى لمَّا لم يأْتِ الشاعر بما حقُّه أن يجىء به مع عسى فى الخبر ، وهو أن ، أَتى بما يقوم مقامه فى الدلالة على الاستقبال ، وهو السين . على أنَّ ذَلك شاذٌّ . وكما دخل أنْ فى خبر لعلَّ حملاً على عسى ، دخل السِّين فى خبر عسى حملاً على لعلَّ .

صاحب الشاهد

والبيت آخر أبيات أَربعة ، أوردها أبو تمام (فى باب المراثى من الحماسة) ، وعزاها لِقَسَام بن رَوَاحة السِّنبِسى . وقبله :

أبيات الشاهد

(لَبئس نصيبُ القوم من أَخويهمُ
طرادُ الحواشى واستراقُ النَّواضِح
ومـا زال من قتلى رَزَاحٍ بعالج
دمٌ ناقعٌ أَو جاسدٌ غيرُ ماصِحِ
دعا الطَّيرَ حتَّى أَقبلتْ من ضرِيَّةٍ
دواعى دم مُهراقُهُ غيرُ بارحِ)
عسى طيئ من طيئ . . . . البيت

يريد بأَخويهم : صاحبيهم ، يقال يا أخا بكر ، يراد : يا واحداً

(١) ابن يعيش ٨ : ١١٨ ، ١٤٨ والمغنى ٥٣ وشرح شواهده للسيوطى ٩٦ ويس ١ : ١٠٦ ، والحماسة ٩٥٨ بشرح المرزوقى .

منهم . والحاشية : صغار الإبل ورُذالُها . والنواضح : جمع ناضح ، الإبلُ التى يُستسقَى عليها الماءُ ، جُعلت كأنَّها تنضح الزرع والنخل . وطراد وما عطف عليه بدلٌ من نَصيب . يقول : إنَّهم لا يُقدمون على القوم ،ويُغيرون على حواشيها دون جِلَّتها ،لأنَّ الصبيان يرعَوْنها . يعنى بلغ من جُبْنهم أنْ لا يتعرّضوا للرُّعاة إلاَّ سرقةً ، يَسرِقون النَّواضح ويطردون الحواشى ، فيرضَوْن بذلك من طلب الثَّأْر . فبئس العوض ذلك من دم أخويهمْ . يهزأ بهم . وهذا تعريضٌ بمن[1] وجب عليه طلبُ الدَّمِ فاقتَصر على الغارة وسَرقة الإبل . وفيه بعثٌ على طلب الدم . وأكَّد ذلك بقوله : « وما زال من قتلى رَزاح إلخ » وهو براءٍ مفتوحة وزاى ومهملة : قبيلة من خَوْلان . وقَتلى : جمع قتيل . وعالج بالجيم : موضعٌ بالبادية فيه رمل . والدّمُ الناقع ، بالنون والقاف ، قيل : الثابت ، وقيل : الطرىّ . والدَّم الجاسد، بالجم ، قيل : القديم ، وقيل: اليابس . والماصح بالصاد المهملة ، من مصح كمنع مُصُوحاً: ذهب وانقطع . يقول: لا يزال من مقتولى هذه القبيلةِ بهذا المكان دمٌ طرىٌّ ويابس غير زائل . يعنى أنَّ دماءَهم باقيةٌ بحالها مالم يَثأَروا بها ، لأنَّ غسل تلك الدماءِ إنَّما يكون بما يُصَبُّ من دماءِ أَعداهم . ولم يكتف بهذا الإغراء حتى قال : « دعا الطيرَ » إلخ يقول : دعا دواعى دمائهم طيُورَ الأَماكن البعيدة والجِبالِ المُطِلَّة، حتَّى أتت سباعُها وطـيورُها ، وقَعَتْ عليها تأْكل منها . ومهراقُهُ ، الهاءُ ضمير الدم . يعنى أنه مصبوبٌ فى موضعه لَم يَزُل ولم يَحُل . قال الطَّبَرسى : ويجوز أن يريد بالمهراق الموضعَ المصبوب فيه الدم . وفيه حثٌّ على طلب الثأْر . وضَرِيَّة : اسم بلادٍ تشتمل على بلادٍ سميت باسم ضَرِّيَةَ بنتِ ربيعة بن نِزار ، كما قيل للماءِ الذى بين

٨٨

(١) ط : « ممن » ، صوابه فى ش .

البصرة ومكة الحوءَب ، كجعفر بالحاءِ المهملة ، سمِّى[1] بالحَوْءَب بنت كلب بن وَبَرة .

وقوله : (عسى طيِّءٍ) إلخ قال المرزوقى : عسى لفظةٌ وُضعت للتَّرجى والتأْمِيل ، إلاَّ أنها تؤذن بأَنَّ الفعلَ مستقبلٌ مطموعٌ فيه . ووضع السين بدل أنْ فى خبر عسى لاشتراكهما فى الدَّلالة على الاستقبال ، مع أنَّ السين أشهر فيها . ومعنى « عسى طيِّئٌ » : لعلَّ البطن المغاوب من هذه القبيلة فى القِتال ينتصف من البطن الغالبِ منها فيه . وقوله « بعد هذه » إشارة إلى الحالة الحاضرة بالتذكير ، الجامعة لكلّ ما ذكره . والغُلاَّت : جمع غُلَّة بالضم : حرارةُ الجوف . والمعنى : المرجوُّ من أولياءِ الدم أنْ يطلبوا الثأْر فى المستقبل وإنْ كانوا أخَّروه إلى هذه الغاية ، فتسكنَ نفوسٌ وتَبرُدَ قلوب[2] .

وكانت القبيلتان معاً من طيئ ، لأَنَّ طيئًا قبائل يكون أَبدًا بينهم قتال . وطيئ بالهمزة على وزن السَّيِّد ، وقد تحذف الهمزة فيبقى كحىّ .

و(الكُلى) : جمع كُلية أوكُلوة . و(الجوانح) : الضلوع ، جمع جانحة . قال بعضهم : الغلة إنَّما تكون فى القلب ، ولكنَّه أراد المبالغة أى تُجاوِز القلبَ والكبد إلى الكلية .

وقال الخوارزمى : إن سئل أىُّ غُلَّةٍ للكُلى حتَّى أُضيفت إليها ؛ أُجيب بأَنَّ المزاج عند ورود الهمومِ والأَحزانِ عليه ، ممَّا ينفعل ويسخُن ، فإذا سخُن المزاج حمىَ البولُ واحتدَّ ، والبول ممرُّه على الكُلى ، فكأَنَّه قال : ستطفئ الغلل التى يظهر أثرُها فى البول . هذا كلامه .

---

(١) ش : « سميت » .
(٢) ش : « وتدبر قلوب » ، صوابه فى ط وشرح المرزوقى .

صاحب الشاهد

وقائل هذه الأبيات شاعرٌ جاهليّ وهو (فى بعض نسخ الحماسة): قَسَام بن رَوَاحة ، وفى بعض آخر منها : قَسَامة بن رواحة ، بزيادة الهاء . وهو بفتح القاف وتخفيف السين المهملة . وفى كلٍّ منهما رُوى ابن رواحة السِّنبسى والعنبسى .

قسام بن رواحة

وقد أورده الآمدى (فى المؤتلف والمختلف) فيمن يقال له ابن رَوَاحة قال : ومنهم قسام بن رَوَاحة العَنْبسى . ليس له عندى فى شعراء طيِّئ ذكر . وأنشد له الطائى (فى الحماسة): لبئس نصيب القوم ، الأبيات الأربعة هذا ذكره ، ولم يرفع نسبه[1] .

وهذا نسبُه (من جمهرة الأنساب) قال : قسامة الشاعر ابنُ رَوَاحة ابن جُلّ بضم الجيم وتشديد اللام ، ابن حِقّ ، بكسر الحاء المهملة وتشديد القاف ، ابن ربيعة بن عبد رُضَى ، بضم الراء المهملة وفتح الضاد المعجمة بعدها ألف مقصورة ، ابنِ وَدّ بفتح الواو وتشديد الدال ، ابنِ وَدّ بضبط ما قبله أيضاً ، ابن مَعْن بن عَتود ، بفتح المهملة بعدها مثناة فوقيّة مضمومة ابن عُنَين[2] بضم المهملة وبين النونين مثنَّاةٌ تحتية ، ابن سَلامان ابن ثُعَلَ ، بضم المثلثة وفتح العين المهملة ، ابن عمرو بن الغوث بن طيئ بن أُدد بن زيد بن يَشجُب بن عَرِيب بن زيد بن كَهلان بن سبأ .

٨٩

ولم أر فى نسبه لاسِنبسا ولا عَنْبسا ، والله أعلم .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثانى والخمسون بعد السبعمائة[3] :

---

(١) المؤتلف للآمدى ١٢٧ . وانظر أيضاً معجم المرزبانى ٣٤٠ ، وما كتبت فى حواشى الحماسة .

(٢) ش : « حنين »، صوابه فى ط وجمهرة ابن حزم ٤٠١ . وفى الاشتقاق ٣٨٧ : « عنين : فعيل من عن يعن ، إذا اعترض » .

(٣) همع الهوامع ١ : ١٢٨ والمقاييس ٦ : ١٤١ واللسان (ولى ٢٩٣) .

٧٥٢ (فعادَى بين هادِيتينِ منها وأَوْلَى أن يزيدَ على الثَّلاثِ)

على أنَّ (أَوْلَى) من مُرادفات كاد ولا تستعمل إلَّا مع أنْ .

كذا قال ابن مالك (فى التسهيل)، ومثَّل له شُرَّاحه بهذا البيت .

قال ابن عقيل : عادى مِن العِداء ، بكسر العين، وهو الموالاة بين الصَّيدينِ بصرع أحدِهما على أثر الآخر فى طَلَق واحد ، ومنه قول امرئ القيس :

فعادى عداءً بين ثورٍ ونعجةٍ دِراكًا ولم يُنضَحْ بماءٍ فيُغْسل

والهاديَةُ : أوَّل الوَحْش ، ومنه قول امرئ القيس :

كأَنَّ دماءَ الهادياتِ بنحره عُصارةُ حِنَّاءٍ بشَيبٍ مُرجَّلِ

وقال صاحب الصحاح : أنشد الأَصمعى هذا البيت وقال : أى قاربَ أن يزيدَ . قال ثعلب : ولم يقل أحدٌ فى أَوْلَى أحسنَ ممَّا قال الأَصمعى . اه .

واستظهر الشارح المحقق أن يكون أَولَى المستعملُ مع أنْ فعلاً تامًّا متعدّياً ، وأنْ مع منصوبه مفعولاً لأَولى ، فإنَّه بمعنى قاربَ وهو فعلٌ متعدٍّ . وإنَّما استَظْهَرَهُ للزوم أنْ مع الفعل ، وهذا خلاف شأن أفعال المقاربة . وأمَّا أولى المستعمل مع اللام فى قولهم : أولى لك ، وأولى له ، وأولى لى ، فهو اسمٌ للوعيد غير منصرف للعلميَّة ووزن الفعل[1] . لا أَفعل تفضيل لأَفعلَ ، بدليل قولهم : أولاةُ الآن[2] . وهو من الوَلْى ، وهو القُرْب . قال المبرد (فى الكامل) عند إنشاد قول الخنساء :

---

(١) ط : « للوعيد لا أفعل تفضيل غير منصرف للعلمية ووزن الفعل » ، صوابه فى ش .

(٢) فى اللسان (ولى ٢٩٤) : « وحكى ابن جنى : أولاة الآن ، فأنث » . قال : وهذا يدل على أنه اسم لا فعل .

هَممتُ بنفسىَ كلَّ الهُمــوم فأَولَى لنفسِىَ أَولَى لهـــا[١]

يقول الرجل ، إذا حاول شيئًا فأَفلتهُ من بعد ما كاد يُصيبه : أَولى له . وإذا أفلت من عظيمة[٢] قال : أولى لى . ويروى عن ابن الحَنَفيَّة رحمة الله عليه أَنَّه كان يقول : إذا مات ميّت فى جواره أَو فى داره : أَولى لى، كدت أَكون السَّوَادَ المخترم[٣] . وأَنشد لرجل يقتنصُ الصيدَ فإذا أَفلته الصَّيدُ قال : أَولى لك . فكثر ذلك منه فقال :

فلو كان أَوْلَى يُطعم القومَ صِدتُهم
ولكنَّ أَولى يتركُ القومَ جُوَّعــا[٤] اهـ

وقال الفارسى (فى كتاب الشعر) : أَولى اسم مبتدأ ، ولك الخبر . ولا يجوز أَن يكون أَفعل من كذا ، لأَنَّ أَبا زيدٍ حكى أَنّهم يقولون أَولاةُ الآن ، إذا أَوعَدُوا . فدخول علامة التأْنيث على أَفعل يدلُّك على أَنّه ليس بأَفعل من كذا ، وأَنَّه مثل أَرملة وأَضحاة ، فى أَنَّه على أفعل ، لا يراد به اتصال الجارِّ به ، إلاَّ أَنَّهم جعلوا المؤنَّث فيه أَيضاً معرفة ، كما جعلوا المذكَّر كذلك ، فصار بمنزلة شىْءٍ سمّى بأَضحاة فلم ينصرف . فأَمَّا فى قوله : « أَولى فأَولى يا امرأَ القيس » فالخبر منه محذوف للعلم به . أَلا ترى أَنَّ الكلمة استعملت كثيراً فى الوعيد حتَّى صارت علماً له ، فحُذِف الخبر لذلك .

٩٠

فإن قلت : أَيجوز أَن يكون أَولى اسمًا للفعل وفيه ضمير المخاطب كأُفّ ووَشْكان ، ويكون « لك » فى أَولى لك لا يكون الخبرَ ولكنَّه

(١) الكامل ٧٤٠ ، وديوان الخنساء ١٢١ . وفى ط : « وأولى لها » خلافاً لما فى ش والكامل والديوان .

(٢) ط : « عظمة » ، صوابه فى ش والكامل .

(٣) فى الكامل : « كدت والله أكون السواد المخترم » . السواد : الشخص . والمخترم : الذى اخترمته المنية من بين أصحابه : أخذته .

(٤) فى اللسان : أصدت فلانا صيداً ، إذا صدته له ، كقولك : بغيته حاجة ، أى بغيتها له .

بمنزلة قولهم « لك » فى : هلم لك، للتبيين ، وفى سقياً لك ونحوِ ذلك ، ويكون امتناع التنوين من الدخول عليه كامتناعه على وَشكانَ ونحوِه ، لا كما امتنع من الدخول على غير المنصرف ؟

فالجواب ما قدّمناه ، من أنَّ موضع أولى رفعٌ بالابتداء . ويدلُّ على صحَّة ذلك أنَّ أبا زيدٍ حَكَى أنهم يقولون : أُولاة الآن بالرفع ، وهذا تأنيث أولَى . ولو كان اسماً للفعل لم يرفع . ألا ترى أنَّك لا تجد فيما سمِّى به الفعل شيئًا مرفوعاً ، فيجعل أولى مثله . والآنَ فى قولهم أولاة الآن متعلِّق بمحذوف . كما تقول : الوعيد الآن . انتهى كلامه .

* * *

وأنشد بعده :

(وما كدتُ آيِبًــا)

على أنَّه استعمل (كاد) فى الضرورة مثل كان ، فجاء خبرها مفردًا فى قوله : « وما كدت آيبًا » ، كما يجىء خبر كان مفرداً .

وهذا قطعةٌ من بيت ، وهو :

(فأُبتُ إلى فهمٍ وما كِدْتُ آيبــاً
وكم مثلِها فارقتُهــا وهى تَصْفِرُ)

وتقدم الكلام عليه مشروحًافى الشاهد السابع والثلاثين بعد الستمائة [(١)] .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثالث والخمسون بعد السبعمائة ، وهو من شواهد س [(٢)]

٧٥٣ (قد كادَ من طُول البِلَى أنْ يَمْصَحــا)

(١) الخزانة ٨ : ٣٧٤ - ٣٨٢ . وفى ط : «السادس والثلاثين بعد الستمائة» ، صوابه فى ش .

(٢) فى كتابه ١ : ٤٧٨ وانظر المقتضب ٣ : ٧٥ والجمل ٢١٠ والإنصاف ٥٦٦ وابن يعيش ٧ : ١٢١ والمقرب ١ : ٩٨ والضرائر ٦١ واللسان (مصح) وملحقات ديوان رؤبة ١٧٢ .

على أنَّه جاز اقتران خبر كاد بـأَنْ لما ذكره .

قال سيبويه : وقد جاءَ فى الشعر كاد أن يفعل ، شبَّهُوه بعسى . قال رؤبة :

* قد كاد من طول البِلَى أَنْ يمصحـا *

وقد يجوز فى الشعر أيضًا لعلِّى أن أفعَلْ ، بمنزلة عسَيت أن أفعل . ا هـ.

ومثله لابن عصفور (فى الضرائر) قال : ومن ذلك عند بعض النحويِّين دخول أَنْ فى خبر كاد . نحو قول رؤبة :

* قد كاد من طول البلى أَنْ يمصَحـا *

وقول الآخر :

كادتِ النَّفسُ أن تَفيظَ عليـه

إذ ثَـوَى حَشْوَ رَيطةٍ وبُرودِ[1]

والصحيح أَنَّ دخولها فى خبر كاد ضرورة ، إِلَّا أَنها ليست مع ذلك بزائدة ، لعملها النصبَ . والزائدةُ لا تعمل ، بل هى مع الفعل الذى

---

(١) انفرد ابن السيد فى الاقتضاب ٣٨٩ بنسبة هذا البيت إلى أبى زبيد الطائى ، فى رثاء ابن أخته اللجلاج الحارثى ، وكان قد مات عطشاً فى طريق مكة . وقصيدة البيت طويلة فى ٥٩ بيتاً نجدها فى ديوان أبى زبيد ٤٢ — ٥٦ ، والاختيارين للأخفش ٥١٨ — ٥٣٥ ، وأمالى اليزيدى ٧ — ١٣ ، وجمهرة أشعار العرب ١٣٨ — ١٤١ . ولم أجد فيها هذا البيت . ووجدت فى هامش شرح شواهد المغنى للسيوطى ٢٣١ أن البيت لمحمد بن مناذر شاعر البصرة . وأجدر به أن يكون لأبى زبيد الطائى المخضرم الذى يكثر الاستشهاد بشعره ، وقد جاء على لغة طيىء الذين ينطقون فاضت بالظاء المعجمة كما فى اللسان (فيظ) . وسبب اللبس أن لمحمد بن مناذر قصيدة أخرى طويلة جداً يعارض بها قصيدة أبى زبيد ويرثى بها عبد المجيد بن عبد الوهاب الثقفى ، وكان قد علق به حتى انتهك ستره ، كما ذكر ابن المعتز فى الطبقات ١١٩ — ١٢٦ . وانظر الأغانى ١٧ : ٩ — ٣٠ ومعجم الأدباء ١٩ : ٥٥ — ٦٠ . والبيت بدون نسبة فى أدب الكاتب ٣١٤ ، وشرح أدب الكاتب للجواليقى ٢٩٧ وتأويل مشكل القرآن ٤٠٧ واللسان (فيظ) .

نصبَتْه بتأْويل مصدرٍ . وذلك المصدرُ فى موضع خبر كاد ، على حد قولهم : زيدٌ إقبالٌ وإدبار . ا هـ .

قال على بن حمزة البصرى (فيما كتبه على نوادر أَبى عمرٍو الشيبانى) وكان أَبو عمرٍو والأَصمعىُّ يقولان : لا يقول عربىٌّ : كادَ أَنْ ، وإنَّما يقولون : كاد يفعل . وهذا مذهبُ جماعةِ النحويين ، والجماعةُ مخطئون . وقد جاءَ فى الشعر الفصيح منه ما فى بعضه مَقْنَع . فمن ذلك ما أَنشده ابنُ الأَعرابىّ :

* يكاد لولا سَيره أَنْ يُمْلِصا [1] *

وأَنشد هو وغيره [1] :

حتَّى تراه وبه إكـــداره ... يكاد أَن ينطحه إمجاره

لو لم ينفِّسْ كربَه هُرارُه

وأَنشد أَبو زيد وغيره فى صفة كلب :

يرثم أَنفَ الأَرضِ فى ذَهابه ... يكاد أَنْ ينسلَّ من إهابِه [2]

٩١

وقال بعض الرُّجَّاز :

* يكاد من طُول البِلَى أَنْ يَمصَحا [3] *

---

(١) أى يكاد أن يفلت لولا جذب سير اللجام له . والظاهر أنه فى صفة فرس .

(٢) من أرجوزة طردية لأبى نواس فى ديوانه ٢١٠ – ٢١١ . والشطر الأول مع نسبته إلى أبى نواس فى الحيوان ٢ : ٦٦ ، ويرثم : يكسر ، على أن الكلب يقشر وجه الأرض من شدة عدوه . وفى الديوان ٢١١ : « يترك وجه الأرض فى إلهابه » ، تحريف . ورواية الشطر الثانى هى كذلك فى الحيوان ٢ : ٦٧ ، لكن فى الديوان ٢١٠ : « يكاد أن يخرج من إهابه » .

(٣) لرؤبة فى ملحقات ديوانه ١٧٢ . وانظر معجم الشواهد .

وقال ذو الرُّمَّةِ :

وجدت فؤادى كاد أَنْ يستخفَّه

رجيعُ الهوى من بعض ما يتذكَّرُ[(١)] اهـ.

أقول : مرادهما بقولهما : « لا يقول عربىٌّ كاد أَنْ »: أَنَّه لا يقول ذلك فى الكلام ، وأمّا الشِّعر فهو محلُّ الضرورة . فلا خطأً فى قولهما .

وأمّا ما ورد فى صحيح البخارى : « وكاد أُميَّةُ بن أَبى الصَّلت أَن يسلم[(٢)] »، وجاء فى الحديث أيضاً : « كاد الفقر أَن يكون كفرًا[(٢)] »، فنادر.

صاحب الشاهد

وهذا الرجز نُسِب إلى رؤبة . وقبله :

(ربع عفا من بعد ما قد انمحَى)

وأنشده ابن يعيش :

(ربعٌ عفاه الدَّهرُ طولاً فامَّحَى)

ورواه اللَّخمى :

(ربع عفاه الدَّهرُ دأْباً وامْتَحى)

ولم أَر هذا الرجز فى ديوان رؤبة .

وكذلك قال ابن السيد (فى شرح أبيات أدب الكاتب[(٢)]) ، واللخمى (فى شرح أَبيات الجمل) بأَنَّهما لم يرياه فى ديوانه .

والرَّبع : المنزل حيث كان . وروى بدله : (رسمٌ) . والرسم: أَثَر الدار. وعفا يكون لازمًا كالرواية الأُولى، يقال عفا المنزل يعفو عَفْواً، وعُفُوًّا،

---

(١) ديوان ذى الرمة ٢٢٤ ، ودرة الغواص ١٣٣ .
(٢) الاقتضاب ٣٩٦ .

وعفاء ، بالفتح والمدّ ، أى درس . ويكون متعدّيًا كالرواية الثانية. يقال عَفته الرِّيحُ أى مَحته . وامَّحى أصله انْمحى ، مطاوع محوته محوًا ، أى أزلته ، فامَّحى ، أى زال وذهبَ أثرُه . ويقال محيته محياً بالياء ، من باب نفع .

وزعم العينى أنَّ (مِنْ) فى قوله « من بعدِ » زائدة وما مصدرية ، واسم كاد ضمير راجعٌ إلى ربع . ومِنْ تعليليَّة متعلِّقة بكاد لا بيمصح ، لأنَّه صلة أنْ . و(البِلَى) بالكسر والقصر : مصدر بلىَ الثَّوب يَبْلَى ، إذا أخلَقَ . وبَلِىَ المنزلُ ، إذا درَس . فإنْ فتحتَ الباءَ مددته . و(يَمْصح) بفتح الياءِ والصاد : مضارعُ مَصَح ، بفتح الصاد أيضاً . قال الجوهرىّ : مصح الشىءُ مُصُوحًا : ذهب وانقطع . قال : ومصح الثوبُ : أخلق . ولله درُّ القائل :

يا بدرُ إنَّك قد كُسِيتَ مَشابهـاً ... من وجه أمِّ محمدِ ابنةِ صالحِ
وأراك تَمصَح فى المَحَاق ، وحُسنُها ... باقٍ على الأيّام ليسَ بماصحِ

وهو فى الأشهر فِعلٌ لازم ، ولم يذكروه متعدّيا . وفى كثير من كتب اللغة ما يخالفه . فقد ذكره الهَرَوىُّ ، وابن شُمَيل ، والصاغانى ، متعدّيا . وفى القاموس : مصح الله مَرَضَك ، أى أذهَبه ، كمَسَحَه. و (فى الذيل والصلة للصاغانى) : يقال للمريض : مَصَح الله ما بك ، ومسح ، والصادأعلى .

وقال ابن برى (فيما كتبه على دُرّة الغوَّاص) : هذا غلطٌ لأنَّ مسح لا يتعدى إلاَّ بالباء ، يقال مسحت بالشىء أى ذهبت به . فلو كان بالصاد قيل مصحالله بما بك ، أى أذهبه ، فتعَدِّيه بالباء أو بالهمزة ، فيقال أمصحَ الله ما بك ، إذ لا يقال مصحه بدون باء . ا هـ .

وهذا مأخوذٌ من الجواليقى، قال (فى تكملة إصلاح المنطق) : ما تغلط فيه العامة. ويقولون فى الدعاءِ للمريض: مَسح الله ما بك . وكان النَّضر ابن شُميل يقول : مصح الله ما بك، أى أذهبه، وغيره يجيز: مَسَح الله ما بك . ا هـ .

وقال اللخمى (فى شرح أبيات الجمل) : سئل أبو بكر الزُّبيدى عن قول القائل : مصح الله عنك بيمينه الشَّافية ، أَبالسِّين يكتب أم بالصاد ؟ فقال : الذى أقوله وأَعتقده وأَرويه أَنَّه بالسين لا بالصاد فإنَّ من كتبه بالصاد فإنَّما ذهب إلى قولهم مَصَح الظلُّ ، إذا ذهَبَ . وهو قولُ النَّضر بن شُمَيل . ولا يُلتفَتُ إليه ، لأَنَّ الصاد إنَّما استُعملت فى الظِّلِّ خاصَّة . ٩٢

* * *

وأَنشد بعده ، وهو الشاهد الرابع والخمسون بعد السبعمائة[١] :

٧٥٤ (وقد جَعَلَتْ قَلوصُ ابنَىْ زيادٍ من الأَكوارِ مَرتَعُهـا قريبُ)

على أَنَّه قد جاءَ نادرًا خبر جَعَل جملةً اسمية ، وهو قوله :(مرتعها قريب) .

قال ابن جنى (فى إعراب الحماسة) : أَوقع الجملةَ من المبتدإ والخبر موقعَ الجملة من الفعل والفاعل ، أَراد : وقد جعلت قلوُص ابنَىْ سهيل[٢] يقرُبُ مرتعها من الأَكوار ، كما قال :

---

(١) التسهيل ٧٩ والمغنى ٢٣٥ وشرح شواهده للسيوطى ٢٠٦ والعينى ٢ : ١٧٠ ، والتصريح ١ : ٢٠٤ والأشمونى ١ : ٢٥٩ والحماسة بشرح المرزوقى ٣١٠ .

(٢) كذا فى إعراب الحماسة الورقة ٦٢ . وهذا مبنى على رواية للبيت : « قلوص ابنى سهيل » طبقاً لرواية أبى تمام فى الحماسة .

فقد جعلَتْ نفسِى على النَّأْيِ تنطوى

وعينى على فَقد الحبيّب تَنــامُ[1] . ا هـ

أقول : الصواب فى التقدير : تقرب من المرتع ، بإسناد الفعل إلى ضمير القلوص ، فإنَّ جميع أفعال المقاربة لا يكون فاعلُ خبرها الفعلىِّ إلاَّ ضميرَ اسمِها كما نصَّ عليه الشارح المحقق .

وقال الخطيب التِّبريزى (فى شرح الحماسة) : وقد جعلت قلوص ابنَىْ سُهيل يقرُب مرتعها من الأكوار ، أى لم تتباعد فى الرَّعى لمَّا حُطَّ رحلُها ، لما بها من الإعياء ، فبركت مكانَها . وجَعَلت ههنا بمعنى طفِقت وأقبَلَتْ ، ولذلك لا يتعدَّى . و « مرتعها قريب » فى موضع الحال . أى أقبَلَتْ قلوصُ هذين الرَّجلين قريبةَ المرتعِ مِن رحالهم .

وهذه غفلةٌ من الخطيب ، فإنَّه بعد أن قال : إنَّ جعلَتْ بمعنى طفِقت ، كيف يسوغ له أنْ يجعل الجملة حالية .

وسبقه إلى جعل الجملة حاليّةً الإمامُ المرزوقى ، وتبعهما خَضْرٌ الموصلىُّ (فى شرح شواهد التفسيرين) .

ثم قال الخطيب : قال أبو العلاء : ويروى : « فقد جعلت قلوصَ ابنَىْ سهيل » بنصب قلوص . وكثير من الناس يرفع القلوص ، وهو وجهٌ ردىءٌ ، لأَنَّ القائل إذا قال جعلت وهو يريد المقاربة لم يكن بدٌّ من إتيانه بالفعل ، كما قال :

جعلتُ وما بى من جَفاءٍ ولا قِلًى أَزورُكُمُ يوماً وأَهجرُكُمْ شَهْرَا

---

(١) فى حاشية إعراب الحماسة : « الصديق » إشارة إلى رواية أخرى هى : « على فقد الصديق » . وانظر ما كتبت فى تحقيق الحماسة بشرح المرزوقى .

وعلى ذلك جميع ما يردُ ، فإذا قال القائل جعل زيد فعلُه جميلٌ ، ولم يأْت بلفظ الفعل ، وإنَّما يحمله على المعنى ، كأَنَّه قال : جعل زيد يجمل . وأَحسن من هذه الرواية أَنْ تنصب قلوصاً ويكون فى جعلَتْ ضميرٌ يعود على المذكورة ، وليست جعلَتْ فى هذا القول فى معنى المقاربة ، وإنَّما هى صيَّرَتْ ، فلا تفتقر إلى فعل ، ويكون قوله : « مرتعها قريب » فى موضع المفعول الثانى ، كما يقال : جعلْتُ أَخاك مالُه كثيرٌ . ا هـ .

وذكر الشَّلَوبين (فيما كتب على الحماسة) أَنَّ بعضَ الناس أَجاز أَن يكون جعَل بمعنى صيَّر وحذف من جعلَتْ ضميرَ الشَّأْن ، والتقدير : وقد جعلته أَى جعلت الأَمر والشأْن[1] مرتعُها قريبٌ من الأَكوار . وأَنَّ آخر[2] أَجاز أَن يكون على إلغاءِ جعلَتْ مع تقدُّمها ، على حدِّ إجازة أَبى الحسن : ظننت عبدُ الله منطلق . ا هـ.

فإن أَراد ببعض الناس أَبا العلاءِ فلا يصحُّ نسبة حذْفِ ضمير الشأْن إليه ، فإنَّه روى بنصب القلوص على أنه مفعول أَوّل لجُعَل بمعنى صيَّر ، والفاعل ضمير المرأَة . ويرِدُ على القول الآخر أَنَّ الإِلغاءَ لا يكون فى أَفعال التصيير ، وإنَّما يجوز فى أَفعال القلوب . ٩٣

وقد أَخطأَ العينى فى هذه الكلمة من وجهين .

الأَوّل أَنَّه قال : جعلَ هنا من أَفعال المقاربة ، وإنَّما هى من أَفعال الشروع .

والثانى : أَنَّه قال : وجُعِلت هنا على صيغة المجهول ، أُسندت إلى

---

(١) ش : « وقد جعلت الأمر والشأن » ، وما أثبت هو رواية ط .
(٢) فى النسختين : « آخراً » ، ووجهه ما أثبت .

قلوص . وإنَّما جعَلَتْ بالبناء للمعلوم وقلوصُ اسمها ، وجملة مرتعها قريبٌ من الأكوار فى محل نصب على أنَّه خبرها . والقَلوص : الناقة الشَّابَّة . ويروى : « ابنَىْ سُهيل » بدل « ابنَىْ زياد » . والأكوار : جمع كُور بالضم ، وهو الرَّحل بأداته . والمَرتع : موضع الرتوع ، وهو أكل الماشية ما شاءت . تقول : رتعت الماشية رتوعاً .

وهذا البيت أحد أبياتٍ ثلاثةٍ فى الحماسة ، تقدّمت مشروحةً فى الشاهد الثانى والخمسين بعد الثلثمائة[(١)] .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الخامس والخمسون بعد السبعمائة[(٢)] :

٧٥٥ (وقدجَعَلْتُ إذا ماقمتُ يُثْقِلنى ثَوبى فأَنهضُ نَهْضَ الشَّاربِ الثَّمِلِ)

على أنَّه قد يجىء خبر جعل جملةً شرطيَّةً مصدَّرة بإذا . فجملة (إذا ما قمتُ يثقِلنى ثَوبى) فى محلّ نصب ، على أنه خبر جعل .

وهذا كقول همّام الرَّقاشى :

وقد جعلتُ إذا ما حاجةٌ عرضَتْ

ببابِ دارِك أَدلُوها بأَقـوامِ[(٣)]

أى أُوصلها إليك بأقوامٍ . وكقول عبد الله بن عباس رضى الله

---

(١) الخزانة ٥ : ١١٩ – ١٢٢ .
(٢) المقرب ١ : ١٠١ والمغنى ٥٧٩ وشرح شواهده للسيوطى ٣٧١ والعينى ٢ : ١٧٣ والتصريح ١ : ٢٠٤ ، ٢٠٦ والهمع ١ : ١٢٨ ، ١٣١ والأشمونى ١ : ٢١٣ .
(٣) انظر البيان ٢ : ٣/٣١٦ : ٤/٣٠٢ : ٨٥ فقد أنشد الجاحظ البيت مع أبيات منسوبة إلى همام الرقاشى . على حين وردت فى الحماسة ١١٢٠ بشرح المرزوقى و ٣ : ١٢٩ تبريزى منسوبة إلى عصام بن عبيد أو ابن عبيد الله الزمانى .

عنهما : « فجعل الرجُلُ إذا لم يستطِع أن يخرُجَ أرسل رسولا[١] » .

وعلى هذا يكون ثوبى فاعل يُثْقلنى ، ويكون وقوع الجملة الشرطيّة خبرًا لجعل موقعَ الفعل المضارع نادرًا .

وقد تبع الشارحُ المحقق فى هذا ابنَ مالِك (فى التسهيل) ، قال فيه : وربَّما جاء خبر جعل جملةً اسميّةً وفعليّةً ، مصدّرةً بإذا[٢] . ولا يخفى أنَّه إذا جاز تخريجُها على ما ثبت لها لا ينبغى العدولُ عنه إلى ادِّعاء النُّدرة ، فإنَّه لا مانعَ من جعل يثقلنى خبراً لها ، ويكون ثوبى بدل اشتمال من التاء فى جعلْتُ ، وذلك بتقدير إذا ظرفيةً لا شرطيّة . وكذا الحال فى البيت الثانى ؛ وفى الأَثر ، ولكن فيه شذوذٌ وهو مجيءُ الماضى خبراً ، فلا يخرج هذا عن قوله سابقًا : « ويتعيَّن فى جميع أخبار أفعال المقاربة أنْ يكون فاعلُ أخبارها ضميرًا عائدًا إلى اسمها » .

وإليه ذهب ابن هشام (فى المغنى) قال : اشترطوا الإضمار فى بعض المعمولات . ومن ذلك مرفوع خبر كاد وأخواتِها إلاَّ عسى . ومن الوهم قولُ جماعة فى قولِ هُدبة :

عسى الكرب الذى أمسيت فيه . . . . البيت[٣]

إنَّ فرج قريب اسم يكون . والصواب أنه مبتدأٌ خبره الظرف، والجملة خبر يكون[٤] واسمها ضمير الكرب ، وأما قوله :

---

(١) أخرجه البخارى فى كتاب التفسير فى سورة الشعراء . قال ابن عباس : « لما نزلت : وأنذر عشيرتك الأقربين، صعد النبى صلى الله عليه وسلم على الصفا فجعل ينادى يا بنى فهر ، يا بنى عدى، يابطون قريش. حتى اجتمعوا فجعل الرجل إذا لم يستطع أن يخرج أرسل رسولا لينظر ما هو » .

(٢) التسهيل لابن مالك ٥٩ — ٦٠ ، والنص فيه : « مصدرة بإذا أو كلما » .

(٣) هو الشاهد رقم ٧٥٠ فى هذا الجزء التاسع .

(٤) ش : « كان » ، تحريف .

وقد جعلت إذا ما قمت يثقلنى ثوبى ..... البيت

فثوبى بدل اشتِمال من تاء جعلْتُ لا فاعل يثقلنى . ا هـ .

إِلّا أنَّ ما استثناه ابنُ هشامٍ فى عسى لم يذكره الشارح المحقق . قال ابن هشام : تقول كاد زيد يموت ، ولا تقول يموت أبوه . ويجوز عسى زيد أن يقوم أبوه ، فترفع السببىَّ . ولا يجوز رفعها الأَجنبىَّ ، نحو : عسى زيد أَن يقوم عمرٌو عنده . ا هـ .

وما استثناه الشارح المحقق فى كاد ،نحو : كاد زيد تخرج نَفْسُه لم يذكره ابن هشام . فأَفاد كلٌّ منهما فائدةً ليست عند الآخَر . ولقد صدق القائل فى قوله :

ما حوى العِلمَ جميعاً أَحدٌ لا ولو مارسَه أَلفَ سَنَهْ

٩٤ لكنَّ ابن مالك جوّز بقلَّةٍ فى خبر جميع هذه الأَفعال أَنْ يرفَعَ غير ضمير الاسم : قال (فى التسهيل) : ويتعيَّن عود الضمير من الخبر إلى الاسم . وكونُ الفاعل غيره قليل . ا هـ .

تتمــة

وقع فى بعض نسخ التسهيل : وربَّما جاء خبر جَعَل جملة اسمية وفعلية ، مصدّرة بإذا أَو كلَّما ، وندر إسنادُها إلى ضمير الشَّأْن ودخولُ النفى عليها . ا هـ.

قال شارحه المرادى : ولم يتعرَّض المصنِّف[1] لهذه الزيادة فى شرحه . ومثال تصدُّره بكلَّما : جعلَ زيدٌ كلَّما جاءَ عمرٌو ضَرَبَه . ويَحتاج إلى سماع ، إلاَّ أَنَّ فى صحيح البخارى : « فجعل كلَّمَا جاءَ ليخرج رمَى فى

---

(١) ش : « المص » ، وهو اختصار لكلمة «المصنف» ، وانظر تحقيق النصوص ص٥٨ .

فيه بحجر[١] » . ويمكن تمثيل المسألة الثانية بما حكاه الزاهد غلام ثعلب : أنّه يقال : عسى زيد قائم ، برفع المبتدإ والخبر بعد عسى . فيتخرَّج[٢] على أنَّ فى عسى ضمير الشأن . هذا إن جعلنا الضمير فى إسنادها إلى أفعال الباب . وإن جعلناه عائداً إلى جعَل احتاج إلى سماع .

ومثال المسألة الثالثة : ما جعل زيد يتكلَّم ، وقول أنس : « فما جعل يُشير بيده إلى ناحيةٍ من السماء إلاَّ انفرجت[٣] » . ولا ينبغى أن يعود الضمير إلى أفعال الباب ، إذْ لم ينذُر دخول النفى عليها . ا هـ .

صاحب الشاهد

والبيت من أبيات خمسةٍ لعمرو بن أحمرَ الباهلى ، إلّا أنَّ قافيتها رائيّة ، لا لاميّة كما وقع فى إنشاد النحويِّين .

والأبيات رواها لعمرو المذكورِ المرزُبانىُّ (فى الموشح[٤]) ، ورأيتها كذلك بخط ابنِ نُباتة السعدىِّ البغدادى صاحب الخطب النباتية ، كتبها فى آخر ديوان محمد بن بشير الخارجى ، ورواها عن أبى سعيدٍ عن ابن حبيب عن ابن الأعرابى ، وقد أقوى فى بيتين منها نصَّ عليهما المرزُبانى ، وهى :

(ما للكواعب يا عَيْساءُ قد جعلَتْ
تَزوَرُّ عنِّى وتُطوَى دونِىَ الحُجَرُ

---

(١) أخرجه البخارى فى كتاب الجنائز (باب ما قيل فى أولاد المشركين) ، وهو حديث طويل عن سمرة بن جندب .

(٢) ش : « فيخرج » .

(٣) أخرجه البخارى فى كتاب الاستسقاء ، باب من تمطر فى المطر حتى يتحادر على لحيته .

(٤) موشح المرزبانى ١١٨ . والأبيات لم ترد فى صلب ديوان ابن أحمر ، وإنما وردت فى ملحقات ديوانه ١٨١ .

قد كنتُ فَــرَّاجَ أَبواب مغلَّقــةٍ
ذَبَّ الرِّياد إذا ما خُولِسَ النَّظرُ[١]
فقد جَعلت أَرى الشَّخصين أَربعةً
والواحدَ اثنين ممَّا بُورك النَّظَرُ[٢]
وكنتُ أَمشى على رجلين معتدلاً
فصرت أَمشى على رجلٍ من الشَّجرِ[٣]
وقد جَعلتُ إذا ما قُمتُ يُثقِلُنى
ثوبى فأَنهَضُ نَهْضَ الشارب السَّكِرِ[٤])

قوله : « ما للكواعب » استفهامٌ إنكارى ، أنكر إعراض الكواعب عنه ، وهى جمع كاعب ، وهى الشابة التى نتَأَ ثديُها وظهَر . وعَيْساءُ : اسم امرأة . وازورّ عن الشيء وتَزاور عنه : مالَ عنه . وتُطوَى بالبناء للمفعول . ودونى : أمامى . والحُجَر ، بضم ففتح : جمع حجرة . يريد أنَّهنّ لا يُقبلن علىّ ويَسدُدْن أَبوابَ الحجر أمامى .

وفرَّاج : مبالغة فارج ، من فرجت الباب من باب ضرب ، إذا فتحتَه . وذبَّ الرِّياد ، بالنصب : خبرٌ آخر لكان ، وهو بالذال المعجمة ، أى كثير الحركة والدخول والخروج . يقال فلان ذبُّ الرياد ، إذا كان لا يستقرُّ فى موضع . والرِّياد : مصدر راود يراود . وخُولس : مجهول خالس الشيء : فاعَلَ من خَلَست الشيء ، إذا اختطفتَه بسرعة على غَفلة .

(١) هذا البيت لم يرد فى الموشح .
(٢) فى الموشح : « لما بورك البصر » .
(٣) فى الموشح : « متئداً فصرت أمشى على أخرى من الشجر » .
(٤) فى الموشح : « يثقلنى ردفى » .

يريد أنَّ النساءَ كُنَّ[1] يتسارقن النَّظر إلىَّ لحسنى وشبابى ، عندما كنت خفيفَ الحركة . وجَعلتُ من أفعال الشروع . وإنَّما رأى الشخصين أربعة لضعف بصره من شيخوخته وسِنِّه . وقوله : « مما بُورِكَ النَّظر » تهكم واستهزاءٌ ببصره ، جعل ضعف بصرِه بركة ، لأنَّه يُريه الشيءَ مضاعفاً .

٩٥

وقوله : « على رجل من الشجر » أراد العصا ، فإنَّ الشيوخَ يعتمدون عليها فى المشى . ويروى : « على أُخرى من الشجر » أى على رجلٍ أُخرى من الشجر .

وقوله : « إذا ما قمت » ما زائدة وزيادتها بعد أداة الشرط جازمًا أو غير جازم مطّردةٌ ، حتَّى نظمها بعضُهم بقوله :

خُذْ لك ذى الفـــائده « ما » بعد إذا زائده

وزعم العينى أنَّ ما مصدرية ، وأنَّ التقدير حين قيامى . وقوله : « يثْقلنى » من أثقله الشىءُ : أجهدَه وأتعبه بجَعلِهِ ثقيلا . وقوله : «فأَنهض» معطوف على يثقلنى ، فهو خبر بعد خبر ، لا على جعلت كما زعم العينى ، لوجهين : أحدهما أنَّ النهوض على هذا الوجه مسبَّب عن إثقاله الثَّوب لا عن الشَّروع فى القيام . وثانيهما : تناسُب المتعاطفَين فى المضارِعيَّة[2] وفى السببيَّة : فإنَّ كلاً منهما سببٌ للآخر .

وزعم العينى أنَّ التحقيق فيه أنَّه أقام السبب ، وهو الإثقال ، مقامَ المسبَّب ، وهو النهوض نهْضَ الشَّارب . هذا كلامه .

---

(١) ط : « كانوا » ، ش : « كانوا كن » مع وضع خط فوق « كانوا » إشارة إلى خطأ النسخة .

(٢) ش : « فى المضارعة » .

وأنهض : أقوم ، وله مصدران أحدهما ما فى البيت . والثانى النهوض . ونَهْض الشارب صفةُ مفعولٍ مطلق نائبٍ عنه ، أى فأنهض نهضاً كنهض الشارب . وقال العينى : نَهْضَ الشارب منصوبٌ على الإطلاق وهذا لا معنى له ، وكأنَّه يريد على المفعول المطلق . والسَّكِرُ ، بكسر الكاف: صفة مشبهة من السُّكر . وكذلك الثَّمِل بكسر الميم صفة مشبَّهة ، وهو الذى أخَذ منه الشرابُ قُواهُ .

وقافية هذا البيتِ والذى قبله فيهما إقواءٌ ، بخلاف ما قبلهما ، فإنَّ قافيته مرفوعة .

وعمرو بن أحمرَ الباهلىُّ شاعرٌ إسلامىٌّ تقدَّمت ترجمته فى الشاهد الستين بعد الأربعمائة[1] .

وقال العينى : قائل البيت الشاهِد أبو حَيَّة النُّمرى . وقد نُسِب للحكم بن عبدلٍ الأعرج الأسدىّ . وليس بصحيح لأنَّه لا يوجد فى ديوانه .

ويروى الشطر الثانى: « فقمت قيام الشارب السَّكِر » . وممن رواه هكذا الجاحظُ (فى باب العُرجان من كتاب الحيوان له[2])، ونسبه لأبى حيَّة النمرى هكذا[3] :

---

(١) الخزانة ٦ : ٢٥٧ — ٢٥٨ .

(٢) الحيوان ٦ : ٤٨٣ — ٤٨٤ . وكلمة « له » ساقطة من ط .

(٣) ط : « لأبى حية النمرى» له هكذا ، تحريف .

وقــد جعلتُ إذا ما قمتُ يوجعنى

ظَهرى فقمتُ قيامَ الشَّاربِ السَّــكرِ

وكنت أمشى على رجلىً معتدلا

فصرتُ أمشِى على أُخرى من الشَّجَرِ (١)

---

(١) فى الحيوان والموشح : « على رجلين معتدلا » .

فعل التعجب

أنشد فيه :

(يا ما أُمَيْلِحَ غِزْلانًا شدَنَّ لَنَا)

تمامه :

(من هؤلَيَّائِكُنَّ الضَّالِ والسَّمُرِ)

وتقدَّم الكلام عليه فى خواصّ الاسم من أَول الكتاب[1] :

قيل إنَّ هذا البيت من أَبياتٍ لعلىّ بن محمد المغربى[2] . وهو متأَخِّر ، له قصيدة فى مدح على بن عيسى وزير المقتدر[3] . وقتِلَ المقتدر فى شوَّال سنة عشرين وثلثمائة .

وإنَّما أَراد التشبُّه بكلام العرب . فلا يصحُّ الاحتجاجُ به .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد السادس والخمسون بعد السبعمائة[4] :

٧٥٦ (ونأْخُذْ بَعْدَهُ بذِناب عيشٍ   أَجبّ الظَّهرَ ليس له سَنامُ)

على أَنَّ نصب (الظهر) على التشبيه بالمفعول به .   ٩٦

أَقول : روى ابنُ الناظم وغيرُه (الظهر) فى هذا البيت على ثلاثة أَوجه :

---

(١) الخزانة ١ : ٩٣ – ٩٩ .

(٢) فى الخزانة ١ : ٩٨ : « العرينى ».

(٣) ط : « ابن المقتدر » ، صوابه فى ش ، ومما سبق فى ١ : ٩٨ .

(٤) التكلمة من ش . والبيت من شواهد سيبويه ١ : ١٠٠ والمقتضب ٢ : ١٧٩ وابن الشجرى ٢ : ١٤٣ والإنصاف ١٣٤ وابن يعيش ٣ : ٤/٥٧٩ : ٦/٥٣٤ : ٨٣ ، ٨٥ والأشباه والنظائر ٣ : ١٣٦ والأشمونى ٣ : ١١ ويس ٢ : ٨٠ وديوان النابغة ٧٥ .

الأوَّل بالنصب ، وهو ضعيف كما قال الشارح المحقق . وقال ابن الحاجب (فى أماليه) : ونصب الظهر كنصب الوجه فى : مررت برجل حسنٍ الوجهَ ، وهى لغة فصيحة على التشبيه بالمفعول . ومنهم من جعله نصباً على التمييز ، ولا حاجة إليه لكونه معرفة ، والتمييز المنصوب إنَّما يكون بالنكرة . وفيه ردٌّ على من قال إنه تمييز ، كالبيضاوى ، فإنَّه استشهد به عند قوله تعالى : ﴿ إلاَّ مَنْ سَفِه نَفْسَه[1] ﴾ قال : نفسه منصوب على التمييز ، كالظهر فى البيت .

الثانى : رفع الظهر على الفاعليَّة .

الثالث : خفضه بإضافة أَجبّ إليه .

وأما (أَجبّ) فهو مجرور لا غير . قال ابن الحاجب : وأَجبّ مخفوضٌ علامةُ خفضه الفتحة ، صفةٌ لذِناب أو عيش . والفتح إنَّما هو على رفع الظهر ونصبه ، وأما على جرِّه فأَجبَّ مجرور بالكسرة للإضافة . وأمَّا قطعُه إلى الرّفع على أنَّه خبر لمبتدإٍ محذوف ، أو إلى النصب بتقدير أعنى ، فلا يجوز ، لأنَّ قطع النَّكرة غير الموصوفة نادر.

وقد خلط العينىُّ ونسب إلى ابن الناظم ما لم يَقلْه . قال : الاستشهاد فى قوله أَجبّ الظَّهر ؛ فإنَّه يجوز فيه ثلاثة أوجه : الأَوَّل : أَجبُّ الظهرَ برفع أَجب ونصب الظهر . وهذا من أقسام الضعيف، وهو على تقدير : هو أَجب .

الثانى : نصب أَجبّ على الحالية ورفع الظهر .

والثالث : جرّ أَجب على الصفة لعيش ، وجر الظهر على الإضافة .

---

(١) الآية ١٣٠ من سورة البقرة .

هذا كلامه، وتبعه على هذا خَضْرٌ الموصلى (فى شرح أبيات التفسيرين).

وأنشده سيبويه بنصب الظهر بأجب على أنَّ فى أجب تنوينًا مقدَّرًا ولم يظهَر، لأنَّه لا ينصرف.

والبيت من أبياتٍ للنابغة الذبيانى، وهى :

أبيات الشاهد

(ألَمْ أُقسِمْ عليكَ لَتُخبرنِّى أمحمولٌ على النَّعش الهُمامُ

فإنِّى لا أَلومُك فى دخولٍ ولكن ما وراءَكَ ياعصامُ

فإنْ يَهلِكْ أبو قابوسَ يهلِكْ ربيعُ النَّاسِ والشَّهرُ الحرامُ

ونأْخُذْ بعدَه بذِناب عيشٍ أجبَّ الظهر ليس له سَنامُ)

ومن حديث هذه الأبيات أنَّ النابغة كان عند النعمان ملك العرب بالحيرة، كبيرًا عنده، خاصًّا به، وكان من نُدمائه وأهل أُنْسِه، فحُسِد على منزلته منه، فاتَّهموه بأمرٍ ذكرناه فى مواضعَ من هذا الكتاب[1]، فغضب عليه النعمان وأرادَ البطش به. وكان للنعمان بوّابٌ يقال له عِصامُ بن شَهْبَرٍ الجرمى، قال للنابغة : إنَّ النُّعمانَ مُوقِعٌ بك فانطلقْ! فهرب النابغة إلى ملوك غسَّانَ ملوكِ الشام، فكان يمدحُهم وتركَ النُّعمان، فاشتدَّ ذلك عليه، وعرَف أنَّ الذى بلغه كذِبٌ. فبعث إليه : إنَّك لم تعتذر من سَخطةٍ إن كانتْ بلغَتْك، ولكنَّا تغيَّرنا لك عن شىءٍ ممَّا كنا لك عليه، ولقد كان فى قومك ممتنَعٌ وحِصنٌ، فتركتَهُ ثم انطلقتَ إلى قومٍ قَتلوا جَدِّى، وبينى وبينهم ما قد علمت. وكان النُّعمان وأبوه وجدُّه قد أكرموا النابغة وشرَّفوه وأعطَوْه مالاً عظيما. وبلغ النابغةَ أنَّ النعمان ثقيلٌ من مرض أصابَه حتَّى أُشفِقَ عليه منه، فأتاه النابغة فألفاه محمولاً على رَجُلين يُنقَل ما بين الغَمْر وقصوره التى بين الحِيرة،

(١) انظر منها الخزانة ٢ : ١٣٦.

٩٧ فقال لِبوَّابِهِ عصام :

ألم أُقسم عليك لتخبرَنِّى ...... الأبياتَ المذكورة .

قال أبو عبيدة : كانت ملوكُ العرب إذا مرِض أحدُهم حملتْه الرجال على أكتافها ، يتعاقبونه ، لأنَّه عندهم أوطأُ من الأرض . فعافاه الله وعَفا عن النابغة .

قال حسان بنُ ثابت : وفدتُ إلى النعمان فحسَدتُ النابغة على ثلاثٍ لا أدرى على أيَّتهنَّ كنتُ أحسِدُ : أعلى إدناء النُّعمان له بعد المباعدة ومسايرته له وإصغائِه إليه[١] ، أو على جودة شعره ، أو على مائة بعير من عصافيره أمر له بها ؟

قال أبو عبيدة : قيل لأبى عمرو : أمِنْ مخافته امتدحَه وأتاه بعد هربه منه ، أم لغير ذلك ؟ قال : لا لعمر الله ، ما لمخافته فَعَلَ ، إنْ كان إلاَّ آمنًا من أن يوجِّه إليه النعمان جيشاً . وما كان النابغة يأْكلُ ويشرب إلاَّ فى آنية الذهب والفِضَّة ، من عطايا النُّعمان وأبيه وجَدّه ، ولا يستعمل غير ذلك .

وقوله : « ألم أقسِمْ عليك[٢] إلخ هو استفهام تقريرىّ ، وقوله « لتخبرنِّى » جواب القسم وقوله : « أمحمول » إلخ خبر مقدَّم والهُمام مبتدأٌ مؤخَّر ، والجملة فى موضع المفعول لتخبرنِّى . والتحقيق أنَّ الواقع مفعولاً محذوف مضاف إلى هذا الاستفهام ، والتقدير : جواب هذا الاستفهام . والنعش : السَّرير ، كان الرِّجال يحملونه على سريره فى مرضه .

---

(١) ش : « وإصغاؤه » ، تحريف .

(٢) فى النسختين : « ألم أخبرك » ، والوجه ما أثبت .

وقال العيني : وقيل معنى أَمحمولٌ على النعش ، أى هل مات فحُمِل على النَّعش أم لا ؟ انتهى .

(أقول) : هذا كلامُ من لم يصل إلى العُنقود .

والهُمام : الملك العظيم الهمّة .

وقوله : « فإنِّى لا أَلومُك » إلخ : لا أَلومك فى تركك الإِذْن لى فى الانتهاءِ إلى الملك ، ولكن أَخبِرْنى بكُنْه أَمره . ورواه العينى :

* فإنِّى لا أُلامُ على دخول *

وقال : أَى لا أُلام على ترك الدخولِ عليه ، لأَنِّى محجوب لا أَصِلُ إليه لغضبه علىَّ . وهذا خلاف ما رَوَاه الناس .

وقوله : « ما وراءَك يا عصام » صار مثلاً عند العرب ، وأورده الزمخشرى (فى أَمثاله[1]) قال فيه : هو من قول النابغة ، يضرب فى الاستخبار عن الشيء ، وهو عِصام بن شَهْبَر الباهلىّ حاجبُ النُّعمان . ومن شعر عصام هذا :

نفسُ عِصامٍ سوَّدتْ عصاما وعلَّمته الكرَّ والإقداما

وجَعَلَتْهُ ملكًا هُماما

والبيت الأَوّل من هذا مثلٌ أَيضاً ، يضرب لمن شرُف بنفسه لا بآبائه.

وفى الأَمثال أَيضاً : « كن عصاميًّا ولا تكن عظاميًّا » ، أَى افتخرْ بنفسك لا بعظام آبائك البالية .

---

(١) المستقصى للزمخشرى ٢ : ٣٣٤ .

قال الزمخشرى : وهو عصامُ الخارجى ، وإنَّما سمته العرب خارجيًّا لأنَّه خرج عن غير أَوّليّةٍ كانت له .

ويحكى أنَّ الحجَّاجَ ذُكِر عنده رجلٌ بالجهل، فأَراد اختباره فقال : أعظامىٌّ أم عصامىٌّ ؟ أراد : أَشرُفتَ بآبائك الذين صاروا عظاماً أم بنفسك ؟ فقال الرجل : أنا عصامىٌّ عِظامىٌّ . فقال الحجاج : هذا أفضلُ الناس ، فقضى حوائجَه ومكث عنده ، ثم فتَّشه فوجده أجهلَ الناس ، فقال له : تَصدُقُنى أو لأَقتلنَّك ، كيف أجبتنى بما أجبتنى حين سأَلتك عما سأَلتك ؟ قال : لم أَعلم أعصامىٌّ خيرٌ أم عظامىٌّ ، فخشِيت أَن أقول أَحدَهما ، فقلت كليهما ، فإنْ ضرَّنى أَحدُهما نفعنى الآخر . فقال الحجاج عندَ ذلك : « المقاديرُ تُصيِّر العيَّ خطيباً » .

وقوله : « فأَن يهلك أَبو قابوس » إلخ هو كنية النعمان ، وقابوس : معرَّب كاووس ، كطاوس ، اسم أَحدِ ملوكِ الفرس . وقوله : « ربيع الناس » إلخ يريد أَنَّه كان كالربيع فى الخصب لمجتدِيهِ ، وكالشَّهر الحرام لجاره ، أَى لا يُوصَل إلى مَنْ أَجاره كما لا يوصل فى الشهر الحرام إلى أحدٍ . والمعنى : إنْ يمت النُّعمان يذهبْ خيرُ الدُّنيا عنها ، كانت تعمَرُ به ، وبجوده وعَدْله ونفعِهِ للنَّاس . ومن كان فى ذمّته وسلطانه فهو آمنٌ على نفسه مَحْقُون الدم ، كما يأْمن الناس فى الشهر الحرام على دماهم وأموالهم . وروى بدله : « والنَّعمُ الرُّكام » بالضم ، أى المتراكمة .

٩٨

وقوله : « ونأْخذ بعده » إلخ الذِّناب والذِّنابة بكسرهما ، والذُّنابى بالضم والقصر : الذَّنَب . قال الشنتمرىّ : المستعمل للبعير ونحوِه الذَّنَب ، وللطَّائر الذُّنابى ، وللعَين ونحوها الذِّنابة ولما لا خَير فيه . والأَجبُّ بالجيم : الجمل المقطوع السَّنام ، والسَّنام : حدَبة البعير ، يقول : إن مات بقينا

فى طرفِ عيشٍ قد مضَى صدرُه ومُعظمُه وخَيره ، وقد بقِى منه ذنبُه ، ويكون العيش كبعيرٍ قد جُبّ سَنامُه . يريد : صار الناسُ بعده فى أسوإ حالٍ وأضيق عيش وذُلّ ، وتمسَّكوا منه بمثل ذنب بعير أجبّ الظَّهرِ . والسَّنامُ يستعار كثيراً للعزّ، حتى كأنَّه غلب فيه .

وقد أورَدَ أبو القاسم الزجَّاجيُّ هذه الأبياتَ الثلاثة (فى أماليه الصُّغرى والوُسطى[1]) وقال فيهما : أمَّا عصامٌ فحاجب النعمان . يقول : لا أَلومك إن منعتَنى من الوصول إليه ، ولكن عرِّفنى خبرَه . وكان الملكُ إذا مرض يُجعَل فى سريرٍ ويُحمَل على أكتاف الرجال ، يعلَّل بذلك[2] ويقولون: هو أرفَهُ له. وأمّا قوله : ونأخذ بعده، فيجوز فيه الرفعوالنصب والجزم . أمّا الجزم فعلى العطف على قوله يهلك ربيعُ الناس . والرَّفع على القطع والابتداء، والنصب بالصرف على إضمار أنْ . وكذلك كلُّ معطوفٍ بعد جواب الجزاءِ من الأفعال المستقبَلة ، تجوز فيه هذه الأوجه الثلاثة .
وقوله « أجَبّ الظهر » يعنى مقطوع الظهر . وهذا تمثيلُ تشبيه . ويروى : « أجبِّ الظَّهرِ » بخفضهما جميعاً على إضافة أجبّ إلى الظهر ، ويروى : « أجبَّ الظَّهرَ » بفتح أجبّ ونصب الظهر على أنْ يكون موضع أجبّ خفضًا ولكنَّه لا ينصرف ، وبنصب الظهر على التشبيه بالمفعول به ويضمر فى أجبّ الفاعل ، كأنه قال : أجبّ الظهر بالتنوين ، ثم منعه من التنوين لأنَّه لا ينصرف ، وهو فى تقدير قولك : مررت برجلٍ حسنٍ الوجهَ ، وكثيرٍ المالَ ، وطيّبٍ العيشَ . ويروى : « أجبَّ الظهرُ » على أنَّه فى موضع خفض ورفع الظهرُ به ، كأنه قال : أجبّ ظهرُهُ ، فأهل الكوفة

---

(١) انظر ملحقات أمالى الزجاجى ٢٢٣ – ٢٢٤ .
(٢) التعليل : الترفيه والتلهية .

يجعلون الألف واللام عقيب الإضافة ، وأهل البصرة يضمرون ما يعلّق الذكر بالأوّل ، وتقديره عندهم : أجبّ الظهرِ منه . انتهى .

وتقدّمت ترجمة النابغة الذبيانى فى الشاهد الرابع بعد المائة[1] .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد السابع والخمسون بعد السبعمائة ، وهو من شواهد س[2] :

٧٥٧ (وللهِ عَينا حَبْترٍ أَيُّما فتى)

على أنّه قد يستفاد من الاستفهام معنى التعجُّب كما هنا فإنّ فيه معنى التعجب من الفُتُوَّة كما تقول : أى رجل زيد ؟ وقد تضمَّنت أىّ معنى المدح والتعجبِ الذى تضمَّنتْه نِعْمَ وحبَّذا .

وأىّ إذا أُضيفت إلى مشتقٍّ من صفة يمكن المدح بها كانت للمدح بالوصف الذى اشتقّ منه الاسم الذى أُضيفت إليه . فإذا قلتَ : مررت بفارسٍ أىِّ فارس، فقد أثنيتَ عليه بالفروسيّة خاصّةً[3] . وإن أُضيفت إلى غير مشتقٍّ فهى للثناء عليه بكلِّ صفةٍ يمكن أن يثنى عليه بها[4] ، فإذا قلت مررت برجل أىِّ رجلٍ فقد أثنيت عليه ثناءً عامًّا فى كلِّ ما يُمدح به الرّجل .

٩٩

قال سيبويه : وسألته – يعنى الخليل – عنْ قوله :

---

(١) الخزانة ٢ : ١٣٥ .

(٢) فى كتابه ١ : ٣٠٢ . وانظر الكامل ٧٣٥ والعينى ٣ : ٤٢٣ والهمع ١ : ٩٣ والدرر ١ : ٧١ والأشمونى ١ : ١٦٨/٢ : ٢٦٢ والحماسة بشرح المرزوقى ١٥٠٢ وبشرح التبريزى ٤ : ٧٥ .

(٣) ط : « الخاصة » .

(٤) ط : « يثنى عليها » .

فأَومأْتُ إيماءً خفيًّا لحبترٍ ولله عينا حَبْتَرٍ أَيُّمَا فتى

فقال : أَيُّما تكون صفة للنكرة ، وحالاً للمعرفة ، وتكون استفهامًا مبنيًّا عليها ومبنيّة على غيرها ، ولا تكون لتبيين العدد ، ولا فى الاستثناء نحو قولك: أتونى إلّا زيدًا . ألا ترى أنّك لا تقول له: عشرون أيّما رجلٍ ولا أتونى إلاّ أيّما رجل . والنصبُ فى مثله رجلًا كالنّصب فى عشرين رجلاً . فأيّما لا تكون فى الاستثناء ، ولا يختصّ بها نوعٌ من الأنواع ، ولا يفسَّر بها عدد . وأَيُّما فتًى استفهامٌ. ألا ترى أنَّك تقول: سبحان الله مَن هو وما هو ؟ فهذا استفهامٌ فيه معنى التعجُّب . ولو كان خبرًا لم يجز ذلك ، لأنَّه لا يجوز فى الخبر أنْ تقول من هو وتسكت . انتهى.

قال النحاس : قد فسَّر الخليل أيَّما بقوله تكون صفة للنكرة ، كقولك مررت برجل أَيّما رجل ، وحالاً للمعرفة ، أى إنْ شئت رويت:

* فلله عينا حبتَرٍ أيّما فتَى *

بالنصب ، أى كاملاً[1] . ومبنيًّا عليها ، كقولك أيّما رجل ، ومبنيَّة على غيرها ، نحو زيد أيُّما رجل ، ولا تكون لتبيين العدد ولا فى الاستثناء ، لأنَّها لم تقو فى الصفات . على أنَّ الأَخفَش قد أجاز ذلك . انتهى .

وقال الأَعلم : رفع أَيُّما بالابتداء والخبر محذوف، والتقدير: أىُّ فتى هو ، وما زائدة مؤكّدة . وفى أىّ معنى المدح والتعجُّب. وصَف أنَّه أمرَ ابنَ أُختٍ له يقال له حبتر، بنحر ناقة من أصحابه، لأنَّه كان فى غير محلِّه ليُخلِفها عليه إذا لحقَ بأهله ، وأَومأَ إليه بذلك حتّى لا يشعر به أَحد ، ففهم عنه وعرف إشارته لذكائه وحدَّة بصرِهِ . والإِيماءُ . الإِشارة بعينٍ أَو يدٍ . انتهى .

---

(١) يعنى فتى كاملا .

وروى المبرد (فى الكامل) الرفع والنصب فى أيما فتى فى البيت ، قال عند الكلام على قول ليلى الأخيَلِيّة :

نظرتُ وركنٌ من بُوانةَ دُوننا وأركان حِسْمَى أىُّ نظرةِ ناظرِ

قولها : « أىّ نظرة ناظرٌ » يصلح فيه الرفع والنصب على قوله : نظرت أىَّ نظرة وأيَّة نظرة ، وأيَّتما نظرة وأيَّما نظرة ، كما تقول : مررت برجل أيّما رجل . وتأويله : برجل كامل . فأيّما فى موضع كامل، وتقول: مررت بزيدٍ أيّما رجل على الحال . ومن قال أىُّ نظرة هى فعلى القطع والابتداء ، والمخرج مخرج استفهام ، وتقديره أىُّ نظرة ؟ كما تقول : سبحان الله أىُّ رجل زيد .

وهذا البيتُ ينشَدُ على وجهين :

فأومأْت إيماءً خفيًّا لحبتَر ولله عينا حَبْتَر أيَّما فتى

و « أيُّما » إن شئتَ على ما فسَّرنا . انتهى كلامه .

وقد أنشده ابن مالك (فى باب الموصول من شرح التسهيل) بنصب أيَّما على أنّه حال من حبتر . وأنكره أبو حيان (فى شرحه) وقال : أصحابُنا أنشدوه بالرفع على أنَّه مبتدأٌ أو خبر مبتدإٍ ، وقدَّرُوهُ أىّ فتى . ولم يذكر أصحابنا كون أىّ تقع حالا ، وإنّما ذكرُوا لها خمسة أقسام : موصولة ، وشرطية ، واستفهامية ، وصفةً لنكرة ، ومنادًى . ١٠٠

هذا كلامه على ما ذكره العينى ، وما نقلناه من كلام الأئمة يردّ عليه .

وقول المرادى (فى شرحه) تبعًا لأوّل كلام أبى حيّان : أنشده المصنف بنصب أىّ على الحال، وأنشدَهُ غيرُه بالرفع ، يردُّه رواية المبرِّد وغيرِه .

ولا أكاد أقضِي العجبَ من قول العيني : الاستشهاد فيه أنَّ أيًّا فيه صفة ، وقد عُلِم أنَّه صفة لمعرفة وحالٌ من نكرة [(١)]، ولا يضاف إلاَّ إلى نكرة . انتهى .

وهذا من نمط اختراع الخراع [(٢)] الذى صنعه الصفدى [(٣)] وقَصد به التحميض [(٤)] .

والبيت من قصيدة للراعى النميرى ، وأورد منها أبو تمام (فى الحماسة) ثلاثة عشر بيتاً ، وكان نزل بالرَّاعى رجلٌ من بنى كِلابٍ فى ركبٍ معه ليلا فى سَنَةٍ مُجدبة ، وقد عَزَبتْ عنِ الراعى إبِلُه ، فأشار إلى حبتر بخِفْية ، فنحرَ لهم ناقة وأَحلَّهم ، وصبَّحت الراعىَ إبلُه فأعطَى ربَّ الناقة ناقة مثلها ، وزاده ناقة ثنيَّةً ، فقال هذه القصيدة فى هذه القضيّة .

وهجاه بعضهم فى نحرِ ناقةِ ضيفه بأبيات ، وأجاب عنها الراعى بقصيدةٍ ، والجميع مذكورٌ فى باب الهجاء من الحماسة .

قال الطبرسى (فى شرح الحماسة) : حبتر بفتح الحاء المهملة وسكون الموحدة وفتح المثناة من فوق هو ابن أخى الراعى ، ومعناه فى اللغة القصير من الناس ، وإنَّما رسَمَ له عرقَبتَها فى السِّرِّ بعد أن اختارها ، مخافة أن يمتنع صاحبُها بما همَّ به فيها . وقوله: ولله عينا حبتر، اعتراضٌ . وإذا عظَّموا الشىء نسبوا مِلْكه إلىالله تعالى. وأيُّما فتى

(١) فى النسختين : « عن نكرة » ، وأثبت ما فى العينى .

(٢) كذا فى النسختين .

(٣) ش : « الصغدى » ، بالغين المعجمة .

(٤) التحميض ، من الإحماض ، وهو الأخذ فى ملح الكلام والحكايات ، ويقال أحمض القوم إحماضاً ، إذا أفاضوا فيما يؤنسهم .

ينشد بالرفع والنصب ، فالرفع على تقدير أيّما فتى هو . والنصب على الحال . انتهى .

وترجمة الراعى تقدَّمت فى الشاهد الثالث والثمانين بعد المائة[(١)] .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثامن والخمسون بعد السبعمائة[(٢)] :

٧٥٨ (وقد وجدتَ مكانَ القولِ ذا سَعَةٍ

فإنْ وجـــدتَ لسانًا قائلاً فقُلِ)

لما ذكره من معنى أَحسِنْ ، أى صِفْه بالحسن كيف شئت . فإنَّ فيه منه كلَّ ما يمكن أن يكون فى شخص. كالبيت : فإنَّ معناه وجدتَ مكانًا للقول بكثرة ما فيه من المناقب ، فإن كان لك لسانٌ قائل فَقُلْ ما شئت ، أى فلستَ تحتاج فى شىء غائب إلى مدحه .

صاحب الشاهد

والبيت من قصيدةٍ للمتنبِّى مدح بها سيفَ الدولة . وقبله :

(والمدحُ لابن أَبى الهيجاء تُنجِـــده

بالجاهليَّة عَينُ العِىِّ والخَطَـــلِ[(٣)])

تُنجده : تعينه . والخطَل : اضطراب القول . وهذا تعريضٌ بأَبى العباس النَّامى[(٤)] ، فإنَّه مدح سيف الدولة بقصيدة ذكر فيها آباءه الذين

---

(١) الخزانة ٣ : ١٥٠ .

(٢) ديوان المتنبى بشرح العكبرى ٢ : ٦٩ .

(٣) الرواية فى الديوان : « عين الغى » بالغين المعجمة المفتوحة ، وهو الضلال .

(٤) هو أبو العباس أحمد بن محمد الدارمى المصيصى ، المعروف بالنامى ، شاعر رقيق الشعر من أهل المصيصة ، ثغر قريب من طرسوس ، اتصل بسيف الدولة ، وكان عنده تلو المتنبى فى المنزلة والرتبة . وله أمال أملاها بحلب . وكانت له مع المتنبى معارضات اقتضاها اجتماعهما فى حلب وقربهما من سيف الدولة . مات فى حلب سنة ٣٩٩ . وفيات الأعيان ١ : ٣٨ – ٣٩ .

كانوا فى الجاهليَّة . يقول : إذا مدحته وأعنته بذكر آبائه الجاهليِّين كان ذلك عينَ العِيِّ . ثم وضَّح[1] هذا المعنى وتمَّمه بقوله :

(ليتَ المدائحَ تستوفى مناقبَه ... فما كليبٌ وأَهلُ الأَعصُرِ الأُوَلِ)

أى ليت ما مدح به من الشعر استوفَى ذكر مناقبه ، ومتى يتفرَّغ الشعر لذكر كليب وأَهل الدُّهور السابقة[2] .

(خُــذْ ما تراه ودَعْ شيئًا سمعتَ به

فى طلعةِ الشَّمس ما يُغْنِيكَ عن زُحَلِ)

يقول : امدحْه بما تشاهده واترك ما سمعتَ ، فإنَّ الشمس تغنيك عن زُحَل . وجعله كالشمس وآباءَه كزُحَل . والمعنى : فيما[3] قُربَ منك عِوضٌ عمَّا بعد عنك ، لا سيَّما إذا كان القريبُ أَفضلَ من البعيد. ١٠١

(وقد وجدت مكان القول ذا سعة .... البيت)

وترجمة المتنبي تقدَّمت فى الشاهد الحادى والأَربعين بعد المائة[4] . وهذا البيت إنَّما أَورده لتنظير معنًى بمعنى .

---

(١) وضح ، سقطت من ش ، وكتب الشنقيطى فى هامشها بدلا منها « أكد » مع وضع علامة إلحاق .

(٢) العكبرى : « أدخل ما على من يعقل لأنه أراد السؤال عن صفته مع الاحتقار لشأنه » ثم قال : « فما كليب وسائر الملوك الأولين عند ما خلده من الفخر وأبقاه من المكارم » . وكليب بن ربيعة مضرب المثل فى العزة عند العرب ، يقولون : « أعز من كليب وائل » .

(٣) فى النسختين : « فما » ، والوجه ما أثبت من شرح العكبرى .

(٤) الخزانة ٢ : ٣٤٧ . وفى ش : « الواحد والأربعين بعد المائة » .

أفعال المدح والذم

أنشد فيه ، وهو الشاهد التاسع والخمسون بعد السبعمائة[١] :

٧٥٩ (نَعِمَ السَّاعُون فى الأَمْرِ المُبِرّْ)

على أنَّ طَرَفة استعمل نَعِم على الأَصل ، بفتح النون وكسر العين .

قال ابن جنى (فى المحتسب) عند قراءة يحيي بن وثَّاب : ﴿ فنَعِمَ عُقْبي الدَّار[٢] ﴾ : أَصل قولنا : نِعْم الرجُل زيدٌ : (نَعِمَ) كَعِلم . وكلُّ ما كان على فَعِل وثانيه حرفٌ حلقى فلهم فيه أَربعُ لغات ، وذلك نحو فَخذ ونَغِر[٣] بفتح الأَول وكسر الثانى على الأَصل . وإن شئتَ أَسكنتَ الثانىَ وأَقررت الأَوّل على فتحِهِ . وإن شئت أَسكنت ونقلت الكسرة إلى الأَوّل . وإن شئت أَتبعت الكسرَ الكسر . وكذلك الفعلُ ، نحو ضَحِك ، وإن شئت ضَحْك ، وإن شئتضِحْكَ ، وإن شئت ضِحِك . فعلى هذا القول نَعِم الرجل ، وإن شئت نَعْم ، وإنْ شئت نِعْم . وإن شئت نِعِم . فعليه جاءَ : ﴿ فنعم عُقبىَ الدار ﴾ : وأَنشدنا أبو عليٍّ لطرَفة :

(ففـــداءٌ لبنـــى قيسٍ عـــلَى ... ما أَصابَ النَّاسَ من سُرٍّ وضُرّْ
مـــا أَقلَّتْ قـــدمى إِنَّهمُ ... نِعِمَ السَّـاعون فى الأَمرِ المُبِرّْ)

وروينا عن قطرب : نَعِيمَ الرجل زيد ، بإشباع كسرة العين وإنشاء

---

(١) المقتضب ٢ : ٣٠ والمحتسب ١ : ٣٥٧ والإنصاف ١٢٢ وابن يعيش ٧ : ١٢٧ والهمع ٢٠ : ٨٤ ، وديوان طرفة ٧٣ .

(٢) الآية ٢٤ من سورة الرعد .

(٣) فى النسختين : « ومعز » ، تحريف . وليس فى المعز لغة بهذا الضبط وإنما المعز ، بالفتح ، وبالتحريك فقط ، كما يقال المعزى والمعزاء والمعيز والأمعوز والمعاز ، كما فى اللسان والقاموس . ونص المحتسب : « نحو فخذ ومحك ونغر » . والنغر : الغضبان والغضبان : وهو من نغرب القدر تنغر ، إذا غلت .

ياءٍ بعدها، كالمطافيل والمساجيد[1]. ولابدَّ من أن يكون الأَمر على ماذكرنا لأَنَّه ليس فى أَمثلة الأَفعال (فَعِيلَ) البتَّة ، انتهى .

وقد بسط القول على نعم وبئس ابن الأَنبارىّ (فى مسائل الخلاف) ، وابن الشجرى (فى المجلس الستين من أماليه)، وقيَّد قراءة يحيى بن وثَّاب بفتح الفاء وسكون العين .

وقوله : « ففداءٌ لبنى قيس » إلخ قال شُرَّاح أَبيات المفصل وغيره : أى أَنا فداءٌ لهذه القبيلة . والسُّرُّ والضُّرُّ بضمهما : السَّرَّاءُ والضَّرَّاءُ . وما : دَوَامِيَّة . والإِقلال : الرَّفع . وقَدَمى فاعل أَقلَّت . ورُوِى : «قدماىَ» بالتثنية . وعليهما فمفعول أَقلَّت محذوف، التقدير أَقلَّتنى . و « إِنَّهم » تعليل لقوله ففداءٌ . وروى أَيضاً :

* ما أَقلَّت قدمٌ ناعلَها *

والناعل : لابس النَّعل ، أَى ساتر القدمِ بالنَّعل . وروى أَيضاً :

* ثم نادَوا أَنَّهم فى قومهمْ *

أَى قالوا : هؤلاءِ القوم هم الذين قال النَّاسُ فى حقِّهم : نعم الساعون هم فى الأَمر المبِرّ . فالمخصوص بالمدح محذوف . والمبِرُّ : اسم فاعل من أَبرَّ فلانٌ على أَصحابه ، أَى غلبهم . أَى هم نعم السَّاعون فى الأَمر الغالب الذى عَجَزَ الناسُ عن دفعه .

هذا ما قالوا ، والمروىُّ فى ديوان طرفة فى عدّة نسخ البيت الأَوّل كما رواه ابن جِنِّى . والبيت الثانى كذا :

(خالتِى والنَّفْسُ قِدماً إِنَّهم   نِعمَ السَّاعون فى القوم الشُّطُرْ)

---

(١) فى النسختين : « والمساعيد » ، صوابه من المحتسب .

١٠٢ قال شارح ديوانه الأعلم الشنتمرى : يقول : نفسى فِداءٌ لبنى قيس على ما أصاب الناس من أَمْر يسُرُّهم أَو يضرُّهم . والسُّرّ والضُّرّ : السَّرَّاءُ ، والضَّرَّاءُ . وقوله :« فى القوم الشُّطُر » يعنى البُعَداءِ من النَّاس الغُرَباءِ . وواحد الشُّطُر شطير . وأَصل الشَّطير : الناحية[١] . وكلٌّ من بعد عن أهله فقد أَخذ فى ناحيةٍ من الأَرض. يقول : سعيهم فى الغرباء أَحسنُ سَعْيٍ . انتهى .

وفُهِم من كلامه أَنَّ قوله خالتى مبتدأٌ والنفس معطوف عليه . وقوله فداءٌ خبر لهما مقدَّم . لكن يُنظَر: ما وجه ذكر الخالة ههنا[٢] ؟ وقِدمًا بالكسر : ظرف متعلِّق بنعم ، ولا يمنع منه ذكر إنَّ المكسورة لأَنَّهُ ظرفٌ اغتُفِر فيه التَّقديم .

وقيس : أبو قبيلة الشاعر ، وإنَّما جعل نفسه فداءً لبنيه لأَنَّهم . يتبادَرُون فى إغاثة الملهوف .

وهذا نسب طرفةَ الشاعرِ : طرفةُ بن العبد بن سُفيان بن سعد بن مالك بن ضُبَيعة بن قيس بن ثعلبة بن عُكابة بن صَعْب بن علىّ بن بكر بن وائل .

صاحب الشاهد

والبيتان من قصيدةٍ طويلة لطرفة تقدَّم بعض أَبياتٍ منها فى باب اسم الفاعل فى الشاهد السابع بعد السمّائة[٣] . وهذه أَبياتٌ قبل البيت الشاهد :

---

(١) كذا فى النسختين . والمعروف فى المعاجم هو الشطر ، بالفتح للناحية . وأما الشطير ، فهو الغريب والبعيد ، كما يقال لشطر الشىء أى نصفه شطير أيضاً .

(٢) أقول ، أنزل الخالة منزلة الأم لأمرٍ ما . وهم مما يفدون بآبائهم وأمهاتهم .

(٣) ط : « الشاهد السادس بعد السمّائة » ، وعلق ناشرها بقوله : « بهامش الأصل : السادس صوابه السابع » . وقد وردت الكلمة على الصواب فى صلب ش . وانظر الخزانة ٨ : ١٨٨ – ١٩٢ .

أبيات الشاهد

(نحنُ فى المَشْتاةِ ندعُو الجَفَلى ... لا ترى الآدِبَ فينا يَنْتَقِرْ[1]
حِين قال النَّاس فى مَجلسِهِمْ ... أَقُتارٌ ذاك أم ريحُ قُطُرْ
بِجِفانٍ تَعترِى نادِيَنَا ... مِن سَديفٍ حين هاج الصِّنَبِرْ
كالجوابِى لاتَنِى مُترَعةً ... لِقِرَى الأَضيافِ أوللمُحْتَضِرْ[2]
ولقد تَعلمُ بَكرٌ أَنَّنا ... آفةُ الجُزْرِ مساميحُ يُسُرْ
ولقد تعلمُ بكرٌ أَنَّنا ... فاضِلُو الرأْيِ وفى الرَّوعِ وُقُرْ
يَكشفون الضُّرَّ عن ذى ضُرِّهم ... ويُبِرُّون على الآبِى المُبِرّْ
فُضُلٌ أَحلامهمْ عن جارهمْ ... رُحُبَ الأَذرُعِ بالخَيرِ أُمُرْ
ذُلُقٌ فى غارةٍ مسفوحةٍ ... ولدَى البأْسِ حُماةٌ ما نَفِرّْ
نُمسِكُ الخيلَ على مكروهها ... حين لا يُمسكها إلّا الصُّبُرْ
حين نادَى الحىُّ لمَّا فزعوا ... ودعا الدَّاعى وقد لجَّ الذُّعُرْ
أَيُّها الفِتيانُ فى مجلسنا ... جَرِّدُوا منها وِرادًا وشُقُرْ)

ثم وصف الخيلَ بأَبيات تسعة وقال :

(ففِداءٌ لبنى قيسٍ على ... ما أَصابَ الناسَ من سُرّ وضُرّ
خالتى والنفسُ قِدمًا إنَّهم ... نِعِمَ السَّاعون فى القوم الشُّطُر)

قوله : « نحن فى المشتاة » إلخ قال شارحه الأعلم الشنتَمرِىّ : يريد زمنَ الشتاءِ والبرد ، وذلك أَشدُّ الزمان . والجَفَلَى : أَن يعمَّ بدعوته إلى الطعام ولا يخصَّ واحدًا دون آخر . والآدب : الذى يدعو إلى المأْدُبة

(١) ط : « لا نرى الآداب » ، صوابه فى ش .
(٢) بعده فى الديوان ٦٩ :
ثم لا يخزن فينا لحمها ... إنما يخزن لحم المدخر
يخزن كينصر : يفسد ويتغير ، ومثله « يخنز » ، وهى رواية أخرى . وتضبط أيضاً « يخزن » بالبناء للمجهول ، أى يحفظ ويحرز .

وهى كلُّ طعام يُدعَى إليه . والانتقار : أن يدعُوَ النَّقَرَى ، وهو أن يخصَّهم ولا يُعمَّهم. يقول: لا يُخَصُّ الأَغنياءُ ومن يَطمَعون فى مكافاته ، ولكنَّهم يعُمُّون، طلباً للحمد ولاكتسابِ المجد .

وقوله : « حين قال الناس » إلخ القُتار بالضم : رائحة اللحم إذا شُوِى . والقُطُر ، بضمتين : العود الذى يتبخَّر به . يقول : نحن نطعم فى شدَّة الزمان إذا كان ريح القُتارِ عِند القوم بمنزلة رائحة العُود ، لما فيه[1] من الجَهْد والحاجة إلى الطعام .

١٠٣

وقوله : « بجفانٍ تعترى » إلخ أى ندعوهم إلى الجفان . ومعنى تعترى : تلِمُّ به وتـأْتيه . والنادى : مجلس القوم ومتحدَّثهم . والسَّديف : قطع السنام . والصِّنَّبر أشدُّ ما يكون من البرد . قال ابن جنى (فى الخصائص) الصِّنَّبر بنون مشددة وباءٌ ساكنة . وكان حقُّه إذا نُقِلت الحركة أن تكون الباءُ مضمومة ، لأَنَّ الراءَ مرفوعة ، ولكنَّه قدَّر الإضافة إلى الفعل ، يعنى المصدر ، كأَنه قال حين هَيْج الصِّنَبِر : يعنى أنَّه نقل الكسرة فى الوقف إلى الباء الساكنة وسكنت الراءُ[2] .

قال الدمامينى (فى الحاشية الهنديَّة) بعد أن نقل هذا الكلام : وهذا من الغرائب؛ فإنَّ الصِّنَّبر لا شك فى كونه فاعلا بهاجَ ، لكنَّه أعربه بالكسرة نظرًا إلى أنَّ الفعل فى معنى المصدر المضاف إلى هذا الفاعل ، ثم نقل الكسرة . وقد نظمتُه لغزاً فقلت :

أَيا علمـــاءَ الهنـــد إنِّىَ سائلٌ فمُنُّوا بتحقيقٍ به يظهر السِّرُّ

---

(١) أى فى الشتاء وشدة الزمان .

(٢) انظر الخصائص ١ : ٢٨١ . وقد تصرف البغدادى فى نقله . وانظر كذلك الخصائص ٢ : ٢٥٤ / ٣ : ٢٠٠ .

أرى فاعلا بالفِعل أُعِربَ لفظه
بجرٍّ ولا حرفٌ يكون به الجرُّ
وليس بمحكىّ ولا بمجاورٍ
لِذِى الخفض والإنسانُ للبحث يُضطرٌّ
فهل من جوابٍ منكمُ أستفيده
فمِن بَحرِكُمْ مازال يُستخرج الدُّرُّ

وقد استشهد الجوهرى ببيت طرفة على أنَّ الصِّنبِر بكسر الباء : شدَّة البرد ، فجعل الكسرة أَصليَّة ، وجوَّز أن تكون الباءُ ساكنة فى الأَصل ولكنْ حرِّكت بالكسر للضرورة . وعلى هذا لا يلغز . انتهى كلامه .

قال الشُّمُنِّى : وقد سُبِق الدَّمامينىُّ إلى اللغز فى ذلك بأَبى سعيد فرج ، المعروف بابن لُبٍّ النحوى الأَندلسى (فى منظُومته النُّونية ، فى الأَلغاز النحوية) فقال :

ما فاعلٌ بالفعل لكنْ جرُّه مَع السُّكون فيه ثابتانِ

وفى شرحها : يعنى الصِّنَبِر من قول طرفة . ا هـ .

وقوله : « كالجوابِى لاتَنى » إلخ الجوابى : جمع جابية ، وهو الحوض العظيم يُجبَى فيه الماءُ ، أى يُجْمَع. شبَّه الجفان بها فى سَعتها وعِظَمها . والمترعة : المملوءة . وقوله لا تنى : أى لا تفتر ولا تزال . والقِرى : القيام بالضَّيف . والمُحتَضِر : النَّازل على الماء ، اسم فاعل من احتَضَر . والمحاضر : المياه ، واحدها مَحضرَ كجعفَر . يقول : لا تزال جفاننا مترعةً لمن جاءنا ضيفًا أو لمن كان حاضراً معنا نازلاً على مائنا .

وقوله : « ولقد تعلم بكر » إلخ ، الجُزُر : جمع جَزور . والمساميح : الأَسْخِيَاءُ . واليُسُر : الداخلون فى اليَسْر . يريد : تفضُل آراؤُنا وسياستُنا

رأْى غيرنا ، ولا نخِفُّ عند الرَّوع بل نثبُت ونتوقَّر . وقوله : « ويُبِرُّون » أَى يَغلبون ويظهرون . على الآبى، أَى الممتنع . أَى نحن نغلب الآبىَ الغالبَ .

وقوله : « فُضُلٌ أَحلامُهم » يقول : إنجهل جارُهم حلمُوا عنه حلماً فاضلا ، ولم يكافِئوهُ على جهله . وقوله : « رُحُبُ الأَذرع » أَى واسعو الصدر [1] بالمعروف . وأُمُر : جمع أَمُورٍ ، وهو الكثير الأَمْر .

وقوله : « ذلُق فى غارة » أَى مُسرعون إلى الغارةِ متقدِّمون فيها . وأَصله من ذَلِقَ السَّيفُ ، إذا كان يخرُج من غمده . والمسفوحة : المصبوبة ، ويقال هى الكثيرة . والحُماة : جمع حامٍ ، وهو الذى يحمى حريمَه وعشيرته .

وقوله : « نمسك الخيل » يقول : نصبر على ارتباطِ الخيل والقيامِ عليها . وقوله : « على مكروهها » أَى نُمْسِكها على شدَّة الزمان وجُوع النَّاس ونؤْثرها على أَنفُسنا . ويحتمل أَن يريد نُمسك الخيلَ على ما نلقاه من شدَّة الحرب وجُهدها ، ولا ننهزم . وإنَّما ذكر مكروه الخيل ، لأَنَّها إذا أَصابها مكروه فى الحرب فهمْ أَجدرُ أَن يصيبَهم . والبيت الذى بعده يدلُّ على هذا التفسير الثانى .

١٠٤

وقوله : « وقد لجَّ الذُّعْر » أَى دام الذُّعر فى القلب واشتدّ . والذُّعر : الفزع ، وحرَّك العين إتباعًا لحركة الذال .

وقوله : « أَيُّها الفِتيان» إلخ جرِّدوا منها وِرادًا ، أَى أَلقوا عَنْها جِلالَها

(١) ش : « الصدور » .

وأسرجوها للِّقاء . وقيل[١] الجريدة من الخيل، وهى التى تُختار فتُجرَّدُ أى تُكْمَش فى مهمٍّ الأُمور . والوِراد : جمع وَرْد . وشُقُر : جمع أشقر ، وحرَّك الثانىَ إتباعاً للأَوّل .

وتقدَّمت ترجمة طرفة بن العبدِ فى الشاهد الثانى والخمسين بعد المائة[٢] .

* * *

وأنشد بعده :

(العاطفونَ تَحين ما من عاطفٍ)

تقدّم شرحه مستوفى عليه الكلام ، فى الشاهد الحادى والثمانين بعد المائتين[٣] :

* * *

وأنشد بعده :

(فَمَضيتُ ثُمّتَ قُلْتُ لا يَعنِينى)

على أنَّ (ثُمَّ) إذا لحقتها التاءُ اختصَّت بعطف قصَّة على قصَّة .

تقدم هذا من الشارح المحقق فى باب المذكر والمؤنث أيضاً . وهو المشهور . وقد وقع فى شعر رُؤبةَ عَطْفُ المفرد بها ، قال :

فإن تكنْ سَوائقُ الحِمامِ[٤] ساقتهمُ للبلدِ الشَّآمِ

فبالسَّلام ثُمَّتَ السَّلامِ

---

(١) ش : « وهى » .

(٢) الخزانة ٢ : ٤١٩ .

(٣) الخزانة ٤ : ١٧٥ — ١٨٢ فى الشاهد ٢٨١ ، وعجزه :

* والمطعمون زمان أين المطعم *

(٤) ملحقات ديوان رؤبة ١٨٣ . وفى ط : « فإن يكن » ، صوابه فى ش والملحقات .

وقبله :

يا هال ذات المنطق التمتام وكفك المخضب البنام

وقول الشارح المحقق: « وقد جوَّزه ابن الأَنبارى ولا أدرى ماصحته »، أقول: تجويزه مأْخوذ من شعر رؤبة . وحينئذ صحَّته واضحة .

والمذكور عجزٌ ، وصدرُه :

(ولقد أمرُّ على اللئيم يسبُّنى)

وتقدم الكلام عليه مراراً ، وأوّلُ ماذكر فى الشاهد الخامس والخمسين[1] .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الستُّون بعد السبعمائة[2] :

٧٦٠ (ماوىَّ يا ربَّتَمـــا غـــارةٍ شَعْواءَ كاللَّذْعةِ بالمِيسَمِ)

على أنَّ التاءَ لحِقَتْ (رُبَّ) للإيذان بأَنَّ مجرورها مؤنَّث، وما زائدة بين ربَّ ومجرورها ، كما قاله الشارح المحقق فى ربَّ من حروف الجر .

والبيت أوَّل أبياتٍ أربعةٍ لضَمْرة بن ضمرة النَّهشلىّ ، أَوردها أبو زيدٍ (فى نوادره) . وبعده :

(ناهبتُهـــا الغُنْمَ على طَيِّـــعٍ أَجـــردَ كالقِدْح من السَّـــاسَمِ
مـــاوىَّ بل لستُ بـــرعديدةٍ أبلخَ وجَّـــادٍ على المُعْـــدمِ
لا وأَلَتْ نفْسُـــكَ خلَّيتهـــا للعـــامريِّينَ ولـــم تُكلَمِ[3])

وماوىَّ : منادًى مرخَّم ماويَّة ، اسم امرأة . ويا فى قوله : (يارُبَّتَما)

---

(١) الخزانة ١ : ٣٥٧ – ٣٥٩ . وانظر معجم الشواهد .

(٢) نوادر أبى زيد ٥٥ والأزهية ٢٧١ وابن الشجرى ٢ : ١٥٣ والإنصاف ١٠٥ وابن يعيش ٨ : ٣١ والعينى ٣ : ٣٣٠ والهمع ٢ : ٣٨ والأشباه والنظائر ٢ : ٨٥ .

(٣) ضبطت كاف : « نفسك » فى النوادر بالكسر ، وكأن الخطاب لماوية المتقدمة الذكر . ولكن البغدادى قد ضبطها فى تفسيره بالفتح ، وجعله دعاء على رجل .

للتنبيه لا للنداءِ : وفى رواية أبى زيد : « ماوىَّ بَلْ ربَّتما » ، قال أبو زيد : الشَّعواءُ : الغارة المنتشرة ، وهى بالعين المهملة . واللَّذعة ، بالذال المعجمة والعين المهملة ، مِن لذعَتْه النَّارُ ، إذا أحرقَتْه .

هذا ما رواه أبو زيد ، قال العينى : وإنما اللَّدغة بالدال المهملة والغين المعجمة : المِكْوَى . ا هـ .

١٠٥ وهذا معارضةُ النَّقل بالرأى. قال أبو زيد : والمِيسم : ما يُوسَم به البعير بالنَّار . وقوله : « ناهبتُها » جواب ربَّ ، أى نهبت بالغارة الغُنْم بالضم ، وهى الغنيمة . والغارة : اسمٌ من أغار القوم إغارة ، أى أسرعوا فى السَّير . وقوله : « على طيِّع » أى فرس طيِّع ، وهو فيعل من الطَّوع ، وهو الانقياد . قال أبو زيد : طيِّع : فرسٌ ليِّن العِنان طَوْعٌ . وأجرد ، بالجيم والراء ، قال أبو زيد : هو قصير الشَّعر[1] . وهو صلبٌ كأنَّه قِدْحٌ من خشب السَّاسَمِ الآبِنوس[2] ، وهو السَّاسَم . والقِدْح بكسر القاف : السَّهم قبل أنْ يراش ويُنصل . والسَّاسم ، بسينين مهملتين مفتوحتين ، قال أبو الحسن الأخفش (فيما كتبه هنا) : وأُنشِدْتُ عن ابن الأعرابىّ : « ناهبتها الغُنْمَ على صُنْتُع » ، وزعم أنَّه الصُّلب الشديد ، وهو بضم الصاد المهملة وسكون النون وضم المثناة من فوق ، بعدها عين مهملة . قال أبو زيد : رجلٌ رِعديد ورعديدة ، إذا كان يُرعَد [عِند[3]] القتال . والأبلخ ،

(١) الذى فى النوادر ٥٦ : « وأجرد قصير الشعرة » ، وقدامى اللغويين يؤثرون « الشعرة » بالتاء على « الشعر » مجرداً منها . وفى اللسان : « والشعرة : الواحد من الشعر ، وقد يكنى بالشعرة عن الجمع ، كما يكنى بالشيبة عن الجنس » .

(٢) الآبنوس بكسر الباء ، كما فى تاج العروس ، وضبطت فى النوادر بضم الباء . والكلمة دخيلة .

(٣) التكملة من ش والنوادر .

بالموحدة والخاء المعجمة ، صفة رِعديدة ، قال أبو زيد : المتكبِّر الفخور .
ووَجَّاد بتشديد الجيم ، صفة ثانية لرعديدة. قال أبو زيد : وجَّاد : كثير الغَضَب ، وهو مبالغةُ فاعلٍ من الوَجْد ، وهو الغضب . ويقال المَوْجِدة أيضاً . والمُعْدِم : الفقير ، وهو اسم فاعل من أعدَم فلانٌ ، إذا افتقر .

وقوله : «لا وأَلَتْ نفسُك» إلخ، هذا دعاءٌ على رجل استأْسَر لأعدائه دون أن يُجَرح . قال أبو زيد: وألت : نجت. والموئل: المَنْجَى. وتُكْلَم : تجرح ، بالبناءِ للمفعول ، من الكَلْم وهو الجرح .

وضمرة بن ضمرة شاعر جاهليٌّ ،تقدَّمت ترجمته فى الشاهد الثامن والثمانين[1] .

* * *

وأنشد بعده :

(يا صاحِبًا رُبّتَ إنسانٍ حَسَنْ يَسأَل عنكَ اليومَ أو يسأَل عَنْ)

على أنَّه جاء مجرور (رُبَّت) مذكَّراً على خلاف القياس .

وقد تقدَّم الكلام عليه ، فى باب المذكر والمؤنث ، فى الشاهد [الواحد و[2]] الخمسين بعد الخمسمائة .

وأنشد بعده :

(والمؤْمِنِ العائذاتِ الطَّيرِ)

على أنَّ (العائذات) كان فى الأَصل صفةً للطَّير فقدِّم عليه وصار الطَّير بدلا من العائذات . والعائذات مفعول به للمؤمن ، والمؤمِن

(١) الخزانة ٢ : ٣٨ — ٤٠ .
(٢) التكلة من ش . وانظر الخزانة ٧ : ٤٢١ — ٤٢٤ .

معطوفٌ على مُقسم به متقدِّم . وقد تقدَّم الكلام عليه فى الشاهد السابع والأربعين بعد الثلثمائة [١] .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الحادى والستون بعد السبعمائة [٢] :

٧٦١ (لَنِعْمَ السَّيِّدانِ وُجِدْتُما)

هو قطعة من بيت ، وهو :

(يمينًا لنِعمَ السَّيِّدانِ وُجِـدْتُما على كلِّ حالٍ من سَحيلٍ ومُبْرَمِ)

على أنَّه قد يدخل الفعلُ الناسخ على المخصوص بالمدح أو الذم ، سواءٌ تقدَّم المخصوص كما فى المثال، أوْ تـأَخَّر كما فى هذا البيت . وأصله لنعم السيدان أنتما ، فدخل عليه الناسخ فصار وُجِدتما ، فضمير التثنية نائب الفاعل لوُجد ، وهو المفعولُ الأَوَّل له . وقوله : « لَنعم السَّيِّدان » جواب القسم ، والقسم وجوابه فى موضع المفعول الثانى لوُجِد .

وكذا إعرابُه على مقتضى مختارِ الشارح المحقِّق فى جعل المخصوص مبتدأً وجملة المدح أو الذمِّ خبره . ١٠٦

و (السَّحيل) بالمهملتين : الخيط الذى لم يُحكَم فَتْلُهْ . و (المبْرَم) الخيط الذى أُحكِمَ فتلُه . وأراد بالأَوَّل الأَمرَ السَّهلَ ، وبالثانى الأَمرَ الشَّديد .

والبيتُ من معلَّقة زهير بن أبى سُلمى ، وقد شرحناه مع أبيات منها فى الشاهد السادس والخمسين بعد المائة من باب الاشتغال [٣] .

---

(١) الخزانة ٥ : ٧١ – ٧٥ . والبيت بتمامه :

والمؤمن العائذات الطير يمسحهـــا ركبـان مكـة بين الغيل والسند

(٢) الهمع ٢ : ٤٢ ، والأشباه والنظائر ٤ : ٢٠٥ .

(٣) الخزانة ٣ : ٣ – ٢٠ .

وقوله : « فيدخلُه عوامل المبتدإ » يشمل باب كان ، وظنَّ ، وإنَّ وأخواتها . والأَوَّلان جائزان ، والثالث لا يجوز ، فإنَّه لا يقال : نعم الرجل إنَّ زيدًا ، فكان ينبغى أن يقول كما قال ابن مالك (فى التسهيل[1]) فى صورة تأخير المخصوص : « أو أوّلَ معمولَىْ فعل ناسخ » ليحترزَ عن إنَّ وأخواتها . ومثال الأَوّل قوله :

لعمرى لئن أُنزِفْتُم أو صحوتُمُ   لبئسَ النَّدامَى كنتم آلَ أَبجَرَا[2]

وتعميم النواسخ إنَّما هو فى صورة تقديم المخصوص ، كقوله :

إنَّ ابنَ عبدِ الله نعـ   ـمَ أخو النَّدى وابن العشيره[3]

وقولِ الآخر[4] :

إذا أَرسلُونى عند تعذير حـــاجةٍ   أُمارس فيها كنت نعمَ الممارسُ[5]

ومثال ظنَّ نحوُ : ظننت زيدًا نعم الرَّجل .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثانى والستون بعد السبعمائة[6] :

٧٦٢ (واللهِ ما ليلِى بنَامَ صاحِبُهْ)

---

(١) التسهيل ١٢٧ .
(٢) استشهد به فى همع الهوامع ٢ : ٨٦ .
(٣) لأبى دهبل الجمحى فى ديوانه ٩٦ . وانظر العينى ٤ : ٣٥ ، والهمع ٢ : ٨٧ ، والأشباه والنظائر ٤ : ٢٠٥ . وابن عبد الله هذا هو المغيرة بن عبد الله بن خالد بن حزام ، كما فى نسب قريش ٢٣٤ . وانظر أيضاً العمدة ٢ : ١٢٤ فى باب السرقات .
(٤) ليزيد بن الطثرية فى ديوانه ٤٥ . وانظر العينى ٤ : ٣٤ والهمع ٢ : ٨٧ والحماسة بشرح المرزوقى ١٧٢٥ .
(٥) رواية الديوان والحماسة : « كنت عين الممارس » ، فلا شاهد فيه على هذه الرواية .
(٦) الخصائص ٢ : ٣٦٦ وابن الشجرى ٢ : ١٤٨ والإنصاف ١١٢ وابن يعيش ٣ : ٦٢ والعينى ٤ : ٣ والهمع ١ : ٦/٢ : ١٢٠ والأشمونى ٣ : ٢٧ واللسان (نوم ٧٦) .

على أنَّ حرف الجر داخلٌ على محذوف ، أى بمقول فيه : نام صاحبه ، فحذف القول وبقى المحكىُّ به .

وذهب صاحبُ اللباب إلى أنَّه من باب حذف الموصوف غير القول، قال : تقديره : بليلٍ نام صاحبُه فيه ، فالجرُّ دخل فى الحقيقة على الموصوف المقدَّرِ لا على الصفة .

وأقول : لا فرق بينهما ، فإنَّ كُلاًّ منهما ضرورةٌ يختصُّ بالشعر . إلاَّ أَنَّ ما ذهب إليه الشارح المحقِّق أقرب إلى القياس ، وهو قول أبى على (فى التذكرة) ، قال فيها : ومن زعَم أنَّ نعم اسمٌ لدخول حرف الجرّ عليه فى قول حسَّان :

أَلستَ بنعم الجارُ يُؤلَفُ بيتُــه ... أخا ثَلَّةٍ أو مُعدِمَ المالِ مُصْرِما[1]

فلا حجَّة له فيه ، لأَنَّه يقدَّر فيه الحكاية ، ويلزمه على هذا أن يكون نام اسماً ، كقوله :

واللهِ ما زيدٌ بِنام صاحبُه ... ولا مخــالط اللَّيَان جانبُه . ا هـ

وكذا قال ابنُ الأَنبارىِّ وابنُ الشجرى، إلاَّ أنَّ روايتهما : « ما ليلى بنام صاحبه » .

ونقل العينىُّ عن ابن سيده(فى المحكم) أنَّ روايته كرواية أبى على. وقال إنَّه قال : قيل إنَّ نام صاحبُه علمُ رجل . وإذا كان كذلك جرى مجرى شابَ قرناها . ثم قال : فإن قلتَ : إنَّ قوله ولا مخالط اللِّيَان جانبُه ليس علما وإنَّما هو صفة ، وهو معطوف على نام صاحبه ، فيجب أن

(١) ديوان حسان ٣٦٩ برواية : « لذى العرف ذا مال كثير ومعدما » . وانظر معجم الشواهد .

يكون قوله : « نام صاحبُه » أَيضاً صفةً . قيل : قد يكون فى الجُمَل إذا سمِّى بها معانى الأَفعال . أَلا ترى أَنَّ شاب قرناها اسمٌ علَم ، وفيه مع ذلك معنى الذَّمّ . وإذا كان كذلك جاز أَن يكون قوله « ولا مخالط الليان جانبه » معطوفاً على ما فى قوله نام صاحبه من معنى الفِعل . هذا كلامه .

١٠٧ قال شارح اللباب : اللِّيان بالكسر : الملاينة . وبالفتح : مصدر لان بمعنى اللِّين . يقال هو فى لَيَان من العيش ، أى فى نعيم وخفض . ا هـ.

وروى صدره :(عَمْرُكَ ما ليلى) إلخ فيكون عمرك مبتدأً خبره محذوف ، أى قسمى . وجملة ما ليلى إلخ جواب القسم ، وزيدت الباءُ فى خبر ما .

والبيت مع كثرة دورانِه فى كتب النحو غير معلومٍ قائلُه . والله أعلم به .

* * *

وأنشد بعده :

(يمينًا لِنعم السَّيِّدانِ وُجِدتما على كلِّ حالٍ من سَحيلٍ ومُبْرَمِ)

تقدَّم شرحه قريباً[١] .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثالث والستون بعد السبعمائة[٢] :

٧٦٣ (أبو مُوسى فجدُّكَ نِعمَ جَدًّا وشَيخُ الحيِّ خالكُ نِعْم خالاَ)

على أنَّه قد يكون فاعل نعم ضميرًا مفسَّراً بنكرة ، مع تقدُّم المخصوص بالمدح ، كما هنا . فإِنَّ «أبو موسى» هو المخصوص ، وفاعل نعم ضمير

---

(١) هو الشاهد ٧٦١ فى هذا الجزء .

(٢) ديوان ذى الرمة ٤٤٣ .

فسَّره بقوله جَدًّا . وكذا المصراعُ الثانى ،فإنَّ قوله «شيخ الحيّ» هو المخصوص وخالُك بدلٌ منه ، وفاعل نعم ضمير مفسَّر بقوله خالا .

وأما قوله : «فجدُّك» ،تحريفٌ[1] وقع فى نسخ هذا الشرح ، ولم يتنبَّه له أَحدٌ ، ولا فتَّش ديوان قائله حتَّى يؤخذ الماءُ من مجاريه .

وقد تمحَّل لإعرابه المولى حَسَنٌ الفنارىّ (فى حاشية المطوَّل) ،وهو معذور . قال : قوله فجدك بدلٌ من أَبو موسى ، والأَقرب أَنَّ أَبو موسى مبتدأٌ فجدُّك خبره . والفاءُ زائدةٌ فى الخبر على ما جوَّزه الأَخفش . أَمَّا زيادتها فى البدل فلم أَظفَر به ، والمخصوص بالمدح محذوفٌ على قياس : نعم العبد . وهذا أَولى لشبوعه .

هذا غاية ما تُكلِّف به ،وصوابه : (فحسْبُك) ، كما هو مسطورٌ فى عدّة نسخِ[2] ديوانِ ذى الرمة .

صاحب الشاهد

والبيت من قصيدةٍ طويلة عدّتُها مائة بيت ، مدح بها بلالَ بن أَبى بردة ابن أَبى موسى الأَشعرىّ .

وليس البيتُ للأَخطل كما زعم الشَّارح ، فإِنَّ الأَخطلَ هلك قبلَ ظهور بلال ، فإِنَّ الأَخطل كان من شعراءِ معاويةَ بنِ أَبى سفيان ، وبلال كان فى زمن عمرَ بنِ عبد العزيز .

والبيت موجودٌ فى قصيدةٍ من شعر ذى الرُّمَّةِ . وغالب شعرِ ذىالرُّمَّة فى مدح بلال . وقبله :

---

(١) كذا بإهمال فاء الجواب فى النسختين .
(٢) كذا فى النسختين بالإضافة .

أبيات الشاهد

(بنَىَ لكَ أَهلُ بيتِك يا ابن قَيسٍ ... وأَنت تَزيدُهمْ شـرفاً جُـلالا
مـكارمَ ليس يُحصيهنَّ مـدحٌ ... ولا كذبًا أَقـولُ ولا انتحـالا
أَبو مـوسى فحسْبُك نِعم جَـدًّا ... وشيخُ الركب خـالُك نِعْمَ خالا
كأَنَّ النَّـاسَ حينَ تمـرُّ حتَّى ... عـواتقَ لم تكن تَـدَعُ الحِجالا
قيـاماً ينظـرون إلى بِـلالٍ ... رِفاقُ الحجِّ أبصـرَتِ الهـلالا
فقـد رفـعَ الإِلهُ بـكلِّ أُفْقٍ ... لضـوئك يا بلالُ سَنًـا طُوَالا
كضَـوءِ الشمس ليس به خفاءٌ ... وأُعطِيتَ المهـابةَ والجمـالاَ)

والجُلال ، بضم الجيم : الجليل . ومكارمَ مفعول بَنَى لك .

وقوله : (أَبو موسى فحسبُك) إلخ هو أَبو موسى الأَشعرىُّ الصحابى . وقوله : (فحسبك) الفاءُ فى فحسب زائدة لازمة . وحسب : اسمٌ بمعنى ليَكْفِ ، كما قال الشارح المحقق فى باب الإضافة ، مرفوعٌ بالابتداء ، وخبره محذوفٌ تقديره : هذا النسب ، أَو هذا المدح . والجملة اعتراضيَّة بين المبتدإِ والخبر . وقوله (وشيخ الركب) أَى القافلة . وروى بدله : (وزاد الركب) ، ومعناه أَنَّه لا يدَعُ أَحدًا من الرَّكب يحمل زادَ السُّفرة [1] ، بل هو يُجرِى النَّفقاتِ على جميع مَن صَحِبَه فى السَّفَر .

١٠٨

ومدحه فى هذا البيت بشَرف النَّسَبينِ : نسبِ الأَبِ ونسَبِ الأُمّ .

وقوله : « كأَنَّ النَّاسَ » إلخ خبر كأَنَّ قوله : «رفاقُ الحج» فى البيت بعده . وحتّى حرف جرٍّ غاية للنَّاس ، وما بعدها داخل فى المغيَّا . وعواتقَ مجرور بالفتحة ، جمع عاتق ، وهى البنت التى أدركت فى بيت أَبوَيْها

(١) كذا فى النسختين ، والسفرة ، بالضم : طعام المسافر ، وأكثر ما يحمل فى جلد مستدير ، فنقل اسم الطعام إلى هذا الجلد الذى يبسط ويؤكل عليه .

ولم تكن متزوِّجة . والحِجال : جمع حجلة بالتحريك، وهو بيتها الذى تلازمه ولا تخرجُ منه . وقياماً منصوب على الحال . أَراد : كأَنَّ النَاسَ فى حالِ قيامهم حين يمرُّ بلال ، رفاقُ الحج إذا نظروا إلى الهلال . والسَّنا ، بالقصر : الضوء . والطُّوال : مبالغة الطَّويل .

وفى هذه القصيدة أَبياتٌ أُخر شواهدُ ، منها :

(وميّةُ أَحسنُ الثَّقَلينِ جِيدًا وســالفةً وأَحسنُهم قَذَالا)

والقَذَال : ما بين الأُذن والنُّقرة ، وهما قذالان . ومنها :

(سمعتُ النَّاسُ ينتجعون غَيثاً فقلتُ لصَيْدَحَ انتجِعِى بِلالا)

وتقدَّم شرحه فى أَفعال القلوب[1] .

وقد تقدمت ترجمةُ بلال هذا فى الشاهد الستين بعد المائة[2] . وترجمة ذى الرمة فى الشاهد الثامن من أَول الكتاب[3] .

* * *

وأَنشده بعده :

(ويُلمِّها رَوحةً[4])

هو قطعة من بيت ، وهو :

(وَيْلُمِّها روحةً والرِّيحُ مُعْصِفةٌ والغيثُ مُرتجِزٌ والليلُ مقتربُ[5])

(١) فى الشاهد ٧١٩ من هذا الجزء التاسع .
(٢) الخزانة ٣ : ٣٥ .
(٣) الخزانة ١ : ١٠٦ .
(٤) ط : « دوحة » ، صوابه فى ش مع أثر تصحيح .
(٥) ط : « ويلمها دوحة » ، صوابه فى ش مع أثر تصحيح .

وتقدَّمَ شرحه فى الشاهد الحادى عشر بعد المائتين[١] .

* * *

وأنشد بعده :

(فيالكَ مِن ليــلٍ)

هذا أيضاً قطعةٌ من بيت ، وهو :

(فيالَكَ من ليــلٍ كأَنَّ نُجومَه
بكلِّ مُغارِ الفَتْل شُدَّت بِيَــذْبُلِ)

وتقدم أيضاً شرحُه فى الشاهد العاشر بعد المائتين[٢] .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الرابع والستون بعد السبعمائة[٣] :

٧٦٤ (تزَوَّدْ مِثلَ زادِ أَبِيكَ فِينا فنِعم الزَّادُ زادُ أَبيكَ زادا)

على أَنَّه قد يجىءُ بعد الفاعل الظاهر تمييزٌ للتَّوكيد .

قال ابن يعيش : اختلف الأَئمة فى هذه المسأَلة ، فمنع سيبويه والسِّيرافى وابنُ السَّرَّاج ذلك ، وأَجازه المبرِّد وأَبو على . واحتجَّ سيبويه بأَنَّ المقصود من المرفوع والمنصوب الدَّلالةُ على الجنس ، وأَحدُهما كافٍ عن الآخَر . وأَيضاً فإِنَّ ذلك ربَّما أَوهمَ أَنَّ الفعل الواحدَ له فاعلان ، وذلك إِنْ رفعتَ اسم الجنس بأَنَّه فاعل . وإذا نصبتَ النَّكرة بعد ذلك آذنَتْ بأَنَّ الفعل فيه ضمير فاعل ، لأَنَّ النكرة المنصوبة لا تأْتى إلاَّ كذلك .

---

(١) الخزانة ٣ : ٢٧٣ — ٢٧٩ .

(٢) الخزانة ٣ : ٢٦٩ — ٢٧٣ .

(٣) المقتضب ٢ : ١٥٠ والخصائص ١ : ٨٣ ، ٣٩٦ وابن يعيش ٧ : ١٣٢ والمقرب ١ : ٦٩ والتسهيل ١٠٩ والمغنى ٤٦٣ والعينى ٤ : ٣٠ والأشمونى ٢ : ٢٠٣ / ٣ : ٣٤٠ وديوان جرير ١٣٥ .

وحجَّة المبرِّد فى الجوازِ الغلوُّ فى البيان والتأكيد ، والأوَّل أظهر . وأمَّا بيت جرير ، وهو : ١٠٩

تزوَّدْ مثل زادِ أبيك .... إلخ

فإنَّ المبرد أنشده شاهدًا على ما ادَّعى من جواز ذلك. فإنْ رفع الزاد المعرَّف باللام بأنَّه فاعل نِعْم ، وزاد أبيك هو المخصوص بالمدح، وزادًا تمييزٌ وتفسير ، فالقولُ عليه أنَّا لا نسلِّم أنَّ زادًا منصوب بنعم ، وإنَّما هو مفعول به بتزوَّد . والتقدير : تزود زادًا مثلَ زاد أبيك فينا ، فلمَّا قدَّم صفتَه عليه نصبَها على الحال . ويجوز أن يكون مصدراً مؤكِّدًا محذوفَ الزوائد ، والتقدير : تزوَّدْ مثل زاد أبيك فينا تزوُّداً . ويجوز أن يكون تمييزًا لمثل ، كما يقال ما رأيت مثلَه رجلاً . وعلى تقدير أن يكون العامل فيه نِعم فإنَّ ذلك من ضرورة الشعر ، ولا يُجعَل قياساً . ومثله قولُ الآخر[1] :

ذرينى أصطبِحْ يا بكرَ إنِّى رأيتُ الموتَ نقَّبَ عن هِشام[2]

تخيَّرَه ولم يَعدِلْ سِواه ونعم المرءُ من رجلٍ تِهَامى

فقوله : « من رجل » كقوله رجلاً ، لأنَّ مِنْ تدخل على التمييز . وذلك كلُّه من ضرورة الشِّعر .

وقال ابن جنى (فى الخصائص) : إنَّ الرجل من [نحو] قولِهم : نعم الرجل زيد ، غير المضمر فى نعم إذا قلت نعم رجلاً زيد[3] لأنَّ المضمر

(١) هو بجير بن عبد الله القشيرى ، كما فى الاشتقاق ١٠١ . وانظر معجم شواهد العربية .

(٢) فى الدرر اللوامع ٢ : ١١٣ : « فدعنى أصطبح يا بكر » ، وفى الكامل ٣١٤ : « ذرينى أصطبح يا سلم » .

(٣) كلمة : « نحو » السابقة ساقطة من ط ، وإثباتها من ش والخصائص ١ : ٣٩٥ . كما أن كلمة « زيد » هذه ساقطة من ش ، وإثباتها من ط والخصائص .

على شريطة التفسير لا يَظهر ولا يُستعمَل ملفوظًا به . ولذلك قال سيبويه هذا باب مالا يعمل فى المعروف[١] إلاَّ مضمراً ، أى إذا فسِّر بالنكرة ، نحو : نعم رجلًا زيد ، فإنَّه لا يظهر أبدًا . وإذا كان كذلك علِمْتَ زيادة الزَّاد فى قول جرير :

تزوّد مثل زاد أبيك فينـــا . . . . البيت

وذلك أَنَّ فاعل نعم مظهَر فلا حاجة به إلى أَنْ يفسَّر .فهذا يُسقط اعتراضَ المبرد على صاحب الكتاب فى هذا الموضع . اهـ .

وهذا جوابٌ خامس .

وقال المرادىّ (فى شرح التسهيل[٢]) : منع سيبويه الجمعَ بين التمييز والفاعل الظاهر ، وأَجاز ذلك المبرِّد والفارسى . قال المصنف : وهو الصحيح . اهـ . وبالجواز قال ابن السَّرَّاج . وفصَّل بعضهم فقال : إن أَفاد التمييزُ معنًى لا يفيدُهُ الفاعل جاز ، نحو : نعم الرجل رجلاً فارسًا زيد ، وإلاَّ فلا . قال المصنِّف : والحامل لسيبويه على المنع كونُ التمييز فى الأَصل مَسُوقًا لدفع الإِبهام ، والإِبهامُ إذا ظهر الفاعلُ زائلٌ ، فلا حاجةَ إلى التمييز . وهذا الاعتبار يلزم منه منعُ التمييز فى كلِّ ما لا إِبْهام فيه كقولك : عندى من الدراهم عشرون درهَمًا . ومثل هذا جائزٌ بلا خلاف.اهـ.

وما ذكره من أَنَّ الحامل لسيبويه ما ذكر ليس هو فى كتابه . وفرقٌ بين نعم رجلٌ رجلًا زيد، وبين : له من الدراهم عشرون درهماً ونحوِه، بأَنَّ عشرين وأَمثالَها محتاجةٌ إلى التمييز فى الأَصل ، بخلاف نعم الرجل

---

(١) فى النسختين : « المعرف » ، وأثبت ما فى الخصائص وسيبويه ١ : ٣٠٠ .

(٢) الملحوظ أن هذا النقل نقل طويل سيستمر إلى س ١٦ من ص ٣٩٨ .

زيد . والتمييز مَبناهُ على التَّبيين ، ثم يعرض له فى بعض المواضع أنْ يقترن بالكلام ما يُغنِى عنه ، فيصير مؤكِّداً . وقد تأوَّل الفارسىُّ كلامَ سيبويه على أنَّ معناه لا يكون الفاعل ظاهراً حيث يلزم التمييز ، بل الفاعل فى حال لزوم التمييز مضمرٌ لا غير ، وأما مع الظاهر فلا يكون لازماً . وفيه بُعدٌ . واستدلَّ المصنِّف على الجواز بالقياس والسماع . أمَّا القياس فقال بعد التمثيل بـ « لَهُ من الدراهم عشرون درهما » وبقوله تعالى : ﴿ إنَّ عِدَّةَ الشُّهورِ عِنْدَ اللهِ اثنا عَشَر شهراً[1] ﴾ وقوله تعالى : ﴿ واختارَ مُوسى قَومَهُ سَبعِينَ رجلا[2] ﴾ وقوله تعالى : ﴿ فتَمّ ميقاتُ ربِّه أربَعِين لَيلة[3] ﴾ وقوله تعالى : ﴿ فهى كالحجارةِ أو أشدُّ قَسوة[4] ﴾ . فكما حكم بالجواز فى مثل هذا ، وجعل سببَ الجواز التوكيدَ ، لا رفعَ الإبهام ، فكذلك يفعل فى نحو : نعم الرجلُ رجلاً . ولا يُمنع ، لأنَّ تخصيصَه بالمنع كحكمٍ بلا دليل . هذا لو لم تستعمله العربُ ، فكيف وقد استعملته . اهـ .

١١٠

وقد تقدَّم ما فرَّقَ به بين ما ذكرته من التمثيل ، وبين نعم الرجل.

قال : ومن ورود التمييز للتوكيد لا لرفع الإبهام قولُ أبى طالب :

ولقد علِمْتُ بأنَّ دينَ محمدٍ مِن خيرِ أديانِ البرِيَّة دينا[5]

وقول الآخر :

فأمَّا التى خيرُها يرتجى فأجود جوداً من اللأَّفِظَه[6] اهـ

---

(١) الآية ٥٥ من سورة الأعراف .

(٢) الآية ١٥٥ من سورة الأعراف .

(٣) الآية ١٤٢ من سورة الأعراف .

(٤) الآية ٧٤ من سورة البقرة .

(٥) التسهيل ١٠٩ والعينى ٤ : ٨ والتصريح ٢ : ٩٦ وديوان أبى طالب الورقة ٤ .

(٦) البيت لطرفة كما فى العينى ١ : ٥٧٢ . وانظر الأشباه والنظائر ٣ : ٢٨٠ . ولم يرد البيت فى ديوانه .

ولا يتـأَتّى ذلك الفرقُ هنا . وأَما السَّماع فقول جرير :

والتغلبيون بئس الفحلُ فحلُهم فحـلًا وأُمُّهم زلَّاءُ مِنْطيقُ[1]

وقول جرير أيضاً :

تزوَّدْ مثلَ زادِ أبيك . . . . البيت

وأنشد غيرُ المصنِّف :

نعم الفتاةُ فتاةً هندُ لو بذلَتْ رَدَّ التَّحيَّةِ نطقًا أَو بإِيمـاءِ[2]

وحُكى من كلام العرب : « نِعم القتيلُ قتيلاً أَصلح بين بكر وتغلب[3] » . وهذا واردٌ فى الاختيار .

وقد تـأَوَّلَ المانعون السَّماع . أَمَّا فحلا وفتاةً فعلى الحال المؤكِّدة . وأَمّا زادًا فعلى أَنَّه مصدر محذوف الزوائد منصوبٌ بتزوَّدْ . وقد حَكى الفرَّاءُ استعمالَه مصدرًا . أَو على أَنَّه مفعول به ، ومثلَ منصوب على الحال ، لأَنَّه لو تـأَخَّر لكان صفة . وقال أَبو حيَّان : وعندى تـأْويلٌ غير ما ذكرُوه ، وهو أَقرب . وذلك أَنْ يُدَّعَى أَنَّ فى نعم وبئس ضميراً ، وفحلاً وفتاةً وزادًا تمييز لذلك الضَّمير ، وتـأَخَّر عن المخصوص على جهة النُّدور. فالفحل والفتاة والزاد هى المخصوصة، وفحلهم وزاد أَبيك أَبدالٌ من المرفوع قبلها .

هذا ما أَورده المرادىّ ، ولفوائده سُقناه برُمَّته .

---

(١) ديوان جرير ٣٩٥ . وهو من شواهد التصريح ٢ : ٩٦ والهمع ٢ : ٨٦ والأشمونى ٣ : ٣٤ . وفى ش : « نعم الفحل فحلهم » . وفى حواشيها : « كذا بخط المؤلف ، والصواب بئس » .

(٢) العينى ٤ : ٣٢ والهمع ٢ : ٨٦ والتصريح ٢ : ٩٥ والأشمونى ٣ : ٣٤/٤ : ٢٠٣ .

(٣) هو من قول الحارث بن عباد ، يوم قضة ، حين قتل ابنه بجير ، وقيل إن بجيراً ابن أخيه . انظر أمالى القالى ٣ : ٢٦ والأغانى ٤ : ١٤٤ . ويروى : « نعم الغلام غلام » .

صاحب الشاهد

والبيت من قصيدة لجرير مدحَ بها عُمر بنَ عَبدِ العزيز ، منها :

أبيات الشاهد

(وسُدتَ النَّاسَ قبلَ سِنينَ عشْرٍ
كذاك أبوك قَبْل العَشْرِ سادا
وثبَّتَّ الفُروعَ فهن خُضرٌ
ولو لم تُحْيِ أَصلَهُمْ لبادا[١]
تزوَّد مثل زاد أبيك فينا .... البيت
فما كعبُ بنُ مامة وابنُ سُعْدَى
بأَجوَدَ منك يا عُمَرَ الجوادا
وتَبنِى المجدَ يا عُمَرَ بنَ ليلى
وتكفِى المُمْحِلَ السَّنَةَ الجَمادا[٢]
يَعودُ الحلم منك على قُريشٍ
وتُفْرِج عنهم الكُرَبَ الشِّدادا
وتدعو الله مجتهدًا ليرضَى
وتذكر فى رَعِيَّتِك المَعادا)

وباد : هلك . وأَتْبَعَ الجواد لموضع عمر ، وهو من شواهد المنادى .

كعب بن مامة

وكعبٌ هو ابن مامة الإيادىّ، أَحدُ أَجْوادِ العرب. قال الواحدىّ (فى

(١) هذا البيت وسابقه لم يردا فى ديوان جرير من قصيدته ١٣٤ - ١٣٧ .

(٢) نسبه إلى أم أبيه عبد العزيز بن مروان . وفى ليلى هذه يقول ابن قيس الرقيات (ديوانه ١٥٢ ، والطبرى ٦ : ١٤٥) :

أعنى ابن ليلى عبد العزيز ببابلـ ـيون تغدو جفانه رذما

أما والدة عمر بن عبد العزيز فهى أم عاصم بنت عاصم بن عمر بن الخطاب . الطبرى ٦ : ٥٦٦ والجمهرة ١٠٥ والتنبيه والإشراف ٢٧٦ .

أَمثاله) : كان كعبٌ فيما يقال ، أَجودَ من حاتم الطائى . حُكى أَنَّه خرج فى رَكْب وفيهم رجلٌ من النَّمر بن قاسطٍ ، فى القيظ ، فضلُّوا فتصافَنُوا الماءَ بالمَقْلة ، فقعد أَصحابُ كعب لِشُرب الماءِ [1] ، فلما دار القَعْبُ إلى كعب أَبصر النَّمرىَّ يحدِّدُ [2] النظَر إليه ، فآثره كعبٌ بمائه وقال للساقى : « اسقِ أَخاكَ النَّمرىَّ يَصطبِحْ » فذهبت مثلاً . فشربَ النمرىُّ نصيبَ كعب ذلك اليومَ ، ثم نزلوا من الغَدِ منزلاً آخَر فتصافنوا بقيَّة مائهم ، فنظر النمرىُّ إلى كعبٍ كنظره بالأَمس ، ففعل كعبٌ فَعلْتَه بالأَمس ، وارتحل القوم وقالوا : يا كعبُ ارتحل . فلم يكن به قُوَّةُ النُّهوض ، وكانوا قد قَرُبوا من الماءِ ، فقيل : رِدْ كعبُ إنَّك ورَّاد . فعجز عن الإصابة ، فلمَّا يئسوا منه خيَّلوا عليه بثوبٍ يمنعُه من السِّباع ، وتركوه فمات ، فقال أَبوه يبكيه :

١١١

أَوفَى على الماءِ كعبٌ ثم قيل له ... رِدْ كعبُ إنَّك ورَّادٌ فما وَرَدَا

قال : وكان من جوده أنَّه إذا مات جارٌ أَدَّى ديتَه إلى أَهله . وإنْ هلك لجاره بعيرٌ أَو شاة أَخلفه عليه [3] ، فجاوره أَبو دُواد الإيادىُّ فعامله بذلك ، فصارت العرب إذا حَمِدَتْ مستجاراً به لحُسْن جِواره قالوا : « كجار أَبى دُوَاد » . ومنه قول قيس بن زهير :

سأَفعلُ ما بدا لى ثم آوِى ... إلى جارٍ كجـارِ أَبى دُوادِ اهـ

قال المبرد (فى الكامل) : والتصافُن : أَن يُطرح فى الإِناءِ حَجرٌ ثم يُصبَّ فيه من الماءِ ما يغمُره لئلاَّ يتغابنوا [4] . والمَقْلة : اسمُ ذلك الحَجر.

---

(١) ط : « ليشرب الماء » ، صوابه فى ش .

(٢) ط : « يحرد النظر » ، صوابه فى ش .

(٣) ط : « أخلفهما عليه » .

(٤) من الغبن ، وأصله فى البيع أن يغلبه وينقصه ، والمراد أن يظلم بعضهم بعضاً فى القسم .

أوس بن حارثة

وابن سُعدى هو (كما فى كامل المبرد) : أَوْسُ بن حارثةَ بن لأْم الطائى . وكان سيِّدًا مقدَّماً ، فوفد هو وحاتمُ بن عبد الله الطائىُّ على عمرو بن هند ، وأبوه المنذر بن المنذر بن ماء السماء ، فدعا أَوساً فقال : أنت أَفضلُ أَم حاتم ؟ فقال : أَبيتَ اللعن لو مَلَكنى حاتمٌ وولدِى ولُحمتِى لوهَبَنا فى غداة واحدة . ثم دعا حاتماً فقال : أَنت أَفضلُ أَم أَوس ؟ فقال : أَبيتَ اللَّعْنَ ، إنَّما ذُكرت بأَوسٍ ، ولَأَحَدُ ولدِه أَفضَلُ منِّى . وكان النُّعمانُ بن المنذر دعا بِحُلَّة وعنده وفودُ العرب من كلِّ حيّ ، فقال : احضرُوا فى غدٍ فإِنِّى مُلْبِسٌ هذه الحُلَّةَ أَكرمَكم . فحضر القومُ جميعاً إلا أَوساً ، فقيل له : لِمَ تتخلَّف[1] ؟ فقال : إن كان المراد غيرى فأَجمَلُ الأَشياءُ أَن لا أَكون حاضرًا ، وإن كنت المرادَ فسأُطلَبُ ويُعرَف مكانى . فلمَّا جلس النُّعمان لم يرَ أَوساً فقال : اذهبوا إلى أَوس فقولوا له : احضُر آمناً ممَّا خِفت . فحضَرَ فأَلبسه الحُلَّة ، فحسَده قومٌ من أَهله فقالوا للحطيئة : اهجُه ولك ثلثمائةِ ناقة . فقال الحطيئة : كيف أَهجو رجلاً لا أَرى فى بيتِى أَثاثاً ولا مالاً إلاَّ من عنده ؟ ! ثم قال :

كيفَ الهجاءُ وما تنفكُّ صالحةٌ
من آلِ لَأْمٍ بظهر الغَيب تَأْتينِى

فقال لهم بِشرُ بن أَبى خازم ، أَحد بنى أَسد بن خزيمة : أَنا أَهجوهُ لكم . فأَخذ الإبلَ وفعل ، فأَغار أَوسٌ عليها فاكتسحها ، فجعل لايستجير حيًّا إلاَّ قال : قد أَجرتك إلاَّ من أَوس . وكان فى هجائه قد ذكر أُمَّه ، فأُتِيَ به فدخل أَوسٌ على أُمِّه فقال : قد أُتِينا ببشر الهاجى لكِ ولى .

---

(١) الذى فى الكامل ١٣٣ : « لم تخلفت » .

قالت : أَوَ تُطيعني ؟ قال : نعم . قالت : أرى أنْ تردَّ عليه مالَه وتعفُوَ عنه وتحبُوَه ، وأفعلُ مثلَ ذلك ، فإنّه لا يغسِل هجاءَه إلاَّ مَدْحُه . فخرج فقال : إنَّ أمِّي سُعدى التى كنت تهجُوها قد أمرَتْ فيك بكذا وكذا ! فقال : لا جرمَ ، واللهِ لا مَدَحْتُ حتّى أموتَ أحدًا غيرَك . ففيه يقول :

إلى أوسِ بن حارثةَ بن لَأْمٍ ... ليقضىَ حاجتى فيمَنْ قضَاها

فما وَطِئَ الثّرى مثلُ ابنِ سُعدَى ... ولا لَبِسَ النِّعالَ ولا احتذاها

* * *

١١٢ وأنشد بعده :

(أنا ابنُ جَلَا وطَلّاعُ الثنايا)

على أن الموصوف محذوف وصفته جملة فعلية ، وهى (جلا) على أنّه فعل ماض وفاعله ضمير مستتر فيه ، والتقدير : أنا ابن رجل جلا الأُمورَ وكشفَها .

وهذا أحد التخريجين فى البيت ، وقد ذكرناهما مشروحَين فيما لا ينصرف[1] ، وفى النعت[2] .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الخامس والستون بعد السبعمائة[3] :

٧٦٥ (نِعمَ الفَتَى فَجعَتْ به إخوانَه ... يَوم البَقيعِ حَوادِثُ الأيّامِ)

على أنَّ المخصوص بالمدح محذوف ، وهو موصوف بجملةٍ أُقيمت مقامَه ، تقديره : نعم الفتى فتىً فَجَعت به إلخ .

---

(١) الخزانة ١ : ٢٥٨ — ٢٦٠ .
(٢) الخزانة ٥ : ٦٤ — ٦٥ .
(٣) العقد ٢ : ٣١٥ ومعجم المرزبانى ٢٤٥ والحماسة ٨٠٨ بشرح المرزوقى .

قال ابن جنى (فى إعراب الحماسة[١]) : الهاءُ فى به عائدة على موصوف محذوف ، أى نعم الفتى فتًى فجعَتْ به حوادثُ الأيَّام . و(يومَ البقيع) ظرفٌ ، ويجوز أن تنصبه على أنَّه فى المعنى مفعول به ، لأنَّ الفعل فى هذا النحو يُسنَد إلى ظرف الزمان ، نحو قولك : شَفَّنى يومُ كذا ، وسرَّنى وقتُ كذا ، فتنسُب الفِعل إلى ذلك اليومِ والوقت . اهـ .

وقال الطبرسى (فى شرح الحماسة) : جملة فجعَتْ به إلخ صفة فتًى محذوف ، وهو المخصوص بالمدح خصَّصْته حتَّى صار كالمعرفة . والحذفُ فى مثل هذا إنَّما يصلح إذا كان الممدوحُ مشهورَ البيان . ويومَ البقيع ظرفٌ منصوب . وحوادثُ الأيَّام فاعل فجعت . والفجيعة[٢] : الرزيَّة . وفجعَه فجعاً من باب نفع ، فهو مفجوعٌ ، فى مالِه وأهله .

صاحب الشاهد

والبيت أول أبيات ثلاثةٍ لمحمد بن بشيرٍ الخارجى ، أوردها أبو تمَّام (فى باب المراثى من الحماسة) ، وبعده :

أبيات الشاهد

(سَهلُ الفِنَــاء إذا حللت ببــابهِ طَلْقُ اليدَينِ مؤدَّب الخُـدَّامِ
وإذا رأيتَ صــديقَه وشقيقَــه لم تدر أيُّهمــا أخو الأرحامِ[٣])

وقال الطبرسى : سهل الفناء : خبر مبتدإٍ محذوف ، وجعل فناءَهُ سهلاً للزُّوَّار والعُفاة ، وذلك مَثَلٌ[٤] ، لكثرة إحسانه إليهم . وقوله . «مؤدَّب الخدام» تنبيه على اقتدائهم بمولاهم فى تفقُّد الوُرَّاد وإكرامِهم ، والسَّعى

---

(١) إعراب الحماسة الورقة ١١٥ .

(٢) ط : « والفجعة » ، صوابه فى ش .

(٣) فى الحماسة : « شقيقه وصديقه » .

(٤) ط : « ميل » ، صوابه فى ش .

فى أُمورهم . والشقيق من إخوان الولادة . والصديق من إخوان المودّة . يقول : لا يتميَّز صديقُه عن شقيقه فى شُمول تفقُّده لهما وتساويهما فى المجد عنده . وهذا هو الغايةُ فى الكرم .

ومحمد بن بشير الخارجى : شاعرٌ إسلامىٌّ تقدَّمت ترجمته فى الشاهد الثلاثين بعد السبعمائة[1] ، وهو من خارجة عَدْوان: قبيلة . وليس من الخوارج .

ونقل ابنُ خَلِّكان فى ترجمة يزيد بن مَزْيد الشيبانى أَنَّ المرزُبانىَّ ذكر (فى كتاب معجم الشعراءِ) أَنَّ هذه الأَبياتَ لعُمير بن عامر[2] ، مولى يزيد بن مَزْيدٍ الشَّيبانى ، رثَى بها سيِّدَه .

ورأَيت أنا (فى العقد الفريد لابن عبد ربه) هذه الأَبياتَ منسوبةً لإبراهيم بن هرمة[3] . والله أَعلم .

* * *

وأَنشد بعده ، وهو الشاهد السادس والستون بعد السبعمائة[4] :

٧٦٦ (نِعْمَ الفَتَى المُرِّىُّ أَنتَ)

هو قطعةٌ من بيتٍ ، وهو :

(نِعم الفــتَى المُرِّىُّ أَنتَ إِذَا هُمُ
حَضَرُوا لَدَى الحُجُراتِ نارَ المُوقِدِ)

---

(١) الخزانة ٩ : ٢١٦ . وفى ط : « الشاهد السابع والعشرين بعد السبعمائة » ، صوابه فى ش .
(٢) كنيته أبو البلهاء ، كما فى معجم المرزبانى .
(٣) انظر ديوان ابن هرمة ٢٧٩ .
(٤) الأصول لابن السراج ١ : ١٤٢ والمغنى ٥٨٧ والعينى ٤ : ٢١ والأشمونى ٣ : ٣١ وديوان زهير ٢٧٥ .

على أنَّه يجوز وصف فاعل نعم ، فإنَّ المرِّىَّ صفة الفتى لا بدلٌ منه ، خلافاً لابن السرَّاج ، كما بيَّنه الشارح المحقق .

وهذه عبارة أبى بكر بن السَّرَّاج (فى الأَصول) : ولا يجوز توكيد المرفوعِ بنعم . قالوا : وقد جاءَ فى الشِّعر منعوتاً . وأَنشدوا :

نعم الفتى المرّى أنت . . . . البيت

وهذا يجوز أن يكون بدلاً غير نعت ، فكأَنَّه قال : نعم المرىُّ أنت . ا هـ .

وقد نقله أبو على عنه (فى تذكِرته) وأَقرَّه ، قال : قرئ على أَبى بكر من الأُصول : « نعم الفتى المرى أنت » البيت ، قال أبو بكر : حَمَله قومٌ على الصِّفة ، وهو عندنا على البدل ، لأَنَّ وصفه قبيح . قال أَبو على : لأَنَّ فاعل نعم إذا كان ظاهراً فالمقصودُ به الجنس ، وليس بعد الجنس شىءٌ يُلْبِس فيفصَل بينهما . هذا كلامه .

وردَّ عليهما الشارحُ المحقِّق بأَنَّ هذا المنع ليس بشىء ، لِأَنَّ الإِبهام مع مثل هذا التخصيص باقٍ . وهو فى مثل هذا الردِّ والتوجِيهِ تابعٌ لابن جنى ، فإِنَّه قال فى بيت الحماسة ، ليزيد بن قُنَافة :

لعَمْـــرى وما عمرى علىَّ بهَين لبئسَ الفتى المدعوُّ بالليل حاتمُ[(١)]

قال أَصحابنا فى قول الشاعر : « نعم الفتى المرى أنت » إنَّ المرِّىَّ بدلٌ من الفتى ، قالوا : وذاك أَنَّ فاعل نعم وبئس لا يجوز وصفُه ، من حيث كان واقعاً على الجنس ، والجنس أَبعدُ شىء عن الوصف ؛ لفساد

(١) الحماسة ١٤٦٤ بشرح المرزوقى .

معناه ، فلمَّا كان كذلك عدَلوا به عن الوصف إلى البدل . فقياس هذا أن يكون المدعُوُّ بدلاً من الفتى . وأمَّا أنا فأُجِيزُه[١] . وذلك أنْ يكون المدح والتَّفضيلُ إنَّما وقع على أنْ يُفضَّل حاتمٌ على الفتيان المدعوِّين بالليل[٢] ، أى فاق حاتمٌ جميع الفتيان المدعوِّين بالليل ، ولم يرد أن يفضِّله على جميع الفتيان عموماً[٣] . ولو أراد ذلك لما جازت الصفة ، ولكنَّه وصفَ الفتى وفضَّل حاتماً على جميع الفتيان المدعُوِّين بالليل . وكذلك تقول : نعم الرجل الطَّويل زيد ، أى فاق زيدٌ فى الرِّجالِ الطِّوال خاصَّة . وهذا معنًى مع أوَّلِ تأمُّل يصحُّ[٤] . انتهى كلامه .

ولا بأس بإيراد كلام المرادى (فى شرح التسهيل) ، فإنَّ فيه فوائد.

قال بعد قول التسهيل : « ولا يؤكَّد فاعلُها توكيدًا معنوياً باتفاق» ما نصُّه : لأنَّ القصدَ بالتوكيد المعنوى رفعُ توهُّم إرادة المخصوص ممَّا ظاهره العموم ، أو رفعُ توهُّم المجاز ممَّا ظاهره الحقيقة ، وفاعل نعم وبئس فى الغالب بخلاف ذلك ، لأنَّه قائمٌ مقام الجنس إن كان ذا جنس ، أو مؤوَّلٌ بالجامع لأكمل خصال المدح اللائقة بمسمَّاه إن كان فاعل نعم ، وبالجامع[٥] لأكمل خصال الذمّ إن كان فاعل بئس ، والتوكيد المعنوىُّ منافٍ للقَصْدين فاتُّفق على منعه . وعلى القول بأنَّ أل عهديّةٌ فقد يمكن

---

(١) فى إعراب الحماسة الورقة ٢٠٧ : « فأجيز جوازاً حسناً أن يكون المدعو وصفاً للمعنى ».

(٢) الذى فى إعراب الحماسة : « وذلك أن يكون الذم إنما وقع على أن يحط حاتم عن الفتيان المدعوين بالليل » . وبعده : « أى انحط حاتم عن جميع الفتيان عموماً » . وهذا هو الوجه فى تخريج بيت يزيد بن قنافة .

(٣) انظر الحاشية السابقة . ولعل نسخة البغدادى من إعراب الحماسة ناقصة الجودة .

(٤) فى إعراب الحماسة : « يصح ويصح » ، ولعل صوابه « يضح ويصح » الأولى من الوضوح ، والثانية من الصحة .

(٥) ش : « والجامع » .

أن يجوز توكيدُه توكيدًا معنوياً لانتفاء المانع. قال فى الشرح : وأمّا التوكيد اللفظىُّ فلا يمتنع لك أن تقول نعم الرجل الرجل زيد . ا هـ . قيل: وينبغى أن لا يُقْدَم على جواز ذلك إلاَّ بسماع ، لأنَّ باب نعم وبئس له أحكامٌ مغايرة ، وأمَّا النعت فلا ينبغى أن يمتنع على الإطلاق ، بل يمنع إذا قُصد به التخصيص مع إقامة الفاعل مقام الجنس ، لأنَّ تخصيصه حينئذ منافٍ لذلك القَصد . وإذا تُؤوِّل بالجامع لأكمل الخصال فلا مانعَ من نعته حينئذ ، لإمكان أَنْ ينوى فى النَّعت ما يُنوَى فى المنعوت . وعلى هذا يُحملُ قولُ الشاعر :

نعم الفتى المرِّىُّ أنت . . . . البيت

وحمل ابن السَّرَّاج وأبو علىٍّ مثلَ هذا على البدل، وأبَيَا النعت. ولا حجّة لهما . ا هـ . ١١٤

قيل : أمَّا منعُ وصفهِ فهو قولُ الجمهور . وقال بعضهم : لا يجوز عند البصريِّين . ا هـ .

وأجاز أبو الفتح فى بيت الحماسة :

* لبئس الفتى المدعوُّ بالليل حاتم *

أن يكون المدعوُّ وصفاً للفتى . ومقتضى سكوتِ المصنِّف عن البدل والعطف جوازهما . قِيل : وينبغى أن لا يجوز منهما إلّا ما يباشره نعم وبئس . انتهى كلام المرادى .

صاحب الشاهد والبيت من قصيدةٍ لزهير بن أبى سلمى عدَّتها سبعةٌ وعشرون بيتاً ، مدح بها سِنان بن أبى حارثة المرِّىّ ، بدأ بذكر حبيبته سَلمى ، ثم انتقلَ إلى وصف ناقته إلى أن قال :

أبيات الشاهد

(وتَيَمَّمَتْ عُرْضَ الفَلاةِ كأَنَّها غَرّاءَ من قِطَعِ السَّحاب الأَقْهدِ
وإلى سنانٍ سيرُها ووشيجُها حَتَّى تلاقيَه بطَلْق الأَسْعُدِ
نعم الفَتى المرِّىُّ أنت إذا هُمُ حَضَروا لدَى الحُجُرات نارَ المُوقدِ
خَلِطٌ أَلوفٌ للجميع ببيتِه إذْ لايحُلُّ بِحَيْزة المتوحِّدِ
يَسِطُ البُيوتَ لكى يكونَ مَظِنَّةً من حيثُ توضع جَفنةُ المُسترفَدِ)

قوله : « وتيمَّمَتْ عُرض الفلاة » الخ تيمَّمتْ : قصدت ، وفاعله ضمير الناقة . والعُرْض بالضم : الجانب . والغَرّاءُ : البيضاءُ . والأَقهد : الأَبيض من كلِّ شىءٍ . أى كأَنَّ الناقةَ سحابةٌ بيضاءُ فى سُرعتها . والسَّحابة البيضاءُ أَخفُّ وأَسرع ذهابًا ، لقلَّة مائها .

وقوله : « إلى سنانٍ سَيرُها » هو سنان بن أَبى حارثة بن مُرّة بن نُشْبة بن غَيظ بن مُرّة بن عوف بن سعد بن ذبيان . وكان زهيرٌ مادحًا لسنان هذا ولابنه هرِم بن سنان المرِّىّ الذبيانىِّ ، وغالبُ مدحِهِ فى ابنه هرم. ووشيجها بالشينِ المعجمة والجيم، قال شارح ديوانه صَعُوداءُ: الوَشيج : سيرٌ خفيفٌ، هو أَلين سير الإبل[(١)] ، وسير النجائب. وطَلْق : سَلِيم من كلِّ سوءٍ ومكروه ، يقال يومٌ طلقٌ وليلة طلقة : ليس فيها حَرٌّ ولا بردٌ ولا مكروه . والأَسْعُد : جمع سَعدِ النجوم .

وقوله : « نعم الفتى المرِّىُّ » ، منسوبٌ إلى مرّة أَحد أَجداده القريب أَو البعيد . وأَنت هو المخصوص بالمدح . وإذا ظرفيّة، وهمْ فاعلٌ لفعل محذوف يفسِّره ما بعدَه ، كقوله تعالى : ﴿ إذا السَّماءُ انشقَّتْ[(٢)] ﴾ . وهم

(١) رواية الديوان : « ووسيجها » بالسين المهملة ، وفى شرحه : « الوسيج : ضرب من السير » . وهذا هو الصواب إن شاء الله ، فليس فى المعاجم المتداولة أن « الوشيج » بالشين المعجمة ضرب من السير .

(٢) الآية الأولى من سورة الانشقاق .

ضمير الوفود والضُّيوف . ولدى ظرف متعلِّق بحَضَروا . والحُجُرات بضمتين قال شارحه : هى حجرات الأَضياف . يريد البيوتَ التى تنزل فيها الضُّيوف. ونارَ: مفعول حضروا . والمُوقد : اسم فاعل ، قال شارحه : هو الذى يُوقِد ليستدلَّ الغرباءُ والعُفاة بناره فيأْتونه . يريد أَنَّه أَشدُّ الناس إكراماً لضُيوفه إذا حَضَروا دارَ ضيافته واستدلُّوا عليها بالنار التى يُوقدُها خادِمه ليُقبل عليها مَن رآها . وقال العينى : إذا للمفاجأَة ، وهم مبتدأٌ وحضروا خبره . والحَجَرات : جمع حَجْرة ، وهى شدّة الشتاء . هذا كلامه ، وكأَنه لم يفهم معنى البيت. والحَجَرات بالمعنى الذى ذكره بفتحتين .

وقوله : « خَلِطٌ أَلوف » إلخ خَلِطبكسر اللام ، بمعنى مخالطٍ للناس ومُعاشرهم وله أُلفةٌ بهم فى بيته . والمتوحِّد : المنفرد عن الحىِّ ينزل بعيدًا منهم حتَّى لا يَقصِدَه ضيفٌ . والحَيْزة ، بفتح الحاءِ المهملة .قال شارحه : هو الموضع الذى انحاز إليه لئلاَّ يعرف العفاةُ والضيوفُ موضعَه ، وهذا أَشدُّ شىءٍ تَسُبُّ العربُ به الرَّجل. يقول : سنان يأْلف الحىَّ وينزلبينهم.

١١٥ وقوله : « يَسِطُ البيوت » إلخ هو مضارع وسَطَ وَسْطا . قال الأَصمعى : يسط البيوتَ : ينزل وسَطْها . والمَظِنَّة ، قال شارحه : هو الموضع الذى لا يُشَكُّ فيه . والعرب تقول : اطلب الأَمرَ فى مظانِّه ، أى فى الموضع الذى لا يُشَكُّ[1] . والظنُّ يكون يقيناً ، ومنه قوله تعالى : ﴿ ورأى المُجرِمُون النَّارَ فظَنُّوا أَنَّهم مُواقِعُوها[2] ﴾ فأَىُّ ظنّ يكون بعد المعاينة

---

(١) أى لا يشك فيه ، وفى ش: « تشك » . والمظنة بكسر الظاء ، قال ابن الأثير : « وكان القياس فتح الظاء ، وإنما كسرت لأجل الهاء » . يريد أنه ليس موضعاً عاماً فيجرى على القياس . وانظر شرح الشافية ١ : ١٨٤ — ١٨٥ .

(٢) الآية ٥٢ من سورة الكهف .

وقد أيقنوا ؟ ومنه أيضاً قوله تعالى : ﴿ وظنَّ داودُ أنَّما فَتَنَّاهُ فاسْتَغْفَرَ ربَّهُ وخَرَّ راكعًا وأنابَ [1] ﴾، أى أيقن بما فَتنَّاه وخَرَّ عند اليقين . وهذا كثيرٌ فى كلامهم ومنه قوله تعالى : ﴿ يظُنُّون أنَّهُمْ مُلاقُو ربِّهم [2] ﴾، أى موقنون . والمسترفِد : الذى يطلب الرِّفد، وهو النَّيل والعطاء . والجَفْنة : القَصْعة التى يُطْعَم فيها الطَّعام .

وترجمة زهير تقدَّمت فى الشاهد الثامن والثلاثين بعد المائة [3] .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد السابع والستون بعد السبعمائة [4] :

٧٦٧ (فنِعْمَ مَزْكَأً مَنْ ضاقَتْ مــذاهبُهُ
ونِعْمَ مَنْ هو فى سِــرٍّ وإعــلانِ)

على أنَّ (مَنْ) الثانية موصولة بمعنى الذى ، وقعت فاعلا لنعم عند أبى على والمبرد، وهو مبتدأٌ وخبره محذوفٌ تقديره مثله، والجملة صلة مَنْ ، والمخصوص بالمدح محذوف ، تقديره : بِشْرٌ .

وأما قوله : فى سر وإعلان ، فهو متعلِّق بنعم ، ولا يجوز أن يتعلَّق بمحذوف على أنَّه خبر هُو ، الواقع صلة الموصول ، لما بيَّنه أبو على .

وقد بسط الكلامَ على هذا المصراع فى احتمال وجوهٍ ثلاثة لمَنْ ، فلا بأس بنقل كلامه ، قال (فى كتاب الشعر) : قال الشاعر :

---

(١) الآية ٢٤ من سورة ص .
(٢) الآية ٤٦ من سورة البقرة .
(٣) الخزانة ٢ : ٣٣٢ .
(٤) المغنى ٣٢٩ ، ٤٣٥ ، ٤٣٧ والعينى ١ : ٤٨٧ والهمع ١ : ٢/٩٢ : ٧٦ والأشمونى ١ : ١٥٥ واللسان (زكأ ٨٤) .

(وكيف أَرهَبُ أمراً أو أُراعُ له
وقد زَكأْت إلى بشرِ بنِ مَرْوانِ
فنعمَ مَزْكأً مَنْ ضاقتْ مـذاهبُه
ونِعمَ مَنْ هُو فى سِرٍّ وإعلانِ)

القول فى الظَّرف أنَّه يتعلق بنِعْمَ ، وذلك لأنَّه لا يخلو من أن يكون خبر هو فى الصِّلة ، أو يكون متعلِّقاً بنعم . فلا يجوز أن يكون متعلِّقا بمحذوف على أن يكون فى موضع خبر هو التى فى الصِّلة ، لأنَّ التقدير قبل كون الكلام صلة يكون: هو فى سر وإعلان، وهذا لا معنَى له . فإذَنْ المعنى كَرُمَ هذا الإنسانُ فى سرِّه وعلانيته ، أى ليس ما يفعله من الخير لتصنُّع[1] ، فيفعلُ الخير فى السرِّ كما يفعلُه فى العَلانية . وإذا كان كذلك احتاج « هو » إلى جزءٍ آخر حتَّى تستقلَّ الصلة ، وذلك الجزءُ ينبغى أن يكون الذى هو مثله ، ولا يكون الذى هو هو ، لتكون الصلة شائعة فلا تكون مَنْ مخصوصة ، لأنَّها فاعل نعم . فإن قدَّرت الذى هو هو وأنت تريد الذى هو مثله فتحذف المضاف فيصير الذى هو هو معناه مثلُه جاز أيضًا . وقد يجوز فى القياسِ أن تجعل مَنْ نكرة . فإذا جُعِلَتْ نكرةً احتاجت إلى صفة ، فتكون الجملة التى قدَّرتَها صلة لها مقدَّرة صفة ، ويكون المقصود بالمدح مضمراً ، لأنَّ ذكره قد جرى كما جرى ذكر أيّوب قبل قوله تعالى: ﴿ نِعمَ العَبدُ[2] ﴾ فاستغنى عن ذكر ما يخصُّه بالمدح وإظهارِه . ويجوز فى القياس أن تجعل مَنْ نكرة ولا تجعل له صفة كما فُعل ذلك بما ، فى قوله تعالى : ﴿ فنِعِمَّا هى[3] ﴾ . فإذا جعلتها كذلك

---

(١) لتصنع ، أى بسببه . وكذا وردت باللام فى النسختين .
(٢) الآية ٣٠ من سورة ص .
(٣) الآية ٢٧١ من سورة البقرة .

كان كأنّه قال : فنعم رجلا ، فيكون موضع مَنْ نصباً ويكون هو كناية عن المقصود بالمدح . ووجه القياس فى الحكم على مَنْ أنّها نكرة غير موصوفة أنّهم جعلوا ما بمنزلة شىء ، وهو أشدُّ إشاعةً وإبهاماً مِنْ مَنْ . فإذا جازَ أن لا توصف مع أنّها أشدُّ إبهاماً من مَنْ كان أن لا تُوصَف مَنْ أجوَز ، لأنّها أخصُّ منها ، فيصير كأنّه قال : نعم رجلاً هو ، لأنّها تخصُّ الناس ومَنْ أشبههم ،كما كانت ما تعمُّ الأشياءَ . إلاَّ أنّا لم نَعلمهُم فى الاستعمال تركوا مَنْ بغير صفة كما تركوا ما غيرَ موصوفةٍ فى الخبر ، نحو التعجُّب والآيةِ التى تَلوْناها . انتهى كلام أبى علىّ .

١١٦

وقد نسب ابن هشام (فى المغنى) هذا التّخريجَ الأَخيرَ إلى أبى على ، ونسب الأوّل إلى غيره . قال فى بحث مَنْ ، وفى الباب الثالث : إنّ مَنْ تـأْتى نكرة تامّة عند أبى على ، قاله فى قوله :

* ونعم من هو فى سرٍّ وإعلانِ *

فزعم أنّ الفاعل مستتر ومَنْ تمييز ، وقوله هو مخصوصٌ بالمدح ، فهو مبتدأٌ وخبره ما قبله ، أوْ خبرٌ لمبتدإٍ محذوف . وقال غيره : مَنْ موصولٌ فاعل ، وقوله هو مبتدأٌ خبره هو آخرُ محذوف ، على حدِّ قوله :

* وشعرِى شعرِى[1] *

والظرف متعلّق بالمحذوف لأنَّ فيه معنى الفعل ، أى ونعم مَن هو الثّابت فى حالتَى السرّ والعلانية . قلت : ويحتاج إلى تقدير « هو » ثالثٍ يكون مخصوصاً بالمدح . انتهى .

---

(١) لأبى النجم العجلى ، وهو الشاهد ٧١ فى الخزانة ١ : ٤٣٩ . وتمام الشطر :
* أنا أبو النجم وشعرى شعرى *

وصاحب هذا القول هو ابنُ مالكٍ ، قال (فى شرح الكافية) : هو مبتدأٌ خبره هو آخرُ محذوف ، والتقدير : ونعم من هُوَ هُوَ فى سرٍّ وإعلان. وفى متعلقة بهو المحذوف لأَنَّ فيه معنى الفعل . ا هـ .

وعُرف ضعف تقديره « هو هُوَ » من كلام أَبى علىّ .

وقد ردَّ ابن مالك (فى شرح التسهيل) الوَجهَ الثالث ، قال : لايصحُّ لوجهين : أَحدهما أَنَّ التمييز لا يقع فى الكلام بالاستقراء إلاَّ نكرةً صالحة للأَلف واللام ، ومَنْ بخلاف ذلك ، فلا يجوز كونُها تمييزًا . الثانى : أَنَّ الحكم عليها بالتمييز عند القائِل به مرتَّب على كون مَنْ نكرة غير موصوفة ، وذلك منتفٍ بإجماعٍ فى غير محلٍّ النزاع ، فلا يُصار إليه بلا دليلٍ عليه . فصحَّ القول بأَنَّ مَنْ فى موضعٍ رفع بنعم إذ لا قائلَ بقولٍ ثالث . ا هـ .

ورفعها بِنعْم عنده إنَّما يكون على جعلها موصولةً بمعنى الذى ، لأَنَّه الذى ذكره . وأَما جعلُها نكرة موصوفة بالجملة التى بعدها ، كما هو الوجه الثانى فى كلام أَبى على ، فلا . وهو واردٌ على قوله : « إذْ لا قائل بقولٍ ثالثٍ » فتأَمَّلْ . ويكون هذا من لغة مَن يرفع بنعم النكرة كما يأْتى بعد هذا .

وأَجاب التِّبريزى (فى شرح الكافية) بأَنَّ نحو نعم غلامَ رجل زيد بنصب الغلام ، تمييزٌ . ولم يقبل اللام . وأَيضاً كونه فاعلاً لا يصحُّ إلاَّ إذا كان معرَّفاً باللام ، أَو مضافاً إلى المعرَّف باللام . ومَنْ ليس شيئًا من ذلك .

وأَما الثانى فمعارَضٌ بمثله فى هذه الصُّورة فيما تقدَّم . أَمَّا فى هذه

الصورة إنّما[1] يجوز أن يقع فاعلا إذا كان معرَّفاً باللام أو مضافاً إليه ، وليس كذلك . وأما فى غيرِ هذه الصُّورة إنَّما تقع ما فاعلا معرفةً إذا كان فى غير صورة : ﴿ نِعِمَّا هى﴾ ثبت كونُها معرفةً غير موصولة ، ولا يصار إليه من غير دليل . وأمَّا المصراع الذى قبل هذا وهو :

* ونِعم مَزْكأً مَنْ ضاقت مذاهبُه *

فقد قال ابنُ مالك : إنَّ مَن فيه موصولة أيضاً ، قال (فى شرح تسهيله) : ومما يدلُّ على أنَّ فاعل نعم قد يكون موصولاً ومضافًا إلى موصول قولُ الشاعر :

ونعم مَزكأً مَنْ ضَاقتْ مَذَاهبُه . . . . البيت

قال : فلو لم يكن فى هذا إلَّا إسنادُ نعم إلى المضاف إلى مَنْ لكان فيه حُجَّةٌ على صحة إسنادِ نعم إلى مَن ، لأنَّ فاعل نعم لا يضاف فى غير نُدور إلى ما يصلح إسناد نعم إليه ، فكيف وفيه نعم من هو . ا هـ .

١١٧

قال المرادىّ : ولا حجَّة فى البيت ، لاحتمال أن تكون مَنْ فى قوله : « مزكأً مَنْ » نكرة موصوفة ، وتكون نعم قد رفعت المضافَ إلى النكرة على ما تقدَّم نقلُه عن الأخفش . ا هـ .

وقوله : « وكيف أرهب » إلخ، الرَّهَب محركة : الخوف . وأُراع بالبناء للمفعول ، من الرَّوع وهو الفَزع . وزَكأَ بالزاى المعجمة والهمز فى آخره ، أى لجأ . يقال زكأْتُ إليه : لجأْتُ إليه . والمَزْكأُ مَفْعَل ، اسم مكان منه ، بمعنى الملجأ .

---

(١) كذا بسقوط الفاء فى النسختين فى هذا الموضع و الموضع التالى أيضاً .

وبشر هو ابن مَرْوان بن الحكم بن أَبي العاص بن أُميَّة القرشى العَبْشَمىّ الأَموىّ . كان سمحاً جوادا . ولىَ إمرةَ العراقين لأَخيه عبد الملك وهو أَوَّل أميرٍ مات بالبصرة ، وذلك سنة خمس وسبعين ، عن نيِّف وأربعين سنة .

بشر بن مروان

والبيتان لم أَقف على قائلهما . والله أَعلم .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثامن والستون بعد السبعمائة[1] :

٧٦٨ (فنِعْمَ صــاحبُ قومٍ لا سِلَاح لهُمْ)

على أَن مجىء فاعل نعم نكرةً مضافة إلى مثلها قليل .

قال المرادىّ (فى شرح التسهيل) بعد قول ابن مالك : « وقد ينكَّر مفردًا أو مضافاً[2] » : حكى الأَخفش أَنَّ نَاساً من العرب يرفعون بنعم النكرةَ مفردةً ومضافة ، فيقال على هذا : نعم امرؤٌ زيد ، ونعم صاحبُ قومٍ عَمْرٌو . ووافق الأَخفَش فى كون الفاعل نكرةً مضافة . وإلى هذا ونحوِه أشار بقوله « وفاعل فى الغالب[3] » . ونُقل إجازة كونِه مضافاً إلى نكرة عن الكوفيِّين وابن السَّرَّاج . وَمَنع ذلك عامَّةُ النحويِّين إلاَّ فى الضرورة ، كقوله :

فنعم صــاحبُ قومٍ لا سلاحَ لهمْ
وصــاحبُ الرَّكب عثمان بن عفــانا

(١) ابن يعيش ٧ : ١٣١ والمقرب ١ : ٦٦ والعينى ٤ : ١٧ والهمع ٢ : ٨٦ والأشمونى ٣ : ٢٨ .

(٢) التسهيل ١٢٧ .

(٣) نص التسهيل ١٢٦ : « فاعل نعم وبئس فى الغالب ظاهر معرف بالألف واللام ، أو مضاف إلى المعرف بهما مباشراً أو بواسطة » .. الخ . ثم قال : « وقد ينكر مفرداً أو مضافاً » .

وقد كان يمكن تأويل هذا البيت على حذف التمييز لولا أنَّ الأخفش حكى أنَّ ذلك لغةٌ للعرب . وزعم صاحبُ البسيط[١] أنَّه لم يرد نكرةً غير مضافة . وليس كما زعم ، بل ورد ولكنَّه أقلُّ من المضاف . ومنه قوله[٢] :

وسَلمى أكملُ الثَّقَلين حُسناً   وفى أثوابها قَمَرٌ وريمُ
نِيافُ القُرطِ غَرّاءُ الثَّنايا   ورِيد للنِّساءِ ونعم نِيمُ[٣]

والنِّيم : الضَّجيع والضجيعة[٤] . وأجاز بعضُ النحويِّين أن يكون فاعل نعَم وبئس مضافا إلى ضمير ما فيه الألف واللام ، فأجاز : القومُ نعمَ صاحبُهم أنت . وأنشد :

* فنعمَ أخو الهَيْجا ونِعْمَ شِهابُها[٥] *

قال بعضهم : والصَّحيح المنع . وهذا ممَّا يُحفَظ ولا يقاس عليه . اهـ.

وبقِى فى القسمة النكرة الموصوفة كما تقدَّم فى الشاهد قبل هذا .

وقال أبو على (فى المسائل البصرية) : اعلم أنَّ العرب تجعل ما أضيف[٦] إلى ماليس فيه ألفٌ ولامٌ بمنزلة ما فيه الألف واللام فترفعه ،

(١) هو ركن الدين حسن بن محمد الإستراباذى الحسنى المتوفى سنة ٧١٧ . وفى كشف الظنون أن له ثلاثة شروح على كافية ابن الحاجب : كبير وهو المسمى بالبسيط ، ومتوسط وهو المسمى بالوافية ، وصغير .

(٢) هو تأبط شراً ، كما فى اللسان (نوم ٧٩) . والريم : الرئم ، وهو الظبى الخالص البياض .

(٣) فى النسختين : « تيم » بالتاء . وفى حواشى ش : « كذا بخط المؤلف ، والصواب نيم بالنون » . أما الريد فهى مسهلة الرئد بالهمز ، وهى الترب بكسر التاء . ورئد الرجل كذلك: تربه .

(٤) فى النسختين هنا أيضاً : « التيم » بالتاء تحريف . وفى اللسان : « قيل عنى بالنيم القطيفة ، وقيل عنى به الضجيع » .

(٥) لم يوقف له على قائل ولا على تتمة .

(٦) عبارة : « ما أضيف » ساقطة من ش .

كما ترفع ذلك ، فتقول : نعم أخو قومٍ زيد . قال :

* فنعم صاحبُ قومٍ لا سلاحَ لهم *

١١٨ هو بمنزلة صاحب القوم . فإن قلت : لَعلَّهُ ينشَد بالنصب « صاحبَ قوم » ؟ قلت : لا يكون ذلك لأَنَّك لاتعطف معرفة مرفوعة على نكرةٍ منصوبة . وهذا ضعيف. ولو قلت : نعم رجلاً فى الدار وزيدٌ ، لم يجُزْ لأَنَّه ليس قبل زيد شيءٌ يعطف عليه ، لأَنَّ فى الدار ليس باسم ، ورجلاً نكرة منصوبة . ا ه .

وقال ابن برى (فى [شرح[١]] أبيات الإيضاح لأَبى على) : زعم الأَخفشُ أَنَّ قوماً من العرب يرفعون النكرة المضافة إلى ماليس فيه الأَلف واللام بنعم . قال أَبو على : ولا يجوز ذلك على مذهب سيبويه ، لانَّ المرفوع بنعم لا يكون إلاَّ على الجنس . ولو قلت : أَهلكَ الناسَ شاة وبعيرٌ ، لم يدل على الجنس كما دلَّت عليه الشَّاة والبعير . ولا يجوز صاحبَ قوم بالنَّصب ، لقوْله « وصاحبُ الركب » ، ولا يعطف مرفوع على منصوب . ولا يكون معطوفاً على مضمر فى نعم ، لأَنه مضمر يحتاج إلى التفسير ، فكأَنَّه لم يتمّ ، فلا يجوز إظهارُه ولا تأْكيدُه ولا العطفُ عليه . وإذا قبح العطف على المضمَر المرفوع بالفعل دون تأْكيده فأَن لا يجوز هذا أَولَى ، لمَا بيّنّاه . انتهى كلامه .

قال ابن يعيش : ولو نصبت صاحبَ قوم فى غير هذا البيت على التَّفسير لجاز ، كما تنصب النكرة المفردة فى نحو : نعم رجلاً ، لكنه ضعيف ههنا ، لعطفك فى قولك : « وصاحب الركب عثمان » ، والمرفوع

---

(١) التكملة من ش .

لا يعطف على المنصوب . وكأنَّ الذى حسَّن ذلك فى البيت قوله :« وصاحب الركب» لمَّا عطف عليه ما فيه الألف واللام دَلَّ على أَنَّها فى المعطوف عليه مُرادة ، لأن المعنى واحد فاعرفه . والبيت لكثيِّر بن عبد الله النَّهشلى المعروف بابن الغريرة . وقيل لحسَّان بن ثابت . ا هـ .

وقد راجعتُ ديوان حسان فلم أَجدْه .

وقال العينى : عزاه ابنُ السِّيرافى (فى شرح أَبيات الإيضاح) لكثيِّر ابن عبد الله المذكور .

وقد راجعته أَيضاً فلم أَجده فيه .

وقال أَيضاً : ونسبَه صاحب (المُوعَب فى اللغة[1]) وأَبو حاتم (فى كتاب إصلاح المُفْسَد) إلى أَوس بنَ مَغْراءَ . وقبله :

ضحَّوْا بأَشمَطَ عُنوانُ السُّجودِ به
يقطِّع الليل تسبيحاً وقرآنا

وأَقول : ذكر الذهبى (فى تاريخه) أَنَّ هذا البيت من أَبيات لحسَّان ابن ثابت .

وقد راجعتُ ديوانه فرأَيت أَبياتًا على هذا الوزن ، وما فيها هذا البيت . والله أَعلم .

كثير النهشلى

وكثيِّر بن عبد الله المذكور أَورده ابن حجر (فى قسم المخضْرَمين

---

(١) هو ابن التيانى ، كما فى إقليد الخزانة ١٢٢ . وقال الميمنى : « عثروا عليه ووصفوه فى مجلة لغة العرب سنة ١٣٣٢ هـ . وذكروا أن نسخته فى ١٢٤ ورقة » . وانظر لترجمة ابن التيانى إنباه الرواة بتحقيق الأستاذ أبو الفضل إبراهيم ١ : ٢٥٩ حيث تكفل بذكر مراجع ترجمته ، وأضف إليها جذوة المقتبس ص ١٧٢ . وقد سبق ذكر هذا الكتاب فى الخزانة ٣ : ٣٠١ .

من الإصابة) قال : هو كثيِّر بن عبد الله بن مالك بن هَبيرة بن صَخْر ابن نَهْشل بن دارم بن مالكِ بن حنظلة . يعرف بابن الغَرِيرة النَّهشلى[١] ، ذكره المرزبانى (فى معجم الشعراء) وقال : شاعر مخضرمٌ بقِىَ إلى إمرة الحجَّاج . وهو الذى يقول فى قصيدةٍ رثى بها عثمان بن عفَّان :

لعمرُ أبيــكَ فـلا تجزَعَنْ   لقــد ذهب الخيرُ إلَّا قليــلا
وقد فُتِنَ النــاسُ عن دينِهم   وخَلَّى ابنُ عفَّانَ شرًّا طويلا[٢]

وقال أبو الفرج الأَصبهانى : كان شاعراً مخضرماً ، أَدرك الجاهليَّة والإِسلام ، وغزا الطَّالِقان فى عهد عُمرَ مَع العبَّاس بن مرداسٍ وأخيه . وأَنشد له فى ذلك أبياتًا منها[٣] :

سَقَى مُزنُ السَّحابِ إذا استهلَّت   مَصــارِعَ فِتْيةٍ بالجُــوزَجانِ

١١٩ وقوله: « ضحَّوا » إلخ أى ذبحوه كالأُضْحِيَّة . فى المصباح : وضحَّى تضحية ، إذا ذبح الأُضحيَّة وقتَ الضُّحى . هذا أَصله ثم كثُر حتَّى قيل ضحَّى فى أىّ وقت كان من أيام التَّشريق . ويتعدَّى ، أَى بالحرف . فيقال ضحيَّت بشاة . قال ابن برى : قوله ضَحَّوْا أى جعلوه بدل الأُضحيَّة كأَنَّهم قتلوه فى أيام لحوم الأَضاحى ، وذلك يومَ الجمعة لثمانِ عشرةَ ليلةً خلَتْ من ذى الحجة سنة خمس وثلاثين من الهجرة . انتهى .

والشَّمَطُ بالتحريك : بياضُ الشَّعَر من الرأْسِ يخالط سوادَه ، والرجل أَشمطُ ،والمرأَة شمطاءُ . وشَمِط يَشمَطُ من باب فرح . وعُنوانُ مبتدأٌ بمعنى

(١) الغريرة أمه ، وقيل جدته ، وكانت سبية من بنى تغلب . معجم المرزبانى ٣٤٩ .
(٢) ط : « فتر » ، صوابه فى ش . وفى معجم المرزبانى : « فنى » ، تحريف .
(٣) يرثى بها من قتل من أصحابه بالطالقان والجوزجان . والقصيدة فى عشرين بيتا عند أبى الفرج ١٠ : ٩٢ .

علامة ، وبه خبره ، والجملة صفة أشمط . وقال العينى : عنوان السُّجود حال من ضمير يقطِّع ، ويجوز جرُّه على النعت لأشمط ، كأنَّه قال : بأشمطَ ظاهرِ الخَيْر . قال أبو الحجَّاج : وقد يكون حالا من أشمط وإن كان نكرة ، لأنَّها مفهومُ مَن يراد بها[1] . هذا كلامه .

وأقول : الحاليَّة لا تجوز لا لفظًا ولا معنًى على الأوّل ، ولا لفظًا على الثانى للتعريف .

وقوله : (فنعم صاحبُ قوم) إلخ قال العينى : إشارةٌ إلى فضلِ عثمان رضى الله تعالى عنه ، وأنَّه يَغْنَى يومَ القيامة بالشَّفاعة غِنَى مَنْ دافع فى الدُّنيا بسلاحِه عن عُزَّل الجماعة . وقد يكون السِّلاح أيضًا عبارةً عن بذله لماله وتوسِعَته لصَحْبه ، فيكون ذلك أجدَى من السِّلاح لحامله .

هذا كلامه ، وليس معنى الشِّعر ، إنَّما معناه إشارةٌ إلى قوله يوم الدَّار : « مَنْ رمى سِلاَحه كانَ حُرًّا » .

وقوله (صاحبُ الرَّكْب) ، أى رَكْبِ الحجّ .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد التاسع والستون بعد السبعمائة[2] :

٧٦٩ (أو حُرَّةٌ عَيْطلٌ ثَبْجاءُ مُجفَرَةٌ

دعــائمَ الزَّوْرِ نِعْمَتْ زورقُ البَلدِ)

على أنَّه قديؤنَّث (نعم) لكون المخصوص بالمدح مؤنَّثاً وإن كان الفاعلُ مذكَّراً ، فإنَّه أنَّث نعم مع أنَّه مسنَدٌ إلى مذكَّر ، وهو زورقُ البلد .

---

(١) كلمة « بها » ساقطة من ش .

(٢) ابن يعيش ٧ : ١٣٦ والمقرب ١ : ٦٨ وديوان ذى الرمة ١٤٦ .

لأنَّه يريد الناقة ، فأنَّث على المعنى كما أُنِّث مع البلد فى قولهم : هذه الدار نعمت البلد ، حين أراد به الدَّار . وكقول الراجز :

نعمَتْ جزاءُ المتَّقِينَ الجَنَّه   دارُ الأَمــانى والمُنَى والمِنَّه[(١)]

و (الحُرّة) : الكريمة ، وأراد بها الناقة . و (العيطل) : الطَّويلة العُنق . و (ثَبْجاءُ) بفتح المثلثة وسكون الموحَّدة بعدها جيم : الضَّخمةُ الثَّبَجِ ، وهو الصَّدْر . كذا جاءَ فى تفسير هذا الشعر . والثَّبَجُ ، بفتحتين : ما بين الكاهل إلى الظهر . أى إنَّ هذا منها عظيم . وقال ابن يعيش : ثبجاءُ : عظيمة السَّنام . و (المُجْفَرة) بضم الميم وسكون الجيم وكسر الفاءِ : العظيمة الجنْبِ الواسعةُ الجوف . والجُفْرة بالضم : الوسَط ، يقال فرس مُجفَر وناقةٌ مُجْفَرة ، إذا كانت عريضة الجِرْم . وصَفَها بأنَّها عظيمة القوائم ، وكنَى عن ذلك بدعائم الزَّور . و (الدَّعائم) : القوائم . و (والزَّور) بفتح الزاى : أعلى الصَّدر . وقال ابن المستوفى : دعائم الزَّور : الضلوع ، وكلُّ ضِلع دِعامة . وانتصب دعائمَ الزَّور على التشبيه بالمفعول به ، فهو من باب الحسن الوجْهَ . وقيل انتصابه على التمييز[(٢)] وهو ضعيف ، لأنَّه معرفة . واخطأَ من وجهين صاحب[(٣)] (التخمير) و (الموشَّح) فى قولهما : إنَّه منصوب على التَّمييز للمخصوص بالمدح المحذوف وناصبه نعمت . و (زورق) فاعل نعم ، والمخصوص بالمدح محذوف ، وهو ضمير الحُرّة ، أى هى . و (الزَّورق) : السفينة . و (البَلَد) : الأَرضُ والمفازة . وهذا كقولهم : الإبلُ سُفُن البرِّ ، فإنَّ

---

(١) شذور الذهب ٢١ .

(٢) ش : « وقيل على التمييز » بإسقاط « انتصابه » .

(٣) كذا فى النسختين ، وهو وجه جائز فى العربية على حذف المضاف من الثانى لدلالة الأول عليه .

الإبل تشبَّه بالسُّفن ، والمفاوزُ بالبحار . وهذا التشبيه شائع . قال أبوعبيدٍ (فى الغريب المصنف) : البُوصىُّ : الزَّورق . وتعقَّبه علىُّ بن حمزة البصرى بأَنَّ البُوصىَّ إنَّما هو من سُفن البحر ، وهو بالفارسية : بُوزى ، والزَّورق بالنَّبطية ، وقد تكلَّمت به العرب ، وجمعه الزَّوارق . والزَّورق ممَّا يجرى فى الماءِ العذب بدِجلة والفرات . انتهى .

صاحب الشاهد

والبيت من قصيدةٍ لذى الرُّمَّة ، مدح بها بلالَ بن أَبى بُردة . وقبله :

أبيات الشاهد

(ومَنْهــلٍ آجن قَفــرٍ مَحَــاضِرُهُ
خُضْرٍ كواكبُه ذى عَرْمَضٍ لَبِــدِ

فــرَّجت عن خــوفه الظلماءِ يحملُنى
غَوْجٌ من العِيد والأَسرابُ لم تَرِدِ[1]

باقٍ على الأَين يُعطِى إن رفَقت به
مَعْجا رُقاقاً وإن تَخْرَق به يَخِــدِ[2]

أَوحُــرَّةٌ عيطــلٌ ثبجــاءُ مُجفَــرة
. . . . البيت

لانت عريكتُهــا من طول ما سمِعَتْ
بين المفاوز تَنْآمَ الصَّدَى الغَــرِدِ

حنَّت إلى نَعَمِ الدَّهنا فقلتُ لهــا
أُمِّى بلالاً على التوفيق والرَّشَــدِ)

المنهل : المورد ، والواو: واو رب . والآجِن : الماءُ المتغيِّر الطعم واللَّون .

---

(١) ط : « العبد » فى هذا البيت وفى تفسيره التالى ، صوابه فى ش والديوان .
(٢) ط : « إن رفعت » ، صوابه فى ش والديوان .

وأَجَنَ الماءُ يأْجِنُ ويأْجُنُ من باب ضرب ونصر ، أَجْناً وأُجوناً . وحُكِى أَجِنَ من باب فرح . والمحاضر : جمع مَحضر كجعفر ، وهو المرجع إلى المياه . وكوكب الشيء : معظَمُهُ . والعَرْمَض ، كجعفر ، بإهمال الأَوّل وإعجام الآخِر : الطُّحلب ، وهو الأَخضر الذى يعلو الماءَ . واللِّبِد بكسر الموحدة : المتلبِّد المتراكبُ بعضُه على بعض .

والظَّلماءَ مفعول فَرّجتُ . وجملة يَحملُنى حالٌ من تاء فرَّجت . والغَوج ، بفتح المعجمة وسكون الواو بعدها جيم : اللَّيِّن المعاطف من الإبل والخيل . والعِيد ، بكسر المهملة : فحلٌ منجبٌ من الإبل[1] . والأَسراب : جمع سِرب بالكسر ، وهو القطيع من القطا ، والظباء ، والوحش ، والنِّساء . وتَردُ ، مِن وُرود الماء .

والأَين : التَّعب . والمَعْج ، بفتح الميم وسكون العين المهملة بعدها جيم : سُرعة السَّير . والرُّقاق بضم الراء : الرقيق . وتَخرَق بفتح الراء : مضارع خَرِق بكسرها خَرَقاً بفتحتين ، إذا عمل شيئًا فلم يرفُق به ، والاسم الخُرْق بالضم ، وهو العُنْف . ويَخِدُ من الوَخْد ، وهو ضربٌ من سير الإبل ، وهو أن يَرمِىَ بقوائمه كمشْى النَّعام .

والعريكة : الخلُق . والتَّنْآم : تفعالٌ من النَّئيم ، وهو صوتٌ فيه

(١) فى اللسان (عود) : « كأنه ضرب فى الإبل مرات » . وهذا تعليل لتسمية هذا الفحل . وهو أحد أقوال فى نسبة العيدية ، وقيل العيدية منسوبة إلى عاد بن عاد ، أو عادى بن عاد ، على النسبة الشاذة فيهما . وقيل منسوبة إلى بنى العيد قبيلة . وتجد هذه الأقوال جميعها فى اللسان . وفى شرح ديوان ذى الرمة : « العيد قبيلة من مهرة إبلهم نجائب » .

وفى الاشتقاق ٥٥٢ عند الكلام على مهرة بن حيدان : « ومنهم بنو عيدى ، تنسب إليهم الإبل العيدية . وفى نهاية الأرب للقلقشندى ٦٩ : « بنو العيدى بكسر العين وسكون المثناة : بطن من مهرة من قضاعة ، وهم بنو العيدى بن فدعى بن مهرة » .

ضَعف كالأنينِ . والصَّدَى : ذكَر البُوم . والغَرد بكسر الراءِ : المتطرِّب فى الصَّوت . والغَرَد بفتحها : الغِناءُ ، يقال غَرِدَ الطائر ، من باب فرح .

والنَّعَم بفتحتين : الإبل . والدَّهنا : موضعٌ ببلاد تميم ، يمدُّ ويقصر . وأُمِّى : اقصِدى .

وترجمة ذى الرمة تقدَّمت فى الشاهد الثامن من أول الكتاب[1] .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد السبعون بعد السبعمائة[2] :

٧٧٠ (بُعْدَ ما مُتـأَمَّلِى)

وهو قطعةٌ من بيت من معلَّقة امرئ القيس ، وهو :

(قَعَدتُ له وصُحبتى بَيْنَ ضـارجٍ
وبين العُـذَيبِ بُعْدَ ما مُتـأَمَّلِى)

١٢١ على أنَّ (بُعْدَ) فيه للمدح والتعجُّب ، وأصله بَعُدَ بفتح الباءِ وضم العين أصالَةً ،أُلحِقَ بفِعْل المدح . ويجوز فى بائه وجهان : فتحها وتسكين عينها بحذف حركتها ، وضمّها بنقل حركة عينها إليها ، كما يجوز فى كلّ فعل المرادُ به المدح أو التعجُّب ، كماقال الشارح المحقِّق فى آخر الفصل وصوَّره بهذا البيت .

وقد روى أيضاً بالوجهين . قال العسكرى (فى كتاب التصحيف) : رواه أبو إسحاق الزيادى عن الأَصمعيِّ « بُعْدَ » مضمومة الباءِ ، ومعناه يا بُعْدَ ما تـأَمَّلت ، على التعجب ، أَى تثَبتٌ فى النظر أَين يَسقِى[3] . ورواه أَبو حاتم : « بَعْدَ » بفتح الباءِ ،وقال : خفَّف بَعُدَ فأَسكن العين وبقيت الباءُ مفتوحةً ، مثل كَرُمَ و كَرْمَ . انتهى .

(١) الخزانة ١ : ١٠٦ .
(٢) التصحيف للعسكرى ٢٢٥ وشرح شواهد الشافية ٣٩ ورصف المبانى للمالقى ٥٢ .
(٣) فى التصحيف : « أين تسقّ » ، وما هنا صوابه .

وفيه ردٌّ على ابن مالك (فى التسهيل) فى اشتراط نقل ضمّ العين إلى الفاءِ بكون الفاءِ حرفاً حلقياً كحَبّ وحَسن . و« ما » بعدَ « بُعْدَ » إمّا زائدة ، ومتأمَّلى فاعل بعد وهو مضاف إلى الياء ، والرفع فيه مقدَّر ، والمخصوص بالمدح محذوف . وإمّا اسمٌ نكرةٌ منصوبةُ المحلّ على التمييز للضمير المستتر فى بعد ، ومتأمَّلى هو المخصوص بالمدح والتعجُّب ، فتكون « ما » كما فى قوله تعالى : ﴿ فنِعِمَّا هى[1] ﴾ .

أبيات الشاهد

وقبْلَ هذا البيت :

(أصاح ترى بَرقاً أُرِيكَ وميضَـــهُ
كلمــع اليَـــدينِ فى حبـــىٍّ مُكَلَّلِ

يُضىءُ سَناهُ أو مصـــابيحُ راهبٍ
أهـــانَ السَّلِيطَ بالذُّبالِ المفتَّـــلِ

قعدت له وصحبتى . . . .) البيت

قوله : « أصاحْ ترى » إلخ ، الهمزة لنداء القريب . وصاح : مرخم صاحب ، وحذف همزة الاستفهام بعده للضَّرورة . والوميض والإيماض : اللَّمعان . يقال ومَض البرقُ وأَومَض ، إذا لمع وتلألأ . واللَّمْع : التحرُّك والتحريك جميعاً . والحَبِىُّ بالحاءِ المهملة وكسر الموحَّدة ، وهو[2] السَّحاب المتراكِم ، سمِّى به لأَنَّه حبَا بعضٌ إلى بعض[3] أى تراكم . وجعلهُ مكلَّلا ، لأَنَّه صار كالإكليل لأَسفله . ومنه قولهم : كلَّلت الرجل ، إذا توَّجته . ويروى : « مكلِّل » بكسر اللام : اسم فاعل من كلَّل تكليلا ، إذا تبسَّم .

(١) الآية ٢٧١ من البقرة .
(٢) ش : « هو السحاب » بدون واو .
(٣) كذا فى النسختين ، أى بعض منه .

يقول : يا صاحبي هل ترى برقا أُريك لمعانَهُ في سحابٍ متراكم صار أَعلاهُ كالإكليل لأَسفله ، أو في سحابٍ متبسِّم بالبرق ، يشبِهُ برقهُ تحريكَ اليدين . أراد بتحريك تحرُّكَهما . وتقدير البيت : أُريك وميضَه في حَبِيٍّ مكلل كلمع اليدين. شبَّه لمعان البرق وتحرِيكه بتحرُّك اليدين .

وقوله : « يضيءُ سَناه » إلخ السَّنا بالقصر : الضَّوءُ ، يقال سَنا يَسنُو . والسَّليط : الزَّيت ، وقيل الشَّيرج (١) ، وسمِّي سليطًا لإضَاءَتِه السِّراج ، ومنه السُّلطان لوضوح أَمره . والذُّبال : جمع ذبالة ، وهي الفتيلة . ومعنى أهان السَّليط أَنَّه لم يُعِزَّه وأَكثَرَ الإيقاد به . وروى : « أَمال السليط » ، فقيل من المقلوب ، وتقديره أَمال الذُّبال بالسَّليط ، إذا صبَّه عليه . وقال بعضهم : تقديره : أَمال السَّليط مع الذُّبال ، يريد أَنَّه يُميل المِصباحَ إلى جانب فيكون أَشدَّ إضاءَة لتلك الناحية من غيرها . يقول : هذا البرق يتلألأُ ضوءُه ، فهو يشبه في تحرُّكه لمعَ اليدين أَو مصابيحَ الرُّهبانِ التي أُميلت فَتائلُها بصبِّ الزَّيتِ عليها في الإضاءَة ، يريد أَن تحرُّكه يحكي تحرُّك اليدين ، وضوءَه يحكي ضوءَ مصابيح الرُّهبان . هذا ما نقلته من شرح الزوزني .

ومصابيح بالجر معطوف على لمع .

وقوله : « قعدتُ له » إلخ قال الخطيب التبريزي : صُحبَة بالضم :

---

(١) جاء في استدراك التاج (شرج) : « والشيرج كصيقل وزينب : دهن السمسم ، وربما قيل للدهن الأبيض ، وللعصير قبل أن يتغير ، تشبيهاً به لصفائه . وهو ملحق بباب فعلل نحو جعفر ، ولا يجوز كسر الشين ، والعوام ينطقون به بإهمال السين مكسورة ، وهو معرب » . وقال في (سرج) : « معرب سيره » .

اسم جمع صاحب . وضارج والعُذيب : مكانان . أى قعدت لذلك البرق ١٢٢
أنظر من أين يجىءُ بالمطر .

ومعنى قوله : (بُعْدَ ما متأَمَّلى) : ما أبعد ما تأَمَّلت . وحقيقته أنَّه نداءٌ مضاف . والمعنى : يا بعد ما متأَمَلى ، أى يا بعد ما تأَمَّلت . وروى الرياشىُّ بفتح الباء وهى تحتمل معنيين : أحدهما أَنَّ المعنى بَعُد ، ثُمَّ حذف الضمة . ويجوز أَنْ يكون المعنى بَعْدَ ما تأَمَّلت . هذا كلامه .

وقال الزوزنى : يقول قعدت للنَّظر إلى السَّحاب وأَصحابى بين هذين الموضعين وكنت معَهم ، فبَعُدَ متأَمَّلى[1] وهو المنظور إليه ، أى بَعُدَ السحاب الذى كنت أنظر إليه وأَرقُب مطَره وأَشِيمُ برقه . يريد أنَّه نظر إلى هذا السحاب من مكانٍ بعيد فتعجَّب من بُعْدِ نظره . انتهى .

وحاصلُه أَنَّ بَعْد بالفتح فعلٌ ماضٍ مسكَّن العين ، وما زائدة ومتأَمَّلى اسم مفعول واقعٌ على السَّحاب مضاف إلى ياء المتكلم ، كما سبق من تقرير كلام الشَّارح المحقق ، من أنَّه مصدر مضاف إلى الياء .

ثم قال الزوزنى : وقال بعضهم : إنَّ ما فى البيت بمعنى الذى ، تقديره بَعُدَ ما هو متأَمَّلى ، فحذف المبتدأُ ، وتقديره على هذا لقول : بعد السحاب الذى هو مُتأَمَّلى . انتهى .

وترجمة امرئ القيس تقدَّمت فى الشاهد التاسع والأَربعين[2] .

* * *

وأَنشد بعده ، وهو الشاهد الحادى والسبعون بعد السبعمائة[3] :

٧٧١ (وحُبَّ بها مَقْتولةً حِينَ تُقْتَلُ)

---

(١) ط : « متأمل » ، صوابه فى ش وشرح الزوزنى .
(٢) الخزانة ١ : ٣٢٩ — ٣٣٥ .
(٣) الأصول لابن السراج ١ : ١٣٧ وسر الصناعة ١ : ١٥٩ وابن يعيش ٧ : ١٢٩ ، ١٣٨ ، ٢٤١ وشرح شواهد الشافية ١٤ والعينى ٤ : ٢٦ وديوان الأخطل ٤ .

على أنَّ حُبَّ فيه للمدح والتعجُّب ، وأَصلها حَبُب بضم العين للتحويل المذكور . فإنْ نقلنا حركةَ العَين إلى الفاء بعد حذف حركتها صار حُبّ بضم الأَوّل . وإنْ حذفنا ضمة العين صار حَبّ بفتح الأَوّل . والإدغام فى الصورتين واجبٌ لاجتماع المثلين والأَوّلُ منهما ساكن . وفاعلها الضمير المؤنَّث المجرور بالباء ، لأَنَّ هذه الصيغة تعجبيَّة لكونها بمعنى أَحبِبْ بها .

قال ابن الحاجب (فى أمالى المفصَّل) : مقتولة نصب على الحال من الضمير فى بها ، وبها فاعل حُبّ، زيدت فيه الباءُ على غير قياس كقوله : ﴿ كفَى بالله شهيدا[1] ﴾ . وقال صاحب التخمير[2] : الباءُ فى بها ههنا للتعجُّب ، ونظيره قولهم: كفاك بزيد رجلا . وقال ابن السرَّاج[3] : الباءُ دخلَتْ لأَنَّها دليلُ التعجُّب ، كما قالوا : إنَّك من رجلٍ عالم[4] ، لم تسقطْ (من) لأَنَّها دليل التعجب . وقيل هى كالباء: فى كفى بالله . ومقتولةً حال.انتهى.

قال ابن يعيش : حَبَّ من المضاعف الذى عينُه ولامه من بابٍ واحد، وفيه لغتان حَبَّ وأَحَبَّ ، وأَحبَّ أَكثرُ فى الاستعمال . وأَمَّا حَبَّ فوزنه فَعَل بفتح العين ، قال الشاعر[5] :

---

(١) من الآيتين ٨١ ، ١٦٦ من سورة النساء : « وأرسلناك للناس رسولا وكفى بالله شهيداً » و « والملائكة يشهدون وكفى بالله شهيداً » .

(٢) ش : « التحبير » ، صوابه ما أثبت . وجاء فى ترجمة صدر الأفاضل القاسم بن الحسين الخوارزمى من معجم الأدباء ١٦ : ٢٥٣ : « وله من التصانيف كتاب المجمرة فى شرح المفصل صغير ، وكتاب السبيكة فى شرحه أيضا وسيط ، وكتاب التجمير فى شرح المفصل أيضا بسيط » ، أى واسع كبير . ولكن صاحب كشف الظنون عند الكلام على (المفصل) ذكر أنه « التخمير » وأن الفخر الأسفيذرى وضع له علامة هى « تخ » . والتخمير : التبخير ، وفى اللسان : « فتخمرت أطنابنا ، أى طابت روائح أبداننا بالبخور » .

(٣) انظر لهذا كتاب الأصول ١ : ١٢٨ – ١٢٩ . ونصه : « والباء دخلت دليل التعجب »

(٤) فى الأصول : « إنك من رجل لعالم » .

(٥) هو غيلان بن شجاع النهشلى ، كما فى اللسان (حبب) والكامل ١٩٢ .

فواللهِ لولا تمـرُهُ ما حَبَبْتُه ولا كان أدنى من عُبيد ومُشْرِقِ[1]

فإذا أُريد به المدحُ نقل إلى فعُل ، فتقول : حَبَّ زيد ، أى صار محبوباً ومنه قوله :

* حَبَّ بها مقتولةً حين تُقتلُ *

وكذلك قول الآخر[2] :

* هَجرَتْ غَضُوبُ وحَبَّ من يتجنَّبُ[3] *

وذهب الفرَّاءُ إلى أنَّ حبَّ أصله حَبُب مضموم العين ، واستدلَّ بقولهم : حبيب ، وفعيلٌ بابه فعُل ، كظريف وكريم من ظرف وكرم . والصواب ما ذكرناه ، لأنَّه قد جاءَ متعدِّيًا وفعُل لا يكون متعدِّياً . فأمَّا قولهم حبيب فلا دليل فيه ، لأنَّه مفعول ، فحبيب ومحبوبٌ واحد ، فهو كجريح وقتيل . وحَبيبٌ من حُبَّ إن أُريد به المدح فاعل كظريف. وحَبّ فعل متصرِّف ، تقول منه : حبَّه يَحِبُّه بالكسر ، وهو من الشاذِّ لأنَّ فعل إذا كان مضاعفًا متعدِّيا فمضارعه يفعُل بالضم نحو ردَّه يردُّه، وشدَّه يشُدُّه . وقالوا فى المفعول محَبوبٌ ، وقَلَّ مُحَبٌّ . وجاءَ مُحِبٌّ فى اسم الفاعل ، وقَلَّ حابٌّ . انتهى .

١٢٣

---

(١) فى النسختين : « ومسرق » بالسين المهملة ، صوابه بالمعجمة كما فى الكامل واللسان والخصائص ٢ : ٢٢٠ والمغنى ٣٦١ . وفى الكامل : « وكان عياض منه أدنى ومشرق » بدون إقواء ، لأن قبله :

أحب أبا مروان من أجل تمره وأعلم أن الجار بالجار أرفق

(٢) هو ساعدة بن جؤية الهذلى . ديوان الهذليين ١ : ١٦٧ ، واللسان (حبب ٢٨٣) .

(٣) عجزه : * وعدت عواد دون وليك تشعب *

هذا والرواية فى البيت :

(وأَطيِبْ بها مقتولةً حين تُقتلُ)

بصيغة التعجُّب من الطِّيب . وقبله :

(فقلت اقتُلوها عنكُم بمزاجها)

وقتل الخمر : مَزْجها وكَسْرُ قوّتها بالماء . جعَل مزجَها بالماءِ قَتْلًا لها .
ورواه أبو حنيفة الدينورىّ (فى كتاب النبات) :

فلَذَّتْ لمرتاحٍ وطابَتْ لشاربٍ
وأَحبِبْ بها مقتولةً حين تُقتَلُ[1]

وقال : إذا كانت الخمر طيِّبةً فهى لذَّةٌ ، نعت لها . وقد لذَّت لشاربها تَلذُّ لذَّة ، ولذَّها شاربُها يَلَذُّها لذًّا ولذاذة . انتهى .

وهذا مركَّب من بيتين كما يأْتى .

صاحب الشاهد

والبيت من قصيدةٍ للأَخطل النصرانىّ ، مدح بها خالدَ بن عبدِ الله ابن أُسيد بن أَبى العِيص بنِ أُميَّة ، وكان أحدَ أَجواد العرب فى الإِسلام .

وهذه القصيدة أَوّلُ ديوانه ، وقبله :

أبيات الشاهد

(وجاءُوا ببَيْسانيَّةٍ هى بعدما ... يَعُلُّ بها السَّاقى أَلذُّ وأَسهَلُ
فتُوقَفُ أَحيـاناً فيفصِل بيننا ... غِنـاءُ مغنٍّ أَو شِواءٌ مُرَعبَلُ
فلذَّت لمرتاح وطابت لشاربٍ ... وراجَعَنى منهـا مِراحٌ وأَخْيَلُ
فمـا لَبِثَتْنـا نَشوةٌ لحقَتْ بنا ... توابِعُهـا مما نُعَلُّ ونُنْهَـلُ

(١) ط : « وأحبب لها » ، صوابه فى ش والديوان .

تدِبُّ دبيبــاً فى العظــام كأنَّهُ   دَبيبُ نِمالٍ فى نَقًــا يتهَيَّلُ
فقلت اقتلوها عنكمُ بِمزاجهــا   وأَطيِبْ بها مقتولةً حين تُقتلُ)

وبيسان، هى بلدة بغَوْر الشام تنسب إليها الخمر. والعَلَل: الشُّرب الثانى. والشِّواءُ: الكَباب. والمُرعْبَل: المقطَّع. والمراح[١] بالكسر: السرور. والأَخْيَل: الخيَلاءُ والعُجْب. ونَشْوتها: رائحتها. والنشوة: السُّكْر أيضاً. وتوابعها ما لحق من سكرها[٢]. والنَّهَل: الشُّربُ الأَوّل. كذا فى شرح ديوانه. ونِمال بالكسر: جمع نمــل. والنقا: الكثيب من الرَّمْل[٣]. ويتهيَّل: يتصبَّب.

وترجمة الأَخطل تقدَّمت فى الشاهد الثامن والسبعين[٤].

* * *

وأَنشد بعده، وهو الشاهد الثانى والسبعون بعد السبعمائة[٥]:

٧٧٢ (لا يمنَعُ النَّاسُ منِّى ما أَردْتُ ولا
أُعطِيهِمُ ما أَرادُوا، حُسْنَ ذا أَدبَا)

على أَنَّ (حُسْن) فيه للمدح والتعجُّب، ويجوز فى مثله أَنْ تنقل ضمة العين إلى الفاءِ كما فَعَل الشاعر، وأَن تحذف وتبقى الفاءُ على فتحِها.

والبيت أَنشده الجوهريُّ قال: وقد حَسُنَ الشيءُ، وإنْ شئت خفَّفت الضم فقلت حَسْنَ الشيءُ، ولا يجوز أَن تنقل الضمَّ إلى الحاءِ، لأَنَّه

(١) كذا. مع أن النص هنا وفى الديوان أيضاً: «بمزاجها» بالجيم.
(٢) وتوابعها ما لحق من كسرها، ساقط من ش. وفى الأصل هنا، وهو ط: «كسرها»، والوجه ما أثبت.
(٣) والنقا الكثيب من الرمل، ساقط من ش.
(٤) الخزانة ١ : ٤٥٩.
(٥) الخصائص ٣ : ٤٠ وإصلاح المنطق ٤١ والأشباه والنظائر ٣ : ١٤٢ والأصمعيات ٥٦ واللسان (حسن ٢٦٩).

خَبر ، وإنَّما يجوز النقل إذا كان بمعنى المدح أو الذمّ ، لأنَّه يشبَّه فى جواز النقل بنعم وبِئْس ، وذلك أنَّ الأَصل فيهما نَعِمَ وبَئِس ، فسكن ثانيهما ونقلت حركته إلى ما قبله . وكذلك كلُّ ما كان فى معناهما . قال الشاعر :

لم يمنع الناسُ منِّى ما أَردتُ . . . . البيت

أراد : حَسُنَ هذا أدباً ، فخفَّف ونَقَل . انتهى كلامه .

وقال ابن السيرافى : يريد أنَّهُ يقهر الناس فيمنعُهم ما يريدون منه ، ولا يمنعونه ممَّا يريد منهم ، لعزِّه وقهره . واستحسن هو هذا وجعله أدباً حسناً . وذا فاعل حَسن ، وأدباً منصوبٌ على التمييز . انتهى.

١٢٤

وقال الجواليقى (فى شرح أدب الكاتب) : الأَدَب الذى كانت العرب تعرفه هو ما يحسُن من الأَخلاق وفعل المكارم ، مثل ترك السَّفَه ، وبَذْلِ المجهود ، وحُسْنِ اللِّقاء . قال الغنَوىّ :

لم يمنع الناسُ منِّى ما أَردت . . . . البيت

كأَنَّه ينكر على نفسه أنْ يعطيَه الناسُ ولا يُعطيهم . واصطلح الناسُ بعد الإسلام بمدّة طويلةٍ على أَنْ يسمُّوا العالمَ بالنحو والشعر وعلومِ العرب أَديبًا ، ويسمُّون هذه العلومَ الأَدب ، وذلك كلامٌ مولَّد، لأَنَّ هذه العلوم حدثتْ فى الإسلام . واشتقاقه من شيئين : يجوز أَن يكون من الأَدْب وهو العَجَب ، ومن الأَدْب مصدر قولك : أَدَب فلانٌ القوم يأْدِبُهم أَدْبًا ، إذا دَعاهم . قال طرفة :

نَحن فى المَشْتاةِ ندعُو الجَفَلَى لا ترى الآدبَ فينــا يَنتقرْ

فإذا كان من الأَدب الذى هو العَجَب[١] فكأَنَّه الشىء الذى يُعجَب منه لحُسنِه ، لأَنَّ صاحبه الرجُل الذى يُعجَبُ منه لفضله . وإذا كان من الأَدب الذى هو الدُّعاءُ فكأَنَّه الشىءُ الذى يدعو الناسَ إلى المحامد والفضلِ . فينهاهم عن المقابح والجهل . والفعل منه أَدِبْتُ آدَبُ أَدَباً من باب فرح ، فأَنا أَديب . والمتأَدِّب : الذى قد أَخذ من الأَدَب بحظٍّ ، وهو مُتَفَعِّلٌ من الأَدَب ، يقال منه أَدُب الرّجُل يأْدُب إذا صار أَديباً ، مثل كرُم ، إذا صار كريماً . انتهى .

صاحب الشاهد

والبيت من قصيدةٍ لسهم بن حَنْظلة الغَنَوىّ ، أَورد بعضها أَبو تمام (فى كتاب مختار أَشعار القبائل) . وهذا ما أَورده :

أبيات الشاهد

(إذا افتقرتَ نأَى واشتدَّ جانبُهُ
وإنْ رآكَ غنيًّا لانَ واقتربا[٢]

وإن أَتاك لمالٍ أو لتَنصُرَه
أَثنى عليك الذى تَهْوَى وإنْ كَذَبا

مُدلى القَرابة عند النَّيل يَطلبُه
وهْو البعيدُ إذا نالَ الذى طَلبَا

حُلو اللِّسان ، بعيدُ القلب ، مشتملٌ
على العداوةِ لابن العمِّ ما اصطحبا

الله مُخْلِفُ ما أَنفقتَ محتسباً
إذا شكرتَ ومُؤتيك الذى كَتَبا

(١) شاهده قول منظور بن حبة فى اللسان (أدب) :

بشمجى المشى عجول الوثب غلابة للناجيات الغلب
حتى أتى أزبيها بالأدب

(٢) ش : « وإن رآك غنى » ، صوابه فى ط .

لا بَلْ سَلِ اللهَ ما ضنُّوا عليكَ به
ولا يمُنُّ عليك اللهُ ما وَهَبا

يا للرِّجالِ لأقوام أجاورُهم
مُستقبسِينَ ولمَّا يُقْبسُوا لهبا

يَصلَوْن نارى وأحميها لغيرهمُ
ولو أشاءُ لقد كانوا لهَا حَطَبا

مِن الرِّجال رجالٌ لا أُعاتبهُم
ولا تفَزَّع منهم هامتى رُعُبا

مَن لا يزلْ غرضاً أرمى مَقاتِلَه
لا يتَّقِى وهو منِّى واقفٌ كَثَبا

ولا أَسبُّ امرأً إلَّا رفعتُ له
عاراً يُسَبُّ به الأَقوامُ أو لقَبا

قد يعلم الناسُ أنِّى مِن خيارِهمُ
فى الدِّين ديناً وفى أحسابهم حَسَبا

لا يمنعُ الناس منِّى ما أردت ولا
أُعطيهُم ما أرادوا ، حُسْنَ ذا أَدبا)

قال التبريزى (فى شرح إصلاح المنطق لابن السكيت) : يريد أنَّه يقهر الناس فيمنعهم ما يريدون منه ، ولا يمنعونه ما يريد منهم ، لعزَّته . وجعله أدبا حسنا . هذا تفسير أبى محمد .

١٢٥

وقال أبو العلاء فى معى هذا البيت : كأنَّه ينكر على نفسه أنْ يعطيه النَّاسُ ولا يُعطيهم ويَمنعُهم . وهو الصَّواب ، لأَنَّ ما قبله يدلُّ عليه . وذا فاعل حُسْن . وأدباً تمييز . وأراد حَسُنَ فخفَّفَ ونَقَل؛ لأَنَّ

هذا مذهب التعجُّب. وقال الصَّفَّار[١] : إنَّ الشاعرَ أنكر على نفسه بان الناس[٢] يُعطونه ويمنعهم ، ثم قال : حسن ذا أدبا . أى ما أَحسن هذا الأَدب ! على سبيل الإنكار والتهكُّم . انتهى .

سهم بن حنظلة

وسهم بن حنظلة : شاعر مخضرم أدركَ الجاهليّة والإسلام . ذكره ابن حجر (فى قسم المخضرمين من الإصابة ، عن المرزبانى[٣]) .

وقال الآمدى (فى المؤتلف والمختلف) : سهم بن حنظلة بن جَأْوان[٤] ابن خويلد ، أَحد بنى شبيبة[٥] بن غنىّ بن أعصر ، فارسٌ مشهور ، وشاعر مُحسن ، وهو القائل :

كم من عدوٍّ قــد رمــانى كاشحٍ
ونجــوتُ من أمــر أغــرَّ مشهَّرِ

وحَــذِرْتُ من أمــرٍ فمرَّ بجانبى
لم يُبــكِنِى ، ولقيتُ مــالم أحذَرِ

ثم قال : ومنهم سهمٌ ، صاحبُ القصيدة المختارةِ الطويلة التى يقول فيها :

تُدنِى الفتى فى الغنى للرَّاغبين إذا
ليلُ التّمام أهمَّ المُقْتِرَ العَزَبا[٦]

---

(١) ط : « الصوار » ، صوابه فى ش .
(٢) كذا فى النسختين .
(٣) فى الإصابة ٣٧٠٣ : « قال المرزبانى : شاعر شامى مخضرم . وأنشد له بيتاً قاله من أبيات » . واقتصر فى ترجمته على هذا النص .
(٤) فى المؤتلف ١٣٦ : « حلوان » ، وما هنا صوابه . وانظر أيضاً جمهرة ابن حزم ٢٤٨ . وقال ابن دريد فى اشتقاقه ٥٦٠ : « فعلان من الجؤوة ، وهو لون من ألوان الخيل دون الصدأة » .
(٥) وكذا فى المؤتلف . لكن فى الاشتقاق ٢٧٠ : « ضبينة » .
(٦) فى المؤتلف : « تدنى الفتى للغنى فى الراغبين »

حتَّى تمـــوَّلَ يومـــاً أو يقـــالَ فتًى
لاقَى التى تَشْعبُ الأَقـــوامَ فانشعبا

انتهى .

وقد أخطأَ فى هذا ، فإنَّ صاحب القصيدة هو سهمٌ الذى ذكره أوّلا ، والبيتان من تلك القصيدة ، وقد نسبها إليه أبو تمَّام وغيره . وقد اشتبهَ على الآمدىّ فظنَّ سهماً اثنين ، وأنَّ صاحبَ القصيدة غير سهم الغنوىّ ، والصواب ما ذكرنا . وسهمٌ الذىذكره ثانياً مجهول ، ولهذا لم يرفع نسبَه لا إلى أب ولا إلى جَدّ . ولم يذكرهُ غيرَ الآمدى أحدٌ. والله أعلم بالصواب .

حروف الجر

أنشد فيها ، وهو الشاهد الثالث والسبعون بعد السبعمائة ، وهو من شواهد س[١] :

٧٧٣ (باتَت تنُوشُ الحوضَ نوشًا مِن عَلَا)

على أنَّ (علا) فيه مبنى على الضمّ كقولهم : من علُ بحذف المضاف إليه.

وبيانه ما قال ابن جنى (فى شرح تصريف المازنى) نقلاً عن أبى على : إنَّ الأَلف فى علا منقلبة عن الواو ، لأَنَّه من علوت ، وإنَّ الكلمة فى موضعٍ مبنىٌّ على الضم ، نحو قبلُ وبعد ، لأَنَّه يريد نوشاً من أعلاه ، فلما اقتُطِع المضافُ مِن المضاف إليه وجَب بناءُ الكلمة على الضمّ نحو قبلُ وبعدُ ، فلمَّا وقعت الواو مضمومة وقبلها فتحة قُلبت أَلفاً . وهذا مذهبٌ حسنٌ . انتهى .

وقال أبو على (فى التذكرة) : يجوز أن يكون علا مبنيًّا معرفة ، ويجوز أن يكون معربًا نكرة . فإن كان مبنيًّا كانت الأَلف منقلبة عن الواو لتحرُّكها بالضمة . وإن كان معرباً كانت منقلبة عن الواو لتحرُّكها بالجر . فإن قيل : لا يكون إلاَّ مبنيًّا ، لأَنَّه معرفة لتقدُّم الحوض ، والمعنى من علا الحوض . قيل : قد قال الله تعالى : ﴿ لله الأَمرُ مِنْ قَبْلُ ومِنْ بعد[٢] ﴾ ، فهما نكرتان ، وإن كان ذِكر الغلبة قد تقدَّم ، وكان معلوماً أن معنى الكلام مِن قَبْل الغلبةِ ومن بَعدِها . انتهى .

١٢٦

(١) فى كتابه ٢ : ١٢٣ . وانظر معانى القرآن ٢ : ٣٦٥ والأصول ٢ : ١٤٢ والمنصف ٢ : ١٤٢ وشرح أدب الكاتب للجواليقى ٣٤٨ والاقتصاب ٤٢٧ وابن يعيش ٤ : ٧٣ ، ٨٩ ورصف المبانى ٣٧١ والأشباه والنظائر ٤ : ١٦١ واللسان (نوش ، علا ٣١٧) .

(٢) الآية ٤ من سورة الروم .

فعلم من هذا أنَّه لا يتعيَّن بناؤه على ضمّةٍ على الواو المنقلبة ألفاً لتَحرُّكها وانفتاح ما قبلها ، لقطعه عن الإضافة ونيَّة معناه ، لجواز أن يكون معربًا بالجرّ والتنوين[1] المقدَّرين على الواو المنقلبة ، ولا ينوى المضافُ إليه لا لفظُه ولا معناه ، ويكون كسائر الأسماء النكرة ، كما فى قراءة : ﴿ مِنْ قبلٍ ومِنْ بَعْدٍ ﴾ بالجرِّ والتنوين .

واستشهد به سيبويه (فى باب ما ذهب لامُه من أبواب التحقير) . قال الأعلم : استدلَّ به على أنَّ قولهم من عَلُ محذوف اللام ، وإذا صغَّرته اسماً رُدَّتْ لامه فقيل عُلَىٌّ ، لأنَّ أصله من العلوّ . انتهى .

وكسيبويه أورده ابن السَّرَّاج (فى الأصول) .

وروى سيبويه : « وهى تنوشُ الحوض » بدل : « باتت تنوش » .

قال الفراءُ (فى تفسيره) : النَّوش : التناوُل . قال الشاعر :

فهى تنوشُ الحوضَ نوشاً مِن عَلَا نوشًا به تَقْطَعُ أَجوازَ الفَلا

قال الأعلم : وصف إبلاً وردت الماء فى فلاةٍ من الأرض ، فعافَتْه وتناولتْهُ من أعلاه ولم تُمعن فى شربه . انتهى .

وقال الجواليقى (فى شرح أبيات أدب الكاتب) : يصف إبلاً تشرب من ماءِ الحوض وتتناول ما فيه من الماءِ تناولًا من فوقُ ، تقطع به أرضًا بعيدة ، وتستغنى به عن المبالغة فيه . والأجواز : جمع جَوز بفَتح الجيم[2] ، وهو الوسَط . وقال ابن السيد (فى شرح أبياته أيضاً) :

---

(١) الكلام بعده إلى كلمة : « التنوين » التالية ساقط من ش .

(٢) فى النسختين : « بضم الجيم » ، صوابه ما أثبت . على أن النص بهذا الضبط لم يرد فى شرح الجواليقى .

لا أعلم هذا الرجز لمن[١] هو ؟ يصف ناقةً شربت الماءَ من الحوض . وقد يمكن أن يصف إبلا ويريد بقوله « به تَقطع أجواز الفلا » أنَّهم كانوا إذا حاولوا سفراً سقَوا إبلَهم الماءَ على نحو ما يقدِّرونه من بُعد المسافة وقُرْبها ، وكانوا يجعلون أظماءَ إبلهم ثِلْثاً ورِبْعاً وخِمْساً إلى العِشْر ، والعِشْر نهاية الأَظماء . وكانوا ربَّما احتاجُوا فى الفلاة إلى الماء ولا ماءَ عندهم ، فينحرون الإبل ويستخرجون ما فى أجوافها من الماء ويشربونه ، وهو معنى قول زيد الخيل الطائىّ :

نَصُولُ بكلِّ أَبيضَ مشرفىٍّ ... على اللائى بَقَى فيهن ماءُ[٢]
عشيَّةَ نؤْثر الغرباءَ فينا ... فلا هُمْ هالكونَ ولا رِوَاءُ

انتهى

وهذا البيت من أبيات سيبويه الخمسين التى لا يعلم قائلها، والله أعلم.

وأنشده صاحب الصحاح (فى نوش) و (فى علا) . وقال ابن برى (فى حاشيته عليه) : هذا الرجز لغَيلان بن حُرَيث الرَّبَعى . ولم أقفْ على خبرٍ لغيلان . والله أعلم .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الرابع والسبعون بعد السبعمائة[٣] :

٧٧٤ (لِمَنِ الدِّيارُ بقُنَّةِ الحَجْرِ ... أَقوَيْنَ من حِجَجٍ ومن دَهْرِ)

على أنَّ الكوفيِّين أجازوا استعمال (من الابتدائيّة) فى الزمان أيضاً

(١) فى الاقتضاب : « لا أعلم لمن هذا الرجز » .

(٢) جاءت « بقَى » هنا بفتح القاف على لغة طيئ، يقولون فى بقى : بقَىَ ، وفى رضى : رضَى . وكذلك لغتهم فى كل ياء انكسر ما قبلها ، يجعلونها ألفا . اللسان (بقى ٨٦) .

(٣) الجمل ١٥٠ والأزهية ٢٩٣ وابن يعيش ٤ : ٩٣ / ٨ : ١١ ورصف المبانى ٢٣٠ والمغنى ٣٣٥ والعينى ٣ : ٣١٢ والتصريح ٢ : ١٧ والهمع ١ : ٢١٧ والأشمونى ٢ : ٢٢٩ وديوان زهير ٨٦ .

كما فى البيت . وسَلَّم الشارح المحقق هذه الدعوى منهم ، وطعن فى الدَّليل ، قال : الإقواءُ لم يُبتدأْ من الحِجج ، بل المعنى من أَجل مرورِ حِجَجٍ وشهر . فمن فيه تعليليَّة[1] لاابتدائية .

اعلم أَنَّ محلَّ النزاع بين أَهل البلدين إنَّما هو فى ورود من لابتداء الغاية فى الزمان ، فأَهلُ الكوفة يثبتونه ، وأَهل البصرة يمنعونه . وأَمَّا ورودُها لابتداء الغاية فى المكانِ والأَحداث والأَشخاص فلا خلافَ فيها عندهما . واستدلَّ أَهل الكوفة لورود مِن فى ابتداء الغاية فى الزمان[2] بقوله تعالى: ﴿ لَمَسجِدٌ أُسِّسَ على التَّقْوَى مِنْ أَوَّلِ يَوْم أَحقُّ أَنْ تَقُومَ فيه[3] ﴾ . وأَوَّل يومٍ من الزمان. وقوله تعالى: ﴿ إذا نُودِىَ للصَّلاةِ مِنْ يَوْمِ الجُمُعَةِ[4] ﴾ وبالبيت المذكور . وأَجاب البصريُّون عن الآية الأُولى بأَنَّ فيها مضافاً محذوفاً ، والتقدير: من تأْسيس أَوَّلِ يومٍ . فمجرورُ مِنْ حَدَثٌ لا زَمانٌ . وضعَّفه أَبو البقاء بأَنَّ التأْسيسَ ليس بمكان . وردَّ عليه السَّمين بأَنَّهم إنَّما منعوا من كون من لابتداء الغاية فى الزمان ، وليس فى كلامهم أَنَّها لا تكون إلاَّ فى ابتداء الغاية فى المكان . وهذا ردٌّ جيِّدٌ حقٌّ كما ذكرنا .

وردَّ الشارح المحقق دليلَ الكوفيِّين بأَنه ليس التأْسيس حدثاً ممتدًّا ولا أَصلاً للمعنى الممتدّ. وإنَّما هو حدثٌ واقع فيما بعدَ مِنْ، فتكون ظرفية كما فى الآية الثانية .

فهو يوافقهم فى مجىء مِنْ لابتداء الغاية فى الزمان تبعاً للمبرد وابن

---

(١) ط : « تعليله » ، صوابه فى ش .

(٢) ط : « للزمان » ، وأثبت ما فى ش .

(٣) الآية ١٠٨ من سورة التوبة .

(٤) الآية ٩ من سورة الجمعة .

١٢٧

دُرستويه ، ولهذا لم يؤوِّل كما أوّل البصريُّون فى الآية . وأجابوا عن الآية الثانية بأَنَّ مِن فيه ظرفية ، وإليه ذهب الشارح أيضاً .

وأَجابوا عن البيت بما أَجابوا به فى الآية الأُولى بأَنَّ فيه مصدراً محذوفاً ، أَى من مَرِّ حِججٍ ، فيكون مجرورُهَا حدثاً لا زماناً .

وأَجاب الشارح المحقق بأَنَّ مِن فيه تعليليَّة مع تقدير المضاف ، لا ابتدائيَّة . وهو الحقُّ ، فإنَّ علة إقواءِ الديار مرورُ الدهور عليها ، لا ابتداءُ مرورها .

وأَجاب بعضهم بأَنَّ مِن هنا على مذهب الأَخفش زائدة ، والأَصل أقوين حججاً ودهراً . نقله ابن الأَنبارى (فى مسائل الخلاف) . فيكون منصوباً على الظرفيَّة . وأَهوَنُ من هذا ادِّعاءُ مِنْ ظرفيّةً كما فى الآيتين . ولم أَر من قاله . وأَجابَ بعضُهم بأَنَّ الرواية «مُذ حجج ومُذْ دهر » وأَنكر الأُولى[1] . وهذا ليسَ بشىءٍ[2] . فإِنَّ البيتَ الواحد يأْتى على روايات شتَّى وكلُّها صحيحة ، إذا كان رُواتُها ثقاتٍ . قال العسكرى (فى كتاب التصحيف) : قوله :

* أقوينَ من حِجَجٍ ومن دَهْرِ *

قال الأَصمعى : أَقوين مُذْ حُجج ٍومُذْ دهر. ومن روى : «مِن حجج» قال : معناه مِنْ مَرِّ حجج ومِنْ مَرِّ دهر . قال الزَّجاج : قوله تعالى :﴿مِن أَوّلِ يومٍ﴾ دخلت [مِن[3]] فى الزمان ، والأَصل مذ ومنذ. هذا أَكثرُ الاستعمال فى الزمان. ومِنْ جائز دخولها لأَنَّها أَصل فى ابتداء الغاية ، وفى التبعيض. انتهى .

---

(١) ش : « وأنكر الأولى هنا » ، أى رواية « من حجج » .

(٢) ش : « وليس بشىء » .

(٣) التكملة من ش .

وقوله: (لمن الديار) الظرف خبر مقدَّم، والديار مبتدأ مؤخَّر . وهذا الاستفهام تعجُّبٌ من شدَّة خرابها حتى كأنَّها لا تُعرف ولا يُعرف سُكَّانُها وأصحابُها . وبعض المصنِّفين حرَّفه ففتح اللام وكسر الميم ، وقال إنَّ مِنْ فى البيت شاهدٌ لدخولِ من الجارة على المكان . وهذا مما يُتعجَّب منه . و(القُنَّة) بضم القاف وتشديد النون : أعلى الجبل . والقُلَّة باللام موضعَ النون مثلُه . و (الحِجْر) بكسر الحاءِ المهملة : منازلُ ثمودٍ بناحية الشَّام عند وادى القُرى. قال صَعُوداءُ (فى شرح ديوان زهير): قال أبو عمرو : لا أعرف إلَّا حِجْر ثمود ، ولا أدرى أرادَه بعينه أم لا ؟ وأما حَجْر بفتح المهملة فهى قَصَبة اليمَامَة ، ولكنْ لا يدخلها الألف واللام ، فلذلك أنكرها أبو عمرٍو . انتهى .

وكذا قال غيره . قال ابن السِّيد : هذا هو المرويُّ هنا ، وقد أوَّله جماعةٌ على زيادة أل .

١٢٨ قال اللخميُّ (فى شرح أبيات الجمل) : قد يصنعون ذلك فى الأعلام قال الشاعر :

* ياليت أُمَّ العَمْرِ كانت صاحبى[1] *

أراد : أُمَّ عمرو . وقال الآخر :

* وجدت الوليدَ بنَ اليزيدِ مباركاً[2] *

---

(١) مجهول القائل . وانظر المنصف ٣ : ١٣٤ وابن الشجرى ١ : ١٥٤ والإنصاف ٣١٦ وابن يعيش ١ : ٤٤ ورصف المبانى ٧٧ . وبعده :

* مكان من أشتى على الركائب *

(٢) لابن ميادة . وهو الشاهد ١١٥ من الخزانة ٢ : ٢٢٦ . وعجزه :

* شديداً بأحناء الخلافة كاهله *

أَراد الوليد بن يزيد . هذا ما قالوا . والصواب دخول الأَلف واللام عليه . قال عاصم : الحَجْر بالفتح : مدينة اليمامة ، والحِجْر بالكسر : حِجْر ثمود . وقال الجوهرى : الحجر ، بالفتح :قصبة اليمامة ، يذكَّر ويؤنَّث ، ويؤيِّدهما البيتُ المتقدّم وبيتُ النابغة :

وهُمْ قتلوا الطائىَّ بالحَجْرِ عَنوةً   أَخا جابر واستنكحُوا أُمَّ جابرِ [(١)]

والباءُ فى قوله : (بقُنَّة) ظرفية متعلِّقة بمحذوف على أَنَّه حالٌ من الضمير المستتر فى الجار والمجرور ، والعامل فيه الاستقرار المحذوف ، والتقدير : لمن الديار كائنةً بقُنَّة الحَجْر. و (أَقوَيْنَ) : أَقفَرْن ؛ يقال أَقوت الدار ، إذا خلَتْ من سُكَّانها وأَقْفرت . والنون ضمير الديار ، وجملة أَقوين حالٌ من ذلك الضمير أَيضاً . (والحجج) بكسر الحاءِ المهملة وفتح الجيم : جمع حِجَّة بكسرها أَيضاً ، وهى السَّنَة . والدَّهر : الأَبد الممدود . وروى بدله : (ومِنْ شهر) وأَراد مِن شهور ، فوضَعَ الواحدَ موضعَ الجمع اكتفاءً به . ونظائرُه كثيرة . قال اللَّخمى : ومن رواه مُذْ حِججٍ كانَتْ مُذْ حرفَ جرّ ، والعامل فيها أَقوين ، وهى بمنزلة فى ، لأَنَّ المعنى أَقوين فى حجج .

صاحب الشاهد

والبيت مطلع قصيدة لزهير بن أَبِى سُلمى ، مدح بها هرِم بنَ سنانِ ابن أَبِى حارثة المُرِّىّ ، عدَّتُها تسعة عشرَ بيتاً ، وبعده :

أبيات الشاهد

(لعِبَ الــرِّياحُ بهـا وغيَّــرَهَا   بَعـدِى سَوافِى المُورِ والقَطْرِ
قَفْــرٌ بمنــدَفَع النَّحــائتِ من   ضَفْوَىْ أُولاتِ الضَّـالِ والسِّدْرِ
دَعْ ذا وعَــدِّ القــولَ فى هرم   خير الكُهولِ وسَيِّد الحَضْرِ [(٢)])

(١) ديوان النابغة ٤٧ برواية « فاستنكحوا » . واستنكحوا بمعنى نكحوا .
(٢) فى رواية الأعلم : « خير البداة » ، وهو الأوفق . وهو جمع باد لساكن البادية .

والسَّوافى : جمع ساف ، اسم فاعل من سفت الريح الترابَ تَسفِيه سَفياً ، إذا ذَرَته . والمُور ، بالضم : الغبار بالرِّيح . والقَطْر : المطر. قال صَعُوداءُ (فى شرحه) : قال أبو عبيدة : ليس للقطر سوافٍ ، ولكنَّه أشركه فى الجرِّ . انتهى .

وليس هذا من الجرِّ على الجوار ، لأنَّه لا يكون فى النَّسَق . ووجهُه أنَّ الرِّياح السَّوافى تُذرى التُّراب من الأَرض ، وتُنزل المطر من السحاب .

وقوله : «قَفْرٌ» أى تلك الديار قفر . والمندَفع بفتح الفاء . والنَّحائت [1] ، بفتح النون بعدها حاءٌ مهملة وآخره مثناة فوقية ، قال صَعوداءُ : هى آبارٌ . ومُندفَعُها : مُندَفَع مياهها ، ولعلَّها أودية . والآبار تفسير أبى عمرو . قال : ويقال موضعٌ فيه آبار . والضَّفْوان ، بالضاد المعجمة بعدها فاءٌ : الجانبان ، الواحد ضَفًا كقفًا . و « أُولاتِ الضَّال والسِّدر» : مواضع فيها سِدر . والضَّالُ ، هو السِّدر البَرِّىّ .

وقوله : « دع ذْا وعدِّ » إلخ ، قال صعوداءُ : عَدِّ القولَ : اصرفْه إليه . والحَضْر ، جمعُ واحدُه حاضر ، مثل صَحب وصاحب. انتهى . والحاضر : الحىُّ العظيم . والحاضر : خلاف البادى .

صاحب الشاهد

والأَبيات الثلاثةُ الأُوَل قد نسبها نُقَّاد الشِّعر إلى حمادٍ الرَّاوية ، وقالوا : أَوَّل القصيدة إنما هو : دَعْ ذا وعَدِّ القولَ . . . . . البيت .

روى الأَصبهانىُّ بسنده (فى الأَغانى) عن جماعةٍ أَنَّهم كانوا فى دارِ أَمير المؤمنين المهدىِّ بعِيساباد ، وقد اجتمع فيها العلماءُ بأَيَّام العرب

---

(١) ط : « والنحات » ، صوابه فى ش .

وآدابِها وأشعارِها ولُغاتِها ، إذْ خرج بعضُ أصحابِ الحاجب فدعا بالمفضَّل الضبيِّ الراوية ، فدخلَ فمكث مليًّا . ثم خرج ذلك الرجلُ بعينه فدعا بحمّاد الراوية ، فمكث مليًّا ثم خرج ومعه حمَّادٌ والمفضل جميعاً ، وقد بان فى وجْهِ حمَّادٍ الانكسارُ والغمّ ، وفى وجه المفضَّل السُّرور والنَّشاط ، ثم خرج الخادمُ[1] معهما فقال : يا معشرَ مَنْ حَضَر من أهل العلم ، إنَّ أمير المؤمنين يُعْلمكم أنَّه قد وصَل حمادًا الشاعرَ بعشرين ألفَ درهم لجودة شعره ، وأبطلَ روايته ، لزيادته فى أشعار النَّاسِ ما ليس منها ، ووصل المفضَّل بخمسين ألف درهم لصِدقِه وصحَّة روايته . فمن أراد أن يسمع شعراً جيّداً مُحدَثاً فليسمعْ من حمَّاد ، ومن أراد روايةً صحيحة فليأْخُذْها عن المفضَّل. فسألْنا عن السَّبب فأُخبرنا أنَّ المهدىَّ قال للمفضَّل لما دعا به وحدَه : إنِّى رأيتُ زهير بن أبى سلمى افتتح قصيدته بأَنْ قال :

١٢٩

* دع ذا وعَدِّ القولَ فى هرمٍ *

ولم يتقدَّم قبل ذلك قولٌ ، فما الذى أمر نفسه بتركه ؟ فقال له المفضل : ما سمعتُ فى هذا شيئًا إلا أنِّى توهَّمتهُ كان [يفكِّرُ[2]] فى قول يقوله ، أو يروِّى فى أنْ يقول شعراً ، قال : عدِّ إلى مدح هرم ، دَعْ[3] ذا ، أو كان مفكراً فى شىء من شأْنه فتركَه وقال: دَعْ ذا، أى دَعْ ما أنت فيه من الفِكر وعَدِّ القولَ فى هرم . ثم دعا بحمّادٍ[4] فسأَله عن مثل ما سأَل عنه المفضَّل فقال: ليس هكذا قال زهيرٌ، يا أمير المؤمنين. قال : كيف قال ؟ فأَنشده :

(١) فى الأغانى ٥ : ١٦٤ : « ثم خرج حسين الخادم » .
(٢) التكلة من الأغانى .
(٣) فى الأغانى : « فعدل عنه إلى مدح هرم وقال : دع ذا » .
(٤) الأغانى : « فأمسك عنه ثم دعا بحماد » .

* لمن الديار بقُنَّة الحجر *

الأبيات الثلاثة :

دع ذا وعدِّ القول فى هرم . . . . البيت

قال : فأطرقَ المهدى ساعة ثم أقبلَ على حمّاد فقال : قد بلغ أميرَ المؤمنين عنك خبرٌ لابد من استحلافك عليه . ثمَّ استحلفه بأيمان البَيْعة ليصدُقنّه عما يُسأَل عنه . فحلف له ، فلمَّا توثَّق منه قال له : اصدُقْنى عن حال هذه الأبيات ، ومَن أضافها إلى زهير . فأَقرَّ له حينئذ أَنَّه قالها. فأمر فيه وفى المفضَّل بما أمر به من شَهْر أمرِهما وكشْفه . انتهى .

وحمَّاد قد ترجمه صاحبُ الأَغانى[1] ، فلا بأْس بإيراد شىء من أخباره ، فإنَّه كان من أعاجيب الدُّنيا ، ولكونه صاحبَ البيت الشاهد استحقَّ أن نُترجمه . وهو ممن يصحُّ الاستشهاد بكلامه .

حماد الراوية

قال : هو حَمَّاد بن مَيْسرة، فيما ذكره الهيثم بن عدىّ . وكان صاحبَه وراوِيتَه وأعلمَ الناس به . وزعَم أَنَّه مولَى بنى شيبان . وكان من أعلمِ الناسِ بأَيَّام العرب وأَخبارِها وأَشعارها وأَنسابِها ولغاتها ، وكانت ملوكُ بنى أُميَّة تقدِّمه وتؤْثره وتُسنِّى برَّه[2] . وقال له الوليد بن يزيد : بما استحققتَ هذا اللقبَ[3] فقيل لك : حمادُ الراوية ؟ قال : لأَنى أَروِى لكل شاعر يَعرفه أمير المؤمنين أَوْ سمِع به ، ثم أَروِى لأَكثر منهم ممن لاتعرِف[4] بأَنك لا تعرفهم ولا سمعتَ بهم[5] ، ثم لا أُنشد شعراً لقديم

---

(١) الأغانى ٥ : ١٥٦ — ١٦٥ .

(٢) فى الأغانى : « وتستزيره » أى تطلب زيارته .

(٣) وكذا فى الأُغانى ، وهى لغة جائزة قرئ بها : « عما يتساءلون » .

(٤) ط : « ممن لا تعترف » ، صوابه فى ش والأغانى .

(٥) الأغانى : « أنك لم تعرفه ولم تسمع به » .

أو محدَث إلا ميَّزتُ القديم منه من المحدَث . قال : إن هذا لعلمٌ وأبيك كثيرٌ فكم مقدار ما تحفظَ من الشعر ؟ قال : كثير ، ولكنِّى أُنشِدُك على أىِّ حرفٍ شئتَ من حروف المعجم مائة قصيدةٍ كبيرة ، سِوى المقطَّعات من شِعر الجاهلية . قال : سأَمتحنك . وأمره الوليدُ بالإنشاد . فأَنشده حَتى ضجر الوليد ، ثم وكَّل به مَن استحلفه أن يصدُقه عنه ويستوفىَ عليه . فأَنشده ألفىْ قصيدةٍ وتسعمائة قصيدة للجاهليِّين ، وأخبر الوليدَ بذلك ، فأَمر له بمائة ألف درهم .

وروى أحمد بن عُبيد ، عن حَمادٍ أنَّه قال : كان انقطاعى إلى يزيد بن عبد الملك، فكان هشامٌ يجفونى لذلك ، فلما مات يزيد وأَفْضَت الخلافةُ إلى هشامٍ جفانى[1] ومكثت فى بيتى سنةً لا أخرُج إلَّا لمن اثق به من إخوانى سرًّا ، فلمَّا لم أَسمع أحدًا يذكرنى أَمِنْت وخرجْتُ فصلَّيت الجمعة ، ثم جلستُ عند باب الفيل ، فإذا شُرْطيَّانِ قد وقفا علىَّ فقالا لى : يا حماد ، أجبِ الأَمير يُوسُفَ بنَ عمر . فقلت فى نفسى : هذا ما كنت أَحْذر : فصِرتُ إليه فرمَى كتاباً إلىَّ فيه: من عبدالله هشام أمير المؤمنين إلى يُوسف بن عمر ، أَمَّا بعد فإذا قرأْتَ كتابى هذا فابعَثْ إلى حمادٍ الراوية من يأْتيك به غير مروَّع ، وادفع إليه خمسَمائِة دينار وجَمَلًا مهريًّا يسير عليه اثنتى عشرة ليلةً إلى دمَشق . فأَخذتُها وركبتُه وسِرت حتَّى وافيت باب هشام ، فاستأْذنت فأَذِن لى ، فدخلت عليه فى دار مفروشة بالرُّخام ، وبين كل رُخامتين قضيبُ ذهب ، وحيطانها كذلك ، وهشام جالس على طِنفِسةٍ حمراء وعليه ثيابُ خَزٍّ حُمر ، وقد تضمخ بالمسك والعنبر ، وبين يديه مِسكٌ مبثوث فى أَوانِى الذهب ،

١٣٠

(١) بدله فى الأغانى : « خفته » .

يقلِّبه بيده فتفوح روائحُه . فسلَّمت عليه فردَّ علىَّ السلام ، واستدنانى فدنوتُ حتَّى قبَّلْت رجله ، فإذا جاريتان لم أَر مِثلهما ، فى أُذُن كلٍّ واحدة منهما حَلْقتان[(١)] فيهما لؤلؤتان تَوقَّدَانِ ، فقال لى : كيف أنت يا حمَّاد ، وكيف حالك ؟ قلت : بخير يا أمير المؤمنين . قال : أتدرى فيما بعثتُ إليك ؟ قلت : لا . قال : بعثتُ إليك لبيتٍ خطرَ ببالى لم أدرِ مَنْ قاله ؟ قلتُ : وما هو ؟ قال :

فدعَتْ بالصَّبوح يوماً فجاءَت   قَيْنـــةٌ فى يمينهـــا إبريقُ[(٢)]

قلت : هذا يقوله عدىٌّ بن زيد فى قصيدةٍ له . قال : أَنشِدْنيها . فأنشدتها :

بَـــكرَ العـــاذلون فى فلق الصُّبْـ   ـح يقولونَ لى : أَلَا تَستفيقُ[(٣)]

ويَلومُـــون فيكِ يا ابنة عبدِ اللـ   ـه والقَلبُ عندكم موهـــوقُ[(٤)]

لستُ أدرى إذْ أكثرُوا العذلَ عنـــدى   أعـــدُوٌّ يلومُنى أم صـــــديقُ[(٥)]

زانهـــا حُسْنُهـــا وفرعٌ عميـــمٌ   وأَثِيثٌ صَلْتُ الجَبين أنيـــقُ

وثنـــايَا مُفلَّجـــاتٌ عِـــذابٌ   لا قِصـــاراً ترَى ولا هُنَّ رُوقُ

فدعَتْ بالصَّبوح يوماً فجاءَت   قينـــــةٌ فى يمينهـــا إبريقُ[(٦)]

---

(١) فى الأغانى : « حلقتان من ذهب » .

(٢) الأغانى : « فدعوا » . وفى الديوان ٧٨ : « ثم نادوا على الصبوح » .

(٣) الأغانى : « فى وضح الصبح » ، وهى رواية الديوان .

(٤) وكذا فى الديوان ٧٦ . والموهوق من الوهق ، وهو حبل مغار فيه أنشوطة، فتؤخذ فيه الدابة والإنسان .

(٥) الأغانى : « أو صديق » .

(٦) الأغانى : « فدعوا بالصبوح » .

قَدَّمَتْــه على عقــار كعَيْنِ الـ ـدِّيكِ صَــفَّى سُلافها الراووقُ
ثم كــان المــزاجُ مــاءَ غمــامٍ غيرَ ما آجنٍ ولا مطــروقُ(١))

قال : فطربَ وقال : أحسنتَ والله يا حماد، سلنى حوائجَك. فقلت: كائنة ما كانت ؟ قال : نعم . قلت : إحدى الجاريتين. قال: هما جميعاً بما عليهما وما لَهُما لك . فوهبَهُما له، وأنزله فى داره، ثم نقله من غدٍ إلى منزلٍ أعدَّه له ، فانتقل إليه فوجد فيه الجاريتين وما لَهما وكلَّ ما يحتاج إليه . فأقام عنده مُدةً ، فوصل إليه منه مائة ألف درهم .

وروى أيضاً بسنده أن جعفر بن أبى جعفر المنصور ، والمعروف بابن الكردية ، كان يستخفُّ مُطِيع بنَ أياس ويحبُّه ، وكان منقطعاً إليه ، وله منه منزلة حسنة . فذكر مطيع حماداً وكان صديقَه ، وكان مطَّرَحاً مجفوًّا فى أيَّامهم، فقال له: ائتنا به لنراه . فأتى مطيعٌ حماداً فأعلمه بذلك ، وأمره بالمصير إليه وَمعه ، فقال له حماد : دَعْنى فإن دولتى كانت معبنىأمية ، ومالى معهؤلاءِ خيْر. فأبىمطيعٌ إلاَّ الذَّهاب به ،فاستعار حمادٌ سوَادًا وسَيْفًا(٢) ، ثم أتاه فمضى به إلى جعفر ، فلمَّا دخل سلَّم عليه وأثنى عليه ، فردَّ عليه السلام وأمره بالجلوس، ثم قال له جعفر : أَنشِدْنى لجرير . قال حماد : فوالله لقدسُلِخَ شعرُ جريرٍ كلُّه من قلبى، إلا قولَه : ١٣١

بانَ الخليط برامتينِ فــودَّعوا
أَوَ كلَّمــا اعتزمُــوا لبينٍ تَجــزعُ

---

(١) الأغانى : « ماء سماء » . وفى الديوان : « ماء سحاب لا صرى آجن » .
(٢) أى ثياباً سوداً . وكان السواد شعار العباسيين .

فاندفع ينشده إيَّاها حتى قال :

ونقول بَوزَعُ قد دَبَبْتَ على العصــا
هَلَّا هَــزِئتِ بغيــرنا يا بَــوْزَعُ

قال حمَّاد : فقال لى جعفر : أَعِدْ هذا البيت . فأَعدته . فقال : بوزعُ أَيش هو ؟ قلت : اسم امرأَة . فقال : هو برىءٌ من اللهِ ورسوله ونفِىٌ من العبَّاس إن كانت بوزعُ إلا غُولاً من الغيلان ! تركتَنى والله يا هذا لا أنام اللَّيلَ من فزع بَوزَع ! يا غلمان ، قفاه ! قال: فصُفِعتُ حتَّى لم أدر أين أنا . ثم قال : جرُّوا برجله . فجرُّوا برجلىَّ حتى أُخرِجت من بين يديه مسحوباً، فتخرَّق السواد ، وانكسر جَفنُ السيف، ولقِيتُ شرًّا عظيماً . وكان أشرَّ من ذلك غرامتى ثمنَ السَّوادوجَفنِ السيف.

وكتب حمادٌ إلى بعضَ الرؤَساءِ الأَشراف :

إنَّ لى حــاجة فرأيَك فيهــا ... لك نفسى فِدًى من الأَوصــابِ
وهى ليسَتْ ممَّا يبلِّغها غيــ ... ـرى ولا يَستطيعها فى كتابِ[1]
غير إنِّى أقولُها حين ألقــا ... كَ رُوَيدًا أُسِرُّها فى حجابِ

فكتب إليه الرجل : اكتبْ إلىَّ بحاجتك ولا تَشْهَرنى فى شِعرك . فكتب إليه حماد :

إننى عاشقٌ لجُبَّتــكَ الدكنــ ... ـاءِ عِشقاً قد حال دُونَ الشَّرابِ
فاكسُنِيهــا فدَتكَ نفسى وأهلى ... أتباهَى بهــا على الأَصحــاب
ولك اللهُ والأَمــانةُ أن أجـ ... ـعَلها عُمرَها أميرَ ثيــابى

---

(١) الأغانى ٥ : ١٦١ : « مما يبلغه غيرى » .

فبعث بها إليه .

قال ابن النطَّاح : كان حمادٌ فى أول أمره يتشطَّر ، ويَصحب الصعاليك واللُّصوص ، فنقَبَ ليلةً على رجُل وأخذَ ماله ، فكان فيه جزءٌ من أشعار الأنصار ، فقرأه حمّادٌ فاستحلاه وحَفِظه ، ثم طلب الأدبَ والشعر وأيامَ العرب ولغاتِها بعد ذلك ، وترك ما كان عليه ، فبلغ فى العلم ما بلغ .

وروى بسنده أيضاً عن ابن الأعرابى أنه قال : سمعت المفضَّل الضَّبّىّ يقول : قد سُلِّط على الشِّعر حمادٌ الراوية فأفسدَه . فقلت له ؟ وكيفَ، أيخطئُ فى روايته أم يلحنُ ؟ فقال : ليته كان ذلك ، فإنَّ أهل العلم يردُّون مَنْ أخطأ إلى الصواب ، ولكنه رجل عالمٌ بلغات العرب وأشعارِها ومذاهبِ الشعراء ومعانيها، فلا يزال يقولُ الشِّعرَ يشبِّه به مذهبَ رجل ، ويدخلهُ فى شعره ، ويُحمَل ذلك عنه فى الافاق، فيختلط بأشعار القدماء ولا يتميَّز الصحيح منها إلاَّ عند عالم ناقد ، وأين ذاك .

وروى أيضاً بسنده أنَّ الطِّرِمَّاح قال : أنشدتُ حمادًا الراوية ، فى مسجد الكوفة ، وكان أذكى الناسِ[1] وأحفظَهم ، قولى :

* بانَ الخليطُ بسُحرةٍ فتبدَّدوا *

وهى ستُّون بيتاً، فسكت ساعة ولا أدرى ما يريد، ثم أقبل علىَّ فقال: هذه لك ؟ قلت : نعم . قال : ليس الأمر كذلك . ثمَّ ردَّها علىَّ كلَّها وزيادة عشرين بيتا زاد فيها فى وقته ، فقلت له : ويحك ، إنَّ هذا شعرٌ قلته منذ أيَّام ما اطَّلع عليهِ أحدٌ . فقال : قد والله قلتُ هذا الشِّعر منذ عشرين سنة ، وإلا فعلىَّ وعَلىّ . فقلت : لله علىَّ حَجَّةٌ أحجُّها حافياً راجلاً إنْ

(١) ط : « أزكى الناس » ، صوابه فى ش والأغانى ٥ : ١٦٩ .

جالستُك بعدها أبدا ؟ فأخذ قبضة من حَصَى المسجد ثم قال : علىَّ لله بكلِّ حصاةٍ مائةُ حَجَّةٍ إنْ كنتُ أبالى . فقلت له : أنت رجل ماجن ، والكلام معك ضائع . ثم انصرفت .

وروى بسنده [أيضاً[١]] أنّه كان بالكوفة ثلاثة نفر يقال لهم الحمّادون : حمّاد عَجْرَد ، وحمادُ الراوية ، وحمادُ بنُ الزِّبرقان ، يتنادمون على الشراب ويتناشدون الأشعار ، ويتعاشَرون مُعاشرةً جميلة ، وكانوا كأنّهم نَفْسٌ واحدة ، وكانوا يُرمَوْن بالزَّندقة جميعاً[٢] .

وقد هجاه أبو الغُول الطُّهوىُّ بقوله[٣] :

نِعمَ الفتى لو كــان يَعرِف ربَّه
أو حينَ وقتِ صَلاتِه حمّــادُ[٤]

ضَمَّت مَشافِرَه الشَّمولُ فأنفُــه
مثلُ القَدُوم يسُنُّها الحــدادُ[٥]

وابيضَّ من شُربِ المُدامةِ وجهُه
فبيــاضُه يومَ الحسابِ سَــوادُ

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الخامس والسبعون بعد السبعمائة[٦] :

---

(١) التكملة من ش .

(٢) الأغانى ٥ : ١٥٧ . وانظر الحيوان ٤ : ٤٤٦ – ٤٤٧ .

(٣) نسب هذا الهجاء فى الحيوان ٤ : ٤٤٥ إلى حماد بن الزبرقان . ولعل الأوفق نسبته إلى أبى الغول كما فى الأغانى ٥ : ١٦٢ وأمالى المرتضى ١ : ١٣٣ مع ما تقوله الرواية ، أن الحمادين كانوا كأنهم نفس واحدة .

(٤) فى الحيوان والأغانى وأمالى المرتضى :

* ويقيم وقت صلاته حماد *

(٥) الأغانى والحيوان : « هدلت مشافره الدنان » . وفى أمالى المرتضى : « بسطت مشافره الشمول » .

(٦) الأغانى ١٩ : ١١٢ ومعجم البلدان (طهيان) .

٧٧٥ (فليتَ لنا مِنْ ماء زَمزَمَ شَربةً
مُبــرَّدةً باتتْ على طَهَيــــانِ)

على أن (مِن) قد تأتى للبدل . أى فليتَ لنا شربةً بدلَ ماء زمزم.

(وطَهَيان) بفتح الطاء المهملة والهاء والمثناة التحتية : جبَل. ورواه الصاغانى فى العباب : « باتت على الهَمَيان » ، وقال : هكذا الرواية . والنُّحاة يروونه : « على طهَيان ». والهَمَيانُ : قوائم من صخرٍ شاخصةٌ ىبلاد غطفان . وأنشده (فى مادة برد) قال : وبرّدتالماءَ تبريداً ، ولا يقال أبردته إلاَّ فى لغة رديئة . ونسَب البيت[1] إلى الأَحْوَلِ الكِنْدى . وهذا خلافُ ما عليه الرُّواة فإنَّهم قالوا : إنَّ البيت آخر قصيدةٍ ليعلى الأَزدى ، تقدَّمت فى الشاهد الثالث والثّمانين بعد الثلثْمائة[2] .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد السادس والسبعون بعد السبعمائة[3] :

٧٧٦ (لا تَنتهُونَ ولن يَنهَى ذَوِى شَطَطٍ
كالطَّعن يَهلِكُ فيــه الزَّيتُ والفُتُلُ)

على أنَّه لو صحَّ قول المصنف فى توجيه كلام العرب : « قد كانَ مِن مَطَر » بأَنَّ أَصله : قد كان شئٌ من مطر ، فحذفالفاعلُ الموصوف بالظرف ، لجاز أَن تكون الكاف فى هذا البيت حرفَ جرٍّ ، ويكون الفاعل

---

(١) ش : « وينسب البيت » .

(٢) الخزانة ٥ : ٤٠٤ .

(٣) المقتضب ٤ : ١٤١ والأصول ١ : ٥٣٥ والخصائص ٢ : ٣٦٨ وسر الصناعة ١ : ٢٨٣ وابن الشجرى ٢ : ٢٢٩ ، ٢٨٦ وابن يعيش ٨ : ٤٣ ورصف المبانى ١٩٥ والعينى ٣ : ٢٩١ والهمع ٢ : ٣١ والأشباه والنظائر ٤ : ١١٥ ويس على التصريح ٢ : ١٨ واللسان (حطط ١٤٤ عثل ٤٥٠ غيل ٢٥ ، ٢٧) وديوان الأعشى ٤٨ .

محذوفاً ، وقد أُقيم الظرفُ مقامه ، فلا يصح الاستدلال بالبيت على أَنَّ الكاف اسمٌ مع أَنَّها اسم وجوباً فى البيت .

وقد ردّ ابنُ السّراج (فى الأُصول) ما ذكره المصنِّف قال : فى الكلام والأَشعارِ ما يُوجِب للكاف أَنَّها اسمٌ . قال الأَعْشى :

أَتنتهون ولا ينهَى ذوِى شَطَطٍ . . . . البيت

فالكاف هى الفاعلة . فإن قال القائل : إنَّما هى نعتٌ لمحذوف ، أَراد شيءٌ كالطَّعن ، وهى حرف . قيل له : إنما يخلف الاسم وَيقوم مقامه ما كان اسماً مثلَه ، نحو جاءَنى عاقلٌ ومررت بظريف . وليس بالحسَن إلّا فيما يشكل من النعوت ، ولو كان غير الاسم يخلُفها لَصَلحَ أن تقول جاءَنى يقوم ، وكلمت يضرب ، تريد إنساناً ورجلاً ونحو ذلك . وكذلك يلزمك أن تقول : جاءَنى فى الدار ، تريد: رجلٌ فى الدار . انتهى .

وسيأْتى إن شاء اللهُ تعالى بقيّةُ الكلامِ عليه فى الكاف .

والبيت من قصيدة للأَعشى ميمون ، تقدَّم بعضُها فى الشاهد التاسع والثلاثين بعد السمّائة [(١)] . وقبله :

١٣٣

(إنِّى لَعَمْرُ الذى حَطَّتْ مناسِمُها ... تَخْدِى وسِيقَ إليه الباقرُ الغُيُلُ
لئن قَتلتمْ عميدًا لم يكن صَدَداً ... لنَقتُلَنْ مثلَه منكم فنمتثلُ
وإن مُنِيتَ بنا عن غِبِّ معركةٍ ... لا تُلفِنا عن دماءِ القوم نَنتفلُ
لا تنتهون ولن يَنْهَى ذوِى شَطط ... كالطَّعن يَهلِك فيه الزَّيتُ والفتُلُ
حتى يظلَّ عميدُ القوم مُرتفِقاً ... يَدفَعُ بالرَّاح عنه نِسوةٌ عُجُلُ
أَصابه هُندُوانىٌّ فأَقصَدَه ... أَو ذابلٌ من رماح الخَطِّ معتدلُ)

(١) الخزانة ٨ : ٣٩٠ – ٣٩٥ .

قوله : « إنِّى لعمر الذى » إلخ اللام للتوكيد، وعَمْر بالفتح مبتدأ خبره محذوفٌ يقدَّر بعد تمام البيت ، تقديره قسمي . وعَمر مضاف إلى الذى بتقدير موصوف ، أى لعمر الله الذى . ومعنى لعمر الله : أحلف ببقاء الله ودوامِه . والبيتُ الذى بعده جواب القسم ، والقسم وجوابه خبر إنِّى . وحَطَّت ،بالحاء المهملة، بمعنى اعتمدَتْ . ومناسمُها فاعله ، والمناسم: جمع مَنْسِم كمجلس ، وهو طرَف خفِّ الإبل . والضمير المؤنَّث ضمير الإبل وإنْ لم يَجْرِ لها ذكر ، لأنَّ المناسم تدلُّ عليها[1] . والعائد إلى الذى محذوف تقديره إليه ، أى إلى بيته ؛ ويدلُّ عليه ما بعده . وتَخْدِى بالخاء المعجمة والدال المهملة ، أى تسير سيراً شديداً ، وفاعله ضمير المناسم فيه ، والجملة حالٌ من المناسم . وإسناد الخَدْى إلى المناسم مجازٌ عقلى ، وفى الحقيقة إنما هو للإبل. وروى أبو عبيدة : «له» بدل تخدى، فالعائد حينئذ مذكور. وقوله :«وسِيق» عطف على حَطَّت، أى وعَمْر الذى سيق إليه. والباقر نائب فاعل سِيق، وهو اسم جمع[2] معناه جماعة البقر. والغُيُل بضمتين: جمع غَيْل، بفتح الغين المعجمة وسكون المثناة التحتية ، بمعنى الكثير . يريد : إنِّى أقسم بالله الذى تُسرع الإبل إلى بيته ويُساقُ إليه الهَدْى .

والخطيب التبريزى لم يأْت فى شرح هذا البيت بشىء ، مع أنَّه اختلفت الرواة فيه، وخطَّأَ العلماءُ بعضُهم بعضاً فيه .

وقد روى أبو القاسم على بن حمزة البصرى (فى أول كتابه : التنبيهات على أغلاط الرواة) . ما وقع للأئمة الأعلام من الردود وتخطِئَة بعضِهم بعضًا ، فلا بأْس بإيراده ، قال :

---

(١) ط : « يدل عليها » .
(٢) ط : « وهو اسم موضع » ، صوابه فى ش .

ونقِل إلينا من غير وجهٍ أن أبا عمرو الشَّيْبانىَّ قال : روى أبو عبيدة بيت الأعشى : « وسيق إليه الباقر العَثَلُ » أى بعين مهملة وثاء مثلثة مفتوحتين ، فأرسلت إليه : صَحَّفتَ ، إنَّما هو الغُيُل : أى الكثير، يقال : ماءٌ غيل ، إذا كان كثيراً . وروى عنه أيضاً أنَّه قال : الغُيُل : السِّمان، من قولهم : ساعِدٌ غَيْلٌ . وكان أبو عبيدة يروى هذا البيت

إنِّى لعَمْرُ الذى حَطَّت مناسمُها تَخدِى وسِيق إليه الباقرُ العُثُلُ

وحكى ابن قتيبة أنَّ أبا حاتم قال : سألت الأصمعى عنه فقال : لم أسمع بالعُثُل إلاَّ فى هذا البيت. ولم يفسِّره . قال : وسألت أبا عبيدة عنه فقال : العُثُل : الكثير . قال ابن قتيبة : وخبَّرنا غيره أنَّ الأصمعى كان يروى .

* وجَدَّ عليها النافر العَجِلُ *

يريد النِّفار من مِنى . والنَّافر لفظُه لفظُ واحد وهو معنى جمع . وقد اختُلف عنه فى « العجل » فقال بعض : « العُجُل » بضم العين ، وقال بعض : « العَجِل» أى بفتح فكسر ، وجعله وصفًا لِواحد . قال : ورواه أبو عبيدة: « حَطَّت مناسمها » بالحاء غير معجمة ، وقال : يعنى حِطاطها فى السَّير[1] ، وهو الاعتماد . ورواه الأصمعى : « خَطَّت مَناسِمُها » بالخاء المعجمة ، أى شَقَّت التراب . وأنشَدَ للنابغة :

١٣٤

* فما خططتَ غبارى[2] *

أى شققته . وقال الأصمعى : حَطَّت خطاً .

---

(١) الحطاط وردت فى القاموس ولم ترد فى اللسان .

(٢) البيت بتمامه كما فى التنبيهات ٨١ ، وديوان النابغة ٣٤ وما سيأتى فى ص ٤٥٨ :

أرأيت يوم عكاظ حين لقيتنى تحت العجاج فما خططت غبارى

فانظر إلى اختلافهم فى هذا البيت . وردٌّ بعضهم على بعض، ومُراسلة أبى عمرو أبا عبيدة فيه .

وقد أصاب أبو عمرٍو فى الغُيُل، وصحَّف أبو عبيدة، لأَنَّ لِتفسيرىْ أبى عمرو وجهين صحيحين معروفين، وتفسير أبى عبيدة غير مسموع من غيره ولا معروف[1] .

ولا تلتفتنَّ إلى قول ابن دريد: نَعَمٌ عَثَلٌ وعثِلٌ : كثير[2] ولا إلى قوله[3] : العَثَل: الغلظ والفخامة، عَثِلَ يَعثَل عَثلاً . وكلُّ كثيرٍ عَثَل[4] . فكل هذا عن أبى عبيدةَ .

وأَصابَ أبو عبيدة فى حَطَّت، لأَنه وجه صحيح، وأخطأَ الأَصمعىُّ فى قوله: حَطَّت بالمهمَلة خطأً . ولأَنْ تكونَ معتمِدةً فى سيرها بمناسمها خيرٌ من أن تكون خاطَّة . والحَطُّ بالمهملة : الاعتماد، يقال حَطَّ يحُطُّ حطًّا ، إذا اعتمد . ولمَّا لم يعرفه الأَصمعىُّ ردَّه . قال عمرو بنُ الأَهتم :

ذَرِينى فإنَّ الشيخَ يا أُمَّ هيثمٍ ... لصالحِ أخلاقِ الرِّجال سَرُوقُ[5]

ذرينى وحُطِّى فى هواى فإنَّنى ... على الحَسَبِ الزاكى الرَّفيعِ شفيقُ[6]

ومن هذا أُخذ : حطُّ الأَديم ، وهو صقلُه ودلْكُه ، وذاك لأَنَّ صاقله

---

(١) جمهرة ابن دريد ٢ : ٤٥ .

(٢) ما بعده إلى : « أبى عبيدة » ساقط من التنبيهات .

(٣) ط : « وإلى قوله » .

(٤) ش : « وكل شىء عثل » ، صوابه فى ط .

(٥) المفضليات ١٢٥ والحماسة ١٦٥٢ بشرح المرزوقى و ٤ : ١٩٢ بشرح التبريزى .

(٦) ما بعد هذا البيت إلى نهاية النص لم يرد فى نسخة التنبيهات .

يعتمد عليه . يقال حطّه يحطُّه حطًّا ، فهو أديمٌ محطوط . والخشبة التى يُصقَل عليها يقال لها المِحَطُّ . قال النمر بن تولب :

كأَنَّ مِحَطًّا فى يدَىْ حارثيّةٍ صَناعٍ علَتْ منّى به الجِلدَ من علُ[1]

شبَّه برَقان بدنِه لماء الشباب وترارتِه ، بالأديم المصقول . انتهى ما أورده أبو القاسم .

وقال العسكرى (فى كتاب التصحيف) : وقد روَوْا بيتاً من شعر الأعشى على عشرةِ أوجه ، وهو :

إنّى لعمر الذى حَطّتْ مناسمها . . . . . . البيت

وذكرتُ الأوجهَ ليُعلَم قدرُ عنايتهم بالعلم، وصرف اهتمامهم إليه . رواه الأصمعى: « إنّى لعمرُ الذى خَطّت » بالخاء المعجمة . ورواية عَسل[3] عنه بالحاء غير المعجمة . وقال الأصمعىُّ : خطّت، يعنى أنّها تشقّ التراب. قال : ومثله قول النابغة :

أعلِمتَ يومَ عُكاظَ حينَ لقِيتَنى
تحتَ العَجَاجِ فما خَطَطتَ غُبارِى[4]

أى قصّرتَ عنه أن تدركه . قال : ولا يكون حَطّت ، لأنَّ الحِطاط

(١) ديوان النمر ٨٥ والحيوان ٥ : ٤٨ واللسان (حطط) ، وهو من قصيدة أولها :
تأبـد مـن أطـلال جمرة مأسل وقـد أقفـرت منهـا سراء فيذبل
(٢) التصحيف ٢١٤ – ٢١٧ .
(٣) هو عسل بن ذكوان العسكرى النحوى . روى عن المازنى وقرأ عليه كتاب سيبويه ، وروى أيضاً عن الرياشى، وكان فى أيام المبرد . وله : أقسام العربية ، والجواب المسكت . انظر إنباه الرواة ٢ : ٢٨٣ وفيه مراجع ترجمته .
(٤) سبق الكلام عليه قريباً .

الاعتماد فى الزمام . ورواها أبو عمرو : « حَطَّت » بالحاء وقال : هو أن يعتمد فى أحد شِقَّيه . ورواه : « تَخْدِى» بالخاء المعجمة ، وقال : « الباقر العيل » بعين غير معجمة بعدها ياء تحتها نقطتان . وفى رواية الزيادىّ عن الأَصمعىّ : « الباقر العثل » بعين وثاء فوقها ثلاث نقط ، وفسَّره فقال : العَثَل والعَثج واحد ، وهو الجماعة . وفى رواية عَسَل: « حَطَّت » بالحاء غير المعجمة ، وقال : معناه أسرعَت . قال : والعَثل الكبير الثقيل: يقال انكسرت يدهُ ثم عَثِلَتْ تعثَل ،أى ثقُلت عليه. هذه رواية الأَصمعى. ورواه أبو عبيدة : « حَطت » بالحاء ، وهو الاعتماد فى أَحد شِقَّيها إذا سارت . وروى:« العَثَل » وقال : هى القطيع والجماعات، يقال ذلك فى الناس والإبل . وكذلك العَثَج ، ولم يعرف الغُيُل . ورواه أبو عمرو الشيبانى: « الغُيُل » بغين معجمة وتحت الياء نقطتان ، وفسَّره بالكثير وقال : يقال ماءٌ غُيُل إذا كان كثيراً . والغُيُل أيضاً السِّمان . يقال ساعدٌ غَيْل ، إذا كان ممتلئًا ريًّا . قال: وروى أبو عبيدة: « العُثُل » بالثاء منقوطة بثلاث ، فأَرسلتُ إليه : أنْ قد صَحَّفت ، إنَّما هو الغُيُل . ١٣٥

وروى بعضهم عن الأَصمعى أنَّه قال : الرّواية : « وجَدَّ عليها النافر العُجلُ » بالجيم . والنافر بالنون والفاء. أى خَطَّت مناسمها تَخدِى ذاهبةً ثم جَدّت عليها النُّفَّار من مِنًى حيث نَفَروا .

وقال أبو الحباب : قلت له : إنَّما قالَ النافر ،وهو واحدٌ، ثم قال العُجُل؟ فقال : كقولك : يـأَيُّها الرجل وكلُّكم ذلك الرجل. وكثيراً ما يجىء الواحد فى معنى الجميع[1] .

---

(١) ط : « الجمع » ، وأثبت ما فى ش وكتاب التصحيف ٢١٦ .

ورواه أبو عبيد القاسم بن سَلاّم عن أصحابه « خَطَّت » بالخاء المعجمة ، وقال : يعنى أنّها تشقُّ التراب . قال: وكذلك قول النابغة[١] :

* فما خططتَ غبارى *

يعنى ما شققتَه ، أى قصَّرت عنه ولم تُدركْه . وروى بعضُهم : « حَطَّت مناسمُها تَحدَى » بحاء مهملة بدلا من تَخدِى .

فانظر إلى هذا البيت ، وكم أتعب من الرُّواة والعلماء واحتملوه ، لطلب الفائدة فيه . انتهى كلام العسكرى .

وقوله : « لئن قتلتم » إلخ اللام هى الموطِّئة للقسَم . وقوله لنَقتُلَنْ جواب القسم ، وجواب الشرط محذوفٌ دلَّ عليه جواب القسم .

وقوله : « وإنْ مُنِيتَ بنا » إلخ يأْتى إن شاء الله شرحُه فى الشاهد الثالث والثلاثين بعد التسعمائة ، فى حروف الشرط . والخطاب ليزيدَ بن مُسْهر الشَّيبانى ، فإنَّه كان أغوى بنى سَيَّار فى أن يقتلوا سيِّدًا من رهط الأَعشى ، على ما تقدَّم سببُه هناك .

والعميد: السيِّد الذى يُعمَد، أى يُقصَد. والصَّدَد، بفتحتين : المقارِب. وقوله: « فتمتثل » أى نقتل الأَمثل . وأماثل القوم : خيارهم. يقول : والله إن قتلتم منَّا دونَ السَّيِّد لنقتلُ أَمثلَكُم .

وقوله: (لا تنتهون) إلخ أى لا تنزجرون . وقوله: (ولن ينهى) إلخ البيت: جملة معترضة بين لا تنتهون وبين متعلِّقه وهو حَتَّى يظلَّ، البيت الآتى . وزعم العينى أنَّ الجملة حاليّة . وعُذره أنّه لم ينشد البيت الذى

---

(١) كلمة « النابغة » ساقطة من ش ، وفيها : « وكذلك قوله » .

بعده . ويروى: (أتنتهون) بالاستفهام الإنكارى (ولن ينهى) بفتح الهاء ، وذوى مفعول مقدم. يقال ينهاه، أى يزجره ويمنعه. و(الشَّطَط) بفتحتين : الجَور والظُّلم . فى (المصباح): شطَّ فلانٌ فى حكمه شطوطاً وشططاً : جار وَظلم . وشط فى القول شَطَطا وشُطوطاً : أغلظَ فيه . وشطَّ فى السَّوم : أفرط . والجميع من بابَى ضرب وقتل[1] . والكاف من قوله (كالطعن) اسمٌ فاعلُ ينهى، والطعن مضاف إليه، وهو مصدر طعنه بالرمح طعناً ، من باب قتل. ويهلك بكسر اللام من باب ضرب. وجملة (يهلك) إلخ صفة للطعن، لأنَّ اللام فيه للجنس . (والفُتُل) بضمتين: جمع فتَيلة ، أراد فتيلة الجراحة . والمعنى : لا ينَهَى أصحابَ الجَور مثلُ طعن جائف ، أى نافذ إلى الجوف ، يَغيب فيه الزَّيت والفُتل. يريد أنَّه لا يمنع الجائِرينَ من الجَور إلاَّ القَتْل .

وقوله: «حَتى يظلَّ[2] » إلخ حتَّى جارَّة بمعنى إلى متعلِّقة بقوله لاتنتهون. ويظلّ بمعنى يستمرّ، منصوب بأَن مضمرة بعد حتى . وعميد القوم، أى سيِّد القوم منكم . والمرتفق : الطالب الرِّفقَ والإعانة . والرَّاحُ : جمع راحة اليد . والعُجُل بضمتين جمع عَجول وهى الثَّكْلَى[3] . يقول: حتى يظل سيِّد الحى تدفع عنه النساءُ بأَكفِّهنَّ لئلا يُقتل ، لأَنَّ من يدفَع عنه من الرّجال قُتِل . وقيل المعنى : يدفعْن لئلا يوطأ بعد القتل . وهو المناسب لقوله: «أَصابه هندوانىٌّ» أَى سيفٌ منسوب إلى الهند. وأقصده : قتلَه مكانه. وذابل ، هو الرُّمح . والخَطُّ بالفتح : موضعٌ باليمامة تُنسَب إليه الرماح ، وهى لا تنبت بالخَطِّ، إنَّما هو ساحلٌ للسُّفن التى تحمِل القَنا إليه وتُعمَلُ به[4] .

١٣٦

(١) الكلام بعده إلى « من باب ضرب » ساقط من ش .

(٢) الكلام بعده إلى « حتى يظل » التالية ، ساقط من ش .

(٣) فى الأصل هنا، وفى ط فقط : « الثكلاء» صوابه ما أثبت . يقال امرأة ثاكل وثكول وثكلى . وقد يقال ثكلانة أيضاً فى قلة .

(٤) فى اللسان : « فتقوم به » .

وترجمة الأعشى تقدَّمت فى الشاهد الثالث والعشرين من أوائل الكتاب[١] .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد السابع والسبعون بعد السبعمائة[٢] :

٧٧٧ (وأنتِ التى حَبّبْتِ شَغْباً إلى بَدًا   إلىَّ وأوطانى بلادٌ سِواهُما[٣])

على أنَّ (إلى) الأولى فيه للانتهاء ، أى مضافًا إلى بدًا . وذكر المتعلَّق لإفادة أنَّ إلى مع مجرورها واقعةٌ موقعَ الحال من شَغْب ، ولإفادةِ أنَّ الغايةَ داخلٌ فى المُغيَّا .

وزعم الكوفيون أنَّها هنا بمعنى مع ، وهو خلافُ الأصل من غير ضرورةٍ تُلجئ إليه .

ومن الغريب قولُ ابن هشام (فى المغنى) : إنها بمعنى الفاء . قال : إذ المعنى شغباً فبدًا ، وهما موضعان . ويدلُّ على إرادة الترتيب قوله بعده :

حَللْتِ بهـذا حَلَّةً ثم حَـلَّةً   بهذا، فطاب الواديان كلاهُما

وهذا المعنى غريب لأنّى لم أر من ذكره . اهـ .

وقد ردَّ عليه شارحه الدمامينى بأنَّ من حقِّ النُّحاة أن لا يذكروهُ مستندين إلى هذا الدليل ، فإنَّا لا نسلِّم إرادة الترتيب فى البيت الأوّل ، لاحتمال أن يكون إلى فيه للمعية ، كما قاله جماعة كثيرة ، ومتعلِّقة بمحذوف إن لم نقل بذلك، أى معبدا أو مضموماً إلى بدا . والبيت الثانى

(١) الخزانة ١ : ١٧٥ .

(٢) ط : « وأنت الذى »، صوابه فى ط ومراجع التخريج التالية .

(٣) المغنى ١٦٢ والهمع ٢ : ١٣١ واللسان (بدا ٧٣) والحماسة ١٢٨٨ بشرح المرزوقى ومعجم ما استعجم ١ : ٢٣٠ وديوان كثير عزة ٣٦٣ .

لا يدلُّ على إرادة الترتيب فى الأوّل ، إذْ حلولها بأحد المكانين بَعْدَ حلولها بالآخر لا يقتضى أنَّ المكانَ الأوَّلَ حُبِّب إليه أوَّلا بسبب حلولِها فيه ، وأنَّ الثانىَ حُبِّب إليه بعد ذلك لحلولها به ، إذْ من الجائز أن يكونَ حُبُّ المكانين حَصَل له فى آنٍ واحد بعد حلولها فيهما على الترتيب . ثُمَّ ولو سُلِّم دلالة البيت الثانى على الترتيب فى الأوَّل لم يدلَّ على دعواه ، لأنَّ الترتيب الواقعَ فى الثانى إنَّما هو بثمّ لا بالفاء . وفى بعض النسخ : « حَلَّةً بعد حَلَّةٍ » . ا هـ .

وأمّا (إلى) الثانية فقد شرحها الشارح المحقق بعد أسطر .

والبيْتان فى الحماسة ، ونسبهما لكثيِّر عزّةِ . والرواية فيها كذا : صاحب الشاهد

وحلَّت بهذا حَلَّة ثم أصبحَتْ بهـذا فطـاب . . . . إلخ

قال المرزوق : خاطبها فى البيت[1] معتدًّا عليها ، بأنَّه كما آثرها على أهله وعشيرته ، آثر بلادَها على بلاده ، فذكرَ طرَفَىْ مَحَالِّها فقال : أُحبُّ لكِ وفيكِ شغْباً إلى بدا ، وبلادى بلادٌ غيرهما . ثم أخبر عنها فى البيت الثانى فقال :نزلَتْ بهذا، يشير إلى شَغْب، نَزْلةً[2] ثم أصبحَتْ ببَدًا، ففاح الواديان وتضوَّعا بريَّاها . ومثلُه قول الآخر :

استودعَتْ نَشْـرها الـرّياض فمـا
تـزدادُ طِيبـاً إلَّا على القِـدَمِ

وفى بعض نسخ الحماسة بيتٌ بينهما ، وهو :

إذا ذرفَتْ عيناىَ أعتـلُّ بالقـذى
وعَزَّةُ لو يدرى الطبيبُ قذاهمـا

---

(١) فى شرح المرزوق : « فى البيت الأول » .
(٢) فى النسختين : « نزلت » ، صوابهما فى شرح المرزوق .

أى عزّة سبب قذاهما . (وشغْب) بفتح الشين وسكون الغين المعجمتين . و (بَدًا) بفتح الموحَّدة بعدها دال مهملة فألف مقصورة . قال العسكرى (فى كتاب التصحيف) : هما من بلاد عُذرة، يريد أنّهما من بلاد اليمن.

ويناسبه ما نقله أبو عبيد البكرى (فى معجم ما استعجم) بعد قوله : شَغْب: قرية الزُّهرى الفقيه : عن ابن أبِى أُويس قال : خرج عبد الله بن السائب المخزومى نحوَ اليمن ومعه ابنُه ، فنزلا على غَدَائهما ، فقال عبد الله ابن السائب :

١٣٧ فلمَّا علوْا شَـغْباً تبيَّنْتُ أنهُ تقطعَ من أهل الحجازِ علائِقِى

فقال ابنُه :

فلا زلنَ حَسْرَى ظُلَّعاً لِمْ حَمَلْننا
إلى بلدٍ ناءٍ قليل الأصادقِ[1]

فقال أبوه : أُمُّك طالقٌ إنْ تغدَّينا أو تعشَّينا إلاَّ على هذين البيتين .

ولكنّه قال : شغب قد تقدَّم ذكره وتحديده فى رسم بدا . والذى قاله فى بدا: أنّه موضعٌ بين طريق مصر والشام . قال كثيِّر :

وأنتِ التى حببتِ شغباً إلى بدا . . . . . . البيت

وشَغْب: منهلٌ بين طريق مصر والشام أيضاً . قال جميل :

ألا قد أرى أنْ لا بُثينةُ تُـرتَجَى
بِوادى بَدًا ، ولا بِحِسْمَى ولا شَغْبِ[2]

(١) ش : « لو حملتنا » ط : « لم حملتنا » ، صوابه ما أثبت من معجم ما استعجم . وفى إحدى روايات المعجم : « إذ حملتنا » .

(٢) ديوان جميل ٣٣ ومعجم ياقوت ، ومعجم ما استعجم، والأغانى٧ : ٨٧ . وعند ياقوت : « بوادى بداء لا بحسمى » ، وعند البكرى : « بوادى بدا ولا بحسمى » ، وفى الديوان : « بوادى بدا فلا بحسمى » .

وقد ورد «بدا» فى شعر زيادة بن زيد ممدودًا، فلا أدرى أمدّه ضرورة أم فيه لغتان. قال:

وهُمْ أطلقوا أسْرَى بَدَاء وأدركوا
نساءَ ابنِ هندٍ حين تُهدَى لقيْصَرا

هذا ما ذكره. وهو لا يناسب شعر ابن السائب ولا شعر جميل، فإنّه عُذرىٌّ.

ولم يزد ابن ولّاد والقالى (فى المقصور والممدود لهما) على قولهما: بدا: اسم موضع، مقصور، يكتب بالألف. يقال بين شَغْبٍ وبَدَا. وأنشد البيت الشاهد. والله أعلم.

وترجمة كثيِّر عزَّةَ تقدَّمت فى الشاهد الثالث والسبعين بعد الثلثمائة[1].

* * *

وأنشد بعده، وهو الشاهد الثامن والسبعون بعد السبعمائة[2]:

٧٧٨ (فلا تترُكَنّى بالوعيدِ كأنَّنى
إلى الناس مَطْلىٌّ به القارُ أجْرَبُ)

على أنّه قيل (إلى) فيه بمعنى فى، والوجه أن تكون على أصلها للانتهاء؛ لأن قوله مطلىٌّ به القار معناه مكَرَّهٌ مبَغَّض. وهو يتعدَّى بإلى.

وهذا توجيه ابن عصفور، قال (فى كتاب الضرائر): إنّما وقعَتْ فيه إلى موقعَ فى، لأنَّه إذا كان بمنزلة البعير الأجرب المطلىّ الذى يُخافُ

(١) الخزانة ٥: ٢٢١ - ٢٢٤.
(٢) أمالى ابن الشجرى ٢: ٢٦٨ وضرائر ابن عصفور ٢٣٥ ورصف المبانى ٨٣ والمغنى ٧٥ والهمع ٢: ٢٠ والأشمونى ٢: ٢١٤ وديوان النابغة ١٣.

عَدْواه فيطردُ عن الإبل إذا أراد الدخولَ بينها ، كان مبغضاً إلى الناس ، فعومل مَطليٌّ كذلك مُعاملة مبغَّض .

وقال فى موضع آخر : هو على تضمين مَطليّ معنَى مبغَّض . ولو صحَّ مجئُ إلى بمعنى فى لجاز زيد إلى الكوفة . ا هـ .

وقال بعضهم : إلى متعلِّقة بمحذوف ، أى مطليٌّ بالقار مضافاً إلى الناس، فحذف[1] وقلب الكلام . ولا يخفى سماجتُه .

و (الوعيد) : التهديد . و (القار) هنا : القَطِران . وإنَّما شبَّه نفسه بالبعير الأجرب المطليّ بالقطران ، لأنَّ الناس يطردونه إذا أرادَ الدخولَ بينَ إبلهم ، لئلا يَعُرَّها بالقطران ويُعدِيَها بدائه . والقار نائب فاعل مطليّ ، وبه متعلِّق بمطليّ . والأصل مطليٌّ بالقار ، فمرفوع مطلى هو المستتر ، لكنَّه قلَبَ . وقيل : روى « القارِ » بالجرّ على أنَّه بَدل من ضمير به ، فلا قلب .

صاحب الشاهد

والبيت من قصيدة للنابغة الذُّبيانى يعتذر بها إلى النعمان بن المنذر اللخمى فى شىءٍ اتُّهِمَ به عنده ، فهرب منه إلى ملوك الشام بنى جَفْنة الغسَّانيِّين كما تقَدم بيانُه فى ترجمته ، واعتذر إليه بعدةِ قصائِدَ فى انضمامه إلى بنى جَفنة ، والتبرِّى مما رمِىَ به ، أوَّلُها :

أبيات الشاهد

(أَتانى أبيتَ اللَّعنَ أنَّك لُمتَنِى ‏ ‏ ‏ وتلك التى أهتمُّ منها وأنْصَبُ)

إلى أن قال :

١٣٨ (حلفتُ فلم أتْرُكَ لنفسِكَ رِيبة ‏ ‏ ‏ وليسَ وراءَ اللهِ للمرءِ مَطْلبُ)

---

(١) ط : « فحذفت » ، وأثبت ما فى ش .

لئن كنتَ قد بلِّغتَ عنِّى جنايةً لَمُبْلِغُك الواشى أغشُّ وأكذبُ
ولكنَّنى كنتُ امرأً لىَ جـانبٌ من الأَرضِ فيه مُستَرادٌ ومَذهَبُ
ملوكٌ وإخـوانٌ إذا ما أَتيتُهم أُحَكَّم فى أَموالهم وأُقـرَّبُ
كفِعلِك فى قومٍ أَراكَ اصطنعتَهُمْ فلم تَرَهمْ فى شُكرٍ ذلك أَذْنبوا
فلا تتركَنِّى بالوعيد كـأَنَّنى إلى الناس مطلىٌّ به القارُ أجربُ
أَلم تر أَنَّ اللهَ أَعطاك سُـورةً ترى كُلَّ مَلكٍ دُونها يتذبذبُ
فإنَّكَ شمسٌ والملـوكُ كواكبٌ إذا طلعَتْ لم يبدُ منهنَّ كوكبُ[١]
فلستَ بمستبقٍ أَخـاً لا تلُمُّـه على شَعَثٍ أَىُّ الرجالِ المهذَّبُ[٢]
فإنْ أَكُ مظلومـاً فعبدٌ ظَلمتَـه وإن تكُ غضباناً فمثلك يعْتِبُ)

وقوله: أَبيتَ اللعن، جملةٌ دعائية، اعترض بها بين الفعل وفاعله، يخاطِبون الملوكَ بها تحيَّةً. ومعناه أَبيتَ أَن تفعلَ شيئا تلعن به[٣]. قال ابن الأَنبارىّ (فى شرح المفضليات): أَى أَبيتَ أَن تـأْتىَ من الأَخلاق المذمومةِ ما تُلعن به[٤]. وكانت هذه تحيَّةَ ملوكِ لخمٍ وجُذام، وكانت منازلهم الحِيرةَ وما يليها. وتحيةُ ملوك غَسَّان: يا خيرَ الفتيان. وكانت منازلهم الشام. و «تلك» إشارةٌ إلى الملامة المفهومة من لُمتَنِى، إذ المعنى أَتتنى مَلامتُك إيَّاى. وأهتمّ: أَصِيُر ذا هَمّ. وأَنصَبُ: مضارع نَصِب كفرح، أَى أَتعَبُ وأَعيا.

وقوله: «حلفت» قسمٌ، وجوابه: لئن كنت، وما بينهما اعتراضٌ. والرِّيبة: الشكّ، وجملة «وليس وراءَ اللهِ» إلخ جملة مؤكدة لمضمونِ

---

(١) فى الديوان ١٣: «لأنك شمس».
(٢) فى الديوان: «ولست».
(٣) ش: «تلعن عليه».
(٤) ش: «ما تلعن عليه».

ما قبلها ؛ فإنَّه إذا لم يكنْ وراءَ الله مطلبٌ لأَحدٍ لم يحلفْ بأَعظمَ منه فكيف يَحلِفُ به كاذباً .

وهذا البيتُ وما بعده من الأَبيات الأَربعة استشهد به أَهلُ البديع على النوع المسمَّى عندهم بالمَذْهَب الكلاميّ . وهو إيراد حُجَّةٍ للمطلوب على طريقة أهل الكلام[١] .

والجناية : الذَّنب . والواشي : النمَّام . وغشَّه : لم يُخلِص له النُّصح . و « لى جانب من الأَرض » صفة امرأ . وفيه إعادة الضمير الرابط ضمير تكلُّم . وأَراد بالجانب أرضَ الشام . والمُستراد : موضعٌ يُتردَّد فيه لطلب الرِّزق . وملوكٌ وإخوانٌ بدلٌ من مُستراد ومذهَب ، أَو بتقدير : فيه ملوكٌ وإخوان . ومعنى أُحكَّم : أَتصرَّف فى أَموالهم كيف أَشاءُ .

وقوله : « كفعلك » إلخ ، قال الأَصمعيّ : يريد كما فعلتَ أَنت بقوم قرَّبتَهم وأَكرمتهم ، فتركُوا الملوك ولزموك ، فلم تَرَ ذلك ذنباً عليهم . وقوله : « فى مثل ذلك[٢] » أَى فى زيارتك والوفادة إليك .

والسُّورة بالضم : المنزلة الرَّفيعة والشرف . وبالبيت استشهد البيضاوىُّ لمعنى السُّورة . ومَلْك بسكون اللام : لغَةٌ فى كسرها . ويتذبذب : يضطَرِب .

وقوله : « فإنَّك شمسٌ » قال المبرِّد : هذا من أَعجب التشبيه .

وأَراد بهذا البيت والذى قبله ، تسليةَ النُّعمان عما حَصَلَ عنده من

---

(١) انظر تحرير التحبير ١١٩ - ١٢١ .

(٢) هذه رواية أخرى فى البيت الخامس من هذه المقطوعة . وفى تحرير التحبير : « فى مدحهم لك أذنبوا » . وفى الديوان ١٣ : « فى شكر ذلك أذنبوا » كما فى الخزانة فى الرواية الأولى .

مدحِه لآل جفنة ، ثم كرَّ معتذرًا عن زلَّته فقال : و « لستَ بمستبق أخاً » إلخ ، يقول : أىُّ الرِّجال يكون مبرّأً من العيوب؟ فإنْ قطعْتَ إخوانك بذنبٍ لم يبقَ لك أخٌ . وتلمُّه : تصلِحُه وتُصلح ما تشعَّث من أَمره وفَسَد.

١٣٩ والبيت استشهد به علماءُ البيان للتذييل ، وهو تعقِيبُ الكلام بجملة تشتمل على معناهُ ، للتوكيد[(١)] .

وقوله : « فإن أَكُ مظلوماً » أى باستمرار غضَبِكَ علىَّ . جعَلَ غضبه ظلماً له ، لأَنَّه عن غير مُوجِب . فأَنت إنَّما ظلمتَ عبدًا من عبيدك، وليس لأَحدٍ اعتراضٌ فيه . وقوله : « وإن تكُ غضبانًا إلخ» روى أيضاً : « وإن تَكُ ذا عُتْبَى فمثلك يُعْتَب » بالبناء للمفعول، أَى يُرجَع له إلى ما يُحبّ . ويقال : لك العُتبى ، أَى الرُّجوع إلى ما تحبّ . وقيل يُعتِب بالبناء للفاعل ، أَى يُعطِى العُتْبى ، يقال أَعتَبه إذا أَعطاه الرِّضا ، وهو العُتْبَى .

وترجمة النَّابغة تقدمت فى الشاهد الرابع بعد المائة[(٢)] .

* * *

وأَنشد بعده ، وهو الشاهد التاسع والسبعون بعد السبعمائة[(٣)] :

٧٧٩ (وإنْ يَلتقِ الحىُّ الجميعُ تُلاقِنِى إلى ذِروة البَيْتِ الكريمِ المصَمَّدِ)

على أَن (إلى) فيه على أَصلها ، وهى مع مجرورها حالٌ من الياء فى تلاقنى ، متعلِّقة بمحذوفٍ تقديرُه : تلاقنى منتسباً إلى ذروة البيت إلخ .

وليست هنا بمعنى فى كما قيل ، حكاه ابن السَّرّاج ، قال (فى الأُصول) : وقالوا فى قول طرفة :

---

(١) تحرير التحبير ٣٨٧ - ٣٨٨ . وفى النسختين هنا : « على معناها » .

(٢) الخزانة ٢ : ١٣٥ .

(٣) الأصول ١ : ٥٠٦ والأزهية ٢٨٤ والاقتضاب ٤٣٢ وابن الشجرى ٢ : ٢٦٨ ورصف المبانى ٨٣ .

* وأن يلتقِ الحيُّ الجميعُ تلاقنى * إلخ .

إنَّ إلى بمعنى فى .

وما ذهب إليه الشارح المحقِّق هو قول الزوزنى شارح المعلقات فى شرح هذا البيت ، يقول : وإن اجتمع الحيُّ للافتخار تلاقنى أنتَهى إلى ذروة البيتِ الشريف ، أى إلى أعلى الشرف . يريد أنَّه أوفاهم حظًّا من الحسَب ، وأعلاهم سَهْماً من النَّسب . وقوله تلاقنى ، يريد: أعتزى إلى ذروة ، فحذف الفعل لدلالة الحرف عليه . ا هـ .

وكذا (فى شرح أدب الكاتب) لابن السِّيد البطَلْيَوْسى ، قال: « قيل معناه فى ذروةٍ[1] ». وهذا لا يلزم ، لأنَّه يمكن أن يريد آوياً إلى ذروة كما قال تعالى: ﴿سآوِى إلى جَبَلٍ يَعْصِمُنى من الماءِ[2]﴾، فلا حُجَّة فيه.

وقال الأعلم الشَّنتمرىُّ (فى شرح المعلقة) : يقول : إذا التقى الحيُّ الجميعُ بعد افتراقهم وجَدتَنى فى موضع الشَّرفِ منهم وعُلوِّ المنزلة . وقوله: إلى ذروة ، أى فى ذروة البيت. وذِروة كلِّ شىءٍ: أعلاه . والمصمَّد: الذى يَصمِدُ إليه الناس لشرفه ، ويلجئُون إليه فى حوائجهم . والصَّمْد: القصد . ا هـ .

وقال ابن السكيت (فى شرح ديوان طَرَفة) : أى إذا التقى الحيُّ الجميع الذين كانوا متفرِّقين وجدتنى فى الشَّرف .

وقال أبو جعفر النحَّاس ، والخطيب التِّبريزى : يريد : وإنْ يلتقِ

(١) الذى فى الاقتضاب : « وذروة كل شىء : أعلاه » ، فلعله استنباط من البغدادى .

(٢) الآية ٤٣ من سورة هود .

الحىُّ للمفاخرة وذِكرِ المعالى تجدْنى معهم . قال أَبو الحسن: معنىإلى ذروة مع ذروة ، وهو تمثيلٌ . وإنَّما يريد بالبيت ههنا الأَشرافَ الذين يُقصَدون ، فشبَّههم ههنا بالبيت الرفيع . ا هـ .

فهذا معنًى ثالثٌ لإلى فى البيت .

صاحب الشاهد

وهو من معلقة طرَفَة بنِ العبد . وقبله :

أبيات الشاهد

(ولستُ بحلاَّل التِّلاعِ مخَافةً
ولكنْ متى يَستَرفِدِ القــومُ أَرفدِ
فإنْ تَبْغِنى فى حَلقة القومِ تَلقَنى
وإن تَقتنصْنِى فى الحــوانيتِ تَصْطدِ
مَتى تـأْتنى أَصْبَحْــكَ كأْساً روِيَّةً
وإن كنتَ عنها ذا غنًى فاغن وازددِ
وإن يلتق الحى الجميــع تلاقنى
. . . . البيت
نداماىَ بيضٌ كالنجــوم وقَينــةٌ
تَرُوح علينـــا بين بُرْد ومُجْسَــدِ
رحيبٌ قِطابُ الجيبِ منها رفيقةٌ
بجسٍّ النَّــدامى بَضَّــةُ المتجرِّدِ)

١٤٠ قوله : « ولست بحلال التلاع » إلخ تقدَّم شرحُه مع الذىبعده فى الشاهد السادس والتسعين بعد السبعمائة[1] . وكذلك تقدَّم شرح قوله : «نداماىَ

(١) انظر ما مضى فى ص ٦٦ .

بيضُ » مع البيت الذى بعده فى الشاهد الواحد بعد الثلثمائة ، وفى الشاهد الذى بعد الثانى عشر والستمائة .

وقوله : « متَى تأْتنى أصبَحْك » إلخ فى الصحاح : الصبوح : الشُّرب بالغداة ، وهو خلاف الغَبُوق. تقول : صبَحتُه صَبْحاً . ا هـ . يقول : أَسْقِكَ صَبوحاً. والرويَّة: المُرْوِية . والكأْس: الخمر فى الإناء، [وهى الإناء[1]] أيضاً إذا كان فيه خمر. ومعنى «فاغنَ وازدد » : فاغنَ بما عندك، أى استغنِ به وازْدَد غِنًى .

وترجمة طرَفة تقدّمت فى الشاهد الثانى والخمسين بعد المائة[2] .

* * *

وأنشد بعده

(أَلقَى الصَّحِيفَةَ كى يُخَفِّف رحْلَه والزَّادَ حتَّى نعلَهُ أَلقاها[3])

تقدم شرحه مستوفًى فى الشاهد السابع والخمسين بعد المائة من باب الاشتغال[4]

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثمانون بعد السبعمائة[5] :

٧٨٠ (وأَكفِيهِ ما يَخشى وأُعطِيهِ سُؤْله

وأُلحِقــه بالقــوم حتَّـــاهُ لاحقُ)

على أَنَّ المبرد زعم أَنَّ (حتَّى) هنا جَرت الضمير . وليس كذلك ،

---

(١) التكملة من ش .

(٢) الخزانة ٢ : ٤١٩ .

(٣) فى النسختين : « حتى رحله » ، والصواب ما أثبت .

(٤) الخزانة ٣ : ٢١ — ٢٥ .

(٥) الضرائر لابن عصفور ١٢٦ .

وإنما حتى هنا ابتدائيّة ، والضمير أصله هو ، فحذف الواو ضرورة كما تقدَّم بيانه فى شرح قوله :

* فبيناهُ يشرِى رَحْلَه قال قائلٌ *

أى بينا هو يَشرِى رحلَهُ ، فى الشاهد الثّمانينَ بعد الثلثمائة [1] فحتَّى حرف ابتداءٍ داخلةٌ على الجملة ، وهو الضمير المحذوف واوُه ضرورةً ، فى محلٍّ رفع على الابتداء ، ولاحقٌ خبره . ولو كانت حرف جر لم يكن لذكر لاحقٌ بالرفع وجه .

ولم يتنبَّه لهذا صاحبُ اللُّبِّ ، وإنَّما قال : واختصَّت بالظَّاهر خلافًا للمبرِّد . و :

* أُلحقه بالقومَ حَتَّاه لاحقُ *

لا يعتدُّ به . قال شارحه السَّيِّد : لندورِهِ وشُذوذه ، ولو أورد البيتَ الثانىَ لكان مناسباً .

وما ذهب إليه الشارح المحقِّق هو قول ابن عُصفور (فى الضرائر) ، قال : ومنه حذف الياء من هِيَ ، والواوِ مِن هُوَ ، نحو :

* دارٌ لسعدى إذهِ من هَواكا *

أى : إذْ هى . وقول الآخر :

* وأُلحقهُ بالقوم حَتَّاهُ لاحقُ *

وقول العُجَير :

* فبيناهُ يَشرِى رَحْلَه قال قائلٌ *

---

(١) الخزانة ٥ : ٢٥٧ - ٢٦٤ .

أى حتى هو، وبينا هو . وحذفهما يؤدى إلى بقاء الضمير المنفصل على حرفٍ واحد ، وذلك قبيح ، لأَنَّه عرضةٌ للابتداء ، فلا أقلَّ من أن يكون على حرفين : حرفٌ يبتدأُ به ، وحرفٌ يوقف عليه . ا هـ .

و (أكفيه) : مضارع كفاه الشيءَ ، متعدٍّ إلى مفعولين ، بمعنى مَنَعته الشيءَ . وما المفعول الثانى ، موصولةٌ أو نكرة موصوفة. والسُّؤْل : ما يُسْأَل ، مفعول ثان لأَعطى . (وأُلحقه) : مضارع أَلحقه بكذا ، أى أتبعَه به فلحقَ هو به . وأمّا ثُلاثيُّه فيقال لَحقته ولحِقتْ به ، من باب تعب لَحَاقاً بالفتح : أدركْته ، يتعدَّى تارة بنفسه ، وتارة بالباء. كذا فى المصباح . وصلة لاحق فى البيت محذوف ، تقديره : حتَّى هو لاحقٌ بهم .

والبيت لم أقفْ على خبرٍ له . والله أعلم .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الحادى والثمانون بعد السبعمائة[1] :

٧٨١ (فلا وَاللهِ لا يلقَاه ناسٌ فَتًى حَتَّاك يا ابنَ أَبِى يَزِيدِ)

١٤١ على أنَّ المبرِّد تمسَّك به على أنَّ (حتَّى) تجر الضمير .

وأَجاب الشارح المحقِّق بأنَّه شاذٌّ . والأَحسن أَنْ يقول ضرورة ، فإنه لم يرد فى كلامٍ منثور .

ولم يظهر لى معنى الغاية فى حَتَّى هنا . و(فتى) حال من الهاء أو بدل منه . وروى : (لا يَلْقَى أُناسٌ) ففتًى مفعول يَلْقَى . وروى العينى : « لا يُلفِى أَناسٌ » بكسر الفاء، فأُناسٌ فاعله ، ويُنْظر أين مفعولا ألفى ،

---

(١) المقرب : ١ : ١٩٤ ورصف المبانى ١٨٥ . وانظر العينى ٣ : ٢٦٥ والهمع ٢ : ٢٣ والأشمونى ٢ : ٢١٠ .

فإن ألفى من نواسخ المبتدإ والخبر . وروى أيضاً آخره : (يا ابنَ أبى زياد) .
ولم أقف له على خبر . والله أعلم .

والغاية فى هذا البيت[1] ظاهرة :

أَتَتْ حَتَّاكَ تَقصِد كلَّ فجٍّ تُرجِّى منكَ أنْهـا لا تخيبُ[2]

وهو من أبيات مغنى اللبيب .

ثم رأيت (فى شرح التسهيل لأبى حيّان) وقد أنشد بيت :

* فَتًى حتَّاكِ يا ابن أبى يزيد *

أنّه قال : وانتهاءُ الغاية فى حَتاك لا أفهمه ، ولا أدرى ما عنى بحَتاك فلعل هذا البيتَ مصنوع . ا هـ .

* * *

وأنشد بعده وهو الشاهد الثانى والثمانون بعد السبعمائة ، وهو من شواهد س[3] :

٧٨٢ (فوا عَجَبَا حتَّى كليبٌ تسبُّنى كأنَّ أباهَا نَهْشلٌ أو مُجاشعُ)

على أن (حتَّى) فيه ابتدائية ، وفائدتها هنا التحقير .

أنشدهُ سيبويه وقال : فحتَّى هنا بمنزلة إذا ، وإنَّما هى ههنا كحرف من حروف الابتداء .

وقال الأندلسى[4] (فى شرح المفصَّل) : يقع بعدها الجملة الفعلية

---

(١) يعنى البيت التالى لا السابق .

(٢) المغنى ١٢٣ والتصريح ٢ : ٣ والهمع ٢ : ٢٣ والأشمونى ٢ : ٢١٠ . وفى البيت شاهد آخر ، وهو أن « أن » فى « أنها » مخففة من الثقيلة ومعها ضمير مذكور لا محذوف .

(٣) سيبويه ١ : ٤١٣ . وانظر المقتضب ٤ : ٤٠٦ والأصول ١ : ٥١٨ والجمل ٧٨ وابن يعيش ٨ : ١٨ ، ٦٢ ورصف المبانى ١٨١ والمغنى ١٢٩ والهمع ٢ : ٢٤ وديوان الفرزدق ٥١٨ .

(٤) هو علم الدين قاسم بن أحمد اللورقى الأندلسى المتوفى سنة ٦٦١ كما فى كشف الظنون . وسمى كتابه « الموصل ، فى شرح المفصل » . وانظر الأشباه والنظائر ٢ : ٧٦ .

والاسمية . وتسمى[١] حرف ابتداءٍ ، وتفيدُ معناها الذى هو الغاية ، إمَّا فى التَّحقير أَو فى التَّعظيم . كما فى بيت الفرزدق :

* فواعجبًا حتَّى كليبٌ تسبُّنى *

أَى تعجَّبُوا لسبِّ النَّاسِ إيَّاىَ حَتَّى كليبٌ ، كأَنه يقول: كلُّ الناس تسبنى[٢] حتَّى كليبٌ على حقارتها . ولو خَفض هنا كليبٍ لجاز ، ويكون تسبُّنى إمَّا حالٌ من كليب ، أَو مستأْنَف، وحَتَّى كليب متعلق به .

قال ابن المستوفِى بعد أَن نقله : قوله أَى تعجَّبوا فى تفسير (واعجبًا)، غير صحيحٍ لأَنه ينادِى العجب[٣] على ما ذكره العلماءُ تأَدُّباً لا يأْمُر أَحدا به . وقوله: « ولو خُفِض كليب هنا لجاز » محال، لأَنَّ الخفض بعد حَتَّى إمَّا أَنْ يكون بالعطف على المجرور قبلها ، أَو يكونَ بمعنى إلى ، ولا مجرورَ قبلها فتُعطفَ عليه. وليست بمعنى الغاية إذْ ليس ما قبلها مفردًا من جنس ما بعدها . فبقِىَ الرفعُ لا غير . وذكر قسميها[٤] فى التعظيم والتحقير. ولم يأْت إلاَّ بالتحقير. وقوله: و « يكون تسُّبنى إما حال من كليب أَو مستأْنف بالرفع فيهما » ، وصوابه « النَّصب فيهما » . ولا أَعلم ما أَراد بقوله : « وحتَّى كليب متعلِّق به » . ا هـ .

أَقول : أَمَّا فواعجبًا فقد روى أَيضاً : (فيا عَجَباً) بتنوينٍ وبدونه. أَمَّا الأَوَّل فيحتمل أَن يكون عجباً منادًى منكَّرا ، وَيحتمل أَن يكون

---

(١) ط : « تسمى » بسقوط الواو .

(٢) ط : « يسبنى » .

(٣) هذا الصواب من ش . وفى ط : « لأنه العجب » وقد كتبت « ينادى » فى ش بخط أحد المصححين للنسخة .

(٤) ش : « قسمها » . والمراد أن الأندلسى لم يستشهد للتعظيم ، واقتصر على شاهد التحقير .

يا حرف تنبيه وعجباً مصدر منصوب بفعل محذوف، أى تعجَّبوا عجباً. ويحتمل أن تكون يا حرف نداءٍ والمنادى محذوف، أى يا قوم ، وعجباً كذلك . فكلام الأندلسىّ جارٍ على كلٍّ من هذين الوجهين . وأما الثانى فإنَّه أراد : فياعجبى ، فقلب ياء المتكلم ألفاً . وهى لغة .

وأما قوله : « خفض كليبٍ محال » إلخ فنقول : هى جارّة والمغيَّا غير مذكور ، والتقدير : فواعجباً الناسُ تسبُّنى حتَّى كليبٍ . وهذا المذكور لابدَّ منه فى الابتدائية أيضاً .

وقوله : « ولم يأْت إلّا بالتحقير » نقول : لا يضرُّ ذلك . ومثال التعظيم :

* حتَّى ماءُ دِجلةَ أشكلُ * البيت الآتى .

وقوله : « صوابه النصب فيهما » يعنى أنَّه يجب أن يقول : ويكون يسبُّنى إمَّا حالا من كليب ، أو مُستأْنَفًا بنصبهما ، لأنَّه خبر كان . وكأنَّه رفع على تقدير يكون ، إمَّا تامّة أو زائدة . ١٤٢

وقوله : « لا أعلم ما أراد بقوله وحتَّى كليب متعلّق به » أقول : إنَّه يريد أنَّ حتى الجارّة تكون متعلقة بيسبُّنى ، إذ كلُّ جارٍّ لا بدَّ له من متعلِّق . وهذا ظاهر . قال ابن هشام (فى المغنى) : ولا بدَّ من تقدير محذوفٍ قبل حتَّى من هذا البيت ، بكون ما بعدَ حتَّى غايةً له ، أى فواعجباً يسبُّنى الناسُ حَتَّى كليبٍ تسبُّنى .

صاحب الشاهد

والبيت من قصيدة للفرزدق هجا بها جريراً ، تقدَّم بعضٌ منها فى الشاهد السادس بعد السبعمائة[1] .

---

(١) انظر الجزء التاسع ص ١١٣–١١٨ .

وقوله: (فواعجباً) هو من قبيل النُّدبة للتوجُّع ، كأنَّه يقول: أنا أتوجَّعُ لعدم حضورك يا عجبي . فاحضُرْ لهذا الأَمر الذى يتعجَّب منه .

وكليب : جدُّ رهطِ جرير ، وهو جرير بن عطيَّة بن الخطَفَى بن بدرِ بن سَلَمة بن كليب بن يربوع بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة ابن تميم . ويجتمع مع الفرزدق فى حنظلة بن مالك .

ونهشل ومجاشع أخَوان ، ابنا دارم بن مالك بن حنظلة . ومجاشعٌ قبيلة الفرزدق ، وهى أشرف من كليب . وأمَّا نهشل فهم أعمام الفرزدق لا آباؤه، وإن كانت العرب[1] تسمّى العَمَّ أباً . جعلهم فى الصِّفة[2] بحيث لا يَسبُّون مثلَه لشرفه[3]. يقول : يا عجبًا لسبِّ الناس إيّاى حتَّى كليبٍ على ضعفِها فى القبائل ، وبُعدِها من الفضائل ، كأَنَّ لها أَباً كريماً ، وحَسباً صميماً ، كما لنهشل ومجاشع .

والسَّبُّ : الشتم . والسِّبُّ ، بالكسر : الذى يسابُّك وتسابُّه . قال حَسَّان بن ثابت :

لا تَسبَّنَّنِى فلستَ بسِبِّى إنَّ سِبِّى من الرِّجالِ الكريمُ[4]

قال ابن طلحة الإشبيلى (فى شرح جُمَل الزجَّاجى) : كأَنَّ للتشبيه ، وقد يجىء فى ضمنها الظنُّ والتوهُّم كما قال الشاعر :

* كأَنَّ أَباها نهشلٌ أَو مجاشعُ *

المعنى: توهَّمَتْ أَباها نهشلا أَو مُجاشعاً . ولو بقِيَتْ على معنى التشبيه

---

(١) ط : « كان العرب »، والوجه ما أثبت من ش .

(٢) كذا فى النسختين ولعلها « الضعة » .

(٣) الكلام بعده إلى كلمة « ومجاشع » ساقط من ش .

(٤) السيرة ٦٢٥ . والبيت لم يرد فى قصيدته بالديوان ٣٧٦-٣٨٠ . وقد نسب البيت فى اللسان (سبب ٤٣٩) إلى ولده عبد الرحمن بن حسان . وكثيراً ما يتداخل شعراهما .

من غير أنْ تُضَمَّن[1] معنى الظن لا نقلب الهجْوُ على الهاجى . ا ﻫ .

وترجمة الفرزدق تقدَّمت فى الشاهد الثلاثين[2] .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثالث والثمانون بعد السبعمائة[3] :

٧٨٣ (فما زالتِ القَتْلَى تُمجُّ دِمـاءَها
بِدَجْلَةَ حتَّى مـاءُ دِجْلَةَ أشـكَلُ)

على أنَّ فائدة (حَتَّى الابتدائية) هنا التعظيم والمبالغة ، وهو تغيُّر ماء دِجلة من كثرة دماء القتلى حتَّى صار أشْكَل ، وهو حمرةٌ مختلطةٌ ببياض . والشُّكلة كالحمرة وزنًا ومعنى ، لكن يخالطها بياض . وهو مأْخوذ من أشكَل الأَمرُ ، أى التبس .

فإن قلت : أين ما اشترط الشارح المحقِّق من كون خبر المبتدإ بعد حتى[4] من جنس الفعل المقدَّم عليها ؟ قلت : ما قبْل حتَّى فى قوة قوله فما زالت القتلى تغيِّر ماءَ دجلة بالدِّماء .

و (القتلى) : جمع قتيل . و (تمجّ) : تقذِف ، يتعدَّى إلى مفعول واحد يقالُ مَجَّ الرجلُ الماءَ من فيه مجًّا ، من باب قتل : رمى به . ويروى بدله : (يمورُ دِماؤها) مضارع مارَ الدمُ : سال . ومار الشيءُ : تحرَّك بسرعة . ومار : تردَّد فى عَرْض . ومار البحر : اضطرب ، فهو فعلٌ لازم ، ودماؤها فاعله . قال صاحب المصباح : ويعدَّى بنفسه وبالهمزة أيضاً فيقال : ماره ، وأماره ، إذا أساله . فعلى هذا يجوز نصب دِماءَها به على أنَّه

---

(١) ط : « يضمن » . (٢) الخزانة ١ : ٢١٧ .

(٣) الأزهية ٢٢٥ وابن يعيش ٨ : ١٨ والمغنى ١٢٨ ٣٨٦ والهمع ١ : ٢٤٨/٢ : ٢٤ والأشمونى ٣ : ٣٠ وديوان جرير ٤٥٧ .

(٤) أى فى الجملة الاسمية الواقعة بعد حتى . انظر الرضى ٢ : ٣٠٤ .

متعد . و (دِجْلة) بفتح الدال وكسرها : النهر الذى يمرُّ ببغداد . لاينصرف للعلمية والتأنيث . والباءُ بمعنى فى .

صاحب الشاهد ١٤٣

والبيت من قصيدةٍ لجرير هجا بها الأخطَل ، وذكرَ ما أوقعه الجحَّافُ ببنى تغلب . قال بعد أبيات :

أبيات الشاهد

(بكى دَوبَلٌ لا يُرقِئ اللهُ دمعَه
ألا إنَّما يبكِى من الذُّلِّ دوبلُ
جزِعتَ ابنَ ذات القَلْس لما تداركَتْ
من الحرب أنيابٌ عليكَ وكلكلُ[1]
فإنَّك والجحَّافَ يومَ تحضُّه
أردتَ بذاك المُكْثَ والوِردُ أعجلُ
سَما لكُمُ ليلاً كأنَّ نجومَه
قناديلُ فيهن الذُّبالُ المفتَّلُ[2]
فما ذرّ قرنُ الشَّمس حتَّى تبيَّنوا
كَرادِيسَ يَهْدِيهنَّ وَردٌ محجَّلُ[3]
فقد قَذَفَتْ من حربِ قيسٍ نساؤهمْ
بأولادها ، منها تمامٌ ومُعْجَلُ[4]
ومقتولةٌ صبراً ترى عندَ رجلها
بَقيراً ، وأُخرى ذاتُ بَعْلٍ تولولُ
وقد قَتل الجحَّافُ أزواجَ نِسوةٍ
يَسوقُ ابنُ خلَّاسٍ بهن وعزهلُ

---

(١) فى الديوان ٤٥٦ : « ذات الفلس » ، صوابه بالقاف كما سيأتى فى الشرح .
(٢) الديوان : « سرى نحوكم ليل » .
(٣) فى الديوان : « حتى تعرفوا » .
(٤) فى الديوان : « نساؤكم » .

تقول لك الثَّكلَى المصابُ حليلُها
أبا مالكٍ ، ما فى الظعائن مَغْزَلُ
حَضضْتَ عن القوم الذين تركتهم
تَعِلُّ الرُّدَيْنِيَّات فيهمْ وتنهلُ
عُقاب المنايا تستديرُ عليهمُ
وشُعثُ النَّواصى لُجْمُهُنَّ تصلصِلُ
بدِجلة إذْ كرُّوا وقيسٌ وراءَهمْ
صُفوفاً وإن رامُوا المخاضة أوحَلُوا
فما زالت القتلى تمجُّ دماءَها
بدِجلةَ حتَّى ماءُ دِجلةَ أشكَلُ [(١)]
فإن لا تَعَلَّقْ من قريشٍ بذمَّةٍ
فليس على أسياف قيسٍ مُعوَّلُ
لنا الفضلُ فى الدنيا وأنفُكَ راغمٌ
ونحن لكم يوم القيامة أفضلُ
وقد شَقَّقتْ يومَ الحروبِ سيوفُنا
عواتقَ لم يثبُتْ عليهنَّ مِحْمَلُ
أجار بنو مروان منهمْ دماءَكمْ
فمَنْ مِنْ بنى مَرْوانَ أعلَى وأفضلُ)

وينبغى أن نقدِّم أوَّلا سببَ ما أوقعه الجَحَّافُ ببنى تغلب ، ثم نشرح الأبيات ، فنقول :

إنَّ عمير بن الحُباب السُّلمى خرجَ على عبد الملك فى أوّل خلافته [(٢)]

---

(١) الديوان : « نمور دماؤها » .

(٢) فى الاشتقاق ٣٠٨ : « وكان عمير من فرسان الناس فى أيام عبد الملك وأيام الفتنة بالشام ، وكان قد امتنع على عبد الملك بنصيبين وغلب عليها وعصاه » . وجعل اشتقاقه من الحباب ، بالضم ، وهو ضرب من الحيات .

فاجتمعت إليه قيسٌ وعامر ، وكان نازلا فى القرب من بنى تغلبَ قبيلةِ الأَخطل ، وكانت منازلُهم بين الخابور والفرات ودجلة ، فأَساء المجاورةَ مع تغلب ، فوقع بينهمشرٌّ، فما زال الحربُ بينهم سجالا إلى أَن قتل بنو تغلب عُميراً وأَرسلوا برأْسهِ إلى عبد الملك، فى سنة سبعين من الهجرة ، فأَنعَم عبد الملك على الوَفدِ وكساهم . ثم إنَّ الأَخطلَ وفَدَ على عبدِ الملك فدخلَ عليه الجَحَّافُ بن حَكيم السُّلمىُّ فقال عبد الملك : أَتعرف هذا يا أَخطل ؟ قال : ومن هو ؟ قال : الجَحَّاف . فقال الأَخطل:

أَلا سائل الجَحَّافَ هل هو ثائرٌ بقَتلى أُصِيبتْ من سُليمٍ وعامرِ

حتَّى فرغ من القصيدة ، وكان الجَحاف يأْكلُ رُطباً فجعل النوى يتساقطَ من يده غيظا ثم أَجابه فقال :

بَلَى سوفَ نبكيهم بكلِّ مهنَّدٍ ونبكى عُميراً بالرِّماح الشَّواجرِ

ثم قال : يا ابنَ النَّصرانية ، ما ظننتكَ تجترئُ علىَّ بمثل هذا ، ولو كنتُ مأْسوراً لك. فحُمَّ الأَخطلُ خوفاً . فقال عبدالملك: أَنا جارُك منه. فقال : يا أَمير المؤمنين ، هَبْكَ أَجرتنى منه فى اليَقَظة فَمن يُجيرُنى منه فى النَّوم ؟ ثم قام الجَحَّافُ ومشى يجرُّ ثوبَه وهو لا يعقل حتَّى دخل بيتًا من بيوت الديوان ، فقال للكاتب : أَعطِنى طوماراً من طوامير العُهود . فأَتاه بطومار وليس فيه كتاب ، فخرج إلى أَصحابه من القيسية فقال : إنَّ أَمير المؤمنين ولاَّنى صدقاتِ بكر وتغلب. فلحقَه زهاءُ أَلف فارس ، فسار حتى أَتى الرُّصافة ، ثم قال لمن معه : إنَّ الأَخطل قد أَسمعنى ما علمتم ، ولستُ بوالٍ ، فمن كان يحبُّ أَن يَغسِلَ عنه العارَ فليصحَبْنى فإنِّى قد آليت أَن لا أُغسلَ رأْسى حتَّى أُوقع ببنى تغلب . فرجَعُوا غيرَ ثلثمائة ، فسارَ ليلتَه فصبَّح الرَّحوب ، وهو ماءٌ لبنى جُشَم بنِ بكر رهطِ

١٤٤

الأَخطل فصادف عليه جماعةً كثيرة من تغلب ، فقَتل منهم مقتلةً عظيمة ، وأُخذ الأَخطلُ وعليه عباءةٌ وسِخة ، فظنُّوه عبدًا ، وسئل فقال: أنا عبدٌ ! فخلَّوا سبيله فخشِيَ أن يراه مَن يعرفُه ، فرمى بنفسه فى جُبٍّ فلم يزل فيه حتى انصرفت القيسيةُ فنجا ، وقُتل أبوه غوث ، وأسرفَ الجَحافُ فى القتل ، وشقَّ البطون عن الأَجنَّة ، وفعل أمراً عظيما . فلمَّا عاد عنهم قدِم الأَخطلُ على عبد الملك فأَنشده :

لقد أوقعَ الجَحَّافُ بالبِشْر وقعةً إلى الله منها المُشتكى والمعوَّلُ

والبشر، بكسر الموحدة وسكون المعجمة : اسم ماءٍ[1]. فطلب عبدُ الملك الجَحَّافَ فهرب إلى الروم، فكان يتردَّد فيها ، ثم بعث إلى بطانة عبدالملك من قيس ، فطلبوا له الأَمانَ فآمنَه ، فلما جاءَ أَلزمه دياتِ مَنْ قُتِل ، وأخذ منه الكفلاءَ ، فسعى فيها حتّى جمعَها وأعطاها . ثم تنسَّك الجَحَّافُ وصَلح ، ومضى حاجًّا فتعلَّق بأَستار الكعبة وجعل يقول : اللهم اغْفِرْ لى وما أَظنُّك تفعل ! فسمعه محمد بن الحنفيَّة فقال: يا شيخُ، قُنوطُك شرٌّ من ذَنْبك !

ومن هنا نرجع إلى شرح الأَبيات . فقوله : « بكى دَوْبل » هو اسم الأَخطل . قال شارحه : كان الأَخطل يلقَّب به صغيراً . وبكاؤه لقوله :

لقد أوقع الجَحَّاف بالبشر وقعة . . . . البيت

و« ابنَ » منادى . و« القلس » بفتح القاف: حبلٌ ضخم من ليف أو خوصٍ ، أراد به زُنَّار النصارى . والجَحَّاف بفتح الجيم وتشديد

---

(١) فى معجم ياقوت أنه جبل يمتد من عرض إلى الفرات من أرض الشام من جهة البادية . لكن فى اللسان أنه اسم ماء لبنى تغلب ، وقال أيضاً : « والبشر : اسم جبل ، وقيل جبل بالجزيرة » .

الحاءِ المهملة . وتحضُّه : تحثُّه . يقال حَضَّه على الأَمر ، أى حمله عليه . والمكث : البطءُ . والورد ، بالكسر : الوُرود .

وذر قرن الشمس : طلعت . والكُردوس بالضم : القطعة من الخيل العظيمة ، والكراديس : الفِرَق منهم . يقال كردَسَ القائد خيله ، أى جعلها كتيبةً كتيبة . ويَهْديهنَّ : يدُلُّهنَّ ويقودهنَّ . والوَرْد : الأَسد ، عنى به الجَحَّاف .

وأتمَّتِ الحُبْلى فهى متمٌّ ، إذا تمّت أيامُ حَملِها ، وولدت لِتمامٍ ، بفتح التاءِ وكسرها ، وولد المولود لِتمامٍ كذلك . ومُعْجَل : خلاف التّمام .

والصَّبر : القتلُ أسراً . والبقير : المبقور ، وهو الذى شُق بطنه . وتولوِل : تصوِّت وتصيح .

وخلاس وعَزْهَل : رجلان من قيس . والحليل : الزوج . وأبو مالك : كنية الأَخطل . والظعائن : جمع ظعينة ، وهى الهودج . والمَغْزَل كجعفر قال شارحه : من الغزَل ، وهو محادثَةُ النساءِ واللَّعبُ . وإنَّما هُزِئ به . يقول : قد شغلك ما صنعتَ عن التغزُّل[1] . ا هـ .

والرُّدينيات : الرِّماح . والنَّهَل : الشرب الأَوّل . والعَلَل : الشُّرب الثانى . وعُقاب المنايا : الراية ، شبَّهها بالعُقاب . واللُّجم : جمع لجام . وتصلصِل : تصوِّت . وأراد بِشُعث النواصى الخيل . وأَوْحَلوا ، بالبناءِ للفاعل ، أى وقعوا فى الوحل .

وقوله : « فإن لا تعلَّقْ » استهزاءٌ فى مَعْرِض النصيحة ، أى إنْ لم تتعلَّقْ بذمّة قريش فلا طاقَةَ لكم بسيوف قيس . ١٤٥

(١) فى النسختين : « من التغزل » .

وقوله : « لنا الفضلُ فى الدُّنيا » البيت أورده ابن هشام (فى المغنى) على أنَّ اللام تأْتى بمعنى مِنْ ، أى ونحن أفضل منكم . وشَقَّقتْ : قطَّعت . وعَواتق : جمع عاتق ، وهو ما بين المنكِب والعنق . والْمِحمَل بكسر الميم الأُولى : سُيُور السيَّف .

والمصراع الأَخير تقديره : فمَنْ أعلى وأفضل من بنى مروان .

وترجمة جرير تقدَّمت فى الشاهد الرابع من أول الكتاب[1] .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الرابع والثّمانون بعد السبعمائة[2] :

٧٨٤ (بَطلٍ كأَنَّ ثيابَه فى سَرْحَةٍ)

على أنَّ (فى) بمعنى على فيه ، لأَنَّه معلوم أَن ثيابه ليست فى جوف سَرحة ، وهى الشَّجرة العالية ، وإنَّما هى على بدنه .

قال الشارح المحقق : والأَولَى أَن تكون على بابها ، لأَنَّ ثيابه إذا كانت عليها فقد صارت السَّرحة موضعاً لها .

وهذا المصراع صدرٌ ، وعجزه :

(يُحْذَى نعالَ السِّبتِ ليس بتوأَمِ)

صاحب الشاهد

والبيت من معلقة عَنترةَ العبسى ، وقبله :

أبيات الشاهد

(ومِشَكٍّ سابغـةٍ هَتكتُ فروجَهـا
بالسَّيفِ عن حـامى الحقيقةِ مُعْلِمِ

---

(١) الخزانة ١ : ٧٥ .

(٢) الخصائص ٢ : ٣١٢ والمنصف ٣ : ١٧ والأزهية ٢٧٧ وابن يعيش ٨ : ٢١ ورصف المبانى ٣٨٩ والمغنى ١٦٩ والأشمونى ٢ : ٢١٩ والمعلقات وشروحها .

رَبِذٍ يداهُ بالقداحِ إذا شتا
هَتّاكِ غاياتِ التِّجارِ ملوَّمِ
بطلٍ كأنَّ ثيابَه فى سَرحةٍ
يُحذَى نِعالَ السِّبتِ ليس بتوأَمِ
فطعنتَهُ بالرُّمح ثم علوتُه
بمهنَّدٍ صافى الحديدَةِ مِخْذمِ
لما رآنى قدْ نزلتُ أُرِيدُهُ
أَبْدَى نواجِذَه لغير تبسُّم
عَهدِى به مَدَّ النَّهارِ كأنما
خُضِب البنانُ ورأْسُه بالعِظلمِ)

قوله : « و مِشَكٍّ سا بغةٍ » بكسر الميم وفتح الشين المعجمة ، قال الأَعلم : أَراد ربَّ مِشَكٍّ دَرعٍ سابغة . والمِشَكُّ : التى شُكَّ بعضُها فى بعض . والمِشَكُّ : مسامير الدُّروع . والسَّابغة : الكاملة . وقال الخطيب التبريزى : مِشَكُّ الدِّرع : حيث يُجمعُ جَيْبُها بسير . وكانت العرب تجعل سَيْراً فى جَيب الدِّرع يجمع جيبها ، فإذا أَراد أَحدٌ الفرار جذب السَّير فقطعَه واتَّسع الجيب فأَلقاها عنه وهو يركض . وقيل: الدِّرع التى شُكَّ بعضُها إلى بعض . وقيل المِشَكُّ : المسامير التى تكون فى حَلَق الدرع . ومن جعل المشكَّ الدِّرع يكون من إضافة الصفة إلى الموصوف، وتأْويله عند البصريِّين: ومشكٍّ حديدةٍ سابغة . وهتكت: جوابُ رُبَّ . وكذلك على قول من جعله بمعنى السَّير والمسامير ، لأَنَّهما من الدرع ، فيصير الإخبار عن الدرع . وهَتكتُ فروجَها ، أَى شققتها وخرّقتها . وفروجها : جيبُها وكُمَّاها ، واحدها فَرج بفتح الفاء . وحامى الحقيقة ، أَى يَحمِى ما يحقُّ عليه أَن يحميَه. والمُعْلِم : ا م فاعل من أَعلم نفسه بعلامة ، وهو

الذى شَهَرَ نفسَه بعلامة إدلالاً بشجاعته ، وإعلاماً بمكانه . وقال أبوجعفر: هو اسم مفعول ، وكذلك المسوَّم ، يقالان بالفتح . والسُّومة بالضم :العلامة. وقال الزَّوْزنى : المعلم بكسر اللام : الذى أعلم نفسه بعلامةٍ يُعرف بها فى الحرب حتّى تبرز له الأبطال . والمُعْلَم بفتح اللام : الذى يشار إليه ويُدَلّ عليه بأنَّه فارس الكتيبة . يقول : رب موضع انتظامِ درعٍ واسعة شققتُ أوسَاطه بالسَّيف عن رجلٍ حامٍ لما يجبُ عَليه حفظُه ، شاهرٍ نفسَه فى حَومة الحرب أو مشارٍ إليه فيها . يريد أنَّه هَتك مثل هذه الدرعِ على مِثْل هذا الشجاع ، فما الظنُّ بغيره ؟ ! ١٤٦

وقوله : « ربذٍ يداه » هو بالجر صفةٌ لحامى الحقيقة . وكذا هَتَّاك . والرَّبِذُ ، بفتح الراءِ المهملة وكسر الموحدةِ : السريع . قال أبو جعفرٍ والخطيب : لم يقل ربذَةٍ يداه لأَنَّ اليد مؤنثة ، ووجهه أَنَّ قوله يداه بدل من الضمير المستتر فى ربذٍ العائد إلى حامى الحقيقة ، كما تقول : ضربت زيدًا يده . ومذهبُ الفرّاءِ فى هذا أنَّه يجوز أن يذكّر المؤنَّث فى الشِّعر إذا لم يكن فيه علامة التأْنيث . والقداح ، هى سهام الميسر ، جمع قِدْح بالكسر . أىهو حاذقٌ بالقِمار والمَيسرِ ، خفيفُ اليدِ بضرب القداح. وهذا كان مدحاً عند العرب فى الجاهليّة . وقوله : « إذا شتا » يريد أنَّه إذا اشتدَّ الزمان ، وكان أشدُّ الزمان عندهم زمنَ الشتاء ، وكان لاَ يَيْسِرُ فيه إلّا أهل الجود والكرم . وقوله : « هتَّاك غايات التجار» هو جمع تَجْر ، وهو جمع تاجر كما يجمع صاحب على صحب ، وصحبٌ على صحاب. وأراد بهم تجّار الخمر[1] . والغايات : علاماتٌ تكون للخمَّارين . يقول : فهو يهتك راياتِ تجّار الخمر ، لأنَّه لا يترك شيئًا من الخمر إلّا اشتراه

(١) الكلام بعده إلى كلمة « الخمر » التالية ساقط من ش .

وإذا فَنِيَ ما عندهم رَفَعوا علاماتِهم . وقيل المعنى أنَّه يعطيهم ما يطلبون فى السَّوم بها . والملوَّم : الذى يكثُر اللوم عليه فى تبذير مالِه .

وقوله : (بطلٍ كأَنَّ ثيابَه) إلخ بطل بالجر صفة حامى الحقيقة ، ويجوز رفعه على تقدير هو بطلٌ ، وهو الشُّجاع الذى تبطُل عنده شجاعةُ غيره . (والسَّرحة) ، بفتح السين وسكون الراءِ المهملتين فحاءٍ مهملة : واحدة السَّرْح ، وهو الشجر العظيم العالى . يريد أنَّه طويلُ القامة كاملُ الجسم ، فكأَنَّ ثيابَه على شجرةٍ عالية . والعرب تمدح بالطُّول وتذمُّ بالقصر . قال أُثَال بن عَبْدة بن الطَّبيب[1] :

ولمَّا التقى الصَّفَّانِ واختلفَ القنا ... نِهالًا وأَسبابُ المنايا نِهالُها[2]

تبيَّنَ لى أَن القمـاءَةَ ذِلَّـةٌ ... وأَنَّ أَعـزَّاءَ الرِّجالِ طوالُهـا[3]

يريد أَنَّ القنا وردت الدم ولم تُثَنِّ ، وذلك أَنَّ الناهل الذى يشرب أَوّل شربة ، فإذا شرب ثانية فهو عَلَل . وقوله : نهالُها ، أى أَوَّل ما يقع منها يكون سبباً لما بعده .

وقال بعض بنى العنبر :

فجاءَت به عبلَ العظام كأَنَّما ... عمامتُه بينَ الرجال لواءُ[4]

(١) البيتان بدون تسمية فى الكامل ٥٤ ، ٥١٣ . واقتصر المبرد على قوله إنه أعرابى من بنى سعد ، وإن الحنوت ، وهو توبة بن مضرس قد تمثل بهذا الشعر . ونسب إلى أنيف بن زبان النهشلى فى الحماسة البصرية ١ : ٣٥ .

(٢) الحماسة البصرية : « واشتجر القنا » .

(٣) الكامل : « وأن أشداء الرجال طوالها » .

(٤) البيت مع سابقين له فى الحماسة ٢٧٠ بشرح المرزوقى ، وروايته : « سبط العظام » . وقبله :

لا تعذلى فى حندج إن حنـدجاً ... وليث عفـرين لـدى سواء

حميت عـلى العهار أطهار أمـه ... وبعض الرجال المدعـين جفاء

[وقَال آخَر [1]] :

أشم طويل السَّاعدين كأنَّمـا تُناط إلى جذعٍ طويلٍ حمائلُه

ولِسَلْمٍ الخاسر :

يقـوم مع الرُّمح الرُّديني قائمـاً
ويَقْصُـر عنـه طـولُ كلِّ نِجادِ

وقوله : (يحذَى نِعال السِّبت) يحذى بالحاء المهملة والذال المعجمة على البناء للمفعول ، ونائب الفاعل ضمير البطل . ونعالَ مفعول ثانٍ له ، أى تُجعَل له النِّعال السِّبتية حذاءً بالكسر والمد . فى الصحاح : الحِذاءُ : النعل . واحتذى : انتعل . وأحذيته نعلاً ، إذا أعطيتَه نعلا . والسِّبت بكسر السين المهملة وسكون الموحَّدة : الجلد المدبوغ بالقرظِ ولم ينجردْ من شعره . قال أبو حنيفة الدينورى (فى النبات) : الجلد ما لم يُدبَغ فهو محرَّم ، وكذلك إذا دُبغ فلم يبالَغْ فيه الدِّباغ ففيه تحريم . والفطير مثله ، وهو الخام . وأجودُ ما يدبغ به الإهاب بأرض العرب القَرَظ ، وهو يُدبَغ بورقه . ويقال للذى يأْخذه من شجرهِ : القارظ ، والذى يبيعه : القَرَّاظ . فما كان منها من جُلود البقر خاصَّة فإنَّ الأَصمعىَّ زعم أنَّه السِّبت . وأمَّا أبو عمرو فزعم أنَّ كلَّ جلدٍ مدبوغ سِبْتٌ ، بالقَرَظ أو بغيره . وقد اختلف علينا فى ذلك ، فروى ما حكيناه عن الأَصمعى عن أبى عمرو ، وما ذكرناه عن أبى عمرو عن الأَصمعى . وقال أبو زياد : السِّبت: جلود البقر . قال: ولا تقول للجلد سِبْت حتى

١٤٧

(١) بمثلها يلتئم الكلام . وقد تنبه لذلك ناسخ ش فكتب : « كذا بخط المؤلف ، والقافية مختلفة ، فهنا سقط بلا شك » . وقال ناشر ط : « قافية هذا غير قافية ما قبله . فيظهر أنه سقط قبله وقال فلان » .

يصير حِذاءً[١] ، فذاك حين تنسُبه إلى السبت فتقول نعلُ سبتٍ ونعالُ سِبت . وأنشد قول عنترة :

* يُحذَى نِعالَ السِّبت ليس بتوأمِ[٢] *

وقال أبو زيد : نعل سبت، وهى من جلود البقر خاصة، وقال: السِّبت جلود البقر خاصَّة مدبوغة ، ولا يقال لغير جلود البقرِ سبت ، والجمِيع سُبوتٌ وأَسبات . فأَمَّا ما كان من جُلود الضأْن خاصَّة فهو السَّلْف ، والواحدة سَلْفة ، وهى أضعفُ من الماعز وأَلْيَن . وقال أبو زياد: خيرُها ما دُبغ بالقَرَظ ، ثمّ الأَرْطَى ، ثم السَّلَم . وشرُّها ما دُبغ بالأَلاء . وقال : الأَلاءِ شديدُ المرارة ، شديدُ الخضرة ، طيِّب الريح . انتهى ما أردنا منه .

وقول عنترةَ : «يُحذَى نِعالَ السِّبت» يريد أنَّه من الملوك الذين يلبسون النِّعال السِّبتيَّةَ الرقيقَة الطيِّبَة الرِّيح . وهم يتمدَّحون بجودة النعال ، كما يتمدَّحون بجودة الملابس . قال النابغة :

رقاقُ النِّعال طيِّبٌ حُجُزاتُهمْ يُحيَّوْنَ بالرِّيحانِ يومَ السَّباسبِ

أَراد أَنَّهم ملوكٌ لا يَخصِفون نعالهم ، إنَّما يخصفها مَن يمشى . والحُجْزة: الوَسط. أراد أَنَّهم يشدُّون أُزُرَهم[٣] على عِفَّة . والسَّباسب : يوم الشَّعانين . وأراد برقَّة النعال أَنَّ نعالهم ليست بمطْبقة . وقال النجاشى :

---

(١) ط : « حلا » ش : « حلاء » ، وفى حواشى ش : « كذا بخط المؤلف حلاء ، والصواب حذاء بالذال المعجمة » . فهو الصواب إن شاء الله .

(٢) صدره فى معلقته :

* بطل كأن ثيابه فى سرحة *

(٣) ط : « إزارهم » .

* لا يأْكل الكلبُ السَّروقُ نعالنا[١] *

إنَّما يأكُل الكلبُ الفطيرَ من النِّعال . وأمَّا السِّبت فلا . وقال كثيِّر وذكَر نعلاً :

إذا طُرِحتْ لا يطَّبِى الكلبَ ريحُها
وإنْ طُرِحَتْ فى مجلسِ القومِ شُمَّتِ[٢]

أى هِى طيِّبَة الريح ليست بفطير ، لأَنَّ النعل إذا كانت غيرَ مَدبوغة وظَفِر بها الكلبُ أكلهَا . وقوله : « ليس بتوأم » يريد أنَّه لم يزاحمْه أخٌ فى بطنِ أمِّه فيكونَ ضعيفَ الخلقة . والتوأم : الذى يكون مع آخرَ فى بطن أمِّه . فَنَفَى عنه ذلك ووصفَه بكمال الخَلْقَ وتمام الشِّدّةِ والقُوّة . يقول . هو بطلٌ مديد القامة ، كأَنَّ ثيابه أُلبِستْ شجرةً عظيمة ، من طُول قامتِه واستواء خَلْقه ، ويتَّخذ النعالَ من جلود البقر المدبوغة ، ولم تحملْه أُمُّه مع غيره . وقد بالغَ فى وصفه بالشِّدَّة والقوّة بامتِداد قامته ، وعِظَمِ أعضائه ، وتمامِ غذائه عند إرضاعه ؛ إذْ كان غير توأم .

وقوله : « بمهنَّد » هو السَّيف الهندى . وقوله : « صافى الحديدة » أى مجلوٌّ صقيل . والْمِخذم ، بكسر الميم والمعجمتين : القاطع ، مِنْ خَذَمَه أى قَطعه .

---

(١) ورد البيت محرفاً فى اللسان (نقا ٢١٤) ، وهو على الصواب فى البيان ٣ : ١٠٩ ، وانظر تحقيقه فى كتابى « تحقيقات وتنبيهات فى معجم لسان العرب» ص ٣٧١ . ورواية البيان :

ولا يأكل الكلب السروق نعالهم ولا تنتقى المخ الذى فى الجماجم

وفى المعانى الكبير ٤٨٣ :

لا يأكل الكلب السروق نعالنا ولا ننتقى المخ الذى فى الجماجم

(٢) الحيوان ١ : ٢٦٦ والبيان ٣ : ١٠٩ والمعانى الكبير ٤٨٧ . وهو من قصيدة فى رثاء عبد العزيز بن مروان، فى ديوان كثير ٣٢٤ .

وقوله : « لمَّا رآنى قد نزلت » إلخ . النواجذ : آخر الأَضراس . ومعنى أَبدى نواجذه ، أى كَلَح غيظاً علىّ . ويقال بل كَلَح كراهةً للطَّعن . وقيل : المعنى لمَّا رآنى قاصدًا له كلَح وكشَّر أسنانه ، فصار كأَنَّه متبسِّمٌ . وقيل : المعنى لمَّا قتلته تَقَلَّصت شفتاه عن أسنانه[٣] فصرتُ إذا نظرت إليه كأَنَّه يتبسم . يقول : لمَّا نزلتُ عن فرسىِ أُريد قتلَه كشرّ عن أَسنانه غير متبسِّم . أَى لفَرط كُلوحِه من كراهيَة الموت تقلَّصت شفتاه عن أَسنانه .

١٤٨

وقوله : « عهدى به » أَى مشاهدتى له وقد تخضَّب بدمه ، فكأَنَّه قد خُضب بالعِظْلِم ، كزبرج ، وهو شجرٌ يُتَّخذ منه الوَسْمَة . يقال إنَّه الكَتَم . وإنَّما شَبَّه الدم به لمَّا انعقد وضَرَبَ إلى السَّواد . ويقال عَهِدته أَعهَده عهدًا ، إذا لقيتَه . قال الخطيب : عهدى به مبتدأً ، والخبر فى الاستقرار. وقوله : «مَدَّ النهار» بدلٌ من الاستقرار، كما تقول : القتال اليومَ ، وكما تقول : عهدى قريبًا ؛ أَى وقتاً قريباً. إلَّا أَنَّه يجوز فى هذا أَنْ تقول قريب ، على أَنْ تجعل القريبَ العهدَ . ومَدّ النهار : ارتفاعُه. وروى : « شدَّ النَّهار » بمعناه . ويريد بالبنان الأَصابع . وروى بدله :«اللَّبَان» بفتح اللام ، وهو الصَّدر . يقول : رأَيته طولَ النهار وامتدادَه بعد قتلِى إيَّاه وجُفوفِ الدم عليه ، كأَنَّ بنانه أَو صَدْرَه ورأْسَه مخضوبَةٌ[٢] بهذا النَّبت .

وترجمة عنترة تقدَّمت فى الشاهد الثانى عشر من أَوائل الكتاب[٣] .

* * *

---

(١) الكلام بعده إلى آخر هذه الفقرة ساقط من ش .

(٢) فى النسختين : « مخضوباً » .

(٣) الخزانة ١ : ١٤٨ .

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الخامس والثمانون بعد السبعمائة[1] :

٧٨٥ (ويركبُ يومَ الرَّوعِ فيها فوارسٌ
بَصِيرونَ فى طَعْنِ الأَباهِرِ والكُلَى)

على أنَّه قيل إنَّ (فى) بمعنى الباء ، أى بَصيرون بطعنِ الأَباهر. والأولى أَن تكون بمعناها ، أى لهم بَصارة وحذقٌ فى هذا الشأْن .

قال ابن عصفور (فى الضرائر) : إنَّما عدَّى بصيرٌ بفى ، لأنَّ قولك : هو بصير بكذا ، يرجع إلى معنى هو حكيمٌ فيه ، متصرِّف فى وجوهه .

صاحب الشاهد

والبيت من أَبياتٍ تسعة لزيد الخَيْل الطائى ، رواها أَبو زيد (فى نوادره) ، وأبو العباس الأَحول (فى شرح ديوان كَعب بن زهير) ، وأبو علىٍّ القالى (فى ذيل الأَمالى) ، وهى :

أبيات الشاهد

(أَفى كــلِّ عامٍ مأْتمٌ تبعثــونه
عَلى مِخْمَرٍ عَــوْدٍ أُثيبَ وما رُضَا

تُجِدُّونَ خمشــاً بعد خَمشٍ كــأَنَّه
على فاجعٍ من خير قومِكُم نُعــا

تحضِّض جبّــاراً علىَّ ورَهطَــه
وما صِرْمَتِى منهمْ لأَوّل مَن سَعَى

(١) نوادر أبي زيد ٨٠ والقالى ٣ : ٢٤ وأدب الكاتب ٤٠٠ والجواليقى ٣٥٧ ، والاقتضاب ٤٣٧ والأزهية ٢٨١ والمخصص ١٤ : ٦١ والضرائر ٢١٨ وابن الشجرى ٢ : ٢٦٨ والمغنى ١٦٩ والتصريح ٢ : ١٤ والهمع ٢ : ٣٠ والأشمونى ٢ : ٢١٩ وشرح ديوان كعب ابن زهير ١٣٤ .

تَرَعَّى بأَذناب الشِّعابِ ودونَها
رجالٌ يردُّون الظَّلومَ عن الهوَى[١]
ويركبُ يومَ الرَّوعِ فيهـا فوارسٌ
بصيرون فى طَعن الأَباهِرِ والكُلَى[٢]
فلولا زهيرٌ أنْ أُكَـدِّرَ نعمـةً
لقاذعتُ كعباً ما بَقَيْتُ وما بَقَا[٣]
قد انبعثتْ عِرسى بليلٍ تلومُنى
وأَقرِبْ بأَحلامِ النِّساء من الـرَّدَى
تقول : أرى زيدًا وقد كان مُقْتِراً
أراه لعَمرى قد تمـوَّلَ واقتنَى[٤]
وذاك عطاءُ اللهِ فى كلِّ غارة
مشمِّرةٍ يوماً إذا قَلَّصَ الخُصَـى)

وقوله : « أفى كلِّ عام » إلخ استفهامٌ توبيخى . والمأْتم ، مهموز ، وهو الجماعة من النِّساء يجتمعْنَ لحزنٍ أو فرح ، والمراد هنا الحُزْن ، ولهذا عاد الضمير إليه من تبعثونه مذكَّراً . وقال شرَّاح أبيات الكتاب : الضمير عائدٌ على محذوف ، أى أفى كلّ عام اجتماعُ مأْتم ، فيكون المأْتم بالمعنى الأوَّل . ولهذا قال أبو زيد : أراد: أفى كلّ عام[٥] ، حدوثُ مأْتم ، فحذف المضاف وأقام المضاف إليه مقامه . ا هـ .

---

(١) فى شرح الديوان وأمالى القالى والجواليقى والاقتضاب : « يصدون الظلوم » .
(٢) فى شرح الديوان : « يردون طعناً فى الأباهر والكلى » .
(٣) فى شرح الديوان وأمالى القالى : « لقادعت كعباً » .
(٤) عند القالى : « وقد كان مصرماً » ، وفى رواية ثانية لشرح الديوان :
تقول أرى زيداً وقد بان مقترا تمول من بعـد التصملك واقتنى
(٥) ط : « فى كل عام » ، وأثبت ما فى ش . ولم أجد هذا النص فى نوادر أبى زيد .

وإنما قال كذا لئلاً يقع ظرف الزمان خبراً عن الجثّة . وتبعثونه : تهيِّجونه وتحرِّكونه . وروى بدله : « تجمعونه». والمِحْمَر بكسر الميم الأُولى وسكون الحاء المهملة ، قال أبو زيد : هو الفرس الذى يُشبه الحمار ، وهو أيضاً اللَّئيم من الرِّجال . أراد هنا أنّه فرسٌ هجين ، أخلاقُه كأخلاق الحمير ، بطئُ الحركة . وعَلَى هنا تعليليَّة . والعَوْد ، بفتح العين المهملة ، قال أبو زيد : المُسِنّ . وأُثِيب: جُعِل لنا ثوابا . والثَّواب: الجزاءُ . وَرَوى الجرمى: « على مِحْمَرٍ ثوَّبتموه ومارُضا» يقال أثابه وثوَّبه ، أى أعطاه الثَّواب . ورُضَا بضم الراء بمعنى رُضِيَ ، فعلُ مجهول ، وهو لغة طيّ ، يكرهون مجيء الياء المتحرِّكة بعد الكسرة ، فيفتحون ما قبلها لتنقلب إلى الألف لخفَّتها . يقولون فى بَقِيَ : بَقَا ، وفى نُعِيَ نُعَا كما هنا .

149

وهذا البيت استشهد به سيبويه على أنَّ تبعثونه صفة لمأْتم ، ولهذا لم يعمل فيه . يقول : إنَّكم تجمعون نساءً ليبكين على فقد هذا الفرس الذى جعلتموه جزاءً لنا على جميل فعلناهُ بكم ، والحال أنَّنا لم نرض بهذا الفرس الذى يُشبه الحمار .

وقوله : « تُجدُّونَ خَمْشاً » إلخ : يقال أجدَّ فلانٌ الشيء واستجدَّه ، إذا أحدثه ، فتجدَّد . والخمش : مصدر خَمَشَتِ المرأَةُ وجهَهَا بظُفرها ، من باب ضرب ، أى جرحَتْ ظاهرَ البشرَة . وفاجع : الذى فَجَعهم بنفْسه . يقال فجَعَتْه المصيبةُ ، أى أوْجعته . وروى بدله : « على سيِّد». ونُعا أصله نُعِيَ ، يقال نعيت الميّت نعياً من باب نفع ، إذا أخبرتَ بموته . يقول : إنَّكم تخمِشُون وجوهَكم مرّةً بعد مرّة ، على هذا البِرذون ، كأنَّكم فقدتُم خبرَ قومِكم .

وقوله : « تحضِّض جبّاراً » إلخ . هذا خطابٌ لكعب بن زهير . قال الجواليقى (فى شرح أدب الكاتب) : يقال حَضَّضت الرجل ، إذا حثثتَه على الخير والشرّ جميعاً ، وحضَضْته بالتخفيف ، إذاحثثتَه على الخير . وحثَثْتُه ، إذا حرَّضته على سَوقٍ أو سير . ولا يكون الحضّ فى السّير والسوق .

وجَبّار ، بفتح الجيم والموحدة المشددة : اسم رجل . وقال أبو العباس الأحول : هو رجلٌ من فزازة . والصِّرمة ، بكسر الصاد المهملة : القطعة من الإبل ما بين الثلاثين إلى الأربَعين . والرَّهْط : النَّفر، وهم مادون العشْرة من الرجال . يقول : تُغْرِى هذا الرجلَ ليُغير على إبلى ، وليست إبلى لأوّل جماعةٍ تغزونى ، لأنّى أقاتلُ عنها وأدافع .

وقوله : « تَرَعَّى بأذناب » إلخ أصله تَترعَّى فهو مضارع . وقال الجواليقى : أى ترعَّى، يريد أنَّه مبالغة ترْعَى بالتخفيف . والأذناب : جمع ذَنَب بفتحتين . وروى بدلهُ : « بأطراف » . قال الجَواليقى : والشِّعاب : جمع شِعْب ، وهو الموضع المنفرج بين جبَلين ، وهو جمعٌ نادر كقِدْح وقداح . ودونَها ، أى دون هذه الصِّرمة رجالٌ يردّون الظّالم عن هَواه .

وقوله : (ويركبُ يومَ الرَّوع) بفتح الراء هو الفَزَع. و (فيها) أى من أجل الصِّرمة . قال الأحول : الأباهر والكلى مَقتلانِ. والأبهر : عِرقٌ فى المتْن . وقال الجواليقى : أى هم بُصَراءُ عالمون بمواضع الطّعن . والأباهر : جمع أبهَر ، وهو عرقٌ مستبطن الصُّلب . والكُلَى: جمع كُلْية. وللإنسان والحيوان[1] كليتان ، وهما لحمتان حمراوان مُنْتَبِرتانِ[2] لازقتان بعظم

(١) الجواليقى : « وكل الحيوان » .

(٢) ط : « منبترتان » ، صوابه فى ش . والانتبار : الارتفاع والبروز .

الصُّلب . ا هـ . وكذا قال ابن السِّيد . وصَفهم بالحذق فى الطَّعن ، فهم يتعمَّدون المقاتل . والأَبهر : عرقٌ مستبطنُ المتن متَّصل بالقلب .

وقوله : « فلولا زُهيرٌ أن أُكدِّر نعمةً » إلخ هذا البيْت فى رواية الأَحول وفى رواية القالى آخرُ الأَبيات . والملاصق لقوله : ويركب يوم الرَّوع ، عندهما : تقول أرى زيداً ، البيت . وليس عندهما «قد انبعثت عرسى بليل تلومنى » البيت .

١٥٠

وهذا هو المناسب لسياق الكلام . وبيت « قد انبعثت عرسى » إنَّما هو من شعر كعب كما سيأْتى ، لكن كتبنا الأَبياتَ كما وجدناها ثابتةً فى نسختين صحيحتين (من نوادر أَبى زيد) .

وقوله : « فلولا زهير » هو والدكعب. وقوله : « أن أُكدِّر نعمةً » هو بدل اشتمال من زهير بتقدير الرابط ، والتقدير : فلولا تكديرُ نعمة لزهير . وقوله : « لقاذعْتُ » جواب لولا . والقَذْع بالذال المعجمة : الفُحش والخَنَى . يقال قذعتُه ، إذا رميتَه بالفحش وشتمتَه .

وقوله : « قد انبعثَتْ عِرسى » إلخ ، هذا البيت أَوّل أبياتِ كعبِ بن زُهير الآتية ، ولا مناسبة له هنا . والمِصراع الأَوَّلُ فى رواية الأَحول :

* ألا بَكرت عِرسى تُوائمُ مَنْ لحا *

قال الأَحول : توائم : تعارض وتفعل مَا يفعلون [1] . وأَصل المواءمة المباراة فى الطعام. وقوله : « وأَقرِبْ بأَحلام » إلخ ، هو صيغة تعجُّب .

---

(١) ط : « وتفعل ما يفعلون » .

والأَحلام : العقول . قال الأَحول : هو من مثل تضربه العرب « لُبُّ النِّساء إلى حُمق[1] » .

وقوله : « تقول أرى زيدًا » : إلخ هذا خطاب لكعب لا حكايةُ قولِ عرسه وإن كان ظاهراً . والمُقْتِر اسم : فاعل من أَقتر الرجُلُ ، إذا افتقر. وروى بدله : « مُصْرِمًا » من أَصرَم الرّجلُ ، إذا صار ذا صِرمة . وتموَّل : صار ذا مال . والمال عند العرب : الإبل والماشية . واقتنى ، هو من قَنَيت الشيء ، إذا اتخَذْتَهُ لنفسك لا للتِّجارة . ويروى بدله : « وافتَلَى » أى صار ذا فَلُوٍّ ، وهو المُهْر. والفَلُوّ كفَعُول ، ويقال فِلْو بكسر الفاء وسكون اللام . ويقال افتلى بمعنى رَبَّى أيضاً ، وبمعنى فَطم الصغيرَ عن اللَّبن .

وقوله : « وذاك عطاءُ الله » إلخ ، الإشارة للتموُّل والاقتناء . والغَارَة : الغُزاة . ومشمِّرة ، من شمَّر إزاره تشميرًا ، إذا رفَعه . ويروى : « قَلصَ الخُصَى » بتخفيف اللام وتشديدها ، بمعنى انضمَّت وانزوت . وتقلُّص الخصى يكون عند الرُّعب والفَزع .

وسبب هذه الأَبياتِ ما رواه القالى (فى ذيل الأَمالى) قال : حدثنا أَبو بكر قال : أَخبرنا أَبو حاتم عن أَبى عبيدة عن أَبى عمرو بن العلاءِ قال :

خرج بجير بن زُهير بن أَبى سلمى فى غِلمةٍ يجتنُون جَنَى الأَرض ، فانطلق الغِلمةُ وتركوا ابن زهير ، فمرَّ به زيدُ الخيل الطائىُّ فأَخذه ـ ودار طَيِّئٌ متاخمةٌ لدور بنى عبد الله بن غطفان ـ فسأَلَ الغلامَ : من أَنت ؟ فقال : أنا بجيرُ بنُ زهير . فحمله على ناقةٍ ثم أَرسلَ به إلى أَبيه

---

(١) عند الميدانى : « لب المرأة إلى حمق » .

فلما أتى الغلامُ أخبره أنَّ زيداً أخذَه ثم خلّاه وحمله . وكان لكعب بن زهيرٍ فرسٌ من جيادِ خيل العرب . وكان كعبٌ جسيما ، وكان زيد الخَيل من أعظم الناس وأجسمهم ، وكان لا يركب دابّة إلّا أصابت إبهامُه الأرضَ ، فقال زهيرٌ : ما أدرى ما أُثيبُ به زيدًا إلّا فرسَ كعب . فأرسل به إليه وكعبٌ غائب ، فجاء كعبٌ فسأل عن الفرس فقيل له : قد أرسل به أبوك إلى زيد . فقال كعبٌ لأبيه : كأنَّك أردتَ أن تقوِّىَ زيدًا على قتال غطفان . فقال زهيرٌ له : هذه إبلى فخذ ثمنَ فرسك[(١)] .
وكان بين بنى زهير وبين بنى مِلقطٍ الطائيِّين إخاءٌ ، وكان عمرو بن ملقط وفَّادًا إلى الملوك ، وهو الذى أصاب بنى تميم مع عمرو بن هند يوم أُوارة[(٢)] ، فقال كعبٌ شعراً يريد أن يُلقِىَ به بين بنى مِلقط وبين رهط زيدِ الخيل شرًّا ، فعرف زهيرٌ حين سمعَ الشعرَ ما أراد به ، وعرف ذلك زيدُ الخَيْلِ وبنو ملقط ، فأرسلت إليه بنو ملقط بفرسٍ نحوِ فرسه ، وكانت عند كعبٍ امرأةٌ من غطفانَ لها حَسَبٌ فقالت له : أما استحييتَ من أبيك لشرفه وسنِّه أن تؤبسه[(٣)] فى هبَته عن أخيك . ولامَتْهُ . وكان قد نزل بِكعبٍ قبل ذلك ضِيفانٌ فنحرَ لهم بَكرًا كان لامرأته ، فقال : ما تلومينى[(٤)] إلّا لمكان بَكرِك الذى نحرتُ ، فلك به بَكرانِ . وكان زهيرٌ كثيرَ المال ، وكان كعبٌ مجدودا[(٥)] . فقال كعب :

ألا بكرَتْ عِرسى بليل تلومُنى ... وأقربْ بأحلام النساء إلى الردَى[(٦)]

١٥١

(١) فى الأمالى : « فخذ منها عن فرسك ما شئت » .
(٢) بعده عند القالى : « فسأله فيهم فأطلقهم له » .
(٣) أبسه يأبسه أبساً ، وأبسه تأبيساً : صغر به وحقره .
(٤) عند القالى : « تلومیننى » بإثبات النونين . وكلاهما وجه جائز فى العربية حين تجتمع نون الرفع مع نون الوقاية ، يجوز فيهما الفك والإدغام ، والنطق بنون واحدة . وقد قرئ بهن فى السبعة فى قوله تعالى : « تأمرونى » . انظر المغنى ٣٤٤ .
(٥) مجدودا ، أى ذا جد وحظ .
(٦) فى ذيل الأمالى ٢٤ : « وأكثر أحلام النساء » .

وذكر فيها زيدًا ، فقال زهير لابنه :هجوت رجلاً غيرَ مُفحَم ، وإنّه لخليق أنَ يظهَرَ عليك . فأَجابه زيد فقال :

* أفى كلّ عام مأْتمٌ تجمعُونَه * إلى آخر الأَبيــات . ا ه

وهذه أبياتُ كعبٍ (من ديوانِه) برواية أَبى العبّاس الأَحول :

(ألا بكرَتْ عِــرسى تُوائِمُ من لحــا
وأَقرِبْ بأَحــلامِ النِّساء من الرَّدى)

وتقدَّم شرحه .

(أَمِنْ أَجــل بَكرٍ قطَّعَتْنِى ملامةً
لعمرى لقد كانت مَلامتُها نَثَا[1])

البَكر ، بالفتح : الفتىُّ من الإبل. قال الأَحول : أَمن أَجل بكر نحرتُه وأَطعمتُه أَصحابى بكَرتْ علىَّ باللَّوْمِ مع مَنْ يلوم . وقوله نَثَا ، بفتح النون بعدها مثلثة ، أى مرّة بعد مرة :

(أَلَا لَا تلومى وَيْبَ غيرِكِ عارياً
رأى ثوبَه يوماً من الدَّهر فاكتسى[2])

يقول : لا تلومى فى أَن نحرتُ بكراً وكسوتُ رجلاً عارياً فاكتسى . ووَيْبُ يُذهَبُ به مذهبُ وَيْحَ .

(فأُقسِمُ لولا أَنْ أُسِرَّ ندامــةً
وأُعلِنَ أُخرى إنْ تراخَتْ بِىَ النَّوَى[3]

---

(١) كذا فى متن البيت وشرحه ، وهو خطأ من البغدادى ، والصواب : « ثنى » بتقديم الثاء المكسورة على النون كما فى الديوان واللسان (ثنى ١٣١) .

(٢) فى شرح الديوان : « ويروى نضا ثوبه ، أى ساخه ولبس غيره » .

(٣) فى الديوان : « باك النوى » .

وقِيلُ رجال لا يُبـالون شـأْننا :

غوَى أمرُ كعبٍ ، مَا أرادَ ومارتـأَى[1])

قال الأَحول : يقول لولا قولُ رجال لا يبالون ماذَكرُوا من أمرى وأَمرك ، ويَنْثون[2] عليَّ وعليكِ أمراً لم أرتئِهِ ولم أَفعلْه .

(لقد سَكنت بيني وبينكَ حِقبـةً

بـأَطلائها العِينُ الملمَّعةُ الشَّـوَى)

قال الأَحول : ويروى : « لقد رتعت بينى وبينك » . والعِين : الوحش . والشَّوَى : القوائم . يقول : يكون بيني وبينك تفرُّق دهرٍ لا نجتمع ، على بُعد منزلٍ ، وتَنَائى محلٍّ هذه صفتُه . تسكنه الوحش . والمعنى لفارقتُكِ مفارقةً لا نجتمعُ معها .

(فياراكباً إمّـا عرضتَ فبلِّغَنْ

بني مِلقطٍ عنِّى إذا قيل : مَن عَنَى

فمـا خِلْتُكمْ يا قومِ كنتم أذِلّةً

وما خِلتُكـمْ كنتم لمختلِسٍ جَنَى

لقد كنتُمُ بالسَّهل والحزنِ حَيّةً

إذا نهشَتْ لم يَشْفِ نَهشتَها الرُّقى[3]

وإن تَغْضَبوا أَو تُدركوا لى بذمّةٍ

لَعمرُكُمُ أَو مثـلَ سعيكُمُ كَفى[4]

---

(١) ط : « عوى » ، صوابه فى ش والديوان .

(٢) فى النسختين : « أو ينثون » ، صوابه ما أثبت . وفى شرح الديوان : « فينثون » ، يقال نثى الخبر ينثيه نثياً : حدث به وأشاعه .

(٣) الديوان : « إذا لدغت لم تشف لدغتها » .

(٤) فى الديوان : « لمثل سعيكم » .

لقد نال زيدُ الخيـــلِ مالَ أَخيكم
فأَصبح زيدٌ قد تموَّلَ واقتنَى[١]
وإنَّ الكميت عنـــد زيدٍ ذِمـــامةٌ
وما بالكميت من خَفاءٍ لمن رأى)

قال أبو عمرو : إذا أَتى ما لا يَشتهى صاحبُه فقد أذمَّ به[٢] . وقال غيره : يقول : إنَّ فرسى ذِمامٌ عند زيد وما به خفاءٌ لمن رآه .

(يَبِينُ لأَفيـــالِ الرِّجالِ. ومثلُه يبين إذا ما قِيدَ بالخيل أو جرَى[٣])

١٥٣ أَفيال الرجال : الذين لا رأىَ لهم ولا فَهْم . يقول : إذا رآه الذى لا علم له بالخيل ولا بصَرَ ، يُقاد أو يَجرى ، علم كرمَه وعِتقَه ، ولم يَحتجْ إلى أن يسال عن نسبه . ثم وصفه ببيتين آخرين .

قال أبو العباس الأحول : وإنَّما قال كعب هذه الأَبياتَ وأجابه زيد الخيل ،وذلك أنَّ بجير بن زهير والحطيئةَ ورجلاً من بنى بدر خرجُوا يقتنصون الوحشَ ولا سلاحَ معهم ، ومع زيد الخيل عدّةٌ من أصحابه ، فقال : استأْسِرُوا ، فقالوا : لا إلاَّ على الطاقة[٤] . فأَخذهم. فأَمَّا الحطيئةُ فخلَّى سبيله لخُبث لسانِه وفقرِه ، وأَنَّه لم يكن عنده ما يَفْدِى به نفسَه. وأَمَّا بُجَيرٌ ففدى نفسَه بفرسٍ كان يقال له الكميت . وأما أخو بنى بدر فافتَدَى نفسَه بمائة من الإبل. فقال كعب بن زهير وبلغه حديثُ القوم ، وكان نازلاً فى بنى مِلقطٍ من طيئ ، فقال يحرِّضهم على زيد الخيل ،

---

(١) الديوان : « وأصبح زيد بعد فقر قد اغتنى » .
(٢) ش : « فقد أذم » ، فقط .
(٣) الديوان : « إذا ما قيد فى الخيل » .
(٤) ط : « فقالوا : إلا على الطاقة » ، وأثبت ما فى ش . وفى شرح الديوان : « فقالوا : لا نستأسر إلا على الطاقة » .

ليأُخذ الكميت . وزعَم أنَّ الكميت كان له دون بُجير ، فقال فى ذلك قصيدة : «ألا بكرت عرسى» ، وأجابه زيد الخيل : «أفى كل عام [مأْتَمٌ[1]] » ، فزعموا أنَّ زهيراً قال لكعب : هجوت امرأً غيرَ مفحم ، وإنَّه لخليقٌ أن يَظهَر عليك .

ثم نقل أبو العباس أربعة أبياتٍ للحطيئة مدح بها زيد الخيل[2] . والله أعلم أىّ ذلك قد كان .

وزيد الخيل وكعب صحابيَّانِ تقدَّمت ترجمتهما .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد السادس والثمانون بعد السبعمائة[3] :

٧٨٦ (نُحـابِى بهـا أكفاءَنا ونُهينُهـا
ونَشـرب فى أثمانهـا ونُقـامِرُ)

على أن (فى) قيل إنَّها بمعنى الباء فى البيت ، أى ونشرب بأَثمانها . والأَولى أيضاً أن تكون على معناها بجعل أثمانها ظرفاً للشَّراب والقمارِ مجازاً .

صاحب الشاهد

والبيت آخر أبياتٍ أربعةٍ لسَبْرة بن عمرٍو الفقعسى ، أوردها أبو تمام (فى الحماسة) ، وهى :

أبيات الشاهد

(أتَنْسَى دفاعى عنكَ إذْ أنتَ مُسلَمٌ
وقد سالَ من نصر عليك قُراقِـرُ
ونِسوتُكم فى الرَّوعِ بادٍ وجوهُهـا
يُخَلْنَ إمـاءً والإمـاءُ حـرائرُ

(١) التكلة من ش .

(٢) شرح الديوان ١٣٥ ، وديوان الحطيئة ٨٢ . وأول الأبيات :
إلا يكـن مال يثـاب فإنه سيأتى ثنائى زيداً ابن مهلهـل

(٣) أمالى ابن الشجرى ١ : ٢١٩ والحماسة بشرح المرزوقى ٢٣٩ ، وبشرح التبريزى ١ : ٢٣٤ .

أعيَّرتَنـــا أَلبـــانَها ولحومَهـــا
وذلك عـــارٌ يا ابنَ رَيْطةَ ظـــاهرُ
نُحـــابى بهـــا أكفـــاءَنا . . . . البيت)

قوله : « أتنسى دفاعى » إلخ استفهامٌ توبيخىّ ، يخاطب ضَمرة[1] ابن ضمرة النهشلى . واذ ظرفٌ لدفاعى ، أى لم تنس مُدافعتى عنك[2] حين كنتَ مخذولاً لا ناصر معك . ومُسْلَم : اسم مفعول من أسامته بمعنى خذَلته ، وهو أن تخلِّىَ بينه وبين من يريد النِّكاية فيه . قوله : « وقد سالَ من نصر » إلخ رواه شراح الحماسة : « وقد سال من ذُلّ » ، قال المرزوقى وغيره : قُراقر بضم القاف الأُولى : اسم وادٍ ، ويكون ذكره مثلا . ومن كلامهم : « سال عليهِ الذُّلُّ ، كما يسيل السَّيل » . ولا يمتنع أن يكون لحقه ما لحقه من الذلّ من ناحية قراقر ، فلذلك خصَّه ، والجملة حال . انتهى .

وأوّل من حرَّفه أوّلُ شارحٍ للحماسة ، وهو أبو عبد الله النَّمَرِىّ ؛ قال : يقول : سال هذا الوادى عليك فلم تستطع الانتقالَ عنه ذُلاًّ وضعفاً.

وردّ عليه أبو محمد الأَسودُ الأَعرابى (فيما كتبه على شرح النمرى) ، وقال : الصواب : « وقد سال من نصر » ، يعنى نصر بن قُعين بن الحارث بن ثعلبة بن دُودان بن أسد بن خزيمة . يقول : دافعتُهم عنك حين سال الوادى بهم عليك . كما قال الآخر :

١٥٣ ونحن أَسَلْنا مُصعِداً بطنَ حـــائل ولم يُرَ وادٍ قبله سالَ مُصعِدا

يعنى أَنَّهم أَسَالُوه بالرجال . ولبيتِ سَبرة قصّة طويلةُ الذيل ذكرتُها (فى كتاب السَّلّة والسَّرقة) . انتهى .

---

(١) ط : « ضمر » ، صوابه فى ش .
(٢) ش : « مدافعتى » بإسقاط « عنك » .

أقول : قد ذكرها (فى ضالَّة الأَديب) أيضاً ونحن نذكرها . إن شاءَ الله بعد الأَبيات .

وقوله : « ونِسوتُكم فى الرَّوع » إلخ . هذه الجملة معطوفة على جملة الحال السابقة . قال المرزوقى : وصف الحالَ التى مُنِىَ بها حين نصره مخاطِبُه . والمراد: نساؤُكم تَشَبَّهْنَ[1] بالإِماءِ مخافة السَّبْى ، حتَّى تبرَّجن وبرزن مكشوفاتٍ ناسيات للحياءِ ، وإنْ كنَّ حرائر . وإنَّما قالَ هذا لأَنَّهم كانوا يَقْصِدون بسبىِ مَنْ يسبون من النِّساءِ إلحاقَ العار . لا اغتنامَ الفداءِ والمال[2] . ولمَّا كان الأَمر على هذا فالحرّة كانت فى مثل ذلك الوقت تتشبَّه بالأَمة لكى يُزهَد فى سَبْيها . ومعنى « والإِماءُ حرائر » : واللاتى يُحسَبْن إماءً حرائر . ولو قال يُخْلَن إماءً وهُنَّ حرائرُ[3] لكان مأْخذ الكلام أقربَ ، لكنَّه عدل إلى : والإِماءُ حرائر ، ليكون الذكر أفخم.

وقوله : « أَعيَّرتَنا أَلبانَها » ، إلخ استفهامٌ للإنكار والتقريع ، أى لِمَ عَيَّرتَنا ألبان الإِبل ولحومَها ، واقتناءُ الإِبل مباحٌ . والانتفاعُ بلحمها وأَلبانِها جائزٌ ديناً وعقلا . وقوله : « وذلك عارٌ ظاهر » أى زائل . قال أَبو ذؤيب :

وعيرَّهـا الواشـونَ أَنِّى أُحبُّهـا
وتلك شَكَاةٌ ظاهرٌ عنك عارُها[4]

ويقال عيَّرته كذا ، وهو الأَفصح ، وعيَّرته بكذا . قال عدىٌّ :

---

(١) فى النسختين : « فشبهن » ، صوابه من المرزوقى ٢٣٨ .

(٢) ط : « لاغتنام الفداء والمال » ، صوابه فى ش والمرزوقى .

(٣) فى النسختين : « يخلن إماؤهن حرائر » ، صوابه من المرزوقى .

(٤) ديوان الهذليين ١ : ٢١ .

* أيُّها الشَّامت المعيِّر بالدَّهر[1] *

والواو للحال ، أى أتعيِّرنا ذلك والحالُ ذلك .

وقوله : (نحابى بها) إلخ قال المرزوقى : بيَّن وجوه تصرُّفهم فيما عيَّرهم[2] به فقال : نجعلها حِباءً لنُظَرائنا فنتهادى بها ، ونسهِّل تمكُّن الزُّوَّار والعُفاة منها ، بابتذالها وإهانتها – وحذف ذكر مَنْ أُهينت له لأنَّ المراد مفهوم – ونبيعها فنصرف أثمانَها إلى الخمر والإنفاق ، ونضرب بالقداح عليها فى الميسر[3] عند اشتداد الزمان ، فنفرِّقها فى الضُّعفاء والمحتاجين . وفى تَعداد هذه الوجوه إبطالٌ لكلِّ ما أوهَم أنْ يلحق[4] من العار فى اقتنائها وادِّخارها . انتهى .

قال ابن الشجرى (فى أماليه) : حَابَى : بارَى ، يقال حابيت فلاناً أى باريته فى الحِباء ، مثل باهيته فى العطاء ، كما يقال كارمته أى باريته فى الكرم . فقوله : نحابى بها أكفاءنا ، لا يكون إلَّا بمعنى نباريهم فى الحِباء . وقدْ ورد أُحابى فى شعرِ زهيرٍ بمعنَى أَخُصُّ ، وذلك فى قوله :

أحـــابى به ميتاً بنخـــلٍ وأبتغى
إخاءك بالقِيل الذى أنا قائلُ[5]

قالوا : أراد أُحابى بهذا الشعر ميتاً بنخل ، يعنى بالميْت أبا الممدوح ، أى أخصُّه به . ونخل : أرض بها قبرُه . وذهب ابن جنى فى قول المتنبى :

---

(١) البيت بتمامه كما فى ديوان عدى بن زيد ٨٧ وعيون الأخبار ٣ : ١١٥ :

أيهـــا الشامت المعـــير بالدهـــر أأنـــت المـــبرأ الموفور

(٢) كذا فى المرزوق . وفى ش : « عير به » .

(٣) ط فقط : « والميسر » .

(٤) كلمة « أن » ساقطة من ش . وفى حواشيها مع ذلك : « كذا بخط المؤلف ، وفيه نقص . والظاهر : إبطال لكل ما أوهم ما يلحق » . والذى فى المرزوق : « إبطال لكل ما أوهم أو ادعى يلحق من العار فى اقتنائها » .

(٥) فى ديوان زهير ٢٩٩ : « بالقول » موضع « بالقيل » ، وهما بمعنى ،

وإنَّ الذى حابى جديلةَ طيِّـئٍ به اللهُ يُعطِى من يشاءُ ويمنَـعُ[(١)]

إلى أن حابى بمعنى حَبَا ، مأخوذ من الحِباء وهو العطيَّة ، واسم الله مرتفع به . أى إنَّ الذى حَبَا اللهُ به جديلةَ يعطى ، فالجملة التى هى يعطى وفاعلُه خبر إنَّ . وخولف فى هذا القول . على أنَّ عليه أكثر مفسِّرى شعر المتنبِّى . والذى ردَّ عليه قال : إنَّ حابيته بكذا بمعنَى حَبَوْتُه به ليس بمعروف . فعلى هذا القول يكون فاعل حبا مضمرًا فيه يعود على الذى ، واسم الله مرفوعاً بالابتداء ، وخبره الجملة التى هى يعطى وفاعله ومفعوله . أى إنَّ الذى بارَى جديلةَ فى الحباء اللهُ يعطى به مَن يشاءُ . ومفعول يمنع محذوفٌ دلَّ عليه مفعول يعطى ، ومفعول يشاءُ المذكورِ ويشاءُ المحذوفِ محذوفان . فالتقدير : يعطِى اللهُ به مَن يشاءُ أن يعطيه ، ويمنع به من يشاءُ أن يمنعه . على أن المضمرَينِ فى يعطيه ويمنعه يَعودان على الممدوح . والمعنى أنَّه مَلِكٌ قد فَوَّض اللهُ إليه أمرَ الخلق فى الإعطاء والمنع . فالمدح على هذا يتوجَّه إليه وإلى عشيرته : لأنَّ المباراة فى العطاء أنَّهم يُعطون فيُعطِى مباهياً لهم بعطائه . والمعنى فى قول ابن جنِّى أنَّ الذى حبا اللهُ به جديلة بأَنْ جعله منهم يُعطى من يشاءُ إعطاءه ، ويمنع من يشاءُ مَنْعَه ؛ لأنَّه يُعطى تكرُّماً لا قهراً ، ويمنع عِزَّةً لا بخلا .

١٥٤

وأقول[(٢)] : إنَّ أصل فاعلته أن يكون من اثنين فصاعداً ، وإنَّ فاعِلَه مفعولٌ فى المعنى ومفعولَه فاعلٌ فى المعنى ، كخاصمته وسابقته . ولم يأت

---

(١) ديوان المتنبى ١ : ٣٨٧ . وقال ابن الشجرى فى أماليه : « وإنما قال جديلة طيئ فخص لأن الجدائل ثلاثة : جديلة طيئ فى قحطان : وهو جديلة بن خارجة بن سعد العشيرة بن مذحج . وفى مضر : جديلة ، قال أبو عبيدة : هم فهم وعدوان ابنا عمرو بن قيس عيلان بن مضر بن نزار . وفى ربيعة : جديلة بن أسد بن ربيعة بن نزار .

(٢) القائل هو ابن الشجرى فى أماليه . وقد فات البغدادى أن ينبه على استمرار النقل من الأمالى إلى نهاية النص بعد البيتين التاليين ، إذ لم يعقب عليه بقوله « انتهى » كما هو عادته .

من واحدٍ إلّا فى أحرفٍ نوادر كطارقتُ النعل . وعاقَبتُ اللص . وعافاك الله ، وقاتلهم الله .

فابنُ جنّى ذهب بقولهم : حابيت زيدًا مذهبَ هذه الألفاظِ الخارجة عن القياس . وقد جاء حابى بمعنى حَبا فى قول أشجعِ بن عمرٍو السُّلمى ، يمدح جعفرَ بنَ يحيى البرمَكِيَّ ، حينَ ولّاه الرشيدُ خُراسان :

إنَّ خُراسانَ وإنْ أصبحَتْ تَرفعُ من ذى الهمَّة الشَّانا
لم يَحْبُ هارونُ بها جعفراً لكنَّه حابى خُراسانا

أى لم يَحْبُ جعفراً بخراسان ولكنْ حبا خراسان بجعفر . فهذا يَعضُد قولَ ابن جنّى[١] .

وهذه قصة سَبْرةَ الفَقْعسى مع ضمرة بن ضَمرة (من ضالَّة الأديب لأبى محمد الأعرابى) قال : إنَّ ضمرة بن ضمرة بن جابر بن قَطَن ابن نَهْشل ، كان جاراً لنوفل بن جابر بن شِجْنة[٢] بن حبيب بن مالك ابن نصر ، وأمُّ نوفل عاتكة بنت الأشتر بن جَحْوان بن فَقْعس بن طَريف ابن عمرو بن قُعَين . وكان ضمرة كثيرَ المقامرة ، فنحر نوفلٌ جزوراً فدعا الحيَّ فأكلوا ، فدعا ضمرةَ فقال : يا معشر بنى قعين هذا جارُكم وأنا منه خِلْوٌ . ثمَّ إنَّ ضمرةِ قامَرَ[٣] ، فقُمِرَ مالَه كلَّه ، وانتجعت أسدٌ نحو أرضِ بنى تميم وهم مُقْحَمون مُضْعِفُون ، فأرسل ضَمرة إلى من يليهم من بنى تميم أنْ مِيلوا عليهم ، فإنَّهم لأوّلِ مَن أتاهم . فأتى بنى نصر الخبرُ فانصرفوا وأتمروا بضَمرة أن يأكلوه حين ينزلون ، فأمر نِسوتَه سرًّا

(١) هذه هى نهاية نص ابن الشجرى للذى بدأ فى ص ٥٠٦ وإن لم ينبه البغدادى عليه .
(٢) ضبط فى اللسان والاشتقاق ٢٥٧ بالكسر ، وفى القاموس بالفتح .
(٣) ط : « قام » ، صوابه فى ش .

أنْ يتأخَّرن ويَلحقْنَ بظُعُن بنى فقعس ، وسار هو فى سَلَفِ بنى نصرٍ وقد علم أنَّهم آكلوه إذا نزلوا ، فلمَّا نزلوا ركض نحو بنى فقعسٍ فقال: أنا جارٌ لكم : فقالوا : إنَّك لستَ بجارٍ ، ولك أمانُ العائذ الغادر ، ومنَعوه من بنى نصر ، وإذا مالُه فى بنى نصر قد أحرزوه ، فلمَّا جاءت ظعن بنى فقعس إذا نسوتُه فيهنّ ، فعدلَ له بنو فقعس خمسين شائلة[1] ونحروا الجزور ، وكان فيهم زماناً ، ثم لحق بقومه . فنافر معبد بن نَضْلة بن الأَشتر بن حَجْوان ، خالدَ بن وهبٍ الصَّيداوى ، وجَمعهما وضَمْرةَ مجلسُ النُّعمان ، فأَرسل ضمرةُ إلى خالد : نافرْهُ واجعلنى الكفيلَ وهو بينى وبينك نِصفين ، فإنَّه لا يخافنى ، واجعلهُما مائةً فى مائةٍ فى خُفْرة النعمان[2] واجعلْ بينكما بها رُهُناً ؛ فإنَّه لا بدَّ من أدائها إذا كنتُ أنا الكفيل . فلمَّا راحوا إلى النعمان سبَّ خالدٌ معبدًا فقال : أَتسابُّنى ولم تُنافِرْنى . قال : أُنافِرُكَ . قال : ما بدا لك . قال خالد : إنِّى أجعلُ الكفيلَ مَنْ شئتَ ، وإنْ شئتَ ولىَّ نعمتكم هذا . قال معبد : فإنِّى قد فَعلت . واعتقَدَ عليه بما أمره به ضَمْرة ، ثم تغاديا[3] على ضَمرة فقال ضمرة : والله إنَّ بنى طَريفٍ لمن أكرم النَّاس ، ومارأَيْنا قطُّ أكرمَ مِن خالد . فنفَّره على معبدٍ فى مجلسه ، فحُبِس قيسُ بن معبدٍ عند النعمان رهينةً بمائة من الإبل ، فقال معبدٌ لبنى جابر بن شِجْنة : اكفُلونى يا بنى عمِّى فإنِّى لم يَشنِّى غدرُ ضَمرة ولا كذبُه . قال بنو جابر : تُرى بنى فقعس مقرِّين بهذا ؟ قال : نعَمْ ، يرون أنَّها خيانة ،

١٥٥

(١) الشائلة من الإبل : التى أتى عليها من حملها أو وضعها سبعة أشهر فخف لبنها .

(٢) الخفرة ، بالضم : الأمان والضمان ، ومثلها « الخفارة » وهذه مثلثة الخاء . ش « خضرة » ، تحريف .

(٣) تغادياً من الغدو . وفى ش : « تعاديا » بالمهملة .

ولا تضرُّهم . فكفل بنو جابر الإبل فلما أتى معبدٌ بنى فقعسٍ قال بنو دِثارٍ وبنو نوفلٍ بنِ فقعس: والله ما نرضى بهذا أبدًا ما بقى منَّا إنسان. فنهضت بنو فقعس إلى النعمان فوجدوا عنده ضمرة ، فقال سَبْرة بن عمرو بن الحارث بن دِثار بن فقعس بن طريف :

إنِّى لمن أنكر وجهى سَبْرهْ الرَّجلُ الأَشمُّ فيه الزُّعْره[1]

كالمِيسم الحامى عليه الغُبره

إلى أن قال :

والله ما نَعقِل منها بَكْره أو يأْمرَ النُّعمانُ فيها أَمْرَه

فأمرهم النعمان أن يتقاضَوا إلى العُزَّى : صنم كان بنَخْلة . فعندها قال سَبْرة :

أَضمرَ بنَ ضمرٍ أبلقَ الإسْتِ والقفا
وهل مثلُنا فى مثِلها لك غافرُ

أتنسَى دِفاعى عنكَ إذْ أنتَ مُسلَمٌ
وإذْ سال من نصر عليك قُراقرُ

ونِسوتُكم فى الرَّوع بادٍ وجوهُها
يُخَلنَ إماءً والإماءُ حرائرُ

يُسلِّخْنَ باللَّيل الشوِىَّ بأَذرعٍ
كأَيدى السِّباع ، والرءُوسُ حواسرُ

وعيَّرتَنَا أَلبانَهَا ولُحومَها
وذلك عارٌ يابنَ رَيْطةَ ظاهرُ

وإنَّا لتَغشانا حقوقٌ ولم تكُنْ
تقرِّبنا للمخزياتِ الأَباعرُ

(١) المعروف « الزعارة » بمعنى الشراسة .

نُحـــابى بهـــا أكفاءنا ونُهينهـــا
ونشـــربُ فى أثمـــانها ونقـــامرُ
وتَكسِبُهـــا فى غيـــر غـــدرٍ أكفُّنـــا
إذا عُقِـــدت يومَ الحِفـــاظ الـــدَّوابرُ
وإنَّا لنقـــرى الضَّيفَ فى ليلة الشِّـــتا
عظيمَ الجفـــانِ فَوقهنَّ الحـــوائرُ

جمع الحَوير ، وهو الشحم الأَبيض . وبعد هذا ثلاثة أبيات أُخر .

ثم أَورد لِسَبْرة الفقعسيِّ أشعاراً كثيرة يُخاطب بها ضَمْرة ويهجوهُ بها.

وفى سياقه هذا نقص[1] فإنّه لم يذكر فيه وجه تعييره بالإبل ، ولا إلى أىِّ شىءٍ تمَّ حالُهما . والله أعلم .

وسَبرة : شاعرٌ جاهلى . وذُكِر نسبُه فيما سقناه .

وترجمة ضمرة تقدّمت فى الشاهد الثامن والثمانين[2] .

* * *

وأَنشد بعده ، وهو الشاهد السابع والثمانون بعد السبعمائة[3] :

٧٨٧ (ما بكاءُ الكبيرِ بِالأَطلالِ)

على أنَّ (الباء) فيه للظَّرفية ، أَى فى الأَطلال . وهذا صدرٌ، وعجزه :

(وسُؤالى وما يردُّ سؤالى)

صاحب الشاهد ١٥٦

وهذا مطلع قصيدةٍ للأَعشى ميمون،مدح بها الأَسودَ بنَ المنذر اللَّخمى، أَخا النعمان بن المنذر ، وسيأْتى بعضٌ منها (فى رُبَّ) . وبعده :

أبيات الشاهد

(دمنةٌ قَفـــرةٌ تعـــاورَها الصَّيْـ ـفُ بريحينِ من صَبًا وشَمَالِ)
لاتَ هَنَّـــا ذِكرى جُبيرةَ أو مَنْ جاءَ منهـــا بطـــائفِ الأَهوالِ)

(١) ط : « نقض » ، صوابه فى ش .
(٢) الخزانة ٢ : ٣٨ .
(٣) أدب الكاتب ٤٠٨ والجواليقى ٣٦٩ والاقتضاب ٤٤٨ وديوان الأعشى ٣ .

أراد بالكبير نفسَه ، وعذَلَها بالوقوف على الأَطلال وسؤالِه إيّاها ، ثم رجع وقال : وما تردُّ سؤالى ؟ يقول : ما بكاءُ شيخ كبير مثلى فى طلل. والطَّلل : ما شخص من بقايا المنزل. والدِّمنة : ما اجتمع من التُّراب والأَبعار وغير ذلك. فتعاوَرَه الصَّيفُ بريحين مختلفينِ ، وهما الصَّبا ومهبُّها من ناحية المشرق ، والشَّمَالُ ومهبُّها من القطب الشمالى إلى الجنوب. والجَنوب من رياح اليمن .

قال أبو على (فى كتاب الشِّعر) : اعلم أنَّ قوله سؤالى بعد قوله ما بكاءُ الكبير حملٌ للكلام على المعنى ، وذلك أنَّ الكبير لمَّا كان المتكلِّمَ فى المعنى حمل سؤالى عليه . ألا ترى أنَّ ما بكاءُ الكبير إنما هو ما بكائى وأنا كبير ، وبكاءُ الكبير بالأَطلال ممَّا لا يليق به ، لأَنَّه اهتياجٌ لِصِبًا أو تَصَابٍ ، وذلك مما لا يليق بالكبير . ومن ثَمّ قال الآخَر :

أتجزعُ إنْ دارٌ تحمَّل أهلُهـــا   وأنت امرؤٌ قد حمَّلتكَ العشائرُ

فحمَل سؤالى على المعنى . فأَمَّا قوله : « وما يردُّ سؤالى دِمنةُ قفرة » فإنَّ (ما) تحتمل ضربين :

أحدهما : أن تكون استفهاماً فى موضع نصب ، كأَنه قال : أىَّ شىءٍ يرجع عليك سؤالُك من النفع ؟ وقد يقول : عاد علىَّ نفعٌ من كذا ، وردَّ علىَّ كذا نفعاً ، ورجَعَ علىَّ منه نفع .

ويكون « دمنةً » منتصباً بالمصدر الذى هو سؤالى. والبيت على هذا مضمَّن.

والآخر : أن يكون نفياً كأَنَّه قال : ما يردُّ سؤالى ، أىْ جوابَ سؤالى دمنةٌ. فالدمنة فاعل قوله : « تردّ » . ومثلُ هذا قوله :

* وقُمْنا فسلَّمنا فردَّت تحيّةً *

إنَّما هو جواب تحيّة. وكذلك قولُه سبحانه : ﴿ فحيُّوا بأَحْسَنَ منها أو رُدُّوها[1] ﴾ ، أى ردُّوا جوابها[2] .

وقد قيل فى قوله :(فردَّت تحيَّةً) قولان : أَحدهما : ردَّت التحية ، أَى لم تَقبلْها . والآخر : ردّت تحيّةً أى جوابها ، كما تقدَّم . وذلك لما رأينا فى وجهها من البشاشة وإنْ لم تَتكلَّمْ . فالتقدير : وما يردُّ جوابَ سؤالى دمنة.

والبيت على هذا مضمَّن أيضاً ، لأَنَّ الفاعل الذى هو « دمنة » فِعلُه فى البيت الذى هو قبل البيت الثانى . فيجوز أَنْ يقول : وما تردُّ ، فيؤنِّث على لفظ الدمنة ، ويذكِّر على المعنى . انتهى .

وقال ابن السِّيد البَطَلْيَوْسىُّ (فى شرح أدب الكاتب) : وسؤالى فهل تردُّ سؤالى ، ويروى : « فما تردُّ » و « لا تَرُدُّ » . ويروى : بالتاء والياء . فمن روى (فهل تَردّ) على لفظ التأْنيث رفع الدّمنة[3] وجعلها فاعلا ، وجعل سؤالى مفعولًا بتقدير مضاف ، أى فهل تردُّ جوابَ سؤالى[4] دمنة . ومن روى : (فهل يَردُّ) بلفظ التذكير نصب دمنةً مفعولا ، وجعل سؤالى فاعلا[5] ومعناه : إنَّ سؤالى لا يردُّ الدمنة إلى ما كانت عليه . ومن روى : « وما » ، واعتقَدَ أَنَّها نفىٌ جاز أن يقول تردُّ بلفظ التأْنيث ويرفع الدِّمنة لا غير ، وجاز أَن يقول يرُدُّ بلفظ التذكير وينصب الدمنة إنْ شاء ، ويرفعها إنْ شاء . وإن اعتقد أَنَّ ما استفهام قال : يردُّ ، على لفظ التذكير ، وجعل ما فى موضع نصب بيردُّ ، وسؤالى فى موضع رفع ، ونصب دمنة بسؤالى لا غير . ومن روى : « ولا يردُّ سؤالى » على لفظ التذكير نصب

١٥٧

(١) الآية ٨٦ من سورة النساء .

(٢) الكلام بعده إلى « جوابها » التالية ، ساقط من ش .

(٣) ش : « رفع الدمنة لا غير » ، مع إسقاط سائر الكلام فى هذه الفقرة .

(٤) فى الأصل ، وهو هنا ط فقط : « سؤال » ، صوابه فى الاقتضاب ٤٤٧ .

(٥) الذى فى الاقتضاب : « وجعل سؤالى فى موضع رفع » .

الدمنة ، وإن شاءَ رفعَها . ومن روى « ولا تردُّ » على لفظ التأنيث رفع الدمنة لا غير[١] .

ثم قال ابن السِّيد : ورُويت فى هذا البيت حكايةٌ مستظرفة[٢] رأيت إثباتَها فى هذا الموضع .

روى نَقَلَةُ الأَخبار أنَّ طُليحة الأَسدىَّ كان شريفاً ، وكان يَفد على كسرى فيكرمُه ويُدْنى مجلسَه . قال طليحة : فوفدتُ عليه مرَّة فوافقت عيدًا من أعياد الفُرس ، فحضرتُ عند كسرى فى جُملة مَن حضر من أصحابه ، فلمّا طعِمنا وُضِع الشَّرابُ فطفِقْنا نشرب ، فغنَّى المغنِّى :

* لا يتأَرَّى لما فى القدر يطلبُه[٣] *

فقال كسرى لتَرجمانِه : ما يقول ؟ ففسَّره له فقال كسرى : هذا قبيح . ثم غنَّاه المغنى :

* أتتك العيسُ تَنفُخ فى بُراهَا[٤] *

فقال كسرى لتَرجمانه : ما يقول ؟ فقال : لا أَدرى . فقال بعض جلسائه : « شاهانشاه[٥] ، أُشتُرْ أُف أُف » معناه : يا ملكَ الملوك هذا جملٌ ينفخ. وأُشتُر بلغتهم: الجمل، وأُفْ: حكاية النَّفخ. قال طُليحة: فأَضحكَنى تفسيره العربيَّةَ بالفارسية . قال : ثمّ غناه المغنِّى بشعرٍ فارسىٍّ لم أفهمْه ، فطرب كسرى ومُلِئت له كأْس ، وقام فشربها قائماً ، ودارت

---

(١) انظر التنبيه الثالث من الصفحة السابقة .

(٢) كذا بالظاء المعجمة فى ط والاقتضاب ٤٤٨ ، وفى ش : « مستطرفة » بالمهملة .

(٣) لأعشى باهلة فى رثاء المنتشر بن وهب . الأصمعيات ٩٠ وجمهرة القرشى ١٣٧ . وعجزه :

* ولا يعض على شرسوفه الصفر *

(٤) لعبدالرحمن بن الحكم، أو زياد الأعجم، كما ينسب للأعشى. اللسان (قطع ١٥٦). وعجزه:

* تكشف عن مناكبها القطوع *

(٥) فى الاقتضاب ٤٤٨ : « شاه شاه » .

الكأسُ على جميع الجلساء . قال طليحة : وكان التَّرجمان إلى جانبى فقلت له : ما هذا الشِّعرُ الذى أطرب الملكَ هذا الطَّربَ؟ فقال : خرجَ يوماً متنزِّهاً فلقِى غلاماً حسنَ الصُّورة وفى يمينه وَردٌ ، فاستحسنَه وأمر أن يُصنَع له فيه شعر ، فإذا غنَّاه المغنِّى ذلك الشِّعرَ طرِب وفعلَ ما رأيتَ . فقلت : ما فى هذا ممَّا يُطرِب حتَّى يبلغ فيه هذا المبلغ ؟ فسأَل كسرى التَّرجُمانَ عمَّا حاورَنى فيه ،فأَخبره ، فقال : قل له : إذا كان هذا لايُطرب فما الذى يطربُك أنت ؟ فأَدَّى إلىَّ التَّرجُمان قولَه فقلت : قولُ الأَعشى :

* ما بكاءُ الكبير بالأَطلال * . . . البيت

فأَخبره الترجمانُ بذلك فقال كسرى : وما معنى هذا ؟ فقلت : هذا شيخٌ مرّ بمنزل محبوبته فوجدَه خالياً قد عفا وتغيَّر ، وجعَل يَبكِى[1] . فضحِك كسرى وقال : وما الذى يطربُك من شيخٍ واقفٍ فى خَربة وهو يَبكى ، أَو ليس الذى أطربنا نحنُ أولى بأَن يُطرَب له ؟ قال طليحة : فثَقُل عليه جانبى[2] بعدَ ذلك .

وقوله : « لات هَنَّا ذِكرِى جُبَيرة » ، بضم الجيم : اسم امرأة ، وهو من شواهد النحويِّين ، وتقدَّم توجيهه فى الشاهد الثالث والثمانين بعد المائتين[3] .

* * *

وأَنشد بعده ، وهو الشاهد الثامن والثمانون بعد السبعمائة[4] :

٧٨٨ (غُلْبٍ تَشَذَّرُ بالذُّحُولِ)

(١) فى الاقتضاب ٤٤٩ : « فوقف فيه وجعل يبكى » .

(٢) فى الاقتضاب : « فثقل عليه بابى » ، يعنى الإذن لى .

(٣) الخزانة ٤ : ١٩٦ – ١٩٨ .

(٤) الأزهية ٢٩٧ والإنصاف ٧٧٢ والأشباه والنظائر ٣ : ١٠٨ . وانظر البيان والتبيين ١٠ : ٣٧ .

وهو قطعةٌ من بيت ، وهو :

(غُلبٍ تشذَّر بالذُّحول كأنَّها جِنُّ البَدِيِّ رواسيًا أقدامُها)

على أنَّ الباءَ فيه للسببية .

قال الزوزني (في شرح معلقة لبيد) : يقول : هم رجالٌ غلاظُ الأعناق ، كالأُسود ، أي خلقوا خِلقة الأُسُود ، ويهدِّد بعضهُم بعضاً بسبب الأحقاد التي بينهم . ثم شبَّههم بجنِّ هذا الموضعِ في ثباتهم في الخِصام والجِدال . يمدح خُصومَه ؛ وكلَّما كان الخَصْم أقوى وأشدَّ كان غالبُه أقوى وأشدّ .

صاحب الشاهد

والبيت من معلَّقة لبيدٍ الصَّحابيّ وقبله :

١٥٨ (وكثيرةٍ غرباؤها مجهولةٍ تُرجَى نوافلُها ويُخشَى ذامُها)

وبعده :

(أنكرتُ باطلَها وبُؤْتُ بحقِّها عندِي ولم يَفْخَرْ علىَّ كِرامُها)

قوله : « وكثيرة » الواو واو ربَّ ، وجوابها : « أنكرتُ باطلَها » ، قال ابن السِّيد (في شرح أدب الكاتب) : يريد قُبَّة ملِكٍ فيها قومٌ غرباءُ من كلِّ قبيلة ، فاخَرُوه بين يَدَيِ الملكِ ، فغلَبهُم وظهَرَ عليهم . وقوله : « مجهولة » أراد مجهولٌ مَنْ فيها[1] ولم يرد أنَّ القبَّة نفسهَا مجهولة . والنافلة : الفَضْل . والذَّامُ : العيبُ والعار . يريد أنَّ من حضرها يرجو أن يكون له الظُّهور والشَّرف ، ويَرهب أن يُغلَب ويُظهَر عليه ، فيكون ذلك عارًا يبقى في عَقبه ، فهو لذلك يذبُّ عن نفسه ولا يدعُ غايةً من المفاخرة إلاَّ قصدَها . وشبَّههم بجِمالٍ غُلْبٍ تَشَذَّرُ بأذنابها إذا تصاولَتْ وهاجَتْ . يقال : تشذَّر البعيرُ بذنبه ، إذا استثفر به[2] وتشَذَّرَ الرجلُ بثوبه عند القتال ، إذا تحزَّم وتهيَّأَ للحرب .

(١) ش : « مجهول منها » ، صوابه في ط .

(٢) استثفر به : أدخله بين فخذيه حتى يلزقه ببطنه ، كأنه يسد ثفره به . والثفر ، بالفتح والضم : فرج الحيوان . وفي ط : « استسفر به » بالسين ، صوابه في ش .

و(الغُلْب) الغِلاظ الأَعناق، الواحد أَغلَب . و(البَدِيُّ): وادٍ تسكنه الجنُّ فيما يزعمون . و (الرَّواسِي) : الثابتة التي لا تَبرح ؛ والأَصل : مجهولة غرباؤها ، فحذف المضافَ وأَقام الضَّمير المضاف إِليه مقامَه فاستتر في الصفة . انتهى .

وما ذهب إِليه من أَنَّ المراد بكثيرةٍ قُبَّة الملك هو الراجح الصَّحيح ، وهو قول الزَّوزني ، قال : المعنى ربَّ قبةٍ أَو دارٍ كثُرت غرباؤُها وغاشيتُها وجُهلَت ، لا يَعرف بعضُ الغرباء بعضاً . افتخَر بالمناظرة التي جَرَتْ بينه وبين الرَّبيع بن زيادٍ في مجلس النُّعمان بن الأَسود ملكِ العرب ، ولها قصَّةٌ طويلة .

أَقول : قد ذكرتُها أَنا في ترجمة النُّعمان بن المنذر في الشاهد الخامس والخمسين بعد المائة[1] ، وستأْتي[2] في ربَّ أَيضاً .

وكذا ذهب إِلى هذا أَبو الحسن الطُّوسي (في شرح ديوان لبيد) قال : يعني قُبّة كانت تُضرَب على بابِ الملك يَقعُد فيها النَّاسُ حتَّى يُؤْذَن لهم . ونوافلُها : فضولٌ مِن شرفٍ وجوائزَ ومنازلَ . يُخْشَى سِقاطٌ من كلامٍ أَو فعل، يلحقه منه ذامٌ، أَي عيب . أَو أَنَّهم يرجعون بغير جائزة فيكون ذلك عيباً عليهم .

وفيها أَقوال أُخَر :

أَحدها : أَنَّ المعنى وجماعةٍ كثيرة غرباؤُها . وإِليه ذهب الجواليقي (في شرح أَدب الكاتب)، قال : أَي ربّ جماعةٍ كثيرة غرباؤُها. ثم حذف الموصوفَ وأَقام الصِّفة مَقامه . هذا أَصحُّ ما قيل فيه .

---

(١) صوابه : « الثامن والأربعين بعد المائة » . وانظر الخزانة ٤ : ١١ – ١٢ .

(٢) ط : « وسيأتي » .

ثانيها: أَنَّ المعنى ربَّ خُطَّةٍ وشأْن قد جُهِل القَضاءُ[١] فيها وجُهِلت جهاتُها.

ثالثها: أَنَّ المعنى ربَّ حربٍ كثيرة غرباؤُها[٢]، لأَنَّ الحرب مؤنثة. وجعلها كثيرةَ الغرباءِ لما يحضرها من أَلفافِ النَّاس وغيرِهم. وجعلها مجهولةً لأَنَّ العالِم بها والجاهل يجهلان عاقبتَها. وقوله: «ترجى نوافلها» أَى الغنيمة والظفر. و «يُخْشَى ذامُها» أَى خلافها.

رابعها: أَنَّ المَعنى ربَّ أَرض كثيرةٍ غرباؤها، يريد أَرضاً يضلُّ بها مَن سلَكها إذا جَهِل طُرقَها. قال أَبو جعفرٍ، والجواليقى، والخطيب: وإنَّما وقع الاختلاف فى ذلك أَنَّه أَقام الصِّفةَ مقامَ الموصوف، فاحتمل هذه المعانى، إلَّا أَنَّ الأَشبَه بما يريد الجماعةُ، لأَنَّ بعده:

* أنكرتُ باطلَها وبُؤْتُ بحقِّها *

وإقامة الصِّفة مقامَ الموصوف فى مثلِ هذا قبيح، لما يقع به من الإِشكال. أَلَا ترى أَنَّك لو قلتَ مررت بجالسٍ كان قبيحاً، ولو قلت بظريفٍ كان حسناً. وغرباؤها مرفوع بكثيرةٍ[٣] أَى كثرت غرباؤها. ١٥٩

وقوله: (غُلْبٍ تَشَذَّرُ) إلخ هو خبر لمبتدإٍ محذوف هو ضمير الغرباء، أَى هُم غلبٌ: جمع أَغلب، والأُنثى غَلْبَاءُ. قال الطُّوسى: غُلْب: أُسْد غِلاظ الرِّقاب. وقال ابن السِّيد: شبَّههم بالإِبل. وعليهما فهو استعارةٌ تصريحيَّة. وتشذَّر، أَصله تتشذَّر بالذال المعجمة. وفيه أَقوال: أَحدها أَنَّ التشذُّر رفعُ اليد ووَضْعُها، أَى إنَّهم كانوا يفعلون ذلك إذا تفاخَرُوا

(١) ش: «الفضا» بالفاء، تحريف، والمراد الحكم.
(٢) الكلام بعده إلى «غرباؤها» التالية ساقط من ش.
(٣) فى النسختين: «بكثير»، ووجهه ما أثبت كما هو النص.

وتثالبوا . وإليه ذهب الجاحظ (فى كتاب البيان والتبيين) قال : كانت العربُ تخطب بالمخاصر . وتعتمد على الأَرض بالقِسِىِّ . وتشير بالعصىِّ والقُنِىِّ[1] . وقال لبيدٌ فى الإشارة :

غُلبٍ تشذَّرُ بالذُّحول . . . . البيت

وقيل: التشذُّر: الإيعاد ، أى يُوعِد بعضهم بعضاً . وحكى ابنُ السِّكيت : تشذَّرتِ الناقة . إذا شالت بذنبها . وقال الطُّوسى : التشذُّر من الفحل بالذَّنَب تغضُّبٌ[2] وإيعاد. ومن هنا قال ابن السكيت : شبَّههم بالإبل . وروى : « غلب تشازَرُ[3] » بتقديم المعجمة . وتشازُرُهُم[4] : نَظَرُ بعضِهم إلى بعض بِمُؤخر عينه . والذُّحول : جمع ذَحْل، بفتح الذال المعجمة وسكون الحاء المهملة . وهو الحقد[5] . وجملة (كأَنَّها جِنّ) حال من ضمير غُلب فى تشذَّر . و (البدِىّ) بفتح الموحَّدة وكسر الدال المهملة وتشديد الياء من غير همز ، قال أبو عبيد : البادية ، حكاه عنه الطوسى . وكذا قال أبو جعفرٍ . والخطيب . وقال ابن السِّيد : وادٍ تسكنُه الجن . وقال ابنُ الأَنبارىّ : هو وادٍ لبنى عامر ، وقيل موضع . وقال أبو عبيد البكرى (فى معجم ما استعجم) : وادٍ لبنى عامر . وقال أبو حاتم عن الأَصمعى : وادٍ لبنى سعد . وذكره أبو عبيد أحمد بن محمد بن الهَروىّ مهموزًا ، وذلك أنَّه ذكر حديثَ ابن المسيَّب فى حريم البئر فقال : البَدِىءُ البئر التى ابتُدئت فحُفِرت وليست عاديَّة . قال : والبدىُّ فى غير هذا الموضع : بلدٌ تسكنه الجنّ . فإن كان هذا الذى ذكره الهروىُّ صحيحاً

---

(١) القناة : الرمح . والجمع قنوات وقنا وقنى على فعول ، وأقناء . والذى فى البيان : « القنا ».

(٢) ط : « تقصب » ، صوابه فى ش .

(٣) ط : « تشاذر » ، صوابه فى ش وشرح ديوان لبيد ٣١٧ .

(٤) ط : « وتشاذرهم » ، صوابه فى ش .

(٥) ط : « هو الحقد » بإسقاط الواو .

فهو موضع آخر ، والله أعلم ، لأنَّ البدىَّ المذكور فى الشَّواهد آهِلٌ يسكنه الناس ويَرعَوْنه[١]

أقول : قول الهروّى: والبدى[٢] فى غير هذا الموضع : بلدٌ ، يريد غير مهموز ، بدليل أنَّ كلامه فى المهموز ، وقولُ البكرى « آهل يسكنه الناس » يردُ عليه بيتُ هذه المعلَّقة .

و (رواسياً) حال من اسم كان ، لأنه فى المعنى مفعول لأُشبّه ، وصرفه للضَّرورة . و (أقدامها) فاعل رواسِىَ ، جمع قدَم .

وقوله : « أنكرتُ باطِلَها » إلخ هذا جواب ربّ . قال الزوزنى : باءَ بكذا : أقرَّ بهِ ، ومنه قولهم فى الدعاء: « أبُوءُ لكَ بالنعمة». يقول: أنكرت باطلَ دعاوى تلك الرِّجال الغُلْب ، وأقررت بما كان حقًّا منها عندى ، أى فى اعتقادى ، ولم تفخَرْ علىَّ كرامُها ، أى ولم يغلبنى بالفخر كرامُها ، من قولهم : فاخرته ففخَرته ، أى غلبته بالفخر . وكان ينبغى أن يقول : ولم تفخُرنى[٣] كرامُها ، ولكنَّه ألْحَقَ [عَلَىَّ[٤]] حملاً على معنى : ولم تتعالَ علىَّ ولم تتكبَّر علىّ . قاله الزوزنى .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد التاسع والثمانون بعد السبعمائة[٥] :

٧٨٩ (نَضرِبُ بالسَّيفِ ونَرجُو بالفَرَجْ)

(١) بعده فى معجم ما استعجم : « على ما نطقت به أشعارهم التى أنشدناها » .

(٢) والبدى ، ساقطة من ش .

(٣) ش : « يفخرنى » . وفخره يفخره بضم الخاء فى المضارع ، من باب نصر : كان أفخر منه وأكرم أباً وأماً .

(٤) التكملة من ش والزوزنى .

(٥) أدب الكاتب ٤١٨ والاقتضاب ٢٦٥ ، ٤٥٨ والإنصاف ٢٨٤ والضرائر ٦٣ ورصف المبانى ١٤٣ والمغنى ١٠٨ وشرح شواهده للسيوطى ١١٤ ومعجم البلدان (الفلج) وديوان الجعدى ٢١٦ .

على أنَّ (الباء الثانية) زائدةٌ فى المفعول به سماعاً .

قال ابن عصفور (فى الضرائر): وزيادة الباء هنا ضرورة . قال ابن السِّيد (فى شرح أدب الكاتب) : إنَّما عدَّى الرَّجاء بالباء لأنَّه بمعنى الطَّمَع ، والطَّمعُ يتعدَّىَ بالباء . كقولكَ: طَمِعت بكذا . قال الشاعر[1] : ١٦٠

طَمِعتَ بليلى أن تجــودَ ، وإنَّما
تقطِّع أعنــاقَ الرِّجالِ المطــامعُ[2] [اهـ[3]]

وقال (فى شرح أبياته) : وزاد يعقوبُ قبله :

• نحنُ بنى جَعدةَ أربابُ الفَلَجْ •

ونحن مبتدأ وأربابُ خبره ، وبنى جعدة منصوبٌ على الاختصاص . وروى بالرفع أيضاً . والفلَج ، بفتح الفاء واللام . قال أبو عبيدٍ[4] (فى معجم ما استعجم) : موضعٌ لبنى قيس ، وهو فى أعلى بلاد قيس . قال الراجز :

نحنُ بنو جَعْدَة أربابُ الفَلَجْ نَضرِب بالبِيض ونَرجُو بالفَرَجْ

وأصله النَّهرُ الصغير . انتهى .

والبِيض ، بالكسر : السُّيوف ، أى نقاتِل بالسيوف . وقال ياقوت (فى معجم البلدان) : مدينة بأرض اليمامة لبنى جَعْدة وقُشير ابنى كَعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة ، كما أنَّ حَجرا مدينة بنى ربيعة ابن نزار بن معدّ بن عدنان . قال الجعدىّ :

(١) هو البعيث ، كما فى اللسان (ريع ٤٩٨) ، ولم ينسبه فى الاقتضاب .

(٢) فى الاقتضاب : « أن تريع » ، وفى اللسان : « أن تريع وإنما تضرب » . وراع يريع : عاد ورجع .

(٣) التكملة من ش .

(٤) أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز البكرى الأندلسى المتوفى سنة ٤٨٧ . ط : « أبو عبيدة » ، صوابه فى ش مع أثر تصحيح .

نحن بنو جَعدة أربابُ الفَلَــجْ

نحن منعنا سُبْلَه حتَّى اعتَلجْ(١)

والفَلَج فى اللغة : الماءُ الجارى ، ويقال عينٌ فَلَج وماءٌ فلَج . قال أبو عبيد : الفَلَج : النَّهر . انتهى .

وقال ابن السِّيد : الفَلَج الجارى من العين . والفَلَج البئر الكبيرة ، عن ابن كناسة . وماءٌ فلَجٌ : جارٍ ، قال عَبيد :

أو فَلْج ماءٍ ببطن وادٍ للماءِ من تحتِه قَسيبُ(٢) انتهى

وتوهَّم الدماميني (فى شرح المغنى) أن الفَلَج هنا بمعنى الظَّفَر . قال : والظَّاهر أنَّ المراد بالفلج الظَّفَر والفَوز . لكن لم يحكِ صاحبُ الصحاح غير سكون اللام ، فيحتمل أن يكون الشاعر فتحها اتباعاً لفتحه الفاء للضرورة . هذا كلامُه ،وتبعه الحلبىُّ (فى شرحه) ونقل كلامه، وزادَ عليه بأنَّ صنيع صاحبِ القاموس أيضاً يقتضى سكون اللام . وتبعه شيخنا الشهاب الخفاجى أيضاً (فى شرح درة الغوَّاص) ، وتعقَّبه بأَن فتح اللام لغة أَصليَّة فيه ، وتوقُّفه من عدم الاطلاع . ثم نقَلَ (من شرح مقامات الزمخشرى له) ما يؤيِّد كونه بالفتح .

والمشهور: « نحن بنو ضَبَّة » ، وهو من تغيير النُّسَّاخ ، والذى فيه « ضَبَّة » قافيَة لاميَّة، وهو :

* نحن بنو ضَبَّة أَصحابُ الجمَل *

وآخره :

* رُدُّوا علينا شَيخَنا ثُمَّ بَجَــلْ *

---

(١) ط : « نحن منعناه » ، صوابه فى ش ومعجم ما استعجم .

(٢) القسيب : خرير الماء وصوته تحت ورق أو قماش . وفى النسختين : « قشيب » ، صوابه فى معجم ، ما استعجم والديوان ١٢ واللسان (فلج ، قسب) .

وهذا من أبياتِ المفضَّل ، وهو مما قيل فى يوم الجمل ، وهو مذكورٌ فى الحماسة وغيرها ، وقائله معلوم مذكور[١] .

وقوله : « نحن منعنا سُبْله » هو جمع سَبيل ، وهو الطَّريق . واعتلجت الأَرضُ : طال نبَاتُها .

وهذا الرّجز لم ينسُبه أحدٌ إلى قائله . والله أَعلم .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد التسعون بعد السبعمائة[٢] :

٧٩٠ (ولكنَّ أجراً لو فعَلْتِ بهيِّنٍ
وهَلْ يُنكَرُ المعروفُ فى النَّاسِ والأَجرُ[٣])

على أنَّ الباء تُزاد سماعاً بقلَّة فى خبر لكنّ .

قال ابن جنى (فى سرِّ الصناعة) : وقد زيدت فى خبر لكنّ لشبهه بالفاعل . وأنشد البيت وقال : أَراد ولكنّ أجراً لو فعلتِه هَيّنٌ . وقد يجوز فيه أَن يكون معناه : ولكنَّ أجراً لو فعلتِه بشىءٍ هيِّن ، أى أنتِ تصلين إلى الأَجر بالشىء الهيّن ، كقولك : وجوبُ الشُّكر بالبر الهيِّن . فتكون الباء على هذا غيرَ زائدة . انتهى .

١٦١

وأفاد فى تفسيره[٤] أَنَّ الخطاب لمؤنَّث . ولم أَقف على تتمّته ، ولا على قائله . والله أَعلم .

* * *

(١) ومن عجب ألا يذكره ، وربما كان هذا للخلاف فيه ، فهو الحارث الضبى ، أو الأعرج المعنى ، أو عمرو بن يثربى . وانظر معجم الشواهد .

(٢) سر الصناعة ١ : ١٥٧ ، وابن يعيش ٨ : ١٣٩ والعينى ٢ : ١٣٤ والتصريح ١ : ٢٠٢ والهمع ١ : ١٢٧ والأشمونى ١ : ٢٥٢ واللسان (كنى ٩١) .

(٣) فى اللسان : « وهل يعرف المعروف » .

(٤) ط : « تقريره » ، وأثبت ما فى ش .

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الواحد والتسعون بعد السَّبعِمائة[(١)] :

٧٩١ (ألاَ هَلْ أتاها والحــوادثُ جَمَّــةٌ
بأَنَّ امرأ القيسِ بنَ تَمْلِكَ بَيْقَــرَا)

على أَنَّ (الباءَ) قد تُزاد بقلة «مع أَنَّ» الواقعةِ مع معمولَيها فى تأْويل مصدرٍ مرفوع على أنَّه فاعل أتاها .

وقال ابن السيرافى (فى شرح أَبيات الغريب) : فاعل أَتاها يجوز أَن يكون مضمراً دلّ عليه معنى الكلام ، كأَنَّه قال : هل أَتاها الخَبَر . ولكثرة استعمال الخبر أُضمر ، ويكون « بأَنَّ امرأَ القيس » فى موضع نصب . هذا كلامُه .

ولا مفهومَ لقوله مع أَنَّ ، فكان ينبغى أَن يقول وتزاد بقلَّة فى الفاعل فى غير ما ذُكر قياساً . وهذا عند ابن عُصفور وغيره ضرورة .

ومن زيادتها فى الفاعل ضرورة بدون أَنَّ قولُه :

أَلم يأْتِيكَ والأَنبــاءُ تَنمى بمــالاقَتْ لَبونُ بنِى زيــادِ[(٢)]

فالباءُ فى بما زائدة ، وما فاعل يأْتيك . وقال ابن الضائع : الباءُ متعلِّقة بتنمِى ، وإنَّ فاعل يأْتى مضمر ، والمسأَلة من التنازع . ومن ذلك :

مَهْما لِىَ الليلةَ مهمــا لِيَهْ أَودَى بنعلىَّ وسِرباليَهْ[(٣)]

---

(١) شرح القصائد السبع٤٥٩ والأغانى ٨ : ٦١ والخصائص ١ : ٢٣٥ والمنصف ١ : ٨٤ والإنصاف ١٧١ وابن يعيش ٨ : ٢٣ ، ٢٤ والضرائر ٦٣ ، واللسان (بقر) وديوان امرئ القيس ٣٩٢ .

(٢) لقيس بن زهير ، وهو من شواهد الخزانة ٨ : ٣٦١ .

(٣) لعمرو بن ملقط ، وهو من شواهد الخزانة ٩ : ١٨ .

التقدير : أودى نعلاى. وقال ابن الحاجب : الباءُ للتَّعدية . وتقدَّم شرحهما مفصَّلاً .

ومن ذلك قول النَّمر بن تَولب :

ظَهرتْ ندامَتُه وهانَ بسُخطِه
شيئاً على مَربوعها وعِذارِها[1]

التقدير : هان سخطُه . قال ابن عصفور : وبالجملة لا تنقاس زيادة الباء فى سَعة الكلام إلاَّ فى خبر ما ، وخبر ليس ، وفاعل كفى ومفعوله ، وفاعل أفعِلْ بمعنى ما أفعله . وما عدا هذه المواضعَ لا تُزاد فيه الباءُ إلَّا فى ضرورةِ شعرٍ أو شاذٍّ من الكلام يُحفَظ ولا يُقاس عليه . انتهى .

ولقد أجادَ ابن هشام (فى المغنى) فى تحرير زيادة الباء .

صاحب الشاهد

والبيت من قصيدة طويلة لامرئ القيس ، قالها بعد أن ذهب إلى الرُّوم مستنجدًا بقيصر للأخذ بثأْر أبيه . وأوّلها :

(سَما لكَ شوقٌ بعدما كانَ أقصَرا وحَلَّت سُليمَى بطنَ ظَبْيٍ فعَرعَرا)

إلى أن قال :

أَلاَ هل أتاها والحوادث جَمَّةٌ . . . . البيت

قوله : « سما لكَ » إلخ سما : علا وارتفع . وأقصر : كفَّ . وحَلَّت : نزلَتْ . وبطن ظَبْى : موضع ، ويقال ماءٌ من مياه كلب . وعَرعَر : وادٍ.

---

(١) ديوان النمر بن تولب ٦٤ والميسر والقداح لابن قتيبة ٥٧ ، ١١٨ والضرائر ٦٣ ، والمربوع والعذار : قدحان من ذوات الحظوظ .

وقوله : (أَلا هَلْ أَتاها) الضمير لحبيبته . وقوله (والحوادِثُ جَمّة) أَى كثيرة .جملة اعتراضية بين الفعل وفاعله . وأَوردهُ الزمخشرىُّ عند قوله تعالى : ﴿ واتَّخَذَ اللهُ إبراهِيمَ خَلِيلاً[1] ﴾ على أَنَّها جملة اعتراضيَّة كقول امرئ القيس : « والحوادث جَمّة » . وفائدة الاعتراض الإِخبارُ بأَنَّ هجرته عن بلاده حادثةٌ من الحوادث . والعرب تتمدَّح بالإِقامة فى البَدْوِ ، قال أَبو العلاءِ :

ويُوقِدُون بنجــدٍ نار باديةٍ لا يَحْضُرون وفَقدُ العزِّ فى الحَضَرِ[2]

قال أَبو عبيدٍ (فى الغريب المصنَّف) : بيقر الرجل بيقرة، إذا هاجر من أَرض إلى أَرض. وأَنشد هذا البيت .

١٦٢

وقال الجوهرى : بيقر الرجل : أَقام بالحضَر وترك قومَه بالبادية . وأَنشد هذا البيت .

وقال ابن دريد : بيقر الرجل ، إذا خرج من الشام إلى العراق .

ولم يذكر ابن جنى (فى شرح تصريف المازنى) غير هذا . وأَنشد له البيت ، والواقع يخالفه .

تملك والدة امرئ القيس

(وتملك) بفتح المثناة الفوقية: اسم امرأةٍ ، لاينصرف. قال شارحُ ديوانه : تَملك : بعضُ أُمَّهاته . قال صاحب الأَغانى : أُمُّ امرئ القيس فاطمة بنت ربيعة ، أُخت كُليبٍ ومُهلهلٍ ابنَىْ ربيعة . وأُمّ امرئْ القيس ابن السِّمْط اسمها تملك[بنت عمرو بن ربيعة بن زُبيد بن مَذحِج، رهط عمرو بن معد يكرب . وقد ذكر ذلك امرؤ القيس فقال :

---

(١) الآية ١٢٥ من سورة النساء .

(٢) شروح سقط الزند ١٤٢ .

* بأن امرأ القيس بن تَمْلِكَ[1]] بيقَرَا * انتهى .

ومثله (فى مختصر الجمهرة) لياقوت وغيره قالا : ومن بنى امرئ القيس بن عمرو بن معاوية السِّمط ، وأُمُّه تملك بنت عمرٍو ، من مذحج ، هم التَّملِكيّون ، بها يعرفون . وامرؤ القيس بن السِّمط بن امرئ القيس بن عمرو ابن معاوية بن الحارث الأكبر الذى يقول فيه امرؤُ القيس بنُ حجر :

* بأن امرأ القيس بن تملك بيقرا *

نسبه إلى جَدَّته تملك . انتهى .

وكذا قال العسكرى (فى كتاب التصحيف) عند ما ذكر المسمَّين بامرئ القيس . وهذا خلاف ماذكره شُرَّاحُ شعره[2] من أنَّه أراد نفسَه . وهو الأغلب على الظَّن .

فمنهم من قال : أمّه تملك ، ومنهم من قال : جدّته . ويحتمل أن تكون جدّتَه من قبل أمّه أو أمَّهاتها . والله أعلم .

وقد ذكرنا أبياتاً كثيرةً من هذه القصيدة ، وذكرنا أيضاً طَرفاً من حال امرئ القيس فى الشاهد السابع والستين بعد السمّائة[3] .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثانى والتسعون بعد السبعمائة[4] :

٧٩٢ (فأَصبَحْنَ لايَسأَلْنَه عن بِمَا بهِ أَصَعَّدَ فى عُلْوِ الهوَى أَم تَصوَّبا)

على أنَّه[5] من الغريبِ زيادة الباء فى المجرور ، فإنها زيدت مع ما المجرورة بعَن.

(١) التكملة من ش .

(٢) ط : « شارح شعره » ، صوابه فى ش .

(٣) الخزانة ٨ : ٥٤٥-٥٥١ .

(٤) معانى القرآن ٣ : ٢٢١ وسر الصناعة ١ : ١٥٣ والضرائر ٧٠ ، ٣٠٣ والمغنى ٣٥٤ والتصريح ٢ : ١٣٠ والأشمونى ٣ : ٨٣ .

(٥) ط : « أن » .

قال ابن جنى (فى سر الصناعة) : وأمَّا قول الشاعر :

* فأَصبحنَ لا يسأَلْنَه عن بمَا به *

فإنه أَراد الباءَ ، وفَصَلَ بها بين عن وما جَرَّته . وهذا من غريب مواضِعها . انتهى .

وقال الفراءُ (فى آخر تفسير سورة الإنسان) : قرأَ عبد الله : ﴿ وللظَّالمين أعدَّ لهم[1] ﴾ فكررَّ اللام فى الظالمين وفى لهم . وربَّما فعلت العربُ ذلك . أَنشدنى بعضهم :

فأَصبَحْنَ لا يسأَلنَه عن بما به ... أَصعَّد فى عُلْوِ الهَوى أَم تصَّوبا

فكَّرر الباءَ مرتين . ولو قال : لا يسأَلنه عمَّا به لكان أَبْينَ وأَجود ، ولكنَّ الشاعر ربَّما زاد أَو نَقَص ليكمُل الشِّعر . انتهى .

وعدّه ابن عصفور كالفرّاء من ضرائر الشعر ، قال : ومنها إدخال الحرف على جهة التأْكيد ، لاتِّفاقهما فى اللفظ والمعنى ، أَو فى المعنى لا فى اللفظ ، نحو قول بعضِ بنى أَسد :

فـلاَ والله لا يُلفَـى لما بى ... ولا لِلما بهـم أَبـدًا دواءُ[2]

فزاد على لام الجرّ لامًا أُخرى للتأْكيد . ونحوه قولُ الآخر ، وأَنشده الفراءُ :

فلئن قـومٌ أَصـابوا عِـزَّة ... وأَصَبْنَـا من زمانٍ رَنَقا[3]

لَلقـدْ كنَّـا لدَى أَزمانِنـا ... لِصَنيعين لِبـأْسٍ وتُقَـى

---

(١) الآية ٣١ من سورة الإنسان .

(٢) لمسلم بن معبد الوالبى . وانظر معجم شواهد العربية .

(٣) معانى الفراء ٢ : ٦٧ والصاحبى ٢٦ والضرائر ٧٠ والهمع ١ : ١٤٠ .

فزاد على لام لقد لامًا أخرى للتأكيد . ونحوه قول الآخر :

فأصبحن لا يسألنه عن بما بهِ .... البيت

فأدخل عَنْ على الباء تأكيداً ، لأنَّهم يقولون : سألت عنه، وسألت ١٦٣
به . والمعنى واحد . انتهى .

وصعَّدَ فى الجبَل بالتثقيل ، إذا علاه . وصَعِد فى الجبل، من باب تعب، لغةٌ قليلة . وصعَّد فى الوادى تصعيدًا، إذا انحدر . والهواءُ[1] : ما بين السماءِ والأَرض . والتصوُّب : النزول . كذا فى المصباح .

وهذا البيت لم أقفْ على قائله ولا تتمَّته . والله أعلم .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثالث والتسعون بعد السَّبعِمائة[2] :

٧٩٣ (لِدُوا للموتِ وابنُوا للخرابِ)

على أنَّ اللام فى قوله (للموت) تسمَّى لام العاقبة ، وهى فرع لام الاختصاص .

أقول : تسميتها بلام العاقبة وبلام الصَّيرورة هو قول الكوفيِّين ، ومثَّلوه بقوله تعالى : ﴿ فالتقَطَهُ آلُ فِرعَوْنَ ليكونَ لهم عدُوًّا وحَزَنا[3] ﴾ ، وبقول الشاعر :

فللموتِ تغـذو الوالداتُ سِخالَهـا
كما لخَرابِ الدُّور تُبنَى المسـاكنُ[4]

---

(١) ش : « والهوى » .

(٢) الحيوان ٣ : ٥١ والأغانى ٣ : ١٥٥ والهمع ٢ : ٣٢ والتصريح ٢ : ١٢ ومحاضرات الراغب ٢ : ٢٢٤ وديوان أبي نواس ٢٠٠ وأبي العتاهية ٣٣ .

(٣) الآية ٨ من سورة القصص .

(٤) لسابق البربرى كما سيأتى ، وانظر العقد ٢ : ٦٩ .

وبقول الآخر :

فإن يكن المـوتُ أفنـاهمُ فللمـوت ما تَلدُ الوالـده[1]

وقال ابن هشام (فى المغنى) : وأنكر البصريُّون ومن تبعهم لامَ العاقبة . قال الزمخشرى : والتحقيق أنَّها لام العلَّة ، وأنَّ التعليل فيها واردٌ على طريق المجاز دون الحقيقة . وبيانه : أنَّه لم يكن داعِيهم إلى الالتقاط أنْ يكون لهم عدوًّا وحَزناً ، بل المحبَّةُ والتبنِّى . غير أنَّ ذلك لمَّا كانَ نتيجة التقاطِهم له وثمرتَه ، شُبِّه بالداعى الذى يُفعَل الفعلُ لأجله ، فاللام مستعارةٌ لمَا يشبه التعليل ، كما استعير الأَسدُ لمن يُشبِه الأَسد . انتهى .

وفُهِمَ منه أنَّ اللام فى هذه الأَبياتِ للتعليل . وجَعْلُها من فروع الاختصاص أولى ، لأنَّ التعليل أيضاً من فروع الاختصاص .

صاحب الشاهد

وهذا المصراعُ من أبياتٍ (فى الديوان المنسوب إلى على بن أبى طالب رضى الله عنه) ، وهى :

أبيات الشاهد

(عجبتُ لجـازع باكٍ مصابٍ بأهـلٍ أو حبيبٍ ذى اكتئابِ

شقيقِ الجيب دَاعِي الويل جهلاً كأَنَّ الموتَ كالشىءُ العُجابِ[2]

وسـوّى الله فيـه الخلقَ حتَّى نبىَّ اللهِ عنـه لم يُحـابِ

لـه مَلَكٌ ينادى كُلَّ يومٍ : لِدُوا للمـوتِ وابنُوا للخرابِ

(١) سيأتى الكلام على نسبته . وقد تمثل بعجزه زرارة بن جزء بن عمرو بن عوف بن كعب ابن أبى بكر بن كلاب ، عند يزيد بن معاوية ، كما جاء فى عجز بيت لعبيد بن الأبرص فى أمالى القالى ٣ : ١٩٥ : وعجز بيت آخر لسماك بن عمرو العاملى فى اللسان (لوم ٣٨) . وانظر العقد ٢ : ٦٩ وجمهرة ابن حزم ٢٨٣ وما سيأتى .

(٢) شقيق الجيب : مشقوقه ، حزناً على من فجع به . وجيب القميص ونحوه : ما يدخل فيه الرأس عند لبسه .

قال شارح ديوانه حُسين المَيْبُذِىّ[1] : المصاب : مَنْ أصابته مُصيبة. والاكتئاب : الحزن . فإنْ قلت : الكاف مغنية عن كأنّ ؟ قلت : قال التفتازانى (فى المطوّل): إنّ كأنّ تُستعمَل فى مقام يَظُنّ بثبوت الخبر دونالتّشبيه . ولام « للموت » لام العاقبة ، وهى فرع لام الاختصاص. انتهى .

وحتّى ابتدائية ، ونبيَّ الله مفعول مقدَّم ليحابِ[2] بمعنى يَخصّ ، كما تقدَّم مجيئه بهذا المعنى فى شعر زهير[3] .

ورأيت (فى الفصول القصار من نهج البلاغة) لسيدنا على رضى الله عنه : « إنّ لله مَلَكًا ينادى فى كلّ يوم : لِدُو للموت ، واجمعوا للفناء ، وابنوا للخراب » .

ورأيت أيضاً (فى جمهرة أشعار العرب لمحمد بن أبى الخطاب) : قد رُوى أنّ بعض الملائكة قال :

لِدُو للمــوت وابنُوا للخــرابِ فــكلُّكمُ يصيــر إلى ذَهَــابِ ١٦٤

والبيت الثانى هو من أبيات مغنى اللبيب ، ولم يعرفه شُرّاحه ، وهو لسابقٍ البَربرىّ .

قال ابن عبد ربه (فى العقد الفريد) : وفد عبدُ العزيز بن زُرارة سيِّدُ أهلِ الكوفة على معاوية ، فخرج مع يزيدَ بنِ معاوية إلى الصّائفة فهلك هناك ، فكتب به يزيد إلى معاوية ، فقال معاوية لأَبيه زرارة : أتانى

---

(١) فى النسختين : « الميبدى » . وانظر ما سبق من تحقيق اسمه ونسبه فى الخزانة ٦ : ٦٤ .

(٢) جاء هنا بلفظ المجزوم على الحكاية لما فى البيت الثالث .

(٣) انظر ما سبق فى ص ٥٠٦ من الشاهد ٧٨٦.

اليوم نعْيُ سيِّد شباب العرب ! فقال زرارة : يا سيِّدى هو ابنى أَو ابنك؟ قال : بل ابنك. قال :«للموت ما تلد الوالدة». أَخذه سابقُ البربرى فقال :

* وللمــوتِ تغْذُو الوالداتُ سِخالَها * البيت

و(تغذو) بمعجمتين، من الغِذاءِ بالكسر والمدّ : مابه نماءُ الجسم وقِوامُه. وغذوت الصبيَّ بالطعام واللَّبن فاغتذى به . وأَما الغَدَاءُ بالفتح وإهمال الدال فطعام الغُدْوة ، وهو خلاف العَشَاءِ . والسِّخال بالكسر : جمع سَخْلة ، وهى ولَدُ الشاة من الضَّأْن والمعز ، ذكراً كان أَو أُنثى . وفيه إقامة الظاهر مقام الضمير ، إِلَّا أَنَّه باللفظ المرادف ، إذ أَصلُ الكلام كما تبنى المساكنُ لخرابها .

وكذا نسبه إلى سابقٍ البربرىِّ (صاحبُ كتاب التفسُّح فى اللغة[١]) ، وقال بعد أَن أورده : إنَّما ابتَنَوْا دُورهم للعُمران ، وغذَوْا أَولادَهم للبقاء لا للفناء ، فلمَّا علموا أَنَّ المصير إلى الموت والخراب تركوا الشىءَ الذى غَذَوْا له أَولادهمْ وابتنوا دورهم ، وأَخبروا بمصيرهم لذلك ، اعتباراً كما قال تعالى : ﴿ فالتقَطَهُ آلُ فِرْعَوْن ليكونَ لهمْ عَدُوًّا وحَزَنا[٢] ﴾ ، وإنَّما التقطوه ليكون لهم قُرَّة عَين ، ولكن الله عز وجل وصفَ أَمره بتصيُّره إلى ذلك[٣] . فهذا على الإِخبار بالصَّيرورة . انتهى .

سابق البربرى

وسابقٌ البربرىُّ هو أَبو سعيد سابق بن عبد الله . له أَشعارٌ حسنة فى الزُّهد . وهو من موالى بنى أُميّة . سكن الرَّقَّة ، ووفد على عمر بن

---

(١) لأبى الحسين النحوى ، كما سبق فى الخزانة ١ : ٢٦ . ويبدو أنه من كتب المجاز اللغوى، كما يبدو من نصوصه المقتبسة .

(٢) الآية ٨ من سورة القصص .

(٣) هو مطاوع صيره تصييرا .

عبد العزيز ، وله معه حكاياتٌ لطيفة . روى عنه مكحولٌ ، وموسى ابن أَعْيَن ، والمعافى بنُ عِمران وغيرُهم .

والبربرى : نسبة إلى البربر ، وهى بلادٌ كثيرة فى المغرب . قال ابن الأَثير (فى الأَنساب) : ليس سابق منسوباً إلى البربر ، وإنَّما هو لقبٌ له.

والبيت الثالث هو من أَبيات مغنى اللبيب أَيضاً . ولم يعرفه شُرَّاحه أَيضاً .

صاحب الشاهد

وهو من أَبياتٍ أَوردها ابنُ الأَعرابى (فى نوادره) لنُهَيكة بنِ الحارث المازنى ، من مازن فزارة ، وهى :

أبيات الشاهد

(لا يُبعِد اللهُ ربُّ العبا — دِ والملحُ ما ولدَتْ خالدَهْ[1]

هم المُطعمو الضَّيفَ شحمَ السَّنا — مِ والقاتلو الليلةَ البارِدَهْ

هُمُ يَكْسِرونَ صُدورَ الرِّما — حِ فى الخيل تُطرَد أَو طارده

يذكِّرُنى حُسْنُ آلائهم — تفجُّعَ ثكلانةٍ فاقده

فإن يكن القتلُ أَفناهمُ — فللموتِ ما تلد الوالده)

انتهى :

ونسبه المفضَّل بن سلمة (فى كتاب الفاخر) لشُتَيْمِ بن خويلد الفزارى . قال : والملح هنا : البركة. يقال : اللهمَّ لا تُبارِك فيه ولاتَمْلَحَه.

وكلاهما جاهليّان .

---

(١) ونسب الشعر فى الحيوان ٤ : ٤٧٢ إلى شتيم بن خويلد الفزارى، وكذا فى اللسان (لوم ٣٨) والفاخر للمفضل ١١ . ونسبه المبرد فى كتاب ما اتفق لفظه واختلف معناه ص ٢٧ إلى ابن الزبعرى . ونسب فى مقطعات مراث ص ١٠٦ إلى الحارث بن عمرو الفزارى . والأبيات بدون نسبة فى الروض الأنف ٢ : ٣٠٦ . والأول منها فى الكامل ٢٨٤ بدون نسبة أيضاً . وكلمة « الملح » فى البيت تضبط بالرفع عطفاً على لفظ الجلالة ، وبالجر عطفاً على العباد أو بجعل الواو واو القسم .

قال أبو الوليد الوقشى (فيما كتبه على كامل المبرد على هذا البيت): خالدة هى بنت أرقم، أمُّ كَرْدم وكُريدِم ابنى شُعْبة الفزاريَّين . وكَرْدم هو الذى طعن دريد بن الصمة يوم قُتِل أخوه عبد الله . وهذا المصراع وقع فى شعر عبيد بن الأبرص الجاهلى أيضاً ، لمَّا قتله المنذر بن ماء السماء ، قال له بعض الحاضرين ما أشدَّ جزعَك للموت ! فقال :

١٦٥

(لا غَرْوَ من عيشةٍ نافده وهل غيرُ ما مِيتةٍ واحدَه
فأبلغ بنىَّ وأعمامَهُمْ بأنَّ المنايا هى الرَّاصِده
لها مُدَّةٌ فنفوسُ العبادِ إليها، وإن كَرِهت، قاصده
فلا تَجْزَعوا لِحمامٍ دنا فللموت ما تَلدُ الوالده)

ووقع فى شعر سِماك بن عمرو الباهلى أيضاً ، وهو أوّل من قال : « لا أطلُب أثراً بعدَ عَيْن » ، وهو جاهلىٌّ أيضاً . قال لمَّا خيِّر بين أن يُقتل هو أو أخوه مالك ، فقتلوه دون أخيه ، من أبيات :

فأُقسم لو قتَلُوا مالكا لكنتُ لهم حيّةً راصده
برأسِ سبيلٍ على مَرقبٍ ويوماً على طُرقٍ وارده
فأُمَّ سماك فلا تجزَعى فللموت ما تلدُ الوالده

* * *

وأنشد بعده :

(فَلَا واللهِ لا يُلفَى لما بى ولا لِلما بهمْ أبدًا دواءُ)

وتقدَّم شرحه فى الشاهد الرابع والثلاثين بعد المائة فى باب المنادى[١] .

* * *

(١) الخزانة ٢ : ٣٠٨ - ٣١٢ .

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الرابع والتسعون بعد السبعمائة[1] :

٧٩٤ (رُبَ هَيضَلٍ لَجِب لففتُ بهَيْضَلِ)

على أنَّ (ربَّ) فيه للتكثير . أى كثيراً ما لففت هيضلاً بهيضل .

ورُبَّ على اختيار الشارح اسمٌ ومحلها رفع على الابتداء ، والموجب لبنائها تضمُّنها معنى الإنشاء الذى حقُّه أن يؤدَّى بالحرف ، كالاستفهام والأمر والنهى . ورُبَ هنا مخففة مفتوحة الباء. قال أبو علىّ (فى كتاب الشعر) : الحروف على ضربين : حرف فيه تضعيف ، وحرف لاتضعيف فيه . فالأوّل قد يخفَّف بالحذف منه كما فُعل ذلك فى الاسم والفعل بالحذف والقلب، وذلك نحو : إنَّ، وأنَّ، ولكنَّ، ورُبَّ . والقياس إذا حذف المدغَم فيه أن يبقى المدغَم على السُّكون . وقد جاءَ :

(أزهيرُ إنْ يَشِب القذالُ فــإنَّه رُبَ هيضلٍ لَجِبٍ لففتُ بهيضلِ)

ويمكن أن يكون الآخِر منه حرّك لمّا لحقه الحذف والتأنيث، فأشبه بهما الأسماء ، كما حرّك الآخر من ضَرَب[2] . انتهى المراد منه .

ورواه ابن جنى (فى المحتسب) بسكون الباء . أنشد البيت وقال : أراد ربّ فحذف إحدى الباءين وبَقّى[3] الثانية مجزومة ،كما كانت قبل الحذف .

ورواه العسكرى (فى كتاب التصحيف) بالوجهين . أنشد البيت

(١) المحتسب ٢ : ٣٤٣ والتصحيف ٣٦٤ والأزهية ٢٧٤ وابن الشجرى ٢ : ٤ ، ٣٠٢ والإنصاف ٢٨٥ وابن يعيش ٥ : ١١٩ / ٨ : ٣١ والمقرب ١ : ٢٠٠ ورصف المبانى ٥٢ ، ١٩٢ وديوان الهذليين ٢ : ٨٩ وشرح السكرى ١٠٧٠

(٢) يعنى الأفعال الماضية المبنية على الفتح .

(٣) ش : « وأبقى » ، وما أثبت من ط يوافق ما فى المحتسب. والمراد بالجزم إسكان الباء .

وقال : رُبَ فيه خفيفة . ورواه بعضهم : « رُبْ هيضل » بتسكين الباءِ ، وأنشد :

ألا رُبْ ناصرٍ لك من لؤىٍّ كـريمٍ لو تنـاديه أجابا

وتقول العرب : رُبَّ بالتشديد ، ورُبَ بالتخفيف ، ورُبْ رجلٍ فيسكِّنون الباءَ ، ثم يقولون : رُبَّت رجلٍ ورُبَتَ رجلٍ ، ورَبَّ رجل فيفتحون الراءَ ويشدِّدون ، ورَبَّما رجلٍ مشددومخفَّف ، ورَبَّتَما فيفتحون. حكى ذلك قطرب . انتهى .

١٦٦

وبهذا النقلِ يُردُّ على أبى علىّ وعلى ابن يَعيش فى قوله تبعاً له : إنَّهم قالوا رُبَ بضم الراءِ وفتح الباءِ خفيفة ، ويحتمل ذلك وجوهاً :

أحدُها: أَنَّهم حذفوا إحدى الباءَين تخفيفاً، كراهيَةَ التضعيف ، وكان القياس أن يسكِّن آخرُها، لأَنَّه لمْ يلتق فيها ساكنان،كما فعلوا بإنَّ ونظائرها حين خفَّفوها ، إِلَّا أَنَّ المسموع رُبَ بالفتح ، نحو قوله :

* رُبَ هيضلٍ لَجِبٍ لففْتُ بهَيْضَلٍ *

كأَنَّهم أبقَوُا الفتحةَ مع التخفيف دلالةً على أنَّها كانت مثقَّلة مفتوحة .

ويمكن أن يكونَ إنَّما فتح باءَ ربَ لأَنَّه لمَّا لحقه الحذفُ وتاءُ التأْنيث أَشبهَت الأَفعال الماضيةَ ففُتحت .

وقيل إنَّهُم لما استثقلوا التضعيفَ حذفوا الحرفَ الساكن .

وقد قالوا رُبْ بالتخفيف وسكون الباءِ على القياس ، حذفوا المتحرِّك، لأَنَّه أبلغ فى التخفيف . انتهى .

وقد نقض أَوّلَ كلامه بآخِره .

صاحب الشاهد

والبيت من قصيدةٍ لأَبى كَبيرٍ الهُذَلى ، وأَوَّلها :

أبيات الشاهد

(أَزُهَيْرَ هـل عن شَيْبةٍ من مَعْدِلِ ... أم لا سبيـلَ إلى الشَّبابِ الأَوَّلِ

أَمْ لا سبيلَ إلى الشَّبابِ وذِكْـرُهُ ... أَشهَى إلىَّ من الـرَّحيق السَّلسَلِ

ذهبَ الشَّبابُ وفاتَ منِّى ما مضى ... ونضَا ، زُهَيْرَ ، كريهتى وتبطُّلى (١)

وصحوتُ عن ذكر الغوانى وانتهى ... عُمْرِى وأنكرنى الغداةَ تَقتُّلى

أَزُهَيرَ إنْ يَشِبِ القَـذَالُ فإِنَّه ... رُبَ هَيْضَلٍ مَرِسٍ لففتُ بهَيْضَلِ

فلففْتُ بينهـمُ لغَيـرِ هَـوادةٍ ... إِلَّا لسَفْكٍ للـدِّماء محـلِّلِ)

وقوله : « أزهير » إلخ الهمزة للنداء . وزهير : مرخَّم زُهيرَة ، وهى ابنته . قال السكرى ، وكذا قال أبو سعيد : ومنهم من يقول امرأة ، ومنهم من يقول : رجل . أقول : يردُّ الأخيرين قولُه فى الرائية كما يأْتى. والمَعْدِل : العُدول . والرَّحيق : الخمر . والسَّلسَل : العذب يتسلسَلُ فى الحلق تسلسُلاً . ونَضَا ، بالنون والضاد المعجمة ، بمعنى انسلخ ومضَى . وزُهيرَ منادًى مرخَّم . وكريهته : شِدّته على الكريهةِ والحرب . وتبطُّلُه : أَخْذُه فى الباطل .

والغوانى : جمع غانية ، وهى المرأة التى غَنِيَتْ بحُسنها عن الزِّينة . والتَّقتُّل بالقاف : التليُّن والتَّكسُّر والتثنِّى .

وقوله : (أزهير إنْ يَشِب) إلخ هذا أيضاً منادى مرخَّم. (والقَذَال): ما بين النُّقرة وأعلى الأذن ، وهو أبطأُ الرأس شيْباً . و (الهيضل) ، بفتح الهاء والضاد المعجمة : الجماعة . وقوله : (لففت بهيضل) يريد : جمعت بينهم فى القتال. و (اللَّجِب) بفتح اللام وكسر الجيم ، فى

(١) رسمت « نضا» هنا وفى الشرح التالى بالياء ، ووجهه ما أثبت ، فإن الفعل واوى .

الصحاح : وجيشٌ لجب : عرمرم ، أى ذو جَلبَة وكثْرة . واللَّجَب، بفتح الجيم : الصَّوت والجَلَبة . وروى بدله : (مَرِسٍ) بكسر الراء، أى شديد.

وقوله: « فلففتبينهم » إلخ قال السكرى : يقول : إنَّما لففتُ بينهم ليقتتلوا، لا لهوادةٍ ولا لصداقة ، وهو قوله « إلاَّ لسَفكٍ للدِّماء محلَّل» أى محلِّل النَّذْرَ إذا بلَغَه . ومحلَّل : ممَّا يُستحَلّ . (والهَوادة) : الصُّلح، وأصله من اللِّين . يقال : هوَّد فى السَّير ، إذا ليَّن .

قال ابن قتيبة (فى كتاب الشعراء) : أبو كبير هو عامر بن حِلْس، وله أربعُ قصائدَ أوَّلها كلُّها شيءٌ واحد . ولا يُعرف أحدٌ من الشعراء فعَلَ ذلك[1] . انتهى .

أقول : ثانيها :

١٦٧
أزُهَير هل عن شَيبةٍ من مَقْصِرِ ... أم لا سبيلَ إلى الشَّبابِ المُدْبِرِ
فَقَد الشَّبابَ أبوك إلَّا ذِكْـرَه ... فاعجَبْ لذلك فِعلَ دهرٍ واهكَرِ

قال السكرى : الهَكْر مِنْ أشدِّ العَجَب[2] . وهذا خطابٌ لنفسه .

وثالثها :

أزُهَيرُ هل عن شيبةٍ من مَصْرِف ... أم لا خلودَ لبـاذل متكلِّفِ

ورابعها :

أزُهيرُ هل عن شَيبةٍ من مَعْكِمِ ... أم لا خلودَ لباذِلٍ متـكرِّمِ[3]

قال السكرى : من مَعْكِمٍ : من مَرجِع ، يقال عَكَم يعكم .

---

(١) انظر كتاب « تحقيقات وتنبيهات فى معجم لسان العرب » لمحقق الخزانة ص٢٨٥ – ٢٨٦.
(٢) عند السكرى : « الهكر أشد العجب » ، بطرح « من » .
(٣) فى النسختين: « لباذر » صوابه باللام فى آخره كما فى ديوان الهذليين وشرح السكرى . والباذل: الذى يبذل ماله .

وأبو كبيرٍ الهذليُّ صحابيٌّ تقدَّمت ترجمته مع شرح أبياتٍ من هذه القصيدة فى الشاهد الثامن بعد الستمائة[١] .

* * *

وأنشد بعده :

(ماوِيَّ يا رُبَّتَمــا غــارةٍ شَعْواءَ كاللَّذعــةِ بالمِيسَمِ)

وتقدم شرحه قريباً فى الشاهد الستين بعد السبعمائة[٢] .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الخامس والتسعون بعد السبعمائة[٣] :

٧٩٥ (فإنْ تُمْسِ مَهجورُ الفِنــاءِ فرُبَّما
أَقــامَ به بعدَ الوُفودِ وفُــودُ)

على أنَّ (ربَّما) فيه للتكثير . وهو ظاهر .

وأورده الزمخشريُّ عند قوله تعالى : ﴿قد يَعْلَمُ اللهُ الذينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنْكمْ لِواذًا[٤]﴾ على أنَّ قد إذا دخلَتْ على المضارع كانت بمعنى رُبَّما ، فتوافقُها فى خروجها إلى معنى التكثير كما فى البيت ، فإنَّ المقامَ مقامُ مدحٍ لا يُناسب التَّقليل ، وإلاَّ لكان ذمًّا . ورُبَّ هنا مكفوفة بما عن عمل الجرّ ، ومهيِّئة للدخول على الجملة الفعلية .

ولا يتأتَّى هنا ما اختار الشارح من أنَّها اسمٌ مبتدأ ، إذْ لا مجرور موصوف بجملة فعليَّة . ولا يعرف على اختياره ما موقعُ الجملة بعد ربَّ المكفوفة .

---

(١) الخزانة ٨ : ٤٠٩

(٢) انظر هذا الجزء التاسع ص ٣٨٤ .

(٣) أدب الكاتب ٢١ وشرح الجواليقى ١٢٤ وابن السيد ٢٩٢ والأشباه والنظائر ٢ : ٨٥ والحماسة بشرح المرزوقى ٨٠٠ وبشرح التبريزى ٢ : ٢٩٦

صاحب الشاهد

والبيت من أبيات أربعة أوردها أبو تمام (فى باب المراثى من الحماسة) لأبى عطاء السِّندى ، رثى بها يزيد بن هُبَيْرَةَ الفَزَارىّ ، وهى :

أبيات الشاهد

(ألا إنَّ عيناً لم تَجُدْ يومَ واسطٍ عليكَ بجارِى دَمْعِها لَجمودُ

عِشيَّة قَام النائحاتُ وشُقِّقتْ جُيوبٌ بأَيدِى مأتمٍ وخُدودُ

فإنْ تمْسِ مهجورَ الفِناءِ فرُبَّما أقامَ به بعدَ الوفودِ وفودُ

فإنَّك لم تبعُد على متعهِّدٍ بلى كلُّ مَنْ تحتَ التُّرابِ بَعِيدُ)

وقيل رثاهُ بها مَعْنُ بن زائدة الشَّيبانى ، وكان من أتباع ابن هُبيرةَ ومن أكبرِ أعوانهِ فى الحروبِ وغيرها .

يزيد بن هبيرة

وابن هبيرة مولده الشَّامُ فى سنة سبع وثمانين ، وَلِىَ قِنَّسرينَ للوليد ابن يزيد بن عبد الملك، وكان مع مروانَ بنِ محمدٍ آخرِ ملوك بنى أمية ، يومَ غَلب على دِمشق وجُمِع له ولايةُ العراقين ، فلمَّا أدبرت دولة بنى مروان خرج قَحطَبة بن شَبيب فى سنة اثنتين وثلاثين ومائة ، أحدُ دعاة بنى العبَّاس ، فى جيوش خراسان ، ثم ولده الحسنُ من بعده فهزموهُ،

١٦٨

ولحق ابنُ هبيرة بمدينة واسط ، فحاصَره أبو جعفرٍ المنصورُ مع الحسن ، وجرت السُّفراءُ بين أبى جعفر وابن هبيرة حَتَّى جَعل له أمانًا وكتب به كتَاباً . فمكث يُشاوِر فيه العلماءَ أربعين ليلة حتَّى رضىَ به ابنُ هبيرة، ثم أنفذه إلى أبى جعفر ، فأنفذه أبو جعفر إلى أخيه السَّفَّاح ، فأمره بإمضائه له . ولمَّا تم الكتابُ خرج ابن هبيرة إلى أبى جعفر فى ألفٍ وثلثمائة ، فأراد أن يدخل الحجرةَ على دابَّته ، فقام إليه الحاجب فقال: مرحباً أبا خالد ، انزلْ راشداً ! وقد أطاف بالحجرة عشرة آلافٍ من أهل خراسان . فنزل ودعَا له بوسادة ، ثم قال له الحاجب : ادخُلْ أَبا خالد .

فقال له : أنا ومن معي من القُوَّاد . فقال له : إنَّما استأْذنتُ لكَ وحدك . فدخلَ على أبي جعفر وحادثَه ساعة ثم انصرف. فقال أبو جعفر [للحاجب[1]] : قل لابن هبيرةَ يدعُ الجماعة ويأْتينا بحاشيته . وجاء بعدُ فى نحوٍ من ثلاثين ، فكان بعد ذلك يأْتى فى ثلاثةٍ من أصحابه يتغدَّى ويتعشَّى عنده ، وألحَّ[2] أبو العباس على أبي جعفرٍ يأْمُره بقتله، وهو يراجعه ، فكتب إليه : والله لتقتلنَّه أو لأَرسلنَّ إليه من يخرجه من حُجْرتك ثم يقتُله . فعزَمَ على قتله ، وأرسل الهيثمَ بنَ شُعبة فى نحوٍ من مائة فأَرسلوا إلى ابن هبيرة: إنَّا جئنا لنأْخذ هذا المال . فقال ابن هُبيرة لحاجبه : انطلقْ فدُلَّهم عليه . فأَقاموا عند كل بيتٍ نفراً ، ثم جعلوا ينظرون فى نواحى الدار ، ومع ابن هبيرة ابنُه داود وكاتبه وحاجبُه ، وعدَّةٌ من مواليه، وبُنىٌّ له صغير فى حِجْرِه، فأَقبلوا نحوه فقام حاجبُه فى وجوههم فضربه الهيثمُ فقتله ، وقاتل ابنُه داودُ فقُتل ، وقُتِل مواليه ، ونُحِّىَ الصبىُّ من حِجْره وخرَّ ساجدًا ، فقُتِل وهو ساجد . وكان قتلُه بواسط يوم الاثنين لثلاثَ عشرةَ ليلةً بقيت من ذى القعدة سنة اثنتين وثلاثين ومائة .

ولمَّا قُتل كان معنُ بن زائدة غائباً عند السَّفَّاح فسَلِم ، فرثاه أبو عطاء السِّنديُّ بهذه الأَبيات . وقيل معن بن زائدة .

قال ابن عساكر (فى تاريخه الكبير) : كان ابنُ هبيرة إذا أَصبحَ أُتىَ بِعُسٍّ ، وهو القَدَح الكبير. وفيه لبنٌ قد حُلِبَ على عَسَل، وأَحيانًا على

---

(١) التكملة من ش .

(٢) ط : « ولح » ، صوابه فى ش .

سُكَّرٍ فيشربُه ، فإذا صلَّى الغداةَ جلسَ فى مُصلاَّه حتَّى يحرِّكه اللبن ، فيدعو بالغَداء فيأْكل دَجاجتين وفَرخَىْ حَمام ، ونِصْفَ جدى ، وألواناً من لحم ، ثم يخرج فينظُر فى أُمور الناسِ إلى نِصف النهار ، ثم يدخل فيدعو جماعةً من خواصِّهِ وأَعيانِ النَّاس ، ويدعو بالغَداء فيتغدَّى ويعظِّم اللَّقم ويُتابع ، فإذا فرغَ من الغَداء دخلَ إلىَ نسائه حتَّى يخرجَ إلى صلاة الظُّهر ، ثم ينظر فى أُمور الناس ، فإذا صلَّى العصر وُضِع له سريرٌ ووُضِعت الكراسيُّ للناس ، فإذا أَخذوا مجالسَهم أَتَوهم بعِساس اللَّبَن والعَسَل وأَلوان الأَشْرِبة ، ثم تُوضَع السُّفرةُ والطَّعامُ للعامَّة ، ويوضع له ولإخوانه خِوانٌ مرتفع ، فيأْكلُ معه الوجوهُ ثم يتفرَّقون للصَّلاة ، ثم يأْتيهُ سُمَّاره فيحضرون مجلسَه فيسامِرُونَه حتَّى يذهَب عامَّةُ الليل. وكانَ يُسأَل كلَّ ليلةٍ عَشْرَ حوائج ، فإذا أَصبحوا قُضِيتْ . وكان رزقُه ستَّمائةِ أَلفِ درهم ، فكان يقسِم كلَّ شهرٍ فى أَصحابه من قومِه ومن الفقهاء والوجوهِ وأَهل البِيوتات أَكثَرَ من نِصْفها .

رُوِى أَن شَرِيك بن عبد الله النَّمرى سايَرُه يوماً ، فبرزت بغلَةُ شَرِيك ، فقال له ابن هبيرة : غُضَّ من لجامها . فقال شريك: إنَّها مكتوبة ، أَصلح الله الأَمير ! فقال ابنُ هبيرة : ما ذهبتُ حيث أَردتَ . ١٦٩

وقول ابن هبيرة : « غُضَّ من لجامها » ، يشير إلى قول جرير :

فغُضَّ الطَّرفَ إنَّك من نميرٍ فلا كعبــاً بلغْتَ ولا كِلابا

فعرَّض له شَرِيك بقول ابن دارة :

لا تأْمَنَنَّ فزاريًّا خَلَــوْتَ به على قَلوصِكَ واكتُبْها بأَسيارِ

وكان بنو فزارة فى العربِ يُرمَوْن بإتيان الإبل .

وأَخبار ابن هُبَيرة ومحاسنُه كثيرة .

وقوله: « أَلا إِنَّ عيناً لم تَجُدْ » إلخ افتتح كلامه بحرف التنبيه ، ثم أَخذ يعظِّم أَمرَ الفجيعة ويبيِّنُ موقعَها من النُّفوس ، وتأْثيرَها فى القلوب فقال : إنَّ عيناً لم تَجُدْ بدمعها عليك يومَ واسطٍ لَشديدةُ البُخل بما فى شئونِها من الماء .

قال الجواليقى (فى شرح أدب الكاتب) : لم تَجُدْ : لم تسمَحْ بالبكاء . وجَمُود : قليلة الدَّمع ، يقال عينٌ جامدة [وجَمُود[1]] . وسنةٌ جمادٌ : قليلة القَطْر .

وقوله : « عشيَّةَ قام النائحات » إلخ عشيَّة بدلٌ من يومَ واسط .

قال ابن السِّيد (فى شرح أدب الكاتب) إنْ قيل : كيف جاز أن يعمل فيه لم تجُد ، وقد حال الخبرُ وهو الجَمُود[2] ، بين العامل والمعمول . ولو قلت: إنَّ الضاربَ أخوك زيدًا، أو إنَّ خارجاً غيرُ مصيبٍ يومَ الجمعة[3] لم يجزْ ، وإنما يجب فيهما تقديم المعمول على الخبر ؟ قلت : إنَّ العشية لمّا كانت بدلاً من يومَ ، والمبدل يقدَّر من جملة أُخرى ويقدَّر معه إعادة العامل جاز ذلك . وقد أَجاز النحويُّون تأَخُّر الصِّفة بعد الخبر فى نحو : إن زيدًا خارجٌ الكريَم ، والصِّفة أَشدُّ اتصالاً بالموصوف من البدل. وأجازوا ذلك فى المعطوف ، نحو: إنَّ زيداً خارجٌ وعَمراً وعمرٌو: على اللفظ وعلى الموضع . وإذا جاز فى الصفة كان فى البدَل أجوز .

وقوله : « قام النائحات[4] » أى تهَيَّأْن للنَّوح . والمأْتم : النساءُ

---

(١) التكلة من شرح الجواليقى .

(٢) ش : « جمود » بطرح اللام .

(٣) فى الا قتضاب : « وإن خارجاً يوم الجمعة غير مصيب » ، وما هنا صوابه لأنه المقصود .

(٤) فى النسختين : « وقام النائحات » ، وهو خلاف نص البيت .

يجتمعن فى الخير والشَّرّ ، قال الخطيب : وأصله من الأَتْم وهو التقاءُ المسلَكين ، ومنه الأَتُوم فى صفة النِّساء .

وقوله : (فإن تَمْسِ مَهجور) إلخ الفِناءُ بكسر الفاءِ والمد: ساحة الدّار . و (الوفود) : الزوّار وُطلاب الحاجات . قال المرزوقى: الرواية المختارة : « وربَّما أقام » بالواو . وذلك أنَّ جواب الشرطِ فى قوله :

* فإنّك لم تبعُدْ على متعهِّدٍ *

ويَصير « وربَّما أَقام » بيانَ الحال فيا تقدَّم من رياسته وقت توفُّر الناس على قَصْدِه وزيارته . والمعنى : إن مُتَّ وصرتَ مهجورَ السَّاحة ، وربَّما كانت الوفود تزدحم على بابك ، فإنَّك السَّاعةَ لم تبعُد على من يتعهَّدك ويريد قضاءَ حقِّكَ، وإقامةَ الرَّسمِ فى زيارتك. ثم قال مستدركاً على نفسه :

* بلَى كلٌّ من تحتَ التراب بعيدُ *

ويريد بالمتعهِّد متتبِّعَ العهُود بالحفظ لها ، ومنْعها من الدروس . وإذا روَيْتَ « فربَّما » وجعلتَه جواب الشرط يكون « فإنّك لم تبعُد» استئنافَ كلام . والمعنى : إنْ هُجِرَ فناؤك اليومَ فربَّما كانَ مأْلفاً للوفود أيّام حياتك . وتقول العرب : هذا بذاك، أى عوضٌ من ذاك .

وقال ابن جنى (فى إعراب الحماسة) : ينبغى أن يكون جوابُ الشرط مستقبَلاً ، وربَّما جاءَت مكانه جملةٌ ماضيَّة[1] ، والشرط لا يصح إلَّا بالاستقبال ، والمستقبلُ لا يكون علَّة للماضى ؛ لئلاَّ

---

(١) يقال فى النسبة إلى الماضى «ما ضوى »، و « ماضى » ، والصيغة الأخيرة أرجح . ونص إعراب الحماسة : « وربما كا يرى ماضية » .

يتقدم المعلولُ على علّتِه . وإذا كان الأمر كذلك فالكلام محمولٌ على معناهُ دونَ لفظه. ألا ترى أنَّ معناه [إنْ[١]] أمسيتَ هكذا فتسلَّ عنه بذكر ما مضى ، أى فليكن هذا بإزاءِ ذلك . انتهى .

وهذا البيت من الاستدراك ، وهو من محاسن الشعر . والاستدراك: أن يأخذ الشاعر فى معنًى يرسِلُه ، أو وصفٍ يَذكُره يستدركه على نفسه[٢] .

١٧٠
أبو عطاء السندى

وأبو عطاءٍ السندىُّ قيل اسمه مرزوق ، وهو قول ابن قتيْبة . وقال أبو عُبيدٍ البكرىُّ (فى شرح أمالى القالى) : هو أفلح بن يسار ، مولًى لبنى أسد . وكان يسارٌ سِندِيًّا أعجميًّا لا يُفصح ، وأبو عطاءٍ ابنه عبدٌ أسودُ لا يكادُ يفصح أيضاً ، جمعَ بين لُثْغةٍ ولُكنَة ، وهو مع ذلك من أحسنِ الناس بديهةً ، وأشدِّهم عارضةً وتقدُّماً .

وهو شاعرٌ فحل فى طبقته ، أدرك الدولتين. وكان من شعراء بنى أُميَّة وشِيعتهم ، وهجا بنى هاشم ، ومات عَقِب أيَّام المنصور . ودخل يوماً على المنصور وهو يَسحَبُ الوَشْيَ والخزَّ ، فقال له المنصور : أنَّى لك هذا يا أبا عطاءٍ ؟ فقال: كنت ألبس هذا فى الزَّمن الصالح . ثمَّ ولىَّ ذاهباً فاستخفى ، فما ظهر حتَّى مات المنصور .

فمما قال فى بنى هاشم :

بنى هاشمٍ عُودوا إلى نَخَـلاتِكمْ ... فقد قــام سِعْرُ التَّمر صاعٌ بدرهمِ
فإنْ قلتُم رهط النبيِّ صَدقتمُ ... فهذِى النَّصارى رهطُ عيسى بنِ مريَمِ

انتهى .

---

(١) التكملة من ش .

(٢) انظر تحرير التحبير ٣٣١ - ٣٣٨ والبديع لابن المعتز ١٠٨ . وسماه ابن المعتز الرجوع .

وقال ابن قتيبة (فى كتاب الشعراء) : أبو عطاءٍ السِّنديّ اسمه مرزوق ، وكان جيِّد الشِّعر ، وكانت به لُكنة . قال حمادٌ الراوية : كنت يوماً وحمادُ عجردٍ وحمادُ بنُ الزِّبرقان مجتمِعِينَ ، فنظَر بعضُنا إلى بعضٍ فقلنا : لو بعثنا إلى أبى عطاءٍ . فبعثْنا إليه فقلنا : من يحتالُ حتّى يقول : جرادة، وزُجّ ، وشَيطان ؟ فقلت : أنا . وجاءَ فقال : مَنْ ههنا؟ فقلنا : ادخلْ . فدخَل فقلنا : أتتعشّى ؟ فقال : قد تأسَّيت . قلت : أفتشرب ؟ قال : بلى . فشرب حتّى استرخَى . فقال حمادٌ الراوية : كيف بَصرُك باللُّغز ؟ قال : هَسَن . قال :

فما صفراءُ تُكنَى أمَّ عوفٍ كَأَنَّ رُجَيْلَتَيْهـا مِنْجـلانِ[1]

فقال : زَرَادة . قال : أصبتَ . ثم قال :

فما اسمُ حديدةٍ فى الرُّمح تُرسَى دُوَينَ الصَّدْرِ ليسَت بالسِّنانِ

قال : زُزّ . قال : أحسنت . ثم قال :

أتعرفُ مسجداً لبنى تميـم فُوَيقَ الميـل دُونَ بنى أبانِ

قال : بنى سَيْتان . فقلنا: أصبت يا أبا عطاءٍ، وضحكنا . انتهى[2] .

وفى رواية غيره أنَّه أجابه فى الأوَل ببيت وهو :

فتلك زَرادةٌ وأَذُنٌّ ذَنّـا بـأنّك قد عنيْتَ به لسانى[3]

يريد بالزَّرادة الجرادة . وأَذُنٌّ ذَنّا ، أى أظنٌّ ظَنّا .

* * *

(١) فى العقد والشريشى ٢ : ١٢٣ : « كأن سويقتيها » . وانظر الحيوان ٥ : ٥٥٨ .

(٢) تصرف البغدادى يسيرا فى هذا النقل . والخبر بصورة أخرى فى الأغانى ١٦ : ٨٠ والعقد ٦ : ٤٧١ .

(٣) ط : « وأدن دنا » فى هذا الموضع وتاليه ، وأثبت ما فى ش وفى الشعراء والأغانى : « وأزن زنا » بالزاى فيهما . والبيت لم يرد فى العقد .

وأنشد بعده :

(هذا سُراقةُ للقرآن يدرُسُه)

على أنَّ الضمير فى (يدرُسه) ضمير المصدر المفهوم من يدرُس ، أى يدرس الدَّرس .

وقد تقدَّم شرحُه فى الشاهد الثانى والثمانين[1] . وتمامه :

(والمرءُ عند الرُّشَا إنْ يَلْقها ذِيبُ)

* * *

١٧١

وأنشد بعده :

(غيرُ مأْسوفٍ على زَمنٍ ينقضى بالهَمِّ والحَـزَنِ)

وتقدَّم شرحُه فى الشاهد الثالث والخمسين من باب المبتدإ[2]

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد السادس والتسعون بعد السبعمائة ، وهو من شواهد س[3] :

٧٩٦ (يا رُبَّ هَيْجا هى خيرٌ مِن دَعَهْ)

على أنَّه يجوز أن تقع الجملة الاسمية نعتاً لمجرورِ رُبَّ ، فـ (هِىَ) مبتدأٌ و(خيرٌ) خبره . والجملة نعت لِهَيجَا ، وهى الحرب ، تمدُّ وتقصر ، وهى هنا مقصورة .

و (الدَّعَة) : الخفض والراحة . والهاءُ عوضٌ مِن الواوِ ، تقول منه : وَدُعَ الرَّجلُ بالضم فهو وديع ، أى ساكن، ووادعٌ أيضاً. والموادَعة :

---

(١) الخزانة ٢ : ٣ - ٤ .
(٢) الخزانة ٣٤٥ - ٣٤٨ .
(٣) فى كتابه ١ : ٣٢٧ . وانظر مجالس ثعلب ٤٤٢ ، ٤٤٩ والأغانى ١٤ : ٩٢ وأمالى المرتضى ١ : ١٩١ والعمدة ١ : ٢٧ والهمع ٢ : ٢٥ وديوان لبيد ٣٤٠ .

المصالحَة. ويا: حرف تنبيه ، أو حرف نداءٍ ، والمنادى محذوف . ورُبَّ هنا للتكثير ، وهى اسمٌ مبتدأٌ على ما اختاره الشارح المحقِّق لا خبر لها ، والجملة التى هى نعت مجرورها قد سدَّت مسد الخبر ، لا يقدَّر لها جواب يعمل فى محلِّ مجرورها .

صاحب الشاهد — وهو من رجزٍ للبيد بن ربيعة العامرىِّ الصَّحابىِّ، أورده ثعلبٌ (فى أماليه) ، وهو :

أشطار الشاهد

(لا تزجُرِ الفِتيانَ عنسُوءِ الرِّعَه   يا رُبَّ هيجَا هى خيرٌ من دَعَه
فى كــلِّ يومٍ هامتــى مقزَّعَه   نحنُ بنو أُمِّ البنينَ الأَربعَــه
نحنُ خيــارُ عــامِرِ بنِ صَعصَعَه   المُطعِمون الجَفْنــةَ المُدَعدَعه
والضــاربونَ الهامَ تحتَ الخَيْضَعه   يا واهبَ المالِ الجزيلِ مِنْ سَعَه
إليــكَ جــاوَزنا بــلاداً مَسْبَعه   إذ الفلاة أوحشَتْ فى المعمعَه[1]
يخبرْكَ عن هذا خبيرٌ فاسمعَه)

فقال النعمان : ما هو ؟ فقال :

* مهلاً أبيتَ اللَّعن لا تــأْكلْ معــه *

فقال النُّعمان : ولم ؟ قال :

* إنَّ استَه من بَرَصٍ ملمَّعه *

قال النعمان : وما علىَّ ؟ ! قال :

(وإنَّه يُدخِلُ فيها إصبَعه   يُدخِلُها حتَّى يُوارى أشجَعه
كأنَّما يطلُب شيئاً ضيَّعه)

الرِّعة: حالة الأَحمق التى رَضِىَ بها . وقوله : « مقزَّعة»، يقول: أنا

---

(١) فى مجالس ثعلب : « إذا الفلاة » . والشطر لم يرد فى الأغانى .

أُقاتِلُ فى كلِّ يوم وأُقاتَل . والمدعدعة : المملوءة . والخَيْضعة : أصوات الحرب . انتهى .

وهذا السياق مبتورٌ لا يُنتَفَع به . وأوفى ما رأيته ما رواه السيد المرتضَى علمُ الهدى (فى أماليه المسمَّاة بغرر الفرائد ، ودرر القلائد) قال :

إنَّ عُمارة ، وأنساً ، وقيساً ، والربيعَ ، بنى زيادٍ العبسيِّين ، وفَدوا على النُّعمان بن المنذر . ووفد عليه العامريُّون بنو أُمِّ البنينَ ، وعليهم أَبو بَراءٍ عامرُ بنُ مالك بن جعفر بن كلاب . وهو ملاعب الأَسِنَّة ، وكان العامريُّون ثلاثين رجلا ، وفيهم لبيد بن ربيعة بن مالك بن جَعفر ابن كلاب ، وهو يومئذٍ غلامٌ له ذُؤابة . وكان الرَّبيع بن زياد العبسىُّ ينادم النُّعمان ويُكثِر عنده ، ويتقدَّم على مَن سواه ، وكان يُدعَى الكاملَ لشَطاطِه وبياضِه وكمالِه [1] ، فضرب النعمانُ قبَّةً على أَبى بَراء ، وأجرى عليه وعلى مَنْ كان معه النُّزُل ، وكانوا يحضرون النُّعمانَ لحاجتهم ، فافتخرُوا يوماً بحضرته ، فكاد العبسيُّون يغلبون العامريِّين . وكان الربيعُ إذا خلا بالنُّعمان طعَن فيهم وذَكَر معايِبَهم ، ففعل ذلك مِراراً لِعداوتهم لبنى جعفر . لأَنَّهم كانوا أَسَرُوه ، فصدَّ النُّعمانَ عنهم حتَّى نزع القُبّةَ عن أَبى بَرَاءٍ ، وقطع النُّزل ، ودخَلوا عليه يوماً فرأَوا منه جَفاءً وقد كان قبل ذلك يُكرمهم ويقدِّم مجلسَهم ، فخرجوا من عنده غِضاباً وهمُّوا بالانصراف ، ولبيدٌ فى رحالهم يحفظُ أَمتعتَهم ويَغدُو بإبلهم فيرعاها ، فإذا أمسى انصرفَ بها . فأَتاهم تلك الليلةَ ، وهم يتذاكرون أَمْرَ الرَّبيع ، فقال لهم : ما لكم تتناجَوْن ؟ فكتَمُوه وقالوا له : إليكَ عَنَّا .

١٧٢

(١) الشطاط ، كسحاب وكتاب أيضا : الطول واعتدال القامة .

فقال : أخبرونى فلعلَّ لكم عندى فرجاً . فزجروه فقال : لا والله لا أحفظ لكم ولا أُسرِّح لكم بعيراً أو تخبرونى . وكانت أم لبيدٍ عبْسيّة فى حِجْر الربيع ، فقالوا له : إنَّ خالك قد غَلَبنا على المَلِك ، وصَدَّ عنَّا وجهَه . فقال لهم : هل تقدرون أن تجمعوا بينى وبينه غدًا حين يقعد الملك ، فأَرجُزَ به رَجزًا مُمِضًا مؤلماً . لا يلتفت إليه النُّعمان بعده أبدا ؟ قالوا له : وهل عندك ذلك ؟ قال : نعم . قالوا : إنَّا نَبْلوكَ بشَتْم هذه البقلة ، وقُدَّامَهم بقلةٌ دقيقةُ القضبان ، قليلةُ الورق ، لاصقةٌ فروعُها بالأَرض – تدعى التَّرِبة – فأَقتلعها من الأَرض وأخذها بيده وقال : « هذه البقلة التَّرِبة الثَّفِلة الرَّذْلة ، التى لا تُذكِى ناراً ، ولا تسرُّ جاراً[1] ، عودها ضئيلٌ ، وفرعها ذليل ، وخيرُها قليلٌ . بلدُها شاسع ، ونبتها خاشع ، وآكلها جائع ، والمقيمُ عليها قانع . أقصرُ البقولِ فرعاً ، وأخبثها مرعًى ، وأشدُّها قلعا ، فحَرَباً لجارِها وجَدْعا[2] . اَلقَوْا بى أخا عبس ، أُرجِعْه عنكم بتَعْس ونكس ، وأتركْه من أمره فى لَبْس » .

فقالوا : نصبح ونرى فيك رأينَا . فقال لهم عامر : انظروا إلى غلامكم هذا ، فإنْ رأيتموه نائماً فليس أمرُه بشىءٍ ، إنَّما تكلَّم بما جرى على لسانه . وإن رأيتموه ساهراً فهو صاحبكم . فرَمَقُوه بأَبصارهم فوجدوه قد ركب رَحْلاً يكدِم واسطتَه حتَّى أَصبح . فلمّا أَصبحوا قالوا : أَنت والله صاحبُه[3] . فحَلقُوا رأسه وتركوا له ذُؤابتين ، وأَلبسوه حُلَّةً وغَدْوا به معهم ، فدخلوا على النُّعمان فوجدوه يتغدَّى ، ومعه الربيعُ ، ليس معه

---

(١) فى أمالى المرتضى : « ولا تؤهل داراً ولا تستر جاراً » و « تستر » محرفة عن « تسر » كما فى الخزانة هنا والأغانى ١٤ : ٩١ .

(٢) الحرب ، بالتحريك : أن ينهب مال المرء ويترك لا شىء له .

(٣) أى صاحب الربيع ، تستطيع مغالبته . أو صاحب هذا الأمر لا يقدر عليه غيرك .

غيره ، والدّار والمجالس مملوءةٌ بالوفد . فلمّا فرغ من الغَداءِ أَذِن للجعفريِّين فدخلوا عليه ، والربيعُ إلى جانبه . فذكروا للنُّعمانِ حاجتَهم ، فاعترَضهم الرَّبيعُ فى كلامهم ، فقال لبيد ، وقد دَهن أَحَدَ شِقَّى رأسِه[1] وأَرخَى إزارَه ، وانتعل نعلاً واحدة - وكذلك كانت الشعراءُ تفعل فى الجاهلية إذا أرادت الهجاءَ - فمَثَل بين يديه ثم قال :

يارُبَّ هَيْجا هى خيرٌ مِن دَعَهْ ... إذْ لا تزالُ هامَتِى مقَزَّعَهْ

نحنُ بنِى أُمِّ البنينَ الأَربعَهْ ... ونحن خيرُ عامِرِ بنِ صعصعه[2]

المُطعِمون الجفنةَ المُدَعدَعهْ ... والضَّاربونَ الهامَ تحتَ الخَيْضَعهْ

مَهلاً أَبيتَ اللَّعنَ لا تأْكُلْ مَعَهْ ... إنَّ استَه من برصٍ مُلَمَّعَهْ

وإنَّه يُدخِلُ فيها إصبَعَه ... يُدخِلها حتَّى يوارِى أَشجَعَهْ

كأَنَّما يطلبُ شيئاً ضيَّعه

١٧٣ فلما فرغ لبيدٌ التفتَ النُّعمانُ إلى الربيع يَرمُقه شَزْرا . قال : أَكذلك أنت ؟ قال : كذب والله ابنُ الحَمِقِ اللَّئيم ؟ فقال النعمان : أُفٍّ لهذا الطعام ، لقد خَبُثَ علىَّ طعامى . فقال الربيع : أَبيتَ اللَّعنَ، أَمَا إنِّى قد فعلتُ بأُمِّه ! لا يكنِى . وكانت فى حجره . فقال لبيد : أنت لهذا الكلام أَهل ؟ ! أَما إنَّها من نسوةٍ غير فُعُل ، وأَنت المرءُ قال هذا فى يتيمته .

ووجدتُ فى رواية أُخرى[3] : « أَمَا إنَّها من نسوةٍ فُعُل». وإنَّما قال ذلك لأَنَّها كانت من قوم الرَّبيع ، فنسبها إلى القبيح وصَدَّقه عليها، تهجيناً له ولقومه .

---

(١) فى النسختين : « إحدى شق رسه » ، صوابه فى أمالى المرتضى . وفى الأغانى : « فعمدوا إليه فحلقوا رأسه وتركوا ذؤابته ، وألبسوه حلة » .

(٢) بين هذا الشطر وسابقه فى الأغانى :

* سيوف جز وجفان مترعه *

(٣) القائل هو الإمام المرتضى . وفى الأمالى : « قال سيدنا أدام الله علوّه » .

فأمر الملكُ بهم جميعاً فأُخْرِجُوا ، وأعادَ على أبى براءٍ القُبَّة ، وانصرف الرَّبيعُ إلى منزله فبعث إليه النعمانُ بضِعْفِ ما كان يحبُوه به ، وأمره بالانصراف إلى أهله . فكتب إليه : إنِّى قد تخوّفت أن يكون قد وقع فى صدرك ما قال لبيد ، ولستُ برائمٍ حتَّى تبعَثَ من يُجَرِّدُنى ليعلمَ من حَضَرك من النَّاس أنِّى لست كما قال . فأَرسل إليه : إنَّك لَست صانِعاً بانتفائك ممّا قال لبيدٌ شيئًا ، ولا قادراً على رَدِّ ما زلَّت به الأَلسُن ، فالحقْ بأَهلك ! ثم كتب إليه النعمان فى جملةِ ما كتبه أبياتاً جواباً عن أبيات كتبها إليه الربيع مشهورة :

شَمِّر برَحلِكَ عنِّى حيثُ شِئتَ ولا
تُكثِرْ علىَّ ودع عنْكَ الأَقاويــلا
قــد قيل ذلك إنْ حقًّــا وإنْ كذباً
فمـــا اعتذارُك مِن شىءٍ إذا قِيــلاَ

وقد جاءَنا هذا الخبر من عدَّة طرق ، وفى كلٍّ زيادةٌ على الآخر . ولم نأْتِ بجميع الخبر على وجْهِه ، بل أَسقَطْنا منه ما لم نحتجْ إليه . انتهى .

وقال أبو الحسن الطوسى (فى شرح ديوان لبِيد) : إنَّ بنى أُمِّ البنينَ وجماعةً منهم ، أَتَوُا النُّعمانَ أَوَّلَ ما مَلك ، فى أُسارَى من بنى عامر يَشترونهم منه . إلى آخر ما أوردناه فى الشاهد الثامن والأَربعين بعد المائتين[1] فى شرح قوله :

قد قيل ذلك إنْ حقًّا وإن كذباً . . . البيت

وساق هذا الخبرَ كالطُّوسىِّ الخطيبُ التِّبريزى (فى شرح ذيل

---

(١) الخزانة ٤ : ١٠ – ١٣ .

المعلقات) ، وأورد الأبياتَ كثعلبٍ إلّا البيتَ الأوّل ، وقولَه :

* يُخبِرك عن هذا خبيرٌ فاسمَعه *

فإنَّه أسقَطهُما .

وقوله :

* فى كلّ يومٍ هامتى مقزعهْ *

قال السيِّد المرتضَى : القَزَع : تساقُط بعضِ الشعر والصُّوف وبقاءُ بعضِه . يقال كبشٌ أقزَع وناقةٌ قزعاءُ .

وقوله : « نحن بنو أُمّ » إلخ هذا البيت من شواهد سيبويه . أورده فى باب الاختصاص الذى يجرى على ما جرى عليه النِّداءُ . قال : وأمّا قول لبيد :

* نحن بنو أُمِّ البنينَ الأربعهْ *

فلا ينشدونه إلّا رفعاً ، لأنَّه لم يُرِدْ أن يجعلَهم إذا افتخروا أنْ يُعرَفوا بأنَّ عدَّتهم أربعة ، ولكنه جعل الأربعة وصفاً ثم قال : المطعمون الفاعلون ، بعد ما حلاَّهم ليُعرَفوا . انتهى .

وخالفه المبرد وقال : النصب فيه جيِّد على وجهين :

أحدهما : أنَّ أُمَّ البنين امرأةٌ شريفة ، وبنوها الأربعةُ كلُّهم سيِّد ، فيُنصَب (بَنِى) على الفخر .

والوجه الآخر : على معنى أعنى ، بلا مدحٍ ولا ذمّ .

قال النحّاس بعد ما نقله : هذا الذى ذهب إليه سيبويه صحيحٌ ، ألَا تَراه قال : إنَّه لم يرد أن يجعلهم إلخ . فهذا قولٌ صحيح . فيجوز أن يكون بنو خبر نحن ، والأربعة نعتٌ كما قال سيبويه ، والمطعمون

خبر[١] بعد خبر. ويجوز أن يكون بدلا من نحن والمطعمون خبر، والأَربعة صفة للبنين . فإذا رفع فإنَّما أفاد هذا النَّسَب . فإذا نصب فالخبر ما بعده ، ونصبه على الاختصاص . انتهى .

١٧٤

وكذا ذهب ثعلبٌ (فى أماليه) قال : بعضهم ينصب بنى ، وليس بالوجْه ، لأَنَّه ليس مدحاً يمدح نفسَه بأَنَّ عددهم أَربعة . والعرب تفعل هذا فى بنى ، ورهط ، ومَعشَر ، وآل . قال الفرَّاءُ : كأَنَّهم قالوا : نحنُ جميعاً نقول ذلك[٢] . انتهى .

أم البنين

وأُمُّ البنين اسمُها ليلى بنتُ عامر . قاله السُّهيلى (فى الروض) .

وقال السيد المرتضَى : هى بنت عمرو بن عامربن ربيعة بن صعصعة ، وكانت تحت مالك بنجعفر بن كلاب ، ولدت له عامرَ بنَ مالكٍ ملاعبَ الأَسنَّة . وطُفَيلَ بن مالك فارسَ قُرزُل ، وهو أَبو عامر بن الطفيل ، وقُرزُل : فرسٌ كانت له . وربيعةَ بن مَالك أَبا لبيد،وهو ربيعُ المُقْتِرِين . ومعاوية بن مالك مُعوِّد الحكماءِ . وإنَّما لقِّب بِهذا لقوله :

أُعوِّد مثلَها الحـــكماءَ بعدى إذا ما الحقُّ فى الأَشيـــاعِ نابا

وولدَتْ عُبيدةَ الوضَّاحَ . فهؤلاءِ خمسة . وقال لبيد : أَربعة ، لأَنَّ الشِّعر لا يمكنه غير ذلك[٣] .

قال السُّهيلى : وسمِّى ملاعبَ الأَسنَّة فى يوم سُوبان ، وهو يومٌ كانت فيه وقعةٌ فى أَيَّام جَبَلة ، وهى أَيّام حربٍ كانت بين قيس وتمم . وجَبَلة : اسمٌ لهضبة عالية . وسبب تسميته ملاعبَ الأَسنَّة أَنَّ أَخاه

---

(١) ما بعده إلى « خبر » التالية ساقط من ش

(٢) فى مجالس ثعلب ٤٤٣ : « نقول ذاك » .

(٣) فى أمالى المرتضى ٦ : ١٩٤ : « لم يمكنه من ذلك »

الذى يقال له فارس قُرزُل ، وهو الطُّفيل ، كان أَسلمَه فى ذلك اليوم وفَرَّ ، فقال شاعر :

فَرْرتَ وأَسلمتَ ابنَ أُمِّك عامراً يُلاعِبُ أَطرافَ الوشيجِ المزعزعِ

فسمِّى ملاعبَ الرِّماح ، ومُلاعِب الأَسنَّة . قال لبيد :

وأَبِّنى مُلاعِبَ الرِّمــاحِ ومِدْرَهَ الكتيبةِ الرَّدَاحِ [1] . انتهى .

وقال مُغُلْطاىُ (فى الزَّهر الباسم [2]) : يخدش فيه ما ذكره سابقاً : أَنَّ عامرَ بن مالكٍ ملاعبَ الرِّماح ، وعامرَ بن الطُّفيل ملاعب الأَسنَّة لقِّبا بهما مبالغةً فى وصف شجاعتهما .

ثم قال السُّهيلى : وسُمِّى معاوية معوِّدَ الحكماء بقوله :

يُعوِّد مثلَها الحكماءُ بعدى إذا ما الأَمرُ فى الحَدَثانِ نابا [3]

وفى هذا الشعر :

إذا سقطَ السَّماءُ بأَرضِ قوم رَعيناهُ وإن كـــانوا غِضابا

وقول السيد المرتضى : إنَّ لبيدًا إنَّما قال أَربعة وهم خمسة لضرورة الشعر ، هذا قولُ الفرَّاءِ ، وهو قولٌ فارغ . والصواب كما قال ابن عصفور (فى الضرائر) [4] : لم يقل إلَّا أَربعة ، وهم خمسةٌ ، على جهة الغلط . وإنَّما قال ذلك لأَنَّ أَباه كان مات وبقى أَعمامُه وهم أَربعة .

وهو مسبوقٌ بالسُّهيلى فإنَّه قال : وإنَّما قال الأَربعة لأَنَّ أَباه كان

---

(١) المدره : زعيم القوم وخطيبهم والمتكلم عنهم ، وهو أيضا رأس القوم والدافع عنهم . ط : « مدرة » صوابه فى ش والروض الأنف ٢ : ١٧٥ وديوان لبيد ٣٣٣ . ويروى : « وعامر الكتيبة » . والرداح : الضخمة الكثيرة .

(٢) الزهر الباسم فى سيرة أبى القاسم ، وعندى منه مصورة .

(٣) وكذا فى الروض . وصوابه « أعود مثلها » كما فى القاموس (عود) والمفضليات ٣٥٨ .

(٤) الضرائر ٢٤٩

قد مات قبل ذلك ، لا كما قال بعضُ الناس . وهو قولٌ يعزَى إلى الفرَّاء ، أنَّه قال : إنَّما قال أربعة ولم يقل خمسة من أجل القوافى . فيقال له : لا يجوز للشَّاعر أن يلحن لإقامة وزن الشعر ، فكيف بأن يكذب لإقامة الوزن .

وأعجب من هذا أنَّه استشهد به على تأويلٍ فاسدٍ تأوَّله فى قوله سبحانه : ﴿ وَلِمَنْ خافَ مَقام رَبِّهِ جَنَّتان[1] ﴾ وقال: أراد جَنَّة واحدة وجاء بلفظ التثنية لتتَّفق رءُوس الآى ، وكلامًا هذا معناه . فصَمِّى صَمامِ ما أشنع هذا الكلام ، وأبعده عن العلم وفَهْم القرآن ، وأقَلَّ هيبَةَ قائِله من أن يتبوَّأ مقعدَه من النار ، فَحذارِ منه حذار .

١٧٦ وممَّا يدلُّكَ أنَّهم كانوا أربعةً حين قال لبيدٌ هذه المقالة أنَّ فى الخبر يُتْمَ لبيدٍ[2] وصِغَر سِنِّه ، وأنَّ أعمامه الأربعة استصغروه أن يُدخِلوه معهم إلى النعمان . فبان بهذا أنَّهم كانوا أربعة . ولو سكت الجاهلُ لقلَّ الخلاف . انتهى .

وقوله :

* المطعِمُون الجَفنةَ المدعدعهْ *

الجفنة ، بفتح الجيم: القَصْعة الكبيرة . قال أبو حنيفة (فى كتاب النبات) : ولا آنيةَ أكبر من الجَفنة . والمُدعدعة فى قولِ لبيد[3] هى المملوءة ، فهو بالدَّال المهملة . قال فى الصحاح : دعدعت الشيءَ: ملأتُه .

---

(١) الآية ٤٦ من سورة الرحمن . ولعله فى كتاب آخر للفراء ولم أجد الفراء قد استشهد بالرجز فى معانى القرآن ، ولا ذكر تعليله باتفاق رءوس الآى . انظر المعانى ٣ : ١١٨ .

(٢) فى الروض : « ذكر يتم لبيد » .

(٣) فى النسختين : « والمدعدعة قال لبيد » ، والوجه ما أثبت .

وجفنةٌ مُدعدَعة أى مملوءة . وقوله : « تحتَ الخَيْضعة » بالخاء والضاد المعجمتين . قال السيِّد : ذكر الأَصمعىُّ أَنَّ لبيدًا قال : تحت الخَضَعة يعنى الجلَبَة والأَصوات ، فغيَّرته الرُّواة . وقيل : إنَّ الخيضعة أَصواتُ وَقْع السُّيوف . والخَيضَعة أيضاً : البيضة التى تُلبَس على الرأس . والخيضعة : الغُبار . والقول يحتمل كُلَّ ذلك[1] . انتهى .

وقال أبو عُبيدٍ (فى الغريب المصنَّف) : الخيضعة : البَيْضة . وأَنشدَ هذا البيت :

وردَّ عليه على بن حمزة (فى كتاب التنبيهات) بأَنَّ هذا لم يقُله أَحدٌ قطّ ، وإنَّما اختلاف أَهلِ العلم فى رواية الشعر ، فرواه قوم : تحتَ الخيضعة كما رُوى ، وفسَّرُوه بأَنْ قالوا : الخيضعة : اختلاط الأَصوات فى الحرب . ورواه آخرون : « تحت الخَضَعة » وقالوا : هى السُّيوف . وقال أَبو حاتم : إنَّما قال لبيدٌ تحتَ الخَضَعة ، فزادُوا الياءَ[2] فِراراً من الزِّحاف . انتهى .

وقوله : « بلادًا مَسْبَعة » البلاد : الأَراضى . وأَرضٌ مَسبَعة بالفتح ، أى ذات سباع . والمعمعة . قال صاحب الصحاح : هى صوتُ الحريق فى القَصَبِ ونحوِه ، وصوتُ الأَبطال فى الحرب . والملمَّع : الذى يكون فى جسَده بُقَعٌ تخالف سائرَ لونه . والأَشجع : أُصولُ الأَصابع التى تتَّصل بعصب ظاهر الكفّ .

وترجمة لبيد تقدَّمت فى الشاهد الثانى والعشرين بعد المائة[3] .

---

(١) ط : « يحتمل على ذلك » . ش مع أثر تغيير : « محتمل على ذلك » ، صوابهما ما أثبت من أمالى المرتضى .

(٢) كذا فى ط والتنبيهات ٢١٩ . وفى ش : « فزاد » ، تحريف .

(٣) الخزانة ٢ : ٢٤٦ .

وأورد ابن الحباب السَّعدى (فى كتاب مساوى الخمر)[١] حكايةً مناسبة رأينا إيرادَها هنا ، قال :

ذكر بديعُ الزَّمان الهَمَذَانىّ أنَّه لاعبَ أبا سعيدٍ ، خليفةَ أَبى علىٍّ الحسين ابن أحمد بجرجان، الشِّطرَنج عَلى خاتَمين ، قَمَرَهُ البديعُ عليهما ، فأَبى أن يعطيَه إيَّاهما ، فذكر قصّةً طويلة أفضَتِ الحالُ فيها بينهما بعد مراسلاتٍ بهجاءٍ من البديع وإغلاظٍ من الآخَر ، إلى أن اجتمعَ هو والبديعُ على مائدةِ صاحِبه أبى علىٍّ الحسين .

قال البديع : وكان هذا الرجلُ أقرعَ ، ولم يكن أحدٌ يجسُر أن يذكُرَ بحضرته القَرْع ولا القُرعة ، ولا تَقارُعَ الأَقرانِ ، ولا الأَقرعَ بنَ حابس ، ولا بنى قُريع ، ولا يقرأُ سورة القارعة . فلمَّا وُضعت المائدةُ أَمسكتُ عن الطعام ، فقال : مالكَ لا تأْكل ؟ فقلت : وأَشرتُ إلى أبى سعيد :

مهلاً أبيتَ اللَّعنَ لا تَأْكُلْ معهَ   استقذِرَنْهُ وتجنَّبْ قَرَعَه
فإنَّه يُنْحِى عليها إصبعَه   يحكُّ تلك الهامةَ الملمَّعه
لا تُدنه وذلك الرأْسُ معه   ومُرْه إنْ أدنيتَه أنْ يَضعَه
إنْ لم يزايل عن حِماك موضعَه   فارسُم لفرَّاشك ذا أنْ يصفَعَه

قال : فأَطرقت الجماعة ، وبقى الأُستاذ داهشًا ، ثم قال : يا مولاى إن لم يحتشمْنى ما يحتشم المائدة ؟ فقلت له : أطال الله بقاءَك ، ما أسرعَ   ١٧٦

(١) سماه فى ٥ : ٣٣٠ « مساوى الحمرة » وقال : « وهو كتاب ضخم ، وهو عندى فى جلدين » . وذكر الميمنى فى الإقليد ١٠٢ أن بحيدر آباد جزءا من كتاب « الكشف عن مساوى الحمرة » مخروم الأول .

ما أراك تتقذَّر ؟ وحَيَاتِك عليَّ لأُنشدنَّك فيه ألفَ بيت بعضُها يلعنُ بعضاً ، إلَّا أنْ يُعطِيَنى خاتَمَيْه عَطاءَ صُغْرِيًّا[(١)] . فقال الأُستاذ: أَمرُ الخاتَمين أَسهلُ ، فما السَّبَب ؟ فقصصت القصَّة عليه ، فمال إليه وقال : أَشهد أَنَّك ساقط الهمّة ، أَمَا علمت أَنّه إن قُمِرَ أَو قَمَرَ أَعطى الخَطَر ! ثُمَّ تناول الخاتَمين وناولنيهما ،وسأَلني السُّكوتَ عنه ،وعاهدني أَن لا أَزيد. انتهى.

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد السابع والتسعون بعد السبعمائة[(٢)] :

٧٩٧ (رُبَّ رِفْدٍ هَرَقتَه ذلك اليو مَ وأَسْرَى من مَعْشَرٍ أَقْيَالِ)

على أَنَّ الأَكثر مراعاة الأَصل فى وقوع صفةِ مجرورِ رُبَّ جملةً فعليَّة سواءٌ كانت مذكورةً أَو مقدَّرة .

وقد اجتمعا فى هذا البيت . أَمّا الأَوَّل فهو جملة « هرقتَه » صفة لرفد ، وهو القدح الكبير . وإراقةُ الرِّفد كنايةٌ عن القتل والإماتة .

وأَمّا الثانى فإنَّ أَسرَى مجرور بربَّ المذكورةِ بطريق التَّبعيَّة ، ومن معشر متعلِّق بأَسرى ، وصفة أَسرى محذوفٌ تقديره : حصَلْت لى ، ولا جواب لربَّ فى الموضعين ، لأَنَّ معنى الكلام تامٌّ لا يفتقر إلى شىء سِوى الصِّفة المقدرة . ورُبَّ اسمٌ محلُّها الرفع على الابتداء لا خبر لها ، للاستغناء بالصفة عن الخبر . هذا تقدير كلامه .

وأَقول : يؤخذ من تقديره (حصلَتْ لى) أَنَّ تاءَ هرقته مضمومة . وليس كذلك، فإنَّ هذا الكلام خطابٌ للأَسود بن المنذر كما يأْتى بيانه ، فكان ينبغى أَن يقول : حصلَتْ لك بالخطاب . وقد أَصاب فيما يأْتى قريباً[(٣)] : « وأَسرى من معشرٍ أَقيال ، أَى أَسَرْتَهم » .

(١) أى عن صَغار وذلة . والصغر ، بالضم والتحريك : الصغار والذلة .

(٢) ابن يعيش ٨ : ٢٨ والمغنى ٥٨٧ والعينى ٣ : ٢٥١ والهمع ١ : ٩ وديوان الأعشى ١٣ .

(٣) يعنى ما أورده الرضى بعد الكلام السابق ، وهو « وأسرى من معشر » إلخ . وانظر الرضى ٢ : ٣٠٩ س٩

وقوله : (رفد) الرِّفد : القَدح الضَّخم ، وهو قول الأصمعىِّ فيما نقله أبو حنيفة (فى كتاب النبات) عند ذكر أقسام الأوانى ، وضبطه بكسر الراء ، وأنشد هذا البيتَ وقال : وكذلك المِرْفَد بكسر الميم .

وكذا نقل ابن الأنبارى (فى شرح المفضَّليّات) عن أحمدَ بن عُبيدٍ تلميذِ الأصمعى . قال : ورَوَى أحمدُ : « ربَّ رِفْدٍ » الرِّفد بالكسر ، وقال هو القَدَح . والرَّفدْ بالفتح : العَمَل .

قال ابنُ الأنبارىّ : وقال أبو عُبيدةَ : الرَّفد بفتح الراء : القَدَح الضَّخم بما فيه من القِرى . والرِّفد بالكسر : المَعُونة . يقال رفدْتُه عند الأمير ، أى أعنته . (هَرَقته) أصله أرقته ، فالهاء بدلٌ من الهمزة .

وقوله « هريق رفدُه كنايةٌ عن الموت[1] » ، هو أحدُ قولين . قال الزَّمخشرىُّ (فى أساس البلاغة) : هريق رفد فلانٍ ، إذا قُتل ، كما يقال : صَفِرت وِطابُه ، وكُفِئَتْ جَفنتُه .

وقال ابن الأنبارى عند قول سَلمَة بن الخُرشُب الأنمارىّ :

هَرقْنَ بساحوقٍ جِفاناً كثيرةً وغادَرْنَ أخرى من حَقينٍ وحازرِ

قوله : هَرَقن ، يعنى الخيل . وساحُوق : موضع . أى قتلتْ أصحابَ الجفان ومن كان يَقرِى فيها ويحتلب ، فكأنَّها لمَّا قَتلت أصحابَها هراقتها ، كما قال الأعشى : رُبَّ رفدٍ هرقته ذلك اليومَ ، إلخ . ومثله قولُ امرى القيس :

وأفلتَهُنَّ عِلباءٌ جريضاً ولو أدركْنَه صَفِرَ الوطـابُ

---

(١) نص الرضى فى ٢ : ٣٠٨ : « يقال هريق رفده ، إذا مات ، وهو كناية كقولهم : صفرت وطابه ».

وعِلباءُ : رجل . والجريض : الذى قارب الموتَ ، فهو يجرض بريقه ، أى يَغَصّ . والوطاب : جمع وَطْب . وهو سِقاءُ اللَّبَن . ١٧٧

وقوله « وغادرنَ أُخرى » أى تركْنَ جِفاناً لم يُرِقْنَها . وروى: «وأَدَّين أخرى » أى جئن بأَسرَى وغيرِ ذلك . فاللفظ على اللَّبنَ والمعنى على القَوْم . وقوله : « من حَقينٍ وحازر » أى من سيِّدٍ شريفٍ ودونَ ذلك . ومثله قولُ أبى زُبَيد :

يا جَفنةً كنضيح الحَوْضِ قد كُفِئتْ
بثِنْىِ صِفِّينَ يعلو فوقَهــا القتَرُ[٢]

أى قُتِل صاحبُها فذهبَتْ وبطَلت . ومثله قولُ الآخر :

وماذا بالقليب قليب بدرٍ من الشِّيزَى تُكلَّلُ بالسَّنامِ[٣] . انتهى

وكذا (فى شرح الفصيحِ للمرزوقى) قال فيه : الصِّفْر بالكسر : الخالى ، يقال صَفِرت الآنيةُ تَصْفَر صَفَراً ، فهى صَفِرةٌ . وقيل اشتقاق الصَّفَر فى الشهور منه ، لأَنَّ وِطابَهم كانت حينئذ تخلوُ من الأَلبان . ويقال فى الكناية عن الهَلاك : صفِرَتْ وطِابُهم. وهذا كما يقال : أُرِيقَ جفانُهم . انتهى .

وكذا نقل ابن المستوفِى عن الأَصمعىّ ، قال : يريد قتلت صاحب ذلك الرِّفد فبطل رِفدُه . والرِّفد : اللَّبن والعطيّة والمعونة . والرَّفْد المصدر.

---

(١) ط : « يغتص » ، وأثبت ما فى ش .

(٢) ديوان أبى زبيد ٦٩، وفى جمهرة ابن دريد ٢ : ١٢ : « قد تركت بثنى صفين يجرى فوقها » . والقتر والقترة بالتحريك فيهما : الغبرة

(٢) لأبى بكر شداد بن الأسود بن شعوب الليثى ، فى السيرة ٥٣٠ واللسان (شيز) ، والشيزى : شجر تتخذ منه الجفان ، وبه سميت الجفان شيزى .

ويقال للقَدح الذى يُقْرى فيه رِفْد . والرِّفد : المِحْلب الذى يُحلَب فيه . وأما القولُ الآخر فهو نهبُ الماشية وأَخْذُها .

قال شارح ديوان الأعشى : معناه رُبّ رجلٍ كانت له إبلٌ يحلبُها فاستَقْتَها فذهب ما كان يحلبُه فى الرِّفد وهو القَدَح. وقوله : (وأسرى):هو جمع أسير كجرحَى جمع جريحَ . و(المعشر): الجماعة من الناس . و(أقيال) روى بالمثناة التحتيّة والفوقيَّة . أما الأَوَّل فهو جمع قَيْل بفتح القاف مخفف قَيِّل كسيِّد . وهو الملك مُطلقاً ، وقيل الملك من مُلوك حمير ، وقيل هو دون الملك الأَعلَى، سمِّى به لأَنَّه يقول ما يشاءُ فينفُذ. والمرأة قَيْلة ، ويجمع على أقوالٍ أيضاً ، حكاه ابنُ السكيت. فالأَوّل على اللفظ والثانى بالنظر إلى الاشتقاق من القَوْل ، كما قالوا فى جمع ريح أرياح وأَرْوَاح .

وقال الدمامينى (فى الحاشية الهندية) : وقال جماعة : لهذه الكلمة اشتقاقان : فمَنْ قال أقوال فهو من القَوْل ، ومن جَمعه على أقيال فهو من قولهم : تقيَّل أباه ، أى اتبعه فى النَّسب ، كما تسمَّى تُبَّعًا مَنْ تَبِعَ الذى قبلَه فى المُلْك . قال هؤلاءِ : ولو كان من القَول لم يجُزْ فى جمعه إلَّا أقوال ، كما لا يقال فى الميْت المخفف إلَّا أموات ولا يقال أَمْيات على اللفظ . قال ابن الشجرى : ولا يلزم ذلك ، لأَنَّهم قالوا من جَفوت ومن الشَّوب: مجفوٌّ ومَشُوب على الأَصل، ومجفِىٌّ ومشِيب على لفظ جُفِيَ وشِيبَ . ولم يَطردوا ذلك فى نحو مغزوٍّ ومدعوّ ، فلم يقولوا مَغزىّ ومدعِىّ وإنْ قالوا غُزِىَ ودُعِىَ . فكذلك قالوا أقيال على لفظ قَيْل وإنْ لم يقولوا أَمْياتِ . قلت : يُرَدّ هذا بأَنَّه لا يصار إلى خلاف الأَصل ما وُجِد عنه

مندوحة . ولا شَكَّ أنَّ جمع قَيْل المشتقّ من القول على أقيال رعايةً[1] للفظ الياء خارجٌ عن الأَصل، فإذا وُجِدَ[2] مشتقاً عند جمعه كذلك من التقيُّل لم يخرُجْ عن الأَصل ، لكان قول أُولئك الجماعة بالاشتقاقين هو الراجحَ لا محالة . انتهى كلامه .

وأما الرِّواية بالمثناة الفوقية فهو« جمع » قِتْل بكسر القاف وسكون المثناة ، وله معنيان : أَحدهما العدوُّ المقاتِل . والثانى الشِّبْه والنَّظير ، أى العِدْل فى المقاتلة ، كما يقال سِبٌّ للعديل فى المُسابَّة . يقال هما قِتْلانأى مِثلان . وكلٌّ منهما قِيلَ به هنا .

١٧٨

قال ابن الأَنبارىّ : وقول الأَعشى : « من معشر أقتال » يعنى الأَعداء والقَتَلة الذين قتلوا أَصحابك . وأَمّا أَبو عُبيدة فإِنّه قال : هم الأَشباه . وأَنشَدَ فِى أَنَّهم الأَعداءُ لابن قيس الرقيَّات :

واغترابى عن عامِرِ بن لؤىٍّ ... فى بلادٍ كثيرةِ الأَقتــالِ[3]

وأَنشد أَحمد فى القِتْل المِثْل والشِّبه ، فى وصف بعيرين :

من كلِّ قِتْلينِ إذا ما ازدحَمَــا ... أدرك هذا غَرْبَ هــذا بعدَما

أَغربَ ذاك ذرعَه فانصرمــا

وقَولُ الشارح المحقق : إنَّ صفة أَسرى محذوفة تقديرها ما ذكره ، هذا مستغنًى عنه بجعل من معشر متعلّقا بفعل صفة لأَسرى ، والتقدير

(١) ش : « مراعاة » .
(٢) ط : « جعل » .
(٣) ديوان ابن قيس الرقيات ١١٣ واللسان (قتل ٦٨) .

وأَسرى حَصَلَتْ من معشر أَقبال ، كما قال الزمخشرى (فى المفصل) : هرقته ومن معشر : صفتان لرِفد وأَسرى .

وكأَنَّ الشارحَ علَّق من معشر بأَسرى ، لأَنَّه بمعنى ربَّ مأْخوذِينَ من معشرٍ . ولا ضرورة إليه .

واعلم أَنَّ ما اختاره الشارح من جعل رُبَّ مبتدأً لا خبر له مخالفٌ للبصريين والكوفيِّين .

أَمَّا البصريُّون فقد قالوا : إنَّها حرفٌ لأَنَّها لا تقبل شيئًا من خواصّ الاسم ، من الإخبار عنه والإضافة ، وعودِ الضمير إليه ، ودخول أَل والتنوين . ولأَنَّها لو كانت اسماً لجاز أَن يتعدَّى إليها الفعل بنفسه إن كان متعدِّياً وبحرف الجر إن كان لازماً ، فيقال : ربَّ رجلٍ أَكرمتُ وبربَّ رجلٍ مررتُ ، كما يقال : كم رجلٍ أَكرمتُ وبكم رجلٍ مررتُ ، إذْ ليس فى كلامهم اسمٌ يتعدَّى إليه الفعل بنفسه[(١)] إلَّا ويجوز أَنْ يتعدَّى إليه الفعلُ اللازم[(٢)] بواسطة حرف الجرّ. والشارح معترفٌ بجميع هذا.

وأَمَّا الكوفيُّون فقد قالوا : إنَّها اسمٌ مثل كم ، وقالوا : محلُّها رفعٌ بالابتداءِ فى قولنا : ربَّ رجل كريم لقيتُه، وفى نحو : وربَّ قتلٍ عار. ومحلُّها نصبٌ على المصدر فى نحو: ربَّ ضربٍ ضربتُ ، مثل كم ضربةٍ ضربتُ . وعلى الظرف فى نحو : ربَّ يومٍ سرتُ، مثل كم يومٍ سرت . وعلى المفعول به فى نحو: ربَّ رجل ضربت ، نحو: كم رجل ضربت .

والشارح تبع الكَوفيِّين فى اسميتها، وخالفهم فى جَعْلها مبتدأً لا خبر له أَبدًا . وهذا لا يتمشَّى له فى نحو: ربَّ ضربة ضربت، ولا يطَّرد له

---

(١) ط : « يتعدى إلى الفعل بنفسه » ، صوابه فى ش

(٢) ط : « بالفعل اللازم » ، صوابه فى ش

فى المكفوفة بما كقوله تعالى : ﴿ رُبَّما يودُّ الذين كَفَروا[١] ﴾ كما اعترف به ، وجَعَلها فى هذا حرفاً . وجَعْلُها نوعين بحسب الاستعمالَين مع اتِّحاد المعنى ، تعسُّفٌ لا ضرورةَ تدعو إليه .

وما أورده من الإشكالين على حرفيَّتها يضمحلّان بجعلها حرفًا زائداً لا يتعلَّق بشىء ، وهو مذهبُ جماعةٍ من النحويين ، كالباءِ ومن الزائدتين فى نحو : ﴿ كفَى بالله شهيدًا[٢] ﴾ ، و﴿هل مِنْ خالقٍ[٣] ﴾ ، ولعلَّ الجارّةِ فى لغة عُقَيْل ، ولولا الجارّة الضميرَ نحو : لولاى ولولاك ولولاه ، وكافِ التشبيه ، وحرف الاستثناء وهو خلا وعدا وحاشا إذا خفَضْنَ . فهذه الحروفُ كلُّها لا تتعَلَّق بشىء . ذكرها ابنُ هشامٍ (فى الباب الثالث من المغنى) . فيكون محلُّ مجرورِ ربَّ فى نحو : ربَّ رجل كريم عندى ، رفعًا على الابتداءِ ، ومنه :

* وربَّ قتلٍ عار[٤] *

وفى نحو : ربَّ رجل كريمٍ لقيتُ ، نصباً على المفعولية ، ولا يجوز أن يكون مبتدأً والجملة بعده خبر والرابط محذوف ، أى لقيته ، لأنَّ فى ذلك تهيئةَ العاملِ للعمل وقطعَه عنه . ومثله :«ربَّ رفد هرقتَه » . . البيت . وكذلك : « أسرى من مَعْشر » فإنَّه بتقدير : أسرتَهم . وفى نحو : ربَّ رجلٍ كريم لقيته ، رفعاً أو نصباً ، وفى نحو : ربَّ ضربٍ ضربتُ ، نصباً على المفعول المطلق ، وفى نحو : ربَّ يوم سرت ، نصباً أيضاً على الظرف .

١٧٩

---

(١) الآية الثانية من سورة الحجر .
(٢) الآية ٧٩ ، ١٦٦ من سورة النساء وآيات أخرى .
(٣) الآية ٣ من سورة فاطر .
(٤) قطعة من الشاهد ٧٩٨ فيما سيأتى .

والدَّليل على ما ذكرنا أنَّه يجوز مراعاة محلِّ مجرورِها كثيرًا نحو : ربَّ امرأةٍ صالحة لقيتُ ورجلاً صالحاً، وإنْلم يجز نحو: مررتبزيد وعمراً إلَّا قليلا ، كما يأْتى نقلُه من المغنى .

لكنَّه قال فى الكلام على أقسام العطف على المحلِّ : إنَّ له ثلاثة شروط : أحدها إمكان ظهور ذلك المحلِّ فى الفصيح . وهذا الشرط مفقودٌ هنا ، ولعله مستثنى منه .

وقد ذهب ابن هشام (فى الباب الثالث من المغنى) إلى أنَّها لا تتعلَّق بشيء ، فقال : الرابع أى مما استُثنىَ من قولهم : لا بدَّ لحرف الجرّ من متعلَّق : ربَّ فى نحو : ربَّ رجلٍ صالح لقيتُه أو لقيت ، لأَنَّ مجرورها مفعولٌ فى الثانى ومبتدأٌ فى الأَول ، أَو مفعولٌ على حدِّ: زيدًا ضربته ، ويقدَّر الناصب بعد المجرور به ، لا قبل الجارّ ، لأَنَّ ربَّ لها الصَّدر من بين حروف الجرّ ، وإنَّما دخلت فى المثالين لإفادة التكثير أَو التَّقليل ، لا لتعدية عامل . هذا قول الرُّمَّانى وابن طاهر . وقال الجمهور : هى فيهما حرفُ جرٌّ مُعَدٌّ . فإنْ قالوا : إنَّها عدَّت العاملَ المذكور فخطأٌ ، لأَنَّه يتعدَّى بنفسه ، ولاستيفائه معمولَه فى المثالالأَوّل . وإن قالوا: عدَّت محذوفاً تقديره حَصَل أَو نحوه كما صرَّح به جماعة، ففيه تقديرٌ لما معنى الكلامِ مستغن عنه[1] ولم يُلفَظ به فى وقت. انتهى .

وقال أَيضاً (فى بحثِ ربّ من الباب الأَوّل) : وتنفرد ربَّ بوجوب تصديرها ، ووجوب تنكير مجرورها ، ونعته إن كان ظاهرًا ، وإفرادِه وتذكيره وتمييزه بما يطابق المعنى إن كان ضميراً ، وغلبةِ حذف مُعدَّاها

---

(١) ط : « مستغنى عنه » ، صوابه فى ش .

ومضيِّه ، وإعمالِها محذوفة بعد الفاءِ كثيرًا ، وبعد الواو أكثر ، وبعد بَلْ قليلا ، وبدونهنَّ أقلّ . وبأنَّها زائدة فى الإعراب دون المعنى ، فمحلُّ مجرورها فى نحو : رُبَّ رجل صالح عندى رفعٌ على الابتداءِ . وفى نحو : رُبَّ رجلٍ صالحٍ لقيتُ نصبٌ على المفعولية . وفى نحو : ربَّ رجلٍ صالح لقيته ، رفعٌ أو نصب . كما فى زيداً لقيته . ويجوز مراعاة محلِّه كثيراً وإن لم يجز نحو : مررت بزيد وعمراً ، إلَّا قليلا . قال :

وسِنٍّ كَسُنَّيْقٍ سَناءً وسُنَّماً ذعرتُ بمِدلاجِ الهَجيرِ نَهُوضِ (١)

فعطفُ سُنَّماً على محل سِنّ . والمعنى : ذعرت بهذا الفرس ثوراً وبقرة عظيمة . وسُنَّيق : جبل بعينه . وسَناءً : ارتفاعاً . وزعم الزجاج ومُوافقوه أنَّ مجرورها لا يكون إلَّا فى محل نصب . والصواب ما قدَّمناه . انتهى .

وقوله : « بوجوب تصدُّرها » ، أى فى جملتها ، وإن كانت مبنيَّةً على ما قبلها . ألا ترى أنَّ ما حرفُ نفى له صدر الكلام ، وأنَّه يصحُّ : إنَّ زيداً ما قام . وكذلك ربَّ تقع جملتها خبرًا لإنَّ ، نحو :

أَمَاوِىَّ إنِّى رُبَّ واحدٍ أُمِّهِ أخذْتُ فلا قتلٌ لدىَّ ولا أَسْرُ (٢)

وخبراً لأَنَّ المخفَّفة ، كقوله :

تيقَّنتُ أَنْ رُبَّ امرئٍ خِيلَ خائناً أمينٍ وخوّانٍ يُخالُ أمينـــا (٣)

١٨٠

وجَواباً للواو . وهو غريبٌ كقوله :

ولو عَلِم الأَقوامُ كيف خَلَفتُهم لَرُبَّ مُفدٍّ فى القبـــور وحامدِ

(١) لامرئ القيس فى ديوانه ٧٦ واللسان (سنق) . وفى ط : « زعرت » فى البيت وتفسيره ، صوابه فى ش والديوان واللسان .

(٢) لحاتم الطائى ، وهو الشاهد ٢٨٦ فى الخزانة ٤ : ٢١٠ .

(٣) همع الهوامع ١ : ١٤٣ / ٢ : ٢٦

ومنع أبو حيَّان وجوبَ تصدُّرِها ، بهذه الأبيات ، وغلَّط فيه .

وقوله : « وغلبة حَذْف مُعدَّاها » أى متعلَّقها . وكان ينبغى أن لا يَذكر هذا، فإنَّه لا يناسب ما اختاره من عدم التعلُّق بشىء .

وأجاب عنه الشُّمُنِّىُّ بأَنَّ مراده به الفعل الذى مجرورها مفعولُه .

وقوله « وبأَنَّها زائدة فى الإعراب » ، أُوردِ عَليه بأَنَّ هذا لا يختصُّ بربَّ ، بل لعلّ ولولا وأخواتُهما كذلك . وهو حقٌّ . ويمكن أن يجاب بأَنَّ ربَّ تنفرد بجميع ما ذُكِر لا بكلٍّ واحد .

وقوله : « لأَنَّ مجرورها مفعول فى الثانى » قيل فيه أمران : الأَوَّل أَنَّ كونه مفعولاً لا ينافى التعلُّق . والثانى أَنَّ التعلُّق معناه أَنَّ المتعلِّق معمولٌ بحسب المحلّ ، إِلّا أَنْ يراد أَنَّه مفعولٌ لفعل يتعدَّى بنفسه فلا حاجة لتعلُّق الحرف ، بمعنى تعديته للفعل ، بدليل مقابلته هذا الكلام بقوله : « وقال الجمهور هى فيهما حرف جر مُعَدٍّ». ثم إِنَّه يمكن الجواب عن اعتراضه على الجمهور[1] باختيار الشِّقّ الأَوَّل ، وتعدِّى الفعلِ بنفسه لا يمنع تعدِّيَه بالحرف إذا قُصِد معنًى لا يحصُل بدون تعدِّيه بذلك الحرف ، فإِنَّه لو عدِّىَ هنا بنفسه فاتَ معنى التقليل أو التكثير . ونظيره صحَّةُ قولك: أَخذت من الدراهم ، فعدَّيت الفعل بمن لإِفادة معنى التبعيض وإن كان يتعدَّى بنفسه . وأَخْذُ مفعولِه فى المثال الثانى لا يمنع جَعْلَه معمولاً لمثله ، كما فى: زيدًا ضربته .

واعترض الدمامينى على الجمهور بأَنه لو كان كما يقولون لم يُعطف على محلِّ مجرورها رفعاً ونصباً فى الفصيح ، وقد جاز كما تقول : ربّ رجلٍ وأخاه أكرمتُ ، فيجعلون لها حكم الزائد فى الإعراب وإن لم تكن زائدة فى المعنى . ولا يجوز فى الفصيح : بزيدٍ وأخاه مررت .

---

(١) ط : « عن الجمهور » ، صوابه فى ش .

صاحب الشاهد

والبيت الشاهد من قصيدةٍ للأعشى ميمون ، أوّلُها :

(ما بكاءُ الكبيرِ بالأَطْلالِ وسُؤالى ومـا يردُّ سـؤالى)

وتقدَّم شرحُه مع أبيات منها قريباً .

ومدح بهذهالقصيدة الأَسودَ بنَ المنذر، أخا النُّعمان بن المنذر اللَّخمى، وكان قد أغار على الحليفَين أسدٍ وذبيان ، ثم أغار على الطَّف ، فأَصابَ نَعَماً وأَسرى ، وسبَى من بنى سعدِ بن ضُبيعة بن قيس بن ثعلبة رهطِ الأَعشى ، والأَعشى غائبٌ ، فلمَّا جاءَ إليه وأَنشده هذه القصيدة سأَله أَنْ يَهَبَ له الأَسرى ففعل . وهذه أَبياتٌ منها يخاطب ناقته :

أبيات الشاهد

(لا تَشَكَّىْ إلىَّ من أَلـم النِّسْـ ع ولا من حَفًى ولا من كَلالِ

لا تَشَكَّىْ إلىَّ وانتجعِى الأَسـ وَد أهل النَّدى وأَهلَ الفَعالِ

فرعُ نَبْعٍ يهتزُّ فى غُصُن المجْـ دِ غزيرُ النَّدَى شَديد المِحَالِ

عنـده البرُّ والتقى وأَسَا الشَّـ قِّ وحملٌ للمُعْضِلاتِ الثِّقالِ

وصِلاتُ الأَرحام قد علم النَّا سُ وفَكُّ الأَسرَى من الأَغلالِ

وهَوَانُ النَّفس الكريمة للذِّكـ رِ إذا ما التقَتْصدورُ العَوالى

ووفاءٌ إذا أَجَرْتَ فما غَـرَّ تْ حبالٌ وصَلتَها بحبال[٢]

وعطاءٌ إذا سأَلتَ إذا العِـذ رةُ كانت عطيَّةَ البُخَّـالِ

أَريحىٌّ صَلْتٌ تَظَـلُّ له القَوْ مُ ركودًا قِيامُهُمْ للهِـلالِ

إنْ يعاقِبْ يكن غَراماً وإنْ يُعْـ طِ جزيلاً فإنَّه لا يُبـالى

يَهَبُ الجِلَّةَ الجَـراجر كالبُسْـ تانِ تَحنُو لدَردقٍ أطفـالِ

والبغايا يَركُضْنَ أكسِيةَ الإِضْـ ـريجِ والشَّرعَبىَّ ذا الأَذيالِ

١٨١

(١) همع الهوامع ٢ : ٢٦ .

(٢) فى ديوان الأعشى ١٠ : «فما غرت» .

والمكاكيكَ والصِّحافَ من الفِـ ضَّة والضَّامراتِ تحتَ الرِّحال
وجيادًا كأنَّها قُضُبُ الشَّـو حَطِ يَحمِلْنَ شِكَّةَ الأَبطال
ودُروعاً من نسج دَاودَ فى الحر بِ وسُوقًا يُحْمَلن فوقَ الجمال
لم يُنَشَّرنَ للصَّديق ولكنْ لقتال العدوِّ يومَ القِتال[1]
ربَّ رِفدٍ هرقتَه ذلك اليو مَ وأسرى مِنْ معشرٍ أقيَال
وشُيوخ حَرْبَى بشَطَّ أريكٍ ونساءٍ كأنَّهنَّ السَّعالِى[2]
وشريكين فى كثيرٍ من الما ل وكانا مُحالِفَىْ إقلالِ
قَسَمَا الطَّارفَ التَّليدَ من الغُنْـ مِ فآبا كلاهما ذُو مال
لن يزالوا كذلكم ثمَّ لا زِلْـ تَ لهم خالدًا خُلودَ الجبال)

قوله : « لا تَبشَكَّىْ إلىَّ مِن أَلَم النِّسع » إلخ هو بكسر النون وسكون المهملة ، واحده نِسْعة ، وهى التى تُنسَج عريضاً للتَّصدير . والحَفَى بفتح المهملة والقصر : رقَّة الخُفّ والحافر والقدم ، من كثرة المشى . والكَلَال : مصدر كلَّ البعيرُ وغيرُه من المشْى ، إذا أعيا . والنَّدَى : الجُود . والفَعَال بالفتح : الكرم والجميل . وغزير : كثير . والمحال ، بالكسر : القُوّة ، كقوله تعالى : ﴿ وهو شَدِيدُ المِحَال[3] ﴾ . كذا فى العباب .

وقوله : « وأسا الشَّقَّ » قال شارح ديوانه : أى التئام الشَّقّ ، ومن ذلك سمِّىَ الآسى الذى يأسو الجُرح . والمعضِلة : المشكِلة ، أى وعنده حملٌ للأُمور المعضلات ، وعنده فكُّ الأَسرى . والأَغلال : جمع غُلّ بالضم ، وهو ما يوضع فى عُنق الأَسير ونحوِه من سلسلةِ حديدٍ أو قِدٍّ .

---

(١) فى الديوان : « لم ييسرن للصديق » .
(٢) فى الديوان : « بشطى أريك » ، بالتثنية .
(٣) الآية ١٣ من سورة الرعد .

وقوله : « وهَوَان » أى وعنده هوانٌ أى إهانةُ النَّفس فى الحرب . والعوالى : جمع عالية ، وهى مِن مدخَل السِّنان فى الرُّمح إلى ثُلثه . وصدورُها : أوساطُها .

وقوله : « ووفاءٌ » أى وعنده وفاءٌ ، إذا أجرتَ أحدًا من أنْ يظلمه ظالم فيفى بإجارة من أجارَ من أصدقائه ، فكيف لا يفى هو بإجارة مَنْ يُجيره . وهذا خطابٌ لكل من يصلح معه الخطاب. وكذا قوله : « وعطاءٌ إذا سألتَ » أى وعنده عطاءٌ إذا سألتَه . والعِذْرة بالكسر : العُذر ، أى هو يُعطى ولا يَعْتذر ، كما أنَّ البخلاء يعتذرون ولا يُعطُون . و« عَزٌّ » من العِزَّة وهى القلَّة . والحبال مستعارةٌ للعهود .

والأَرْيحىّ : الذى يَرتاح للعطَاء . والصَّلت بالفتح ، قال شارحه : هو القاطع . والراكد : القائم ، فيكون قيامَهُم مصدراً تشبيهيًّا .

والغرام ، بالفتح ، قال شارحه : هو الموُجع .

وقوله : « يَهَبُ الجِلَّة » بالكسر ، جمع جليل ، وهى الإبل المسنَّة . والجَراجِر بجيمين ، قال صاحب الصحاح : هى العظام من الإبل . وأنشد هذا البيت . قال : وكذلك الجُرجور . وقال شارحه : ويروى الجراجير ، جمع جُرجور وهى الإبل الكثيرة . وتَحْنُو : تَعطِف . والدَّردَق : الصِّغار من أولادها ، شبَّهها بالبستان .

١٨٢

وقوله: « والبغايا » أى ويهَبُ البغايا ، قال شارحُه : البغايا هنا : أولاد الإماء . والإضريج : الأخضر من الخزّ[1] . وفى الصحاح : الشَّرعبىُّ : ضربُ من البرود .

(١) بعده فى ش : « والشرعبى : ضرب من البرود » ، فقط .

وقوله: « والمكاكيك » أى ويهبُ المكاكيك، قال شارحه: المكاكيك: آنيَة يُشرب فيها الخمر. والصِّحاف: القِصاع. والضامرات: النُّجُب من الإبل.

وقوله: « وجياداً » أى ويهبُ خيلًا جياداً. والقُضُب: جمع قضيب وهو فرعُ الشَّجر، شبَّهها به لضُمرها. والشَّوحط: ضرب من شجر الجبالِ يُتَّخذ منه القِسِيّ. قال شارحه: والشِّكَّة: السِّلاح الكامل.

وقوله: « ودروعاً » أى ويهب دروعاً. قال شارحه: الوسوق: الأَحمال، جمع وَسْق. ويُحمَلْن بالبناء للمفعول. وكذلك قوله: « لم يُنَشَّرن ».

وقوله: (رُبَّ رِفدٍ هَرَقْته) إلخ، خطابٌ مع الأَسود بن المنذر يمدحه بكثرة قتله وكثرة أسره.

وقوله: «وشيوخ» بالجر عطف على مدخول رُبَّ، وكذا قوله: «ونساءٍ»، يقدَّر فى الثلاثة سَبَيْتَهم. وحَرْبى: جمع حَريب، من حُرِب الرَّجلُ مالَه أى سُلِبَه، فهو محروبٌ وحَريب.

وقوله: « وشريكين » معطوف أيضاً على مجرور ربّ، وهو فى محل رفع على الابتداء. و« فى كثير » متعلّق به، وجملة « قَسَما » من الفعل والفاعل خبره. وصَرعَى: جمع صريع، أى مقتول. والمحالفة: المصاحبة. والإقلال: الفقر والحاجة. والطارف: المال المستحدَث. والتليد: المال القديم، وحرف العطف منه محذوف. والغُنْم بالضم: الغنيمة. وآبا: رجَعا. يقول: كانا فقيرين فلما غَزَوَا معك استغنيَا، فقسما بينهما مالَ الغنيمة الذى كان عند صاحبه طارفاً وتليداً.

قال أبو عبيد البكرى (فى معجم ما استعجم): أَريك، بفتح الهمزة وكسر الراءِ المهملة وآخره كاف: موضعٌ فى ديار غَنِىّ بن يَعصُر. وقال

أَبو عُبيدة: أَريك فى بلاد ذُبيان ، قال : وهما أَريكان: أَريكُ الأَسود وأَريكُ الأَبيض . والأَريك : الجبل الصغير . قال : وبشطِّ أَريكٍ قَتَل الأَسودُ بنى ذُبيان وبنى دُودَان ، وسَبَى نساءهم. قال الأَعشى فى مدحه الأَسودَ :

وشيوخٍ صَرْعَى بشطِّ أَريك . . . . . . البيت

ويدلُّك على أَنَّ أَريكاً جبلٌ مُشْرِفٌ قولُ جابر بن حُنَىّ[1] يصف ناقة :

تَصعَّدُ فى بطحـــاءِ عِرْقٍ كأَنَّما تَرقَّى إِلى أَعلى أَرِيكٍ بسُلَّمِ[2]

وقال الأَخفش : إِنَّما سمِّى أَريكاً لأَنَّه جبلٌ كثير الأَراك . انتهى.

وقال أَيضاً (فى شرح أَمالى القالى): هذا اليوم الذى ذكره فى قوله : « رب رفدٍ هرقته ذلك اليومَ » هو اليومُ الذى أَغار فيه الأَسودُ بن المنذر على الطَّفِّ فأَصاب نَعَماً وأَسرى من بنى سعد بن ضُبيعة رهطِ الأَعشى ، وذلك مُنصَرَفَه من غَزْو الحليفين أَسدٍ وذُبيان. وكان الأَعشى غائباً ، فلمَّا قدِم وجد الحىَّ مُباحا . فأَنشده هذه القصيدة وسأَله أَن يهَبَ له الأَسرى، ففعل . انتهى .

والطَّفُّ : موضعٌ بناحية العراق من أَرض الكوفة[3] ، وهناك الموضع المعروف بكرْبلاء ، الذى قُتِل فيه الحسين بن على [رضى الله عنهما[4]] . وقول البكرى (فى معجمه) : والصحيح أَنَّ الطَّفَّ على فرسخين من البصرة غلطٌ وخطأٌ .

وسبب غزوِ الحليفين هو ما ذكره الأَصبهانى (فى الأَغانى): أَنَّ الحارث

(١) ط : « حيى » ، صوابه فى ش ومعجم البكرى ١ : ١٤٤ والمفضليات .

(٢) البيت ١٠ من المفضلية ٤٢ ص ٢١٠ ، وفى النسختين : « تصعدن » ، تحريف ، صوابه فى المفضليات ومعجم ما استعجم ، لأنه فى صفة ناقة واحدة .

(٣) ش : « بناحية الكوفة » ، وما أثبت من ط يوافق ما فى معجم ما استعجم .

(٤) التكملة من ش .

١٨٣ ابن ظالمٍ المُرِّىَّ لمَّا قَتَل خالدَ بنَ جعفر بن كلاب العامرى ، وهو نازلٌ عند النعمان بن المنذر . سأَل الأَسودُ بنُ المنذر عن أمرٍ يَبْلُغ من الحارث ، فقال عروة بنُ عُتبة: إنَّ له جاراتٍ ، ولا أَراكَ تنالُ منه شيئاً هو أغلظ عليه من أَخذهنّ وأَخْذِ أَموالهنّ . ففعَلَ فبلغ ذلك الحارثَ بنَ ظالم . فخرج من الحيَّينِ فدخل فى غِمار الناس حتَّى عرفَ موضع جاراته ومَرعَى إبلهنَّ ، فجمعهنَّ مع أَموالهنَّ ، وسار معهنَّ حتَّى استنقذهنَّ[1] .

قال أَبو عبيدة : ولحق ببلادِ قومه مستخْفياً ، وكانت أُختهُ سَلمى بنت ظالم عند سِنان بن أَبى حارثة المرى . وكان الأَسود بن المنذر دفع إليها ابنَه شُرحبيلَ تكفُلُه ، وكانت بنتُ كَثِير[2] بن ربيعة من بنى غَنْم بن دُودان ، امرأَةُ سنانٍ تُرضعه ، وهى أُمُّ هرم ، فجاء الحارثُ بنُ ظالِم وكان قد اندسَّ فى بلاد غطفان ، فاستعار سَرْج سِنانٍ ولا يَعلم سِنان ، وهم نزولٌ بالشَّرَبَّة ، فأَتى أُختَه سلمى فقال : يقول لكِ بَعلُكِ : ابعثِى بابن الملك مع الحارث حتَّى أَستأْمن له منه[3] ، وهذا سرجُه آيةً إليك . فزيَّنته ثم دفعتْه إلى الحارث ، فأَتى بالغلامِ ناحيةً من الشَّرَبَّة فقتله وهرب ، فغزا الأَسودُ بنى ذبيان وبنى أَسدٍ إذْ نقضوا العهدَ ، بشطِّ أَريك .

قال أَبو عبيدة: هما أَريكانِ : الأَسود والأَبيض ، ولا أَدرى بأَيِّهما كانت الوقعة .

قال أَبو عبيدة : إنَّ سلمى امرأَةَ سِنان التى أَخذَ الحارثُ شرحبيلَ من عندِها من بنى أَسد ، فقتل فيهم قتلاً ذريعاً وسَبَى ، لدَفعْ الأَسديَّة ابنَه إلى الحارث . وفى ذلك يقول الأَعشى يمدح الأَسود :

---

(١) انظر الخبر بتفصيل فى الأغانى ١٠ : ٢٢ .
(٢) فى الأغانى : « وكانت سلمى بنت كثير » .
(٣) فى الأغانى : « حتى أستأمن له ويتخفر به » .

وشيوخٍ صَرْعَى بشَطِّ أريكٍ ونساءٍ كأنَّهنَّ السَّعالِى
مِن نواصى دُودانَ إذْ نقضوا العهـ ـدَ وذبيانَ والهجانِ الغوالى
رُبَّ رِفدٍ هرقتَه ذلك اليو مَ وأسرَى من معشرٍ أقتالِ
هَـؤُلاَ ثم هـؤلاَ كُلاًّ أحذيْـ ـتَ نِعالاَ محذُوَّةً بمثالِ
وأرى مَنْ عصاكَ أصبَح مخذو لاً وكعبُ الذى يُطيعُكَ عالى

قال : ووُجدتْ نعلُ شُرحبيلَ عند أُضاخ . بضم الألف وبالمعجمتين ، وهى من الشَّرَبَّة من ديار بنى مُحارب بن خَصَفَة بن قيس عيلان .

قال : فأحمى لهم الأسوُد الصَّفَا بصحراءِ أُضَاخ ، وقال لهم : إنِّى أحذِيكم نعالاً . فأمشاهم على ذلك الصَّفا فتساقط لحمُ أقدامهم . فلمَّا كان الإسلام هجا جَوشنُ الكِندىُّ بنى محارب ، فعيَّرهم بتحريق الأسود أقدامَهم ، فقال :

على عَهدِ كِسرى نَعَّلتكمْ ملوكُنا صَفاً من أُضاخَ حامياً يتلهَّبُ

وصار ذلك مثَلاً يتوعَّد به الشعراءُ .

ومثل ذلك أنَّ ابن عباد الكِلابى ، ورَدَ على بنى البُوس [1] من جديلة طيِّىء ، فسرقوا سِهاما له فقال يحذِّرهم :

بنى البُوس رُدُّوا أَسْهُمى إنَّ أسهمى كنعل شُرحبيلَ التى فى مُحاربِ

وإنَّما فعل الأسود ذلك ببنى محارب من أجل نعل شرحبيل التى وُجِدت عندهم . انتهى .

وقوله : « لن يزالوا » بالياء التحتية بضمير الغيبة الراجع لمجموع مَن ذكر ممَّن قُتلوا وأُسروا ونُهبوا من الأعداء ، وممن غزا معه وقَتَل وغَنِم من الأولياء . وقوله : « لا زلت » بالخطاب ، و« لهم » بضمير الغيبة . فظهر من هذا أنَّ روايته فى كتب النحو « لن تزالوا » بالخطاب « ولا زلتُ

(١) فى الأغانى : « النوس » : بالنون هنا وفى البيت التالى ، ولم أجد لأحدهما مرجعا .

لكم » بالتكلم والخطاب ، على خلاف الرواية الصحيحة .

وترجمة الأعشى تقدّمت فى الشاهد الثالث والعشرين من أوائل الكتاب[١] . وهو شاعرٌ جاهلىّ .

وقد اشتبه على العينى فقال : قائلُ :

ربَّ رفدٍ هرقته ذلك اليو م . . . . . . البيت .

أعشى همدان ، واسمه عبد الرحمن بن عبد الرحمن .

ولا يخفى أنَّ هذا الشاعر إسلامىٌّ فى الدَّولة المروانية زمَنَ الحجَّاج ، ولم يكن فى زمن الأسودبن المنذر .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثامن والتسعون بعد السبعمائة[٢] :

٧٩٨ (إنْ يقتلوك فإنَّ قَتْلَكَ لم يكنْ عاراً عليكَ ورُبَّ قتلٍ عارُ)

على أنَّ الأخفشَ استدلَّ به على اسميَّة (ربَّ)، فهى مبتدأٌ وعارٌ خبرها .

قال الشارح المحقق : والأَولى[٣] أنْ يكون عار خبر مبتدإٍ محذوف، والجملة صفة مجرورها .

وأقول : مفهومُه أنَّه يجوز على خلاف الأَولى ما ذكره الأخفش ، وهو خلاف ما اختار فيها من أنَّها مبتدأٌ لا خبر له ، فكان الظاهر على مذهبه أن لا يذكر الأَولَى .

ومن جعلَ رُبَّ حرف جرٍّ زائد[٤] لا يتعلَّقُ بشىءٍ قال: قتلٍ المجرور فى محل مبتدإٍ مرفوع وعار خبره ، وما فى ربَّ من معنى التكثير هو المخصِّص لابتدائية قَتْل .

---

(١) الخزانة ١ : ١٧٥ .

(٢) المقتضب ٣ : ٦٦ والبيان ١ : ٢٩٣ والأغانى ١٣ : ٥٣ والأزهية ٢٦٩ وابن الشجرى ٢ : ٣٠١ وحماسة ابن الشجرى ٩٠ والمقرب ١ : ٢٢٠ والضرائر ١٧٣ والمغنى ٢٧ ، ١٣٤ ، ٥٠٣ والتصريح ٢ : ١١٢ والهمع ١ : ٩٧ .

(٣) ط : « الأولى » ، وأثبت ما فى ش وشرح الرضى ٢ : ٣٠٨ بإثبات الواو.

(٤) فى النسختين : « زائد» صوابه بالنصب كما أثبت .

واقتصر ابن عصفور (فى كتاب الضرائر) على أنَّ الضميرَ الواقعَ مبتدأً محذوف ، والجملة صفة لقتل ، لكن جعل حذفه ضرورة .

وكذا خرجَّه ابن هشام (فى الأَشياءِ التى تحتاج إلى الربط من الباب الرابع من المغنى) ، إلاَّ أنَّه لم يقيِّده بضرورة . وقيل فيه غير ذلك .

وروى أيضاً : « وبعضُ قتلٍ عار » ، فلا شاهدَ فيه .

قال ابن السِّيد (فيما كتبه على كامل المبرد) : قال أبو العباس المبرِّد : هكذا أنشده النحويون وربَّ قتل عارُ على إضمار هو عار . وأنشدنيه المازنى : « وبعض قتلٍ عار » ، وهو الوجه .

صاحب الشاهد

والبيت من قصيدة لثابت قُطْنَةَ ، رثى بها يزيد بن المهلَّب بن أبى صُفرة ، أورد منها أربعة أبياتٍ الشَّريفُ الحُسينىُّ (فى حماسته) وبعده :

أبيات الشاهد

شهِدتْكَ من يمنٍ عصائبُ ضَيَّعتْ ... ونأى الذين بهم يُصاب الثَّارُ
ولقد بسطْتَ لهم يمينَكَ بالنَّدى ... مثلَ الفُراتِ تَمُدُّهُ الأَنهارُ
حَتَّى إذا شَرِقَ القنا ، وجعلتَهم ... تحتَ الأَسنَّة ، أسلموك وطارُوا)

واقتصر الجاحظ (فى البيان والتبيين) منها على الثلاثة أبيات[1] ، وكذلك صاحب الأغانى ، وهى :

كلُّ القبائل بايعوكَ على الذى ... تدعو إليه طائِعينَ وساروا
حَتَّى إذا حمىَ الوغَى وجعلتَهم ... نُصْبَ الأَسنَّةِ أسلموكَ وطاروا
إن يقتلوك فإنَّ قتلَكَ لم يكن ... ... البيت[2]

والعصائب : جمع عِصابة ، وهى الجماعة . وشَرِقَ القنا ، أى احمرَّت

(١) كذا فى النسختين ، وهو وجه جائز فى العربية على قبحه ، حكاه ابن عصفور كما فى شرح درة الغواص ١٣٥ . قال الخفاجى : « ووقع فى صحيح البخارى : « وأتى بالألف دينار» .

(٢) عجزه فى البيان ١ : ٢٩٣ والشعراء ٦٣١ والأغانى ١٣ : ٥٣ :

* عاراً عليك و بعض قتل عار *

وبهذه الصورة لا شاهد فيه .

الرِّماح بالدم . وأسلموك : خذلوك ولم يُعينوك . والأَسنَّة : جمع سِنان ، وهى حديدة الرمح التى يُطعنَ بها . ونُصْبَ الأَسنَّة: قُبالتَهَا وجِهتَها . والوغى : الحرب . وحَمْيها عبارةٌ عن اشتدادها .

١٨٥ وقوله: (إنْ يقتُلوكَ فإنَّ قتلكَ) أراد : إنْ يفتخروا بسببقَتلِكَ أو إنْ يتبيَّنْ أنَّهم قتلوك .

وقوله : «كلُّ القبائل بايعوك» إلخ يريد أنَّه خلع يزيد بنعبدالملكِ ورام الخلافةَ لنفسه فى البَصرة ، فجهَّز يزيد بن عبد الملك لقتاله أخاه مَسْلمة بنَ عبد الملك ، وخرج يزيد بن المهلَّب واستخلف على البصرة ولده مُعاوية بنَ يزيد ، وسار حتّى نزل العَقْر ، وهى عَقْر بابل عند الكوفة بالقُرب من كَرْبَلاء ، ثم أقبل مسلمة بن عبد الملك حتّى نزل على يزيدَ بن المهلَّب ، فاصطفُّوا ، فشدَّ أهلُ البصرة على أهل الشام فكشفوهم . ثم إنَّ أهل الشام كثُرُوا عليهم فكشَفُوهم ، وما زال الحربُ بينهم ثمانيةَ أيَّام حتَّى كان يومُ الجمعة لأربع عشرةَ ليلةً مضت من صَفَرَ[1] سنةَ اثنتين ومائة ، وشرع أصحاب ابنالمهلَّبِ يتسلَّلون من حوله ، وبقيت معه جماعة ، فقاتل حتَّى قُتِل هو وأخوه محمد بن المهلَّب ، وجماعةٌ من أهله .

ثابت قطنة وثابت قطنة هو (كما فى الأَغانى) ثابت بن كعب ، وقيل : ابن عبد الرحمن بن كعب ، ويكنى أبا العلاء ، أخو بنى أسد بن الحارث ابن العَتيك . وقيل بل هو مولًى لهم.ولقِّب قطنة لأنَّ سهماً أصاب إحدى عينيه فذهبَ بها فى بعضِ حروب التُّرك ، فكان يحشوها قُطنة . وهو شاعرٌ فارسٌ شجاع ، من شعراءِ الدَّولة الأَمويَّة . وكان من أصحاب

(١) يقول النحاة إن رجب وصفر يمنعان من الصرف إن أريد بهما معين . انظر يس على التصريح ٢ : ١٢٥ .

يزيدَ بن المهلَّب ، وكان يولِّيه أعمالاً من أعمال الثغور ، فيُحمَدُ فيها مكانُهُ ، لكفايته[١] وشجاعته . وكان ولىَ عملاً من أعمال خُراسان ، فلمَّا صعِد المنبر يَومَ الجُمعة رامَ الكلامَ فتعذَّر عليه وحَصِرَ، فقال : « سيجعل اللهُ بعدَ عُسْرٍ يُسرًا ، وبعد عِيٍّ بياناً ، وأنتم إلى أميرٍ فعَّالٍ، أحوجُ منكم إلى أمير قوَّال .

وإلاَّ أكنْ فيكم خطيباً فإنَّنى بسيفى إذا جدَّ الوغَى لَخَطيبُ[٢] »

فبلغت كلماتُه خالدَ بن صفوانَ ، وقيل الأَحنف بن قيس، فقال : والله ما علا المنبرَ أخطبُ منه فى كلماتهِ هذه ، ولو أنَّ كلاماً استخفَّنى فأخرجنى من بلادى إلى قائله، استحساناً له، لأَخرجَتْنى هذه الكلماتُ[٣] .

ورُوى عن دِعبل بن على قال : كان يزيد بن المهلب تقدَّم إلى ثابت قطنة أنْ يصلِّىَ بالناس يَومَ الجمعة ، فلمَّا صعِدَ المنبر ولم يُطِق الكلامَ قال حاجبٌ الملقَّب بالفِيل ، ابن ذبيان المازنى[٤] :

(١) فى الأغانى ١٣ : ٤٧ : « لكتابته » ، وما هنا صوابه .

(٢) فى الشعراء ٦٣٠ أن يزيد بن المهلب استعمله على بعض كور خراسان، فلما علا المنبر حصر فلم ينطق حتى نزل ، فلما دخل عليه الناس قال :

فإلا أكن فيكم خطيباً فإننى بسيفى إذا جد الوغى لخطيب

فقالوا : لو كنت قلت هذا البيت على المنبر كنت أخطب الناس . ونحو هذه الرواية فى العقد ٤ : ١٤٧ – ١٤٨ . لكن ذكر أن الخطبة كانت بسجستان، وانظر أمالى المرتضى ٢ : ١٠٥ . والذى فى الطبرى ٧ : ٣٨ أنه خطب أهل خراسان فحصر فقال: « من يطع الله ورسوله فقد ضل ! ». وأرتج عليه فلم ينطق بكلمة ، فلما نزل عن المنبر قال :

إن لم أكن فيكم خطيباً فإننى بسيفى إذا جد الوغى لخطيب

فقيل له : لو قلت هذا على المنبر لكنت خطيباً .

هذا إلى أن الخطبة التى رواها البغدادى عن أبى الفرج، منسوبة إلى يزيد بن أبى سفيان فى الكامل ٥٧ والعقد ٤ : ١٤٧ قالها حين ولاه أبو بكر الصديق ربعاً من أرباع الشام . وهى أيضا منسوبة إلى عثمان بن عفان فى أمالى المرتضى ٢ : ١٠٣ والبيان ١ : ٣٤٤ .

(٣) فى العقد : « فبلغ ذلك عمرو بن العاص فاستحسنه »، يعنى كلام يزيد بن أبى سفيان : وكذلك أيضاً فى الكامل : « فبلغ كلامه عمرو بن العاص فقال : هن مخرجاتى من الشام ، استحسانا لكلامه » .

(٤) وكذا فى الأغانى ، وصوابه «بن دينار»، كما فى الحيوان ١ : ١٩١ والبيان ٢ : ١٨٣.

أبا العلاءِ لقد لُقِّيتَ معضِلةً يومَ العَرُوبة من كَربٍ وتحنيقِ[١]
أمَّا القُرَانُ فلم تُخلَقْ لمحكَمِهِ ولم تُسدَّد من الدُّنيا لتوفيقِ[٢]
لمَّا رَمتْكَ عيونُ النَّاس هِبتَهمُ فكِدتَ تشرَقُ لَمَّا قُمْتَ بالرِّيقِ[٣]
تَلوِى اللِّسانَ وقد رُمْتَ الكلامَ به كما هوى زَلِقٌ من شاهِقِ النِّيقِ[٤]

ومن هَجْوِه فيه :

لا يعرفُ النّاسُ منه غيرَ قُطنتهِ وما سِواها من الأَنسابِ مجهولُ

قال دِعْبِل : بلغنى أَنَّ ثابت قطنة قال هذا البيت فى نفْسِه، وخطر بباله يوماً فقال :

لا يعرف الناس منه غير قُطنته ... ... البيت

وقال : هذا بيتٌ سوف أُهجَى به . وأَنشدَه جماعةً من أَصحابه وأَهل الروايةِ وقال : : اشهَدوا إنِّى قائلُه . فقالوا : ويحك ما أَردت أَن تهجوَ نفسك به ؟ ! ولو بالغ عدوُّك ما زاد على هذا . فقال : لابد من أَنْ يقع على خاطر غيرى فأَكونُ قد سبقتُه إليه فلما هجاه به حاجبُ الفيلُ استشهَدَهم على أَنّه هو قائله . فشهدوا على ذلك ، فقال يردُّ على حاجب :

هيهات ذلك بيتٌ قد سُبِقْتَ به فاطلبْ له ثانياً يا حاجبُ الفيلُ

١٨٦ قال أَبو الفرج الأَصبهانى : نسخت من كتابٍ بخط المُرْهِبىّ الكوفى (فى شعر ثابت قطنة) قال : لمّا ولِىَ سعيدُ بن عبد العزيز بن الحارث

---

(١) الأبيات فى الشعراء ٦٣٠ والطبرى ٧ : ٣٨ وأمالى المرتضى ٢ : ١٠٥ . المرتضى : « لقد لاقيت » . و«تحنيق» كذا وردت بالأغانى وأمالى المرتضى. وفى سائر المراجع : « تخنيق » بالخاء المعجمة .

(٢) المرتضى : « فلا تهدى لمحكمه » . وفى الطبرى :
أما القران فلا تهدى لمحكمه من القران ولا تهدى لتوفيق

(٣) الطبرى :
لما رمتك عيون الناس ضاحية أنشأت تجرض لما قمت بالريق

(٤) الطبرى والمرتضى : « إذا رمت الكلام به » . والنيق : بالكسر : أرفع موضع فى الجبل .

ابن الحكَم بن أَبى العاص بن أُميّة خراسان، بعد عَزْل عبد الرحمن بن نُعيم ، جلسَ يَعرض النَّاس . وعنده حُميدٌ الرُّؤاسى ، وعُبادة المحاربى ، فلمَّا دعا بثابت قطنة تقدَّم ، وكان تامَّ السِّلاح جوادَ الفَرَس ، فارساً من الفُرسان ، فسأَل عنه فقيل : هذا ثابت قُطنة ، وهو أَحد فُرسان الثُّغور. فأَمضاهُ وأَجاز على اسمه . فلمَّا انصرفَ قال له حُميد، وعُبادة : هذا أَصلَحكَ الله الذى يقول :

إنَّا لضَرَّابونَ فى حَمَسِ الوغَى ... رَأسَ الخليفة إن أرادَ صدودا

فقال سعيد : علىَّ به . فردُّوه وهو يريد قتله ، فقال له : أَنت القائل : « إنا لضَرَّابون » البيت ؟ فقال : نعم أنا القائل :

إنّا لضَرَّابُون فى حَمَس الوغَى ... رأَسَ المتوَّجِ إن أَرادَ صُدودا
عن طاعةِ الرَّحمن أَو خُلفائِه ... إن رام إفساداً وكَرَّ عُنُودا

فقال سعيد : أَولَى لك ، لولا أَنَّك خرجتَ منها لضربتُ عنقُك .

وروى الأَصبهانى بسنده إلى أَبى عُبيدة قال : كان ثابت قطنة قد جالس قوماً من الشُّراة وقوماً من المُرْجئة ، كانوا يجتمعون فيتجادلون بخراسان ، فمال إلى قول المرجئة وأَحبَّه ، فلما اجتمعوا بعد ذلك أَنشدهم قصيدةً قالها فى الإرجاء :

يا هند إنى أظنُّ العيشَ قد نَفِدَا ... ولا أَرى الأَمر إلاَّ مُدبِراً نَكِدَا
إنِّى رهينةُ يومٍ لستُ سابقَه ... إلاَّ يكن يومنا هذا فقد أَفِدا
بايعت ربِّىَ بيعاً إنْ وفَيتُ به ... جاورْتُ قبلى كراماً جاورُوا أُحدا(١)
يا هند فاستمعى لى إنَّ سيرتنا ... أَنْ نعبد الله لم نُشرِ كْ به أحدا
نُرْجِى الأُمورَ إذا كانت مشبَّهةً ... ونصدُقُ القولَ فيمن جارَ أَو عَنَدا
المسلمون على الإسلام كلُّهُمُ ... والمشركون استوَوا فى دينهم قِددَا(٢)

(١) فى الأغانى : « قتلى كراما » يشير إلى قتلى أحد وشهدائها .

(٢) ط : « أشتوا دينهم » ش : « أشتروا دينهم » ، صوابهما من الأغانى ١٣ : ٥٠ .

ولا أرى أنَّ ذنباً بالغٌ أَحَـداً م ِالناس شِركاً إذا ماوحَّدُوا الصَّمَدا
لا نَسفِكُ الدَّمَ إلاَّ أَنْ يُراد بنا سَفكُ الدماءِ طريقاً واحداً جَدَدا[1]
من يتَّقِ اللهَ فى الدُّنيـا فإنَّ له أَجرَ التقىِّ إذا وفَّى الحِسابَ غدا
وما قضى اللهُ من أمرٍ فليس له ردٌّ وما يَقْضِ من شىءٍ يكنْ رَشَدا
كلُّ الخوارج مُخْطِءٍ فى مقالتـه ولو تعبَّد فيما قال واجتهـدا
أمَّا علىٌّ وعثمـانٌ فإنَّهمـا عَبـدان لم يُشرِكا باللهِ مذ عَبَدا
١٨٧ وكان بينهما شَغْبٌ وقـد شَهِدا شَقَّ العصـا وبعَيْنِ اللهِ ما شَهِدا
يُجزَى علىٌّ وعثمانٌ بسَعْيِهما ولستُ أدرى بحقٍّ أَيَّةً وَرَدا
اللهُ يعـلم ماذا يحضُـران به وكلُّ عبـدٍ سَيَلْقى اللهَ مُنفردا

وأطال الأَصبهانى ترجمته ، وفيما أوردنا كفاية .

* * *

وأنشده بعده :

(يارَبَّ هَيْجَا هى خيرٌ من دَعَه)

وتقدم شرحُه قبل بيتين .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد التاسع والتسعون بعد السبعمائة[2] :

٧٩٩ (رُبَّما ضَربةٍ بسَيفٍ صَقيلٍ بَيْنَ بُصْرَى وطَعْنةٍ نَجْلاءِ)

على أنَّ ما المتَّصلة بربَّ فيه زائدة لا كافَّة ، ولذا عملتْ رُبَّ الجرَّ فى ضربةٍ .

---

(١) الجدد ، بفتحتين : الأرض الصلبة ، وقيل المستوية . وفى المثل : « من سلك الجدد أمن العثار » .

(٢) معجم المرزبانى ٢٥٢ والأزهية ٨٠ ، ٩٤ وابن الشجرى ٢ : ٢٤٣ وحماسة ابن الشجرى ٥١ والمغنى ١٣٧ ، ٣١٢ والعينى ٣ : ٣٤٢ والهمع ٢ : ٣٨ والتصريح ٢ : ٢١ والأشمونى ٢ : ٢٣١ والأصمعيات ١٥٢ .

ومن العجائب قولُ العينى : كلمة ربَّ دخلت عليها ما الكافّة ، ولكنَّ ما كفَّتها عن العمل ههنا ، ولهذا جرّت ضربة . انتهى .

وقوله : (بسيفٍ) متعلّق بضربة . (صَقيل) بمعنى مصقول ، أى مجلوٍ ، صفة لسيف . و(طعنةٍ) بالجر معطوف على ضربة . و (نجلاء) بالنون والجيم . والنجلاءُ : الواسعة البيِّنة الاتِّساع ، من قولهم : عينٌ نَجْلاءُ ، أى واسعة . وهى صفة طعنة ، وجرُّها بالكسرة للضَّرورة . وقوله : (بين بُصرَى) ظرف متعلِّق بضربة ، ويقدَّر مثله لطعنة . و (بُصرَى) بضم الموحَّدة وسكون الصاد المهملة والقصر : بلدٌ قربَ الشَّام هى كرسيُّ حَوْران ، كان يقوم فيها سوقٌ للجاهليَّة . وقد قدِمَها رسولُ الله صلى الله عليه وسلم مرَّتين : مرَّةً مع عمِّه أبى طالب ، وأُخرى فى تجارة لسيِّدتنا خديجة أمِّ المؤمنين رضى الله عنها . وإنَّما صحَّ إضافة بينَ إلى بُصرى لاشتمالها على متعدِّدٍ من الأمكنة ، أى بين أماكن بُصرى ونواحيها .

وروى الشريف الحُسَينى (فى حماسته): « دُونَ بُصَرى » . ودون هنا بمعنى قَبْلَ ، أو بمعنى خَلْف . وقال العينى : بمعنى عند .

صاحب الشاهد

والبيت أَوّل أَبياتٍ سِتٍّ لعدىِّ بن الرَّعلاءِ الغَسَّانى ، أَوردها الأَعلم والشريف الحسينى (فى حماستيهما) . وبعده :

أبيات الشاهد

(وغموسٍ تَضِلُّ فيها يدُ الآ ... سِى وَيَعْيَا طبيبُها بالدَّوَاء
رفَعوا رايةَ الضِّرابِ وأَعلَوْا ... لا يذودُونَ سامرَ المَلْحاء
فصَبَرنا النُّفُوسَ للطَّعنِ حتَّى ... جَرَت الخيلُ بينَنَا فى الدِّماء
ليس مَنْ مات فاستراح بمَيْتٍ ... إنَّما الميْتُ ميِّتُ الأَحياء
إنَّما الميْتُ من يعيشُ كئيباً ... كاسفاً بالُه قليلَ الرَّخاء[2]

(١) فى حماسة ابن الشجرى والأصمعيات : « وآلوا ليذودن سائر البطحاء » .

(٢) كذا فى نص البيت وشرحه وهو يطابق ما فى معجم المرزبانى ٢٥٢ . والمعروف : « قليل الرجاء » .

وقوله: « وغَموس » بالجرّ عطف على نجلاء ، يقال طعنة غموسٌ : نافذة . وقوله : « تضلُّ فيها » إلخ صفةٌ كاشفة لغَموس ، أشار به إلى سَعَة الطعنة وبُعْدِ غَوْرها . والآسى : المُعالج الجِراح . ويَعيا ، من عَيِيَ بالأمر ، من باب تعِب : عَجَز عنه ولم يهتدِ لوجهه . وفيه إشارةٌ إلى إصابة الطعنةِ المقْتَلَ واليأْسِ من علاجها .

وقوله : « رفعوا رايةَ الضِّراب » إلخ الراية : علَمَ الجيش ، قيل أصلُها الهمز ، لكنَّ العرب آثرت تركه تخفيفاً . وقد أُنكِرَ هذا القولُ بأَنَّه لم يُسمع الهمزُ أَصْلاً . والضِّراب : مصدر ضاربه بالسَّيف وغيره مضاربةً وضِراباً . وقوله : « وأَعْلَوْا » معطوف على رفَعوا ، وإنَّما رفعوا الراية وأَعلَوْها تأْكيداً للضِّراب وتشديداً . ويذودون : يطرُدون ويَمنعون . والسامر : اسمُ جمع بمعنى السُّمَّار ، وهم القوم يتحدَّثون باللَّيل . والمَلْحاءُ ، بفتح الميم والحاء المهملة : موضعٌ يَدفع فيه وادى ذى الحُلَيفة . كذا قال البكرى (فى المعجم[1]) . وهذا المصراع هو معنى قوله : « رفعوا راية الضِّراب » .

١٨٨

وقوله : « فصبرْنا النُّفوسَ » أى حبسناها .

وقوله : « إنَّما الميْتُ » إلخ الميْت بسكون الياء : مخفف ميِّت بتشديدها . وفَرقَ بعضهُم بأَنَّ الأوّل مَنْ وقعَ عليه الموت ، والثانى هو الحيُّ الذى سيموت . وقد ضمَّن البحترىُّ هذا البيت فى أمردَ طلعت لحيتهُ ، فقال :

يا قتيلاً باللِّحيـة السـوداء   آفةُ المُردِ فى خُروجِ اللِّحاء[2]

---

(١) وفى اللسان (ملح ٤٤٥) أن الملحاء كتيبة كانت لآل المنذر . وفيه أيضا أن الملحاء والشهباء كتيبتان كانتا لأهل جفنة .

(٢) فى ديوان البحترى ٨ هندية و ١ : ٤٩ صيرفى : « للحية السوداء » على أن سواد لحيته قضى على جماله بعد أن كان أمرد بضاً . وأصل اللحاء : قشر الشجرة ، كنى بها عن اللحى . وبين هذا البيت وتاليه فى الديوان :

آجر الله عاشقيك فقد مـ   ـت وعريت من ثياب البهاء

شاهدى فى ادِّعاء موتِكَ بيتٌ   قاله شاعرٌ من الشُّعراء [١]
ليس مَنْ مَات فَاسْتَرَاحَ بميْتٍ   إنَّمـــا الميْتُ ميِّتُ الأَحيـــاء

والكئيب : الحزين . وكاسفاً وقليلاً [٢] منصوبان ، من كسفَت حالُ الرَّجل ، من باب ضرب ، إذا ساءت . والبال : الحال فاعل كاسفاً . والرَّخاءُ بالخاء المعجمة : اسمٌ من رخِيَ العيشُ ورَخُو ، من بابَي تعب وقرب ، إذا اتَّسع ، فهو رخيٌّ على فعيل [٣] .

وهذا البيت أَورده ابن هشام (فى المغنى) على أَنَّ الحال قد يتوقَّف معنى الكلام عليها كما هنا ، فإنَّ كئيباً حال ولا معنى لمَا قبله بدونه .

وهذه الأَبياتُ من قصيدةٍ أَوردَا [٤] منها هذا المقدار .

وبعد السادس :

(فأُناسٌ يُمصِّصـــون عِشارًا   وأُناسٌ حُلوقُهم فى الماءِ [٥])

ومنهـــا :

(كَمْ تركنا مِنكُمْ بعينِ أُباغٍ   مِن مُلوكٍ وسُوقةٍ أَلقاءِ [٦]
فرَّقَتْ بينهمْ وبين نَعيمٍ   ضَربةٌ فى صفيحةٍ نجـــلاءِ [٧])

والعِشار : جمعُ عُشَراء ، وهى النَّاقة . وأُباغ بضم الهمزة وفتحها بعدها

---

(١) فى الديوان : « فى بيان موتك بيت » .
(٢) ط : « وقليل » ، صوابه فى ش مع أثر تصحيح .
(٣) سبق التنبيه على أن الرواية المعروفة : « قليل الرجاء » .
(٤) يعنى كلا من الأعلم الشنتمرى والشريف الحسينى المعروف بابن الشجرى .
(٥) فى معجم المرزبانى : « يمصصون ثمادا » . والثماد كالثمد بالفتح ، والثمد بالتحريك : الماء القليل . صور بذلك تباين الحظوظ وتخالف الجدود . فهى الرواية الجيدة .
(٦) ط : « كم تركناكم » ، صوابه فى ش . والألقاء : جمع لقى كفتى ، وهو الشىء الملقى . وفى معجم المرزبانى : « ألفاء » بالفاء : جمع لقى بوزن لَقًى أيضاً ، وهو الشىء المطروح .
(٧) فى معجم المرزبانى : « ضربة من صفيحة » ، والصفيحة : إحدى صفائح الرأس ، وهى قبائله ، وهذا المعنى يتجه مع رواية الخزانة . كما تتجه الرواية الأخرى بتفسير الصفيحة بأنها السيف العريض .

موحَّدة ثم غين : موضع بطرف الشام . وهنالك أَوقعَ الحارثُ الغسَّانى الحرَّاب ، وهو يَدِين لقَيْصر ، بالمنذر بن المنذرَ وبعرب العراق ، وهم يدينون لكسرى ، وقُتِل المنذرُ يومئذٍ ، قتله شَمِر بن عمرو من بنى حنيفة . كذا فى المعجم للبكرى .

عدى بن الرعلاء

وعدِىُّ بن الرَّعلاءِ شاعرٌ جاهلى . والرَّعلاءُ اسمُ أُمِّه اشتَهر بها . وهى بفتح الراء وسكون العين المهملتين بعدها لامٌ فأَلف ممدودة . كذا ضبطه العسكرى (فى كتاب التصحيف[1]) .

* * *

وأَنشد بعده :

(ماوىَّ يا رُبَّتَما غارَةٍ)

وتقدّم شرحه قريباً[2] .

* * *

وأَنشد بعده ، وهو الشاهد الموفى للثمانمائة[3] :

٨٠٠ (رُبَّما الجاملُ المؤبَّلُ فيهمْ وعَنَاجيجُ بينهنَّ المِهـارُ)

على أَنَّ رُبَّ المكفوفة بما لا تدخل على الفعل عند سيبويه . وهذا البيت شاذٌّ عنده لدخول ربَّ المكفوفة فيه على الجملة الاسمية ، فإِنَّ الجامل مبتدأٌ ، والمؤبَّل صفته ، وفيهم هو الخبر . وتكون ربَّ كما قال أَبو حيان من حروف الابتداء تدخل على الجمل فعليةً كانت أَو اسميّة للقصد إلى تقليل النِّسبة المفهومة من الجملة . فإِذا قلت : ربَّما قام زيد ، كأَنَّك قلَّلت النسبة المفهومة من قيام زيد . وكذلك إذا قُلت : ربَّما زيد

١٨٩

(١) كتاب التصحيف ١٠ والنص فيه محرف فليصحح .

(٢) هو الشاهد ٧٦٠ فى هذا الجزء . وقد أعاده قبل الشاهد ٧٦٠ . وتمامه :

* شعواء كاللذعة بالميسم *

(٣) الأزهية ٩٣ وابن الشجرى ٢ : ٢٤٣ ورصف المبانى ١٩٣ ، ٣١٨ والمغنى ١٣٧ ، ٣١٠ والعينى ٣ : ٣٢٨ والتصريح ٢ : ٢٢ والهمع ٢ : ٢٦ ، ٣٨ والأشمونى ٢ : ٢٣٠ ، ٢٣٢ وديوان أبى دواد ٣١٦ .

شاعر، قلَّلت نسبة شعر زيد. ونقل التِّبريزى عن المصنف (فى شرح هذه المقدمة) أنّ ربَّ المكفوفة نُقلت من معنى التقليل إلى معنى التحقيق، كما نُقلت قد الداخلة على المضارع فى نحو قوله تعالى: ﴿ قد يَعْلَمُ مَا أَنتُم عليه[1] ﴾ من معنى التقليل إلى معنى التحقيق. ودخولُها على الجملة الاسميَّة مذهبُ المبرِّد والزمخشريِّ، وابن مالك. قال (فى التسهيل) : وإنْ ولىَ ربَّما اسمٌ مرفوعٌ فهو مبتدأٌ بعده خبرٌ، لا خبر مبتدإٍ محذوف. وما نكرةٌ موصوفة، خلافاً لأَبى علىّ. انتهى.

فما عند أَبى علىّ بمعنى شىء، والجامل خبر مبتدإٍ محذوف، أى هو الجامل، والجملة الاسمية صفة له، فيكون كقوله:

يا رُبَّ هَيْجا هى خيرٌ من دَعَه[2]

وقد تُطَلَق على ذَوِى العلم. حكى أبو زيد: « سبحانَ ما سخَّرَكُنَّ لنا » وقال تعالى: ﴿ والسَّماءِ وما بَناها[3] ﴾. وقال الشاعر[4] :

* ربَّما ظاعنٌ بها ومُقِيمُ[5] *

أى ربَّ إنسانٍ هو ظاعن بقلبهِ مع أَحبَّته الذين ظعنوا عن بلدته. قال المرادى (فى شرح التسهيل) : وخرَّجه ابن عصفورٍ على تخريج أَبى علىّ. ونسبه بعضُهم إلى الجمهور، قال: وهو الصحيح، إذْ لو كان ما اختاره المصنِّف [لسُمِعَ[6]] من كلامهم: رُبَّما زيدٌ قائم، بتصريح المبتدإ والخبر. ولم يُسمَع ذلك فيما أعلم. انتهى.

---

(١) الآية ٦٤ من سورة النور.
(٢) للبيد. وهو الشاهد ٧٩٦.
(٣) الآية ٥ من سورة الشمس.
(٤) هو أبو دواد. ديوانه ٣٤٢ ومعجم ما استعجم ١ : ٢٣٠.
(٥) صدره: * سالكات سبيل قفرة بدى *
وبدى على وزن فعلى: موضع بالبادية كما فى معجم البكرى عند إنشاد البيت.
(٦) التكملة من ش.

أقول : قائل هذا أبو حيان .

فإن قلت : أليس الخبر وهو فيهم مصرَّحاً فى البيت فكيف يدَّعى عدم السماع . قلت : له أن يمنعَه بجعله ظرفاً مستقَرًّا على أنه حالٌ من الضمير فى المؤبّل . لكنَّ ما ذهب إليه فاسد ، لأنَّه صحَّح مذهب الفارسى بما أبطله ، لأنَّه هو القائل بأنَّ المرفوع بعد ربَّما خبر مبتدإ ، أى ربَّما هو الجامل . فذهب إلى أنَّه لو كان هذا التقدير صحيحاً لسُمِع من كلامهم : ربَّما زيد قائم ، لكن لم يُسمع . فيلزم من هذا أنَّ ما ذهب إليه الفارسىُّ باطلٌ من إضمار المبتدإ وإظهار الخبر ، إذْ لو جاز لسمع إظهار المبتدإ والخبرِ فى كلامهم . على أنّا نقول : قد يمكن أن يكون فى البيت ما يوجب تصحيح ما يريد إبطاله ، بجعل الجامل مبتدأً وفيهم الخبر ، والجملة صفة لما ، وهى بمعنى ناس ، ولا حذف ، لصحَّة المعنى عليه ، فيكون الجزءان قد سُمعا بعد ربَّما . وهو عينُ ما ادَّعى عدمَ سماعه . والله أعلم .

حب الشاهد

والبيتِ من قصيدةٍ طويلة عدّتُها ثمانيةٌ وسبعون لأَبى دُوَاد الإيادىّ . وهذه أبياتٌ مِن أوَّلها :

ت الشاهد

(أوحشَتْ من سُروبِ قومِى تِعارُ ... فأرومٌ فشـابَةٌ فالسِّـتارُ
بعد ما كان سَرْبُ قومِىَ حِيناً ... لهمُ الخيلُ كلُّها والبحارُ [(١)]
فإلى الدُّور فالمَرَوْراةِ منهمْ ... فَحِفيرٌ فناعمٌ فالدِّيارُ [(٢)]
فَقَدَ امسَتْ ديارُهم بَطْنَ فَلْج ... ومَصِـيرٌ لصَيفِهِمْ تِعشـارُ
ربَّما الجـامِلُ المؤبَّلُ فيهـم ... وعَنَاجيجُ بينَهنَّ المِهـارُ
ورجالٌ من الأَقارب بانُوا ... مِن حُذَاقٍ هم الرءُوسُ الخيارُ
١٩٠ وجَوادٌ جَمُّ النَّـدى ، وضَروبٌ ... بِرقاقِ الظُّباتِ ، فيـه صَعَـارُ
ذاك دهرٌ مضَى فهـلْ لدهورٍ ... كنَّ فى سالف الزَّمان انكرارُ)

(١) فى الديوان ٣١٦ : « لهم النخل » .

(٢) فى الديوان : « فحفير » بالحاء المهملة .

قال شارحُ ديوانه يعقوبُ بن السكيت : أَوحشت : أقفرت. وسُروبٌ : جمع سَرْب بفتح فسكون: المال السَّارحُ من إبلٍ وخيل. وتِعارٌ، وأروم، وشابة ، والسِّتار : مواضع ، والأَوَّل بكسر المثناة الفوقية بعدها عين مهملة . والثانى بفتح الهمزة وضم الراء المهملة ، والثالث بالشين المعجمة والباء الموحدة ، والرابع بكسر السين المهملة بعدها مثناة فوقيَّة . والبحار: الرِّيف. قال الأَصمعى : وكذلك البُحور : الريف .

وقوله « فإلى الدُّور » إلخ قال شارحه : الدُّور : جُوَب تنجاب فى الرَّمل . وما بعد الدُّورِ فأَسماءُ مواضع ، والأَوَّل بفتح الميم والراء ، والثانى بفتح الجيم وكسر الفاء ، والثالث بالنون وكسر العين المهملة . وفَلْج بفتح الفاءِ وسكون اللام بعدها جيم . وكذلك تِعْشار بكسر المثنَّاة الفوقيَّة وسكون العين المهملة بعدها شين معجمة . قال شارحه : أى يحضُرون فى الصيف تِعشارا[1] .

وقوله: (ربَّما الجامل) إلخ . قال شارحه: الجامل : الجماعة من الإبل ، لا واحد لها من لفظها . ويقال إبلٌ مؤبَّلة إذا كانت للقُنْية . والعناجيج : الخيل الطِّوال الأَعناق ، واحدها عُنجوجٌ. انتهى . فالجامل: اسمُ جمعِ الجَمل ، كالباقر اسم جمعِ البقر. وقال الجوهرىّ : الجامل : القطيع من الإبل مع رُعاته وأربابه . و (المؤبَّل) : اسم مفعول من أَبَّل الرّجلُ تـأْبيلاً، أى اتَّخذ الإبل واقتناها. وضمير (فيهم) راجعٌ لقومه إن كانت ما بمعنى شيءٍ أو كافَّة، ولِمَا[2] ، إن كانت بمعنى ناس. و(عناجيجُ) بالرفع معطوف على الجامل . وجملة (بينهنَّ المِهار) صفة لعناجيج ،

---

(١) ش : « تعشار » .

(٢) أى ولكلمة « ما » . وفى ط : « وأما » ، صوابه فى ش .

فالرابط محذوف أى فيهم . والمِهار : جمع مُهْر ، بكسر الميم فى الجمع وضمِّها فى المفرد ، وهو ولد الفرس ، والأنثى مُهْرة .

قال أبو حيَّان (فى الارتشاف) : ورواه بعضهم : « ربَّما الجاملِ » بجر الجامل على أنَّه مجرورٌ برُبَّ وما زائدة .

وقوله : « ورجالٌ من الأقارب » إلخ بانوا : بعُدوا . وحُذاق : مرخَّم حُذاقة فى غير النداء ، وهو بضم المهملة بعدها ذالٌ معجمة وقاف . قال شارحه : حُذاقة : بطنٌ من إياد . ورجالٌ بالرفع معطوف على الجامل ، ومن الأقارب فى موضع الصفة لرجال ، وبانوا خبر رجال . ومن حُذاق متعلِّق ببانوا .

وقوله : « وجواد » إلخ الجواد : الكريم . وجمُّ النَّدَى : كثير المعروف. والنَّدى : السَّخاءُ ، يقال فلانٌ أندى من فلان كفًّا . والظُّباتُ : جمع ظُبَة ، وهى طرف السَّيف . والصَّعار ، بفتح المهملتين : العَظَمة والخُيَلاءُ . كذا فى شرحه . وجوادٌ معطوف على الجامل ، وجمٌّ نعته ، وضَروبٌ معطوف على جَمّ ، وجملة « فيه صَعَار » خبر جواد .

وقوله « انكرار » قال شارحه : هو انفعال من كرَّ يَكُرُّ .

أبو دواد الإيادى

وأبو دُواد بدالين مهملتين أُولاهما مضمومة ، بعدها واو : شاعر جاهلى . وقال ابن قتيبة (فى كتاب الشعراء) قال بعضُهم : اسمه جارية ابن الحجّاج . وقال الأصمعىّ : هو حَنظلة بن الشَّرْقىّ . وكان فى عَصْر[1] كعب بن مامةَ الإيادىّ ، الذى آثَرَ بنصيبه من الماء رفيقَه النَّمِرىَّ ، فمات عَطشاً ، فضُرب به المثل فى الجُود . ورثاه أبو دُوَادٍ بقصيدةٍ منها :

لا أَعُدُّ الإِقتارَ عُدماً ولكنْ فَقْدُ مَنْ قدْ رُزِئتُه الإعدامُ

(١) ط : « مصر » ، صوابه فى ش .

مِنْ رجالٍ من الأقاربِ بادُوا من حُذاقٍ همُ الرءُوسُ العِظامُ[(١)]

١٩١ فيهــمُ للمُــلاينين أنـاةٌ وعُـرامٌ إذا يُراد عُرامُ[(٢)]

فعلَى إثرهمْ تَسَاقَطُ نفسِى حَسَراتٍ ، وذكرُهمْ لى سَقَامُ

وكان أجاره بعضُ الملوك فأحسن به[(٣)] . فضُرب المثلُ بجار أبى دُوَاد . قال طرَفة :

إنِّى كفانىَ من أمرٍ هممتُ به جارٌ كجار الحُذاقىِّ الذىانتصفَا[(٤)]

وهو أحدُ نُعَّاتِ الخيل المجيدين . قال الأصمعى : هم ثلاثة : أبودُوادٍ فى الجاهلية ، وطُفَيل ، والجَعدىّ . قال : والعربُ لا تَروى شعر أبى دُواد وعدىّ ، لأنَّ ألفاظهما ليست بنجْديّة .

ويقال : إنَّما أجاره الحارث بن همَّام بن مُرَّة بن ذُهل بن شيبان . وذلك أنَّ قُباذَ سرَّح جيشاً إلى إيادٍ ، فيهم الحارث بنُ همّام ، فاستجار به قومٌ من إيادٍ فيهم أبو دُواد ، فأجارهم . قال قيسُ بنُ زهير ابن جذيمة :

أطوِّف ما أطوِّف ثم آوِى إلى جارٍ كجــار أبى دُوادِ

---

(١) فى الديوان ٣٣٨ والأصمعيات ١٨٧ : « فادوا » بالفاء، بمعنى هلكوا أيضا .

(٢) فى الديوان والأصمعيات : « فهم للملائمين أناة » و « يراد العرام » .

(٣) الجار يطلق على من يجير المستجير ، كما يطلق على الحليف والناصر أيضاً ، وفى اللسان (جور ٢٢٦) : « ويقال للذى يستجير بك جار ، وللذى يجير جار » ، وفى الشعر والشعراء ٢٣٧ : « وكان بعض الملوك أخافه ، فصار إلى بعض ملوك اليمن فأجاره فأحسن إليه » .

(٤) البيت لم يرد فى ديوان طرفة ، وأنشده فى اللسان (وصف) وفى ش : « من هم هممت به » ، وما أثبت من ط يوافق ما فى أمثال الميدانى (جار كجار أبى دواد) ، والحذاق هو أبو دواد . ورواية اللسان والميدانى : « الذى اتصفا » وفسره ابن منظور بقوله : « أى صار موصوفاً بحسن الجوار » ، والميدانى بقوله : « أى صار الجواد ، يعنى كعباً » . وما عند الميدانى مبنى على رواية أن كعب بن مامة هو الذى أجار أبا دواد .

وقيل للحطيئة : من أشعر الناس ؟ قال : الذى يقول :

لا أَعُدُّ الإقتارَ عُدْماً ولكن فَقْدُ مَن قد رُزِئتُه الإعدامُ

الأبيــات .

ويُتَمَثَّل [1] مِن شعره :

أكلَّ امرئٍ تَحسَبِينَ امرأً ونارٍ تَحرَّقُ بالليلِ نارا [2]

ومما سَبَق إليه فأُخذ عنه قوله :

نرى جارَنا آمناً وسْطنا يَرُوح بعَقْـدٍ وثيقِ السَّبَبْ [4]

إذا ما عقَـدْنا له ذِمّةً شـدَدنا العِنـاجَ وعَقْدَ الكَرَبْ

أخذَه الحطيئةُ فقال :

قومٌ إذا عَقَدوا عَقْداً لجارهمُ شدُّوا العِنَاجَ وشدُّوا فوقه الكَرَبا [4]

هذا ما أورده ابنُ قُتيبة [5] .

تم الجزء التاسع من خـزانة الأدب
بتقسيم محققها

---

(١) ش : « وتمثل » ، بتشديد الثاء المكسورة .
(٢) ديوان أبى دواد ٣٥٣ ومعجم الشواهد .
(٣) ديوان أبى دواد ٢٩٢ .
(٤) ديوان الحطيئة ٧ . والعناج ، ككتاب : خيط أو سير يشد فى أسفل الدلو حتى تتصل إلى أعلى الكرب . والكرب : الحبل الذى يشد على الدلو ، والمراد توثيقهم للعهد وإيفاؤهم به .
(٥) الشعراء ٢٣٧ — ٢٤٠ .

الفهارس

١ – فهرس التراجم

٢ ـ فهرس الشواهد

(الجـــوازم)

(المتعدى وغير المتعدى)

(أفعال القلوب)

(الأفعال الناقصة)

٧٧٨ فلا تترُكنِّى بالوعيدِ كأنّنى إلى الناسِ مطلىٌّ به القارُ أجربُ ٤٦٥
٧٧٩ وإن يلتقِ الحىُّ الجميعُ تُلاقِنى إلى ذروة البيت الكريم المصمَّدِ ٤٦٩
٧٨٠ وأكفيهِ ما يخشى وأُعطيهِ سُؤْله وأُلحِقهُ بالقوم حتَّاهُ لاحقُ ٤٧٢
٧٨١ فلا والله لا يلقاهُ ناسٌ فتًى حَتَّاكَ يا ابن أَبى يزيدِ ٤٧٤
٧٨٢ فواعجبًا حتَّى كليبٌ تسبُّنى كأَنَّ أَباها نَهشلٌ أَو مُجاشِعُ ٤٧٥
٧٨٣ فما زالت القَتلَى تمجُّ دماءَها بِدجلةَ حتى ماءُ دِجلة أشكلُ ٤٧٩
٧٨٤ بَطلٍ كأَنَّ ثيابَه فى سرحة ٤٨٥
٧٨٥ وتركبُ يومَ الرَّوع فيها فوارسٌ بَصيرونَ فى طَعن الأَباهرِ والكُلَى ٤٩٣
٧٨٦ نُحابى بها أكْفاءَنا ونُهينُها ونشربُ فى أثمانهَا ونقامِرُ ٥٠٣
٧٨٧ ما بكاءُ الكبير بالأَطلالِ ٥١١
٧٨٨ غُلْبٍ تَشَذَّرُ بالذُّحول ٥١٥
٧٨٩ نَضربُ بالسَّيف ونرجُو بالفرَجْ ٥٢٠
٧٩٠ ولكنَّ أجراً لو فعَلتِ بِهيِّنٍ وهل يُنكر المعروف فى الناسِ والأَجرُ ٥٢٣
٧٩١ أَلا هلْ أَتاها والحوادثُ جمَّةٌ بأَنَّ أمرأَ القيس بنَ تملِكَ بَيْقرا ٥٢٤
٧٩٢ فأَصبَحْنَ لا يسأَلنه عن بما بهِ أَصعَّد فى عُلْوِ الهوَى أم تصوَّبا ٥٢٧
٧٩٣ لِدُوا للموتِ وابنُوا للخرابِ ٥٢٩
٧٩٤ رُبَ هَيضلٍ لجبٍ لففْتُ بِهَيْضَلِ ٥٣٥
٧٩٥ فإنْ تُمْسِ مهجورَ الفناء فربَّما أَقامَ به بعدَ الوفودِ وفودُ ٥٣٩
٧٩٦ يارُبَّ هيجَا هى خيرٌ مِن دَعَه ٥٤٧
٧٩٧ رُبَّ رِفْدٍ هَرَقتَه ذلك اليو مَ وأَسرَى من مَعشر أقيالِ ٥٥٩
٧٩٨ إنْ يقتلوك فإنَّ قتْلَكَ لم يكن عاراً عليك وربَّ قتلٍ عارُ ٥٧٦
٧٩٩ ربّما ضربةٍ بسيف صقيلٍ بين بُصرَى وطعنةٍ نَجْلاءِ ٥٨٢
٨٠٠ رُبّما الجاملُ المؤبَّلُ فيهم وعَناجِيجَ بينهنَّ المِهارُ ٥٨٦

رقم الإيداع : ١٩٨٢/٣٣٠٩